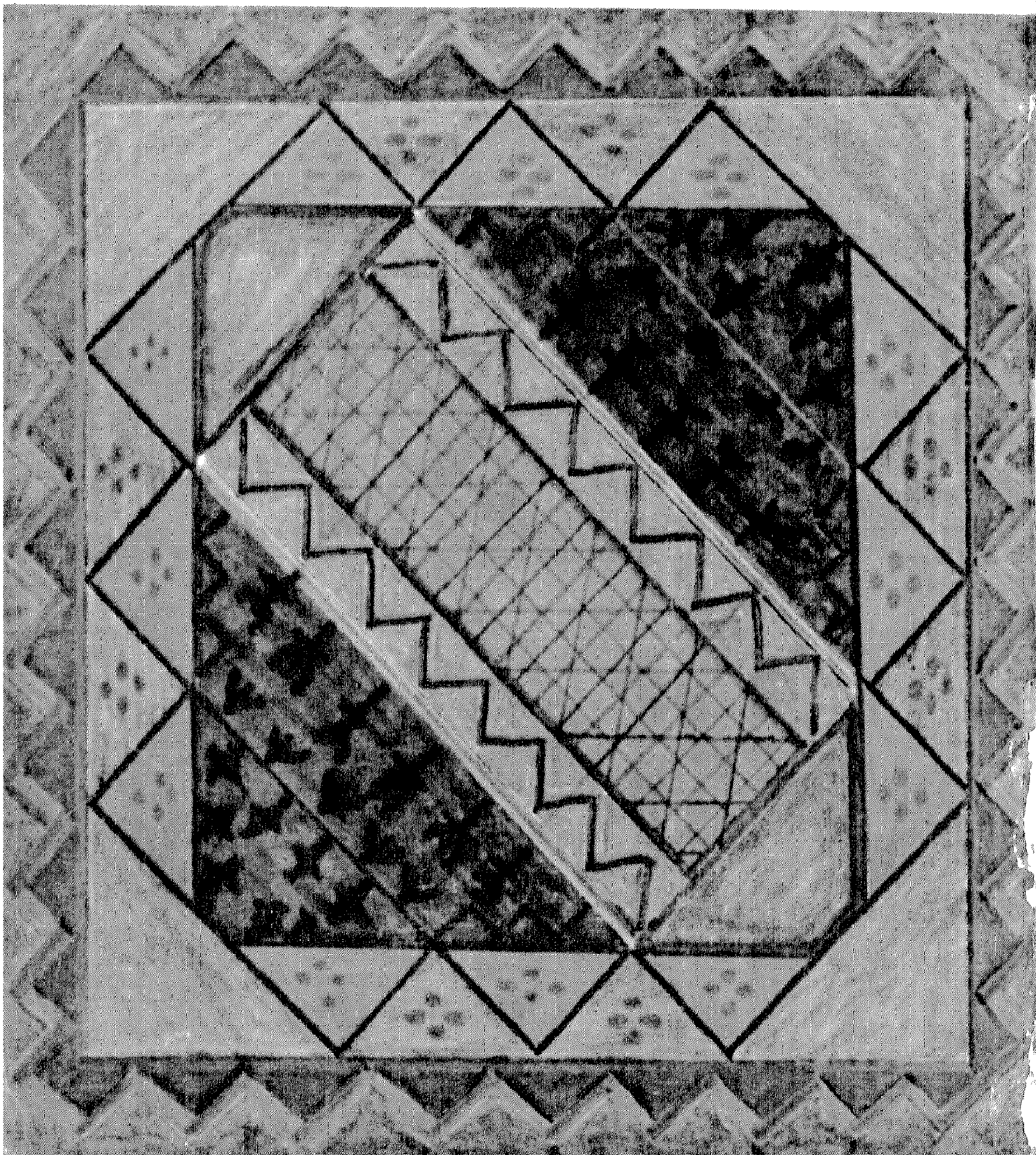
شؤون فلسطينية

٢٠

نيسان (ابريل) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٠ — نيسان (ابريل) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا
وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،
٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صورة الغلاف مستوحاة من تطريز فستان فولكلوري فلسطيني في غزة

المحتويـــات

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

عاد الاخ مدير توزيع شؤون فلسطينية من جولة في بعض ربوع الوطن العربي لدرس مسائل التوزيع مع وكلائنا بعدد من الملاحظات والانطباعات والاستفسارات التي جمعها خلال لقاءاته مع العشرات من رجال الفكر ومن الموزعين والناشرين واصحاب المكتبات في العديد من المدن العربية . وأبرز الملاحظات التي تضمنها تقريره عن رحلته استفسار تكرر في أكثر من لقاء وأكثر من مناسبة عما اذا كانت صفحات شؤون فلسطينية تتسع لنتاج المثقفين العرب ، من غير الفلسطينيين ومن غير المقيمين في لبنان ومن الذين ليست لديهم علاقات مباشرة مع مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان هذا الاستفسار جاءنا ، بأشكال أخرى ، من العشرات من الكتاب العرب . وكان أحيانا يتخذ شكل العتاب بأن المجلة لا تستكتب الكثيرين من هؤلاء ، أو ان المجلة تحصر نفسها بعدد محدود من الكتاب الفلسطينيين المتصلين بمركز الابحاث بشكل او بآخر .

والواقع ان العكس ، هو الصحيح . لقد كانت خطة المجلة منذ صدورها ، بل خلال فترة التحضير لها ، أن تستكتب أكبر عدد ممكن من الكتاب غير العرب ، والعرب غير الفلسطينيين ، من كافة انحاء العالم ، ذلك ان المجلة هي مجلة الفكر الفلسطيني وليست مجلة المفكر الفلسطيني . هي أداة الاتصال مع الجماهير العربية لحمل فكر الثورة الفلسطينية وأدبياتها ونتاجها الثقافي ولكنها ليست مطبوعة اعلامية تصدرها الثورة كناطق بلسانها . ولما كان البحث في الشؤون الفلسطينية ، بمعناها الثقافي الواسع ، موضوع عالمي يخوضه الالاف من الكتاب (من مفكرين ومن صحافيين ومن أدباء ومن منظرين ومن باحثين) كانت تطلعات أسرة التحرير ، ولا تزال ، أن تجتذب الى مجلتنا اكبر عدد ممكن من هؤلاء الكتاب ، ممن يتوافر لديهم الشرطان الاساسيان : الايمان بعدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني ببلده وبالثورة من اجل استعادته ، من الجهة الاولى ، والكفاءة العلمية والقدرة على الكتابة والتحليل بعمق وبدقة وبنزاهة وبصدق مع تحري الحقائق ودعم الاراء بالاثباتات ، من الجهة الاخرى . توافر هذان الشرطان في الكاتب وفي البحث هما اللذان على ضوئهما يجاز نشر هذا المقال أو ذاك . ويستكتب بفضلهما هذا الكاتب او ذاك . وذلك دون النظر في جنسية الكاتب او مكان اقامته او مدى علاقته بمركز الابحاث الذي يقوم بنشر « شؤون فلسطينية » . وعلى العكس ، وكما قلت سابقا ، ان المجلة خططت وتخطط لان تزداد نسبة الكتاب غير العرب على الكتاب العرب ، والكتاب العرب غير الفلسطينيين على الكتاب الفلسطينيين ، والكتاب المنتشرين في العالم على الكتاب المقيمين في البلاد العربية خارج لبنان ، والكتاب المقيمين في هذه الدول العربية على الذين يقيمون في لبنان ، والكتاب الذين لم يسبق ان نشر لهم مركز الابحاث دراسات على الذين تعاملوا مع المركز ، وحتى من ضمن هؤلاء المتعاملين مع المركز نحاول ان نزيد نسبة المتعاونين من بعيد على الذين يعملون في المركز عملا مباشرا ، وبكلام آخر ، كانت خطة المجلة ولا تزال أن توسع رقعة كتّابها قدر الامكان .

ولعل نظرة فاحصة على فهارس ومحتويات اعداد السنتين السابقتين تدلل على ما اقول وتثبت صحته بشكل قاطع . لقد كتب في شؤون فلسطينية ٢٤٥ كاتبا ، كان بينهم ٣٧ كاتبا غير عربي . وبين هؤلاء ، من هو جدير بلفت النظر اليه ، عدد لا بأس به من الكتاب اليهود غير الصهيونيين . وربما كانت هذه النسبة (١٦ ٪) أعلى نسبة من نوعها في اية مجلة عربية سياسية . اما الكتاب العرب غير الفلسطينيين فقد بلغ عددهم ٧٠ كاتبا ، ونسبتهم الى مجموع الكتاب ٢٨ ٪ . وهم موزعون على جنسيات عربية مختلفة ومعظمهم من السوريين والعراقيين والمصريين . وهذا يعني أن ٤٤ ٪ من كتاب شؤون فلسطينية ليسوا فلسطينيين اطلاقا . ولا بد للقارىء من أن يقدر للمجلة انها نجحت باستكتاب ما يزيد على المئة كاتب غير فلسطيني ووفقت في حمله على الكتابة في الشؤون الفلسطينية المختلفة في مدة سنتين فقط .

لكن نجاح المجلة في هذا المجال هو في الواقع أقل من نجاحها في مجال دعوة الكتاب الى المساهمة بتحريرها من خارج لبنان وخارج الوطن العربي . وبينما يسكن ٤٥ ٪ من كتابها (١١٠) في لبنان يقطن الباقون (٥٥ ٪ = ١٣٥) خارج لبنان : يقطن ٦٠ كاتبا منهم ، اي الربع في الدول العربية المختلفة ، وينتشر الباقون (وهم ٧٥ كاتبا، اي الثلث) في أرجاء المعمورة ، ومعظمهم في الولايات المتحدة واوروبه الغربية واسكندنافيه . وهذه الارقام هي ايضا تدل على جهد المجلة بألا تكون مجلة الكاتب (سواء الفلسطيني او غير الفلسطيني) المقيم في لبنان بل أن تتخذ لنفسها طابعا عالميا واسعا لتؤمن لنفسها انتشارا عالميا واسعا .

بقي موضوع مركز الابحاث ، ان ٢٧ فقط من الكتاب الـ ٢٤٥ يعملون في المركز ، اي بنسبة ١١ ٪ فقط . اما الاغلبية الساحقة (٨٩ ٪) فليسوا من باحثي المركز . منهم ٤٠ سبق ان نشر المركز لهم دراسات دون أن يعملوا به ومنهم ١٧٨ ليس لهم اية علاقة بالمركز . وتتضح اهمية هذه الارقام والنسب حينما نتذكر ان مركز الابحاث ، الذي ينشر « شؤون فلسطينية » والذي يعتبرها واحدة من اضخم وأهم مشاريعه الانتاجية ، يضم في اسرته سبعين زميلا نصفهم على الاقل من الكتاب الذين سبق لهم أن نشروا دراسات أو بحوثا في القضية الفلسطينية في الماضي ، وبينهم عدد لا بأس به من كبار المتخصصين بالقضية الفلسطينية . وقد لا يتوافر هذا العدد في أي مكان واحد آخر في الوطن العربي، لا في مركز ولا في معهد ولا في صحيفة ولا في دار نشر ولا حتى في أية جامعة في الوطن العربي . ومع هذا تحاول رئاسة تحرير المجلة أن لا تجعل المجلة وقفا على كتابات هؤلاء الاختصاصيين الموجودين في المركز . بل انها تبذل جهدا خاصا لان تجعل نسبة مساهمتهم في المجلة ضئيلة — ومن هنا كانت النسبة مجرد ١١ ٪ بينما بامكان باحثي المركز الذين يزيدون على الثلاثين باحثا ان يملأوا صفحات شؤون فلسطينية بأقلامهم هم وان يجعلوها مجلة خاصة بالمركز اذ بينهم الباحث السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والادبي والاجتماعي والتقني والتاريخي وغير ذلك من حقول التخصص العلمي . أعود الى الاستفسارات التي حملها مدير التوزيع معه بعد جولة في عدد من البلدان العربية . اننا ندعو جميع الكتاب والباحثين القادرين على معالجة الشؤون الفلسطينية المختلفة معالجات علمية صحيحة ، الملتزمين بخط الثورة الفلسطينية والمؤمنين بأهدافها، ندعوهم جميعا الى اعتبار هذه المجلة مجلتهم هم ايضا بمقدار ما هي مجلة الـ ٢٤٥ كاتبا الذين سبق لهم أن كتبوا بها منذ صدورها ، اذ بقدر ما يسعد المجلة أن يتسع مجال توزيعها يسعدها ايضا أن تتسع رقعة المساهمين بتحريرها . ففلسطين ، في النهاية ، هي أمانة في عنق كل أحرار العالم . والمساهمة في تحريرها مطلوبة من جميع الشعوب. وكذلك فان الكتابة في جوانبها المتعددة ، فكرا وأدبا وعلما ، مطلوبة أيضا من جميع الذين لديهم المادة الجيدة والجديدة .

عبد القادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين

الدكتورة خيرية قاسمية

مرت بخيال رفيقة نضال عبدالقادر الحسيني ذكريات عابرة مما عاشته ولمسته وسمعته عن حياة عبدالقادر ، روتها لي في مقابلات عديدة في القاهرة . كانت قد رافقته منذ عام ١٩٣٥ ، وحملت عنه كل مسؤولياته العائلية كي يتفرغ هو لمهمته النبيلة وتعرضت لملاحقة السلطات البريطانية ، ولكنها عملت بصمت . لم تتذمر ولم تشك ، بل كانت وراءه تحثه على المتابعة . افتقدته كزوجة وام وهو لم يزل شابا في وقت كانت فلسطين في اشد الحاجة اليه . وقد ارجعتني السيدة الفاضلة الى الاستاذ محمد علي الطاهر ــ وهو من الصحفيين الفلسطينيين الاوائل ــ لاستجلاء حقائق بعض الاحداث نظرا لانه كان على معرفة وثيقة بعبدالقادر منذ نزل القاهرة عام ١٩٢٥ لاكمال دراسته فيها وكان لم يزل بعد فتى يافعا . ومن هذه الذكريات خرجت ببعض من جوانب حياة عبدالقادر التي هي جزء من حياة شعب فلسطين الحافلة بروائع البطولات .

خ. ق.

ولد عبدالقادر في القدس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الاولى في مدرسة صهيون الانجليزية ومدرسة روضة المعارف الاهلية. وعاصر وهو لم يزل طفلا بعد بداية المأساة في فلسطين وقت أن دخلتها القوات البريطانية وهي تحمل في ركابها تصريح بلفور وشهد وهو فتى تدرج الحكم البريطاني في ترسيخ قدم الصهيونية واعطائها الصبغة الشرعية . وجوده قرب والده موسى كاظم الحسيني ــ رئيس البلدية ــ الذي قاد العمل الوطني منذ توليه رئاسة المؤتمر الفلسطيني الثالث ١٩٢٠ ، قد أمده بتجربة حية الى جانب ما يتمتع به من ميزات شخصية .

وانتقل عام ١٩٢٥ الى القاهرة ليتابع دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ــ قسم العلوم ــ لدراسة الرياضيات . وقد مارس الى جانب ذلك الشعر والادب ، كما عمل بالتدريس ، وتردد على دار جريدة الشورى ــ لصاحبها محمد علي الطاهر ــ واسهم في تحرير بعض موادها .

وكانت فلسطين أواخر العشرينات قد شحنت بالاحداث اثر اضطرابات ١٩٢٩ وما تلاها من تحقيقات . وتجددت أمام عبدالقادر في القاهرة صورة الحكم البريطاني المقيت فجعل من نفسه داعية لقضية وطنه . واعدادا للمستقبل بدأ بتنظيم الطلبة الفلسطينيين في القاهرة ، وانشأ منهم اول رابطة للطلبة الفلسطينيين على أمل ان تتحول الى منظمة سياسية تتولى قيادة الحركة الوطنية بعد أن ينهي الطلبة دراستهم .

وكانت جريدة الجامعة الامريكية بمصر (نصف الشهرية) قد شهدت في مقال لها تحت عنوان ــ عبدالقادر الحسيني بكالوريوس علوم B.A. القدس فلسطين ــ على ان عبد القادر كان في السنوات الخمس التي قضاها في الجامعة موضع اعجاب رفاقه لما امتاز

به من روح التعاون « وكان أهم ما يستهويه من الدروس الرياضيات والدين كما كان حبه للمناقشات الحبية سببا لكسبه الشهرة بين الطلبة »(١).

وقد لمس عبدالقادر في الجامعة الامريكية الاتجاهات التي تعمل لصالح الاستعمار ، وفي الحفلة السنوية التي أقيمت بعد انتهاء العام الدراسي ١٩٣٢ لتوزيع الشهادات بحضور عدد كبير من مسؤولي الجامعة الامريكية في مصر والعلماء ، كان عبدالقادر يدبر مفاجأة لهم جميعا . وقد اشار الاستاذ محمد علي الطاهر في كتابه (نظرات الشورى) المطبوع بمصر عام ١٩٣٢ الى هذا الحادث تحت عنوان (شاب فلسطيني في مصر ينسف الجامعة بمصر في وجهها) مشيرا الى ان عبدالقادر بعد أن وقف على المنصة وفي يده الشهادة التي أخذها ، اتجه الى الحاضرين ووجه لهم كلمة وطنية « ندد فيها بالافكار التي تبث في أوساط الجامعة . وختم كلمته بأنه يقول هذا لينبه اليه المصريين والحكومة المصرية وأنه لم يكن يقوله قبل ذلك لانه كان طالبا اما الان وقد تخرج واخذ شهادة الدبلوم فهو يقوله للمسلمين والاقباط على السواء » . وقد نزل الطالب وجلس على كرسي في القاعة بينما كان الحاضرون يسألون عنه ويتحدثون في الكلمات التي سمعوها منه . ويضيف كتاب (نظرات الشورى) ان جريدة البلاغ قد علمت من سكرتير الجامعة ان مجلس الادارة قد اجتمع على أثر ما حدث وقرر سحب الشهادة التي أعطيت لهذا الطالب . ولما قام احد المعلمين بتنفيذ القرار تجمهر بعض الطلبة وكاد يقع شيء من القتال لولا ان عبدالقادر منع الناس عن المعلم وأعطاه الشهادة . وقد اضطربت الجامعة الامريكية من هذا الحادث ، فجلبت بعض الصحفيين عند منتصف الليل ورجتهم عدم الاشارة الى ما جرى « وحاولت ارشاء بعض الصحفيين ليحملوا على ذلك الشاب الغيور على قوميته ، ولكن الصحف في الصباح التالي امتلأت بأخبار ما جرى ». ولجأت الجامعة الامريكية كذلك الى الايعاز لبعض الطلبة للذهاب الى ادارات الصحف الطعن عليه وتبرئة الجامعة . وقد قام عبدالقادر بتوزيع كتاب مفتوح على الصحف ضمنه توضيحا لما ذكره في الحفل حول الاتجاهات التي لمسها في اوساط الجامعة طالبا « من كل وطني مسلما كان أم مسيحيا ان يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون اهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الشرقية هانئين آمنين » .

وعلى اثر هذا الحادث أصدرت الحكومة المصرية — في عهد اسماعيل صدقي — أوامرها باخراج عبدالقادر من مصر . وقد تجمهر الفلسطينيون المقيمون في مصر عند محطة سكة الحديد لوداع عبدالقادر ، وانقلب الوداع الى شبه تظاهرة وطنية تهتف لفلسطين العربية وتنادي بسقوط الحكم البريطاني .

عاد عبدالقادر الحسيني الى القدس في مطلع عام ١٩٣٣ ليمارس نشاطات متعددة يخدم بها قضيته . وقد استلم وظيفة في دائرة التسوية ، وهي دائرة خاصة للاراضي شكلتها الحكومة المنتدبة ، ولا شك ان الدافع وراء حصوله على وظيفة في هذه الدائرة هو الاطلاع على الاساليب التي يقوم بها الصهيونيون في الاستيلاء على الاراضي ومحاولة عرقلتها ، كما ان وجوده فيها أتاح له فرصة توثيق صلاته بأهل القرى . وكان الى جانب عمله الرسمي يمارس هوايته الصحافية ، فكان يبعث بمقالاته الى جريدة الجامعة الاسلامية في يافا (التي كان يرئس تحريرها سليمان الفاروقي) بين عامي ١٩٣٣ — ١٩٣٦ . ولما اصدر الحزب العربي جريدة اللواء عام ١٩٣٥ (التي رئس تحريرها خالد الفرخ) اشترك عبدالقادر في تحريرها (قسم الترجمة) ، كما تولى سكرتارية جمعية الشاب المسلم المتعلم (برئاسة يعقوب الغصين) . وكانت الاوضاع في فلسطين بعد عام

---

(١) محمد علي الطاهر ، كتاب **نظرات الشورى** ، مصر ١٩٣٢ . وقد تفضل المؤلف مشكورا بتزويدي بأربع صفحات من الكتاب التي تشير الى نشاط عبدالقادر الحسيني في مصر .

١٩٣٣ قد زادت توترا مع ازدياد تواطؤ حكم الانتداب وتسهيله الهجرة وبيع الاراضي . وقامت سلسلة من التظاهرات في المدن الفلسطينية . وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ تقدم والده موسى كاظم باشا صفوف التظاهرة الوطنية في يافا واستخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف وكان نصيب عبدالقادر عدة جروح ، ووالده (الذي تجاوز الثمانين) ، ضربة عصا سببت وفاته السنة التالية . وتكررت الاضطرابات حيث تصاعدت نحو الاضراب العام الذي امتد ستة شهور ، وتشكيل اللجنة العربية العليا من كافة الاحزاب الفلسطينية نيسان ١٩٣٦ .

وكان عبد القادر في ذلك الوقت يتولى ادارة مكتب الحزب العربي الفلسطيني في القدس، وبدأ مع غيره من الشباب الوطني في التهيئة لاسلوب جديد في المقاومة هو الثورة . وبالفعل كان قد بدأ تشكيل منظمات سرية شبه عسكرية من شبان في المدن والقرى تعمل على جمع السلاح والتدريب العسكري . وفي اواخر ايار ١٩٣٦ اعلنت قيادة هذه القوات التي اطلقت على نفسها اسم الجهاد المقدس ، الثورة . ولجأت الى الجبال لتشترك بثورة مسلحة على شكل حرب فدائية ، وكان لعبد القادر شرف الاشتراك في اطلاق الضربات الاولى الموجهة مباشرة الى الاحتلال البريطاني في قطاع القدس .

وشارك في معركة (الخضر) في قضاء بيت لحم ، التي استشهد فيها المجاهد السوري سعيد العاص (ايلول ١٩٣٦) واعتقل عبد القادر اثر اصابته بجرح في المعركة ووضع في مستشفى الحكومة في القدس تحت حراسة مشددة انتظارا لمحاكمته بعد شفائه . ولكنه دبر امر الفرار من المستشفى بالتعاون مع بعض الشباب ونقل سرا الى دمشق عن طريق الاردن حيث عولج حتى شفي(١). والتحقت به عائلته في دمشق واستقرت هناك ، بينما اتجه هو الى بغداد . وتسلل الى فلسطين من جديد ليغادرها سرا الى المانيا ، بعد ان هدأت احداث الثورة منذ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ تلبية لنداء الملوك وترقبا لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية برئاسة لورد بيل. وقد مكث في المانيا مدة ثمانية شهور حيث تلقى تدريبا خاصا على تعبئة المتفجرات واستخدامها ، وقام فيما بعد بتدريب مجموعات خاصة في دمشق ، استعدادا لجولة اخرى .

وكانت احداث الثورة منذ تشرين الاول ١٩٣٧ قد تجددت بشكل اكثر عنفا وتنظيما ، وجهت الى السياسة البريطانية والصهيونية معا ، بعد ان اصدرت لجنة بيل توصيتها بتقسيم فلسطين ، واعلنت الحكومة البريطانية رغبتها في تنفيذ هذه التوصية . وعاد عبد القادر الى فلسطين خفية ليشترك باحياء الثورة باعمال فذة جديدة في قطاع القدس. وقام مع مجموعة من المجاهدين بالتوجه الى منطقة الخليل (قرية بني نعيم) ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٨ للاتصال بالقبائل المقيمة هناك فوقعوا في كمين نصبه الانجليز واستشهد كثيرون كان من بينهم ابن عمه المهندس علي الحسيني بينما اصيب هو اصابة خطيرة . وقد ظنت مجموعته انه قد اصبح في عداد الشهداء الذين وضعوا جميعا في كهف سد بابه بالحجارة حتى لا يعثر عليهم . وحاول الاستغاثة كي يخبرهم انه لا يزال على قيد الحياة دون جدوى فقد منعته جراحه المثخنة ، ولحسن حظه كان طرف ردائه الشتوي باديا بين الحجارة فعثر عليه اهل القرى في اليوم التالي ، وقد عمل قميصه الصوفي وساعة يده كضابط لحبس النزف . وحمل وهو في اشد حالات الاعياء على ظهر جمل حتى المستشفى الانجليزي في الخليل . وارغم رفاقه طبيب المستشفى على معالجته بعد ان قطعوا كل اتصال مع الخارج . وقد عادته زوجته في المستشفى ، بعد ان علمت

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر في مقابلة شخصية انه هو الذي اوعز الى عبدالقادر بفكرة الفرار في رسالة شفوية بعثها من القاهرة ، حسب اصطلاح شاع في فلسطين في ذلك الوقت (افركها) وهي كلمة مشتقة من (بيت فوريك) في قضاء نابلس .

بالنبأ وكان لا يزال مثخنا بالجراح ، فقد كانت بضع رصاصات قد مزقت صدره لتستقر احداهـــا قرب قلبه . وعاود عبد القادر القتـــال بعد شفائه وتتالت عمليات مـــلاحقة السلطات البريطانية له ولكنه نجا منها كلها .

وكانت اعمال الثورة لا تزال مستمرة رغم تراجع الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم ودعوتها الى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وصدور الكتاب الابيض . الا ان ظـــروف الحرب (بعد ايلول ١٩٣٩) قد حالت دون متابعة القيام باعمال الثورة ، واضطر كثير من القيادة الفلسطينية ان يغادروا مواقعهم ، وكان بعضهم قد اضطـــر الى اللجوء الى سوريا ولبنان قبل اعلان الحرب بسبب الملاحقة والضغط العسكري المتواصل . ولكن مع بوادر الحكم الوطني في العراق وخشية اعتقال السلطات الفرنسية اتجهوا نحو بغداد وكان عبد القادر بين من استقر هناك . ورغم خبرته العسكرية فقد التحق بدورة خاصة الضباط في بغداد ليتخرج بعد ستة شهور برتبة ضابط وعمل على تدريس الرياضيات في الكلية الحربية (معسكر الرشيد) وكذلك في مدرسة (التفيض) في بغداد ، وهناك مارس هوايته الصحفية فاشترك بتحرير مجلتها المدرسية الشهرية .

ولما نشب القتال في العراق (نيسان ١٩٤١) في عهـــد وزارة رشيد عالي الكيلاني ضد القوات البريطانية التي كانت تعزم على اعادة احتلال العراق والقضاء على الحكم الوطني فيها ، كان عبد القادر اول المتطوعين ، فنظـــم مع القوات الفلسطينية قوة اشتركت في اعمال قتال الانجليز التي استمرت مدة شهر وقد تمكنت مجموعته وحدها من ايقـــاف تقدم القوات البريطانية مدة عشرة ايام في زحفها نحو بغداد(١). وبعد توقف القتال غادر الوطنيون البلاد الى ايران عن طريق الموصل . وكانت زوجـــة عبد القادر قد افتقدت اخباره الا انها فوجئت به يعود بعد خمسة وعشرين يوما . اذ كانت السلطات البريطانية قد رفضت السماح لمجموعته المكونة من خمسة وثلاثين شخصا بالعبور قرب كرمنشاه بينما سمحت له شخصيا نظرا لقرابته للمفتي ، الا انه رفض النجاة وحده . وعـــادت المجموعة مشيا على الاقدام لتقطع مسافة الف كيلو متر في مدة خمسة وعشرين يوما . وقد طلب عبد القادر من مجموعته التسلل افراديا الى منزله حتى لا يثيروا الشبهة . وظلت هذه المجموعة في معقلهـــا الاجباري تحت رعاية زوجته خـــلال شهري حزيران وتموز ، ولكن نتيجة المعاناة الشديدة بسبب نقص الغذاء والاختفاء اضطروا الى تسليم انفسهم الى مصطفى العمري وزير الداخلية (تموز ١٩٤١) . واستمرت محاكمة عبد القادر وحده سنة وثمانية شهور وانتهت دون اصدار حكم . وفي خلال هذه الشهور كان بيت عبد القادر في بغداد قد اصبح مركزا لتجمع العائلات الفلسطينية الذين غادر معظم رجالها البلاد الى الخارج ، واثار ذلك شبهة السلطات وتعرضت زوجته لتحقيقـــات المخابرات العسكرية مرارا وانتهى الامر بوضعها تحت الحراسة .

في ذلك الوقت كانت قد صدرت الاوامر للمعتقلين الوطنيين بالاقامة الجبرية في شمـــال العراق على شكل مجموعات متفرقة وكان نصيب عبد القادر بلدة زاخو على حـــدود تركيا ثم استدعي بعد شهرين للتحقيق معه بعد اغتيال احد رجالات العراق وسجن في معتقل (العمارة) الرهيب مع كل الفلسطينيين والعراقيين ذوي الصلة بهم مـــدة ثلاث سنوات ونصف . وكانت عائلته قد امرت في مطلع عام ١٩٤٣ بمغادرة بغداد لتعود الى القدس من جديد بعد غياب دام عدة سنوات . وفي اواخر عام ١٩٤٤ بلـــغ زوجته خبر تدهور صحته في معتقله نتيجة جروحه السابقة . وتوسطت لدى بعض رؤساء الـــدول

---

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر انه قد بلغه وهو في القاهرة خبر بأن مدير الامن العراقي (احمد الراوي) قد اتصل بعبدالقادر ومجموعته وكانت لا تزال في استحكاماتها داخل احدى البنايات طالبا منها الفرار بعد ان استسلمت الحكومة نفسها ولم يعد هناك جدوى للمقاومة .

العربية لحمل حكومة العراق على الافراج عنه وذهبت الى بغداد استمرارا لهذه المساعي . وقد اشار محمد علي الطاهر في كتابه (هاكستب)(١) ان عبدالقادر كان قد بعث له عام ١٩٤٤ برقية من العراق يخبره فيها انه لا يزال في سجن العمارة وانه لما بلغت حالته الصحية حد الخطورة سمحت الحكومة العراقية باخراجه من السجن على شرط ان يغادر العراق ، ويطلب في البرقية ان يسمح له بدخول مصر . وقد بعث (الطاهر) بالبرقية الى مصطفى النحاس رئيس الوزارة شارحا فيها حالة عبد القادر وجهاده وظروفه وانه لا يوجد طريقة لانقاذه الا بدعوته لمصر ليعالج فيها . وقد ابرقت وزارة الخارجية المصرية الى المفوضية المصرية ببغداد بالشيفرة لمنح عبد القادر تاشيرة دخول لمصر له ولاسرته بامر خاص من رئيس الوزارة ، على ان يجعل سبيله الى مصر من طريق المملكة السعودية حتى لا يقبض عليه الانجليز ان مر بالشرق الاوسط « سوريا ولبنان وفلسطين والاردن » . وابرق الطاهر لعبد القادر بواسطة مدير سجن العمارة بان يراجع القنصلية المصرية ببغداد . وقد علم بعد ذلك ان الملك عبد العزيز ال سعود حين عرف بمرور عبد القادر الحسيني امر باستضافته في السعودية نظرا للصداقة التي تربط موسى كاظم الحسيني وعبد العزيز منذ كان الاول متصرفا لنجد زمن الدولة العثمانية . وظل عبد القادر في السعودية مدة عامين ولحقت به اسرته هناك من فلسطين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الغيوم تتلبد في سماء فلسطين السياسية والقضية تتأرجح بين يدي الحكومة البريطانية ولجان التحقيق المختلفة والامم المتحدة . وبدا للجميع ان الصدام امر لا بد منه . وغادر عبد القادر السعودية الى مصر ليكون قريبا من فلسطين اوائل عام ١٩٤٦ . ويروي محمد علي في كتابه (ها كستب)(٢) ان الحكومة المصرية — وكان يراسها ابراهيم عبد الهادي في عهد السعديين — قد سعت الى اخراجه من مصر وبقوة الشرطة . وقد طلبت منه ادارة الجوازات مغادرة مصر فورا وهددته بحبسه بسجن الاجانب الى ان يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره لفلسطين . وقد طلب عبد القادر من رئيس الادارة ان يمهله بضعة ايام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا او لبنان . ويضيف كتاب (هاكستب) ان عبد القادر حاول ان يسر باذن ذلك المسؤول انه لا يستطيع دخول فلسطين لان الانجليز فيها قد سبق لهم ان حكموا عليه بالاعدام لمحاربته اياهم ١٩٣٦ — ١٩٤١ . وبدلا من ان يقدر الموظف جهاده نهره بجواب فظ(٣) . واخيرا افرج عنه موظف الجوازات بعد ان اخذ منه تعهدا مكتوبا بان يغادر مصر بعد اسبوع ، وان يتعهد بان لا يبذل اي جهد او وساطة لتمديد الاقامة . ويتابع (الطاهر) في كتابه انه قد ذكر عبد القادر بحادثة اخراجه في عهد اسماعيل صدقي من مصر وهو تلميذ ١٩٣٢ وحرضه ان لا يخرج الان وهو مجاهد الا بالقوة . وقام بعد ذلك بتقديمه الى ادارات الصحف واخبارهم بما فعلته الحكومة وشنت الصحف حملة اجماعية كانت السبب في صرف النظر عن ترحيله من مصر .

في ذلك الوقت كانت الهيئة العربية العليا قد تشكلت في بلودان (حزيران ١٩٤٦) برئاسة مفتي فلسطين (وكان لا يزال في باريس) ولما وصل سرا الى القاهرة (صيف ١٩٤٦) تولى رئاسة الهيئة فعليا . وكان عبد القادر قد بدأ يعمل وبالتعاون مع قيادة الحركة الوطنية على اقامة معسكر تدريب خاص في مرسي مطروح لصنع الالغام وتعبئتها وجمع الاسلحة سرا من كل مكان (وخاصة من ليبيا من مخلفات الحرب العالمية الثانية) كما

---

(١) طبع الكتاب في القاهرة ١٩٤٩ وسمي باسم المعتقل الذي سجن فيه المؤلف .

(٢) ص ٢٣٤ — ٢٣٧ والمعلومات سمعها المؤلف من عبدالقادر الحسيني نفسه .

(٣) الجواب كان كما يلي : « احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا يالله على بلدك » .

عمد الى اعداد خريطة فلسطين وعليهــا تحديد المواقع الحيوية والاهــداف العسكرية وذلك من اجل وضع خطة لتنظيم الثورة المقبلة على اسس مدروسة .

وكان عبد القادر لا يزال نزيل القاهرة حين صدر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وعمل على رسم مخطط غايته توجيه الضربة الاولى للمصالح البريطانية في اليوم التالي لاعلان قرار التقسيم وذلك بنسف كل المباني الحكوميــة في القدس بتوقيت واحد قبــل وصول الموظفين الى دوائر عملهم . وكان استياؤه كبيرا حين سمع من راديو لندن اخبار خروج التظاهرات من المسجد الاقصى لانها افسدت خطته ، فالتظاهرات لم تكن التعبير المناسب عن الاستنكار .

ومع توالي الاصطدامات بين العرب وبين اليهود والانكليز أعلن الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين باتفاق بين الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية . وتولى عبد القادر حركة النضال في الجبهة الوسطى (القدس وما حولها) كما تولى كل قائد من قادة الجهاد المقدس قيادة القطاع المخصص له . وتسلل عبد القادر من مصر الى داخل فلسطين في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٤٧ متخذا بلدة بير زيت قرب رام الله مركزا لقيادته وللقيادة العامة للجهاد المقدس .

وتابع بعقله الرياضي المنظم وضع الخطط لتوزيع القوات وقام بعرضها في دمشق التي اتخذت مقرا للجنة العسكرية الفنية التابعة للجامعة العربية برئاسة اسماعيــل صفوة وطه الهاشمي . وكانت دهشتهما فائقة حين عرفا ان رسم الخطة قد استغرق تسعة شهور لوضعها بينما كان الجهد الذي بذل لتحضيرها يقتضي عشر سنوات على الاقل .

كل ما كان يطلبه عبد القادر وبالحاح من الجميع هو السلاح والمال ، فلم ينقصه الرجال، ولكن هذا ما بخلوا به . وذهبت رحلاته بين دمشق والقاهرة لاقناع مسؤولي الجامعة بمد يد العون عبثا . ومع ذلك فقد قاتل بما كان لديه من سلاح وتمكن من القيام باعمال ذكرها مواطنوه بالاعجاب والتقدير . اذ قام بالدفاع عن منطقة القدس المحاطة بعدد كبير من المستعمرات ، وكانت خطته مهاجمة هــذه المستعمرات لتعطيــل حركتها (معركة شعفاط ومعركة كفار عصيون) كما الف فرق التدمير العربية التي كــان لها الفضل في اعمال النسف التي قامت في القدس (شارع هاسوليل ومطبعة البالستين بوست وشارع بن يهودا وغيرها)(١) .

وكان عبد القادر في دمشق يبحث عن مزيد من السلاح حين بلغه خبر سقوط القسطل ٣ نيسان ١٩٤٨ ، وهي قرية عربية مرتفعة واقعة على بعد خمسة اميال غربي القدس تتحكم في طرق المواصلات وتهدد مدينة القدس نفسها وتشرف على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس تل ابيب(٢) . وكان استيلاء اليهود عليها يعني السيطرة على هذا الطريق وتمكينهم من تموين القدس المطوقة بالعرب . وحــاول ان يقنع اللجنة العسكرية بضرورة تزويده بالاسلحة اللازمة لاستعادتها مبينا لاعضاء اللجنة اهمية الموقع الاستراتيجية وخطر تهديدها القدس . ولكن الاعضاء رفضوا تسليمــه الاسلحة المطلوبة ، بل اظهروا عدم تفهم للاوضاع او تقدير لخطورة المواقع التي ينوي الصهيونيون احتلالها . وفشلت مساعي الهيئة العربية العليا للتدخل . ولم يكن احــد افراد اللجنة العسكرية يرى مانعا من سقوط القدس طالمــا انها ستعاد ثانية ! وكــان الرفض انسجاما مع السياسة الرامية لتجميد الوضــع العسكري ريثما يتهيأ دخــول

---

(١) لمزيد من التفصيلات راجع : عارف العارف ، **نكبة بيت المقدس ١٩٤٧ — ١٩٥٢** ، الجزء الاول ، صيدا بيروت ١٩٥٦ .

(٢) مجلة **فلسطين** ، الهيئة العربية العليا ، نيسان ١٩٦٢ .

القوات العربية . وصب عبد القادر غضبه على اعضاء اللجنة متهما اياهم بالخيانة وان التاريخ سيسجل انهم اضاعوا فلسطين متوعدا بانه سيستعيد القسطل حتى لو دفع حياته ثمنا لها .

وغادر دمشق في ٦ نيسان ليظهر على مشارف القدس في اليوم التالي ومنها توجه نحو موقع القسطل رغم نصيحة اصدقائه طالبين منه التريث حتى يدرس حقيقة الموقف . وبدأت عملية الزحف الانتحارية نحو القسطل واستعيد الموقع بالعدد الضئيل من الجند والسلاح ورفع العلم العربي بعد ظهر الخميس ٨ نيسان ١٩٤٨ . الا ان عبد القادر نفسه كان قد سقط شهيدا أمام احد بيوت القرية دون ان يعرف بذلك احد سوى مرافقه عوض . وكانت الفاجعة مزدوجة حين سقطت القدس مجددا في اليوم التالي لاستشهاده . واختلطت في ذهن ارملته تفاصيل حادث استشهاده . وتكاثرت الاقوال حول اللحظات الاخيرة التي قضاها على تربة الارض التي حررها ، ضاربا اروع امثلة الكفاح للاجيال المقبلة من أبناء فلسطين(١).

---

(١) كان محمد علي الطاهر من اوائل الذين اشاروا في كتاب عربي الى خبر استشهاده وذلك في كتابه (اوراق مجموعة) القاهرة ١٩٤٨ ، بعد يومين من استشهاده وكان طبع الكتاب قد انتهى ، ووضع الخبر ملحقا للكتاب . وقد اوقع الطاهر اللوم في استشهاده على بخل المسؤولين بامداده بالسلاح والمال .

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (١)

الدكتور عاطف سليمان

تنشر شؤون فلسطينية الجزء الاول من بحث الدكتور عاطف سليمان وستنشر الجـزء الثاني المتعلق ببحث موضوع التاميم في العدد القادم بالنظر لكون الدراسة طويلة .

مقدمــة :

تتعرض الامة العربية اليوم لاقسى انواع العدوان وابشع محاولات الاذلال وكافة انواع الضغوط لحملها على التخلي عن حقوقها المشروعــة والاستسلام لمخططــات المعتدين واهدافهم . وتتحالف ضدنا في ذلك اسرائيل والصهيونية العالمية ومن ورائهما الـدول الاستعمارية الكبرى التي انشأت اسرائيل ومـا فتئت تدعمها بشتى الوسائل وتلقي الى جانبها بكل ثقلها السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري وعلى راس هـذه الدول الولايات المتحدة الامريكية ، التي اسفرت عن تحيزها الكامل لاسرائيل وعدائهـا الصريح للمصالح العربية المشروعـة ، وغيرها من حليفاتهـا من الدول الراسمالية الاستعمارية مثل بريطانيا والمانيا الاتحادية وهولندا .

ان المنطق السليم واعتبارات الكرامة تقضي بالبداهة على الامة العربية ان تواجه هذا العدوان الصريح وهذا العداء السافر برد يتناسب مع ضرورة هذا العدوان ويرتفع الى مستوى حدة هذا العداء ويتسم باقصى قدر ممكن من الشمول والكثافة والفعاليـة ، وهو ما يتطلب ان تكون المعركة التي تقف الامة العربية اليوم على اعتابها معركة شاملة جذرية وحاسمة ، بمعنى ان تلقي فيها الامة العربية جمعاء بكافـة قواها ووسائلهـا وطاقاتها وان تكون موجهة في نفس الوقت ضد الكيان الصهيوني من أساسه وضد كافة ما لدى الدول المعادية من مصالح في العالم العربي .

والنفط العربي ثروة وطنية هامة ، ولذا فان من الواجب منطقيا ان يوضع في خدمــة معاركنا السياسية والعسكرية . كما ان هذه الثروة الوطنية الضخمة تمثل من نـاحية اخرى أهمية كبيرة ، استراتيجية واقتصادية ، للدول الاستعمارية التي هي اشد الدول معاداة لنا اذ هي تعتمد على هذه الثروة اعتمادا كبيرا في تموينـاتهـا البترولية سواء في الحاضر أو في المستقبل كما تجني الشركات النفطية التابعة لها أرباحا طائلة مـن وراء استغلال هذه الثروات ، ولذا فان من الواضح بداهة ان على الامة العربية ان تستغل هذا الوضع للنفط العربي وهذه الاهمية التي يمثلها لاتخاذه كوسيلة لتعزيـز مواقفنا وكعامل ضغط في مواجهة الدول المعادية او كأداة لالحاق الضرر بمصالحها الى أقصى الحدود الممكنة .

ثم ان الصلة بين النفط وبين قيام اسرائيل صلة واضحة لا يمكن انكارها ، اذ من المؤكد أن أحد الاسباب الرئيسية التي دفعت الغرب للعمل عـلى انشاء اسرائيل ولمواصلـة دعمها بكل الوسائل هو اتخاذها قاعدة اساسية لحماية المصالح الغربية الاستراتيجية

والاقتصادية في المنطقة ، وعلى رأسها المصالح النفطية ، عن طريق الدور المتعدد الجوانب المسند لاسرائيل في هذا المجال بمختلف صوره واشكاله (بما في ذلك الضغط العسكري ، والسيطرة الاقتصادية ، واجتذاب طاقة الكفاح لدى الامة العربية بعيدا عن المصالح النفطية ، والحيلولة دون تحقيق وحدة العالم العربي وتقدمه وارتقائه ...) . فالارتباط بين وجود اسرائيل وبين ضمان المحافظة على المصالح النفطية الغربية في المنطقة مسألة لا تحتاج الى بيان ، والنفط العربي هو المحور الاساسي لازمة الشرق الاوسط من وجهة نظر امريكا نظرا لاهميته الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لها ، كما سيتضح بالتفصيل من خلال هذا البحث . ولذا فان طرح موضوع النفط العربي والدور الذي يجب ان يلعبه بصدد المواجهة بين العالم العربي وبين القوى الصهيونية والامبريالية هي امور منطقية وطبيعية .

هذه البديهيات كلها جعلت الراي العام العربي — منذ ان تأكدت أهمية النفط العربي ومنذ ان تكالبت علينا الصهيونية والامبريالية — يردد بالحاح هذا التساؤل : لماذا لم تستخدم حتى الان هذه الثروة النفطية الهامة كسلاح في معاركنا المصيرية بشكل فعال ، وكيف يمكن أن نستخدمها على أفضل وجه ؟

والامة العربية كذلك في معارك متواصلة ضد الفقر والتخلف ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي . ورغم هذه الثروات النفطية الضخمة وهذا الانتاج الكبير المتزايد من النفط العربي عبر سنوات طويلة فان البلاد العربية المنتجة للنفط ما تزال بصورة عامة بلادا متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وما تزال بعيدة عن التطور الصناعي والتقدم التكنولوجي ، كما ان جميع بلادنا العربية ما تزال تعتبر من الدول المتخلفة والسائرة في طريق النمو . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا كذلك هو : لماذا لم يقم النفط العربي بدوره حتى الان ، بشكل فعال ، في معركة التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي وفي القضاء على الفقر والتخلف ؟ وكيف يمكنه ان يقوم بهذا الدور على أفضل وجه ؟

والتساؤلات المتقدمة ، سواء حول دور النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية ضد قوى الامبريالية والعدوان او حول دوره كسلاح في معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ، هي في نظرنا تساؤلات مترابطة ومتداخلة : فمما لا شك فيه ان أحد الاسباب الرئيسية لهزائمنا العسكرية والسياسية يكمن في تأخرنا وتخلفنا وفي خضوع بعض بلداننا لنوع من الاستعمار الاقتصادي او التبعية الاقتصادية من جراء خضوع ثرواتنا الطبيعية للاستغلال الاجنبي . ولو أن الامة العربية استطاعت أن تستخدم ثرواتها النفطية لاحراز التنمية الاقتصادية والصناعية والتطور الاجتماعي والتقدم التكنولوجي لتحققت لها وسائل القوة واسباب العزة والمنعة مما يضمن لها النصر في معاركها السياسية والعسكرية أو يكون أحد العوامل الحاسمة في تحقيق هذا النصر . وسيتبين لنا من خلال هذا البحث ان الطريقة المثلى ، والاكثر جذرية وفاعلية ، لاستخدام النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية هي نفسها الطريقة التي تخدم المعركة الاقتصادية على أفضل وجه .

هذا البحث يحاول أن يقدم اجابة على التساؤلات المشروعة المتقدمة : كيف يمكن للنفط أن يكون سلاحا لنا في معاركنا السياسية والعسكرية ضد الامبريالية والصهيونية وفي معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي .

ولنحاول أولا أن نلقي نظرة على هذه الثروة النفطية العربية وان نتعرف على مدى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وعلى المكانة التي تحتلها في صناعة النفط العالمية وعلى المسرح البترولي الدولي .

أهمية النفط العربي ومكانته

اهمية النفط العربي بصورة عامة معروفة وسنكتفي هنا بايراد لمحة مقتضبة للتذكير بمدى اهمية احتياطي النفط العربي وانتاجه بالنسبة للاحتياطي والانتاج العالميين من النفط وكذلك اهميته بالنسبة للبلدان الرئيسية المستهلكة للنفط ومدى حاجتها اليه :

من المعروف ان العالم العربي ، سواء في منطقة الخليج العربي أو في شمال افريقيا ، يختزن الجزء الاكبر من الثروة البترولية في العالم ويحتل مكانا بارزا بين البلدان التي تنتجها وتصدرها :

ففي نهاية عام ١٩٧١ حسب مجلة Oil and Gaz Journal، كان احتياطي العالم العربي (سواء في منطقة الخليج العربي أو شمال افريقيا يبلغ (٤٨،٤) بليون طن أو حوالي ٣٦٣ بليون برميل)(١) بينما كان المجموع الكلي للاحتياطي العالمي، حسب المصدر نفسه، يبلغ (٨٦،٥) بليون طن (أو حوالي ٦٤٨،٨ بليون برميل) ، أي أن نسبة احتياطي النفط في العالم العربي ، تبعا لهذه الاحصائيات ، تبلغ حوالي ٥٦ ٪ من مجموع احتياطي النفط في العالم . ولكن من المعروف ان مصادر الشركات تميل الى تقليل مقدار الاحتياطي في البلاد العربية ولذا فان التقديرات الاكثر معقولية تبين بأن احتياطينا من النفط لا يقل عن ثلثي احتياطي النفط في العالم. وقد كان احتياطي الولايات المتحدة الامريكية في العام نفسه (١٩٧١) يعادل ٥،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي ، واحتياطي الاتحاد السوفياتي يبلغ ١١،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي.. واذا علمنا أن احتياطي المملكة العربية السعودية لوحدها يعادل ٢٣ ٪ من الاحتياطي العالمي تبين لنا ان السعودية تضم من الاحتياطي اكثر بكثير من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مجتمعين . واذا ما استثنينا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين ينتجان ما يحتاجان اليه ولا يصدران الا القليل فان احتياطي العالم العربي يصل الى ٧٥ ٪ من الاحتياطي العالمي خارج هذين البلدين . وبالاضافة الى احتياطي النفط الخام فان العالم العربي يضم ما لا يقل عن نصف الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ، وهو مصدر الطاقة الذي بدأ يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في العالم وتتزايد أهميته باستمرار (اذ بلغ احتياطي العالم العربي من الغاز ٣١٧٢ بليون متر مكعب في نهاية عام ١٩٧١ بينما يبلغ مجموع الاحتياطي العالمي من الغاز حوالي ١٦٠٠٠ بليون متر مكعب) .

ويبلغ انتاج العالم العربي من النفط في الوقت الحاضر حوالي (٧٦٥) مليون طن سنويا، حسب احصائيات عام ١٩٧١ طبقا لمجلة Petroleum Press Service، عدد يناير ١٩٧٢ ، او ما معدله ١٥،٣ مليون برميل يوميا (وقد ارتفع معدله في ستة الاشهر الاولى من عام ١٩٧٢ الى حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) ، وهذا يمثل حوالي ثلث مجموع الانتاج العالمي من النفط حسب احصائيات عام ١٩٧١ (الذي كان يبلغ حوالي ٢،٤ بليون طن حسب مجلة « بتروليوم برس سرفيس » ، عدد يناير ١٩٧٢) . ولكن اذا ما لاحظنا بأن اكبر بلدين منتجين للنفط في العالم، وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي، يستهلكان الجزء الاكبر من انتاجهما ولا يصدران للخارج الا نسبة ضئيلة بل ان الولايات المتحدة هي الان من بين البلدان المستوردة للنفط ، كما هو معروف ، تبين لنا بأن النفط العربي يشكل في الوقت الحاضر حوالي ٥٦ ٪ من مجموع صادرات النفط العالمية أي ان البلدان العربية تصدر الى البلدان المستهلكة للنفط والمستوردة له اكثر من نصف استهلاكها ، وبمعنى آخر فان النفط العربي يشكل اكثر من نصف النفط الداخل الى السوق العالمية(٢).

والنفط العربي يتميز بعدة مميزات بارزة اهمها سهولة العثور عليه وقلة تكاليف تطويره وانتاجه ووفرة انتاج آباره وموقعه الاستراتيجي بالنسبة للبلدان المستهلكة لا سيما قربه

النسبي من مركز الاستيراد والاستهلاك الرئيسي له وهو منطقة أوروبا الغربية .

فمن حيث تكاليف العثور على النفط فان تكلفة العثور في منطقة الخليج العربي تتراوح بين سنت أمريكي واحد الى ٢ سنت للبرميل الواحد ، حسب المصادر (فقد قدر أحد المصادر تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٠ بما معدله ١ سنت أمريكي للبرميل الواحد(٣)، بينما تقدر مجلة Petroleum Outlook في عددها لشهر فبراير ١٩٧١ تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط بما يعادل ٢ سنت امريكي للبرميل) بينما تكلفة العثور على برميل واحد من النفط في الولايات المتحدة تبلغ حوالي ١٠٤ سنت أمريكي ، وفي كندا ٥٤ سنت ، وفي فنزويلا ٢٧ سنت وفي الشرق الاقصى ٣٣ سنت للبرميل الواحد(٤).

واذا ما أخذنا مجموع تكاليف انتاج البرميل الواحد فانها لا تزيد عن ٦ سنت امريكي للبرميل في الخليج العربي بينما تصل تكلفة انتاج البرميل في الولايات المتحدة ١٩٠ سنت، وفي كندا ٧٤ سنت ، وفي فنزويلا ٤٠ سنت ، وفي الشرق الاقصى ٧٩ سنت للبرميل الواحد(٥). وهذا كله يبين مدى انخفاض تكاليف انتاج النفط العربي .

كما ان آبار النفط العربي تتميز بغزارة انتاجها ، فبينما لا يزيد معدل انتاج البئر الواحدة في الولايات المتحدة الامريكية مثلا عن ٢ برميل في اليوم فان متوسط انتاج البئر العربية يبلغ حوالي ٣١٨٦ برميلا ، وهو أضخم انتاج لأية بئر أخرى في اي مكان في العالم ولا يعادلها في هذا المضمار الا انتاج الآبار الايرانية(٦).

ويذهب الجزء الاكبر من صادرات النفط العربي الى بلدان أوربا الغربية واليابان . وتبلغ نسبة ما تستورده أوربا الغربية من العالم العربي حوالي ٧٠ ٪ من مجموع ما تستورده من البترول (وقد كان معدل استيرادها من البترول من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٩٦٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يبين مدى اعتماد هذه البلدان على النفط العربي . أما اليابان فلا تقل نسبة ما تستورده من النفط العربي عن ٩٠ ٪ من وارداتها النفطية (وقد كان معدل استيرادها من النفط من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٤٤٣ مليون برميل يوميا) . ومعنى ذلك ان حوالي ثلاثة ارباع صادرات النفط العربي تذهب الى بلدان اوربا الغربية واليابان ، وهي الحليفات الطبيعية للولايات المتحدة .

ومن الملاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية لا تستورد حاليا الا كمية قليلة من النفط العربي (حوالي ٣٢٤ الف برميل يوميا ، عام ١٩٧١ ، أي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع وارداتها النفطية وحوالي ٢ ٪ من مجموع استهلاكها النفطي) اذ ان لدى الولايات المتحدة انتاجها المحلي الذي يغطي في الوقت الحاضر الجزء الاكبر من احتياجات استهلاكها ثم تستورد بقية احتياجاتها من فنزويلا وكندا . وتبلغ نسبة النفط المستورد في الوقت الحاضر حوالي ٢٣ ٪ (حوالي ٣٦٥ مليون برميل يوميا) من مجموع استهلاكها البالغ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا حسب احصائيات عام ١٩٧١ . ولكن القوات العسكرية الامريكية فيما وراء البحار تعتمد اعتمادا كبيرا على النفط العربي لا سيما في منطقة الخليج العربي ، فهذه القوات تأخذ كميات متزايدة من المنتجات النفطية المكررة لاحتياجاتها في فيتنام من معامل الشركات الامريكية في منطقة الخليج مثل معمل تكرير راس تنوره بالمملكة العربية السعودية ومعمل شركة نفط البحرين . الا ان الاهمية الرئيسية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في ناحيتين : أولاهما الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية التي تسيطر على استثمار النفط العربي ، والناحية الثانية تتمثل في القيمة الاستراتيجية للنفط العربي والاعتماد عليه لتأمين جزء كبير متزايد من الاحتياجات النفطية للولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين

احتياجات حلفائها . وهذا يقودنا الى القاء نظرة على القيمة الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة لامريكا والغرب .

الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة والغرب

العنصر الاول من عناصر اهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية يتمثل في الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية من استغلال المصادر النفطية العربية . فمن المعروف ان المصالح الامريكية تسيطر على حوالي ٦٠ ٪ من انتاج النفط العربي وهي تجني من جراء عملياتها هذه أرباحا ضخمة تميل الشركات عادة الى التقليل منها ولكن المصادر الامريكية المحافظة نفسها تقدر هذه الارباح من عمليات انتاج النفط لوحدها بما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون دولار سنويا(٧). وينبغي أن يضاف الى هذه الارباح المتأتية من عمليات انتاج النفط العربي تلك الارباح التي تجنيها الشركات الامريكية من العمليات والنشاطات المكملة للانتاج والمرتبطة به مثل عمليات النقل البحري للنفط وتكريره وتوزيعه والعمليات البتروكيميائية . والارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تمثل ٥٠ ٪ من مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج وحوالي (خمس) الارباح التي تحققها المصالح الامريكية في الخارج من جميع نشاطاتها .

هذه الارباح الناتجة عن العمليات النفطية وكذلك الصادرات الامريكية للمعدات المتعلقة بصناعة النفط تساهم مساهمة هامة في ميزان المدفوعات الامريكي لا سيما في هذه الظروف التي يعاني فيها الدولار من أزمته المعروفة ومن مختلف الضغوط الواقعة عليه. وقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بأن مساهمة الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط في ميزان مدفوعات أمريكا تبلغ حوالي (٢٠٠٠) مليون دولار سنويا . وفي دراسة حديثة لبنك تشيز مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في الولايات المتحدة (مشار اليها في مجلة عالم النفط ، بتاريخ ٨ تموز — يوليو ١٩٧٢ ، التي اوردت الخطوط العريضة لنتائجها) ورد بأن « المستوردات الامريكية الحالية من النفط تكلف حوالي ٤ مليارات دولار في السنة ، ولكن هذا المبلغ المدفوع في الخارج يغطي او يزيد بالمداخيل المستوردة لشركات النفط الامريكية العاملة في الخارج وبالصادرات الامريكية من المعدات التكنولوجية المتعلقة بصناعة النفط » . وحيث أن الارباح التي تحققها الشركات الامريكية العاملة في الشرق الاوسط تعادل كما بينا حوالي نصف مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج . فمعنى ذلك ، حسب دراسة تشيز مانهاتن بنك، ان الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تساهم في ميزان المدفوعات الامريكي بحوالي ملياري دولار سنويا .

الا أن النفط العربي يمثل بالاضافة الى هذه الارباح ، وبقدر أكبر ، اهمية استراتيجية سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية أو بالنسبة لمجموع العالم الغربي الذي تحرص أمريكا على مصالحه الاستراتيجية باعتبارها تتولى مركز القيادة للعالم الرأسمالي . فأمريكا تحرص على ابقاء النفط العربي تحت سيطرة شركاتها في الدرجة الاولى (وسيطرة الشركات الاحتكارية الغربية الأخرى في الدرجة الثانية) لاغراض استراتيجية ومتعلقة بالامن القومي وحتى لا تقع تحت سيطرة شركات او مصالح اخرى غير أمريكية وغير غربية وذلك نظرا للاعتماد الكبير لبلدان اوروبا الغربية واليابان ، حليفات أمريكا ، على النفط العربي كما سبق ان بينا ونظرا لان الولايات المتحدة نفسها تتوقع أن تبدأ في استيراد كميات كبيرة من النفط من الخارج في مستقبل قريب ، وفي السنوات التي تلي منتصف السبعينات ، حيث يقل انتاجها بالنسبة لارتفاع معدل استهلاكها ولا يتم العثور على احتياطيات كبيرة تعوض الزيادة في الانتاج مما سيدعو الى زيادة الواردات من الخارج وهو ما سيحتم زيادة الواردات من النفط العربي . فالنفط العربي يعتبر اذن

ضمانة هامة لتأمين متطلبات الولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين احتياجات حلفائها .

والولايات المتحدة هي أكبر مستهلك للنفط في العالم اذ استهلكت في عام ١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا أمنت منها حوالي ١٢ مليون برميل يوميا من المصادر المحلية واستوردت من الخارج حوالي ٣ ملايين برميل يوميا . الا انه نظرا للتزايد المطرد في استهلاكها في الوقت الذي لا يحرز فيه احتياطها أية زيادة — بل ان هذا الاحتياطي حسب تقديرات معهد البترول الامريكي قد انخفض بنسبة ٤٫٣ ٪ عما كان عليه عام ١٩٦٤(٨) ولانه ليس من المتوقع أن تكتشف فيها أية احتياطات نفطية كبيرة في المستقبل فان الخبراء النفطيين الامريكيين يجزمون بأن الولايات المتحدة ستعتمد اعتمادا متزايدا في المستقبل على استيراد النفط من الخارج لتأمين الجزء الاكبر من احتياجاتها . ومما لا شك فيه ان جزءا كبيرا من هذه الواردات سيأتي من العالم العربي ، ومن هنا تبرز الاهمية الكبيرة بالنسبة لامريكا في أن تكون حقول النفط العربي الغزيرة تحت سيطرة شركاتها تستمد منها احتياجاتها في الوقت المناسب ، بشكل مضمون وبأرخص التكاليف .

وتجمع مختلف المصادر الامريكية سواء الرسمية منها أو مصادر الشركات النفطية على أن الولايات المتحدة الامريكية ستستورد من الخارج في عام ١٩٨٥ ، بل وفي راي البعض ابتداء من عام ١٩٨٠ ، نصف احتياجاتها من النفط الخام ، كما يجمعون على أن معظم هذه الكميات لا يمكن أن يأتي الا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا مما يدعم الاهمية الكبرى لنفط هاتين المنطقتين بالنسبة لمستقبل أمريكا :

فقد صرح جون ايروين مساعد وزير الخارجية الامريكية في نهاية شهر مايو ١٩٧٢ أمام المجلس الوزاري لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية O.E.C.D. بأن الولايات المتحدة ستستورد منذ عام ١٩٨٠ حوالي ١٢ مليون برميل يوميا ، أي ما يعادل نصف احتياجات استهلاكها في ذلك العام . وبالنسبة للمنطقة الاوروبية من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية،فان ايروين قد صرح بأنه مع مراعاة الحوالي ٣ ملايين برميل يوميا التي ينتظر أن تنتجها بحر الشمال ، فان واردات عام ١٩٨٠ ستبلغ حوالي ٢٠ مليون برميل يوميا أي حوالي ضعف وارداتها الحالية . والقسم الاكبر من هذه الواردات لا يمكن ان يأتي ، حسبما أضافه ايروين ، الا من مصدر واحد هو الشرق الاوسط .

وقد أدلى جيمس ايكنز ، مدير مكتب الوقود والطاقة بوزارة الخارجية الامريكية، بشهادة أمام جلسة عقدتها اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية التي تعني بالشرق الاوسط والتابعة لمجلس النواب قال فيها : ان من المحتمل أن تضطر الولايات المتحدة الى استيراد نصف النفط الذي تحتاج اليه من الشرق الاوسط وشمال افريقيا بحلول عام ١٩٨٠ . واخبر ايكنز اللجنة الفرعية بأن « الاهمية الرئيسية لمنطقة الشرق الاوسط بالنسبة الى الولايات المتحدة هي ان حلفاء أمريكا في حلف شمال الاطلسي واليابان يعتمدون كليا تقريبا وسوف يظلون كذلك على منطقة الشرق الاوسط من أجل طاقاتهم في المستقبل المنظور » . واضاف « اذا سيطرت على الشرق الاوسط وشمال افريقيا قوى معادية لامريكا فان أمن حلفائها ومن ثم أمنها هي سوف يتعرض للخطر »(٩) .

وصرح شارلز جونز ، نائب رئيس شركة همبل اويل في ٤ يناير ١٩٧١ (عالم النفط ٧١/١/٣٠) بأن واردات النفط الاجنبي الى الولايات المتحدة ، عام ١٩٨٥ قد تشكل ٥٠ ٪ من الاستهلاك مقابل حوالي ٢٠ ٪ في الوقت الحاضر . وستصل الواردات الاجنبية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٣ مليون برميل يوميا منها عشرة ملايين برميل يوميا من نصف الكرة الشرقي (أي بصفة رئيسية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا) .

وتذكر دراسة جديدة اعدها بنك تشيس مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في

الولايات المتحدة ، ونشرت في شهر يونيو ١٩٧٢ ، بأن الطلب على النفط عام ١٩٨٥ سيرتفع الى أكثر من ضعف حجمه الحالي الى أن يبلغ ٣٠،٢ مليون برميل يوميا نصفها يجب أن يأتي من الخارج ومن الشرق الاوسط وافريقيا على الغالب . ذلك ان امدادات نصف الكرة الغربي محدودة ويقدر البنك ان ٣،٦ مليون برميل يوميا منها فقط ستأتي من مصادر قريبة « وأكثر امنا » (أي بصفة رئيسية من فنزويلا وكندا) . وقد لوحظ بأن تقديرات البنك للطلب على النفط عام ١٩٨٥ قد زادت بحوالي ٤ ملايين برميل يوميا عن الكمية المتوقعة عادة حسب التقديرات الشائعة للطلب عام ١٩٨٥ وقدرها ٢٦،٣ مليون برميل يوميا ، وذلك نظرا للنقص المتوقع في الغاز والحاجة الى استعمال النفط كبديل عن جزء من العجز (عالم النفط ، ٨ يوليو ١٩٧٢) .

ومما لا شك فيه ان « أزمة الطاقة المقبلة في الولايات المتحدة » ، والقلق الذي يساور المسؤولين الامريكيين فيما يتعلق بايجاد مصادر مأمونة ومستمرة للنفط الخام وارتباط كل ذلك بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط — تعتبر في هذه الايام من ابرز القضايا التي تشغل المسؤولين الامريكيين والمهتمين بالشؤون النفطية ، وقد بلغ الاهتمام بأزمة الطاقة المقبلة حدا دعا الرئيس نيكسون الى تكوين لجنة من الخبراء تضم ٢٠٠ خبير من خبراء الاقتصاد والبترول والطاقة أسماها « لجنة مستقبل الطاقة في أمريكا » وعين جون مكلين ، مدير شركة كونتيننتال أويل ، رئيسا لهذه اللجنة . وقد ورد في مطلع اول تقرير تقدمه اللجنة « ان قضايا الطاقة في طريقها بسرعة لان تصبح — وسوف تبقى — العامل الذي سوف يقرر سياستنا الداخلية والخارجية في العقد القادم كله على الاقل ، وخلال السنوات الخمس عشرة القادمة بلا جدال » .

وفيما يتعلق باعتماد امريكا المحتم منذ بداية الثمانينات على الدول الاجنبية، وخصوصا في الشرق الاوسط ، لتأمين احتياجاتها النفطية يقول التقرير «ولن يكون هذا الاعتماد موزعا توزيعا جغرافيا ، ذلك ان معظمه سيجيء من دول الاوبك العربية التي تملك اليوم ٨٥ ٪ من احتياطي العالم من النفط و٩٠ ٪ من كل صادرات النفط في العالم » . ويضيف التقرير « ان هذا وضع لم نواجهه من قبل ، وهذا معناه اننا سنحتاج الى نظرة جديدة الى كل سياستنا في الشرق الاوسط ، واعطائها أولوية لم يسبق ان أعطيناها لها من قبل »(١٠).
ومن مظاهر الاهتمام بأزمة الطاقة هذه ، الشهادة التي ادلى بها جيمس ايكنز ، رئيس مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الامريكية ، أمام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي حول موضوع « مضاعفات السياسة الخارجية على أزمة الطاقة » . وحذر ايكنز في شهادته من اتجاه الامريكيين الى التقليل من أهمية تهديدات الدول العربية المنتجة بتحديد الانتاج والمصادرات لاسباب سياسية واقتصادية. وقال ان عدم أخذ هذه التهديدات جديا هو من الخطأ بمكان . كما رفض القول بأنه يغالي في اهمية تأثير الصراع العربي الاسرائيلي على الدول العربية المنتجة وقال « ان العكس هو الصحيح وان الامريكيين يقللون من الهاجس الذي يتملك العرب تجاه المشكلة الاسرائيلية »(١١).

ومما يعكس الاهتمام المتواصل بأزمة الطاقة في الولايات المتحدة ويكشف عن الطابع السياسي لعمليات الشركات النفطية الامريكية — التحذير الذي نشرته مؤخرا (في شهر نوفمبر ١٩٧٢) ٤٢ مجلة وصحيفة أمريكية على شكل اعلان يقع في صفحة كاملة لجون ماكلين ، رئيس ادارة شركة كونتننتال أويل ، حذر فيه الامريكيين من أنهم سوف يعتمدون بشكل حيوي على استتباب السلام في الشرق الاوسط من آجل استمرار حصولهم على امدادات البترول . ويركز هذا الاعلان على العجز المرتقب في الطاقة الذي ستشهده الولايات المتحدة الامريكية . ويؤكد التحذير بأن الولايات المتحدة سوف تستورد في عام ١٩٨٥ ما يتراوح بين ٤٠ ٪ و٥٥ ٪ من احتياجاتها من النفط من الخارج ومعظمه من

الشرق الاوسط . وقال روديك لورنس نائب رئيس شركة كونتننتال أويل ومدير غرفة التجارة العربية ـــ الامريكية في نيويورك ان هذا الوضع يشكل تحديا ونعتقد نحـــن المسؤولين في الشركة أن الشعب الامريكي ينبغي أن يحاط علمـــا به الان ... وأشار ماكلين الى أن الاعتماد على عدد ضئيل من الدول الخارجية البعيدة في الحصول على جزء حيوي من امداداتنا من الطاقة سوف يشكل حقيقة مرة من حقائق الحياة وسوف نحتاج الى ابداء نظرة جديدة لسياستنا الخارجية بالنسبة للشرق الاوسط وان يعلق عليها قدرا اكبر من الاولوية عما سبق . واضاف اننا سوف نعتمد اعتمادا حيويا على السلام في هذه المنطقة المضطربة من أجل استمرار امدادات النفط ، وسيكون أصدقاؤنا في غرب اوروبا واليابان في وضع مماثل .

وينطلق من مثل هذه النظرة التصريح الذي أدلى به لي. ف. دينسمور ، القنصل السابق لامريكا في الظهران ، أمام لجنة الشؤون الخارجية المختصة بشؤون الشرق الادنى في الكونغرس حيث قال : « اذا كانت أمريكا ستواجه في السنوات القليلة القادمة أزمة نفطية فان ذلك سيكون بسبب فشلها في التعامـــل المنصف مع المشكلـــة العربية ـــ الاسرائيلية » . ويعلق فرانك جاردنر ، محرر الشؤون الخارجية في مجلة أويل اند غاز جورنال ـــ عدد ٢٨ اغسطس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ ـــ على هذا التصريح بقوله : « انه يجب على الولايات المتحدة ان تعالج مواقفها وسياستها مستقبلا بوضع عين على المشكلة العربية الاسرائيلية ووضع العين الاخرى على أزمة الطاقة المحتملة » .

ومن مظاهر الاهتمام الامريكي بأزمة الطاقة المستقبلة وعلاقة الشرق الاوسط بها انه بعد الرسميين الامريكيين ، وعلى رأسهم نيكسون ، فان البرلمانيين بدأوا يهتمون بالمشكلة وكشاهد على ذلك الجولة التي قام بها في الخليج العربي السناتور جاكسون الذي يبشر بالتقارب بين ايران والسعودية **لتأمين السلام في هذه المنطقة وتأمين التدفق العادي للنفط الموجه نحو أمريكا .**

وأزمة الطاقة المقبلة في أمريكا لا تتعلق فقط بامدادات النفط الخام ولكنها تشمل كذلك امدادات الغاز الطبيعي . والغاز الطبيعي يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في امريكا اذ انه يغطي حوالي ثلث امدادات الطاقة أو ما مقداره ٢٢ تريليون قدم مكعب في السنة (بينما يساهم النفط الخام بنسبة ٤٤ ٪ من مجموع استهلاكات الطاقة) . وقد أظهر الغاز الطبيعي انه يتمتع الى حد بعيد بأعظم معدل نمو بين جميع انواع الطاقة في الولايات المتحدة وقد زاد الطلب في مدى السنوات العشرين الاخيرة بمعدل يزيد على ٦ ٪ في السنة ، أي بنسبة الضعف تقريبا من مجمل النمو في استهلاك الطاقة . وأمام هذا النمو المطرد في الطلب على الغاز فان الخبراء الامريكيين يؤكدون ان الولايات المتحدة ستحتاج في مستقبل قريب الى استيراد جزء كبير من احتياجاتها للغاز من الخارج . ويبين تقرير وضعته لجنة الطاقة الاتحادية انه بحلول عام ١٩٧٥ فانه لن يكون من الممكن محليا توفير سوى ٨٦ ٪ فقط من مجموع الاحتياجات للغاز التي ستصل حينذاك الى ٢٨،٥ تريليون قدم مكعب ، ولا بد ان يستورد الباقي من مصادر خارجية(١٢). ويقدر مكتب الغاز الطبيعي التابع للجنة الطاقة الاتحادية في تقرير نشر في بداية شهر مارس ١٩٧٢ (نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي ، ٦ مارس ١٩٧٢) بأن النقص المقدر في احتياجات أمريكا للغاز الطبيعي عام ١٩٨٠ سيبلغ حوالي (٩) تريليون قدم مكعبة عندما يصل مجموع الطلب الى ٣٤،٥ تريليون قدم مكعبة . اما في عام ١٩٩٠ فيقدر المكتب المذكور بأن ٤٠ ٪ من احتياجات الغاز الطبيعي سيتم تأمينها من الواردات الخارجية لان النقص حينذاك في امدادات الغاز الطبيعي سيبلغ حوالي ١٧ تريليون حيث يصل الطلب الى ٤٦،٤ تريليون قدم مكعبة .

فالولايات المتحدة ستضطر اذن ابتداء من عام ١٩٧٥ الى استيراد كميات كبيرة مـــن

الغاز الطبيعي ، وهذا ما جعل بعض الشركات النفطية الامريكية تذهب الى حد ابرام صفقة مع الاتحاد السوفياتي للمساهمة في استثمار حقول الغاز في الاتحاد السوفياتي لاستيراد كميات منه لسد احتياجات الولايات المتحدة . ولكن من الواضح ان الغاز السوفياتي لن يكون الا جزءا محدودا من واردات الغاز من الخارج ، سواء من حيث كمياته المحدودة أو تكلفة انتاجه العالية أو من حيث الاعتبارات الاستراتيجية التي تمنع الولايات المتحدة من الاعتماد الكلي على وارداتها من الغاز من الاتحاد السوفياتي ، ولذا فان العالم العربي الذي يحتوي على احتياطيات ضخمة من الغاز الطبيعي ، تعادل حوالي نصف الاحتياطي العالمي منه كما سبق أن بينا ، سيكون المصدر الرئيسي لواردات الغاز المقبلة الى الولايات المتحدة . وكل ذلك يدعم أهمية العالم العربي كمصدر لامدادات الطاقة المقبلة للولايات المتحدة .

كل ما تقدم يبين القيمة الكبيرة التي يمثلها النفط والغاز العربي بالنسبة للولايات المتحدة من أجل تأمين احتياجاتها من الطاقة التي لا يحتاج المرء الى بيان أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وارتباطها الوثيق باعتبارات الامن القومي الامريكي . وهذه الاهمية تبرز بشكل أكبر اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الابعاد العالمية للامن القومي الامريكي ، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، فان الولايات المتحدة تعتبر نفسها في مركز قيادي بالنسبة لمجموع العالم الغربي ، وبما ان النفط العربي يشكل المصدر الاساسي لتأمين امدادات الطاقة لمختلف بلدان العالم الغربي ، ولا سيما بلدان أوروبا الغربية واليابان ، فان مقتضيات الامن الامريكي حسب هذه النظرة تفرض على الولايات المتحدة العمل على توفير تدفق النفط العربي لتلك البلدان الحليفة بالاضافة الى ضمان تدفقه على الولايات المتحدة نفسها . **فالنفط العربي لا يمثل اذن بالنسبة للولايات المتحدة وحليفاتها مجرد مادة تجارية عادية وانما ترتبط به اعتبارات استراتيجية وسياسية هامة لمجموع العالم الغربي .**

هذه النظرة تتجلى في كثير من تصريحات المسؤولين الامريكيين . وقد رأينا نموذجا لها في تصريحات جيمس ايكنز وجون ايروين المشار اليهما أعلاه . وقد عبر عن مثل هذه النظرة وبمزيد من الصراحة بعض المسؤولين الامريكيين الآخرين الذين كشفوا عن الاهمية السياسية والاستراتيجية الكبرى التي تمثلها الشركات النفطية ونشاطاتها في الخارج ، والانطباق التام بين مصالح الشركات والمصلحة العليا أو الوطنية لامريكا .

ومن أمثلة ذلك تصريح أدلى به المستر ربوتوم ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية الامريكي للعلاقات بين الدول الامريكية ، حيث ذكر ((**بأن أية سياسة (ينتهجها بلد منتج) مخالفة لمصالح شركة بترولية أمريكية هي اوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة ، اي مخالفة للمصلحة الوطنية**))(١٣) .

وقد علق جون بكلي ، أحد محرري نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي النفطية الامريكية ، في جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٩٦٧/١٢/١٣ ــ على خطوة شركة ايران الفرنسية بابرام اتفاقية بترولية مع العراق بشأن التنقيب عن النفط واستغلاله في بعض المناطق التي انتزعتها الحكومة العراقية من الشركات العاملة هناك بموجب القرار المشهور رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ وما يعنيه ذلك من دعم للاجراء العراقي وتشجيعه كسابقة لانتزاع المصالح البترولية الغربية في المنطقة ــ علق على هذه الخطوة بقوله : ((**ان الولايات المتحدة هي الآن في خطر فقدان سيطرتها على النفط العربي وهي السيطرة التي وضعت الامة الامريكية في مركز دولي قوي جدا**)) .

وقد عبر عن مثل ذلك وبدقة أحد الباحثين اذ قال ((ان المصالح النفطية الامريكية في العالم

العربي تشكل اضافة هائلة الى وزن الولايات المتحدة الاستراتيجـــي في ميزان القوى العالمية وتأكيدا لمركزها القيادي في العالم الرأسمالي »(١٤).

هذه بعض الحقائق حول أهمية النفط العربي في صناعة النفط العالمية وحول الاهمية الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية التي يمثلها بالنسبة لامريكا وحليفاتها في العالم الغربي .

الا أن هنالك مسألة اخرى لا بد من ايضاحها حتى نستكمل الصورة التي نرسمها لوضع النفط العربي ، ونعني بذلك اسلوب وكيفية استثمار النفط العربي في الوقت الحاضر ومن يتولى هذا الاستغلال ، وذلك نظرا لتأثير هذه المسألة على طريقة استخدام سلاح النفط ومدى الحرية في هذا الاستخدام ومقدار فعاليته .

أسلوب استثمار النفط العربي وسيطرة الشركات الاجنبية عليه

هذه الثروة النفطية العربية ، التي أوردنا لمحة عن حجمها وقيمتها ومدى أهميتها ، كيف يجري استثمارها وهل يتم بواسطة أصحابها العرب وتحت سيطرتهم ورقابتهم الحقيقية؟ هل للبلدان العربية المنتجة ، طبقا لترتيبات الاستثمار الحالية ، امكانية توجيه استثمار هذه الثروات حسب مقتضيات المصلحة الوطنية ؟

ان من المعروف أن شركات البترول العالمية الكبرى ، ومعظمها امريكي ، هي التي تسيطر على استثمار النفط في البلاد العربية المنتجة بموجب امتيازات حصلت عليها حينما كانت هذه البلدان المنتجة ضعيفة وواقعة تحت السيطرة أو النفـوذ الاستعماري . وهذه الامتيازات تعطي للشركات البترولية الاجنبية سلطات شبه مطلقة على استثمار النفط العربي ، فهي التي تتولى تحديد مقادير المبالغ المستثمرة وتوزيعها على مختلف فروع الصناعة ، وهي التي تتولى تحديد مقدار الانتاج النفطي وتحديد اسعاره (ولم يتقرر مبدأ تحديد الاسعار المعلنة للنفط بالاتفاق المشترك بين البلد المنتج والشركات العاملة الا بموجب اتفاقية طهران في شهر مارس ١٩٧١) ، وهي التي تقوم بتصديره بواسطـة شركات متفرعة عنها الى مختلف مصادر الاستهلاك حسب خطط عالمية تضعها ، وهي التي تتولى عمليات نقله بواسطة ناقلات تملكها اما بنفسها أو بواسطة شركات متفرعة عنها أو بناقلات تستأجرها لآماد طويلة .

والشركات صاحبة الامتيازات هي شركات مؤسسة في دول أجنبية وبموجب قوانين تلك الدول وتحمل جنسيتها ولا تتخذ مقرها الرسمي في الدول العربية، وهي ليست الا ادوات لانتاج النفط الخام لصالح الشركات الام المالكة لها وتصديره للخارج فهي لا تعتبر نفسها ملزمة بأن تكرر أو تصنع في البلاد المنتجة أي جزء من انتاجها من النفط الخام والغاز او تقيم الصناعات البتروكيماوية وغيرها من الصناعات المرتبطة بالنفط والغاز . وهي لا تعيد ترحيل معظم حاصلات بيع النفط من العملات الاجنبية الى البلدان المنتجة بل تحتفظ بها وتستثمرها في الخارج ، ولا تعيد استثمار اي جزء من ارباحها في البلدان المنتجة . كما انها تعتمد على اسواق خارجية للتزود باحتياجاتها من المعدات والآلات والتجهيزات. وتبعا لكل ذلك فقد حصلت في البلدان المنتجة ظاهرة الانعزال التام بين صناعة النفط التي تسيطر عليها الشركات الاجنبية وبين باقي قطاعات الاقتصاد الوطني وحرم هذا الاقتصاد من الفوائد الضخمة التي كان لا بد أن يجنيها لو نشأت في ارضه صناعة نفطية متكاملة تكون مرتبطة بالاقتصاد الوطني ومندمجة فيه ويجري استثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية الاقتصادية الوطنية .

وشركات الامتياز لا تخضع لقوانين البلاد المنتجة ولا سيما الضرائبية منها ، وكانت تدفع في البداية مجرد مبلغ مقطوع عن كل طن من النفط لا يتجاوز ما يعادل ٢٢ سنت امريكي عن كل برميل ثم وافقت على تطبيق قاعدة مناصفة الارباح في بداية الخمسينات وبقيت

هذه القاعدة سارية حتى تم رفع حصة البلد المنتج الى ٥٥ ٪ من الارباح الصافية ، حسب اتفاقية طهران ١٩٧١ . والشركات لا تخضع للمحاكم الوطنية بل تتمسك بالتحكيم الدولي أسلوبا لفض منازعاتها مع البلد المنتج . وحكومات البلدان المنتجة ليست لهـا مشاركة في رأسمال الشركات ولا مشاركة فعلية في مجالس ادارتها وليست لها سلطة حقيقية في الرقابة الفنية على المشروع وتوجيهه كما ان المواطنين لا يشغلون الا في النادر المناصب الادارية والفنية الهامة فيها . وتكتفي حكومـات البلدان المنتجة بدور جابي الضرائب في نهاية العام ، وقد أصبح النفط يشكل الجزء الاعظم من صادرات هذه البلدان واصبحت تعتمد اعتمادا شبه كلي على دخل النفط الذي تقدمه لها الشركات الاجنبية . فنشأ بذلك في هذه البلدان نوع من التبعية الاقتصادية للاحتكارات النفطية وللدول التي تنتمي اليها .

وبالطبع فليس مما يذكر ان هذه الامتيازات النفطية قـد أصابها بعض التطور خلال السنوات الطويلة التي سيطرت فيها على استغلال النفط العربي . الا أنه بالاضافة الى التعديلات في البنود المالية التي أدت الى رفع دخل البلد المنتج من مبلغ ضئيل مقطوع عن كل طن من النفط حسب الامتيازات الاصلية الى ٥٥ ٪ من الارباح حسب اتفاقية طهران لعام ١٩٧١ ، مع تطبيق قاعدة تنفيق الريع(١٥)، فان التعديلات الاخرى لا تتعدى تضييق المساحات المشمولة بالامتياز والتخلي عن أجزاء من هذه المساحات الشاسعة والاتفاق بموجب اتفاقية طهران ، على أن لا تعدل الاسعار المعلنة الا باتفاق الطرفين ، حكومة البلد المنتج والشركة ، بعد أن كانت هذه الاسعار تحدد وتعدل بمعرفة الشركات وحدها . ويتضح من ذلك أن التطور الذي أصاب هذه الامتيازات لم يكن تطورا جذريا ولم يمس جوهر الامتيازات نفسه وان صورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئهـا المعروفة والتي أشرنا اليها أعلاه ما زالت باقية على حالها . وفي اعتقادنا ان اتفاقية المشاركة التي ابرمت في المدة الاخيرة (من حيث المبدأ في شهر اكتوبر ١٩٧٢) بين الشركات النفطية وبعض بلدان الخليج والتي تتيح لهذه البلدان اكتساب حصة في رأسمال هـذه الشركات تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ (ثم ترتفع بالتدريج حتى تصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣) ــ هذه الاتفاقية لا تمثل في الوقت الحاضر تغييرا جذريا كافيا لصورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة نظرا لان نسبة المشاركة الضئيلة التي ستحصل عليها الحكومات لا سيما في البداية لن تحقق لنا السيطرة الحقيقية والرقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وتبقى الشركات هي المسيطرة الحقيقية على هذا الاستثمار كما في ظل الامتيازات الاصلية . وسنعود لهذه المسألة فيما بعد .

ومما لا شك فيه ان الوضع الحالي لاستثمار النفط العربي يتميز بوجود بعض العقود والاتفاقيات النفطية التي أبرمت في السنوات الاخيرة ، مثل بعض اتفاقيات المشاركة وعقود المقاولة ، والتي تتجلى فيها كثير من الجوانب الايجابية وتمثل تقدما كبيرا بالنسبة لاتفاقيات الامتياز الكلاسيكية لا سيما من حيث تحقيق قدر من سيادة الدولة وسيطرتها على استثمار ثرواتها النفطية ، كما ان هنالك بعض حالات الاستثمار المباشر في عدد من بلداننا . ولكن علينا أن لا ننسى ان هذه العقود الاخيرة الجيدة نسبيا ومجالات الاستثمار المباشر لا تغطي في الوقت الحاضر سوى جزء هامشي صغير من مجموع النفط العربي . فامتيازات الشركات الاحتكارية الكبرى ما تزال تسيطر على حوالي ٩٠ ٪ من انتاج النفط العربي بينما لا تشمل العقود والاتفاقيات الاخيرة ومجالات الاستثمار المباشر الا حوالي ١٠ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي ، حسب احصائيات عام ١٩٧١ .

والشركات الامريكية تملك ٦٢ ٪ من الامتيازات النفطية في الوطن العربي سواء في منطقة الخليج العربي او في شمال افريقيا بمعنى انها تسيطر على ٦٢ ٪ من الاحتياطي النفطي العربي حسب تقديره في نهاية عام ١٩٧١ (ولسنا نعني بذلك انهـا تملك قانونا هذه

الاحتياطيات الكائنة في باطن الارض اذ هي قانونا ملك للدولة ولكننا نعني سيطرتها الفعلية عليها حاليا بموجب امتيازاتها بحيث تستطيع ان تستخرج منها الانتاج اللازم لها حسب تقديرها واحتياجاتها وخططها) . وكانت حصة الشركات الامريكية في الانتاج الفعلي للنفط العربي عام ١٩٧١ حوالي ٥٨ ٪ . بينما تسيطر المصالح البريطانية على حوالي ٢،٥ ٪ من احتياطي النفط العربي (وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ١٦،٤ ٪) . وتسيطر المصالح الفرنسية على حوالي ٣،٥ ٪ من احتياطي النفط العربي، حسب تقديرات نهاية عام ١٩٧١ ، وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ٨،٥ ٪ (ومن الملاحظ ان حصة الشركات الفرنسية قد انخفضت على اثر تأميمات الجزائر في شهر فبراير ١٩٧١) . كما تسيطر المصالح اليابانية على حوالي ٥،٤ ٪ من احتياطي النفط العربي وعلى حوالي ٣،٢٪ من انتاج النفط العربي حسب احصائيات عام ١٩٧١. وتسيطر المصالح الهولندية (عن طريق ملكيتها لستين في المائة من رأسمال شركة شل) على ٩،٢ ٪ من احتياطي النفط العربي وكانت حصتها من انتاج النفط العربي لعام ١٩٧١ حوالي ٣،٣ ٪ .

وطبقا لهذه التقديرات فان المصالح الاجنبية تسيطر على ٨،٨٩ ٪ من احتياطي النفط العربي حسب تقديرات عام ١٩٧١ ، وكانت تنتج، عام ١٩٧١ ٨،٨٥ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي .

هذه اللمحة عن وضع استثمار النفط العربي والمصالح الاجنبية التي تسيطر على استغلاله وتتخذ القرارات الرئيسية بشأنه وتجني من ورائه الارباح الطائلة — تكمل الصورة التي لا بد أن تكون حاضرة في الذهن عن وضع النفط العربي قبل ان نتكلم عن استخدامه كسلاح في معاركنا ضد الصهيونية والامبريالية .

كيف يمكن استخدام سلاح النفط

لا بد من الاشارة أولا الى أن بعض الاجراءات أو التدابير قد سبق اللجوء اليها في الماضي، ولا سيما في بعض الازمات والاحداث الكبرى التي تعرضت لها منطقتنا ، وذلك كمحاولة لاستخدام النفط كسلاح في مواجهاتنا مع الصهيونية والامبريالية . ولكن من المعروف ان هذه الاجراءات السابقة لم تؤد أيا من الاهداف المطلوبة منها فهي لم تحمل الاعداء على تغيير مواقفهم وهي لم تلحق بهم الاضرار الفادحة التي كان من المأمول أن تحدثها كما أنها لم تكن لنا عامل قوة ومنعة في معاركنا المتواصلة . ويبدو لنا من المناسب ان نستعرض هذه الاجراءات ، مبينين سبب عدم فاعليتها وسبب اخفاقها في احداث أي من الآثار المطلوبة أو اقتصارها على احداث آثار محدودة جدا ، والثغرات التي لازمتها ، وذلك حتى نستخلص العبرة والدروس بالنسبة لما يجب ان نقدم عليه في المستقبل ، تمهيدا للحديث عن الاسلوب الذي يبدو لنا انه الاسلوب الفعال الحاسم لاستخدام النفط سلاحا في معاركنا .

والخاصية المشتركة للاجراءات التي سبق ان اتخذت في هذا المجال هي انها كانت اما اجراءات موقتة أي طبقت خلال فترة زمنية محدودة ثم سحبت أو تم التراجع عنها ، واما انها كانت ذات آثار جزئية محدودة الفاعلية لا تتناسب مع اهمية سلاح النفط ولا مع جسامة وخطورة المعارك المصيرية التي نواجهها ، مما حدث عنه رد فعل عكسي خطير لدى الراي العام العربي تجلى في هذا الشك الكبير حول امكانية استخدام النفط كسلاح بأي شكل من الاشكال وحول جدوى هذا السلاح ، وهو الذي غذته المصالح الاستعمارية الامبريالية كجزء من الحملة النفسية المركزة الموجهة للعالم العربي لتشكيكه في طاقاته وامكانياته وقتل روح الكفاح فيه .

اجراءات جزئية أو مؤقتة

ويندرج ضمن هذه الاجراءات الجزئية أو المؤقتة : قطع النفط العربي عن اسرائيل ومنعه عنها منذ نشأتها واجبار الشركات البترولية العاملة في العالـــم العربي على مقاطعة اسرائيل وعدم انشاء أية رابطة معها ، تعطيل الضخ في شبكة أنابيب خطوط شركة نفط العراق المارة عبر سوريا وذلك على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ايقاف عمليات تصدير النفط العربي من الموانىء العربية على اثر عدوان ١٩٦٧ ثم استبداله بفرض حظر على تصدير النفط العربي خلال بضعة أسابيع الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . ومن بين الاجراءات الجزئية غير المباشرة التي يمكن الاشارة اليها بهـــذا الصدد الدعم المالي الذي تقرر بموجب مؤتمر الخرطوم عـــام ١٩٦٧ أن تقدمه كل من الكويت والسعودية وليبيا الى كل من مصر والاردن . وسنستعرض فيما يلي أهم هذه الاجراءات ، وهو اجراء منع النفط عن الدول الغربية المعادية ، ثم نشير الى عدد من الاجراءات الجزئية الاخرى، وذلك بعد أن نقول كلمة حول منع النفط العربي عن اسرائيل وحلول النفط الايراني مكانه .

منع النفط العربي عن اسرائيل

من المعروف انه على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ بادرت العراق بوقف ضخ النفط في خط أنابيب شركة نفط العراق الذي كان ينقل النفط من العراق الى حيفـــا في فلسطين المحتلة ، كما ان كافة الدول العربية المنتجة للنفط قد منعت النفط العربي من الوصول الى اسرائيل وفرضت على الشركات البترولية العاملة فيها عدم ايصال أية قطرة من النفط العربي الى اسرائيل وعدم التعامل معها بأي شكل من الاشكال . وقد طبق هذا المنع منذ ذلك الحين تطبيقا صارما . ولكن من الواضح ان هذا الاجراء هو أقل اجراء ممكن اللجوء اليه في هذا المجال . وهو يندرج على كل حال ضمن اطار مبدأ مقاطعة اسرائيل .

وكنتيجة لانقطاع النفط العراقي عن الوصول الى اسرائيل من خط أنابيب شركة نفط العراق وحظر تصدير النفط العربي اليها حظرا كاملا فان اسرائيل قد واجهت في بداية نشأتها صعوبة كبيرة في تأمين احتياجاتها من النفط الخام وتحملت عبئا كبيرا باضطرارها الى استيراد هذه الكميات من نصف الكرة الغربي بما في ذلك من تكاليف باهظة عليهـــا نظرا لان النفط العربي منع من الوصول اليها ولم تكن حينذاك تستطيع استيراد النفط الايراني اذ أن السلطات المصرية كانت تمنع الناقلات المتوجهة الى اسرائيل من المرور في قناة السويس كما لم تكن اسرائيل تستطيع ايصال هذه الشحنات الى ايلات ولم يكن خط أنابيب النفط الواصل بين ايلات وحيفا قد تم انشاؤه بعد . ولذا فقد وجدت اسرائيل نفسها مضطرة لاستيراد نفطها من فنزويلا ومنطقة البحر الكاريبي . وقد كانت أسعار النفط هناك أعلى منها في الشرق الاوسط بشكل ملموس كما ان أجور النقل باهظة . وقد استوردت اسرائيل جزءا من احتياجاتها النفطية خلال فترة قصيرة سبقت عام ١٩٥٧ من الاتحاد السوفياتي ورومانيا الا أن هذين البلدين قطعا نفطهما عـــن اسرائيل استنكارا منهما لاشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر . ولذا فان اسرائيل وجدت نفسها مضطرة للعودة الى استيراد كافة احتياجاتها من ذلك المصدر البعيد الباهظ التكاليف ـــ فنزويلا .

وهنا دخلت ايران في الصورة وجاءت لتخفف عن اسرائيل من عبء استيراد نفطها من فنزويلا وتهيىء لها مصدرا قريبا رخيصا وبتكاليف شحـــن بسيطة ـــ هذا المصدر هو البترول الايراني . فقد وافقت ايران منذ عام ١٩٥٧ على أن تصدر النفط لاسرائيل وقامت اسرائيل على أثر ذلك (في عام ١٩٥٧) بانشاء خط الانابيب الواصل بين ايلات وبئر السبع ثم بعد ذلك الى اسدود وحيفا وقامتباستيراد النفط الخام الىايلات من أندونيسيا أولا ثم بكميات كبيرة من ايران التي أصبحت ، منذ منتصف عام ١٩٦٠ عندما انتهى انشاء

خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا ، المصدر الرئيسي للنفط القادم الى اسرائيل سواء لاستهلاكها المحلي أو لاعادة التصدير كنفط خام أو كمنتجات مكررة مع تحقيق ارباح اضافية من وراء ذلك . والحقيقة ان اسرائيل قررت بناء خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا اعتمادا منها على النفط الايراني الذي ينقل في خط الانابيب الى حيفا فتعيد اسرائيل تصدير جزء منه على شكل نفط خام محققة بذلك الارباح نتيجة فروق الاسعار بين النفط واصلا ايلات وبين سعره المرتفع على شاطىء البحر الابيض المتوسط . واما الجزء الاخر من هذا النفط فانه يذهب لمصفاة حيفا لتكريره ويخصص الجزء الاكبر من المنتجات المكررة للاستهلاك المحلي الا أن جزءا من المنتجات يتم تصديره كذلك مع تحقيق أرباح من وراء ذلك . ولا تزال ايران منذ عام ١٩٦٠ الى الان هي المصدر شبه الوحيد للنفط الوارد الى اسرائيل(١٦).

ضرورة العمل على منع النفط الايراني عن اسرائيل

لقد حققت اسرائيل فوائد كبيرة من استيراد النفط الايراني بدلا من استيراده من المصادر البديلة البعيدة مثل فنزويلا التي كانت اسرائيل تستورد منها احتياجاتها قبل سماح ايران بوصول نفطها الى اسرائيل . ومن أهم الفوائد التي حققتها اسرائيل من استيراد النفط الايراني تحقيقوفر مالي كبير نتيجة الفرق فيالاسعار بين النفط الايراني والنفط الفنزويلي والفرق الكبير في أجور الشحن نظرا لان ايران أقرب بكثير الى اسرائيل من فنزويلا وقد قدر هذا الوفر عام ١٩٦٧ وحده بحوالي ٢٢ مليون دولار(١٧). وضمان استيراد النفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء خط انابيب ايلات ـ حيفا وتشغيله مع ما يعود على الاقتصاد الاسرائيلي من آثار كبيرة ومع ما استتبعه هذا الخط من تعمير ميناء ايلات وتوسيعه والمساهمة في تعمير المناطق التي يمر بها الخط . كما ان النفط الايراني الذي تثق اسرائيل في ضمان استمرار وروده اليها هو الذي شجعها وحفزها على انشاء خط الانابيب الذي يصل بين ايلات وعسقلان والموجه للتصدير ، وقد حققت اسرائيل من ورائه مكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ولولا السماح للنفط الايراني بالورود الى اسرائيل لما أمكن لها اطلاقا ان تفكر في انشاء مثل هذا الخط اذ بدون البترول الايراني ـ طالما ان قطرة واحدة من النفط العربي لن يصل الى ايلات ـ فان التفكير في انجاز مثل هذا المشروع كان أمرا مستحيلا . والنفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء طاقة تكريرية كبيرة تتزايد باستمرار وتتجه في جزء منها نحو التصدير ، وهو الذي مكنها من انشاء اسطول كبير من ناقلات النفط يعمل جزء منها في نقل النفط الايراني الى ايلات وفي نقل كميات النفط والمنتجات المكررة المصدرة للخارج .

هذه الفوائد الضخمة التي حققتها اسرائيل وما تزال تحققها من وراء استيراد النفط الايراني تبين خطورة الموضوع وتدعو العالم العربي لان يوليه ما يستحقه من اهتمام وان يبذل كافة الجهود ويمارس مختلف أنواع الضغوط ووسائل الترغيب والترهيب لكي يحمل ايران على ايقاف صادرات بترولها الى اسرائيل .

وينبغي كذلك أن نتوجه للشعب الايراني لنطلعه على الحقائق . فنحن نعتقد ان الشعب الايراني لو علم بحقيقة الوضع وابعاده وكون شركته الوطنية نفسها تقدم النفط للعدو الاسرائيلي وتتقدم له معه كافة هذه المنافع الضخمة فانه لن يسكت على استمرار تدفق بتروله الى اسرائيل ولو اننا تمكنا من ايقاف صادرات النفط الايراني الى اسرائيل فان اسرائيل تتلقى بذلك ضربة قوية تسبب لها اضرارا فادحة وتلحق الاذى بمختلف جوانب اقتصادها وتشل خطوط أنابيبها وتثير الارتباك في كثير من مخططاتها ومشاريعها .

قطع النفط أو حجبه عن الدول المعادية لنا المساندة لاسرائيل

من اهم الاجراءات التي دعا مرارا الى اتخاذها بعض المسؤولين والخبراء العرب من

اجل استخدام النفط كسلاح في المعركة ضد أعدائنا ـــ قطع النفط العربي أو حجبه عن الدول المعادية لنا والحليفة لاسرائيل . ولا يزال بعض الخبراء يرى ان هذا الاجراء هو اكثر الاجراءات فاعلية وابلغها أثرا(١٨). فما هو الهدف أو الغرض الحقيقي من هذا الاجراء والنتائج المتوخى تحقيقها من تطبيقه في نظر انصاره والمنادين به ؟

ان الهدف هو الحاق الضرر البالغ بالدول المعادية وذلك بحرمانها من نفطنا الذي تستورده والذي هو ضروري جدا لصناعاتها ولمختلف جوانب نشاطها الاقتصادي ، وخلق مجاعة بترولية فيها تكون ذات نتائج خطيرة على اقتصادها أو على الاقل الحاق ضرر مادي كبير بها ، مما قد يحملها على تغيير مواقفها المعادية لنا واتخاذ مواقف أكثر اعتدالا وانصافا(١٩) .

ومن المعروف ان هذا الاجراء قد لجأت اليه البلدان العربية المنتجة في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد قامت بعض البلدان المنتجة (العراق وليبيا) بتعطيل ضخ النفط ومنع تصديره كلية من موانئها خلال فترة قصيرة تلت العدوان ثم عدلت عن ذلك وانضمت الى باقي البلدان العربية المنتجة في فرض الحظر على تصدير النفط الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . وقد دام هذا الحظر بضعة أسابيع ثم عاد بترولنا يتدفق الى جميع الاسواق دون استثناء .

فماذا كانت نتيجة هذا الاجراء ؟ وهل أدى الاثر المطلوب منه كعامل ضغط على الدول المعادية لالحاق الضرر بها أو اضعاف مقدرتها على العدوان أو حملها على تغيير مواقفها منا ؟ واذا لم يكن قد أدى هذا الاثر المطلوب وكانت نتائجه محدودة فما سبب ذلك ، وهل يمكن تلافي الثغرات ونقاط الضغط فيه وجعله أكثر فعالية ؟ وهل من المستحسن أو من المفيد العودة الى اللجوء اليه في الحال او فيما لو استؤنف القتال بيننا وبين اسرائيل ؟

مما لا شك فيه ان اجراء قطع النفط العربي عن الدول المعادية عام ١٩٦٧ قد الحق ضررا ماديا لا يستهان به بكل من الولايات المتحدة وبريطانيا . فالولايات المتحدة ، كما سبق أن بينا ، لا تعتمد على النفط العربي ، حتى الآن ، لسد احتياجات استهلاكها المحلي ، الا ضمن حدود ضعيفة جدا . ولكن القوات الامريكية فيما وراء البحار ، لا سيما في فيتنام وبالنسبة لاحتياجات الاسطولين السادس والسابع ، تعتمد اعتمادا كبيرا على مصادر النفط العربي في منطقة الخليج العربي حيث تأخذ النفط اما على شكل نفط خام تكرره خارج المنطقة أو على شكل مواد بترولية مكررة ، وهي تحصل على هذه المواد البترولية بأسعار مخفضة ، ولذا فان قطع امدادات النفط العربي عن هذه القوات قد الحق بها ضررا ماديا كبيرا من جراء اضطرارها لتأمين هذه الامدادات من مصادر أخرى بعيدة أسعارها أعلى وتكاليف الشحن منها أكثر ارتفاعا لا سيما نظرا لضرورة استخدام عدد أكبر من الناقلات لنقل هذه الاحتياجات من مصادر أبعد . وحسب تقرير امريكي رسمي نشر في أعقاب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فان وزارة الدفاع الامريكية قد قدرت النفقات الاضافية التي تعتقد انها ستتكبدها زيادة على ما تصرفه حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الامريكية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه (٢١) مليون دولار شهريا . اما بريطانيا فانها تعتمد على النفط العربي اعتمادا كبيرا لسد احتياجات استهلاكها المحلي اذ تبلغ نسبة واردات النفط العربي اليها حوالي ٧٠ ٪ من مجموع وارداتها البترولية . ولا شك ان لجوءها الى مصادر أخرى سيضع على عاتقها عبئا ماليا اضافيا كبيرا ويؤثر على ميزان مدفوعاتها لا سيما وانها ستضطر الى دفع أثمان جزء كبير من البترول البديل بالدولار بينما هي تدفع ثمن النفط العربي بالجنيه الاسترليني لان شركاتها البترولية هي التي تنتج هذا البترول وتصدره للبلد الام .

ولقد قيل في انتقاد هذا الاجراء ـــ اجراء منع النفط العربي عن الدول المعادية ـــ حينما

كان ما يزال مطبقا ومن أجل تبرير ايقافه ــ قيل بأن الدول العربية المنتجة قد تضررت من جراء ذلك أكثر مما تضررت البلدان المعادية التي تمت مقاطعتها أو ان خسارتها كانت أكبر ، وهذا غير صحيح . ان مما لا شك فيه ان قطع البترول العربي عن الدول المعادية قد قلل من صادرات كل بلد عربي منتج بنسبة تتفاوت من بلد لآخر حسب الكميات التي كان يصدرها لتلك البلدان المعادية وأنقص بالتالي مؤقتا من دخل البلدان العربية المنتجة. ولكننا لا نستطيع ان نتكلم هنا عن « خسارة » حقيقية تصيبنا ، فكل الذي حصل ان صادرات نفطنا قلت خلال فترة المقاطعة وبقيت الكميات التي كانت ستصدر مخزونة في باطن الارض العربية الى أن يحين وقت تصديرها . واذا كان دخل الدول المنتجة قد انخفض بنسبة انخفاض الانتاج والتصدير فقد كان من الممكن مجابهة ذلك بشيء من التقشف والاستغناء عن المصاريف الكمالية بل انه كان لا بأس في سبيل الهدف النبيل الذي من أجله قطع النفط ، لو ثبتت جدوى وفعالية الاجراء ، أن يتم تأجيل بعض مشاريع التنمية العربية فمثل ذلك يكون قدرا معقولا من التضحية في سبيل قضية أكبر .

ولذا فاننا لا نوافق على هذا النقد الذي وجه لاجراء منع النفط ، ولكن لنا عليه مأخذا آخر أهم ، وهو انه كان محدود الفعالية : فاذا كان قد أحدث أثره الضار على الدولتين المعاديتين ، أمريكا وبريطانيا ، بتحميلهما خسارة مادية بينا أبعادها فانه لم يفلح في خلق مجاعة نفطية حقيقية لديهما ولم يحملهما على تغيير مواقفهما المعادية . فهل تعتبر هذا الضرر المادي كافيا وفعالا وعلى مستوى المعركة المصيرية التي نواجهها واهمية سلاح النفط العربي ؟ ان أمريكا قد اعترفت حسب بعض مصادرها الرسميــة بأن خسارتها المادية نتيجة قطع النفط العربي كانت مقدرة بحوالي (٢١) مليون دولار شهريا أي ما يبلغ حوالي (٢٥٠) مليون دولار سنويا لو ان اجراء قطع النفط العربي دام سنة كاملة ــ مع انه لم يدم فعلا الا بضعة اسابيع كما هو معروف . ولكننا نعلم ان الولايات المتحدة تقدم لاسرائيل كل سنة مئات الملايين من الدولارات فهل مما يؤثر عليها تأثيرا فعالا ان تتحمل عبئا اضافيا مؤقتا في سبيل حليفتها وقاعدتها المتقدمة : اسرائيل ــ مقداره (٢١) مليون دولار شهريا أو (٢٥٠) مليون دولار سنويا ؟ كما ان انتاج وتصدير النفط كان متواصلا للبلدان الاخرى المستوردة ، وهو الانتاج والتصدير الذي تقوم به الشركات الاجنبية نفسها ، وعلى راسها الشركات الامريكية والبريطانية ، وتواصل جني الارباح التي تعوضها اضعافا عن اية خسارة مؤقتة وتبقى هــذه الارباح تساهم في ميــزان مدفوعات البلدين كما سبق أن بينا .

وهذا الاجراء بتطبيقه ضد أمريكا وبريطانيا وحدهما لم يخلق المجاعة النفطية المطلوبة والتي تجعل منه سلاحا فعالا واسباب فشله في تحقيق ذلــك كثيرة منها : انه علــى محدودية آثاره وفعاليته ، لم ينفذ بدقة وقد حصل في تنفيذه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الامريكية والبريطانية التي تنتمي الى البلدان المعادية التي فرضت عليهــا المقاطعة ــ هذه الشركات بقيت مستمرة في الانتاج والتصدير فلجأت للتلاعب لصالح بلدانها لا سيما وان لديها فروعا في مختلف البلدان الاوروبية وهي تستطيع أن تنقل النفط من بلد لآخر بسهولة ودون عوائق . وهذا يدلنا على مدى ضعف سلاح النفط في أيدينا حسب الوضع الحالي نتيجة سيطرة الشركات الاجنبية الاحتكارية التابعــة للبلدان المعادية على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره ، وطالما لم تتوفر لنا السيطرة والرقابة الحقيقية والاشراف الفعال على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره مع امكانيات توجيه هذه النشاطات لتحقيق المصالح العليا لبلادنا . فهل نستطيع استخدام هذا السلاح استخداما حقيقيا فعالا ضد أعدائنا اذا كان هذا السلاح خارجا عن سيطرتنا وواقعا تحت سيطرة شركات أجنبية ينتمي القسم الاكبر منها لاولئك الاعداء انفسهم ؟

ومما لا شك فيه أن قصر اجراء المنع على بلدين ، هما أمريكا وبريطانيا ، قد سهــل

امكانيات التلاعب . والاهم من ذلك ان هذا القصر قد جعل كميات النفط العربي التي تمنع عن هذين البلدين ، حتى لو منعت تماما ، ضئيلة نسبيا . فقد رأينا كيف ان امريكا لم تكن تستورد الا نسبة ضئيلة من احتياجاتها من النفط العربي ، وما كانت تستورده بريطانيا من نفطنا عام ١٩٦٧ عند تطبيق قرار المنع ، لم يكن يزيد عن حوالي ٥٠ مليون طن (حوالي مليون برميل يوميا) بحيث أمكن لهما تأمين هذه الكميات من مصادر أخرى، برغم التكاليف الاضافية التي أشرنا اليها . ومن المعروف ان كل دولة من بلدان اوروبا الغربية تحتفظ الان لنفسها بمخزون لا يقل عن مقدار استهلاك ثلاثة اشهر وفي خلال ذلك تكون قد أمنت وصوله من مصادر أخرى متحملة بالطبع التكاليف الاضافية .

وعلى ذلك فان احدى الثغرات الاساسية في اجراء المنع ، كما طبق عام ١٩٦٧ ، والتي ادت الى أن نتائجه وفعاليته كانت محدودة للغاية هو قصره على بلدين اثنين . ومما لا شك فيه ان فعاليته كانت ستزداد لو اتسع المنع ليشمل بلدانا أخرى : فلو اتسع مثلا ليشمل في اوروبا الغربية ، بالاضافة الى بريطانيا ، كلا من المانيا الغربية ، نظرا للتعويضات الضخمة التي قدمتها لاسرائيل ولمواقفها وتصرفاتها المعادية للقضية العربية، وهولندا ، نظرا لمواقفها المعادية كذلك ، فان كمية النفط العربي المحجوبة عن الدول المعادية كانت ستزيد وكان تأمينها سيتم بصعوبة أكبر . ولكن الكمية الممنوعة كان مع ذلك سيبقى من الممكن للبلدان المقاطعة تأمينها بالتدريج من مصادر أخرى ، بعد أن تستنفد مخزونها ، وذلك بتحمل تكاليف اضافية وببعض الصعوبات ولكن دون مواجهة مجاعة او أزمة نفطية حادة .

ولو ان المنع الذي طبقته الدول العربية عام ١٩٦٧ اتسع ليشمل أوروبا الغربية بأسرها، بالاضافة الى امريكا ، لكان بكل تأكيد قد أحدث أزمة نفطية حادة لدى الدول الغربية ذلك ان مجموع ما كانت تستورده بلدان أوروبا الغربية حينذاك من النفط العربي كان يقارب ٦ ملايين برميل يوميا ولم يكن من السهل تأمين هذه الكميات بسرعة من المصادر الاخرى ولذا فان فترة أزمة حادة كانت بكل تأكيد ستمر بها هذه البلدان قبل ان تستطيع المصادر الاخرى زيادة انتاجها بشكل تدريجي لتلبية جزء فقط من هذه الاحتياجات . وكانت أزمة نفطية جزئية بقيت سائدة في هذه البلدان لفترات طويلة . كما ان مثل هذا الاجراء كان سيكشف عن عجز امريكا في تلبية الاحتياجات النفطية للعالم الغربي ويبرز مسؤوليتها في وقوع هذه الازمة . ولكن احد محاذير مثل هذا الاجراء هو انه كان سيمنع النفط عن بعض البلدان التي لم تكن مواقفها معادية لنا او كانت محايدة او صديقة مثل فرنسا واسبانيا واليونان ... الخ . ولعله كان من الممكن ، على ضوء ذلك ، منع النفط عن كافة أوروبا الغربية ، باستثناء هذه البلدان المحايدة مع ان ذلك كان سيضعف بعض الشيء من فاعلية تطبيقه نظرا لامكانية تسربه من بلد غير مقاطع لبلد آخر مقاطع لا سيما اذا كانت اجراءات الرقابة غير كافية . كما ان ذلك كان سيضعف من آثار المنع ونتائجه .

ولو ان تصدير النفط العربي أوقف كلية ومنع منعا كاملا ، كما نادى بذلك بعض المسؤولين العرب مثل الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي دعا حينذاك الى وقف كافة صادرات النفط العربي سنة كاملة ، لو تم ذلك لكان اجراء المنع قد أحدث كافة آثاره وخلق أزمة نفطية خانقة في العالم لان صادرات النفط العربي كانت حينذاك تقارب عشرة ملايين برميل يوميا ، وهذه الكمية لم يكن من الممكن اطلاقا تأمينها من أية مصادر اخرى غير عربية . ومثل هذه الازمة كانت ستثير ردود فعل عنيفة في العالم ضد الدول المعادية المسؤولة الرئيسية عن وقوعها وتخلق أداة ضغط كبيرة على هذه الدول المعادية قد تحملها على تغيير مواقفها منا . ولكن من الواضح ان الدول العربية المنتجة لم تكن لتقدم بسهولة على هذا الاجراء الذي كان سيحرمها من الدخل البترولي بصفة شبه كاملة

خلال فترة طويلة ، وكان الاقدام على تطبيقه يقتضي انشاء صندوق عربي مشترك تغذيه البلدان المنتجة ذات الارصدة الكبيرة ويتم عن طريقه تقديم العون اللازم والقروض الضرورية للبلدان المنتجة التي لا تتوفر لديها أرصدة كافية . كما ان احد محاذير هذا الاجراء كانت بالطبع هي الحاق الضرر ببعض البلدان الصديقة والمحايدة نتيجة منع النفط عنها ووضع الدول الصديقة والمحايدة على نفس الصعيد مع الدول المعادية ، وهو أمر قد يبدو من غير المرغوب فيه من الناحية السياسية . ولذا فان احدى الصيغ الممكنة، ضمن هذا الاطار من التفكير ، ان يقطع النفط عن كافة الدول باستثناء الدول الصديقة التي يحددها المسؤولون على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، مع مراعاة انه كلما زادت قائمة الاستثناءات من المنع كلما ضعفت فاعلية المنع وتهيأت الظروف للتلاعب . **يبدو من كل ما تقدم ان اجراء المنع ، بالطريقة التي طبق بها عام ١٩٦٧ ، كان محدود الفعالية ضعيف الآثار لم يؤد الهدف المطلوب منه . وينبغي أن لا نعود لنفس الاجراء في المستقبل دون استكمال شروط نجاحه . فاذا أريدت العودة اليه فانه ينبغي توسيع دائرته ليشمل أكبر قدر ممكن من البلدان واستمراره لاطول مدة ممكنة حتى يؤدي آثاره المتوخاة . كما انه ينبغي وضع الشركات الاجنبية تحت الحراسة ، كما فعلت الحكومة الجزائرية في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بالنسبة للشركات الامريكية والبريطانية ، وذلك لضمان فعالية اجراء الحجب ولمنع الشركات من مواصلة قبض الارباح عن النفط الناتج والمصدر للبلدان التي لا تشملها المقاطعة ونقل هذه الارباح للبلدان التي تنتمي اليها .** (كما ينبغي في نظرنا ان يكمل هذا الاجراء بمقاطعة اقتصادية للبلدان المعادية وبسحب الارصدة العربية منها وهي الارصدة التي مصدرها النفط العربي . حتى يحقق أقصى درجة من الفعالية واكبر قدر من الضغوط . ولكن هذه مسألة خارجة عن نطاق هذا البحث) .

واجراء منع النفط اذا أريد له ان يكون شاملا على النحو الذي بيناه أعلاه فانه يتطلب ان تقدم عليه جميع البلدان العربية المنتجة وان تقف كلها من ورائه صفا واحدا صلبا ، وهي أمور ليس من السهل تحقيقها في الوقت الحاضر ، كما ان هذا الاجراء سينتج عنه توقف الدخل الرئيسي وشبه الوحيد للبلدان المنتجة ويفرض على شعوب تلك البلدان تضحيات لا يمكن انكارها بل قد يؤدي الى تعطيل بعض برامج التنمية . ولكن تلك الصعوبات يجب أن لا تثنينا عن الدعوة لهذا الاجراء اذا اقتنعنا بجدواه ، وتلك التضحيات واجبة ومطلوبة اذا كانت هنالك نتائج ايجابية مضمونة من المتوقع تحقيقها لصالح القضية العربية . ولكن أحدا لا يستطيع أن يجزم بالنتائج الايجابية الخيرة التي يمكن أن يحققها هذا الاجراء . فمما لا شك فيه أن الحجب الشامل للنفط العربي سيخلق أزمة نفطية خطيرة لدى العالم الغربي، فماذا سيكون رد فعله في مواجهتها ؟ هل سيحمله ذلك على الخضوع لارادتنا والاستجابة المعقولة لحقوقنا المشروعة وتغيير مواقفه منا والضغط على زعيمة العالم الغربي ، الولايات المتحدة ، لتبديل مواقفها العدائية ؟ أم ان ذلك سيثير لديه على العكس موجة عنيفة من العداء ضدنا ويحمله على ممارسة كافة أنواع الضغوط علينا بما في ذلك امكانية القيام بأعمال عدوانية يائسة ضد العالم العربي، واستغلال نقاط الضعف في بلداننا المنتجة والثغرات في جبهتنا العربية لافشال قرار المنع وتفتيت الجبهة العربية كلما طالت فترة تنفيذ القرار وزادت اعباء التقشف المفروضة على حكومات وشعوب البلدان المنتجة ؟

ان تجارب الامة العربية الطويلة الفاشلة في محاولة اجراء الضغط على العالم الغربي ليقوم بتغيير مواقفه والضغط بدوره على أمريكا واسرائيل لا تشجعنا على توقع نتائج ايجابية من هذا الضغط الذي ستحدثه الازمة النفطية ولا تدعونا للتفاؤل في أمل تغيير مواقف تلك الدول لصالحنا . وعلى سبيل المثال فان رد الفعل السلبي الذي تجلى لدى

العالم الغربي في مواجهة اغلاق قناة السويس لا يدعو لكثير من التفاؤل . فهذا الاغلاق سبب لاوروبا الغربية اضرارا كبيرة ومع ذلك فانها لم تمارس ضغطا حقيقيا على الولايات المتحدة واسرائيل من أجل فتح القناة . ومما لا شك فيه أن أزمة الطاقة ستكون لو حدثت نتيجة الحجب أخطر من اغلاق قناة السويس . ولكن رد الفعل السلبي أمام اغلاق قناة السويس والنتائج السلبية لمحاولات الضغوط الاخرى ليس من شأنها ، بكل واقعية وموضوعية ، أن تشجع كثيرا على التفاؤل بتحقيق نتائج فعالة من فرض أزمة الطاقة . هذا الشك في النتائج التي قد يحققها اجراء المنع هو الذي يجعلنا شخصيا غير متحمسين للدعوة اليه ، لا سيما وأنه اجراء محدود بطبيعته وليس من شأنه المساس بالمصالح الاساسية للغرب في نفطنا ، ويجعلنا نفضل عليه اجراء أكثر حسما وفعالية كما سنبين . فاجراء منع النفط ، مهما ضبط وسدت الثغرات التي أشرنا اليها في تطبيقه ونفذت كافة الشروط التي افترضناها لنجاحه ولتحقيق اكبر قدر ممكن من الفعالية ، يبقى اجراء محدودا لانه بطبيعته لا بد أن يكون محدودا من حيث مدة تطبيقه اذ لا يمكن ان يمنع تصدير النفط العربي الى ما لا نهاية ، ولا بد ان يعود نفطنا للتصدير وتعود الشركات النفطية الاجنبية ، المسيطرة على استثمار نفطنا ، الى جني الارباح الطائلة ونقلها الى البلدان التي تنتمي اليها وهي البلدان التي تضمر لنا العداء الكبير .

ولذا فان من رأينا ان اجراء منع النفط لا يرتفع الى المستوى المطلوب ولا يلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا مع ما تمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة لامريكا والغرب .

*

ومثل هذا الحكم الذي نبديه بشأن اجراء منع النفط ينطبق من باب أولي على مجموعة من الاجراءات الاخرى الاقل شأنا التي اقترحت في بعض المناسبات أو اتجه تفكير البعض اليها لكي تكون اذا اتخذت « ذات أثر على السياسة الغربية عامة والامريكية خاصة وان يكون الأثر غير مباشر أو جزئيا » . وقد استعرض الدكتور يوسف صايغ ، في بحثه القيم « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » ، (مجلة « شؤون فلسطينية » عدد ديسمبر ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣) — استعرض عددا من هذه الاجراءات . ومن نماذجها : (١) قيام البلدان العربية النفطية بشراء أكبر نسبة ممكنة من أسهم شركات النفط من أجل ممارسة ضغط على سياسة البلدان التي تنتسب الشركات اليها من خلال تقوية نفوذ الاعضاء العرب في مجالس الادارة . (٢) ايعاز سلطات بلدان النفط للعمال في الشركات بالتباطؤ في الانتاج وفي تحميل الناقلات لاشعار البلدان الغربية بقوة بلدان النفط العربية وبتصميمها على ممارسة الضغط السياسي على الغرب لصالح القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . (٣) فرض رسم تصدير انتقائي على كل برميل نفط يصدر من البلدان العربية لدعم المجهود الحربي العربي . ويلاحظ الدكتور صايغ عن حق بأن الضغط الاساسي في هذه السياسة انها مالية في طبيعتها وليست في ذاتها كافية للتأثير في السياسات الغربية المناصرة لاسرائيل والمساندة لها خاصة سياسة الولايات المتحدة . وفرض رسم التصدير اما ان يكون سياسة ضعيفة وغير ذات أثر اذا كان الرسم منخفضا أو أن يكون كسياسة حجب النفط اذا كان الرسم مرتفعا جدا بحيث يشكل عبئا غير مقبول على المستورد ينتج عنه توقف التصدير فعلا . (الدكتور صايغ ، نفس المرجع ، ص ٥٦) .

ونحن دون الخوض في مناقشة مثل هذه الاجراءات الجزئية نكتفي بالقول بأنها اقل فاعلية واضعف أثرا من اجراء منع النفط الذي رأينا مع ذلك انه محدود الاثر حتى حينما يكون منعا شاملا . ومن رأينا انه ينبغي عدم انشغال الاذهان في مثل هذه الاجراءات الفرعية الجزئية وما يستتبع ذلك من تحويل الاهتمام وصرف التركيز عن الاجراء الاكثر جذرية

وفاعلية ، وفي اعتقادنا كما سبق ان بينا ان اجراء منع النفط — ومن باب أولي تلك الاجراءات الجزئية الاخرى التي أوردنا نماذج منها — ليست على المستوى المطلوب ولا تتناسب مع أهمية سلاح النفط وذات آثار محدودة لانها لا تلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا وما تمثله من قيمة استراتيجية واقتصادية هامة لامريكا والغرب . ان اي اجراء جذري يجب ان يوجه بشكل مباشر لهذه المصالح الرئيسية ويقتلعها من أساسها . وهذا يدلنا على الطريق الصحيح ويشير الى الحل الجذري الحاسم .

---

١ — وهذا الاحتياطي موزع ، حسب **المصدر نفسه** ، بين مختلف البلدان العربية المنتجة كالآتي (بملايين الاطنان) : السعودية ١٩٩٠٠ ، الكويت : ٩٠٤٥ ، العراق : ٤٩٣٠ ، ابو ظبي : ٢٦٠٠ ، المنطقة المحايدة : ٣٣٠٠ ، قطر : ٨٢٠ ، ليبيا : ٣٤٢٥ ، الجزائر : ١٦٨٠ ، مصر : ٥٥٠ .

٢ — Christopher Tugendhat, *Oil: The Biggest Business*, London, 1968, p. 165.

٣ — *Outlook for the World Oil Industry, 1963-1975* By Donald Fernow, 1963, p. 14.

٤ — *Petroleum Outlook*, Feb 1971.

٥ — **المرجع السابق** .

٦ — مجلة **نفط العرب** ، عدد فبراير ١٩٧١ .

٧ — *U.S. News and World Report*, 10/4/1972.

٨ — **عالم النفط** ، ١٩٧١/١/٣٠ .

٩ — **المرجع السابق** ، ١٩٧١/٧/٢١ .

١٠ — **الاهرام** ، عدد ١٩٧٢/١٠/٣ .

١١ — **عالم النفط** ، عدد ١٩٧٢/١٠/١٤ .

١٢ — **المرجع السابق** ، ١٩٧٢/٢/١٢ .

١٣ — مشار اليه في :
Michael Tanzer, *The Political Economy of International Oil And the Underdeveloped Countries*, Boston, 1969, p. 353.

١٤ — ف. أنيس ، النفط العربي هل هو عامل ضغط ؟ ، في **آفاق عربية** ، عدد سبتمبر — اكتوبر ١٩٧٢ .

١٥ — بموجب اتفاقيات الامتياز تدفع الشركة للحكومة ريعا أو اتاوة Royalty (مقداره بصورة عامة يعادل ١٢،٥ ٪ من قيمة الانتاج) ، وعندما ادخلت قاعدة مناصفة الارباح بين الشركات والبلدان المنتجة في بداية الخمسينات حرصت الشركات على ان تدخل مبلغ الريع المدفوع للحكومة ضمن نصف الارباح العائدة لها بمعنى ان مجموع مدفوعات الشركة للدولة على شكل ضريبة وريع يجب ان لا يزيد من ٥٠ ٪ من الارباح الصافية للشركة . وقد تنبهت الحكومات فيما بعد الى ان الريع هو دفعة مستقلة لا علاقة لها بالضريبة وهي تدفع للدولة باعتبارها مالكة باطن الارض المشمولة بالامتياز كما تدفع في الولايات المتحدة للمالك الخاص للارض المشمولة بامتياز ، أي ان الريع يجب ان لا يدخل ضمن نصف الارباح العائدة للدولة (عندما كانت نسبة الضريبة ٥٠ ٪ وقد رفعت الى ٥٥ ٪ عام ١٩٧١) وانما دفعة اضافية مستقلة زائدة عنها علـى ان تعتبرها الشركة بمثابة نفقة من نفقات المشروع عند احتساب ارباحها الصافية ، ومن هنا جاءت تسمية تنفيق الريع Expensing of Royalty وقد تمكنت منظمة اوبيك من فرض هذه القاعدة في أواخر عام ١٩٦٤ .

١٦ — انظر بهذا الصدد كتاب **اسرائيل والنفط** ، سلسلة « دراسات فلسطينية » رقم ٣٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨ .

١٧ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٢٤ .

١٨ — انظر بهذا الصدد البحث القيم للدكتور يوسف صايغ حول « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ١٦ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣ . وكذلك الاستاذ عبدالله الطريقي ، **البترول العربي سلاح في المعركة** ، دراسات فلسطينية ، رقم ٢٠ ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧ . والدكتور محمود أمين ، **البترول العربي في المعركة** ، سلسلة اقرا ، دار المعارف بمصر ، اغسطس ١٩٦٧ .

١٩ — الدكتور محمود أمين ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٤ .

التسليح السوفييتي والصراع العربي ـ الاسرائيلي

المقدم الهيثم الايوبي

في أواخر شباط الماضي سافر وزير الحربيـــة المصري الفريق اول احمد اسماعيل الى موسكو . وذكرت المصادر السياسية في القاهرة ان من الارجح أن تكون الزيارة محاولة من جمهورية مصر العربية للحصول على أسلحة سوفييتيـــة جديدة بعد سلسلة مـــن المباحثات والخطوات الدبلوماسية العربية والسوفييتية لاذابة الجليد وتحسين العلاقات التي توترت بعد أزمة خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. والحقيقة ان الاتحـــاد السوفييتي كان قد خفف من حجم تدفق الاسلحة على جيش ج. م. ع. بعد خطوة الرئيس أنور السادات المعروفة ، اذ لم يتلق هذا الجيش خلال الفترة التي تلت الخطوة سوى ٦٠ صاروخا من طراز سام ــ ٦ ، وحوالي ١٠٠ دبابة تي ــ ٦٢، وبعض المعدات والاسلحة الثانوية الاخرى .

ولقد اختلفت التكهنات حول الهدف الحقيقي من زيارة الفريق أول اسماعيل ، وهل هي محاولة للحصول على اسلحة متطورة جديدة لم يتم التعاقد عليها من قبل ، أم محاولة لمتابعة الحصول على أسلحة جرى التعاقد عليها ولم تسلم حتى الآن ، أم مجرد الحصول على ذخائر وقطع غيار للاسلحة والمعدات التي تملكها القوات المصرية المسلحة . ومهما كان سبب هذه الزيارة فانها تتمتع ولا شك بأهمية كبيرة ظهرت منذ البداية بالاهتمام الذي أبداه الطرفان بالمباحثات ، وطبيعة الوفدين المشتركين بها ، والجو الودي الذي دارت خلاله . وتأتي الاهمية المحورية لهذه الزيارة من انهـــا جاءت بعد حوالي سبعة أشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. وبعـــد محاولات عـــربية كثيرة للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح غربي الصنع . وهذا ما يجعلنا نعود من جديد الى بحث مسألة أساسية في الصراع العربي ــ الاسرائيلي وهي مسألة التسليح .

الافق السياسي لمسالة التسليح :

قبل بحث هذه المسألة والخوض في تفصيلاتها لا بد من التاكيد على اربع نقاط جوهرية لتبديد أي فهم مغلوط لحقيقة تقييمنا لمسألة السلاح نفسها ، ولاساليب الصراع الاجدى ضد العدو الاسرائيلي .

النقطة الاولى : ان حديثنا عن السلاح لا يعني اعطاءه أهمية اكبر مما ينبغي . فالسلاح عامل مهم في كل صراع ، ولكنه لا يمثل العامل الاهم، ولا يمكن أن يكون بديلاً عن الانسان ووعيه وولائه للقضية التي يقاتل من أجلها . كما لا يمكن أن يكون بديلاً عـــن التنظيم السياسي الذي يطرح القضية التي يجري النضال تحت لوائها ، ويقوم بعملية تعبئة سياسية تربط المقاتلين بهدف الصراع ، وتجعلهم على استعداد للتضحية من أجله طالما انه يمثل في نهاية المطاف هدفهم ومصالحهم وتطلعاتهم وآمالهم .

النقطة الثانية : ان التسابق العسكري التكنولوجي بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان العالم الثالث، عبارة عن لهاث غير مناسب في مجال غير مناسب . لان بلدان العالم الثالث

أضعف ماديا وتقنيا من البلدان الصناعية المتقدمة . وقد تكون قادرة على صنع الاسلحة والمعدات العادية ، ولكنها مضطرة دائمـــا لان تستورد الاسلحة المتطورة المعقدة . وتتحمل من جراء ذلك اعباء مالية تنهك اقتصادها ، وتزيد من تخلفها ، وتوسع الفجوة الاولية القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة ، دون أن توصلهـــا الى مستوى التسليح التكنولوجي الذي يملكه عدوها .

واذا كانت قوة البلدان الامبريالية المتقدمة كامنة في معداتها وايديولوجياتها الديناميكية العدوانية (النازية ، الفاشية ، المكارثية ، الصهيونية ... الخ) فان قـــوة البلدان النامية أو السائرة على طريق النمو تكمن في جماهيرها . ولا يمكن قلب موازين القوى — التي تكون لصالح البلد الامبريالي في بداية أي صراع بين بلد أمبريالي متقدم وبلد نام — ولا يمكن أن تحقق البلدان النامية التفوق آلا عن طريق تعبئة الجماهير نفسيـــا وايديولوجيا ، وتأطيرها ، واعدادها للمعركة ، وجعل كل فرد من أفرادها ملتزما بخوض معركة شاملة ، مع تسليح هذه الجماهير بأفضل ما يمكن الحصول عليه محليا ومن الدول الصديقة عن طريق الشراء أو المساعدات ، رغم الحدود الموضوعية للحصول على هذا السلاح ، واستيعابه تكنولوجيا بعد الحصول عليه ، لان هذه التدابـــير ، وهذه التدابير وحدها قادرة على قلب الجماهير من كمية مهملة ، بل ومعرقلة ، خلال الصراع الى كمية فاعلة ووزن لا يستهان به عند حساب موازين القوى — كل القوى — المادية منها والمعنوية .

النقطة الثالثة : هي أن الحديث عن موازين القوى ، وموازين التسليح ، وحساب عدد الدبابات والطائرات والمدافع على جانبي الخندق ، وربط قضية انطلاق معركة التحرير بهذه العوامل العسكرية البحتة أمر يتناقض مع معطيات الموقف الذي يعيشه بلد محتل مهدد بالعبودية والفناء . ان حسابات المعركة أمر نسبي ، وهي تختلف باختلاف القائمين بها ، وحقيقة أهدافهم ومراميهم . فهناك حسابات الغزاة وحسابات المدافعين . وتهتم حسابات الغزاة الى حد مبالغ به بموازين القوى ، واحتمالات الربح والخسارة ، لان الغزاة يطمحون الى تحقيق الربح المادي عن طريق العدوان ، ولا يدخلون المعركة الا بعد أن يتأكدوا من انها ستكون قصيرة ومجزية ، وان المكاسب التي سيحققونها ستكون كبيرة بشكل يعوض الخسائر المحتملة . أمـــا حسابات المدافعين فتستند الـــى ان المعركة مفروضة لصد عدوان قائم ، وتطهير أرض محتلة ، وان الخسائر مهما تزايدت عبارة عن قدر محتوم تفرضه موازين القوى الاولية ، وان اجراء الحساب لتخفيف الخسائر الى أبعد حد ممكن مع متابعة الصراع رغم اختلال ميزان القوى المادية هو السبيل الوحيد للحفاظ على البقاء ، لان التوقف عن الصراع ، أو التردد أمامه بحجة تفوق العدو يعني الاستسلام والخسارة الكاملة التي تفوق من الناحية الحضارية والقومية اضعاف اية خسارة ناجمة عن الدمار والقتل ومآسي الحرب الرهيبة . ان على الامة المدافعة أن تحسب ، وتوازن ، فكل معركة بلا حساب مغامرة فاشلة ولكن عليها ، وهي تحسب ، ان تبقى ضمن اطار حسابات المدافعين ، وأن لا تربط مصيرها القومي كله بجداول الارقام الصماء ، لان هذا الربط يعني أنها تستعير عقيدة الغزاة التي لا تصلح لها ولا تضمن في نهاية المطاف وجودها كله .

النقطة الرابعة : هي أن التفكير بقلب موازين القوى لا يقتصر على تبديل السلاح ، أو تحسين نوعه ورفع مستوى فاعليته ، بل يشمل — وهذا هو الاهم — تبديل الاداة التي تستخدم هذا السلاح (أي القوات المسلحة) وتغيير طبيعتها . والقوات المسلحة صورة النظام السائد في بلد ما ، وجزء لا يتجزأ من كيانه . وكما ينجم عن الانظمة الامبريالية جيوش أمبريالية تخدم أهدافا أمبريالية غايتها استعباد الشعوب واستغلالها ، وكما ينجم عن الانظمة الشعبية الثورية جيوش شعبية ثورية تحمي مصالح الجماهير العريضة ،

فان البورجوازية الرثة في العالم الثالث تفرز على الصعيد العسكري جيوشا رثة لا تتقن سوى فن الانقلابات ، وقمع الشعب ، وممارسة الهزيمة أمام العدو . لذا لا يمكن لبلدان العالم المقهورة التي تسيطر فيها البورجوازية الرثة أن تفكر بصد عدوان المعتدين عن طريق تكديس الاسلحة الحديثة المتطورة فحسب ، بل لا بد لها من السير على سبيل خلق النظام الشعبي الثوري ، وجيشه الشعبي الثوري المؤهل لحمل هذه الاسلحة بايمان واستخدامها بكل كفاءة .

حتمية التسليح العربي من دول المعسكر الاشتراكي :

كانت دول الغرب الامبريالية منذ بداية الصراع العربي ــ الاسرائيلي المورد الاساسي للاسلحة في الشرق الاوسط . وكانت جميع أسلحة الدول العربية غربية الصنع ، على حين كان الاسرائيليون يحصلون على الاسلحة من كـل مكان ويستخدمون اتصالاتهم الدولية وشبكات الصهيونية العالمية لتأمين الاسلحة الغربية والشرقية بطرق مشروعة او غير مشروعة . وبقيت الدول الغربية بعد قيـام اسرائيل مصدر السلاح الوحيـد للجيوش العربية . وكانت تستخدم السلاح كوسيلة ضغط سياسية على الدول العربية لجرها الى الاحلاف ، كما كانت تعتبر الجيوش العربية ــ ككل جيوش بلدان العالم الثالث ــ عبارة عن سوق لتصريف الاسلحة المستعملة (مثل دبابات بانزر التي اشتراها الجيش السوري قديما ، ودبابات سنتوريون القديمة التي اشتراها المصريون ، وصفقة الاسلحة المصرية الفاسدة .. الخ) . أو سوق للاسلحة التي تجاوزتهـا التطورات التكنولوجية (مثل البنادق الفرنسية ٣٦ التي اشترتها سوريا سابقا رغم قدم نموذجها وظهور بنادق آلية ونصف آلية في معظم بلدان العالم ، وطائرات سبيتفاير وهانتر التي اشتراها الاردن ، وكل انواع المصفحات التي استغنت عنها جميع الجيوش الحديثة واخرجتها من ملاكاتها واستعاضت عنها بالدبابات الخفيفة ، واعتبرتها سلاحا لا يصلح الا لقمع الاضطرابات في المدن) .

ولقد طرحت الحكومات العربية على الجماهير طوال فترة ٤٨ ــ ١٩٥٥ مسألة الحصول على السلاح الغربي كمسألة حيوية جادة لاعداد القـوة المسلحة اللازمة لمجابهـة اسرائيل . وكان طرحها متناقضا بشكل جذري مع الفهم السليم لطبيعة الصراع مـع اسرائيل ، وحقيقة الاسس الاستراتيجية الامبرياليـة في المنطقة . ويمكننـا ايجاز التناقضات بما يلي :

التناقض الاول : في الوقت الذي كنا نحاول فيه شراء الاسلحة من دول الغرب الامبريالية لقهر اسرائيل وتحرير الارض المغتصبة ، أو منع اغتصاب ارض جديدة على الاقل ، كانت اسرائيل ــ ولا تزال ــ عبارة عن مخفر أمامي للمعسكر الامبريالي الذي خلقها ودعمها وضمن وجودها بالبيان الثلاثي [١٩٥٠] (الامريكي ــ البريطاني ــ الفرنسي) كما كانت جزءا عضويا من أجزاء هذا المعسكر ، وشريكا في عملية النهب والقمع .

التناقض الثاني: في الوقت الذي كنا نطمح الى تقوية تسليحنا عن طريق الغرب كيما نحرر اقطارنا ونلعب دورا اكثر فاعلية كحركة تحرر وطني ، كان الغرب نفسه داخلا في تناقض رئيسي معنا كقوة استعمارية تود اضعافنا والسيطرة على مقدراتنا . وكان هذا الغرب نفسه يشن ضدنا حربا قمعية مباشرة في المشرق العربي والمغرب العربي ، كما كان يستنزف قوانا بصورة غير مباشرة عن طريق استخدام اسرائيل كقوة ضاربة قادرة على التهديد والردع ، ومستعدة للانتقال من الردع الى العمل ، لخنق القوى التقدميـة الوليدة ، وحماية مصالح الغرب عند اللزوم ، لقاء مكاسب اقليمية واقتصادية تعتبر خطوة مرحلية على طريق تنفيذ المخطط الصهيوني الواسع .

التناقض الثالث : لقد كنا ندعي اننا نود شراء الاسلحة من الغرب لقلب « الوضع القائم »

والتخلص من القهر القومي المتمثل باسرائيل وبعض جيوب الاستعمار القديم ، على حين كان الغرب واسرائيل يفضلان بقاء « الوضع القائم » الذي هو في حد ذاته وضع استغلالي غير عادل والحفاظ على الاستقرار لتتابع الامبريالية نهب الثروات بلا متاعب ، ولتتابع اسرائيل هضم الاراضي المحتلة ، والاعداد لاحتلال أراض جديدة وتحقيق مكاسب اقليمية جديدة .

ان القوى الاجتماعية المستبدة داخل أمة ما ، والمستفيدة من الواقع الاستغلالي الطبقي، تحاول دائما تهدئة الاوضاع والحفاظ على « الوضع القائم » لمتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر الطبقي ، على حين تحاول القوى المستغلة تأزيم الوضع لقلب « الوضع القائم » مع كل ما فيه من استغلال وقهر . ووفق المعادلة نفسها فان الامم المستفيدة من الواقع الاستغلالي الاستعماري تعمل كل ما في وسعها لتهدئة الاوضاع في منطقة الاستغلال للحفاظ على « الوضع القائم » ومتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر القومي ، على حين تحاول الامم المستعمرة كسر حلقة الهدوء لتبديل الواقع الاستعماري الذي ينحط بقواها الاقتصادية والاجتماعية ، ويسحق كل امكاناتها الحضارية .

لهذا كله كان قيام الدول العربية بمحاولة تسليح جيوشها من ترسانة الغرب عدو الشعوب المتطلعة الى التحرر والتقدم والنمو عبارة عن عمى سياسي ـ استراتيجي ، وخطأ في الاستنتاج ناجم عن انعدام القدرة على الرؤية أو انعدام الرغبة في الرؤية . وفي الوقت نفسه كان طرح مسألة شراء الاسلحة من الغرب فيسبيل التحرير لعبة ديماغوجية لا تستهدف سوى خداع الشعوب ، وبناء أمجاد زائفة . ولهذا كله بقيت قوة اسرائيل العسكرية اكبر من قوى الدول العربية المجاورة ، وبقي الردع الاسرائيلي بالقوة الكامنة المنسقة مع ضربات تأديبية على الحدود العامل الاساسي لتهدئة العرب ، وكبح جماحهم، واجبارهم على كبح جماح الجماهير الفلسطينية المتطلعة للتحرير ، والمتشوقة للتضحية والفداء في سبيل استعادة الارض المغتصبة .

معادلات التسليح السوفييتي :

تلقت الجيوش العربية خلال النصف الاول من الخمسينات عشرات الضربات ، وخسرت من جراء ذلك مئات الضحايا ، وكانت تحاول بعد كل ضربة تحسين تسليحها وزيادة قوتها لرد الضربة او لحماية نفسها على الاقل . ولكن الدول الغربية كانت تمنع عنها السلاح بحجة الحفاظ على التوازن والهدوء ، وترد على طلبات السلاح بتقديم بعض الاسلحة الخفيفة مع دعوات مشبوهة للارتباط نهائيا بعجلة الغرب . ومع تزايد العجز العسكري العربي تزايد النهم الاسرائيلي ، وازداد عمق الضربات ، وتصاعدت حدتها حتى بلغت الاوج في عملية البطيحة وعمليات غزة وخان يونس (١٩٥٥) . وادى تصاعد حدة الضربات وتزايد حجم الخسائر الى انفجار الجماهير العربية . وغدا البحث عن مصدر جديد للسلاح مسألة حيوية وضرورة قومية لا غنى عنها . ووسط هذا المناخ كسر الرئيس جمال عبدالناصر حصار السلاح بضربة اعتبرت من اخطر الضربات التي سددت للسيطرة الغربية في المنطقة . وفتح أمام السلاح السوفييتي أبواب الشرق الاوسط على نطاق واسع . وكانت سوريا قد سبقته في هذا المجال على نطاق أضيق عندما عقدت صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا . وهكذا تخلصت مصر وسوريا من الجري وراء سراب وبدأ الاعداد للمعركة يأخذ شكلا أقرب الى منطق الامور . وأصبحت معادلات التسليح في المنطقة متناسبة مع طبيعة القوى وحقيقة أهدافها .

معادلة المرحلة الاولى (من بدء كسر السلاح حتى حرب ١٩٥٦) : كان جيشا دولتين من دول المجابهة (مصر وسوريا) يشكلان قوة من قوى التحرر الوطني ، ويحصلان على سلاحهما الاساسي من دول الكتلة الشرقية الداعمة لحركة التحرر الوطني في العالم بغية

مجابهة الاستعمار واسرائيل ، ودرء أخطارهما ، دون ان يتسع هدف التسليح الى مستوى ازالة الدولة الاسرائيلية المدعومة من الغرب . على حين كانت اسرائيل ، وهي قوة من قوى الامبريالية ، تتموّن من ترسانات الدول الامبريالية المعادية لحركات التحرر، بغية الاعداد لعدوان توسعي مقبل . وقبل أن تستكمل القوات العربية استعدادها وهضمها للاسلحة الشرقية الحديثة شنت الدول الامبريالية حرب ١٩٥٦ ، وتدمر القسم الاكبر من القوة العسكرية الجديدة أو جرد من سلاحه .

معادلة المرحلة الثانية (١٩٥٦ ــ ١٩٦٧) : كانت هذه المرحلة مرحلة اعادة بناء القوات العسكرية العربية . ولقد قدم السوفييت خلالها جميع المساعدات المادية والتكنولوجية والتدريبية لخلق القوة العربية على اساس منع اسرائيل من شن أي عدوان أو الحصول على أية مكاسب اقليمية جديدة . هنا كانت معادلة التسليح كما يلي : الغرب يقدم السلاح لاسرائيل لتحقيق الردع والعدوان والحفاظ على اسرائيل كقوة موجودة قادرة على التوسع والضرب . أما دول الكتلة الشرقية التي تعتبر اسرائيل دولة موجودة لا يمكن تدمير تكوينها الحالي ضمن موازين القوى العالمية القائمة، وتعتبر هذا العمل خارج استراتيجيتها التي تتحاشى الصدام المباشر مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة ، فانها تسلح بعض الدول العربية المتحررة في سبيل خلق القوة القادرة على حماية المكتسبات والمنجزات التي تحققت في المنطقة ، والحد من دور اسرائيل التهديدي ، ومنعها من التوسع أو ضرب الحركة التقدمية العربية وشلها .

معادلة المرحلة الثالثة (١٩٦٧ ــ ١٩٧٢) : مع حرب ١٩٦٧ واحتلال أراض عربية جديدة خرجت اسرائيل بشكل فاضح عن اطار حدود الدولة المعترف بها [كانت قد خرجت من قبل عن هذا الاطار اكثر من مرة عندما احتلت مناطق خارج الحدود التي اعترفت بها الامم المتحدة ورفضها العرب] . وتبدلت معادلة التسليح وغدت كما يلي : أ) الدول الامبريالية ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، تسلح القوة الاسرائيلية للحفاظ على تفوقها والابقاء على وضع الاحتلال حتى يتم الوصول الى الهدف السياسي لحرب حزيران ١٩٦٧ . وهو بالنسبة للامبريالية قمع الحركة التقدمية العربية ، وتحقيق التهدئة اللازمة للاستغلال بشكل مستمر نهائي . كما انه بالنسبة لاسرائيل الحصول على سلام اسرائيلي يضمن انهاء حالة النزاع مع تحقيق مكاسب اقليمية متباينة السعة ، وايجاد علاقة اقتصادية مع العالم العربي ، هي في جوهرها علاقة بين مجتمع صناعي متقدم ، ومجتمع زراعي يحاول النمو والتطور بامكاناته الذاتية ووفق مخططات تنمية البورجوازيات الصغيرة . ب) المعسكر الشرقي الذي يرفض اعطاء اسرائيل مكافأة على عدوانها ، ويقف مع كل دول العالم المحبة للسلام ضد أي توسع اقليمي عن طريق الحرب ، يسلح الدول العربية ليساعدها على الصمود أمام ضغوط الاركاع ، وليعطيها الفرصة لالتقاط انفاسها وشن المعركة السياسية ــ العسكرية الرامية الى ازالة آثار العدوان بكافة الاساليب والطرق ، بما في ذلك الاساليب العسكرية .

ووفق هذه المعادلة دعم الامريكيون القوة العسكرية الاسرائيلية وخاصة القوة الجوية القادرة على الضرب في عمق البلاد ، على حين خلق السوفييت جسرا جويا هائلا لدعم القوة العربية ولمساعدتها على الصمود والاستمرار في حرب الاستنزاف [أي يحبط سياسة التهدئة والاركاع وتحقيق السلام الاسرائيلي بالقوة] ، ويخلق القوة القادرة على تسديد الضربة العسكرية ضمن استراتيجية مجابهة عربية شاملة ضد الامبريالية [أي يحبط سياسة التوسع وضم الاراضي] .

وبدأت حرب الاستنزاف شرسة باهظة التكاليف . واشتبكت مصر وحركة المقاومة لوحدهما مع العدو الاسرائيلي لاستنزافه ماديا ومعنويا . وكان من الممكن أن تؤدي حرب الاستنزاف الى تحقيق النتائج المرجوة منها لو انها كانت جزءا من استراتيجية

عربية متكاملة . بيـد ان الوضع العربي (داخل كـل قطر وبين الاقطار) ، وتفتت الجبهة الشرقية ، ووقوف مصر لوحدها على الجبهة الساخنة ، والوضع المصري الداخلي نفسه ، جعل القاهرة ، بعد اسبوع من تساقط طائرات الفانتوم ، تقبل وقف اطلاق النار في لحظة حرجة كان التفوق الجوي الاسرائيلي قد بدأ يفقد فيها تأثيره وفاعليته أمام شبكة الصواريخ سام ٣ ، كما ان ضرب حركة المقاومة الفلسطينية على يد النظام الاردني أعاد الصراع العربي ــ الاسرائيلي الى مرحلة هدوء نسبي ظهرت وكأنها تعبير عن العجز العسكري أمام مقولة التحرير .

ووسط هذا المناخ الذي تصارعت فيه الرغبة مع العجـز تحركت القوى الامبريالية والرجعية العربية المعادية للوجود السوفييتي على أرض العرب ــ حتى لو كان هدف هذا الوجود مساعدة العرب على الصمود والذود عن أراضيهم ــ وشنت حملة تشهير واسعة ضد موسكو وضد الاسلحة السوفييتية « الدفاعية ! » لتصل بعـد ذلك الى ضرورة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ، وذلك بتصنيع بعض الاسلحة محليـا واستيراد البعض الآخر من مختلف بلدان العالم . فهل كانت الاسلحة السوفييتية بالفعل دفاعية ؟ وهل هنالك في الاصل سلاح هجومي وآخر دفاعي ؟ والى أين وصلت محاولة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ؟

السلاح ((الدفاعي)) و((الهجومي)) :

السلاح أداة قادرة على تدمير الخصم ، او اخراجه من المعركة ، او ابطاله ، او شل حركته ومنعه من تحقيق أغراضه . وهو يستخدم ضمن تركيبات تكتيكية واستراتيجية تستهدف تدمير القوات المسلحة المعادية أو تجريدها من سلاحها ، واجبار العدو بعد نزع درعه على قبول التنازلات السياسية التي تحقق هدف المنتصر . ويحقق السلاح مهماته من الناحية التقنية عن طريق النار (المقذوفات) والصدمة . وهو يتوصل الى استخدام النار عن بعد ، على حين لا بد له عند استخدام الصدمة من الحركة والالتحام مع العدو . وتستطيع النار تحقيق غرضها في الهجوم بأن تدمر المدافعين أو تبطلهم او تنهك قواهم قبل أن تتمكن قوة الصدمة من القيام بالخرق . كما تستطيع تحقيق هذا الغرض في الدفاع بأن توقف المهاجمين وتعرضهم لخسائر مادية تتجاوز حدود امكاناتهم او حدود التضحية المقبولة بالنسبة لهدف معين ، وتمنعهم بالتالي من تحقيق هدفهم . أما الصدمة فانها تستهدف في الهجوم تحقيق الخرق لفتح ثغرة تسمح بالتغلغل والتطويق، او تحقيق الخرق بعد تطويق مسبق . وهي تستهدف في الدفاع اجراء الصدمة المعاكسة لتدمير قوى العدو المتغلغلة في العمق ، أو فك التطويق في الحالة التي ينقلب فيها الدفاع الى جزر مطوقة وسط البحر الهجومي .

وتزداد القدرة النارية في كل سلاح بزيادة غزارته النارية ، وحجم الذخائر التي يمكن ان يحملها أو يصبها في وحدة زمنية معينة أو خلال مهمة تكتيكية محددة ، كما تزداد القدرة على الصدمة كلما زادت السرعة والقدرة الحركية ومدى العمل . ولذا فان ميزات كـل سلاح تتعلق بصفاته التقنيـة ومواصفاته الخاصة التي تزيد قدرته الناريـة او ترفع مستوى قدرته على الصدمة ، وهذا ما يحدد في النهاية استخدامه للنار او الصدمة أو لهما معا ، خاصة وأن قوة الصدمة مرتبطة الى حد ما بقوة النار القادرة على الحركة . بيد ان القوات المسلحة لا تستخدم سلاحا واحدا لتحقيق الهدف فهي بحاجة في الهجوم والدفاع كما رأينا لنار وصدمة ، الأمر الذي ينبثق عنه تعاون الصنوف وتنسيق عمل عدد من الاسلحة لتنفيذ مهمة ما .

من هنا نتبين ان السلاح نفسه وما يتمتع به من ميزات لا يضعه بشكل نهائي في زمـرة الاسلحة « الهجومية » او « الدفاعية » . ولكنه يضعه في زمرة اسلحة النار او اسلحة

الصدمة او اسلحة النار والصدمة التي تستخدم في مهام محددة بالزمان والمكان والغرض يضمها كلها تنسيق وتعاون تام وسط تكتيك هجومي او دفاعي لخدمة استراتيجية هجومية او دفاعية . وهنا لا بد من طرح عدد من الامثلة الملموسة لايضاح الفكرة .

لنأخذ **الدبابة** مثلا ، انها سلاح نار وصدمة ، وهي تجمع قوة النار وسرعة الحركة والقدرة على المناورة . ولكن هل هي سلاح دفاعي ام هجومي ؟ انها تستخدم في الهجوم اذا ما جمعت داخل تشكيلات كبيرة مدرعة (الوية ــ فرق ــ فيالق ــ جيوش) وتكون مهمتها في هذه الحالة الخرق واستثمار النصر . كما تستخدم في الدفاع اذا ما كانت تشكيلاتها صغيرة موزعة على وحدات المشاة ، وكانت مهمتها المشاركة في السدود النارية والقيام بالهجمات المعاكسة . **والمدفع** صالح للاستخدام في الهجوم لدعم القوات المتقدمة برمايات التمهيد ورمايات المرافقة كما انه صالح للاستخدام دفاعيا عن طريق خلق السدود النارية الثابتة والزاحفة وتنفيذ رمايات معاكسة للتمهيد قبل انطلاق هجوم العدو . وهنا تبرز فروق تقنية بين المدافع المقطورة والمدافع المحمولة ذاتية الحركة ، فالنوع الثاني اقدر على الحركة ومرافقة الهجوم وخاصة اذا كان هجوما مدرعا ؛ ولكن هذا لا يعني ان الاول عاجز عن المشاركة في الهجوم بفاعلية . **والمدفع المضاد** للطائرات سلاح هجومي ودفاعي لانه يحمي سماء المعركة هجومية كانت ام دفاعية . وتستطيع الدبابات المضادة للطائرات مرافقة الدبابات المنقضة وحمايتها من الخطر الجوي بشكل افضل من المدافع المضادة المقطورة ، ولكن استخدام كلا النوعين ممكن هجوميا ودفاعيا . **والصاروخ المضاد للطائرات** سلاح يستهدف الحماية ولكن من المتعذر اعتباره سلاحا دفاعيا بحتا ، لانه يستطيع حماية المنشآت الهامة ، والمدن ، ومراكز التجمع .. الخ . ولكن مدى عمله (٢٠ ــ ٢٨ كيلومترا) يسمح له بالمشاركة في بداية اية عملية هجومية لتغطية سماء قاعدة الانطلاق وسماء حدود المهمة الهجومية اليومية (اذا كان الهجوم في أرض عادية) ولتغطية عملية العبور وحماية سماء رأس الجسر بعد العبور (اذا كان الهجوم يتم مع عبور مجرى مائي) . **والطائرة القاذفة** اداة صالحة لضرب تجمعات العدو ، وخطوط مواصلاته ومراكز قياداته ونقاطه الحساسة العسكرية والاقتصادية سواء كان العدو مهاجما ام مدافعا . وينطبق هذا القول على الطائرة القاذفة التكتيكية او الاستراتيجية اذ لا تختلف المهمات هنا الا في عمق الاهداف وطبيعتها والاثر المطلوب من ضربها وهل هو اثر تكتيكي ام استراتيجي . اما **الطائرة المطاردة** فهي قادرة على حماية القاذفات الصديقة المهاجمة ، او التعرض لقاذفات العدو . ومهمتها حماية القوة الجوية الضاربة . فاذا كانت مهمة هذه القوة اساسا دفاعية غدت المطاردات سلاحا دفاعيا يحمي القدرة الدفاعية ، واذا كانت القوة الضاربة تمارس الهجوم غدت المطاردات سلاحا يحمي القدرة الهجومية ، وغدت بالتالي سلاحا هجوميا . وما **الطائرة القاذفة ــ المطاردة** سوى طائرة تحمل من الميزات ما يجعلها قادرة على القيام بدور المطاردة او القاذفة او المطاردة والقاذفة معا . وينطبق عليها اذن ما ينطبق على الطائرتين المذكورتين .

ويمكن الاسهاب في الحديث بهذا المجال عن كل نوع من انواع الاسلحة البرية والجوية والبحرية بدءا من البندقية وانتهاء بحاملة الطائرات وكل أنواع المعدات الحربية بدءا باللغم والبلدوزر وانتهاء بالرادارات واجهزة الاشعة تحت الحمراء لنتوصل في نهاية المطاف الى التأكيد بانه ليس هناك سلاح « هجومي » او سلاح « دفاعي » بل هناك اسلحة نار واسلحة صدمة واسلحة نار وصدمة تستخدم كلها بتكامل مطلق مع المعدات لتخدم الهجوم او الدفاع وفق الخطة الاستراتيجية العامة وتفصيلاتها التكتيكية التنفيذية، لان الاستراتيجية وما ينجم عنها من تكتيكات هي التي تحدد طابع الحرب وصفتها الهجومية والدفاعية .

ان حجم السلاح ، وحجم القدرة النارية ، ومدى التفوق المحقق ، ومستوى الاستيعاب التكنولوجي للسلاح هي العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية اي تحدد ما اذا كانت الاسلحة المتوفرة كلها ستوضع موضع الهجوم او الدفاع . والحصول على سلاح هجومي لا يعني الحصول على نوع محدد من الاسلحة ، بل يعني الحصول على تفوق معين بالاسلحة يسمح بالانتقال من الدفاع الى الهجوم . ولا يمكن توجيه النقد الى نوع السلاح السوفييتي المقدم للدول العربية . وكان الاحرى بالنقد ان يوجه الى حجم هذا السلاح ... وهنا نستطيع ان نتساءل هل كان من الممكن الحصول على الحجم الهجومي من السلاح (الحجم المتفوق على ما يملكه العدو) في ظل الوضع الدولي الحالي ، وفي ظل التعهد الامريكي المطلق بدعم اسرائيل بالاسلحة والمعدات لتبقى متفوقة على القوات العربية بشكل مستمر ؟ وهل ينبغي ان نحاول البحث عن هذا الحجم الهجومي عن طريق زيادة السلاح الذي تستطيع الدول الكبرى التحكم به سلبيا او ايجابيا وفق استراتيجياتها الخاصة ام ان علينا ان نحقق الحجم الهجومي بزيادة القوى المعنوية والايديولوجية والزخم الثوري وكل ما لا تستطيع الدول الكبرى التحكم به ؟ ان الرد على هذين السؤالين يضع المسألة كلها على الطريق الصحيح الواضح لحل مسألة التفوق العسكري الاسرائيلي واساليب مجابهته على المدى البعيد .

الاستعاضة عن السلاح السوفييتي :

ولنعد الان الى المحاولات العربية للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح اخر عن طريق الصنع او الاستيراد . ولقد بحثت امكانية صنع الاسلحة في اجتماعات رؤساء اركان الجيوش العربية ، وقدمت التوصيات لوزراء الدفاع العرب أكثر من مرة ، وكان اخرها واكثرها تحديدا توصية رؤساء اركان الجيوش العربية الذين اجتمعوا في القاهرة في كانون الاول من عام ١٩٧٢ واقترحوا تخصيص ٢ ٪ من دخل كل دولة من اجل انشاء هيئة لانتاج الاسلحة والمعدات اللازمة للجيوش العربية . وتتلخص فكرة التسليح الذاتي اساسا في محاولة الافادة من رؤوس الاموال العربية الكبيرة المجمدة في سبيل بناء صناعة حربية (على غرار الصناعة الحربية الاسرائيلية) تؤمن مطالب القوات العربية، وتحرر الارادة العربية بالتالي من ضغوط الدول العظمى وتحديداتها السياسية — الاستراتيجية المتعددة .

وبالرغم من اهمية هذه الخطوة واثرها الكبير على مستقبل الصراع ، فان من المؤكد ان الدول العربية ستجد ، كما ستجد جميع الدول النامية ، صعوبات هائلة في مجال التصنيع العسكري . فاذا استثنينا الصعوبات المالية التي يمكن حلها برؤوس اموال الدول العربية البترولية وجدنا ان من اهم الصعوبات المنتظرة : تدني المستوى التقني القاعدي في الدول النامية ، وانعدام الخبرات المتراكمة ، والحاجة الى مصانع متطورة ومخططات وتصاميم لا تملكها سوى الدول المتقدمة ولو كان المطلوب اعداد سلاح عادي لتسليح الجماهير ولشن حرب شعبية لخفت الصعوبات الى حد كبير ولامكن للعرب صنع السلاح الذي يساعدهم على خوض معركة طويلة الامد . تنتهي الى نصر محتوم رغم جسامة التضحيات . اما اذا كان المطلوب تصنيع سلاح متطور ينافس السلاح الامريكي الذي تغرف اسرائيل من مستودعاته بلا حساب فان الامر أعقد من أن يحل — في السنوات العشر المقبلة على الاقل — عن طريق استخدام رؤوس الاموال العربية والمصانع والخبرات العالمية شرقية كانت ام غربية .

أما محاولة الاستيراد التي طرحت بعد خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. بشدة ثم تناقص طرحها بعد ذلك باستمرار ، فهي محاولة صحيحة على الصعيد النظري البحت . ولكن ما مدى امكانية تطبيقها العملي ؟ ان الدولتين الوحيدتين القادرتين اليوم على تقديم السلاح المتطور بشكله الارقى هما الدولتان العملاقتان الاتحاد السوفييتي والولايات

المتحدة الامريكية . ولا يمكن منافسة السلاح والمعـدات الامريكية الا بسلاح ومعدات سوفييتية . وقد يكون في هذا البلـد او ذاك سلاح او جهاز اليكتروني او آلـة محددة رفيعة المستوى ، ولكن الانتاج الحربي بمجملـه في اي بلد من البلـدان الاشتراكيـة والرأسمالية عاجز عن الدخول في منافسة شاملة مع مجمل الانتاج الحربي في الاتحـاد السوفييتي او الولايات المتحدة .

وبالرغم من سير السلاحين السوفييتي والامريكي كفرسي رهان ، وبالرغم من اندفاع كلا البلدين بشكل شبه متساو في تطوير الاسلحة والمعدات الحربية ، فان بعض الاسلحة الامريكية متفوقة على مثيلتها في الاتحـاد السوفييتي . وبصورة خـاصة القاذفات ــ المطاردة ، وحاملات الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر العملاقة ، والعربات المدرعة نصف المجنزرة ، وعدد اخر من الاسلحة والمعدات اللازمة لحـرب تقليدية محلية محدودة . ويرجع السبب في ذلك الى سببين : اولهما ان السياسة الامبريالية للولايات المتحدة ، ورغبة واشنطن في احتلال المواقـع التي انحسر منها نفوذ الاستعمـار القديم ، وشن الحروب العدوانية المحلية ضد الشعوب المتحررة حديثا او المتطلعة الى التحرر ، دون تصعيد الحرب بشكل يهدد سلامة المعسكر الاشتراكي ويستنفر قواه ويؤدي بالتالي الى صدام نووي ، دفعت الامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية الى الاهتمام باعداد الاسلحة اللازمة لمثل هذه الحروب وتطويرها وتحسينها بعد تجربتها على ارض المعارك (كوريا ، فيتنام ، الشرق الاوسط . . . الخ) ، وخلق مجموعات قتال (تاسك فورس) برية ــ بحرية ــ جوية منتشرة في كل انحاء الارض ، وقادرة على التدخل بسرعة في كل مكـان لحماية المصالح الامريكية من اي تهديد ، على حين لم تطور دول الكتلة الشرقية مثل هذه الاسلحة بسرعة كافية ، ولم تخلق مثل هذه المجموعات نظرا لاعتقادها ــ خطأ ــ بـأن سياستها السلمية لا تتطلب منها ذلك . أما السبب الثاني : فهو ان اهتمام دول الكتلة الشرقية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي بتطوير الصواريخ والغواصات الذرية ومختلف انواع الاسلحة النووية ، وتوصلها الى مستوى رفيع في هذا المجال ، جعلها متأكدة من ان أمنها لا يرتبط بحجم القوات التقليدية ومستواهـا بقدر تعلقه بقوة الردع الكامنة في اسلحتها الصاروخية ــ النووية القادرة على تهديد الولايات المتحدة نفسها بدمار شامل. بيد ان تمادي الولايات المتحدة في تهديداتها ، وعدوانها المستمر على الشعوب الصغيرة، ومغالاتها في شن الحروب المحدودة وفق استراتيجيات « العصا الغليظة » و « الرد المرن والردع المتدرج » و « الفتنمة » وتصعيد عملياتهـا الحربية المحدودة الى درجة تهـدد بخنق حركات التحرر الوطني وتؤثر على أمن المعسكـر الاشتراكي نفسه دفعا الدول الاشتراكية ــ بعد ان ضمنت امنها الاستراتيجي بجهاز متكامل من الاسلحة النوويـة الصاروخية ــ الى اتخاذ التدابير اللازمة للقيام بدورها الاممي في حماية حركات التحرر الوطني ودعمها ، اي الى الاسراع بتطوير الاسلحة التقليدية اللازمـة لمجابهة الحرب المحدودة ، وسارت في هذا المجال شوطا بعيدا ، دون ان تردم حتى الان بشكـل كامل الفجوة التي فتحتها السياسة الخروتشوفية خلال عدة سنوات .

ولنعد الان الى انصار استبـدال السلاح السوفييتي بسلاح اخـر . انهم يعرفون ان السلاح الاول المؤهل ليحل محل السلاح السوفييتي هو السلاح الامريكي . ولكن موقف الولايات المتحدة صريح واضح منسجم مع سياستها العامة واستراتيجيتها في المنطقة ، فهي تدعم اسرائيل الى ابعد مدى ، وتصر على تحقيق تفوقها المستمر عـلى العرب ، وترفض بالتالي مجرد التفكير بتسليح الدول العربية ، باستثناء بعض الدول (الاردن ، السعودية) ، التي حصلت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على عدد من الاسلحـة الامريكية لا لتعزيز القوة العربية في مجابهة اسرائيل بل لتنفيذ اهداف محليـة اخرى . والبدائل الممكنة بعد الولايات المتحدة هي الصين الشعبية والدول الغربية .

ان **الصين الشعبية** دولة تقدمية كبيرة ، تؤيد حركات التحرر الوطني ، وتقف في المعسكر المعادي للامبريالية ، لذا فان حصول العرب على السلاح الصيني لا يتناقض مع واقع الصراع وملابساته وحقيقة القوى المشتبكة فيه بصورة مباشرة او غير مباشرة . بيد ان صناعة الصين الحربية لم تصل رغم تقدمها المستمر السريع الى مستوى مجـابهة الاسلحة الامريكية في حرب تقليدية . وتستطيع الاسلحة الصينية تعزيز القوة الحربية العربية الى مدى يمكنها من المجابهة لو ان التخطيط العربي يتجه نحو تسليح الجماهير لخوض حرب شعبية طويلة الامد تعتمد على السلاح الحربي والسلاح الايديولوجي . ولكن هذه مسألة لا يمكن ان تخطر على بال اصحاب فكرة استبدال السلاح السوفييتي لانها مرتبطة في الاصـل بضرورة تبديـل بنية النظام السياسي وبنية قوته المسلحـة وتثويرهما قبل البدء بتحسين نوعية السلاح . ولو افترضنا جـدلا ان الصين صنعت — اليوم او غدا — سلاحا متطورا قادرا على مجابهة السلاح الامريكي في حرب تقليدية، فان المسألة كلها ستعود بشكل او باخر الى السؤالين التاليين : هل سيستطيع اصحاب فكرة الاستبدال الانسجام مع الخط الصيني وهم الذين اصطدموا مع الخط السوفييتي لاسباب ايديولوجية . ام ان الصدام مع الخط الصيني سيكون مماثلا للصدام مع الخط السوفييتي ان لم يكن اشد حدة ؟ وهل تتضمن استراتيجية الصين الشعبية اصلا احتمال مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وهل تملك بكين الاداة اللازمة والمرتكزات الضرورية للمجابهة في هذه البقعة من العالم ؟

ويتمثل البديل الثاني بعد الصين الشعبية في الدول الغربية المتقدمة . ولكن العودة الى التفكير بهذه الدول كمصدر للسلاح اللازم لمجابهة اسرائيل يعني العودة بشكل أو بآخر الى الخطأ السياسي — الاستراتيجي الذي وقع به العرب منـذ بداية الصراع . لان تعديل مواقف الدول الغربية من اسرائيل وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يبـدل طبيعة هذه الدول الامبريالية تبديلا جذريا ، ولم يقلب سياستها راسا على عقب ، ولم يحولها من دول معادية لحركات التحرر الى دول تدعم حركات التحرر وتؤيدها . بيد ان الحقيقة العلمية تفرض علينا ان لا نتحدث عن اوروبا كلها كجسم واحد ، وان ننظر الى كل دولة اوروبية على حدة ، مع تبيان التمايز الاكيد في مواقفها وسياساتها ذلك التمايز الناجم عن التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه . وسيقتصر حديثنا هنا على ثلاث دول اوروبية متقدمة فقط هي انكلترا وفرنسا وايطاليا ، وسنسقط الـدول الاوروبية الاخرى من البحث لعدم وجود صناعة حربية قوية فيها ، كما سنسقط المانيا الغربية رغم تطورها التكنولوجي نظرا لتبعيتها الكلية للولايات المتحدة في مجال التسليح . ولن نتطرق الى الحديث عن سويسرا نظرا لانها امتازت بصنع الاسلحـة الخفيفة التي لا تستطيع — رغم اهميتها — قلب موازين القوى بشكل فعال .

بريطانيا : في آب ١٩٧٢ ، وبعد خروج الخبراء السوفييت من ج.م.ع. ذكرت وكالات الانباء العالمية ان القاهـرة تسعى لشراء اسلحة ومعـدات بريطانية ، وكان الرئيس السادات قد اشار الى ذلك قبل عدة اشهر . واكد جوزيف غودبر وزير الدولة البريطاني النبأ في ١٨ نيسان من العام نفسه في كلمة القاها امام الجمعية العربية — البريطانية قال فيها بأن بلاده مستعدة للنظر « بعطف » الى كل طلب جديد للسلاح من الدول العربية (النهار ١٩٧٢/٨/٢) وعندمـا زار الفريق اول محمد صادق وزيـر الحربية المصرية السابق الكويت والسعودية تطرق الى بحث مسألة شراء طائرات لايتنغ البريطـانية (الانوار ٧٢/٨/٢٢) ، وبعد زيارة وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات للندن في نطاق الحملة الديبلوماسية لكسب الاصدقاء ظهرت انباء تؤكد بان مصر تنوي شراء صواريخ ارض — جو من طراز رايبر قيمتها ٥٩ مليون دولار من شركـة « بريتش اير كرافت كوربوريشن » بالاضافة الى الدبابات تشفتين والطائرة الفرنسية — الانكليزية

جاغوار (نشرتا رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٤٤ و ٥٩) . ثم أيد الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية في تشرين الثاني امكانية احتمال بيع أسلحة بريطانية لمصر ، وذكرت الاكسبرس والديلي ميل رغبة مصر في شراء اسلحة بريطانية باكثر من ١٠٠ مليون جنيه استرليني دون أن تحدد انواع هذه الاسلحة ، وهل تشمل الدبابة تشفتين والطائرة جاغوار والصاروخ رايير ام انها تقتصر على الدبابة سكوربيون والطائرة لايتننغ والصاروخ ارض — جو ماتيور .

ويمكن ، بعد تحليل كل هذه المعلومات ، ان نقول بأن العملية كلها غير جادة ولا تخرج بمضمونها عن عمليات التسليح في مرحلة ٤٨ — ٥٦ . لان الطائرة لايتننغ والدبابة سكوربيون والصاروخ ارض — جو ماتيور اقل تطورا من السلاح الامريكي الحديث . أما الاسلحة المتطورة الحديثة فلا يمكن الحصول عليها في الوقت الحاضر نظرا لان المصانع البريطانية ستقدم الى ايران فائض انتاجها من الدبابة تشفتين خلال عدة سنوات . والطائرة جاغوار لم تنتج على نطاق واسع ولا تزال في مرحلتها التجريبية . اما الصاروخ رايير فهو عاجز عن مجابهة اجهزة التشويش الاليكتروني الحديثة . وبالاضافة الى كل هذه التحديدات التكنولوجية والصناعية فان هناك مسألة مبدئية بالغة الاهمية هي ان الموقف البريطاني من مسألة الصراع يتمثل في قول جوزيف غودبر امام الجمعية العربية — البريطانية بان بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب « شريطة الا تؤدي الاسلحة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » (النهار ١٩٧٢/٨/٢) وفي تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١١ تشرين الاول ١٩٧٢ «ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تفرض حظرا على الاسلحة، ولكنها لا ترسل الى المنطقة اسلحة تخل بميزان القوى » (ملحق نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٩٢) . اذن ماذا تستفيد الدول العربية من شراء هذه الاسلحة حتى ولو كانت متطورة ذات قدرات قتالية ونارية عالية اذا كان الشرط الاول للحصول عليها هو عدم قلب موازين القوى اي عدم الوصول بالسلاح العربي الى « الحجم الهجومي » اللازم لاي هجوم عربي يستهدف التحرير او ازالة آثار العدوان على الاقل!!

فرنسا : لقد اخذت فرنسا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ موقفا متميزا عن الموقف الامريكي بالنسبة للصراع العربي — الاسرائيلي . ومن المؤكد ان مصالح فرنسا وارتباطاتها الثقافية والاقتصادية مع العالم العربي تجعل سياستها متناقضة مع السياسة الامريكية بشكل يفيد العرب ويدعم مواقفهم ، وهذا امر ايجابي لا يمكن تجاهله على صعيد السياسة . أما على الصعيد العسكري (التسليحي) فان الموقف الفرنسي يتمثل في « حظر بيع الاسلحة لدول الشرق الاوسط المشتبكة في النزاع » . وهذا يعني عدم القدرة على الافادة من السلاح الفرنسي لقلب ميزان القوى . وقد تفكر الحكومة الفرنسية في المستقبل برفع هذا الحظر ، ولكنها ستجد عندئذ معارضة قوية من العناصر الصهيونية المتغلغلة في اجهزة الاعلام واجهزة الدولة نفسها (قضية غبريال اراندا والتهديد بكشف ١٣٦ وثيقة تثير فضيحة هائلة اذا لم تبدل الحكومة الفرنسية سياستها بالنسبة لتزويد ليبيا بطائرات الميراج) . واذا استثنينا لبنان الذي يتلقى من فرنسا أسلحة محدودة لا تؤثر على موازين القوى العامة ، واستثنينا تونس ومراكش البعيدة حتى الان عن جبهات المجابهة ، وجدنا ان ليبيا هي البلد العربي الوحيد الذي يتلقى اسلحة فرنسية يمكن ان تؤثر على موازين القوى وخاصة بعد ظهور دولة الاتحاد الثلاثي ، والسير بخطى حثيثة على سبيل توحيد ج. م. ع. وليبيا .

ففي عام ١٩٦٩ اشترت ليبيا من فرنسا ١١٠ طائرات ميراج—٥،ثم حاولت الحصول على دبابات آ. ام اكس — ٣٠ ومعدات حربية اخرى خلال زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود الى فرنسا في تشرين الثاني ١٩٧٢ . ولكن ما هو الاثر العملي لكل هذا ؟

ان الطلبات الجديدة لم تلب بعد ، ولم تتأكد امكانية تلبيتها في المستقبل القريب ، كما ان ليبيا لم تستلم من طائرات الميراج المشتراة سوى حوالي ٥٠ طائرة ، وستستلم الباقي بمعدل ١٦ طائرة كل عام (اي خلال ٤ اعوام) . ومن المتوقع ان تتعرض الصفقة كلها، والصفقات الجديدة المحتملة لتعقيدات قد تؤدي الى ايقافها عندما يتحقق الاتحاد المصري ــ الليبي في هذا العام لان ذلك يجعل ليبيا جزءا من دول المواجهة التي ينطبق عليها نظام الحظر ، بالاضافة الى التعقيدات التي ستتعرض لها الصفقة اذا ما نقلت الطائرات الى ج.م.ع. قبل تحقيق الاتحاد نظرا لان في ذلك مخالفة للشرط الفرنسي القائل بـ « أن فرنسا ستعلق الصفقة اذا وجدت ان الطائرات تذهب الى بلد ثالث في خط المجابهة الامامي مع اسرائيل » .

ايطاليا : تأتي ايطاليا بعد انكلترا وفرنسا في مضمار القدرة على تسليح القوات العربية ، نظرا لانها اضعف منهما في مجال تكنولوجيا التسليح ، واشد منهما ارتباطا بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . لذا فان قدرتها على تقديم اسلحة متطورة تقلب موازين القوى قدرة معدومة تقريبا ، وهي مستعدة ــ كما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في آب ١٩٧٢ ــ لان تقدم لليبيا عربات مصفحة من طراز م ــ ١١٣ ، ودبابات امريكية قديمة ، وطائرات هليكوبتر ، ولكنها غير مستعدة لتقديم دبابات ليوبارد .

والخلاصة : ان العودة الى التفكير بالحصول على السلاح من الدول الغربية بغية الصراع ضد اسرائيل عمل اعرج يتناقض مع الفهم الحقيقي لاستراتيجية الغرب ودور اسرائيل في هذه الاستراتيجية وهو يعود بنا الى متاهات ما قبل مرحلة كسر حصار السلاح . والمصدر الوحيد المؤهل لتقديم الاسلحة للدول العربية بغية متابعة نضالها التحرري الوطني هو الصناعة المحلية والدول المعادية للامبريالية والمؤيدة لنضال الشعوب من اجل التحرر الوطني ، اي الاتحاد السوفييتي والصين ودول اوروبا الشرقية . واذا كان السلاح الحربي (المادي) المستورد من الدول الاشتراكية معرضا للخضوع لتحديدات استراتيجية هذه الدول ولفهمها لطبيعة الصراع العربي ــ الاسرائيلي وحجمه واهدافه ، فان السلاح الايديولوجي (المعنوي) لا ينبع الا من أرض العرب ، ولا يخضع الا لارادتهم ، ولا يمكن للقوى الخارجية التأثير عليه والحد من اندفاعه وتصاعد زخمه الا بشكل جد محدود .

ان معركة التحرير بحاجة لقلب موازين القوى ، وخلق القوة الهجومية بشقيها المادي والمعنوي . واذا كان التأثير الخارجي على الشق المادي ممكنا فان هذا التأثير على الشق المعنوي شبه مستحيل . وعندما يتم الحصول على **الحد الاقصى الممكن** من الشق المادي ، **والحد الاقصى الواجب** من الشق المعنوي تصبح القوة الهجومية في وضع يؤهلها لشن حرب تحرير شعبية ــ ثورية . وهنا لا بد لنا من ان نكرر حقيقة اكدناها اكثر من مرة ، وهي انه ينبغي عدم التحدث عن حرب شعبية ــ ثورية الا بوجود أداة هذه الحرب المتمثلة بجيش شعبي ــ ثوري . وان الشرط الاول لوجود هذا الجيش هو وجود نظام شعبي ــ ثوري . وكل حديث عن الحرب الشعبية ــ الثورية وجيشها دون ربط ذلك بوجود النظام الشعبي ــ الثوري عبارة عن فسيفساء لفظية لا تصمد لحظة واحدة امام حقائق المعركة وتحدياتها .

القبعـــة والنبي

غسان كنفاني

تنشر شؤون فلسطينية هذه المسرحية التي لم تنشر حتى الان والتي كان الشهيد غسان كنفاني قد كتبها في مطلع العام ١٩٦٧ .

ملاحظات المؤلف :

تترك هذه المسرحية للمخرج حرية مطلقة في التصرف ، والملاحظات التالية ينبغي ان تحمل على محمل الاقتراحات ، بما في ذلك دمج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

١ ــ المسرح : طاولتان متشابهتان يفصل بينهما حاجز حديدي يوحي بقفص الاتهام ، على انه ينبغي ان لا يكون هذا الحاجز بارزا بطريقة تجتــذب النظر للتركيز عليــه . القفص هذا مكون من ضلعين ، الضلع الذي يفصل بين الطاولتين ، والضلع الــذي يفصل بين طاولة المتهم والجمهور ، وهذا الضلع بالذات قابل للحركة ، بحيث يــدور على مفصله المربوط الى الضلع الاخــر بسهولة ، وبوســع حركة من هذا النوع ، ببساطة ، ان تجعل طاولة المحكمة وكأنها داخل القفص والطاولة الاخرى (طــاولة المتهم) طليقة .

نصف المسرح الذي تشغله طاولة المحكمة يوحي بالجدية والعراء ، لا ديكور ولا اي شيء يوحي بميزات خاصة . الطاولة عارية وفي احد دروجها يوجد حبل .

نصف المسرح الاخر ، الذي تشغله طاولة المتهم ، له شخصية المنزل المتواضع ، في صدره باب ينفتح على شرفة هي في الوقت ذاته المدخــل الى « المنزل » ــ حــاجز الشرفة يبدو بوضوح للمشاهد حين ينفتح الباب .

٢ ــ الاشخاص : المتهم شاب في ملابس عادية . يكون في معظم المسرحية دون قميص، ويبدو بقميصه الداخلي طبيعيا للغاية .

رقم ١ ورقم ٢ شخصان متشابهان ، انيقان دون افراط ، ودون ما يوحي بالرسمية . صوتاهما ــ بصفة عامة ــ حياديان وميالان للتقريرية .

السيدة : شابة جميلة وانيقة ووالدتها مبهرجة قليلا ومتصابية وذات مظهر عدواني الى حد مــا .

ساعي البريد يلبس ملابس عادية ويتميز بقبعة رسمية فقط ، ولا يحمل حقيبة ، وشديد الفضول .

٣ ــ الشيء : محور اساسي ، ولذلك فتصميمه ينبغي ان يخضع لشروط لا مفر منها اولها ان لا يكون ، باي حال من الاحوال ، معدنيا ، والا يمت بأية صلة لشكل يشبه الانسان او الحيــوان او النبات الشائع . لونــه اسود وبالوســع ادخال اللون البنفسجي . ذو مظهر اقرب للقماش او المطاط وتكوينه يتميــز بفروع مثــل اوراق الشجر العريضة فوق قبة ــ سوف يستعمل فيما بعد كقبعة مبتكرة ــ اما تحريكــه

لثمة وسائل عديدة لذلك ، ابسطها كما يبدو ان يحرك عبر ثقب في الطاولة التي لن يبرحها تدخل منها يد لرجل يجلس تحتها ولا يظهر على الاطلاق ، اما الفروع فيمكن ان يعتمد في تحريكها على اهتزاز لنوابض تكون داخلها .
وفي كل الحالات : لا ينبغي ان يوحي « الشيء » باي علاقة مع اي تكوين شائع ، كما لا ينبغي ان يوحي باي شيء فكاهي او مضحك .
وبالنسبة لصوته فان اقرب التصورات هو ان « ينطق » بواسطة مسجل . الصوت ينبغي ان يكون واضحا للغاية ولكنه غير طبيعي تماما ، بوسع الرجل الذي سيتولى تحريك الشيء الاشراف على المسجل ايضا .
الشرطي : استعملت هذه الكلمة في وصف الرجل الذي سيكون عليه ، دون النطق بكلمة واحدة ، تحريك الحاجز بين الفينة والاخرى . لا ملابس رسمية ولكن صرامة الرجل الرسمي المكلف . ولا تعاطف ، وغالبا لا يلفت نظر اي من اشخاص المسرحية ولا يقاطع احداثها وحوار ابطالها . من الافضل ان يجلس هذا « الشرطي » في مقاعد المتفرجين الاولى ويتحرك منها الى المسرح ويعود اليها ، وكذلك فان وجوده على طرف المسرح الاقصى ، الاقرب للجمهور ، ممكن بشرط الا يلفت وجوده نظر احد الا حين يتحرك . ينبغي ان ينسى تماما حين لا يكون ثمة ما يفعله ، ولكنه ابدا لا يدخل او يخرج من الكواليس .
الضوء : سيتزايد دور الضوء باطراد كلما اقتربت المسرحية من نهايتها ، ولا ضرورة هنا لملاحظات اكثر من تلك التي سترد في السياق فيما عدا الاشارة الى ان تركيز الضوء على احد نصفي المسرح ينبغي الا يخفي تماما النصف الاخر ، ومن الضروري ان تظل اشكال الاشخاص في النصف المعتم (سيلويت) واضحة الى حد ما .

*

على ان تصرف مخرج يلتقط المعنى الاساسي للمسرحية يظل من شأنه اغناء المسرحية .

(غ. ك.)

أشخاص المسرحية

المتهم . الشيء . السيدة . والدة السيدة . رقم ١ . رقم ٢ . « شرطي » . ساعي بريد .

المشهد الاول

رقم ١ : (وكأنه يكمل حديثا) اما وقد انتهينا من المحاكمة فسأصدر الحكم الان . قف كي تسمعه كما ينبغي .
المتهم : (دون اهتمام ولكن بقليل من الدهشة) تصدر حكمك ؟ انتهينا من المحاكمة ؟ (يقف) ولكننا يا سيدي لم نبدأ بعد !
رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) اسمعت ما قال ؟ يقول اننا لم نبدأ بعد .
رقم ٢ : لننته من الموضوع بسرعة .. دعنا نشنقه هنا والان .. اليس هذا هو الحكم الذي اتفقنا عليه ؟ (يخرج من درج الطاولة حبلا ويضعه على الطاولة) .
المتهم : (يدور حول الطاولة ويمسك الحاجز بكلتا كفيه) ايها السادة دعوني اذكركم باننا

لم نبدأ ! لقد قبض علي امس فقط ولم يقابلني احد طوال الليـــل ثم جيء بي الى هنا ، وكنت اعتقد اننا انما نجتمع للتعارف .
رقم ١ : ايها القاتل .
رقم ٢ : قاتل ووقح ايضا .
رقم ١ : قاتل رهيب (مشيرا الى الشيء الاسود امامه) والجثة ما تزال امامه وقد بدأ ينكر حتى قبل ان ندفنها .
رقم ٢ : .. حتى قبل ان يجف دمها ..
المتهم : دمها ؟
رقم ١ : لننسى موضوع الدم (ملتفتا الى رقم ٢) الحقيقة انه لا يوجد دم .
رقم ٢ : قتلها خنقا .
المتهم : خنقا ؟ انه شيء لا يستعمل الهواء .
رقم ١ : قتلته .. وهذا يكفي .
المتهم : قتلته ام قتلتها ؟ يا سيدي! انا اقبل حكمكم لو تقررون اذا كان هذا الشيء هو او هي .
رقم ١ : هذه مسألة لا تخص القانون . لا تخرجنا عن الموضوع . لقـــد ارتكبت جريمة قتل وهذا يكفي .
المتهم : قتل من ؟
رقم ١ : قتل هذا (مشيرا الى الشيء الاسود) .
المتهم : انظر كيف تتهرب من الموضوع !. انني اسألك (يعلو صوته ويأخذ حالة الهجوم) هل تسمع ؟ انني اسألك : ما هو هذا الذي قتلته .

[يتقدم « الشرطي » بهدوء ويحرك ضلع الحاجز المواجـــه للجمهور وينقله على محوره الى الجهة المقابلة فيبدو القاضيان الان في القفص والمتهم دونه]

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) قل له ما هو هذا .
رقم ٢ : قل له انت .
المتهم : انه شيء لا يوجد فيه دم . لا يتنفس . لا يأكل . ليس من المعروف اذا كان ذكرا ام انثى .. لقد تفحصته بنفسي ، ليس فيه شيء يمكن ان نسميـــه عضوا تناسليا .. فكيف يمكن قتله ؟
رقم ١ : ولكنه كان يحكي يا سيدي .
رقم ٢ : وكان يشرب ايضا .
المتهم : ان الاسطوانة تحكي ، وشجرة الصبار تشرب ــ هذا لا يكفي .. هل لديكـــم اثباتات اخرى ؟
رقم ١ : في الواقع لا .. ولكن هذا لا ينهي الموضوع . قد يكون مخلوقا عجيبا .. وعلى اي حال انت قتلته وقد قلت ذلك بنفسك للسيدة .
المتهم : هل ادعى احد علي ؟
رقم ٢ : ليس حتى الان .. ولكن معلوماتنا تقول ان له اخا جاء معه ثم اختفى ، وقـــد يظهر يا سيدي في اية لحظة ويطالب بدم اخيه ..
المتهم : لا يوجد دم .
رقم ٢ : يطالب بحياته اذن .
المتهم : ان الذي لا يأكل ولا يتنفس ولا يضاجع امرأة لا يمكن ان يكون شيئا حيا .
رقم ٢ : يطالب به .
المتهم : يطالب به او بها ؟

رقم ١ : الواقع يا سيدي ان الموضوع موضوع اخلاقي في الدرجة الاولى ، لنفترض ان أخاه جاء ذات يوم وطالب به .. فماذا نقول له ؟
رقم ٢ : نعم ، ماذا نقول له ؟ انها مسالة لا تهم هذا الوطن فقط ولكنها تهم العالم بأسره.
رقم ١ : تهم الكون كله في الواقع .
رقم ٢ : (ينظر بحسرة الى الشيء الاسود) لقد جاء المسكين من كوكب اخر فقتلته انت!
المتهم : (يبكي) انا اكثر حزنا عليه منكم !

[يتقدم الشرطي فينقل الحاجز فيصبح المتهم في القفص من جديد]

رقم ١ : [بصوت عال] اذن لماذا قتلته ايها المجرم ؟
رقم ٢ : ايها المجرم .
المتهم : لقد مات وحده .
رقم ١ : ولكن انت السبب في ذلك .. اعترف .
رقم ٢ : اعترف فورا [يرفع الحبل ويلوح به]
المتهم : انني ارفض هذه المحاكمة ... صحيـــح انني حزين [يبكي] ولكن هذا لا يعني انني القاتل .. [ينتعش] ثم من هذا الذي قتل لا ما هو اسمه أو اسمها ؟ كيف قتـــل ؟ تصوروا لو انكما قررتما قتل كل حزين في هذا العالم .. لن يبقى غيركما . ثم ستحزنان انتما لانكما ستكونان عندئذ وحدكما ، وسيقتل احدكما الاخر .
رقم ١ : هذا صحيح .. ولكن امامنا جريمة ويجب ان ننتهي منها .. ان القوانين قادرة على تغطية كل شيء ..
المتهم : ولكنكما لم تنظرا في القضية .. لم تسمعا الشهود .. لم تتركاني ادافع عـــن نفسي ..
رقم ١ : ان الجريمة واضحة ليست بحاجة الى اضاعة الوقت .. لم يعرف هذا الشيء أحد غيرك .. فمن اذن يقتله ؟ كيف يمكن ان يقتل انسان ما شخصا لا يعرفه ؟
رقم ٢ : [المتهم] لقد احرجك هذه المرة ووضعك في الزاوية .. لماذا لا تجيب ؟
المتهم : اننا في الواقع نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : [يقهقه] لقد اوقعناك في الفخ ايها القاتل .. لقد ضحكنا عليك وسحبنـــا منك الاعتراف الكامل ربما لانك غير خبير في هـــذا الموضوع ، فهذه اول جريمة ترتكبهـــا في حياتك وانت لم تكن قاضيا في حياتك ولا مرة واحدة .. وهكذا استطعنـــا استدراجك بسهولة ... كنت تقول قبل قليل انك لا تعرف هذا الشيء . لا تعرف اسمه ولا اذا كان شخصا او شيئا ولا من هو ، ولا اذا كان ذكـــرا ام انثى ، اي انك لم تكن تعرفـــه .. ولذلك بالذات قتلته .
رقم ٢ : [مبتسما] ذلك لاننا ــ كما قلت انت بنفسك ــ انما نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : ان القانون ضدك . يجب ان تعترف بذلك .
المتهم : اعترف .. ولكن يجب ان تستمعا الي ..
رقم ١ : باسم اي شيء يجب ان نستمع اليك ؟ باسم القانون ؟
المتهم : لا .. باسم الفضول ايها السادة . [يقوم من مكانه ويتجه الى الحاجز] .
رقم ١ : الفضول ؟
رقم ٢ : (ينظر بتواطؤ الى رقم ١) ان وجهة نظره صحيحة ... باسم الفضول .
رقم ١ : انني اذن اسمح لك بالكلام باسم الفضول ... ولكنني سأنبهك مسبقا الى ان هذا لن يغير شيئا من الحكم .. ان الفضول شيء رائع ولكنه غير قانوني .

[يعود المتهم الى مقعده ببطء ، وفي اللحظة ذاتها تصعد « السيدة » درج الشرفة وتبدو عبر الباب المفتوح متجهة نحو المتهم الذي يصل الى كرسيه ويجلس عليه باسترخاء ــ يخفت الضوء الموجه عـــلى

القاضيين حتى يبدوا شبحين غامضين ـ تدخل السيدة ، بشيء من الغضب] .

السيدة : [ترمي حقيبة يدها على الطاولة وكذلك قفازيها وتبدأ بالمشي عبر الغرفة بغضب ، ثم تقف وتنظر نحوه] : يبدو ان علينا ان نستسلم اخيرا . وذلك بسبب جبنك وجبني معا . فدعنا نسوي المسألة بهدوء .

المتهم : اية مسألة ؟ مسألة الجنين ؟ مسألة الدين ؟ مسألة المال ؟ مسألة أمك ؟

السيدة : كل هذه المسائل .

المتهم : لنبدأ بمسألة الجنين . يجب ان يموت بالطبع .

السيدة : نقتله بالمناصفة : مئة ليرة منك ومئة مني .

المتهم : ليس لدي مئة قرش اشتري بها رغيفا . .

السيدة : والحل ؟

المتهم : اقذف بك عن الدرج ، او نتزوج .

السيدة : الزواج مستحيل . . لان . .

المتهم : لانني لا استطيع ان اعيل قطة ، ولانني لا اريد ان استبدل ديانتي كما تستبدلين معطفك ، ولان الحب وحده لا يستطيع مهما بلغت حرارته ان يخبز رغيفا . . . ان امك رائعة في اكتشاف النواقص .

السيدة : انت في كل مرة تقول هذه الاشياء ذاتها .

المتهم : انت في كل مرة تقولين هذه الاشياء ذاتها .

السيدة : [بلطف مفتعل] قل شيئا جديدا هذه المرة فقط يا حبيبي . . .

المتهم : [يرق] لنتزوج ! سأخطفك ونطير ويرضخ الجميع . . ان العالم واسع ومليء بالفرص .

السيدة : مليء بالفرص ! هل تستطيع ان تقول لي ما الذي قضى عليك الا هذا الهراء ؟ انت تنتظر ان يسقط عليك من السقف عمل مثلما تقدم الكعكة للاطفال . . ان العالم صغير . انه امي وغرفتك ومئتا ليرة . . هذا هو العالم .

المتهم : انهم يحاولون الهبوط على القمر ايتها الجميلة الغبية .

السيدة : ستكون اكثر سعادة لو استطعت ان تهبط السلم ، وتجرؤ على المرور من أمام دكان اللحام . . لقد سألني عنك الان .

المتهم : واذن ؟

[يضيء النور فجأة نصف الغرفة الاخر حيث يجلس القاضيان . ولكن السيدة تواصل التصرف وكأنها غير شاعرة بهذا الذي طرأ] .

رقم ١ : قل لي . . هل قتلت الجنين ؟

المتهم : [يلتفت اليه ببرود] كل الذي يهمك هو ان تصطاد لي تهمة جديدة . . لماذا لا تبحث معي عن حل لهذه القصة التعيسة ؟

رقم ٢ : انه في مأزق حقا ، دعنا نرى كيف سيتملص .

رقم ١ : كيف انتهى بك الامر اذن ؟

المتهم : [فيما يتكلم تكون السيدة ، التي تبدو في اللحظة ذاتها تتكلم بغضب ولكن دون صوت تلم حقيبتها وقفازها وتخرج من الغرفة بحيث تختفي وراء حاجز الشرفة في اللحظة التي ينتهي فيها هو من الكلام] لقد تعلقت المشكلة هنا . مثلها كل يوم . غضبت وصرخت وشتمت وازدادت كراهية لي . حسنا لنقل ان حبها لي تناقص عن ذي قبل ، مثل كل يوم . ايها السادة ، لقد احببتها حقا . . ولكن لم يكن باليد حيلة . اعتقد انها قصة تحدث كل يوم مع كل شخص . . ولكن هل يعني ذلك انها غير مهمة ؟ انظروا كيف

صارت حالتي ! كنت اشعر انني افقد اخر شيء لي في العالم .. يا الهي كم صرت تعيسا ! [ينظر صوب الباب ، حيث اختفت السيدة] .

رقم ٢ : [مخاطبا رقم ١] لنكن حذرين .. انه يحاول ان يخرجنا عن الموضوع ، انه يستدر دموعنا ليخفي كفيه الملوثتين .

رقم ١ : ليستا ملوثتين في الحقيقة . تذكر . لا يوجد دم . [متجها الى المتهم] والان .. انس ذلك كله .. نريدك ان تحكي عن الجريمة .

المتهم : [بانكسار] هذه هي الجريمة ايها السادة .. لقد هجرتني السيدة .. هل هناك ما هو اكثر رعبا في حياة انسان كان يخبىء الحب في جيبه كسلاح اخير للدفاع عن نفسه ؟

رقم ١ : للدفاع عن نفسك ضد من ؟ هل كان ثمة من يتهددك ؟

المتهم : كل الناس . كل شيء . صاحب البيت والخباز واللحام والطبيب . الغربة والوحشة والوحدة . المرض والشقاء . الشقاء الذي لا ينتهي وفرص السعادة التي لا نستطيع ان نملأها . العمل والبطالة . الانتظار والوصول . الانكسار . الفشل . طعم الانتصار التافه . القلق . نداء الرحيل الذي لا يستجاب . الخيبة . غياب الشمس وغياب الصديق وغياب الدهشة . الموت .. يا الهي ! ان نراه قريبا الى هذا الحد وان ننتظره ليل نهار ..

رقم ١ : [صائحا] كفى ! [يلتفت الى رقم ٢] هل سجلت ما قال ؟

رقم ٢ : سجلته اختصارا .. انه يقصد كل شيء .

رقم ١ : حسنا ، والان اكمل .

المتهم : ان تصحو فتجد انك لم تفعل شيئا وان ليس ثمة ما تستطيع ان تفعله . ان تتذكر فجأة ان لحظة ما في الماضي كانت في وقتها كل شيء بالنسبة لك وانها الان مثل معلبات اللحم المفرغة والمقلوبة على قفاها .. أن ...

رقم ١ : كفى !.. انك توشك ان تبكينا .

المتهم : حسنا .. هذا كان حالي عشية مقدمه [مشيرا الى الشيء الاسود امامه] .

رقم ١ : لقد بدأت القصة الان ، انتبه .

المتهم : [يتمدد في مقعده ، فيما يغيم الضوء عن طاولة القاضيين] كنت نائما ايها السادة . مثلما تنامون جميعا . لا . مثلما ينام رجل مثلي فقط ، لقد سمعت صوتا ضئيلا على الشرفة فحسبت انني احلم .. ولكن الصوت تكرر . كان مثل استغاثة صغيرة مجهولة .. ترددت كثيرا ، ثم قمت ..

> [يقوم ببطء ، يشعل ضوءا اضافيا ويتجه نحو باب الشرفة ـــ المدخل ينظر الى الخارج بحذر . ثم يهم بالعودة ولكنه يقف منصتا بانتباه شديد ـــ نصف متشنج . حركة مجهولة صغيرة تسمع في الخارج . يعود ببطء ويختفي وراء الباب ، وبعد لحظة يعود . ذراعاه في حركة من يحمل شيئا . يتجه الى الطاولة ويضع « الشيء » الذي يحمله فوق الشيء الاسود الموجود اصلا هناك بحيث يبدو وكأنه وضعه الان . يتفحصه بدقة ويهز رأسه محتارا ، ثم يلتفت الى الناحية التي يجلس فيها القاضيان] .

.. كان منشورا على الحاجز ، كما تقع عليه كل يوم قطعة قماش معلقة على شرفة الجيران ..

> [ينتهي من التفحص ويعود بغير اكتراث الى مقعده ليسترخي ، وفجأة ينبثق الصوت : رفيعا ومعدنيا وباردا . باختصار يوحي بما هو غير انساني ولكن دون عدوانية] .

الشيء : ابعد هذا الشيء عني لاعرف كيف اراك .
المتهم : [ينتفض ويبربر يتراجع ، ثم يتقدم بحذر] .
الشيء : قلت لك ابعد هذا الشيء [يتحرك ببطء وكسل] .
المتهم : انت ؟
الشيء : ستقتلني ايها الخائف .. ابعد هذا الشيء .
المتهم : [دون ارادة] ما هو .؟
الشيء : لست ادري ... انني لا استطيع ان اراك .
المتهم : الضوء ؟
الشيء : ليكن له هذا الاسم اذا كان ينهي المشكلة .
المتهم : [يتجه الى الضوء الاضافي ليطفئه ولكنه يتوقف فجأة في نصف الطريق ــ ينظر حواليه ثم يخلع قميصه بسرعة ويرتد نحو «الشيء» ويغطيه بالقميص وينهال عليه لكما فيما ينظر حواليه مفتشا عن اداة اكثر فتكا .. مصدرا اصواتا غاضبة وغامضة] .

[تضيء طاولة المحكمة فجأة .. ويقف رقم ١ منحنيا فوق الطاولة ويصرخ] .

رقم ١ : تكاد تقتله ايها المجرم ! كف عن ضربه ! الا تسمع ؟ اني آمرك باسم القانون ان تتوقف .
رقم ٢ : [بهدوء] والا انزلنا بك اقصى العقوبات .
رقم ١ : انني آمرك ان تكف عن لكمه .

[يتوقف المتهم عن ضرب « الشيء » ولكنه يواصل الامساك به باحكام . ويلتفت صوب المحكمة] .

المتهم : اتعتقد انني انا الذي اضربه ايها القاضي ؟
رقم ١ : [يعود فيجلس] لقد رأيتك بعيني تفعل ذلك .. وها انتذا تنكر بكل صفاقة [ملتفتا الى رقم ٢] الم نره باعيننا يضرب ذلك الشيء المسكين دون سبب ؟
المتهم : من هنا يبدأ الخطأ .. اجل ! انظروا كيف تتبدل الامور ويتهم البريء !. ايها السادة ! لم اكن انا الذي ضربته !
رقم ١ : [متهكما] من الذي كان يضربه اذن ؟
المتهم : انتم ! [صارخا] انتم جميعا ايها القتلة !

[يتقدم الشرطي فيدير الحاجز الحديدي المواجه للجمهور ، يقوم بهذه الحركة دون ان ينظر اليه احد ودون أن يتوقف سياق الحوار . يصير القاضيان الان داخل القفص وتتبدل بالتالي لهجات الحوار] .

المتهم : انتم ! اجل ! انتم الذين ضربتموه ذلك الضرب المبرح .. ثم تقولون انني انا الذي فعلت !
رقم ١ : اننا لم نفعل يا سيدي ! نقسم لك اغلظ الايمان اننا لم نفعل .. وثمة شهود راوك تضربه بلا شفقة ..
المتهم : ان الانكار لن ينفعكم .. وثمة براهين قاطعة لا يحصيها العد ، والافضل ان تعترفوا ..
رقم ٢ : نعترف بماذا ؟
المتهم : بأنكم ضربتم المسكين دون رحمة ودون سبب ، وباداتموه بالعدوان قبل ان تظهر حقيقة نواياه .
رقم ٢ : ولكن انت الذي ضربته .. انظر الى كفيك .. انهما حمراوان ما زالتا !
المتهم : [يرفع كفا واحدة عن الشيء وينظر اليها ثم يلوح بها في وجهي القاضيين]

ايها المحتالون ! هذه اليد لم تكن الا اداة الجريمة ولكنها ليست هي المجرمة . انها علامة فقط . ولكن من الذي ضرب المسكين ؟ انتم بالطبع ! الا تتذكرون كم وضعتم في رأسي ، يوما اثر يوم ، ان الذي يأتي من الخارج انما يأتي بحافز الشر ؟ تذكروا ..

رقم ١ : نتذكر ماذا يا سيدي ؟

المتهم : تذكروا انكم حشوتم راسي كل لحظة بان اي شيء قادم من المجهول انما يحمل نوايا الشر معه ، وان القادمين لا بد ان يكونوا وحوشا . لم تتحدثوا ابدا عن علاقة .. تحدثتم دائما عن الغزو والقبر والمجهول المرعب الفتاك .. لم تقولوا ابدا ان المجهـول قد يكون شيئا طيبا مسكينا يمد يـده دون سلاح .. لقـد حشوتموني بالرعب وبرغبة شريرة اسمها الدفاع عن النفس ، لذلك لانكم انتم انفسكم اشرار .

رقم ١ : لقد قلنا ذلك من باب الاحتياط فقط يا سيدي .

المتهم : .. وانظر اين وصل الامر بنا ! لقد كاد احتياطكم هذا يقضي على هذا الشيء المسكين ... وكاد يؤدي الى اتهامي انا بالجريمة ..

رقم ١ : ولكنك كنت تضربه .. رأينا ذلك بأعيننا . ان الامــور شديدة الوضوح ايها السيد .

رقم ٢ : والقانون أيضا .

رقم ١ : بل أنت كنت تضربه بدافع من الخيبة . كنت انسانا مهجورا . لم تكن تستطيع ان تضرب اللحام ولا صاحب البيت ولا السيدة المسكينة التي لا تعرف حتى الان ماذا فعلت بالجنين الحرام الذي وضعته انت في رحمها [يعلو صوته . الشرطي يدوّر الحاجز مرة أخرى فيعود المتهم الى قفصه] بل انت لم تكن لتستطيع ان تفعل شيئا بما يختص بالامور المعنوية أيضا . الغربة والخيبة وما شابه ذلك ، وقد أدى بك الامر الى مرارة مجنونة جعلتك تنهال على ذلك « الشيء » المسكين الطيب ضربا ولكما وركلا دونما سبب .

رقم ٢ : بل كدت تميته قبل الاوان المخصص لذلك .

« الشيء » : [يصيح بصوت مكتوم من تحت القميص فيما يغيم الضوء بالتدريج عن قاعة المحكمة] ان ذلك افضل .. أستطيع الان ان أرى كما ينبغي .. ولكن ما الذي تفعله أنت ؟

المتهم : انني أضربك .

الشيء : كف عن هذه الحماقة ودعنا نتصرف مثلما يجب ..

المتهم : [يضربه مرة أخرى] الا تتألم ؟

الشيء : كلا بالطبع .

المتهم : وترى جيدا في الظلمة ؟

الشيء : أرى جيدا كما انا الآن ... لو رفعت هذا الشيء عني وأبعدت ما اتفقنا على أن أسمه ضوء .

المتهم : [يرفع قميصه عن الشيء ببطء وقليل من الخوف ، يذهب فيطفىء الضوء الاضافي ويعود متوجسا] من أنت ؟

الشيء : لنتفق أولا على الا يلحق أحدنا أذى بالآخر .

المتهم : اتفقنا .

الشيء : لقد احترقت مركبتي .

المتهم : مركبتك ؟

الشيء : كنت قادما للاستطلاع هذه المرة ..

المتهم : وحدك .

الشيء : كان معي رفيق لست أدري ما حل به .

المتهم : هل أرسلت خصيصا لي ؟

الشيء : كلا . قلت لك أن مركبتي احترقت وسقطت عندك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : وانت تستطيع أن تتكلم ؟
الشيء : انهم يتكلمون من خلالي معك .
المتهم : ولن تستطيع أن تعود ؟
الشيء : علي أن أنتظر . . .
المتهم : يا لحظك التعيس ايها الغريب [يقف . يفكر قليلا] غريب حقا ! لقد جئت عند رجل يكاد يموت من الجوع . . والآن سنموت معا .
الشيء : هل تعني انه ليس عندك ماء ؟
المتهم : بلى ! كثير من الماء ولكن قليل من الاكل .
الشيء : انني احتاج للماء فقط .
المتهم : وانا وحدي ولا أستطيع أن أعنى بك كما يجب . . فأنا لم أتزوج بعد ، ويبدو ايها السيد ان المرأة الوحيدة التي كانت . . .
الشيء : امرأة ؟
المتهم : اجل . . امرأة [مندهشا] الا تعرف ما هي المرأة ؟
الشيء : لا .
المتهم : الجنس الآخر ؟
الشيء : لا .
المتهم : كيف تتناسلون اذن ؟
الشيء : اننا نزرع . اذا أردت رفيقا قطعت جزءا من جسدك ووضعته في الرمل، وسينمو ويصير رفيقا . . . أو قل بالعدوى .
المتهم : مثل الشجر ؟
الشيء : ليكن . مثل الشجر . . . ولكن ما هي هذه المرأة ؟ قلت انها جنس آخر .
المتهم : المرأة ؟ آه ! انها . . اوف ! . . سيبدو صعبا أن أشرح لك . كيف اقول لك ؟ . . يا الهي . . انها شيء جميل .
الشيء : جميل ؟
المتهم : جميل . همم . . جميل ، وامور اخرى .
الشيء : اسمع . . يبدو اننا لن نستطيع التفاهم على اي شيء .
المتهم : هذا صحيح . الضوء . العتمة . القميص . الضرب . الالم . الاكل . الشرب . ثم تأتي المرأة . اننا نتحدث كرجلين في قطارين متعاكسين .
الشيء : قطار ؟
المتهم : والقطار ايضا ! . . انني اختنق . . كأن الغرفة اخليت فجأة من الهواء !
الشيء : الهواء ؟
المتهم : ان نتنفس ! . ان نتنفس ايتها الشجرة !
الشيء : اسمع ! لنضع حدا لهذه المهزلة . . اننا نحتاج الى تعارف في اول الامر .
المتهم : ان اسمي . .
الشيء : دعك من الاسماء . . الا ترى ان خلافنا يبدأ منها ؟
المتهم : صحيح . . اننا على الاقل نستطيع أن نتفاهم على خلافاتنا .
الشيء : سأحكي لك عن عالمي ثم تحكي لي أنت عن عالمك العجيب هذا .
المتهم : محاولة مسلية . ولكنها مضحكة بعض الشيء . ابدأ أنت . [يسترخي]
الشيء : ان حياتنا . . . نعم . حياتنا ، كنت ـ كنت أريد أن أقول . على اي حال ، انها على ما يرام . فنحن نملك كل شيء . نعم . كل شيء على الاطلاق .
المتهم : [يضحك بصوت عال] انك تبدو مضحكا أيها الشيء العجيب . . كيف تجرؤ على القول أنكم تملكون كل شيء وقد اكتشفت لتوي انكم لا تملكون المرأة ولا الهواء ولا الاكل ولا الضوء . الضوء . يا الهي ! هل فكرت بذلك ؟ الضوء بالذات .

الشيء : كيف يتعين علي أن أبدأ اذن ؟ اننا في موقف حرج ! فكي اقول لك ما هو عندنا يجب أن أكون على معرفة بما هو ليس عندكم .
المتهم : ان مهمتنا هنا تشبه ان نبدأ بخلق العالم .
الشيء : لا . ان خلق عالم واحد اسهل بما لا يقارن من خلق عالمين .
المتهم : أنا لا أعرف ما هو ليس عندي . وأخشى أن لا أفيدك .. وانت في حال يماثل حالي .. فكي تقول لي مثلا انك لا تعرف الضوء ينبغي أن تكون في الواقع تعرف الضوء والا كيف سيخطر على بالك أن تقول هذه الجملة ؟
الشيء : اننا في وضع يائس .
المتهم : اجل .
الشيء : ومع ذلك فان شكلك يبدو لي مضحكا للغاية .
المتهم : أستطيع أن افهم ذلك . فأنت تبدو لي مضحكا الى حد التشنج ايضا .. ومع ذلك فنحن في الواقع مكونون على نحو منطقي ، فلو كانت أصابع أكفنا ، مثلا ، أطول قليلا مما هي عليه ، لصار بوسع أي منا ان يقتلع زلعومه بنفسه متى شاء ، أما الآن فهو لا يستطيع .
الشيء : ينبغي أن تكونوا تعساء حقا حين تعتبرون ذلك انتصارا .. لماذا يريد اي منكم ان يقتلع زلعومه بنفسه ؟
المتهم : وأنتم ؟ الا يرغب واحدكم في الموت من حين لآخر ؟
الشيء : الموت . انها كلمة قديمة أسقطناها من الاستعمال ، مثلها مثل كلمة الالم ، اجدادنا الابعدون يذكرون ذلك . أما نحن فلا ..
المتهم : أما نحن فنعم .
الشيء : ماذا كنتم تفعلون اذن طوال الوقت الذي مضى ؟ نحن لم نضعه عبثا . ان الواحد منا لا يمكن أن يموت الا اذا حرم من الماء . والماء متوفر في كل مكان ..
المتهم : انكم تعساء حقا !
الشيء : تعساء لاننا لا نتألم ولا نموت ؟
المتهم : نعم .
الشيء : لا بد أن خطأ ما موجود في عقولكم . او انكم تجيدون الاحتيال بصورة فريدة !
المتهم : ان الشجار لن يجدينا نفعا .. دعنا نتفاهم .
الشيء : حين تحدثت عن الشيء الذي سميته امرأة .. كان وجهك يشرق بتوهج غريب.. ان هذا الشيء كما يبدو لي أغلى كنوزكم .
المتهم : انت لن تستطيع أن تفهم .. كيف ؟ انت لا تعرف ما هو الجنس الآخر ! بل انت لا تستطيع أن تطفىء ضوءا اذا أردت أن تختبىء .
الشيء : أنتم سعداء اذن ؟
المتهم : بالطبع .
الشيء : جدا ؟
المتهم : كفاية ، ولكن بصورة لا تستطيع ادراكها .

[يقف ويبدأ في التجول في الغرفة وكأنه يحلم فيما يتحدث بصوت شاعري . وفي الوقت المناسب يبدأ الضوء بالتوهج في غرفة المحكمة بحيث يكتمل تماما مع نهاية حديثه]

.. وكيف تستطيع أن تفهم ؟ انك لم تجرب لذة ان تلتصق بدفء المرأة ، عاريين . لا تعرف تلك الغيبوبة الراجفة كيف تهطل في العروق .. بل لا تعرف لذة ما هو اقل قيمة من هذا. ان تفرش نفسك في الشمس ، أن تنتظر الشروق . أن تمطر السماء فوق شعرك . لا تعرف . لا تعرف لحظة الذروة في اللذة ، لانها مزيج من الالم والسعادة ، كمن يضرب

على قصبة ساقه ، ولكنك لا تعرف الالم . الهواء . الضوء . بل انت لا تعرف معنى أن تحب وأن تحب . المرأة ، مرة أخرى . أنت محروم من لذة الاكل . مــن لذة الجوع المتحفز . ماذا أعدد لك ؟ الصداقة . الفرح والحزن . الوصول . الهزيمة والنصر . الخيبة أيضا . الانتصار مهما كان صغيرا . دعني أوجز لك الامر : أن تخرج ذات يوم مع امرأة تحبها وتحبك فتغتسلان بحرارة الشمس وتأكلان وأن تعودا بعد ذلك للفراش فتنجبا الاولاد . الاطفال ! أنت لا تعرف هذه السعادة أيضا .. فكيف تريد أن نتفاهم ؟

[تضيء قاعة المحكمة الآن تماما]

رقم ١ : أيها الافاك المخاتل !
رقم ٢ : أيها الكذاب .
رقم ١ : لقد كنت تخدع ذلك الشيء المسكين !
رقم ٢ : قاتل وكذاب أيضا .
رقم ١ : كنت ، وأنت تعدد للمسكين الجاهل كل هذه الامور البراقة ، رجلا مهجورا ، لا صديق له ، يكاد يموت من الجوع ، لا يجرؤ على المرور من أمام دكان اللحام ، منبوذا محطما فاشلا حزينا ... ثم كنت تخدع المسكين !.
رقم ٢ : أغلب الظن انه مات قهرا لان كل تلك السعادة فاتته .
رقم ١ : ربما كان هذا بالذات اداة الجريمة البشعة .
المتهم : يا سيدي .. تصور أن تكون في عالم مثل عالمه ... الا يذكرك ذلك بشيء في عالمك ؟
رقم ١ : ما الذي تعرفه عن عالمه أيها الدجال ؟
رقم ٢ : لا شيء .
رقم ١ : محتال .
المتهم : انهم لا يعرفون الضوء .. عالم دون شمس . لا يستطيع أحدهم أن يجلس أمام مدفأة ، ليس عند أي منهم عضو تناسلي .. ان لذلك نتائج خطيرة جدا : اذن فهــم لا يحفظون أية أغنية لهدهدة طفل ، ولا توجد في أسواقهم دكاكين لبيع لعب الاطفال .. تصوروا ، تلك الدببة اللطيفة المحشوة بالقش والقطط والثعالب والسيارات الخشبية..
رقم ١ : أنت تتحدث عن ذلك كله في الليل . بينما كنت في الصباح عازما على قذف السيدة عن السلم كي تجهض ابنك الحرام !
رقم ٢ : وتتحدث عن الضوء فيما هم يستعدون لقطع الكهرباء عن بيتك لانك لــم تسدد فواتيرك .
المتهم : لم يكن باستطاعتهم أن يمنعوني من مداعبة طفل في الطريق ، ولا من الرؤيا في ضوء الشمس .
رقم ١ : بلى . لقد قصرت في واجباتك وكان بوسعهم وضعك في السجن .
رقم ٢ : [وهو يلوح بالحبل] أو شنقك في الليل .
رقم ١ : لماذا لم تقل له ان الجنين الحرام في رحم السيدة كان يجثم بمؤخرته فوق قلبك ؟
المتهم : لقد عرف ذلك بنفسه فيما بعد ، أن امورا من هذا النوع لا يمكن اخفاؤها عن شخص يعيش معك في الغرفة ذاتها ، فبعد يومين من الاحاديث حول مختلف المواضيع جاءت السيدة لزيارتي

[يغيم الضوء بالتدريج عن غرفة المحكمة فيما تبدو السيدة عبر باب الشرفة تصعد الدرج]

كنا قد صرفنا وقتا طيبا ونحن نتحدث . باختصار أيها السادة صرنا أصدقاء ، وكان كل ما يحتاجه هو الماء

[ينهض ويحضر كوب ماء يضعه أمام الشيء ، وفي اللحظة ذاتها يرى السيدة على وشك الدخول فيتناول قميصه الذي ما يزال ملقى على الطاولة ويغطي به الشيء ويتجه لاستقبال السيدة]

السيدة : جئت معي بأمي فقد يساعد ذلك على التفاهم .

[تدخل الام]

الام : [تخاطب السيدة] قلت لك منذ البدء انه رجل دون مستواك . انظري كيف يستقبل سيدتين وهو بملابسه الداخلية . انه عديم الذوق وفي الحقيقة انه داعر . [متجهة للمتهم] انت بحاجة الى من يعلمك الادب والتهذيب ، ومع ذلك فمشكلتنا الآن اكثر تعقيدا من مجرد استقبالك لنا بالملابس الداخلية .

السيدة : والآن هدئي أعصابك . . ان الشجار ينبغي أن يأتي في النهاية . لماذا لا تلبس قميصك ؟

المتهم : لانني أشعر براحة أكثر هكذا . . أنت لم تصيري زوجتي بعد .

الام : ولن تصير .

المتهم : اذن انتهى الموضوع الذي جئت من اجله يا سيدتي ، اذن .

الام : لا . لم ينته . ولكنه بدأ . ستدفع الثمن غاليا اذا كنت قد خلعت عقلك من رأسك كما خلعت قميصك .

المتهم : [باستفزاز] ماذا تستطيعين ان تفعلي يا سيدتي ؟ ان صوتك يحمل تهديدا وانا لا أحب هذه اللهجة .

الام : ماذا أستطيع أن افعل ؟ سأعدد لك : أستطيع أن ارفع عليك دعوى . أستطيع أن أرسل لك أخاها فيذبحك ويغسل عار العائلة . أستطيع أن أنهال عليك ضربا الآن . . أستطيع أن أروي القصة لخال السيدة فيضعك في السجن حتى تموت . .

[ينبثق صوت « الشيء » من تحت القميص وكأنه صدى]

الشيء : دعوى . ذبح . عار . ضرب . سجن . . ها ها ها .

[يندفع المتهم ويضع يده مضطربا فوق القميص]

الام : [مندهشة وخائفة] ما هذا ؟ لقد سمعت صوتا .

السيدة : جاء من تحت القميص .

[تحاولان الاتجاه نحو القميص فيقف أمامهما]

المتهم : لا . . لا شيء . . انها آلة تسجيل . .

الام : أنت اذن تسجل أقوالنا لاستعمالها ضدنا . . [الى السيدة] قلت لك منذ البدء انه حقير .

السيدة : انني اتساءل من اين أحضر ثمن آلة التسجيل مع انه قال لي أمس الاول انه لا يملك فلسا يشتري به خبزا .

المتهم : [محاولا تغيير الموضوع] أيتها الجميلة . . ويا سيدتي العزيزة ! دعونا نحل المشكلة كما ينبغي ، وبأهون السبل . نتزوج . ويصير الجنين أبننا المشروع . .

الام : [مقاطعة] تتزوج ؟ انت تتزوج ؟ انت المفلس تتزوج وتتحدث عن الطفل أيضا ! الطفل الحرام الذي جاء ثمرة احتيالك على هذه المسكينة . رجل بلا أصل تريد الزواج من السيدة . اسمع أيها المحتال : يجب أن نعمل على اسقاط الجنين فورا ، ويجب أن تعيد كل رسائل السيدة اليها . وتدفع حصتك في التكاليف .

الشيء : مفلس . زواج . طفل حرام . بلا أصل . اسقاط الجنين . رسائل . تكاليف .

المتهم : اسكت أيها الاحمق !

الام : من هذا ؟ ماذا يجري هنا ؟ اننا في غرفة مجنون يا سيدة !
الشيء : لا يشتري خبزا . حقير . آلة تسجيل .
المتهم : قلت لك أسكت .
الام : أريد أن أفهم ما الذي يجري هنا .
السيدة : اعترف .
المتهم : [منتفضا تحت وطأة فكرة جديدة . يتجه نحوهما ويمسكهما بحنان من ذراعيهما ويتكلم همسا] قد يكون هو الحل .
الام : [بصوت عال] ما هو هذا الحل ؟
المتهم : اخفضي صوتك لئلا يسمع ... انه شيء ثمين . يا الهي كيف الهمتني هذه الفكرة المنقذة . اسمعوا : اذا عرضناه للبيع فقد يدفعون خمسة آلاف ليرة ثمنا له .
الام : [ساخرة] انت تملك شيئا ثمنه خمسة آلاف ليرة ؟ انني أراهن انك وضعت جواربك تحت هذا القميص القذر كي تخدعنا .
المتهم : اقسم لك بشرفي انني لا اكذب ولا أخدع ..
الشيء : شرف . كذب . خداع .
المتهم : هل سمعتما ؟ [همسا] انه مخلوق عجيب عثرت عليه .
الام : ومن أين جاء ؟
المتهم : [فخورا ومشيرا الى فوق] من هنا .
الام : ما رأيك ان تحتفظ بأربعة آلاف وتسعمئة ليرة وتعطينا الآن مئة ليرة فقط ؟
السيدة : [ببطء وقد تغيرت لهجتها] اسمعي يا ماما ... قد يكون على حق . لنعالجه في منتهى الحرص .. الم نقرأ في الصحف أمس ان جسما غريبا دخل الى الفضاء الارضي وانفجر وان شيئين مجهولين سقطا منه ؟
الام : ولكن هذا شيء واحد .
السيدة : دعونا خارج التفاصيل . هل استطيع ان القي نظرة عليه ؟
المتهم : كلا ! ان ذلك يفقده نصف ثمنه على الاقل .
الشيء : تبيعني ايها الصديق ؟
المتهم : اسكت أنت الآن .
الام : انني اقسم بكل شيء انك مخاتل قذر . محتال من الدرجة الاولى . ومع ذلك فان يومين آخرين من الانتظار لن يجعلا بطن السيدة اكبر مما هو الآن ، بحيث يظهر للعيان [الى السيدة] تعالي .

[تخرجان . يراقبهما حتى يغيبهما الباب ثم يعود فيرفع القميص عن الشيء]

المتهم : كيف حالك الآن ؟
الشيء : كالعادة .
المتهم : انت لست غاضبا من سلوكي ؟
الشيء : لقد خدعتني وها أنتذا تريد ان تفرط بصديقك الوحيد .. اتذكر كيف أقسمت امس انني شيء مهم بالنسبة لك ؟
المتهم : ولكنك سمعت بنفسك ما دار في هذه الغرفة قبل قليل .. ولو لم تتكلم في الوقت غير المناسب لكنا ، انت وأنا ، في مأمن .
الشيء : الحب ، الاطفال ، الضوء . أن تنام مع امرأة . أن تأكل ..
المتهم : [مقاطعا] كفى .. انها أمور تحدث .. [بعد قليل] هل تعتقد حقا انني سأفرط بك ؟ لقد قلت ذلك لابعد الكابوس فقط .. انت الشيء الوحيد في عالمي [مفكرا] بل أنت عالمي في الحقيقة .

[تبدو السيدة مرة أخرى عائدة على الشرفة ـ يسارع المتهم فيغطي الشيء بالقميص]

السيدة : لقد تخلصت من أمي وعدت لك يا حبيبي ..
المتهم : ما الذي تريدينه الآن ؟
السيدة : أريد أن أعتذر عن أمي . ولكنك تستطيع ان تفهم . انها امرأة عاطفية تحبني كثيرا وتخشى عليّ .. اما انا فمعك على استعداد لمواجهة طوفان برمته .. ان الامور مهما قست ستنتهي الى حل .
المتهم : بالطبع .

[صمت بارد . تنظر الى القميص]

السيدة : دعني القي نظرة على هذا الشيء .
المتهم : لا .
السيدة : متى ستبدأ الاتصال من اجل بيعه ؟
المتهم : لن أبيعه . انه صديقي . انه في الواقع عالمي كله .
السيدة : دع الامور تسير بيسر أيها العزيز .. لا تعاند . كن واقعيا . تصور كيف يستطيع صديقك مساعدتنا بلا حدود . صديقك الطيب . نتخلص من الجنين وتسدد ديونك وندخل دخولا رائعا الى حياة زوجية لا تنتهي سعادتها .. بل تصور انه يستطيع تخليصك من السجن . قال لي اللحام الآن ان جميع اصحاب الدكاكين في الحارة قد تضافروا لرفع الدعوى ضدك ... انها فضيحة حقا .
المتهم : لن أبيعه .
السيدة : أيها العزيز !
المتهم : كيف سيكون بمقدورك أن تفهمي ؟ اقول لك انه عالمي .
السيدة : انه عالم آخر ، شديد البعد .
المتهم : لا . لم يعد كذلك . انه عالمي الخاص .. دونه سأشعر بالعري .
السيدة : [ساخرة] انك عار الآن !
المتهم : أنا لا أتحدث عن القميص أيتها الغبية .
السيدة : وأنا لا أتحدث عن القميص ..
المتهم : عم تتحدثين اذن ؟
السيدة : عن كل شيء . الاصدقاء والحرية وانا . الحب والطعام والكبرياء . الراحة والقدرة على ملء فرص السعادة .. أنت الآن عار منها جميعا ودفعة واحدة .
المتهم : ليس كما تظنين !
السيدة : بلى . وأنت مكابر وعنيد . ان اصرارك على الاحتفاظ بهذا الشيء هو بمثابة اصرارك على المنفى .
المتهم : غبية .
السيدة : أنت الغبي . فكر قليلا . انه مخرجك الى العالم الحقيقي .
المتهم : لا . انه مدخلي للعالم الحقيقي .
السيدة : لو بعته لاستطعت ان تصبح ديكا قرمزيا .
المتهم : في قن والدتك .
السيدة : دع والدتي خارج الموضوع الآن ... الست ترى الامر بالوضوح الجدير برجل عاقل مثلك ؟ ما الذي ستفعله بهذا الشيء ؟ انه عديم النفع بالنسبة لك . ولو بعته لأتحت الفرصة لكسب علمي هائل للعالم كله، ولانقذت نفسك في الوقت ذاته وعدت على سجادة حمراء الى العالم ، الى الناس . الى الحب .. الى كل شيء .
المتهم : [غاضبا] لا تغرري بي . انت لا تعرفين كيف تشرق الشمس مع هذا الشيء

وكيف تتوهج خدود الاطفال وكيف تضحي المراة سعادة حقيقة . لا تعرفين كيف يصير للهواء طعم اللذة وكيف يصير بوسعي أن أمسك الضوء بيدي واتعلق به كما يتعلق الطفل بالغصن .. أجربت عمرك أن تسمعي الموسيقى معه ؟ أن تتفرجي على الالوان ؟ أن ترقصي ؟ أن تنامي ؟ أن تأكلي ؟ أن تصهلي في الحقول وعلى رمال الشواطىء ؟ أن تكوني صديقة أو حبيبة أو طفلة ؟ أو تناضلي في سبيل طمس الالم ؟ أن تبني دنيا من العواطف ؟ ان تبعدي جدران هذا العالم المزدحم عن بعضها وتمدي الهواء فيما بينها ؟ أن تسافري من أقصى الارض الى اقصاها في لحظة ؟ وقبل ذلك كله : أن تكوني حقيقية ولو مرة واحدة في عمرك ؟

السيدة : هراء ! هراء ! ان العالم الحقيقي وراء هذا الحاجز [تشير الى حاجز الشرفة] وهو طريقك الوحيد الى هناك . ضع عقلك في راسك ايها الطفل العزيز المسكين . ان هذا الشيء هو الانقاذ .

المتهم : أنه الانقاذ .

السيدة : اعرف انك تقصد عكس ما اقصد ولكن ..

المتهم : لماذا لا تكفين عن هذا الهراء فتركضي وراء سروال أمك وتغيبي من هنا الى الابد ؟ هل تسمعين الى الابد [يمسك بها ويجرها جرا تقريبا الى الباب] لا اريد أن أراك .

[يعود فيرفع القميص ــ تصدر عن الشيء قهقهة صغيرة]

الشيء : انا لست اكثر غرابة منك [يضحك بعنف] أنا لست اكثر غرابة منك !

[يحمل المتهم قميصه بغضب ويضعه فوق الشيء بعنف ، فيما يواصل الشيء قهقهته وتضيء فجأة غرفة المحكمة ويأخذ رقم ١ ورقم ٢ يضحكان بعنف .. فيما يظل المتهم واقفا يرتجف بالغضب]

« ستــار »

المشهد الثاني

● المنظر نفسه . غرفة المحكمة مظلمة ●

الشيء : يبدو لي انني سببت لك مشاكل غير متوقعة . انك مطوّق الآن .

المتهم : [قلقا] ليس تماما . اذا احتفظت السيدة بفمها مطبقا فان الامور ستجري على ما يرام ، اما والدتها فانها لا تصدق شيئا .

الشيء : انت تفضل لو ان السيدة كوالدتها ؟

المتهم : كيف ؟

الشيء : اي انها لم تصدقك .

المتهم : طبعا .

الشيء : أحيانا تبدو لي شديد التناقض ! انظر الى نفسك ! كم تحدثت لي خلال الايام الماضية عن روعة الصدق وضرورة الثقة ، ثم ها انت تفضل لو انها لم تثق بصدق كلامك !

المتهم : ان راسك ، ايها الشيء ، لا يعجبني .

الشيء : لا راس لي ، كما تلاحظ بنفسك .

المتهم : اذن كف عن نبش اخطائي .

الشيء : انني لا انبشها ، انني الاحظها فقط .
المتهم : حسنا . انني غير راغب في بدء حفلة ملاكمة معك وانت تبدو لي راغبا في الشجار الى أبعد حد . أنت ترى ، حاول أن تفهمني . انني أحاول أن أكون شيئا طيبا .
الشيء : احذر . أنت تنزلق بصورة ستنتهي بك الى أن تدق عنقك! لا تحاول أن تكون شيئا طيبا . حاول أن تكون رجلا طيبا ، ذلك انك لن تستطيع ان تكون شيئا ، مثلي مثلا . انت لا تستطيع ان تكون الا رجلا .
المتهم : هذا صحيح ، بقدر ما هو مرعب .
الشيء : مرعب حقا . انا معك . اليوم أو غدا او بعد أسبوع سيكون عليك أن تختار : هل تريدني أم تريد نفسك ؟
المتهم : الاثنين معا .
الشيء : مستحيل . ان الواحد لا يستطيع أن يكون اثنين .

[يتجه نحو الباب ويعطي ظهـره للشيء والجمهور ويحدق عبر المصراعين المشرعين الى الافق]

المتهم : ينبغي أن ننتهي من ذلك كله بطريقة ما . انظر الى هذا الافق يفرش المدى الى آخر ما تستطيع العين أن ترى . ان الالوان تأخذ فيه طعما لم يكن لها أبدا . ذلك القنديل الذي كنت أسميه شمسا . أية روعة !

[يلتفت فجأة نحو الشيء — بشيء من الغضب]

أنت لا تستطيع أن تفهم ! لا تستطيع أن تفهم . . انني ها هنا أفتح مصاريع عالم يولد لاول مرة . مليء بالدهشة . اكتشفه حبة حبة مثلما يكتشف الطفل أصابعه اصبعا اصبعا . دونك سيرتد هذا العالم الى الغبار والصدأ ؛ وسيتداعى من جديد ركاما متعفنا وراء بكارة مزقها جيش من الرواد . انك من حيث لا تدري تمنحني النبوّة .
الشيء : انت نبي مضحك اذن ، لم تستطع رسالته الرائعة ان تمتد الى اكثر من شخص واحد !
المتهم : واي شخص !
الشيء : لا تتحدث عني بهذه السخرية . انني في الواقع ما ازال أراك مضحكا وطريفا ، وأتساءل كيف تستطيع أن تحتفظ بنفسك واقفا على هـذه الصورة . . انت تبدو لي بهلوانا . الطاولة أكثر منطقا منك !
المتهم : انظر الى نفسك كيف تتحدث الي ! فيما كنا قبل لحظة فقط قد اتفقنا انك الوحيد الذي تلقى رسالة نبوتي !
الشيء : انا ؟ ها ! انت لم تفهمني اذن ! ان نبوتك لم تتجاوزك بعد . ان الشخص الوحيد الذي ينضوي تحت لواء رسالتك هو أنت نفسك ايها التعيس !
المتهم : وانت تعتقد ان هذا شيء لا قيمة له ؟
الشيء : الى حد ما .
المتهم : تصور اذن ! . . تصور ! : ان رفيقك الذي لا نعرف على اية شرفة سقط يكرر قصتك هذه في مكان ما ، بين أربعة جدران تولد من جديد في مكان مجهول لاول مرة . . ثمة شخص آخر مثلي ، على الاقل ، في هذا العالم .
الشيء : وبينكما يتكدس كون من الغبار والقطيعة والصمت !
المتهم : ربما . ولكن ليس كونا من المستحيل . . . وانت بارد مثل سطل من الثلج . . لقد راقبتك وانا أتحدث عن رفيقك الذي فقدته حين جئتما معا الى هذه الارض . . ومع ذلك فانت لم تهتز ، كأن الامر لا يعنيك !
الشيء : ربما سقط على شرفة السيدة ، ووجدته أمها في الصباح فغسلته وكوته وجعلته قبعة !

المتهم : .. وها أنت تتحدث عنه كأنه قبعة فعلا !
الشيء : قبعة ، أو نبي .. انت لا تعرف كم يجعل الناس منهما شيئين متشابهين .. ان اكثر الناس يفضل أن يضع النبي على رأسه من الخارج ، مثل القبعة .. مثل يافطة ضخمة ملونة مضيئة على واجهة دكان فارغ !
المتهم : لماذا لا تفترض أن زميلك سقط على شرفة رجل مثلي ؟
الشيء : كي لا أتوقعه . كي لا أمضي ما تبقى لي من الزمن مكوّما هنا أترقب دخوله من الباب مثلما تترقب أنت شيئا مجهولا يعينك على العالم كله .
المتهم : قل لي اذن : ما الذي تتوقعه أيها التعيس ؟
الشيء : انني مربوط اليك بتلك المصادفة الرهيبة التي ستقضي علينا معا : فقد تنتهي أنت الى قصر مزدحم بالخدم والاكل ، وأنتهي انا الى قارورة كحول على رف مختبر طموح !
المتهم : سنكون ، اذن ، متساويين ... ولكن ماذا عن رفيقك ؟
الشيء : لا توسع أشغالك . دعه في مأزقه الخاص ، والآن أعطني المزيد من الماء ..

[يتجه فيأخذ الكأس من أمامه ويذهب الى نهاية الغرفة ، وفي اللحظة ذاتها تبدو « السيدة » وهي تصعد درج الشرفة]

الشيء : بست ! بست ! انتبه !

[يلتفت المتهم فيرى السيدة ، يسرع فيضع قميصه فوق « الشيء » ويتصدى للسيدة على الباب]

المتهم : نعم ؟ الم نتفق على القطيعة ؟ لماذا تعودين ؟
السيدة : لا تحدثني بهذه الطريقة كأنك لا تعرفني . كأن ابنك لا يخفق في أحشائي .. دعني أدخل أولا .
المتهم : ليس بيننا ما يقال بعد ! لقد انتهى كل شيء !
السيدة : لا . انني لا ادفن قلبي بهذه البساطة مثلك . انني أحبك .. والآن دعني ادخل أيها الغبي ..

[يفسح لها الطريق فتدخل وتلقي نظرة جانبية على الشيء]

ما الذي حدث ؟
المتهم : بأي شأن ؟
السيدة : بشأن رجل الفضاء .
المتهم : لا يوجد رجال في الفضاء أيتها الغبية .
السيدة : أيا كان اسمه .. ما الذي حدث ؟
المتهم : لم يحدث شيء . لقد كذبت عليك منذ البدء . كنت قد قرأت الخبر الذي قرأته انت عن جسم غريب دخل الى مدار الارض فاختلقت القصة لاصرف والدتك .
السيدة : اخفض صوتك .. انها واقفة في الخارج تنتظرني وقد تسمعك .
المتهم : واقفة في الخارج ؟ أنت لا تريدين أن أرتكب جريمة قتل ؟
السيدة : لا . ستكون رجلا عاقلا ، وقد وعدتني أن تكون سيدة هادئة . انت لا تستطيع أن تمضي عمرك حبيس هذه الغرفة [تشير الى الشيء] مربوطا بخيوط غير مرئية الى شيء غريب .
المتهم : ليس ثمة أي شيء .
السيدة : [تشير الى الشيء مرة أخرى] حسنا . مربوطا الى وهم .
المتهم : أنت اذن تريدين فاتورة حتى بأوهامي ؟
السيدة : كن عاقلا أيها العزيز . لقد راجعت اليوم عالما كبيرا وحدثته عن كل شيء ..

عرض علي مبلغا يهز جبلا لو اتحت له فرصة واحدة للنظر فقط . كنت مع والدتي وقد جئنا لتونا من هناك . كانت تبكي طوال الطريق من التأثر . انه يطلب نصف ساعة فقط مقابل عشرة آلاف ليرة يدفعها لك سلفا !

المتهم : دعيه يتفحص والدتك . هذه المراة الرقيقة ، وسيستفيد أكثر مما يستفيد من تفحص اي شيء آخر .

السيدة : عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من الفضول ! هل تتصور ذلك ؟ انها فرصة العمر أيها العزيز .. انه لا يريد أخذه ، لا يريد شراءه ، فقط يريد أن ..

المتهم : ... أن يتعرف على رقم هويته ، ويتأكد من حيازته على شهادة تطعيم ضد الجدري .

السيدة : أنت تزداد عنادا ، ولكن ذلك يزيدني اصرارا .. انني لا أستطيع ان اشطب عواطفي بهذه السهولة ، ثم انني أم طفلك ، وهذا كله يمنحني حقوقا ... عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من حياتك ! أن عمرك كله لم يصل سعره أبدا الى نصف هذا المبلغ .

[تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ : [هامسا باستثارة] اقبل فورا أيها الغبي ! انها فرصتك للتخلص من الحجز على ممتلكاتك .

رقم ٢ : واذا فعلت فستتجنب جريمة قتل لا بد أن ترتكبها فيما بعد !

[ينظر المتهم نحوهما باستغراب فيما تبدو السيدة وكأنها لا تشعر بوجودهما . لحظات من الصمت ثم يخفت الضوء في المحكمة حتى تظلم]

المتهم : [للسيدة] ان عالمك رجل سخيف . كان ينبغي أن يطلب منك نصف ساعة لتفحصي أنا .

السيدة : انت على ما يرام أيها العزيز . انه العناد الذي لا مبرر له فقط . دعني ادعو والدتي للتحدث اليك .

المتهم : دعي والدتك في الخارج اذا أردت السلام في هذا العالم .

السيدة : لا تكن عدوانيا .. ستروي لك فقط ما قال لها العالم الذي راجعناه قبل قليل ، لقد حفظت كلامه المعقد غيبا .

المتهم : لا .

السيدة : لماذا لا تستمع اليها فقط ؟

المتهم : لا .

السيدة : لحظة واحدة .. ثم قل لها : لا ! اذا اردت .

المتهم : لا . منذ الآن .

السيدة : انت جبان اذن . انت تخشى ان تقنعك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : تقنعني ؟ أمك التعيسة ؟

[السيدة تتجه الى الخارج في حركة توحي بانها تريد استدعاء والدتها . المتهم يتجه الى الشيء بسرعة]

المتهم : ستظل صامتا مثل حجر .. لا تورطنا . سنعمل على الغاء القصة كلها، وسأقول انني كنت أكذب .. هل تفهم ؟

[تدخل السيدة بشيء من العصبية وتلتفت وراءها وتنادي امها]

السيدة : ادخلي يا امي . انه يرحب بك .

[تدخل الام مترددة ولكنها بشوشة وذات نيات تبدو انها ودية ولكنها واضحة التصنع . فورا يلفت النظر ما تضعه على رأسها : قبعة تشبه « الشيء » شبها غريبا وتبدو الى حد ما مضحكة . وفورا تنفجر قهقهة « الشيء » المعدنية عالية صخابة من تحت القميص .. المتهم يتحير ويتردد ويفزع ولكنه ، في محـــاولة للتغطية علـــى ضحكات « الشيء » ينطلق في قهقهة عالية مفتعلة .. فتسود الغرفة حالة من التوتر والحيرة وتتحول الام بشيء من السرعة الى طبيعتها السلبية]

الام : اقول لك دائما انه مجنون .. وانت تضعينني مرة بعد مرة في هذا الموقف المهين .. انظري اليه كيف يسخر مني ! يا الهي ! كيف يمكن التحدث الى هذا الرجل الافاك ؟ [تضحك بتوتر] صهري العزيز !

السيدة : قليلا من الصبر يا أمي .. ان الوحدة ترهقه والهموم تفتت أعصابه .. حبيبي المسكين !

الام : انظري اليه كيف يضحك . مثل المصاب بمغص قاتل .

المتهم : [بخوف] ان قبعتك تضحكني .

الام : لقد كنت دائما صاحب ذوق ريفي . انت لست الشخص الذي يحكم على جمال أو قبح اي شيء ، فاحتفظ بآرائك لنفسك .

المتهم : [لنفسه] على المسكين ان يظل صامتا طوال الوقت كي يحتفظ بنفسه حيا على رأس هذه القمامة !

[مرة اخرى « الشيء » ينفجر ضاحكا من تحت القميص فيجاريه المتهم بافتعال ويقهقه بصوت عال ليخفي قهقهات « الشيء »]

الام : انها غرفة مجانين !

المتهم : اذن لماذا لا تغادرينها ؟

الام : هذا ما سأفعله ، حتى لو كان سقفك العاري سيمطر ذهبا !

السيدة : ماما !

الام : في سبيلك فقط يا ابنتي المسكينة سأتحمل كل حظي التعس .

المتهم : ان الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بجمال قبعتك ، يا سيدتي ، هـــي أن تعرضيها للمطر بين الفينة والاخرى !

الام : [بنفاد صبر] سأعمل بنصيحتك يا بني . هل يسرك هذا ؟ اذن دعنا من القبعة ولنتحدث عن الشيء الذي قاده سوء حظه اليك .

المتهم : ليس ثمة أي شيء عندي . والواقع انكما سقطتما في خدعة . انا لا أملك ذلك الشيء قدر ما تملكينه انت ، مثلا .

الام : دعنا من الفلسفة والكلام الفارغ . ان عالما كبيرا يعرض عشرة آلاف ليرة ليلقي نظرة على ذلك الشيء الغامض مدة نصف ساعة ، وانا متأكدة ، بل انه هو نفسه قال لي ، انه سيدفع عشرة اضعاف هذا المبلغ اذا رغبت في بيع ذلك الشيء .

المتهم : مئة الف ليرة ؟

الام : مئة الف ليرة .. اقرب اليك من أصابعك ، وستكون غبيا لو تركت هذه الفرصة تمر !

المتهم : ومع ذلك بودي لو كان بوسعي أن اكسب مئة الف ليرة بهذه السهولة ، ولكن لا شيء لدي . لقد كذبت عليكما .

السيدة : بل انت تكذب الآن .

الام : ان السيدة على حق . انت تكذب الآن .

المتهم : [ناظرا للقبعة] يا للشيء التعيس ! اية نهاية !
السيدة : أيها العزيز .. لا تضيع فرصة العمر . ضع عقلك في رأسك وادخل الى العالم بالكبرياء التي تليق برجل ذكي مثلك .
المتهم : ادخل الى العالم هذا الدخول المضحك ! مثلما تدخل أمك الى حفلة كوكتيل بهذه القبعة المبتكرة !
الام : دعك من القبعة .. انك تغيظني !
المتهم : أود لو يصل غيظك الى حد تقذفيني بها غضبا !
الام : مئة الف ليرة ايها الغبي !
المتهم : بل مئتا ألف ليرة !
الام : ربما يدفع مئتي الف ليرة لو تركته يتفحص ذلك اللغز ! [تلتفت الى السيدة وتلكزها بكوعها] لقد بدأ فتاك يلين ..
السيدة : هل أدعوه ؟
المتهم : سيضحك عليكما حتى ينقلب على قفاه ، ثم يرسل بنا جميعا الى حبس المجانين.
السيدة : سأرى بنفسي [تتجه بسرعة نحو القميص فيحول المتهم دونها بعنف]
المتهم : لا تقتربي من قميصي !
السيدة : ماذا تخفي تحته ؟
المتهم : لا شيء . انني حر في أن أضع قميصي حيث أشاء .
السيدة : لا . انك تخفي تحته شيئا .
المتهم : لنفترض انني أخفي تحته قبعتي ؟
السيدة : قبعتك ؟
الام : قبعتك ؟ انت تلبس قبعة ؟ يا للمهزلة ! لو رأوك تحتها لاخذوك الى السيرك !
المتهم : ومع ذلك فهذا شغلي أنا !
السيدة : ونحن ؟ انا وانت والطفل ؟ بل انت وحدك ! حياتك وكبرياؤك وربما حريتك وسمعتك ؟.. اين ستذهب بذلك كله ؟

[ينظر المتهم الى الام قليلا . يركز بصره على القبعة ثم يبدأ — وكأنه بوحي فكرة مفاجئة — يغير سلوكه تجاهها]

المتهم : حسنا ! دعينا نتحدث كأناس متمدنين ..
الام : ذلك افضل .
المتهم : اذن استريحي يا سيدتي [يسحب كرسيا] دعيني آخذ معطفك .. [تخلع معطفها بأناقة ودلال وتناوله له] وقبعتك يا سيدتي أيضا .. [يمد يده راجفا]
الام : لا . دع القبعة على رأسي .
المتهم : ولكن خذي حريتك تماما يا سيدتي . انه بيتك . ستكونين مرتاحة أكثر دون قبعة.
الام : [بدلال] ها انتذا أيها الشقي تعود للنيل من قبعتي .
المتهم : لا . أقسم لك سيدتي . أنا الذي أعرف قيمة القبعة في الحقيقة . ولكنني أردتك أن تشعري وكأنك في بيتك . ان قبعة من هذا النوع تتعب الرأس بلا شك .
الام : معك حق ، ولكنني أفضل أن لا أخلعها .. انت لا تعرف كم تتعبني حين أضعها على رأسي ، ذلك يستغرق وقتا طويلا جدا : كلما ركزتها حيث أريد مالت الى جانب . انها لا تثبت على حال ، ولذلك فأنت لا تستطيع أن تخمن عدد الدبابيس التي اضطررت لاستعمالها كي أثبتها على رأسي ..
المتهم : أيها الشيء التعيس المعذب !
الام : ماذا قلت ؟
المتهم : لا شيء . انها كلمة اعتدت أن أقولها بلا معنى تقريبا بين الفينة والاخرى : ايها

الشيء التعيس المعذب ! ولكن لماذا لا تحاولي أن تريحي رأسك هنيهة وتخلعي هذه القبعة ؟
الام : اف ! انت تضيع الوقت في حديث غير مهم . .
المتهم : انها تعجبني في الحقيقة . . من أين اشتريتها ؟

[الام تنظر مبتسمة بتواطؤ تجاه ابنتها التي تبادلها النظرة نفسها ، وتضحكان ضحكة مقتضبة]

السيدة : انه سرنا . أنا وأمي . وقد تعاهدنا على الا نبوح به لاحد .
المتهم : حتى أنا ؟
السيدة : ترى لماذا تهتم بقبعة والدتي الى هذا الحد ؟
المتهم : اريد أن أشتري مثلها . .
السيدة : لمن ؟
المتهم : لك انت أيتها العزيزة .
السيدة : حقا ؟
المتهم : طبعا . . . أريد أن أراك دائما تحت شيء مثل هذا .
السيدة : ولكن والدتي تعتز بها الى حد لا تتصوره ، وأخشى أن لا يكون بالوسع شراء قبعة مثلها .
المتهم : اشتريها من والدتك [يلتفت الى الام] كم تريدين ثمنا لها ؟
الام : [تضحك] انني لا أبيعها . . ولكنك لو كنت طيبـــا وتعاونت معنا ومع الاستاذ العالم واتحت لنفسك قبض ذلك المبلغ الخيالي فانني أعدك أن أقدم القبعة هذه هدية لك كي تعطيها للسيدة كما ترغب . . . والآن ؟
المتهم : الآن ماذا ؟ هل ستخلعين القبعة ؟
الام : اف ! [تلتفت الى السيدة] انني شديدة الحيرة . . ويبدو انني سأنفجر وأطق !
السيدة : قليلا من الصبر يا ماما . . ان الامور تسير على ما يرام .
المتهم : اسمعوا . دعونا ننتهي من هذه المهزلة . في الحقيقة ليس لدي هنا أي شيء ، ولذلك لا تتعبي نفسك يا سيدتي . . وبالمقابل انا مهتم جدا بالحصول على قبعتك . .
الام : يا الهي !
المتهم : اسمعي يا سيدتي ، وكوني عاقلة مثلما كنت دائما : لقد جئت الى هنا كي تعقدي صفقة ، ولكن لسوء الحظ كانت افتراضاتك خاطئة . . انني أعوضك عن هذه الخيبة بصفقة أخرى فأعرض عليك شراء قبعتك . .
الام : انك لا تملك ثمن رغيف . . ثم انني أتحدث عن صفقة بمئة الف ليرة أيها الاحمق !
السيدة : [ساخرة] ما الذي تستطيع أن تدفعه ثمن هذه القبعة ؟
المتهم : أي شيء تريدانه !
السيدة : [بهدوء ، مشيرة الى القميص] نريد هذا ! هذه هي الصفقة .
المتهم : الا هذا !. [مترددا] لانه في الحقيقة لا يوجد اي شيء تحت القميص وأنا لا أريد أن أغشكما .
السيدة : نحن نقبل الصفقة دون الاستماع الى كلامك .
المتهم : ولكني لا أقبل .
الام : [تنهض بعنف] ذلك كله كلام فارغ واضاعة وقت ليس الا ! قلت لك منذ البدء انه رجل مجنون كذاب . . . اما انا فسأنفض يدي من هذه القصة ، لا اريد ان اتحول الى اضحوكة للناس . . هيا بنا . دعيه هنا يموت جوعا .
السيدة : ماما !

الام : لن ابقى لحظة واحدة . انا اعرف منك بهذا الصنف من الناس ، هيا بنا !

[تتناول معطفها وتسحب السيدة بما يشبه العنف نحو الباب .. يلحق المتهم بهما ولكنهما تخرجان . يقف لحظة مترددا ثم يصرخ عبر المصراع]

المتهم : [صارخا] امشي قليلا تحت المطر يا سيدتي .. تحت المطر بحق الاله !

[يعود فيرفع القميص عن الشيء]

الشيء : [يضحك] لقد زحزحوك قليلا .

المتهم : لا . انني في مكاني تماما . لا . في الواقع لست في مكاني . انني في وضع افضل الآن .

الشيء : صرت نبيا يفتش عن قبعة !

المتهم : بالضبط .. هل تدري ؟ انني اعبد حماتي الآن ... لقد جاءت الى هنا تحمل الحل على رأسها .

الشيء : تقول « الحل » ؟ هاهاها ! ان طموحك السخيف يعجبني ..

المتهم : ألا تفكر بانقاذ رفيقك المسكين وانزاله عن رأس تلك المرأة ؟

الشيء : لماذا ؟ ربما كان الآن في العلبة المخصصة له يضحك علي حتى الاغماء .. هل تعتقد ان مصيره أسوأ من مصيري ؟ على الاقل انه يعسكر في مكان مرتفع ويستطيع أن يرى الاشياء والامور بصورة افضل مني ...

المتهم : انت لا تطاق !

الشيء : ان حماتك تقول الشيء ذاته عن قبعتها حين تتزحلق عن شعرها .

المتهم : ولكن ألا تملك شيئا من التقدير لي ؟ على الاقل انت ترى كم اعتز بك .

الشيء : وحماتك تعتز بقبعتها .. وقد رأيت الامر بنفسك .

المتهم : اي انك لا ترى الفرق بينك وبين تلك القبعة ؟

الشيء : بلى . فرق شكلي . تلك تستر الرأس من الخارج ، وانا استر الرأس من الداخل . حماتك استعملت رفيقي لـ ..

المتهم : [يقاطعه] كفاك هراء . انني أتحدث عن حل يصلح لنا جميعا ..

الشيء : لنا جميعا ؟ انت وانا وهو والسيدة ؟

المتهم : ربما . ربما كانت السيدة فقط خارج الموضوع ، موقتا . اسمع . ينبغي في البدء ان نحصل على رفيقك بأي ثمن ، ثم نذهب جميعا الى مكان اعرفه ، لا يوجد فيه أحد . انه ارض تعيسة قاحلة كانت لجدي وأورثني اياها لانها لا تباع بنصف قرش .

الشيء : وننشىء هناك دولة .

المتهم : بالضبط . في البدء نشرع بالزراعة . زراعتك انت ، نقطع منك عرقا او عرقين ، ومن رفيقك بضعة عروق ، وهكذا نتكاثر ، ونصبح شعبا ، على الاقل لن تشكو الوحدة آنذاك .

الشيء : وانت ؟

المتهم : أغزو بكم العالم فيما بعد . ونعيد اكتشافه من جديد ... انها صفقة عادلة كما اعتقد : اعطيك عالما ها هنا والآن مقابل ان تعدني بعالم فيما بعد .

[تنتابه حمى هستيرية فيتحرك باستثارة مبالغ فيها في رقعة واسعة]

انها صفقة عادلة : انت الآن وحيد ومعذب ونهايتك مشؤومة ومهددة ولا قيمة لهـا . أليس هذا صحيحا؟ حسنا! انني أوظف نفسي عندك كالعبد، وابني لك عالما كاملا من اشياء مثلك .. ومقابل هذا أنتظر انا حتى يتكوّن عالمك وبه اغزو عالمي الضال هذا . أخلق رجالا مثلي ، عبر أشيائك . من شرفة الى أخرى ينط جنودك كما نططت انت الى شرفتي

فتقلبت كل شيء . من رجل مهزوم الى رجل مهزوم آخر ، حتى يصبح لي ، مثلما حدث معك ، شعبي وعالمي .
الشيء : انت نبي حقيقي ... ولكن ما أدراني انك لن تجعلنا نتكاثر حتى تبيعنا بالاقفاص فيما بعد ؟
المتهم : هراء ! ينبغي ان تكون قد وثقت بي وقد رأيت بنفسك ما حدث : عدني بالجنة التي أريدها أعدك بأن لا تمضي عمرك تعيسا ووحيدا .
الشيء : ستصبح اذن ملكا على حقل من القرنبيط !
المتهم : انت لا تكف عن السخرية ، ومع ذلك فانك ترتجف حبورا في اعماقك ... وفي الواقع انني أنا الذي ادفع الثمن الاكبر : اعطيك كل شيء مقابل وعد ...
الشيء : وماذا ستعطي أولئك الذين سينضمون الى مملكتك فيما بعد ؟
المتهم : عالما أفضل .
الشيء : انني على أي حال لا أخسر شيئا ، ولذلك لا رغبة عندي في المعارضة الان ، ولكن يضحكني جدا انك ستبني كونك الجميل هذا مبتدئا بقبعة .
المتهم : لا ! كن رقيقا .. قبعة على رأس حماتي نحولها ، أنت وأنا ، الى نبي مثلك .
الشيء : وهذا يعني انه يتوجب علينا ان نسرقها ؟
المتهم : لا ، نعطيها القيمة التي لا تستطيع حماتي ان تعطيها .
الشيء : ودون ذلك لا نستطيع ان نبدأ وحدنا ، أنت وأنا ؟
المتهم : بالطبع لا ، أيها الاحمق ، سينتهي بك الامر الى الجنون وحدك .. ثم .. ثم ماذا لو ضاق صدر رفيقك المشكوك مئات الدبابيس على ذلك الشعر المصبوغ فأخذ يصرخ ؟ الا يعطل ذلك كل شيء ؟
الشيء : نسرق القبعة اذن .
المتهم : تماما . هذه هي الخطوة الاهم والتي لا غنى عنها لاي منا .

[تضيء قاعة المحكمة فجأة]

رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل في الملف : جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ٢ : [دون أن يفعل شيئا] طبعا . جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ١ : وهناك جريمة أخرى سنعقد بشأنها جلسة خاصة فيما بعد .
رقم ٢ : بالطبع . جريمة الشيء حين أخفى هويته وتنكر في شكل قبعة .
رقم ١ : نوع خطير من الغش .
رقم ٢ : ولكننا الان أمام جريمة مستعجلة أكثر .. الشروع في السرقة ، ويبدو انها سرقة من ذلك النوع الذي يقتضي استعمال العنف .
المتهم : [مقتربا من حاجز القفص] لا أيها السادة ! لم يكن في النية استخدام العنف على الاطلاق .. كنا ننوي أن نصنع قبعة من قماش تشابه قبعة حماتي تمام الشبه ، ثم ننتهز أول فرصة فنستبدلها بذلك الشيء المسكين !
رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل اذن : السرقة والاحتيال بما في ذلك الغش .
المتهم : انني أرفض هذه التهمة الملفقة . ان القبعة ستظل قبعة من ذات النوع والصنف، على الاقل بالنسبة للطرف المدعي .
رقم ١ : ولكن بالنسبة لك ستصير القبعة مخلوقا ثمنه مئة الف ليرة .
المتهم : بالضبط ! ولذلك فان الامر ليس سرقة . انه مضاعفة قيمة الشيء المسروق مئات المرات ، دون ان يتضرر الشخص الذي سرق . بل انني اعتقد ان الحيلولة دون حدوث شيء من هذا القبيل جريمة ينبغي ان يعاقب عليها القانون ...

[يتقدم « الشرطي » فيدوّر الحاجز فتصبح المحكمة في قفص الاتهام

ويعود دون أن يعيره أحد أي اهتمام ، وفي هذه الاثناء يواصل المتهم كلامه كأن شيئا لم يحدث مع تغير خفيف في لهجته]

... وفي هذا النطاق أعتقد انكما تعرقلان سير العالم نحو الافضل ، وهي جريمة لا توازيها على الاطلاق عملية استبدال قبعة بقبعة مماثلة .

رقم ١ : ان هذا الموقف يا سيدي المتهم موقف شكلي ... فبوسعك ان تقول لحماتك الحقيقة ، وعندها سيكون بوسعها ان تبيع قبعتها لاول مختبر تصادفه في الطريق وتشتري بثمنها عشرين أو ثلاثين الف قبعة مماثلة .

المتهم : وهذه هي الجريمة بالضبط .. استبدال نبي واحد بعشرين الف قبعة .

رقم ١ : أليس ذلك ، يا سيدي المتهم ، افضل من قبعة واحدة ؟

المتهم : ولكنها ليست قبعة ... انه شيء مسكين ثمين استخدم بصورة خاطئة وسخيفة ومحزنة ، وقد كنت أبذل جهدي لرد القيمة اليه كما رأيتم بانفسكم قبل قليل ، وها انتم ترتكبون فورا تلك الجريمة الرهيبة فتحاولون منع حدوث ذلك .. انني أطالب بتفسير .

رقم ٢ : التفسير هو : انك ستسرق قبعة تلك العجوز المسكينة .

المتهم : لا . انتم الذين تتواطأون على خداع تلك السيدة وخداع العالم كله . كنتم تريدون من كل الرجال والنساء الذين شاهدوا حماتي أن يسقطوا ضحية تلك الخدعة القذرة فيقولون كلما مروا بها : « ما أجمل قبعة تلك السيدة ! » . في حين انها ليست قبعة . اما أنا فكنت أريدهم أن يقولوا : « ما أجمل قبعة السيدة » حين تكون قبعة حقيقية ...

رقم ١ : هل كنت يا سيدي تريد اعطاء القيمة الحقيقية للقبعة ام للشيء ؟

المتهم : للقبعة بالنسبة للسيدة ، وللشيء بالنسبة لي .. تصوروا لو أن المسكينة العجوز امتنعت عن السير تحت المطر فمات ذلك الشيء من العطش ، وجاءت ذات يوم لتلبس قبعتها فوجدتها رمادا .. أي حزن كانت ستسقط فيه ؟.

رقم ١ : انت على حق يا سيدي .. كانت ، عندئذ ، ستفقد قبعتها الجميلة ..

المتهم : اما انا فكنت اريد ان أعطيها قبعة حقيقية بالوسع غسلها وكيها وصبغها احيانا ونشرها في الشمس .. ثم ستكون أسهل للاستعمال ..

رقم ٢ : [متجها لرقم ١] انه ، نوعا ما ، على حق .

رقم ١ : [للمتهم] اننا نعترف يا سيدي بالشروع بارتكاب تلك الجريمة ، لو تفضلت فقط فأجبتنا على سؤال واحد : هل كنت تستطيع استبدال قبعة السيدة بقبعة اخرى مثلها تماما ، شكلا وموضوعا ؟

المتهم : شكلا نعم . الى حد ما بالطبع . لن يكون تشابها مطلقا ولكنه تشابه لا تستطيع الا مختبرات عالم فضائي كشف نواقصه .

رقم ٢ : [متحفزا] وموضوعا ؟

المتهم : موضوعا ؟ بالطبع لا . انني أعطيها قبعة مقابل قبعة من حيث الشكل تقريبا ... ولكن من حيث الموضوع اعطيها قبعة مقابل جنة .

رقم ١ : سرقة مع الغش .

رقم ٢ : سرقة مع الغش . بالطبع .

المتهم : لا ! لا ! لا !

رقم ١ : من أدراك ان قبعتها لم تكن جنتها الصغيرة الخاصة ؟

[يتقدم « الشرطي » مرة أخرى فيعيد الحاجز الى وضعه السابق ، بالحركة نفسها المشار اليها فيما سبق]

المتهم : ومع ذلك فأنتم تختارون ما هو رهيب حقا . تختارون ثلاثين الف قبعة مقابل ثلاثين الف نبي . فترينة مزدحمة بالقبعات بدل جيش من الرواد ... وما هي الحجة

التافهة التي تستخدمونها ؟ جنتها الصغيرة الخاصة ! جنتها الصغيرة التافهة ! جنتها الصغيرة المزورة !

[يعود « الشرطي » الذي لم يكن قد غادر المسرح تماما فيمسك بالحاجز الا انه يظل واقفا هناك مترددا]

رقم ١ : اما انت ، فتعيش على وعد ، وفي الواقع انك تسرق قبعة مقابل وعد ، فتحرم السيدة من قبعة ويظل الوعد عرضة للسقوط .
المتهم : ورغم ذلك ، فأنا لم أسرق القبعة .
رقم ١ : حاولت .
المتهم : نعم ، ولكنني فشلت .
رقم ١ : [لرقم ٢] لنحاكمه اذن على فشله .
رقم ٢ : لو فعلنا فسيغضب الى حد الجنون رغم ان دفاعه عن سرقة القبعة كان حارا ومحزنا الى حد يمكن ان نعتبر الفشل في تنفيذ تلك السرقة جريمة كبيرة .
رقم ١ : إنه يحيرنا . لا يريد ان يحاكم بمنطق القانون ولا يريد ان يحاكم بمنطقه الشخصي .
المتهم : يجب أن تحاكموا حماتي لانها أحبطت منطقكم وأحبطت منطقي في وقت واحد .
رقم ١ : أين حماتك ؟
المتهم : باعت قبعتها .
رقم ١ : لمن ؟
المتهم : لامرأة اخرى .
رقم ١ : من هي ؟
المتهم : باعتها بدورها لامرأة ثالثة .
رقم ١ : أين هي ؟
المتهم : باعتها هي الاخرى .
رقم ١ : والآن ؟
المتهم : ما تزال تباع بسرعة كبيرة . بسرعة يستعصي معها على بطل العالم في الركض أن يلحق بها .
رقم ١ : وانت ؟ ماذا كنت تفعل ؟
المتهم : كنت أركض . . ولكن يبدو ان القبعات اسرع انتشارا من الانبياء . . . فجأة صار الشارع مليئا بالقبعات من ذات الطراز ، في الواجهات ، وراء المنعطفات ، في الحفلات ، على رفوف الخزانات . . آه أيها السادة ! آه أيها السادة ! هل تتصورون ؟ كيف يمكنني العثور على ذلك الشيء المسكين في تلك الغابة من القبعات ؟
رقم ١ : وماذا فعلت ؟
المتهم : حملت الشيء المسكين [مشيرا الى الشيء الساكن على الطاولة] ووقفت على الرصيف ، وأخذنا نصفر معا لكل سيدة تضع على راسها قبعة من ذلك الطراز ، على أمل أن يبادلنا الصفير .
رقم ١ : ولم يحدث أن سمعتما قبعة من تلك القبعات تصفر ؟
المتهم : لا . ففي ذلك المساء حسبوا انني أصفر للسيدات ، واحتجزوني في الحبس بتهمة الاساءة للاخلاق العامة ، وفي الصباح توقفت عن الصفير ، فأنا لا أحب السجن بتهمة الاساءة للاخلاق حين يكون هدفي الحقيقي تحسين هذه الاخلاق .
رقم ١ : وحماتك ؟ ألم تدرك ابدا انها كانت تضع على راسها مئة الف ليرة دون ان تعرف؟
المتهم : مئة الف ليرة ؟ لقد كان يا سيدي شيئا لا يقدر بثمن ! لقد كنت أحاول أن أعرفها على قيمة ذلك الشيء وليس على ثمنه . . أتفهمون ؟

رقم ١ : [مع رقم ٢ ، في وقت واحد] لا .
المتهم : [ينظر الى الشيء على الطاولة] هل سمعت ؟ انهم لا يفهمون ! لا يعرفون الفرق بين القيمة والثمن .. المسألة بالنسبة لهما هي مسألة الفرق بين قبعة رخيصة وقبعة غالية ! [ينصرف الى « الشيء » فيما يغيم الضوء بالتدريج عن رقعة المحكمة]
الشيء : انني أشفق عليك أيها الصديق .. وأحيانا يؤنبني ضميري .
المتهم : يؤنبك ضميرك ؟ انظر الى حالتك ! ضميري انا الذي يؤنبني ! انظر كم انت وحيد ومهزوم .. اما انا فأستطيع ، على الاقل ، أن أرتد الى عالمي ..
الشيء : حتى تلك الردة صارت مستحيلة .. انت تستطيع أن تتخلص من قبعة ولكن ليس من نبي .
المتهم : ولذلك يفضلون القبعات ؟
الشيء : أجل .. ويختلفون عليها . قبعات رخيصة وقبعات غالية . انه حوار في قفص الامان ، ولكن من يجرؤ ان يضع قدمه خارج ذلك القفص ؟
المتهم : يخيل الي أحيانا انك عبء .
الشيء : أحيانا ؟
المتهم : دائما .. وها نحن لا نعرف ماذا يتعين علينا أن نفعل : فلا انت تستطيع ان تعود الى عالمك ، ولا انا استطيع ان اعود الى عالمي .
الشيء : مثل الفكرة .
المتهم : ماذا قلت ؟
الشيء : قلت مثل الفكرة ، اذا ولدت فليس بالوسع التخلص منها .. بالوسع خيانتها فقط ... ولذلك ترى كم هو سهل بالنسبة للكثيرين ان يضعوا الافكار فوق رؤوسهم كالقبعات ، ولكن دون أن يتركوها تغوص الى داخل رؤوسهم [رأس رجل يظهر وراء حاجز الشرفة متجها نحو الغرفة] .
الشيء : لقد جاءك ضيف ، اسرع .

[المتهم يغطي الشيء بقميص ، ويتجه نحو الباب] .

الساعي : برقية لك . [يتناولها] وقع هنا . [يوقع] اكتب اسم والدتك هنا [يكتب] اعطني سيجارة [يعطيه] اشعلها لي ارجوك [يشعلها] اوف ! [يمتص نفسا عميقا ويخطو الى الداخل بلا كلفة] انني اشكو من مرض خطير يتعلق بعملي ، مرض لا شفاء منه . ففي حين ان مهمتي تقتضي مني ان اكون اقل الناس فضولا فانني على العكس اكثرهم فضولا [يشير الى البرقية في يد المتهم] انني محكوم بالعذاب . [المتهم ينظر اليه بفضول] انني سريع التأثر ولكنني امين أيضا . وبعد أن أنتهي من عملي اذهب الى البيت [يقترب منه] انني اعيش وحيدا كما تعلم . واتذكر واجلس وابكي واضحك ويستثيرني الفضول واحيانا افكر . ابكي لموت سيدة فاضلة ، وافرح لارث مفاجيء ، وافكر بمعضلة ، واحسب كيف ينبغي أن يدفع قسط مدرسة ذلك الصبي الشقي الذي كتب لوالديه يشكو افلاسه . وهكذا صارت دراجتي كوكبا صغيرا . [يمتص نفسا اخر بشوق] والان : اقرأ لي البرقية .
المتهم ، [يفتح المغلف بلا وعي ، يقرأ ببرود ، ينظر حواليه بشيء من الاستثارة ، ثم يقرأ بصوت عال كأنما لنفسه] : سندفع لك فورا مليون ليرة ثمن السر الذي عندك — [ينظر الى ساعي البريد] انها من مختبر ابحاث مهم .
الساعي : مليون ليرة ؟ اقرأها مرة اخرى . تأكد من ذلك . ان احدا يضحك عليك بلا شك .
المتهم : [لنفسه] مليون ليرة فورا [مشدوها] مليون ليرة ؟

(ستار)

المشهد الثالث

[المشهدان الاول والثاني نفسهما ، الامور الاضافية هي : اكــوام من الرسائل والاوراق على طاولة المتهم ــ آلة كاتبة ايضا ــ حيوية اضافية تلاحظ بوضوح على المتهم ، المستغرق في القراءة وفتح الرسائل ...]

المتهم : ومع ذلك فانا لن اتخلى عنك ايها الصديق . اقسم لك بكل شيء . بكل قبعات العالم .
الشيء : لقد اغتاظت السيدة منك الى حد فضحت سرك الصغير . ان مختبرات العالم تتلوى فضولا .
المتهم : آخر العروض ؟
الشيء : مليون ونصف . في الرسالة التي امامك مباشرة . والشروط معقولة ، وكذلك يبدو أن سمعة ذلك المختبر سمعة جيدة ... انهم يعدون بأن يطلقوا علي اسمك حفاظا على حقوقك .
المتهم : سنكتب لهم لا . بقليل من التهذيب ، وليس كما فعلنا سابقا .
الشيء : هناك عروض اخرى : من مصنـــع للالبان المعلبة . شركـــة طيران . متحف زراعي . مصنع للطبع على الانسجة . كلية الاداب . قسم الشعر في جامعة اكسفورد . مشروع السنوات العشر للنزول عـــلى القمر . جمعية تحسين العلاقـــات الفضائية . شركة افلام هتشكوك . مؤسسة الرفق بالحيوان . المقر البابوي في الفاتيكـــان . دار نشر فرنسية . دائرة الاستخبارات الاميركية والروسية والصينية والانجليزية والفرنسية والالمانية والكوبية . دار شهيرة لعرض الازياء . مختبر الابحاث الجرثومية . مليونـــير سويسري يجمع الطرف واللوحات وخصوصا لوحات بيكاسو وسلفادور دالي . عروض اخرى اهمها من طفل في الهند ضيع في الاسبوع الماضي مخلوقه الفضائي الخاص الذي كان يربطه بخيط من القنب ، وعرض من مصور صحفي ناشىء يريد ان يحقق انتصارا يضمن مستقبله المهني . وهناك عروض من ...
المتهم : [مقاطعا] كفى . كفى ! ذلك شيء يبعث على الجنون !

[تتخذ الحركة عـــلى المسرح ، منذ الان ، طابعـــا هستيريا مختلطا ومتداخلا] .

.. ذلك شيء يبعث على الجنون [يضرب على الالة الكاتبة] .
الشيء : وعرض من فرقة للالعاب البهلوانية وترويض الحيوانات المفترسة ، يتيح لك ان تظهر معي في جميع العروض .

[يدخل ساعي البريد ، يضع رسالة ، ويأخذ ورقة ويخرج مندفعا]

الشيء : عرض جديد بمليوني ليرة من الحكـــومة الكندية ، انها بحـــاجة الى مزيد من السكان ليعملوا في اراضيها [يعود الساعي للحظة] .
الساعي : نصف بالمئة لي . عدني . [يخرج]

[تنطفىء الاضواء ، ويعم المسرح الظلام . رقعة صغيرة من الضوء تضيء فجأة الوجوه فقط على المسرح . لا تنتقـــل من وجه الى وجه ولكنها [تنفجر] فجأة على وجه ما وتنطفىء مع انتهاء الجملة] .

المتهم : لا . ان ذلك يبعث على الجنون [يضيء وجه السيدة] جنون .. جنون [يضيء وجه امها] غبي . احمق . [يضيء الشيء] مصنع لحبوب ضد الزكام مستعد لشراء الاسم [يضيء وجه المتهم] اسم مقاومة الزكام [يضيء وجه الساعي] حصتي مـــن

هذا الركض كله . [يضيء وجه المتهم] انهم يشترون ... [يضيء وجه السيدة التي تكمل] يشترون لك مستقبلا رائعا [يضيء وجه امها] لم تحلم به ابدا [يضيء وجه رقم ١] ينقذك من ورطة [يضيء رقم ٢] اولها الحجز على ممتلكاتك . [يضيء وجه المتهم ـــ مكملا] للقبض على ذلك المسكين ، كأنني مخبر سري من الدرجة الثالثة [يضيء وجه رقم ١] اخفاء معلومات لصالح البشرية . [يضيء الشيء] السعر يتصاعد : مليونان ونصف المليون [يضيء وجه السيدة] نقدا [يضيء وجه الام] وفورا . [يضيء وجه الساعي] الكف عن فتح رسائل الناس والحزن من اجلهم . [يضيء وجه المتهم] جنون ! جنون [وجه الام] جنون ! [وجه السيدة] جنون .
[تضيء غرفة المحكمة]
رقم ١ ورقم ٢ معا : جريمة قتل ، فيما بعد ، عقوبتها الاعدام شنقا .

[يضيء المسرح دفعة واحدة ، الجميع (الساعي ، رقم ١ ، رقم ٢ ، السيدة ، امها) بصوت واحد] :

الجميع : مجنون . جنون . جنون . هيا !

[ينطفىء الضوء]

المتهم : [صوته في الظلام ، ثم تضيء غرفته بالتدريج وتعود الى وضعها السابق ، هو والشيء فقط] سيدي ! [يبدأ بالضرب على الآلة الكاتبة] ابلغكم بكل سرور فرحي الشديد بعرضكم المغري لشراء ما وصفتموه بأنه سري الذي احتفظ به ، ان جهلكم بقيمة الاسرار الحقيقية يتعستني حقا ، ولذلك فأنا آسف ان ابلغكم رفضي لطلبكم ، ولكن لا مانع من ان تحاولوا مرة اخرى شرط ان تفهموا ان قيمة هذا السر ، عكس الاسرار الاخرى ، هي في ان يذاع بأقصى ما يمكن من الامانة ..

الشيء : امامك مئة رسالة على الاقل .

المتهم : [ينزع الورقة من الالة الكاتبة ويضع ورقة جديدة] سيدي : اقتراحكم لشراء اسم المخلوق الفضائي كي تجعلوه ماركة لدواء ضد الزكام لا يمكنني البحث فيه الا اذا توصلتم حقا الى دواء ضد الزكام ، الامر الذي تؤكد لي مصادري الخاصة انه لم يحصل الى الان .

[ينزع الورقة ويضع ورقة جديدة]

سيدي : اخشى ان لا يكون لجمعيتكم التي ترفق بالحيوان اي علاقة بالمخلوق الفضائي الذي هو شيء خاص [بعد هنيهة] سيدي : ان عرضكم لشراء سري الخاص كي تستعملوه في عروض ترويض الحيوانات الشرسة يتميز بقلة التهذيب والاطلاع [بعد هنيهة] ايها الطفل العزيز : ان المخلوقات الفضائية لا يمكن ربطها بخيط من القنب . ولذلك اضعت مخلوقك التعيس .. ان مخلوقا مثل الذي عندي يحتفظ به عن طريق اطلاقه . [بعد هنيهة] ان عرضكم الاخير الذي رفعتم فيه السعر الى مليوني لــيرة ونصف المليون ... [يتوقف] .

الشيء : ماذا ؟

المتهم : لست ادري ... انني متعب قليلا ... مشوش في الحقيقة ... وعلي ان اقرأ تلك الرسالة مرة أخرى .

الشيء : انت تتصرف كمليونير حقيقي ..

المتهم : لقد بدأت ، بدورك ، تزعجني ! انظر كم اضحي من اجلك ثم لا تقابلني الا بالسخرية ..

الشيء : بدأت تساوم !

المتهم : لا . وانت كاذب ، واستفزازي ايضا .. ما الذي تريده ؟

الشيء : لا اعرف .. ولكن هل تعرف انت ؟
المتهم : لا . [مشوشا] دعنا نكمل هذا الجنون غدا . انني متعب .
الشيء : انت متردد .
المتهم : لا . متعب فقط .

[تدخل السيدة ، والام ، والساعي ويقفون هناك ، حول المتهم ، دون ان يتحدثوا اليه] .

المتهم : من كان يحسب ان الامور ستصل الى هذا الحد [يلتفت نحو المجموعة] قلت لكم الف مرة لا وانتم تقولون نعم .. نعم .. نعم .. [يعود الى الطاولة ويبدأ في النقر على الالة الكاتبة ، المجموعة تتحلق حوله] سيدي . [يقرع على الآلة الكاتبة بصمت] سيدي [يعاود القرع] المخلص [يتوقف هنيهة ثم يبدأ بالقرع من جديد] آمل أن اسمع منكم قريبا [يقرع من جديد — فيما يتبادل افراد المجموعة الاوراق التي تنزعها السيدة عن الآلة] .
الشيء : [صارخا] اريد ماء .
المتهم : [دون ان يكترث] دعني ايها الغبي انهي اعمالي الان .
الشيء : ماء ..
المتهم : [يقرع على الالة الكاتبة] سيدي ، ان الملايين الثلاثة التي عرضتموها ... [يصمت] اني انتظر منكم [يصمت] المخلص [يصمت] .
الشيء : ماء [ينتصب على الطاولة] .
المتهم : [يقرع على الآلة من جديد] وبالرغم من انني اعتقد [يصمت] فان شروطا [يصمت — يواصل النقر على الآلة] فأنا الاخر [يصمت] المخلص .
الشيء : ماء ايها الخائن ! ماء [يتقوض بالتدريج] .
المتهم : [يضع الاوراق امامه ويسويها بدقة ، مستغرقا] مصنع لتعليب السبانخ — مجلة سوبرمان . حلقات تلفزيون — ها ! ها ! يا للتفاهة .

[ينهض ، يتجول في الغرفة مفكرا — المجموعة الام — السيدة — الساعي يلملمون الاوراق ، والالة عن الطاولة ويتركونها عارية ويخرجون على التوالي — المتهم يقترب من الشيء ويتفحصه ، ثم يرفع رأسه ببطء باتجاه المحكمة التي تضيء فجأة بنور ساطع] .

المتهم : لقد مات ايها السادة !

[تنطفيء جميع الانوار ثانية واحدة تعم فيها العتمة ثم تنفجر دائرة ضوء واحدة على وجه رقم ١] .

رقم ١ : قتلته عطشا . ابشع انواع الموت .

[ينطفيء الضوء في ثانية اخرى من الصمت ، ثم تنفجر دائرة ضوء على الحبل الموضوع على طاولة المحكمة ثانية اخرى] .

رقم ١ : [الصوت فقط] عقوبة الاعدام شنقا .

[الظلام مرة جديدة ... ثم تضيء غرفة المتهم الذي يبدو وهو يستكمل لبس قميصه ، متخذا الوضع الذي كان عليه في المشهد الاول] .

المتهم : انا لم اقتله ايها السادة . وقد رأيتم ذلك بانفسكم . [يضيء المسرح كله] .
رقم ١ : رأينا انك قتلته .
المتهم : [ببرود] قتلته ام قتلتها ؟

رقم ٢ : انه يعود الى لعبته الخبيثة .
المتهم : اطالب بنص قانوني واضح ، يتعلق بقتل شيء قادم من الفضاء .
رقم ١ : [لرقم ٢] اللوائح تتيح له حق طلب من هـذا النوع . [للمتهم] هذا طلب تستطيع ان تبرزه في محكمة فضائية . اما هنا ...
المتهم : انا لم اقتله ... انا استخدمت لنسيانه وادى ذلك الى موته .
رقم ١ : انت خنته ، ولذلك مات .
المتهم : موافق . على ان خيانة شيء قادم من الفضاء مسألة خاصة جدا لا علاقة لها بالقانون . انها ليست مثل خيانة الوطن ، او خيانة الزوجة ..
رقم ١ : خيانة مبادىء .
المتهم : مبادىء غير متفق عليها . مبادىء غير مقبولة الى الان ، في الواقع ..

[يصعد الشرطي فيغير وضع حاجز قفص الاتهام فتصبح المحكمة في القفص — المتهم يكمل ..] .

... وانا بدوري اطالب محاكمة المتسببين الاصليين في الجريمة . [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] مصانع العاب الاطفال المبتكرة في طوكيو . مختبرات العلوم الجرثومية في جنيف . وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية . مشروع السنوات العشر لغزو الكواكب . اللجنة الدولية لتقدير موازين التسلح . اليونسكو . هتشكوك . دار الازياء الباريسية الكبرى . مؤسسة والت ديزني . مصانع السيارات الخاصة بالتحضير للمستقبل . مصانع تعليب الخضار والفواكه . الشركة المتحدة لصناعة الصلب . مجلات الكوميك . دار النشر الكبرى في لندن . جامعات . كنائس . جوامع . مؤسسات للعلوم البصرية ، والبيولوجية . عواصم العالم جميعا . طفل من الهند . سارقو موضة قبعة حماتي . حماتي . ساعي البريد ... سبعة عشر افاقا ارسلوا رسائل تهديد ، واخيرا : انتم ... وكي اكون عادلا : فيما بعد انا .
رقم ١ : ولكن ذلك مستحيل .
المتهم : وهل هذا سبب استفرادي انا ؟ لان ذلك غير مستحيل ؟
رقم ٢ : هل تريدنا ان نضع العالم كله ، اذن ، في قفص ؟
المتهم : لماذا لا ؟
رقم ١ : ذلك صعب قليلا .
رقم ٢ : كثيرا .
المتهم : [يقلب الورقة على قفاها ويكمل القراءة] شركات التسجيل على اسطوانات ، شركات التسجيل على اشرطة ، خمس وعشرون ملهى ليليا ، سيرك ، حديقة عامة ، اتحاد مؤلفي المسلسلات التلفزيونية ، ستة متاحف زراعية ، دائرة الحرب النفسية والمعنوية في عشر وزارات دفاع موزعة في خمس قارات ، خطيبتي ، دائرة الحجر الصحي التابعة للدولة ، نقابة اساتذة علم النفس . دكان اللحام القريبة من بيتنا ، وبائع الخضار وموزع الحليب ورئيس تحرير الصحيفة التي اشترك بها منذ عامين دون ان ادفع ، وصاحبة البيت و ..
رقم ١ : كفى . ذلك يكفي حقا .
رقم ٢ : لنعد الى الوقائع ، ان كل الاسماء التي عددتها يمكن دعوتها كشهود .. بوسعهم جميعا ان يشهدوا بانك كنت تمتلك شيئا حيا ، وانك — كما تعترف بنفسك — قتلته عطشا فيما بعد . هذا فقط ما يهمنا هنا .

[الشرطي يغير وضع الحاجز ، فيصبح المتهم في القفص] .

المتهم : انت تستعمل الوقائع بصورة خاطئة يا سيدي : ليس بوسعك ان تقول ان ذلك الشيء كان مخلوقا حيا .. وليس بوسعك ان تقول انني قتلته عطشا .

رقم ١ : حسنا ، ماذا تريد ان تسميه انت ؟
المتهم : لقد كان — انه شيء مثل الحلم ، والان ليس اكثر من قبعة معرضة للتلف .
رقم ١ : كان ماذا ؟ حلما ؟ نبيا ؟ فكرة ؟ رسالة ؟

[تعم الظلمة المكان باجمعه فجأة ، لمدة ثوان قليلة ، ثم يرتكز ضوء مفاجيء على رقم ١] .

رقم ١ : [يقف] ان المحكمة تسحب اتهامها لكم بارتكاب جريمة قتل لعدم توفر الادلة المتعلقة بالقاتل والمقتول واداة الجريمة المزعومة . براءة .

[الظلام ، مرة اخرى ، ثانية . ثم ضوء مفاجيء على المتهم] .

المتهم : انني ارفض هذا التنصل . ارفض هذا الانسحاب القذر . [الضوء يعم المكان]
رقم ١ : [ببرود] انت بريء . انت حر .
المتهم : لا ! لا ايها السادة ! اتوسل اليكم بكل قوانين الارض ، يجب ان تجدوا طريقة ما لمحاكمتي .
رقم ١ : [ببرود] نحن آسفون ايها الرجل البريء ... لقد بذلنا جهدنا ونبشنا كل حرف كتب في كل مكان . لا فائدة . ان قضيتك استباق لما عندنا ، وعليك ان تنتظر .
المتهم : ولكن ذلك مستحيل ايها السادة . مستحيل .. [يقف ، الضوء عليه فقط] تريدونني ان اخرج من هذا الباب مرة اخرى ؟ ليس بوسعكم ان تكونوا قساة الى هذا الحد ! أرجوكم .. بريء ؟ اي عبء !

[الضوء في المسرح كله] .

رقم ٢ [يطوي الحبل باعتناء ، ويضعه ببطء في درج طاولته] نحن آسفون حقا ، ليس بوسعنا ان نخدمك . نعلن لك ذلك .

[الشرطي يتقدم ، ويأخذ في جمع طرفي الحاجز مستعدا لحملهما] .

المتهم : [يتمسك بالشرطي] لا . ارجوك . دقيقة واحدة ، فقد نجد حلا ما .. ليس بوسعك ان تغفل ذلك بهذه البساطة .

[الشرطي يمضي في عمله وكأنه لا يسمعه] .

المتهم : [للمحكمة] دعونا نتعاون ايها السادة ، لنبحث عن مخرج لهذا الموقف التعيس. اليكم تهمة اخرى اقترحها عليكم بكل احترام . الالحاد .
رقم ١ : الالحاد ؟
المتهم : اجل . الالحاد ! لقد كان هذا « الشيء » رسالة كونية ، صلة وحيدة واولى مع كون لا نعرف عنه شيئا ، وحين مات بين يدي كنت من حيث لا ادري اعرقل العناية الالهية التي ارسلته ...
رقم ١ : لا . ليس من اختصاصنا منحك مثل هذا المجد .
المتهم : ان العقوبة المخصصة لمثل هـذه الجريمة اكثر اثارة من الشنق ، انني ايها السادة امنحكم فرصة رائعة .
رقم ١ : ومع ذلك ، فانت رجل بريء ايها السيد .. انت رجل حر .
المتهم : يا الهي ما اقساكم . انني أكرهكم !

[الشرطي يرفع الحاجز بعد ان يتم تجميعه ويمضي به الى الخارج]

رقم ١ : حتى لو كنت قد فعلت ذلك الشيء الكريه ، فانك قد دفعت اليه دفعا ، لا حيلة لك في الامر [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] معامل تعليب الخضار . التلفزيون . السينما . المواصلات اللاسلكية عن طريق الاجرام الفضائية . طفل من الهند يمتلك

خيطا من القنب فقط . دار الازياء . حماتك . خطيبتك . اللحام . بائع الـ . . .
المتهم : كفى ! كفى !
رقم ١ : هيا ! اذهب الى بيتك ايها الرجل البريء . لدينا اعمال اخرى . .
المتهم : [يبكي] لا . انتم لا تستطيعون ان تكونوا متوحشين الى هذا الحد !
رقم ١ : انت بريء ، اذن انت حر . لماذا لا تذهب ؟
المتهم : انني اكرهكم جميعا . . . ولكن الا تستطيعون نبش قانون واحد يحل هذا الاشكال . .؟
رقم ٢ : لقد فعلنا كل ما في وسعنا يا سيدي . نقسم لك !

[تعتم جهة المتهم . رقم ١ ورقم ٢ يقفان ويسويان ملابسهما ثم يخرجان ببطء . المتهم وحده] .

المتهم : [صارخا] لحظة واحدة ايها السادة [يتجه الضوء نحوه] لحظة واحدة . . [يكملان سيرهما حتى يختفيان ـــ المتهم يصل الى طاولة المحكمة ويقف هناك] لحظة واحدة . ولكن ذلك ايضا مستحيل . بريء ! يا للحماقة ! كأن البراءة تعطى .

[ينظر نحو طاولته ، كأنه يرى نفسه هناك ، ويشير لما يخيل اليه انه يراه باصبع الاتهام الخطابي] .

المتهم : انني احكم عليك بنوع فريد من العقاب ! [يتحير هنيهة ، ثم لنفسه] سأفكر به فيما بعد [يعود للموقف الخطابي] لو تركته يعيش لعرفت عما لا تعرف اضعاف ما جعلك تعرف عما تعرف . تصور ايها الخائن : لقد جعلك تكتشف من جديد عالمك الذي تعرفه فكيف لو تركته يكشف لك عالمه الذي لا تعرفه ؟

[تعم العتمة لثانيتين ـــ تسمع اصوات خطواته وهو يعود الى طاولته ـــ ينفجر الضوء عليه وعلى « الشيء » . . لحظات من الصمت ـــ الشيء يتحرك من جديد ، المتهم ينظر اليه ببرود ـــ الشيء يواصل تحركه بصمت ، ثم بعنف ووضوح كلي] .
[المتهم يقترب من الشيء ويرفعه بين يديه ، لاول مرة] .

المتهم : هيا بنا ايها الصديق . ليس امامنا الا ان نخرج معا .

ستار النهاية

الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي

لاري لوك وود

أولا — مقدمة :

منذ التقدم الملحوظ الذي أحرزه الكفاح الفلسطيني التحرري بعـد حرب الايام الستة (حزيران ، ١٩٦٧) ، ظهرت اتجاهات ثلاثة بين الشباب الامريكي . بشكل واضح ، اتبع البعض خط حركة التحرير السوداء وحركات التحرر في العالم الثالث ، بادانة اسرائيل وبالتعبير عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني . بينما ، ظل آخرون ، على الجانب الآخر ، يطالبون بضرورة الدفاع عن « حق اسرائيل في الحياة » أو يقولون بأن اسرائيل بلد اشتراكي ، أكثر تقدمية من جيرانه العرب « الاقطاعيين » أو « البورجوازيين الوطنيين » . بالطبع ، هناك أيضا المستوى الوسط غير الفاعل ، الذي يؤمن ستارا لجهتين : الافراد ، الذين يعانون ارتباكا جديا من معطيات الصراع في الشرق الاوسط ، وهؤلاء الذين لم يجرؤوا بعد على التحرك باتجاه موقف سياسي واضح .

برغم أن وسائل الاعلام الاميركية تتحمل الجزء الاكبر من مسؤولية انتشار الارتباك حول اسرائيل والعالم العربي ، الا أن بعض مؤيدي حق الفلسطينيين في تقريـر مصيرهم والثورة الاشتراكية في الشرق الاوسط يستحقون تحمل عبء جزء من اللوم في الارتباك الامريكي . في عديد من الحالات ، افتقرت تحليلات الصراع العربي — الاسرائيلي الى الدقة والتحديد ، وهكذا مهدت الى فشل مهمتها .

وحين أركز في هذه الدراسة على مظهر واحد من أزمة الشرق الاوسط — وهو الاقتصاد الأسرائيلي في علاقته مع الامبريالية — فانني أعترف علنا بعدة قناعات ثابتة ، مثل الدعم الكامل للنضال الفلسطيني كمرحلة حاسمة في النضال على امتداد العالم ضد الامبريالية، مرحلة غالبا ما تعاني أهميتها من تجاهل بعض قطاعات اليسار الامريكي وقلة تقدير لها . هناك نظرة أساسية أخرى قد تبدو أكثر صعوبة للفهم عند بعض القراء — وهي القناعة بأن الجموع الاسرائيلية انما هي مقهورة اقتصاديا من قبل الامبريالية . انني أشعر بالفعل ان عملية القهر هذه قد تحرك قوى داخـل اسرائيل ، قوى ، كما يفعل الفدائيون اليوم ، سوف تناضل غالبا ضد الامبريالية والدولة الصهيونية مجتمعتين . وبشكل عام فانني أسعى من وراء هذه الدراسة أولا الى البرهان للمدافعين عن اسرائيل و« للمحايدين » بأن الصهيونية ودولة اسرائيل انما يجب أن تكونا مرفوضتين من اليهود وغير اليهود على حد سواء ، وثانيا الى تبادل المواد والآراء مع هؤلاء الذين ، مثلي ، يأملون أن يروا الامبريالية مقلوعة من الشرق الاوسط .

ثانيا — لماذا يجب علينا تحليل الاقتصاد الاسرائيلي ؟

مع أن كثيرا من الوثائق قد أظهرت ، بشكل مقنع ، الارتباطات **السياسية** القديمة بين القيادة الصهيونية والمصالح الامبريالية ، غير أن قليلا جدا من الانتباه قـد وجه الى القاعدة **الاقتصادية** لهذه الارتباطات . اذا عرفنا السياسة على انها « اقتصاد مركز » ،

فانه من الضروري تحديد ما اذا كانت هناك قوى خارجية تؤثر على مسيرتها . كثيرون من المعادين للصهيونية أكدوا ان اسرائيل ، كوجود ذي قاعدتين سياسية واقتصادية ، قد تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** للامبريالية .

ولقد تم التعبير مؤخرا ، بوضوح كبير ، عن هذه النظرة من قبل اتجاه الغالبية في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، « متسبين » .

اسرائيل هي حالة خاصة في الشرق الاوسط : بلـد **ليس مستغلا اقتصاديا** من قبـل الامبريالية . الامبريالية **تستغل اسرائيل سياسيا** ، وتقدم لها بالمقابل دعما اقتصاديا . كتب الاقتصادي الامريكي اوسكار جاس (الذي كان سابقا مستشارا اقتصاديا لدى حكومة اسرائيل) : « لمدة ٢٠ عاما ، ١٩٤٨ — ٦٨ ، بلغ فائض الاستيراد حوالي ٧٫٥ بليون دولار . هذا يعني فائض استيراد بحدود ٢٬٦٥٠ دولار طيلة ٢١ سنة ، لكل فرد عاش في اسرائيل (في حدود قبل حزيران ١٩٦٧) ، في اواخر العام ١٩٦٨ » . ومن هذا الدعم الخارجي ، كما بيَّن الكاتب، دخل اسرائيل فقط حوالي ٣٠ ٪ تحت ظروف عائدات الارباح ، فوائد أو رأسمال . هذا وضع لا موازي له في أي مكان آخر . (Journal of Economic Literature ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ١١٧٧)(١).

صحيح انه ليس من حق الامريكيين أن يقولوا للثوريين الاسرائيليين مـا هي المبادىء النظرية والعملية التي يجب أن توجه نضالهم داخل اسرائيل ، الا انني أشعر اننا في امريكا لسنا مجبرين على قبول تحليل متسبين دون قيد أو شرط او على تحديد تحركاتنا نحن في ضوء هذا التحليل . ان الدعوى بأن بنية اسرائيل انما تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** الامبريالية ، قد ارتفعت أيضا لدى بعض اليساريين الامريكيين ، مثل بيتر بوخ ، أكثر متحدثي حزب العمال الاشتراكي شهرة في ازمة الشرق الاوسط . بعض المقالات مثل « اسطورة اسرائيل المتقدمة » (١٩٦٧) أو « معطيات الشرق الاوسط الملتهبة » (١٩٦٨) ، تحوي نقاطا قيمة عديدة ، لكن بوخ يعنى قليلا جدا بالدور الاقتصادي للامبريالية في اسرائيل والعالم العربي . وفي مقال أخير، « الثورة الفلسطينية والصهيونية » ، حيث ركز على مبلغ بليون ونصف البليون دولار الذي تنتزعه شركات البترول الامريكية سنويا من العالم العربي ، قدم بوخ سجلا بعناصر المجتمع الاسرائيلي التي تتلقى فائدة سياسية واقتصادية مباشرة من الصهيونية :

ان الجملة المؤكد عليها (« حق دولة اسرائيل في الوجود ») ، لا تشير الى حق اليهود الجسدي في البقاء أو حق مجتمعهم ، وانما الى بقاء جهاز دولة يهودية تحديدا ومؤيد للامبريالية ، جهاز يجد مكانا للمصالح الراسخة ، محركة ومغذاة من قبل الصهيونية في فلسطين .

شحذت هذه المصالح الثابتة اغراض مجموعة كبيرة من الدوائر المتمتعة بسلطات في دولة اسرائيل الدينية . وهي تضم رسميي الحكومة ، ومحتـرفي السياسة ، والابطـال السياسيين أمثال دايان ، وبيروقراطيي نقابات العمال ، ورجال اللجان الصهيونية ، والكتلة الدينية المتعصبة ، ومضاربي ومراهني الاراضي ، وأصحاب البنوك والصناعيين الذين حققوا الفوائد الهائلة المذكورة آنفا ، وكذلك أصحاب الملايين شركاء الاستثمار في التعاونيات العامة ، والقطاع المتنامي من المستثمريـن الامريكيين والاسرائيليـين في الاراضي العربية المحتلة ، الذين يبنون مراكز التزلـج في مرتفعات الجولان والمواقـع السياحية في شبه جزيرة سيناء(٢).

آمل أن تكون لائحة بوخ مرتبة حسب الاهمية ، ولكن ، وان كانت الحالة هكذا ، فان تحليلا جادا للاقتصاد الاسرائيلي يكشف ان المستثمرين الاجانب يشرفون على ما هو اكثر بكثير من « مراكز التزلج » و« المواقع السياحية » . بالاضافة الى هذا ، فان مجهودا

بسيطا يظهر أن الاستثمار الامريكي الخاص كان قائما ليس فقط قبـل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وانما حتى قبل تأسيس دولة اسرائيل . عندما يكـون الانسان ملتزما بدفع امريكيين آخرين الى معارضة الصهيونية ، فانه من باب هزيمة الذات ان تتم عملية نقل غير دقيقة لصورة الاقتصاد الاسرائيلي . يبدو التساؤل فيما اذا كانت الصهيونية قد خلقت الدوائر المتسلطة في المجتمع الاسرائيلي ، او فيما اذا كانت هذه الدوائر قد لعبت دور الداعم المحرض للدولة الصهيونية . يبدو التساؤل هنا كأحجيــة الدجاجة والبيضة . يظهر التحليل الحريص ان الجموع الاسرائيلية انما هي ضحايا اقتصادية للامبريالية ، وليست « نتاجها المتمكن » . وبرغم كون ظلم الفلسطينيين وآلامهم أكبر بشكل لا يمكن مقارنته ، فانني اشعر انه يجب على اعداء الامبريالية في الولايات المتحدة اتخاذ كل الخطوات المكنة لتنبيه الرأي العام الامريكي بأن الفلسطينيين والاسرائيليين انما هم ضحايا عدو مشترك واحد .

لا بد من الاعتراف ، بأن بعض الملامح السطحية تظهر ان بنيــة الاقتصاد الاسرائيلي الحالي تتحول عن الانماط التقليدية للاستغلال الرأسمالي . ليس من السهل أن نقارن اسرائيل بالامم المتقدمة صناعيا ، مثل الولايات المتحدة أو المانيه الغربية ، ولا بالامم المستغلة بشكل هائل ، مثل بوليفيا أو تايلاند . نعم ، انه مــن الصحيح ان اكبر بنك اسرائيلي ، بنك لئومي ــ لاسرائيل ، ليس ملكا لافراد رأسماليين ، وان الهستدروت ، اتحاد النقابات المعروف جيدا ، هو عمليا مركز التوظيف الواسع الوحيد في البلد ، وان الانتاج الزراعي يبدو ظاهريا تحت سلطــة الكيبوتسات « الاشتراكيــة » والمزارع التعاونية . هذه الحالات تطغى بشكل تلقائي على تفكير أولئك الذين يدعون ان اسرائيل هي بلد اشتراكي ، لكنه من الممكن البرهان على أن هذه التحــولات السطحية عــن الرأسمالية لا تضعف من الحقيقة الاساسية ــ التي هي تبعيــة الاقتصاد الاسرائيلي للامبريالية .

ثالثا ــ دور الرأسمال المستورد :

فيما يشير المدافعون عن اسرائيل غالبا الى « المعجزة في الصحراء » ، فانه من الصعب نكران دور الرأسمال الاجنبي في خلق « المعجزة » . في بعض السنوات بلغ حجم استيراد الاموال الى ما يقارب ٣٤ ٪ من الناتج القومي الاجمالي . وبينما يتكون استيراد رؤوس الاموال لدى الامم الاخرى أساسا من الاستثمار الاجنبي والعون من الحكومات الاجنبية، فان اسرائيل تتلقى نسبة غير عادية (تكاد لا تصدق) من المساعدات المباشرة . تشكل تحويلات مدفوعات الجباية اليهودية الموحدة ، والتعويضات الفــردية والحكومية من المانيه ، وكذلك تبرعات المؤسسات والافراد حوالي ٧٠ بالمائة من الرأسمال المستورد (١٩٤٨ ــ ٦٧)(٣). من الممكن تبيان الفئات المحددة لاستيراد رأس المال (من العام ١٩٥٠ ــ ١٩٦٧) على الشكل التالي ببلايين الدولارات :

تبرعات المؤسسات (الجباية اليهودية الموحدة وغيرها) ١٧٣٥ ، التعويضات الالمانية (منذ ١٩٥٣) ٧٧٥ ، التبرعات الفردية ٨٨٥ ، تعويضات فردية مبــاشرة (المانية) ١١٩٠ ، معونة حكومة الولايات المتحدة المباشرة ٣٢٠ ، مبيع سندات اسرائيل ١٢٦٠ ، ديون أجنبية مختلفة (البنك الدولي ، الخ) ١٣٦٠ ، الاستثمار الخاص مــن الخارج ١٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٨٥٢٥ . (من كتاب **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، صفحات ١٦٨ ــ ١٦٩) .

صحيح ان الاستثمارات الخاصة من الخارج تساوي فقط ١١٫٧ ٪ من رأسمال قدره ٨٫٥ بليون دولار بين ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، ولكن الافتراض يبدو متسرعا بأن الرأسماليين الاجانب ليسوا منشدين نحو اسرائيل . وكما سأبين في مكان آخر ، فان الرأسماليين

الاجانب قد لعبوا دورا حاسما في تحديد البنية الطبقية في اسرائيل ، وفي تحديد طبيعة غالبية صناعاتها . وتجب المعرفة أيضا ، بأن الشركات الاجنبية انما تحقق أرباحا من المبيعات داخل اسرائيل . ماكدونال دوغلاس لا يتبرع بنفاثات الفانتوم ، انها تباع . هكذا ، يغطي الرأسماليون الاجانب جزءا من المعونات التي تتلقاها اسرائيل . يجب الاعتراف ايضا بأن الرأسمال الاجنبي ليس موزعا بشكل متساو على السكان . الاسرائيليون من أصل آسيوي أو أفريقي ، وكذلك الاقلية العربية في اسرائيل ، لم يحصلوا الا على جزء صغير من التحويلات الشخصية (١٧٣٥، بليون دولار) ، وكانوا قد استثنوا من الحصول على التعويضات الفردية من المانيه (١٩٠،١ بليون دولار). لهذا السبب ، فاننا لا نستطيع الموافقة كليا على تصنيف متسببين للطبقة العاملة الاسرائيلية :

ان العامل الاسرائيلي ، كما هو واضح ، لا يحصل على هذه المعونة نقدا ، وانما ينالها على شكل مساكن (التي لا يمكن أن تشاد بهذه الكميات اعتمادا فقط على الراسمال المحلي) ، وبالتشغيل في الصناعات (التي كانت مرشحة للاغلاق منذ زمن طويل لولا المعونات المعلنة وغير المعلنة) ، وعلى شكل مستوى معيشي مرتفع لا يتناسب مع ناتج عمله .

انه من الواضح بأن ارباح الرأسماليين الاسرائيليين انما هي عائد مساهمتهم في المعونات الخارجية .

ان الصراع بين العمال الاسرائيليين وبين مستخدميهم لا يشرك فقط القسم من فائض القيمة الناتج عن العامل، وانما أيضا مساهمة مختلف الطبقات في المعونات الخارجية(٤). كما سوف أبين ، فان رأسماليي اسرائيل ومستشاريهم الاجانب كانوا دائما منتصرين في صراعهم من اجل الاشراف على فائض القيمة والمعونات . صحيح ان المعونات قد ساعدت على تأمين المساكن والعمل وغير ذلك لعمال اسرائيل ، ولكن من الممكن اظهار ان العمال قد دفعوا ضرائب مرتفعة من اجل هذه الضروريات .

بين الاعوام ١٩٥٠ و١٩٦٧ أمنت الاشكال « العامة » لواردات رأس المال ٤،١٩ بليون دولار (هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية ، العون المباشر والقروض المختلفة) . مع ان هذه الاموال لا يمكن حسابها على أساس متبرعين ومستفيدين أفراد ، فانه من الخطأ النظر اليها وكأنها خسارة نقدية واضحة بالنسبة لاصحاب رؤوس الاموال الامريكيين والاوروبيين . انه يكفي أن نتذكر ان التبرعات لاسرائيل في الولايات المتحدة تعتبر معفاة من الضريبة ، وبهذا تقدم بعض الامتيازات للمتبرع الثري . وعلى المستوى ذاته ، فانه من الواضح أن عائدات الضريبة التي تؤمن التعويضات الالمانية ، العون الاميركي ، والقروض من الحكومات الاخرى لم تحصل من المثرين وحدهم . الرأسماليون الامريكيون والاوروبيون لم « يتبرعوا » الا بالقليل لاسرائيل : في المقابل ، فان الاشخاص الاقل ثراء قد وفروا الاموال لاسرائيل ، من حيث لا يدرون ، عبر دفعهم للضريبة .

قلما يدر مبيع سندات اسرائيل (بليون دولار) أرباحا على مشتري السندات ، بسبب نسبة الفائدة السنوية المنخفضة ، من ٣ الى ٤ بالمائة . على اية حال ، فان اسرائيل قامت بالدفع في الوقت المحدد ، ولذلك فان المستثمرين يخسرون الاموال فقط في اوقات التضخم المالي المرتفع في بلادهم .

ومع ان المعونات الخارجية لعبت دورا رئيسيا في تنمية الاقتصاد الصهيوني تحت الانتداب البريطاني ، كما فعلت منذ عام ١٩٤٨ ، الا أن على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار انه من الممكن لطبيعة واردات رأس المال الخارجي ان تتغير . فمن جهة ، يمكن أن يؤدي اشتداد ساعد القوى الثورية في الوطن العربي الى سيل عارم من المساعدات العسكرية،

وخاصة من الولايات المتحدة ، بهدف مساعدة اسرائيل على الاستمرار في دورها كحارس للمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط . والامكانية الثانية ، أن يزداد حجم الاستثمارات الاجنبية الخاصة بدرجة كبيرة ، مع تزايد الانتاج الاسرائيلي ، وتوسع السوق الاسرائيلية للبضائع الاجنبية . وعلى العكس من هاتين الامكانيتين ، يمكن للاوضاع الاقتصادية غير المستقرة في الولايات المتحدة واوروبا أن تقود الى تخفيض واردات رأس المال الاجنبي . وليس هناك من أساس للاعتقاد بأن الانماط الراهنة (وهي سيطرة المعونات «الحكومية» ، وبشكل نسبي ضآلة الاستثمارات الخاصة المباشرة من الخارج، والدور الهام الذي تلعبه مبيعات سندات اسرائيل ، والديون الخارجية) هي أنماط مستديمة ، أو أن التركيب الطبقي الحالي لاسرائيل لن يطرأ عليه أي تغيير .

رابعا ـ الاقتصاد الاسرائيلي داخل الاطار الشرق الاوسطي :

يمكن القول بشكل معقول تماما ان تاريخ الامبريالية الامريكية نفسه متصل بشكل وثيق بالتحول الذي طرأ على الشرق الاوسط كافة خلال القرن العشرين . فمنذ استكشافات ما قبل الحرب العالمية الاولى على يد الجيولوجيين الامريكيين، ومنذ انحلال الامبراطورية العثمانية تحت الاشراف الامريكي ، ومنذ أن غرزت شركات النفط الامريكية اظافرها في العراق والعربية السعودية في العشرينات ، كان الشرق الاوسط عنصرا اساسيا في مناطق نفوذ الرأسمالية الامريكية في الخارج .

واني أحث كل الامريكيين على الاطلاع عن كثب على أعمال مثل كتاب هاري ماغدوف **عصر الامبريالية*** وذلك في محاولة أكثر جدية لفهم معنى الحقيقة الكامنة في أن « عددا محدودا من شركات نفط الولايات المتحدة الامريكية تسيطر على ثلثي احتياطي « العالم الحر » من النفط »(٥). واليوم ، تعمل شركات النفط الامريكية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط ، **بما فيها اسرائيل** . وبما ان نسبة ضئيلة من احتياجات امريكا المحلية من النفط تستدر من الشرق الاوسط ، يصعب على الكثيرين ان يفهموا طبيعة المصالح الامريكية. الا أن مؤلفي كتيب بعنوان **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**** استطاعوا ان يكونوا واضحين جدا في ذلك :

لقد بلغت الاستثمارات المباشرة للشركات الامريكية في نفط الشرق الاوسط قيمة اسمية قدرها ١،٥٦ بليون دولار عام ١٩٦٦ ، وبلغ الدخل (قبل ضرائب الولايات المتحدة) لشركات الولايات المتحدة ما مجموعه ٨٥٢ مليون دولار من اصل دخل اجمالي قدره ٨٦٣ مليون دولار وذلك من كافة الاستثمارات في الشرق الاوسط ... وبين العام ١٩٥٠ والعام ١٩٦٠ ازدادت قيمة الاستثمارات في بترول الشرق الاوسط من ٦٦٦ مليون الى ١،١ بليون دولار ، بينما ارتفع الدخل السنوي من ٢١١ مليون الى ٧٣٥ مليون دولار . وفي العقد ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ ، بلغ صادر رأس المال ٢١٦ مليون دولار فقط ، بينما وصل مجموع الدخل الى ٥ بلايين دولار(٦).

وبينما يتظاهر السياسيون والعالمون ان الشرق الاوسط « مهدد بالتوسع الروسي » الا أن هذه الادعاءات لا تقوم على قاعدة صلبة . فعندما يتحدث ريتشارد نكسون عن « حماية احتياجات اوروبا النفطية » ينبغي الا يغيب عن ذهننا انه اكثر اهتماما بحماية الارباح الخيالية لعمالقة النفط منه بتأمين ما يحتاجه من الوقود في الشتاء عمال ومزارعو اوروبا . فقرابة ثلثي مجموع النفط المستخرج نتيجة معدل عمليات الشركات الامريكية في الخارج يأتي من الشرق الاوسط(٧). ومع أنه يستشهد بمصر على انها مثال للدولة

---

* Harry Magdoff, *The Age of Imperialism*
** *United States Interests in the Middle East*

المعتمدة على السوفييت ، الا ان عمليات النفط الامريكية في مصر قد تزايدت منذ عام ١٩٥٦ .

فقد تمت الترتيبات من أجل مشاريع مشتركة مع شركة « بان امريكان » (وهي فرع من شركة « ستاندرد أويل أوف انديانا ») وشركة « فيليبس بتروليوم » عام ١٩٦٣ . ونجحت شركة « بان أمريكان » مباشرة تقريبا ، وابتدأ الانتاج من حقل المرجان في خليج السويس في نيسان ١٩٦٧ واستمر دون ان يتأثر تقريبا خلال حرب الايام الستة . وابتدأ الانتاج في حقل آخر اكتشفته « فيليبس » في الصحراء الغربية جنوبي المكان الذي كان مسرح حرب العلمين، في آب ١٩٦٨ ، وقد ظهر ان حقل « بان اميركان » غزير الى درجة انه استطاع خلال أشهر قليلة فقط ان يعوض بل ويزيد عن خسارة حقول نفط سيناء التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . وفي نيسان ١٩٦٧ ، عندما كان حقل المرجان قد بدأ الانتاج لتوه ، حذر أحد الصحافيين في القاهرة العراق من انه « ليس من وطني يدرك ابعاد حرب النفط يمكنه أن يدعو الى تأميم النفط »(٨).

عند هذه النقطة ، ينبغي للقراء أن يتساءلوا « هل تتناسب اسرائيل بأي شكل من الاشكال في اطار صورة الشرق الاوسط النفطية ؟ » ومع انه من المعتقد على نطاق واسع انه ليس لاسرائيل نفطها الخاص ، الا أن اسرائيل قد صدرت ما قيمته ١٩ مليون دولار تقريبا من النفط عام ١٩٦٧(٩)،غير انه يجب الاعتراف ، ان هذه الكمية لا يأبه بها بالمقارنة مع صادرات العراق البالغة ٣٦٢ مليون دولار (عام ١٩٦٧) أو صادرات العربية السعودية التي وصلت الى ٨٤٣ مليون دولار في العام ذاته(١٠). ومنذ العام ١٩٦٧ ، ازدادت امكانات اسرائيل كمصدر للنفط بدرجة عظيمة ، وذلك بعد الاستيلاء على حقول سيناء ، وانجاز خط نفط ايلات ـ حيفا ، وهو ثالث أكبر خط في العالم في طاقته .

وبالنسبة لاسرائيل ، يجب أن ندرك أن الامبريالية لا تقصر جهودها ، تأدبا ، على استخراج وبيع المواد الاولية ، مثل النفط ، بل يجب على المرء ايضا ان يفحص الارباح الناتجة عن اليد العاملة الرخيصة ، وعن السيطرة على الاسواق المستعمرة . ومع ان موارد اسرائيل الطبيعية تقتصر على المعادن الموجودة في منطقة البحر الميت وصحراء النقب ، لا يمكن التغاضي عن تجارتها الخارجية .

ففي علاقاتها مع العالم غير العربي ، تستمر اسرائيل في لعب دور المنطقة المعزولة ذات المهارات التكنولوجية الفائقة التي تضطلع بنشاطات ذات طبيعة متخصصة . ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو أهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـ ١٩٠ مليون دولار في العام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلكس (بلجيكا ، هولندا ولوكسمبورغ) ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . أما صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوروبا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليونا في العام ١٩٦٦ ، وحققت الفواكة المعلبة ٢٠ مليونا أخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة ، فجنت ١٥ مليونا من صادرات الملابس عام ١٩٦٦(١١).

ويمكن استكمال عناصر الصورة التي رسمناها آنفا عن الصادرات الاسرائيلية الرئيسية باستعراض الجدول التالي ، الذي يبين العلاقة بين الصادرات الصناعية والزراعية :

جميع الارقام بملايين الدولارات

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الصادرات الزراعية	٨٦،١	٩٤،٨	١٠٨،٤
٪ من المجموع	(٪٢٠،١)	(٪١٨،٨)	(٪١٩،٤)

الصادرات الصناعية	٣٤٣،٠	٤٠٨،٥	٤٤٩،٩
٪ من المجموع	(٧٩،٩٪)	(٨١،٢٪)	(٨٠،٦٪)
المجمـوع	٤٢٩،١	٥٠٣،٣	٥٥٨،٣
صادرات المـاس	١٥٤،٤	١٩٠،٠	١٩٣،٠
٪ من المجموع	(٣٥،٩٪)	(٣٧،٧٪)	(٣٤،٦٪)(١٢)

وهكذا ، فخلال فترة ثلاث السنوات، كانت النسبة بين الصادرات الصناعية والصادرات الزراعية هي ٤ الى ١ تقريبا ، وشكلت صادرات الماس نصف الصادرات الصناعية تقريبا . والتعريف المنقول أعلاه بأن اسرائيل « هي منطقـة معزولة ذات مهـارات تكنولوجية فائقة » يمكن تبريره تماما اذا ما اعتبر المرء الدور الحاسم الذي يلعبه الانتاج الصناعي . فالندرة النسبية للمواد الاولية تقضي بأن تكون **اليد العاملة** البارعة أحد الموارد الطبيعية الرئيسية . وليس على المرء أن ينظر الى أكثر من صناعة الماس حيث تجلب المواد الاولية ليس من رمال النقب ، بل من مناجم جنوب افريقيا . فاذا ما أعطينا **اليد العاملة الاسرائيلية** ما تستحقه من الاهمية ، أصبح بامكاننا أن نعالج بجدية مسألة ما « اذا كانت الصناعة في اسرائيل تدار من قبل العمال أم مـن قبل نخبة ذات قوة سياسية ؟ » .

فبينما بلغ مجموع الصادرات عام ١٩٦٧ الرقم الذي لم يسبقه مثيل وهو ٥٥٨،٣ مليون دولار ، سجل مجموع الواردات أيضا رقما قياسيا جديدا هو ٧٥٤،٦ مليون دولار(١٣). ومن السهل تماما ان يغرب عن بال المرء الاثر الحقيقي للواردات الاسرائيلية الا أن بعض العمليات الحسابية البسيطة قد تستطيع فتح الاعين على الحقيقة . فاذا ما قسمنا مجموع الواردات البالغ ٧٥٤،٦ مليون دولار عام ١٩٦٧ على مجموع السكان في ذلك العام(٢،٨٠٧،٠٠٠ بما فيه القدس الشرقية) (١٤)تصل الواردات للشخص الواحد حوالي ٢٧٠ دولارا تقريبا ، وهو رقم أعلى من معدل دخل الفرد السنوي في معظم بلدان الشرق الاوسط(١٥).

ويدعي كثير من مؤيدي الصهيونية ان واردات اسرائيل المرتفعة بشكل غير طبيعي من البضائع الاجنبية هي نتيجة المصاريف التي تتكبدها اسرائيل كل سنتين على « الامن القومي » ولا يمكن نفي القول أن مصاريف الدفاع الاسرائيلية هي مرتفعة (اذ بلغت معدلا قدره ٨،٨ ٪ من اجمالي الناتج القومي في كل من السنوات مـن ١٩٥٠ الى ١٩٦٦)(١٦). رغم ذلك ، يجب أن ندرك أن واردات الاسلحـة هي مجرد جزء مـن الواردات الاجمالية. وأكثر من ذلك ، فقد ازداد انتاج الاسلحة المحلي بشكل ثابت، حتى ان اسرائيل ، اليوم ، تصدر أيضا الاسلحة الى البلدان الاخرى .

ان دراسة وثيقة لتركيب اسرائيل الاقتصادي تبين ان اعباء مصاريف التسلح تقع الى درجة كبيرة على كاهل العامل الاسرائيلي. أما الرأس المالي، ان كان مواطنا اسرائيليا أو مستثمرا أجنبيا ، فلا يدفع الا القليل من أجل « الامن الوطني » .

وتشكل ديون اسرائيل المزمنة بالعملات الاجنبية ، التي وصلت الى ١،٥٩ بليون دولار عام ١٩٦٨(١٧)، (حوالي ٥٧٠٠ دولار للفرد الواحد) سلاحا قويا في أيدي المنتفعين الامبرياليين . ومن المفيد أن نذكر ان الديون بالعملة الاجنبية هي نتيجة ملازمة للسيطرة الامبريالية ، وأنه من هذه الوجهة ، يكشف الاقتصاد الاسرائيلي عن نقطة تماس مع اقتصاديات البلدان المجاورة (اذ وصلت ديون مصر الطويلة الاجل الى مبلغ ١،٥ بليون دولار عام ١٩٦٨)(١٨). ويمكن ايراد الملاحظات التالية بخصوص الاقتصاد الاسرائيلي ضمن الاطار الشرق الاوسطي الكلي :

١) مع ان اسرائيل لا تملك حاليا اقتصادا يعتمد بشدة على النفط الا ان الدور الحيوي الذي يلعبه الماس في صادراتها يشكل نوعا من التخصص في ناتج واحد .

٢) ومع انه ليس لدى اسرائيل من المواد الاولية ما يمكن مقارنته بما لدى جيرانها ، الا أن ما تملكه من اليد العاملة البارعة هو ثروة ذات أهمية فائقة . ومـــا الصادرات الصناعية لعام ١٩٦٧ (التي بلغت ٤٤٩،٩٠ مليون دولار) الا دليل على ذلك .

٣) ويشكل مستوى الاستهلاك الشخصي المرتفع في اسرائيل (وهو أعلى من مستوى استهلاك الفرد في هولندا ، والنمسا ، وايطاليا)(١٩) وكذلك واردات « القطاع العام » المرتفعة ، سوقاً للبضائع الغربية . ففي عام ١٩٦٧ أصدرت الولايات المتحدة ما قيمته ١٩٢ مليون دولار من البضائع الى اسرائيل ، بينما بلغت صادرات أوروبا الغربية لها ٤٢٠ مليون((٢٠) .

٤) وينتج عن مستوى الواردات المرتفع هذا ديون مزمنة بالعملة الاجنبية ، التي تقود مثل ديون بلدان كثيرة اخرى ، الى ربط الاقتصاد الوطني بالامم الاجنبية .

خامسا ــ صورة عن المصارف في اسرائيل :

مع انه هناك بنوك تعاونية وكذلك بنود تديرها الحكومة في اسرائيل ، الا أن المؤسسات التي تعود ملكيتها للقطاع الخاص تلعب دورا مسيطرا . ففي عام ١٩٥٣ ، كانت الملكيات الفردية والشركات الخاصة تسيطر على ٧١،٤ بالمائة من قطاع المصارف التجارية(٢١) . ومنذ ذلك الوقت ، يمكن للمرء ان يشير بشكل خاص الى النمو الثابت لبنك خاص واحد ، هو بنك الخصميات الاسرائيلي* ، الذي انشأه أعضاء من عائلة راكاناتي خلال فتـــرة الانتداب . اما بنك لئومي ، الذي تديره الوكالة اليهودية ، فقد ظل اكبر بنك اسرائيلي ، الا أن موجوداته ، اثناء الستينات لم تنم بالسرعة نفسها التي نمت فيها موجودات بنك الخصميات الاسرائيلي .

	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٧	١٩٦٨
بنك لئومي (بالدولار)	٠،٥٩٣ بليون	٠،٩١٤ بليون	١،٢٨٢ بليون	١،٥٧٩ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٥٤	٢١٦	٢٦٦
بنك الخصميات (ليرة اسرائيلية)	٠،٩٧٢ بليون	١،١٧٧ بليون	٢،١٧٨ بليون	٢،٧٧١ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٢١	٢٢٤	٢٨٥

وهكذا اتسم بنك الخصميات بتوسع ظاهر في الرقم القياسي لموجوداته (١٢١ الى ٢٢٤) بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٧ ، وهي الفترة التي كانت تعاني اسرائيل خلالها أزمة الركود الشهيرة (**ميتون** بالعبرية)(٢٢) . وعندما كانت اسرائيل تمر في فترة استعادة النشاط بعد الحرب ، استمر الرقم القياسي لموجودات بنك الخصميات في الارتفاع بسرعة تفوق تلك التي لبنك لئومي .

وفي المكانة الثالثة بنك هبوعاليم ، الذي يسيطر عليه الهستدروت ، والذي لم تبلـــغ موجوداته علامة البليون ليرة حتى عام ١٩٦٥(٢٣) . وبما ان عليه أن ينافس ليس بنك الخصميات فحسب بل ايضا بنوكا خاصة صغيرة اخرى ، يواجه بنك هبوعاليم قيودا شديدة . وبشكل خاص ، فقد استثني هذا البنك من تقديم راس المال الى صناعة الماس المربحة ، التي يقوم بنك لئومي وفروعه على تمويل القسم الاعظم منها .

وقد تميز القطاع المصرفي الأسرائيلي ، في السنوات الاخيرة ، بمعدلات ربح عالية ، كانت

* Israel Discount Bank.

مصدر قلق كبير لبعض اعضاء اليسار الصهيوني حتى خلال اوائل الستينات . ويعرض بيتر بوخ في **أسطورة اسرائيل التقدمية***، المقتطف التالي من كلمة القاها مئير يعري الامين العام للمابام ، في مؤتمر المابام عام ١٩٦٣ :

يورد تقرير لبنك اسرائيل انه في عام ١٩٦١ ازدادت موجودات البنوك بمقدار ٤٠٦ ملايين ليرة اسرائيلية ، او ٢٦ بالمائة ، وذلك خلال عام واحد . وخلال تلك السنة نفسهـا ، ازدادت الارباح المحققة على رؤوس الاموال الخاصة بهذه البنوك بـ ٥١٫٨ ٪ ، بينما ازدادت الارباح من العمليات ورؤوس الاموال معا بـ ٣٠٫١ بالمائة . مثل هذه الارباح ليست ارباحا رأسمالية طبيعية(٢٤).

ومعدلات الربح المتزايدة التي يشير اليها يعري تصح أيضا على فترة ما بعد الحرب . ففي عام ١٩٦٨ ، ارتفعت أرباح البنوك بنسبة ٣٠ بالمائة ، فوصل مجموعها الى ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية(٢٥) . وفي **الثورة الفلسطينية والصهيونية****، ينقل بوخ تعبيرا آخر على دهشة يعري (نقلا عن **اسرائيل هوريزون**، أيار ١٩٦٩): لا استطيع ان ابرر، بسبب الاحوال الطارئة الحالية ، حقيقة انه في أوقات البحبوحة الاقتصادية مثل التي كنا نتمتع بها في السنة الماضية ـــ عندما زادت أرباح البنوك عن ٣٠ بالمائة ـــ وعندما بلغت ارباح رجال الصناعة أكثر من ٢٠ بالمائة ـــ بقيت أجور العمال الذين ينالون الرواتب ثابتة ، بعد أن كانت مجمدة خلال تلك السنوات الكثيرة(٢٦).

وبالاضافة الى الدور المسيطر الذي تلعبه البنوك الخاصة في اسرائيل ، يجب على المرء ايضا أن يأخذ بعين الاعتبار امتداد نفوذ رجال البنوك الى قطاعات الاقتصاد الاخرى . ويمكن لاولئك الذين يعرفون عن كتاب وليم دومهوف : **من يحكم امريكا** (بالانجليزية) ، او عن كتاب لينين : **الامبريالية : أعلى مراحل الراسمالية** ، أن يدركوا بسرعة الدور الذي يلعبه أعضاء مجالس الادارة المشتركين في المجتمعات الراسمالية . فعندما تشارك حلقة صغيرة من الاشخاص في عدد كبير من مجالس الادارة ، يندفع الاقتصاد الوطني بشكل ثابت نحو التمركز الاحتكاري .

ومنشورات مثل *Who's Who in Israel* ، لعام ١٩٦٩ تكشف بوضوح ان رؤسـاء مجالس الادارة لاكبر ثلاثة مصارف اسرائيلية يحتلون عددا كبيرا من المناصب الاخرى في مجالس ادارة اضافية :

أ ـــ دانيال راكاناتي ـــ وهو المدير الاداري لبنك الخصميات الاسرائيلي ومدير شركة فرعية لهذا البنك هي Discount Bank Investment Corporation وكذلك هـو مدير في المؤسسات التالية : Israel Mercantile Corporation, Delek Fuel Company, و Cargo Ships «El-Yam», ، و Industrial Development Bank of Israel وشركة PEC Israel Corporation (وهي شركة استثمارات) . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ب ـــ يشعياهو فويردر Yeshayahu Foerder ـــ رئيس بنك لئومي . وهو المدير المؤسس لشركتي « راسكو لمتد » و« اسراس » (وهما شركتان للانشاء والبيوت) . كذلك هو مدير شركة « باز اويل » . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ج ـــ ابراهام زابرسكي ، المدير الاداري لبنك هبوعاليم ، ورئيس شركة Hassneh Insurance . ورئيس بنك يعمل في رهن المنازل Housing Mortgage Bank Ltd. كذلك هومدير شركة Delek Fuel وشركة AMPAL (للاستثمارات) وعضو في اللجنة الاستشارية

---

* The Myth of Progressive Israel
** *The Palestinian Revolution and Zionism*

لبنك اسرائيل . وكذلك عضو في المجلس العام لكل من الهستدروت ، وحزب المباي . وهكذا لا يقصر أي من رؤساء البنوك الثلاثة هؤلاء نشاطه على مجالس الادارة الواقعة في دائرته الخاصة داخل الاقتصاد الاسرائيلي . فراكاناتي ، وهو أحد الراسماليين في القطاع الخاص ، هـو أيضا مدير لبنـك « يديره القطـاع العـام » وهو بنـك Industrial Development Bank ، وفويردر ، رئيس بنك لئومي الذي تملكه الوكالة اليهودية هو ايضا مدير في شركتي « راسكو » و « باز اويل » اللتين يديرهما القطاع الخاص . وزابرسكي مدير « بنك العمال » هو أيضا مدير في شركة ديليك وهي اكبر شركة نفط اسرائيلية . وهكذا يمثل هؤلاء الرؤساء الثلاثة التلاحم الكامل بين دوائر النشاط « الخاصة » و« العامة » .

ولا يسع المرء بأي شكل أن يعتبر راكاناتـي ، وفويردر ، وزابرسكـي أمثلة شـاذة معزولة . ففي بنك الخصميات الاسرائيلي مثلا يكتشف المرء أن رافاييل راكاناتـي الذي يدير عمليات البنك في نيويورك هو أيضا مدير في شركتي « اليام » و« ديليك » . وابراهام هاسيدوف ، وهو مدير آخر ، هو أيضا مدير في :
Israel Development and Mortgage Bank of Netiot Hadarom, Ltd.
وظاهرة التداخل في النظام الراسمالي هذه تستحق أعظم الاهتمام عندما يتفحص المرء البنك الذي يديره الهستدروت وهو بنك هبوعليم او « بنك العمال » ، فمثلا شراغة غورين وهو عضو سابق في حزب المباي في الكنيست ، يعمل ايضا كنائب لرئيس شركة ديليك وكذلك نائبا لرئيس شركة Alliance Tire and Rubber . وأحد المدراء الاخرين وهو ابراهام دكينشتاين ، يعمل رئيسا لـ AMPAL ولـ Israel Development Corp. (للاستثمارات) ذلك بالاضافة الى كونه مديرا في Alliance Tire وفي Lapidoth Ltd. (للنفط) . فهل يجرؤ « المدافعون عن الاشتراكية الاسرائيلية » أن يدعوا أن ما هذه الا مجرد أمثلة على تغلغل الاشتراكية داخل القطاع الراسمالي من الاقتصاد ؟ او انه يجب التسليم نهائيا بأن مدراء البنوك « الاشتراكيين » ما هم الا مجرد خدام صاغرين للراسمالية ؟ وهكذا، يتكشف لنا ان القطاع المصرفي في اسرائيل يتسم بمظاهر معينة يتميز بها الاقتصاد الراسمالي . ويمكن للمرء أن يشير ليس الى ظاهر النمو الثابت في بنك الخصميات فحسب بل وأيضا الى معدلات الربح المرتفعة (حتى اثناء الفترات التي أقرت فيهـا الحكومة تجميد الاجور) . بالاضافة لذلك ، لا يمكن للمرء أن يتغاضى عـن ظاهرة العضوية في مجالس ادارة متعددة من قبل بعض مدراء أهم البنوك الاسرائيلية ، وهو وضع يدل على تغلغل الراسمالية الاحتكارية .

سادسا ــ الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل :

مع ان الاستثمارات الخاصة لم تشكل سوى نسبة ضئيلة (١١،٧ بالمائة) من الـ ٨،٥ بليون دولار وهو ما ورد اسرائيل من راس المال الاجنبي بين عام ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، الا أن الاثار الملموسة التي تركها الاستثمار الاجنبي تستحق مزيدا من الاهتمام . والجدول التالي يعطي صورة مفصلة عما ورد اسرائيل من راس المال الاجنبي الخاص في السنوات الاخيرة :

(الارقام بملايين الدولارات)

	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	المجموع
اجمالي الاستثمارات	١٦٩،٤	١١٤،٩	١٠٤،٣	٥١،٦	٥٤،٢	٤٩٤،٢
الاستثمارات المصفاة	—١٧،١	—٢٧،٩	—٢٧،٠	—٣١،١	—٣٢،٧	—١٣٥،٨
	١٥٢،٣	٨٧،٢	٧٧،٣	٢٠،٥	٢١،٥	٣٥٨،٤

المجموع الصافي :

اعادة استثمارات	٤،٤+	٤،٨+	٥،٢+	٤،٣+	٤،٠+	٢٣،٧+
الارباح	١٥٦،٧	٩٢،٠	٨٢،٥	٢٤،٨	٢٥،٥	٣٨٢،١

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى هبوط حاد في الاستثمارات الاجنبية بعد عام ١٩٦٤ (٢٧)، على ان ذلك ليس كافيا ليجعل من يعطفون على الصهيونية يصرخون « الا ترى ، اسرائيل تحرر نفسها من السيطرة الاجنبية » فمبلغ الـ ٣٨٢،١ مليون دولار ، وهو المجموع المتراكم النهائي لفترة خمس السنوات هو أعلى بكثير من مجاميع فترات خمس السنوات الاخرى . ومع ان الاستثمارات المصفاة ازدادت بشكل ثابت ، الا ان اجمالي الاستثمارات ، والاستثمارات المعادة قد تفوقت عليها بشكل مستمر . ومما يجدر ملاحظته ان الاستثمارات المعادة قد بقيت ثابتة نسبيا خلال الفترة كلها .

وينبغي لنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار ان الهبوط في اجمالي الاستثمارات ، وكذلك الزيادة في الاستثمارات المصفاة قد رافقت فترة الـ « ميتون » وهي فترة الركود ، التي ما أن حل عام ١٩٦٧ ، حتى كانت قد لفظت ١٠ بالمائة من القوة العاملة الاسرائيلية خارج العمل . ويبدو ان حكومة « اشتراكية » كان ينبغي أن تتخذ اجراءات لوضع حد لعمليات التصفية الخطيرة هذه ، الا أن اشكول كان تحت رحمة المستثمرين الاجانب تماما .

اما حرب حزيران ١٩٦٧ التي خفضت جزئيا نسبة البطالة « الرسمية » بوضعها كثيرا من العمال تحت السلاح ، فقد تبعتها فترة تجدد الاستثمارات الاجنبية . ففي عام ١٩٦٨ ، وصل اجمالي الاستثمارات الى مبلغ ٥٤،٢ مليون دولار ، وارتفع بشكل ثابت منذ ذلك الحين . وازدياد الاستثمار الاجنبي لم يكن نتيجة حرب ١٩٦٧ فقط ، بل أيضا بسبب عوامل مختلفة مثل تجميد الاجور ، وتسارع الانتاج الصناعي ، وما زودته المناطق المحتلة من أسواق جديدة ، ويد عامله اضافية . وفي عام ١٩٦٩ ، باشرت الشركات الامريكية فقط بمشاريع بما قيمته ١٠٦ ملايين دولار . وان قائمة جزئية بالشركات العاملة في اسرائيل لتضم المؤسسات العملاقة التالية : Monsanto و Xerox Motorola و Witco Chemicals, و Holiday Inns و International Paper و Westinghouse ومن المهم بشكل خاص أن ندرك ان بعض المؤسسات التي يديرها الهستدروت مثل صناعات كور قد تشاركت مع بعض المؤسسات الامريكية مثل « جنرال تلفون » و Owens-Illinois (٢٨) .

رغم ذلك ، لا ينبغي أن تدهشنا الزيادة السريعة والمفاجئة للاستثمارات الاجنبية بعد الحرب ، لان قاعدتها الاقتصادية كانت قد هيئت قبل سنوات كثيرة من ذلك . وعدا الاستثمارات المباشرة من قبل شركات أجنبية ، يجب أن يأخذ المرء بعين الاعتبار الدور الهام والنافذ الذي تلعبه شركات الاستثمار . فشركة PEC الاسرائيلية مثلا (وقد انشئت عام ١٩٢٦ باسم (Palestine Economic Corporation)) تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيلية مثل Carmel Wines Ltd. و Ihud Insurance و Tambour Paints و ICOA (للطائرات والعتاد الحربي) . بالاضافة لذلك ، تملك شركة PEC Israel أسهما في بنك الخصميات وشركة « ديليك » و « يونايتد تورز » و « دان اوتيلز » ومجموعة اخرى من الشركات .

ومن بين الشركات المنشأة في الخارج ، تشكل شركة امبال (AMPAL) (التي انشئت عام ١٩٤٢ باسم (American Palestine Trading Corp.)) حالة خاصة ، اذ أنها أقيمت في الاصل على يد شركة أخرى هي حفرات عوفديم، احدى الشركات المالكة في الهستدروت . ورغم اصول امبال ، الا أنها اليوم تزود برأس المال ليس مشاريع الهستدروت فحسب ،

بل وايضا شركات ذات ملكية خاصة مثل « ديليك » و Tricontinental Pipelines .
ومع ان شركة « أمبال » تختلف عن شركات الاستثمار الاخرى بما أن بعض مدرائها أعضاء في الهستدروت ، مثل أهرون بكر ، وابراهام زابرسكي ، الا أن رئيسها امريكي :
١) رودولف ج سون بورن، رئيسا ـ كذلك رئيس شركة Sonneborn Chemicals and Refining Co. (الولايات المتحدة) حتى عام ١٩٦٠ ، ورئيس سابق لشركة : Petroleum Transport and Trading Corp.(الولايات المتحدة) كما انه كان مديرا سابقا في New York Post Corporation . كذلك مدير في Witco Chemicals (الولايات المتحدة) . ورئيس للنداء اليهودي الموحد في الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤ . ومدير في Israel Development Corp., PEC Israel Corporation (للاستثمارات) .

وهكذا ، فشركة « أمبال » من خلال سون بورن تكشف عن علاقة مباشرة ليس بالقطاع الخاص في اسرائيل فحسب ، بل وايضا بالرأسمالية الاحتكارية الامريكية (اذ ان شركة Witco Chemicals ، التي تعمل في اسرائيل ايضا ، هي مجموعة لشركات الكيمياويات والبترول بلغت موجوداتها عام ١٩٦٩ ١٦٧ مليون دولار) . ومن أجل المدافعين عن اسرائيل يجب طرح السؤال : « هل ان التزام سون بورن بتنمية اسرائيل الاقتصادية هو مجرد عمل خيري ، أم انه مع شلة رجال الخير الاخرين من اصحاب الملايين ينتظر ما سيجنيه من منافع في المستقبل ؟ »

وبينما قد يقول بعض المنتمين للصهيونية ان المناصب التي يحتلها بعض اصحاب الملايين الامريكيين هي مجرد مناصب فخرية لا تمكنهم من ترسيخ اقدامهم فيالاقتصاد الاسرائيلي، يجد المرء أن سون بورن ليس حالة استثنائية أو معزولة . فهناك مثلا رالف وشسلر ، رئيس شركة Nopco Chemical Co. في الولايات المتحدة، الذي يعمل أيضا كمدير في شركة «أمبال» ، وكرئيس لشركة Israel Development Corp. ، وكمدير في البنك الذي « يديره القطاع العام»وهو Industrial Development Bank of Israel اما شركة Israel Investors Corp. وهي شركة ذات ملكية خاصة ، فرئيسها هو لويس هـ. بوير من لوس انجلس الذي هو مدير في الشركات الامريكية التالية : Aetna Construction Corp. و Boyar-Kessler Investment Corp. و City National Bank of Beverly Hills وتخطط الشركةالفرعية الاستثمارية لهذا الاخيروهي Beverly Hills Bank Corp. من خلال شركة Overseas Diversified Equities لان تستثمر مبلغ ١٫٥ مليون دولار في اسرائيل ، بعد أن اشترت مؤخرا حصة لا يستهان بها من أسهم Perma-Sharp ، وهي اكبر شركة اسرائيلية منتجة لشفرات الحلاقة(٢٩) .

وفي عام ١٩٦٨ ، بلغت موجودات اربع شركات استثمارية امريكية المنشأ هي (Israel Investors Corp. و Israel Development Corp. ، و AMPAL ، و PEC Israel ،) مجتمعة ٩٦٫٣ مليون دولار . ومع ان هذا الرقم صغير بالمقارنة مع موجودات بنك لئومي او بنك الخصميات الاسرائيلي Israel Discount Bank ، الا انه من الخطأ انكار أهمية هذه الشركات . فقد لعبت دورا حاسما بتزويدها رأس المال لقطاعات اقتصادية مثل البترول ، والسياحة ، وهي كذلك تكشف عن الصلات الاساسية التي تربط الراسماليين والبيروقراطيين الاسرائيليين بالرأسمالية الامريكية .

وطبعا ، ليست الشركات الاربع الامريكية المنشأ هي الشركات الوحيدة . فيمكن الاشارة الى مؤسسات مثل Africa-Palestine Investments Group ، وهي مجموعة مستثمرين من جنوبي افريقيا لهم نصيب كبير من أسهم شركات التأمين ، والعمليات السياحية (مثل Peltours, Inc. و Tiberias Hot Springs) . وهناك مجموعة أخرى من مستثمري جنوب افريقيا تملك Jacob Japhet Bank و Ararat Insurance .

وأكثر من ذلك ، يجد المرء أمثلة لمؤسسات اشترك فيها الاستثمار الخاص مع المعونات الاجنبية مثل الطريقـة التي أنشىء بهـا Industrial Development Bank of Israel عام ١٩٥٧ . ومع ان معظم رأسمال البنك قد زودته مباشرة الحكومة الامريكية وبنك الاستيراد والتصدير Export-Import Bank، الا أن هناك ٥ ملايين ليرة قدمت كقرض من قبل بنك واربورغ (لندن) وهو ذو ملكية خاصـة . وفي عـام ١٩٦٩ ، قـام بنك Industrial Development Bank حسب ما جاء في تقريره السنوي ، بمفاوضات من أجل سلسلة من القروض ، استدانها من بنك التصدير والاستيراد وشركة « أمبال » ومرة أخرى بنك واربورج (مليوني ليرة) .

ورغم حقيقة ان الاستثمارات الاجنبية الخاصة في الماضي لم تسهم الا بنسبة صغيرة مما وصل لاسرائيل من راس المال الاجنبي ، من المهم أن ندرك أن المعونات الاجنبية (التي تدفعها البروليتاريا الامريكية ، والاوروبية الغربية) قد خلقت القاعدة الصناعية التي مكنت الرأسماليين الاجانب من الاستثمار المربح . وهكذا ، فدور الاستثمار الخاص في ما يرد اسرائيل من رأس المال قد يصبح أكثر اهمية في المستقبل، عندما يكتشف الرأسماليون الاجانب فرصا جديدة للربح في اسرائيل . الا أن هذه الامكانية ، لا محالة ، رهن بنشاط الكفاح التحريري الفلسطيني ، والبروليتاريا الاسرائيلية نفسها .

سابعا ــ القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي :

أ ــ **صناعة الماس** : كما اشرنا في السابق ، اكتسبت صناعـة الماس دورا حيويا في الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث أسهمت بأكثر من ثلث صادرات البلاد عام ١٩٦٧ . وخلافا لبعض القطاعات الاخرى ، فهذه الصناعة ذات منشأ حديث نسبيا .

ان صناعة الماس في فلسطين (التي يحتكرها اليهود) قد نمت بمعدل سريع جدا بعد أن انقطعت مراكز هذه الصناعة في أوروبا عن مصادر موادها الاولية (في جنوب افريقيا) : فازداد انتاج هذه الصناعة من ١٠٠٠٠ قيراط (بلغت قيمتها ٢٥٠٠٠٠ ليرة) عام ١٩٤٠ الى ٥٨٠٠٠٠ قيراط (قيمتها ٢،٦ مليون ليرة) عام ١٩٤٣ الى ١٣٨٠٠٠٠ قيراط (٦ ملايين ليرة) عام ١٩٤٥(٣٠). ومنذ عام ١٩٤٥ ، أصبحت اسرائيل ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، حيث أسهمت بأكثر من ٣٠ بالمائة من انتاج العالم .

وتزود نقابة الماس التجارية الضخمة في لندن والتي تديرهـا بشكل رئيسي مصالـح بريطانية وافريقية جنوبية ، ٦٠ بالمائة مما تحتاجه اسرائيل من الماس الخام(٣١). فهل يعقل أن يكون « لمصالح أمنية » أو من قبيل الصدف السياسية ان يكون لاسرائيل علاقات تجارية حميمة ومكاتب دبلوماسية في جنوب افريقيا ، احد اكبر منتجي الماس الخام في العالم ؟ واذا ما ادرك المرء أهمية الماس المصقول في الميزان التجاري الاسرائيلي (حيث اسهمت صادرات الماس لوحدها عام ١٩٦٧ بما يعادل ٦ بالمائة من اجمالي الدخـل القومي) ، أصبح متعذرا أن يتغاضى المرء عن القاعدة الاقتصادية التي تحكم الصداقة الاسرائيلية ــ جنوب الافريقية .

وبالنسبة لعلاقاتها مع القطاعات الاخرى ، يتبين ان لصناعة الماس خواص فريدة جدا . اولا ، يذهب ٩٩،٩ بالمائة من الانتاج للاستهلاك الخـارجي(٣٢)، وليس الاسرائيلي . من جهة ثانية ، فالعامل العادي في هذه الصناعة يتمتع بانتاجية عالية جدا . ففي عام ١٩٦٤ ، انتج عمال الماس في اسرائيل البالغ عددهم عشرة الاف ما قيمته ١٣٧ مليـون دولار من الماس المصقول ، اي بمعدل ١٣٧٠٠ دولار للعامل الواحد(٣٣). والعامـل الثالث هـو ان مؤسسات صناعة الماس هـذه هي صغيرة نسبيـا ، اذ ان المؤسسة النموذجية عـام ١٩٦٥ لم تكـن توظف اكثر من احـد عشر شخصا(٣٤). واخـيرا ،

فالهستدروت يكاد يكون مستثنى كليا من ملكية هذه الصناعة او السيطرة على رأس مالها .

ب ــ **الاقمشة والملابس** ــ مثلما هي الحال في صناعة الماس ، لم يظهر انتاج القماش حتى السنوات الاخيرة من الانتداب البريطاني . وشركة أتا Ata ، وهي احدى الشركات الاولى الكبرى ، قد أنشأها مستثمرون من القطاع الخاص . ويشير أيزنشتات الى انه في عام ١٩٣٩ لم يكن سوى ٢،٤ بالمائة من عمال الاقمشة في اسرائيل يشتغلون في مؤسسات تابعة للهستدروت ، بينما بلغت النسبة عام ١٩٥٩ ٢،٥ بالمائة(٣٥) .

وبالنسبة للصادرات ، تحتل الاقمشة والملابس المكان الثالث ، بعد الماس والمواد الغذائية . ويبين الجدول التالي كيف ارتفعت صادرات الاقمشة والملابس حتى اثناء فترة الـ « ميتون » او الركود .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج القماش (مليون ليرة اسرائيلية)	٦٨٥،٥	٧٢٠،٠	٦٧٢،٠
انتاج الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٢٨٨،٠	٢٩٧،٠	٣٠٠،٠
صادرات الاقمشة (مليون ليرة اسرائيلية)	٣١،٣	٣٥،٧	٤١،٢
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٤،٦٪	٥،٠٪	٦،١٪
صادرات الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٩،٣	٩،٤	١٠،٨
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٣،٢٪	٣،١٪	٣،٦٪
اجمالي انتاج الاقمشة والملابس	٩٧٣،٥	١٠١٧،٠	٩٧٢،٠
اجمالي صادرات الاقمشة والملابس	٤٠،٦	٤٥،١	٥٢،٠
نسبة اجمالي الصادرات الى اجمالي الانتاج	٤،٢٪	٤،٤٪	٥،٣٪(٣٦)

ويجب ايضا فحص ظاهرة الزيادة في صادرات الاقمشة والملابس بالنسبة لعلاقتها بظاهرة اخرى وهي تناقص عدد العمال الموظفين في هاتين الصناعتين :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج الاقمشة	٦٨٥،٥ مليون ل.أ.	٧٢٠،٠ مليون ل.أ.	٦٧٢،٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	٢٦،٤٤٠	٢٥،٩٧٠	٢٢،٩٧٠
معدل انتاج العامل	٢٢،١٤٥ ل.أ.	٢٧،٦٩٦ ل.أ.	٢٩،٢٦٠ ل.أ.
انتاج الاقمشة	٢٨٨،٠ مليون ل.أ.	٢٩٧،٠ مليون ل.أ.	٣٠٠،٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	١٧،٥٠٠	١٧،٩٠٠	١٨،٦٢٠
معدل انتاج العامل	١٦،٥٧٠ ل.أ.	١٦،٦٩٢ ل.أ.	١٦،١١٧ ل.أ.
عدد العمال في الصناعتين	٤٣،٩٤٠	٤٣،٨٦٠	٤١،٥٩٠(٣٧)

ومع ان كل من الانتاج وعدد الموظفين قد ارتفع في صناعة الملابس ، الا ان ٣٥٠٠ من عمال الاقمشة قد اخرجوا من عملهم بين عام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ . واذا ما اعتبرنا الصناعتين معا ، يكون عدد العمال قد انخفض بنسبة ٥،٤ بالمائة . الا انه في صناعة الاقمشة ، ارتفع معدل انتاج العامل بـ ٥،١٢٥ ليرة اسرائيلية ، او ما يقرب من ٢٣ بالمائة .

وقد يحاول بعض القراء ان يخففوا من سوء الوضع في صناعة الاقمشة بالتظاهر ان فعالية العامل قد ارتفعت بشكل كبير خلال فترة الركود 'Mitun' . ذلك ان عمال الاقمشة الاسرائيليين « المحظوظين » الذين استطاعوا المحافظة على وظائفهم خلال عام

١٩٦٦ وعام ١٩٦٧ قد تعرضوا لنفس العملية الاجرامية المدعوة بالحث على السرعة في الانتاج "Speed-up" والتي تحصل في الامم الرأسمالية الكبيرة ، مثل الولايات المتحدة . اذ انه يجب التذكير ، انــه في الاقتصاد الاشتراكي ، لا ينضم العمــال الذين اصبح عليهم الخروج من عملهــم الى صفوف العاطلين عن العمــل اذا ما ادت بعض التحسينات في الانتاج الى الغاء بعض الوظائف .

جـ ــ **المواد الكيمياوية** ــ بخــلاف الصناعــات الاسرائيلية الاخرى ، تعتمد صناعــة الكيمياويات اعتماداً شديداً على استغلال الموارد الطبيعية ، وخــاصة المواد الاولية المعدنية الموجودة في النقب ومنطقة البحر الميت . وهي تسهــم بـ ١٢ بالمائة من نــاتج اسرائيل الصناعي(٣٨). وبالنسبة للصادرات ، تحتل المواد الكيمياوية المكانة الرابعة . والجدول التالي يبين كيف ان صناعة الكيمياويات قد تعرضت لآثار مشابهة لتلــك التي تعرضت لها صناعتا الاقمشة والملابس :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
اجمالي الانتاج (مليون ل. أ.)	٣٤٣،٢	٣٧٠،٢	٣٧٧،٧
عدد الاشخاص الموظفين	٧،٦٥٥	٧،٥١٠	٧،١٩٦
معــدل انتاج العامل	٤٤،٨٦٢ ل.أ.	٤٩،٢٩٠ ل.أ.	٥٢،٤٩٠ ل.أ.
الصادرات (مليون دولار)	٢٥،٠	٣٠،٦	٣٥،٦(٣٩)

ومع ان عدد العمال قد انخفض بنسبة ٦ بالمائة ، الا ان الانتاج ارتفع بنسبة ١٠ بالمائة خلال فترة السنوات الثلاث . وفي نفس الوقت ، ارتفعت الصادرات بنسبة ٤٠ بالمائة . وانخفاض عدد العمال ، وكذلك الزيادة الكبيرة في الانتــاج والصادرات تستحق فحصا دقيقا . فبينما ملكية الهستدروت في صناعة الاقمشة صغيرة الى ادنى الحدود ، يسيطر الهستدروت على حوالي ٢٠ بالمائة من صناعة الكيمياويات . وفي هذه الحالة ، يقــع قسط اكبر من اللوم على المؤسسات البيروقراطية التي تحكم العمال بالنسبة الى اخراج العمال من عملهم وكذلك بخصوص ظاهرة الحث على السرعة في العمل "Speed-up" .

د ــ **الزراعة وانتــاج المواد الغذائية** : غــالبا مــا وصف المدافعون عن الصهيونيــة الكيبوتسيم والمزارع الجماعية بانها نماذج على اشتراكية اسرائيل ، مشوهين بذلــك بشكل فظيع الحقيقة عن الاهمية النسبية لهذا القطــاع . فبينما لعب النظام الزراعي « الاشتراكي » السطحي دورا هاما في نشوء الدولة الصهيونية ، الا ان ١٢ بالمائة فقط من القوة العاملة الاسرائيلية موظفة الآن في النشاط الزراعي(٤٠) .

وقد لعب الهستدروت دورا تنظيميا حيويا على بعض المستويات في القطاع الزراعي ، الا ان على المرء ان يتفحص العلاقــة بين القطــاع الزراعي والقطاعــات الاخرى . « فالمزارعون الاشتراكيون » في اسرائيل ينبغي لهم اذا ما ارادوا الانتــاج ان يبتاعوا الادوات الزراعية ، والماكينات والاسمدة ، والمنتجــات الاخرى التي تقوم بصناعتهــا المؤسسات الخاصة . والناتج الزراعي ، بدوره يباع امــا الى التعاونيات التسويقية الكبيرة او الى من يتعامل به في القطاع الخاص. ويصف ايزنشتات تعاونيات الهستدروت على الشكل التالي :

غالبا ما واجه المهاجرون المستوطنون الصعوبات بخصوص زراعة وشحن المنتجــات الزراعية المختارة او المصنفة بطريقة حازمة ، ولم يكونوا راغبين في ان يتحملوا مخاطرة الخسارة . ولذا ، نشأت الحاجة الى اقامة وكالة تسويقية اضافية (وهي N U V التي كانت تنوفــا احدى شركائها) تقوم بشراء الناتج الزراعي بالمجمــل ، وتعتني

بالاختيار والتصنيف ، كما وتقوم بتأمين استقرار التسويق . وهكـذا اصبح التسويق اكثر فأكثر منفصلا عن الانتاج ...

ومعظـم المستوطنين الجدد لا يظهرون أي ايديولوجية محددة بخصـوص العمـل التعاوني ، بل ان بعضهم يجدونه مما يتناقض مع مسؤولياتهـم واستقلالهم الشخصي ويخرقها ، وبعض القرى ــ وخاصة تلك المؤلفة من جماعات لها تقاليد متباينة ــ لا تتمكن ، ببساطة ، من ايجاد شكل من التنظيم الاجتماعي الشامل، وكثيرون يجدون NUV اقل مرونة ، واكثر تلكؤا في الدفع ، كما وان شروطها اسوأ من سائر وسائل التسويق الاخرى ، واخيرا كثيرا ما يعترض المستوطنون على التسويق عن طـريق التعاونيات القروية نفسها ، لان ذلك يتيح للموشاف ان يخصم الديون والضرائب المستحقة علـى الاعضاء من واردات المبيع(٤١).

الا ان « عودة ظهور الفردية » في مجمعات اسرائيل الزراعية ، لا يمكن ارجاعهـا فقط الى غياب التوجيه الاشتراكي لدى المزارعين ، أو الى عدم فعالية التعاونيات . فمئير يعري ، احد قادة حزب المابام ، قد اشار الى ان تعاونيات الهستدروت التسويقية تعمل كمجرد وكالات لمن يجني الارباح في المدن :

« اذ ان الـ « تنوفا » (وهي احدى وكالات تسويق الانتاج التابعة للهستدروت) تسلـم الناتج الزراعي قبل ان يصل الى المستهلك ، الى وسطاء يتمكنون بذلك من جني ارباح مرتفعة جدا . فلا عجب اذا ان تصل المنتجات المستهلك احيانا بعد ان تكون اسعارها قد ارتفعت بأكثر من ١٠٠ بالمائة »(٤٢).

ويمكننا فهم ملاحظات ايزنشتات ويعري فهما اشمل بتفحصنا الارقام القياسية لاسعار المواد الغذائية في سنوات مختلفة :

	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	ايار١٩٦٩
المواد الغذائية	٨٩،٥	٩٥،٢	١٠٠،٠	١٠١،٣	١١٠،٠	١١٥،٥	١١٨،٦	١٢١،٥	١٢٥،٣
كافة المواد	٨٥،٧	٩٣،٢	١٠٠،٠	١٠٥،٢	١١٣،٢	١٢٢،٣	١٢٤،٣	١٢٦،٩	١٢٩،٧(٤٣)

فبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، استمر الرقم القياسي لسعر المواد الغذائية اعلى منه لكافة المواد المستهلكة . ومع ان هذا الوضع قد انعكس بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٩ ، الا انه تجدر الملاحظة انه منذ عام ١٩٦٦ ارتفع الرقم القياسي لسعر المـواد الغذائية بسرعة اكبر (١١٥،٥ الى ١٢٥،٣) الرقم القياسي لاسعار المواد الاخرى (١٢٢،٣ الى ١٢٩،٧) . وبكلمة اخرى ، فالوسطاء يرفعون الاسعار مرة اخرى بسهولة تـامة . ولفترة تسع السنوات كلها ، ارتفعت اسعار المـواد الغـذائية بنسبة ٤٦ بالمائة ، او بمعدل ٥ بالمائة في العام .

ومع ان الصادرات الزراعية ، وبدرجة اولى منتجات الحمضيات ، كانت احدى ركائز اقتصاد فلسطين في عهد الانتداب ، كانت الخمسة عشر عاما الاولى من عمر الدولـة الاسرائيلية تحاول التقليل مـن التشديد على الزراعة . ويشير ايزنشتات في كلامـه عن منتصف الستينات الى ان الحكومـة قد اضطرت الى ان تثني المهاجرين الجدد عن الاشتغال بالزراعة :

لقد ادت درجة الاشباع التي وصل اليها الانتاج الزراعي في السنوات الاخيرة الى تغيير رئيسي في سياسة الاستيطان . فخلافا للهدف العام الذي كانت ترمي اليه هذه السياسة في عهد الانتداب وهو توطين اكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد في الاراضي الزراعية ،

لا يهدف الان بشكل عام الى زيـــادة القوة العاملة الزراعية (وهي الان حوالي ١٢،٥ بالمائة)(٤٤).

في « السياسة في اسرائيل » الذي نشر في كانون الثاني ١٩٦٧ ، تهدف منظمة اسرائيل الاشتراكية (متسبين) الى القول ان الكيبوتسات « الاشتراكية » الذي يحسبها ، خطأ ، قسم كبير من الشباب الامريكي اليهودي مثلا أعلى ، قد حولت انظارهـــا الى الانتاج الصناعي ـــ فأصبحت تمثل ظاهرة الاشراف على العمل "Bosses" !

لقد تحول الكبيوتس الى النشاط الصناعي ، بدأ أولا بتصنيع المنتجات الزراعيـــة ولكن تدريجيا تحول الى ميادين اخرى ، مثل صناعة المواد البلاستيكية ، والاواني الفخارية ، والاثاث ، وطائفة من المنتجات الصناعية الخفيفة الاخرى . الا ان مواطني الكيبوتس قليلي العدد (بضع المئات) لا يستطيعون ان يزودوا اليد العاملة للزراعة والصناعة معا. وبما ان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادىء الاشتراكية الصهيونية ، اضطر الكيبوتس الى استئجار العمال من المدن المجاورة . وهكـــذا ، اصبح مجتمع الكيبوتس المشاعي آلة مشاعية لاستغلال اليد العاملة المستأجرة .

وعادة يعمل اعضاء الكيبوتس كمشرفين على العمـــل في مصانعهم بينما يقوم العمـــال المستأجرون بالمهمات الاقل مهنية . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المستأجرون الى مدنهم . وبالنسبة اليهم ، فالكيبوتس هو صاحب عمل كأي رأس مالي اخر ، مع فارق ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية(٤٥).

واذا ما افترض أي من القراء غير الحذرين ان تحليل متسبين ما هو الا خيالات فئـــة يسارية صغيرة ، فقد يفيده الاقتباس التالي عن ايزنشتات .

ومع انه لا توجد ارقـــام دقيقة ، الا ان التقديرات الموثوقة تشير الى حـــوالي ١٠٠٠ مؤسسة صناعية قد أنشئت في الكيبوتسات ـــ وغالبا من الحجم الوسط او الصغير الذي يتطلب مستويات عالية من الكفاءة التقنية . وبعـــض المؤسسات الكبيرة هي ملكيـــة مشتركة لعدة كيبوتسات ، او للكيبوتس ـــ وأحيانا **لرأس المـــال الخاص الذي يتـــم استقطابه** . ومعظم هـــذه المؤسسات هي في صناعة الاخشاب والاثـــاث ، والمـــواد الغذائية ، والمعادن ، والصناعات البلاستيكية ، وهي تشكل من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل انتاج الكيبوتسات(٤٦).

وبالاضافة الى التقلص الثابت في القوة العاملة الزراعية في اسرائيل ، وكذلك الالغـــاء التدريجي لاشتراكية الكيبوتسات ، عـــلى المرء ان يأخـــذ بعين الاعتبار ايضا الطبيعة الخاصة للانتاج الزراعي في اسرائيـــل . فبين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، اسهم انتـــاج الحمضيات بشكل مستمر بـ ١٥ بالمائة من مجمل الانتـــاج الزراعي ، وفي عـــام ١٩٦٧ اسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩،٥ بالمائة من انتاج اسرائيـــل الزراعي(٤٧). وكمـــا يظهر من الجـــدول التالي ، استمرت الحمضيات تشكـــل نسبة مرتفعة من اجمـــالي الصادرات الزراعية .

الارقام بالدولارات :

	١٩٤٩	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
صادرات الحمضيات	١٨ مليون	٤٥،٩ م	٧١،٢ م	٧٤،٧ م	٨٣،٧ م
الصادرات الزراعية	١٨،١ مليون	٥٨،١ م	٨٦،٥ م	٩٤،٩ م	١٠٦،٠م
نسبة صادرات الحمضيات الى الصادرات الزراعية	٩٩،٥ ٪	٧٩،٠ ٪	٨٢،٣ ٪	٧٨،٧ ٪	٧٩،٠٪(٤٨)

وهكــذا ففي عام ١٩٦٧ ، اسهمت منتجــات الحمضيات بـ ١٩٫٣ بالمــائة من مجمــل الصادرات الاسرائيلية ، او ٣٫٤ بالمائة من اجمالي الدخل القومي .

وخلاصة القول ان القطاع الزراعي الاسرائيلي يكشف بشكل واضح عن خواص معينة تشير الى علاقته الوثيقة بالرأسمالية الاسرائيلية : ١) الانتقال المستمر في اليد العاملة من القطاع الزراعي الذي يديره الهستدروت الى القطاع الصناعي من الاقتصاد . ٢) عجز تعاونيات الهستدروت التسويقية عن منع الوسطاء من رفع اسعار المــواد الغذائية . ٣) التشديد المتزايد على الانتاج الصناعي (من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل الانتاج) من قبــل الكيبوتسات « الاشتراكية » وكذلــك تسلل راس المال الخــاص الى عمليــات الكيبوتس . ٤) الطبيعة المتخصصة جــدا للانتــاج والتصدير الزراعي ، حيث تلعب صادرات الحمضيات دورا حيويا في الميزان التجاري .

هـ ــ **البترول** : بينما استمر « الاربعة الكبــار » (المــاس ، المنتوجــات الغــذائية ، الملبوسات والكيمياويات) أعمدة للاقتصاد الاسرائيلي مع صادرات في هذه المجالات ، مؤمنة ١٠ بالمائة من الدخــل القومي العام في العام ١٩٦٧ ، فان صلات اسرائيل مــع الامبريالية النفطية تبدو اقل بروزا عند النظرة الاولى . يتعمد المدافعون الحاليون عن الصهيونية القفز عن الحقيقة بأن الاشراف على حقول النفط المكتشفة حديثا في العراق كان المحرك الحيوي وراء خطة الحلفاء لتقطيع اوصال الامبراطورية التركية خلال فترة الحرب العالمية الاولى . عرّفت اتفاقية سايكس ــ بيكو السرية في العام ١٩١٥ لبنان وفلسطين بأنهما كتلتان سوف تفصلان عن المقاطعة السورية (التركية) ، حين التخلص من السيطرة التركية في الشرق الاوسط . بعد انتصار الحلفاء ، كــان من المفروض ان تجري عملية تطوير كل من لبنان وفلسطين بجعلها مقاطعات اوروبية ، تخدم كمخارج ساحلية بالنسبة للنفط الخام المستخرج من العراق ومن مناطق محلية اخرى . وبينمــا تمت عملية جعل لبنان اوروبيا بواسطة الاحتلال الفرنسي ، اخذت العملية في فلسطين شكلا مزدوجــا ــ الاشراف البريطــاني العسكري والسياسي والهجــرة الصهيونية الاوروبية ، مرتكزة « شرعيا » على وعد بلفور في العام ١٩١٨ .

خلال فترة الانتداب ، أعد مرفأ حيفا ليكون مركزا رئيسيا للنفط المستخرج من العراق والمملكة السعودية بواسطة الشركــات الانكليزية والاميركية . هــذا وان مظاهر مثل الدعم البريطاني المباشر لتنمية الاقتصاد الصهيوني ، وجعل بريطانيا فلسطين قــاعدة عسكرية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها ، واستخدام الهاجاناه من قبــل السلطات الانكليزية لحماية انابيب النفط خلال ثورة العام ١٩٣٦ في فلسطين ، ثم حقوق التنقيب التي حصلت عليها شركات النفط الاجنبية في فلسطين نفسها . كل هذه مؤشرات لا يمكن دحضها على النوايا النفطية الامبريالية لاستخدام فلسطين كمنطقة ساحلية تابعة لها . وكانت المحاولات البريطانية لتحديد الهجرة اليهودية بعد العام ١٩٣٦ ، على أية حال ، دليلا مؤشرا على تدهور الحلف الاساسي بين القادة الصهيونيين والمصالح البريطانية . ومع ان بعض الاشخاص يتحدثون خطــأ عن « الحرب اليهوديـــة للتحرر القومي ضد الانكليز » الا انهم يقفزون عن حقيقة مؤداها انه عندما تم الاستيلاء على سلطة الدولة في العام ١٩٤٨ ، فانه لم يتم الاستيلاء او اخراج المصالح البريطانية من قبل السلطات الاسرائيلية ، ذلك ان العــلاقة الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية ، بــدل ان تنتهي وتتحطم ، دخلت مرحلة جديدة بمواصفات جديدة .

صحيح ان شركات النفط اغلقت انابيب نفط حيفا وتجاوبت مع المطالب العربية بعدم بيع النفط العربي لاسرائيل ، ولكنه يجب ان لا يعتقد بأن اصحاب ملايين النفط في العالــم التزموا موقفا موحدا « مؤيــدا للعرب » . مثلا ، ان جــاكوب بلاوستين (المتوفى) ، مؤسس شركة بان اميركان للنفط ، والمساهــم الرئيسي في شركة ستاندرد اويل اف

اندیانا (التي بدأت عمليات النفط في مصر في العام ١٩٦٣) ، قد مثل المنظمات الصهيونية الاميركية في مؤتمر باريس في العام ١٩٤٦ وكان مؤخرا من اشهر جامعي الاموال للجباية اليهودية الموحدة. وان رودولف جـ. سونه بورن (مدير « امبال » ومدير شركة التنمية الاسرائيلية) لعب دورا اساسيا في شراء الاسلحة للهاجاناه في الولايات المتحدة ، وخدم كرئيس الجباية اليهودية الموحدة من العام ١٩٥٠ لغاية ١٩٥٤ ، وعندما أعلن قيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، اشترى حقوق الحفر الخاصة بموبيل اويل في صحراء النقب واسس سونول ، التي هي اليوم احدى شركات النفط الاسرائيلية الاساسية . وبطريقة مماثلة ، حصل المليونير البريطاني ، اسحاق ولفسن على أماكن شركة شل في النقب ، واسس شركة « باز » .

لقد تمثلت ايضا المصالح غير المتناقصة للمستثمرين الغربيين في استخراج النفط الاسرائيلي ، بتأسيس شركة Mediterranean Petroleum وشركة بان ــ اسرائيل للنفط في العام ١٩٥٣ . أحد المدراء المؤسسين لبان ــ اسرائيل كان وليم ف. باكلي الاب (المتوفي) ، والد العالم اليميني الامريكي المعروف . وهناك مدراء آخرون من بينهم آرون بارو واي (Paper Mills الامريكية ــ الاسرائيلية) ، وأ. س. شمرون (النائب العام المساعد لاسرائيل ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) . كما خدم شمرون كمدير لشركة « مديترانيان بتروليوم » ، مع اسرائيل ب. برودي (نائب مدير شركة PEC - Israel). في العام ١٩٥٩ ، اكتسبت Magellan Petroleum Corporation (التي كانت تحت اشراف عائلةباكلي) الموجودات الكاملة للشركتين .

بعد ازمة السويس في العام ١٩٥٦ ، التي تقلصت خلالها ، بسبب اغلاق القناة المؤقت ، احتياطات اوروبا من النفط ، وكذلك عائدات الشركات الغربية ، بدأ بعض خبراء البترول في الدفاع عن بناء انابيب عبر اسرائيل . كخط بديل لشحن النفط الايراني الى اوروبا . كان هارولد لوبل احد مؤيدي الخطة (أزمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة الاوروبية الغربية) وهو مستشار لمؤسسة راند وكان في السابق باحثا في معهد فولك FALK الاقتصادي الاسرائيلي(٤٩). تولت شركة « تريكونتننتال بايبلاينز ليمتد » عملية بناء خط انابيب ايلات ــ حيفا ، وهي احد فروع كتلة باكلي . وبالطبع فان شركات الاستثمار الامريكية الاساس ، بما فيها « أمبال » ، اشترت أيضا اسهما في « تريكونتيننتال » .

شكل هذا المشروع ، الذي كان وما زال بشكل واضح معتمدا على الاشراف الاسرائيلي على ايلات ومضائق تيران ، محاولة لاعادة تنشيط دور ميناء حيفا السابق للعام ١٩٤٨ كمحطة نفط حيوية . ليس من المخالف للمنطق بشيء ، التخمين فيما اذا كان مشروع الانابيب احد العوامل او الحوافز في حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث ادعت اسرائيل ان اغلاق مصر لممرات تيران كان مبررا للحرب نفسها .

في نوفمبر ١٩٦٩ اشارت مجلة الشرق الاوسط الجديد الى ان الرسميين الاسرائيليين قد دخلوا في مفاوضات سرية مع شركات النفط الاميركية بخصوص استعمال خط ايلات ــ الى ــ حيفا بعد تكميله في العام ١٩٧٣ . كان الرأي ان شركات النفط انما دخلت هذه المفاوضات خوفا وتحسبا من المترتبات الاقتصادية بعيد خلع الملك ادريس من ليبيا .

اعلنت اسرائيل في كانون الثاني ١٩٧٠ عن تكميل انبوب النفط ، الذي وصفته Fortune على الشكل التالي : السعة الاساسية ، حوالي ٢٠ مليون طن من النفط الخام سنويا ، ويمكن مضاعفتها ثلاث مرات باضافة الخزانات ومحطات الضخ . وسوف تجني اسرائيل من ٣٣ الى ٤٠ سنت على الطن من النفط المتدفق عبر الانبوب(٥٠). هذا مع ان انبوب ايلات ــ الى ــ حيفا ، ثالث اطول خط في العالم ، يستطيع من حيث طاقته أن يدر اكثر

من ٢٠ مليون دولار سنويا من الارباح ، جاعلا اسرائيل محولا حيويا في نقل النفط الايراني الخام الى السوق الاوروبية .

بالاضافة الى انبوب نفط الامبرياليين ، على المرء ان يأخذ الحقيقة بعين الاعتبار ، بأن اسرائيل عند سنة ١٩٦٧ كانت تصدر ٢٠ مليون دولار قيمة بترول سنويا . وتبلغ الضريبة المطلوبة من المستخرجين الاجانب ١٢،٥٠ بالمائة ، اقل بكثير من اية نسبة تطلبها غالب الدول المنتجة للنفط . منذ حرب ١٩٦٧ ، اقام كثير من الشركات الاجنبية آبارا في شبه صحراء سيناء ، شركة يشرف عليها جون م. كنغ ، احد اصحاب ملايين النفط في دنفر . هذه الحقيقة ، مضافا اليها أهمية شرم الشيخ للدفاع العسكري عن منطقة أيلات، سوف تلعب دورا مهما في تحديد مستقبل الوضع السياسي لمنطقة سيناء.

برغم انه من المحتمل ان يظل انتاج النفط ، داخل اسرائيل بحدود قبل العام ١٩٦٧ ، قليلا نسبيا ، لا يمكن للمرء ان يستبعد امكانية عمليات نفط اوسع في النقب او على امتداد البحر الابيض المتوسط . انه من الواضح ان المستثمرين الاجانب في اسرائيل لم يستبعدوا هذه الامكانية ، حيث ان صناعة النفط في اسرائيل ، حتى قبل العام ١٩٦٧ ، كانت تحت سيطرة شركات اجنبية كبيرة ، أمثال سونه بورن ، وولفسن وباكلي .

تسرع عديد من الامريكيين ، ومن ضمنهم بعض الناطقين باسم اليسار ، في الافتراض بأن لا ارتباط لاسرائيل بعالم تجارة النفط . انه من الامور الاساسية ، على أية حال ، ان ندرك ان التوسع الامبريالي يشتمل ، ليس فقط على المنابع الفعلية للثروة وانما ايضا على المنابع ذات القوة الكامنة لذلك . ان العمل الضخم مثل خط انابيب ايلات ـــ الى ـــ حيفا وعمليات ما بعد الحرب في شبه جزيرة سيناء ، تؤكد بشدة ، على ان اسرائيل تتطور بسرعة كمنبع نفط اضافي للسوق (الاوروبية) المتوسعة باستمرار .

و ـــ **قطاعات اضافية** : بالاضافة الى القطاعات الاربعة الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي ـــ الماس ، الزراعة ، المنسوجات والكيمياويات ـــ يمكن للمرء ان يشير الى حقول جديدة اخذت بالتطور باضطراد منذ العام ١٩٤٨ . صناعة الصلب الاسرائيلية على سبيل المثال ، تميزت بنمو سريع . ولا بد من تسجيل ، انه في هذه الحالة ايضا ، ادت فترة الركود (الميتون) الى تخفيض العمالة ، ومع ذلك ارتفعت الصادرات .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الناتج بملايين الليرات الاسرائيلية	١،٦٢٩	١،٥١٠	١،٣٢٤
عدد العاملين	٧٢،٩٤٠	٦٩،٤٠٠	٦٤،١٢٠
معدل الانتاج للعامل الواحد	٢٢،٤٧٠ل.١.	٢١،٧٦٠ل.١.	٢٠،٦٥٠ل.١.
الصادرات بملايين الدولارات الاميركية	٢٠،٨	٢٨،١	٣٣،٢(٥١)

مع ان حوالي ١٢٪ من عمال الصلب في اسرائيل قد جرى تقليصهم بين الاعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ ، فان الصادرات ارتفعت بحوالي ٧٠ بالمائة . وهذه الظاهرة مماثلة لما حدث في الصناعات الرئيسية الاخرى ، مع انه من الصحيح ان معدل الانتاج للعامل الواحد في صناعة الصلب قد شهد انخفاضا خلال هذه الفترة . على اية حال ، ان رقم الصادرات الحاد الارتفاع يوازي ارقام صناعة المنسوجات او صناعة الكيمياويات ويشير الى اتجاه بعيد جدا عن الاعتماد على الاستهلاك المحلي من اجل الارباح .

خلال الستينات كانت السياحة واحدا من اسرع قطاعات الاقتصاد توسعا . بلغت العائدات من السياحة ٥٤،٢ مليون دولار في العام ١٩٦٤ ، في مقابل ٤،٨ مليون دولار للعام ١٩٥٤ . ومع ان العائدات السنوية بقيت ثابتة نسبيا خلال فترة الركود «ميتون»، فان الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٦٨ ادخلت وحدها ٥٧،٧ مليون دولار ، وبلغ

المجموع السنوي ٧٤ مليون دولار ضاربا رقما قياسيا(٥٢). اكتسبت السياحة اهمية، ليس فقط كمصدر لعائدات صافية، وانما كمنبع للعملة الاجنبية، التي ساعدت جزئيا في تعديل العجز السنوي في الميزان التجاري. في حقل السياحة، يبدو الاشراف المالي الاجنبي واضحا جدا. وعلى سبيل المثال فان « يونايتد تورز » و Peltours، أشهر مكتبي سفر، هما على التوالي ملك PEC اسرائيل و Hotels International، التي كانت موجوداتها ١٨ مليون دولار في العام ١٩٦٨، وهي فروع لشركة فنادق هيلتون. كما ان شبكة فنادق دان تقع تحت اشراف مجموعة Isra-Miami، التي هي بدورها عبارة عن ائتلاف مستثمرين امريكيين واسرائيليين. مؤخرا جدا، يمكننا الاشارة الى مخططات فنادق هوليداي الرامية الى تطوير منطقة شرم الشيخ كمنطقة سياحية.

من الممكن ايضا تصنيف المواد الكهربائية والالكترونيات كقطاع متطور حديثا، حيث تم في العام ١٩٦٥ تشغيل ٩٬٥٥٠ عاملا. مع ذلك فقد كان لمرحلة الركود اثار قاسية، سببت انخفاضا في الناتج من ٢٣٥ مليون ليرة (١٩٦٥) الى ١٩٤ مليون ليرة (١٩٦٧). ويتناسب هذا التدهور، ٢٣ ٪، مع تسريح ١٬٩٩٠ عاملا(٥٣). على اية حال، فان كفاءات العمال ذات المستوى العالي، في هذا القطاع، اجتذبت استثمارا من شركات امريكية، مثل Western Electric, Sylvania، وستينغ هاوس، زنيث، ولورنس روكفلر وشركاه. من الممكن ايضا النظر الى صناعة الطيران الاسرائيلية كقطاع جديد نسبيا، حيث ارتفع الناتج العام من ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٦١ الى ١٢٨ مليون ليرة في نهاية العام ١٩٦٧(٥٤). وكان حوالي ٦٠٠٠ عامل مستوعبين في هذا القطاع في العام ١٩٦٧. في العام ١٩٦٩، اسست توربوميكا، وهي شركة فرنسية كبيرة، مصنعا قرب القدس لصناعة الطائرات الخفيفة.

على عكس المجالات الهامة الاخرى في الاقتصاد الوطني، فان صناعة البناء تميزت تقليديا بكونها ملكية دائمة للهستدروت وللحكومة. في العام ١٩٥٩(٥٥) ساهم الهستدروت والالتزامات العامة بحوالي ٤١٬٥ بالمائة من ناتج البناء. ويقول ايزنشتات ان البناء قد لعب دائما دورا حيويا، اثناء فترة الانتداب وبعدها:

كان فرع البناء على امتداد الفترة ١٩٣٠ ــ ١٩٦٠، باستثناء سنوات الحرب، كبيرا بالنسبة لحجمه في البلدان الاخرى. وقد شغل، في اوقات، ١٠ بالمائة من مجموع القوة العاملة وساهم بنسبة مماثلة في الانتاج القومي. ان هذا الفرع هو الاقل ثباتا في البنية الاقتصادية، حيث ان الحرب او الهجرة الواسعة يمكن (على التوالي) ان تسبب تقليص حجمه الى النصف او مضاعفته. هذا وقد وصلت الاستثمارات في البناء بالنسبة لسائر الاستثمارات، ٤٠ بالمئة في اوائل الخمسينات و ٣٠ بالمئة في السنين الاخيرة، الامر الذي زاد الاهمية النسبية لهذا الفرع في الاقتصاد(٥٦). انه من المفيد ان ندرك اهمية البناء، تاريخيا، ليس فقط بمعنى ايجاد التسهيلات الضرورية للصناعات الاخرى، وانما كمركز للوظائف المؤقتة للمهاجرين الجدد. اكثر من ذلك، يجب الادراك بأن المساكن « على الطريقة الغربية »، كانت واحدة من المكافآت الراسمالية للمهاجرين من اوروبا ومن الامريكتين. لهذه الاسباب، فانه لا يمكن تحليل دور الهستدروت، كموظف رئيسي لعمال البناء، في فراغ. وان مشاريع مثل سولل بونه Solel Boneh، التي اسسها الهستدروت في العام ١٩٢١، اعتمدت باستمرار والى حد على طلب البناء من الصناعة الخاصة ومن القطاعات الاكثر ثراء من المواطنين. بالاضافة الى ذلك، لا بد من الاشارة الى ان الاستثمار الخاص في قطاع البناء، ارتفع باطراد منذ العام ١٩٤٨. على سبيل المثال، في تطوير المساكن لوحدها، بلغ الاستثمار

الخاص في العام ١٩٦٢ حوالي ٤٣٧،٥ مليون ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٥٢،٩ بالمائة من مجموع استثمار المساكن . في العام ١٩٦٦ ، ارتفع الاستثمار الخاص في بناء المساكن الى ٥١٤،٥ مليون ليرة اسرائيلية ، او ٦٦،٣ بالمائة من مجموع الاستثمار(٥٧). في هذه الايام ، من الممكن ذكر شركات ، مثل شركة البناء نافه NAVEH (وتمتلكها كليا PEC - Israel Corporation)، حيث يسيطر الراسمال الاجنبي .

ان دخول الراسمال الاجنبي والمحلي الخاص قطاع البناء ، كان موازيا لتطوير الصلات الحميمة بين شركات الهستدروت والشركات الخاصة . على سبيل المثال فان بار — كوخبا ميروفيتش ، احد المدراء المؤسسين لسولل بونه ، يعمل اليوم ايضا كمدير لشركة ثلراد الالكترونية ولشركة Alliance Tire and Rubber وهي اكبر منتج لمواد المطاط في اسرائيل ، وان ميروفيتش خدم ايضا كعضو في المجلس الحكومي للاستشارات في الاستثمارات الاجنبية .

احدى السمات الاخرى الهامة جدا لقطاع البناء هي اعتماده الدائم والمتزايد على العمال العرب . في العام ١٩٥٤ كان فقط ٨،٤ بالمائة من اجمالي القوة العاملة العربية مستوعبا في البناء ، بينما ٦٠ بالمائة كانوا في الزراعة و٨،٢ بالمائة في الصناعات اليدوية . الا انه في العام ١٩٦٦ استوعبت الزراعة ٤٠ بالمائة من القوة العاملة العربية ، في حين احتوى البناء ١٩،٦ بالمائة . ومع انه يمكن اعادة سبب انخفاض القوة العاملة العربية في الزراعة الى الانخفاض العام لقطاع الزراعة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي، فان ١٤،٩ بالمائة فقط من القوة العاملة كان مستوعبا في الصناعة في العام ١٩٦٦(٥٨). البناء ، بدلا من الصناعة ، كان حيز التركيز الرئيسي للبروليتاريا العربية ، لان النسبة المئوية لعمال البناء اليهود انخفضت باستمرار . هذه الحالة — التخصص في مجال واحد — تعتبر مؤشرا بارزا على الطريقة التي تغير بواسطتها شكل الحياة الاقتصادية للسكان العرب منذ العام ١٩٤٨ . أجبر الذين تركوا الزراعة على ايجاد العمل في غالب الاحيان في قطاع البناء ، الذي يعتبر اكثر قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي تقلبا ، بينما ظلت الصناعة ، القطاع الاكثر سرعة في التوسع ، نسبيا مغلقة .

منذ حرب الايام الستة أثرت الظاهرة نفسها على العمال العرب القادمين من الاراضي المحتلة . العمال من غزة او الضفة الغربية ، الذين وجدوا عملا في اسرائيل ، يحصلون على معدل اجر غير صاف بحدود ٨ ليرات في اليوم في البناء(٥٩). وبما ان اجور هؤلاء العمال أقل بكثير من اجور العمال اليهود ، فان هناك طلبا دائما على خدماتهم . وليس هذا الطلب من قطاع الهستدروت « الاشتراكي » بأقل مما يأتي من المشاريع الخاصة . أوردت الجيروزالم بوست (١٢ شباط ١٩٧١) ان ٣٠٠٠ من أصل ١٦٠٠ عامل بناء موظفين من قبل سولل بونه التابعة للهستدروت هم اليوم من العرب القادمين من الاراضي المحتلة . كما اشار مقال سابق عن هذا في هآرتس (١٩٦٩/٨/١) بكل وضوح الى نهم ملتزمي البناء الى العمال العرب ذوي الاجر المنخفض : «رفض المهندسون بعدم اكتراث قول الوزير بنحاس سابير باننا انما نحول العرب الى حطابين وسقائين . ذلك انه ، كما يقولون ، لا بد أن يقوم أحد بانجاز هذا النوع من العمل حتى في أكثر البلدان تقدما في التكنولوجيا » .

ز — **خلاصة :** ان الطبقة الراسمالية داخل اسرائيل ، التي ظل تطورها التاريخي مستمرا في ارتباطه بالراسمال الاجنبي ، اشرفت على الصناعات الرئيسية لسنوات عديدة ، وادخلت باضطراد صناعات جديدة ، وبالتواطؤ مع بيروقراطية العمل عملت بثبات على التخفيف من ملكية الهستدروت في الزراعة والبناء . ومع اننا يجب ان نركز دائما على دور اسرائيل السياسي والعسكري « كدرع لاوروبا ضد آسيا »(٦٠)، وجد

وبقيت المحافظة عليه من اجل أن يحمي السيطرة الامبريالية على العالم الغربي ، وانه لخطأ فادح اغفال او عدم فهم تأثير الامبريالية على الاقتصاد الاسرائيلي . الرأسمالية الامريكية تتوخى اليوم فائدة مزدوجة سياسية واقتصادية من بلد ، يعتبر ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، ومحولا سريع التطور لشحنات النفط الايراني الى اوروبا ، ومستوردا لاكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا قيمة بضائع امريكية ، ومصدرا هاما للعمال المدربين . انها حقيقة واضحة انه لم يكن باستطاعة الاقتصاد الاسرائيلي الحالي أن يتطور دون المعونات الاجنبية ودون اغتصاب الارض التي كان يملكها الشعب الفلسطيني ، ولكننا يجب أن نعترف أن رأسماليي اسرائيل نفسها واسيادهم الاجانب كانوا المستفيدين الاساسيين .

ان التوسع السريع في الصادرات الاسرائيلية ، حتى خلال ازمتها القاسية ، رافقه تسارع مذهل في المصانع (مثلا ، معدل الانتاج للعامل في صناعة المنسوجات ارتفع ٢٣ بالمائة بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ . في صناعة الكيماويات ارتفع الرقم ١٧ بالمائة ، وفي صناعة الماس ٢٥ بالمائة) . وكما بينت سابقا تزايد الاستثمار باضطراد ، رغم التقلبات في بعض السنوات ، فقد بلغ استثمار الشركات الامريكية وحدها ١٠٨ ملايين دولار في العام ١٩٦٩ . من الواضح ان اسرائيل بالنسبة للمستثمرين لا تقدم فقط احتمالات سياسية بل اقتصادية ايضا . على المستوى ذاته ، لا يمكن للمرء ان يتجاهل الفوائد المجناة من واردات اسرائيل المرتفعة من البضائع الامريكية والاوروبية .

مع أن أكثر ضحايا التطور الراسمالي وضوحا هو الشعب الفلسطيني ، المنتزع من ارضه ومن اسباب حياته أو خاضع لاقصى درجات الاستغلال داخل الاقتصاد الاسرائيلي ، فان الجماهير الاسرائيلية نفسها هي أيضا ضحايا اقتصادية لـ Sonneborns, و Recanatis وغيرهم من الراسماليين . لهذا السبب فان التوجه العنيد نحو الارباح لا يمكن أن يتم في سلام . تماما كما مر محتوى النضال الفلسطيني وشكله ضد الصهيونية عبر تحولات مختلفة ، فان العلاقة بين الجماهير الاسرائيلية والراسمالية انما هي جديرة بالتحول . حتى لو أن المعونات الامبريالية وان الجوهر الاستعماري للمجتمع الصهيوني قد خلقا مجتمعا راسماليا نادرا لا نجد مثيلا لبنيته في العالم ، فان التناقضات الداخلية من الممكن أن تتعمق . ان « الهجمة من اجل الارباح » من قبل الراسماليين المحليين والاجانب الذين يعملون في اسرائيل ، لها نقيضها الواضح المنظور — امكانية النضال الثوري للجماهير الاسرائيلية ضد مستغليها .

ثامنا — ملاحظات حول الصراع الطبقي في اسرائيل :

سننتقل ، في هذا القسم ، من الاعتبارات المحددة ، مثل البنوك في اسرائيل او صناعة الماس ، الى تفحص اكثر عمومية للعلاقات الطبقية في اسرائيل . مثل هذا التفحص لا يتم دون جانب تحليلي توقعي ، اذ انه لا يمكن تجنب الاشارة الى بعض العوامل « الاستثنائية » في اسرائيل ، مثل أهمية الهجرة والهجرة المعاكسة ، دور المعونات الاجنبية ، ودور الهستدروت كحصان طروادة لرأسماليي اسرائيل نفسها وحلفائهم في ما وراء البحار . اتجاه اغلبية متسبين يفضي الى أن التكوين الطبقي والصراع الطبقي في اسرائيل يظلان في حدود مرحلة بدائية :

« اذ أن المجتمع اليهودي في اسرائيل انما هو مجتمع مهاجر مع كافة المواصفات التي توجد عادة في مثل هذا المجتمع . الطبقات هنا في مرحلة تكوين ، والوعي الطبقي ما زال باهتا جدا . عند الهجرة ، يغير القادم الجديد مهنته (خاصة في مثل حالة اسرائيل) ، واهتمامه وانتماءه الطبقي (اساس الغالبية من عمال اسرائيل هي البورجوازية الصغيرة) . أكثر من ذلك ، المراكز الاكثر سلطة في المجتمع يحتلها مهاجرو موجة أقدم،

مما يقوي مشاعر التحرك الاجتماعي بين المهاجرين الجدد . يرى العامل المهاجر وضعه الاجتماعي الحالي ليس اكثر من مرحلة مؤقتة : والده لم يكن عاملا ، وهو نفسه يعيش على أمل أن يصبح مستقلا ، أو أن اولاده ، على الاقل ، لا يكونون عمالا . الوعـــي الطبقي كما هو قائم ، مثلا ، لدى البروليتاريا الانكليزية او الفرنسية ، غير موجود في اسرائيل . هنا (كما في بلدان المهاجرين الاخرى) لا يصنف الناس انفسهم على أساس انتمائهم الطبقي ، بل على أساس مجتمعاتهم وعلى أساس بلد المنشأ »(٦١).

تصنف غالبية متسببين اسرائيل على انها « بلد هجرة » . وهذا صحيح ولكنني أشعر ان هذه الحالة الاستثنائية مبالغ التركيز عليها . برغم ان الوعي الطبقي لدى البروليتاريا الاسرائيلية ليس مشابها لاشكال الوعي الطبقي القائمة في بلدان اوروبية ، فانني أشعر ان بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالية سوف تدفع العمال باضطراد نحو « التصنيـــف الطبقي » وبعيدا عن « التصنيف على أساس المجتمع » .

انه من المهم جدا أن نفهم ، أن سكان فلسطين اليهود ، قبل مرحلة الدولة ، كـــانوا مقسمين الى طبقة رأسمالية واخرى بروليتارية . يعتقـــد بعـــض « الصهيونيـــين اليساريين » ، كما يفعـــل بعض معادي الصهيونيـــة في امريكا ، انـــه خلال فتـــرة الانتداب ، أشرف المهاجرون « الاشتراكيون » اشرافا قويا على الاقتصاد ، على أن هذا الاشراف اضمحل خلال مرحلة متقدمة من تاريخ الصهيونية . غير أن تاريخ اليشوف (المجتمع اليهودي في فلسطين : المترجم) لم يبرز أي « عصر ذهبـــي لاشتراكيـــة صهيونية » . يقدم أيزنشتات الوصف التالي لاقتصاد الانتداب من خلال الاربعينات :
كان متوسط حجم المشاريع اليهودية الصناعية (باستثناء الصناعات اليدوية) في العام ١٩٤٣ ، حوالي ٢١ عاملا . حوالي نصف مجموع العاملين ، كانوا يعملون في المصانع التي كانت تشغل اكثر من خمسين شخصا . أكثر من نصف المؤسسات كانت تشغل اقل من عشرة أشخاص .

كانت حوالي ٨٠ بالمائة من المؤسسات ــ التي تشغل حوالي ٤٠ بالمائة مـــن مجموع العمال الصناعيين ــ منظمة على أساس الملكية الخاصة او الشركـــات المساهمة .
كانت الشركات الخاصة والعامة المحدودة تؤلف أقل مـــن خمس مجموع المؤسسات ، ولكنها شغلت أكثر من نصف القوة العاملة في الصناعة . أما حصة التعاونيات فلم تكن اكثر من خمسة بالمائة من مجموع الصناعة بالنسبة للحالتين .

كان قطاع الهستدروت يملك حوالي ٧٠ بالمائة من المزارع المختلطة في اواخر فتـــرة الانتداب (١٩٤٣) ، و٦٫٨ بالمائة من مزارع الحمضيات ، وحوالي ١٠ بالمائـــة مـــن الصناعة ، وثلثي فروع البناء ، ونسبة مماثلة في مواصلات الطرق(٦٢).

مع أن المؤسسات الصناعية الكبيرة كانت نادرة . يمكن للمرء ان يلاحظ ، انه خلال تلك الفترة ، كانت المؤسسات ذات الملكية الخاصة تشكل الغالبية . ومن الملاحظ ايضا أن التعاونيات والهستدروت كانت تشرف على ١٥ بالمائة فقط من اجمالي الصناعة . برغم أن الاشخاص ذوي المثاليات « الاشتراكية » او الاشخاص المنتمين لحركات مسمـــاة اشتراكية ، كانوا مهمين عدديا خلال اليشوف ، فان المشاريع الخاصة كانت مسيطرة سيطرة قوية .

كان الوجود العسكري البريطاني المتزايد سببا لانتعاش اقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية ، غير أن تدنيا حادا تطور في الفترة التي تلت الحرب . وعند انشاء دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، نتجت تعقيدات اقتصادية اضافية عن اغلاق خط انابيب حيفا ، وعن انتهاء التجارة مع الدول العربية ، وانسحاب الكثير من الرأسمال الانكليزي . بالطبع ، لا بد من الاشارة ، الى السيطرة الصهيونية على الثروة ــ بالاستيلاء علـــى الارض

والممتلكات الخاصة بعرب فلسطين (الاراضي انتزعت باسم الصندوق القومي اليهودي ومن ثم اعيد توزيعها على الكيبوتسات والتعاونيات الزراعية المشكلة حديثا) .

ان ايجاد حيز الرقابة الحكومية على الاقتصاد ، يشكل ، بالنسبة لايزنشتات تمايزا مهما بين مرحلة الانتداب ومرحلة الدولة . وهو يرى انه خلال السنوات الاولى على وجود اسرائيل ، أصبحت الحكومة « العامل الاقتصادي الاعلى » في التخطيط والتشجيع على حد سواء ، وفي الاشراف على الحياة الاقتصادية، وايضا في حالات عديدة كمشارك مباشر »(٦٣). حيث ان تمييز ايزنشتات بين اليشوف ومرحلة الدولة مفيد ، كما انه من المهم ايضا طرح سؤال يتعدى حدود الاجتماعيات البورجوازية : « هل خدمت عمليات الحكومة الاقتصادية الطبقة العاملة أم مصالح الرأسمال الخاص ؟ » .

يبين ايزنشتات نفسه انه ، لغاية ١٩٥١ ، كانت الحكومة غير قادرة ، بشكل جلي ، على الامساك بزمام الازمة التي تلت ايجاد الدولة :

خلال الاعوام ١٩٤٩ ــ ٥١ بلغت الصادرات ١١ أو ١٢ بالمائة فقط من قيمة الواردات ، وتزايد العجز التجاري السنوي باضطراد ، بالغا مجموع ما يقارب ٣٣٣ مليون دولار في العام ١٩٥١ . حاولت الحكومة خلال هذه الفترة ، ان تضغط التضخم بوسائل التموين المقنن ، بمراقبة الاسعار مثلا ، وبوسائل ادارية مباشرة اخرى . ولكن هذه المجهودات تحطمت بسبب عمليات السوق السوداء ، ورفض منح الثقة من قبل الناس ، وخاصة بعد تقنين توزيع الملبوسات والاحذية في صيف العام ١٩٥٠ . كذلك أدت قساوة الشتاء التالي الى تأزيم الموقف ، مهددة بانهيار بنية العملة والاسعار برمتها(٦٤) .

نظرا لتردي الحالة ، اعلنت السلطات « السياسية الاقتصادية الجديدة » ، التي احتوت تخفيضا لليرة الاسرائيلية في شباط ١٩٥٢ ، وتجميدا للاجور ، وكذلك عبئا ضريبيا للتطوير من الشعب . يعترف ايزنشتات ان السياسة الاقتصادية الجديدة خلفت ، في الاساس ، تزايدا في البطالة ، ولكنه يعرفها بأنها عمل ناجح ، مشيرا الى أن استقرارا قد نتج عنها(٦٥). ليس صعبا على هؤلاء الذين يعرفون السياسات الاقتصادية للحكومات الرأسمالية الاخرى ، ان يدركوا أن تخفيض العملة ، ومراقبات الاجور ، ورفع الضرائب ما هي الا « مسكنات تقليدية من أجل التضخم » . في حالة اسرائيل ، على أي حال ، يجب أن نعرف ان هذه الاجراءات قد وضعتها حكومة يسيطر عليها المباي ، حزب يسمي نفسه « اشتراكيا » .

ان التناقضات التي سبقت السياسة الاقتصادية الجديدة مألوفة في مجتمع توجد فيه طبقات . لقد حصل ١٠ بالمائة من سكان اسرائيل ، في العام ١٩٥٠ ، على ١٧،٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي السنوي ، بينما حصل النصف السفلي لسكان اسرائيل على ٣٧ بالمائة(٦٦). ورغم أن هذه الفروقات في الدخل ليست شاسعة ، كما هي في بلدان اخرى عديدة ، الا انها تشكل حاجزا متينا بين الطبقة العليا والطبقة العمالية . ومن المؤكد انه في العام ١٩٥٠ كان السؤال « هل ستزداد الفروقات في الدخل ام ستنقص ؟ » ، امتحانا مهما لطبيعة الاقتصاد ولدولة اسرائيل . وقد تبين عام ١٩٥٣ ان حصة الهستدروت النسبية في الحياة الاقتصادية لم تتوسع . وكان الهستدروت ما زال مستبعدا عن السيطرة على القطاعات الصناعية الرئيسية كالماس والمنسوجات والكيماويات ، كما كان مستبعدا قبل مرحلة الدولة . أما القطاعات الرئيسية التي كانت تخضع لسيطرة الهستدروت فهي : القطاع الزراعي (ثلثا مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣) وتجارة الجملة (٢٠،٦ بالمائة من مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣)(٦٧). كما احتفظ الهستدروت بحوالي عشرين بالمائة من قطاعي البنوك التجارية والتأمين .

وفي تلك الاثناء حقق القطاع الحكومي الجديد توسعه الرئيسي في حقل الخدمات العامة ، كالمواصلات والمنافع العامة وقد تجنب القطاع العام النشاطات الخاصة كتجارة المفرق والاعمال المصرفية والصناعات الخفيفة . اما الحكومة التي يحتل الهستدروت مناصب هامة فيها ، فقد فشلت باستمرار في ارساء سياسة تضعف من قوة القطاع الخاص التي كانت قائمة قبل انشاء الدولة .

أما حقبة الخطة الاقتصادية الجديدة فقد تميزت بنشوء تناقضات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وبرغم أن العجز في التجارة الخارجية قد انخفض ما بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٤، الا أن ضغوط التضخم المالي عادت للظهور خصوصا مع زيادة النفقات العسكرية خلال عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦ . ويجب الاخذ بعين الاعتبار الموجة الثانية الكبيرة من المهاجرين التي كانت تتألف في غالبيتها من يهود شمال افريقيا .

في العام ١٩٥٧ ازدادت فروقات الدخل التي تفصل الاثرياء الاسرائيليين عن الطبقة العاملة ازديادا حادا :

	١٩٥٠	١٩٥٦—١٩٥٧	التغير
١) أعلى ١٠ ٪ من السكان	١٧،٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٢٠،٤ ٪	+ ٢،٧ ٪
٢) أعلى ٢٠ ٪	٢١،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٤،٨ ٪	+ ١٣،٨ ٪
٣) أدنى ٥٠ ٪	٣٧،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٢،٨ ٪	— ٤،٢ ٪(٦٩)

بينما يظهر من الجدول اعلاه أن اعلى ٢٠ ٪ من السكان قد حققوا زيادة بارزة في مدخولهم فان ادنى ٥٠ ٪ من السكان قد انخفضت مداخيلهم.وان السياسة الاقتصادية الجديدة نفسها ، التي تميزت بتجميد الاجور وبتخفيض قيمة العملة ، قد تطابقت زمنيا مع هذه الظاهرة . وبالاضافة كان من الواضح ان سياسات الحكومة قد فشلت في دمج المهاجرين من آسيا وافريقيا بشكل كامل .

وقد ظلت البطالة مرتفعة باستمرار بين المهاجرين الشرقيين :

نسبة العاطلين عن العمل بين:	حزيران ١٩٥٤	الهبوط	حزيران ١٩٥٧
١) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون قبل ١٩٤٨	١) ٤و٣ ٪	١) —٥،٠٩ ٪	٢،٥ ٪
٢) المهاجرون الاسيويون والافريقيون قبل ١٩٤٨	٢) ٧،٧ ٪	٢) — ٢،٢ ٪	٥،٥ ٪
٣) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون بعد ١٩٤٨	٣) ٧،٩ ٪	٣) — ١،٤ ٪	٦،٥ ٪
٤) المهاجرون الاسيويون والافريقيون بعد ١٩٤٨	٤) ١٥،٤ ٪	٤) — ٤،٢ ٪	١١،٢ ٪(٧٠)

وهكذا نلاحظ ان المهاجرين الاسيويين والافريقيين سواء الذين وصلوا قبل او بعد عام ١٩٤٨ ، تتفشى بينهم البطالة بنسبة ضعف البطالة المتفشية بين المهاجرين الاوروبيين والامريكيين . وهذه الحالة تتمشى ، كأمر حتمي ، مع المداخيل المنخفضة ونسبة أصحاب الاملاك المنخفضة في اوساط المهاجرين الشرقيين . كذلك من المفيد ان نتذكر ان المهاجرين الشرقيين حرموا من بعض أشكال تدفق الرأسمال الاجنبي مثل التعويضات الشخصية المباشرة من المانيا الغربية .

وقد فشلت الخطة الاقتصادية الجديدة في الحد من البطالة الدائمة في أوساط الاقلية العربية في اسرائيل :

	حزيران١٩٥٤	الهبوط	١٩٥٨
نسبة اليهود العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة اليهودية :	٨،٣٪	٢،٧٪	٥،٦٪
نسبة العرب العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة العربية :	٩،٠٪	—١،٩٪	٧،١٪(٧١)

وهكذا فان انخفاض البطالة خلال اربع سنوات بين العمال اليهود كان اكبر منه بين العمال العرب . وبالاضافة فقد شهد عام ١٩٥٨ هوة اكبر في البطالة بين العرب واليهود مما كان الحال عليه عام ١٩٥٤ .

وفي الاساس تطابقت الخطة الاقتصادية الجديدة التي وضعت عام ١٩٥٢ مع ازدياد فروقات الدخل ومع استمرار نسبة البطالة العالية بين اليهود الشرقيين والسكان العرب . ومع ذلك فقد اتصفت حقب الخطة الاقتصادية الجديدة بتدفق رأس المال بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصهيونية . فقد بلغت واردات رأس المال الاجنبي بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٩، ٥٧٩ مليون دولار أي بمعدل ٥٧،٩مليون دولار سنويا(٧٢). وبما ان الحكومة التي خططت ونفذت الخطة الاقتصادية الجديدة كانت اسميا « اشتراكية » ، وكان من بين أعضائها قادة سابقون للهستدروت مثل بن غوريون ، لا يتمالك المرء ان يسأل « لماذا خان هؤلاء القادة الاشتراكيون ، الطبقة العاملة ؟ » .

ويشعر غالبية اعضاء متسبين ، الذين يدركون تماما وجود الهستدروت وقطاعات الملكية الحكومية ، بان بيروقراطية العمال نفسها كانت دائما أقوى من الطبقة الراسمالية في اسرائيل :

فهناك اشراف بيروقراطي شديد على القطاع الخاص (من قبل القادة العماليين) ومن قبل السلطة المباشرة للهستدروت والقطاعات الحكومية . وهذا الاشراف يتخطى التدخل الحكومي في الحياة الاقتصادية ، الامر المقبول في معظم الدول الراسمالية . ويجب الا ننسى أن الاقتصاد الاسرائيلي ككل — وارباح الراسماليين — يعتمد الى حد كبير على الاموال الاجنبية التي تعطى للبيروقراطية الصهيونية . وهناك عدة طرق يمكن لبيروقراطية العمال بواسطتها ان تقيم حالة من التوازن مع تدفق الاموال الاجنبية على مختلف احتكارات القطاع الخاص وان تتمتع بالسيطرة على البورجوازية(٧٣).

وانا لا اعتقد ان وجهة نظر متسبين هذه تصور دور بيروقراطيي العمال الاسرائيليين تصويرا دقيقا . فكما ذكرت سابقا ، تتصف نشاطات الهستدروت المالية والصناعية بالتعاون الوثيق بين البيروقراطيين والراسماليين الاسرائيليين والمستثمرين الاجانب . ان البيروقراطيين كافراد يحتلون مناصب حكومية هامة، الا انه من الخطأ الافتراض بأنهم « يتمتعون بالسيطرة على البورجوازيين » . ورغم ان شخصيات مثل بن غوريون ، واشكول ، وغولدا مائير ، قد لعبوا دورا في تقرير مصير المعونات الاجنبية الضخمة ، الا أن سلطة البيروقراطيين الحكومية كانت امتدادا لقوة البورجوازية الاقتصادية .

ولم يمر فشل الخطة الاقتصادية الجديدة في توفير حلول فعالة لمستويات الدخل المنخفضة، وللبطالة ، ولاشكال اخرى من الحرمان موجودة في اوساط الطبقة السفلى الاسرائيلية ، بدون آثار سياسية. فمثلا، برزت حادثة «وادي الصليب» المشهورة عام ١٩٥٩ في اوساط اليهود الشرقيين . فقد أدت الاحتجاجات العنيفة على الاوضاع السيئة في حي وادي الصليب في حيفا الذي يسكنه يهود من شمال افريقيا ، الى اندلاع حوادث مماثلة في اماكن اخرى في اسرائيل . وقد ادت التظاهرات والانتفاضات الى ظهور « اللكود » ، وهي منظمة سياسية لليهود شمال الافريقيين ، والتي أعلنت معارضتها المتشددة « للمصالح الذاتية لكل الاحزاب القائمة ، واعلنت عن تبنيها لعقيدة الانفصال الاقليمي »(٧٤). ورغم ان « اللكود » قصرت نشاطها على المجال الانتخابي ، ورغم ان

الاحزاب السياسية التقليدية نجحت في طمس النقمة الشرقية بادخال عدد اكبر من المرشحين الاسيويين والافريقيين في لوائحها الانتخابية ، فان الانتفاضات بحد ذاتها وبروز « اللكود » القصير الامد كقوة سياسية تشكل مؤشرات بليغة على الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودي في اسرائيل .

كذلك كان للاضطهاد الطبقي في اوساط العرب « الاسرائيليين » آثار سياسية أهمها بروز حركة « الارض » عام ١٩٥٨ . وقد قامت السلطات الاسرائيلية باضطهاد وكبت حركة الارض التي كانت تطالب بالحقوق الاقتصادية والسياسية الكاملة للعرب في اسرائيل ، وبحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة . وأخيرا ، قامت المحكمة العليا الاسرائيلية عام ١٩٦٤ باعلان حركة الارض حركة غير شرعية. ويمكن ارجاع نشوء حركة الارض وتوجه العديد من العرب نحو الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » الى الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع الاسرائيلي على السكان العرب . ويمكن الاطلاع على صورة تفصيلية لمحنة عرب « اسرائيل » في كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » .

وقد ادى استمرار بعض المصاعب كعجز الميزان التجاري والتضخم المالي الى وضع « خطة اقتصادية جديدة » ثانية عام ١٩٦٢ . فقد تم في شهر شباط من ذلك العام تخفيض سعر الليرة الاسرائيلية من ٥٠ الى ٣٣ سنتا أميركيا . وبينما وافقت نقابة جمعية المنتجين على الحد من الاسعار في بعض المجالات ، وافق زعماء الهستدروت على تجميد الاجور لعام ١٩٦٣ — ١٩٦٤(٧٥). وقد كان من قبيل المصادفة فقط ان الاستثمارات الاجنبية زادت ، في ظل الخطة الاقتصادية الجديدة الثانية ، الى حد لم يسبق له مثيل ، اذ بلغت ١٦٩٩،٤ مليون دولار عام ١٩٦٤(٧٦).

ورافق توسع الاستثمار الاجنبي زيادة في بيع الاسهم في الخارج وزيادة في المعونات الخارجية . فقد بلغت واردات راس المال — ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٤ — ٣٦ مليون دولار ، مقابل ٣١٦ مليون دولار للفترة ١٩٥٥ — ١٩٥٩(٧٧). وبالتالي ، حظيت اسرائيل بازدهار اقتصادي قصير ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٥ . ولكن ، كما يظهر من الجداول التالية ، تبع الازدهار انحسار اقتصادي :

أ) الاجور اليومية بالليرة الاسرائيلية — معدلات الذكور والاناث : ١١

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
١٢،٣ ل.أ.	١٣،٧ ل.أ.	١٥،٤ ل.أ.	١٧،٦ ل.أ.	٢٠،٤ ل.أ.	٢١،٤ ل.أ.	٢٢،٠ ل.أ.
	(+١١،٤٪)	(+٢٥٪)	(+٤٣،١٪)	(+٦٥،٩٪)	(+٧٤،٨٪)	(+٧٨،٩٪)

ب) جدول الانتاج الصناعي — سنة ١٩٦٣ على أساس ١٠٠ :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٨٨	١٠٠	١١٤	١٢٥	١٢٧	١٢٣	١٥٩
	(+١٣،٦٪)	(+٢٩،٥٪)	(+٤٢٪)	(٤٤،٣٪)	(+٣٩،٨٪)	(+٨٠،٧٪)

ج) نسبة العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٤،٦٠٪	٤،٠٣٪	٣،٤٠٪	٣،٢٠٪	٧،٩٣٪	١٣،٥٢٪	٥،٧١٪
	(—١٢،٤٪)	(—٢٥،١٪)	(—٣٠،٤٪)	(+٧٢،٤٪)	(+١٩٣،٩٪)	(+٢٤،١٪)(٧٨)

قد يعجب بعض الناس باستمرار ازدياد الاجور السنوية حتى اثناء الانحسار الاقتصادي ، غير ان هذه الزيادة لا تعني شيئا اذا نظر اليها منفصلة عن الظواهر

الاخرى . فاذا نظرنا الى جدول الانتاج الصناعي نجد انه ارتفع عــام ١٩٦٨ ارتفاعا حادا ، بعد هبوط بسيط عام ١٩٦٧ . كما ان الزيادة المطلقة للانتاج الصناعي ، بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٨ ، كانت أعلى بقليل من الزيادة المطلقة في الاجور . وبينمــا انخفضت البطالة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ ، الا انها ارتفعت ارتفاعا هــائلا في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، وفشلت عام ١٩٦٨ في العودة الى معدلها الطبيعي .

ومن الممكن تقسيم الفترة ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٨ الى ثلاث مراحل مميزة :

أ) ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٥ : التوسع ، ويتصف بارتفاع الاجور وارتفاع الانتاج ، وانخفاض البطالة .

ب) ١٩٦٦ ـــ ١٩٦٧ : التقلص ، ويتصف بارتفاع ابطأ للاجور ، وانخفاض بسيط في الانتاج ، وبطالة هائلة .

ج) ما بعد ١٩٦٧ : التوسع ، ويتصف بازدياد ضئيل في الاجور، وارتفاع حاد في الانتاج، وانخفاض في البطالة .

ويمكن ، من هذا المنظار ، تفسير الـــ « ميتون » بشكل صحيح من خلال تحليل المراحل التي سبقته وتبعته . فبينما يعتبر بعض حماة الصهيونية الـــ « ميتون » حادثة يؤسف لها ، يقول آخرون انها كانت ظاهرة ضرورية خططت لها الحكومة من أجل الحد مــن العجز التجاري الكبير الذي حصل خلال فترة الازدهار ، ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٥ . فقد قام وزير المالية بنحاس سابير ، مثلا ، بتبرير الـــ « ميتون » ـــ في المؤتمــر الاستشاري الاقتصادي في القدس (٩ و ١٠ آب ١٩٦٧) أمام مجموعة من المستثمرين الاجانب ـــ كوسيلة لخفض الواردات وزيادة قوة المنتوجات الاسرائيليــة التنافسية في الاســواق الخارجية(٧٩) .

ولكن يمكن تحدي التفسيرات الرسمية بالاسئلة التالية : ١) اذا كان الـ « ميتون » حقا نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة ، فهل وضعت الحكومة هذه السياسة بشكل مستقل أم كاستجابة لضغط بعض اصحاب المصالح ؟ ٢) هل خططت الحكومة فعلا لرفع البطالة الى ١٣،٥٢ ٪ عام ١٩٦٧ ؟ ٣) هل أدى الـــ « ميتون » فعلا الى تخفيض الواردات وزيادة الصادرات بعد عام ١٩٦٧ ؟

يمكن القول هنا بأن المولين والصناعيين الاسرائيليين لم يقتنعوا بالتأثيرات الاقتصادية لازدهار ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٥ . وبما ان الاجور في قطاعات عديدة تحدد جزئيا على اساس غلاء المعيشة ، فان زيادة الاجور قد تعادلت تقريبا مع زيادة الانتاج الصناعي . وقــد ذكرت مجلة « الايكونوميست الاسرائيلية » في كانون الثاني ١٩٦٦ ، ان العديد من رجال الاعمال يعتبرون حكومة اشكول « اضعف حكومة مرت على اسرائيل »(٨٠) . وقد كانت هناك مطالبات كثيرة بمقاومة الحكومة « لتضخم الاجور » ، كمــا حدث في تموز ١٩٦٦ عندما دعت نقابة المنتجين الى الغاء الاجور المرتبطة بغلاء المعيشة(٨١) . كما طالب رجال الاعمال أيضا بتخفيض رسوم الاستيراد ، وخفض قيمة الليرة الاسرائيلية، وزيادة الانتاج الصناعي .

واذا تفهم المرء بشكل صحيح الروابط المباشرة بين الراسماليين وبنك اسرائيل ، وبين الراسماليين والدولة ، وبين الراسماليين وبيروقراطية العمال ، فليس من الصعب فهم خضوع الحكومة للعديد من مطالب الراسماليين . وهكذا ، فان الهجوم على العامل بدأ عام ١٩٦٦ حيث ازداد توقيف العمال عن العمل وازدادت المطالبة برفع الانتاج ، وبلغت البطالة ٧،٩٣ ٪ في نهاية العام نفسه .

وبينما بلغت الواردات ١،٢٣١ بليون دولار عام ١٩٦٥ ، فانهــا لم ترتفع سوى الى

١٢٧٧، بليون دولار عام ١٩٦٦ . ومن ناحية أخرى ، ارتفعت الصادرات من ٧١١ مليون دولار الى ٨٣٢ مليون دولار . وقد انخفض العجز التجاري خلال هذه الفترة من ٥٢٠ مليون دولار (١٩٦٥) الى ٤٤٥ مليون دولار (١٩٦٦)(٨٢).

ورغم ان المراحل الاولى « للميتون » قد خففت قليلاً من عجز اسرائيل التجاري ، يمكن الاشارة الى ظواهر اخرى أصبحت تتناقض الى حد كبير مع المصالح الطويلة الامد للقطاع الخاص . فقد ازدادت نقمة الطبقة العاملة وازداد عدد الاضرابات ، كذلك ازدادت الهجرة من اسرائيل ، وخاصة هجرة العمال الفنيين ، بينما انخفضت الهجرة اليها . كما ان انهيار بعض المصالح الاقتصادية ، مثل بنك « فيوخت فانغر » وبنك « اللرن » ، خلق شعورا بعدم الارتياح في وسط الطبقة الراسمالية . وقد انخفض في الوقت نفسه الاستثمار الاجنبي عن مستواه عام ١٩٦٥ ، (رغم ازدياد التعويم الذي قام به الراسماليون الاجانب) .

ومع تعمق الازمة الاقتصادية ، قامت الحكومة باتخاذ موقف اكثر عدائية من العالم العربي ، وخاصة من سوريا . وكان أحد الاثار المباشرة للاستعداد للحرب استيعاب العديد من العمال ، العاطلين عن العمل والعاملين ، في القوات المسلحة . وقد ادت زيادة الانفاق على الدفاع الى توسع الصناعات الحربية بحيث ارتفع عدد العاملين في مصانع وزارة الدفاع ، في نهاية ١٩٦٧ ، بنسبة ٤٠ ٪ ، وبحيث تضاعفت طلبات « الصناعة الحربية » من الاقتصاد المدني ثلاث مرات(٨٣).

رغم انه من الخطأ ارجاع حرب حزيران الى الازمة الاقتصادية الخانقة التي واجهتها اسرائيل عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، فقد كان لتلك الحرب نفسها ولنتائجها تاثير واضح على الاقتصاد الاسرائيلي . ويعتبر ادخال حزب جاحال المناوىء للعمال (مناحيم بيجن) في « وزارة الحرب » التي الفها اشكول ، ومبيعات الاسهم الاسرائيلية التي لم يسبق لها مثيل (٣٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٧) ، وازدياد الهجرة ، واحتلال مساحة واسعة من الاراضي العربية ، ظروف أدت الى اعادة الثقة بالاقتصاد الاسرائيلي في أوساط المستثمرين المحليين والاجانب .

ولكن التوسع الذي تلا الحرب كان عملية اتصفت بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية العميقة . ورغم ان اعدادا كبيرة من الجنود ظلت تحمل السلاح ، فقد بقيت البطالة مرتفعة نسبيا اذ كان ٥٫٧١ ٪ من القوى العاملة بدون عمل في الربع الثاني من عام ١٩٦٨(٨٤). وظلت الاجور خاضعة لقيود ما قبل الحرب . وبينما ارتفعت الاجور ١٫٧ ٪ خلال النصف الاول من عام ١٩٦٨ ، ارتفع الانتاج الصناعي بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا عما كان عليه في النصف الاول من عام ١٩٦٧(٨٥). ولم تنل البروليتاريا الاسرائيلية اي تعويض على زيادة الانتاج الهائلة ، وكان عليها أن تتحمل زيادة في الاسعار — خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٦٨ — بلغ معدلها ٢٫٣ ٪(٨٦).

بالرغم من سيل الدعاية الذي أطلقه بيروقراطيو العمال والمسؤولون الرسميون حول أهمية الانتاج الصناعي « للامن القومي » ، لم يرضخ العمال الاسرائيليون لمطلب الاسراع في العمل وتجميد الاجور . فقد كانت نسبة الاضرابات عام ١٩٦٨ أعلى منها عام ١٩٦٧، رغم ان عدد العمال الذين شاركوا في تلك الاضرابات كان أصغر ، لان الاضرابات شملت الشركات الصغرى(٨٧). هذا ومن الضروري معرفة نتائج موجة الاضرابات :

١) ان التهجم على الاجور الحقيقية للعمال جوبه برد فعل حازم .

٢) ان النداءات العاطفية حول « الامن القومي » لم تكف لمنع حصول الاضرابات .

٣) أن قيام العمال باضرابات دون موافقة نقابتهم يدل على تحدي العمال لسلطة بيروقراطيي الهستدروت .

ومن المفيد جدا أن نقوم أيضا بدراسة التناقضات الاقتصادية التي تلت الحرب لان هذه الظواهر بالاضافة الى وضع الطبقة العاملة الاسرائيلية تعطينا مفتاحا للمستقبل . اولا ، ان الهدف « الرسمي » « للميتون » ــ تخفيض العجز التجـاري ــ لم يتحقق . فقد استأنف العجز التجاري ، منذ نهاية عام ١٩٦٧ تصاعده التقليدي . فمثلا ، كان العجز في التجارة مع الولايات المتحدة فقط اكثر بـ ٢٨ مليون دولار عما كان عليه في عـام ١٩٦٧(٨٨). وبالطبع يمكن ربط الانفاق العسكري الكبير بالعجز التجاري لان استيراد السلاح الاميركي تصاعد . وقد بلغ قرض الدفاع الحكومي عام ١٩٦٨ ، والذي حصّل من الجمهور ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية(٨٩). وان حماية حقول النفط في سيناء و« السوق المأسورة » في الضفة الغربية وغزة تعتمد مباشرة على التصاعد الدائم في الضرائب ، وعلى الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود والاحتياط . وبالرغم من تخفيض الليرة الاسرائيلية عام ١٩٦٧ من ٣٣ الى ٢٨ سنتا اميركيا ، فان التضخم ما زال مستمرا بلا قيود، وخاصة في قطاع المباني السكنية .

لقد خفضت الليرة الاسرائيلية ، منذ عام ١٩٤٨ ، بنسبة ٩٠٠ ٪ ، ومـن المحتمل أن تنخفض ايضا في المستقبل . وان عجز البيروقراطيين عن حل المشاكل المزمنة ، مثل تصحيح ميزان المدفوعـات ، يدفعهم للحصول على معونات مالية اكبر من الخـارج . فقد حصلت اسرائيل عام ١٩٧٠ على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من مبيع الاسهم الاسرائيلية ومن الهبات المباشرة من الولايات المتحدة ، كما ان الحكومة الاميركية تعهدت باقراض اسرائيل مبلغ ١،٥ بليون دولار خلال خمس سنوات .

وتبلغ تكاليف ادارة المناطق المحتلة ومقاتلة الفدائيين اكثر من ٣ ملايين دولار في اليوم . وقد تضاعفت الميزانية العسكرية أربع مرات ، منذ عام ١٩٦٧ ، اذ بلغت ١،٣ بليون دولار عام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، أي ما يوازي ربع الناتج القومي كله لتلك السنة .

وقد وصف تقرير نشر في صحيفة نيويورك تايمز الآثار المباشرة لحالة ما بعد الحرب كالتالي : قال زعيم عمالي اسرائيلي : « لا يحتاج الصراع بين الادارة والعمال الى اكثر من خمود القتال على الحدود » .

فبعد ثلاثة أشهر من توقف اطلاق النار ، ومع اختفاء انباء القتال ، وجدت اسرائيل نفسها وسط موجة من الاضرابات في جو كانت فيه الاجور والاسعار والضرائب تهدد بالانفجار الى تضخم مالي . وقد أغلقت المدارس الثانوية في اسرائيل ، واضرب المعلمون مطالبين بزيادة في الاجور . ولمدة اسبوع لم يقم الطيران الوطني الاسرائيلي، العال ، سوى بجزء من رحلاته المقررة نظرا لاضراب عمال الصيانة .

ولم تصدر نشرة الاحوال الجوية امس ، فقد اضرب عمال دائرة الرصد الجوي . وانقطاع التيار الكهربائي لساعات أمر مألوف لان العمال يضربون لساعات ثم يعودون للعمل ثم يضربون مرة أخرى . وقد أعلن عمال ميناء حيفا وميناء اشدود ، وعمال الهاتف ، وحتى نقابات موظفي الدولة في عدة وزارات حكومية الاضراب لمدد متفاوتة ــ ساعات ، وايام، وأسابيع ...

... وقد اعترف وزير التربية ، ايغال آلون ، بأن للمعلمين المضربين اكثر من شكوى ، اولها ان رواتبهم تبدأ بـ ١٦٠ دولارا شهريا ، لكنه تعلل بأن ميزانية وزارته لا تتحمل مطلب ٤٠،٠٠٠ معلم بزيادة ٥٧ دولارا شهريا لكل منهم .

المشكلة الاساسية هي في ان الحكومة والمواطنين يعيشون حياة تتخطى مدخولهم . وان الزيادة الكبيرة في الضرائب التـي فرضت في آب الماضي ــ على الواردات والهدايا والسفر ــ بالاضافة الى ضرائب المبيعات والشركات ستؤدي الى تجميع ٥٠٠ مليون

دولار اضافية في شهر آذار القادم ، لكنها لن تؤثر سوى تأثير بسيط على هدفها الآخر وهو التخفيف من المشتريات المحلية. [المصدر : نيويورك تايمز ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٧٠]

أن صحيفة نيويورك تايمز تخطىء حين ترجع جذور الازمة الى نسبة المشتريات المحلية العالية وليس الى التوزيع غير المتكافىء للثروة . وعلى اي حال فمن الواضح ان موجة الاضرابات التي تلت الحرب لم تفقد قوتها .

وهناك فقط عدد من الحلول الموقتة التي يمكن للرأسماليين الاجانب والاسرائيليين ان يطبقوها : ١) منع الاضرابات غير المشروعة بحزم ، ٢) خلق أزمة سياسية مشابهة لازمة ١٩٦٧ ، ٣) زيادة استغلال اليد العاملة الرخيصة من الاراضي المحتلة ، ٤) طلب معونات مالية أكبر من الغرب من أجل تحسين المستوى الفعلي للاجور والاحوال المعيشية . ولكل من هذه الحلول مخاطره .

ان منع الاضرابات غير المشروعة منعا حازما سيؤدي الى توسيع الهوة ما بين الجماهير وبيروقراطية العمال ، لان بيروقراطيي العمال الذين يحتلون مناصب حكومية سيضطرون لان يقضوا على الاضرابات . وبالاضافة ، فان هذا الحل قد يضعف مقدرة اسرائيل على ان تقوم بدور كلب حراسة عسكري يخدم المصالح الامبريالية في الشرق الاوسط .

اما الامكانية الثانية ، تصعيد الصراع العربي — الاسرائيلي، فتبدو أكثر قابلية للتصديق، خاصة مع ترديد الرسميين الاسرائيليين القول بأنهم سيحتفظون بشرم الشيخ والقدس الشرقية ومناطق محتلة أخرى . ومع ذلك فان اي تصعيد جديد ، حتى لو حصل على موافقة الجماهير الاسرائيلية ، لن يعطي سوى أنتعاش محدود للقطاع الخاص في اسرائيل . فبالرغم من أن حرب حزيران قد أدت الى زيادة تدفق رأس المال الاجنبي ، وزيادة في مساحة اسرائيل ، وفي مواردها الطبيعية ، وفي اليد العاملة الرخيصة ، وفي الانتاج ، الا انها لم توفر أية حلول جذرية لمشاكل اقتصادية كفائض الواردات والتضخم .

ورغم ان رأس الماليين الاسرائيليين فرحون « بجيش العاطلين عن العمل » في قطاع غزة والضفة الغربية، فلا يمكن تحويل القوى العاملة في المناطق المحتلة الى قوى عاملة ماهرة تحل محل العمال الاسرائيليين خلال فترة قصيرة . ورغم ان ٣٠،٠٠٠ عامل من الضفة الغربية وحدها قد وجدوا عملا في اسرائيل (زيادة ٤ ٪ تقريبا في القوى العاملة الاسرائيلية) بنهاية عام ١٩٦٩(٩٠)، فان عمال المناطق المحتلة يعملون في الزراعة والبناء وليس في التصنيع . وكان هذا نمط عمل العمال العرب من سكان اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ . ويؤيد بعض القادة الاسرائيليين ومنهم دايان ، تشغيل العرب بينما يعارضه آخرون بشدة ، مثل بن غوريون وغولدا مائير . وان استبدال العمال اليهود بعمال عرب يعتبر تحديا لدور بيروقراطية العمال اليهودية .

وبنفس الطريقة ، لا توفر زيادة استغلال المناطق المحتلة كسوق للبضائع الاسرائيلية أية أرباح كبيرة وملموسة للرأسماليين الاسرائيليين . فان التضخم المالي الاسرائيلي يجلب بؤسا لا مثيل له لسكان المناطق المحتلة لان اقتصاديات الضفة الغربية وقطاع غزة لا تسمح باستيراد الكثير من البضائع الاسرائيلية ذلك ان هذه المناطق لا تحصل على كميات كبيرة من رأس المال . فقد صدرت الضفة الغربية ، عام ١٩٦٨ ، الى اسرائيل بضائع قيمتها ٤٢،٥ مليون ليرة اسرائيلية بينما استوردت منها بضائع قيمتها ١٦٣،٨ مليون ليرة اسرائيلية(٩١). ولكن الفرق بين الواردات والصادرات ، اي ١٢١،٣ مليون ليرة اسرائيلية ، كانت تعادل ١ ٪ فقط من دخل اسرائيل القومي الاجمالي تلك السنة . وان تأثير المناطق المحتلة ، كسوق شرائية وكمصدر للعمال ، على المشاكل الاقتصادية الاسرائيلية يبقى هامشيا ما دامت تلك المناطق متخلفة صناعيا .

اما « الحل » الرابع — زيادة المعونات المالية من الخارج — فسيفشل أيضا في حل

التناقضات الاساسية للبنيان الاقتصادي الاسرائيلي . وقد أكدت متسبين عـلى أهمية المعونات الامبريالية لنمو اسرائيل وعلى ان « البنيان الاقتصادي نفسه مبني ومعتمد على الدور السياسي والعسكري للصهيونية في الشرق الاوسط »(٩٢). وعلى أي حال ، ان البنيان الاقتصادي الذي نشأ يتصف باستغلال العمال مـن قبل الراسماليين المحليين والاجـانب . والانشقاق الـذي يكبر عاما بعد عام بين العامـل والراسمالي يشكل أساسا محتملا لانشقاق عقائدي وسياسي . ويجب ان ندرك ايضا ان حجم المعونات المالية وشكلها تقرره الاحتياجات العالمية للامبريالية . وان اي أزمة راسمالية طويلة أو ظهور « أكثر من فيتنام » لن يترك العلاقة سليمة بين الراسماليين والعمال في اسرائيل .

ورغم ان غالبية أعضاء متسبين محقون في انتقادهم الذي يدعـون فيه الى الفصل بين العمالية والمناوأة ضد الصهيونية ، الا أنني أشعر بأن الامريكيين المعارضين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل أو عدم تفهم التناقضات الداخلية للمجتمع الاسرائيلي . ان وجود هذه المتناقضات وعدم مقدرة الراسماليين الاسرائيليين وبيروقراطيي العمال على حلها تشكل دليلا واضحا على خطأ منطق العقيدة الصهيونية . هذا واستغلال المستثمرين الاجانب للجماهير الاسرائيلية هو مظهر من مظاهر الاستغلال الامبريالي السياسي لاسرائيل .

ويشعر غالبية أعضاء متسبين ان يهود اسرائيل الشرقيين لا يملكون وعيا بروليتاريا وانهم « يؤيدون أكثر جناح شوفيني ورجعي في الطبقة الحاكمة »(٩٣). ولكن الامريكيين المناوئين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل مشاركة العمال الشرقيين في موجة الاضرابات ، ثم مؤخرا مشاركة الشباب الشرقي في الاحتجاج على ارتفاع أجورات السكن والاحوال المعيشية السيئة .ان استغلال الطبقة الراسمالية في اسرائيل لليهود الشرقيين هي شهادة أخرى ضد الاساس العقائدي للصهيونية . ورغم ان العديد من اليهود الشرقيين قد تجذبهم الحركات اليمينية مثل حزب « حيروت » ، فان واجبنا في اميركا أن نفضح أصحاب الملايين الاسرائيليين ، من أمثال يعقوب مريدور (صاحب الشركة البحرية لناقلات الفواكـه) ، الذين يشكلون الاساس المالي للجناح اليميني .

وفي الختام ، أحث الاميركيين المناوئين للصهيونية أن يكثفوا نشاطاتهم نوعية وكمية . أما الشرق الاوسط ، الذي تستمد منه الامبريالية الاميركية جزءا هائلا مـن أرباحها السنوية ، فلا يمكن اعتباره بعد الآن منطقة صراع يتعلق باليهود والعرب فقط . ان فعالية نشاطاتنا تعتمد الى حد كبير على مقدرتنا على اظهار كيفية استغلال الامبريالية للجماهير العربية والجماهير الاسرائيلية التي وضعت في الشرق الاوسط لتكون شرطة تخدم مصالح الامبريالية .

---

١ ــ « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، ترجمة عـن متسبين ، نشر في **نشرة المقاومـة الفلسطينية** ، اعداد ٤ و٥ ، تشرين الثاني ــ كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٥ .

٢ ــ بيتر بوخ، «الثورة الفلسطينية والصهيونية» *International Socialist Review* كانون الثاني ، ١٩٧١ ، ص ١١ .

٣ ــ **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** (القدس ، نشر مكتب رئيس الوزراء ، ١٩٦٨) ، ص ١٧ .

٤ ــ « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، **نشرة المقاومة الفلسطينية** ، ص ٥ و٦ .

٥ ــ هاري ماقدوف ، « **عصر الامبرياليـة** » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ١٩٥ .

٦ ــ **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**، تحرير جورج لنسفسكـي (واشنطن ١٩٦٨) « المصالح الاقتصادية » ص ٤١ .

٧ ــ **المرجع السابق** .

٨ ــ **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٢ .

٩ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ــ ٦٩ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٨٥ .

١٠ ــ **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٦ و٦٧ .

١١ ــ **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٧٥ .

١٢ — أعد هذا الجدول على اساس الارقام المأخوذة من **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٩١ .

١٣ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨** — ١٩٦٩ ، ص ٨٩ .

١٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٦٣ .

١٥ — اذا استثنينا الدولتين ذاتي الدخل المرتفع، الكويت (٣٥٠٠ دولار) واسرائيل نفسها (١٤٠٠ دولار) ، فان معدل الدخل للفرد في الشرق الاوسط للعام ١٩٦٧ كان ٢٢٥ دولارا في السنة. **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٤ .

١٦ — ارقام مأخوذة من اجراء معدل للنسب السنوية المأخوذة من كتاب نداف سفران « **من حرب لحرب** » (نيويورك ١٩٦٩) ص ١٥٨ .

١٧ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٦٤ .

١٨ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٤ .

١٩ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** .

٢٠ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ص ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٩ .

٢١ — دانيال كريمر، « **الدخل القومي لاسرائيل** »، ١٩٥٠ — ٥٤ مشروع فولك، العدد ٥٧ (القدس، ١٩٦٧) ، جدول ١٥ ، ص ٣٦ .

٢٢ — ارقام الموجودات مأخوذة عن دليل *Moody Bank and Finance*

٢٣ — **الايكونومست الاسرائيلية**، شباط، ١٩٦٦، ص ٤٦ .

٢٤ — نقلا عن كتاب بوخ *The Myth of Progressive Israel* في « الصهيونية والثورة العربية » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ٩ .

٢٥ — **الايكونومست الاسرائيلية** ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .

٢٦ — نقلا عن كتاب بوخ « الثورة الفلسطينية والصهيونية » *International Socialist Review* ، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٥ .

٢٧ — **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٨ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٧١ .

٢٨ — فيلب سيكمان « تقرير من اسرائيل » *Fortune* ، نيسان ١٩٧٠، صفحات ٤٣ و٤٤.

٢٩ — **الجروزالم بوست** ، ١٤ تموز ، ١٩٧٠ .

٣٠ — « **المشكلة الفلسطينية** » كراس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، اعيد طبعه في New England Free Press (بوسطن ، ١٩٧٠) ص٣ ارقام النقد بالجنيهات الفلسطينية، تعادل القطعة تقريبا اربعة دولارات .

٣١ — **التقرير السنوي** ، ١٩٦٦ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .

٣٢ — **المرجع نفسه** .

٣٣ — **التقرير السنوي** ، ١٩٦٦ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .

٣٤ — س. ن. ايزنشتات ، **المجتمع الاسرائيلي** (نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٨٧ جدول ١١ .

٣٥ — ص ٧٥ ، جدول ٦ .

٣٦ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ٦٩ ، ص ٨٤ .

٣٧ — **المصدر نفسه** . جداول ص ٨٤ و ٩١ .

٣٨ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٤ .

٣٩ — **المرجع نفسه** ، جداول ، ٨٤ و٩١ .

٤٠ — ايزنشتات ، ص ٨٩ ، جدول ١٤ . هذا الرقم ، لعام ١٩٦٤ ، يتضمن الصيادين والعمال المرتبطين بالزراعة . في عام ١٩٥٥ ، وقفت النسبة عند ١٧٫١ ٪ .

٤١ — ايزنشتات ، صفحات ١٧١ — ٧٢ .

٤٢ — مائير يعري ، نداء الى المؤتمر الرابع لحزب المابام ، ١٩٦٣ ، نقلا عن كتاب بيتر بوخ « **خرافة اسرائيل التقدمية** » ، ص ٨ .

٤٣ — **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، أيلول ١٩٦٩ ، ص ١٧٨ .

٤٤ — ايزنشتات ، ص ١٤١ .

٤٥ — « السياسة في اسرائيل » ، نشر في **الصهيونية والثورة العربية** ، ص ٢٢ .

٤٦ — ايزنشتات ، ص ١٦٨ .

٤٧ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، جدول ٧ ، ص ٣٢٤ .

٤٨ — **المرجع نفسه** ، جدول ١١ ، ص ٣٣٥ .

٤٩ — هارولد لوبيل ، **ازمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة في اوربا الغربية** ، (بلتيمور، ١٩٦٢) ص ٦٠ .

٥٠ — سيكمان، « تقرير من اسرائيل » *Fortune* نيسان ١٩٧٠ .

٥١ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨** — ٦٩ ، ص ٨٥ .

٥٢ — **المرجع السابق** ، ص ٣٣٢ .

٥٣ — **المرجع السابق** ، ص ٨٦ .

٥٤ — **المرجع السابق** ، ص ١٠٠ .
٥٥ — ايزنشتات ، جدول ١٥ (أ) ، ص ٩١ .
٥٦ — **المصدر نفسه** ص ٩٥ .
٥٧ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٢٤٧ .
٥٨ — صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** .
٥٩ — **هآرتس** ، ٢٢ اذار ، ١٩٧٠ .
٦٠ — ثيودور هرتزل ، **الدولة اليهودية** (نيويورك، ١٩٤٦) ص ٩٦ .
٦١ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٤ .
٦٢ — ايزنشتات ، صفحات ٧٧ — ٧٨ .
٦٣ — ايزنشتات ، ص ٨٢ .
٦٤ — ايزنشتات ، ص ١١٦ .
٦٥ — **المرجع نفسه** .
٦٦ — دافيد هورويفيتس ، **اقتصاديات اسرائيل** (لندن ١٩٦٧) ، ص ٨١ . الارقام مأخوذة عن جيرا هانوخ *Income Differentials in Israel* مشروع فولك ، ١٩٥٩ ، ٦٠ .
٦٧ — ايزنشتات ، ص ٩٦ .
٦٨ — **المصدر نفسه** .
٦٩ — هوروفيتس ، ص ٨١ .
٧٠ — ايزنشتات ، ص ١٢٦ . الارقام مأخوذة من Annuals CBS surveys of the Israeli labor force (المكتب المركزي للاحصاء ، التقرير السنوي) .
٧١ — ايزنشتات ، ص ١٢٤ *CBS Statistical Abstract*
٧٢ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٣ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٧ .
٧٤ — ايزنشتات ، ص ٣٠٩ .
٧٥ — ايزنشتات ، ص ١١٩ .
٧٦ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .
٧٧ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٨ — **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، ايلول ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٦ ، ص ١٧٨ . تشرين الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ١٨ .
٧٩ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، ايلول ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٣ .
٨٠ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني، ١٩٦٦ ، ص ٤ .
٨١ — **المرجع نفسه** ، تموز ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ .
٨٢ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ .
٨٣ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٠٠ .
٨٤ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
٨٥ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤ .
٨٦ — **المرجع نفسه** .
٨٧ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢١١ .
٨٨ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، اذار ١٩٦٩ ، ص ٨٢ .
٨٩ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٤٥٨ .
٩٠ — سيكمان « تقرير من اسرائيل » ، Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤٦ .
٩١ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، تموز ١٩٦٩ ، ص ٢١٠ .
٩٢ — « **الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي** » ، PRB تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ٤ و ٥ ، ص ٦ .
٩٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ . تقول متسبين ان هذه الطبقة البالغة الاهمية من سكان اسرائيل « تمثل حالة موازية لما يسمى في الجنوب الامريكي « البيض الفقراء » وفي الجزائر قبل التحرير « الاقدام السوداء » .

المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ ــ ١٩٥١ (١)

الدكتور اسعد رزوق

تقدم شؤون فلسطينية هذه الدراسة عن المنظمة الصهيونية العالمية منذ المؤتمر الثاني والعشرين الذي عقد في العام ١٩٤٦ وحتى انعقاد المؤتمر الثالث والعشرين الذي عقد في العام ١٩٥١ . وسننشر في العدد القادم جزءا آخر من هذه الدراسة ويركز على المؤتمر الثالث والعشرين وهو المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل . والدراسة هي في الاصل جزء من بحث طويل بدأ الدكتور اسعد رزوق باعداده بتكليف من مركز الابحاث عن المنظمة الصهيونية العالمية في ربع قرن . وقد آثرنا ابقاء الملاحظات التمهيدية الواردة في مقدمة الجزء المنشور ادناه لانها تسهم في تحديد الاطار العام للبحث بكامله .

تصدير عام

من بازل الى القدس

ظهرت الحركة الصهيونية على مسرح أوروبا والعالم منذ ما ينيف على ثلاثة أرباع القرن من الزمن . وانطلق الذين قاموا بتأسيس هذه الحركة من مقدمة تفترض وجود شيء ما اسمه « المشكلة اليهودية » ، وهذا الشيء يحتاج الى حل متناسب مع معطيات العصر . فاليهود المنتشرون في كافة أنحاء الدنيا لن يتخلصوا من عداء تناصبهم اياه الفئات غير اليهودية واضطهاد يقاسونه على أيدي الاغيار الا عندما يستحصلون لانفسهم على وطن قومي يجمع شملهم ، في ظل دولة ذات سيادة . والشتات اليهودي في العالم يتعرض لخطر الاندماج والزوال ما لم يبادر « المشتتون » الى تركيز أنفسهم ، عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، في رقعة أرضية تفي مساحتها بمتطلبات العدد السكاني المتزايد ومقتضيات الدورة الحياتية في النمو المطرد داخل المجال الجغرافي والحيوي .
ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي قامت المنظمة الصهيونية العالمية التي اسسها ثيودور هرتزل لتؤلف التنظيم الرسمي للحركة وتدعي لنفسها صفات الهيئة المعنية بتمثيل مصالح « الشعب اليهودي » ، باعتبار هذا « الشعب » يرغب في انشاء وطن قومي لنفسه بفلسطين . وجاء « برنامج بازل » الصهيوني ليرسم هدف الصهيونية ويعدد الخطوات العملية الكفيلة ببلوغ الهدف المنشود . أما التعريف الرسمي للمنظمة الصهيونية ، كما جاء في قانونها الاساسي ، فهو تلك الهيئة « التي تضم جميع اليهود الذين يقبلون بالبرنامج الصهيوني ويدفعون الشاقل ، أو رسم العضوية » .

وانطلاقا من المؤتمر الصهيوني الاول في بازل (١٨٩٧) أخذت هذه الحركة في شكلها المنظم تعتبر نفسها على امتداد خمسين عاما من تاريخها ــ وتمشيا مع الوصف الذي أطلقه هرتزل عليها ــ بمثابة « الدولة اليهودية في طريق التكوين » . واقامت الاجهزة والمؤسسات والهيئات التي شاءت لها الاسهام الفعلي في عملية السعي الدؤوب للحصول على الدولة العتيدة فوق رقعة أرضية لا تملكها وليست خلوا من السكان والعمران أو التطلعات نحو مستقبل أفضل . لكن المضي في مقايسة الحركة الصهيونية على « الدولة

في طريق التكوين » ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي او « برلمان الحركة الصهيونية » ــ كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني ــ يؤدي بنا الى اثارة المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالاكثرية الساحقة بين يهود العالم ظلت قابعة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما اسماه بـ « الشعب اليهودي » ، بعد أن أضفى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخراً عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » (أو المؤتمر الصهيوني الذي أوجده هرتزل) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالة عن « المؤتمر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد اصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابسات التي احاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية ــ التابعة للمنظمة الصهيونية ــ لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدم ذكرها تمت بوثيق الصلة الى موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايديولوجية والتنظيمية والعملية (على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية ــ اسرائيل ــ بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن أوجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضى على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة ــ على امتداد خمس وعشرين عاما (١٩٤٨ ــ ١٩٧٣) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة أهداف بعيدة المدى تتجاوز حدود البرنامج الصهيوني الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف

تختلف كل من الحركة والفكرة وهيئات المنظمة الصهيونية في مدى خمسين عاماً قبل انشاء الدولة عنها في الفترة اللاحقة لنشوء الدولة وقيامها . أو : كيف يتميز ربع القرن الاخير من تاريخ الصهيونية عن نصف القرن الذي سبقه وانتهى الى ظهور دولة اسرائيل فوق الارض الفلسطينية . والسؤال عن الاختلاف والتمايز يضعنا في جو البحث العام ، ويتجه بنا صوب واقعة استمرار الحركة الصهيونية رغم تحقيق الهدف السياسي الذي سعت لبلوغه طيلة خمسين عاما . فالصهيونية — كما ينبىء تاريخها الحافل حتى الآن — تقوم على مراحل متتابعة ومتصاعدة في وقت واحد . وكلما انتهت مرحلة من الانجاز وتحقيق الاهداف المرسومة ، تلتها مرحلة أخرى على طريق الغاية القصوى والهدف النهائي . ان صهيونية ما قبل الدولة تختلف عن الصهيونية في ظل الدولة . وسوف تدخل أوجه الخلاف بين « الصهيونيتين » ضمن نطاق الموضوع الذي تتناوله الدراسة التالية .

غير ان هذا الفاصل الزمني على أساس الصهيونية ، السابقة واللاحقة منها لقيام الدولة ، لا يعني اغفالا لاستمرارية الحركة وتواصلها عبر السنين التي اجتازها تاريخها في ثلاثة أرباع القرن . فالنشاط الصهيوني في مجالاته المتعددة ومراميه البعيدة لم يتوقف عن الممارسة غداة اعلان قيام الدولة اليهودية . بل نجد الاجهزة الصهيونية المسؤولة وقد بادرت قبل موعد الاعلان الى اتخاذ الخطوات التنظيمية الكفيلة بتأمين انتقال مؤسسات الحركة وهيئاتها الى مرحلة استمرار العمل في ظل الدولة العتيدة . هذه الفترة « الانتقالية » تمتد من عشية اعلان قيام اسرائيل (نيسان ، ١٩٤٨) حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، من ١٤ الى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٥١ ، في القطاع اليهودي من مدينة القدس . وهو أول مؤتمر عالمي تعقده الحركة الصهيونية في اسرائيل بعد قيامها .

خلال الفترة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة عقدت الحركة الصهيونية ستة مؤتمرات عالمية في اسرائيل : من المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . والتركيز على اعمال هذه المؤتمرات ومناقشاتها والقرارات التي صدرت عنها ، بالاضافة الى التقارير المرفوعة من شتى اللجان والهيئات التنفيذية ، قد يتيح للدارس متابعة مختلف التطورات التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية من الداخل . كما انه يفسح المجال امام رصد الترابط الخارجي بين مواعيد انعقاد المؤتمرات وبين الاحداث والتحركات الاسرائيلية في نطاق الشرق الاوسط وعلى المسرح العالمي . وليس من قبيل المبالغة تشبيه المؤتمر الصهيوني العالمي والقرارات التي يتخذها بمثابة الخطة الصهيونية الرسمية للسنوات الاربع التالية أو للفترة الزمنية الفاصلة بين مؤتمر وآخر يليه — سواء امتدت الى اربع سنوات او قصرت عنها قليلا أو تجاوزت حدودها . ان الدراسة الشاملة لكافة التطورات والاتجاهات البارزة في تاريخ الحركة الصهيونية العالمية ضرورية ، فالكتابات العربية حول الموضوع لا تعرف سوى رسالة الماجستير التي اعدها اسعد عبد الرحمن وقام مركز الابحاث الفلسطيني بترجمتها ونشرها في تموز (يوليو) ١٩٦٧ تحت العنوان التالي : « المنظمة الصهيونية العالمية : تنظيمها واعمالها ، ١٨٩٧ — ١٩٤٨ » (صدرت في سلسلة « دراسات فلسطينية » ، رقم ١٥) . ومن هنا نشأت الحاجة الى القيام بمحاولة لدراسة الحركة الصهيونية بعد قيام اسرائيل ، ورصد التطورات التي شهدتها المنظمة الصهيونية العالمية على مختلف الاصعدة والمستويات : التنظيمية منها والايديولوجية ، الى جانب النشاطات المالية والمواقف السياسية وغير ذلك من مجالات النشاط الصهيوني في خدمة اسرائيل ولتوطيد دعائمها وتمكينها من الوقوف على قدميها . هذا يؤدي بالطبع الى اثارة السؤال عن العلاقة العضوية بين دولة اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، وكيف جرى تنظيم هذه العلاقة بعد ظهور الدولة اليهودية الى حيز

الوجود . ففي اوساط الحركة الصهيونية ، كما بين الاوساط الاسرائيلية ، برزت آراء مختلفة ووجهات نظر متضاربة أحيانا بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الحركة الصهيونية من جهة ودولة اسرائيل ، من جهة ثانية . وبين الدولة اليهودية من جهة واليهود الموجودين في الخارج ، من جهة أخرى . هل تقوم الصلات بين اسرائيل ويهـود العالم بصورة مباشرة ، أم ينبغي توسيط المنظمة الصهيونية والهيئات التابعة لها في عملية الاتصال ومحاولات كسب التأييد وجباية التبرعات وجمع الاموال ؟

ولكي نترك المجال مفتوحا أمام محتويات هذه الدراسة يجدر بنا الانتقال الى تقديم لمحة سريعة عن منهاجها في معالجة الموضوع وأسلوبها في تجزئته الى فترات زمنية معينة بقصد تسهيل المأخذ والتركيز على ابرز النواحي والاتجاهات ، دون اغفال المشاكل التي تواجه الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل وحتى الان .

تهدف هذه المحاولة لدراسة الحركة الصهيونية العالمية في ظل وجود الدولة اليهودية الى معالجة الموضوع من زاويتين رئيسيتين : الزاوية الاولى تنظر الى الصهيونية بعد قيام اسرائيل من خلال التطورات الايديولوجية التي شهدتها الحـركة عقب انجاز الهدف السياسي في برنامج بازل وقيام الدعوة لاستبداله ببرنامج القدس (١٩٥١) ، ثم استبدال هذا الاخير بصيغة جديدة في برنامج القدس الثاني (١٩٦٨) . أما الزاوية الثانية ، فانها تحاول النظر الى الحركة الصهيونية من خلال تنظيمها وهيئاتهـا وأجهزتها العاملة في الداخل والخارج . فالمعروف هو ان الهيئات المسؤولة في تركيب المنظمة الصهيونية العالمية ، وبموجب الدستور الصهيونـي ، تتألف من : المؤتمـر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام ورئيس المنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية الصهيونية ، بالاضافة الى الهيئات القضائية ومراقب الحسابات . وهناك دستور جديد للمنظمة الصهيونية العالمية اقره المجلس الصهيوني العام (١٩٥٩ — ١٩٦٠) متابعة منه لقرار المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما تمت مؤخرا اعادة تشكيل الوكالة اليهودية بحيث تستوعب في هيكلها الجديد نسبة معينة من الهيئات والمنظمات اليهودية غير الصهيونية . هذا بالاضافة الى تنظيم الحركة الصهيونية في المجال الخارجـي ، والتمثيل الحزبي الصهيوني في كافة أجهزتها وعلى شتى المستويات فيها . ومما لا ريب فيه ان العقيدة الصهيونية تسير جنبا الى جنب مع التنظيم الصهيوني ، لكي تتداخل واياه في كثير من الاحيان والمجالات .

من هاتين الزاويتين ، اذن ، تنطلق الدراسة الى متابعـة التطورات داخل الحركـة الصهيونية العالمية في مدى ربع قرن من الزمن . وسوف يكون اعتمادها في الدرجة الاولى على المصادر الصهيونية الرسمية لاستقاء المعلومات واقتباس القرارات والتغييرات البنيوية والتنظيمية ، الى جانب « التحولات » والمنطلقات الايديولوجيـة . فالوثائق والتقارير المتوافرة هي المصدر الملائم لمعرفة اتجاه الحركة والوقوف على مراميها البعيدة واهدافها الراهنة . كما تتيح الكتابات والمنشورات الصهيونية الرسمية أمام الباحث فرصة استجلاء معالم التناقضات الاساسية التي تعصف بالحركة الصهيونية من الداخل وفي علاقاتها العضوية مع اسرائيل ، ومحاولاتها الرامية الى استقطاب المزيد من يهود العالم .

فلو شئنا اجراء تقسيم زمني للموضوع ، لجاز لنا اتباع التقسيم التالي بشكل عام :

اولا — الفترة الزمنية الممتدة من غداة قيام اسرائيل (١٩٤٨) وحتى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين والعدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) . ويمكن تقسيم الفترة اياها الى مرحلتين : المرحلة « الانتقالية » وتمتد من منتصف ١٩٤٨ الى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) واعلان برنامج القدس الذي يحدد مهمات

الحركة الصهيونية في ضوء الوجود الاسرائيلي . والمرحلة « التوطيدية »، بالنسبة لتعيين الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية في اطار الدولة الاسرائيلية وتحديد صلاحيات اجهزتها ومؤسساتها العاملة داخل اسرائيل . تمتد هذه المرحلة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في اسرائيل (١٩٥٦) وقيام العدوان الثلاثي في خريف العام ذاته ، لكي تتميز بانتخاب الدكتور ناحوم غولدمان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية — وهو المنصب الذي شغر منذ استقالة حاييم وايزمان في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦ — ٤٧).

ثانيا — فترة السنوات الفاصلة بين العدوان الثلاثي وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في صيف ١٩٦٨ واعلان برنامج القدس الجديد (١٩٦٨) تمهيدا لمواجهة التحديات التي طالعت الحركة الصهيونية في أعقاب حرب الايام الستة ، ونظرا للحماس الذي غمر الاوساط اليهودية في العالم من جراء الانتصار الاسرائيلي الخاطف . ان هذه الفترة تطابق تماما لولاية ناحوم غولدمان في كرسي الرئاسة الصهيونية ، مثلما تتميز باعتزال بن غوريون نهائيا من الحكم ومجيء ليفي اشكول الذي اعتبرته الاوساط الصهيونية «صديقا اسرائيليا» للمنظمة العالمية في حرصه على تنفيذ التعاون المتبادل بين الحكومة والحركة .

ثالثا — المرحلة التي بدأت في أعقاب حرب حزيران وانطلقت من مقررات المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين (١٩٦٨) ، لكي تصل الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . وهي مرحلة في تاريخ الصهيونية واسرائيل تجوز تسميتها بـ « مرحلة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » ، مثلما انها تميزت بكونها الحد الزمني في بدايتها لكل من حادثين على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتاريخ الحركة الصهيونية . الحادث الاول يتعلق بمرور سبعين عاما على تأسيس الحركة والمنظمة واعلان برنامج بازل ، والثاني يشير الى انقضاء نصف قرن من الزمن على صدور تصريح بلفور . وهذان الحادثان ظهرا بمثابة المعالم البارزة في مسيرة الحركة التي اطلقها ثيودور هرتزل قبل ثلاثة أرباع القرن على دروب الاستعمار الاستيطاني وفي مسالك الغزو بواسطة الهجرة ، كما على صعيد الالتقاء والتعاون مع مصالح الدول الامبريالية ومخططاتها في هذه المنطقة العربية من العالم .

هذا هو التقسيم الزمني العام لموضوع دراستنا . وسوف نحاول متابعته بقدر الامكان ، دون الابتعاد عن نقطة الانطلاق الاصلية في النظر الى التطورات والاجراءات والقرارات الرسمية من زاويتين هما : العقيدة الصهيونية والتنظيم الصهيوني — في المجالين : الداخلي — التركيبي ، والخارجي — التنظيمي على صعيد الهيئات والمنظمات الصهيونية واليهودية في العالم .

وفي طليعة الامور التي تتوقف عندها هذه الدراسة عن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام اسرائيل ، نذكر ما يلي : أولا ، حقيقة كون الوكالة اليهودية لفلسطين نسخة طبق الاصل عن المنظمة الصهيونية العالمية . كلاهما تنظيم واحد بالذات، وفي النتيجة الاخيرة. فاللجنة التنفيذية للوكالة ليست سوى الذراع التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . وثانيا ، ان المنظمة الصهيونية العالمية لا تعدو كونها أداة بيد الحكومة الاسرائيلية ، او احدى الوكالات والهيئات التابعة لها والعاملة في خدمتها . مثلما أنها تقوم بممارسة النشاط والعمل السياسي لصالح حكومة اسرائيل في الخارج تحت ستار التضامن اليهودي والتأييد المعنوي أو من خلال حملات الجباية وجمع التبرعات بحجة الاسهام في الاعمال الخيرية والمشاريع الانسانية .

هذه الوقائع تتحرك ضمن اطار ايديولوجي يوجزه البرنامج الصهيوني في نظرته الصريحة الى يهود العالم معتبرا اياهم بمثابة الامة الواحدة التي يتوزع أبناؤها بين الاطراف

(الشتات اليهودي في العالم) وبين المركز الذي تمثله دولة اسرائيل . فالمنظمة والدولة نلتقيان على صعيد الرسالة الواحدة في المدار الصهيوني : الدولة تعتبر رسالتها اليهودية والصهيونية قائمة على عقيدة « تجميع المنفيين » ، والمنظمة تضع في طليعة برنامجها مهمة « جمع الشمل اليهودي » في دولة اسرائيل . كما يفرض البرنامج الصهيوني على اعضاء المنظمة ان يضطلعوا بواجب التأييد والدعم نحو دولة اسرائيل ، دون تراجع وبلا هوادة ، وان يسهموا بقسطهم في تنمية الوجدان القومي بين كافة يهود العالم وفي توجيه الانظار اليهودية صوب المركز الاسرائيلي الصهيوني .

لقد بادر مؤسس الحركة الصهيونية في بداية التحرك الصهيوني الاوروبي الى رفع شعار يستهدف كسب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب المنظمة الصهيونية . ففي المؤتمر الصهيوني الثاني (بازل ١٨٩٩) أعلن ثيودور هرتزل شعاره الداعي الى « غزو الجماعات اليهودية » واجتذابها الى الحظيرة الصهيونية . ولدى قيام الدولة العتيدة ، بعد انقضاء خمسين عاما على اطلاق الشعار المذكور ، كانت الحركة الصهيونية لا تزال جادة في سعيها نحو ترجمة هذا الشعار الى الواقع العملي . ان ربع قرن من الزمن مر منذ وجود اسرائيل فوق الارض الفلسطينية ، وما يقارب العقديـــن من السنين أو أكثر علـــى استصدار « قانون العودة » الذي يفتح أبواب الدولة الصهيونية بوجـــه يهود العالم أجمع . لكن الشعار الهرتزلي في « غزو الجماعات اليهودية » ما زال حتى الان ، وبعد مرور ثلاثة أرباع القرن على اطلاقه ، يؤلف الشغل الشاغل للحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها .

ومن غزو الجماعات اليهودية الى غزو فلسطين عن طريق الهجرة ، الى « غزو العمل » عبر اقصاء اليد العاملة العربية والاقتصار على العمل اليهودي دون سواه ، ثم « غزو التراب الفلسطيني » تحت ستار « الانتصار على الذات » من خلال الاستئثار بمجالات العمل في الارض والزراعة ـــ يمتد خط صهيوني واحـــد ليربط بين طرفي : الحركـــة الصهيونية ودولة اسرائيل . وليست العقائد الصهيونية الاساسية في الدولة اليهودية سوى الامتداد الاسرائيلي للطرف الصهيوني من ذلك الخيط . فالمناداة بتحقيق الرسالة من « تجميع المنفيين » الى ادماج المهاجرين وصهرهم في بوتقة المجتمع الواحد ، والى تعزيز « الوجدان اليهودي » وتنشيط الثقافة الصهيونية والعبرية بين يهود العالم ـــ كل هذه يصعب فصلها عن النتيجة الحتمية لدينامية التوسع وذريعةالمطالبة بحدود آمنة . ان هذه العقائد والممارسات تصب كلها في بحر واحد عند نهايـــة المطاف . والطرف « الارضي » و« الاقليمي » لشعار « غزو الجماعات اليهودية » ليس الا توسيع حدود المركز الاسرائيلي بحجة تحقيق « أرض اسرائيل الكاملة » وجمع اليهود من كافة أقطار العالم لتركيزهم داخل الحدود التاريخية التي تدعي الصهيونية نسبتهـــا الى « أرض اسرائيل » .

وأخيرا ، ثمة قول منسوب الى هرتزل ، وقد جاء فيه : « ان الصهيونية هي ذلك الشيء العظيم الى درجة تفرض على المرء الا يتحدث عنها بغير الكلمات البسيطة جدا فحسب » . فالاعمال تنطق بلسان هذه البساطة المفرطة حتى البداهة . وتاريخ الحركة الصهيونية يظل خير شاهد على تورطها الفاضح في ميدان العظمة مـــن خلال توجهها الامبريالي الصريح وارتكازها الاستعماري على الغزو بالهجرة والاستيطان .

١ ـــ على عتبة الدولة :

عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الثاني والعشرين منذ تأسيسها في مدينة بازل (سويسرا) بين التاسع والرابع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٤٦ . نجاءت القرارات السياسية التي اتخذها المؤتمر تكرارا حرفيا في معظمها لقرارات

الاجتماع الصهيوني الذي دعت اليه « لجنة الطوارىء للشؤون الصهيونية » في أوتيل بيلتمور (نيويورك) . والمعروف ان « مؤتمر بيلتمور » هذا تبنى في الثاني من أيار (مايو) ١٩٤٢ ، قرارا يندد بالكتاب الابيض ويطالب بفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية تحت اشراف الوكالة اليهودية وسيطرتها ، بحيث تمنح الوكالة اياها السلطة الكفيلة بجعل فلسطين « كومنولث يهوديا » ، لكي يندمج هذا « الكومنولث » (لفظة مخففة للدولة اليهودية) بتكامل في « بنية العالم الديمقراطي الجديد » . كما سارعت « لجنة العمل الصغرى » (أو المجلس الصهيوني العام في صيغته المصغرة منذ ١٩٣٧) الى عقد جلسة لها بفلسطين لاتخاذ قرارها في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ ، بتكرار المطالب الصادرة عن اجتماع بيلتمور . ثم كانت القرارات السياسية التي تبناها « الاجتماع الصهيوني العالمي » في لندن ، بين أول آب والثالث عشر منه (١٩٤٥) ، بمثابة التصديق التام على ما سبقها من قرارات بالمعنى نفسه .

وجل ما فعله مؤتمر بازل المذكور — في أواخر ١٩٤٦ — لا يعدو كونه محاولة للتوكيد من جديد على مطالب بيلتمور واعادة ترتيبها وفقا للاولويات الصهيونية . فقد نص القرار السياسي الذي أصدره المؤتمر بهذا المعنى على ما يلي :

« ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين يؤكد من جديد على المطالب السياسية التي أعربت عنها أجهزة المنظمة الصهيونية مرارا وتكرارا ، وهي التالية :

١ — تأسيس فلسطين على غرار كومنولث يهودي ، يتم ادماجه المتكامل في بنية العالم الديمقراطي .

٢ — فتح ابواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية .

٣ — منح الوكالة اليهودية صلاحية السيطرة على الهجرة الى فلسطين ، وتخويلها السلطة اللازمة لتعمير البلاد » .

اما بالنسبة لمؤتمر لندن الذي دعت اليه الحكومة البريطانية ، وحددت موعده يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٦ ، فان القرارات الرسمية للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين أعلنت ان الحركة الصهيونية لا تستطيع في الظروف الراهنة الاشتراك فيه . واحالت على المجلس الصهيوني العام مسألة النظر بالامر وتقرير الاشتراك أو عدمه ، اذا ما طرأ تبدل على الوضع . كما أعلن المؤتمر رفضه للمقترحات التي تقدم بها مشروع « موريسون — غرادي » في تقسيم فلسطين الى مناطق ثلاث: عربية ويهودية وبريطانية، خاضعة للادارة البريطانية . واعتبر ان المشروع المذكور يؤدي في الواقع الى « تحلل الحكومة المنتدبة من التزاماتها نحو تشجيع تطور الوطن القومي اليهودي » .

لكن اللجنة التنفيذية الصهيونية انعقدت بكامل أعضائها في باريس عند نهاية تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، لمناقشة فكرة التقسيم . وجاء انعقادها هذا في أعقاب صدور تقرير « لجنة التحقيق الانجلو — أميركية » (ربيع ١٩٤٦) ، وبعد ان اتضح لنفر من أعضائها كانوا على اتصال وثيق بواشنطن ان الرئيس الاميركي « يتوقع » المبادرة من جانب الوكالة اليهودية الى تقديم مشروع يتصف بـ « المعقولية والواقعية » (غولدمان) . فقد صوتت اللجنة على اقتراح تقدم به أحد اعضائها — ناحوم غولدمان — بتاريخ الخامس من آب (اغسطس) ١٩٤٦ . ونص القرار المتخذ على الفقرات التالية :

« ١ — أن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية تعتبر بأن المقترحات الصادرة اصلا عن لجنة التحقيق ، والتي أعلنها السيد موريسون في مجلس العموم ، لا يمكن القبول بها كأساس للتباحث .

٢ ـــ ان اللجنة التنفيذية على استعداد للبحث في اقتراح لاقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في مساحة كافية من فلسطين .

٣ ـــ ولاجل التنفيذ الفوري لما نصت عليه الفقرة الثانية ، تتقدم اللجنة التنفيذية بالمطالب التالية : أ ـــ أن يصار على الفور الى اصدار ١٠٠ الف شهادة للهجرة ، وان يباشر حالا بنقل مائة الف يهودي الى فلسطين . ب ـــ أن تمنح المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية استقلالها التام على الفور في المجالين الاداري والاقتصادي . ج ـــ حق الادارة اليهودية في الأشراف على الهجرة داخل المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية » .

ويقول صاحب مشروع القرار هذا في مذكراته اللاحقة ما معناه : « لا ريب في ان القرار كانت له أهمية تاريخية ، ومهد السبيل امام القبول النهائي بالتقسيم من جانب الامم المتحدة ، وأمام اعلان الدولة اليهودية » . كما يستفاد من المعلومات التي تضمنتها مذكرات غولدمان حول ملابسات القرار الصهيوني ان الاوساط التنفيذية في الحركة الصهيونية شهدت انقساما حول الموقف من التقسيم . فالحاخام ابا هيلل سيلفر ـــ عضو اللجنة التنفيذية ، ورئيس الفرع الاميركي في اللجنة المذكورة ، بالاضافة الى رئاسته لكل من المنظمة الصهيونية الاميركية والمجلس الصهيوني الاميركي للطوارىء ـــ كان يعارض فكرة التقسيم بشدة ، ويعتبرها مع اصدقائه بمثابة « تنازل عن حقنا في فلسطين كلها ، وخيانة لما دعوه بـ الصهيونية الكلاسيكية » . والدكتور عمانوئيل نويمان ـــ عضو اللجنة ورئيس الصندوق التأسيسي ـــ كان ايضا من بين الزعماء الصهيونيين الاميركيين الذين عارضوا فكرة التقسيم . بينما يخبرنا غولدمان عن رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ـــ بن غوريون ـــ انه تردد «لاسباب سياسية داخلية» في جعل اللجنة التنفيذية تتخذ موقفا رسميا من التقسيم .

ولدى الرجوع الى عملية التصويت في المؤتمر الثاني والعشرين حول القرار المتعلق برفض الاشتراك في مؤتمر لندن ، نجد ان اكثرية ضئيلة من الصهيونيين الاميركيين الذين حضروا كمندوبين قد صوتت ضد القرار المذكور . فجاء توزيع الاصوات الصهيونية الاميركية ، حسب رواية المصادر الرسمية ، على النحو الآتي :

	مع القرار برفض الاشتراك	**ضد قرار الرفض**
	عدد الاصوات	
الصهيونيون العموميون (المنظمة الصهيونية الاميركية)	٣٥	٥
الصهيونيون العموميون (الهداسا ومنظمة النساء الصهيونيات)	ـــ	٢٨
عمال صهيون (حزب العمل)	ـــ	٢٩
المزراحي	١٨	ـــ
التحريفيون	٦	ـــ
المجموع	٥٩ صوتا	٦٢ صوتا

كما نعرف من مذكرات غولدمان ان التصويت الحاسم في مؤتمر بازل جرى حول « قرار يكرر ما نص عليه برنامج بيلتمور ومطالبته بدولة يهودية » . فقد أصر معارضو التقسيم على ادخال العبارة التالية في النص النهائي للقرار : « داخل فلسطين كلها » . لكن هذا التعديل سقط ، لكي ينتهي غولدمان الى القول : « وبهذا الشكل غير المباشر قبلت اكثرية المؤتمر الصهيوني بمشروع التقسيم » . وفيما يتعلق بقرار رفض الاشتراك في مؤتمر لندن يتبين من الاجواء التي خيمت على جلسات المؤتمر الصهيوني ـــ وهنا نرجع

الى رواية غولدمان – ان الجناح الذي تزعمه وايزمان مني بهزيمة أدت الى استقالة وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية ، بعد سقوط القرار الداعي الى القبول المشروط بحضور مؤتمر لندن . كيف حدث ذلك ؟ يقول غولدمان ان الدوافع المتناقضة حملت ثلاث شخصيات صهيونية على التكتل ضد وايزمان : فقد تحالف كل من بن غوريون والحاخام ابا هيلل سيلفر وموشيه كلاينباوم (الذي بدل اسمه الى موشيه سنيه فيما بعد ، وأصبح شيوعيا) لمعارضة السياسة التي اتبعها وايزمان ومعه أكثرية اللجنة التنفيذية » . ان هذه الكتلة كانت تنادي بالرفض الصريح . ومعظم الاحزاب الصهيونية التي تمثلت في المؤتمر انقسمت في الرأي، حتى «ان اكثرية حزب بن غوريون – الماباي – كانت مؤيدة لوايزمان » . ومع ذلك فقد جاءت نتيجة التصويت بأكثرية ضئيلة لصالح قرار الرفض بقبول الدعوة البريطانية . فالمسؤولية عن هزيمة وايزمان ، كما يراها غولدمان ، تقع على عاتق أمرين : طريقة التصويت غير الملائمة ، والموقف السياسي الاحمق والمتحجر الذي وقفته جماعة هاشومر هتسعير – التي تنتمي الى حركة صهيونية اشتراكية !

خرجت المنظمة الصهيونية العالمية من مؤتمر بازل دون ان ينتخب المؤتمر رئيسا لها أو لجنة تنفيذية . وبقي منصب الرئاسة شاغرا حتى انتخاب ناحوم غولدمان في المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما بلغ عدد المندوبين الى مؤتمر بازل ما مجموعه ٣٨٥ مندوبا ، يتوزعون على النحو التالي : كتلة الصهيونيين العموميين ١٢٣ ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٠١ ، المزراحي ٥٨ ، التحريفيون ٤١ ، هاشومر هتسعير ٢٦ ، أحدوت هاعفودا – عمال صهيون ٢٦ ، الهجرة الجديدة ٥ ، غير حزبيين ٥ مندوبين .

والملاحظ من هذا التوزيع ، بالاضافة الى عودة التحريفيين للمنظمة – الام بعد انفصال دام اكثر من عشر سنوات (١٩٣٥ – ١٩٤٦) ، ان عدد المندوبين عن الصهيونية العمالية قد انخفض كثيرا عما كان عليه في المؤتمرات السابقة . ففي المؤتمر العشرين (زوريخ ، ١٩٣٧) وصل مجموع المندوبين ، مثلا ، الى ٤٨٤ مندوبا ، توزعوا كما يلي: العمال (٢٢٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٢٨ والفئة « ب » (٤٣) ، والمزراحي (٨٠) وحزب الدولة اليهودية (٩) . والمعروف ان هذا المؤتمر اعلن رفضه لمشروع التقسيم الذي اقترحه « تقرير لجنة بيل » (تموز ، ١٩٣٧) ، مثلما انه اقدم – « بعد نقاش طويل وبأكثرية كبيرة » – على تفويض اللجنة التنفيذية صلاحية التفاوض مع الحكومة البريطانية لتوضيح الشروط المتعلقة بالاقتراح البريطاني في اقامة دولة يهودية بفلسطين . فقد طالب حاييم وايزمان بان يمنحه المؤتمر سلطة اجراء المفاوضات على أساس تقرير بيل حول التقسيم ، وفاز الطلب باكثرية ٣٠٠ صوت ضد ١٥٨ صوتا .

أما المؤتمر الواحد والعشرون (جنيف ، ١٩٣٩) فقد وصل عدد مندوبيه الى ٥٢٧ مندوبا ، وتوزعوا كالآتي : العمال (٢٣٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٥٩ والفئة « ب » (٣٣) ، المزراحي (٧٥) وحزب الدولة اليهودية (١٠) والجناح اليساري لعمال صهيون (١٣) وغير الحزبيين (٣) . واستمرت اللجنة التنفيذية التي شكلها المؤتمر السابق (١٩٣٧) في ممارسة اعمالها ، بينما جرى انتخاب جميع الاعضاء في اللجنة التنفيذية الصهيونية لعضوية اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية .

ان كتلة الصهيونيين العموميين في مؤتمر بازل ضمت اكبر عدد من المندوبين ، بزيادة ٢٥٪ عن المندوبين العماليين . وربما كان مرد هذا الامر الى ارتفاع اسهم الصهيونية الاميركية في أعقاب الحرب وبعد التدهور الذي اصاب الصهيونية الاوروبية من جراء الاضطهاد النازي لليهود . فالاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين تأسس عام ١٩٢٩

خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عشر . ثم انقسم الى جناحين او فئتين : « أ » و « ب » — منذ المؤتمر السابع عشر في بازل (١٩٣١) . وفي شهر اب (اغسطس) من العام ١٩٤٦ — اي ابان انعقاد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في باريس — توصل الجناحان الى الاتفاق على صيغة برنامج موحد للصهيونية العمومية . لكن قوتهم العددية داخل مؤتمر بازل (١٩٤٦) لم يقابلها انضباط حزبي في الموقف من القضايا الرئيسية التي عالجها المؤتمر الصهيوني . وفي ذلك يقول رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين — اسرائيل غولدشتاين — في كراس اصدرته دائرة الثقافة في المنظمة الصهيونية الاميركية بعنوان « البرنامج الصهيوني العمومي » (١٩٤٧) : « ان المندوبين الصهيونيين العموميين تركت لهم حرية التصويت حسب هواهم في الجلسات الكاملة للمؤتمر . ولهذا السبب ظهروا اثناء جلسات المؤتمر وامام انظار العالم بانهم اكثر انقساما من الاحزاب الاخرى » .

ان توزيع المندوبين في المؤتمر الثاني والعشرين انعكس بدوره على تشكيل « المجلس الصهيوني العام » — اي الهيئة الحاكمة للمنظمة الصهيونية العالمية خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمر وآخر . وبعد ان قرر مؤتمر بازل (١٩٤٦) زيادة عضوية هذا المجلس من ٧٢ الى ٧٧ عضوا ، اصبح التوزيع الحزبي لاعضائه كالآتي : الصهيونيون العموميون ٢٥ عضوا ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ٢٠ ، المزراحي وجناحه العمالي ١٢ ، التحريفيون ٨ ، هاشومر هتسعير ٦ ، احدوت هاعفودا ٥ ، الهجرة الجديدة عضو واحد .

لقد اختتم المؤتمر اعماله دون انتخاب لجنة تنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . لكنه فوض المجلس الصهيوني العام صلاحية انتخاب اللجنة التنفيذية التي اصبحت ، باعتراف المصادر الصهيونية، منذ ١٩٤٧ مطابقة في عضويتها بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين . ففي مقالة « الوكالة اليهودية » التي تضمها « موسوعة اسرائيل والصهيونية » نقرأ ما يلي : « بعد أن أصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية هيئة واحدة بالذات (ابتداء من ١٩٤٧ فصاعداً) ، غدت اجهزة الوكالة (المؤتمر والمجلس العام واللجنة التنفيذية والهيئات القضائية ومراقبة الحسابات) مطابقة لاجهزة المنظمة الصهيونية العالمية » .

وفي التقارير المرفوعة من اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية الى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (القدس ، ١٩٥١) يوجد فصل بين الاثنين . هناك تقرير صادر عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (وهذا يقع في ١٥٠ صفحة من اصل ٩٩٩ صفحة تؤلف مجموع صفحات الكتاب المطبوع للتقارير) ، بالاضافة الى التقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . مع العلم بان التقرير الاول يذكر في مطلعه ان : « جميع اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية قاموا أيضا بدور الاعضاء في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية » . كما يتحدث التقرير الثاني (صفحة ١٥٩) عن قيام المجلس الصهيوني العام ، اثر انتهاء مؤتمر بازل بوقت قصير ، بانتخاب لجنة تنفيذية صهيونية مارست دورها بمثابة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . وهذا الاصرار الصهيوني على الفصل شكليا بين اللجنتين ، رغم الاقرار الصريح بكونهما لجنة واحدة من حيث العضوية ، يهدف الى انقاذ المظاهر القانونية على اعتبار ان الوكالة اليهودية لفلسطين تتمتع بوضع قانوني تنص عليه مواد صك الانتداب . فالمعروف ان نصف اعضاء الوكالة اليهودية الموسعة ، التي نجح وايزمان في انشائها عام ١٩٢٩ واقرار دستورها رغم معارضة التحريفيين والراديكاليين داخل المؤتمر الصهيوني ، كانوا اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية . بينما جاء النصف الثاني من بين «غير الصهيونيين». لكن هذا الترتيب لم يعمر طويلا . اذ بدأ تحويل اللجنة التنفيذية الى هيئة صهيونية في تركيبها وطابعها بصورة تدريجية يكفلها الدستور ! والمصادر الصهيونية تشير الى

الاساس القانوني الذي جرى الاستناد اليه في « صهينة » الوكالة اليهودية الموسعة . فالمادة السابعة من دستور الوكالة المذكورة تنص على انه يحق للمنظمة الصهيونية العالمية ملء المقاعد الشاغرة في اللجنة اذا لم يتقدم الاعضاء اللاصهيونيون في مجلس الوكالة بالترشيحات المساوية للعدد المطلوب .

ثم تعترف المصادر الصهيونية بأن ترتيب المناصفة لم يدم طويلا ، بسبب « عدم الاهتمام الكافي من جانب اللاصهيونيين » ـ مما أدى بدوره الى تخفيض نسبة تمثيلهم في اللجنة التنفيذية للوكالة . وتتابع المصادر اياها قائلة : « ابتداء من العام ١٩٣١ أصبحت اللجنة التنفيذية قائمة على أساس ائتلاف من الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، واستمرت هذه الممارسة منذ ذلك الحين » . فالرجوع الى عضوية اللجنتين التنفيذيتين منذ ١٩٣١ وحتى ١٩٤٧ يؤكد بصورة قاطعة وجود لجنة واحدة على صعيد الممارسة يتوزع اعضاؤها بين فلسطين ولندن واميركا على مكاتب وفروع تعمل في مختلف الحقول وتتقاسم المهمات والنشاطات تبعا لحاجات الظروف الراهنة ومتطلبات المرحلة القادمة .

ان تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية = اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في أعقاب المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ينطوي على مغزى كبير بالنسبة لعلاقة الحركة الصهيونية بدولة اسرائيل . والصيغة الائتلافية بين الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، كما تركيب المجلس الصهيوني العام ، قد تجلت في توزيع مقاعد اللجنة العشرين على كتل ثلاث داخل الحركة الصهيونية : كتلة العمل (٧ مقاعد) وكتلة الصهيونيين العموميين (٩ مقاعد) وكتلة المزراحي (٤ مقاعد) . هذا ما يبينه الجدول التالي :

أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ـ الوكالة اليهودية

[منذ اواخر ١٩٤٦ وحتى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨]

العضو	مكان الولادة	مكان الاقامة	الانتماء الحزبي	المسؤولية الصهيونية
دافيد بن غوريون	بلونسك	القدس	العمل	رئاسة اللجنة، الدائرة السياسية
سيليغ برودتسكي	ليدز	لندن	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في لندن* (الدائرة السياسية)
بيريتز برنشتاين	هولندا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة التجارة والصناعة
الحاخام زئيف غولد	بولونيا	نيويورك	مزراحي	
الدكتور ناحوم غولدمان**	ليتوانيا	لندن ـ نيويورك	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في واشنطون
يتسحاق غرونباوم	فرصوفيا	القدس	صهيوني عمومي	دائرة العمل
حاييم غرينبرغ	روسيا	القدس	العمل	مجلس الطوارىء الصهيوني الاميركي
الياهو دوبكين	بوبرويسك	القدس	العمل	دائرة التنظيم ودائرة الشباب والرواد وقسم المبعوثين
السيدة روز هالبرين	اميركا	نيويورك	صهيونية عمومية	الرئاسة السياسية للهداسا
بيرل لوكر***	غاليسيا	لندن	العمل	
السيدة غولدا مايرسون	روسيا	تل ابيب	العمل	الدائرة السياسية في القدس (بالوكالة اثناء غياب شرتوك)
الدكتور عمانوئيل نويمان	اميركا	نيويورك	صهيوني عمومي	رئاسة الكيرن هايسود والمنظمة الصهيونية الاميركية
الحاخام اباهيلل سيلفر	ليتوانيا	كليفلاند	صهيوني عمومي	رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية للوكالة
موشيه سنيه	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	الدائرة السياسية في باريس

الحاخام ي.ل.فيشمان	بصارابيا	القدس	مزراحي	نائب رئيس اللجنة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة
موشيه شابيرا	غرودنو	القدس	مزراحي	دائرة الهجرة
اليعازر كابلان	مينسك	القدس	العمل	أمانة الصندوق ودائرة الاستيطان الزراعي
ش.ز. شراغاي	بولونيا	لندن	مزراحي	رئيس دائرة الاعلام في الفاد ليئومي
موشيه شرتوك	روسيا	واشنطون	العمل	رئيس الدائرةالسياسية (واشنطون)

نائب عضو في اللجنة

موشيه كولدوني (كول)	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة هجرة الاحداث والشبان

حل محل موشيه سنيه المستقيل (١٩٤٧) في السادس من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . بينما جاء زفي هيرمان (حرمون) محل كلدوني في نيابة العضوية (وهو صهيوني عمومي يقيم في تل أبيب) .

* البروفسور سيليغ برودتسكي : عضو في اللجنة التنفيذية للوكالة منذ ١٩٢٨ ، ورئيس هيئة النواب اليهود البريطانيين (منذ ١٩٤٠) . نائب رئيس الاتحاد الصهيوني لبريطانيا وايرلندا الشمالية ، ونائب رئيس اللجنة الادارية للجامعة العبرية ، بالاضافة الى رئاسته لاتحـاد المكابيين العالمي ، ونيابة الرئاسة في الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين .

** الدكتور ناحوم غولدمان : رئيس اللجنة الادارية في المؤتمر اليهودي العالمي . وممثل الوكالة اليهودية لدى عصبة الامم في جنيف ومستشار اللجنة التنفيذية للشؤون السياسية منذ ١٩٣٧ .

*** بيرل لوكر : عضو حركة عمال صهيون منذ ١٩٠٥ . ورئيس تحرير « العامل اليديشي » في النمسا . أمين المكتب المركزي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون (١٩١٦ — ٢٨) ، وسكرتير عمال صهيون في اميركا (١٩٢٨ — ٣١) . اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية منذ عام ١٩٣١ ، وترأس دائرة التنظيم فيها . وشغل لعدة سنوات منصب العضوية في اللجنة التنفيذية للاممية العمالية والاشتراكية . كما انه عضو في اللجنة التنفيذية للهستدروت .

جاء في تقارير اللجنة التنفيذية المرفوعة الى المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) ان الدورة الاولـى لانعقاد المجلس الصهيوني العام بين ٢٥ و٢٩ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ قامت بانتخاب لجنـة خاصة للتعيينات ، لكي تعد اللجنة مقترحات بشأن تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية . وبناء على توصية لجنة التعيينات هذه — نالت التوصية أكثرية ٥٢ صوتا مقابل ١٧ — تم انتخاب لجنة تنفيذية للمنظمة والوكالة مؤلفة من ١٩ عضوا ونائب عضو .

٢ — « انتقال السلطات » :

خلال الفترة الفاصلة بين مطلع ١٩٤٧ ومنتصف شهر أيار (مايو) ١٩٤٨ كانت الحركة الصهيونية ، بموجب دستور المنظمة العالمية ، تدار بواسطة المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية للوكالـة اليهودية والمنظمة الصهيونية . وفي الدورة الاولى لانعقـاد المجلس العام ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني مباشرة ، جرى انتخاب لجنتين للعمل في اثناء الفترة التالية : لجنـة سياسية خاصة تضم ١٦ عضوا ، وعليهـا ان تقرر بشأن المفاوضات مع الحكومة البريطانية في لنـدن ، ولجنة للميزانية مؤلفة من ١٢ عضوا . بينما انعقدت الدورة الثانية للمجلس في زوريخ ، من ٢٥ آب (اغسطس) الى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، في ظل تقرير « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » وتوصياتها حول تقسيم البلاد واقامة الدولة اليهودية في جزء منها .

والقـرارات السياسية التي صدرت عن المجلس الصهيوني العام آنـذاك أعربت عن الارتياح لصدور التوصية في انشاء دولة يهودية ذات سيادة عن اللجنة الدولية بأكثرية ملحوظة . لكنها استدركت بقولها : « ان الرقعة المقترحـة هي جزء يسير من المساحة

الموعودة اصلا للشعب اليهودي على اساس حقوقه التاريخية ، ولا هي تضم المناطق ذات الاهمية القصوى . ثم أعلقت القرارات أسفها للمقترحات التي قدمتها أقلية اللجنة بشأن الدولة الاتحادية ، فاعتبرتها بمثابة المشروع الرامي لتحويل فلسطين الى دولة عربية ، ومن المقدر لليهود ان يظلوا أقلية دائمة في مثل تلك الدولة .

كما أقدم المجلس العام على تعيين لجنة سياسية خاصة ، تتألف من ١٧ عضوا ، لتزويد اللجنة التنفيذية بالمشورة في جميع المسائل الناشئة عن مناقشة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة . وحدد قرار المجلس مدة ولاية هذه اللجنة حتى دورة انعقاده التالية ، على ان تعمل مع اللجنة التنفيذية ، ولا يحق لاي من أعضائها اجراء المفاوضات مع اي عضو في الجمعية العامة للامم المتحدة أو اي مسؤول حكومي . أما تركيب اللجنة السياسية فقد جاء كما يلي : الصهيونيون العموميون (٥ أعضاء) ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون (٤) ، المزراحي (٣) ، التحريفيون (٢) ، هاشومر هتسعير (١) ، أحدوت هاعفودا (١) والهجرة الجديدة (١) .

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية غير المشروعة (Haapala) الى فلسطين ، قرر المجلس العام اعتبار هذه الهجرة « في الظروف الحاضرة عاملا ذا أهمية أساسية في الكفاح السياسي الذي تخوضه الحركة الصهيونية ضد سياسة الكتاب الابيض ، وعملا حيويا لانقاذ بقايا اسرائيل » .

أما الاشارة الاولى الى الوضع المتغير بالنسبة للوكالة اليهودية فقد تضمنها قرار المجلس العام بتفويض اللجنة التنفيذية الصهيونية « لاجراء مباحثات مع الهيئات الملائمة حول تركيب الوكالة اليهودية في ضوء الحقائق الجديدة داخل الحياة اليهودية ... » . وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي سجل المجلس ارتياحه للجهود التي تبذلها دائرة التنظيم في سبيل انشاء فدراليات صهيونية ، وطلب الى هذه الدائرة مواصلة جهودها في الاتجاه المذكور . كما حدد بالتفصيل الصلاحيات التي تتمتع بها تلك الفدراليات ، وشدد على واجب الانضباط لدى اعضاء الفدرالية وضرورة امتثالهم للقرارات الصادرة عن هيئاتها المسؤولة .

وتقول التقارير المرفوعة عام ١٩٥١ ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) اتخذ قرارات متعلقة بالناحيتين التنظيمية والتشريعية داخل الحركة الصهيونية . بناء على قرار المؤتمر (رقم ١٣٠) أنشأ المجلس العام في دورة انعقاده الاولى (بازل : ٢٨/١٢/٤٦) لجنتين : لجنة استشارية للتنظيم ، تتألف من ١٣ عضوا (٤ منهم للصهيونيين العموميين ، ٣ للعماليين ، ٢ للمزراحي ، ٢ للمابام ، وواحد لكل من التحريفيين والهجرة الجديدة) ، على ان يحضر اجتماعات هذه اللجنة ممثلون عن الصندوق القومي اليهودي والصندوق التأسيسي لفلسطين ومنظمة النساء الصهيونيات WIZO . ولجنة تشريعية (بناء على قرار المؤتمر رقم ١٣٦) لوضع مقترحات بشأن التعديلات في القوانين والانظمة الاساسية للمنظمة الصهيونية : دستور المنظمة ، والنظام الداخلي للمؤتمر الصهيوني وقوانين الانتخاب والنظام الداخلي للمجلس الصهيوني العام . فاللجنة الاولى مارست اعمالها تحت رئاسة الياهو دوبكين ، عضو اللجنة التنفيذية والمسؤول عن دائرتي التنظيم والاعلام في الوكالة اليهودية . وتداولت بشأن التنظيم الصهيوني في العالم ، لكي تنتهي الى الموافقة على المشروع الرامي الى انشاء الفدراليات الصهيونية في البلدان التي لا توجد فيها مثل تلك الفدراليات . أما القضايا التي تمت بصلة مباشرة الى موضوعنا ، فقد عالجتها اللجنة اياها من زاوية « توزيع الوظائف » أو تقسيمها بين الحركة الصهيونية والدولة . والتقارير الصهيونية الرسمية تفيد بان مداولات اللجنة الاستشارية لشؤون التنظيم كانت اساسا لقرارات

بعيدة المدى جرى تقديمها الى المجلس الصهيوني العام ، لكي يصادق عليها ويقرها خلال الفترة اللاحقة لقيام الدولة .

سوف نتابع النظر في مسألة « توزيع الوظائف » من زاوية القرارات التي أصدرها المجلس الصهيوني العام في دورتين من دورات انعقاده الست خلال الفترة الفاصلة بين انتهاء المؤتمر الثاني والعشرين (١٩٤٦) وبين الاعداد للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) . وهما : الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في تل ابيب بين ٦ و ١٢ نيسان (ابريل) ، ١٩٤٨ . والدورة الرابعة في القدس ـ تل ابيب ، من ٢٢ آب (اغسطس) الى ٣ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ .

ففي الدورة الثالثة انعقد المجلس الصهيوني العام « بحضور ٢٢ عضوا من اعضائه » (البالغ عددهم ٧٧ عضوا) ، جاء بعضهم من الخارج ، مثلما اشترك جميع الاعضاء المقيمين في البلاد . وتقول التقارير الصهيونية الرسمية انه « جرى نقل الاعضاء بطائرات خاصة من القدس المحاصرة والمقطوعة عن العالم الخارجي الى تل ابيب » . كما تؤكد التقارير اياها ان القرارات التي اتخذها المجلس العام في « هذه الدورة التاريخية » لم تنشر كلها في حينه ، وهي « سلسلة من القرارات الداخلية » التي أعرب فيها المجلس الصهيوني عن تأييده وتشجيعه للهجرة غير المشروعة الى فلسطين بالاضافة الى قراراته المتعلقة بتركيب « مجلس الشعب » و « ادارة الشعب » .

ان نصوص القرارات التي افردت لها ملاحق خاصة في التقارير الصهيونية الرسمية تندرج تحت العناوين الثلاثة التالية : « القرارات السياسية » ، و « برنامج الدفاع الاقتصادي » و« التنظيم » بشقيه : « الاداري ـ القومي » والصهيوني. وسوف نقصر بحثنا على الناحيتين السياسية والتنظيمية فقط .

أ ـ **الناحية السياسية** : اصدر المجلس الصهيوني عند انتهاء دورة انعقاده في ٢١ نيسان (ابريل) بيانا عاما تعتبره بعض الكتابات الدعائية الصهيونية بمثابة « الاعلان الثاني للاستقلال » . ففي كراس وضعه ارميا بن ـ جاكوب تحت عنوان « دليل الصهيونية » تطالعنا اعلانات ثلاثة للاستقلال الصهيوني : الاعلان الاول بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل)، ١٩٤٨ ، والثاني في ٢٢ منه ، والثالث هو الاعلان المؤرخ في ١٤ ايار (مايو) من العام نفسه . والنص المختصر الذي تورده التقارير الرسمية في جملة القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام يأتي مطابقا للاعلان الثاني . فهل يؤلف النص الاول والثاني نصا واحدا ؟ هذا ما ترجحه التقارير التي لجأت الى اختصار البيان العام . وبناء عليه ، يتألف النص الكامل من الاعلانين المذكورين اعلاه . فالفقرات التي ذهبت ضحية الاختصار الصهيوني الرسمي تتعلق بموقف شديد العداء من « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » التي تسلمت أمانة الانتداب من عصبة الامم قبل ٢٧ سنة ، « وأخفقت في تحقيقها » . والاتهامات الموجهة لحكومة الدولة صاحبة تصريح بلفور والمنتدبة على فلسطين تتضمن ما يلي : « لقد ابتعدت عن روح الانتداب واستبدلتها بالغرض الاناني في تعزيز مصالحها داخل الشرق الاوسط . ونتيجة لهذه السياسة منع لاجئونا من دخول البلاد في احلك ساعات ضيقهم . لا بل جرى توقيفهم واحتجازهم ، وكتب لهم ان يعيشوا حياة يكتنفها الخطر والاذلال والعجز . بينما كانت السلطة المنتدبة تتعامل مع الـد أعدائنا ، أصدقاء النازيين وحلفائهم ... » .

ومما يفسر بعض الدوافع الكامنة وراء اختصار البيان في التقارير الرسمية هو ان الفقرة المنشورة عن العرب تكتفي بالابقاء على ما يشبه النداء المسالم . فالبيان المختصر يقول: « في هذه الساعة التي جرى ارغامنا فيها على اراقة الدماء والنزاع ، نلتفت الى العرب في الدولة اليهودية والى جيراننا في المناطق المحاذية بنداء التآخي والتعاون والسلام . نحن شعب مسالم ، جئنا الى هنا للبناء في سلام » .

بيد ان الناحية التي تطال موضوعنا من زاويته الصهيونية الرسمية تكاد تنحصر بفقرتين من البيان الصادر قبل اعلان قيام اسرائيل بشهر واحد على الاقل . الفقرة الاولى ، وهي مطلع البيان العام على ما يبدو ، تقول : « في هذا اليوم ، الموافق الثالث من نيسان (التقويم العبري) يعلن المجلس الصهيوني العام في المنظمة الصهيونية العالمية ، وهو اعلى هيئة فيها ، أمام شعوب العالم المتمدنة وعلى ممثلي الامم المتحدة واليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، بانه تقرر انشاء اداة ذات سلطة عليا بالنسبة لاستقلالنا القومي في فلسطين » .

والفقرة الثانية التي تبدأ بها النصوص المختصرة لقرارات المجلس الصهيوني العام تحمل الصيغة التالية : « لقد قررنا ، استنادا الى سلطة الحركة الصهيونية واعتمادا على تأييد الشعب اليهودي كله ، انه عند انتهاء الحكم المنتدب سوف تكون هناك نهاية للحكم الاجنبي في فلسطين ، وان الدولة اليهودية كهيئة حاكمة سوف تظهر الى حيز الوجود » .

ان توقيت هذا البيان العام والصادر عن « أعلى هيئة » في المنظمة الصهيونية ــ باعتبار المجلس الصهيوني العام يمارس هذه الوظيفة خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين ــ جاء مرهونا بسير التطورات الجارية آنذاك داخل الامم المتحدة . فالقرار السياسي التالي الذي اصدره المجلس الصهيوني يحمل هذا العنوان : « بيان حول التغيير المقترح على سياسة الامم المتحدة » . وهو يأخذ علما بالبيان الصادر عن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والفاد ليئومي ، ثم يؤكد عليه : « ان الوكالة اليهودية والفاد ليئومي علما ، مع الاسف والاستغراب ، بالموقف الذي تبناه الان ممثل الولايات المتحدة ومندوبها لدى مجلس الامن من قرار الامم المتحدة حول فلسطين » .

لكن بوادر التحول في الموقف الاميركي ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ ، والى اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٤٨ ــ عندما اخذت نظارة الخارجية الاميركية تعيد النظر في موقفها من التقسيم ، وتحدثت عن الحاجة الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة بقصد البحث في احتمال وضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . والمسارعة الصهيونية الى اعلان قيام الدولة ــ كما يقول التحريفيون ــ حدثت بعد ازدياد المخاوف من تحولات الموقف الاميركي . فقد نشرت صحيفة « الجويش ستاندرد » الناطقة بلسان الصهيونيين التحريفيين مقالا طويلا بقلم أ. ابراهامز ، عنوانه « مخاض الخلاص » (١٩٤٨/٣/٢٦)، واتهمت فيه الوكالة اليهودية بعدم التحرك للعمل واتخاذ زمام المبادرة الا في اعقاب المخاوف التي ساورتها من تحول الموقف الاميركي . ومما اكد عليه كاتب المقال : « والان تتحرك الوكالة نحو اعلان الدولة اليهودية ، ليس لسبب الا لكون اميركا قد تراجعت عن التقسيم ، وهناك خوف بانه اذا لم تعلن الدولة الان ، سوف يؤدي قرار صادر عن مجلس الامن او شبه قرار جديد تصدره الجمعية العامة للامم المتحدة الى حرمان الوكالة مما تميل هي الى اعتباره بمثابة صحتها القانونية وتبريرها القانوني حاليا » .

وخلاصة القول ، ان القرارات ذات الطابع السياسي والتي اصدرها المجلس الصهيوني العام ــ باستثناء البيان الذي يستند الى سلطة الحركة الصهيونية في اعلان قيام الدولة اليهودية ــ كانت في معظمها من قبيل أخذ العلم بقرارات اللجنة التنفيذية للوكالة ومنحها صفة التأييد الصهيوني العام . أما الناحية التي تنقلنا الى صلب الموضوع ــ موضوع العلاقة بين المنظمة العالمية والدولة اليهودية ــ فهي ناحية التنظيم الصهيوني عشية قيام الدولة .

ب ــ **الناحية التنظيمية** : جاءت قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الثالثة لتعلن تشكيل « المجلس القومي » « والادارة القومية » بفلسطين ، عملا بالقرارات التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الصهيونية ــ اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . فالمجلس القومي (« مجلس الشعب ») تألف من ٣٧ عضوا يمثلون « الحركة الصهيونية العالمية

في فلسطين ، واللجنة التنفيذية للفاد ليئومي » ، بالاضافة الى « مندوبي الهيئات العامة التي ليست ممثلة في المجلس الصهيوني العام او الفاد ليئومي » . وتمشيا مع قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) أعلن المجلس الصهيوني العام تشكيل « ادارة قومية » مؤلفة من ١٣ عضوا ، ومسؤولة أمام المجلس القومي . هذه الادارة ظهرت غداة اعلان قيام اسرائيل على صورة « الحكومة المؤقتة » ، بينما تحول المجلس القومي الى « مجلس الدولة المؤقت » .

وازاء قيام الادارة القومية (الحكومة المؤقتة) ، بادر المجلس الصهيوني العام الى تحديد الوظائف المنوطة باللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) بعد انتقال جزء من وظائفها وحقول نشاطها الى الدوائر الحكومية في الدولة اليهودية . فالقرار الصادر عن المجلس في دورة انعقاده الثالثة (من ٦ الى ٤٨/٤/١٢) يعين حقول النشاط التي سوف تبقى ضمن دائرة صلاحيات اللجنة التنفيذية الصهيونية على الشكل الآتي : ١ ــ الاستعمار الاستيطاني . ٢ ــ الهجرة ، لجهة تنظيمها في الشتات . ٣ ــ هجرة الاحداث والشبان . ٤ ــ التنظيم والاعلام والدعاية الصهيونية والنشاطات الثقافية . ٥ ــ التربية في الشتات . ٦ ــ أنشطة الطلائع (الرواد) والشباب . ٧ ــ تطوير القدس . ٨ ــ الصناديق القومية والاموال الموضوعة بتصرف اللجنة التنفيذية . ويعهد الى اللجنة التنفيذية الصهيونية باعداد خطة مفصلة لجهة دائرة صلاحيات ووظائف المنظمة الصهيونية (الوكالة اليهودية) بحيث تستند هذه الخطة الى القرار الصادر أعلاه ، لكي يصار الى تقديمها للمجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الرابعة .

ان هذا التوزيع الاولي للوظائف والمهمات بين المنظمة الصهيونية العالمية من جهة ، والادارة القومية (التي أصبحت الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية) ، من جهة ثانية ، بقي حبرا على ورق ولم يعمل به الا في وقت لاحق . فالمصادر الصهيونية تسهب في الحديث عن « مبدأ الفصل » الذي جرى اعتماده (Hafrada) في افراد صلاحيات المنظمة والدولة وعدم الجمع بين الطرفين . لكن ثمانية من أعضاء الحكومة المؤقتة (البالغ عددهم ١٣ عضوا) كانوا ينتمون الى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وظلوا يجمعون بين الحقيبة الوزارية والحقيبة الصهيونية طيلة شهور من تاريخ اعلان الحكومة المؤقتة . ولم يتحقق شيء من « الفصل » المزعوم في الصلاحيات الا عند مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ــ وبعد نشوب خلافات حادة داخل الحركة الصهيونية ، وبينها وبين الزعماء الذين انتقلوا الى مقاعد الحكم وأبوا التنازل عن مسؤولياتهم الصهيونية في اللجنة التنفيذية للمنظمة والوكالة .

٣ ــ الفصل والجمع بين السلطات :

تقول المصادر الصهيونية ان « ادارة الشعب » هي التي قامت بتوزيع الحقائب الوزارية في الدولة العتيدة على الاحزاب والكتل الصهيونية وفقا للنسب التالية : الماباي (أربعة مقاعد من أصل ١٣) ، الصهيونيون العموميون (٢) ، المابام (٢) ، المزراحي وجناحه العمالي (٢) ، أغودات اسرائيل (١) ، الهجرة الجديدة (١) والسفارديون (١) . فالدكتور حاييم وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رسميا حتى أواخر ١٩٤٦ (وبالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية) ، انتقل الى منصب رئاسة الدولة . بينما انتقل بن غوريون الى رئاسة الحكومة المؤقتة دون ان يتخلى في البداية عن منصبه في رئاسة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (والمنظمة الصهيونية) ، بالاضافة الى تسلمه حقيبة « الدفاع » مع الاحتفاظ بوظيفته في الدائرة السياسية للوكالة .

والجدول التالي يبين توزيع الحقائب (الحكومية والصهيونية) بالنسبة لاعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا في عضوية « مجلس الشعب » ابتداء من نيسان (ابريل) ثم أصبحوا أعضاء في « الحكومة المؤقتة » للدولة اليهودية :

	الانتماء الحزبي والصهيوني	الحقيبة الوزارية	المسؤولية الصهيونية	عضوية اللجنة التنفيذية
١ — دافيد بن غوريون	المباي	رئيس الحكومة ووزير الدفاع	رئاسة اللجنة التنفيذية. الدائرة السياسية	منذ ١٩٣٣
٢ — موشيه شرتوك	المباي	وزير الخارجية	رئيس الدائرة السياسية للوكالة	منذ ١٩٢٣
٣ — اليعازر كابلان	المباي	وزير المالية	امانة الصندوق	أمين صندوق الوكالة منذ ١٩٣٣
٤ — دافيد رميز	المباي	المواصلات	رئيس القاد ليئومي	أحد مؤسسي الهستدروت
٥ — يتسحاق غروتباوم	صهيوني عمومي	الداخلية	دائرة العمل في الوكالة	عضو اللجنة منذ ١٩٣٧
٦ — بيريتز برنشتاين	صهيوني عمومي	التجارة والصناعة والتموين	دائرة التجارة والصناعة	منذ ١٩٤٦
٧ — الحاخام يهوذا لايب فيشمان (ميمون)	مزراحي	وزير الشؤون الدينية	دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة	منذ ١٩٣٥
٨ — موشيه شابيرا	عمال المزراحي	وزير الهجرة	رئيس دائرة الهجرة	منذ ١٩٤٦
٩ — أهارون زيسلنغ	المابام	وزير الزراعة	اللجنة التنفيذية للهستدروت	أحد مؤسسي حزب « العمل الموحد »
١٠ — موردخاي بنتوف	المابام	العمل والاشغال العامة	زعيم هاشومر. الهستدروت	عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت
١١ — بنحاس روزنبلوت (روزين)	الهجرة الجديدة	وزير العدل	رئيس المنظمة الصهيونية الالمانية وزعيم المهاجرين الالمان	عضو سابق في اللجنة التنفيذية (١٩٢٦ — ١٩٣١)
١٢ — بيهور شالوم شطريت	السفارديون (المباي)	وزير الشرطة (والاقليات)		تـاض
١٣ — الحاخام ا.مائير ليفين*	اغودات	وزير بلا وزارة	رئيس اللجنة التنفيذية العالمية لمنظمة اغودات اسرائيل	

* تقول بعض المصادر الصهيونية (الجويش كرونيكل ، ٢١/٥/٤٨) انه عرضت على الحاخام ليفين وزارة البرق والبريد . والملاحظ من جدول الحقائب الوزارية انه لا توجد حقيبة لوزارة التربية والتعليم ، أو لوزارة الصحة .

هناك سبعة وزراء في الحكومة المؤقتة جمعوا حتى شهر أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٤٨ بين الحقيبة الوزارية والمسؤولية عن احدى الدوائر التابعة للوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية الصهيونية . والعضو الثامن بين أعضاء اللجنة الذين انتقلوا الى الحكم مع احتفاظهم بالمنصب الصهيوني هو غولدا مايرسون (مئير) ، التي تعينت سفيرة اسرائيل في الاتحاد السوفياتي (١٩٤٨ — ٤٩) . وفي التقارير الصهيونية الرسمية نقرأ إن الاعضاء الذين دخلوا في الحكومة المؤقتة قدموا استقالتهم من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية اثناء دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام في تل أبيب بين ٢٢ آب (اغسطس) و٣ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ ، باستثناء السيد اليعازر كابلان .

لكن الرواية التحريفية تتحدث عن موقف للصهيونيين الاميركيين داخل المجلس ، اذ طالب هؤلاء باقصاء الوزراء الاسرائيليين في الحكومة المؤقتة عن عضوية اللجنة التنفيذية . فهي تقول ، مثلا ، ان المفاجأة التي شهدتها دورة المجلس الاولى بعد قيام الدولة كانت في تصميم الصهيونيين العموميين (وأكثرهم من المندوبين الاميركيين) على ايجاد فصل تام بالنسبة للمسؤولين والوظائف بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . ونعرف من مذكرات ناحوم غولدمان انه وقف آنذاك ضد دعاة الفصل في الوظائف: « كنت واحدا من القلائل الذين عارضوا هذا الفصل في الوظائف ، لانني أدركت ان ما يبدو بمثابة الاجراء العادي في بلدان سوية قد يكون غير ملائم بالنسبة لنا ، ويشكل خطرا علينا » . ثم يتابع غولدمان مؤكدا : « لقد صوتت أكثرية المجلس الصهيوني العام الى جانب هذا الفصل في السلطات — فالاسرائيليون صوتوا معه بدافع الحماس للدولة ، وغير الاسرائيليين خوفا من اتهامهم بالولاء المزدوج » . هنا تدخل رواية التحريفيين من جديد لتربط بين أمرين: تحقيق الائتلاف الوطني داخل اللجنة التنفيذية التي شكلها المجلس العام ، والتوصل الى اتفاق بشأن انسحاب الوزراء الحكوميين من عضوية اللجنة . فالاوساط الصهيونية المحسوبة على الماباي — يقول التحريفيون — اخذت تراهن على العداء التقليدي بين « المابام » والتحريفيين بقصد الحيلولة دون ضم ممثل او اكثر عن الحركة التحريفية لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية . لكن ميل التحريفيين الى الوقوف بجانب الصهيونيين الاميركيين ضد تحالف الماباي — المابام جعل معارضي الفصل يتراجعون عن موقفهم . كما تقدم الصهيونيون الاميركيون باقتراح يرمي الى استبدال فرع الوكالة اليهودية القائم آنذاك في نيويورك بفرع اميركي يمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية . وسوف نعود الى تناول هذا الموضوع بعد قليل .

اما « الحل الوسط » الذي تم التوصل اليه — بعد تمديد اجتماعات المجلس — فقد تضمن العناصر التالية :

أ — انسحاب الاشخاص الذين دخلوا الحكومة المؤقتة من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، باستثناء وزير المالية — كابلان — الذي اشترط المعارضون لبقائه في اللجنة أن يبقى دون حقيبة صهيونية .

ب — انضمام التحريفيين الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في صيغتها الائتلافية الجديدة بعد توقيعهم على بيان (١٩٤٨/٩/١) يتعهدون فيه بما يلي :

« نعترف بكون « جيش الدفاع الاسرائيلي » هو القوات المسلحة الوحيدة لدولة اسرائيل، والتي ينبغي وضعها بتصرف الحكومة .

« نعرب عن معارضتنا الواضحة لوجود اية وحدات مسلحة ومنشقة تسعى لممارسة وظائفها في أرض اسرائيل والخارج . وسوف نحارب مثل هذا العمل .

« لن ندخل ، سواء مباشرة أو بطريق غير مباشرة ، طرفا في أي اتفاق مع اية جماعة

سياسية في هذه البلاد أو خارجها — متى كانت محكمة المؤتمر الصهيوني تعتبر نشاطات هذه الجماعة متعارضة مع المبادىء المذكورة أعلاه .

« نتعهد بالامتناع عن القيام بأي نشاط سياسي منفصل ويمكنه ان يتنافى مع الانضباط الصهيوني » .

ج — اعتماد التركيب العددي التالي في تشكيل اللجنة التنفيذية : الماباي ٧ مقاعد (مقعدان منهم للحركة الصهيونية العمالية في أميركا) ، الصهيونيون العموميون ٦ مقاعد (من جملتهم مقعد للهداسا) ، المزراحي وجناحه العمالي ٣ مقاعد ، المابام مقعدان ، التحريفيون مقعد واحد ، وبهذا يكون المجموع ١٩ مقعداً .

والملاحظ من هذا التوزيع الجديد ان الماباي تقدم على الصهيونيين العموميين في النسبة العددية ، مما أتاح له مجال السيطرة عن طريق التحالفات ، تارة مع المابام وطورا مع المزراحي — كما في الحكومة المؤقتة — بحيث لا يستطيع الصهيونيون العموميون ان يتغلبوا على كتلته حتى ولو كسبوا تأييد التحريفيين .

أما اللجنة التنفيذية « الجديدة » للمنظمة الصهيونية فقد توزع أعضاؤها على مركزين : في اسرائيل ونيويورك ، بالاضافة الى فرع لندن الذي قام على ادارته البروفسور سيليغ برودتسكي — كما في السابق — وبقي يشغل هذا المنصب الصهيوني حتى تعيينه رئيسا للجامعة العبرية في القدس (تموز ، ١٩٤٩) .

فالفرع الاسرائيلي احتفظ بالاعضاء التالين : ١ — الياهو دوبكين (الماباي) : بقي على رأس دائرتي « التنظيم والاعلام » و« الشباب والرواد » ، وقسم المبعوثين الى الخارج ، ٢ — اليعازر كابلان (الماباي) : وزير المالية ، وعضو في اللجنة بدون حقيبة صهيونية ، ٢ — بيرل لوكر (الماباي) : رئيس الدوائر في القدس (أي رئيس فرع اللجنة التنفيذية الصهيونية في اسرائيل) ورئيس دائرة العلاقات العامة (التي حلت محل الدائرة السياسية في الوكالة سابقا) ، ٤ — ليفي اشكول (الماباي) : دائرة الاستيطان الزراعي (وفيما بعد جمع اشكول بين امانة الصندوق في اللجنة التنفيذية وبين وزارة المالية في الحكومة الاسرائيلية) ، بينما شغل حينذاك (١٩٤٨ — ٤٩) منصب المدير العام في وزارة الدفاع ، ٥ — اسرائيل غولدشتاين (رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين) : دائرة امانة الصندوق ، حتى استقالته عام ١٩٤٩ من عضوية اللجنة التنفيذية ، وعودته الى نيويورك (آب ، ١٩٤٩) شغل المنصب بعده يتسحاق غرونباوم (١٩٤٩/٥/٥) ، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة ، ثم احتله ليفي اشكول ، ٦ — موشيه كولدوني (كول) — (الصهيونيون العموميون): دائرة هجرة الاحداث والشبان، ٧ — اسحاق فيرفل (روفائيل) : دائرة الهجرة ، ٨ — ي. زوربابل (الماباي) : رئيس دائرة اليهود في الشرق الاوسط ، ٩— مئير غروسمان (التحريفيون) : الدائرة الاقتصادية ، ١٠ — الحاخام ز. غولد (مزراحي) : دائرة انماء القدس ، ١١ — حاييم غرينبرغ (الصهيونية العمالية في اميركا) : دائرة التربية والثقافة في الشتات ، ١٢ — ي. براجنسكي (مزراحي) وزفي هيرمان (صهيوني عمومي) : دائرة استيعاب المهاجرين، ١٣ — ش. ز. شراغاي (مزراحي) : بدون حقيبة صهيونية .

أما الفرع الاميركي فقد تألف من هؤلاء الاعضاء : ١٤ — ناحوم غولدمان : أصبح رئيسا لفرع اللجنة التنفيذية في نيويورك بعد استقالة الحاخام ابا هيلل سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٥ — عمانوئيل نويمان : رئيس الدائرة الاقتصادية في الفرع الاميركي ، استقال مع الحاخام سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٦ — السيدة روزهالبرين: صهيونية عمومية (اميركا)، ١٧ — حاييم غرينبرغ (انظر أعلاه) ، ١٨ — زفي لوريا (صهيوني عمالي) — المابام (١٩٠٦ — ١٩٦٨) ، ١٩ — الحاخام ابا هيلل سيلفر (تسلم رئاسة « دائرة العلاقات

العامة » التي حلت محل الدائرة السياسية هناك) وترأس فرع اللجنة التنفيذية في نيويورك حتى استقالته في مطلع ١٩٤٩ ، ٢٠ — باروخ زوكرمان (لا يمثل حزباً صهيونيا ، وهو ما يسمى في قاموس الصهيونية بـ Virilist) ، ٢١ — الحاخام ليون غيلمن (مزراحي) انتقل الى اسرائيل « بعد أيلول ١٩٤٨ » ، واشترك في فرع نيويورك بصفة مستشار ، ٢٢ — جوزيف شختمان (تحريني) نائب عضو في اللجنة .

ومن الملاحظ ان التقارير الصهيونية الرسمية تتحاشى الحديث عن دوائر الفرع الاميركي، تاركة الامر للتقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية هناك . كما يؤكد تقرير اللجنة التنفيذية (والوكالة اليهودية) الى المؤتمر الثالث والعشرين ان الدوائر الخمس التي انتقلت الى حكومة اسرائيل هي التالية : الدائرة السياسية ، دائرة التجارة والصناعة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة ، دائرة العمل ، دائرة توطين رجالات الخدمة السابقين .

وفي مقدمة التقرير ترد أسماء الدائرة الاحصائية والقسم الديني في عداد الدوائر التي توقفت عن أداء وظائفها . مثلما يتبين لنا من القائمة المدرجة أعلاه أن التنظيم الصهيوني في ظل الدولة اليهودية بادر الى استحداث دوائر جديدة في اللجنة التنفيذية، وهي الدوائر التي ، أنشئت بدافع المهمات الملحة التي تتعلق بتجميع المنفيين : من افتتاح مكتب لرئيس اللجنة التنفيذية تتبع له « دائرة للعلاقات العامة » ، الى دائرة استيعاب المهاجرين ، ودائرة تطوير القدس ، ودائرة التربية والثقافة في الشتات ، والى دائرة الشؤون اليهودية في الشرق الاوسط ودائرة استرجاع الممتلكات اليهودية في المانيا . هذا بالاضافة الى التغييرات والتوسيعات التي جرى احداثها في اطار الدائرتين : الاقتصادية والاعلامية .

٤ — توزيع المهمات من جديد :

غداة اعلان قيام الدولة اليهودية سارعت بعض الاوساط الصهيونية في الخارج الى استخلاص النتائج المترتبة عن وجود اسرائيل بالنسبة للحركة الصهيونية ويهود العالم وعلاقة الوكالة اليهودية بالدوائر والاجهزة الرسمية التابعة للدولة . فالدكتور ناحوم غولدمان كتب مقالة منشورة بتاريخ ٢١ أيار (مايو) ١٩٤٨ يقول فيها ما يلي : « ان الدولة اليهودية سوف يقوم على توجيهها السياسي كل من يهود فلسطين والاقلية العربية داخل الدولة ... ومن الطبيعي ان يولي اليهود من خارج فلسطين اهتمامهم العميق ، روحيا ومعنويا ، بتطور هذه الدولة . بيد انه لن يقوم رابط على الصعيد السياسي بين يهود الشتات والدولة اليهودية . اما الوكالة اليهودية على الشكل الذي توجد به اليوم ، فانها سوف تختفي من الصورة . اذ مع نهاية الانتداب يكون الاساس القانوني لوجود الوكالة اليهودية قد انتهى أيضا » .

بينما تحدثت المجلة الصهيونية التي نشرت مقالة غولدمان (وهي مجلة ناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني) في مطلع مقالها عن «الذين مهدوا السبيل أمام قيام الدولة» من اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ، فأشارت الى كون الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل هي « الزعامة الجديدة لليشوف » . ثم استدركت قائلة : « لكن الحركة الصهيونية العالمية مستمرة قيد الوجود ، وأمامها وظائف كثيرة تنتظر التحقيق . ومع ان الوكالة اليهودية قد فقدت وضعها الدولي بموجب صك الانتداب على فلسطين ، فهي سوف تبقى الهيئة التمثيلية للشعب اليهودي في جميع المسائل المتصلة بالوطن اليهودي» . وانتهت المجلة الى القول بأن التركيب الجديد للحركة الصهيونية سوف تنظر بأمره الدورة التالية لانعقاد المجلس الصهيوني العام ، كما يتوقع ادراج الموضوع على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين « في وقت لاحق من هذه السنة » (١٩٤٨) — باعتبار ان انعقاد المؤتمر يحين موعده كل عامين ، بموجب دستور المنظمة .

وهناك رأي صهيوني ثالث أعربت عنه المذكرة التي اعدهـا الفرع البريطاني للوكالة اليهودية الموسعة ، وأصدرها في كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٠ . تقول المذكرة ان الوكالة الموسعة « فقدت الكثير من غرضها الاصلي » . ثم تؤكد ان المهمات الرئيسية للوكالة اليهودية خارج اسرائيل تتضمن — الى جانب حملات جمع الاموال وجبايـة التبرعات — تدريب الرواد وتشجيع الهجرة والعلاقات العامـة والنشاط الاعلامي ، بالاضافة الى نشر اللغة والثقافة العبرية بين اليهود المقيمين خارج اسرائيل ، وتشجيع التوظيفات والاستثمارات المالية في اسرائيل ، متى أمكن ذلك . لكن هذه المهمات تحتاج مبادرتها وتطويرها الى حركة قوية ذات ايديولوجية حيوية . وهنا تستدرك المذكرة بقولها : « ان هذه الميزات الاخيرة لم ترمز الى الوكالة الموسعة اطلاقا ، بل هي متأصلة في المنظمة الصهيونية العالمية » . ما العمل ، اذن ؟ تقترح المذكرة ان يصار الى حـل الوكالة اليهودية الموسعة باتفاق حبي . وانتقال وظائفها الى المنظمـة . والاساس القانوني ؟ ان أصحاب المذكرة يلفتون الانتباه الى « حقيقة » مطوية لكي ينبشونهـا مؤكدين انها تقوم مقام الاساس القانوني المنشود . وهذه « الحقيقة » تبدو لهم على النحو الآتي : بعد انشاء الوكالة اليهودية الموسعة (١٩٢٩) ، طلب الى الحكومـة البريطانية — بموجب دستور الوكالة — اعطاء التأكيدات بأنه فيما لو جرى حل الوكالة ، سوف تتمتع المنظمة الصهيونية بالوضع القانوني ذاته والذي تمتعت به قبل توسيع الوكالة بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب . والحكومة البريطانية في ذلك الحين قدمت التعهدات والتأكيدات المرجوة . لكن المذكرة لا توضح طبيعة التعهدات المعطاة ، بل تنتقل مباشرة الى استخلاص النتيجة التالية : بما ان الانتداب قد انتهى الآن (١٩٥٠)، وعلما بأن دستور الوكالة اليهودية ينص على البند المذكور أعلاه ، فانه ليس من غير المعقول تصفية الوكالة اليهودية ونقل وظائفها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

ولدى مراجعة « دستور الوكالة اليهودية الموسعة » يتبين من مواد الاتفاقية المعقودة بين وايزمن — سوكولوف (عن المنظمة الصهيونية) ، من جهة ، وبين مجموعة من الاشخاص الذين وضعوا تواقيعهم عن « اللاصهيونيين » في عدد من البلدان ، من الجهة الاخرى — ان المادة ١٥ (« وضع الاتفاق موضع التنفيذ ») تتحدث بالفعل عن « البند » الذي أشارت اليه المذكرة . لكن هذا التلاعب والدوران حول النصوص لا يغير شيئا من حقيقة انتهاء الصفة القانونية للوكالة مع نهاية الانتداب على فلسطين .

ففي أواخر شهر آب (اغسطس) من العام ١٩٤٨ تنادى المجلس الصهيوني العام لعقد دورته الرابعة (الاولى بعد اعلان قيام اسرائيل) ، لكي « ينظر في المشاكل المتعلقـة بالصلات بين الدولة اليهودية والحركة الصهيونية ، ويعمل على رسم الحدود الفاصلة لسلطات كل من الطرفين في جميع الحقول الواقعة خارج فلك الدولة السيدة » . ويمضي التقرير الرسمي ، المرفوع من اللجنة التنفيذية ، الى القول ان « احدى النتائج الرئيسية لاجتماع المجلس كانت في تكليف اللجنة التنفيذية الصهيونية بمهمة تنظيم الهجرة » الى اسرائيل . فالقرار المفصل الذي اتخذه المجلس آنذاك جاء على تعيـين الدوائر التي تحتفظ بها اللجنة التنفيذية الصهيونية مثلما قام بتحديد الوظائف والمهمات المنوطة بكل دائرة منها . وسوف ننقله هنا كما ورد بنصه الحرفي في التقارير الرسمية الصهيونية (١٩٥١) :

« تحتفظ اللجنة التنفيذية الصهيونية بالدوائر التالية :

١ — **دائرة الهجرة** : ويشمل نطاق عملها ما يلي : (أ) تدريب المهاجرين (باستثناء الرواد والطلائعيين منهم — انظر : دائرة الشباب والطلائع — الرواد) . (ب) ادارة « مكاتب فلسطين » في الخارج . (ج) التقدم من الحكومة ، بين وقت وآخر ، بمقترحات حول « كوتا » الهجرة ، على أن تحتفـظ الحكومة بالقرار النهائـي لتثبيت الكوتا .

(د) توزيع حصص الهجرة على البلدان المختلفة ، بالتشاور مع الحكومة . (هـ) اختيار المهاجرين من بين أفراد كل كوتا ، لجهة انتمائهم الى فئات الرواد ــ الطلائع والهجرة العمالية (والفئات التي لا يشملها هذا البند : الرأسماليون ، وأقارب المقيمين في البلد ، وطلاب المؤسسات التربوية في البلد، والخبراء الخ ــ اذ يتلقى هؤلاء اذونات الدخول من حكومة اسرائيل) . (و) تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين الى شواطىء اسرائيل .

٢ ــ **دائرة استيعاب المهاجرين** : العناية بالمهاجرين توضع بيد المنظمة الصهيونية ، وهي التي تقوم على تزويد الاموال اللازمة . سوف يتم انشاء هذه الدائرة الجديدة لكي تعمل بالتعاون مع الحكومة .

٣ ــ **دائرة الاستيطان الزراعي (الاستعمار)** : تتعاطى نشاطات الاستيطان الجديد ، على نحو مماثل في نطاقه للنشاطات المدرجة تحت دائرة الاستعمار سابقا في الوكالة . (Hityashvut).

٤ ــ **دائرة هجرة الاحداث والشبان** : تشمل جميع النشاطات في اسرائيل والخارج . (Youth Aliyah).

٥ ــ **الدائرة الاقتصادية** : وتتضمن مهماتها ما يلي : أ ــ تعبئة الرساميل الخاصة بقصد التوظيف في اسرائيل . ب ــ تزويد الخارج بمعلومات عن الشؤون الاقتصادية في البلد . ج ــ بث الدعاية في الخارج لترويج المنتوجات الاسرائيلية . د ــ تشجيع السياحة وتنظيمها .

٦ ــ **دائرة انماء القدس وتطويرها** .

(جاء في قرارات المجلس الصهيوني العام تحت موضوع « القدس » ما يلي : الى ان يتقرر الوضع السياسي للقدس ، تنشأ دائرة خاصة لتطوير القدس تحت اشراف عضو واحد أو اثنين من اعضاء اللجنة التنفيذية . وتقام في القدس ادارة محلية تمثل جميع الهيئات العامة المسؤولة عن مصير المدينة) .

٧ ــ **دائرة أمانة الصندوق** .

٨ ــ **دائرة العلاقات العامة** (ملحقة بمكتب رئيس الدوائر ، ورئاسة اللجنة التنفيذية) . والسبب الرئيسي وراء انشاء هذه الدائرة ، بعد اغلاق الدائرة السياسية في الوكالة وانتقال المسؤولين عنها الى وزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة ، هو كما تقول التقارير الصادرة عن اللجنة التنفيذية :

« وحتى بعد انشاء دولة اسرائيل وقيام حكومتها ، فما زال من الضروري الحفاظ على مقدار معين من العلاقات الخارجية ، لشن حملة اعلامية صهيونية على نطاق واسع ولخلق جو من التفهم والعطف في أوساط الرأي العام غير اليهودي على منجزات اسرائيل ومشاكلها ، ولتقوية مركزها في الميدان الدولي » .

٩ ــ **دائرة التنظيم والاعلام** : تشرف على شؤون الاعلام الصهيوني وقضايا الدعاية الصهيونية .

١٠ ــ **دائرة الشباب والرواد (الطلائع)** : تقوم على تدريب الرواد .

١١ ــ **دائرة النشاطات التربوية والثقافية في الشتات*** .

١٢ ــ **دائرة فرعية للشؤون اليهودية في الشرق الاوسط** (بالاشتراك مع دائرتي الهجرة والتنظيم) . »

وقد جاء في القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام آنذاك (أيلول ، ١٩٤٨) ان هذا المجلس « يلفت انتباه اللجنة التنفيذية للوكالة الى الحاجة الملحة في انشاء

« دائرة فرعية خاصة لانقاذ اليهود في البلدان العربيــة والعمل على تهجيرهم الــى اسرائيل » .

ان هذا التشكيل الجديد للدوائر الصهيونية ، واعادة تعيين المهمات الملقاة على عاتقها في ظل الدولة اليهودية ، يؤكد على مجموعة بارزة من الحقائق التي يصعب تجاهلها . فالمنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية (وهما اسمان لمسمى واحــد) قامت بدور « حكومة الظل » خلال الانتداب البريطاني على فلسطين . والوصف الذي جاء عنها في تقرير لجنة بيل ــ من انها « حكومة قائمة جنبا الى جنب مــع الحكومة المنتدبة » ــ ينطبق عليها تمام الانطباق . أما عندما انتقلت « حكومة الظل » الى مقاعد الحكم الفعلي لدى اعلان قيام الدولة وتأليف الحكومة المؤقتة ، فان المنظمة الصهيونية لم تشأ ترك الساحة وتصفية أعمالها . بل فرضت على نفسها الاستمرار في ظل ما قيل انه مبدأ الفصل التام بين صلاحياتها وسلطات الحكومة . ومن الواضح ان معظم المهمات التي أنيطت باللجنة التنفيذية للمنظمة ــ الوكالة هي من الامور التي تقع ضمن سيادة الدولة وتخضع لاشرافها .

معنى ذلك ان المنظمة الصهيونية تابعت ممارسة وظائفها كهيئة عامة الى جانب دولة اسرائيل . وهذا على الرغم من « ان نهاية الانتداب البريطاني وقيام دولة اسرائيل في ١٤ أيار (مايو) ، ١٩٤٨ ، قد أنهت السلطة القانونية للوضــع الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية كهيئة عامة . فالامم المتحدة لم تتخذ اي اجراء لتزويد المنظمة بالاساس الحقوقي الذي يؤمن استمرارها . وبما ان خلق دولة اسرائيل كان هدفا سياسيا من اهدافها الرئيسية ، فالمرء قد يستنتج بان المنظمــة انتهت الى الحل الآن . لكن الحقائق والوقائع تشير الى استمرارها في ممارسة الوظائف » .

والتقارير الصهيونية الرسمية التي جيء على ذكرها أعلاه تؤكد صحة هذا التحليل . فالدائرة السياسية لدى الوكالة اليهودية تحولت الى وزارة الخارجية ، لكي تأخذ محلها « دائرة العلاقات العامة » . ودائرة الشؤون الاجتماعيــة أصبحت وزارة الشؤون الاجتماعية ، بينما تحولت منظمة الهاغاناه الى « الجيش الاسرائيلي ». اما دوائر الهجرة والاسكان واستيعاب المهاجرين والاستيطان الزراعي فبقيت « مشتركة » بين المنظمة والدولة ذات السيادة . حتى ان مهمة استقطاب المهاجرين واستجلابهم الى فلسطين بعد قيام الدولة استمرت في كونها من ابرز الوظائف المنوطة بالمنظمة الصهيونية العالمية. والدور المالي للوكالة اليهودية ، من خلال مواصلة الصناديق القومية لحملات الجباية وجمع التبرعات ، يبرز على حقيقته في التقارير الرسمية عن الفترة الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥١ ، حيث تقرر اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ان الصناديق المالية الصهيونية قامت « بتمويل المجهود الحربي ضد الدول العربية في اثناء الشهور الاولى من القتال وخلال الفترة السابقة لنشوب القتال » .

لقد تساءلت صحيفة « الجويش ستاندرد » ، الناطقــة بلسان التحريفيين ، في احدى مقالاتها المنشورة بتاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، تحت عنوان « مستقبل الحركة الصهيونية » ، عما تراه سيحل بالمنظمة الصهيونية العالمية لدى ظهور الدولة اليهودية الى حيز الوجود . واستطرد كاتب المقالة مؤكدا : « ومما تجدر ملاحظته ان السؤال اياه لم يطرح بالنسبة للوكالة اليهودية ، لان الافتراض السائد في كل مكان يشير الى تعذر وجود الوكالة جنبا الى جنب مع حكومة الدولة ، بل سوف يتم حلها وتختفي بصورة آلية » .

ان مثل هذه التساؤلات والتوقعات ــ على ما فيها من تجاهل مقصود لوحدة الحال بين المنظمة والوكالة ــ تبددت كليا غداة قيام الدولة وتوزيع المهمات بين الحكومة والادارة

الصهيونية . وفي النقطة الاولى من البيان الذي أصدره المجلس الصهيوني العام (٣/٩/٤٨) في ١٤ نقطة ، وبمثابة القرارات السياسية ، نقرأ ما يلي : « انشاء الدولة هو بداية حقبة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي ... ان الحركة الصهيونية ، وهي التي تجمع في ذاتها بين الشعب اليهودي المقيم في الدولة وبين أولئك الذين أخلصوا لفكرة الاحياء القومي وهم يتوزعون في سائر انحاء العالم ، واجهت المهمات الضخمة في تنظيم الهجرة الحرة وتجميع المنفيين واستعمار المناطق الموات من أرض اسرائيل واخصاب صحاريها » . ثم جاء البند الثامن ليؤكد « الحق الاساسي لجميع اليهـود في مغادرة بلدان شتاتهـم والاستيطان في بلدهم القومي » .

وفي منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٨ ، أعلنت الوكالة اليهوديـة انها تنوي انشاء مائة مستوطنة جديدة في « مجرى السنة اليهودية الحالية » كجزء من مشروعها للاستعمار الاستيطاني ، مع تخصيص ميزانية بقيمة مليوني جنيه استرليني لهذا الغرض فورا . ثم عمدت اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) الى اثبات التزامها بما جاء في « أعلان قيام اسرائيل » عن تجميع يهود العالم وفتح ابواب البلاد أمامهم — والى استباق قانون العودة ١٩٥٠ — فاتخذت خلال اجتماعها الذي عقدته عند اواخر ١٩٤٩ القرار التالي بشأن الهجرة : « تمشيا مع قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الاخيرة بالقدس ، تؤكد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية من جديد على مبـدأ الهجرة الحرة ، هذا المبدأ الذي يؤلف شرطا مسبقا لتجميع المنفيين . وتعلن ان المبدأ المذكور بقي في موضع الاساس من سياسة اللجنة التنفيذية في حقل الهجرة والاستيعاب » . « ان ابواب دولة اسرائيل مفتوحة امام كل يهودي يرغب في الهجرة او يقدر عليهـا او ترغمه الظروف على الهجرة الى وطنه » .

---

* بادرت اللجنة التنفيذية عام ١٩٤٨ الى انشاء هيئة خاصة أو لجنة فرعية وأوكلت اليها مهمة القيام بتقصي مشاكل الاعلام الصهيوني والتربية الصهيونية . وتحددت مهمات هذه اللجنة بما يلي : أ — توضيح معنى التربية الصهيونية . ب — اقرار الوسائل اللازمة للقيام بالدعاية الصهيونية من جانب كافة المؤسسات التي تنهمك بمثل هذا العمل . ج — استقصاء تدريس الصهيونية في المعاهد اليهودية القائمـة في سائر انحـاء الشتات . د — دراسة الوسائل الاعلامية المتبعة حاليا . هـ — وضع الخطوط الرئيسية للتركيب الصهيوني الجديد في حقل التربية والتعليم .

الوقوف على الحد الفاصل

خالد ابو خالد

أسميكِ
...   ...
ماذا أسميكِ ؟
مخفورة في الذهابِ
ومغدورة في الإيابِ
ندىً
أو دماً
تارة يتخزن تحت الترابِ
وأخرى سحاباً يغطي سما الضفتين
وما بين نارين تنتفضين
ويسّاقطون فرادى وجمعاً .. رفاقي
تضيعين مني ؟
تضيعين .. حتى أساميكِ
ما بين محترف الزيفِ والزيفِ

في زمن بدويٍ
يناقش موضوعة الاحتلالِ
ويلعب دور المخدّر في المذبحة

أغمس كفي بأشلاء أهلي
وفي جسد الوطن العربي المسجّى
على طول تلك المسافة ما بيننا
حيث كنتِ ... أكون

وحيث تصيرين ... أنشل ضلعي
وأكتب حرفاً وحرفاً
أعاشر معتقلات البداوةِ والغزوِ

في حالتينِ
تداخلتُ
صوّرت بالعين عرضاً طويلاً لكل العصيِّ
وكل الكرابيجِ
سجلتُ في جسدي متحفاً
فيه كل صنوف الذخيرةِ
ماذا اسميك ؟
إني أسميك باسمي
وانت الملايينُ
والحبُّ
والارضُ
والليلُ
ما بين قطبين
وجهي .. وعكا

يقولونَ ...
ماذا يقولون ... ؟ قبل الاناشيدِ
خلف الاناشيدِ
او بَعدها
في المنابرِ
او تحتها
في المواخيرِ
لا تنصتي
إنني اذ أحاصرُ ما بين شطينِ
أقتل بالصمتِ والصخبِ

أقتل داعية للتخطي من الارضِ للارضِ
اقتل تحت شعار مكافحة الخارجين على جدول الضربِ
والسحق
أقتل باسم القضاء على الأوبئة

وأقتل في وطني
آه .. في وطني
ألف عمان قائمةٌ
ظهرها في جبين فلسطينَ
أما السكاكين
والجندُ
والمدفعيةُ
والطائراتُ

فلا تخجلي
إنها أشرعت في الكمين الاخيرِ
وتنتظر الأمرَ من سترة لمّعت كل ازرارها
بالمجاعة ... والدمّ
إني ارى مقتلي قاب قوسٍ وأدنى
فقومي
أناديك بالصوتِ
والموتِ
من كل ما احتل مني
ومن كل ما ظلّ منا
ومن صدر أمي
ومن مأزق المرحلة
اراكِ
وإني ارى خلف وجهي .. وجوهاً
تداري به ذلها

انهم يتقنون التنكرَ
فالكرنفال الذي كرسوه طقوساً
يصير تقاليد في وطن ضيّعوهُ
وضاعت تقاليدهُ
لست منهم
فهم بعدُ كانوا
وظلوا
طوال زمان الهزائم والأمنياتِ
وعبر تطوّر حرب الاذاعاتِ
ظلوا
الى القدس لافتةً
ولهاثاً الى الغلة الكاذبة

وان قلت يا وردة الدم خلفتهم يهدرون مصيري
وغادرتهمْ
صرت منهمْ
وان قلت واكبتهم
صرت منهمْ
وما بين هذين تنصب مشنقتي والمذابحُ
كل المطارات مسدودةٌ والمعابرُ

ما بين هذينِ
متهم بالتخلي عن النومِ والنائمينَ
ومتهمٌ بالهزيمة
متهم بالجريمة
لكنني بين هذين أصمدُ
أشحذ صوتي وأسلحتي وعذابي
وأجترح المعجزة

أناديكِ ..
ماذا أناديكِ ؟
« قطر الندى »
كلما أمطرت مقلتاكِ .. وقلبي .. دمي
أرعنت في جبال الخليلِ الخلايا
وشرق الشريعةِ
فوق تخوم بلادي
أرى الارض خارطةً عمرتها الحرائق بالحرب
بالثورة العربيةِ
من ساحة المغرب العربيِّ
الى المشرق العربيِّ
على جبهة القصرِ
ألقاكِ بعدُ محاربةً في الطريق الى الناصرة
وإني ارى فقراء القرى والحواري
غداً يخرجون اليَّ
وبيرقهم بيرقي
وشعاري من النهر للبحرِ
صار شعاراً من البحرِ
للبحرِ
للبحرِ

حيفا كبيروتَ
واللد .. كالقاهرة ..
سألتك يا جوهر الحزنِ والنارِ
ماذا يفرق بين بنيكِ
وبين الأقاليمِ
وحّدنا توأمان .. البطولةُ والصبرُ
فرّقنا توأمان .. العصاباتُ
والسادةُ الجانحون

الى ذبح مدريد
عبر مذابح كل البلاد التي يحكمونَ
البلاد التي يذبحون البنات الصغيراتِ فيها
وتحت شعارٍ
يقول : نجنبها المذبحة

سألتك بالدمِّ
هل شاركوا الدم مجراهُ
أم شاركوا الامراء التواقيعَ
والدخلاء المشاريع والكأس
والوقفات المذلةِ
في مجلس الأمنِ
قرب العظام التي يعرضون على المائدة

أحاورك الليلة اتفقوا
ان يخيطوا لهم علماً
من بقايا ثيابكِ
أن يغسلوها
لتخرج بيضاء من غير أبنائك الشهداءِ
ومن غير بصمات كفك فيها
وعمرك فيها
ورائحة الدمِّ والعشبِ والجمرِ والطرق المتربات
لتخرج بيضاء من غير سوءٍ — كما يزعمونَ —
تؤهلهم ان يسوقوا صغار بلادي الى المقبرة
وها .. انني الآن أرفع كفي
أقرأوا فيه مجزرةً ونذيراً
أحذّر من كل جيش يموت من البردِ
تحت الحريقِ

وتحت الشعاراتِ
والامتيازاتِ
والجوع للعبة الخاسرة

وأنذركم ان نازلة تتخفى وراء الحجارةِ
والطاولاتِ
وفي لغة الخطباءِ
وفي لغة السفهاءِ
وفي لغة الحكماءِ
وفي الصحف الرائجة

هنا أنتضي الآن صوتاً ذبيحاً
يحذر من كل بوابة للخروج سوى الحرب بالشعبِ
إني أسميكِ حربي
وإني أناديكِ حربي
وما بين موتكِ
والأرضِ
ما بين نصركِ
والأرضِ
أن تسقطي الأدعياءَ
التوابيتَ
أن تربطي حول زندي شرايين قلبكِ
أن تمنحيني عظامي جسوراً
على الماءِ
أن تعبري فوقنا مرتينِ
الى الغربِ
والشرقِ
بالشعبِ
بالشعبِ
والأسلحة

ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني

عصام الصالح

لم تكن الحركة الوطنية في الاردن ، منذ بداياتها الاولى ، بمعزل عن التيارات السياسية والاحداث التي اجتاحت تاريخ العرب المعاصر ، بل على العكس من ذلك تماما كانت دائما في الصميم منها ، تنفعل بها وتؤثر فيها على سواء . واذا استعرضنا تاريخ هذه الحركة لوجدنا ان ارتباطها بالقضايا العربية الكبرى كان دائما ارتباط مصير اذ كانت هذه القضايا محورا اساسيا بل تكاد تكون محورا منفردا شغل هذه الحركة طوال تاريخها واستقطب جهد العاملين فيها منظمات وافرادا . وتاريخيا ، تمثلت البدايات الاولى للحركة الوطنية في شرقي الاردن بحزب الاستقلال الذي انشأته جمعية العربية الفتاة في سوريا في العام ١٩٢٠ في اثناء الحكم الفيصلي . وقد اتخذ اعضاء هذا الحزب بعد معركة ميسلون وانهيار الحكم الفيصلي ، اتخذوا من شرقي الاردن قاعدة لعملياتهم في سوريا*، وبذلك ارسى هذا الحزب منذ اللحظة الاولى لتأسيس الكيان الاردني تقليداً في التوجه نحو القضايا العربية في شكل اصبح هذا التوجه سمة الحركة الوطنية في الاردن خاصة عندما اصبحت القضية الفلسطينية في المركز من القضايا العربية . وقد وعت القوى الوطنية في الاردن مركزية القضية الفلسطينية ، فوجهت لها جهدا خاصا ، وهو ان كان عفويا وغير منظم الا انه دليل واضح على اتجاه اصبح تقليداً في الحركة الوطنية في الاردن**. وقد كرس هذا التقليد وحافظ عليه ودفع به في اتجاه متصاعد قبل العام ١٩٤٨ **حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني** الذي تأسس في العام ١٩٢٩ والذي

* نظر الاستقلاليون الى اتفاق الامير عبدالله مع تشرشل في العام ١٩٢١ على انه معاكس لاهدافهم في استعادة سوريا من الفرنسيين وقد خيب هذا الاتفاق آمالهم . وفي محاولة لاكتساب دعمهم قدم لهم عبدالله مناصب عليا في ادارته ، وكان رشيد طليع اول رئيس لمجلس المشاورين من بين صفوف حزب الاستقلال . (انظر : Naser Aruri, *Jordan: A study in Political Development*, p. 25) وقد دخل الحزب في صراعات مع الامير عبدالله «وكان قصد رجال هذا الحزب اضعاف شوكة الامير وارغامه على الاستسلام لهم ليكون طوع ارادتهم او انهم يهدفون الى خلعه » . (انظر : عودة القسوس ، **مذكرات عودة القسوس** — نسخة محفوظة في مركز الابحاث) . وبعد أن تصاعدت اعمال الاستقلاليين ضد القوات الفرنسية ضغطت بريطانيه على الامير عبدالله لاخراج أعضاء الحزب من الاردن وتم له ذلك في العام ١٩٢٤ . (انظر : سليمان موسى، **تأسيس الامارة الاردنية** ، ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

** في العام ١٩٢٠ قام سكان منطقة عجلون بعمل ايجابي في مقاومة البريطانيين في فلسطين فقد جمعوا جموعا غفيرة وعقد اجتماع كبير تقرر فيه القيام بهجوم على الانجليز واليهود . وقد أغارت جموع الاهلين في نيسان ١٩٢٠ على سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية . وانقطع نتيجة هذا الهجوم سير القطارات بين حيفا ودمشق وتعطلت المواصلات الهاتفية ، فسارعت السلطات البريطانية وأرسلت طائراتها لقصف تحشدات المهاجمين بالقنابل ، فاضطر المهاجمون الى التراجع والعودة الى قراهم بعد أن قتل عشرة من رجالهم بينهم الشيخ كايد المفلح ، زعيم ناحية الكفارات . (انظر : منيب الماضي وسليمان الموسى ، **تاريخ الاردن في القرن العشرين** ، ص ٩١ ، ٩٢) .

قاد المعارضة في شرق الاردن مدة طويلة . وقد تصدى هذا الحزب للامير عبد الله وقاوم محاولاته بيع أراضي شرقي الاردن للصهيونية في العــام ١٩٣٤ ، كما قــاد الانتفاضة الوطنية المسلحة في شرق الاردن منــذ اواخر العــام ١٩٣٧ حتى العام ١٩٣٩ والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالثورة الفلسطينية الكبرى* . وقد تأتــى هذا الافــق العربي للحركة الوطنية في الاردن نتيجة عوامل عدة : فبالاضافة للعوامل الجغرافية التي جعلت من شرقي الاردن منطقة محاذية لمناطق الاحداث الرئيسية في العالم العربي ـــ خــاصة فلسطين ـــ وبالاضافة الى ارتباط مصير شرقي الاردن بمصير الوطن العربي ، فقد كان للعوامل التي ارتبطت بتأسيس الامارة نفسها أثر في هذا التوجه العربي الملح . فقد كان خلق الانجليز لامارة شرق الاردن في العام ١٩٢١ كدولة منفصلة خلقا من العدم تماما ولم يكن الاردن من قبل قد اتحــدت اجزاؤه او دانت بالخضوع لعاصمة واحــدة في داخل البلاد**، وبذلك فان أي شعور بالانتماء الاقليمي كان غير وارد في ظل تطلعات القوى الوطنية نحو تحرير الوطن العربي وتوحيده ، كما ان هذه القوى كانت تدرك ان الكيان الاردني كيان مستحدث ومصطنع لم تترسخ جذوره بعد . لذلك فان الاشواق الوطنية لم تكن لتتوقف عند الحدود التي اصطنعت بل كانت تتعداها الى رحابة الوطن العربي الكبير . لذلك فلم يكن بمستغرب ان يواجه الامير عبد الله وادارته اول ما يواجهــان تظاهرات صاخبة قامت في عمان في شهر اب ١٩٢١ بسبب اعتقال السلطات البريطانية المجاهد السوري ابراهيم هنانو في القدس***. كما ان ادارة الامير واجهت في الوقت نفسه هياجا شعبيا في عمان عندما حاول الضابط البريطاني بيك (الذي كان يتولى قيادة القوة السيارة في شرق الاردن) القاء القبض عــلى احمد مريود المسؤول عن حــادث الهجوم على الجنرال غورو في ١٩٢١/٦/٢٣ ومحاولة اغتياله ، ممــا اضطر بيك ان يسترجع قواته العسكرية التــي خرجت من عمان لتلك الغاية****. كذلك لــم يكن بمستغرب ان تلجأ المعارضة يوما الى المنفى في دمشق وتقود معارضتها من هنــاك ، كما حدث مع **جماعة الشباب الاحرار** التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بزعامــة الدكتور صبحي ابو غنيمة والتي اضطرت الى هذا اللجوء بعد اشتداد حملة الامير عليها.

وبعد العام ١٩٤٨ ترسخ هذا الخط ذو الافق العربي : أصبحت الحــركة الوطنيــة في الاردن امتدادا لحركة التحرر العربية وجزءا منهــا . وقد لعبت الاحزاب والمنظمــات السياسية التي نشأت خارج الساحة الاردنية دورا كبيرا في هذا المجال اذ انشأت فروعا لها في الاردن ارتبطت تنظيميا بالمركز الذي كان دائما خارج الاردن . كما كــان لنضوج الوعي القومي الذي أسهمت نكبة العام ١٩٤٨ في بلورته وتصعيده دور كبير في استشراف الافاق القومية من جانب الحركة الوطنية في الاردن . وفي الوقت نفسه لا نقلل من الدور الذي قام به الفلسطينيون في الاردن في انشداد الحركة الوطنية الى آفاقهــا القومية .

ومن الملاحظ ان جميع الحركات والاحزاب السياسية الوطنية التي قامت في الاردن بعد العام ١٩٤٨ كانت جميعا ـــ باستثناء الحــزب الوطني الاشتراكي ـــ امتدادا لاحزاب وحركات عربية ترتبط معهذه الاحزاب والحركات بروابط تنظيمية معينة تنفي عنها ان تكون احزابا محلية .

---

* راجع تفاصيل هذه الانتفاضة في كامل محمود خلة ، **التطور السياسي للمملكة الاردنية ١٩٢١ ـــ ١٩٤٨** ، في الصفحات ٢٩٣ ـــ ٢٩٨ (وهي رسالة ماجستير في جامعة القاهرة . نسخة من الرسالة محفوظة في مركز الابحاث) .

** الدكتور أنيس صايغ ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى** ، ص ٢٣٠ .

*** موسى ، **تاسيس الامارة** ، ص ١٣٩ . وقد اتهم ضابطان في الجيش بالتحريض على التظاهرات هما الرئيس صالح النجداوي وأخوه توفيق النجداوي ، وشملت التهمة كذلك الزعيم علي خلقي الشرايري .

**** **المصدر نفسه** ، ص ١٣٨ . وفي اثر تلك الحادثة تدم رشيد طليع استقالته الى الامير عبدالله .

هذه المقدمة وجدناها ضرورية تمهيدا لقراءة وثيقة صدرت عـن حزب اردني اعلن عن تأسيسه في تشرين الاول ١٩٧٢ ، واضح من تسميته « حزب الشعب الثوري الاردني » ومن الوثيقة الصادرة عنه « ملامح اولية حول مسألــة الثورة الوطنية الديمقراطية في الاردن » انه يجهد لان يكون حزبا محليا في الاردن ، وهو امر لافت للنظر بعد ان تبين من خلال ما سلف ان الحركات السياسية في الاردن كانت في الاغلب امتدادات لاخرى عربية.
والسؤال الذي يطرح هنا هو ما هي الظروف التي تدفع نحو تشكيل حزب في الاردن بعد ان كان الشعار المطروح حتى الان هو تشكيل جبهة وطنية تشارك فيها القوى الوطنية الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على حد سواء . ان الاجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في تقديرنا في حقيقتين متناقضتين تماما ومتسببة عنهما معا في وقت واحد : تجربة حركة المقاومة في الاردن حتى ايلول ١٩٧٠ ، وتصاعد المد المضاد الذي قاده النظـام الهاشمي والذي اتخذ شكلا اكثر شراسة في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ .
ان الوجود الكثيف لحركة المقاومة في الاردن بعـد العام ١٩٦٧ لم يتح الفرصة كاملـة للحركة الوطنية الاردنية في النمو والاتساع والتصاعد . فبالاضافـة لظروف الحـركة الوطنية الاردنية الذاتية نفسها والتي كانت تعاني من ضعف نتيجة الحملات التي قادها ضدها النظام الهاشمي قبل ١٩٦٧ بالاضافة الى ذلك مثلت حركة المقاومة امام الجماهير قفزة نوعية متقدمة وتجاوزا للحركات الوطنية التي سبقتهـا . فانشدت الجماهير اليها وانخرطت في صفوفها متجاوزة هي الاخرى حـالات التأييد التي منحتهـا للحـركات السياسية التي كانت قائمة قبل نشوء المقاومة الفلسطينية . بتعبير اخر كانت الصورة كما يلي : حركة وطنية ضعيفة وممزقة ، وجماهـير معرضة عنها متجهـة الى بديـل استجاب اكثر الى طموحاتها وفهمها للعمل . بجانب ذلك فان الحركات والقوى الوطنية العربية التي كان لها امتـدادات في الساحة الاردنية حولت هي الاخـرى امتداداتهـا التنظيمية الى فصائل تعمل ضمن اطار حركة المقاومة . ومن هنا فان الجهد الذي قامت به الحركة الوطنية في الاردن بعد العام ١٩٦٧ (تمثلت هذه الحركة بالامتدادات العربية وبالشخصيات الوطنية والمنظمات المهنية والنقابية) كان جهدا متجها نحـو رفد حركة المقاومة الفلسطينية ودعمها وتهيئة الاجواء لتصاعدها . وهذا الجهد ــ ولا نقلـل من اهميته وخطره ــ لانه كان متجها نحو تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية والمشاركة فيها لم يلتفت جديا وجذريا الى معالجة القضايا الاردنية المحلية التي وان كان لها مساس مباشر بالقضية الفلسطينية الا انها تظل منفصلة عن برنامج حركة المقاومة الفلسطينية المتجهة بصورة اساسية ــ وهذا مبرر وجودها ــ نحو النضال من اجل تحرير فلسطين.
واكثر من ذلك ففي المرات القليلة التي التفتت فيها الحركة الوطنية الاردنية نحو معالجة القضايا المحلية فقد كان هذا الالتفات يتم تحت راية المقاومة الفلسطينية . فيلاحظ مثلا ان النضال المطلبي الذي قامت به نقابات العمال والذي بلغ اوجه في الاشهر القليلة التي سبقت مجزرة ايلول ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة المقاومة وكان فعلا متمتعا بحمايتها ، وما كان له ان يحقق انجازاته في تلك الفترة لولا تلـك الحماية*. ومن جهة اخرى كـانت تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن سببـا في انكشاف ظهر القوى الوطنية فيه . واذا كانت هذه التصفية قد تلبست بقنـاع اقليمي فقد كان واضحا من خـلال

---

* نشرت صحيفة « فتح » ١٩٧٠/٧/١ رسالة من عمال واصحاب مصانع الخياطة العسكرية تتقدم بالشكر للمكتب العمالي لحركة فتح للمساعي الحميدة التي قام بها واسهمت في انهاء الخلاف بين اصحاب العمل والعمال بالشكل الذي ضمن للعمال جميع مطاليبهم بعد اضراب استمر يوما . نشرت « **الهدف** » ٧٠/٦/٢٠ بيانا صادرا عن الجبهة الشعبية حول مطاليب عمال شركات المواد العمرانية قالت فيه : ان ج.ش.ت.ف. التي وقفت باستمرار مع اضرابات العمال انطلاقا من التزامها الايديولوجي والسياسي ترى في المطاليب التي قدمها عمال الشركة مطاليب عادلة لا بد من اسنادها .

ممارسات النظام القمعية التي لم تميز بين وطني فلسطيني ووطني اردني ، ان النظام قد استفرد بالقوى الوطنية الاردنية بعد زوال الحماية التي منحتها لها حركة المقاومة لذلك فان هذه « النشوة الاقليمية » التي حاول النظام اسكار الجماهير الشرق أردنية بها سرعان ما سوف تتبخر ، عندما تكتشف الجماهير هذه ان هذا النظام الذي حاول ان يجعل منها اداته في قمع حركة المقاومة هو هو جلادها القديم ، وان ممارساته القهرية والاستغلالية القديمة هي ذاتها التي تمارس ضدها راهنا وان كان بوطأة اشد بعد أن اصبح وحيدا في مواجهتها . والنتيجة الحتمية والمنطقية لذلك ان تبدأ الجماهير بالدفاع عن نفسها وتشرع في خلق تكتلاتها القادرة على التصدي للنظام . وبسبب غياب حركة المقاومة العلني عن الساحة الاردنية ، وهي الحركة التي ساندت القوى الوطنية فان **الاتجاه سوف يكون بالضرورة نحو خلق منظمات سياسية اردنية فلسطينية محلية تعمل من خلال بحث الجماهير عن مصالحها واشباع تطلعاتها ، على تحقيق المهمات الوطنية الاردنية التي لم تدخل في صلب برامج حركة المقاومة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه سوف تكون هذه المنظمات حليفة حركة المقاومة في الاردن لان القضية الفلسطينية هي في المحور من المهمات الوطنية الاردنية .**

من هنا يدرك الاهتمام بالاعلان عن تأسيس حزب أردني ، يؤكد من جانب على « مركزية القضية الفلسطينية » والعمل لتحريرها تحريرا كاملا ترابا وشعبا (ص ٦ من الكراس ، الطبعة الثانية) ، ولكنه في الوقت نفسه يلتفت الى هموم الجماهير في الاردن ويتصدى لحلها ويطرح لنفسه مهمات محلية : سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويحاول بالاضافة الى ذلك ان يضع قضية التحالف بين النضالين الاردني والفلسطيني في صيغة تستفيد من التجارب التي مضت ولكنها تخطو بها خطوة متقدمة أكثر فهما لمعنى التحالفات . فالشعار السابق الداعي الى اقامة الجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية يتخذ له هنا شكلا تفصيليا واكثر تحديدا . فاقامة مثل هذه الجبهة يتطلب في البداية « **وجود جبهة وطنية اردنية** تضم مجموع القوى الوطنية والديمقراطية في الاردن **تتحالف** بارقى اشكال صيغ التحالف واكثرها جدية مع **جبهة وطنية فلسطينية** تضم بدورها فصائل المقاومة الفلسطينية » (ص ٣٧) . ومن الواضح ان ايجاد هذه الجبهة الوطنية الاردنية ليس من مهمات حركة المقاومة ، بل هي منوطة بتصاعد الحركة الوطنية في الاردن ومرتهنة بقدرتها على التصدي للعمل ، وان كانت حركة المقاومة ، باعتبارها حركة ثورية عربية، يتوجب عليها ان تقوم بدور في تهيئة الظروف الملائمة لقيام مثل هذه الجبهة ومدها بالاسباب التي تساعدها على تحقيق أغراضها . ان مهمة بلورة النضال الاردني هي مهمة القوى الوطنية في الاردن بالدرجة الاولى سواء اكانت هذه القوى شرق اردنية ام فلسطينية ، ذلك « ان اي تعبئة لقوى الشعب الاردني لا تعني استثناء الفلسطيني [الموجود في الاردن] ما دام هناك واقع طبقي واحد ، فالخصم واحد ولا بد من برنامج واحد لتعبئة كل الطاقات في مواجهة كل الخصوم » (ص ٢٨) . وفي المقابل « فان تعبئة الجماهير الفلسطينية وحدها لتواجه كل القوى المعادية ضرب من الخيال لا يجيز لنا سوى الاستهلاك المادي والبشري والمعنوي » (ص ٢٨) . ان هذه المعادلة بين الحركة الوطنية الاردنية وحركة التحرر الفلسطيني تجعل العلاقة بينهما محددة واضحة . فاذا كان المطلوب من حركة التحرر الفلسطيني ان توجه جهدها في الاساس الى تنمية ذاتها لتحقيق هدفها في التحرير وفي الوقت نفسه تخلق الاجواء الثورية في العالم العربي — والاردن خاصة — لتنمية الاتجاهات الثورية الجذرية ، فان امام الحركة الوطنية الاردنية انجاز المهمات العامة للثورة الوطنية الديموقراطية وفي الوقت ذاته تهيئة المناخ الملائم الذي يمكن حركة المقاومة الفلسطينية من الوصول الى اهدافها .

والمهمات الوطنية التي يطرحها الحزب في كراسه (ص ٣٤ — ٣٩) تندرج تحت العناوين

الرئيسية التالية : اسقاط النظام الرجعي القائم واقامة نظام وطني ديموقراطي يستند الى تحالف جميع القوى والطبقات الديموقراطية ويفسح المجال لتحرير الاقتصاد الاردني من القيود التي تفرضهــا عليه الوصاية الامبريالية والرجعيــة وارساء قاعــدة صلبة للتصنيع ، واقامة اقتصاد زراعي موجه وتحرر العلاقات السياسية للاردن من كل انواع التبعية واقامة السياسة الخارجية على اسس من مركزية القضية الفلسطينية من جهة ونهج عربي وطني تقدمي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة ثانية واقامة اوسع العلاقات والصداقة مع المعسكر الاشتراكي من ناحية ثالثة .

وهذه العناوين الرئيسية تستند الى فهــم الحزب لطبيعة المجتمع الاردنـــي والنظام الهاشمي الحاكم . ففي مقدمة الكراس يوضح الحزب ان « الاردن محكوم من قبل نظام رجعي مرتبط مع الاستعمار » (ص ٥) كما ان النظـــام الهاشمي ما وجد الا لتسهيــل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية* » (ص ٩) .

اما عن نمط علاقات الانتاج في الاردن وهو النمط الذي يقرر شكــل المجتمع ، فنقرأ في الكراس (ص ٢١ — ٢٤) العناوين التالية : يعيش الاردن كمــا تعيش دول العالــم الثالث المتخلف ، تنمو فيه تجارة الاستيراد والانتاج الاستهــلاكي واقتصاد الخدمــات والعقار ، اما الطبقة السائدة في الاردن فهي طبقة الوكلاء التجاريين في المدينة والاقطاع في الريف والمدينة ، ومع ازدياد انتشار الثقافة توسعت طبقة البرجوازية الصغيرة عبر الوظائف والاستخدامات وقد تحول بعضها الى مواقع بيروقراطية الدولة المساهمة في الحكم المتحالفة مــع الاقطاع العشائري والرأسمـــال التجاري ، والجيش هو احدى المؤسسات الاقتصادية في الاردن كما انه اداة السلطة لارهاب الجماهير مدعوما بذراع الدولة البوليسية والمخابــرات الفاشية . اما العامــل فهو يبيع قوة عمله الى صاحب المؤسسة مقابل كسب بسيط لا يكفيه لنصف حياته** .

مثل هذا المجتمع تتضح فيه أي القوى التي لها مصلحة في بقاء نظام الحكم القائم حاليا ، وأي القوى التي لها مصلحة أساسية في التغيير . وقد حدد الكراس (ص ٢٩ — ٣١) القوى الاولى ، والتي وصفها بأنها « خصم الجماهير وعدوها » ، بأنها طبقة كبار الملاك الذين لهم أجود الاراضي الزراعية ولها أملاك عقارية واسعة في المدن وهي تسيطر كذلك

---

* في محادثات القدس التي تمت بين تشرشل والامير عبدالله التي ابتدات يوم ٢٨ آذار ١٩٢١ اوضح تشرشل في الجلسة الاولى عندما عرض ان تكون شرقي الاردن تحت ادارة حاكم عربي (وكان مؤتمر الشرق الاوسط في القاهرة الذي عقد برئاسة تشرشل في ١٢ آذار ١٩٢١ قد اوصى بالتوصل الى ترتيب مرض مع عبدالله الذي كان قدم من الحجاز) أوضح ان الحكومة البريطانية تتوقع من ذلك الحاكم ضمانا بأن يتفادى القيام بنشاطات معادية لليهود في شرقي الاردن وألا يسمح بقيام نشاطات من هذا النوع ، ومن المفترض في ذلك الحاكم أن يتقبل السياسة البريطانية في فلسطين الى الغرب من نهــر الاردن لتتمكن الدولة المنتدبــة (بريطانيه) من الوفاء بالتزاماتها الدولية . وقد وافق عبدالله على ذلك . (انظر : سليمان موسى ، **المصدر السابق** ، ص ١١٢) . كما نذكر هنا بما كتبه السير اليك كركبرايد ، المعتمد البريطاني في شرقي الاردن في عهد عبدالله ، الذي ذكر ان الحكومة البريطانية كانت منهمكة في انشاء ادارة مدنية في فلسطين ، ولم تلق كثيرا من الاهتمام للمناطق البعيدة وغير المتطورة شرقي نهر الاردن ، والتي كان يقصد ان تكون **مناطق احتياط** تستعمل لاعادة توطين عرب فلسطين بعد أن يتحقق الوطن القومي لليهود في فلسطين والذي تعهدت بريطانيه بدعمه . (انظر : (Alec Kikbride, *A Crakle of Thorns*, p. 19) .

** نشير هنا الى أن معدل الاجور للمستخدمين في الصناعات الاردنية في العام ١٩٦٨ كان ٢٦٨ دينارا أردنيا في السنة. ومن الملاحظ ان هناك نسبا متدنية جدا في اجور بعض الصناعات مثل الكسارات (١٩٢ دينارا) ، الملابس والخياطة (١٩١) ، الاثاث والمفروشات (١٨٠) ، منتجات المطاط (١١٢) ، الالات غير الكهربائية (١٦٥) ، معدات النقل (١٧٥) . (المصدر : **دائرة الاحصاءات العامة** ، تقرير الدراسة الصناعية للعام ١٩٦٨ ، عمان ١٩٧٠ ، جدول رقم ١ — ٢) .

على مؤسسات الدولة مثل الجيش والحكومة والبرلمان ، كما تضم البرجوازية الكبيرة المسيطرة على المصانع والشركات ، ووكلاء الشركات الاجنبية والسماسرة (الكمبرادور) الذين يقومون بعملية استغلال يومية لجماهيرنا نتيجة علاقاتهم المتشابكة مع الطبقة البرجوازية الكبيرة . وحدد الكراس هذه الطبقات بأنها تمثل نسبة ٥ بالمئة من السكان. أما القوى التي لها مصلحة في التغيير او قوى الثورة كما يسميها الكراس فهي العمال (نحو ربع مليون) والفلاحون (اكثر من نصف مليون) والبرجوازية الصغيرة والمثقفون الثوريون وشرائح من البرجوازية الوطنية ، والبدو وهم اكثر القطاعات تخلفا وجهلا وضياعا (ص ٢٦) . أما الطريق الذي يتشوف اليه الكراس وصولا الى تعبئة قوى الثورة والانتصار على « العدو الطبقي » فهو في قيام التنظيم الثوري القادر على استيعاب كل القوى الوطنية والثورية وابدال حنقها وحقدها الى عمل مبرمج . وهذا التنظيم السياسي « الحزب الثوري » يستند الى فكر الطبقة العاملة وبرامجها ويمارس العنف الثوري ، بالاضافة الى جبهة وطنية عريضة تحمل السلاح (ص ٢٧) ، فالعنف الرجعي لا يمكن ان يواجه الا بالعنف الثوري القادر على صد هجمات وشراسة الرجعيين ، خاصة وان كل طبقة تستميت في الدفاع عن مواقعها وما على قوى الثورة الا استعمال العنف الثوري المستند الى تحليل سياسي وطبقي وايديولوجي حتى تحقق الانتصار على خصومها (ص ٣٣) .

هذه هي الافكار الرئيسية التي طرحها الحزب في كراسه حول مهمات التحرر الوطني الديموقراطي في الاردن . وقد أشرنا سابقا الى مركزية القضية الفلسطينية في برنامج الحزب . ذلك أن الحزب يعتبر « ان فلسطين وارضيتها تشكل الان قوة لمسيرة الثورة العربية ومادة انتصارها ، كذلك هي جزء من حركة الثورة العربية التي هي حركة الجماهير ، وليست حركة الانظمة ، ويجب أن تتسع التحاما بالجماهير العربية الثورية حتى تؤمن لها الثورة الرافدة على طريق حرب الشعب الطويلة الامد القادرة على فهم مهمات التحرير الوطني الفلسطيني الكامل لكل التراب الفلسطيني واسقاط الوجود الصهيوني على الارض العربية » (ص ٢٩) .

يبقى هناك بعض الملاحظات التفصيلية على الكراس نوردها كما يلي : ١ — بعض المعلومات التاريخية : جاء في الصفحة (١٠) ان لقاء تشرشل وعبدالله في القدس كان في ١٧ آذار ١٩٢١ ، والصحيح ان اللقاء كان في ٢٨ آذار ١٩٢١ واستمر الى ٣٠ آذار . وفي الصفحة نفسها ايضا جاء انه في السنة ١٩٢٨ تألفت أول قوة عسكرية بالاردن عرفت باسم قوة حدود شرق الاردن . والصحيح ان قوة الحدود شكلت في العام ١٩٢٨ اما اول قوة عسكرية شكلت في شرق الاردن فقد كانت في العام ١٩٢٠ (قبل تأسيس الامارة) بعد أن أرسل الضابط البريطاني فردريك بيك الى شرق الاردن لتنظيم الادارة وقد خوله المندوب السامي في فلسطين تشكيل قوتين صغيرتين واحدة من مئة رجل لتقوم بحراسة طريق عمان — فلسطين والاخرى من ٥٠ رجلا لتساعد المعتمد البريطاني في الكرك . وبعد قدوم الامير عبدالله الى شرق الاردن وتأسيس امارته فيها اخذ بيك على عاتقه مهمة تشكيل كتائب وقوات عسكرية متدرجا بتوسيع هذه القوات . وفي ايلول ١٩٢٣ اعطيت هذه القوات اسم « الجيش العربي » ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه أعطى الامير عبدالله لقب أمير لواء للضابط بيك الذي أصبح قائدا للجيش*.

٢ — حول تأسيس الامارة : اذا كان صحيحا باطلاق ان النظام الهاشمي ما وجد الا لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية (ص ٩) فانه صحيح كذلك ان هذا الدافع الرئيسي وراء انشاء الكيان كان يصاحبه دوافع أخرى

* لمزيد من التفصيل حول انشاء الجيش الاردني انظر P. J. Vatikiotis, *Polotics and the Military in Jordan*, Chapter IV

لا نقلل من قيمتها . فكما لاحظ الدكتور انيس صايغ* عند تعليقــه على تأسيس امارة شرق الاردن « أصبحت التفرقة بسبب الكيانات عملا شرعيا له حرمته . أصبحت الولاية او المحافظة السابقة وطنا له شعاره ورايته ودستوره وأصبح العمل على ازالة هذه الرموز ، أي العمل للوحدة ، خيانة بحق الكيان . وقامت مع الكيانات طبقة المنتفعين بها . وتحول الكثيرون من رجال الحركات الوطنية العاملة قبل ١٩٢٠ للوحدة والاستقلال الى سند يدعم الكيانات لانهم ينتفعون منها ، واخذوا يقاومون اي حركـــة صحيحة للوحدة ... [كما] افشلت الكيانات الجهاد في سبيل الاستقـــلال ... [و] رأى السياسيون البريطانيون هذه المكاسب لهم في التفرقة ، بنظرهم البعيد ، قبل حصولها فعملوا لها وحققوها في وقت قصير » . بالاضافة الى ذلك فينبغي الا نقلـــل من أهمية العوامل البترولية في خلق الكيان الاردني. وعودة الى التاريخ الذي سبق تأسيس الامارة تكشف هذه الاهمية . ففي الفترة ما بين ١ و ٤ كانون الاول ١٩١٨ عقدت في لندن جلسات

بين لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيه ، وكليمنصو ، رئيس الحكومة الفرنسية ، جرى فيها تعديل سري على اتفاقية سايكس — بيكو ، وقد طلب جورج في تلك المحادثات **نقل الموصل وفلسطين الى نصيب بريطانيه** ، وقد وافق كليمنصو على ذلك**. وغني عن البيان ان هذا الطلب البريطاني كان لتأمين منابع البترول في الموصل وطرق شحنه عبر فلسطين التي كانت بالاضافة الى حدودها الاقليمية الان تشمل ما وراء نهـــر الاردن شرقا . وفي مذكرة عمل قدمتها بريطانيه في العام ١٩١٩ تتعلق باحتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن توزيع الانتداب جاء ما يلي : « وفقا للمبادىء التي تتضمنها اتفاقية سايكس — بيكو فان الحكومة الفرنسية لن تعارض حق انشاء سكة حديدية بين **حيفا والعراق** ... كما انه سيكون لبريطانيه العظمى الحـــق في انشاء خطوط أنابيب للنفط ... وتشعر الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية والامير فيصل عن عزمها على القيام فورا بمسح هندسي بغية العثور ، اذا كان هذا الامر ممكنا ، على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كليا في منطقة الانتداب البريطاني»***. وقد أوردنا هذه الامثلة ليس بهدف تأريخي وانما تأكيدا على الدور الذي يقوم به النظـــام الهاشمي في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة العربية .

٣ — الحركة الوطنية الاردنية : يعزو الحزب فشل الحركة الوطنية في الاردن بين العامين ١٩٥٠ و١٩٦٧ الى ان طبيعة قيادات الحركة الوطنية وبنيتها الطبقية بقيت معزولة ضمن المدن ولم تمتد الى الريف لتشكل قوة مسلحة في وجه النظام بل عانت الكثير لاعتمادها البرجوازيين اساس تكوينها أولا ، ولعدم امتلاكها القدرة على تنظيم فقراء الفلاحين ، خاصة في غياب طبقة عمالية ظاهرة كقوة رئيسية في الاردن (ص ١٦) كما انه مما زاد أو ساهم في عجز الحركة الوطنية عن أخذ مبادرة العنف الثوري في التصدي للنظـــام العميل هو عجزها عن امتلاك أفق نظري واضح واستراتيجية سياسية تحدد لها الطريق مما أوقعها أسيرة أحلامها كأن تفيق يوما على مارشات عسكرية وبلاغ رقم ١ (ص ١٧).

ان الحكم على أي ظاهرة ، سياسية كانت أم اجتماعيـــة ، يجب أن يراعي الظروف الموضوعية التي أوجدت تلك الظاهرة ، وفي الوقت نفسه يحاكمها بمقاييس المرحلة التي افرزتها دون ان تنتزع هذه الظاهرة من السياق التاريخي الذي وجدت فيه . ومحاكمة الحركة الوطنية في الفترة من ١٩٥٠ — ١٩٦٧ تتم فقط من خلال وضع هذه الحركة في

* صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

** زين نورالدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** ، ص ٩٥ — ٩٧ .

*** *Notes of Meeting of Heads of Delegations of the Five Great Powers*, Paris, Sept. 15, 1919. ذكرها زين ، **المصدر نفسه** ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

اطارها الصحيح من حيث طبيعتها ، الظروف المحيطة بها ، الفئات الاجتماعيـــة التي قادتها ، الاهداف التي سعت الى تحقيقها ، وفي ضوء ذلك كله يدرس فشلها او نجاحها. الحركة الوطنية في الاردن كانت ذات أفق وطني ، وجدت في المدينة ليس لانها **لم تستطع** أن تمد لها جذوراً في الريف وانما لان الطبقة التي قادت هذه الحركة (شريحة المثقفين من الطبقة البرجوازية الصغيرة) **موطنها** المدينة ، وبذلك فان عملها مرتبط بالمدينة . وهي لم **تعتمد** على البرجوازيين ، وانما كانت هي الحركة التي أوجدتها البرجوازية . اما قضية العنف الثوري فهي غير واردة أصلا لانها لا تدخل في برنامج الطبقة التي قادت هذه الحركة ، لذلك فلم يكن ثمة بديل عن التفكير بالانقلاب العسكري عن طريق الجيش ، لانه من خلال التجارب التي حدثت في العالم العربي والعالم الثالث ثبت ان هذا الاسلوب هو الذي تلجأ اليه الحركة الوطنية ذات الافق البرجوازي للوصول الى السلطة . ومن هنا فان محاكمة الحركة الوطنية في الاردن ينبغي أن تتم في اطار فهم هذه الحركة على انها حركة قادتها البرجوازية الصغيرة وسعت الى تحقيق طموحاتها الوطنية بالاساليب التي تتماشى وتنسجم مع طبيعتها . وفي هذا الاطار فشلت الحركة الوطنية في الاردن عن تحقيق أهدافها ، ولسنا هنا في صدد دراسة هذه الحركة بيد ان العناوين التالية قد تكون صالحة لدراسة اسباب هذا الفشل : ● ان الطبيعة المتذبذبة للطبقة التي قادت الحركة الوطنية خلال الخمسينات والستينات ، جعلت هذه الحركة غير قادرة على الحسم ومترددة في الموقف من النظام بينما كان النظام على العكس منذلك تماما حاسما تجاهها. ● القوى السياسية التي كانت تقود الحركة الوطنية كانت امتدادات لقوى أخرى مركزها خارج الساحة الاردنية ، وكانت هذه القوى الاخيرة تخضع للعبة التوازنات والتسويات العربية (مؤتمرات القمة كمثال) مما جعل تأثيراتها تنعكس سلبيا على الحركة الوطنية الاردنية نفسها . ● ان دخول الولايات المتحدة في أواسط الخمسينات الى حلبة السياسة الاردنية* مع ظهور مبدأ ايزنهاور ، كان له دور كبير في تثبيت أقدام النظام ومده بالقوة التي واجه بها الحركة الوطنية وتصدى لها . كما أن المعونات الاقتصادية الاميركية ومشاريع التنمية ساعدت على خلق ازدهار اقتصادي مشوه ومكن النظام من توسيع قاعدته البيروقراطية في محاولة لتطويق البرجوازية وضمها الى صفوفه بل وجعلها في وجه من الوجوه جزءا منه ومستفيدة من وجوده .

٤ ــ أغفل الحزب في برنامجه موقفه من الوحدة العربية ، والذي يدفعنا الى اظهار هذا الامر أن الاردن كيان لا يستطيع أن يقوم وحده وان النضال من اجـل ارتباطه بالامة العربية ضمن اطار وحدوي هو الكفيل فقط بابطال الاسباب التي أوجد من أجلها هذا الكيان . كما أغفل الحزب كذلك الموقف من الضفة الغربية ، وعلى الرغم من انه اعتبر أن ضم الضفة الغربية تم بعد انتخابات زائفة في الضفتين في ١١ نيسان ١٩٥٠ الا انه لم يشر الى مصير العلاقات بين الضفتين راهنا ومستقبلا .

---

* يلاحظ هنا دور الولايات المتحدة في الحركة الانقلابية التي قادها النظام على تجربة الحكم الوطني في العام ١٩٥٧ . ومن المؤشرات الدالة على ذلك الدور انه قبل يوم واحد من تأليف وزارة ابراهيم هاشم التي عينت في ٢٤ نيسان ١٩٥٧ (استقالة حكومة النابلسي كانت في ١٠ نيسان ١٩٥٧ وفي الفترة ما بين الوزارتين شهد الاردن اضطرابات وأحداثا سببها الانقلاب المضاد الذي قاده النظام) صرح جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركي « ان لنا ثقة كبيرة في الملك حسين لاننا نعتقد حقيقة انه يكافح من اجل الحفاظ على استقلال بلده في وجه صعوبات عظيمة ... وان لدينا الرغبة في دعم الملك حسين في هذا الشأن الى الحد الذي يفكر هو اننا قادرون على أن نكون مفيدين». وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٧ تقدم سمير الرفاعي، وزير الخارجية الاردني ، بطلب مساعدة من ليستر مالوري ، السفير الاميركي في عمان ، وفي اليوم نفسه وافق مالوري على منحة قيمتها عشرة ملايين دولار اعترافا « بالخطوات الشجاعة التي اتخذها جلالة الملك حسين وحكومة الاردن وشعبه للحفاظ على وحدة البلاد واستقلالها » (انظر: عروري، **المصدر السابق** ، ص ١٤٤ ، ١٤٥).

مراجعـــات

محمد ابو شلبايه ، الطريق الى الحرية والخلاص والسلام
(مطبعة الشيخ جراح التجارية ، القدس : ١٩٧٢)

بات مؤلف هذا الكتاب معروفـــا لسكان المناطـــق المحتلة وخارجها ، كواحد من اشهر المتحمسـين لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطـــاع غزه ، تأخذ على عاتقها مهمة الاعتراف بالكيـــان الاسرائيلي ، كحل وحيد للمشكلـــة الفلسطينية ، وكمدخل لانهاء الصراع العـــربي ــ الاسرائيلـــي « لتحقيق سلام دائم ونهائي في المنطقة » ــ علـــى حد تعبيره .

ساعد ابو شلبايه على ترويج افكاره هذه ، عمله كصحفي في عدد من الجرائـــد الاسرائيلية التـــي تصدرها سلطات الاحتلال باللغة العربية ، ونشره سلسلة طويلة من المقالات والندوات على صفحاتها. وقد بلور الكاتب افكاره في كتابين اصدرهمـــا في الداخل ــ احدهما بعنوان « لا سلام بدون دولة فلسطينية حرة » ، والاخر الماثل بين ايدينا .

يتجه الكتاب نحو اهداف محددة تتلخص : بضرورة اقامة قيادة فلسطينية جديدة ، متجاوزة المنظمـــات والاحزاب الفلسطينية الراهنة والانظمة العربيـــة (وخاصة النظام الاردني) ، لتعمل وفق ميثـــاق وطني لتشكيـــل حزب مشروع داخـــل الاراضي المحتلة ، يدعو لاقامة دولة فلسطينية على جزء من الارض التي تمنحها قرارات الامم المتحدة ، يكون لها نظام سياسي واقتصادي وتعليمي واجتماعي ، يتوافق مع برنامج عمله ومنسجمـــا مع اســـس دعوته .

وفي اطار هذه الاهداف يردد ابو شلبايه مقولاتـــه والتي يمكن تلخيصها بفكرتين اساسيتين :

الاولى ــ الدوافع والاسس التي جعلته يتقـــدم بمشروع الدولة الفلسطينية .

الثانية ــ الخطوات التنفيذية والعملية الواجـــب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

تكمن خطورة الكتاب والافكار التي تضمنها ، ليس في التشويهات والاخطاء لتاريخ القضية الفلسطينية فحسب ، بل كونها تقود الى اتجاه استسلامـــي وتصفوي خطير يحاول أن يشق طـــريقه بمساعدة العدو لابراز وجوه فلسطينية جديدة تقبل شروط اسرائيل ، وتنهي القضيـــة الفلسطينية لمصلحـــة العدو الصهيوني ــ الامبريالي .

ما هي الاسس الذي اعتمدها الكاتب لاقامة دولة فلسطينية ؟!

يقول الكاتب :

« ان قيام وحدة عربية ذات جيش يبلغ الملايـــين ، وذات امكانات عسكرية حديثة ، لا يعني ابدا القدرة على سحق الكيان الاسرائيلي . وذلـــك بسبـــب الظروف الدولية التي تمنع الولايات المتحدة مـــن احتـــلال كوبا ، واسرائيـــل من احتـــلال جنوب لبنان ... » .

رغم ان التفســـير العلمي للتاريـــخ ، وقوانينـــه الاساسية تؤكد على ان القوى الذاتية هي العامل الاساسي لحسم التناقـــض ، وان ثمة علاقـــات ديالكتيكية متفاعلة ومتطورة بين موازيـــن القوى الدولية الراهنة ، تجعل من حركة التاريخ تتجه في سيرها الى الامام ولصالح الشعوب المضطهـــدة والمستغلة ، ورغم ان هناك تغيرات عديدة طرأت على تلك الموازين خلال السبعين عاما الماضية ، نجـــد ابو شلبايه بمنطقه الصـــوري ونظـــراته الاستاتيكية للعلاقات الدولية ، يريد أن يوقف عجلة التاريخ ويجمد موازين القوى الراهنة الى الابد ، ليعزي استحالة المواجهـــة لقوى خارجيـــة (اي الظروف الدوليـــة) مضفيـــا عليهـــا صفة الثبات والديمومة والاستمرار وبالتالي اعطائها الـــدور الرئيسي في تقرير مصير الشعوب .

وفي سياق هذا الفهم الدغمائي للعلاقات الدولية يتجاهل ابو شلبايه المكانة الاستراتيجية الهامة التي تتمتع بها منطقتنا ، والتي استحوذت على اهتمام خاص لاحد اطراف القوى الدولية المتصارعة وهي الامبريالية العالمية ، ممثلة بالمصالح الاستراتيجية السياسية والاقتصادية (وخاصة البترولية) الضخمة التي تملكها ، والتي شكلت عنصرا اساسيا في تأييد ودعم اسرائيل ليس كعامل دائم وثابت في المنطقة فحسب ، بل كحارس امين على تلك المصالح من خلال مواجهة وقمع اي حالة تعرض مخططات الامبريالية ومصالحها للخطر .

اراد الكاتب ان يضع الظروف الدولية كنقطة ارتكاز لتثبت مبدأ « استحالة المواجهة » ، مما جعله يتجنب الحقائق والوقائع التاريخية السابقة والراهنة ، التي تؤكد على الارتباط العضوي والتطابق الاستراتيجي السياسي والعسكري بين العدو الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . وذلك بهدف الغاء التناقضات الرئيسية والثانوية بين القوى الدولية المتصارعة ، واضعا اياها على نفس المستوى في مواقفها السياسية تجاه الصراع القائم في المنطقة .

واذا كانت المهام الوطنية والثورية تتطلب ادراك الظروف الدولية ، واكتشاف مدى وحجم تأثيرها من اجل تجييرها لمصلحة قواها الذاتية ، والاستفادة من التناقضات القائمة فيما بينها للنضال ضد معسكر الاعداء الرئيسي ، فالكاتب — على العكس من ذلك — يريد ان يثبت عدم جدوى القتال والنضال ، وذلك من خلال استسلامنا للظروف الدولية ، ووضع مستقبل قضيتنا رهينة لتوازنها .

ثمة سبب اخر جعل ابو شلبايه اكثر قناعة بمشروعه ، وهو خشيته ان يضيع شعبنا «الممكن» في طلب « المستحيل » .. يقول الكاتب :

« ان تاريخ القضية اكد لنا في جميع الحالات ، اننا كنا نضيع الممكن في طلب المستحيل » و « انا اصبحنا اناسا سلبيين نقتات بالخطب الرنانة دون ان تكون لنا مغارة نختبيء فيها او شبر من الارض نقف فوقه » .

اما الكيفية التي يريد انينقذ أبوشلبايه بها تاريخنا الذي اضاع الممكن في طلب المستحيل فيقول : ان تحقيق الممكن يأتي عن طريق « حسن النوايا » و « زرع الثقة » و « اقناع الشعب الاسرائيلي اننا لا نريد الحرب » و « الالتجاء الى الدول الكبرى » و « حمل اغصان الزيتون .. الخ » .

تناول أبو شلبايه ايضا بعض المعضلات الاساسية التي تقف امام مشروعه ، وذلك بوضعه حلولا « ممكنة » لها كمسألة القدس ، و « المستوطنات الجديدة » التي اقامتها اسرائيل على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

بالنسبة للقدس يقول « .. انني اتصور مستقبلا زاهرا تكون فيه القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، وتكون فيه القدس الاسرائيلية عاصمة لدولة اسرائيل ، واني اتصور المدينتين متصلتين بلا حواجز ولا اسوار » .

اما فيما يتعلق بسكان « المستوطنات الجديدة » يقول الكاتب : « ان هناك وسيلة ممكنة .. فعند قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ودولة اسرائيل سيجعل عددا من المواطنين الاسرائيليين يقيمون في الدولة الفلسطينية ، وسيجعل عددا من المواطنين الفلسطينيين (ويقصد عرب المنطقة المحتلة ١٩٤٨) يقيمون في الدولة الاسرائيلية .. اي سيجعل لدولة اسرائيل جالية يهودية في الدولة الفلسطينية . وسيجعل للدولة الفلسطينية جالية فلسطينية في الدولة الاسرائيلية » .

لا يمكننا تناول أفكار أبو شلبايه هذه بمعزل عن الاتجاهات الاستسلامية السائدة بين اوساط عربية وفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها ، اذ ان المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه أغلبية الانظمة العربية ممثلا بانتهاجها طريق التنازل ورهانها على « تسوية » من قبل الولايات المتحدة، وتحديد وتطويق نشاط المقاومة الفلسطينية فيالداخل والخارج ، ساعد الى حد كبير في نمو تيارات واتجاهات في الداخل تدور حول نفس الاطر السياسية التي تنتهجها تلك الانظمة ان لم تكن تتجاوزها .

كذلك فان أفكار ابو شلبايه ليست بعيدة عن التطورات الاقتصادية التي واكبت الاحتلال الصهيوني ، من حيث التنامي المتزايد لمصالح البرجوازية الفلسطينية الكبيرة الاقتصادية في الاراضي المحتلة ، وسعيها المستمر في بلورة اتجاهات سياسية منسجمة مع تلك المصالح تطمح في الصعود على الهرم السياسي لتمثيل الشعب الفلسطيني بمعزل عن القوى الفلسطينية الثورية الاخرى والذي لا تتعدى مسالة اقامة دولة

فلسطينية « مسالة » ونبذ كافة الاتجاهات التي تـدعو الى تحرير الارض الفلسطينية ومواجهـة الهجمة الامبريالية الشرسة في المنطقة .

وتعتبر افكار أبو شلبايه نموذجا تصفـويا جديدا تكمن اهميته السياسية في انه يعبر عن وجهة نظر عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي نجح العدو الى حد ما في ربط مصالحهم الاقتصادية بسياسته داخـل الارض المحتلة ، ليتخـذ هذا الاتجـاه الاستسلامي الخطير طابع التنازل الاكبر والقبول الاكثر لشروط العدو الصهيوني ، مما ترتب عليه — بغض النظر عن النوايا — ان وضع نفسه في نفس الاتجاه الذي تسعى اليه سلطات الاحتـلال في تطويع الارادة الفلسطينية وكسب ولاء سكـان المناطق المحتلة عن طريق خلق زعامات فلسطينية تقبل « الامر الواقـع » الذي فرضه الاحتـلال ، ووضع تلك الزعامات كاحتياط سياسي في حالة عدم تجاوب الدول العربية للشروط الاسرائيلية الراهنة والمستقبلة .

وعلى امتداد هذا النهج سعى ابو شلبايه الى ايجاد أسباب أخرى للمشكلة الفلسطينية بعيدة عن الاطماع التوسعية الصهيونية ، وذلك من خـلال ارجاعه أسباب المشكلة الى صيغ ديمـاغوجية « كحسن النوايا » و « زرع الثقة » . ومـن الطبيعي ان يأتي الحل المستند الى تلك المفاهيم بشكل يتوافـق مع أسس دعوته وفي اطـار الهدف الـذي حـدده ، والذي عبـر عنـه أبو شلبايه بانتهاجه طرق الهداية والتبشـير في حل الصراعات الاستغلالية والاستيطانية ، واتباع ما اسماه بطرق « الاقناع المتسامـح والعقـلاني للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني . ان المؤامرات الدولية (...) تريد لهذين الشعبين عدم الاستقرار والاستمرار في الحروب » على حد تعبيره .

واذا كانت الاتجاهات الاستسلامية الراهنة قـد وصلت الى حد الاعتراف بالكيان الاسرائيلي وفـق شروط معينة كالانسحاب من الاراضي المحتلة ووضع حد لسياسة التهجير والتهويد والاستيطان التـي ينتهجها العدو في الاراضي المحتلة ، فان الكتاب يدعو الى التكيف مع الاطماع التوسعية وتعبيراتها العملية (المستوطنات ، تهويد القدس ، الاستيلاء على الارض) من خلال قبوله لما يسمى بالحقائـق الجديدة التي اقامها الاحتلال ، واضفائه صفـة المواطنة لشعـوب المستوطنات واعترافـه بهـا « كجاليات يهودية » شرعية تملك نفس الحقوق التي يتمتع بها شعبنا الاصيل .

ومهما يكن من امر ، فباستطاعتنا القول ان العقل العربـي والفلسطيني مهمـا بلغت درجة يأسـه ومعاناته للظروف الصعبة التي يعيشها لن يتقبل اتجاهات وافكارا من شأنهـا ان تصفي القضية الفلسطينيـة وتنهي حقوق الشعـب الفلسطيني التاريخية فـوق الارض الفلسطينية ، باستثنـاء العناصر المرتبطة مع الصهيونية والعاملة على تنفيذ مخططاتها .

ينطلق ابو شلبايه بأساسه الثالث من خلال وصفه الاوضاع الفلسطينية الراهنة وما يحيط بهـا من ظروف اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة فيقول « .. على ان التيه الذي نضل فيه الان ، والضياع الذي نتردى في هاويته السحيقة ، والظلم والارهاب والوصايات ، على ان هذا كله هو اول واقـوى دافع يدفعنا من جديـد للبحث عن طريق الحريـة والخلاص » .

وكعادتـه يتجاهل الكاتب البحث عن الاسبـاب الجوهرية الاساسية التي ادت بالشعب الفلسطيني الى تلك الاوضاع متناولا اياها في ثلاثة اتجاهات :

١ — ابراز الخصائص والمميزات التي يمتاز بهـا الشعب الفلسطيني عن باقي الشعوب العربيـة الاخرى ، واصفا الشعب الفلسطيني بأنه « ملح البلاد العربية » و « ان نهضة كثير من الشعوب العربية الحديثة قـد قامت بالدرجة الاولى عـلى اكتافه » .

٢ — مقارنة الايجابيات التي يمتاز بها بالاوضـاع الصعبة التي يعيشها فيقول « انه الشعب الوحيد في العالم الذي ليس له هوية ولا كيان ولا ارض ولا وطن .. الخ » .

٣ — وضع الدول العربية والمنظمات الفلسطينية بأنها المسؤولة من تلـك الاوضاع بقوله : « ان الشعب الفلسطيني يتلقى دومـا جزاء سنمار » ويخضع « للوصايـات والسجون » و « يرفـع شعارات دون ان يملك ارضا او مغارة » . وتأتي محصلة فرضه لتلك الاوضاع في تثبيت قاعدة تقول « ان اصل القضية هي الشعب الفلسطيني وان الازمة العربية الاسرائيلية تتفرع عن الاصل .. فقد اثبتت تجارب ٤٨ — ٥٦ أن التفاهم الاسرائيلي مع الدول العربية وحدها لا يحقق سلاما وانما يحقق

هدنة ، لانه يجب ان يقوم ويستند على تفـاهم اسرائيلي ـ فلسطيني » .

تجمع كافة الاراء والاتجاهات المستندة الى تحليل علمي للعدو، على ان الاطماع التوسعية الصهيونية قد شكلت وتشكل حجر الزاوية الرئيسية في صرح السياسة الاسرائيلية منذ بدء الصراع العـربي الصهيوني وحتى الوقت الحاضر ، وعلى امتـداد تلك الحقبة التاريخية شهدت القضية الفلسطينية سلسلة من الوقائع والحقائق الموضوعية ، اكدت جملة من البديهيات التي تفسر الاسباب الجوهرية والاساسية التي ادت الى الاوضاع الفلسطينيـة بتراكمها المأساوي الراهن ، من حيث رجوعهـا الى العدو الصهيوني باطماعه التوسعية وانتهاجه سياسة التهجير والتهويد والاستيطـان ، والتي شكلت السبب المباشر في طرد الشعب الفلسطيني من ارضه ولجوئه الى الاراضي العربية المجاورة . ويستدل من انتهاج ابو شلبايه الاسلوب الوصفي لشرح الاوضاع الفلسطينية الراهنة دون البحث والتحليل عن الاسباب والمسببات التي ادت الى تلك الاوضاع ، انه عمد على حصر مطالب الشعب الفلسطيني ضمن اختيارات محددة بعيدة عن جوهر الصراع من جهـة ومتجـاوزة الحقوق التـاريخية لشعبنا فوق ارضه من جهة اخرى . حتى انهـا تخطت المبدأ العام الذي التزمت به الدول العربية العاجزة حيال مسألة حقوق الشعب الفلسطيني والذي تمثلت بقبولها قرارات الامم المتحدة التي لم تتجاوز مبدأ « التعويـض او العودة » . فتأتـي مطالب الشعب الفلسطيني ـ حسب رأي الكاتب ـ ضمن الحدود الذي رسمها والتي لا يتجاوز حدها النهائي مسألة الحصول على دويلة على جزء مـن الارض الفلسطينية التي تمنحها قرارات من الامـم المتحدة .

وقد حـرص الكاتب علـى ان يتناول « مأساة » الشعب الفلسطيني في اتجاهين :

أ ـ ترغيب الشعب الفلسطيني بامكانية حصوله على دولة اذا ما انتهج الوسائل السلمية ، وقبل مبدأ التفاهم والتعاون مـع الاحتلال الصهيونـي بمعزل عن الدول العربية والاحزاب والمنظمـات الفلسطينية .

ب ـ تمجيد الشعب الفلسطيني وابراز خصائصه وتميزه عن الشعوب العربية الاخرى بهدف ابراز القطريـة الفلسطينيـة لمواجهة الدول العربيـة والمنظمات على اعتبار انها تقف عائقا امام الحـل « العقلاني والعلمي !!! » المستند على تفاهـم اسرائيلـي ـ فلسطيني مشترك لحل المشكلـة الفلسطينية حلا نهائيا واقامة دولة فلسطينية .

.. ومن نافلة القول ان الشعب الفلسطيني هو عنصر اساسي للمشكلة الفلسطينية ، ولكن التحليل السطحي للامور الذي انتهجه الكاتب دون الغوص عن الحركة الصهيونية وأهدافها وعلاقـة اسرائيل بالدول الامبريالية ومخططاتها التوسعية ودورهـا في المنطقة لا تستجلب انتباه ابو شلبايه ، بل حتى تلما تجد في كتابه اية اشارة لتلك الاطماع ، فليس ذكرها في مصلحة الكاتب لانها من شأنها ان تقوض اسس افكاره ومقوماتها . فياتي عرضه للاوضـاع الفلسطينية كاسلوب رخيص لاستدرار المشاعـر الفلسطينية واستخدامها كوسيلة في ترويج افكاره الاستسلامية بما ينطوي عليها من اخطار في ابعاد الشعب الفلسطيني عن مهماته النضالية ، ليدور حول « ممكنات نظرية » لا تمت الى الواقع العملي والموضوعي بأية صلة .

بعد عرضه للاسس والاسباب التي جعلته يتقـدم بمشروع الدولة الفلسطينية يخصص الكاتب فصولا عدة لعرض الخطوات العملية الواجب اتخاذهـا لتنفيذ ذلك المشروع .

ويخلص بذلك على ضرورة انشاء «حزب مشروع!» في الاراضي المحتلة يتجاوز المنظمات الفلسطينيـة والنظام الاردني ويجعل من المقدمات التي ذكرها « ميثاقا وطنيا » لهذا الحزب .

ويستطيع القارىء ان يدرك السبب الذي جعـل ابو شلبايه يدعـو للتصدي للمقاومة الفلسطينية « وسحب البسط من تحت ارجلها » على اعتبار ان المقاومة الفلسطينية تقف على نقيض كامـل لتحليلاته وافكاره واهدافه ، بنفس الوقت الذي لا يجد المرء اية خلافات جوهرية واساسية بين ما يطرحه « مشروع الملك حسين » وبين « مشروع الدولة الفلسطينية » الذي ينادي به ابو شلبايه . فتأتي دعوته للتصدي لمشروع « المملكة العربيـة المتحـدة » مفتقرة الى اية اسس موضوعيـة او مضامين سياسية وايديولوجية .

.. ثم يتناول الكاتب مهمات الحزب فيقول « ان الوطنية العاقلة تتطلـب تاليف حزب مشروع في المناطق المحتلة يحمل في يده اغصان زيتون ويستغل

جميع الوسائل السلمية من اجل افهام الراي العام في اسرائيل والعالم ان شعبنا لا يريد الحرب » . كذلك فقد اعطى الكاتب تفسيرات جديدة للايمان ، وللقومية العربية والوحدة العربية بشكل يتلاءم واسس دعوته : فيقول الكاتب « ان الصفة الاولى التي ينبغي ان تكون عليها عقيدتنا المكتملة هي الايمان بفلسطين وبالارض وبالشعب » . ولا يجد القارىء اي عناء في البحث عن المقصود بالايمان بفلسطين فقد حددها الكاتب بـ « الارض في الجزء الذي منحته اياه القرارات الدولية من ارض الوطن » .

وتحت ستار شعار « العقلانية » و « العلمية » يمضي الكاتب بنقده لكافة المفاهيم التقدمية للقومية العربية واضعا مفاهيم جديدة لها فيقول «ان المفهوم الصحيح للقومية العربية هو القادر على الاعتراف بكيان اسرائيلي غير توسعي (...) في جزء من فلسطين » .

والخلاصة :

يعتبر هذا الكتاب تلخيصا للاتجاهات الاستسلامية والتصفوية التي تنامت في كنف الاحتلال الصهيوني، وجاءت نتيجة نجاح العدو في وضع بعض الفئات الفلسطينية داخل الارض المحتلة ضمن مخططاته لابراز وجوه فلسطينية تأخذ على عاتقها مهمة التصدي للمقاومة الفلسطينية وسحب البسط من تحت اقدامها ، لتصفية القضية الفلسطينية لصالح العدو الصهيوني الامبريالي .

صبحي طه

غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، المجلد الاول ــ الروايات .
(لجنة تخليد غسان كنفاني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . الطبعة الاولى : تشرين الثاني ١٩٧٢)

رغم كل ما كتب عن غسان كنفاني ، فانه يبقى مفاجئا . يفاجئنا بقدرته على الابداع وبتغلغله داخل الاشياء والعلاقات ليعيش في الرحم ، في مكان توالد الانفجارات وذهول التجاوز . في المجلد الاول من آثاره الكاملة ، تفاجئنا ثلاث روايات لم تنته : العاشق ، الاعمى والاطرش ، برقوق نيسان . وهذه الروايات تفاجىء لانها تدفعنا الى اعادة النظر في الكثير مما كتب عن روايات كنفاني . فهو يتقدم نحو واقعية شفافة تتجاوز « عائد الى حيفا » ويصل اليها بكثير من الشفافية في برقوق نيسان ، حيث لا يعود الصوت لام سعد وحدها ، او لصوت الحقيقة السياسية عارية على وجه سعيد س. بل يصبح صوت البرقوق الدامي (الشعر ــ الرؤيا) هو الذي يقود عربة الرواية . وتتحول القصص الشعبية في العاشق الى رؤية واقعية تنفجر بالاحساس الشعبي النادر ، حيث الاقدام مغروسة عميقا في التراب . أما الاعمى والاطرش فانها تعيدنا الى « رجال في الشمس » و« ما تبقى لكم »، واذا كانت الرؤيا الفنية في الروايتين تقودنا الى احساس حاد بفلسطينية هذا الادب ، فان فلسطينية المنطلق تقودنا في الاعمى والاطرش الى رؤيا شاملة تمس الانسان العربي ــ طاقة الفعل في الوعي الثوري العربي ــ ناقلة اياه الى التجذر في مسألة التحول . حيث البنية القديمة لا تنحل انحلالا وسط الحلم الثوري الرومانسي كما في ام سعد ، بل هي بنية لا يتعامل معها الا من خلال نبض الفعل الثوري في طريق طويل ومعقد ــ التحول لا يعود مسألة الفلسطيني الذي يثور مع المقاومة في انطلاقتها ويكتشف ضرورة التجذر في بنية التحول ، بل يصبح الانسان العربي عاريا أمام القمع وأمام تحدي الفعل .

أ ــ **العاشق** : رواية بدأ كنفاني بكتابتها سنة ١٩٦٦ . لكنها توقفت عند لحظة منها ولم تتم . هذا القسم من الرواية لا يزيد شيئا على معرفتنا بأدب كنفاني سوى طموحه الى كتابة ادب شعبي ملحمي. أي ان قصص المقاومة التي عرفناها في مجموعات كنفاني السابقة ، تعود هنا وبقامة جديدة . انها نسج حول بطل شعبي يتحرك في جسده الماضي النضالي المقاوم للشعب الفلسطيني . والرموز تكاد تكون معدومة . هناك صورة واحدة تتكرر هي صورة الفرس . الفرس التي ترافق البطل الشعبي وتتداخل فيه . لكنها تبقى منفصلة عنه في الوقت نفسه . النسيج « الملحمي » الشعبي الذي ارادته هذه الرواية لنفسها هو نسيج نضالي ، بمعنى انه

يحاول ان يقدم الماضي النضالي على بساط غنائي دافىء . حيث تصير التقنية الروائية اسيرة البعد الذي وضعه الكاتب لروايته . انها رواية تتابع وليست عمل تجاوز للانتاج السابق . تتابع بمعنى النمو الطبيعي ، النمو الذي لا يفاجيء وان كان له ايقاعه المتجدد . انه تتابع في اتجاه آخر . فعوض الحاضر ، يعيد الكاتب تضمين الماضي وصياغته . والبطل الشعبي هنا يختلف عن ام سعد ، فاذا كانت ام سعد ، تعبيرا عن الواقع المعاش لرومانسية ابن المخيم الثورية في فترة صعود المقاومة ، فان قاسم أو شتى تنويعات اسم هذا الفارس الشعبي ، هو حلم الحركة المستقبلية موضوعا في اطار الماضي الذي ينظر اليه بشكل متحرك . اي انه الآتي في رؤية الكاتب لماضيه . انه اعادة ترتيب للماضي الذي أريد له ان ينسى في غبار المخيم وعذابات المنفى .

واذا كان كنفاني يستعمل أسلوبا سينمائيا ، ويترك الماضي يتمازج بالحاضر ، فان الاسلوب ليس أكثر من طريقة لعرض وقائع محددة . يعلم تماما ايقاعها وأهدافها . أي ان هذا المزج الذي لا نجد فيه أي أثر للتعقيد هو محاولة لبسط الماضي أمامنا ، والنظر اليه من مواقع جديدة ، ومتحركة .

« العاشق » توقفت ، فالماضي وحده ، دون الحاضر وآفاقه ، اي معنى يصير له ؟ والبطل الشعبي الذي تنسج حوله احلام تحركنا ، الى اي حد يستطيع ان يحتمل هذه الاحلام ؟

« العاشق » ليست كتابة وثائقية . انها نسيج للعلاقة مع المستقبل . من هنا ، فهي حلم متوتر ، لكنه حلم لا يطال آفاقه الواقعية . فاللغة تتعقد مخرجة النص من اطاراته الشعبية . وتعقد النص هو الذي يحمل آفاق الارادة التي يذكرنا بها كنفاني . ارادة المستقبل ، اي توظيف هذا الماضي في خدمة المستقبل .

هل تقدر الرواية التي تؤرخ ، ان تنسج نفسها حول بطل شعبي ، وتترك نفسها كي تقفز فوق حدودها الكلاسيكية لتطال المستقبل ؟ كنفاني لم يعطنا جوابا في « العاشق » . بل طرح سؤالا . فالرواية غير المكتملة ، وفي هذه الرؤية هي مجرد سؤال . النسيج حول الماضي ، هو مجرد مشروع واقعي .

لكن « العاشق » من ناحية أخرى مليئة بالبعد الزمني . الزمن الفسيح ، الزمن المترابط حول البطل الشعبي ، حول انتصاراته . انها مقدمة للدخول الى الرواية الواقعية . مقدمة غير مكتملة لام سعد ، ولبرقوق نيسان . وهي من جهة اخرى — تاريخية — تحمل ولعا شديدا بتسجيل البطولة في اطاراتها الشعبية. البطولة التي تنساها الذاكرة العربية المستظلة بايديولوجية الهزيمة والمبشرين بها . فالبطل الشعبي هو من حيث المبدأ ميدان الذاكرة الجماعية الثورية ، في مقابل ذاكرة الابطال الرسميين .

ب — **الاعمى والاطرش** : مع الاعمى والاطرش ننتقل الى مستوى آخر . الى مستوى البطل الواقعي ، المليء بالرموز . فالرواية تتحرك في اطارين :

١ — اطار واقعي شديد الالتصاق بالهموم اليومية، بالمشاكل اليومية ، التي يخرج منها المستوى الرمزي ، « ان الرغيف هو الشيء الوحيد الذي يمكن ان يرى بالاصابع ، تماما مثلما يرى بالعين ». الواقع المليء بالتفاصيل المقنعة . الاعمى والاطرش قبل اللقاء وبعده أمام الولي عبد العاطي ، مع كل الهموم ، ومع الحياة اليومية في مكاتب وكالة الغوث . والناس الذين يموتون والذين يولدون .

٢ — اطار رمزي : يجري فيه انتقاء الرموز بعناية شديدة . أعمى ، لا يرى سوى بيده المليئة بعرق جبهة أمه التي تحمله على ظهرها من ضريح ولي الى ضريح ولي آخر . وأطرش ، كان لا بد ان يكون اطرش حتى تنقذه عاهته من الموت ، وتحيله الى اداة من أدوات الوكالة ، تستعملها لتلقي الشتائم . وولي ، اليه يجري النظر كي ينقذ المحرومين من « عيشة النكد » التي يحيونها . والسنة هي سنة ٦٧ والحرب والمقاومة ومصطفى فدائي « الطاق طاق » وحمدان ووالده .

الرموز الواضحة ، الشفافة ظاهرا ، تعطي انطباعا بسهولة الرواية ، لكنها تعطيها اطارا جديدا . فالواقع — اي الاطار الاول — يتحرك ضمن الرمز — الاطار الثاني — ليخرج من هذه الحركة ارهاص بفعل ما . أو محاولة للتجذر في فعل من مستوى آخر .

عندما يلتقي الاعمى والاطرش أمام ضريح الولي عبدالعاطي ، فان هذا اللقاء يأخذ معنى جديدا : « ووضع كفه على كفي . وخيل الي انها التصقت بي الى الابد . اين يمكن لاصم وأعمى ان يلتقيا

الا عند ضريح عبد العاطي » . هذا اللقاء يؤدي الى فعل آخر . فمن دخان الصلوات ، يتولد الجدل الاجتماعي . فالصلوات هنا هي بديل للفعل، لكنها ارادة تمثل هذا الفعل . من هنا ، عند اللقاء يبدأ التحرك . فيصعد الاعمى على كتفي الاطرش ليلمس وجه عبدالعاطي وليجده فطرا . « انه فطر ، مجرد فطر ، ثم ادركت انه لا يسمع ، فصحت بصوت عال انه فطر ، فطر » . اما جواب الاطرش فكان أكثر حدة : « يسمونه ايضا فقعا وسكت . سأظل كل عمري اضحك على نفسي كلما أتذكر اني جئت اطلب من حبة فقع اذنين اسمع بهما » .

« اثنان من طيرة حيفا ، يلتقيان حول حبة فقع ! أليس ذلك معجزة يا عبد العاطي ؟ » . اثنان من طيرة حيفا ، جمعتهما الفجيعة والتقيا . حول اوهامهما ، كلا ليس حول اوهامهما ، بل حول افيون الجمود الذي أورث الهزائم والبكاء ، هذا الافيون الذي هو جزء من بنية القمع . « قلت لنفسي ها قد صار عند الولي جهاز شرطة » . هذا اللقاء يولد ارادة للفعل . يجب قتل الولي ، يجب ان نبول عليه ، يجب اعادة قتله . لكن ارادة الفعل تأخذ طريقا آخر . فابو قيس يحلم نفسه يخطب وسط جموع اللاجئين ، ويحلم بهم يصيرون جموعا ثائرة تعيد الطنين الى أذنيه . ارادة الفعل تتحرك من الواقع نفسه . من اكتشاف منطق علاقاته الداخلية .

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطا ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته. ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تتكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية الواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيتها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي أعرف ان المعجزة انما تجترح من القاع ، فالمعجزة هي ثمرة الجذور الضاربة في رحم الارض » . اللغة في رواية « الاعمى والاطرش » هي شعر بالغ النقاء . اللغة تنسج نفسها حول رؤيا المستقبل ، لذلك فايقاعها الموسيقي هو مؤشر على الخروج . انها لغة الجذور ، الذي يصفي الحوار فيحيله من مجرد حديث له طابع التأشير في الرواية الى عالم مستقل . عالم يتوالد فيه النقيض ، ويخرج من رحمه علامة جديدة . الحوار ، يتجاوز الواقع الذي يشد مصطفى وحمدان الرواية اليه ، بل يتجاوز الاطار الاول بأسره ، ليصبح نسيجا لواقع اكثر تعقيدا . المطروح هنا ليست فلسطينية كنفاني، انه لا يقودنا الى فلسطين ، بل يقود فلسطين الى مستقبلها ، ينطلق منها ، من اطاراتها الواقعية ليصلنا بالازمة الكبرى التي تعيشها حركة الثورة العربية . فحركة البحث عن آفاقنا ، علاقتنا بالتراث ، مستقبلنا عبر لغة تتجدد وقدرة مذهلة على الانتقال بالصورة الشعرية الى ذروة التوتر هو ما يميز رواية الاعمى والاطرش .

كنفاني في روايته ، يتحرك في اتجاه واحد . انه اتجاه معرفة الواقع ، اضاءته وتجاوزته في آن معا . انها اول رواية غير فلسطينية — بالمعنى المباشر لهذه الكلمات — يكتبها كنفاني . انها رواية عظيمة . لا تنقل الينا ارادة التحول ، بل تطمح اكثر من ذلك ، تطمح ان تنقل الينا عملية التحول في اطاراتها المباشرة المغروسة وسط الرموز المنتقاة بعناية ، والتي تسمح لهذه العملية بأن تأخذ كامل مداها وتصل الى ذروتها .

ج — **برقوق نيسان** : برقوق نيسان هي الاستعادة. القطيعة التي اعلنتها « عائد الى حيفا » عبر تعرية سعيد س. وادانته ، وسحقه واحتقار دموعه ، تستعاد هنا بشكل آخر . ابو القاسم الذي ينكر جثة ابنه الشهيد هو الوجه الاخر لسعيد س. هو وجه الهرب الذي استعاد وعيه في حيفا عبر الضربة الساحقة — هزيمة حزيران — ليستعيد هنا وعيه ثانية عبر وردة البرقوق الحمراء . عبر سعاد وحركيتها النضالية ، التي هي واقع التحرك في اتجاه المقاومة . فاذا بهذا التحرك يحيل ابا القاسم من سعيد س. آخر الى مناضل من نمط جديد .

الرواية تتحرك عبر خطين متوازيين :

١ — خط الواقع : الذي تمثله الهوامش .

فالهوامش هي نمط جديد من التداعي الذي يلجأ اليه كنفاني . لكنه نمط واقعي . فالتداعي هنا يستعيد الواقع ، يرسم خلفيات شخصيات روايته ، يؤطرها ، ويرينا كيف يتحرك المثقفون عبر خطوط هذا الواقع ، كما في شخصية سعاد . او انه يكتفي برسم الاطار الخلفي للشخصيات الذي يضيء حركة الرواية ، ويزودنا بمعرفة خلفية واقعية للذي يجري على سطح الواقع .

٢ ــ خط الحركة : حيث يستحيل الواقع الى سهم متحرك ، حيث السطح هو حركة علاقة الشخصيات ببعضها البعض في اطار التحرك الثوري ، عبر هذين الاطارين يتحرك الشاعر في كنفاني ، فكنفاني هنا هو رجع الصورة الواقعية، هو غطاؤها الفني، حيث هناك حركة ثالثة تتحرك في تجاوز لشخصيات الرواية . انها الشعر ، حين تضيء الهوامش الخلفية الواقعية للرواية ، فاننا ننتقل الى جو مألوف ، ولكن هذه الالفة التي لا تنقطع من خلال جو الحركة لا تلبث ان تنقطع مع الرجع الفني ، الكاتب هنا ، ليس محرك الواقع ، الواقع يتحرك وهو يتدخل في حركته من آن الى آخر ، لكن الكاتب هو صوت مختلف . انه يتلقى هذا الواقع ويعيد صياغته من جديد : « عندما جاء نيسان ، اخذت الارض تتضرج بزهر البرقوق وكأنها بدن رجل شاسع ، مثقب بالرصاص . كان الحزن وكان الفرح المختبيء فيه مثلما تكون الولادة ويكون الالم ، هكذا مات قاسم قبل سنة » . هذا الصوت لا يفرض نفسه على سير الاحداث انه يفرض ايقاعه عليها، يعاملها بالشعر وينفصل عنها دون ان يبتعد .

السياق الذي تجري ضمنه الاحداث ، سياق شديد الواقعية ، فالواقع هو الذي يفرز ارادة تخطيه ، طريق الخلاص الوطني تأتي من الاحداث نفسها . فالرجل الذي انكر جسد ابنه الممزق بالرصاص لا يلبث ان يعي دوره النضالي ويتحرك باسلوب جديد على فهمه القديم . والحركة نفسها ، هي التي تضم العناصر جميعها اليها . عندما تستجوب الرواية الواقع ، فانها تضعه في اطاراتها الخاصة، لا تسقط عليه شيئا . فقط ترسم له اطاره ،وابطال الرواية هم الذين يصنعون حركتها .

كنفاني في « برقوق نيسان » عاشق من نوع خاص جدا . عشقه للارض يدفعها الى الامتداد في داخل لغته ، امتدادا صاخبا . والرصاص ينبت زهرا على جسدها ، والبرقوق يصبح دماء المقاتلين. هذه الحركة الفنية تعطي للقصة عمقا جديدا . انها بحث عن آفاق المقاومة . الصوت الشعري الذي يتردد صداه في تقاطيع الكلمات ، هو في الواقع بحث عن الافق . كنفاني يجعل من الافق بابا مفتوحا ، انه يستعير حادثة جزئية ، يستجوبها في سبيل ان ينهمر عليها شاعرا من نمط مختلف . هذا في رأينا هو الذي يبرر الانتقال من اطار شديد الحساسية الرمزية ، وشديد الانتماء الى عملية البحث عن افق جديد ، الى رواية واقعية ، تتابع في الواقع مسيرته في « ام سعد » وفي « عائد الى حيفا » ولو من زاوية مختلفة . كنفاني يستجمع الحدث الصغير ، يتركه ينمو ويكبر ، ويمتد شاعرا في تقاطيع الكلمات . ان هذا لا يعني فصل الشعر الذي في الرواية عن مضمونها الاجتماعي بالقدر الذي يعني ، البحث عن مستقبل تشقه الكلمة بنفسها وبالصورة الدامية ، كما في هذه الرواية . واذا كان الحدث شديد الصلة بآلية التقدم في حركة مقاومة وطنية ، فان اللغة الشعرية شديدة الصلة هي الاخرى بآفاق هذا التقدم المرتبط بالارض ، وبالدماء التي تشربها هذه الارض وبالارادة التي تتجلى عبر التعامل معها .

في رواياته الثلاث غير المكتملة كحياته ، يعود كنفاني الينا على فرس الكلمات مزودا برؤيا شاعرية شديدة الشفافية ، حاملا معه فلسطين التي تتجاوز نفسها باستمرار . فلسطين الرؤيا هي فلسطين برقوق نيسان الذي يتجمع في القبضة التي تتحفز. كنفاني في خط رواياته يتقدم نحو القدرة على التحرك من ضمن حركة الواقع ، وهو في كل ما كتب ، في كل رموزه ، وصوره الشعرية ، كان يتقدم ليس نحو الواقع ، بل نحو مستقبل هذا الواقع . وهنا تقع اهميته التاريخية .

قدرته على ان يتحول داخل جسد فلسطين ، الى رؤيا غير مكتملة المعالم . تاركا الواقع الذي تصنعه الجماهير ان يكمل هذه الرؤيا وان يحدد معالمها .

الياس خوري

Jean Lartéguy, **Les murailles d'Israël,** préface de Mosché Dayan (Editions Presses Pocket, Paris 1972).

صدر مؤخرا في باريس كتاب « أسوار اسرائيل » لجان لارتيغي ، مع مقدمة لموشي دايان ، وعنوان صغير : « اسرار الجيش الاكثر سرية في العالم ». يقع هذا الكتاب ذو الحجم الصغير في ٣١٧ صفحة، وهو من منشورات دار « برس بوكت » (باريس ١٩٧٢) . ويرمي واضع هذا الكتاب الى ان يحكي حكاية الجيش الاسرائيلي بأسلوب ادبي يجمع بين اشكال التعبير الصحفي (مقابلات عديدة) والتصوير الميداني (زيارات اماكن في الارض المحتلة) وبين النبوءات التاريخية السريعة — التبريرية غالبا . والكاتب يعزل موضوعه عن كل ابعاده الراهنة وعن كل مدارات الصراع في الوطن العربي ، ويحصر تفوق البنية العسكرية الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي ، بالجانب النفساني المتفوق عند الجندي الاسرائيلي . جيش اسرائيل هو سورها وسرها : هذه هي الموضوعة الاساسية التي ينطلق منها الكاتب . ثم يبرهن انه لا يوجد سور ولا سر . اذن كيف يفسر الكاتب ظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبماذا يبرر حروبها المتتالية وما قابلها من هزائم عربية ؟

لا بد من التوضيح ان كتاب « اسوار اسرائيل » يتبع المنطق العام للغزو الاسرائيلي ، والمهم فيه هو انه يحاول كشف مزايا الغزاة ، مع نقد جانبي لبعض مغالطاتهم . ويقارن هذه المزايا ، من وجهة نظر الاسرائيليين ، مع ما يقابلها عند العرب . ينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الاول من ١١ فصلا : كمين على نهر الاردن ، اعراس القدس ، النبي المسلح ، كومندوس نصف الليل ، الجيش المزق ، الميراج ، كوكبة المدرعات ، جنرالات وكولونيلات اسرائيل ، المظليون امام حائط المبكى، صورة الجندي الاسرائيلي . والقسم الثاني يتألف من مقدمة وفصلين : الفلسطينيون ، وعزلة اسرائيل . ونحن سنحاول استعراض نظرة الاسرائيليين الى انفسهم بالذات .

١ — في المقدمة الصغيرة للكتاب ، يشيد دايان بـ « المزايا المعنوية » و « التضحية » التي يتصف بها جنوده ، ويركز على تكيف الجيش مع الاوضاع الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، (مدرعات مظليون ، طيران) . ويحدد مفهوم الدفاع الاسرائيلي بقوله : « ان اسرائيل ، منذ ١٩٤٨ ، لم تقم ابدا بحماية حدودها وراء شبكة من الاسلاك الشائكة او خلق خط من التحصينات . ان الدفاع ... كان وسيبقى الهجوم ، الهجوم على العدو فوق ارضه بالذات » . ومرارا يؤكد دايان مبدأ « الهجوم الدائم » ، ولكنه يشير الى « الهوة بين القيم السائدة في الحياة المدنية وفي الحياة العسكرية » . ويذهب الى القول انه لا يوجد « اي تمييز طبقي » داخل الجيش ، اذ ان الضباط تعلموا ان لا يحاربوا وراء جنودهم ابدا ، بل ان يحاربوا امامهم دائما او قدر الامكان : « هذا هو سر قوة جيشنا » .

٢ — القسم الاول من الكتاب يضعه مؤلفه في حدود ايار ١٩٦٨ ، ويبدأ بالحديث عن كمين نصبته وحدة من المظليين الاسرائيليين للفدائيين على ضفة نهر الاردن . ويأخذ الكاتب برسم مزايا الجيش الاسرائيلي :

— قلة الكلام ، والانشغال الدائم بحل مشكلة « الانتصار الدائم » . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يفسح له المجال ابدا بطرح مشكلات الوعي والوجدان او الضمير .

— الجندي الاسرائيلي يجب ان يعرف كل شيء يتعلق بالاوامر المعطاة له ، ولهذا بات قادرا على الحلول محل الضابط او نائب الضابط .

— الجندي الاسرائيلي يعيش نصف حياته في الحرب الدائمة ، ونصفها الاخر في افلام الكوي — بوي .

— الاسرائيلي يقتل بدون تردد وبكل بساطة وبرودة اعصاب .

— في الكمين الذي ينصبونه للفدائيين يقتلون ويجهزون ايضا على الجرحى — كمين ابادة .

— الجنود الاسرائيليون يفضلون سلاح الكلاشينكوف الهجومي على الرشاش « عوزي » .

— الضباط يسيرون دائما في المقدمة ، ولهذا كانت نسبة الضباط القتلى خلال حرب ١٩٦٧ حوالي ٣٠٪ من مجموع الخسائر الاسرائيلية .

— اذا كان الاسرائيليون يعرفون نقاط مرور الفدائيين ، فان الفدائيين يعرفون بدورهم كمائن المظليين ، واحيانا يلغمونها .

ــ قتل الفلسطينيين هو نوع من **الصيد العادي** في نظر الاسرائيليين . ويعترف الاسرائيليون بأن « الفلسطينيين شجعان ، ولكنهم غير مجربين كفاية، وسلاحهم جيد جداً » .

ــ يطلق الاسرائيليون اسم «فتح» على كل منظمات المقاومة الفلسطينية ويخشون من الفدائيين العاملين بكل وضوح من اجل اهداف واضحة ومحددة : « استعادة ارضهم السليبة بالنضال لا بالكلام ، والتحرر من سحر الكلام الذي يدمر كل الانظمة وكل حركات المقاومة » . ولهذا فان الجنود الاسرائيليين الشباب بدأوا يشعرون بتقدير معين لهؤلاء المقاتلين الفلسطينيين .

ــ الجندي الاسرائيلي فردي جدا ، يشعر بالخطر الداخلي عليه ــ خطر مجتمع الاستهلاك ــ ويعتبر انه لا يحق له ان يخسر معركة واحدة .

ــ الجيش الاسرائيلي عجيب : منضبط وغير منضبط في آن واحد ، يأكل حسب وصايا التوراة ولكن ٨٠٪ من جنوده ملحدون او ضد الدين .

ــ الجندي الاسرائيلي مصاب بـ « عبادة طفولية للاسرار » ، فيرى الجواسيس في كل مكان ، ويعتبر ان اقل نقد له هو دليل على « العداء للسامية » . وفضلا عن ذلك فهو يجمع بين الطاعة المطلقة للاوامر وبين القلق والصلف .

ــ يعتبر الاسرائيليون ان العرب متعطشون للدماية المضخمة ، وهذا مما يجعل العرب لا يؤمنون بشيء ولا يصدقون ما يسمعون .

ــ الجنود الاسرائيليون يبحثون عن القتال التلاحمي، وذلك لاعتقادهم بأن العرب يخافون من القتال المتلاحم ، وانهم يتخيلون كثيرا في الليل خاصة ، فيرون حفنة من الاسرائيليين وكأنها الوف من الاعداء .

ــ الكمين المنصوب للفدائيين لم يقع فيه اي اشتباك ، ويكتفي الكاتب ، كما رأينا ، بابراز مزايا وصفات **المغامر العسكري الاسرائيلي** ، المأخوذ بحلم « اورشليم الذهبية » ، على طريقة الوسترن الاميركي مع الهنود الحمر .

٣ ــ يتحدث الكاتب عن الاستعراض العسكري الاسرائيلي في ايار ١٩٦٨ . يقول : في القدس سبعون الف عربي ، مسيحي ومسلم ، يرفضون الغزو ، ويشبهون يهود اسرائيل بالصليبيين الذين مكثوا قرنا في فلسطين ثم اخرجوا منها .

في الاستعراض انطلقت اغنية حرب الايام الستة ، وهي اغنية اسطورية حالمة :

« اذا نسيتك يا اورشليم ، اورشليم الذهب الخالص .

فليحرق اسمك شفاهي كقبلة الملاك الناري .

يا اورشليم الذهب والنحاس ، والنور ... »

ثم يكشف الكاتب ان حملة الاسرائيليين على مخيم الكرامة كانت الغاية منها تأمين نجاح هذا الاستعراض .

٤ ــ « النبي المسلح » هو دافيد بن غوريون ، لانه لا يريد السلام ، اي سلام . يقول : « ان الصهيونية الوحيدة ، الصحيحة ، هي استعمار فلسطين ، وكل الباقي ما هو الا خداع وثرثرة واضاعة وقت » . لقد كان بن غوريون يدعي « الاشتراكية » واذا بها تمحي امام العنصرية الصهيونية . ولقد علم الاسرائيليين حب التجسس والتكتم وايضا الانقسامات الحزبية والكره الداخلي المتبادل . وهو يشعر دائما بحاجة الى « اذلال خصومه » . ويعتبر بن غوريون ان الحرب الدائمة تنقذ الجيش من ازماته وصراعاته الداخلية ، فهو لا يؤمن ابدا بـ « السلام العربي » ، وعلى هذا ربى تلميذه العسكري موشي دايان وسواه . ولا يوجد في الجيش الاسرائيلي « اوامر » « الى الامام » ، وانما هناك امر واحد : « اتبعوني ». ويسأل الكاتب بن غوريون عما اذا كان على اسرائيل اعادة الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، فيجيبه : « اذا كان علي ان اختار بين السلم والحرية فحسب ، فسوف اختار الحرية واقول انه يجب الاحتفاظ بالاراضي المحتلة. ولكنني اتمسك بالسلم والحرية معا . ولهذا فليس علينا سوى الاحتفاظ بالاراضي المحتلة ، اذ ان الشرق الاوسط في تبدل دائم ، والسلام لا يمكن ان يقوم الا بدعم القوى الكبرى : اوروبا ، روسيا واميركا ... واوروبا وحدها تستطيع ان تقودنا الى السلام ، ولكن اوروبا متحدة » . ويدعي بن غوريون ، فيما يدعي ، بان الاسرائيليين « هم حقا فيتكونغ الشرق الاوسط » ، ولكنه يشير الى ان تاريخ اسرائيل هو **تاريخ عسكري** ، وان «الاسرائيليين ليسوا رحيمين مع اعدائهم المقهورين» و « الجيش لن يسقط ابدا » .

٥ — وينتقل الكاتب الفرنسي ، جان لارتيغي الى سرد حكاية الجيش الذي يريده الاسرائيليون « اسطورة الاساطير » ، فهو كما يصفونه عجيب في كل شيء ، فريد من نوعه في العالم . ولكنهم لا يستطيعون ان يصدقوا ذلك دائما . وهذه ستكون نقطة ضعفهم في النهاية . لقد بداوا بتجربة مستوطنات « ابناء الموت » ، « واثبتوا عدم تضامنهم فيما بينهم » ، فكان شعارهم ، بعد ظهور منظمة الحرس السري « الهاشومير » : « لقد سقطت يهودا في الدم والنار ، وستنهض يهودا في الدم والنار » . ثم اقاموا « مستوطنات زراعية » و « مستوطنات عسكرية » ، ومارسوا «المقاومة» الداخلية والخارجية ، ومع الانكليز انشأوا « منظمة الدفاع اليهودية » التي وصفوها بانها « سوداء — بيضاء » اي قادرة على التقلب حسب الاوضاع السياسية ، ومارسوا كل الوان القتل والحرق والتعذيب والسلب والاحتلال ، وتجسسوا في كل مكان ، وكونوا مع الانكليز ايضا « البوليس الريفي » ، ولكنهم انتهوا حيث بدأوا : الغزو الدائم ، الحرب الدائمة . لقد اصبح « الارهاب الاعمى هو الحل الوحيد المناسب لوجودهم ... ». ومع ذلك ففي اذار ١٩٤٨ خسر اليهود معركة الطرقات في كل فلسطين ، والذي انقذهم هو عدم التصميم العربي على القتال واسترسالهم في خلافاتهم الذاتية . العرب الذين اوقفوا القتال ارتكبوا خطا مميتا ، سيتكرر مرارا ، وسينقذ اسرائيل . ولكن ذات يوم قد لا يرتكب العرب هذا الخطأ . لقد عاد العرب الى حرب العصابات ، ولكن الامور تبدلت : فالهجوم اصبح استفزازا يجر اسرائيل الى حرب انتقامية . في حرب ١٩٤٨، قاتل الفلسطينيون بحزم ، وخسر اليهود ستة الاف قتيل ، وفي حملة ١٩٥٦ خسروا ٢٠٠ قتيل خلال عشرة ايام ، وفي ١٩٦٧ خسروا ٨٠٠ قتيل خلال ستة ايام . وهذا يعني ان الحرب الطويلة هي الخطيرة فعلا على اسرائيل .

٦ — الجيش الاسرائيلي ، « اسطورة الاساطير »، له ازماته الخطيرة ، التي يستعرضها الكاتب بالتحديد : ازمة ١٩٤٨/٥/٣ عندما قام بن غوريون بابعاد اسرائيل غاليلي ، وكانت هذه الازمة الاولى ازمة قيادة وسلطة . ثم الازمة الثانية وهي اخطر من الاولى ، اذ قام جنود اسرائيليون باطلاق النار على بعضهم بعضا ، عندما اندلع الصراع بين الهاغانا والايرغون والشترن ، فسقط اربعون قتيلا ، واخذت الاذاعة المصرية تتهم بن غوريون بالجبن والحماقة والديكتاتورية ، وكان وراء هذا الصراع بيجن وعصابة الايرغون .

اما الازمة الثالثة فكانت في ايار ١٩٦٧ ، قبيل الحرب بالضبط . وهذا ما يؤكده الجنرال رابين : « لا اعتقد انه كان بالامكان وقوع انقلاب عسكري في اسرائيل ، ولكننا كنا قريبين جدا من وقوعه » . وانهار الجنرال رابين عصبيا ، وعاشت اسرائيل اسبوعا من الشعور بالنكبة ومن اليأس ، وتقررت الحرب ضد العرب لانهاء ازمة الجيش الاسرائيلي الذي لا يزال يتصرف وكأنه وحدة من الكومندوس. يقول جان لارتيغي (ص ٩٩) : « في تموز — يوليو — ١٩٦٨ قام الكولونيل ريغيف ، قائد كتيبة المظليين (ورتبة كولونيل توازي في فرنسا رتبة جنرال بنجمتين) ، بنفسه وعلى رأس بضعة رجال ، بمطاردة مجموعة فدائية فلسطينية اقدمت على اجتياز نهر الاردن. ويبلغ ريغيف سن الخامسة والثلاثين ، ويعتبر واحدا من افضل الاختصاصيين في مكافحة حرب العصابات ، فقتل في معركة التحام مع رجال فتح . واعترضت الحكومة الاسرائيلية وتساءلت اذا كان من الضرورة المطلقة تعريض كبار الضباط للنيران مثلما يتعرض لها الجنود العاديون ... » . ونعتقد ان في هذا القول ما يدحض نظرة الاسرائيليين القائلة بخوف العرب من القتال المتلاحم وفي الليل .

٧ — يقول لارتيغي ان السلاح الفعال في الجيش الاسرائيلي ليس الطيران ولا المدرعات وانما المخابرات التي تضم « رسميا » خمسة اجهزة متميزة : مخابرات الموساد العاملة في الخارج والمرتبطة برئاسة الحكومة ، المخابرات العسكرية او المكتب الثاني : جهاز الامن الداخلي والجاسوسية المضادة ، جهاز الابحاث والوثائق (الخارجية) ومهمته درس الوضع السياسي في البلدان العربية المجاورة ، واخيرا جهاز الاستقصاءات . ويقود هذه الاجهزة معا مسؤول ايسر هاريل ، ثم ياريف . وهنا ايضا اسطورة وتضخيم ، ولكن لا شك في ان المخابرات الاسرائيلية تلعب دورا خطيرا وتستند الى المخابرات الغربية. اسطورة لان الاسرائيليين يدعون معرفة كل شيء عن العرب ، والعرب بدورهم لا يعرفون شيئا ، وتضخيم لأن محدودية عملائهم تجعل من المستحيل التصديق بأن كل الوضع العربي مكشوف لاسرائيل.

صحيح ان الاسرائيليين يستفيدون كثيرا من اخطاء العرب العسكرية والسياسية ، ولكن هذا لا يعني انهم بدورهم بدون اخطاء قاتلة ، لا يستفيد منهـا العرب في نضالهم . ان ياريف يعترف بما يلي : « ان الحرب مضنية ولهذا فاننا لا نترك الجنرالات يهرمون في مناصبهـم ... ومـن ثم فوضعنا غير ميؤوس منه بعد ، ومن واجبنـا ان نجني مـن انتصارنا الحد الاقصى من المكاسب الستراتيجية ... ومن جهة ثانية فان العرب لن يبدلوا علـى الفور موقفهم وسلوكهم ... ففي الاراضي المحتلة نرى زيادة السكان العرب مليونا ومائة وعشرين الفا ، وعندها تثار مشكلة التخريب . واعتقد اننا سنواجه متاعب من هذه الجهة بالذات ، وانهـا لمتاعب خطيرة » . « ان السكان العرب لا يحبون الاسرائيليين » وهم يشعرون بانهم مرغمون علـى القتال وعلى مساعدة مقاتليهم . يقول لارتيغي : في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، عندما رجعت الى اسرائيل ، كان الجنرال ياريف ومخابراتـه يتعرضون لمتاعب خطيرة . الم يكونوا قد قللوا كثيرا من تقديرهم للعرب ؟ ويشير لارتيغي الى محاولات المخابـرات الاسرائيلية الرامية الى التغلغـل في اوساط الاقليات داخل البلدان العربية .

٨ — وينتقل الى قضية طائرات الميراج المعلقة بين فرنسا الديغولية وبين اسرائيل ، ملمحا الى ان « العقيدة الاسرائيلية قائمة بجملها على الهجوم والحرب الخاطفة ، وان تعبئة ١٢٪ من السكان الشباب والعاملين تشل اسرائيل ، فضلا عن ان الجنود الاسرائيليين المبالغ في تدريبهم واعدادهـم للحرب **لا يستطيعون ان يصمدوا اكثر من شهر ، بدون ان يتعرضوا للانهيار** ، ولا يجوز لهـم ان يخوضوا حربا في مواقعهم ، وانما حربهم في مواقع الاخرين . اذن جيش اسرائيـل هو قوة صدامية قادرة على التدخل البالغ السرعة والبالغ الوحشية في اراضي العدو . ولكن هذا الجيش لا يمكنه ان يكون فعالا الا اذا كانت السماء خالية من الطائرات المعادية » .

ان الاخطاء والنواقص موجودة عند الاسرائيليـين والعرب ، ولكن هؤلاء الاخـيرين لا يستفيدون الا نادرا من اخطاء الاوائل . يقول لارتيغي : « حقا اي بلد غريب هي اسرائيل حيث يخفون عليكـم مفتاح حقل العمليـات كما لو انه سلاح سري ، وحيث ينشر قائد السلاح الجوي في جريدة واسعة الانتشار كل اسرار الاستراتيجية الجوية في بلده ». ان « الدفاع » الوحيد لاسرائيل هو بالطبع سلاحها الجوي ، والسماء هي ميدانها المفتوح الوحيد : « الارتفاع والافق هما عمقنا الاستراتيجي » — هذا ما يقوله الجنرال وايزمان .

ويوضح لارتيغي ان طائرات اسرائيل مزودة دائما بالقنابل والنابالم ، وان الطيارين في شركة العال كلهم ضباط في الجيش ، ومعظمهم من الكيبوتسات (٣٥٪ من طياري اسرائيـل) . وبخجل يفضح لارتيغي مزاعم محـدثيه الاسرائيليين : « اصغوا جيدا : طوال حرب الايام الستة في المعركة الجوية لم تتمكن اية طـائرة معادية من اسقاط طـائرة اسرائيلية واحدة . فكـل معاركنا الجوية كانـت معارك مطاردة . ولم تجابهنا ابدا اية طائرة ، حتى الميغ ٢١ . لقد ضربناهـا من خلف . (هذا غير صحيح) . لقد سقطت طائرات اسرائيلية في المعركة الجوية : ثلاث طائرات بالضبط » (ص ١٥٤) . ويكشف كيف انتقل طيارو شركة العال الى طائرات حربية واشتركوا في القتال سنة ١٩٦٧ ، ويشدد على ان انتصار الطيارين الاسرائيليين كان بالدرجة الاولى بسبب اخطاء الطيارين العرب ، وثانيـا بسبب التدريب الجيد ، وثالثا بسبب « الخـوف المقدس » الذي بذروه في قلوب العرب .

٩ — يتبين من كل ما تقدم ان الجيش الاسرائيلي هو **جيش غزو دائم** ، ولا يمكنه في حرب الحركة الا ان يحارب في اراضي العرب الاخرى . ويتسـاءل كيف يعمل السلاح الاسرائيلي المدرع ؟ اولا : وفقا للسيطرة المطلقة على الجو ، وثانيا بالافادة مـن خطوط دفاع العرب غير المتصلة . ويعترف لارتيغي ان المدرعات المصرية في سيناء قاومت في كل مكان، ولكن الطيران الاسرائيلي والمظليين ضربوها مـن خلف ، وان المظليين الاسرائيليين تكبدوا خسائـر فادحـة (اكثر مـن ٥٠٪) ، ويعتـرف بـان « الفلسطينيين قاتلوا ببسالة في غزة » (ص ١٧٣). وبعد ذلك يتحدث ، باسلوب دعائي صريح ، عن جنرالات اسرائيل وكولونيلاتها . والاسرائيليـون هؤلاء يطيب لهم تأكيد اللازمة الدائمة : « ولكـن انتصارنا لا يعود الى العتاد ولا الى التكتيكـات ولا الى القـادة الذين يستخدمونهـا او الـذين وضعوها ، وانما يعود الى الجندي الاسرائيلي... المطبوع قبل كل شيء بتدريبه المظلي » (ص ١٩٤).

١٠ — فمن هـم هؤلاء المظليون ؟ انهـم يعتبرون

« الحرب عملية كومندوس واسعة تشمل ابعاد الحرب الكلاسيكية » . اذن المظليون هم الكومندوس الذي « يضرب بسرعة وبقوة » . « من الكتيبة الى الفرع ، تعمل كل وحدات الجيش الاسرائيلي وفقا لاسلوب الكومندوس ولروحيتهم » اسلوبهم : مفاجأة ، ضرب ، اختفاء . « جنودنا يظهرون هناك حيث لا ينتظر احد ظهورهم ، ولا يتوقفون ابدا ، بل يتوغلون دائما نحو الهدف المنشود . **وهذا الهدف هو دائما تدمير جيش عدو** » . المظلي هو الفدائي بالضرورة ، يتدرب ليلا ، ينام قليلا ، ويحمل ما خف وقل . يقول الجنرال اوزي ناركيس : « اقدر بشهرين امكانية المقاومة في المعركة التي يمكن الجندي الاسرائيلي الطليعي الصمود فيها . اذن نحن مرغمون على شن الحروب السريعة . والحرب الاخيرة استمرت ستة ايام » . هذا درس كبير للعرب . تعاليمهم هي : « العربي يخاف من الليل ، فكونوا جنود الليل . العربي يخاف من الالتحام والسكين : فقاتلوا بالسكين وبالالتحام . والذي يخيف الاخر يكسب اذا استفاد من نقائصه » . ولتدريب المظليين غايتان : الاولى تزويدهم بالقدرة القتالية وهذا امر سهل ، والثانية اثارة رغبة حقيقية في القتل عندهم .

١١ — يرسم الكاتب صورة غريبة وعجيبة للجندي الاسرائيلي ، على مثال الجيش الاسرائيلي الذي « لا يميز الضابط عن الجندي » . ويذهب ابعد من ذلك مدعيا ان اسرائيل بلد بدون طبقات ، وجيشها بدون طبقات (ص ٢٣٢) . ثم يتحدث عن تعبئة الفتيات للقتال بين ١٨ و ٢٠ سنة لمدة ٢٠ شهرا ، ويذكر انه مما يسهل ذلك هو « المدرسة المختلطة في كل الاعمار » . وتبلغ نسبة النساء في الجيش الاسرائيلي العامل ٣٥٪ . ويوضح ان الخدمة العسكرية النسائية تلعب دورا تربويا كبيرا ، وان جيش النساء خاضع للنساء (العقيدة ستللا ليفي). واما الوحدة العسكرية الاسرائيلية فهي تضم العناصر الذكية والاقل ذكاء ، القوية والضعيفة ، الجديدة والقديمة . وينقل لارتيغي المبادىء الاساسية للتكتيك الاسرائيلي عن الجنرال مارشال في كتابه Sinai Victory ، وهي :

« — القيادة تعني الانتقال الى درجة الخطر الاعظم ،

— لا عذر لمن يبقى متأخرا ،

— عندما لا تتلقى اي امر ، تصور الامر الممكن ،

— في حالة الشك اضرب . اقرب طريق الى الامن هي طريق الهضبة المعادية ،

— لا تهاجم مجابهة ، فهناك عادة طريق افضل ،

— اذا هاجمت مجابهة ، فليكن هدفك محصورا ،

— عندما تكون القوات مستنفدة ، توقف ، ودعها للراحة ،

— لا تؤخر القتال بسبب الافتقار للتموينات ، تصرف وكأنها في طريقها اليك ،

— عندما تسلط النيران عليك ، الحركة افضل من الارتماء ارضا ،

— وعندما تهاجم ، تشجع ، تجاسر ، تجاسر . هذا هو تكتيك الكومندوس الذي لا قيمة له بدون نوعية الانسان وعزمه » .

١٢ — ومع ذلك فاسرائيل تعاني العزلة ، ويواجهها الخطر الفلسطيني ، الذي تحاول حله بواسطة الزمن و « التنازلات » والابادة . ويعتبر الاسرائيليون « ان الفلسطينيين ، بدون ارض ، هم عنصر من العناصر الاكثر ديناميكية وانفتاحا في العالم العربي » . واليوم يعيش مليون ونصف مليون فلسطيني داخل « اسرائيل الكبرى » مقابل ٢٢٠٠٠٠٠ يهودي . « ولقد تكبد جيش اسرائيل سنة ١٩٦٩ خسارة بالارواح بلغت يوميا ثلاثة قتلى ، وهذه خسارة باهظة جدا على اسرائيل ، باهظة اكثر من حملة سيناء وحرب الايام الستة » (ص ٢٧١) ، « وفي المقابل لم تتمكن اسرائيل من القضاء على المقاومة الفلسطينية ، بل ان المقاومة لم تزدد الا توطيدا . واذا كان هناك فشل اسرائيلي ، فهو هذا بالذات » (ص ١٧٦) . واما عزلة اسرائيل فهي دائمة . لماذا ؟ « لان اسرائيل لكي تعيش يا سيدي تحتاج الى الحرب اكثر مما تحتاج الى السلم » — هذا ما قاله شمعون بيريز لجان لارتيغي (ص ٣١٥) . ويختم لارتيغي «ولكن الحرب ضرورية للعرب ايضا . فهذه الحرب ضد اسرائيل هي بالنسبة الى العرب الوسيلة الوحيدة لقيام نقطة مشتركة بينهم ، ولاعطاء معنى ملموس للقومية العربية هذه التي اصبحت على كل شفة ولسان » (ص ٣١٦) . وهذا الكتاب يبقى له قيمة تعريفنا بالعدو الاسرائيلي .

الدكتور خليل احمد خليل

Khalid Kishtainy, **The New Statesman and the Middle East**,
(Palestine Research Center, Beirut, November 1972).

لماذا يخصص كاتب قدير مثل الاستاذ القشطيني دراسة كاملة في كتاب كالذي نحن بصدد مراجعته يعالج تغطية مجلة بريطانية واحدة لقضية فلسطين خلال فترة نصف قرن من الزمن ؟ والواقع ان هذا السؤال يتبادر الى الاذهان بمجرد رؤية عنوان الكتاب : **النيوستايتسمان والشرق الاوسط** . الا ان هذا السؤال نفسه يبقى معلقا في الاذهان حتى بعد الانتهاء من قراءة الكتاب . لا يبدو ان الهدف الرئيسي ارتكز على تقديم عرض تاريخي شامل لتطور مواقف المجلة حول القضية . فالدراسة اقتصرت على ايراد مواقف المجلة من عدد محدود نسبيا من الاحداث التي اختيرت ، على ما يبدو ، لاظهار توجهات المجلة عامة ازاء القضية . ولا يسع القارىء الا ان يحس ان الاستنتاج الذي توصل اليه المؤلف في صدد توجهات المجلة حول القضية بالذات ، وهو ان المجلة كانت تحبذ الصهيونية باستمرار طوال الفترة المعنية ، كان استنتاجا متوقعا مسبقا . الا ان المؤلف لم يطرح استنتاجه على شكله البسيط هذا ، بل اورده ضمن اطروحة تقول — ليس دائما مباشرة بل احيانا ضمنيا — ان المجلة عرفت بمعارضتها للوراثة الاستعمارية البريطانية ولكنها لم تلتزم بمبدئها هذا في حالة واحدة : مسالة فلسطين .

ان تدعيم مثل هذه الاطروحة يتطلب معالجة مواقف المجلة من احداث شهدتها بلدان افريقية — آسيوية أخرى ، ومقارنتها مع موقفها ازاء القضية الفلسطينية . ولكن باستثناء بضع ملاحظات عابرة ومبعثرة في متن الكتاب عن موقف المجلة من بعض شؤون مصر والعراق خلال الخمسينات ، فان المؤلف لم يتطرق الى موقف المجلة من احداث اي من البلدان الافريقية والاسيوية بالتحديد . وحتى بالنسبة لمصر والعراق ، لم يثبت المؤلف ان المجلة رفعت مبدأ معارضة « الوراثة الاستعمارية البريطانية » الذي تكلم عنه . فقد اخبرنا المؤلف ان المجلة عارضت حلف بغداد (ص ٨) ، الا انه لم يخبرنا من اي موقف جاءت معارضتها له ، سوى قوله (ص ٧٨) انها تهجمت على حلف بغداد مثلما تهجمت على « تفكير بريطانيه الآمل بارضاء العرب على حساب اسرائيل » . اما بشأن مصر ، فقد قال المؤلف (ص ٧٩ — ٨٠) « ان الانظمة الاكثر تقدمية ، وخاصة مصر ، حظيت ببركة المجلة » . الا ان ما اورده من اقوال المجلة بهذا الصدد اظهر ان المجلة لم تعط بركتها للنظام المصري (الناصري آنذاك) ، بل كانت مترددة بشأنه كما عبرت عن تخوفها من « ديكتاتورية (ناصر) وتهديداته ضد اسرائيل » . كما اخبرنا المؤلف ان المجلة دعت الى انسحاب بريطانيه (من مصر ؟ ص ٨٠) وان دعوتها هذه جاءت انطلاقا من « مبادئها الاشتراكية » ، الا انه اخبرنا انها دعت ايضا الى « الحفاظ على النفط » . وقد اخبرنا المؤلف ان المجلة ايدت حق عبدالناصر في تأميم قناة السويس ولكنها عارضت حقه في منع الملاحة الاسرائيلية فيها . ويقول المؤلف ان مواقف المجلة (المتناقضة هذه ؟) جعلتها محط انظار « المثقفين العرب » الى ان ادى موقفها من فلسطين والصهيونية الى « افتراق الطرق » بين المجلة و« العالم العربي »، حين اتضح ، على حد قول المؤلف (ص ٩٠) ، « ان المجلة ايدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين » . الا ان المؤلف لم يجد اي ضرورة لتحديد من هم هؤلاء « المفكرون العرب » ، كما انه لم يخبرنا متى تم « افتراق الطرق » !

قدم المؤلف عرضه لموقف المجلة من المسألة الفلسطينية بداية بالحرب العالمية الاولى واظهر انها دعت الى تأييد الصهيونية طوال الفترة منذ ذلك الحين : فقد نشرت المجلة مقالة مديح للصهيونية واعمالها في فلسطين عند بداية الحرب. وفي عام ١٩١٧ رحبت المجلة بوعد بلفور ووصفته بأنه خطوة سياسية بارعة . وبعد انتفاضة ١٩٢١ العربية نشرت المجلة مقالات زعمت فيها ان العرب يستفيدون من المشروع الصهيوني كما عبر محرر الصحيفة عن رأيه بأن مخاوف الفلسطينيين « لا أساس لها » . وبعد انتفاضة عام ١٩٢٩ نشرت المجلة مقالات تهجمت فيها على الكتاب الابيض (باسفيلد — ١٩٣٠) الذي اخذ حقوق الشعب الفلسطيني بعين الاعتبار . واقترحت المجلة فيما اقترحت آنذاك ان يتم نقل الفلسطينيين العرب الى شرقي الاردن . وفي عام ١٩٣٦ عارضت المجلة المشروع المقترح لاقامة مجلس تشريعي في فلسطين وزعمت ان مثل هذا المجلس من شأنه ان يؤدي الى النزاع بين اليهود والعرب لانه يعطي اغلبية

في عضويته للعرب . واقترحت المجلة « اقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين » آنذاك ، قبل بضعة اشهر من صدور تقرير لجنة بيل الذي اقترح تقسيم فلسطين. وبعد عام ١٩٣٩ ساهمت المجلة في الحملة التي اطلقها الصهيونيون ومؤيدوهم ضد الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ والذي حدد اعداد المهاجرين اليهود الذين سيسمح بقدومهم الى فلسطين . وفي تموز — يوليو ١٩٤٧ دعت المجلة الى تحقيق تقسيم فلسطين « اما لا قانونيا بقوة الهاغانا اليهودية او قانونيا بموافقة وتأييد المجموعة الدولية » . وباندلاع الحرب بعد ذلك في فلسطين ايدت المجلة الهاغانا واعمالها لدرجة انها رحبت بجلاء الفلسطينيين عن الاراضي التي سيطرت عليها الهاغانا ووصفت هذا الجلاء على انه « أحد انتصارات اسرائيل » . وقبيل عدوان السويس عام ١٩٥٦ نشرت المجلة مقالة جاء فيها « ان اسرائيل قد تضطر الى التحرك طالما ان العرب يرفضون توقيع اتفاقية سلام ، و(يرفضون) توطين اللاجئين في اراضيهم ، و(يرفضون) وضع حد للتسلل ضد اسرائيل » . وفي عام ١٩٦٧ أيدت المجلة العدوان تأييدا تاما ووصفته بأنه حرب وقائية.

عالج المؤلف تاريخ موقف المجلة من قضية فلسطين بقدر كبير من التفصيل في الفصول المتتالية التي تشكلت منها الدراسة وأظهر مدى عدائها التاريخي لحقوق شعب فلسطين . الا ان معالجته للظروف التي جعلت المجلة « تحبذ » الصهيونية لم تكن وافية . فالاطروحة التي أوردها بهذا الصدد هي كلاسيكية الى حد بعيد وهي تقول ان المجلة كانت تجهل وقائع الامور في فلسطين ، فوقعت تحت تأثير الصهيونيين في ظروف انعدام التأثير العربي المماثل. الا ان هذه الاطروحة لا تفسر لماذا لم تعبأ المجلة بآراء اللاصهيونيين من اليهود الذين أقاموا في بريطانيه وناهضوا الصهيونية بشدة . وعلى ذلك ، فقد تجنب المؤلف معالجة التوجهات الاساسية للمجلة التي جعلتها قابلة للوقوع تحت تأثير الصهيونيين دون غيرهم منذ البداية . ونذكر مثالا لتوضيح هذه المسألة : ان المقالة الاولى التي وجدها المؤلف حول الموضوع في المجلة صدرت عام ١٩١٤ وكانت بقلم الصهيوني المعروف البرت هايمسون ودعت الى تأييد الصهيونية وبرنامجها الداعي الى تهجير يهود بولنده بشكل خاص الى فلسطين . كما اننا نعلم ان اعلان بلفور الذي رحبت به المجلة صدر علنيا بعيد الثورة البولشفية التي كان من شأنها ان تؤثر على أوضاع اليهود في بولنده التي كانت جزءا من روسيه القيصرية . وقد أكد المؤلف بصدد تأييد المجلة لوعد بلفور ان محرريها لم يكونوا على معرفة بحقائق الامور في فلسطين . الا انه لم يتطرق الى ما اذا كان المحررون على اطلاع بأوضاع اليهود في شرقي أوروبه الذين يبدو أنهم كانوا الهدف الرئيسي لمشروع التهجير ولم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من موضوع هجرة هؤلاء (يهود بولنده) تجاه الغرب . كما لم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من الثورة البولشفية . وعلى ذلك ، فلم يعالج المؤلف ما اذا كانت نظرة المجلة نحو وضع اليهود في أوروبه ، وأوروبه الشرقية بشكل خاص ، هي التي جعلتها تفتح صفحاتها للصهيونيين . وهناك مثال آخر على هذا النقص في الدراسة : فقد تكلم المؤلف في الفصل الخامس عن اعداد الهجرة اليهودية الهائلة التي شهدتها فلسطين خلال الثلاثينات وقال المؤلف « ان هتلر كان سبب ذلك كله » . الا انه لم يتطرق بأي شكل من الاشكال الى موقف المجلة من الحزب النازي الالماني قبل اعتلائه السلطة وبعد ذلك ، كما انه لم يذكر شيئا عن موقف المجلة من قانون الجنسية النازي الذي نزع حق المواطنية عن اليهود منذ عام ١٩٣٥ . وعلى ذلك فالتساؤل يبقى لدينا : ان المؤلف اظهر لنا موقف المجلة من فلسطين . الا انه لم يظهر لنا شيئا عن موقفها من اليهود في أوروبه — هذا الموقف الذي لا بد وان يكون له أثر على موقفها من فلسطين .

عند نهاية الكتاب قال المؤلف (ص ١١٨) ان موقف المجلة المؤيد للصهيونية يشكل « مثالا خطيرا على جهلها بحقائق الامور وعلى فشلها في حمل رسالة مؤسسيها، رسالة الاممية والاشتراكية والعلمية». لكن المؤلف لم يقل لنا سوى القليل عن مؤسسي المجلة : انهم كانوا بمعظمهم مرتبطين « بطريقة او أخرى» بالجمعية الفابية (Fabian Society)، وانهم كانوا « زمرة من الاصلاحيين الاجتماعيين » ، وانهم كانوا « يلتزمون بالاشتراكية التدريجية وليس الاشتراكية الثورية » . ولكنه لم يعالج المحتوى الايديولوجي لعقائد هذه المجلة (والجمعية) حول الامور الاجتماعية ولم يورد ولا فقرة واحدة تعبر عن آراء المجلة في هذا الصدد ، كما انه لم يطلع القارىء على موقف المجلة من النضالات الاجتماعية المختلفة التي شهدتها بريطانيه ، وأوروبه عامة ، منذ انشاء المجلة عام ١٨٨٢ حتى الان . وعلى ذلك

فقد جاء قوله باشتراكية المجلة عابرا وعاما دون توضيح ودون تدعيم وثائقي . ويقول لنا المؤلف ان رئيس التحرير الاول للمجلة ــ الذي شغل المنصب حتى عام ١٩٣١ ــ كان « ملتزمــا بمنع الفقر » (ص ١٠) . اما عن رئيس التحرير الثاني الذي شغل المنصب منذ ذلك الحين حتى أواخر الستينات، فيقول لنا المؤلف انه اختير للمنصب « رغم عدم وجود اي علاقة سابقة له بالحركة الاشتراكيـــة ككل » ، وانه اعتبر « فابيــا Fabian تماما في أسلوبه ، يتخوف من أثر الدعاية الشيوعية على حزب العمال » (ص ٤١) . وبنــاء على هذه الادلة ، فلا يمكن ان يقتنع القارىء بأن المجلة كانت اشتراكية وأيدت الصهيونية ووعــد بلفور نظرا لجهلها بوقائع الامور ، خاصة وان اسم المجلة بحد ذاته ، « السياسي الجديد » ، كان قد جاء ، كما يخبرنا المؤلف ، بناء على اقتراح آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور !

بناء على ما ورد في الكتاب (وعلى ما لم يرد فيه)، لا يمكن أن يتوقع من القارىء مجاراة المؤلف في قوله ان المجلة كانت اشتراكية معادية للاستعمار ، ايدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين . فهذه الاطروحة لو صحت لكان على المؤلف ان يدعمها باشارات محددة الى مواقف المجلة من شؤون عدد من الاحداث في البلدان المختلفة . ولعل السبب الذي دعا الى هذه الاطروحة هو ان المؤلف أورد طرحه للموضوع على صيغة عتاب ، شخصي الطابع الى حد بعيد ، أرسله الى المجلة التي سبق وكان له اهتمام بها . وأسلوب المعاتبة تطلب من المؤلف الصــاق صفات بالمجلــة (صفات الاشتراكيـــة وتحبيــذ العدالة الــى جــانب صفات اخرى) لا يبدو انها تستحقهــا . كما ان هــذا الاسلوب استدرجه الى جدال ايديولوجي مبهم جعله يطلق عبارات غامضة عديدة في متن الكتاب ، مثل قوله ص ١٦ ان موقف المجلة من المسألة الاستعمارية كان يتطابق مع موقف لينين منها بعد تدومه الى السلطة ، وقوله ص ١٧ ان الشخصية الاشتراكية للمجلة انعكست ، بين الامور ، في « النظرة الباردة الى الاحصاءات والمصالــح البريطانية » وهــذه العبارات أساءت الى معنى الاشتراكية . لقد رفض المؤلف مزاعم الاشتراكية الصهيونيـــة دون تردد (ولو بغموض) في كتابــه ، لكن فهمه لمزاعــم اشتراكية المجلة لم يكن سوى تعبير عن التردد .

لا ندري ان كان المؤلف يعتقد ان هذا الاسلوب المعاتب سيكون له اثره لدى المعنيين من العاملين في المجلة ومن قرائها وخاصة في اوساط حزب العمال البريطاني التي تمثل وجهة نظره الى حد بعيد . ولكن بالنسبة للقارىء العام الذي لا علاقة محددة له بالمجلة ، فان الاسلوب الذي اتبعه المؤلف ، على اعتذاريته ، لم يكن افضل السبل لتقديــم قضية فلسطين . فالقضية الفلسطينية هي قضية حقة بشكل يجعل اي طرح واضح لهــا مفيدا اعلاميا . من هنا فائدة الدراسة الحالية التــي تضمنت عرضا هاما ومفيدا لمواقف مجلة بريطانيـــة ذات اثر في الاوساط البريطانية العامة . كمــا تضمنت الدراسة نقدا قيما لهذه المواقف . ولا شك ان هذه الفائدة كان من شأنها ان تكون افضل لو اكتفى المؤلف بالطرح الوثائقي لمواقف المجلة والنقد الموضوعي لهــا دون الاطروحة الغامضة التــي تضمنتها ودون الاسلوب الاعتذاري التبريري الذي انعكس في الكلام عن اشتراكيتها ومثاليتها وما قابله من كلام عن جهلها بحقائق الامور . ولكن على اي حال ، فان هذه الدراسة لم تكن بمستوى القدرة على البحث الذي يتمتع به المؤلف والذي اظهره في دراساته السابقة وخاصة في دراسته ، **عمران فلسطين** ، التي صدرت عن مركز الابحاث عــام ١٩٧١ .

أ . ن . سعد

تقارير اعلامية

الاسبرانتو والاعلام العربي

يرجع اول عهدي بلغة الاسبرانتو الدولية الى يوم من اواخر ايام سنة ١٩٦١ عندما كنت اجتاز الحدود الايطالية بالقطار الى النمسا . وعندما جاء قاطع التذاكر النمساوي دخلت معه في جدل حول مفعول بطاقتي الايطالية التي كانت تخولني السفر بالقطار لمدة شهر كامل . وكان موضوع النقاش هل ان تلك البطاقة كانت تصلح للركوب لمدة شهر داخل القطارات الايطالية ام داخل حدود ايطاليا نفسها. ولما احتد اللغط بيننا اخذت اخلط معه كلمات ايطالية باخرى المانية . وهنا تدخلت سيدة نمساوية كانت جالسة في المقعد المجاور فاقترحت حل النزاع بان تتبرع هي بفرق الاجرة — مما دعاني الى ان أمد يدي الى جيبي حالا وادفع لقاطع التذاكر فانحل بيننا النزاع . وكانت هذه مناسبة للتحدث مع تلك السيدة التي قالت لي فيما بعد انني كنت اتكلم مع قاطع التذاكر مزيجا لغويا يشبه «الاسبرانتو». ولما سألتها ما الاسبرانتو لم تكن تعرف عنها سوى انها **اللغة الدولية** وانها صادف ان سمعتها مرة مع صديقتها في احد النوادي .

وبعدها لم تبرح من بالي كلمة « لغة دولية » ولا الفكرة التي اثارتها في ذهني تلك الكلمة خاصة بعد تلك المشادهة مع قاطع التذاكر التي كان سببها الاول هي **المشكلة اللغوية** . وفي ربيع ١٩٦٦ صادف ان لمحت في احدى مكتبات بغداد كتابا بالانكليزية لتعليم الاسبرانتو فرجعت بي الذاكرة الى ذلك الحادث ، وبعد عدة ايام وجدتني اكتب رسالة باللغة الدولية الى عنوان تلك السيدة النمساوية وجاءني جواب بالاسبرانتو من سكان العنوان الجدد ان تلك السيدة كانت قد هاجرت قبل سنين الى استراليا وان احد معارفهم الاسبرانتويين قد حرر لي الرسالة . وهكذا تحققت لي كلمة عابرة كنت قد سمعتها قبل ذلك بخمس سنين .. لقد الف الطبيب البولوني زامنهوف لغة الاسبرانتو واخرجها على الملأ في سنة ١٨٨٧ . وكانت الاسبرانتو في الواقع واحدة من محاولات عديدة مماثلة جرت في القرن التاسع عشر لتأليف لغة دولية اصطناعية مبسطة سهلة تكون في متناول جميع الناس من كل الاقطار كلغة مشتركة بينهم بالاضافة الى اللغات القومية المحلية . وكانت الاسبرانتو هي المحاولة الوحيدة التي كتب لها النجاح من بين كل مثيلاتها فانتشرت انتشارا واسعا وذلك بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة في اوروبا والامريكتين ، كما كتب لها قسط من النجاح فيما بعد في بعض الاقطار المتطورة الاخرى مثل اليابان واستراليا والصين في الوقت الحاضر . وتعتبر المجلات الصينية الاسبرانتوية الان مرجعا معتمدا لتطور اللغة الدولية وذلك لانها اكثر المجلات الاسبرانتوية انتشارا في العالم في الوقت الحاضر . ويقدر عدد الذين يتكلمون الاسبرانتو الان بحوالي العشرين مليونا منتشرين في معظم اقطار المعمورة ، (وكان تقدير التايمس اللندنية لهم ٨ ملايين في سنة ١٩٥٣) .

وتشتق الاسبرانتو في الغالب من الجذور اللاتينية، كذلك من اللغات الاوروبية الاخرى . وتتسم الاسبرانتو بطابع منطقي دقيق بحيث يمكن تعلمها بمثل سرعة تعلم بعض مبادىء الرياضيات البسيطة. ويتألف نحوها وصرفها من ١٦ قاعدة بلا شواذ يمكن استيعابها جميعا خلال ساعة زمنية واحدة . وحروفها الهجائية لاتينية ، ولكن طريقة التهجي صوتية ، اي تكتب كما تسمع وتقرأ كما تكتب ، اذ أن لكل حرف هجائي صوت واحد فقط لا يتغير . وقد روعي في اختيار كلماتها وطريقة اشتقاقها الاختصار والدقة والموسيقى اللفظية ، كذلك الوضوح الكامل في التلفظ الذي يساعد عليه ان حروف العلة الخمسة في اللغة الدولية كلها **ذات نبرة طويلة** . ولحسن الحظ كلها موجودة فعلا **بالضبط** في النطق

العربي نفسه ، وقد اجتمعت كلها في اللفظ العربي للكلمات العربية الثلاث التالية — رافدين ، نور ، روما . ويتمكن كل من يعرف لغته القومية ان يتعلم الاسبرانتو بـ ١٥ ساعة دراسية . اما الذي لديه مبادىء من الانكليزية او الفرنسية مثلا فيمكنه تعلمها بسرعة اكبر . وبعكس ذلك ، فان تعلم الاسبرانتو يساعد كثيرا على تعلم اللغات الاوروبية خاصة اللغات اللاتينية منها كالفرنسية والاسبانية مثلا . واعتقد جازما ان انكليزيتي التي بدأت تعلمها منذ سنين طويلة قد تحسنت تحسنا كبيرا بعد تعلمي الاسبرانتو . (حتى اصبحت الان استطيع التحرير ونظم الشعر بها وتظهر لي اثار ادبية في المجلات الانكليزية بين الحين والاخر) . كما وجدت تعلم الفرنسية اسهل من ذي قبل بكثير . والسبب واضح ، الا وهو ان قواعد الاسبرانتو هي قواعد تحليلية وهي لذلك تمرين لغوي رائع ومفيد جدا حتى في اعادة فهم نحو اللغات القومية نفسها من جديد .. بطريقة ادق وافضل . يضاف الى ذلك جذورها المشتركة مع اللغات الاوروبية . وتظهر حقا في الاسبرانتو عبقرية الصناعة الفكرية الانسانية . واستطيع ان اضيف الى ذلك بكل ثقة ان التحدث باللغة الدولية او الكتابة بها هو بحد ذاته تمرين يساعد على ممارسة التفكير المنطقي بصورة عامة عند الانسان .

لقد صدر باللغة الدولية خلال الـ ٨٤ سنة الماضية عشرات الوف الكتب في شتى فنون المعرفة والاداب وسائر النشاط الفكري الانساني ، المترجم اليها من اللغات القومية والمؤلف فيها اصلا . ويجد المرء الان روائع الاداب العالمية — الكلاسيكية منها والحديثة — مترجمة الى الاسبرانتو . وقد ترجم القرآن الكريم في العام الماضي الى اللغة الدولية وقد حاز على رقم قياسي بالتوزيع بين الاسبرانتويين . وقام بالترجمة مستشرق ايطالي واضعا النص العربي أمام النص الاسبرانتوي وتظهر هذه الترجمة الان كندرة في مكاتب الاسبرانتويين . ويصدر بالاسبرانتو في الوقت الحاضر مئات من المجلات والنشرات الخاصة في مختلف مجالات الثقافة والعلوم والسياسة والاقتصاد والقانون والطب وحتى الفضاء . وتذيع بها ٢٣ دولة من بينها الصين وبولونيا وامريكا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا والنمسا ويوغسلافيا وغيرها . كما تصدر بها عشرات الدول نشرات اعلامية وسياحية وثقافية مختلفة . وقد صدر للاسبرانتو اكثر من ٧٠ قاموسا — وهذا العدد من القواميس لا يتوفر لكثير من اللغات الحية في الوقت الحاضر . كما صدرت بالاسبرانتو افلام واغان كثيرة . وتتفرع من منظمة الاسبرانتو الدولية مئات من الجمعيات والنوادي القومية في اكثر من ٨٠ قطرا في العالم . وتجد حركة الاسبرانتو في الوقت الحاضر اقبالا كبيرا بين شعوب الدول الاوروبية والاشتراكية منها بصورة خاصة وذلك كمخرج من تنافس اللغات المحلية فيما بينها ، كذلك كمهرب من محاولة لغات بعض الدول الكبرى السيطرة « كلغات دولية » تبعا لنفوذها السياسي .

لقد كانت منظمة عصبة الامم قد اتخذت توصية في سنة ١٩٢١ بحق الاسبرانتو ، كما تبعتها منظمة الثقافة والفنون (اليونيسكو) في الامم المتحدة فاتخذت قرارا في سنة ١٩٥٤ اعترفت فيه لحركة الاسبرانتو الدولية بخدماتها الجلى في مجال العلاقات الثقافية الدولية خلال السبعين سنة الماضية واوصت فيه الامم الاعضاء بتشجيع تعليم الاسبرانتو في مدارسها . وتعقد منظمة الاسبرانتو الدولية (ومقرها في روتردام هولندا) مؤتمرات دولية سنوية تكون بمثابة « سوق عكاظ » عالمي . ويعقد مؤتمرها الـ ٥٦ هذه السنة في لندن (خلال اب القادم) ، وكان قد عقد المؤتمر السابق في فيينه .

ان ابرز ما لاحظته عندما تعلمت اللغة الدولية وبدأت اقرأ بها انها كانت خلوا من اي أثر عربي .. فلا خبر عن العرب الا ما « يجود » علينا به الخصوم الامبرياليون والصهاينة من الاضاليل والتلفيقات والمغالطات المضحكة . وبالرغم من أن الصهاينة اساتذة في فن التضليل — غالبا عن طريق الصراخ والبكاء والتظلم الكاذب — فان مستوى اعلامهم ، خلافا لما يتصور البعض ، يظل هزيلا نوعا ما بالرغم من كمه ونشاطه الواسع . واذا ما وجدوا ان الحجة تعوزهم ، تراهم يلجأون للقذف والتشنيع . ويندر جدا ان يجد المرء اي اثر للمنطق والرزانة فيما يكتبون ، وتجدهم مسترسلين في اكاذيبهم عندما يجدون انفسهم « مختلين » بالسامع او القارىء مطمئنين الى انهم لا يجدون ردا ولا معارضة ما دام الطرف الاصلي غائبا عن الميدان — « خلا لك الجو فبيضي واصفري . » . وبالرغم من ان صحافة الغرب الاسبرانتوية اكثر « رزانة » الا انها بصورة مبدئية تمالؤهم وقلما

تسمح بمعارضة حقيقية لهم على صفحاتها . اما المجلات الاسبرانتوية في الدول الاشتراكية فقد نشطت بعد حرب حزيران في الدفاع عن القضايا العربية ، شأنها في ذلك شأن سائر اجهزتها الاعلامية . الا ان السؤال الذي يتبادر حالا الى الذهن — اين هم اذن المثقفون العرب انفسهم عن هذه الجبهة الاعلامية الدولية الكاملة التي يمرح ويسرح بها الخصوم كأنهم يقاتلون بها اشباحا خفية ؟.. لقد كان هذا حقا شيئا مخجلا .

لقد كانت هذه اول فرصة حقيقية لممارسة هوايتي الادبية التي اكتسبتها عندما كنت ادرس العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية في مدينة النجف الاشرف قبل عشرين عاما قبل ان اضطر ترك مدينتي تلك طلبا للرزق . وقبلها كنت قد قضيت معظم سني الطفولة في جنوب لبنان على حدود فلسطين مباشرة حيث كنا نحن اطفال القرية نتغنى فيما نتغنى باهازيج « عتابا » الثوار الفلسطينيين مما ترك اثرا خاصا في نفسي للثورة الفلسطينية . اما السياسة فهي « العلم الذي لا يحتاج الى تعلم » كما قال احدهم .. (وهي على كل حال تتلخص بكلمتين اثنتين — قوة وضعف — بمعناهما الواسع) . فباشرت باصدار ما يشبه النشرة ضمنتها مقالات ادبية وسياسية عن العالم العربي وخاصة عن القضية الفلسطينية ، وشرعت في توزيعها على الاسبرانتويين ومجلاتهم ونواديهم في القارات الخمس . وكم كانت دهشتي وسروري عظيمين عندما لاحظت بعد مدة وجيزة ان رد الفعل كان حسنا ومشجعا جدا . وانهالت علي مئات الرسائل مستحسنة ومهنئة ومشجعة . لقد لاحظت ان الاسبرانتويين هم بصورة عامة من عشاق الادب والمتطلعين للمعرفة والاطلاع وطلاب للحقيقة ، وانهم بصورة عامة يتعاطفون مع الثقافة العربية ومع نضال الشعوب العربية . ولشد ما اظهروا سرورهم البالغ انه — بعد لأي ، كما يقول المثل — اصبح لديهم بعض المواد العربية باللغة الدولية . وتتلخص مواضيع هذه المواد بالكتابة وبعض الترجمات عن الادب العربي (مقتطفات مناسبة من القرآن الكريم — اللغة العربية — امثال وحكم عربية — مقتطفات من الرحلات العربية القديمة — المعري وغيره — وقصائد ومواضيع عربية اجتماعية حديثة وغيرها) ، وكذلك كتابات وترجمات سياسية مناسبة عن كفاح الشعب العربي ونضاله لاسترداد حقوقه والدفاع عن كيانه امام اطماع القوى الامبريالية المحيطة بالوطن العربي وركيزتهم اسرائيل . وقد استفدت كثيرا من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وترجمت قسما من مواده ملاقت قبولا حسنا جدا (ولكن مركز الابحاث لم يستطع مع الاسف اعادة طبع هذه المواد او طبع غيرها وذلك لاسباب مالية ، فهلا تحركت بعض النخوات العربية ؟..) لقد بلغ عدد المقالات والبحوث التي تيسر لي كتابتهاونشرها بين الاسبرانتويين حوالي المائة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد اقتبست مجلات الاسبرانتو الكثير منها ، كما اذيع عدد كبير منها من اذاعات وارسو وبودابست وزاغرب وغيرها . كما علمت ان قسما منها قد ترجم الى اللغات الالمانية والبرتغالية (مثال عن اللغة العربية ظهرت ترجمته كافتتاحية في مجلة المجتمع اللغوي البرتغالي ، لشبونة) والبولونية واليابانية والاكرانية والفرنسية وربما الى غيرها . ويقوم الاسبرانتويون بهذه الترجمات الى لغاتهم القومية اظهارا لتعاطفهم مع القضايا العربية . واستطيع ان اقول بفخر وتواضع اني استطعت ان اوصل وجهة النظر العربية الى قطاع مهم من الرأي العام المستنير متمثلا في جمهرة الاسبرانتويين خاصة في اوروبا والامريكتين وهي البلاد التي لا تزال تخضع لاثار سياساتها علينا في الوطن العربي . كما وزعت بينهم حوالي عشرة الاف بطاقة بريدية ملونة بديعة الطبع وبعض المواد الاعلامية والسياحية الاخرى خاصة عن العراق ولبنان . كذلك ترجمت ثلاث كراسات سياحية عن هذين البلدين العربيين الى اللغة الدولية اسوة بعشرات الدول التي تستخدم الاسبرانتو في المجال السياحي ، وقد وعد المسؤولون بطبع هذه الكراسات ونرجو ان يتم ذلك قريبا . وتبادلت مع الاسبرانتويين الاف الرسائل الشخصية تكاد تكون بالنسبة لي « دائرة معارف » لما تحتوي من اخبار وآراء وثقافات وتعليقات وانتقادات ومعلومات شيقة عن بلاد واقوام مختلفة. وكثير من هذه الرسائل كانت صريحة في ان على الشعوب العربية نفسها ان تشدد من نضالها ضد جيوب التخلف قبل ان تتوقع ان تحتل مكانها اللائق بين الامم . ولن يستطيع اي مخلص واع الا ان يرى ان التقدم الحضاري في الوطن العربي القائم على الانتفاضة على مخلفات الماضي الفاسدة ، ثم بناء المجتمعات على التقدم التكنولوجي والعدالة الاجتماعية وتطوير الثقافات الوطنية والمشاعر

القومية على اسس انسانية حديثة هو **المخرج الوحيد** الذي لا بديل عنه للالتحاق بركب الشعوب المتحررة كاملة السيادة . اما السلاح بحد ذاته فسيبقى بأيدينا مثله مثل سيف طويل تحاول التلويح به نراع هزيلة ، الى أن نطهر كياناتنا الداخلية من الادران والامراض والنفايات السامة فنربي بذلك جسما سليما قادرا على الدفاع عن نفسه بكفاءة وعزم .

هذه خلاصة لقصتي مع اللغة الدولية التي فتحت امامي — كمثقف عربي — ابوابا على عالم جديد وطريف لحمته وسداه اناس هم حقا مدعاة للاهتمام . وهم يمثلون قطاعا واعيا من الرأي العام في مجتمعاتهم لانهم في الغالب من اصحاب المهن الفكرية والثقافية او من محبي الثقافة والاطلاع ، لذلك فانهم وسط مناسب جدا وبالغ الاهمية للاعلام العربي ولتطوير العلاقات الثقافية بيننا وبين شعوبهم — مما لا يمكن اغفاله ونحن نتلمس طريقنا للتعريف بقضايانا القومية ثم لتطوير واغناء علاقاتنا الحضارية والثقافية مع العالم الخارجي الاكثر تقدما منا — وذلك عن طريق هذه اللغة الدولية السهلة الجميلة الدقيقة الغنية بما لذ وطاب من آداب الامم الاخرى ومشاعرها وثقافاتها العديدة المتنوعة . ثم ان استخدام اللغة الدولية سيظهرنا امام العالم باننا مجددون في افكارنا واساليبنا جادون في اللحاق بركب الزمن من حولنا.

وأود ان اذكر بهذه المناسبة اني نشرت مؤخرا مقالا في مجلة « الورود » البيروتية (عددي ايار وحزيران) عالجت فيه موضوع اللغة الاصطناعية بطريقة علمية وكيف اننا نستطيع اتقان هذه اللغة بسهولة ويسر لا يمكن ان يتسنى لنا مثله — خاصة نحن العرب — في تعلم اي لغة اوروبية اخرى . واوصي القارىء الكريم بالرجوع اليه ليرى ان الصعوبة الوحيدة في اللغة الدولية تتمثل فقط في مرحلة فهم الفكرة — فكرة لغة دولية — نفسها وتبين ضرورتها لعالم اليوم الذي يتسارع تقارب اجزائه بعضها الى بعض يوما بعد يوم بحيث اصبحت مسألة تقبل لغة دولية ثانوية مشتركة ضرورة قصوى وشرط اساسي من شروط تطوير مجتمع دولي افضل .

هذه دعوة مخلصة لاخواني المثقفين العرب وخاصة اخواننا الفلسطينيين منهم ممن يرغبون في الاسهام بمعركة القلم في المجال الدولي . واستطيع ان اؤكد ان مجهودي المتواضع قد فعل فعله ايضا في اغاظة الخصوم الصهاينة ومواليهم واثار حنقهم . فقد حرر احد كتابهم المعروفين مقالا كاملا عني نعتني فيما نعتني باوصاف سيئة . كما استلمت من بعضهم تهديدا صريحا بان نشاطي هذا « خطير » (وان لم يقل على من ؟!) وانه « كان الاجدر بك ان تستخدم نفوذك في اصلاح ما بين الشعوب (!) العربية نفسها». حتى ان آخر ما كتب كان تعليقا في احدى المجلات ابدى فيه « عجبه » مع « تهانيه القلبية » لعربي استطاع ان يكتشف اللغة الدولية وان يتعلمها . وكان جوابي الحزين له أن العالم العربي يهب (؟؟) من عقول ابنائه ١٥ الف عقل مفكر يسرقهم منا اسياده في الغرب كل عام .

حسين محمد العاملي

نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا

« ساعدوا غزة » . كانت هذه العبارة مكتوبة باحرف كبيرة على يافطة عريضة في قلب جامعة كاليفورنيا بمدينة بركلي في « يوم غزة » الذي اقامه الطلبة العرب في الجامعة لمناصرة غزة الباسلة . وكان الشعار لذلك اليوم : « غزة — اكبر مخيم اعتقال في العالم ، وهذه المرة يحميه اليهود الصهيونيون »(١).

« من فلسطين الى فيتنام : نضال واحد وجبهات عديدة » وهذا الشعار ايضا اصبح يتزايد في الجامعات الاميركية ، ويعود السبب في ذلك الى نشاط الطلبة العرب المتزايد والى انصارهم الاميركيين . فهؤلاء الطلبة يحاولون ايضاح وجهة النظر العربية الى الطلاب الاميركيين وحقائق قضية فلسطين والشرق الاوسط . وجدير بالذكر ان برامج امثال « يوم فلسطين » و « يوم غزة » اصبحت تقام اليوم في معاهد التعليم العالي الكبرى الاميركية ، وتقام مدعومة من قبل اشخاص معروفين ومحترمين في اوساط الطلبة الاميركيين . ومن بين هؤلاء السيد روبرت شير ، المحرر السابق لمجلة « رامبرت مغازين » الذي يقوم حاليا (١٩٧٢)

بحملة واسعة النطاق لاعلام الطلبة الامريكيين حول الوضع الراهن في الشرق الاوسط(٢).

وقام الطلبة العرب في جامعة ستنفورد الشهيرة بولاية كاليفورنيا بتظاهرة ضد اسحق رابين ، سفير « اسرائيل » لدى واشنطن . ونتيجة لذلك اضطر تأخير حديثه ١٥ دقيقة . هذا وحضر الحديث ٥٠ شخصا فقط ، في حين بلغ عدد الذين تظاهروا ضده ٤٠٠ شخص ، كما وزع الطلبة العرب اكثر من ١٠،٠٠٠ منشور (كراسة) توضح للامريكيين ظلم الصهاينة في فلسطين المحتلة(٣).

وفي جامعة ولاية بنسلفانيا ، قام طالب عربي بعرض وجهة النظر العربية للقضية الفلسطينية في « مؤسسةهليل » اليهودية وهي مؤسسة تخدم الطلبة اليهود في الجامعات هنالك . وكذلك قام طالب عربي اخر في نفس الجامعة بالقاء محاضرة حول النزاع العربي الاسرائيلي الى احد صفوف التاريخ . وكلا المحاضرتين قوبلتا بالاستحسان والتفهم للقضية(٤).

هذه هي بعض النشاطات التي يقوم بها الطلبة العرب ، جماعات وافرادا ، في معاهد التعليم العالي الامريكية ، مستهدفين ، في ذلك ، ايصال حقائق القضية الفلسطينية الى رفاقهم في الجامعات وغيرهم من المواطنين الامريكيين . وفي هذا التقرير، يدور بحثنا حول نشاط الطلاب العرب في الولايات المتحدة وجهودهم الشخصية لخدمة القضية العربية الاولى ، القضية الفلسطينية . وسنركز في حديثنا هذا على معالجة النقاط الرئيسية التالية : لمحة موجزة عن عدد الطلاب العرب وحقول تخصصهم، مدى معرفة الامريكيين بالبلاد العربية عامةوبالقضية الفلسطينية خاصة ، ووضع الطلبة العرب الاستراتيجي لخدمة القضية في الجامعات ومجالات العمل الاعلامي والوسائل المستخدمة للاعلام ، والصعوبات التي تواجه الطلاب العرب في عملهم، والقاء نظرة سريعة حول اثر العمل الطالبي في الامريكيين ، واخيرا ، نقدم اقتراحات لتحسين الوضع الاعلامي العربي على صعيد الجامعات . ومما يجب الاشارة اليه هو ان هذا البحث يركز على نشاط الطلبة العرب في جامعات الولايات المتحدة الامريكية بعد حرب ١٩٦٧ فقط .

لمحة عن الطلبة العرب :

والحديث عن الطلبة في امريكا ، يفرض علينا تقديم لمحة موجزة عن عددهم وحقول دراساتهم . تفيد احدث الاحصاءات المتوفرة لدينا للعام ١٩٧١ ، ان عدد الطلبة العرب الذين يتابعون دروسهم في الولايات المتحدة الامريكيةبلغ ٨،٢٠٤ طلاب وطالبة، ينتمون الى ١٨ قطرا عربيا ويتابعون تعلمهم في مئات الجامعات والكليات الامريكية . وبالتحديد ، فان اكبر مجموعة.من هؤلاء اتت من لبنان (١٢١٠ طلاب) يليها مصر (١١٠٣) ، فالاردن وفلسطين (٩٨٧) ، فالمملكة العربية السعودية (٩٣٨) فسوريا (٤٦٥) ، فالعراق (٤٤٦) ، فالكويت (٣٥٣) ، فليبيا (٣٨٩) ، فتونس (١٢١) ، فالسودان (١١١) ، فالمغرب (٧٨) ، فالجزائر (٤٦) ، فقطر (١٧) ، فاليمن (١٤) ، فالبحرين (١٣) ، فجنوب اليمن (٥)، فالامارات المتصالحة (٢) ، واخيرا طالب واحد من مسقط . ومعظم الطلبة العرب هم من الرجال ، بنسبة ٩٤ في المائة مقابل ٦ في المائة للنساء ، وكذلك معظمهم يتابعون تخصصهم في الدراسات العليا ، بنسبة ٦٠ في المائة . ومن حيث حقل الدراسة ، فان اكبر نسبة تدرس الهندسة (٢٧٪) يليها العلوم الطبيعية (١٢٪) ، فالعلوم الاجتماعية (١١٪) ، فالانسانيات (٩٪) ، فادارة الاعمال (٨٪) ، فالعلوم الطبية (٥٪) ، فالتربية (٣٪) واخيرا الزراعة بنسبة ٢ في المائة . ويذكر ان عدد الطلبة الاجانب من كافة انحاء العالم الذين يتابعون دراساتهم في الولايات المتحدة ١٤٤،٧٠٨ للعام ١٩٧١(٥).

منظمة الطلبة العرب :

وللطلاب العرب في الجامعات الامريكية منظمة تدعى « منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا ». تأسست في عام ١٩٥١ عندما بادر عدد من الطلبة الذين ادركوا ان مثل هذه المنظمة يمكن ان تكون وسيلة مثلى لخدمة القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . وتكونت المنظمة لتحقيق الاهداف التالية : المساهمة في اماني العرب في التحرر والوحدة ، نشر المعلومات والحقائق عن الامة العربية وتاريخها وحضارتها وامانيها واهدافها وامكانياتها ونواحي التقدم فيها ، تشجيع الطلبة العرب في امريكا لدراسة المشاكل الاساسية التي تواجه العالم العربي وامكانية التغلب عليها ، تقديم المساعدات الممكنة للطلبة العرب الذين يدرسون في امريكا والذين ينوون الدراسة فيها في

حدود امكانياتها ، تنمية الصداقة والتفاهم مع الشعب الاميركي ، الاتصال بالمنظمات الطالبية الاخرى سواء كانت في اميركا او خارجها لتنمية اواصر الصداقة وتبادل النشرات والمعلومات(٦). واما في مؤتمر ١٩٧٠ فقد جرى تحول جذري في اهداف المنظمة . اذا استطاعت القوى التقدمية في المنظمة حشد عدد كبير من الطلبة العرب من اجل انقاذ المنظمة من الفئات اليمينية والانتهازية . واستطاع حشد الطلبة التقدميين ان يحرز الانتصارات التالية : اجراء تغييرات على دستور المنظمة والتي اتسمت بالصبغة التقدمية والتي تشكل ضمانة لاستمرار هذا الخط التقدمي الثوري. فاحد البنود الاساسية ، مثلا ، ينص ان على المنظمة ان تبني من الطالب العربي انسانا ملتزما بالفكر الثوري كي يستطيع ممارسة دوره فيما بعد عودته للوطن للمساهمة في حل القضايا والمشاكل التي تواجه حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الوطني الفلسطيني خاصة (٧).

ومن خلال القاء نظرة سريعة على البرامج التي تركز عليها ، او تدارستها ، في مؤتمراتها السنوية، يمكن للقارىء ان يدرك اهتمام المنظمة بالقضية الفلسطينية بشكل خاص . ففي المؤتمر الحادي والعشرين الذي انعقد في ٢ — ١٩٧٢/٩/٦ في جامعة الينوي (فرع شيكاغو) كان من بين المواضيع التي تباحثها المؤتمرون النقطتان التاليتان : دور الطلبة العرب في عملية تقييم حركة المقاومة واخراجها من ازمتها التاريخية الاتية ، وعقد ندوة بعنوان « المهام الراهنة امام حركة المقاومة » التقاها ممثلو فصائل المنظمات الرئيسية(٨). وفي المؤتمر العشرين الذي انعقد في جامعة هيوستن في تكساس في ٢٦ — ١٩٧١/٨/٢٩ فقد خصص جميع برامجه للقضية الفلسطينية تحت عنوان « الثورة الفلسطينية والثورة العربية — تحديات وآفاق » . والمواضيع التي بحثت تشمل: النضال الفلسطيني عبر التاريخ ، المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ ، فلسطين الديمقراطية ، الوحدة الوطنية خلال مراحل فلسطين التحرير ، دور المثقفين في الثورة العربية ، الثورة الفلسطينية والواقع العربي . وقد دعي الى المؤتمر اكثر من عشرين منظمة طالبية اميركية ، كما دعي عدد من الشخصيات العربية الفكرية المهتمة بالشؤون الفلسطينية(٩).

وركز المؤتمر السنوي التاسع عشر الذي انعقد في مدينة لونج بيش بولاية كاليفورنيا في ٨/٢٩ — ١٩٧٠/٩/٢ على حلقة دراسية حول « العمل الطالبي في خدمة الثورة الفلسطينية » (لقاء مع وفد طلاب فلسطين) ، وحلقات دراسية عن « الثورة الفلسطينية ، البعد العربي واستراتيجية الثورة » ، ثم حلقات دراسية عن « البعد العالمي للثورة الفلسطينية »(١٠).

وختم المؤتمر اعماله بعد ان اقر شجب الحلول الاستسلامية كما اقر الخط السياسي الجديد للمنظمة . ومن ابرز نقاط الخط الجديد الكلمات التالية : « ان الصهيونية هي حركة استيطانية عنصرية حليفة للاستعمار ومعادية لتطلعات الجماهير العربية وامانيها في التحرر والاستقلال والتقدم ، كما وان اسرائيل تشكل قاعدة امامية للاستعمار والامبريالية تستعمل كأداة ودرع وتأخير لسير الثورة العربية ، ولا بد من مواجهة هذا العدو وقلعه من الارض الفلسطينية ودحره الى الابد . اكدت تجارب شعوب القارات الثلاث — اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية — في حربها ضد قوى الاستعمار ، ان التحرر والخلاص الوطني من قبضة الاستعمار لا يأتي الا عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، التي فيها يتم حشد مجموع طاقات الشعوب وتعبئتها لمحاربة القوى الاستعمارية »(١١).

وتصدر اللجنة التنفيذية في منظمة الطلبة العرب صحيفة تدعى « الاخبار » ، وهي نشرة تربوية ثقافية تستهدف تحسين الروابط بين الشعبين الاميركي والعربي ، وتنقل اخبار الطلاب العرب ونشاطهم وكل ما يتصل بالقضية الفلسطينية باللغتين الانكليزية والعربية.

جهل الاميركيين بالمنطقة والقضية :

ولا بد لنا من ذكر بعض الشيء عن جهل الاميركيين بالمنطقة وبالقضية الفلسطينية ، وكل من يزور اميركا ويتباحث مع اهلها يدرك ذلك تمام الادراك. فالاميركيون اجمالا غير مطلعين على الشؤون الدولية، كما يتوقع من شعب متعلم وقوي ومتقدم . ويعود ذلك الى ان الصحف الاميركية وغيرها من وسائل الاعلام تركز عادة على الاخبار المحلية والاميركية اكثر من اي اخبار اخرى . واما بالنسبة للشرق الاوسط ، فان اخبار اسرائيل تحتل الصدارة في

وسائل الاعلام ، نظرا لطغيان الدعاية الصهيونية هناك ، ولغياب الوجود الاعلامي العربي الرسمي المنظم .

والامثلة التالية تلقي الاضواء على صحـة ذلك : جاء في مقال في صحيفة « مدل ايست انترناشونال » التي تصدر في لندن في مقال لها عن الطلاب العرب في الولايات المتحدة ان سيدة فلسطينية نشيطة في حقل القضية كتبت رسالة الى البيت الابيض حول ازمة الشرق الاوسط . ورد البيت الابيض برسالة جاء فيها : « اشكرك على استفسارك عن قضية فيتنام » ، اي ان البيت الابيض اخذ يخلط بـين الشرق الاوسط وفيتنـام . ونقل كاتب المقال عن لسان طالب مصري بانه عندما يعرف عن نفسه انه طالب مصري ، فان جواب الشعب ياتي دومـا « حسنا » ، انت يهودي « اي انهم يخلطون ايضا بين المصري واليهودي ، رغم ان الشاب المصري هذا غير يهودي .. وهذا لا يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل حتى طلاب الدراسات العليا يجهلون ابسط الحقائق عن المنطقة وبالتالي عن القضية . ويطرح الشعب اسئلة تظهر سذاجتهم بشكل واضح ومنها : هل انت من العربية (الجزيرة) ؟ كمـا انهم يظنون ان مدينة دمشق هي في مصر . كما يظن الشعب الاميركي بان قضية الشرق الاوسط هي قضية نزاع بين العرب واليهود ولا يعلمون جوهر القضيـة التـي هي نـزاع بـين الفلسطينيـين والصهيونيين »(١٢). هذا ولقد اختبر كاتب هـذا المقال تجارب اغرب مما ذكر ، ومن ابرزها ان لبنان يقع في اوروبا ، في مكان ما بجوار سويسرا وفرنسا . او حتى البعض منهم لا يعرف بان ثمة بلدا اسمه لبنان . وبالاضافة الى كل ذلك ، يطرح الاميركيون من طلاب وغيرهم اسئلة بسيطة جدا ، تبرهن عن الجهل الفادح بالمنطقة وبوسـائل العيش الاساسية. فالاسئلة التي تطرح هي : هل تعيشون في الخيم؟ هل عندكم تلفونات؟ هل عندكم تلفزيونات؟ هل تجلسون على الكراسي ؟ كيف تاكلون : باليد ام بالشوكة والسكين ؟ الخ .

وعلـى الرغم من كل ذلـك الشيء الذي ينبغي التشديـد عليه هو ان الشعب الاميركي اجمـالا لطيف ، وطيب القلب ومنفتح على الاخرين ، وفوق ذلك يحب ان يعلـم عن الاخرين ، ولا يخاف ان يقول : انا لا اعرف ، حدثني عن بلدك او عـن نفسك .

مجالات العمل :

والان ناتي الى صلب الموضوع ، بحيـث يتجسد نشاط الطلبة العرب الاعلامي في مجالات عديدة ، ابرزها : مؤتمرات سنوية للمنظمة (كما ذكرنا) ثم قيام برامج تدعى « اسبوع فلسطين » و « يوم غزة » ، وقيام حفلات شاي وقهوة ونزهات ، عقد ندوات وكتابة رسائل الى الصحف وتوزيـع نشرات ، القاء محاضرات واحاديث في الجامعات وفي خارجها ، تنظيم تظاهرات والاشتراك بالمعارض وبالمهرجانات الدولية ، الخ .

١ ــ **اسبوع فلسطين ويوم غزة :** ومن ابرز مـا يقوم به الطلبة العرب في الجامعات الاميركية ربما تنظيم برامج حول « فلسطين » و « غزة » يدعون الطلاب والاساتذة اليها ، يتكلم عادة في تلك البرامج شخصيات اميركية مهتمة في القضية الفلسطينيـة ومفكرين عرب . وتشمل الوسائل التي يستخدمها الطلبة العـرب فـي البرامج عادة عرض صور وافلام عن فلسطين وتوزيع مناشير حول القضية ، وتنظم رحـلات ونزهات وعـرض ازياء عربيـة وفلسطينية تشترك فيها فتيات عربيات واميركيات، وتختتم عادة بجمع تبرعات لصندوق فلسطـين . ويشترك في البرامج هذه مفكرون وكتاب عرب ، وممثلون عن المقاومة ، واساتذة اميركيون، وسفراء اميركيون سابقون في البلاد العربية ، وممثلو الدول العربية في الامم المتحدة ، ويهود غير صهيونيين . وفي يوم غزة ، في جامعة كاليفورنيا ، الذي سبق القول عنه ، خصصت صحيفـة « ذي دايلـي كاليفورنيا » وهي صحيفة الجامعة الطالبية التي توزع ٤٠،٠٠٠ نسخة يوميا، صفحة كاملة عن نشاط الصهيونيين ومقاومة ابناء غزة لهم . واثناء النهار طافت سيارة تحمل مكبر الصوت في شوارع بركلي، ودعت الشعب الى حضور الاجتماع . ونتيجة لذلك فقد حضر الاجتماع ٦٠٠ شخص . وعلقت الصحيفة المذكورة على ذلك بان هذا العدد الكبير من الحضور اثار دهشة بعض المراقبين هناك لانه كان اكبر عدد يحضر اجتماعا سياسيا في الجامعة خلال عام اتسم بالركود الطالبي . وكان المتكلم الرئيسي السيـد روبرت شير ، وهو اميركي من اصل يهودي ولكنه ينتمي الى اليسار الجديد ، فجذب انظار الحضور واوضح كيف يجب على اليهود ان يتحرروا مـن الصهيونية ، ثم تطرق الى القاء نظرة حول تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية من خلال احداث غـزة

ودعا اليهود التقدميين الى تحرير انفسهم من الدعاية الصهيونية . وفوق ذلك فان محاضرته قد اذيعت في اليوم التالي من على الراديو بحيث وصلت الى ملايين الناس كما نشرت الصحف نشاط يوم غزة على نطاق واسع(١٣).

٢ — **تعلموا عن فلسطين** : وفي جامعة كولومبيا الشهيرة في نيويورك اقيم مهرجان تعليمي Teach-in حول قضية التحرير العربية التي تواجه الامبريالية الصهيونية . وكان الغرض من المهرجان المذكور دعم النضال الثوري العربي . ومن ابرز المواضيع التي بحثت المحاضرات والمناقشات التي دارت حول : حركة التحرير الفلسطينية ، طبيعة واستراتيجية اسرائيل ، الثورة العربية ، الصهيونية ، ودور الاستعمار والامبريالية في المنطقة . وقد تكلم في البرنامج عدد من العرب والاميركيين المهتمين بالقضية الفلسطينية(١٤).

٣ — **رسائل الى الصحف** : ويرسل الطلبة العرب رسائل الى الصحف تنشر عادة في بريد القراء ، مقدمين ايضاحات حول ملابسات القضية الفلسطينية .

٤ — **الاتصالات بالمنظمات الراديكالية** : يعمل الطلبة العرب مع التنظيمات الطالبية الراديكالية واليسارية الجديدة التي تجتاح معظم الكليات والجامعات الكبيرة في الوقت الحاضر في امريكا . وهذه المنظمات تتعاطف مع حق الشعب الفلسطيني في الحياة والحرية والعودة الى ارضه الاصلية . وفي هذا المجال ،قابلت الانسة الشابة لندا جانس في جامعة جنوب الينوي اثر محاضرة القتها في الخريف الماضي في مهرجان انتخابي . هذه الفتاة مرشحة عن حزب العمال الاشتراكي . عندما سألتها ، في سياق حديثنا ، عن رأيها في القضية الفلسطينية ، اجابت بالكلمات التالية : « نحن ، في حزب العمال الاشتراكي ، نعارض الحركة الصهيونية ونعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الامبريالية العالمية . ونحن ندعم حقوق الشعب الفلسطيني ، غير اننا لا نقف مع فريق ضد الاخر في الصراع القائم حاليا في الشرق الاوسط . لذا ، نحن نؤيد حركة فتح الفدائية التي تدعو الى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود في أمة واحدة على السواء »(١٥). هذا ولقد قرأت خبرا في صحيفة الحزب المذكورة والتي تدعى « ذي ميلتنت » عن حركة المقاومة وكان الخبر في الواقع مكتوبا بدقة وبموضوعية ، قلما ترى خبرا من هذا النوع في تلك البلاد .

٥ — **اتصالات شخصية** : ولعل افضل الوسائل لخدمة القضية الفلسطينية تتمثل في الاتصالات الشخصية والفردية ، وهذا دون شك افضل وسائل الاعلام الذي يستخدمه الطلاب العرب . وجدير بالذكر ان معظم احاديث الطلبة العرب ، وخاصة الفلسطينيين ، تركز بشكل رئيسي حول القضية الفلسطينية وشرح ملابساتها وتقديم الحقائق عنها .

اثر نشاط الطلبة :

بعد كل ما تقدم ، السؤال الذي يطرح نفسه بصورة جد بديهية هو : ما هو اثر نشاط الطلاب العرب في امريكا وما هي مدى فعاليته ؟ في الواقع لا يستطيع احد ان يعرف تماما اثر نشاط الطلبة الاعلامي ، لان هذا الباحث لم يعثر على اية دراسة حول هذا الموضوع ، غير ان جميع الدلائل المتوفرة، نتيجة للتجارب والاتصالات الشخصية ، تشير الى ان نشاط الطلاب ذا اثر ، وذلك ضمن امكاناتهم المحدودة . ففي كل حوار او مناقشة يتفوق الطلبة العرب على الصهيونيين . وهذا ما لمسته غير مرة في امريكا ، لان الحضور يتجاوب مع الافراد الذين يقدمون اكبر نسبة ممكنة من الارقام والحقائق . وهذا ما يفعله الطلبة العرب .

وفي هذا المجال بدأت المنظمات الصهيونية تعرب عن ضيقها بنشاط الطلاب المتزايد فكتب مراسل النيويورك تايمز يقول ، نقلا عن تقرير للمنظمة الصهيونية المسماة « بناي بريث » التي ادعت ان جماعات الدعاية العاملين في الولايات المتحدة الذين يتعاونون مع جماعات اميركية متطرفة ، يدعمون حركة فتح الفدائية التي تشن حربا ضد اسرائيل . وقال السيد ارنولد فوستر ، من المجلس العام للعصبة المذكورة ، ان جماعات الدعاية تشمل حوالي ١٠،٠٠٠ طالب في منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة كما تشمل جماعات شيوعية واليسار القديم والراديكاليين الجدد ، وبعض السود الثوريين . وجاءت هذه الهجمات والادعاءات في تقرير للعصبة من ٢٧ مكتبا اقليميا في جميع انحاء الولايات المتحدة . وكان التقرير قد صدر نتيجة لتزايد العطف على العرب في الغرب والذي سبب اثارة اهتمام اسرائيل . وتابع فوستر يقول « ان حملة تبرع ودعاية قامت لمنظمة فتح في العام الماضي (١٩٦٨) ، وقام بها جماعة من الطلبة

الفلسطينيين العرب في هذه البلاد . وفي ديترويت بولاية ميشغان يقوم اعضاء منظمة الطلبة العرب بحملة لجمع التبرعات . وفي بعض الاحيان يقومون بالتعاون مع الجماعات الناشئة من التروتسكيين وحزب العمال »(١٦). وقبل هذا التقرير بسنوات، كانت منظمات الصحف الصهيونية قد بدأت ايضا الاعراب عن ضيقها بنشاط الطلبة العرب ، فكتبت صحف اسرائيلية ، تحذر من نشاطهم المتزايد في الولايات المتحدة ، كما فعلت الشيء نفسه صحيفة « النيويورك تايمز » في مقال نشر في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦(١٧). هذا وقد بدأت السلطات الاميركية ، منذ حادث ميونخ ، تمارس سياسة ارهابية ضد الطلبة العرب في الولايات المتحدة تتمثل في الملاحقات المستمرة والمضايقات المتنوعة .

هذا ويتجلى اثر نشاط الطلبة العرب في الجهود التي يبذلها بعض الاميركيين والاجانب في نصرة القضية الفلسطينية . ففي هذا السبيل ، كتب البروفسور الاميركي « ثرمان ل. بروكس » ، وهو إستاذ العلوم السياسية في جامعة جنوب الينوي بالاشتراك مع طالب الدكتوراه الهندي السيد س . كماراتنام ، الى صحيفة الجامعة « ذي دايلي ايجبشان » رسالة الى المحرر تحت عنوان : « من هو اللاجيء ؟ » ذكرا فيها ان العالم يتناسى اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم الاصلية بالقوة وهم اليوم مازالوا في حالة يرثى لها.

وفوق ذلك، لا يمكن للقاريء ان يتصور مدى اثر نشاط الطلبة العرب وفعاليته في الوقت الحاضر، لانهم يقومون بنشاط مع الطلاب في الجامعات . ولا يخفى ان هؤلاء الطلبة اليوم لا نفوذ لهم في الحكومة ولا في سياسة اميركا الخارجية . ولكن النقطة التي اود ان اركز عليها هي : ان الطلبة العرب يدرسون مع قادة المستقبل في اميركا وزعمائها وطليعة الرأي العام الاميركي . فمن هؤلاء دون شك سيتخرج الحكام والسياسيون والمحامون والقضاة والاطباء والمهندسون والاداريون والعلماء والمدرسون ورجال الاعمال وربات البيوت ، الخ. ومعنى ذلك ان البذور التي يغرسها اليوم طلبتنا في الخارج سوف تنمو وتكبر وتصبح يوما شجرة كبيرة ، تعطي اثمارا . ولكن الذين يريدون نتائج لنشاط الطلبة على جناح السرعة ، فهذا شيء شبه مستحيل في الوقت الحاضر . وثمة مثل غربي يقول : « لم تبن روما بيوم واحد » .

صعوبات تواجه الطلبة :

يمر نشاط الطلبة العرب الاعلامي وجهودهم بعقبات جمة ، منها داخلية ومنها خارجية ، البعض منها يمكن التغلب عليها بسهولة والبعض الاخر يتطلب جهودا كبيرة . ومن ابرز الصعوبات التي تواجه عملهم الاعلامي في اميركا تتلخص بما يلي :

١ — لعل اول ما تعاني منه منظمة الطلبة العرب في الوقت الحاضر هو الحصول على المال الكافي للقيام بنشاطها على خير ما يرام . فالمال مهم في الحقل الاعلامي ، كما لا يخفى على احد . وتعاني المنظمة بشكل خاص من صعوبات مالية نظرا للحصار الذي فرضته السفارات العربية عليها ، فقد ادى هذا الحصار الى الحد من قدرة المنظمة على التحرك والانطلاق واتمام المشاريع التي كانت قد وضعتها ووعدت الطلبة بها واهمها اصدار المجلة الدورية .

٢ — ويعاني العمل الطالبي الاعلامي من فقدان العمل الموحد في هذا الشأن . فمن المعلوم ان الطلبة العرب في اميركا لا يسيرون وفق خطة مدروسة وموحدة ، بل وفق فئات مختلفة ، سياسيا واجتماعيا . فهذه الفئات لا تستجيب الى اهداف المنظمة وبرامجها . اضف الى ذلك ان ثمة عددا من المؤسسات العربية التي تعمل ايضا بشكل مستقل ولا تبدي رغبتها في التعاون مع المنظمة ، مما يؤدي الى تشتت الجهود الاعلامي العربي . وثمة فئات أيضا من الطلبة العرب تتأثر ببعض الجماعات الطالبية بالفكر غير الواعي لبعض فئات اليسار الجديد في الولايات المتحدة ، مما يسبب وجود مزيد من التنافر بين الطلبة العرب في أميركا ، ويأتي كل ذلك في الوقت الذي يحتاج فيه العرب الى المزيد من الاتحاد وليس المزيد من التباعد والتنافر. فخلافات الدول العربية نفسها هنا تنعكس هناك أيضا . فكل فئة تميل الى دولة عربية أو أكثر .

٣ — واخيرا ، لا بد من ذكر ضغوط الدعاية الصهيونية . فمما لا جدال فيه ان عدد الطلاب العرب ضئيل جدا بالنسبة لعدد اليهود الصهيونيين وانصارهم . فقوة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية نفسها كبيرة وقوية جدا وذات نفوذ وخاصة في وسائل الاعلام الجماهيرية ، كالراديو والتلفزيون والصحف والمجلات . والدعاية الصهيونية صناعة

قديمة ومدروسة للغاية ، يقوم بتخطيطها علماء واختصاصيون في هذا الفن .

اقتراحات لتقوية النشاط الاعلامي

وختاما ، فما هي أبرز الخطوات الواجب اتخاذها لجعل نشاط الطلبة العرب الاعلامي أكثر فعالية وايجابية ؟ لعل ابرز الامور التي يمكن القيام بها لتوحيد الجهود ولتصعيد النشاطات الاعلاميةتتلخص بما يلي : تزويد الطلاب العرب بأحدث الكتب والمنشورات والوثائق والصحف والمجلات حول القضية الفلسطينية باللغة الانكليزية . ثم توفير المال الكافي الى منظمة الطلبة العرب لاتمام مشاريعها الاعلامية وفصل السياسة عن النشاط الاعلامي . وكذلك يجب توفير نوع من الحماية العربية للطلاب العرب الذين يتعرضون للضغوط الصهيونية او الذين يحتاجون الى مساعدات مالية نتيجة لجهودهم للمساهمة في النشاط الاعلامي . ويحسن استقطاب العناصر الطالبية الاميركية المتعاطفة مع القضية وتجنيدها للعمل الاعلامي العربي ودعمها ماديا ومعنويا ، كما يحسن تقديم منح للطلاب الاميركيين المهتمين بالقضية الى الدراسة في الجامعات العربية وذلك كي يطلعوا عن كثب على أحوال قضايا البلاد العربية واحوال اللاجئين . وكذلك يجدر تسهيل الزيارات لبعض الفئات والافراد الاميركيين المتعاطفين مع القضية الى زيارة البلاد العربية وخاصة قرى الحدود ومخيمات اللاجئين التي تتعرض للعدوان الاسرائيلي بين الحين والاخر . واخيرا ، لا بد من تاليف لجنة اعلام عربية عليا توجه عمل الطلاب في اميركا .

الدكتور الياس زين

---

١ — *The Daily Star* (Beirut), January 20, 1972.

٢ — *Ibid.*

٣ — *Ibid.*

٤ — *News* (Organization of Arab Students in the USA), May, June 1970, p. 5.

٥ — *Open Doors 1971*, (New York: Institute of International Education).

٦ — عن كتيب تحت عنوان : **مؤتمر الطلاب العرب الاول** ، مارس ١٩٥٩ (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية) ، ص ٣ — ٥ .

٧ — مجلة « **الهدف** » (بيروت) ، ١٤/٨/١٩٧١ .

٨ — مجلة « **الراية** » (بيروت) ، ١٠/٧/١٩٧٢ .

٩ — « **الهدف** » ١٤/٨/١٩٧١ .

١٠ — وصفحة واحدة على ستانسل ، دون تاريخ ، باللغة الانكليزية (مكتبة الدراسات الفلسطينية) .

١١ — نشرة « **الاخبار** » (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، ص ٦ .

١٢ — Henry P. Burn, "Arab Students in the USA," *Middle East International (London)*, Vol. 12, March 1972, pp. 27-29.

١٣ — *The Daily Star,* January 20, 1972.

١٤ — *The Militant* (publication of Socialist Worker's Party, USA), 11/4/1969.

١٥ — مقابلة الكاتب مع الانسة لندا جانس اجريت في جامعة جنوب الينوي في ٩/١٠/١٩٧١ .

١٦ — *The New York Times*, (April 20, 1969).

١٧ — « **الاسبوع العربي** » (بيروت) ، ٢٠/٢/١٩٦٦ .

يقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية البدء بتحديد مفهوم الاعلام ومدى اختلافه عن مفهوم الدعاية . ويمكن القول ان الاعلام Information عبارة عن مجموعة من الحقائق المرتبطة بموضــوع او قضية معينــة أو مواضيع أو قضايا معينة تنقل مــن مرسل لهذه الرسالة الاعلامية الى مستقبل audience لها عن طريق عدة وسائل أبرزها وسائل الاعلام الجماهيري mass media والاتصال المباشر .
وهذا يختلف عنمفهوم الدعاية Propaganda وهو عبارة عن مجموعة من الحقائق المغرضة او المشوهة او المناقضة التي تهدف الى تغيير المنطق الذاتي لمتقبلي الرسالة الاعلامية وتجعلهم يتخذون موقفا معينا ما كانوا يتخذونه لو لم يتعرضوا لمثل هذا العمل الدعائي(١).

وتعتبر جامعة الدول العربية اطارا من اطارات العمل العربي المشتــرك في المجالات السياسية والاعلامية والاقتصادية والثقافية والصحية والفنية الخ ... اي ان الاعلام العربي المشترك يعتبر أحد جوانب العمل العربي المشتــرك في اطار جامعة الدول العربية(٢).

ويقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك تناول ما يلي(٣). اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العــربية . ثانيا : المنطــق الاعلامي المشترك للدول العربية . ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك .

اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية :

يمكن تحديد الاطار التنظيمي لجهاز الاعلام العربي فيما يلي :

(١) اجهزة التخطيط والتوجيه والمتابعة

مجلس وزراء الاعلام العرب : يتألف مــن وزراء الاعلام في الدول الاعضاء ، وعادة ما يجتمع مرة سنويا ، وينظر المجلس في السياسة الاعلاميــة العربية المشتركة ، ويقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن الدعاية المضادة وطرق مجابهتها كمــا يدرس توصيات اللجنة الدائمة .

اللجنة الدائمة للاعلام العربي : تتألف من رؤساء أجهزة الاعلام في الدول الاعضاء ، وتجتمع مرتين في العام كما يجوز أن تجتمع على دورات استثنائية لدراسة المشروعــات الاعلامية واقتراح الخطــة الاعلامية والعمل على وضع السياسة الاعلامية التي يرسمها مجلس وزراء الاعلام موضع التنفيذ وتتابع جهود جهــاز الاعلام بالجامعة ومكاتبــه بالخارج .

وللجنة أن تستعين في دراساتها بالمتخصصين العرب في مجال الاعلام بوصفهم خبراء لاعداد بحوث في موضوعات تعينها لهم .

المكتب الدائم للدعوة العربية : يتألف من الملحقين الصحفيين في السفارات العربية بالقاهرة ومندوب عن هيئة الاستعلامات المصريــة لتحقيق الصلــة المستمرة بين الامانة العامــة والدول الاعضاء . ويشمل اختصاص المكتب المشروعات الاعلامية التي يستدعي تنفيذها مراجعة الدول الاعضاء والاتصال بها وتقوم الامانة العامة باطلاع المكتب على تقارير مكاتب الاعلام العربي في الخارج المتصلة لاوجه نشاطها والحملات الاعلامية والرأي العام في المنطقة التي تعمل بها بحيث يكون المكتب الدائم صلة فعالة بين جهاز الاعلام العربي في الامانة العامة والدول الاعضاء ، اما الهيئة التي يستمد منهــا المكتب سلطته بجانب الدول الاعضاء فهي اللجنة الدائمة للاعلام العربــي التي تقدم اليهــا تقارير المكتب وتوصياته(٤).

(٢) الهيكل التنظيمي للجهاز

يرئس الجهاز الامين العام المساعد المشرف على شؤون الاعلام ويتكون الجهاز من ادارة مركزية وفروع في الخارج .

١ — **الادارة المركزية :** يرئسها مدير . ونص قرار الامين العام رقم ٩٤ لعام ١٩٦٩ على أن العمل يتوزع في الادارة بين لجنة ومكتبين وثلاثة اقسام :

أ — **لجنة التخطيط والمتابعة :** يرئسها مدير الادارة وتشكل من الوكيل ورؤساء الاقسام وتجتمع يوميا برئاسته واسبوعيا برئاسة الامين العام المساعد المشرف على جهاز الاعلام ، ومهمة هذه اللجنــة دراسة اعمال المكتب الفنــي وتحديد السياسة المرحلية والدائمة للعمل الاعلامي ودراسة مشروعات الخطط الاعلامية والبرامج التي يقترحهــا قسم التخطيط والمتابعة ومشروعات الانتاج التي يقترحها

قسم الانتاج الاعلامي والنظر فيما يعد للعرض على اجهزة التخطيط والمتابعة وتقييم العمل الاعلامي في ضوء تقارير المتابعة ووضــــع بــرامج التفتيش الفني والاداري والمالي على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج وتنسيق العمل بين اقسام ادارة الاعلام.

ب ـ **المكتب الفني** : يتلقى ما يرد من جميع مصادر الانباء والمعلومات كما يتلقــى تقارير الحكومـــات العربية ومكاتب الجامعة في الخارج وذلك مباشرة او عن طريق قسم التخطيط والمتابعة الذي يزود المكتب بصور ما يرد اليه ويدرس المكتب كل ذلك بهدف تحليل اتجاهــات ومواقف الرأي العــام والتوصية بالسياسة الواجب اتباعها واقتــراح مضمون الخطط الاعلامية والتوصية بما ينبغي ان يصدر من بيانات او مطبوعات ويدرس ما يتعلق بشؤون المقاطعة بالتعاون مع باقي الاقسام .

جـ ـ **مكتب العلاقات العامة والصحافة** : ينقسم العمل بهذا المكتب الى (١) مركز العلاقات العامة ويقوم باعداد وتنظيم زيارات الوفود والشخصيات للبلاد العربية بالتعاون مع مكاتب الجامعة فــي الخارج من جهة وحكومات الدول الاعضاء من جهة اخرى كما يقوم بالاتصالات التي يكلف بها علــى الصعيدين العربي والدولي . (٢) المركز الصحفي ويتولى تنظيم الاتصال بأجهزة الاعلام ورجال الاعلام واهل الفكر وينظم عقد المؤتمرات الصحفية ويصدر البيانات والنشرات الصحفية ويدعو رجال الاعلام للاجتماعات العربية .

د ـ **قسم الشؤون الاداريــة** : يعتبر مسئولا عن حسن سير العمل في جميع اقسام ووحدات الادارة فيتلقى بريد الادارة ويتابع تنفيذ التعليمات ويتولى العمل الاداري المتعلق بالجهاز ... الخ .

هـ ـ **قسم الشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام** : يوجد بالادارة المالية وشئون الموظفين قسم للشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام تسند اليه جميــع الاعمال المالية والحسابية وشئون العاملين ويتولى مراقبة ومراجعة مصروفات الجهاز .

و ـ **قسم التخطيط والمتابعــة** : يتولى اقتــراح مشروع الخطط الاعلامية وتنسيق العمل الاعلامي وتجميع المعلومــات والوثائــق وتبويبهــا واعداد البحوث والدراســات ومتابعة تنفيــذ الخطــط والبرامج الاعلامية والاشراف على اعمال مكاتــب الجامعة في الخارج .

ويعمل على تعزيز العلاقات بالاتحادات والمنظمات العربية والاجنبية والجاليات العربية وجمعيــات الصداقة ومنظمات الطلبة والعمال العرب في الخارج ويتولى العمل في هذا القسم شعبتان :

١ ـ **شعبة المتابعة** : وتقوم بمتابعة اعمال الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات المختلفــة واوروبا وافريقيا واسيا والامريكتين .

٢ ـ **شعبة الوثائق والمعلومات والبحوث** : ينقسم العمل بها الى ثلاث وحدات : ١ ـ **المعلومات** : تتولى هذه الوحدة تبويب المعلومات وحفظها وحفظ الوثائق وتقوم بتنظيــم مكتبــات الافلام والصــور والخرائط . ٢ ـ **البحوث**: تتولى اعداد الدراسات والبحوث وتتعاون مع مراكز البحوث والدراســات وتقترح البرامج المرحلية وبعيدة المــدى تمهيــدا لتوزيع اعبائها بينها وبين المراكز الاخرى : ٣ ـ **الترجمة** : تقوم بأعمال الترجمة .

ز ـ **قسم الانتاج الاعلامي** :

مهمته انتاج المواد الاعلامية ويتولى العمل في هذا القسم : ١ ـ **شعبة التحرير والمطبوعات** : تتولى امور النشر وتعميمه والاشراف على اصداره . ٢ ـ **شعبــة الصوت والصورة** : تتولى اعــداد الشرائح الملونة والصــور الفوتوغرافية وانتــاج الافــلام السينمائية الخــاصة بالاعلام واعــداد التسجيلات الاذاعية . ٣ ـ **شعبــة المعــارض والسياحة** : تتولى تنسيق التعاون العربي في مجال المعارض في اطار الهيئة العربية للمعارض وفي مجال السياحة بالتعاون مع الاتحاد العربي للسياحة . ٤ ـ **شعبة الطباعة** : تقوم بتصوير المستنــدات وطبع الكتيبات والنشرات(٥).

٢ ـ **مكاتب الجامعة العربية في الخارج** : وهــي مكــاتب الجــامعة العربية في الولايــات المتحدة الامريكية / مكتب نيويورك ، واشنطن ، شيكاغو، سان فرنسيسكو ، دلاس/ ، مكتــب الجامعة في كندا/اوتاوا/ ، مكتب الجامعة في بيونس ايرس بالارجنتين ، مكتب الجــامعة في ريو دي جانــيرو بالبرازيل ، مكتب الجامعة في لندن ببريطانيا ،مكتب الجامعة في باريس بفرنسا ، مكتــب الجامعة في جنيف بسويسرا ، مكتب الجامعة في روما بايطاليا، مكتب الجامعة في بون بالمانيا الغــربية ، مكتــب الجامعة في نيودلهي بالهند ، مكتــب الجامعة في طوكيو باليابان ، وبالنسبة لافريقيا هناك ملحــق

صحفي في نيروبي واخر في داكار(٦). وعادة ، يوجد بهذه المكاتب مسئولون عن العلاقات العامة والصحافة والبحوث ... الخ وفقا للامكانيات المتاحة واحيانا تقوم بمهام تمثيلية مثل مكتب نيويورك .

وتتعاون الهيئات العربية التالية مع المكاتب الخارجية : أ ـ **لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية** : تتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية العربية ومديري المكاتب في المنطقة التي يعمل بها المكتب ومهمتها التعاون وتبادل الرأي والاتفاق على الخطة العربية . ب ـ **اللجنة الاعلامية** : تتكون من مديري المكاتب الخارجية ويجتمعون اجتماعات دورية لدراسة الموقف الاعلامي العربي وتبادل المعلومات وتوحيد الخطط الاعلامية التي ينفذها كل مكتب حسب امكانياته المتاحة . جـ ـ **اللجنة الاقتصادية** : تتألف من القائمين على الشئون الاقتصادية في السفارات العربية في الخارج ومهمتها دراسة المصالح العربية الاقتصادية في الدول التي تعمل بها ومتابعة النشاط الاسرائيلي الاقتصادي واقتراح طرق مجابهته . د ـ **اللجنة الثقافية** : تتألف من الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية . وتعمل اللجان الثلاث بتوجيه من مجلس رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية(٧).

ثانيا : المنطق الاعلامي المشترك للدول العربية :

يمكن تقسيم هذا المنطق الى منطق سلبي ومنطق ايجابي(٨).

المنطق السلبي : يمكن تحديد المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك فيما يلي :(٩)

ـ **اسرائيل حقيقة استيطانية** : يستند المنطق الاعلامي العربي الى ابراز الحقائق عن الصفة الاستيطانية لاسرائيل والتصدي لمزاعمها التاريخية وابراز الادلة العلمية التي تثبت عروبة فلسطين وابراز اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ والعوامل التي مهدت لذلك ، والاستناد في هذا المصدر الى الادلة الاثرية وكتابات الاجانب ومنهم بعض اليهود غير الصهاينة لاثبات الصفة الاستيطانية لاسرائيل .

ـ **ابراز الحقائق الدينية المرتبطة باسرائيل واليهود والعرب** : وذلك بتفنيد « الوعد الالهي » وغير ذلك من المزاعم الصهيونية مع الاستناد الى المتخصصين في هذا الصدد وان الوعد شمل العرب ايضا .

ـ **ابراز وجود الديانة اليهودية وعدم وجود ما يسمى بالعنصر اليهودي** : تفنيد الادعاءات الخاصة «بالعنصر اليهودي» و«الامة اليهودية» و«القومية اليهودية» وحقيقة وجود ديانة يهودية لاناس مختلفي العناصر والاصل الانتروبولوجي مع الاستناد الى كتابات المختصين في الانتروبولوجيا والتاريخ وغيرها .

ـ **اسرائيل حقيقة استيطانية مرتبطة بالغرب** : ابراز الصفة المهاجرة للعنصر البشري في اسرائيل وابراز دور العنصر البشري المهاجر من الغرب واهميته النسبية ، وحقيقة الاقتصاد الاسرائيلي الذي يتسم بالاصطناعية فهو منقول Transmitted economy اساسا من الغرب .

ـ **اسرائيل تعبر عن صورة جديدة للفاشية والنازية** : تعبر اسرائيل عن صورة جديدة للتسلطية مثل الفاشية والنازية وذلك لاهدارها حقوق الانسان العربي وحرياته الاساسية في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وما بعدها وذلك بالاضطهاد واهدار الحريات ومصادرة الممتلكات والقتل وهدم الممتلكات وابعاد السكان ... الخ.

ـ **التقدم التكنولوجي الاسرائيلي منقول من الخارج:** ابراز الحقيقة العصرية والتكنولوجية لاسرائيل واثبات صفتها الاصطناعية سواء اكان ذلك في العنصر البشري والامكانيات المادية والفنية وان اسرائيل لم تحول الصحراء الى اراضي خصبة ولكن التقدم التكنولوجي ولا سيما الموارد من الغرب هو الذي قام بهذه المهمة .

ـ **اسرائيل دخيلة على الشرق الاوسط** : اسرائيل جزء دخيل على الشرق الاوسط ويتسم وجودها بعدم الاستقرار لانها دخيلة عليه ، لقيامها على ارض فلسطين وطرد السكان الاصليين منها .

ـ **اسرائيل تمثل الفكرة العنصرية** : وذلك بكشف الاسس العنصرية للمجتمع الاسرائيلي سواء اكان ذلك ضد العرب او بين اليهود انفسهم وتشابه ذلك مع النظم العنصرية في افريقيا الجنوبية .

هذه هي ابرز نقاط المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك ، اما ابرز نطاق **المنطق الايجابي** للاعلام العربي المشترك فيمكن توضيحها فيما يلي :(١٠)

ـ **حتمية الوحدة القومية** : ابراز مقومات الوحدة القومية التاريخية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع توضيح اهمية التكامل السياسي والاقتصادي في عالم اليوم .

ـ **شرعية المقاومة الفلسطينية** : ابراز الادلة القانونية والسياسية والتاريخية لشرعية المقاومة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبارها حركة من حركات التحرير الوطني ومرتبطة بالنضال من اجل التحرير الوطني .

ـ **الدول العربية تاخذ بالتقدم التكنولوجي** : تاخذ الدول العربية بالتقدم التكنولوجي في حدود امكانياتها كدول حديثة العهد بالاستقلال وتسير بخطوات في هذا الصدد .

ـ **ابراز مساهمة العرب الحضارية** : ساهم العرب في الحضارة الانسانية في المجالات المختلفة كما ان اوروبا استفادت مما اضافه العرب الى الحضارة والعلم مع الاستدلال بالبقايا الاثرية وكتابات المختصين في هذا الصدد .

ـ **ابراز الطابع القومي العربي** : توضيح الطابع القومي العربي واتسامه بالانسانية والتعاون والاخاء مع التصدي للمحاولات التي تهدف الى تشويهه والنيل منه .

ـ **انسانية الموقف العربي تجاه القضية اليهودية:** تأكيد الموقف الانساني للشعب العربي تجاه القضية اليهودية وابراز تاريخ الاخاء العربي اليهودي وتمتع اليهود بحقوق المواطنة في الدول العربية(١١)

ويأخذ هذا المنطق في اعتباره عدة عوامل اهمها :

ـ **مستقبلو الرسالة الاعلامية** : ياخذ المنطق الاعلامي العربي في اعتباره مستقبلي الرسالة الاعلامية ومن هنا تبرز تعدد وسائل الاعلام وتعدد مؤسساته وابراز المداخل المناسبة لمستقبلي الرسالة الاعلامية وعلى هذا الاساس تبدو اهمية معرفة الرأي العام القطاعي Sectorial والمناطق المتعلقة بمستقبلي الرسالة الاعلامية .

ـ **التخطيط السياسي** : يعتبر الاعلام العربي المشترك احد وسائل السياسة الخارجية العربية المشتركة ولذلك فالتخطيط الاعلامي العربي يسير في اطار التخطيط السياسي العربي المشترك وعلى هذا الاساس يأخذ التخطيط الاعلامي العربي في اعتباره اهداف السياسة الخارجية العربية ودور الاعلام في تحقيق هذه الاهداف .

ـ **الدعاية الاسرائيلية** : يضع الاعلام العربي في اعتباره الدعاية الاسرائيلية المضادة ووسائلها وامكانياتها وكفاءة العاملين فيها واستراتيجيتها الطويلة وما يتعلق بذلك من امور مرحلية بالاضافة الى المنطق الدعائي الصهيوني ومراحله وتطوره والعوامل المؤثرة فيه(١٢).

ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك :

يمكن تحديد وظيفة الاعلام العربي فيما يلي :

وظيفة الاتصال بالجماعات المؤثرة: يقوم الاعلام العربي بالاتصال بالجماعات المؤثرة مثل جماعات الضغط Pressure groups والجماعات المصلحية interest groups واللوبيهات Lobbies والشخصيات البرلمانية والحزبية ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي .

وهنا يؤخذ في الاعتبار طبيعة النظم السياسية السائدة وطرق اتخاذ القرار ومدى ديمقراطيته او اوتوقراطيته وهل يفرض من القيادة او تساهم فيه الفئات الحكومية .

وعلى هذا الاساس فان الاتصال بالجماعات المؤثرة عامل هام في التأثير على موقف الدولة من القضايا التي يطرحها الاعلام العربي وفي هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار درجة الموقف السياسي للدولة وتتراوح هذه المواقف بين التأييد التام والتأييد والحياد والمعارضة التامة والمعارضة وهنا تكون وظيفة الاعلام العربي تحديد درجة الموقف السياسي للدولة والعمل على زحزحته نحو درجة التأييد الممكنة لصالح القضايا العربية ويكون موقف الدولة معيارا لتحديد الطريقة التي يتدخل بها الاعلام العربي ومدى الامكانية المتاحة لهذا الاعلام وقدراته والظروف التي يعمل بها في هذا الصدد .

ويتعدى الاعلام العربي هذه الوظيفة للقيام بوظيفة مرافقة الا وهي وظيفة العلاقات العامة .

وظيفة العلاقات العامة : يمكن تلخيصها في انها نقل الحقائق الى مستقبلي الرسالة الاعلامية ومعرفة رد الفعل Feed-back للمتقبلين واخذه في الاعتبار عند توجيه الرسائل الاعلامية التالية وهنا يتم توزيع الكتب والكتيبات والمنشورات والنشرات والبيانات الصحفية والاتصال بالصحف والاذاعة والتلفزيون واجراء المقابلات مع وسائل الاعلام والسياحة وذلك بتشجيع الحركة السياحية للعالم العربي ... الخ .

وهذه الوظيفة تؤثر في الرأي العام بشكل عام الامر الذي يؤثر على المستقبلين بغض النظر عن مدى تاثيرهم في اتخاذ القرارات(١٣).

وظيفة تمثيلية : تنحصر في القيام بوظائف تمثيل جامعة الدول العربية باعتبارها ليست منظمة اقليمية فحسب بل هي ايضا منظمة قومية لانتماء اعضائها الى عقيدة القومية العربية وعلى هذا الاساس نجد ان مكتب نيويورك مثلا يقوم بوظيفة تمثيلية بالاضافة الى صفته الاعلامية وهذا يرجع الى وجود الامم المتحدة في نيويورك ومن هنا يبرز دور المجموعة العربية والاتصال بها عند تحديد المواقف والتصويت عليها في الامم المتحدة .

خاتمة : استعرضنا فيما سبق تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية والمنطق الاعلامي العربي المشترك للدول العربية ووظيفة الاعلام العربي المشترك واذا اخذنا ذلك في الاعتبار لتحديد فاعلية الاعلام العربي فان الامكانيات المتاحة والاشخاص القائمين بها والظروف المرتبطة بذلك وطرق الاختيار بين البدائل، كل ذلك في جانب والدعاية الاسرائيلية والصهيونية ولا سيما استراتيجيتها ومراحلها والعوامل المؤثرة فيها وامكانياتها ومنطقها الدعائي وتخطيط هذا المنطق ، كل ذلك في اطار الظروف الدولية والاعتبارات السياسية ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية سار على نحو لا بأس فيه وحقق اهدافا معقولة في حدود امكانياته وان الحكم المطلق على دور الاعلام العربي المشترك بالفشل او النجاح دون الاخذ في الاعتبار هذه العوامل يعتبر اما جهلا بالحقائق او حبا في الهجوم فالاعلام العربي المشترك كجزء من نشاط جامعة الدول العربية يعتبر انعكاسا لارادة العمل العربي وارادات الدول الاعضاء ، كما ان الجامعةالعربية بدأت تستفيد من المتخصصين والفنيين والخبراء في كافة المجالات في حدود امكانياتها الامر الذي يجب النظر اليه بعين الجد .

محمد علي العويني

---

١ — فيما يتعلق بهذه المفاهيم انظر تعريفات اخرى في :
— د. حامد ربيع — المخطط الدعائي في الاستراتيجية الصهيونية — مجلة **السياسة الدولية** — العدد ١١ — يناير ١٩٦٨ .
— د. حامد ربيع — **فلسفة الدعاية الاسرائيلية**
— مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية بيروت — يوليو ١٩٧٠ .
— Klapper: *The Effects of Mass Communication*, 1961
— Symposium Ljubljana 1968, Mass Media and International Understanding, School of Sociology, Political Science and Journalism, Ljubljana, 1969.
وعرضنا لهذا الكتاب في مجلة **السياسة الدولية** — العدد ٢٧ — يناير ١٩٧٢ — ص ص ١٦٧ — ١٧١ .

٢ — د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك ماضيه ومستقبله** — الكتاب الاول — ١٩٦٨ — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٦٨ .
— د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك في المجال الدولي** — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٧١ .

٣ — اعتمدنا في هذه الدراسة على الاندماج في الظاهرة موضع الدراسة احيانا و الاحتكاك بها أحيانا اخرى وملاحظتها بالاضافة الى الاحالات المرجعية واعتمدنا في الجزء الخاص بالمنطق الاعلامي على تحليل المضمون .

٤ — قرار سيادة الامين العام رقم ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ .
— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — عدد خاص عن جامعة الدول العربية — العدد / ٦٧ — يوليو ١٩٧٠ — ص ص ١٨٨ — ١٩١، ٢٤٠ .
— دليل جامعة الدول العربية — **ملحق الاهرام الاقتصادي** — عدد ١٥ مارس ١٩٧٠ — تقديم د. بطرس بطرس غالي — ص ص ٤٨ — ٤٩ ، ٥٣ — ٥٥ .

٥ — قرار سيادة الامين العام رقم / ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ — مرجع سابق .
— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — العدد / ٦٧ — مرجع سابق .

٦ — لمزيد من التفصيل انظر :
— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — **ميزانية عام ١٩٧٠ / ١٩٧١** من ١٩٧٠/٧/١ حتى ١٩٧١/٦/٣٠ . والتي وافق عليها مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة في يوم ١٩٧٠/٣/١٤ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام — تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من ١٩٧١ .

٧ — قرار سيادة الامين العام السابق الاشارة اليه .

المجلة المصرية للعلوم السياسية — مرجع سابق ص ص ١٩٠ — ١٩١ .

٨ — وصلنا الى هذا المنطق اساسا عن طريق تحليل المضمون وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية .

انظر فيما يتعلق بتحليل المضمون :

Lindzev, Aronson : *The Handbook of Social Psychology*, Vol. II, 1968, p. 63.

د. حامد ربيع — **نظرية الدعاية الخارجية** — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة ١٩٧٠ — ص ٩٧ وما بعدها .

انظر بعض الدراسات في تحليل المضمون مثل :

Suleiman, Michael W., « The Mass Media and the June War» & H.H., «The Middle East Crisis of 1967 and the New York Times», in *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem*, P.L.O. Research Center, Beirut, February, 1969.

٩ — اعتمدنا في الوصول الى هذا المنطق السلبي على تحليل مضمون نشرات وكتب صادرة عن مكاتب الجامعة في الخارج والادارة المركزية للاعلام مثل :

— *The Arab World*, Published by the Arab Information Center, New York, U.S.A.
— *Al'arab*, Published by the League of Arab States Mission, New Delhi, India.
— *Informations Arabes*, Centre d'Information Arabe, Genève.
— *Actualités Arabes*, Publié par le Bureau de la Ligue des Etats Arabes, Paris.
— *The Arab*, Published by the Arab League Office, London.
— *The Arab Review*, Published by the Arab League Office, Tokyo.

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — نشرة الاعلام العربي .

١٠ — اعتمدنا في هذا الصدد على المراجع السابقة نفسها .

١١ — جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — مذكرة بشأن تنسيق الامكانيات الاعلامية في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ — وضع هذه المذكرة لجنة من الخبراء مكونة من د. بطرس بطرس غالي ، د. عاطف عبيد ، د. نبيل شعث ، د. انيس صايغ ، والاستاذ تحسين بشير .

١٢ — محمد علي العويني — **السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا** — رسالة ماجستير — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة — يوليو ١٩٧١ — صص ٢٥٤ — ٢٥٧.

— تحسين بشير — **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٩ .

— منذر عنبتاوي — **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٨ .

Kishtainy, Khalid : *Verdict in Absentia*, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.

١٣ — انظر مثلا :

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام ، تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من عام ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في طوكيو — نشاط المكتب عن الفترة من منتصف نوفمبر حتى منتصف ديسمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في لندن — نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في روما تقرير عن اهم نشاط المكتب خلال شهر ديسمبر ١٩٧١.

— مكتب جامعة الدول العربية في البرازيل — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١.

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — مكتب بون — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— جامعة الدول العربية — مكتب جنيف — التقرير الاعلامي لشهر نوفمبر ١٩٧١ .

جماعة السينما الفلسطينية
وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث

مع بداية شهر شباط ١٩٧٣ كان الاتفاق قد تم نهائيا بين أغلبية اعضاء [جماعة السينما الفلسطينية]، بقبول المشروع الذي تقدم به مركز الابحاث بتبني الجماعة . وبعد هذا القبول ، أصبح اسم الجماعة كالآتي [جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث] . وقد ظلت أهداف الجماعة كما أعلنت عنها في بيانها الذي صدر في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ما هي جماعة السينما الفلسطينية ؟ وما هي جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ؟ كيف تكونت، وكيف تم هذا اللقاء بينها وبين الجماعة في مركز الابحاث وما هدفه .

تحدثت الجماعة في بيان لها عن اهمية السينما الفلسطينية وضرورة تطويرها « كي تستطيع الوقوف بجدارة الى جانب المقاتلين الشجعان ، وتعكس حقيقة القضية وتصور مراحل كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير ارضه وتعكس الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل . ومثل هذه السينما ينبغي ان تنمو وتتطور ضمن جهود منظمة مجتمعة .. » . من هذا المنطلق تكونت الجماعة من المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر وقد أعلنت عن أهدافها كما جاء في البيان كالآتي :

« **ضمن الانتاج** : تحقيق أفلام ثورية تحشد الجماهير حول الثورة وتعرف بكفاح شعبنا وقضيته للعالم .
ضمن الوثيقة : انشاء مكتبة سينمائية (أرشيف ، يضم الوثائق المصورة المتحركة والثابتة التي تحتوي على صور نضال شعبنا ومراحل تطور قضيته) .
ضمن التعاون : توطيد العلاقة مع الجماعات السينمائية الثورية والتقدمية في العالم والمشاركة في مهرجانات السينما باسم فلسطين ، وتقديم التسهيلات السينمائية المتوفرة الى كل الجهات الصديقة التي تعمل ضمن أهداف الثورة الفلسطينية » .

وقد تكونت جماعة السينما الفلسطينية عبر نقاشات طويلة وبعد لقاءات عدة ابتدأت في بداية عام ١٩٧٢ . وقد ساهم في هذا النقاش اطراف رسمية مثل قسم الثقافة الفنية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — في بداية النقاش الاولى ثم انسحب هذا القسم من المشاركة في النقاش فيما بعد . وقد كان مهرجان دمشق الدولي الاول لسينما الشباب الذي انعقد في نيسان ١٩٧٢ ، عاملا هاما في تنشيط النقاش والبحث عن صيغة تمكن هؤلاء « المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر » ، استخدام هذه الوسيلة الجماهيرية الهامة — السينما .

اما حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، فقد أبدت الفكرة ووضعت كافة امكانيات قسم السينما التابع للاعلام المركزي من معدات وارشيف بمتناول الجماعة . وفي نفس الوقت تم لقاء بين ممثلين عن (الجماعة) ومركز الابحاث ، وقد أعرب المركز عن اهتمامه بالموضوع ، وعرض على (الجماعة) مقرا لها في المركز كما ابدى اهتماما كبيرا بفكرة انشاء مكتبة سينمائية فلسطينية .

هذه العوامل فتحت أبوابا هامة أمام (الجماعة)، ومنحتها الدعم المعنوي . وقد أعلنت الجماعة بيانها وأقرت نظامها الداخلي بعد هذا التشجيع والدعم بوقت قصير . وزعت الجماعة بيانها بشكل واسع ، وأقامت صلات مع بعض السينمائيين التقدميين ، وخاصة اثناء المهرجان الدولي الرابع للايام السينمائية بقرطاج ، والذي أقيم في تونس في بداية اكتوبر ١٩٧٢ ، كما أجرت اتصالات مع مدير مؤسسة السينما السورية السيد عبدالحميد مرعي، ومدير مؤسسة السينما التونسية المعروفة (بالساتباك) السيد حمادي الصيد . وأجرت اتصالا مع مركز الفنون السمعية والبصرية الجزائرية ، وآخر مع السكرتارية العامة للمهرجان الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين والذي يعقد في بغداد في الفترة ما بين ١٩ و٢٢ آذار ١٩٧٣ . في وقت لاحق ، وفي حوالي منتصف كانون الاول ١٩٧٢ تقدم مركز الابحاث ، بعد ان حصل على موافقة من جامعة الدول العربية بدعم مشروع المكتبة السينمائية ، تقدم المركز بمشروع تبني جماعة السينما الفلسطينية وذكر في مقدمة المشروع المقترح ما يلي :

« يرى المركز أن مزيدا من الالتحام بينه وبين الجماعة سيؤدي الى خير السينما الفلسطينية : ذلك ان المركز يعلق اهمية كبيرة على وجود الطاقات الفنية الواعية التي تضمها الجماعة ،

الامر الذي يشجعه على تبني نشاطاتها وتوفير الدعم الادبي والمادي كي تحقق الجماعة أهدافها التي أعلنت عنها في بيان تأسيسها . وسوف يوظف المركز سمعته التي اكتسبها على كل صعيد كي يفتح أمام الجماعة مداخل واسعة تلج منها الى ميدان تحقيق طموحاتهـا وممارسة اعمالها علـى الوجه الاكمل » . وقد احتوى المشروع اقتراحا لتنظيم العلاقـة بين المركز وجماعـة السينمـا الفلسطينية شملت الصيغـة العامة للعلاقـة ، والنواحي الفنية ، والقضايا المالية وأمورا عامة. وفيما يلي أهم البنود التي وردت في مشروع مركز الابحاث :

« **الصيغة العامة للعلاقة :**

ا ـ اسم الجماعة : جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث .

ب ـ الجماعة تمثل المركز وتنطق باسمه في جميع الميادين السينمائية وهي تمارس عملها من ضمن هذه الصيغة ، وبذلك فان كل اتصال لها او نشاط معنوي أو مادي (مهرجانات انتاج ، انتاج مشترك، تمويل) ينحصر في هذه الصيغة .

. . .

د ـ تختار الجماعة احد اعضائها ليتفرغ للعمل السينمائي في المركز بشرط أن تتوفر فيـه الشروط الفنية التي تؤهله لهذا العمل . »

وفي القضايا المالية :

« أ ـ ينشأ صندوق خاص باسم جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحـاث ترصد فيه جميع الاموال التي ترد الى هذا المشروع . ويتم الصرف من هذا الصندوق على جميع الاحتياجات الفنية للجماعة . ومدخول هذا الصندوق يخصص فقـط للمشاريع السينمائية ولا ينفق منه على اي من مشاريع المركز الاخرى .

. . .

د ـ يتم تدقيق الحسابات حسب الانظمة المتبعة في الصندوق القومي الفلسطيني . »

وتحت بند أمور عامة :

« أ ـ تضع الجماعة لنفسها نظاما داخليا يحدد سير عملها .

. . .

ج ـ يهيىء المركز جميـع الظروف الممكنة التي تساعد الجماعة على تأدية مهماتها ، كما يوفر حاليا مكانـا للجماعة ويوفـر لها التسهيـلات الادارية . »

وبعد مناقشة هذا المشروع ، رأت اغلبية أعضاء جماعة السينما الفلسطينية ، ان قبول هذا المشروع سيكون بمثابة بدء عملـي في تحقيق الاهداف التي أعلنت عنها . فاقرت المشروع ، وبهذا أصبح الاسم الجديد (جماعة السينمـا الفلسطينية في مركـز الابحاث) وقد بوشر بالعمل من بداية شباط ١٩٧٣ في مركز الابحاث ، من اجل تحقيق أهداف الجماعة المعلنة .

من بين أهداف الجماعة ، تبرز المكتبة والارشيف كهدف هام ، فالمكتبـة التي ستشمل اللقطـات السينمائية عن فلسطين والشعب الفلسطيني ، منذ مطلع هذا القرن ستكون مصدرا هامـا للاعلام الفلسطيني والعربي . ان المطلـع على القضية الفلسطينية ، يدرك ان جميع الوثائق التي تخص هذه القضية ، هي وثائق في صالح قضية الشعب الفلسطيني . والوثائق التي تخص وعد بلفور ، وكذلك الوثائق التـي تخص الهجرة الصهيونية والاساليب التي طبق الصهاينة فيها خططهم لشراء الاراضي واقامة المستعمرات ، وكذلك الوثائق التي تخص النضال الفلسطيني منذ ١٩١٧ مرورا بعام ١٩١٩ ، ١٩٢٩ ، وثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وكذلك النضال الـذي تلا ضد الانتـداب الانجليـزي والصهيونية مرورا بعام ١٩٤٨ ، وكذلك الوثائق التي تخص مأساة هذا الشعب في التشرد والضياع ... هذه الوثائق وغيرها الكثير ، تؤكد حق الشعب الفلسطيني بفلسطين ، وتكشف طبيعـة العدوان الواقع على هذا الشعب ـ والوثيقة السينمائية من بين جميع الوثائق هـي الاهم ، لانها تمتلك خاصية نقل الحدث الحي ، صوتا وحركة وصورة. ان مساعدة الاطراف المهتمـة بالعمل في سبيـل القضية الفلسطينية ، والعاملة في تحقيق آمـال الشعب الفلسطيني والممثلة بثورتـه المسلحة ، مساعدة مادية ومعنوية ، ضرورية لانشاء هـذه المكتبة السينمائية الفلسطينيـة ، وانشاء سينما فلسطينية قادرة على نقل تجربة الشعب الفلسطيني.

مصطفى ابو علي

شـــهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

شهدت حركة المقاومة شهرا صاخبا مليئا بالحيوية والنشاط والمعارك السياسية والعسكرية التـي شملت اكثر من بلد . وتميز هذا النشاط بتنـوع انماطه وتعدد نتائجه ، وطرح اسئلة واحتمـالات سياسية من نوع جديد . كما استطاع هذا النشاط ان يكون محورا لكثير من التحركـات والمواقـف العربية ، سواء على صعيد الانظمة او على صعيد الاحزاب والقوى الشعبية ، التي انشغلت كلها بما اثارته نشاطات حركة المقاومة طوال الفترة الممتدة من ١١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٣ .

العدوان الاسرائيلي على مخيمات لبنان :

الموقف الاسرائيلي الدائم والمعلن ، ان اي نشاط فدائي ينطلق من البلاد العربية ، يكون الرد عليه في البلاد العربية نفسها ، وذلك تحقيقا لاهـداف متعددة . في مقدمتها ضرب العمل الفدائي نفسه ، ودفع الحكومات العربية الى التضييق على حركة المقاومة تفاديا للخسائر التي تحدثها الاعتـداءات واحداث انقسام بين الفدائيين والسكان المدنيـين نتيجة الخسائـر التي يتعرضون لها . وكذلـك استخـدام جـو التوتـر الناشيء لضرب الثورة العسكرية العربية . وسابقا كان التكتيك الاسرائيلي يحرص على توجيه الضربات العسكرية حين تكون هناك عمليات فدائية كبيرة ، او عمليات فدائيـة صغيرة يجري تضخيمها اعلاميا ، وذلك لايجـاد مبررات تستخدم كغطاء في الاوساط الدولية .ولكن هذا الموقف تبدل بعد عملية ميونيخ الشهـيرة . فعلى اثر هذه العملية اعلنت اسرائيـل رسميـا وبقرار من الكنيست ، انها ستضرب في كل مكان وبكل وسيلة ، وبدون انتظار للمبررات ، معتبـرة ان هناك معركة مفتوحة بينها وبين الفدائيـين ، وبينها وبين كل بلد يقدم مساعـدات للفدائيين . واضافة الى ذلك طورت اسرائيل اساليبها ،فأخذت تمارس رسميا سياسة الارهاب والاغتيال ، كمـا اصبحت مستعدة لقصف وضرب تجمعات المدنيـين على نطاق واسع . وقد كان نصيب لبنان ، ونصيب التجمعات الفلسطينية في لبنان ، كبيرا من هـذه السياسة ، وادى مثلا الى اتفاق فدائي لبناني بتجميد العمل العسكري المنطلق من مناطق الجنوب منذ عدة أشهر ، رغم قناعـة حركة المقـاومة بأن اعتـداءات اسرائيـل ليست مرتبطة بنشاطـات الفدائيين فقط .

وفي منتصف ليل ٢٠ شباط تأكدت قناعـة حركة المقاومة ، وسقطت حجة الحكومة اللبنانية الداعية الى تجميد النشاط الفدائي ، وذلك حين اقدمت اسرائيل على شن هجوم عن طريق البحر علـى المدنيين الفلسطينيين في مخيمي نهر البارد والبداوي في المنطقة الشمالية من لبنان . وكان من الواضح ان هدف اسرائيل الاساسي ايقاع خسائر كبـيرة بالمدنيين تحدث هزة معنوية في صفوفهم ، وضرب المكاتب الادارية للعمل الفدائي ، ليس لقيمتهـا العسكرية ، بـل لما تمثلـه مـن رمز معنـوي للفلسطينيين .

كان العدوان الاسرائيلي مفاجئا وسريعا واحـدث خسائر كبيرة بالارواح . ولكنه بالرغم من ذلك ووجه بمقاومة باسلة من متطوعي الميليشيا في المخيمات ، لا تعني مـن القـول بضرورة رفـع كفـاءتهم القتالية ودرجة تيقظهم ، وصيـاغة تواجدهم فـي المخيمات حسب خطط دفاعية تلائم كل مخيم علـى حدة . والجدير بالملاحظة هنـا ان عبء المقاومة تحملته قوات الميليشيا في المخيمات دون اي تدخل من قبل الجيش اللبناني ، وان ردود الفعل علـى الحادث لم تكن فلسطينية فقط ، انما كانت هناك ردود فعل لبنانية على نطاق واسع . فحين شيعت طرابلس ١١ فدائيا من شهداء الاعتداء سار وراء جناز التشييع اكثر من ٣٥ الفا من سكان المدينة

كانوا يهتفون كلهم ضد الحكام الذين يلهثـون وراء الحل السلمي ، ووزعت الاحزاب اللبنانية في الجناز بيانات تندد بموقف السلطة اللبنانية . وتكـررت الظاهرة نفسها في تشييع مدينة صيدا بجناز ضخم لفدائيين من شهداء الحادث ، وفي جناز مماثـل لفدائيين اخرين بمدينة بيروت ، واضرب الطلاب في بيروت وصيدا احتجاجا على عدم تدخل الجيـش اللبناني في المعركة .

أما على الصعيد الرسمي فقد طرح موقف الحكومة للنقاش في مجلس النواب ، واثار نواب المعارضة حملة عنيفة ضد الحكومة بسبب موقفها ، وردت اوساط الرئيس صائب سلام تقول ان عدم قيام رد فعل لبناني على الهجوم الاسرائيلي يعـود الـى عنصر المفاجأة ، لان الحكومة كانت تتوقع الهجوم على جنوب لبنان وليـس على منطقة الشمال . وحين سئل رئيس الوزراء عن السبب الذي لم يكتشف فيه الرادار تحرك طائرات الهليكوبتر التي نقلت الجنود الاسرائيليين اجاب بأن الرادار تنقصه بعض القطع الحساسة . واحيت هذه الردود من جديد منطق الحملة الاعلامية الرسمية التي حاولت تبرير هزيمة حزيران .

وفي جملة سعيه لتطويق نتائج الاعتداء الاسرائيلي قابل صائب سلام السيد ياسر عرفـات وعرضا الوضع الناشيء عن الاعتداء . وفي نفس اليوم (٢٣ شباط) زار السيد عرفات موقع الاعتداء وخاطب جماهير المخيم قـائلا « لتفهم كل القوى المستسلمة في الارض العربية ان المقاتل الفلسطيني لن يستسلم ، وسيظل يعلق بندقيته حتى يفرض الفلاح الفلسطيني والفدائي الفلسطيني ارادتهما ، كما فرضها الفلاح الفيتنامي بعد اكثر من ١٩ عاما من القتال » .

الاردن وقضية ابو داوود :

اثيرت قضية ابو داوود علنا صباح ١٥ شباط في جريدة النهار البيروتية ، بعد مضي خمسة أيـام على اعتقاله مع ١٦ فدائيا اخرين توجهوا الى عمان من الحدود السورية والعراقية وعن طريق المطار . وكانت رواية النهار للقضيـة شبيهة بالروايات البوليسية ، وهي رواية تتلخص بأن ابو داوود توجه مع رفاقه لاحتلال عمان !! ومنذ البدايـة تبين ان هذا التضخيم للعملية يهدف الى استغلالها اعلاميا ضد حركة المقاومة ولصالح النظام الاردني ، كما يمهد لاستصدار احكام قاسيـة ضد الفدائيين المعتقلين . وردا على هذا التضخيم سارعت حركة المقاومة الى توضيح حقيقة الحادث . فعقد السيد محمد النجـار (ابو يوسف) رئيـس الـدائرة السياسية في اللجنة التنفيذية ، ورئيس اللجنـة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيـين في لبنان اجتماعا مع السفراء العرب في بيروت عرض عليهم فيه انباء الاعتقالات في عمان ، وسلمهم مذكـرة بتوقيع اللجنة المركزية لحركة فتح جاء فيها : ان الحركة قررت دفع قياداتها الى داخل فلسطـين المحتلة ، وان قسما منهم دخل اليها فعلا ، ونتيجة للتنسيق بين المخابرات الاسرائيلية والاردنية تم اعتقال عدد من ثوارنا كـانوا يستعدون لدخـول الاراضي المحتلة ، وفي مقدمتهم ابو داوود ورفاقه. ومضت المذكرة تقول : لا نجد ضرورة للـرد على الرواية الاردنية (رواية النهار) حول احتلال عمان، فاختلاق هذه الرواية هدفه ايجاد الذرائع لارتكاب مجزرة سيكون ابو داوود جزءا منها . وحملت المذكرة السلطات الاردنية مسؤولية حياة ابو داوود وسائر رفاقه ، وطالبت الدول العربيـة بتحمـل مسؤولياتها ، لانها لا تستطيع ان تتقبـل الصمت العربي على جرائم النظام الاردني .

ثم أعقب هذا اللقاء مؤتمر صحفي عقـده السيد كمال عدوان أحد قادة فتح ، عرض فيه اولا مجرى النقاش والقرارات في مجلس الدفاع العربي الذي عقد مؤخرا في القاهرة ، واتجاهها نحو المصالحة مع الاردن ونحو تطويع المقاومة لصالح النظـام الاردني . ثم اوضح للصحفيين ان حركة فتح رأت ان مواجهة حالة العجز العربي لا يمكن ان تتم الا بدفع قيادات من مراتب عليا الى داخـل الارض المحتلة لقيادة النضال الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وقد نفذت الحركة ذلك فعلا ، فدخل البعـض ، واشتبك البعض الاخر مع العدو ، واعتقل البعض في عمان ومنهم ابو داوود . واضاف كمال عدوان يقول : ان الحركة اختارت عمان للعبور باعتبارها احدى نقاط التماس مع العدو ، واكثر الواجهات العربية هدوءا ، ولان اخر ما تتوقعه سلطـات الاحتلال ، عبورا فدائيا من هذه الواجهة . ثـم اوضح مؤكدا : ان المعتقلين من فتح ، وليس كما يقال تزويرا من ايلول الاسود . والتركيز على انهم من ايلول الاسود يهدف الى تبرير اجراءات منتظرة للتصفية ، وهي محاولة تريد ان تستبق قـرارات مجلس الدفاع العربي بتشكيل لجنة عربية تذهب الى عمان لبحث امكان اعادة بناء الجبهة الشرقية

من جديد كجبهة مقاتلة اساسها المقاومة . واخيرا قال كمال عدوان : ان القيادات التي اندفعت للداخل لن نسمح ان تصفى في عمان . وان الانظمة العربية التي ظلت تتفرج منذ ايلول ١٩٧٠ لم يعد امامها اليوم اي مبرر للصمت ، وان الموقع القيادي للاخ ابو داوود ولرفاقه لا يسمح باي تلاعب بمصيره . وختم كمال عدوان كلامه مهددا : **ليتحمل الكل بعد هذا مسؤولية ردود الفعل اينما كانت وعلى اية ارض ، ولا يلومننا يومها احد .**

والقاسم المشترك بين مذكرة ابو يوسف ومؤتمر كمال عدوان الصحفي : الحرص على حياة ابو داوود ، والاصرار على انه كان مكلفا بمهمة في الارض المحتلة وليس في الاردن . ثم الانزعاج من الموقف الرسمي العربي والاستعداد الواضح للهجوم عليه .

يوم ١٩ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة مع ابو داوود جاء فيها : ان هدفه كان احتلال مقر رئاسة الحكومة الاردنية واحتجاز اعضائها من اجل اثبات وجود حركة فتح ثانيا ان يكون قدم الى الاردن متوجها الى الارض المحتلة ، وقائلا ان الاعداد للعملية تم في بغداد بالاشتراك مع السيد صلاح خلف (ابو اياد) وان القصد منها اثبات الوجود ونسف التفاهم بين الاردن والدول العربية الذي برز في مجلس الدفاع . وفورا نفت حركة فتح ان يكون ما اذيع هو صوت ابو داوود ، وقالت انها تسجيلات مزورة تثير الكثير من علامات الاستفهام حول مصيره ، واعلنت انها ستذيع اشرطة بصوته من ندواته الشعبية السابقة في عمان .

ويوم ٢٠ شباط قالت اذاعة عمان في تعليق لها ان ابو داوود سيتحدث في مؤتمر سيحضره كل من يريد ان يسمع الحقيقة . وفورا قال مصدر رسمي في حركة فتح اننا : نتحدى ان يقوم النظام الاردني بعقد مؤتمر صحفي للاخ ابو داوود على ان يكون هذا المؤتمر مفتوحا للجميع ويتم باشراف لجنتين ، الاولى من اتحاد الاطباء العرب ، والثانية من اتحاد المحامين العرب .

ويوم ٢٥ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة ثانية مع ابو داوود جاء فيها : دعوة المقاومة الفلسطينية الى تركيز عملياتها في الارض المحتلة ، واتهام لحركة فتح بانها مسؤولة عن حوادث ايلول ١٩٧٠، مع اشارة الى وجود خلافات داخل القيادة ، وان المقاومة هي الآن تحت رحمة الحكومات العربية .

والجدير بالذكر ان هذه المقابلة اذيعت بعد ان كان النظام الاردني قد اعلن ان محاكمة ابو داوود ورفاقه قد بدأت يوم ١٩ شباط امام محكمة امن الدولة وبتهمة « دخول الاردن في محاولة للقيام باعمال تخل بالامن » . وقد بقي مكان المحاكمة ووقائعها وزمنها سرا لم يكشف عنه حتى الان . ولم يعرف ما اذا كانت المقابلة الثانية التي بثها التلفزيون الاردني قد جرت اثناء المحاكمة او بعد انتهائها . ولكن لوحظ انه مع انتهاء عملية السفارة السعودية في الخرطوم اذاع الاردن يوم ٤ اذار نبأ الحكم بالاعدام على ابو داوود وعدد من زملائه دون تحديد لهذا العدد !! وفي نفس اليوم اذاع الاردن ان الوزارة صادقت على الحكم ، وان الملك حسين صادق عليه بدوره . وكان واضحا من طريقة الاعلان عن النبأ سعيه لان يوحي بان الاعدام سينفذ بسرعة ، اما توقيت الاعلان فقد اراد الاستفادة بشكل واضح من اجواء عملية الخرطوم.

ردود الفعل :

اثار اعتقال ابو داوود ورفاقه ضجة سياسية واعلامية كبيرة عربيا وعالميا ، ونشاطا دؤوبا على الصعيدين الشعبي والرسمي ، كانت ابرز ملامحه: نشاط حركة المقاومة (اللجنة التنفيذية — المنظمات الفدائية) . الاحزاب والهيئات الشعبية العربية (الاحزاب اللبنانية — الجبهة العربية المشاركة). الاتحادات الشعبية الفلسطينية. الاتحادات العربية (نقابات المحامين — اتحاد الصحافيين — لجنة الدفاع عن الدستور والحريات في لبنان) . المنظمات الدولية (منظمة التضامن الاسيوي الافريقي) . رؤساء الدول العربية (بومدين — السادات — الاسد — الصباح — فيصل — بورقيبه) . الجامعة العربية . شخصيات سياسية عربية (جنبلاط — المعوشي — كميل شمعون — بير الجميل) . شخصيات فلسطينية (الحاج امين الحسيني) . هيئة السوفيات الاعلى التي ناشدت الملك الغاء احكام الاعدام ، والتي اثار موقفها استغرابا واسع النطاق لانه يشكل بادرة هي الاولى من نوعها ، وتعتبر خرقا للاعراف الديبلوماسية ، لم تقدم عليها هيئة السوفيات الاعلى مثلا عند صدور احكام الاعدام على عبد الخالق محجوب ورفاقه في السودان . وعناوين هذه القائمة (التي لا تحصر كافة ردود الفعل) كافية لتبرز نوع الضجة العربية والعالمية التي اثارها اعتقال ابو

داوود ورفاقه . وهي ضجة بدات فور الاعلان عن اعتقاله ، واستمرت الى ما بعد صدور احكام الاعدام ، وكان تصاعدها يتنامى يوما بعد يوم . والى جانب المعاني العميقة التي يبرزها هذاالتحرك الواسع تأييدا لمظهر واحد من مظاهر نشاط حركة المقاومة ، والذي يكشف عن الاحترام والتقدير الواسع الذي تتمتع به ، فمن المهم ان نسجل الملاحظات التالية :

١ — بدأت الحملة الاعلامية على اساس الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين ، في جو من الادانة للنظام الاردني ، ثم تحولت بعد صدور احكام الاعدام على اثر عملية الخرطوم الى طلب تخفيف الاحكام .

٢ — شاركت في الحملة الاعلامية بعد عملية الخرطوم شخصيات سياسية رجعية تميزت مواقفها بالمناشدة والاسترحام ، وبالثناء على شهامة الملك حسين ، وبالتركيز على الجانب الانساني من القضية ، دون اي اشارة من قبلهم للجوانب السياسية في القضية . وساعدت هذه البرقيات في ابراز الموقف الاردني بمظهر من يتوجه الجميع لاسترضائه .

٣ — حاول الملك حسين ان يستغل الحملة الداعية للافراج عن ابو داوود ورفاقه لاملاء شروط على الفلسطينيين وعلى الحكومات العربية ، فطلب في رده على رسالة الشيخ صباح السالم الصباح حاكم الكويت التي ارسلها بطائرة خاصة يوم ٥ اذار : وضع حد نهائي لما أسماه باعمال التآمر التي تقوم بها حركة المقاومة ، على ان يكون ذلك بضمانة الدول العربية . وانتقد بعض الحكومات العربية قائلا انها تعرف الحقيقة ولكنها تفرش الرياحين للذين يقومون باعمال التآمر ، ثم ألمح الى ضرورة دعم الصف العربي ، وتهيئة فرص الدعم والصمود له ، في اشارة الى اموال الدعم التي اوقفت الكويت صرفها للاردن بعد احداث ايلول ١٩٧٠ . وقد ردت المقاومة على هذا الموقف الاردني فوصفته بالابتزاز السياسي وقالت : ان القضية ليست قضية ابو داوود بقدر ما هي قضية استراتيجية ، وموقفنا من النظام الاردني حسم منذ زمن ، وحددت منظمة التحرير هذه العلاقة في برنامجها السياسي . وهذه اشارة ضمنية الى ان مهمة ابو داوود لها جانب يتعلق بالاردن شبيهة بالاشارة التي وردت في تعليق لاذاعة المقاومة في درعا يوم ٢٨ شباط وجاء فيها ان مهمة ابو داوود كانت القيام بعمليات ضد النظام الاردني .

٤ — حاولت بعض الدول العربية ان تستفيد من طلب المقاومة منها التدخل للافراج عن ابو داوود ورفاقه ، لاثارة قضية مبدأ العلاقات بين الاردن والمقاومة ، وضرورة احياء اللجنة التي قرر مجلس الدفاع العربي تشكيلها للبحث في اسس عودة المقاومة الى الاردن ، بما يضمن هيمنة النظام الاردني عليها . ولكن لم يظهر في الافق ما يشير الى ان هذه المحاولات قد اثمرت .

٥ — تميزت حملة المقاومة الاعلامية بهجوم على مواقف الانظمة العربية واتهام لها بالتباطؤ في التحرك .

عملية الخرطوم :

في الوقت الذي كانت فيه قضية ابو داوود تتفاعل عربيا وعالميا ، كان وفد من حركة فتح برئاسة ابو يوسف وعضوية ابو مازن وابو هشام وابو الفهد، يقابل الملك فيصل في الرياض يوم ٢٣ شباط ، ويبحث معه امكانية تدخله للافراج عن ابو داوود ورفاقه . وواضح من طبيعة تشكيل الوفد ان فتح كانت تعطي اهتماما خاصا لهذه المقابلة وللنتائج التي يمكن ان تسفر عنها . ولكن ما ان مضت ستة ايام على هذه المقابلة حتى قام ثمانية من اعضاء منظمة ايلول الاسود مساء الاول من اذار باقتحام مبنى السفارة السعودية في الخرطوم واحتجاز خمسة ديبلوماسيين كانوا يحضرون حفل استقبال في السفارة هم : (السفير السعودي — القائم بالاعمال الاردني — السفير الامريكي — القائم بالاعمال الامريكي — القائم بالاعمال البلجيكي) . واذاع رجال ايلول الاسود ستة مطالب مقابل الافراج عن الرهائن ، مهددين باعدامهم اذا لم تلب مطالبهم . المطالب كانت : ١ — اطلاق ابو داوود ورفاقه الـ ١٦ خلال ٢٤ ساعة . ٢ — الافراج عن رافع الهنداوي وكل العسكريين الاردنيين المحتجزين بعد محاولة الانقلاب الفاشلة. ٣ — الافراج عن ٥٠ معتقلا في سجون الاردن من اعضاء المقاومة . ٤ — ان تفرج الولايات المتحدة عن سرحان سرحان . ٥ — ان تفرج دولة الاحتلال الصهيوني عن الاخوات المعتقلات في السجون الاسرائيلية . ٦ — ان تفرج حكومة المانيا الغربية عن جماعة بادر — ماينهوف .

في اليوم الثاني للعملية (٢ اذار) انتهت مدة الانذار دون ان يستجيب اي طرف من الاطراف المعنية للطلبات المقدمة ، فمدد الانذار لفترة اخرى بناء على طلب اللواء الباقر وزير داخلية السودان ، مع طلب بتجهيز طائرة تقل رجال ايلول الاسود مع الرهائن الى الولايات المتحدة ، على ان يرافقهم بالطائرة منصور خالد وزير الخارجية ، وعمر الحاج موسى وزير الاعلام . والا فان الاعدام سينفذ بالرهائن . لم تستجب حكومة السودان للطلب ، وانتهت مدة الانذار ، فاعدم ثلاثة من الرهائن هم (السفير الامريكي والقائم بالاعمال الامريكي والقائم بالاعمال البلجيكي) . وبعد ان تم الاعدام طلب الفدائيون مرة اخرى طائرة تقلهم مع السفير السعودي والقائم بالاعمال الاردني الى جهة رفضوا تحديدها ، وقلصوا مطالبهم الستة الى مطلب واحد هو الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين في الاردن . وفي اليوم الثالث للعملية (٣ اذار) طلب السودان من الفدائيين تسليم انفسهم فرفضوا ، كما رفضوا تسليم جثث الرهائن الثلاثة ، وطلبوا من جديد طائرة تقلهم جميعا الى ليبيا . وفي اليوم الرابع استسلم رجال ايلول الاسود في الساعة السادسة صباحا بعد ٥٩ ساعة مضت على بدء العملية ، واثار استسلامهم دهشة واسعة في الخرطوم . وخلال هذه الساعات الطويلة كانت ابرز مواقف الاطراف المعنية كما يلي :

الاردن : كان اول من تحرك ضد العملية وقال على لسان وزير الخارجية صلاح ابو زيد هذه العملية « ليست في مصلحة الفدائيين وستزيد الامور تعقيدا » . وفي اليوم التالي رفض الاردن مطالب الفدائيين واعلن انه يرفض اجراء « اي تسوية او مساومة مع المجرمين » .

السعودية : تميز رد فعلها بالبرود الشديد ، وارسل الملك فيصل في اليوم الثاني للعملية برقية الى النميري قال فيها « اننا لواثقون من حكمة فخامتكم في تصريفكم للامور ووضع حد لمثل هذه التهديدات والاستفزازات التي تضر بقضايا العرب ووحدة الصف » . ثم نشرت انباء صحفية على لسان مسؤولين سعوديين تقول ان السعودية ستعيد النظر في علاقاتها مع حركة المقاومة وفي وجود كثير من الموظفين الفلسطينيين لديها . ولكن السعودية سارعت الى نفي النبأ الذي يتعلق بالفلسطينيين المقيمين في السعودية دون ان تنفي الشق الاول من الانباء .

الولايات المتحدة : اعلن الرئيس الاميركي نيكسون ان الولايات المتحدة لن ترضخ للتهديد ولن تستجيب للمطالب . وبعد ان تم اعدام الرهائن دعا الى محاكمة رجال ايلول الاسود . ثم وجه رسالة رسمية الى الحكومة السودانية طلبت بشكل غير مباشر عدم تمكين رجال ايلول الاسود من مغادرة الاراضي السودانية . اما بعد ان استسلموا للحكومة السودانية فقد اعلن روجرز ان رجال ايلول الاسود يستحقون عقوبة الاعدام .

اسرائيل : رفضت اسرائيل بدورها الاستجابة للطلبات المقدمة ، وركزت صحفها على الاختيار الصعب المطروح امام النميري بين تأييد الفدائيين وبين حاجته للمساعدات الامريكية . وحين اعلن حظره لكل نشاط يتعلق بحركة المقاومة في السودان، اثنت الصحف الاسرائيلية على هذا الموقف ودعت بقية الحكام العرب للنسج على منواله ، قائلة ان مثل هذه المواقف تفسح المجال امام انجاح التسويات السياسية .

السودان : في اليوم الاول للحادث اجتمعت الوزارة السودانية في جلسة طارئة ، قامت على اثرها قوات عسكرية بتطويق مبنى السفارة السعودية . وفي اليوم الثاني تم تدعيم القوات العسكرية حول المبنى . وقد اتخذت هذه الاجراءات دون الاعلان من اي موقف سوداني رسمي . ولكن ما ان استسلم رجال ايلول الاسود حتى بدأت الحكومة السودانية حملة على كافة المستويات استهدفت حركة المقاومة بمجملها بالادانة والتجريح . فقالت مصادر مطلعة ان المعتقلين سيحاكمون بتهمة القتل وشنت الصحف السودانية (٥ اذار) حملة ضد حركة فتح واتهمتها بالاشتراك بالعملية . وفي اليوم التالي (٦ اذار) أعلن النميري في خطاب شعبي وضع حد لكل نشاطات المقاومة في السودان ، وأكد ان الفدائيين سيحاكمون « وسيكون عقابهم منصفا » ، واتهم مكتب حركة فتح بانه يقوم بنشاطات تخريبية في السودان ، ويتصل بعناصر هدامة في اثيوبيا (ثوار اريتريا) بواسطة عناصر سودانية ، وتحدى عرفات ان يندد علنا باحتلال السفارة ، واعتبر الحادث عدوانا على الشعب السوداني !! ثم بعث النميري برسائل الى الحكام العرب دعاهم فيها الى وضع قيود على حركة

الفدائيين مشيرا الى ان ليبيا تقف وراء الحادث . ثم اتسع نطاق الحملة السودانية ليشمل اعتقال ستة سودانيين واثنين من ثوار اريتريا وجهت لهم تهمة الاتصال بمنظمة ايلول الاسود . ثم اتسعت الحملة اكثر ، فاعتقل مدير مكتب منظمة التحرير بالخرطوم ، وطالبت السودان بتسليم مدير مكتب فتح الذي غادر الخرطوم قبل الحادث متوجها الى ليبيا لمحاكمته ، واشاعت السلطات السودانية ان المعتقلين كانوا ينوون اختطاف امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي .

المقاومة : كان اول رد فعل لحركة المقاومة في اليوم الثاني للعملية بعد ورود الانباء الاولى عن اعتقال مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ بعث السيد ياسر عرفات ببرقية الى النميري استغرب فيها اعتقال مدير المكتب ، مبينا انه ليس لمنظمة التحرير علاقة بالحادث ، ومناشدا النميري استخدام الحكمة حتى لا تتكرر مأساة حادث ميونيخ . وكان رد الفعل الثاني لحركة المقاومة في اليوم الثالث للعملية حين بدا من طبيعة الحشد العسكري حول السفارة ان هناك نية لاقتحامها فأرسل عرفات برقية اخرى الى النميري قال فيها ان قرار اقتحام السفارة سيؤدي الى اراقة الدماء ، وان مندوبا عن منظمة التحرير سيصل الى الخرطوم ليساعد على حل الازمة . ثم اعلنت حركة فتح في يومين متواليين ان لا علاقة لها بالحادث ، في اليوم الاول (٥ اذار) ردا على حملة الصحف السودانية ، وفي اليوم الثاني (٦ اذار) ردا على حملة النميري نفسه . وهنا اضافت انها تحقق في الانباء التي تحدثت عن اشتراكها في العملية ، وان النميري اخطأ حين وجه لها هذا الاتهام . وحين تصاعدت حدة الموقف السوداني برز موقف هجومي لحركة المقاومة ، عبر عن نفسه في الرسالة التي بعث بها عرفات الى الحكام العرب ، محتجا على موقف السودان من حركة المقاومة ، وقائلا ان هناك مؤامرة صهيونية امريكية تحاك ضدها (٨ اذار) . وفي نفس اليوم ردت حركة فتح على خطاب النميري وعلى رسائله « التي تمثل اتجاها جديدا لا يرضاه مخلص في السودان » ، وقالت ان هذا الموقف : يشكل محاولة لتحريض الانظمة العربية ، وانعكاسا للضغط الامريكي الاثيوبي ، وحكما مسبقا في قضية لم ينته التحقيق فيها بعد .

وبذلك تكون عملية الخرطوم قد كشفت عن الانسجام في الموقف من حركة المقاومة بين السودان والاردن، واظهرت سرور اسرائيل لهذا التطور في الموقف السوداني ، واوضحت مدى التأثير الامريكي على السياسة السودانية ، واوجدت ازمة فدائية ــ عربية ، اخذت مداها في السودان ، ولم يعرف بعد كيف ستعبر عن نفسها في السعودية .

اوضاع المقاومة الداخلية :

تميزت اوضاع المقاومة الداخلية خلال هذه الفترة بنشاطات جماهيرية اثارت اهتماما واسعا في الاوساط السياسية . ففي ٢٥ شباط نظمت الجبهة الديمقراطية مهرجانا شعبيا في مخيم شاتيلا بمناسبة ذكرى تأسيسها الرابعة . وتميز المهرجان بحضور شعبي واسع ، وباسهام الاحزاب التقدمية اللبنانية فيه بوزن ملحوظ ، وبحملة من قبل هذه الاحزاب على موقف الحكومة اللبنانية اثناء الاعتداء الاسرائيلي على مخيمي البارد والبداوي . والقى نايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية كلمة طويلة في المهرجان عرض فيها للملامح البارزة للسياسة العربية الراكضة وراء الحلول التصفوية، مقارنا بينها وبين النضال الجماهيري الفلسطيني والعربي . وحين تطرق في حديثه الى تأثيرات المساعي باتجاه الحلول التصفوية على مستقبل حركة المقاومة نقل كلاما عن الرئيس صائب سلام قاله لوفد من حركة المقاومة جاء فيه : ان على المقاومة الفلسطينية ان تلملم بنادقها وترحل ، لان الحل السلمي آت . واثار هذا المقطع من الخطاب اهتمام الصحافة اللبنانية التي نقلته بشكل بارز . وفي اليوم التالي نفى صائب سلام ما ورد في خطاب حواتمه وقال : انا لا اعرف السيد حواتمه، واربأ باي اخ فلسطيني ... ان يضع على لساني كلاما لم أقله بتاتا ، ورأيي بالحل السلمي معروف وهو ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ،وموقفي من المقاومة محبة وتفهم ومساندة . وعلى الفور ردت الجبهة الديمقراطية فقالت : نؤكد صحة ما ورد في حديث سلام بانه لم يلتق يوما بالرئيس حواتمه . ولكن الحديث صحيح وورد في لقاء مع وفد من حركة المقاومة يوم ٧٣/٢/٧ ، وعلى اثره صرح صائب سلام قائلا ان المقاومة هي الان على مفترق طرق ٧٣/٢/١٠ . واضافت الديمقراطية في ردها : ان المحبة والتفهم للشعب الفلسطيني تتم بالتضامن النضالي معه لا بالمواقف اللفظية . ولقد كانت تجربة العدوان على مخيمي البداوي ونهر

البارد مقياسا عمليا لمدى جدية هذين (المحبة والتفهم) » . واستمرت تفاعلات هذه القضية حتى يوم ٢ اذار حيث نسبت وكالة الانباء الوطنية للسيد ياسر عرفات بعد لقاء له مع صائب سلام انه نفى خلال الزيارة صحة ما اعلنه نايف حواتمه في خطابه .

واثار مهرجان جماهيري اخر نظمه طلاب الجامعة الاميركية في بيروت ضجة مماثلة اثر خطاب القاه السيد هاني الحسن (فتح) يوم ٩ اذار حين كانت ازمة المقاومة مع السودان في ذروتها ، وكذلك قضية ابو داوود بعد تصديق احكام الاعدام . تميز خطاب هاني الحسن بالوضوح والعنف فهاجم المسؤولين المصريين الذين كانت لهم تحفظات على الاتحاد السوفياتي ولكنهم تحولوا الى الارتماء في احضان امريكا ، وحيا الصداقة الفلسطينية السوفياتية ، وثمن العلاقات المبدأية بين المقاومة والصين الشعبية ، ثم وصف الاردن والسعودية والسودان بأنها قلاع للامبريالية الاميركية في المنطقة ، وقال ان الثورة الفلسطينية عقبة تقف في وجه المخططات الامبريالية ، وهي تقود شعبا سيطلق النار على قائد يعقد اتفاقات على حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه . واعلن ان المقاومة الفلسطينية تدعم الثوار في ايران وتركيا واريتريا .

اما على صعيد التوتر في العلاقات الداخلية فلم يكن هناك سوى حادث واحد جرت مواجهته بسرعة وذلك حين اقدمت الصاعقة على تعليق عضويتها في اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، وسحبت عناصرها من قيادة الكفاح المسلح، وذلك احتجاجا على اطلاق عناصر فدائية النار على المواطن اللبناني محمد راشد دوغان في منطقة صبرا . وقد تدخل السيد ابو يوسف فورا للتفاهم مع الصاعقة حول معالجة الموضوع ، وتدخلت الشخصيات البارزة في الحي لتطويق ذيوله وازالة حالة التوتر التي رافقته .

ومن القضايا التي أثارت نقاشا في اوساط المقاومة، قضية العميد عبدالرزاق اليحيى والشهادة التي أدلى بها أمام المحكمة الفدرالية العليا في الولايات المتحدة . وهي المحكمة التي تنظر في قضية الطائرات التي استولت عليها الجبهة الشعبية ونسفتها قبيل مجازر أيلول ١٩٧٠ في مطاري القاهرة والزرقاء بالاردن ، وذلك بعد ان رفعت شركتا البان اميركان والخطوط الجوية الاميركية عبر العالم دعوى أمام المحكمة المذكورة للحصول على ٢٤ مليون دولار من شركات التأمين . ومع ان القضية قضية قانونية بحتة ، الا أن مجرى النقاش فيها تطور الى منحى سياسي . فبحسب قانون شركات التأمين يجري دفع قيمة الطائرات المعطوبة ضمن ظروف متعددة منها حالة الحرب ، وحالة الحرب الاهلية . وانطلاقا من ذلك دار النقاش في المحكمة بين وجهتي نظر :

وجهة نظر شركات الطيران المعنية باثبات وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل والجهات التي تدعمها (الولايات المتحدة) ، وبوجود حالة حرب أهلية بين الفلسطينيين والنظام الاردني ، حين تم خطف الطائرات ونسفها . وتعتمد شركات الطيران في سعيها لاثبات وجهة نظرها على ادبيات الجبهة الشعبية التي شرحت فيها عملية الخطف ودوافعها واهدافها .

ووجهة نظر شركات التأمين التي ترفض الاعتراف بذلك وتقول انه لا وجود لشعب فلسطيني منذ عام ١٩٤٨ ، وان الذين خطفوا الطائرات مجموعة من رجال العصابات المسلحين ، ليسوا في حالة حرب مع اسرائيل ، ولا في حالة حرب اهلية مع النظام الاردني ، وان النظام الاردني اضطر لضرب هذه العصابات في ايلول ١٩٧٠. وتعتمد شركات التأمين في دعم وجهة نظرها على مجموعة من الوثائق والمعلومات قدمتها شخصيات اسرائيلية .

وقد اهتمت المؤسسات العربية والفلسطينية في الولايات المتحدة (الجامعة العربية ومكتب منظمة التحرير) بمجرى النقاش السياسي الدائر في المحكمة . ورأت ان صدور حكم يستند الى وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل يقدم خدمة للقضية الفلسطينية ، اذ يعطي نوعا من الاعتراف بقانونية النضال الفلسطيني يمكن الاعتماد عليه في حملات الاعلام في الولايات المتحدة وعلى النطاق الدولي . وبناء على ذلك تجاوبت مع طلب المحامين المعنيين بالقضية ، واقترحت عليهم مجموعة من الشهود من بينهم العميد عبد الرزاق اليحيى باعتبار انه كان قائدا لجيش التحرير الفلسطيني اثناء معارك ايلول .

وحين علم العميد اليحيى باختياره للشهادة ، بحث الموضوع مع الجهات المعنية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وبناء على هذا البحث سافر الى الولايات المتحدة . وقد تلقى مركز الابحاث

الفلسطينية رسالة من شخصية فلسطينية مطلعة في الولايات المتحدة أشارت بالتقدير لمستوى ونوعية الشهادة التي أدلى بها العميد اليحيى واعتبرتها خدمة « ممتازة لصالح القضية الفلسطينية » .

والجدير بالذكر ان جولدا مئير كانت قد حذرت السفارات الاسرائيلية في الخارج من استعمال العبارة التي تقول « بوجود حالة حرب بين اسرائيل والمنظمات الفلسطينية » . وذلك حتى لا تستعمل التصريحات الاسرائيلية التي تستخدم هذه العبارة كدليل في المحكمة الفدرالية التي تنظر بقضية الطائرات (هآرتس — ك ١ — ١٩٧٢) .

محادثات بلغاريا والمانيا الديمقراطية :

قام وفد من المقاومة الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات ، يضم ممثلين عن كافة المنظمات الفدائية بزيارة الى دولتين من دول اوروبا الشرقية هما بلغاريا والمانيا الديمقراطية . واجريا في هاتين الدولتين محادثات هامة انتهت يوم ٢٢ شباط .

ولوحظ ان الوفد الفلسطيني اصطحب معه ممثلين عن الاتحادات والنقابات الفلسطينية ، واتاح ذلك فرصة اجراء اتصالات ومحادثات مع المؤسسات الشعبية في البلدين ، اضافة الى المحادثات السياسية التي اجراها وفد اللجنة التنفيذية . كذلك لوحظ بان الوفد الفلسطيني استقبل على مستوى رؤساء الدول ، وكشفت طبيعة الاستقبال عن مدى اهتمام البلدين بالزيارة وبالمحادثات التي اجريت خلالها . ومع انه لم يصدر رسميا ما يشير الى طبيعة المحادثات ، الا ان ما نشر عنها يكشف عن تأييد البلدين الحار لحركة المقاومة ونضالها ، واستعدادها لتقديم كل دعم تطلبه . ويأتي هذا الارتفاع في مستوى دعم دول المعسكر الشرقي لحركة المقاومة ، بعد المحادثات الهامة التي اجريت في الزيارة الاخيرة التي قام بها السيد ياسر عرفات الى موسكو .

بلال الحسن

« المذيع : ما هو شعورك بعد انتقالك الى تل أبيب ؟

الجندي : ليس جيدا ولكن يجب ان نتغلب على ذلك .

المذيع : لماذا ليس جيدا ؟

الجندي : لاننا نتعامل مع مواطنينا وهم ليسوا سكانا عربا وهذا أمر صعب . لقد تعلمنا اسلوب التعامل مع طبيعة العرب اما اسلوب التعامل مع مواطنينا فلم ندرسه بعد .

المذيع : ماذا تدرسون ؟

الجندي : ندرس كيفية التعامل مع مواطنينا وهو تعامل ليس مثل اسلوب التعامل مع العرب في غزة، المطلوب هنا أسلوب اكثر **نعومة** واكثر **اجتماعية** هنا السكان « ليسوا عربا بل يهود » .

المذيع : ماذا كان الهدف من وجودكم في غزة ؟

الجندي : كان الهدف في غزة **اثبات الوجود** حتى يشعر العرب ان هناك قوى عسكرية ... وشرطة تجوب الشوارع طول الوقت .

المذيع : الهدف الآن كما أفهم ان تشعر العصابات واللصوص في تل ابيب بمثل هذا الشعور .

الجندي : لن يكون شعوري بالمرتاح جدا عندما اصطدم بالسكان اليهود. لقد كان أسهل أن نصطدم بالسكان العرب وان نصيب المخربين رغم الخطر الذي نواجهه هناك . أما هنا في تل أبيب فهذا غير مفرح . سنحتاج للتعامل بليونة أكثر وان نتصرف **وفق القانون** ، متقيدين **بقوانين الشرطة** ، والا فاننا لن نستطيع اعتقال اشخاص واذا اعتقلناهم فسوف يطلقون سراحهم اذا لم نعتقلهم حسب نصوص القانون.

المذيع : اعتقد ان **الاعتقال في غزة** كان يتم حسب القانون ؟

الجندي : **في غزة** كان الموضوع بسيطا .. كنا مخولين باعتقال الشخص بمجرد قيامه بأي عمل.. او بمجرد الاشتباه به .. او في اي ظرف نشاء .. **وفي غزة** عندما كنا **نقتل** احد السكان العرب **كانت الفرحة تعم الجميع** (!!) وهنا يختلف الوضع نهائيا ... لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان لصا فهو أولا وقبل كل شيء يهودي (!!) » .

كان هذا نص المقابلة الاذاعية التي أجراها راديو العدو الصهيوني باللغة العبرية مع احد جنود حرس الحدود الصهاينة ضمن أحد برامجه التي بثها يوم ١٩٧٢/٨/٢٥ .

كانت هذه المقابلة تتويجا لما اعلنه دايان قبل ذلك الوقت بقليل من ان المقاومة في غزة قد انتهت فضلا عن الاجراء العملي الذي اتخذته السلطات الصهيونية ايضا قبل ذلك الوقت ونقلت بموجبه مجموعات من حرس الحدود الذين استنزفت قواهم المقاومة طيلة أكثر من اربع سنوات فصلت ما بين الاحتلال الصهيوني لغزة عام ١٩٦٧ وحتى مجازر الاحراج تموز عام ١٩٧١ .

وقد اخترت هذه المقابلة بالذات لتكون مقدمة لهذا المقال لعدة اسباب **بدءا** من عنوان **المقال** « غزة مقاومة دائما » وهي قضية اساسية لا بد من تسليط الاضواء عليها **وانتهاء** بأن الارادة القتالية الفلسطينية قد تعمقت أكثر وازدادت اخصابا بعد ان صقلتها التجربة وأكسبتها المؤامرات مزيدا من الصلابة والاصرار على النضال .. وهي قضية اساسية كذلك. **ومرورا** بالطبيعة الفاشية العنصرية للصهيونية التي تكرست في أبشع الصور والاشكال ممارسة ضد شعبنا في فلسطين المحتلة .

وعلى أي حال فانني لن اخوض تفصيلا في استنباط الفاشية العنصرية التي تميز حتى ذهن الجندي الصهيوني البسيط لذلك أمر يستطيع كل من قرأ الحوار في مقدمة المقال ان يتبينه بيسر وخاصة حينما يصل الى العبارة التالية : عندما كنا نقتل **احد السكان العرب** كانت **الفرحة تعم الجميع** ... وهنا يختلف الوضع نهائيا (يعني في تل أبيب) لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان **لصا** فهو أولا **وقبل كل شيء يهودي** !!

انه كلام واضح لا يحتاج الى كثير من فطنة ، انها العنصرية الفاشية يترجمها هذا الجندي الصهيوني بمنتهى البساطة وبدون اي تكلف .

تبقى اذن قضية غزة **مقاومة** دائمة في وجه الاحتلال، وتعمق الارادة القتالية الفلسطينية التي طرحت بشبهة خلال سؤال لماذا لا تقاتل الثورة الفلسطينية فوق

الارض المحتلة، هذا السؤال الذي يبدو ان طرحه قد أصبح لهجة من لهجات القوى المضادة للتشكيك بالثورة الفلسطينية والذي يبدو ايضا ان بعض المثقفين من قصار النفس ومن الذين لا يملكون غير الصالونات ينظرون للثورة من خلالها ضاربين صفحا عن كل ما يحيط بالثورة الفلسطينية من تآمر ومؤامرات متجاوزين الظروف الموضوعية القائمة ورياح السلم الامريكي الاسرائيلي التي تلطم وجه المنطقة والتي استطاعت عبر وقت قصير نسبيا ان تركع معظم انظمة هذه المنطقة ، ومتجاهلين كذلك ان راس الثورة الفلسطينية قد أصبح مطلبا ليس أمبرياليا صهيونيا فحسب وانما ايضا مطلب بعض الانظمة التي تداعبها احلام الانسحاب الاسرائيلي بدون أي ثمن سوى الركوع !!

وفي الواقع فانه برغم ان عنوان المقال « غزة مقاومة دائمة » فانه لا انفصال ... فغزة تقاتل حينما تدفع الثورة الفلسطينية لغزة بخيرة كوادرها يقودون القتال داخلها . وغزة تقاتل حينما يمتد القتال الى العمق من الارض المحتلة وفوق اي جزء من أجزائها .

ان الارتباط بين النضال الجماهيري في غزة وفي الضفة الغربية وفي الجليل وبين توغل الفدائيين عبر خطوط المواجهة وامعانهم في ضرب العدو في أعمق نقاطه داخل الارض المحتلة هو ارتباط جدلي مادي يرتفع كلما تصاعد مد الثورة وكلما مضت عبر شعاب الارض المحتلة توقع الخسائر بالعدو وينخفض كلما انكمشت العمليات وتضاءلت . ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة يسحب نفسه على كل شبر في القطاع عندما كانت الثورة الفلسطينية تملك ان تعبر من اي نقطة فوق النهر وعندما كانت العمليات الفدائية تشغل جزءا كبيرا من قوات العدو العسكرية فضلا عن جزء آخر من الاحتياطي ...

وعندما بدا ان الثورة الفلسطينية تذبح فوق الارض العربية وعندما توقف قتال الاستنزاف ، بدا واضحا ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة سوف يتأثر بل سوف يمنى بضربات قاسية وقاصمة . وعمليا فانه لم تمض شهور على مجازر الاحراج وعلى اغلاق الحدود أمام الثورة الفلسطينية ثم على وقوف القوات الملكية الاردنية حارس أمن على طول خط المجابهة مع العدو حتى انصرف العدو بمعظم قواه نحو الداخل يمعن فيه قمعا مكرسا كل ما يملك من قوة غاشمة لتصفية النضال الجماهيري في القطاع اولا وفي باقي المدن والقرى الفلسطينية الاخرى...

ولقد اتبع العدو بالنسبة لقطاع غزة كل الاساليب التي تتاح لعدو عنصري يملك الامن والطمأنينة على كل الجبهات ، كما يملك الادوات العصرية القادرة على القمع :

● وسع العدو شوارع المخيمات في القطاع بحيث تتيح لدورياته التحرك والتجول عبرها بحرية في محاولة لقمع المقاومة الفلسطينية: « ان معسكر اللاجئين في جباليا والذي كان منذ سنة مصدرا «للارهاب» قد يختفي من الخارطة خلال فترة قريبة . ان عملية شق طرق الامن وتخفيف كثافة مباني المعسكر التي جرت قبل سنة ادت الى خفض عدد سكان المعسكر من اربعين الفا الى ثلاثين الفا وسينقل حوالي نصف العائلات المخفضة الى مناطق جديدة » . (أمنون نداف مراسل اذاعة العدو في برنامج شخصيات واحداث في الاخبار باللغة العبرية). (« ونا » ١٩٧٢/١٠/١٩) .

● امعن في زج شباب القطاع في السجون لمجرد الشبهة تارة وحتى بدونها تارة أخرى وقام بتفتيش المنازل والمحلات التجارية في عملية مسح استغرقت العدو طوال شهور في مدينة غزة والمخيمات .

« بلغ عدد المعتقلين في قطاع غزة من المواطنين العرب خلال عام ١٩٧٢ أكثر من الفي مواطن بعضهم بقي أشهر طويلة رهن الاعتقال ودون محاكمة وبعضهم مثل أمام محاكم العدو العسكرية وحكم عليه بالسجن والبعض الاخر افرج عنه » .

● نثر عملاءه وأعوانه في كل مكان من القطاع في محاولة لتطويق الفدائيين وكشف مواقعهم .

● وجه حربه النفسية الى كل المواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخاصة الى المواطنين في قطاع غزة . وجند العملاء الذين يحاورون الاردن « رشاد الشوا زار عمان اربع مرات قابل الملك خلالها للمساهمة في تسليم القطاع وتقسيمه بين الملك حسين واسرائيل » والعملاء الطامعين في حكم القطاع عن طريق المجالس المحلية « ذيب الهربيطي وغيره » كل ذلك من اجل الايحاء للمواطنين في القطاع بأن لا أمل سوى الاستكانة والخضوع والاستسلام . ولقد وجه حربه النفسية باتجاه القطاع والمواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخارجها عبر اذاعاته وصحفه

وشائعاته مستغلا في ذلك ، ذلك الشرخ العميق التي خلفتهمجازر الملك في عمان ، أيلول الاسود عام ١٩٧٠ وفي احراج جرش وعجلون ، تموز عام ١٩٧١ .

وأمام هذا كان لا بد ان ينكمش النضال القطاع بدرجة كبيرة حتى لقد بدا لكل من لم يمارس الثورة ولم يؤمن بنضال الجماهير ان هذا النضال قد وصل الى نقطة النهاية . وفي الحقيقة ، فان سببين اساسيين دفعا الى هذه الحالة الانكماشية النضالية : **الاول** ، ما ذكرناه من التوجه الملكي الاردني نحو ذبح الثورة الفلسطينية مضافا اليه توقف الرصاص العربي الرسمي فوق الارض العربية . **الثاني** ، هو ما اقتضته المرحلة الجديدة من ضرورة تغيير تكتيك النضال الجماهيري داخل الارض المحتلة .

« غزة في الليل للفدائيين » هكذا كان عنوان مقال افتتاحي للصنداي تايمز عام ١٩٦٩ .

« غزة يحكمها الفدائيون في الليل » بهذه العبارة اعترف دايان في يوم من ايام شهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٩ ...

ثم وذات يوم من أيام شهر مايو/أيار ١٩٧٢ يعلن دايان ان المقاومة في غزة قد انتهت ، وانه قد تمت تصفية آخر جيوب « المخربين » . ثم يأمر دايان بسحب حرس الحدود من قطاع غزة ...

ثم تتوجه اجهزة الحرب النفسية بكل شراسة نحو القطاع تواكبها مخططات لضم القطاع نهائيا الى العدو وذلك عن طريق توليد ارادة محلية داخل القطاع هي ارادة كبار التجار الذين تمثلوا برشاد الشوا الذي بدا في تلك الفترة انه يلعب بالاضافة الى ضم القطاع الى اسرائيل لعبة الاداة التي يجري عبرها تكريس الصلح الواقعي بين المؤسسة العسكرية الصهيونية وبين نظام الملك حسين .

« قتل الجندي الاسرائيلي يتسحاق فيلدمان (١٩ سنة) من رمات جان وأصيب جندي آخر بجروح اليوم في انفجار قنبلة يدوية قذفت على شاحنة عسكرية في غزة . وقع الحادث في الساعة **العاشرة والنصف صباحا** عندما قذف أحد المخربين قنبلة يدوية الى داخل شاحنة عسكرية كانت تسير في شارع غزة الرئيسي وقد دخلت القنبلة قرب السائق وانفجرت وباشرت قوات الامن باجراء التحقيق » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث ، ١٩٧٣/٣/٨) .

« دارت صباح اليوم معركة مواجهة بين الثوار الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني في غزة استمرت اكثر من ساعة وتكبد العدو خلالها عدة اصابات بين جنوده لم يفصح عنها حتى الان . وفي اعترافه بتطورات المعركة قال ناطق عسكري اسرائيلي ظهر اليوم ان المعركة بدأت في الساعات الاولى من صباح اليوم عندما فتح الفدائيون النار على قوات الاحتلال التي كانت تقوم بتمشيط منطقة حي الرمال بغزة ودارت الاشتباكات بين الجانبين ولم يعترف الناطق العسكري الصهيوني بخسائر قواته رغم اعترافه بأن الفدائيين هم الذين بادروا باطلاق النار .

وقال الناطق الصهيوني ان ثلاثة فدائيين بينهم قائد فدائي هو المناضل محمد محمود مسلم الاسود ويلقب تشي غيفارا قد استشهدوا . أما المناضلان الآخران فهما كمال عبدالعزيز حنون وعبدالهادي ابراهيم عبدالعزيز الحايك .

ومن ناحية أخرى أعلن الناطق العسكري الصهيوني ان الدكتور رشاد موسى مسمار قد اعتقل في حي الرمال بغزة وزعم انه عثر في منزله على مخابىء للاسلحة وكمية من المنشورات ورسائل تهديد الى العملاء والمتعاونين مع الاحتلال . ومما يذكر ان الدكتور مسمار كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لاشتراكه في عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال . » (نشرة وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» ١٩٧٣/٣/٩) .

« انفجرت قنبلتان يدويتان في حي الرمال بمدينة غزة . زعم ناطق عسكري صهيوني اليوم ان دورية عسكرية اكتشفت القنبلتين اليدويتين وان خبير متفجرات قام بتنجيرهما » . (« وفا » ١٩٧٣/٣/٩) .

كان ينبغي أن نقفز هكذا حتى نصل الى آخر العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون فوق الارض المحتلة في قطاع غزة .

ذلك ان دايان كان قد أعلن في الاسبوع الاول من شهر أيار/مايو انه قد تم القضاء على شبكات « المخربين » في القطاع ثم أتبع ذلك بخطوة عملية هي نقل بعض حرس الحدود من قطاع غزة الى الداخل كترجمة عملية لما يؤكد ويقول كما اشرنا في بداية المقال .

ولكن لم تمض فترة على تصريحات دايان حتى بدا ان ما يقوله لا يمثل الحقيقة والواقع على الاطلاق اذ بدأت قنابل غزة تتفجر واحدة بعد الاخرى وبدا ان الهدوء والامن الذي ظنوه لم يكن سوى عودة لترتيب الصفوف واعادة ترتيب التنظيم على صعيد المقاومة ثم انطلقت السواعد الثائرة في غزة تفجر من جديد أمن العدو معلنة ان غزة ثورة دائمة ضد الاحتلال .

ورغم انه وحتى في فترة الهـدوء النسبي التي أرادها الثوار الفلسطينيون فانه كان هناك عمليات متفرقة بين حين وحين هي لتأكيـد الوجود على المستوى العربي والعالمي اكثر منها لشن حملـة جديدة من العمليات يوقتون لها ...

ولا نريد لهذا المقال ان يكون سردا لعمليات الثوار الفلسطينيين في قطاع غزة او غير قطاع غزة ... خلال سنة مضت مثلا ، لكنه لا بد من العودة الى سلسلة العمليات التي نفذها هؤلاء الثوار خلال فترة الربع الاخير من العام الماضي وحتى الربع الاول من هذا العام فيقطاع غزة بالتحديد .وسنعرض لها باختصار شديد حتى تكون شاهـدا على ان الثورة الفلسطينية ما زالت تتمترس في خنادقهـا متسلحة بشموخ ارادة القتال الصلبة فيها ... تقاتل ما وسعها القتال ولكن يبدو لاكثر من سبب هو في ضمير الاعلام العربي وفي وعي معظم الحكام العرب الذين يسيطرون عبر الرقيب عـلى أجهزة اعلامهم يبدو ان التركيز والقاء الضوء على عمليات الثوار الفلسطينيين غير وارد ... ان ثمة حقيقة باتت معروفة وهي ان تعتيما متعمدا بدأ يلف الثورة الفلسطينية وعمليات ثوارها بل اننا نذهب في القول الى ما هو أبعد من ذلك وهو ان بعض الانظمة العربية ممن هللت للثورة الفلسطينية وتقصدت تضخيم عملياتها ذات يوم بات يقلقهـا ويؤرقها ويثير أعصابها كثيرا وكثيرا جدا ان يكون للثورة الفلسطينية عمل قتال متصاعد فوقالارض المحتلة.

على أي حال فان المرء يستطيع أن يعد سبعـا وعشرين عملية في قطاع غزة في الفترة ما بين ٨/٢٥ و١١/١٦ نفذها الثوار الفلسطينيون.وهذه العمليات اعترف العـدو بخمس عشرة عملية ولم يعترف بالباقي . واننا لنود ان نلفت النظر الى ان كثيرا من العمليات لم يعلن العدو عن وقوعها بينما وقعت فعلا ... ذلك ان العدو لا يعلن الا عندما تكون العملية مكشوفة لا يستطيع أن يضرب حولها نطاقا من السرية التي يضربها عادة من حول عملياته وخسائره ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نفذت ٢٧ عملية عسكرية في قطاع غزة على الاقل في الفترة ما بين ١٩٧٢/٨/٢٥ و١٩٧٢/١١/١٦ . (يمكن الرجوع الى اعداد شؤون فلسطينية السابقة لهذا الغرض).

وأمام هذه الحقيقة التي أنكـر العدو جزءا منها — حينما استطاع اخفاء الكثير من عمليات الثوار الفلسطينيين التي تمت في مواجهة قواته العسكرية في قطاع غزة وكل الارض المحتلة — لم يستطع العدو الا ان يعترف وفي مناسبات متفرقة وعلى لسان كبار زعمائه وقادته تارة وفي صحفه تارة اخرى ، من ان القتال الفلسطيني ما يزال واقعا يفرض نفسه على امتداد الارض المحتلة ...

● يقول شلومو هليل في جزء من حديث له أمام المستوطنين وأذيع من راديو العدو باللغة العبرية يوم ١٩٧٢/١٠/٢ « علينا ان نعد انفسنا لمجابهة تجدد الارهاب على طول الحدود وداخل اسرائيل » (وفا) .

● وتدعو صحيفة عل همشمار يوم ١٩٧٢/١٠/١٢ الى الاستعداد جيدا لمواجهة الارهاب داخل دولة اسرائيل (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث).

● وتقول صحيفة دافار شبه الرسمية «ان الخسائر التي الحقت بالدولة نتيجة للحرائـق بلغت ٢٠٩ أشخاص بينهم ٣١ قتلوا و٧٢ اصاباتهم خطيرة و١٠٦ اصابات غير خطيرة » (وفا ١٩٧٢/١١/١٧).

● وتقول صحيفة هاتسوفيـه « ان الحرب ضد الارهاب والتخريب هي حرب طويلة الامد وعلى جهات الامن اظهار المبادرة والجرأة لقطع دابـر المخربين » . (رصد اذاعة اسرائيل — مركـز الابحاث ١٩٧٣/١/٢٣) .

● وتقول وكالة رويتر للانباء تعليقا على عمليات الثوار الفلسطينيين في القطاع والضفة الغربية والعمق من اسرائيل « ومما يذكر ان السلطـات الاسرائيلية تحدثت قبل أسابيع عن ازدياد النشاط السياسي والتنظيمي للفدائيين في مناطق نابلس وجنين وقلقيلية في الضفة الغربيـة وقطاع غزة واعتقل ١٢ شخصا بعلاقاتهم بالمنظمات الفلسطينية» (رويتر ١٩٧٣/٢/٣) .

لقد وصل الامر بوكالة انباء رويتر الى أن تلاحظ

بأن عمليات الفدائيين الفلسطينيين والى أن نشاطهم التنظيمي والسياسي في تزايد ... وهذه شهادة انتزعتها الثورة الفلسطينية رغم ما تحاط به من تعتيم اعلامي متعمد وطوق حصار مادي على حركة ثوارها .

« ان الوضع اليوم هادىء تماما .. لقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضطرابات وقضي على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية » . (دايان في برنامج شخصيات وأحداث في الاخبار — رصد اذاعة اسرائيل ، ١٩٧٢/١٢/١٣) .

قال دايان ذلك ثم استسلم لابتسامة عريضة وعبر الى مواضيع أخرى في حديثه . ولم يكن دايان يدري ان ما يدبره الثوار الفلسطينيون عبر خلاياهم في الضفة الغربية والقطاع وفلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ سوف يقلق دايان كثيرا وسوف يقتلع منه الابتسامة العريضة .

وبالفعل لم تمض ايام على مقولة دايان هذه حتى تفجر النضال في غزة من جديد وحتى تصاعد هذا التفجر الى درجة انه استهدف عملاء العدو في غزة والقطاع بالاضافة الى جنود العدو نفسه ودورياته ومنشآته العسكرية ...

فعدا عن نسف عدد من خطوط السكة الحديدية في القطاع وتفجير بعض مصانع العدو « اعترف العدو بذلك مؤخرا » (نشرة مركز الابحاث ، رصد اذاعة اسرائيل ، شهر ١٩٧٣/٣) وعدا عن الهجوم على دوريات العدو وآلياته وجنوده فقد قتل الثوار الفلسطينيون المدعو ذيب الهربيطي الذي كان رئيسا للجان المجالس المحلية التي كاد العدو بالتعاون مع العملاء ان يفرغ من تشكيلها كما أطلقت النار على رشاد الشوا وأصيب مرة أخرى .

ثم بعد ذلك كانت معركة الرمال الاخيرة ... معركة جيفارا غزة ورفيقيه التي جاءت بعد ساعات فقط من القاء قنبلة على شاحنة عسكرية صهيونية قتلت سائقا وجرحت اثنين — اعتراف العدو ضمن مبدأ عدم الاعلان عن كل خسائر — وبعد ساعات ايضا من جرح جنديين صهيونيين نتيجة انفجار لغم في سيارة عسكرية للعدو في القطاع .

وقد وصفت هآرتس (٧٣/٣/١١) المعركة التي تمكنت قوات الاحتلال الاسرائيلي فيها ، من اكتشاف مقر ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع : محمد محمود الاسود (٣٠ سنة) عضو المكتب السياسي وقائد قوات الجبهة في القطاع، وكامل العمصي (٢٥ سنة) ، وعبدالهادي حايك (٣٥ سنة) من قادة الجبهة في القطاع ، بقولها : « في الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ، قامت قــوات الجيش الاسرائيلي بتمشيط بيوت حي الرمال في غزة ، كعادتها كل يوم . وعندما دخلت القوة الى الفيلا التي ترتفع عليها لافتة : الدكتور راشد مسمار ، وجدت ابناء العائلة ، نساء واطفالا ، وعلى الطاولة فناجين قهوة ، تدل على ان ثلاثة رجال ، انتهوا قبل دقائق قليلة من شربها . وعندما بدأ جنود الجيش الاسرائيلي يفتشون الغرفة بدقة ، وجدوا مسدسا وأربع بلاطات ملونة تحت أحد الاسرة ، لم تكن موضوعة في مكانها كما يجب . قرع الجنود على البلاطات فسمع صدى غريب . واتضح ان في المكان نفقا . وجه الجنود نداء بالخروج بأيد مرفوعة ، فلم يستجب أحد . وضعت عبوة ناسفة لتفجــير النفق ، وعند تفجير العبوة ، بدأ اطلاق النار من اسلحة اوتوماتيكية من داخل النفق ، باتجاه الجنود الاسرائيليين ، فردوا بأسلحة اوتوماتيكية وقنابل . واتضح بعد قليل ، ان هؤلاء كانوا المخربين الثلاثة المطلوبين ، في الدرجة الاولى ، في القطاع . قتل اثنان منهم في المكان ، واصيب الثالث بجــروح بليغة ... وتوفي بعد نقله الى المستشفى » .

وقالت هآرتس ايضا ، انه « اتضح بصورة قاطعة انهم هم الذين قتلوا ذيب الهربيطي رئيس لجنة مخيم الشاطىء ، في ١١ شباط (فبراير) ، وقتلوا الكاهن يوحنا النمري . ووجدت في الفيلا وثائق كثيرة تدل على نشاطهم ، واسلحة ... و٤٢ الف ليرة اسرائيلية مخصصة لتمويل عمليات التخريب في القطاع ...

« لقد اختبأ الثلاثة في النفق الذي كان يستعمل كاراجا داخل فيلا الدكتور مسمار . واستعمل النفق ايضا مقرا للقيــادة ، وتشهد على ذلك المعدات الكثيرة التي وجدت فيه : آلة ستانسل ، طابع الجبهة ، جوازات سفر ... » .

وقالت هآرتس : « أن الجريح عبد الهادي ، الذي توفي بعد ذلك ، كشف انه هو شخصيا الذي ألقى القنبلة في مخيم الشاطىء يوم الاحد الماضي ، حيث أصيب ثلاثة جنود اسرائيليين . وان صديقه كامل هو الذي قتل ... الهربيطي والنمري ... » . واضافت هآرتس : « ان الدكتور مسمار الذي

اختبأ المخربون في بيته ، كان قد أطلق سراحه منذ وقت قصير من سجن غزة ، بعد أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات لمساعدته المخربين ، أمضى منها ثلاث سنوات ... والان يتضح انه عاد الى مساعدة المخربين » .

وقالت هآرتس : « ان جميع الدلائل تشير الى ان في القطاع مخربين آخرين ينتمون الى الجبهة » . وقالت هآرتس ، في مكان آخر من العدد نفسه ، ان ضابطا كبيرا من قادة الحكم العسكري في غزة أعلن « ان القضاء على قيادة منظمات الارهاب في القطاع هو ضربة مؤثرة ستؤدي الى فترة من الهدوء ، ولكن ينبغي عدم اعتبار ذلك نهاية لنشاط المخربين في القطاع » .

ووصف الضابط الاسرائيلي محمد محمود الاسود المعروف باسم غيفارا ، بأنه « كان معروفا كقائد مدرب وخبير . لقد اعتقل قبل بضع سنوات وقضى فترة في السجن في غزة . وبعد اطلاق سراحه ، سافر الى الصين حيث أمضى فترة من التخصص ، وعاد الى القطاع عن طريق لبنان . وحتى يوم الجمعة كانت قد فشلت جميع الجهود لالقاء القبض عليه » .

وكانت هآرتس (٧٣/٣/٢) قد تحدثت عن تجدد النشاط الفدائي في قطاع غزة ، فقالت : « عاد المخربون الى العمل خلال الاسبوعين الاخيرين ... وقتلوا هذه المرة وجهاء معروفين » . « وكما حدث في الماضي يحدث الان ، بدأت عمليات القتل بأحجام صغيرة ، ثم أخذت تتزايد . وقد توقفت بعد نشاط متواصل من قبل اجهزة الامن تحت قيادة العميد ارئيل شارون ، قائد المنطقة الجنوبية ، الذي اشترك اكثر من مرة شخصيا في مطاردة المخربين . وكانت عملية المطاردة تستمر ٢٤ ساعة في اليوم في جميع انحاء القطاع والمخيمات ... » .

واضافت هآرتس : « ان الغرض من انتخاب لجان محلية في احياء غزة ومخيمات اللاجئين ، هو اجراء انتخابات بلدية على غرار ما حدث في الضفة الغربية . وفي اليوم الذي قتل فيه رئيس لجنة مخيم الشاطىء الهربيطي كانت اللجان تنوي التداول في اختيار مرشح لرئاسة البلدية ، وكان القتيل الاكثر حظا في النجاح . ولم يكن مقتل الهربيطي في اليوم نفسه مصادفة » .

وقالت هآرتس : ان الفدائيين « نجحوا في تعطيل جميع اللجان في الاحياء والمخيمات. وفي هذا الوقت لن يتم انتخاب رئيس جديد لبلدية غزة . وسيضطر أوري تشيشك ، رئيس البلدية الاسرائيلي ، الى الاستمرار في منصبه » .

واشارت هآرتس الى معلومات تقول « ان على رأس المخربين في القطاع اليوم محمد الاسود الملقب بـ تشي غيفارا ...

« والاسود معروف كجندي مدرب جيدا ... وقد تلقى ، قبل ٤ سنوات ، تدريبا عسكريا في الصين ... وعندما شددت اجهزة الامن مطاردتها للمخربين نجح في الاختفاء ، وامتنع عن ممارسة اي نشاط تخريبي . ولكنه جدد الان نشاطه التخريبي . ويبدو انه يقوم بذلك بحذر شديد . ان التحدي الذي تقف أمامه اجهزة الامن الان في القطاع هو اعتقاله » .

ولقد أعلن العدو بعد معركة الرمال الاخيرة انه باستشهاد غيفارا غزة « محمد احمد مسلم الاسود » ورفيقيه فانه « قد تم تصفية آخر حلقات التخريب — دايان نشرة رصد اسرائيل مركز الابحاث » وانه لم يعد هناك في قطاع غزة سوى الاستقرار والهدوء . واتهم الناطق العسكري الصهيوني غيفارا غزة ورفيقيه بالقاء قنبلة على الشاحنة العسكرية التي قتل فيها احد جنوده وجرح آخران كما اتهمتهما بقتل ذيب الهربيطي « وكالة وفا » .

على انه لم تمض اربع وعشرون ساعة على ذلك حتى أعلن العدو من جديد بأن « رجال الشرطة الاسرائيلية تمكنت من القاء القبض على شاب عربي وصفته بأنه هو الذي ألقى قنبلة الشاحنة ثم بعد ذلك بيومين اعلن ناطق عسكري آخر بأن عشرين من قطاع غزة قد اعتقلوا بتهمة انتمائهم الى شبكات التخريب » . («وفا» ١٩٧٣/٣/١٣) .

ويتضح من هذا جيدا ان العدو لم يستطع ان يحفظ على وسائل حربه النفسية خطا معينا حتى لاربع وعشرين ساعة اذ سرعان ما دحضت الوقائع زعمه بأن المقاومة قد انتهت باستشهاد المناضل البطل محمد مسلم الاسود ورفيقيه في قطاع غزة ... واكدت غزة كعهدها دائما انها المقاومة دائما وابدا في مواجهة الاحتلال .

ويقينا فان غزة التي هي المثل على المقاومة الجماهيرية الثورية داخل فلسطين المحتلة كلها قد سحبت نفسها على كل مدن وقرى فلسطين . وان

جماهير هذه القرى والمدن قد أفرزت طلائع تمكنت من خلال اتصالها بالثورة الفلسطينية المسلحة واتصال الثورة بها ان تقود سلسلة عمليات ناجحة وفعالة ومؤثرة في مناطق العمق من فلسطين المحتلة ...

وان ما حملته الايام التي مضت عبر الشهر الحالي لتعبر عن ارتفاع في الخط البياني لعمليات الثوار الفلسطينيين ليس داخل قطاع غزة فحسب وانما ايضا في تل ابيب والقدس ويافا ونابلس وغيرها من مدن فلسطين المحتلة .

ان وضعا جديدا قد بدأ ينشأ بعد ان تمكنت اطراف الحصار المادي والاعلامي والنفسي من أن تفعل فعلها في تقليص عمليات الثوار الفلسطينيين في الوطن المحتل فلسطين ... هذا الوضع تمثل في العودة الى القنص والاستفراد بالعسكريين الصهاينة فضلا عن الانتشار عبر اوسع رقعة من العمق لتفجير امن المستوطنين والحاق الخسائر النفسية والمادية بين صفوفهم .

ولعل من ابرز الامثلة على تلك الصورة حادثة طعن جندي صهيوني مسلح في اوائل هذا الشهر في مدينة القدس وانتزاع سلاحه منه على يد الثوار الفلسطينيين ... ثم حادثة قنص احد جنود العدو في هرتسليا في العمق والتي جاءت بعد ايام قليلة من الحادثة الاولى ... ثم عمليات يوم التاسع عشر من هذا الشهر الثلاث التي تمثلت في تدمير واجهة احد المطاعم في شارع الزهراء بمدينة القدس وتفجير سيارة أمام مركز البوليس في مدينة نابلس ثم اطلاق النار على احد رجال المخابرات في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ واصابته بجروح بليغة .

ان هذا كله يعني ان العمل الثوري المسلح داخل فلسطين المحتلة يمضي في تصاعده يوما بعد يوم وانه يسير في اتجاهه السليم والصحيح المرتكز على حرب العصابات وعلى استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد في مواجهة العدو ...

وبالتأكيد فان تصاعد النضال داخل فلسطين المحتلة رغم التعتيم الاعلامي سوف يعكس نفسه وينسحب بعميق اثره على حركة الجماهير العربية وسوف تشهد الارض العربية — رغم تيار السلم الامريكي الاسرائيلي المندفع بشراسة نحو المنطقة مستندا الى بعض الانظمة العربية — تحولات كبيرة هي بالتأكيد لمصلحة القتال ضمن استراتيجية حرب الشعب وضمن خندقة الارض العربية وبالتالي فهي لمصلحة ارادة القتال الفلسطيني والقرار الفلسطيني باستمرار بقاء البندقية مشرعة في وجه العدو الصهيوني والامبريالي وفي وجوه العملاء في المنطقة العربية .

ان استشهاد المناضل البطل محمد الاسود ، غيفارا غزة ... قد دفع الى النضال الفلسطيني بشحنة جديدة من اليقين الجماهيري العربي بأن القرار الفلسطيني بمواصلة القتال هو القرار الحتمي المطلوب تعميمه لانتزاع النصر . وانه الطريق الوحيد لانقاذ الحضارة والوجود والمصير العربي ...

ان في غزة ألف غيفارا غزة وفي فلسطين المحتلة الالاف من غيفارا غزة الذين يعمقون بالدم رؤية الجماهير العربية لطريق النصر والتحرير ... ويوما ما ، وهو يوم قريب جدا بالتأكيد ، سوف تحقق غزة مثلما حققت دائما دحرا لاقاويل العدو ومزاعمه ... وسوف تمضي غزة ومعها كل جماهير الارض المحتلة والجماهير الفلسطينية في مخيمات البنادق الرائدة ... على الطريق الذي حفرته بدماء اعظم الرجال وأعز الرجال ... ولتكون غزة وكل فلسطين المحتلة ثورة دائمة في مواجهة الاحتلال .

زياد عبد الفتاح

جيفارا غزة : رمز عطاء القطاع المتدفق المتواصل

من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال ومن جوف ليلها المخضب بدمـاء المناضلين تدفق جيفارا غزة .

كان يخرج كل ليلة وكان يضرب بعزيمة فولاذية لا تلين ...

محمد محمود الاسود ، جيفارا غـزة ، كانـوا يعرفونه جيدا وكانوا يعلمون انه في شريط غزة الساحلي الضيق ، وظلوا لاربع سنوات يبحثون عنه ...

ولان جيفارا غزة ثائر ولانه عرف كيف يمارس الثورة وكيف يقترب من الجماهير يلامس اعماق معاناتها ويترجم منتهى طموحاتها وآمالها النضالية ، فان العدو لم يكتشف لشهور طويلة مكان جيفارا . لقد وضعته الجماهير في حدقات عيونها واطبقت عليه حتى اذا ما انتهى التمشيط عاد جيفارا برفاقه ليضرب من جديد ليس في نقطة معينة وانما في نقاط متعددة .

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، جند كل طاقات العقل لخدمة الثورة ... وبينما كان العدو يضرب في شوارع غزة بحثا عن جيفارا وعن حملة البنادق رفاق جيفارا كان جيفارا بعيدا عن متناول العدو ... لم يكن يمكث في مكان ست ساعات متواصلة ... وعندما ضيق العدو الخناق كثيرا كان لجيفارا مكان يلجأ اليه لا يهتدي اليه العدو... من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال... من قطاع غزة ... من مدينة حيفا مسقط الراس في شمال فلسطين ... من معاناة قرية دير ياسين المذبحة ... من احزان القهر في قرية كفرقاسم... من محنة الاجتياح في قبية وقمة مأساة الانتهاك العربي الرسمي في قرية السموع ... من مذبحة الشعب الفلسطيني في أيلول عمان الاسود ... ومن قلب مخيم الوحدات يداس بالدبابات الملكيـة الغاشمة ...

من هذا كله كان جيفارا غزة ... نبت وتشكـل وتعمد عاشقا لرمال غزة وحيفا ... ولكل ارض فلسطين ...

وجيفارا مثله مثل كل ثوار القطاع الابطال وظف كل ما يملك لاستمرار القتال ليعطي النموذج والمثـل على ان الصمت موت ... والاستكانة اذلال ... والتراجع جريمة والانتظار عار وفقدان كرامة ...

وحيث لم يكن يتوفر السلاح كان ثوار القطـاع يصنعون السلاح ضمن ابسط الامكانيات المتاحة ..

وحيث لم تكـن تتوفر الامكانيات كـانت المدى هي السبيل لانتزاع السلاح من جندي افلت من رقابة الدورية في احد ازقة القطاع ...

وربما كان ثوار القطاع وبينهم جيفـارا غزة ... اعظم الثوار على الاطلاق ومن استشهد منهم فهو بالتأكيد اعظم الشهداء ... ذلـك لانه غير حب فلسطين ... غير حب الوطن ... كانت تحركهم ايضا ... ارادة ان يتولوا للامة العربية بالرصاص ودون ان يخرجوا عن صمتهم بكلمة واحدة ... ان الرصاصة المسيسة ... خـير من اكداس مـن الطائرات لا تعرف طريقها الى الهدف ... وانـه بابسط الاسلحة واقل الامكانيات تقطع الجماهـير المسلحة المدربة المعبأة المنظمة اوسع الخطـوات على طريق الانتصار .

ثم ...

استشهد محمد محمود الاسود جيفارا غزة في حي الرمال لكن في غزة الف محمد محمود الاسود ، الف جيفارا غزة ، الف يمضون وعلى الدرب ألوف .. فأرض غزة وأرض حيفا وأرض كل فلسطين خصبة تنبت الرجال في كل حين ..

وهي ابدا حبلى بالابطال يتوالـدون بالثورة ... ليرفدوا الثورة وليصفعوا بقبضات ايديهم العظيمة وجوه المستسلمين والمتخاذلين والراكعين ومن قلب المتوسط الهادر الامواج على شواطىء غزة ...

ومن بين ازقة معسكر جباليا ومعسكر الشـاطىء ودير البلح في قطاع غزة ... من ازقة المعسكـر والمدينة في خانيونس ونواصيها تنبت البنادق وينبت الرصاص .

وجيفارا غزة لم يكن يوما الابن الوحيد لرمال غزة جيفارا له اخوة وله رفاق ...

والارض الحبلى بالثورة ... سوف تظل تعطي وتلد وتزهر وتفجر الثورة ...

زياد عبد الفتاح

(٢) القضية الفلســطينية عربيا

ان الاتجاه العام الذي يتحكم بالسياسة العــربية الان يمكن ان يسمى اتجــاه المصالحة . وهــذه المصالحة مزدوجة . انها على الصعيد العــربي تقارب وتفاهم بين انظمة مختلفة ومتناقضة .، ولكنها الان تسعى من اجل التقارب والتفاهم في سبيــل انقاذ نفسها من مأزق العجز الذي تعيشه ، العجز عن القتال والعجز عن الاستسلام . وهي علــى الصعيد العالمي محاولة لايجاد المدخل الملائم الى قلب الولايات المتحدة ، فلعلها « ومساها » تحن وتشفق على الجميع بنظرة حنون .

وقد أخذت الوفود تتحرك عربيا ، واخذ الرؤساء يتحركون ، كما لم يحدث من قبل . لقد زار حسين الرياض ، ثم زار الامير سلطــان الاردن ، وزار السادات ليبيا ، ثم اجتمــع السادات والاســد والقذافي فيالقاهرة . وتحــرك « مسؤول اردني كبير الى دمشق، ومسؤول كبير اخر زار القاهرة»، كما زار « مسؤول مصري كبير عمان » (النهــار ١٩٧٣/١/١٤) .

وكانت هنالك تحركــات واتصالات عــلى الصعيد العالمي ، رافقت خطوات انهاء الحرب في فيانتام مستبشرة بها .

ولقد كان الاردن نشيطا في هذا المجال ، لانه يرمي منه الى ما يلي : اولا عزل المقاومة عربيا ، ثانيا تدعيم وضعه السياسي والاقتصادي ، ثالثا ضمان عــدم وجــود معارضة جادة عربية لاي تحــرك ديبلوماسي يقوم به مستقبلا ، رابعا تحويلالمقاومة الى « قوة » تابعة للانظمة محتواة عربيا ، وانهاء دورها السياسي والعسكري .

ويحاول النظام الاردني في سبيل ذلك ان يقنعالدول العربية بانه مستعد « للانفتاح من جديد على العالم العربي » ومستعد « للالتزام بكل ما تفرضهمقومات الوضع الراهن واحياء الجبهة الشرقية » . كمــا ان النظام الاردني يحاول ان يستر موقفه مــن المقاومة ، بانه ليس ضد العمل الفدائي « لكنه كان في الاصل ضد خروج المنظمات على الفداء ، اذ حولت عملها ، المفروض ان يكون ضد المحتل ، الى ثورة ضد النظام في الاردن والخروج علــى القوانين » . ولهــذا فالاردن مستعد لان يقبــل المقاومة ضمن خطة عربية موحدة تتحمل مسؤوليتها الدول العربية ، كما ان مشروع الملك حسين لن يطبق الا بعد انسحاب جيوش الاحتلال الصهيوني. (النهار ٧٣/١/١٤) .

ويشدد النظام الاردني خــلال ذلك كله على ان مساندة الاردن سياسيا واقتصاديا ضرورية وهامة للمعركة لان الجبهة الاردنية جبهة اساسية ، تلعب دورا اساسيا في معركة التحرير .

ويجد هذا التحرك الاردني تجاوبا عربيا واسعا . وتلعب دول مثل المملكة العربية السعوديــة دورا بارزا فيه . ولذلك ظلت المملكة العربية السعودية حريصة ، ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ على بقاء النظام الاردني « وكان في نظرة المملكة ... انه يجب على الاردن ان يصمد مهما كلف الامر » . ولكن كيــف يصمد ؟ هنا ياتي الجــواب واضحا علــى لسان الناطقين باسم المملكة العربية السعودية في بيروت: « لكي يصمــد فلا بــد من استمرار دعمه ماديــا ومعنويا ، كما ولا بد من مواصلة المساعي لايجاد اي مقدار من التفاهم ما بين النظام الاردني من جهة ومنظمات المقاومة من جهة ثانية ، حتى تتوفر مع الايام ظروف ملائمة لاعادة المياه ما بين الجانبين الى مجاريها الطبيعية ، في هــذه الظروف غــير الطبيعية والبالغة الخطورة » . ولهذا ظلت المملكة العربية السعودية تقدم المساعدات التي قررهــا مؤتمر الخرطوم للاردن ، مع ان ليبيا والكويت قد قطعتا هذه المساعدات ، وربما زادت السعودية هذه المساعدات احيانــا لتعوض الاردن « عــن المعونات التي قطعتها بعض الشقيقات العربيــات عنه » (الجديد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) .

وتحاول المراجع السعودية ان تقنعنا الان بــان التطورات التي تحدث تنسجم مع المخطط السعودي مؤكــدة « صواب وجهة النظــر السعودية التي وضعها العاهل السعودي ضمن اطار استراتيجية قومية بعيدة النظر » . ذلك ان النظام الاردنــي حسب ما تذيعه هــذه المراجــع قد اخذ « ... يتزحزح ، ربما ببطء شديد ، انما بثبات واستمرار عن مواقعه الاولى ... » . وتضيف هذه المراجع ان الملك الاردني قد خطا مجموعة من الخطــوات الجذرية على الصعيدين الداخلي والعربي . فلقد اصدر في الداخل اكثر من عفو عن رجال المقاومة.

كما انه خطا عربيا عدة خطوات هامة باتجاه مصر وسورية (الجديد ، العدد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) . وتضيف هذه المراجع ان تجاوب مصر وسورية تأكيد على صواب وجهة النظر السعودية .

واذا كانت المملكة العربية السعودية تنفذ خططا رسمته ، فان عددا من الانظمة العربية يجد مصلحة له في التجاوب معه . ذلك ان القتال ليس مطروحا على محمل الجد.وتردد الاوساط العربية الرسمية ان العرب غير مهيأين للقتال . وان التهيؤ للقتال يستلزم جهدا عربيا موحدا ، وهذا ما ليس حاصلا كما يقتضي امكانيات عسكرية غير متوافرة . وعليه فان « الامكانيات العسكرية لحسم ازمة الشرق الاوسط ، آخذة في التضاؤل ، وان الحديث عن حرب ثأرية ، مجرد الحديث ، أصبح غير مقبول » (الدستور ، ١٢٣ ، ٧٣/٢/١٩) .

ولقد قامت القاهرة باتصالات عربية واسعة من أجل تنسيق الجهد العربي . وكان من ثمرة ذلك ، عدا الاتصالات والوفود ، مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، ثم مؤتمر رؤساء الاركان في القاهرة ، ثم مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع أخيرا .

وكان واضحا ان هذه الاتصالات والوفود والمؤتمرات تريد شيئا أو أشياء ، ولكن هذا الشيء او هذه الاشياء ليست توحيد الجهد العربي من اجل القتال . ذلك ان الاتصالات والوفود والمؤتمرات لا توحد قوى متناقضة مستسلمة او مهادنة من اجل القتال . وليس طريق توحيد الجهد هو طريق الاتصالات والوفود والمؤتمرات فحسب . ان العمل من اجل القتال ، بدء القتال ، اتخاذ مواقف قتالية هو الذي يجعل للاتصالات والوفود والمؤتمرات معنى قتاليا . ولذلك فان المطلوب ، في حالة كالتي نعيشها ، ان تتفق الدول العربية على أمرين : أولهما — وضع المقاومة الفلسطينية ضمن خطة الانظمة العربية وثانيهما — السير على طريق الحل السلمي بلا مزايدات ولا مهاترات .

ولهذا أصبحت المقاومة الان هي المشكلة . انها المشكلة لانها ترفض طريق الاستسلام . وهي مشكلة لان عملياتها تقود الى صدامات مع دولة الاحتلال الصهيوني . وهي مشكلة لان الانظمة العربية لن تستطيع التقدم على الطريق الذي اختارته ، اذا كان الشعب الفلسطيني مصمما على الاستمرار في القتال . ولهذا كله كانت المقاومة مشكلة مؤتمر الكويت ومشكلة مؤتمري القاهرة . وستبقى مشكلة الانظمة العربية جميعا ، ما دامت تقاتل وتصر على توحيد الجهد العربي ، من اجل القتال ، لا من اجل اي شيء آخر .

وليس غريبا بعد هذا كله ان تحاصر المقاومة ، وان تبذل المساعي لعزلها وتطويقها وضربها . فالمقاومة التي تريدها الانظمة غير هذه الموجودة . ان الانظمة تريد مقاومة مرتبطة بها ، تتحدث عن القتال ، ولا تقاتل ، وترفض الاستسلام ، ولكنها تبحث عن طرق ووسائل للتكيف معه ، تنطق باسم الشعب الفلسطيني ، ولكن من اجل فرض استراتيجية الانظمة العربية عليه . اما المقاومة الموجودة فهي مرفوضة . ولا بأس من ان يأخذ الرفض اشكالا عدة . فهي مرفوضة في جهة لانها لا تقاتل ! وهي مرفوضة في جهة اخرى لانها ماركسية ، وهي مرفوضة مرة ثالثة لانها غير موحدة الخ ... وهي مرفوضة حقا لانها الطرف الوحيد المقاتل فعلا ، الواقف في طريق الاستسلام فعلا مهما كانت عيوبها واخطاؤها .

وما تريده الانظمة العربية منها هو أن تصبح غير ما هي عليه . ان تتوحد ، أي ان تتطهر من القوى المقاتلة ، المعادية للاستسلام ، وان تختار مواقعها السياسية والايديولوجية التي تؤهلها لدخول صالون الانظمة العربية . وهناك كثير من المحاولات لايضاح هذه الحقيقة . (الجديد ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٧٣/١/١٢ و ٧٣/١/١٩) .

ولقد جاء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع ما بين ١/٢٧ و١/٣٠ في هذا الجو . وكان انعقاده جزءا من التحرك العربي الشامل الذي يستهدف ما ذكرناه .

وكان واضحا ان المؤتمر يستهدف اعادة النظام العميل في الاردن الى الحظيرة العربية ، وعزل حركة المقاومة . وتمثل ذلك فيما يلي :

١ — حذف موضوع الخلاف بين المقاومة والنظام الاردني من جدول الاعمال ، مع ان الجدول مقر في مؤتمر الكويت . وتبين ان الامين العام للجامعة العربية هو الذي طلب حذف هذا البند من الجدول .

٢ — لم يرد ذكر المقاومة اطلاقا ، الا على اساس أنها قوة ستشارك في الجبهة الشرقية .

٣ — قدم الفريق احمد اسماعيل تقريرا الى

المؤتمر ، حدد فيه مهمات المقاومة بأنها عمليات العمق واية عمليات أخرى في العالم ، دون ان يكون لها مثل هذا الحق على الحدود وبالقرب منها.

٤ — طالبت الخطة الموحدة بتخصيص مبلغ ٩٠ مليون جنيه استرليني (الانوار ٢٩/١/٧٣) لدعم مصر وسوريه والاردن . وقد استثنيت المقاومة . وعندما طالب ممثلها بأن تكون لها حصة من المبلغ المخصص رفض اقتراحه . وحين تقدم رئيس الاركان الليبي باقتراح زيادة المبلغ وتخصيص قسم منه للمقاومة رفض اقتراحه ايضا .

٥ — تقدم وفد العراق بمشروع لبناء الجبهة الشرقية ، حدد فيه القوى التي ستشارك في الجبهة تخطيطا وتنفيذا ، بأنها دول الاتحاد الثلاثي والعراق والاردن والمقاومة . وأعلن العراق استعداده للمشاركة في الجبهة ، ولكنه اشترط مشاركته بتأميم النفط ، او تخفيض الانتاج ، وبعدم بيع النفط للولايات المتحدة . ولقد رفض المشروع العراقي .

٦ — نوقشت طلبات المقاومة في الجلسة الختامية . وقد قدم اقتراح بتشكيل لجنة خاصة تقوم بزيارة الاردن والاجتماع بالملك حسين وبحث قضايا المقاومة معه ، بعد ان أعلن ممثل الاردن في المؤتمر بانه لا يملك الصلاحيات للموافقة على مثل هذه المطالب. ولقد تشكلت اللجنة من : المغرب ، الجزائر ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الكويت ، سوريه ، والقائد العام للجبهات الثلاث الفريق أحمد اسماعيل والامين العام لجامعة الدول العربية . وما أن تمت الموافقة على تشكيل اللجنة حتى بدأ المؤتمر يناقش موضوع اصدار قراراته ومنها : بناء الجبهة الشرقية ورفع الحصار عن الاردن ، واعادة المساعدات المقطوعة . ولكن وفد المقاومة اعترض على ذلك ، وأيده الوفد الليبي، مما حدا بالمؤتمر ان يربط اتخاذ مثل هذه القرارات بنتائج زيارة اللجنة الى عمان .

ولقد سافر الملك الى واشنطن ، وانشغل بشهر العسل ، فلم تتمكن اللجنة من زيارته بعد . الا ان زيارة الملك للولايات المتحدة قد فتحت آفاقا جديدة . وجاء في الاخبار ان الملك مستبشر ، وبانه سيخبر الدول العربية بما سمع ورأى من اهتمام الولايات المتحدة بأزمة الشرق الاوسط .

وتتردد في هذا الوقت أحاديث عن القتال في هذه العاصمة العربية أو تلك ، في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن بادرة اميركية جديدة . ولكن الاميركيين لم يطرحوا شيئا حتى هذه اللحظة . لماذا ؟ لانهم يريدون موافقة عربية ، تكليفا عربيا ، قبل أن يتكلموا . انهم هذه المرة لن يبادروا كما فعلوا في المرة السابقة ، ليقال لهم نعم أو لا ، انهم يريدون أن يبادروا والموافقة المسبقة في أيديهم. وما يطرحه الاميركيون واضح ومحدد : انه حل جزئي ، وفتح قناة السويس بالذات .

وقد ترددت أنباء في الايام الاخيرة (النهار ١٧/٢/٧٣) عن تنسيق مصري روسي بريطاني لقبول البادرة الاميركية الجديدة على أن يسمى الحل الجزئي حلا مرحليا . وليس بمستبعد ان يكون اللجوء الى التسمية الجديدة مخرجا من المأزق . ان التسمية هامة جدا ، وما لا يمكن ان يقبل باسم الحل الجزئي ، يمكن ان يقبل ويبرر باسم الحل المرحلي. القضية الاساسية في هذا كله ان اي حل جزئي أو مرحلي لا يمكن ان يتحقق اذا ظلت المقاومة قوة معارضة . وعليه فلا بد من ان يكون ثمن الجدية الاميركية خطوة أخرى على طريق تصفية المقاومة . فهل ستستطيع الولايات المتحدة ان تنجز هذه الخطوة ؟

ان ذلك يعتمد على موقف المقاومة ونضالها وعلى موقف القوى الوطنية العربية . ومعركة الايام القادمة هي معركة المقاومة بالذات . معركة استقلالها أو احتوائها ، معركة بقائها او فنائها .

١ — **قضية أبو داوود** : دخل أبو داوود عمان في هذا المناخ . وكان دخول أبو داوود عمان يسير في الاتجاه المعاكس . ذلك ان الهدف كان من وجوده :

أ — هز ثقة النظام بنفسه ، وثقة سادته (الولايات المتحدة) به . فالنظام يناور دوليا من أجل أن يؤكد صفته ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني ، وحريصا على تصفية ارادة القتال وعلى السير نحو التصفية . ولا بد لافشال لعبته الدولية من مفاجأته بضربة صاعقة ، لا تسقطه ، ولكنها تهزه هزا عميقا ، وتحرمه بالتالي من أن يدعي ضمان الاستقرار واستتباب الامن في ربوعه .

ب — افساد مناورات النظام لخلق مناخ انفتاح عربي ، يخرج الاردن الرسمي من عزلته العربية ، ويفتح أمامه كل امكانيات التغطية المادية والمعنوية

لنشاطاته المشبوهة .

جـ ـ رفع معنويات جماهيرنا في الارض المحتلة والاردن ، برد موجع على عمليات المطاردة والقمع والاذلال .

ولكن ابو داوود اكتشف يوم ٢/٨ . ولم يعلن النظام شيئا عن المحاولة الا يوم ٢/١٥ (النهار ٧٣/٢/١٦) ، دون ذكر ابو داوود ، بينما أعلنت فتح بيانها يوم ٢/١٦ (النهار ٧٣/٢/١٧) ، مع انها كانت تعلم بما حدث في حينه .

بدأت حملة المقاومة من أجل انقاذ ابو داوود ، باللقاء مع السفراء العرب في بيروت يوم ٢/١٦ ، والمذكرات التي قدمتها فتح الى الحكومات العربية، ثم تحركت وفود من فتح الى بعض البلاد العربية ، وجرت اتصالات مع بلاد أخرى .

وكان رد الفعل على الصعيد الشعبي واسعا وعميقا، ذلك ان المنظمات الشعبية العربية أصدرت بيانات الاستنكار ، ضد النظام الاردني . كما أن اتحادات المحامين تحركت من اجل الدفاع عن المعتقلين ، ولكن السلطات الاردنية لم تتح لها فرصة الوصول الى عمان ، وردت الوفد العراقي برئاسة فيصل حبيب خيزران ، نقيب المحامين العراقيين ، من مطار عمان ، على الرغم من ان الوفد ابرق لنقابة المحامين في الاردن ولوزارة العدل فيه بموعد قدومه .

ولقد عبرت المنظمات الشعبية العربية عن موقفها من النظام الاردني ، كما عبرت عن تأييدها لمهاجمة النظام الاردني في مواقعه الحساسة . ولكن الموقف الرسمي ، لم يكن كالموقف الشعبي ، وان كانت هنالك بعض الخلافات .

كان أول رد فعل رسمي صادرا عن بومدين والقذافي ، ذلك انهما كانا مجتمعين ، وأرسلا برقية الى الجامعة العربية تطالبها بالتدخل في سبيل انقاذ حياة ابو داوود . ولم يكن ممكنا ان يبرق بومدين والقذافي للسلطات الاردنية مباشرة ، لان العلاقات بينهما وبينها مقطوعة .

أما فيما عدا ذلك ، فقد كانت النظرة الى قضية أبو داوود مرتبطة بموضوع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن . وأراد البعض ان يستخدم رأس ابو داوود رهينة للتفاوض والضغط ، وان يغتنم هذه الفرصة ، لا للمحافظة على حياة ابو داوود ، بل لدفع المقاومة الى خط جديد في علاقاتها مع الاردن خاصة ، والانظمة عامة .

وكان يطرح على وفد فتح هذا السؤال : كيف تريدوننا ان نتوسط في موضوع ابو داوود ، دون ان نخوض في القضية كلها ؟

ولقد عبرت هذه الاوساط عن وجهة نظرها هذه ، من خلال صحفها . وكتبت احدى هذه الصحف تسمي الوساطة الوساطة الناقصة . لماذا ؟ لان انقاذ ابو داوود ممكن و« ... بسهولة ويسر ...» « متى استطاع الوسطاء ان يقيموا قاعدة سليمة للتعايش بين العرب ، جميع العرب ، بصرف النظر عن آرائهم وميولهم واتجاهاتهم ... » (الحياة ٧٣/٣/٧) . وعادت الصحيفة لتؤكد انه : « ... اذا كانت قد أطلت من خلال هذه الغيوم الكثيفة بارقة أمل واحدة فهي استجابة الملك حسين للنداء الذي وجه اليه لعدم تنفيذ حكم الاعدام بابو داوود ورفاقه من الفدائيين ... غير ان بارقة الامل هذه لن يكون لها مردودها المثمر على صعيد العلاقات العربية ، الا اذا تحولت الى بداية لجمع الكلمة ورص الصفوف ، وتناسي الاحقاد والعمل من جديد ، ضمن خطة موحدة ، وفي سبيل غاية واحدة ، وهدف مشترك ... » (الحياة ٧٣/٣/٨). « وتحل قضية العلاقات بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن بسهولة ويسر . ذلك اننا في كفاحنا ضد اسرائيل لا غنى لنا عن الاردن الذي يرابط على أطول خط من خطوط مواجهتنا ضد العدو ، ولا غنى لنا عن العمل الفدائي الذي أصبح في آخر الشوط المخرز الوحيد الذي ينخز في جوانب أعدائنا ، فهل يجوز لاي عربي ان يسكت عن استمرار الصراع بين هاتين القوتين العربيتين ؟... » (الحياة ، ١٩٧٣/٣/٧) .

ويتضح ان هدف هذا المنطق هو أن نصل الى أن المصالحة يجب ان تتم . كيف ؟ وعلى أي الاسس ؟ على اساس تناسي الاحقاد وبدء صفحة جديدة من العلاقات !. ولكن هل يمكن أن تتم المصالحة وان يبقى من الثورة الفلسطينية غير أشلاء . هذا ما لا يجيبنا عليه الوسطاء علنا ، ولكن الخطط التي طرحت في الاشهر الماضية ، ومنذ محادثات جدة قالت كل شيء : ثورة فلسطينية ضمن استراتيجية عربية موحدة شاملة . وهذا يعني ان تخضع الثورة لاستراتيجية الانظمة خضوعا كاملا . وهذا يتطلب ان يحدث من التغييرات فيها ما يجعلها قادرة على أن تكون كذلك .

لقد تحدثنا في هذه الزاوية كثيرا عن هذه الناحية ، ولكن ما هو مطلوب يمكن تلخيصه بالآتي : توحيد الثورة الفلسطينية بتصفية الاتجاهات الثورية فيها، وبانهاء طابعها الشعبي ، وباخضاع كل قواتهـا العسكريـة لبرنامج عسكـري موحد ، واخضاع ديبلوماسيتها للديبلوماسية الرسمية .

وعاد الملك حسين من زيارته للولايات المتحدة فواجه الحملة بتصديق احكام الاعـدام على أبو داوود ورفاقه . ويبدو انه كان يريد من ذلك : أ ـ تعليق السيف على رقبة الثورة الفلسطينية في محاولة لارهاب قياداتها وجماهيرها ووضعها امام خيارين : اما أن تقبل بالتفاوض حسب شروط النظام في عمان أو تعطي المبرر لمزيد مـن القمع والبطش والارهاب . ب ـ دفع الانظمة العربية لممارسة مزيد من الضغط على الثورة الفلسطينية من أجل محاصرتها بالخيارين السابقين المذكورين أعلاه . جـ ـ استغلال وساطة الانظمة لاستئناف الحـوار معها من اجل انهاء حالة الحصار التي يعيشهـا الاردن الرسمـي ، والحصول على المساعـدات « المقطوعة » .

وحين كتب أمير الكويت ، متمنيا على الملك ألا ينفذ أحكام الاعدام أجابه الملك برسالة ، عممتها اجهزة الاعلام الاردنية وكان أهم ما جاء فيها: أـ«... ان الحكم الذي صدر بحق المجموعة التي تصدت لتنفيذ المؤامرة ، هو حكم قانوني وعادل صدر عن جهات قضائية ومسؤولة ... » . ب ـ ان نداء أمير الكويت كان له وقع ايجابي في نفس الملك ، وان الملك يسمع معه ايضا « ... نداء عميقا ينطلق من أعماق الضمير العربي كله ، داعيا الى بناء سد أبدي في وجه تيارات الفرقـة والتصدع ، واعادة النظر في قواعد التعامل بين اعضاء الاسرة العربية كلها ، والوقوف بموضوعية وأمانة أمام أنفسنا نتحرى فيهـا أسباب الضعف والخطأ ، والعزم على مراجعة المواقف بما يوفر للقضية المزيد من أسباب القوة والاقتدار » .

وطالب الملك أن يكون في طليعة ذلك : أولا : وضع حد نهائي وفوري والى الابد لكل تآمر وعمل تخريبي مادي او اعلامي ضد هذا البلد العربي وشعبه الوفي وجيشه البطل ومؤسساته جميعا ، وأن تتعهد المنظمات بأن توجه جهودها وطاقاتها ، وما تضعه الامة بين أيديها من طاقات لخدمة القضية خدمة أمينة مخلصة ، وأن لا تتعرض لا للاردن ولا لغيره من البلدان الشقيقة بشيء قليل أو كثير ، بل ان يكون دورها أن تجمع ولا تفرق ، وأن تبني ولا تهدم ، وأن تكون سلاحا للقضية في وجه أعدائها لا سلاحا للاعداء في وجه القضية في كل عمل وقول، وفي الدنيا بأسرها . ثانيا : ان يواجه الاشقاء مسؤولياتهم تجاه موقفنا هذا بجراة وصراحة ، وأن تكون مواقفهم من اي اخلال بهذا التعهد صارمة ومعلنة » (الانوار ٧٣/٣/٧) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادقة على حكم الاعدام جاءت بعد تنفيذ مقاتلي أيلول الاسود حكم الاعدام بالديبلوماسيين الثلاثـة في الخرطوم ، وبعد أن استشاطت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحـدة غضبا ، حتى انها ما لبثت أن طالبت علنا باعدام منفذي عملية الخرطوم .

هل هذا يعني أن باب الوساطة ما زال مفتوحا... انه ما زال فعلا ، بسبب وجود تيار عربي رسمي يرى المصالحة ضرورية ، ويرى ان تحل قضية ابو داوود ورفاقه بالعمل الديبلوماسي ، لا بالحملات الاعلامية ، ولا بالعمليات الانتحارية . ولهذا التيار امتداداته الفلسطينية .

والملك حسين أيضا يريد هذه المصالحة ، لانها تصفي الثورة الفلسطينية من داخلها . وهذا ما يسهل على الملك خطواته ، ويريحه من مشاكله الحالية والمقبلة مع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كما يتوهم . وهو اذا كان يريد تصفية ابو داوود ، فلا تهمه التصفية المادية بمقدار ما تهمه التصفية المعنوية . وهذا ما يحاوله النظام الان . انه يعمل جاهدا لاسقاط خط ابو داوود من خلال ابو داوود . كيف ؟ من خلال اظهار ابو داوود متراجعا عن خطه ومن خلال طرح المصالحة ثمنا لرأسه .

وبعد ، هل سيعدم ابو داوود ؟

ان الاجابة مرهونة بعدد من العوامل السياسية والمواقف السياسية ، كما انهـا تتعلق بالثورة الفلسطينية والنظام الاردني والانظمة العربية . وأن يعدم ابو داوود أو لا يعدم مرهون بعدد من هذه العوامل المتغيرة .

ولقد أعلن الملـك حسين في ٣/١٤ ، في رسالة وجهها الى رئيس وزرائه بالوكالة تخفيف حكـم الاعدام « لاعتبارات انسانية » واستجابة لنداءات عدد من القادة العرب . ويخطو الملك بذلك خطوة

أخرى على طريق المصالحة ، وعلى طريق تحريض الانظمة العربية ضد الثورة الفلسطينية ، اذا لم تستجب « لشروط » المصالحة (البيرق ٧٣/٣/١٦) .

٢ — **قضية الطائرة الليبية** : وأسقطت الطائرات الاسرائيلية المقاتلة في هذا الجو الطائرة الليبية . كان حافظ اسماعيل ، مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي يريد التوجه الى الولايات المتحدة . وقد خشي البعض ان يمنع الحادث الزيارة . ولكن الزيارة تمت ، وهذا ما رجاه رسميو الولايات المتحدة .

هل كان الحادث يستهدف التأثير في رحلة حافظ اسماعيل ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ذلك ان كل الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني ليستا مختلفتين حول ما يسمى موضوع أزمة الشرق الاوسط . وما دامتا ليستا مختلفتين فما الحاجة الى عرقلة المساعي الحسنة التي تقوم بها الولايات المتحدة لمصلحة دولة الاحتلال الصهيوني ؟ اذا قلنا بأن دولة الاحتلال الصهيوني تريد عرقلة المساعي قادنا ذلك الى الاعتقاد بأن هناك خلافا بين الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني . وهذا ليس حاصلا الان . ذلك ان ما تطلبه الولايات المتحدة لا يتعدى ما تطلبه دولة الاحتلال : حل جزئي ، يكون مقدمة لحل شامل ، تحتفظ فيه دولة الاحتلال الصهيوني « بحدود آمنة » ، وتنال في المقابل مكاسب هامة لا حدود لها ، تبدأ من تصفية الثورة الفلسطينية ، وتنتهي بالاعتراف .

ما الدافع اذن الى مثل هذه الجريمة النكراء ؟

ربما استهدفت دولة الاحتلال من ذلك ما يلي : أ — خلق اسباب لمزيد من الخلافات بين ليبيا ومصر . ذلك أن ليبيا تعلن مواقف مضادة للحلول الاستسلامية وتعلن على لسان رئيسها : « ان موضوع تحرير فلسطين واعادة شعبها أصبحت منتهية من أذهان الحكام العرب » وان السياسة العربية تجاه فلسطين مصابة بـ « الافلاس والعقم والشلل » (الحياة ٧٣/٣/٨) . بينما تتحدث مصر عن التعبئة والحرب وترسل الرسل الى واشنطن الخ . ان توسيع شقة الخلاف داخل اطار الاتحاد الثلاثي ، يربك مصر ، ويضعف امكانياتها القتالية والسياسية . ب — الانتقام من ليبيا بسبب تبني السلطة فيها عمليات « أيلول الاسود » ، وهو ما اعلنت عنه سلطات الاحتلال سلفا . ولقد استهدفت دولة الاحتلال الطائرة ، لانها تسعى الى زعزعة ثقة المواطن العادي بخط حكومته . وليس غريبا بعد هذا ان تتجه المظاهرات العفوية التي حدثت ضد العلاقات المصرية الليبية . ج — « كسر انف القذافي » واشعاره ان دولة الاحتلال قادرة على الرد ، وانها « تمهل ولا تهمل » ، وان تحديها عبث ومكابرة .

وهنالك احتمال آخر ان تكون استهدفت من ذلك استدراج الطائرة الليبية الى الاراضي المحتلة من أجل اصطياد « رهائن » ليبية هامة ، كانت تعلم بوجودهم على الطائرة . او لانها تريد استغلال اصطياد طائرة ليبية في عملية حوار تكون ليبيا فيه مخطرة .

وسيان كان هذا كله او كان غيره ، فان العملية واحدة من آلاف العمليات التي قامت بها دولة الاحتلال الصهيوني ضد شعبنا الفلسطيني وجماهيرنا العربية . وهي عملية اثارت كثيرا من السخط العربي المؤقت ، مثل مثيلاتها ، الا انها سرعان ما أضيفت الى سجل الاعتداءات . وهي تؤكد اسلوب الحوار الدموي الذي انتهجته دولة الاحتلال منذ كانت ، او حتى قبل أن تكون .

ماذا ستفعل ليبيا ؟

يتوقع بعض منا ضربة مماثلة . ولكن جماهيرنا يجب ان تخرج من دائرة ردود الافعال . ان ما نطلبه ليس حادث طائرة مماثل . ان ما نطلبه يتلخص في التصميم على القتال فقط . ولان هذا التصميم العربي غير مكرس رسميا تقبل جماهيرنا اية ضربة ، ردا على الضربة المؤلمة .

٣ — **عمليةأيلول الاسود في الخرطوم** : أثارت عملية الخرطوم ما لم تثره عملية اخرى من عمليات أيلول الاسود على الصعيد العربي . وكان واضحا أن هناك على الصعيد العربي الرسمي ، وشبه الرسمي ، وفي محافل رجعية كثيرة توجسا وخيفة واستنكارا وحيرة . لماذا حدث ذلك ؟

لقد قتل وصفي التل رئيس وزراء الاردن ، وفي القاهرة ، وخلال دورة اجتماعات في الجامعة العربية . ومع ذلك كان هنالك تجاوب شعبي كبير ، ولم تكن هناك مظاهر السلبية التي اتضحت اثر عملية الخرطوم .

وجدير بالذكر ان اوساطا مثل جريدة النهار ، تبنت الدعوة لمنهج « أيلول الاسود » ، وقفت هذه المرة

تقول : « ولكن ... ولكن ... هل يمكن ان يصبح « الارهاب الفدائي » ارقى مراتب النضال ، بل النضال الوحيد ومجال الثورة الابرز والافعل ؟ ذلك هو السؤال الذي تطرحه « قضية الخرطوم » خصوصا بعدما انتهت الى ما انتهت اليه ، ومرت بما مرت به » (النهار ٧٣/٣/٥) ودعا في النهار داعية آخر من دعاة ايلول الاسود المتحمسين ، الى الحوار مع قيادة الثورة من اجل « ... شق طريق اخرى غير هذه الطريق » (النهار ٣/٨) . واستنكرت صحيفة عربية اخرى الحادثة بقولها : « ان عملية أيلول الاسود في الخرطوم جاءت بمثابة نكسة مذهلة للعالم العربي ، مثلما كانت جريمة مروعة » (الحياة ٣/٦ نقلا عن الكويت تايمز) .

ان الذي قاد الى هذا كله كان ما يلي :

أولا : ان كثيرين من الذين شجعوا فكرة « أيلول الاسود » وعملياتها كانوا يفعلون ذلك من اجل انهاء وجود الثورة العلني والشرعي. كانوا يطرحون « أيلول الاسود » بديلا لما هو قائم . وكان هذا يقتضي ان تزول القوات والمواقع والمعسكرات والمنظمات الجماهيرية مقابل عمل سري مجهول . ولكن هذا العمل السري أصبح واقعا الان واصبحت له مسؤولياته . ولذلك أسرع كثيرون ممن أيدوه وهو فكرة الى التنصل منه عندما اصبح واقعا . ثانيا : كانت عملية الخرطوم عملية على ارض عربية تستهدف أكثر من جهة عربية ، وأكثر من جهة دولية . وكونها قامت على أرض عربية ، ومست اكثر من جهة عربية ، بينها المملكة العربية السعودية ، أمر له اهميته الكبرى . فالمملكة العربية السعودية تلعب دورا بارزا في احداث المنطقة الان . وهي حتى الان تحاول ان تظل مهيبة في علاقاتها العربية والدولية . لذلك فان احتلال سفارتها وارتهان سفيرها وضيوفه وقتل بعض منهم كان لا بد من ان يهز دوائر عربية معينة . كما ان قيام مثل هذه العملية على أراض عربية ، اخاف أنظمة وأوساطا عربية من أن تقوم عمليات مماثلة على أراضيها .

وزاد الامر تعقيدا بالنسبة لبعض الاوساط العربية ان ديبلوماسيين امريكيين قد قتلا . وهو ما لا يرضاه انصار التفاهم مع الولايات المتحدة .

اما موقف الخرطوم الرسمي فلم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك . ذلك ان حكومة الرئيس النميري قد قررت منذ حركة هاشم العطا ان تسير في خط جديد ، دعائمه ثلاث : الولايات المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، قادة جنوب السودان . وقد قادت هذه الدعائم الثلاث السودان الى السير في الخط الاميركي . وجاءت عملية الخرطوم لتكشف هذه الحقيقة كما لم تكشف من قبل .

ولذلك استغلت حكومة النميري هذه الحادثة لتتخذ موقفا معاديا من الثورة الفلسطينية كلها . ولقد بادر النميري فألقى خطابا اعلن فيه الحرب الشعواء . ولم يكتف بذلك بل ارسل رسالة الى الملوك والرؤساء العرب دعا فيها الى تحرير الناشئة الفلسطينية من سيطرة العقلية المتعطشة للدم ووضع ضوابط للعمل الفدائي . وكان هذا يعني وقوف السودان الى جانب الاردن في عملية سحق ارادة الشعب الفلسطيني .

ان ما حدث في السودان جدير بالاهتمام . ذلك ان هذا الموقف العلني الصريح من الثورة الفلسطينية وافتعال المظاهرات المطالبة باعدام الذين نفذوا عملية الخرطوم ، لا تعبر عن « مدى الضغوط التي يتعرض لها النميري الان من اميركا لاعدام الفدائيين في الخرطوم ... » فقط (لسان الحال ٧٣/٣/٨). هناك أكثر من ذلك هناكخط داخلي يتبلور في اتجاه الولايات المتحدة .

واليوم يعود الحوار مع الخرطوم من جديد . ويبدو ان الحوار قطع شوطا بعيدا على طريق انهاء الازمة .

ولا بأس من الاعتقاد ان هذه الازمة مع حكومة السودان ستسوى مؤقتا ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان مواقف حكومة السودان كانت « نرفزة » عابرة، وانها كانت بلا دلالات . ان دلالاتها كبيرة ، وهي تستحق ان نقف عندها باهتمام ، لانها مؤشر من المؤشرات الهامة على علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية ، خلال مسيرتها المقبلة .

وبينما يجري هذا كله تظل الحياة السياسية العربية تتكشف كل يوم عن متناقضاتها ، وعن انحدارها على طريق الاستسلام . ففي لبنان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعدوانها على مخيمي البداوي ونهر البارد ، دون ان تواجه بطلقة من غير « حرس المخيمات » . وفي المغرب اعلن الملك الحسن الثاني (البرق ٣/٥) عزمه على ارسال متطوعين الى سوريه في الوقت الذي كان زعماء

الحركة الوطنية في المغرب يعتقلون بتهمة القيام باعمال مسلحة ، وفي الوقت الذي كان التحرك الشعبي يزداد عنفا وحركة القمع تزداد شراسة . وفي مصر استمر الحديث عن الحرب ، واستمر قرع الابواب من اجل السلام ، واستمرت حركة التطهير في أجهزة الاعلام . أما في سوريه فقد حاولت بعض الفئات تحريك فتنة دينية ، ولكنها ضربت بسرعة . وضاع الحديث في هذه الاجواء عن الجبهة الشرقية، وسط سرعة الاحداث وصخبها .

اما الجبهة العربية المشاركة فقد جاءت دورتها الاولى ما بين ٣ و٥ آذار ، الا انها جاءت دون اطراف اساسيين هم : سوريه ومصر وليبيا . ومع ذلك فقد كان اجتماع امانتها العامة مفيدا ، أصدرت على أثره عددا من البيانات وقررت دعوة مجلسها العام في حزيران (الانباء ٧٣/٣/٩) .

ان المرحلة القادمة مرحلة اكثر تعقيدا ، وستزداد الاتجاهات نحو الاستسلام افتضاحا ، وستزداد محاولات التصفية شراسة .

ناجي علوش

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب بالانجليزية بعنوان

THE LEGAL STATUTS OF ISRAELI - ZIONIST FUNDRAISING IN THE U.S.A. : A LAWSUIT

بقلم

عابدين جبـــارة

والكتاب مرافعة قضائية أعدها الكاتب ضد سكرتارية وزارة المالية الاميركية وجهات حكومية اخرى لاعفائها الوكالة اليهودية من ضرائب الدخل وموضحا فيها الطبيعة الاستيطانية ــ الاستعمارية التي تنفذها اسرائيل والوكالة اليهودية من هذه الاموال المجباة .

اطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ٢ ل.ل يضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ١٠٠ ق. ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول .

بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام تبلورت معالم حملة ديبلوماسية عربية على الصعيد الدولي هدفها جذب اهتمام الدول الكبرى بشكل جدي الى النزاع العربي الاسرائيلي والى ضرورة احراز بعض التقدم المقبول باتجاه حله سلميا في أقرب وقت ممكن . وكانت المظاهر الاهم لهذه الحملة زيارة الملك حسين لواشنطن في كانون الثاني ١٩٧٣ ، وقيام حافظ اسماعيل — مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي — بزيارة كل من موسكو ولندن وواشنطن بالتتابع ، حيث اجرى مباحثات مع كبار المسؤولين في تلك العواصم حول ازمة الشرق الاوسط . وكجزء من هذه الحملة الدبلوماسية يقوم وزير خارجية مصر — الزيات — بزيارة كل من الهند والباكستان وايران وتايلاند ، كما يقوم الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي — سيد مرعي — بزيارة عدد من دول اوروبا الشرقية . من جهة أخرى استمرت السياسة الامريكية الموجهة نحو الحكومات العربية المعنية بالايحاء بأنها تنوي التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الواقعة فيه (ولكن بدون أن تتحرك فعلا) ، وهي تقدم ايحاءات يلفها الغموض المتعمد بهدف خلق اجواء هي في الوقت نفسه مزيج من التفاؤل والامل من ناحية ، ومن الحذر والتحفظ من ناحية ثانية . على سبيل المثال « أوحت » الدبلوماسية الامريكية للملك حسين اثناء زيارته لواشنطن (وفقا لتصريحاته هناك) بأن التفاؤل بامكانية ايجاد حل مرض لطرفي النزاع في الشرق الاوسط ممكن لان امريكا تقوم بدور كبير في خلق جو يمكن ان يزدهر فيه السلام العالمي . كما « أوحت » له بأن دور منطقة الشرق الاوسط سيأتي في المرتبة الاولى على جدول اعمال الرئيس نيكسون لان حكومته مهتمة كثيرا بمصيرها مما يعني ان تحركا ما سيحدث قريبا تأخذ فيه امريكا زمام المبادرة . وقد بررت الدبلوماسية الامريكية ايحاءاتها هذه بقولها ان العالم يسير الان نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر المزمنة التي تهدد السلام العالمي ، لذلك لا بد لهذا الاتجاه من أن يشمل مشكلة الشرق الاوسط باعتبارها تشكل أهم مصدر للخطر على السلام العالمي . وعلى هذا الاساس اعلن الملك حسين اثناء زيارته الامريكية « انه سيبلغ المسؤولين في سوريا ومصر من خلال اتصالات خاصة ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة ».

اما بالنسبة لمصر فقد أطلقت الدبلوماسية الامريكية ايحاء من النوع نفسه اخذ صورة ابداء رغبة الحكومة الامريكية باستقبال شخصية مصرية مسؤولة على مستوى رفيع لاجراء محادثات على أعلى المستويات في واشنطن . ويبدو ان بريطانيا كانت الوسيط الذي نقل هذه الرغبة الامريكية الى المسؤولين في مصر ، كما ان وليم روجرز أعلن عنها في مؤتمر صحافي عقده في منتصف شباط ١٩٧٣ . وعلى اثر ذلك يبدو ان الرئيس السادات قرر ارسال مستشاره الخاص حافظ اسماعيل اولا الى الاتحاد السوفياتي للتشاور هناك بشأن التحرك الامريكي ومن ثم الى الولايات المتحدة ، مرورا بلندن ، لتبادل وجهات النظر مع المسؤولين الامريكيين بمن فيها الرئيس نيكسون . ويبدو من نتائج الزيارة المصرية لموسكو (راجع : القضية الفلسطينية دوليا ، « شؤون فلسطينية » ، عدد ١٩) ، ان الزعامة السوفياتية لم تعترض على مهمة حافظ اسماعيل في لندن وواشنطن .

في لندن قابل حافظ اسماعيل رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية البريطانية ان المحادثات اقتصرت على تبادل وجهات النظر حول امكانات تحقيق التسوية السياسية في الشرق الاوسط ولكنها لم تتطرق الى أية اقتراحات محددة للوصول الى هذا الهدف . ويبدو ان السبب في ذلك الاعتقاد السائد حاليا لدى كافة الاطراف المعنية بأن مفتاح حل أزمة النزاع العربي الاسرائيلي هو في يد الولايات المتحدة. وقد أوضحت المصادر البريطانية انها « تؤيد التحرك الامريكي الجديد الرامي الى احياء الحوار غير المباشر بين الدول العربية واسرائيل » . كما ترددت انباء صحفية بأن المسؤولين البريطانيين قد أشاروا على حافظ اسماعيل بضرورة مسايرة مصر للتحرك الامريكي والقبول به « لان الظروف الدولية لا تسمح بأية حلول اخرى في الوقت الحاضر » .

اما في واشنطن فقد رحب الناطق باسم وزارة الخارجية بزيارة حافظ اسماعيل باعتبارها فرصة « للاطلاع على آراء الحكومة المصرية » حول أزمة الشرق الاوسط و« لعرض الرأي الامريكي على

مصر حول الموضوع ذاته » . كما ابدت الاوساط السياسية الامريكية ارتياحها لان حافظ اسماعيل قد جاء الى واشنطن بعد المشاورات التي كان قد اجراها في موسكو ، ولان زيارته تأتي بعد محادثات الرئيس نيكسون مع الملك حسين وقبل مقابلته لغولدا مائير . وقد قابل المبعوث المصري كلا من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته وليم روجرز ومستشاره الخاص هنري كيسنجر . وفي استقبال المبعوث المصري عاد الرئيس نيكسون الى تكرار الايحاءات العامة والغامضة حول عزم حكومته على التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من مأزقها . فقد أكد رغبة بلاده الكبيرة في المساعدة على احلال السلام في منطقتنا ، ثم اضاف ان حكومته تدرك أيضا ان تحقيق السلام الفوري ليس الا حلما (وهذا يعني تحقيق السلام على مراحل : أي التسوية الجزئية ، محادثات الجوار ، الخ ...) . كما أشار الى أن هدفه الحالي بالنسبة للشرق الاوسط هو « تحريك القضية من مكانها » . وقام حافظ اسماعيل بتسليم الرسالة التي بعث بها الرئيس السادات الى نيكسون. وعلى اثر الاجتماع مع نيكسون أعلن الناطق باسم البيت الابيض انه تم عقد الاجتماع في جو ودي ، واعرب عن الامل الامريكي بأن يكون بالامكان اجراء مفاوضات عربية ــ اسرائيلية . وقد رددت المصادر السياسية الامريكية ان الرئيس نيكسون ووزير خارجيته واثقان من ان محادثاتهما مع اسماعيل « قد تسفر عن سعي امريكي ــ مصري الى احلال السلام في الشرق الاوسط » . لذلك اعتبرت هذه الاوساط ان زيارة اسماعيل قد اسفرت عن نتيجة ايجابية مهمة . وعلى اثر اجتماع المبعوث المصري بوليم روجرز أعلن الطرف الامريكي ان « العلاقات بين مصر والولايات المتحدة قد أصبحت أكثر انفراجا » وان المحادثات مع وزير الخارجية « كانت مفيدة جدا وسجلت تقدما » .

على الرغم من كل هذه الايحاءات الامريكية فان التدقيق في هذا الموضوع يبين ان المحتوى الكامن خلف هذه الايحاءات ما زال هو هو ، اي الموقف الامريكي المعروف من النزاع العربي ــ الاسرائيلي. لذلك لا بد من الاستنتاج انه اذا كان صحيحا ان مهمة حافظ اسماعيل في واشنطن قد حققت نتيجة ايجابية مهمة بالنسبة « للسعي الامريكي ــ المصري لاحلال السلام في الشرق الاوسط » وان تقدما قد تحقق بهذا الاتجاه ، بالاضافة الى انفراج في العلاقات الامريكية المصرية ، فان المسؤول عن تحقيق هذه النتائج ليس بالتأكيد اي تغير او تساهل في الموقف الامريكي ، مما يتركنا أمام احتمال واحد هو ان الموقف العربي قد أصبح أكثر تساهلا في الفترة الاخيرة . ويمكننا استخلاص ثبات الموقف الامريكي حيال النزاع في منطقتنا واستمراريته من عدة تصريحات صدرت على أعلى المستويات . ففي منتصف شباط المنصرم عقد وليم روجرز مؤتمرا صحافيا حدد فيه موقف بلاده من مسألة تسوية النزاع العربي الاسرائيلي على النحو التالي :

(١) ضرورة البدء ، عما قريب ، بالمفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل . قال روجرز ان بلاده ستقوم بدور نشط جدا في الاسابيع المقبلة من اجل بدء هذه المفاوضات ، وستفعل كل ما تستطيعه لحمل الجانبين العربي والاسرائيلي على التفاوض .

(٢) التأكيد من جديد على اهمية « البدء بالمحادثات الخاصة بين جميع الفرقاء المعنيين » (اي محادثات الجوار باشراف امريكا) والاصرار على ان الطريق الى السلام يكمن في الاجراءات الجزئية (أي التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس) التي تشكل خطوة أولى نحو التسوية النهائية للنزاع . قال روجرز ان حكومة بلاده ستسعى في نشاطها للحصول على مثل هذه الاجراءات الجزئية. وأعرب عن اعتقاده بأن تحقيق تسوية جزئية للنزاع بين مصر واسرائيل يبدو أسهل من تحقيقها بين اسرائيل والاردن خاصة وان فكرة التسوية الجزئية صدرت أصلا عن الرئيس السادات نفسه .

(٣) نفى روجرز ان يكون هناك ثمة شيء مثل البادرة الامريكية للسلام التي كثر الكلام عنها . قال بهذا الصدد ان بلاده لا تسعى الى عرض أي مشروع جديد لتسوية النزاع . والهدف من هذا النفي هو تأكيد الموقف القائل بأن الولايات المتحدة لن تفرض على المنطقة أي حل من الحلول مهما كان . وبعد تحديد الموقف الامريكي على النحو المذكور بين روجرز ان حكومة بلاده قد نقلت وجهات نظرها هذه حول التسوية الجزئية الى الاطراف المعنية بالنزاع بما فيها الاتحاد السوفياتي ، ثم اعلن ان السلطات الامريكية ترحب باستقبال شخصية مصرية بارزة ، وانها بالتأكيد سترد الزيارة اذا تمت .

وبعد انتهاء زيارة حافظ اسماعيل الى واشنطن عادت المصادر السياسية هناك الى تأكيد الموقف

الامريكي نفسه عن طريق الاشارة الى ان المسؤولين الامريكيين يأملون بأن يبين المبعوث المصري للرئيس السادات ان الولايات المتحدة « لا تريد سوى تحريك قضية الشرق الاوسط من جمودها » . وذكرت هذه المصادر ان هؤلاء المسؤولين قد امضوا ساعات طويلة يشرحون لحافظ اسماعيل كيف انه لا يمكن الوصول الى اية نتائج بالنسبة لازمة الشرق الاوسط الا بالعمل خطوة بعد خطوة ، وكيف ان اهم شيء الان هو البدء بعملية المفاوضات لان اول اجراء يبشر بنتائج ملموسة هو الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس. كذلك اكدت هذه المصادر ان نيكسون وروجرز اوضحا للمبعوث المصري ان الولايات المتحدة « غير راغبة وغير قادرة على فرض صيغة للتسوية في الشرق الاوسط ، ولهذا فان تحقيق السلام يبقى مرهونا بالطرفين المتنازعين » . وفي مقابلة تلفزيونية اوضح جوزيف سيسكو — بعبارات دبلوماسية — ان الموقف الامريكي من الشرق الاوسط لم يتغير (بالرغم من الزيارات العربية) وان امريكا لا تنوي استخدام نفوذها لدى اسرائيل (باعتبارها تمد اسرائيل بالمال والسلاح) لجعل موقفها « اكثر ليونة » بالنسبة لمسألة الاراضي العربية المحتلة . كما عاد سيسكو الى التأكيد على ان حكومة بلاده ما زالت متمسكة بفكرة تنفيذ التسوية الجزئية والعمل على البدء بمفاوضات بين الطرفين من أجل تحقيق هذا الهدف. وكنوع من التطمين لمصر أقر سيسكو بأن الحكومة الامريكية تدرك ان هناك صلة بين التسوية الجزئية (الهدف الامريكي المباشر) وبين الجهود التي ينبغي بذلها فيما بعد من اجل تحقيق التسوية الشاملة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على المدى الابعد (الهدف المصري الملح) . ورفض سيسكو الكلام الذي يقال عن وجود مبادرة امريكية جديدة لان ذلك « يوحي بوجود مشروع سلام شامل ستعمل امريكا على فرضه في المنطقة » وهذا مخالف تماما لموقف الحكومة الامريكية وسياستها .

وجدير بالاشارة هنا ان حافظ اسماعيل اجتمع بالامين العام لهيئة الامم (فالدهايم) قبل مغادرته الولايات المتحدة . وقد صرح المبعوث المصري قائلا ان مباحثاته مع فالدهايم « كانت مثمرة جدا وصريحة وشاملة » . أما الناطق باسم الامين العام لهيئة الامم فقد ذكر ان المحادثات تطرقت الى موضوع « محادثات الجوار » مع اسرائيل وامكانات تحقيقها .

تمت آخر حلقة في مسلسل الزيارات الرسمية الشرق أوسطية لواشنطن في أوائل آذار حيث قابلت غولدا مائير كبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم الرئيس نيكسون ، كما زارت لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس الامريكي . وعلى اثر محادثاتها مع نيكسون ، التي حضرها كيسينجر ، أعلن الجانب الامريكي ان الاجتماع كان وديا وصريحا ومفيدا ، كما صرح ناطق باسم البيت الابيض بأن الرئيس نيكسون اكد لمائير استمرار الدعم العسكري والاقتصادي الامريكي لاسرائيل ، وذكر انه ينبغي الا يتوقع احد حلولا فورية لازمة الشرق الاوسط . ولكن مع ذلك فان الحكومة الامريكية ستواصل بذل كل ما في وسعها لايجاد حل سلمي للازمة في المنطقة . كذلك اعلن جوزيف سيسكو ان حكومة بلاده لن تمارس اي ضغط على مائير من اجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، لكنها « ستستخدم ما لديها من نفوذ لدى اسرائيل في محاولة للتقريب بين مواقف الطرفين ». واثناء وجود مائير في واشنطن وافق الكونغرس الامريكي على التشريعات المتعلقة بالمساعدات الخارجية الامريكية التي تضمنت مخصصات لاسرائيل بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار لتمويل مشترياتها من المعدات الحربية و٥٠ مليون دولار لتمويل المشاريع الاقتصادية . وجدير بالاشارة هنا ان انباء ترددت حول اجتماع الملك حسين بمائير اثناء وجودهما معا في واشنطن ، مما دعا الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية الى التصريح « بأن الملك حسين كان في واشنطن اثناء وجود مائير فيها الا انه لا علم لديه حول اي اجتماع تم بينهما » .

ويبدو ان نيكسون يعيد الان ترتيب الاجهزة الحكومية العليا المرتبطة به مباشرة والمشرفة على تنفيذ السياسة الخارجية الامريكية في المناطق الحساسة بحيث ينصب اهتمامها على اوروبا والشرق الاوسط، بعدما كان هذا الاهتمام موجها الى الحرب في فيتنام . وهذا يعني ان حكومة نيكسون مصممة على الدفع بخطها السياسي (الذي أوضحنا معالمه) بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي والعمل على تنفيذه في المدى القريب . فقد أعلن البيت الابيض في الاسبوع الاول من شهر آذار ان مجلس الامن القومي الامريكي يمر بمرحلة تحول كاملة بهدف نقل سياسة الرئيس نيكسون الخارجية من عصر فيتنام الى عصر اوروبا والشرق الاوسط . ومعروف ان

المسؤول عن مجلس الامن القومي هو هنري كيسنجر الذي سيوجه إهتمامه الان بشكل متزايد الى منطقتنا . وهذا واضح من خروج بعض مساعدي كيسنجر المختصين بشؤون فيتنام من المجلس (مثل الجنرال اليكساندر هيغ) وتعيين اختصاصيين بمنطقة الشرق الاوسط مكانهم ، مثل الجنرال كروفت الذي حضر اجتماعات نيكسون الاخيرة مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير، وتعيين وليم كواندت كمساعد لكيسنجر وهو من الباحثين المنتمين الى مؤسسة راند المشهورة وواضع دراسة مفصلة عن حركة المقاومة نشرتها مؤسسة راند نفسها .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي استمرت علاقاته بمصر في تأرجحها وترددها بين الفتور من ناحية وبين الميل الطفيف نحو التحسن من ناحية أخرى . فقد ظهرت مقالات في الصحف السوفياتية مؤخرا تنتقد الاوضاع الاجتماعية والسياسية في مصر بصورة عامة . ومن جهة اخرى قام وفد عسكري مصري برئاسة وزير الحربية ، الفريق أحمد اسماعيل ، بزيارة للاتحاد السوفياتي في أواخر شباط حيث قابل كبار القادة هناك . وقد اجتمع اسماعيل بليونيد بريجنيف لفترة طويلة بحضور وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو ، ويبدو ان المقابلة جاءت استكمالا للمحادثات التي كان قد اجراها حافظ اسماعيل في وقت سابق مع الزعامة السوفياتية ، وذلك قبل سفره الى الولايات المتحدة وكجزء من الحملة الدبلوماسية المتشعبة بهدف تركيز اهتمامات الدول الكبرى على المازق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي . وقد ترددت انباء مفادها ان من الاهداف الرئيسية لهذه الزيارة حصول مصر على أسلحة سوفياتية . كما ذكرت هذه الانباء ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في تقديم الدعم العسكري والسياسي لمصر ، بدون اي تحديد حول ما اذا كان هذا الدعم يشمل تلبية طلبات مصر الحالية للحصول على المزيد من الاسلحة . وعلى صعيد آخر قامت هيئة رئاسة السوفيات الاعلى بمناشدة الملك حسين الغاء حكم الاعدام الصادر بحق ابو داوود ورفاقه لان مثل هذا « العمل الانساني يستجيب لمصالح تعزيز القوى الوطنية للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ، ولانه سيحظى بالاستحسان من قبل جميع اصدقاء العرب » . ويعتبر هذا النداء تصرفا استثنائيا من جانب السلطات السوفياتية مما يبين الاهمية التي ما زالت حركة المقاومة تتمتع بها في عرقلة التدهور المستمر للوضع السياسي العربي الرسمي العام في المنطقة .

بالاضافة الى ذلك قام الرئيس تيتو بنشاط ملحوظ في تدعيم الجهود الدبلوماسية المصرية ، اولا عن طريق التصريح بأن تسوية أزمة الشرق الاوسط مرتبطة ، في نهاية الامر ، باتفاق بين الدول الاربع الكبرى ، على ان تمر عملية الوصول الى هذه التسوية بمرحلة اعادة فتح قناة السويس بضمانة الدول الاربع الكبرى . كما ذكر تيتو ان مثل هذه التسوية يجب ان تنص على وضع الاماكن الحساسة في الشرق الاوسط تحت رقابة الامم المتحدة والدول الاربع الكبرى ، وان الرئيس السادات (الذي كان في زيارة تيتو قبل فترة وجيزة) ما زال مستعدا للموافقة على اعادة فتح قناة السويس كمرحلة اولى نحو تسوية شاملة ونهائية للنزاع في المنطقة . ثانيا ، قام الرئيس تيتو بتوجيه رسائل الى عدد من قادة الدول في العالم ناقش فيها ازمة الشرق الاوسط حيث طرح اقتراحاته وافكاره المذكورة ، وشدد على ضرورة تحقيق حل عادل وسريع للازمة مؤكدا المسؤولية التي تتحملها هيئة الامم في العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكل القرارات الاخرى الصادرة عن المنظمة الدولية والتي ترفض اسرائيل تنفيذها .

أما بالنسبة لمواقف دول اوروبا الغربية ازاء النزاع العربي الاسرائيلي فلم تطرأ عليها اية تغيرات هامة باستثناء المزيد من الميل الواضح للانضباط ضمن اطار الخطوط العامة للموقف الامريكي وتكرار الحجج والاعتبارات التي يتستر بها ، مما يبين ان ما قيل في السابق من الاستقلالية النسبية لموقف دول اوروبا الغربية الرئيسية ازاء النزاع في منطقتنا قد تبخر كليا (باستثناء فرنسا). وكان هذا الاتجاه واضحا في التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية الايطالي بعد زيارته لكل من جدة والقاهرة وبيروت حيث اجرى محادثات مع كبار المسؤولين تتعلق بازمة المنطقة وبالعلاقات الايطالية العربية . وجدير بالاشارة هنا ان الدبلوماسية الايطالية اخذت تنشط منذ فترة في العالم العربي على اساس الفكرة المطروحة عن ضرورة تحييد البحر الابيض المتوسط وسحب الاساطيل الغربية منه كجزء من التسوية المنتظرة في المنطقة ، مما سيتيح الفرصة امام الدول

الاوروبية الاكبر (ايطاليا وفرنسا بشكل خاص وبالاشتراك مع اسرائيل ، الدولة الاقوى في منطقتنا) للسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط كليا . أعلن وزير الخارجية الايطالي ان بلاده تعمل من اجل السلام في الشرق الاوسط ومن اجل تأمين الاتصالات السياسية الضرورية لتحقيق هذا الهدف . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد تشديد الوزير على اهمية بدء المفاوضات بين الطرف العربي والاسرائيلي من اجل الوصول الى السلام في المنطقة . اي يبدو ان جهوده خلال الزيارة « لتأمين الاتصالات السياسية الضرورية » تعني على الصعيد العملي السعي لخلق الاجواء المناسبة من اجل بدء المفاوضات ، بصورة من الصور ، مع اسرائيل . وذكر الوزير « ان من مصلحة الجميع ان تبدأ المفاوضات السياسية التي ستحل كلا من مشكلة الاراضي العربية المحتلة ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين » . ثم اشاد بالدور الذي ستقوم به اسرائيل بقوله « ستستطيع اسرائيل القيام بدور سلمي وتساهم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الاوسط » . كما عاد الوزير الى تكرار النغمة المطروحة من قبل امريكا وانصار التسوية السياسية القائلة ان اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام والانفراج المتوقع في اوروبا قد جعلا من النزاع العربي الاسرائيلي مصدر الخطر الوحيد المتبقي على السلام العالمي ، مما يستدعي القيام بعمل سريع ونشيط لبدء المفاوضات السياسية بين الاطراف المعنية بالنزاع ، الخ ، على حد قول الوزير الايطالي .

وفيما يتعلق باوروبا الغربية من الضروري الاشارة ايضا الى ان الحكومة البلجيكية تدرس حاليا مشروعا اسرائيليا تشارك فيه كل من بلجيكا والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية على الارض البلجيكية (طائرات عرفا وصواريخ غابريال) . ويبدو ان الدبلوماسية العربية تسعى لدى الحكومة البلجيكية لاقناعها بعدم الموافقة على تنفيذ المشروع . كذلك من المهم ملاحظة ان المصنع سيقام في منطقة متخلفة نسبيا في ميدان التصنيع بحيث يستفيد من مساعدات الحكومة البلجيكية عملا بسياستها في دعم المناطق المتخلفة من البلاد ، ومن تخفيضات ضريبية كبيرة بالاضافة الى غيرها من الضمانات والتسهيلات الحكومية . كما ستشتري الحكومة البلجيكية ما قيمته ١٠ ملايين دولار من منتجات المصنع في السنوات الثلاث الاولى من مباشرة العمل .

اما في فرنسا فقد اوضح جورج مارشيه ، الامين العام للحزب الشيوعي (الذي خاض الانتخابات النيابية متحالفا مع الحزب الاشتراكي) السياسة التي يسترشد بها تحالف اليسار ازاء اسرائيل والنزاع القائم في المنطقة . ولا يخرج الموقف الذي شرحه مارشيه عن حدود التفسير المصري — السوفياتي لمعنى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومعنى تطبيقه . كما انه لا يختلف كثيرا عن الموقف الفرنسي المعروف الذي اعلنه الجنرال ديغول ازاء النزاع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٦٧ ، مع العلم ان هذا الموقف قد تعرض لكثير من التمييع العملي وعلى صعيد السياسات اليومية والتفصيلية بعد غياب الجنرال . على هذا الاساس شدد مارشيه على ضرورة موافقة اسرائيل على تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام الحقوق الوطنية لشعب فلسطين . كما ذكر ان تبني اسرائيل لمثل هذه السياسة سيؤدي الى زيادة تعاون فرنسا معها .

بالنسبة لبريطانيا قام اللورد كارادون واضع مشروع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الشهير بزيارة لاسرائيل حيث اطلق تصريحات حول القرار تؤيد التفسير الاسرائيلي — الامريكي لنصوصه . ويكتسب هذا الموضوع بعض الاهمية للسبب التالي : من المتعارف عليه انه عندما يحدث خلاف جذري حول تفسير وثائق دولية من هذا النوع كثيرا ما ترجع الاطراف المعنية الى « النوايا » التي كان يريد واضعو الوثيقة التعبير عنها عند صياغتها من اجل اخذها بعين الاعتبار ، والاحتكام اليها في تسوية الخلاف . وقد اوضح اللورد كارادون في تصريحاته ان « النوايا » التي كان يراد التعبير عنها في قرار مجلس الامن كما صاغه هو وكما تمت الموافقة عليه من قبل كل الاطراف المعنية لم تكن تشمل تحديد خريطة السلام في الشرق الاوسط ، بل كان غرضها دعوة اسرائيل لسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة الى حدود آمنة ومعترف بها ، وهذا لا يعني طبعا الانسحاب الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ . لذلك ذكر كارادون ان الحدود الآمنة والمعترف بها ، او حدود السلام النهائية في المنطقة على حد تعبيره ، متروكة للمفاوضات بحيث يتم رسمها بين الاطراف في النزاع مباشرة .

كان لاسقاط اسرائيل طائرة الركاب المدنية

الليبية التي ضلت طريقها فوق سيناء المحتلة ، ولاحتلال الفدائيين الفلسطينيين للسفارة السعودية في السودان (حيث اعدموا السفير الامريكي ومساعده وديبلوماسيا بلجيكيا) اصداء وتأثيرات دولية هامة لا بد من الاشارة اليها .

عندما سقطت كل امكانات المكابرة بالنسبة لجريمة اسرائيل في اسقاط طائرة الركاب الليبية (كون قائد الطائرة فرنسيا وتكذيب التسجيلات اللاسلكية بين الطائرة وبرج المراقبة في القاهرة كل الحجج والتبريرات التي قدمتها اسرائيل بسرعة لتغطية جريمتها) لم يعد باستطاعة اكثر دول العالم تأييدا لاسرائيل واكثر الصحف العالمية عطفا عليها الا استنكار هذا العمل البشع . ففي الامم المتحدة تبنت جمعية منظمة الطيران المدني الدولية قرارا بأكثرية ساحقة نددت فيه بعمل اسرائيل وطلبت من رئاسة المنظمة اجراء تحقيق في الحادث . وبسبب فظاعة الحادث اضطرت الولايات المتحدة للتصويت الى جانب القرار بالرغم من فشل محاولاتها لتعديله بهدف تخفيف حدة عباراته المنددة بعمل اسرائيل . كذلك تبنت لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم قرارا ادانت فيه « مذبحة الابرياء » التي اقترفتها اسرائيل باسقاطها طائرة الركاب الليبية ، كما قررت ، في اجراء غير مألوف ، ارسال برقية الى الحكومة الاسرائيلية للتنديد « بالعمل الوحشي الذي لم يكن له اي مبرر » وللتعبير عن استيائها الشديد من هذا العمل داعية اسرائيل «الى احترام قواعد السلوك المتمدن والانساني بين الشعوب والدول وتطبيقها » . كما ان الاتحاد الدولي لجمعيات الطيارين ندد بالعمل الاسرائيلي ودعا الى اجراء تحقيق محايد في الحادث . وانتقدت جمعية الطيارين البريطانيين العمل الاسرائيلي بشدة . وفي بروكسيل اصدر اتحاد العمال العالمي تنديدا شديد اللهجة بعمل اسرائيل ووصف سلوكها « بالعمل الذي لا يغتفر » لانه كان عملا متعمدا جاء نتيجة اوامر صريحة اعطيت باسقاط الطائرة المدنية .

اما بالنسبة لعملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم ونتائجها ، فقد اصدر الرئيس نيكسون بيانا دعا فيه الى « وقفة دولية حازمة ضدالارهاب» والى محاكمة الفدائيين المسؤولين عن العملية . كما ارسل مذكرة خاصة الى الرئيس النميري عبر فيها عن تقدير الولايات المتحدة للجهود التي بذلتها السلطات السودانية لانقاذ حياة الرهائن مع التأكيد على ضرورة اعتقال الفدائيين ومعاقبتهم . بالاضافة الى ذلك صرح وليم روجرز قائلا ان اية دولة تمنح حق اللجوء السياسي للفدائيين الفلسطينيين المسؤولين عن عملية الخرطوم ستعتبر « شريكة في جريمة القتل » ، كما دعا الى تنفيذ حكم الاعدام بهم واثنى على ما سماه « بموقف الحكومة السودانية الحازم » واعرب عن امله في ان تتصرف كل دول العالم بالحزم نفسه . كذلك ارسل الرئيس النميري رسالة خاصة الى نيكسون ندد فيها بمقتل الدبلوماسيين الامريكيين في الخرطوم على يد منظمة ايلول الاسود وارسل مبعوثا خاصا الى واشنطن — عبد الرحمن عبد الله ، وزير الخدمات العامة — الذي اجرى محادثات مع الرئيس نيكسون ووليم روجرز حول عملية الخرطوم وذيولها . وفي الاتحاد السوفياتي انتقدت صحيفة « البرافدا » بعبارات معتدلة نشاط منظمة ايلول الاسود ، وذكرت ان عملية الخرطوم وامثالها « تسيء الى المقاومة الفلسطينية والكفاح المشترك للدول العربية من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي » ، كما نشرت « البرافدا » بيانا لمنظمة التحرير تعلن فيه ان لا علاقة لها بحادث الخرطوم .

صادق جلال العظم

رسالة من مراسلنا في السويد

يناقش البرلمان السويدي خلال النصف الاخير من شهر فبراير ومطلع شهر مارس ، مشروع القانون المسمى « بقانون الارهابي » ، والذي قدمته لجنة خاصة تم تشكيلها بموجب قرار حكومي عقب حادثة اختطاف طائرة « الخطوط الجوية الاسكندنافية » SAS في شهر سبتمبر ١٩٧٢ . اما الجهة التي تحملت المسؤولية في عملية الاختطاف فقد كانت منظمة Ustaja الكرواتية (Croation) ، وهي نفس الجهة التي قامت باغتيال السفير اليوغسلافي في ستوكهولم عام ١٩٧١ ، ويعتقد بانها هي المسؤولة ايضا عن وضع قنبلة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية اليوغسلافية ، والتي انفجرت في الجو في طريقها من كوبنهاغن الى بلغراد عام ١٩٧٢ ، وقتل جميع من كان على متن تلك الطائرة .

تعرف اللجنة التي شكلت عقب حادثة الاختطاف ، تعرف مشروع القانون الجديد بما يلي :

« ... لمجابهة ازدياد الارهاب الدولي ، كما يظهر في خطف الطائرات والاغتيالات . (واذا ما صدق على مشروع القانون هذا) يصبح من الممكن بناء عليه طرد اي مهاجر يظن انه ينتمي الى منظمة تستخدم اعمال العنف التي قد يتأثر بها اناس ابرياء في السويد . اما اذا كان الشخص المعني لاجئا سياسيا ، فيمكن اخضاعه — بعد اتخاذ الحكومة قرارا بذلك — الى تفتيش شخصي وتفتيش بيته ومراقبة رسائله ومكالماته التليفونية ... ». ان الدافع المباشر لتقديم مشروع القانون ، كما هو مذكور اعلاه ، هو عملية اختطاف الطائرة . الا ان هذا الدافع في حد ذاته ، مجرد ذريعة ، حيث ان المراقبين السياسيين ذكروا ان مشروع قرار كهذا تم بالفعل بحثه ودراسته ومناقشته عقب عملية ميونيخ في مطلع شهر سبتمبر ١٩٧٢ ، وقد تم بالفعل استدعاء عدد من الفلسطينيين الى دوائر البوليس لاجراء تحقيقات معهم . وكان الشعور السائد في تلك الفترة ، هو شعور باليقظة من جهة السلطات تجاه الفلسطينيين ومناصريهم ، وكذلك انتظار اللحظة المواتية للمباشرة في عملهم ضد الجهات الفلسطينية .

اذن ، فان مشروع القرار في حد ذاته مشروع موجه بالدرجة الاولى ضد الفلسطينيين . هذا وقد ذكرت الصحف السويدية ان مشروع القرار موجه بالدرجة الاولى ضد منظمة Ustaja وكذلك ضد تنظيمات فلسطينية لها علاقة بمنظمة ايلول الاسود . ولكن الواقع ان الجهة الاولى — اي منظمة Ustaja — لن تتأثر بالقرار وذلك للاسباب التالية :

١ — ان العاملين داخل هذا التنظيم والمعروفين لدى جهات البوليس جميعهم يحملون الجنسية السويدية ، ولذلك فانهم لن يتأثروا بالقرار .

٢ — ان عددا كبيرا من المتعاطفين وكذلك العاملين داخل التنظيم المذكور تم احضارهم الى السويد عقب الحرب العالمية الثانية كلاجئين ولكونهم عنصرا مناهضا للشيوعية .

لقد ذكر عضو البرلمان وممثل الحزب الشيوعي السيد جورن سوينسن ان « الارهاب ضد الابرياء في السويد يمارس من جهة واحدة فقط وهي منظمة Ustaja . ولمحاربة هذه الجهة لا داعي قط الى « قانون ارهاب » سيؤثر على التنظيمات الديمقراطية والتقدمية » .

يظهر واضحا اذا ان الارهابي ، او من يسمى ارهابيا بالامكان او بالاحتمال ، هو من ينتمي بالفعل الى تنظيم تقدمي مناهض للامبريالية والفاشستية ، وبما ان منظمة Ustaja هي منظمة فاشستية معروفة بعلاقتها خلال الحرب العالمية الثانية بالنازية والفاشستية ، فان القانون بحد ذاته وبشكل غير مباشر يسقط هذا التنظيم الفاشستي من حسابه ، ويحارب التنظيمات المناهضة للفاشستية . ولذلك فقد دعا التقدميون القانون « بقانون الارهاب الفاسشتي » . اذ ان اي شخص اجنبي يسكن في السويد يعتبر ارهابيا بالامكان يتم تطبيق بنود القانون عليه حتى وان لم يستطع البوليس اثبات التهمة الموجهة اليه . لقد تساءل احد المحامين السويديين قائلا : « هل ستقوم الحكومة السويدية بطرد جولدا مئير من السويد في حالة قيامها بزيارة لهذا البلد ، انطلاقا من ان مشروع القانون الجديد ينطبق عليها ، لكونها رئيسة لتنظيم حكومي ارهابي ، يمارس الارهاب ليس فقط في المنطقة العربية بل في اوروبا ايضا » .

ان مشروع القرار له نتائج خطيرة على الحركة التقدمية في السويد ، وبالدرجة الاولى على الحركة الفلسطينية وامكانية حظر ممارستها لاي عمل فلسطيني اعلامي مستقبلا . ان احد اهداف مشروع القانون الجديد هو ارهاب الاجانب العاملين اعلاميا لحركات التحرر العالمية ، واشعارهم بعدم الامان وبعزلهم عن المجتمع السويدي في حالة السماح لهم بالبقاء في البلد ، وفي حملهم على مغادرة البلد بسبب المضايقات التي سيسببها البوليس لهم . اذ ان مشروع القانون يعطي الصلاحية الكاملة للبوليس باصدار قرار الى اي شخص اجنبي يعمل في نشاط اعلامي سياسي او لا يعمل بنقله من المكان الذي يسكن فيه اما للعمل او للدراسة الى مكان اخر يقره البوليس السويدي ويطلب من ذلك الشخص اثبات وجوده في اوقات تحددها دوائر البوليس .

ان رئيس وزراء السويد الذي شبه قصف فيتنام الشمالية في شهر ديسمبر ١٩٧٢ باعمال النازيين ، يجب الا يعطى صورة مضللة ، فهو نفسه الشخص المتعاطف مع اسرائيل والذي قام عقب عملية ميونيخ بمرافقة سفير اسرائيل في السويد باقامة صلاة تذكارية ، وكذلك بادانة وشجب الفلسطينيين . الا ان رئيس الوزراء هذا لم ينطق بكلمة واحدة ولم يدن ولم يشجب اسقاط الطائرة الليبية خلال شهر فبراير من هذا العام . ان رئيس الوزراء هو الذي اصدر قرارا بتشكيل لجنة عقب حادثة الاختطاف وهو يساند مشروع قانون الارهاب مساندة كاملة . ان النقاش الدائر في البرلمان هذه الايام نقاش لا يوصف بانه حاد ، اذ ان جميع الاحزاب السياسية الممثلة في البرلمان باستثناء الحزب الشيوعي تساند مشروع القانون ، علما بان هناك معارضة شديدة في الصحف ولدى عدد كبير من اساتذة الحقوق والمحامين والصحفيين ومنظمة العفو الدولي وتنظيم « شبيبة الاشتراكيين الديمقراطيين » وهي الشبيبة التالية للحزب الحاكم في السويد ، والتنظيمات التقدمية السويدية والاجنبية .

وقد كانت الحملة التي شنتها صحيفة Dagens Nyheter « اخباراليوم » وهي اكثر الصحف انتشارا ، كانت ولا تزال حملة مركزة ضد مشروع القانون الذي سمته « بانه انتهاك للحركات الديمقراطية » ومن المعروف ان الصحيفة المذكورة تساند اسرائيل ، الا انها قامت في الوقت ذاته بحملة شديدة ضد اسرائيل عقب اسقاطها للطائرة الليبية . واما صحيفة Afton Bladet المسائية فقد طالبت برفض مشروع القانون واسقاطه ووصفته بانه كارثة كبيرة .

وعلى الصعيد الشعبي قامت تظاهرات ضخمة في عدد من مدن السويد وكذلك ندوات اتخذت قرارات بمحاربة مشروع القانون .

ملاحظة : في حالة الموافقة على مشروع « قانون الارهابي » فان القانون سيكون ساري المفعول ابتداء من ١٥ ابريل ١٩٧٣ ولغاية ١٥ ابريل ١٩٧٤، ويتم تمديده لسنة ثانية في حالة موافقة البرلمان على تمديده .

هـ . د .

(٤) المناطق المحتلة

اتسمت هذه الفترة باحتدام الجدل السياسي حول مصير المناطق المحتلة بين صفوف حزب العمل الحاكم لدرجة اندفع فيها رئيس الهستدروت بن اهارون الى الخروج على الخطـوط المألوفة والمجوجة للاجنحة المتصارعة داخـل الحزب ، وبتصـاعد النضال الوطنـي بين صفـوف سكان الهضبـة السورية ، الذي عبر عن نفسه في اقامة خلايا للمقاومة المحلية استطاعت ان تعمل طيلة عامين الى ان اكتشفت مؤخرا ، وباحتدام معركة التحدي بين الثورة والكبت ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

احتدام الجدل السياسي : احتدم النقاش السياسي مؤخرا بين زعامة حزب العمل الحاكم ، ولم يكن النقاش بحد ذاته أمرا جديدا ، كما ان الاحتدام في الحوار والنقاشات لا يعتبر أمرا جديدا ، انما الجديد الذي افرزته المناقشات الاخيرة هو التصريح الذي ادلى به رئيس الهستدروت بن اهـارون حول امكانية الانسحاب من مناطق محتلة معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام .

ومن الجدير بالاشارة هنا قبل التطرق الى تصريح بن اهارون وردود الفعل التي عكسها ، الى ان زعامة حزب العمل تقسم الى فئتين رئيسيتين ، تتحكم فيهما شهوتان متناقضتان الفئة الاولى تضم التوسعيين الذين يعرفون « بالصقور » والفئـة الثانية تضم دعاة التوسع الجزئي الذين يعرفون بالحمائم ، يقف على رأس الفئـة الاولى وزيـر الدفاع موشيه ديان واعضاء رافي « سابقا » في حزب العمل وكذلك رئيسة الحكومة (مباي سابقا) ونائبها (أحدوت هعفوداه سابقا) يجال الون ، اما الفئة الثانية فيتزعمها وزير المالية بنحاس سبير المنافس القوي لديان والون على خلافة غولدا مئير ، ويقف الى جانبه اعضاء من حزب العمل مثل اريه اليآف (مباي سابقا) وبـن اهارون رئيس الهستدروت (أحدوت هعفوداه سابقا) . تتحكم في هاتين الفئتين شهوتان ، شهوة التوسع ، وشهوة نقاء المجتمع اليهودي وهاتان الشهوتان متناقضتان لان التوسع يجلب معه نقيض الشهوة الثانية ، فهو يجلب اعدادا كبيرة من السكان « الاغيار » بين صفوفه « المجتمع المبني على طهارة اليهود » وهذا أمر لا يريده احد من المهيمنين على زعامة حزب العمل او حتى جميع الاحزاب الاسرائيلية التي تدين بالصهيونية ، وكان من نتيجة ذلك ان اخذت هاتان الشهوتان تستقطب كل واحدة منهما انصارا لها من بين صفوف حزب العمل، بيد ان هذا الاستقطاب ليس استقطابا جديا ، لانه ناجم من عملية الاختيار بين شهوتين عزيزتين ، ولذا فاننا نرى دائما مسحة من الروح التوسعية تفوح بين فئة دعاة المحافظة على طهارة المجتمع اليهودي ، ومسحة مقابلة من المحافظة على صفاء المجتمع اليهودي ، تفوح بـين فئة الداعين الى التوسع والضم . بـين هـاتين الشهوتين وجد حزب العمل نفسه منقسما علـى نفسه ، وما ينطبق على حزب العمل ينطبق ايضا على بقية الاحزاب العمالية والاشتراكية المؤمنـة بالصهيونية في اسرائيل ، اما الاحزاب الدينيـة واليمينية فهي تجمع بـين الشـهوتين . وعملية الاستقطاب تجاه الشهوتين ليست واردة تقريبـا لانها ترى ان عمليتي التوسع « والنقاء » يمكـن لهمـا ان تتعايشا وتنسجمـا اذا ما ارفقت بعملية تهجير غير معلنة وذلك من خلال سياسة قمع السكان الاصليين ومصادرة اراضيهم .

لقد تغلبت شهوة « النقاء » عند رئيس الهستدروت على شهوة التوسع ، ولذا اخذ يبرز الخطـورة الكامنة في العمل العربي في المرافق الاقتصاديـة الاسرائيلية ، ويضرب على وتر الاستغـلال الذي يواجهه هؤلاء ، ليس لانه يعارض مبدئيا استغلال العامل العربي ، فلو كـان الامر كذلك لاصـدر تشريعات تنص على مساواة العامل العربي بالعامل اليهودي ، لكنه يستثمر هذا الاستغلال من اجـل الحفاظ على « نقاء » المجتمع الاسرائيلي . ولكـي نقف على التصريح الخطر الذي ادلى به بن أهارون لا بد من الرجوع قليلا حول نظرته للعمل العـربي والامور المترتبة عليه ، ذلـك انه يعتبره خطـرا كبيرا يحيق بالمجتمع الاسرائيلي وحذر منه قائلا : « ان العمل العربي من المناطق هو بمثابة قنبلـة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العمال العرب الذين يتلقون ثمنا بخسا مقابل عملهم . لقد خلق نوع من طبقة افنديـة جديـدة بالنسبة للعمال العرب .. ان استغـلال موارد القوى البشرية في البـلاد غير مستغل بما فيـه

الكفاية ، كما وان العمال اليهود يهجرون العمل اليدوي ليحتله العرب ، ينبغي ان تشغل هذه المشكلة بال الهيئات الحكومية » (هآرتس ٧٢/٥/٢٣) .

ويبدو ان تخوف رئيس الهستدروت من « القنبلة الزمنية » قد اخذ يتصاعد الى درجة ادت به الى تفجير « قنبلة » على شكل تصريح خطير يعتبر الاول من نوعه ، حين دعا بشكل مبطن خلال بحث السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق في سكرتارية حزب العمل الى الانسحاب من مناطق معينة قبل التوقيع على اتفاقية سلام : « انني لا اعرف اذا كان ما نحتفظ به بايدينا (المقصود المناطق المحتلة) هو بمثابة اوراق مساومة او بمثابة جمرات متقدة تحت اسسنا . انني لست متأكدا تماما ، وربما اشذ في ذلك قليلا ، بانه ينبغي علينا ان نرجىء اتخاذ قرارات حاسمة تجاه المناطق حتى التوقيع على السلام ، **انني لست متأكدا من اننا لن نصل في احد الايام الى استنتاج بانه من الافضل ان يكون هنالك قطاع معين من السكان ومنطقة معينة من البلاد ، خارج اطار سيطرتنا ومسؤوليتنا ، دون ان نحصل على توقيع الطرف الاخر »** . (دافار ٧٣/٢/٢) .

لقد اثار هذا التصريح ردود فعل عنيفة بين اوساط الصقور ، كما وجعل فئة « الحمائم » في موقف حرج ، فهي تقف معه فيما يتعلق بنقاء المجتمع اليهودي وخطورة العمل العربي على « النقاء » الا انها لا تستطيع ان تذهب اكثر من ذلك ، الى درجة المطالبة بشكل مبطن بالانسحاب من مناطق معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام . اما فئة الصقور فقد تصدت له بعنف لخروجه عما يعرف بسياسة الاتفاق الشفهي ، ومن اجماع الحزب بأن « لا انسحاب قبل التوقيع على معاهدة سلام » . وكان اول من تصدى له اعضاء حزبه «احدوت هعفوداه» المنضمون الى حزب العمل حين قال موشيه طبنكين « بأن المناطق المحتلة ليست اوراق مساومة وليست جمرات ، بل هي حجر اساس في الطريق المؤدي الى السلام » كما ودعا عضو الكنيست بن فورات (من حزب العمل) رئيس الهستدروت الى تقديم استقالته بقوله « ينبغي على بن اهارون ان يستقيل ومن ثم يكون بوسعه التعبير عن رأيه الشخصي تجاه المناطق ... ينبغي ان نقبل التذرع القائل بأن ذلك كان بمثابة رأي شخصي ، ذلك ان عضو الكنيست او عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت باستطاعته ان يعبر عن رأي، ولكن ليس الاشخاص المهيمنون على السلطة التنفيذية . انه من غير المسموح لبن اهارون ان يتفوه باقوال مناقضة لسياسة الحكومة الا في حالة استقالته من السلطة التنفيذية ، ينبغي ان يتحلى الانسان بالجرأة عندما يقرر التخلي عن التقيد للعمل من اجل فكرة معينة ، ولكن ليس عندما تكون مرتبطا بكرسي التنفيذ الذي تجلس عليه » (هآرتس ٧٣/٢/٩) .

ازاء حملة النقد التي تعرض لها اضطر بن اهارون للتراجع قليلا وانكار التفسيرات التي وردت في الصحف والقائلة بانه يدعو الى « انسحاب ... دون توقيع الطرف الاخر » وانه لم يكن يعني ذلك، بل انه اراد ايقاف المسؤولين على خطورة العمل العربي ، بيد ان جناح التوسعيين استغل حالة الضعف والبلبلة التي سادت الفئة الاخرى واخذ يدلي بتصريحات حول تصوره لمصير المناطق المحتلة، والحقيقة ان افكار هذه الفئة اقوى بكثير من افكار الفئة الثانية بحكم سيطرة اصحابها على معظم المؤسسات الفاعلة ، فقد اعرب ديان عن تصوره للسلام المنفرد مع الاردن قائلا : « ينبغي ان تنص اتفاقية سلام مع الاردن على **حقنا في السكن والاستيطان** في كل مكان من الضفة الغربية »واعرب عن اعتقاده بان من حق اليهود الاستيطان في جميع المناطق المحتلة بدون استثناء ووجه كلامه بشكل خفي الى رئيس الهستدروت قائلا « **انني لا اعتقد** ان هناك شخصا ما يحق له القول لليهود بأنهم لا يملكون حق الاستيطان في ارض ابائهم » . كما وعرض خريطة « السلام » التي يؤمن بها بقوله : « لا نستطيع النزول من هضبة **الجولان** ، وينبغي على جيشنا ان يبقى مترابطا على ضفاف **الاردن** ، كما ينبغي ان يحظر على الجيوش الاخرى اجتياز النهر ، وينبغي علينا ايضا ان نحتفظ بشرم الشيخ الذي سيشكل بداية خط للحدود التي ستمر منه حتى مكان ما على البحر المتوسط . اما قضية اين سيمر هذا الخط ، فهي مطروحة للمفاوضات » (معاريف ٧٣/٢/٨) . يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان الجدل الذي احتدم مؤخرا حول مصير المناطق المحتلة ليس جديدا ، وانما الجديد فيه ربط قضية الانسحاب من المناطق المحتلة دون التوقيع على اتفاقية سلام ، بالقضية الاساسية التي شغلت المجتمع اليهودي قبل وبعد قيام اسرائيل ، الا وهي سياسة « العمل العبري »

التي تعني حصر جميع الاعمال في المجتمع اليهودي بايد يهودية ، الا ان عملية الربط الخطيرة هذه لا تملك اسباب النجاح بسبب قوة جناح التوسعيين في حزب العمل ، ومن المحتمل ان تخرج صاحبها من رئاسة الهستدروت .

مقاومة سكان الهضبة للاحتلال : تمتاز هضبة الجولان عن سائر المناطق المحتلة بامرين اساسيين (١) صغر حجم المنطقة بالنسبة للمناطق المحتلة الاخرى (٢) ضآلة عدد سكانها ، ويعود ذلك الى الهجرة شبه الجماعية التي سببتها حرب حزيران، فقد بلغ تعداد سكانها عشية الحرب قرابة ٦٠ الف نسمة بقي منهم عقب الحرب ٦٣٠٠ نسمة وارتفع طيلة سني الاحتلال حتى غدا قرابة تسعة الاف نسمة يعيشون في اربع قرى . وقد اغتنمت سلطات الاحتلال هاتين الميزتين فاخذت تشيد المستوطنات اليهودية هناك بغرض تهويد المنطقة ، وقطعت شوطا كبيرا في هذا المجال حيث غدا الطابع العام للهضبة يهوديا ، ذلك ان عدد المحتلين سواء كانوا على شكل مستوطنين او جنود يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . اضف الى ذلك ان سلطات الاحتلال حاولت منذ ان وطأت اقدامها منطقة الهضبة العمل باتجاهين يخدمان اغراض ومخططات الاحتلال (١) خلق زعامة تقليدية في الهضبة (٢) اتباع سياسة اليد الناعمة تجاه سكانها العرب ،واعتبار ان هؤلاء السكان هم دروز في المقام الاول ، والعمل على تنمية روح « القومية الدرزية » بين صفوفهم، اسوة بالمحاولة المتعثرة بين صفوف العرب الدروز في فلسطين المحتلة ، بيد ان هذين الاتجاهين لقيا فشلا ذريعا بفضل الوعي الوطني لابناء الهضبة ، وخير دليل على ذلك شبكة المقاومة التي عملت طيلة عامين هناك قبل ان يعلن عن اكتشافها عند مطلع شهر فبراير من هذا العام ، ففي ذلك التاريخ اعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشافها لخلية « تجسس وتخريب » بين صفوف سكان الهضبة وعن اعتقالها لستة افراد ، ثم اخذ عدد المعتقلين يزداد مع مرور الوقت مع اعلان سلطات الاحتلال عن اكتشاف افراد اخرين بين الفينة والاخرى الى ان استقر العدد النهائي على ٥٢ شخصا .

ومن الجدير بالذكر ان اعتقال المجموعة الاولى تم في شهر اوكتوبر من العام الماضي ، ولم تكشف سلطات الاحتلال عن ذلك الا عند مطلع شهر فبراير من هذا العام . وبعد اعلان الاكتشاف فقط ، اخذت سلطات الاحتلال تلقي القبض على اعداد من المواطنين على فترات متقطعة ، الامر الذي يدل على ان افراد المجموعة الاولى صمدوا امام وسائل القهر والتعذيب ولم يعترفوا عن زملائهم . لقد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذه الخلية كانت من اخطر الخلايا التي عملت ضد اسرائيل واعتبرت المخابرات الاسرائيلية ان عملية اكتشافها « تنطوي على اهمية بالغة » .

ما هي التهم المنسوبة الى افراد التنظيم ؟ تقسم التهم الى قسمين (١) تهمة جمع المعلومات العسكرية الامنية ، خاصة وان افراد التنظيم سخروا سياسة اليد الناعمة التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه سكان الهضبة ، لصالحهم ، حيث كانوا مطلقي الحرية في التجول من ايلات وحتى المطلة وكذلك داخل سيناء ، (٢) القيام بنشاط فدائي ، مثل تخزين السلاح والاعتدة ، وارسال طرود بريدية ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي من كريات شموناه الى الرئيس الاميركي نيكسون ووزير خارجيته روجرز ووزير الدفاع ملفين ليرد ، خلال شهر اوكتوبر من العام الفائت وكذلك ارسال رسائل ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي الى شخصيات اسرائيلية في يناير ١٩٧٣ ، مما ادى الى جرح معلمة في كريات جات. وذكرت المصادر الاسرائيلية ان التنظيم عمل من خلال اربع خلايا بقيادة شكيب ابو جبل ، ولم يغفل التنظيم النشاط السياسي فقد قام بنشاط سياسي علني بين السكان كشف فيه مخططات الاحتلال وحقق نجاحين بارزين في هذا المجال (١) نجح في احباط مخطط سلطات الاحتلال بشأن تعيين لجان محلية لادارة اعمال القرى ، حيث وقف سكان الهضبة ضد هذا المخطط (٢) خلق معارضة بين صفوف السكان بشأن المخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة في الهضبة ، وبالاضافة الى ذلك اخذ افراد الشبكة ينشطون في دعوة السكان الى الامتناع عن دفع الضرائب لسلطات الاحتلال .

كان وقع اكتشاف الشبكة على وسائل الاعلام الاسرائيلية شديدا ، فقد اخذت وسائل الاعلام تبدي استغرابها وتعجبها من لجوء سكان الهضبة الى مقاومة الاحتلال ، وتبرز في الوقت نفسه مدى البحبوحة الاقتصادية التي « ينعم » بها سكان الهضبة ، وعلى سبيل المثال ذكرت بعض الصحف

ان سكان الهضبة كانوا يمتلكون عشية حرب حزيران ٤ وسائط خاصة بينما وصل عدد وسائط النقل الان الى حوالي ٣٠٠ ، وذكرت ايضا انهم كانوا يمتلكون ٤ جرارات ووصل عدد الجرارات الى ٨٠ جرارا لتستنتج ان « شبكة التجسس والتخريب» ناجمة عن شيء اسمه «بطر»! أما معظم الصحف فقد ابتعدت عن الاسباب الحقيقية الكامنة وراء تنظيم المقاومة لابناء الهضبة واوردت اسبابا بعيدة عن الواقع ويمكن ايجازها بالتالي (١) عامل القرابة ، حيث استغله المنظمون في تكوين خليتهم (٢) القرب الجغرافي من سوريا (٣) الضغط السوري على السكان بواسطة احتجاز اقارب سكان الهضبة الموجودين في سوريا كرهائن !! ومع ذلك فقد اعترفت بعض الصحف بجزء من الحقيقة حين قالت ان «معظم شباب الشبكة الذين تم القبض عليهم هم شباب ذوو ايديولوجية تعمل للقضية العربية ، كما هي مطروحة في برنامج حزب البعث السوري » واعاد مراسل وكالة عتيم للاذهان « ان فرع حزب البعث قد لعب دورا نشيطا في الهضبة ابان الحكم السوري وان قسما من اعضاء الشبكة كان نشيطا في هذا الفرع » ، اما الحقيقة الكاملة التي تعامت عنها وسائل الاعلام الاسرائيلية هي ان الاحتلال يولد المقاومة ، حتى ولو كان عدد المستوطنين والجنود في المنطقة المحتلة يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . وليست هذه هي المرة الاولى التي يتصدى فيها سكان الهضبة لسلطات الاحتلال ، فقد سبق وان صفع الشيخ كمال كنج الذي حاولت سلطات الاحتلال فرش البسط الحمراء امامه بغرض اقامة نواة لزعامة تقليدية ، سلطات الاحتلال عندما ظهر لها انه يعمل سرا لمصلحة وطنه سوريا (للاستزادة انظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف. عدد ٤) كما وتمثل تصدي السكان للاحتلال من خلال التظاهرات الوطنية مثل، التظاهرة الكبيرة التي قام بها سكان الهضبة خلال مسيرة الحداد على الرئيس عبد الناصر والتي تحولت الى تظاهرة ضد الاحتلال ، وكذلك من خلال توزيع المنشورات المعادية لاسرائيل داخل مدارس الهضبة .

بعد اعلان السلطات الاسرائيلية اكتشاف تنظيم المقاومة في الجولان ، حركت سلطات الاحتلال الزعامة التقليدية للطائفة الدرزية في فلسطين المحتلة على امل التأثير على ابناء الهضبة لمصلحة سلطات الاحتلال ، فتحرك الزعيم الروحي للطائفة الشيخ طريف ، الا ان تحركه لم يجد نفعا لتلقيه رسالة من السكان هناك يطالبونها فيها « تركهم وشأنهم » ، غير ان ذلك لم يرض الشيخ جبر معدي نائب وزير المواصلات الذي اخذ يدلي بتصريحات عنترية مثل قوله : « انا اعدكم بانه اذا خولتني الحكومة العمل في الهضبة فانني خلال فترة قصيرة لن تزيد عن ستة اشهر سأتمكن من تحقيق قطع اية صلة للدروز في الجولان مع سوريا ، حتى يصبحوا جهة مخلصة وموالية لدولة اسرائيل » (رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث) . وافصح الشيخ عن خطته فذكر انها تعتمد على تطبيق القانون الاسرائيلي في الهضبة والغاء الحكم العسكري واتخاذ اجراءات حاسمة ضد العناصر المحرضة ، والعمل على ضم الجولان .

التحدي الكبير : ان ما يجري في القطاع في الآونة الاخيرة هو بمثابة تلخيص امين لقصة القطاع الطويلة مع الاحتلال ، انه باختصار تحد كبير بين طرفين اثنين يسعى كل منهما لتصفية الطرف الاخر، صراع بين الثورة والبطش ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

ماذا حدث في القطاع ؟ ان ما حدث في الآونة الاخيرة في القطاع مرتبط ارتباطا وثيقا بالاحداث التي سبقته ونكتفي هنا بالاشارة اليها لكي نضع الاحداث الاخيرة في سياقها الطبيعي .

في اعقاب حملة التهجير والتشريد والهدم التي قامت بها سلطات الاحتلال في شهر اب من عام ١٩٧١ بغرض تحويل سيطرتها من «سيطرة رمزية» الى سيطرة فعلية ، عينت رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة آملة ان تخلق منه نواة لزعامة تقليدية اسوة بالزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، بعد فشلها في خلق زعامة تقليدية ووجاهة محلية في القطاع لان الرئيس السابق للبلدية راغب العلمي ومخاتير القرى والمخيمات كانت خاضعة لرجال المقاومة «خشية من ساعد المقاومة الذي لا يرحم»، بيد ان محاولتها مع الشوا لم تجد نفعا ، فقد حاول ان يكوّن له نوعا من الاستقلالية كما وانه كان يميل الى النظام الملكي في الاردن ، ولم تجد فيه سلطات الاحتلال الزعيم المحلي الذي يمكنها من تمرير مخططاتها ، هذا علاوة على انه كان يخشى على حياته فيما لو وافق على مخططات سلطات الاحتلال . ومن هنا ارتأت سلطات الاحتلال ان

تقوم بنفسها بفرض تلك المخططات دون الاخذ بعين الاعتبار راي الزعامة المحلية ، فأقدمت في شهر اب من العام الماضي على تنفيذ مخطط لتصفية تصفية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون ثلثي السكان هناك بواسطة اقامة ضواح جديدة بالقرب من مخيماتهم والحاق المخيمات والضواحي بالمجالس البلدية القريبة منها بغرض توطين اللاجئين في اماكنهم وتصفية قضيتهم ، وقد تمت التجربة الاولى في مخيم رفح ومن ثم امتدت الى سائر المخيمات حتى وصلت الى مخيم الشاطىء في غزة ، وعندما رفضت بلدية غزة الاجراء الاسرائيلي ، اصدر قائد المنطقة أمرا بتنحية الشوا عن منصبه ، وبذلك اصبحت غزة مرة اخرى بدون مجلس بلدي محلي ، ونصبت سلطات الاحتلال الضابط اوري تشاشيك رئيسا لبلدية غزة بالوكالة (للتوسع حول مخطط تصفية المخيمات واقالة الشوا ، أنظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف عدد ١٤ ، ١٦) وخلال ذلك كانت المقاومة الفلسطينية قد اعادت تنظيمها من جديد واخذت تقوم بنشاطات ضد العدو الاسرائيلي ، وقامت بمحاولة لتصفية رشاد الشوا. ويبدو ان هذه المحاولة كانت من بين الاسباب الرئيسية التي منعته من الموافقة على ضم مخيم الشاطىء لبلدية غزة . الا ان سلطات الاحتلال استمرت في تنفيذ مخطط التصفية وابتكرت طريقة جديدة لخدمة اغراضها فاعلنت عند منتصف شهر اوكتوبر من العام الماضي ضم مخيم الشاطىء الى مدينة غزة وارسلت دعوات الى ٢٥٠ شخصا من سكان المخيم لحضور اجتماع يعقد في مدرسة فلسطين في غزة دون ان يحاط المدعوون علما بماهية الاجتماع ، وقد فوجىء الكثيرون منهم عندما علموا بان قائد قطاع غزة المقدم ي. عيني قد دعا لهذا الاجتماع بغرض انتخاب لجنة محلية «للمشاركة في تطوير المخيم » وقد بدأ قسم من المجتمعين يحتج على فكرة اجراء انتخابات ، بيد ان المقدم عيني أصر على موقفه ودعاهم لترشيح أسماء من بينهم، وتحت وطأة الضغط تم ترشيح ٢٠ شخصا ونودي على كل شخص مرشح الى المنصة لكي يقف امام المجتمعين بغرض التعرف عليه ! وانتهت مهزلة الانتخابات، التي وصفتها وسائل الاعلام الاسرائيلية بـ « السابقة الديمقراطية » داخل المخيمات ، بفوز سبعة اشخاص في اللجنة المحلية لادارة المخيم يقف على رأسهم ديب الهربيطي .

ومن الجدير بالذكر هنا ان شباب المخيم عبروا عن رفضهم جهارا لمخططات الاحتلال كما ذكر مراسل صحيفة هآرتس على لسان شباب المخيم « اذا كان الحكم العسكري يريد لنا ان نعيش كما يعيش الناس في اسرائيل فعليه ان يدعنا نعود الى منازلنا التي سلبتمونا اياها عام ١٩٤٧ . اننا نريد العودة الى اراضينا وبيوتنا التي سكناها قبل ٢٥ عاما . اننا لا نريد خدمات للمخيم ولا نريد طرقا ممهدة انما نريد فقط العودة الى بيتنا » (هآرتس ٧٢/١٠/٢٧) الا ان ديب الهربيطي اراد عكس ذلك فربط نفسه في خدمة سلطات الاحتلال . على ضوء « السابقة الديمقراطية » في مخيم الشاطىء ارتأت سلطات الاحتلال ان تعممها على مدينة غزة بواسطة تقسيمها الى ثماني حارات ، وتهدف من وراء ذلك تحقيق هدفين اساسيين خطيرين : (١) انتخاب مجلس بلدي في غزة بواسطة مندوبي لجان الحارات الذين سيشكلون فيما بينهم لجنة تنسيق ، حيث تقوم هذه اللجنة بانتخاب رئيس البلدية من بين صفوفها (٢) اشتراك مندوبين عن لجنة مخيم الشاطىء في لجنة التنسيق وهذا يعني موافقة على ضم المخيم الى البلدية . وبالفعل أقدمت سلطات الاحتلال في النصف الثاني من شهر يناير هذا العام بالبدء بعملية انتخاب لجان الحارات ، التي انتهت في ٧٣/١/٢٤ . كانت طريقة الانتخاب بسيطة وشبيهة الى حد كبير بعملية انتخاب لجنة الشاطىء ، حيث يرسل الحاكم العسكري دعوة لممثلي العائلات التي تدفع ضرائب في كل حارة لحضور اجتماع انتخابي يعقد في مدرسة اليرموك ، وقد خصص لكل حارة يوما معينا لانتخاب اعضائها ، وقد حرص المقدم عيني على حضور كل اجتماع والقاء كلمة فيه تدور حول « مدينة غزة التي تعتبر أكبر مدينة عربية في البلاد ، بيد أنها مفككة وفقيرة وتفتقر الى زعامة موحدة . ان الحكم العسكري سعى الى خلق زعامة من السكان بيد أنهم لم يعرفوا كيف يتنظموا ، ولذا فان جهاز الحكم العسكري يجيء لتشجيع السكان في هذا المجال ، ومن هنا جاءت مبادرة انتخاب لجان الحارات » (معاريف ٧٣/١/٢٦) . ويبدو ان بعض الوجهاء التقليديين قد سقطوا اسرى كلمة المقدم الاسرائيلي وتعاموا عن الطرف الاصيل في القطاع ، فقد اخذ البعض منهم يلقي كلمات يشيد فيها بالاجواء الديمقراطية «.. واخيرا وصلت الديمقراطية الى القطاع » الامر الذي دفع بعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « ان الايام الثمانية

للانتخابات أثبتت مدى بعد الشوط الطويل الذي تقطعه سكان غزة في العام الاخير من عالم الارهاب» (المصدر السابق) .

في اعقاب النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات (للتوسع انظر مجلة الهدف عدد ١٩٣) اخذت الزعامة التقليدية تعقد الحفلات والاجتماعات لدخول المرحلة الاخطر : انتخاب مجلس بلدي ورئيس له، كما كانت تهدف سلطات الاحتلال ، واخذ الحديث يجري عن اعتزام عبد الرحمن الدربي احد اثرياء غزة ترشيح نفسه لرئاسة البلدية وتعيين ديب الهربيطي نائبا له ، وعن اعتزام الشوا العودة الى رئاسة البلدية . وقد عملت سلطات الاحتلال على اذكاء روح التنافس بين الاطراف المختلفة ، الامر الذي اعمى أبصار الزعامة التقليدية عن وجود الطرف الاصيل وتحذيراته المستمرة من المخطط الاسرائيلي ، وفي ٧٣/٢/١٠ تحرك افراد المقاومة الفلسطينية ووضعوا حدا لحياة رئيس لجنة الشاطىء ديب الهربيطي ، وفي اليوم الثاني تحركت المقاومة مرة اخرى حين اطلقت مجموعة فدائية النار على الشوا عندما كان متوجها الى معمل التوضيب ، فاصابت زجاج سيارته ، مما تسبب باصابته بجروح في وجهه ، ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اخذت تستبعد ان يكون الفدائيون وراء الحادث، واخذت تلمح الى أن الحادثتين نجمتا عن التنافس بين انصار الشوا والهربيطي ، كما ان الشوا تفاجأ ان يكون طرف واحد وراء الحادثتين عندما صرح للصحف الاسرائيلية « كيف يمكن ربط الحادثتين معا ؟ لقد اراد الهربيطي ضم مخيم الشاطىء لمدينة غزة ... بينما انا استقلت من رئاسة البلدية لانني رفضت ضم الشاطىء للمدينة . فقد عارضت محو هوية مخيم اللاجئين طالما ان قضية اللاجئين لم تحل » الا انه في مكان اخر اعترف بأن « المنظمات » تريد رأسه « ... ان التنظيمات تريد قتلي ، لا استطيع القول اي تنظيم او مجموعة منها . لقد استمرت محطات الاذاعة التابعة للتنظيمات في مصر وسوريا بمهاجمتي . انهم لا يريدون ان يكون هنالك رجل قوي في المناطق باستثنائهم . انهم يدركون بأن الرجل القوي سيتحدث وأن حديثه سيجد من يستمع اليه . انهم يريدون ان يستمعوا لهم فقط » (معاريف ٧٣/٢/٣) . كما وحاولت سلطات الاحتلال الايحاء بأن الفدائيين ليسوا وراء الحادثتين ، واخذت تدلي بتصريحات بأن ذلك لن يؤثر على عملية الانتخابات ، بيد أن ذلك كان امرا بعيد المنال ، فبعد مرور اسبوع اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع بيانا تم توزيعه في مدن القطاع وقراها طالبت فيه لجان الحارات في المدينة « بالكف عن العمل في اللجان ، وعدم التعاون مع الحكم الاسرائيلي » وبالفعل استجاب معظم اللجان للطلب خشية من ساعد الثورة ، وتنافست فيما بينها باعلان استقالتها من اللجان في الصحف العربية التي تصدر في المناطق المحتلة ، الا ان شخصا استمر ، في غيه ، وانحرف عن وظيفته كرجل دين الى رجل احتلال الا وهو المطران يوحنا النمري ، الذي اخذ يعمل من اجل « الصداقة اليهودية العربية » ويروج لذلك بين صفوف من الشباب الخاضعين «للنفوذ» «فهؤلاء الشباب زاروا اسرائيل وعملوا من أجل الاخوة والصداقة بين اليهود والعرب ، نحو غد مشترك » الامر الذي دعا رجال المقاومة لوضع حد لحياة النمري كرجل احتلال في ٧٣/٢/٢٦ . ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اعترفت في النهاية ان رجال المقاومة هم الذين يقفون وراء الاحداث بقولها « أصبح الان واضحا تماما سبب ذهول الـ ٥٦ شخصا الذين انتخبوا كممثلين في لجان الحارات والذين اخذوا يسرعون نحو الصحف العربية في اسرائيل للاعلان بأنهم اصبحوا بحكم المستقيلين من مناصبهم » (معاريف ٧٣/٢/٢٧) . أما رد الفعل لدى جهاز الحكم العسكري فقد اتسم بالعجز الكلي عن مواجهة الموقف حين أعلن انه لا يتدخل في موضوع استقالة اللجان، مع أنه بذل جهودا كبيرة من اجل الانتخابات . وبذلك كسبت المقاومة الفلسطينية في القطاع المعركة مع سلطات الاحتلال بافشال مخططها الرامي الى توطين اللاجئين من خلال اقامة زعامة تقليدية شبيهة بزعامة الضفة الغربية. ولم يبق امامها الا الاستمرار في توجيه الضربات ضد قوات الاحتلال ، وبالفعل اخذت المقاومة الفلسطينية تنشط عسكريا في معركة المواجهة مع العدو ، سقط خلالها شهداء من خيرة الرجال وعلى رأسهم عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الملقب « تشي غيفارا » واثنين من رفاقه ، وبقي التحدي الكبير بين الثورة والقمع قائما في القطاع .

عبد الحفيظ محارب

(ه) القضيــة الفلسطينية عسكريا

تقدم شؤون فلسطينية اعتبارا من هذا العدد بابا جديدا في شهريات القضية الفلسطينية يعنى بعرض وتحليل التطورات التي تطرأ على ميزان القوة العسكريــة بين الدول العربية واسرائيل ، كما يعنى بعرض وتحليل النشاطات العسكرية التـي تقوم او تشترك بها المقاومة الفلسطينية او الدول العربية او اسرائيل .

اولا : عملية مخيم نهر البارد ومخيم البداوي :

تمثل عملية ٧٣/٢/٢١ البحـرية ـ الجوية ضد مخيمي البداوي ونهر البارد وقواعـد المقاومـة المجاورة لهما تنفيذا للسياسة الاسرائيلية الجديدة التي تحدث عنها قادة العدو بعد عملية ميونيـخ ولا يزالون . وتتلخص هذه السياسة في التخلي عن مبدأ العين بالعين والسن بالسن . وعدم ربـط العمليات الانتقامية بعمليات المقاومة ، وعدم الرد على الضربة بضربة ، بل وضع خطة كاملة لمجابهة المقاومة في كل مكان على الارض العربية ، وتسديد ضربات متعاقبة تكون في جوهرها **فعلا لا رد فعل** ، تستهدف دفع قوات المقاومة الى التخلي عن الهجوم والانتقال الى خندق الدفاع .

وكانت العملية تستهدف تحقيق الاغراض التالية :
١ ـ ضرب قواعد التدريب التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقاعدة البحرية التابعة لفتح وعدد من المكاتب التابعة لحركة المقاومة .

٢ ـ ردع حركة المقاومة عن طريق تهديدها بامكانية الوصول الى المخيمات وضربها وتهديد حياة المدنيين فيها : خاصة وان المخيمات هي اكبر هدف حساس تستطيع اسرائيل ضربه والحاق الخسائر به لردع حركة المقاومة بشكل غير مباشر ، بعد ان فشلت كل محاولات الردع عن طريق ضرب القواعد .

٣ ـ فصل رجل المقاومة عن الانسان الفلسطيني ، واقناع هذا الاخير بأن وجود رجل المقاومة الـى جانبه يعرض حياته وامنه لخطر لا قبل له به .

ولقد تم تنفيذ الهجوم الاسرائيلي بقيادة الرائـد ايتزاك في الساعة الاولى من الصباح بعمليتـين استهدفت اولاهما عـددا من مكاتب المقاومـة وقواعدها في مخيم نهر البارد ، ومعسكرا للتدريب في مخيم البداوي . وكانـت القوات المشتركة في المعركة الاولى عبارة عن مجموعات كوماندس بحرية تم نقلها بمراكب شيربور ثم جرى انزالها علـى الشاطىء بواسطة مراكب مطاطية ليتم انسحابها بعد ذلك بطائرات الهليكوبتر ، على حين نفـذت العمليات الثانية مجموعات من القوات المحمولـة بالهليكوبتر .

ولعل اغرب ما يلاحظه دارسو هذه العملية المزدوجة هو انها حققت المفاجأة الاستراتيجية والمفاجـأة التكتيكية . واذا كان من واجبنا ان نسجل لرجال المقاومة والميليشيا في المخيمين اندفاعهما البطولي لقتـال عـدو يتمتـع بكـل فوائد المفاجأة ، فان من واجبنا ايضا ان نسجل على المقاومة وقوعها في فخ المفاجأتين بشكل غير مبرر .

فلقد ظهر من سير العمليتين (عدم اطفاء الانـوار خلال المعركة ـ وعدم وجود مراكز تجمع للمقاتلين ـ عدم وجود خطة دفاعية متكاملة ـ عدم وجود نقاط اسعاف ميدانية ـ اعتقاد السكان بان صـوت الرمايات تدريب ليلي ـ عدم شن هجمات معاكسة منظمة ... الخ) . ان المخيمين الواقعين في شمال البلاد لم يكونا ينتظران ضربة بمثل هذا العمق ، وفي مثل تلك الفترة الهادئة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية . لذا حقق العدو **مفاجأته الاستراتيجية في الزمان والمكان** . كمـا ان المقاتلـين ورجـال الميليشيا الذين قاتلوا خلال الاشتباك ببسالة وقدموا عشرات الضحايا لم يكونوا ينتظرون ضربة من هذا النوع يستخدم العدو فيها هذا الاسلوب ، ولـذا تحققت **المفاجأة التكتيكية بالزمان وأسلوب القتال** . ويكمن السبب الرئيسي لهـذا الخطأ في ضعـف مستوى الحذر الثوري وانخفاض مستوى الاستنفار النفسي والمادي بشكل دائم . وهما نابعان مـن عاملين هما : ١ ـ **عدم فهم السياسة الاسرائيلية الجديدة** وما تتضمنه من استمرارية احتمال الصدام طالما ان هناك شعبا فلسطينيا ثائرا يحمل السلاح ويرفض الحلول الاستسلامية . ٢ ـ **جهل طبيعة الحرب** : لقد حملت المقاومة السلاح وأعلنت الكفاح المسلح حتى يتحقق النصر . وهذا يعني انها أعلنت استخدام العنف الثوري بكل اشكاله . وكان عليها

ان تعرف بأن العدو الراغب في الحفاظ على وجوده الاستعماري سيلجأ الى استخدام العنف القمعي المضاد حتى يلقي اخر مقاوم بندقيته . وما دامت حركة المقاومة صامدة تقاتل كل يوم ، وتخطط لتصعيد المعارك التحررية ، فان من طبيعة الامور ان يخطط العدو لتصعيد المعارك القمعية حتى في فترات الهدوء النسبي . ان الحرب بطبيعتها هي « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . وما دام هناك طرفان متحاربان ، فان العنف هو الحكم الاخير بينهما ، وكل من ينسى ولو لحظة واحدة هذه الحقيقة عبارة عن شخص يجهل جوهر الحروب ومفهومها واسلوبها ، ويدفع من دمائه ثمن جهله .

٣ — **انعدام الحذر الثوري** : لقد كانت عملية مخيمي البداوي ونهر البارد من الجانب الاسرائيلي مغامرة محسوبة تعتمد على تحقيق التفوق على ارض المعركة والافادة من المفاجأة وضعف تدابير الامن والحذر عند الخصم . وكانت من الجانب العربي صمودا ومقاومة شرسة غير مرتبطة باستعداد محسوب مسبق . ولو ترافقت الجرأة والاستعداد للتضحية مع التخطيط الجيد والصد والانذار المتكاملين لانقلبت مغامرة العدو المحسوبة الى مصيدة باهظة التكاليف ، ولترك الغزاة على أرض المعركة عشرات القتلى والجرحى ، ولعلمتهم فداحة خسائرهم ان ضرب المخيمات لم يعد « نزهة عسكرية » سهلة .

ثانيا : زيارة الفريق اول احمد اسماعيل لموسكو وزيارة غولدا مائير لواشنطن :

في ١٩٧٣/٢/٢٦ زار وزير الحربية المصرية الفريق اول احمد اسماعيل موسكو برفقة وفد عسكري على مستوى عال ، لاجراء مباحثات تتعلق بتسليح الجيش المصري . وابدت الاوساط العالمية اهتماما بالغا بهذه الزيارة التي جاءت بعد سبعة اشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج.ع.م. وتباينت التكهنات حول سبب هذه الزيارة ومراميها ، وطبيعة المحادثات والنتائج التي ستنجم عنها والتي ظهرت بوادرها الاولية في التأكيد على انتقال العلاقات المصرية — السوفييتية الى مرحلة جديدة ضمن اطار توثيق التعاون العسكري المصري — السوفييتي ، دون التفكير بعودة الخبراء السوفييت الذين خرجوا من مصر في شهر تموز من العام الماضي (L'Orient - Le Jour, 3/3/73) .

ولقد دفعتنا اهمية مسالة التسليح السوفييتي ومحوريتها بالنسبة للصراع العربي — الاسرائيلي الى افراد مقال خاص بها في هذا العدد (الصفحة ٣٣) يشرح جوانبها المتعددة التاريخية والتكنولوجية واحتمالات المستقبل وتأثيراتها المنتظرة .

وفي مطلع اذار كانت غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تزور الولايات المتحدة الامريكية بغية اجراء مباحثات سياسية — عسكرية تتعلق بوضع الاحتلال ، وامكانات انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي المحتلة وشروط هذا الانسحاب . ولقد طلبت غولدا مائير من الرئيس الامريكي اعتمادات عسكرية بمبلغ ٣٠ مليون دولار لشراء ٦٠ طائرة (٣٠ فانتوم و ٣٠ سكايهوك) وقذائف تقاد باشعة ليزر وقذائف تقاد تلفزيونيا وطائرات هليكوبتر من طراز كوبرا وصواريخ بحر — بحر وعددا من الزوارق المحمولة بالطائرات العمودية (الهليكوبتر) . كما طلبت الحصول على اعتمادات غير عسكرية ومنح يبلغ مجموعها ٢١٥ مليون دولار (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧٦ L'Orient - Le Jour 1/3/73) .

ويأتي هذا الطلب الاسرائيلي منسجما مع سياسة تل ابيب وادعاءاتها حول ضرورة الحصول على التفوق العسكري بغية تحقيق السلام . فلقد صرحت غولدا مائير في واشنطن (٧٣/٣/١) في نادي الصحافة الوطني « ان اسرائيل قوية هي افضل ضمانة لا للشعب الاسرائيلي فحسب ... بل انها تشكل افضل ضمانة للسلم العالمي » (هيرالد تربيون ٧٣/٣/٢) . ويشبه الطلب بجوهره طلبات عيزر وايزمان وموشي دايان وغيرهما من قادة العدو لتأمين التفوق العسكري الاسرائيلي بشكل يجعل اسرائيل قادرة على ردع العرب ومنعهم من شن الحرب ، والانتصار عليهم اذا ما انخفض مستوى الردع واندلع القتال .

ولقد حملت غولدا مائير طلباتها الى واشنطن لتساوم عليها ، وتعتبر الحصول عليها شرطا « للتعاون » مع المحاولات الدبلوماسية المبذولة لتسهيل الوصول الى حل سلمي لازمة الشرق الاوسط .

وبالرغم من الصعوبات المتزايدة التي تتعرض لها برامج المساعدة الامريكية واهمها ازمة الدولار ، فقد حصلت غولدا مائير من الكونغرس الامريكي على تأكيد كامل باعطاء الاعتمادات الاسرائيلية المطلوبة للتسليح افضلية على غيرها من الاعتمادات (أ. ب) . وفي مساء ١٩٧٣/٣/٢ اكد الرئيس

الامريكي نيكسون في خطاب القاه خلال مأدبة العشاء التي دعا اليها البيت الابيض على شرف رئيسة الوزراء غولدا مائير ان الولايات المتحدة ستقف دائما الى جانب اسرائيل « من اجل قضية السلام » (الاوريان — لوجور ٧٣/٣/٣) .

وتذكر المصادر الاسرائيلية ان محادثات غولدا مائير خلال زيارتها كانت « مفيدة جدا » بالاضافة الى انها « صريحة وواقعية » . ولكنها تتكتم حول نتيجة طلب الاسلحة الجديدة . ولقد دلت تصريحات وزير العمل الاسرائيلي يوسف الموجي في مطار اللد وتهربه من الاجابة عن اسئلة الصحفيين حول نوايا واشنطن بالنسبة لتزويد اسرائيل بالاسلحة على ان الاوساط الرسمية الاسرائيلية تلقت تعليمات صارمة مشددة بعدم اعطاء اية معلومات حول هذا الموضوع . بيد ان تلاقي السياسة الامريكية الراغبة في فرض سلام امريكي — اسرائيلي في المنطقة عن طريق اركاع العرب بعد تيئيسهم من امكانية تحقيق أي نصر عسكري ، والسياسة الاسرائيلية التي تربط دعوتها الى السلام بقوة عسكرية متفوقة ، وتريد من العرب ان يوقعوا شروط السلام الاستسلامي والمسدس مصوب الى صدغهم ، ان تلاقي هاتين السياستين يؤكد ان اسرائيل ستحصل على مبتغاها من الاسلحة لتأمين التفوق العسكري المادي الذي يضمن الحفاظ على «الوضع القائم » تماما كما حصلت منذ حرب حزيران حتى الان على اسلحة امريكية وغير امريكية تضمن بقاء الاحتلال الى ان يقبل العرب حلا هو في جوهره تهدئة كاملة للمنطقة وتخل مطلق عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وتشير الانباء الواردة من نيويورك في ٣/١٤ (و. ص. ف — ي. ب — رويتر) على أن من المحتمل ان تقدم الولايات المتحدة لاسرائيل ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و٢٤ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) خلال عامين على أن يبدأ التسليم بعد انتهاء تسليم صفقة عام ١٩٧١ التي نصت على تسليم الطيران الاسرائيلي ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و ٨٠ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) [انترناشونال هيرالد تريبيون ٧٣/٣/١٥] ويأتي الاختلاف بين عدد الطائرات التي طلبتها مائير (٦٠ طائرة) وعدد الطائرات المحتمل تقديمها الى اختلاف في طرق حسابات موازين القوى في الولايات المتحدة واسرائيل واذا كانت اسرائيل قد طلبت ستين طائرة لتحقيق التفوق الجوي وفق حساباتها والمعلومات المتوفرة لديها عن التسليح العربي ، فان موافقة واشنطن (في حالة تأكدها وانتقالها من حالة الاحتمال الى حالة الواقع) تعني ان الحسابات الامريكية ترى ان ٤٨ طائرة عدد كاف لتحقيق التفوق المنشود وتعويض الخسائر المحتملة الناتجة عن حوادث التدريب او خسائر المعارك المحدودة خلال العامين المقبلين اذ ما بقي الوضع العسكري في الشرق الاوسط على ما هو عليه .

والاسلحة التي تطلبها اسرائيل متعددة الاغراض متباينة الاهداف . واذا كان طلب طائرات فانتوم وطائرات سكايهوك يستهدف زيادة القوة الضاربة الاسرائيلية في مجابهة الجيوش العربية ، فان محاولة الحصول على القذائف المزودة بكاميرا تلفزيونية (سمارت بومب) التي جربت في فيتنام والقذائف المقادة باشعة ليزر عبارة عن محاولة لرفع المستوى التقني للسلاح الجوي الاسرائيلي، وزيادة القدرة على التسديد والاصابة . الامر الذي يؤدي الى زيادة القدرة النارية الحقيقية لسلاح الجو الاسرائيلي ورفع كفاءته في القتال الجوي وقصف الاهداف البرية وتدمير قواعد الصواريخ أرض — جو، وتخلخل بالتالي ميزان القوى لصالح اسرائيل حتى لو لم تزد عدد طائراتها . ومن المعروف أن قلب ميزان القوى الجوية لا يتم دائما بزيادة عدد الطائرات ، بل يمكن ان يتم من طريق تحسين التدريب ، ورفع مستوى اجهزة التسديد والتوجيه والكشف والمراقبة ، وزيادة طاقة الخدمات الارضية لزيادة عدد الطلعات .

اما الزوارق الخفيفة السريعة (سرعة ٤٥ عقدة) المحمولة بطائرات الهليكوبتر والمسماة بـ « السمكة القناصة » فغايتها ولا شك تشكيل قوة بحرية — جوية متحركة قادرة على مجابهة قوارب المطاردة التي يمكن ان تهدد الملاحة المدنية الاسرائيلية ، ومجابهة التسلل البحري الذي تقوم به قوات المقاومة الفلسطينية لتسديد الضربات الى عمق اسرائيل او لتموين القواعد الداخلية العاملة في قلب خطوط العدو . لان مثل هذه القوة قادرة على نقل القوارب المسلحة الخفيفة بطائرات الهليكوبتر بسرعة ، وانزالها على مقربة من قوارب المقاومة او قوارب المطاردة بغية الاشتباك معها بمعركة مفاجئة غير متوقعة .

ويدل الاتجاه نحو الحصول على طائرات هليكوبتر

مقاتلة من طراز كوبـرا (٣٠٩ — كينغ كوبرا) والمزودة بمدافع عيار ٢٠ — ٣٠ ملم و ٤ صواريخ هيوز tow و ١٩ قذيفة صاروخية عيار ٧٠ مم تحت كل جناح وتلفزيون يعمل بالاشعة تحت الحمراء الى ان في اسرائيل اتجاها لتجاوز مرحلة استخدام الهليكوبتر لحمل القوات الى حقل المعركة ودعمها بشكل محدود ، والانتقال الى مرحلة خلق قوات محمولة بالهليكوبتر المقاتلة القادرة على نقل الجنود ودعمهم بشكل فعال خلال الاشتباك . الامر الذي سيخلق امام القوات العسكرية العربية وقواعد حركة المقاومة مهمات جديدة ، ومعضلات متزايدة تتعلق بمجابهة القوات المحمولة بالهليكوبتر. وبالرغم من صناعة اسرائيل لصواريخ بحر — بحر من طراز غبرييل المستخدمة في المراكب الفرنسية شيربور والمراكب الاسرائيلية الجديدة المشابهة لها فان طلب صواريخ بحر — بحر امريكية يعني محاولة رفع مستوى كفاءة القوة البحرية الاسرائيلية لمجابهة القوة البحرية العربية في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وخاصة في البحر الاحمر الذي تعتبر اسرائيل ان انقطاع مواصلاتها فيه امر حيوي يؤدي الى « الخنق الاستراتيجي » .

وفي معرض الحديث عن الاسلحة الاسرائيلية نذكر ان محاولات اسرائيل للحصول على اسلحة امريكية متطورة لا يوقفها عن متابعة تطوير صناعتها الحربية التي تستهدف صناعة اسلحة ومعدات محلية او تطوير الاسلحة القديمة المتوفرة التي تجاوزتها التطورات الحديثة بغية جعلها قادرة على مجابهة السلاح العربي واعادتها الى الخدمة في الصف الاول .

وتذكر صحيفة معاريف ٧٣/٢/١٣ ان الصناعة الحربية الاسرائيلية ادخلت على الدبابة الانكليزية سنتوريون — ٥ التي كانت دبابة الخمسينات تحسينات تكنولوجية جعلتها دبابة صالحة للاستخدام في السبعينات . وتتمثل هذه التحسينات في تركيب مدفع عيار ١٠٥ وزيادة عدد الذخيرة التي تحملها الدبابة (اي زيادة القوة النارية ومدى الرمي) . واستبدال المحرك البريطاني Matawar الذي توقف صنعه بمحرك امريكي Continental يعمل بالمازوت ، بشكل رفع قوة المحرك من ٦٥٠ حصانا الى ٧٥٠ حصانا ، وتحسين الغيارات (اي زيادة سهولة الاستعمال) ، وزيادة السرعة من ٣٥ كم/ساعة الى ٤٣ كم/ساعة (اي زيادة القدرة الحركية اللازمة للمناورة) . ويمكن تقييم اهمية هذا العمل اذا عرفنا انه يحقق الامور التالية :

— زيادة عدد الدبابات الاسرائيلية القادرة على الاشتراك في القتال بدلا من تنسيق هذه الدبابات واخراجها من الخدمة .

— توفير ملايين الدولارات .

— الحصول على دبابات قادرة على مجابهة الدبابات العربية (السوفييتية الصنع) ت — ٥٤ و ت — ٥٥ . مع عدم القدرة طبعا على مجابهة الدبابات السوفييتية الحديثة ت — ٦٢ التي حصلت ج.م.ع على عدد منها .

المقدم الهيثم الايوبي

« تقرير »

صواريخ سام السوفياتية

اتضحت فعالية صواريخ سام السوفياتية الصنع* قبل انتهاء حرب الاستنزاف بقليل ، عندما تمكنت من اسقاط عدد من طائرات العدو يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٠ ، وازداد الاهتمام بها في الاونة الاخيرة ، عندما اسقطت صواريخ سام ٢ المطورة ، وفي فترة قصيرة ، اكثر من ثلاثين قاذفة امريكية عملاقة من طراز ب ٥٢ . والحقيقة ان المعارف الغربية عن صواريخ سام كانت ، والى حد قريب ، محدودة جدا ، « وهي ما زالت كذلك بالنسبة لبعض انواعها مثل سام ٥ و ٦ » . الا ان استخدام هذه

* نظم هذا التقرير وفق المعلومات الفنية المأخوذة عن مجلة الطيران والبحرية الايطالية ، عدد تشرين الثاني ١٩٧٢ .

الصواريخ في صراعات دولية ، خاصة حرب فيتنام والحرب العربية — الاسرائيلية ، اوصل عدة وحدات منها الى ايدي المراقبين الغربيين ، بالاضافة الى المعلومات التي حصلوا عليها نتيجة مراقبتهم لطريقة عمل هذه الصواريخ خلال العمليات الحربية ايضا .

وتجدر الاشارة هنا الى ان حلف شمال الاطلسي (ناتو) يطلق اسماء خاصة على انواع الاسلحة الشرقية ، وهذا الاسم تطلقه لجنة خاصة مكونة من اعضاء من البلدان الانكلوسكسونية الحليفة للولايات المتحدة ، وتتميز هذه الاسماء بان الحرف الاول فيها يوضح نوعية السلاح ، فالحرف S يشير الى الصواريخ ارض — ارض (باستثناء الصواريخ التكتيكية من فئة الصاروخ الامريكي اونست جون "Honest John") ويدل حرف G على الصواريخ ارض — جو مثل سلسلة صواريخ سام ، وحرف K على القذائف جو — ارض ، وحرف A للصواريخ جو — جو . بالاضافة الى ذلك تستعمل وزارة الدفاع الامريكية رموزا من حروف وارقام ليس لها صلة برموز حلف الاطلسي .

واصول الصواريخ السوفياتية غير معروفة ، ولكن يعتقد بان السوفيات قد استولوا على اعداد كبيرة من الصواريخ الالمانية المضادة للطائرات طراز (F.V.P. C-2 WASSERFALL) وكانت هناك انباء عن استخدام السوفيات لاعداد قليلة من الصواريخ الالمانية المذكورة لحماية قواعدهم المهمة، حتى بدات في اوائل الخمسينات الدراسات لتطوير صاروخ ارض — جو متوسط المدى للدفاع ضد قاذفات القنابل الاستراتيجية المعادية من صنف مشابه لصاروخ نايك — اجاكس "NIKE-AJAX" الامريكي .

وكانت المفاجاة في ٨ نوفمبر ١٩٥٧ في العرض العسكري السنوي بمناسبة ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عندما ظهر نوع جديد من الاسلحة هو الصاروخ **سام ٢** او (V-75 SM) حسب التسمية الروسية انذاك مركب على جرار تجره شاحنة من طراز زيل ١٥٧ ، وقد سمي "M-2" من قبل وزارة الدفاع الامريكية ، واسماه حلف الاطلسي غايدلاين "GUIDELINE" ، وهو مكون من صاروخ دافع "booster" يعمل بالوقود الصلب مع اربع زعانف على شكل شبه منحرف ، كسطح للسيطرة على الصاروخ ، وطبقة اساسية ثانية مع محرك مسير "Sustainer" يعمل بالوقود السائل ، مدة الاحتراق فيه ٢٢ ثانية ، والراس الحربي في النماذج رقم ٢ و ٣ من سام ٢ محشو بمتفجرات تقليدية، مع اصناف متعددة من الصواعق تنفجر بالصدمة ، او الاقتراب ، او باللاسلكي . وهناك نماذج متعددة من سام ٢ ، فالنموذج رقم ١ "M-2" وبعدها S 2 واخيرا سام ٢ « يمكن تمييزه بوضوح بهوائياته القائمة الزاوية على شكل شفرات مثبتة حول الراس الحربي ، ورادار توجيهه منطراز فانسونغ — أ "FAN SONG-A" (بقاموس حلف الاطلسي) يعمل على الموجة S ، وهو رادار غير دقيق ويمكن التاثير عليه بسهولة باجهزة الحرب الالكترونية المضادة (ECM) . اما نسبة اصابة الصاروخ فلم تكن تزيد عن ٤ — ٨ بالالف ، وقد وزع على دول حلف وارسو بالاضافة الى كوبا ، واندونيسيا ، والعراق وفيتنام الشمالية . تبعه بعدها النموذج رقم ٢ ، المميز بهوائياته المائلة بدلا من القائمة الزاوية ، وبتحسين نظام توجيهه برادار من طراز فان سونغ — ب ، والذي يحقق اصابات تزيد عن ٨ بالالف ، اذا اطلقته جنود مهرة ، ويتراوح مداه العامل ما بين ٥٠٠ متر كحد ادنى الى ١٨٬٣٠٠ متر . وفي يوليو ١٩٦٢ بدىء باستخدام نموذج جديد من سام ٢ هو "V-750 VK VII/62" مع تحسين كبير في نظام التوجيه ومدى العمل الذي يصل الى ١٩٠٠٠ متر ، وربطه برادار طراز فان سونغ — د، الذي زاد دقة الصاروخ الى ٤ — ٥ بالمئة ، مع تحسينات كبيرة فيما يتعلق بالنوعية ، ومن الخارج يمكن تمييز التعديلات التي ادخلت على هيكله ، بالاضافة الى توسيع سطح زعانف طبقته الثانية . وجميع نماذج سام ٢ المذكورة تطلق بزاوية مقدارها ٨٠ درجة ، « وتشبك » برادار التوجيه بعد ٦ ثواني من اطلاقها ، ويبقى بالامكان توجيهه لمدة ١٥ ثانية ، دون ان تتعرض لعدد زائد من التعديلات في اتجاهها .

واحدث انواع سام ٢ هو النموذج رقم ٤ الموجه برادار فان سونغ — ي الذي ظهر في نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد زود به حلفاء الاتحاد السوفيتي ، بالاضافة الى مصر وفيتنام الشمالية والهند ، ولهذا النموذج رأس اطول بـ ٤٠ سم من النماذج الاخرى، وبامكانه حمل رأس نووي ، وبفضل جهاز راداره الذي يعمل على الموجة C ، فان بامكانه العمل على ارتفاع اقل من ٥٠٠ متر ، ويتابع الهدف حتى

ارتفاع ٩٠ مترا شريطة ان تتم السيطرة عليه بالرادار من ارتفاع اعلى .

وهناك نموذج بحري من سام ٢ هو "SA-N-2" الذي يقتصر استخدامه على الطراد السوفياتي دزيرجنسكي .

وقبل سام ٢ طور الاتحاد السوفياتي صاروخا موازيا له في الصنف هو **سام ١** ، الذي ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ ، وهو مشابه للطبقة الثانية من سام ٢ ، وقد اعتقد الخبراء الامريكيون في البداية انه صاروخ سابق لسام ٢ ولكن اتضح فيما بعد انهما سلاحان مختلفان . فمقاسات سام ١ اكبر وزعانفه مختلفة ، وقد احاطت الشكوك بنظام دفعه ، ففي البدء اعتقد البعض انه يدفع بصاروخ يعمل بالوقود السائل ، ولكن فيما بعد رجحت فرضية في انه يدفع بواسطة محرك يعمل بالوقود السائل ، اما مداه فيتراوح بين ٤٠ — ٤٨ كيلو مترا ويعمل على ارتفاعات من ٤٨٠ — ١٨،٥٠٠ متر ، وهو مستخدم على نطاق ضيق في الجيش السوفياتي .

اما **سام ٣** الذي اشتهر لاسقاطه عددا من طائرات الفانتوم فوق القناة ، فهو صاروخ بطبقتين ، صمم خصيصا ليكون سلاحا أساسيا لاستخدام القوات البحرية ، وتستخدم الوحدات البحرية السوفياتية الحديثة مثل « موسكفا » صواريخ من طراز "SA-N-3" وهو نوع محسن من سام ٣ صالح لجميع الاحوال الجوية والصاروخ الجديد "SA-N-4" والذي يعتقد بأنه من صنف مشابه لصاروخ « سي سبارو » "SEA SPARROW" الامريكي ، وهو موجه برادار من طراز "HEADLIGHT".

والصنف البري من سام ٣ محمول على شاحنة هي قاعدة اطلاقه من طراز زيل ١٥٧، والحقيقة ان للقواعد المتحركة اهمية كبرى خاصة في الاوضاع المشابهة لوضع مصر على قناة السويس ، حيث تستطيع المدافع الاسرائيلية الثقيلة ذاتية الحركة من عيار — ١٧٥ ملم قصف قواعد الصواريخ الثابتة التي تقع على مدى اكثر من ٣٠ كيلومترا بسهولة، بعد تحديد مواقعها ، ولكن الامر يختلف بالنسبةللصواريخ المحمولة علىقواعد متحركة التي تستطيع تغيير مواقعها بسهولة ، لتفادي قصف المدفعية ، او لنصب كمائن للطائرات المعادية . وكما سبق وقلنا فسام ٣ صاروخ بطبقتين ، الطبقة الاولى قصيرة وضخمة قطرها حوالي ٥٠ سم ، فيها ٤ زعانف قائمة الزاوية ، والطبقة الثانية بها زعانف على شكل شبه منحرف تنتهي بهوائيات شبيهة بتلك المثبتة على سام ١ ، وهو يعمل بالوقود الصلب مع مدى يتراوح بين ١٥ — ٢٠ كم ، وعلى ارتفاعات تتراوح ما بين ٣٠٠ — ١٢،٠٠٠ متر .

وتمتلك مصر صواريخ سام ٣ الخفيفة الحركة ، ويعتقد كذلك بأنها تمتلك الصاروخ **سام ٤** ، والذي صمم خصيصا لمواجهة المواقف التي تتطلب حركة سريعة ، وقد ظهر لاول مرة في عرض مايو ١٩٦٤، وهو يشبه صواريخ « المدرسة الانكليزية » يدفع بمحرك ثابت ، او بأربعة صواريخ دافعة ، تعمل بالوقود الصلب مركب على ناقلة مجنزرة هي قاعدة اطلاق ايضا لكل اثنين معا ، ومجنزرة اخرى تحمل رادار التوجيه طراز "PAT HAND" تشكل مع الناقلة الاولى وحدة متكاملة ، وتؤهله مواصفاته للعمل على ارتفاعات منخفضة ولمسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا .

واطلق اسم سام ٥ على صاروخ مستوحى بشكل عام من سام ٢ ، وقد عرض لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٣ ، وهو صاروخ بطبقتين الى ثلاث طبقات ، مكون من صاروخ دافع يعمل بالوقود الصلب ، ومحرك مسير يعمل بالوقود السائل ، ورأس يمكن فصله مجهز بمحرك صاروخي يعمل بالوقود الصلب لتعديل سير الصاروخ في المرحلة الاخيرة ، وتؤكد التصريحات الرسمية من ان لدى سام ٥ القدرة لاستخدامه كمضاد للصواريخ ، ويعتقد انه دخل الخدمة عام ١٩٦٠ ، وان بامكانه العمل حتى ارتفاع ٢٧٠٠٠ متر ، ولمسافات تزيد عن ٥٠ كيلو مترا ، ومن المفروض ان يكون قادرا على اعتراض كل انواع الطائرات ، (يعتقد بان صاروخا مشابها هو الذي اسقط طائرة التجسس الامريكية يو — ٢ بقائدها باورز في مايو ١٩٦٠) بالاضافة الى الصواريخ جو — ارض والصواريخ التكتيكية .

اما احدث الصواريخ السوفياتية فهو **سام ٦** ، وهو صاروخ صغير يعمل بالوقود الصلب ، ويحمل على قاعدة مجنزرة كل ثلاثة معا . ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، ودخل الخدمة في الاتحاد السوفياتي في النصف الثاني من عام ١٩٦٠ ، وقد وزع حديثا على فيتنام الشمالية ويعتقد مصر ايضا (نيويورك تايمز ١٩٧٢/١١/١٣) ، ولا يعرف نوع

رادار سام ٦ ، ولكن المؤكد انه رادار حديث يعمل على الموجة X او S ، ومن الصعب تحديد قدراته ، ولكن يمكن القول ان بامكانه العمل على ارتفاع يتراوح بين ٩ — ٩٠ مترا كحد ادنى والى ارتفاع ١٠،٠٠٠ متر .

وقد اختلف الخبراء الامريكيون على تحديد الصاروخ **سام ٧** ، فقد اطلق هذا الاسم على صاروخ ضخم، اطلق عليه حلف الاطلسي ايضا اسم « غالوش » "GALOSH" ، واطلق كذلك على صاروخ فردي في مستوى صاروخ « رد أي » "REDEYE" الامريكي ، وسمي « جافير » "GAFFER" . وكان اطلق على غالوش اسم سام ٧ ، ولكن هذه التسمية اهتزت الان بعد ظهور الصاروخ الفردي المسمى « ستريلا » "STRELA" ، وفي قاموس حلف الاطلسي اطلق عليه اسم «غريل» "GRAIL" وهو صاروخ صغير مزود بنظام توجيه بسيط بواسطة الاشعة تحت الحمراء ، وصفين من الزعانف التي يمكن طيها . وفي الايام الاولى لاستعماله في فيتنام تمكن من اسقاط ٥ طائرات سكاي رايدر المروحية ، وطائرة هيلوكبتر « هوي » "HUEY" وطائرة مراقبة سيزنا ، ولم تتأكد مسؤوليته عن اسقاط هيلوكبتر اخرى و ٢ — ٤ مقاتلات نفاثة . وتمكنت طائرة مراقبة سيزنا من تفاديه ، وفي هذه العمليات كانت التقديرات الاولية لدقته في الاصابة ٤٠ بالمئة . وقد استولى الامريكيون على عدة قواذف ، وهي ترمى بعد الاستعمال ، وصواريخ من هذا الطراز ، وقال الخبراء الامريكيون ان فيه مفاجآت عديدة وهو صاروخ لا يزيد طوله عن ١،٢٠ متر وقد وصفه الطيارون الذين رأوه يعمل بانه سريع جدا .

وهكذا نرى ان قوات الدفاع الجوي العربي تملك صواريخ من طراز سام ٢ للاهداف المحلقة على ارتفاعات عالية ، والانواع الحديثة من هذه الصواريخ مزودة باجهزة مضادة للحرب الالكترونية المضادة (ECCM) . وصواريخ طراز سام ٣ وسام ٦ للارتفاعات المتوسطة والمنخفضة ، والمعارف المتوفرة عن هذه الصواريخ قليلة جدا . ومهما يكن من امر فالشبكة المصرية المكونة من هذه الصواريخ هي احدى افضل الشبكات ، وكان هذا رأي الخبراء العسكريين حتى قبل حديث المصادر الغربية عن استلام مصر لصواريخ سام ٦ .

ومن بين هذه الصواريخ يحظى باهمية خاصة الصاروخ الفردي سام ٧ (ستريلا) والذي يعتبر سلاحا رهيبا ضد الطائرات المحلقة بسرعة تقل عن سرعة الصوت ، سواء اكانت مروحية او هيلوكبتر ، بالاضافة الى امكانية استخدامه في وحدات المشاة الصغرى ، او في مفارز المغاوير او الفدائيين التي تستطيع ان تكمن به في اماكن مناسبة لاصطياد الطائرات المعادية ، ويستطيع هذا الصاروخ ان يقلب الموازين تماما اذا ما استخدم لمواجهة العمليات الخاصة التي تقوم بها قوات العدو المجوقلة (المحمولة جوا) .

النوع	تسمية الناتو	الطول	فتحة الزعانف	القطر	مجال العمل: أدنى	مجال العمل: أقصى	المدى
سام١	GUILD	١٢،ــ م	؟	؟	٤٨٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٢	GUIDELINE MK2	١٠،٦م	١،٧م	٠،٦٦م	٥٠٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٣	GOA	٥،٩م	١،٢٢م	٠،٥٠م	٣٠٠م	١٢،٠٠٠م	٢٠كم
سام٤	GANEF	٩،١٥م	٢،٣٠م	٠،٨٠م	؟	٢٤،٤٠٠م	٤٨كم
سام٥	GRIFFON (?)	١٦،٥٠م	٤،٦٠م	١،٠٧م	؟	٢٧،٠٠٠م	٥٠كم
سام٦	GAINFUL	٦،ــ م	؟	؟	٩٠ م	١٠،٠٠٠م	؟
؟	GALOSH	٢٠،٤٠م	—	٢،٧٥م	؟	؟	؟
سام٧(؟)	GRAIL	١،٢٠ م	؟	؟	١٠٠م	١،٠٠٠ م	؟

هشام عبدالله

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٢/١١ ــ ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	٢/ ٩	—	سويمة/غور الاردن	اشتباك	أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	—	٥	تصريح عسكري رقم٦٨٦	٢/١٣
٢	٢/١١	—	القدس(١)	حرق	—	— —	حرق مطبعة .. أتت النار على قسم المطابع والارشيف	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٧	٢/١٣
٣	٢/١٦	٣٠—	بين عكا وصفد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جسر وسيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٨	٢/١٦
٤	٢/١٦	—	قبع تايم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مسكن مدير سجن الرملة الياس درنتس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٩	٢/١٦
٥	٢/٢٠	٢٢٣٠	بين القنطرة وتل الصرمان/ الجولان	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف ٢٠٠ متر من اسلاك شائكة وتفجير حقل الغام	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩١	٢/٢١
٦	٢/٢٠	٢٢٠٠	تل الصرمان/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	١	—	١	تصريح عسكري رقم٦٩٢	٢/٢١
٧	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي/ لبنان	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد	غير محدد	١٥	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٠	٢/٢١
٨	٢/٢٢	٢٠٠	المطلة	هجوم	صواريخ	غيرمحدد	اشعال النيران	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
٩	٢/٢٣	٤٠٠	خلة غزال/الجليل الاعلى	هجوم واشتباك	قذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	١	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
١٠	٢/٢٣	—	جبل الشيخ	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير آلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٢	٢/٢٥
١١	٢/٢٣	—	لراميا/الجليل	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة الموقع	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥

١٢ـ ٢/١٥	—	على طريق بيت لحم(١)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	اعطاب سيارة	—	—	—	تصريح عسكري رقم[illegible] ٢/١١
١٣ـ ٢/٢٥	—	القـــدس(٣)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	اعطاب سيارة في الحي الالماني	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٤ ٢/٢٦
١٤ـ ٢/٢٥	—	صبحا/غور الاردن الجنوبي	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٨ ٧ /٣
١٥ـ ٢/٢٧	٢٠٠٠	بين الشيخ زويد والعريش/سيناء	كمين	عبوات ناسفة وأسلحة رشاشة وتنابـل	غيرمحدد	تدمير آلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٥ ٢/٢٨
١٦ـ ٤ /٣	١٨٠٠	مخيم الشاطىء/غزة	كمين	أسلحة رشاشة وتنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة افراد الدورية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٦ ٥ /٣
١٧ـ ٦ /٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مطعم	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٧ ٦ /٣
١٨ـ ٨ /٣	—	غربي قرية بتير	تفجير	عبوات ناسفة	—	تفجير خط سكة الحديد بين القدس وتل ابيب وتعطيله	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٩ ٨ /٣
١٩ـ ٨ /٣	١٠٠٠	غـــزة	كمين	أسلحة رشاشة وتنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة افراد الدورية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٠ ٨ /٣
٢٠ـ ٨ /٣	٢٠٠٠	القـــدس	كمين	سكين	١	تجريد الجندي سلاحه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠١ ٩ /٣
٢١(٤) ٨ /٣	—	نهـــاريا	تفجير	تنبلة يدوية	غيرمحدد	حرق ملهى ليلي	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٢ ٩ /٣

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١١ — ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٢/١٢	—	غور الاردن	اشتباك	غير محدد	غيرمحدد		—	١	—	٤	ن. عدد١٦٠ ص٢—٣	٢/١٣
٢	٢/١٤	—	معلوت/الجليل	تفجير	الغـــام	—	٢	اصابة شاحنة	—	—	—	ن. عدد١٦٢ ص٦	٢/١٥
٣	٢/١٦	—	جفعتايم	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		اصابة منزل مدير سجن الرملة ايلياس ديرنتسير	—	—	—	ن. عدد ١٦٣ ص٨	٢/١٦
٤	٢/١٦	—	بين عكا وصفد	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة	—	—	—	ن. عدد١٦٣ ص١٠	٢/١٦
٥	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		غير محدد	٤٠—٥٠ اصابة			ن. عدد١٦٧ ص١٠	٢/٢١
٦	٢/٢٠	٢٢٠٠	القنيطرة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		—	١	—	—	ن. عدد١٦٧ ص١١	٢/٢١
٧	٢/٢٧	—	سيناء	تفجير	الغـــام	—	٢	اعطاب سيارة	—	—	—	ن. عدد١٧٣ ص٤	٢/٢٨
٨	٣/ ٤	—	مخيم الشاطىء/غزة	تفجير	قنبلة يدوية	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد١٧٧ ص٨	٣/ ٥
٩	٣/ ٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير جزء من مطعم	—	—	—	ن. عدد١٧٨ ص١٠	٣/ ٦
١٠	٣/ ٨	—	غـــزة	تفجير	قنبلة يدوية	١	١	اعطاب سيارة	—	—	—	ن. عدد١٨١ ص٤	٣/ ٩

١ — اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٦٠ بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٣ ، صفحة ٢ .

٢ و٣ — اعترف العدو بهاتين العمليتين ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧١ بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٦ ، ص ٦ .

٤ — كما قامت منظمة ايلول الاسود بعملية في السفارة السعودية في الخرطوم قتل على اثرها اثنان من السفارة الاميركية والقائم بالاعمال البلجيكي .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

١ — تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العــامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

البداوي ونهر البارد : معركة في « حرب زمام المبادرة »

ثلاث قضايا ، على ثلاثة أصعدة مختلفة ، كانت هي الاهم بين أحداث شهر شباط (فبراير) الماضي الاسرائيلية :

١ — على صعيـد المواجهـة الفلسطينيـة — الاسرائيلية ، كان الحدث هو الغارة التي قامت بها قوات من جيش الاحتلال على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمال لبنان ٠

٢ — على صعيد « أزمة الشرق الاوسط » ، كانت زيارة غولدا مئـير الى الولايات المتحدة ، والتي قابلت خلالها الرئيس الاميركي نيكسون ٠

٣ — وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، كان الجدل الذي ثار مـن جديد حول « العسكـر والسياسة » في اسرائيل ٠

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على « أعمق غارة نفذها مقاتلون من الكوماندو البحري ومظليي جيش الدفاع الاسرائيلي ، الذين أنزلوا (الى الشاطىء اللبناني شمال مدينة طرابلس) مـن السفـن ، وأعيدوا الى اسرائيـل بطائرات الهيليكوبتر » (معاريف ٧٣/٢/٢١) ، أسقطت مقاتلات اسرائيلية طائرة ركاب مدنية ليبية فوق رمال سيناء المحتلة ، فغطت هذه الجريمة بردود فعلها العنيفة في كافة اقطار الارض ، على الغارة التي لم تحظ ، نتيجة ذلك ، من المعلقين الاسرائيليين (وغيرهم) بما تستأهله من اهتمام ، ولم تفرد لها من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، غـير افتتاحيتي جريدتي « معاريف » و « يديعوت احرونوت » المسائيتين يوم ٧٣/٢/٢١ ، واللتين صدرتا في الفترة التي فصلت بين الغارة واسقاط الطائرة الليبية ٠

من هنا ، فان محاولة التعرف على موقع هذه الغارة في خريطـة المواجهـة الفلسطينيـة — الاسرائيلية ، ومن وجهة النظر الاسرائيلية بشكل خاص ، تستلزمنا العودة الى بعض أهم ما قاله الاسرائيليون من رسميين وشبه رسميين ومعلقين ، حول موضوع المواجهـة والاهداف التي تسعـى اسرائيل الى تحقيقها على هذا الصعيد ، وفي هذه المرحلة ، وحول الوسائـل والاسـاليب التـي تستخدمها ، او تدعو — بلسان بعض معلقيها — الى استخدامها ٠

والسؤال الاول : ما هـو الجديد في المواجهـة الفلسطينية — الاسرائيلية ، وما هو التطور الابرز في سلم الاولويات للاهداف الاسرائيلية في هـذه المرحلة الجديدة ؟

قبل كل شيء ، يجدر التذكير ، بأن مـا تعتبره اسرائيل « المرحلة الجديدة » ، هو الفترة التي بدات بعملية ميونيـخ الفدائية في شهر أيلـول (سبتمبر) الماضي ، وما زالت مستمرة ٠ وفي هذه المرحلة يركز الاسرائيليون في تعداد أهدافهم على ثلاث نقاط :

١ — ابادة الفدائيين ، بكل معنى كلمة الابادة ٠

٢ — الغاء اي وزن أو تأثير للعمل الفدائي في أي تطور سياسي في الشرق الاوسط ٠

٣ — عزل الفدائيين عن التيارات العالمية المناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني ، والعمل على كسب عناصر هذه التيارات الى جـانب وجهات النظر الاسرائيلية ٠

وكان الجنرال دافيد العازار رئيس أركان جيش الاحتلال ، قد ردد في مقابلة طويلة اجرتها معه جريدة معاريف (٧٢/١١/٣) تعبير «ابادة الفدائيين» ثلاث مرات ، وتعبير « القضاء على الفدائيين » أكثر من ذلك ، وقـال : « ان جيش الدفـاع الاسرائيلي سيستمر في ضربـه للمخربين ، حيث التوقيت ، والاساليب والوسائل والمكان ، تفحص جميعا بمقياس واحد هو : احراز أكبر نتائج تصفية الفدائيين ، ... وانني أعطي المعركة المباشرة

ضد المخربين ، ابادتهم ، وتشويش نمط حياتهم ، الافضلية في سلم الاولويات .. » .

وفي مناقشة أجرتها اذاعة العدو يوم ٧٢/١٠/٧ ، وشارك فيها اربعة من الاساتذة في مؤسسات التعليم العالي في اسرائيل ، تردد مثل هذا الكلام ، حيث قال البروفيسور يهوشواع اريئيلي « ان حربنا ضد الارهاب يجب ان تكون بتصفية الارهابيين وليس القيام بارهاب مضاد ... » ، وقال البروفيسور بنيامين اكتسين المشهور بعنصريته وكراهيته للعرب ، « من الواضح انه يجب اتخاذ وسائل جدية لهدم جهاز الارهاب ، بوسائل جدية وحتى شديدة » .

لكن أوري دان ، الصحافي الاسرائيلي الذي كتب مقالا في معاريف يوم ٧٣/٢/١٦ (أي قبل اربعة ايام فقط من العدوان الاسرائيلي على مخيمي نهر البارد والبداوي) ، كان أكثر تواضعا في تحديد الاهداف التي يجب ان تسعى اسرائيل الى تحقيقها ، حيث قال : « يبدو انه لا مفر — رغم ما في الامر من ازعاج — من اجراء فحص دقيق ومتزن لامكانية محاربة المنظمات بصورة مباشرة (أي ليس بتوجيه الضربات لدول عربية للتأثير عليها واضطرارها للضغط على الفدائيين لايقاف نشاطهم) . وذلك بضربهم لاضعافهم الى درجة لا يعودون معها يشكلون مشكلة » ، وكان أوري دان في مقاله المذكور بعنوان « كيف نحارب الارهاب العربي بعيدا عن حدود اسرائيل » قد وصل الى هذه النتيجة بعد تأكيده « ان الخبراء في الشؤون الفلسطينية في اوروبا ، مستعدون الى الاعتراف حاليا بملء أفواههم ، بأنهم أخطأوا عندما استهانوا بنوعية هذه الحركة (الفدائية) ، وذلك عندما التقوا بنشيطيها في فرانكفورت ، باريس ، روما وغيرها ، وان بياناتنا بعد «عمليات الارهاب» ضد الفلسطينيين والتي كانت ممتلئة بمشاعر « الانتصار النهائي » عليهم ، تثير حاليا السخرية، حيث انه لم يتم القضاء على المشكلة » .

وحول النقطة الثانية من سلم الاولويات الاسرائيلية في المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، قال دافيد العازار في المقابلة المذكورة : « .. ويجب ان نحارب مستهدفين تقليص تأثير المخربين على جميع التطورات في الشرق الاوسط . وأنا أريد ان لا يكون المخربون عنصرا ذا وزن في اية خطوة سياسية في الشرق الاوسط ، وان لا يكونوا هم ممثلي الفلسطينيين ، وان لا يكون لهم تأثير حاسم على احتمالات السلام في المنطقة ، وعلى التسويات لتأمين قواعد حياة ، حتى وان كانت هذه القواعد غير واردة في اتفاقيات سلام كاملة وموقعة ، وعلى الاتصالات مع الدول العربية وعلى احتمالات استمرار وقف اطلاق النار » .

وحين كان الجدل في اسرائيل ، دائرا حول مسألة الرد على « الارهاب العربي » بارهاب مضاد ، كان الصوت الاقوى هو الذي طالب بأن يكون الرد محصورا في الجهات الرسمية المسؤولة خشية ان يؤدي الاخذ بوجهة النظر المعاكسة الى التأثير سلبيا على صورة اسرائيل لدى الاوساط المؤيدة لها في العالم ، واشترط بعض الاسرائيليين ان تقوم هذه الجهات بتنفيذ « الاعمال القذرة » على ان لا تعلن الحكومة مسؤوليتها عنها ، حيث انه « بشكل عام هناك قواعد ونظم دولية ، وهناك لعبة قذرة تمارسها جميع الدول ، وهناك معاهدات دولية بشأن الموضوع ، واللعبة تقتضي اولا : الصمت ، وثانيا : عدم اخذ اية حكومة مسؤولية العمل على عاتقها . ولكن تبقى نقط حقيقة ان العمل قد نفذ » (حديث مع العميد اول (احتياط) حاييم هرتسوغ — رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١٠/٢).

واذا كان ذلك عن الاهداف الاسرائيلية على صعيد المواجهة حاليا ، فماذا عن الاساليب ؟

عن سؤال شبيه بهذا ، اجاب العازار — وهو المسؤول الاول عن هذا الموضوع في اسرائيل — في المقابلة المذكورة ، بتأكيده : « كما في كل حرب أخرى تنقسم هذه (الحرب ضد الفدائيين) الى اسلوبين معروفين : الدفاع والهجوم ، وانني لا استهين بأي من الوسائل المعدة للدفاع في مواجهة المخربين ... لكن ، ليكن واضحا دون ادنى شك : لا يمكن بوسائل الدفاع حسم اية معركة او اية حرب . وفي الدفاع لا يمكن الانتصار على المخربين وارهابهم . وهدفنا ليس ان ندافع ، بل ان ننتصر ... ولا يمكن القضاء على الارهاب العربي وابادة المخربين بوسائل دفاعية فحسب . وهكذا ، فاننا في هذه الحرب ، كما في كل من حروبنا ، ملزمون بالحفاظ على زمام المبادرة ، وذلك يعني : ان نفرض على الطرف الثاني الخطوط والقواعد (التي يتبناها) ، وان نبادر الى عمليات واعمال ، ان نهاجم — ونفحص النتائج فيما بعد » .

« ... وبالنسبة لنا ، وبرغم ان رغبتنا في الحفاظ

على وقف اطلاق النار كاملة ، فانها ليست اكبر من رغبتنا وصلابة قرارنا بمحاربة المخربين . ولهذا ، فان رغبتنا في الحفاظ على وقف اطلاق النار ، لا يمكن ان تمنعنا من القيام بعمليات ضد المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات تعرض وقف اطلاق النار للخطر ... ولقد قضينا على نشاط المخربين في منطقتنا ، وسوف نضربهم ايضـا في أماكـن أخرى ... »

وبكلمات مشابهة ردد حاييم هرتسوغ وجهة النظر ذاتها ، بقوله : « اعتقد ان مثل هذه العمليات (ضد قواعد الفدائيين داخـل الدول العربية) جيدة ، بشرط أن تكون ضمن نطاق خطة شاملة ، وليست عمليات مفردة . وهذا يتطلب الا تكون مجرد رد على اية عملية للمخربين ، لاننا اذا ما انتظرنا قيامهم بالعمليات حتى نرد عليها ، فاننا نكون قد تركنا المبادرة في أيديهم ، وان ما يجب ان يحدث هو العكس . يجب ان نكون نحن المبادرين ، ويجب ان يكون هدفنا مطاردتهم في كل مكان . والقواعد في الدول العربية احد هذه الاهداف ... وان المخربين لا يقيمون في لبنان لاسباب صحية فقط او للتمتع بجمال الطبيعة ، بل انهم يستعدون للعمل ضدنا ، ... وحسب اعتقادي فان مجرد وجودهم هناك يبرر عملياتنا،... والاساس في هذه الحرب كما هو الحال بالنسبة لاية حرب ، هو اخذ زمام المبادرة ، لانه بدون المبادرة في الحرب ، لا يمكن تحقيق الانتصار » . (رصد اذاعـة اسرائيـل ٧٢/١٠/٢) .

و« انتقادا » للسياسة الاسرائيلية ، حتى الى ما قبل قيام قوات الاحتلال بالغارة على المخيمين في شمال لبنان بأربعة ايام ، قال أوري دان فـي معاريف (٧٣/٢/١٦) : « ... ولقد عملنا اقل مما ينبغي ، وتأخرنا اكثر مما ينبغي ، لقد جررنا ولم نبادر . وتمترسنـا خلف ابواب مصفحـة وسياجات ، ورجال أمن واجهزة تصوير تلفزيونية في دوائر مغلقة ، وكأنه بالامكان ان نجعل « خط بارليف » (خط الدفاع الذي أقامه جيش الاحتلال على جبهة السويس اثنـاء تولي بارليف لرئاسة أركانه) يحيط بكل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » .

ومن هنا نصل الى السؤال الاهم ، وهو : ماذا حققت اسرائيل من أهدافها في هذه الغارة ؟

وكما ذكرنا ، فان عملية اسقاط الطائرة الليبية ، قد طغت على الغارة على المخيمين ، ولم تحظ هذه بأي تقييم من قبل المسؤولين الاسرائيليين ، او على الاقل ، فان صحف العدو ، واجهزة اعلامه الاخرى قد خلت تقريبا ، من اي تقييم لها .

لكن ما يبدو واضحا ، ان جميع الاهداف الاسرائيلية لم تتحقق ، بل ان بعضها غير قابل اصلا للتحقيق. ومن جميع التجارب التي سجلها التاريخ الحديث ، يظهر تماما ان محاولات الابادة التي قامت بها دول وجيوش تفوق اسرائيل وجيشها قوة ، قد فشلت ، وبشكل ذريع ، في احراز هدف الابادة الشوفيني والوحشي ، الذي هددت به شعوب وثورات اقل قوة من الشعب الفلسطيني وثورته .

ومحاولات اسرائيل المستمرة من اوائل الخمسينات وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، لفرض « زعامة » فلسطينية متعاونة معها ، قد فشلت هي الاخرى حتى الان ، وليس هناك مـا يشير الى احتمال النجاح في فرض مثل تلك الزعامة ، وهذا ما اكدته مؤخرا تطورات غزة حيث قضت الرصاصات التي أعدمت ذيب الهربيطـي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) وتلـك الرصاصات التي استهدفت رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة السابق ، على محاولات اسرائيل خلق زعامـة عربية متعاونة ، واستقال اعضاء لجنة مخيم الشاطىء وجمد نشاط جميع لجان بقية الاحياء في غزة ، ثم استقالت ثلاث لجان اخرى ، ولحق ذلك استقالة جميع اعضاء اللجان . (رصد اذاعة اسرائيل ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٧٣/٢/٢٢) .

يبقى أن يقال بأن الغارة الاسرائيلية ، تنسجم تماما مع الخط واسلوب التفكير الاسرائيليين ، وهي ، وان تكون تصعيدا — نظرا « لعمقها » وطريقة تنفيذها — لم تكن ولم تشكل مفاجأة الا « لهواة التفاجؤ » على حد تعبير مراقب فلسطيني.

زيارة غولدا مئير الرابعة لواشنطن

لو ان اسرائيل ، رسميا ، هي الولاية الواحدة والخمسون في دولة الولايات المتحدة الاميركية ، لما حظي مسؤولوها بالكثافة ذاتها من الدعوات واللقاءات في واشنطن مع الرئيس الاميركي نيكسون.

ومنذ اعادة انتخاب نيكسون في نهاية العام الماضي ، لفترة رئاسته الثانية والاخيرة ، وحتى الان ، زار الولايات المتحدة من الوزراء الاسرائيليين كل من : موشي دايان ، يغآل الون ، ابا ايبان ، بنحاس سابير ، واخيرا رئيسة حكومة العدو غولد مئير ، كما زارها ايضا رئيس دولة العدو زلمان شازار وغيره كثيرون من حملة الالقاب الاكثر تواضعا .

وما نحن بصدده الان ، هو آخر هذه الزيارات وأهمها ، التي بدأتها غولدا مئير في السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) الماضي ، واستمرت اسبوعين ، وقابلت نيكسون خلالها ، رغم انها « زيارة غير رسمية » كما ذكرت المصادر الاميركية والاسرائيلية .

ومع ان الزيارة بحد ذاتها هي حدث هام ، فان مجيئها بعد زيارة كل من الملك حسين ، والسيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس انور السادات الى واشنطن (انظر حول هاتين الزيارتين مقالا في مكان آخر من هذا العدد) قد زاد من اهميتها ، خاصة وان سفير اسرائيل السابق لدى واشنطن ، اسحق رابين (أنهى عمله يوم ٧٣/٣/٩) ، كان قد ذكر « ان الرئيس نيكسون كلف هيئة من الخبراء اعداد دراسة سرية شاملة حول امكانات التسوية (لازمة الشرق الاوسط) وان غولدا مئير معنية بمحاولة الاستباق في ممارسة وسائلها الاقناعية على الرئيس قبل ان يتخذ قراره » . (هآرتس ٧٣/١/٩) .

قبل بدء الزيارة كانت جميع الاوساط الاسرائيلية تقريبا متفائلة جدا من نتائجها ، الى درجة دعت المعلق الاسرائيلي المعروف دان مرغليت الى القول : « ان هذه الزيارة مرتكزة على تقدير سياسي لم تعرف اسرائيل مثيلا له من قبل ، ولم يكن جيدا الى هذا الحد في اي وقت مضى ، حتى انه لا مجال لتوقع حدوث تحسن (في العلاقات الاسرائيلية الاميركية) ، ومن كل زاوية حكومية يسمع حاليا التقدير القائل بأن اسرائيل لم تأمل ابدا ان يكون وضع علاقاتها مع الولايات المتحدة افضل مما هو عليه ، والفروقات بين تعابير الوزراء هي فروقات صياغة اكثر منها فروقات في المحتوى » . (ملحق هآرتس ٧٣/٢/٢٣) ، ... « وفي حين انه في كل زيارات غولدا مئير السابقة الى الولايات المتحدة ، أرسلت كمهاجم وسط (في لعبة كرة القدم) يبذل جهدا لتسجيل هدف وتغيير النتيجة ، فانها هذه المرة قد أرسلت كحارس مرمى مهمته المحافظة على استمرار الوضع الحاضر » (المصدر السابق) . بهذا الجو من التفاؤل الاسرائيلي ، بدأت غولدا مئير زيارتها الرابعة — بصفتها رئيسة للحكومة — الى الولايات المتحدة ، وكانت زياراتها السابقة قد تمت على التوالي في السنوات ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ .

وقبل اسبوع واحد من وصول مئير الى اميركا ، كان بنحاس سابير قد أعلن في واشنطن ، بعد اجتماعه مع وزير المالية الاميركي جورج شولتس ، انه أقر في الاجتماع تشكيل لجان مشتركة لدراسة الجوانب المختلفة للمشاكل الاقتصادية الاسرائيلية. وبرغم رفض سابير الاعلان عن حجم الطلبات المالية الاسرائيلية من اميركا ، فان مراسل معاريف في واشنطن قد ذكر انه « علم من مصادر موثوقة للغاية ان المبلغ الذي طلبته اسرائيل من اميركا ومن البنوك الاميركية هو ٦٢٥ مليون دولار ، موزع على النحو التالي : ٣٠٠ مليون دولار اعتماد عسكري ، ٥٠ مليون دولار مساعدة ، ٥٠ مليون دولار لاستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي (وذلك بموجب توصية من الكونغرس) ، ١٠٠ مليون دولار لمشاريع اسكانية ، ٦٥ مليون دولار فائض اغذية ، ٣٠ مليون دولار قرض جديد من بنك التصدير والاستيراد للتطوير الاقتصادي ، وحوالي ٣٠ مليون دولار كمنح لمؤسسات ثقافية وصحية في اسرائيل ، وعلم كذلك ان جهودا تبذل لانهاء عمل هذه اللجان قبل لقاء غولدا مئير ونيكسون » (معاريف ٧٣/٢/٢١) .

وفي الاول من آذار (مارس) ، قبيل التقاء مئير بنيكسون ، قالت يديعوت احرونوت « ان اللقاء سيكون ذروة الزيارة ، لانه اذا كان نيكسون يرغب في التراجع عن موقفه المتعاطف معنا ، فقد اعطيت له الفرصة الان ، وسنعلم اليوم ما اذا كانت

ستتحقق تنبؤات اولئك الذين قالوا ان نيكسون سيتنكر لنا، او اذا ما صدقت رئيسة الحكومة عندما قالت عنه انه صديقنا الكبير في البيت الابيض » .

واجتمعت مئير مع نيكسون ، ثم خرجت بعد المقابلة التي استغرقت ساعة ونصف لتقول « انه لم يكن هناك اي جدل بينها وبين الرئيس ، ولفتت الانظار الى انها في مقابلتها السابقة للرئيس قالت انه يوجد لنا صديق في البيت الابيض ، وانه ليس هناك من داع لتغيير ما قالته » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢) .

وذكر مراسل اذاعة العدو نقلا عن « مصادر عليمة » قولها « ان الولايات المتحدة تعلم بأن حل النزاع هو في نهاية المطاف امر يخص الاطراف نفسها وانها لا تعتزم فرض حل او الضغط على اسرائيل » واشارت المصادر ايضا ، الى ان الرئيس نيكسون « لم يطالب اسرائيل بابداء مرونة ، كما انه لم يتقدم منها بأية مطالب » . (المصدر السابق) .

ومن ناحية أخرى « تعهد الرئيس نيكسون لرئيسة الحكومة غولدا مئير ، باستمرار تقديم المساعدات الاميركية في المجال العسكري والاقتصادي ... وحذر الناطق الرسمي بلسان البيت الابيض من الامل بايجاد حل سريع ، ورفض الادلاء بتفاصيل عن المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة ، وقال فقط ان الولايات المتحدة ستواصل تقديم المساعدات » (المصدر السابق) .

وفي جميع التصريحات التي نسبت الى مئير في واشنطن ، لم يلاحظ اي تغيير على سياسة اسرائيل ، بل ان العكس هو الصحيح ، حيث لوحظ تشدد وتشديد على المواقف الاسرائيلية المعلنة بشأن حل أزمة الشرق الاوسط باستثناء موقف واحد فسره بعض المراقبين المتفائلين ، على انه قد يكون اشارة الى استعداد اسرائيل « التنازل » عن أجزاء من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، لم تكن في السابق تترك مناسبة الا وتؤكد فيها عزمها على « الاحتفاظ » بها ، وذلك في قول مئير اثناء مؤتمر صحافي عقدته في واشنطن يوم ٧٣/٣/١ : « ان اسرائيل لا تستطيع التنازل عن هضبة الجولان ، ولكن اسرائيل لا تعتبر قناة السويس ، الحدود النهائية بينها وبين مصر ، ... وكذلك لا يمكن اعادة شرم الشيخ الى مصر لان هذه النقطة هي خط حياة لاسرائيل » .

وكما كان متوقعا من قبل ، فان غولدا مئير قد قبلت بنصيحة رابين التي لخصها دان مرغليت في جريدة هآرتس (٧٣/٢/٨) والتي تقول « ان جميع الافكار الجديدة زائدة ، وفي اكثر الحالات مضرة ». وشدد رابين على ضرورة التركيز على التسوية الجزئية ، وقال : « لا أدري كيف يمكن التقدم نحو التسوية الشاملة » (دافار ٧٣/٢/٢) ، وكان يرد بذلك — كما يبدو — على قول وزير الخارجية الاميركي وليم روجرز في خطاب القاه يوم ٧٣/١/١٧، وطالب فيه « العمل لتحقيق تسوية جزئية ، يعاد بها فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، على ان تكون هذه خطوة أولى على طريق التسوية الشاملة » .

وهكذا ، فانه على صعيد ازمة الشرق الاوسط ، لم تحدث زيارة مئير لواشنطن اي تطور كان ، الا اذا اعتبرنا ترسيخ التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة تطورا يذكر .

ويبقى بعد ذلك ملاحظتان :

الاولى : هي ان غولدا مئير التي كانت في كل مرة تسأل فيها عن احتمال استمرار توليها منصب رئاسة الحكومة بعد الانتخابات النيابية المقبلة في اسرائيل (في شهر تشرين الثاني — نوفمبر — المقبل) تؤكد اصرارها على رفض البقاء في منصبها ، ولكنها في مقابلة تلفزيونية انبعت عبر احدى الشبكات الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، ردت على سؤال حول هذا الموضوع بأسلوب مغاير ، حيث قالت : « ان استمراري في منصبي يرتبط بقرار الحزب » واضافت : « وجهوا هذا السؤال الى حزبي » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٥) .

وعندما بدا واضحا ان مقابلات مئير في واشنطن ، وخاصة مع نيكسون ، هي السبب الاهم وراء تراجع مئير عن موقفها المذكور ، سأل مراسل اذاعة العدو ، سكرتير حزب العمل اهرون يادلين : « لماذا — حسب اعتقادك — قالت السيدة مئير مثل هذه الامور في الولايات المتحدة بالذات ، وليس في اسرائيل ؟ » ، ورد يادلين : « لا اعرف . من الممكن ان تكون قد أرادت ان تسرع بزف البشرى لنا ، من انها استجابت لالحاح الزملاء (ولم يقل اي زملاء) ، ولم تنتظر قدومها الى اسرائيل لاعلان هذا النبأ السار » .

وألح المراسل : « هل بالامكان القول ان هذا

القرار تبلور لديها اثناء جولتها في الولايات المتحدة؟» فقال يادلين : « من الممكن ان تكون جولتها في الولايات المتحدة قد اضافت اعتبارا آخر لمجمل الاعتبارات ، التي استمعت اليها في محادثاتها مع كثير من الزملاء » .

والثانية : هي حرص نيكسون اثناء لقائه مع مئير ، وهو اللقاء الذي حضره الدكتور هنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون ، واسحق رابين وسمحا دينتس ، مدير مكتب مئير سابقا وسفير اسرائيل الجديد لدى واشنطن ، على تهنئة السفير رابين بعيد ميلاده الواحد والخمسين ، وقوله « اننا سنفتقد السفير رابين كثيرا ، فقد كان سفيرا كبيرا لدولته ، ونأمل ان تحسنوا استغلال مواهبه » وقد لوحظ في هذا الكلام اكثر من مجرد مجاملة ، ولم يستبعد ان يكون نيكسون قد قصد من وراء هذا « الاطراء » ايضاح « تبني » البيت الابيض لرابين ، مع كل ما هو معروف عن رابين وخلافاته المزمنة مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل .

ورغم ان اي من المصادر الاسرائيلية — المتوفرة — لم تبرز اهمية ودلالة النقطتين المذكورتين ، فان فيهما ما يؤكد قدرة اميركا ليس على التأثير في سياسة اسرائيل الخارجية فحسب ، بل قدرتها على التدخل والتأثير في الشؤون الاسرائيلية الداخلية .

« عسكرة السياسة ، وتسييس الجيش »

في الثالث عشر من شهر شباط (فبراير) الماضي ، اجرى مراسل اذاعة العدو ، مقابلة مع دوف بن مئير ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي في لواء تل ابيب ، وذلك بمناسبة قرب صدور كتابه (يفترض ان يكون قد صدر في مطلع آذار (مارس) الماضي) الذي يناقش — بين ما يناقشه — ، مسألة دخول رجال الجيش ميدان الحياة السياسية في اسرائيل. (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٤) .

وقبل هذا التاريخ بأربعة ايام فقط ، اجرى مراسل اذاعة العدو مقابلة مع الدكتور شيفاح فايس ، الباحث في العلوم السياسية ، حول الموضوع ذاته ، بمناسبة بحث اجراه فايس عن التوزيع الوظيفي لكبار ضباط الجيش في اسرائيل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/٩) .

وبعد ثلاثة ايام فقط من اجراء المقابلة مع دوف بن مئير ، « انضم العميد اول (احتياط) شلومو لاهط رسميا الى حزب الاحرار ، واعلن رئيس الحزب اليميلخ ريملط في جلسة الادارة ، انه سيقترح بأن يوضع لاهط في طليعة مرشحي حزب الاحرار لبلدية تل ابيب ، وعلى هذا ، يقترح ايضا ان يرئس قائمة غاحال (المكونة من الاحرار وحيروت) . وقال لاهط في الجلسة ، انه انضم الى حزب الاحرار اقتناعا منه بمبادئه على اثر المباحثات التي اجراها مع زعماء الحزب » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/ ٧٣/٢) .

وقبل جميع هؤلاء ، كان الصحافي الاسرائيلي المعروف امنون روبنشتاين قد كتب مقالا في غاية الاهمية في جريدة هآرتس (٧٣/١/١٩) ، عن علاقة الجيش بالسلطة المدنية في اسرائيل ، واكد فيه — استنادا الى وقائع واسباب اوردها — ان الحكومة الاسرائيلية لا تملك حق اقرار او حتى تقديم النصح بالنسبة الى تعيين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي .

وهذه الفورة في نقاش مسألة « عسكرة السياسة وتسييس الجيش » في اسرائيل ، هي في الواقع حلقة جديدة من مسلسل متصل ، تكاد لا تنتهي احداها الا لتبدأ الاخرى ، وكانت الفورة السابقة قد بدأت لدى انعقاد المؤتمر العام الاخير — قبل بضعة أشهر — لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، حيث عارض « شباب الحزب » استيلاء كبار ضباط الجيش (المتقاعدين) على المراكز الحساسة في الحزب ، واطلق هؤلاء على الضباط في حزبهم وفي الاحزاب والمؤسسات الاخرى لقب « العمداء المظليون » ، اي اولئك الذين يهبطون بالمظلات مباشرة من الجيش الاسرائيلي الى مناصب كبرى في السياسة .

اما الحلقة السابقة لهذه ، فكانت قد بدأت في مطلع العام الماضي ، عندما عين الجنرال حاييم بارليف الرئيس السابق لاركان جيش الاحتلال ، وزيرا للتجارة والصناعة في الحكومة الاسرائيلية ، التي

كانت تضم حتى قبل دخوله عددا من كبار ضباط الجيش السابقين ، بينهم موشي دايان ، ويغال الون ، ويسرائيل غاليلي وغيرهم .

وقد سأل مراسل في اذاعة العدو حاييم بارليف (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٩) : « لقد قمت بعمليات هبوط بالمظلات من الطائرات في الجيش ، فكيف تشعر بعد أن نزلت الى السياسة ؟ هنالك من يعتقد بأن الهبوط هنا اخطر بكثير حتى من عملية الهبوط الحرة ؟ »

ورد بارليف : « كلا ، لا اشارك في هذا الرأي ، ولا أرى هنا أي شيء خطر ، وأعلم ان حجم خيبة الامل هو من حجم الامل ، وانا لم اقدر ان الوضع بالنسبة لي سيتبدل بصورة اساسية ، فقد كانت لدي الفرصة كرئيس للاركان ، للاطلاع المباشر على اعمال الحكومة » .

وشبه دوف بن مئير النزاع الــذي ادى ــ عشية حرب حزيران ــ الى تسليــم موشي دايان وزارة دفاع العدو ، بذلك النزاع الذي سبقه بسنــين ، وادى الى عزل بنحاس لافون من وزارة الدفاع ، وقال في المقابلة المذكورة : « ... وانا اقصد بهذا التأثير السياسي الذي كان لقضية لافون وللمواجهة بين القيادة الرسمية ، وبين القيادة التقليدية في السياسة الاسرائيلية ، وهي المواجهة التي وصلت اوجها خلال الصدام بين وزير الدفاع بنحاس لافون وبين جيش الدفاع الاسرائيلي . ولهذه المواجهــة آثار وابعاد ، من بينها طرد وزير الدفاع انذاك ، او اجباره على تقديم استقالته . وهنا اعتقد ان الضغط الذي مورس لانتزاع وزارة الدفاع مــن ايدي ليفي اشكــول في سنة ١٩٦٧ (وتسليمهــا للجنرال دايان) له نفس الطابع . وانا استغرب اذا كان بالامكان في الظروف الحالية وضع وزارة الدفاع في ايدي شخص مدني ، وما اذا كان بامكان شخصية مدنية ، خلال مواجهــة جديدة (مــع العرب) ، لا سمح الله ، ان تقود جيش الدفاع الاسرائيلي في المعارك . وهذه هي احدى المشاكل التي لها ابعاد بالطبع في موضوع عسكرة الدولة ودخول الجنود والضباط السابقــين الى معتــرك الحياة السياسية » .

وعن النتيجة التي سيؤدي اليها هذا المسار ، قال بن مئير : « اننا في النهاية سنصــل الى وضــع متوازن ، تنجح فيه تلك الفئة الناجحة من الضباط، واما غير الناجحين فلن يتم استيعابهم فيالسياسة».

وعلى الذين يتوقعون استيلاء العسكريــين ــ في النهاية ــ ، للسلطة ، واحتكارهم لها ، ردالدكتور شيفاح فايتس ــ عبر بحثه الذي اجراه على ٧٥ شخصا فقط من الضباط الذين انهوا الخدمة ،وليس بفعل السن ، وعبر المقابلة الاذاعية المذكورة ــ ان « المنتخبين في مراكز سياسية من هؤلاء الضباط الذين خلعوا البزة العسكرية يشكلون ١٣٫٣٪ فقط من مجموع الضباط المتقاعدين بينما يعمل في وظائف ادارية داخل جهاز الامن وفي الادارة الجامعيــة ومديري الوزارات ٧٥٪ من مجموع الضباط » .

ورد فايس سبب وجود الانطباع باستيلاء العسكريين على الحياة السياسية الى « النقاش الشعبــي الذي جرى حول ضباط مثل بارليف ورابين ودايان، ومثل عيزر وايزمان اليوم » .

اما امنون روبنشتاين ، فقد تطرق الى الموضوع من زاوية اخرى ، واثبت « استقلالية » الجيش الاسرائيلي عــن الحكومة ، واستدل على ذلــك بابرازه بعض الاحداث التي وقعت مؤخرا ، على النحو التالي :

« ١ ــ قرر الجيش تخفيض مدة الخدمة العسكرية بالنسبة الى المهاجرين الجدد . وقد اتخذ الجيش هذا القرار ، دون عرضه على أية جهة اخرى لاقراره ، وحتى الكنيست لم يطلب الحصول علــى معلومات حول هذا الموضوع .

٢ ــ ان قرار عدم تخفيض الخدمة العسكرية لجنود الخدمة الاجبارية ، بحث وبت فيه على الصعيــد العسكري فقط .

٣ ــ وقع العميد ، قائد المنطقة الشمالية (الجليل) امر اغلاق قريتي اقرت وكفر برعم قبل ان يلفت نظر الحكومة الى هذا الموضوع ، ودون عرضه علــى الكنيست مطلقا » .

ويتابع روبنشتاين : « ... وفي حين تقر الحكومة تعيين كل سفير وكل قنصل اسرائيلي في الخارج ، فانها لا تملك صلاحية اقــرار ، او حتى تقديــم النصح ، بالنسبة الى تعيين رئيس الاركان ، فهذه المسألة تعود بالكامل قانونيا ، الى وزير الدفاع الذي يحق له ان يفعل بالنسبة الى التعيينــات داخل الجيش ما يشاء ... ويعرض التعيين علــى الحكومة بعد ذلك كحقيقة منتهية » .

ولاحظ روبنشتاين ان في اسرائيل وثيقة واحدة فقط تتعلق بتركيب الجيش وهي « امر جيش الدفــاع

الاسرائيلي » ، الذي صدر خطأ عن رئيس الحكومة في ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولم يصدر كما يفترض بصورة تشريعية ، ويحظى بموافقة مجلس الشعب (الذي سبق انتخاب اول كنيست) » . ... وكانت هذه الوثيقة مبهمة ومتسرعة ، ولكنها مع ذلك لم تغير حتى الان ، وبعد مرور ٢٥ سنة على اصدارها » . واخطر ما في هذه الوثيقة باعتقاد روبنشتاين هو خلوها من اية كلمة عن تعيين رئيس الاركان ، ومدة خدمته وخضوعه للحكومة ، وفي نص الامر المذكور انه « بموجبه ينشأ جيش الدفاع الاسرائيلي ، المكون من اسلحة البر والبحر والجو ... ويحظر تشكيل قوات مسلحة خارج نطاق الجيش الاسرائيلي » ... وينتهي الامر — غير الشرعي — بالقول : « ان وزير الدفاع مسؤول من تنفيذ هذا الامر » ، ولاحظ روبنشتاين ان هذه الكلمات القليلة ، منحت وزير الدفاع (وهو في حينه بن غوريون) صلاحيات غير محددة وغير مقيدة مكنته ان يفعل ما يريد داخل الجيش . دونالرجوع الى الحكومة او البرلمان .

وفي « امر جيش الدفاع الاسرائيلي » ليس هناك اي ذكر للمناصب الرئيسية في الجيش ، مثل مدير المخابرات ، ورئيس شعبة العمليات . بل ان تسميات المناصب لم تحدد ايضا ، ويذكر ايسر هرئيل « المشرف » الاسبق على المخابرات الاسرائيلية انه قد حصل على لقبه المذكور (اي « المشرف ») في حفل حضره مع بن غوريون ، فقدمه هذا الى ضيف اجنبي على انه « السيد هرئيل ، المشرف على المخابرات » ، واصبح لقب « المشرف » بذلك اسما ومنصبا رسميا . (كتاب « المشرف » تأليف بارزوهر) . عموما فان اول ما يلاحظه المراقب ، هو الازدياد المستمر في نسبة الضباط الاسرائيليين الذين يتحولون الى العمل السياسي ، ويتسلمون المناصب العالية في المجتمع الاسرائيلي ، من ادارة المطارات المدنية ، الى الموانىء الى الشركات الكبرى والمؤسسات العامة ، وبموجب اخر احصاء متوفر فان « ٤٥٪ من سياسي اسرائيل على الاقل ارتبطوا بالعمل العسكري بشكل او باخر » (كتاب « رجال السياسةالاسرائيليون» — سلسلة حقائق وارقام — رقم ٣٢ ، تحرير انيس صايغ واعداد فازي دانيال — مركز الابحاث الفلسطينية — بيروت — ١٩٧٠ ص ١٨ ، و« رجال السياسة » في هذا الكتاب هم اعضاء الكنيست الاسرائيليين) .

ولا يستبعد ان يثور الجدل والنقاش في اسرائيل مجددا ، ويصل الى ابعاد لم يصلها من قبل ، وذلك بعد عودة اسحق رابين في اذار (مارس الماضي) الى اسرائيل بعد انتهاء فترة عمله كسفير لدى الولايات المتحدة ، واحتمال تعيينه وزيرا في حكومة العدو ، ليصبح فيها اذاك ثلاثة رؤساء اركان سابقين .

عماد شقور

وثيقة خاصة :
افادات اعضاء الجبهة الحمراء

تنفرد « شؤون فلسطينية » فيما يلي بتقديم ترجمة عن الاصل العبري للبيانين اللذين أدلى بهما خلال محاكمتها كل من داوود تركي ، زعيم التنظيم العربي ــ اليهودي الذي درجت الصحافة العربية على تسميته باسم « الجبهة الحمراء » ، واودي اديف ، احد الاعضاء الاربعة اليهود في التنظيم . ويظهر البيانان ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان الحملة الاسرائيلية لتصوير التنظيم بانه شبكة تجسس للاستخبارات السورية لا أساس لها من الصحة وانها مجرد محاولة للتشهير به . والمجلة اذ تقدم ترجمة لهذين البيانين ، اللذين تمكنت من الحصول عليهما بوسائلها الخاصة ، تود ان توضح انها تتعامل معهما كوثيقتين توضحان الدوافع الايديولوجية والسياسية وراء التنظيم ، وانها لا تتبنى او ترفض كل ما جاء فيهما ، ولها تحفظات شديدة ازاء بعض النقاط الواردة . وتنوه بان محاكمة كل من داوود تركي واودي اديف ، مع اربعة آخرين من اعضاء التنظيم ، بدأت يوم ٢٥ شباط ١٩٧٣ ، وان الحكم بشأن الاشخاص الخمسة الاساسيين من بين الذين تم تقديمهم للمحاكمة لم يصدر بعد . ويحمل بيان داوود تركي تاريخ ١٩٧٣/٣/٥ ، ولم نتمكن من قراءة التاريخ على بيان اديف .

(١) افادة داوود تركي

الملف رقم ٧٣/٢٩
١٩٧٣/٣/٥

القاضي : تركي ! جاء دورك الان ! وعليك ان تختار احد الاسلوبين التاليين :
بوسعك أن تدلي بشهادتك بعد حلف اليمين ، وفي هذه الحالة سيتولى ممثل النيابة استجوابك ، كما أن بوسعك ان تدلي ببيان من مكانك دون حلف اليمين ، وفي هذه الحالة لك ان تختار عدم الادلاء بشهادة .

داوود تركي : أختار الادلاء ببيان من مكاني !

هيئة المحكمة الموقرة ! اود تقديم نفسي ، وقد سجلت رؤوس اقلام عن القضية بأسرها من بدايتها الى نهايتها ! اسمي داوود سمعان تركي . ولدت لاب وأم من الفلاحين الفقراء في قرية المغار عام ١٩٢٧ ، وقد عشت في قريتنا هذه نحو خمسة اعوام . وكان والدي ووالدتي يعملان في صنع الفحم والكلس ، غير ان ما كانا يكسبانه من ذلك لم يكن يكفي لاعالة العائلة ، ولذلك أضطررنا الى النزوح الى حيفا في عام ١٩٣٢ حيث اشتغل والدي عاملا في بلديتها . وعند اعتقالي كنت اعمل في مكتبتي التي اسستها عام ١٩٦٢ ، وقبل ذلك مارست مهنا مختلفة لم تكن تشبع ميولي ولا توافق اهوائي . فقبل تأسيسي المكتبة اشتغلت مدة خمس سنوات كعامل طباعة في مطبعة « ألف وواحد » في حيفا . وقبل ذلك

عملت في البناء والصيد وفي حانوت بقالة وفي صناعة البلوكات ، ورغم ان هذه جميعا هي مهن شاقة فانه لم يكن يتيسر لي العثور على عمل فيها بسهولة وذلك نتيجة الظروف التي كان يواجهها العامل العربي وبسبب ملاحقة الهستدروت للعمال غير المنظمين واقدامها على طرد العرب من هؤلاء من اعمالهم متغافلة عن واقع انها حينذاك لم تكن تسمح للعرب بالانضمام اليها وان عضوية الهستدروت كانت تقتصر على اليهود فقط . اما النقابات المهنية الخاصة بالعرب والتي كانت تعمل في اطار ما يدعى « بمؤتمر العمال العرب في اسرائيل » فقد كان قسم منها يؤمن العمل لبعض العمال العرب ولكنه كان عملا هامشيا ولا يستوعب سوى قطاعا ضئيلا من المجموع بينما لم يكن لدى القسم الاخر من هذه النقابات ما يقدمه ... وفي عام ١٩٤٦ اثناء فترة الانتداب البريطاني قدمت طلبات للعمل لجميع الدوائر الحكومية وتلقيت ردا ايجابيا من ثلاث منها — دائرة الجمارك في حيفا ، ودائرة البريد ومصلحة السكك الحديدية — وقد اخترت من بين الدوائر الثلاث هذه دائرة الجمارك التي شعرت ان العمل فيها يناسبني أكثر من غيرها . وظللت اعمل هناك من مطلع عام ١٩٤٦ حتى انتهاء فترة الانتداب . في تلك الفترة ، عندما تقدمت بطلبات العمل هذه ، لم اكن بحاجة الى « محسوبية » أو « واسطة » ، بل كانت مؤهلاتي هي التي حددت قبولي . اما بعد قيام دولة اسرائيل فقد اصبح الزاما على من يريد الحصول على عمل ان يستنجد « بالمحاسيب » ، خاصة اذا كان طالب العمل مثلي عربيا ويعتنق ايديولوجية يسارية — اشتراكية — شيوعية .

واثر سقوط حيفا انتقلت الى قريتي « المغار » للاقامة فيها وبقيت هناك حتى عام ١٩٤٩ . وخلال فترة اقامتي في المغار كان يتحتم علي من اجل العمل خارجها الحصول على تصريح للخروج . ولم يكن بالامكان الحصول على تصريح كهذا بسهولة ولا سيما لاولئك الاشخاص الذين يحملون اراء سياسية معارضة لسياسة وآراء النظام السياسية . وهذا الوضع ، بالاضافة الى امور اخرى مثل سلب الاراضي وعدم المساواة في الحقوق للاقلية العربية في البلاد وملاحقة العمال والاهالي العرب وهدم البيوت — كل ذلك اهاج في خاطري ذكرى ان ابي — رحمه الله — كان في ايامه يؤيد ويتعاطف مع الشيوعيين الذين كان يعرفهم باسم البلشفيين . وقد سنحت لي الفرصة في حياته — وكنت حينئذ صبيا يافعا — ان اتعرف شخصيا على سكرتير الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وكان انذاك عربيا يدعى نجيب سبيريدون . وقد كان هذا الشخص بالنسبة لي مثالا للانسان الشيوعي في مسلكيته . فالتحقت بالحزب حينئذ ومن ثم التحقت بصفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » في عام ١٩٤٨ . وقد كان انتمائي هذا علاوة على كوني عربيا هو العلة في كل تلك الملاحقات التي تعرضت لها .

وقد آمنت بأنه ما من أحد يستطيع ان يفرض على اي انسان آراء ومواقف تخالف آراءه ومواقفه تجاه اي شيء او تجاه سياسات النظام القائم اذا كان هو مقتنع بما يحمله من آراء وافكار ازاء السياسة العامة للحكم القائم ...

لقد كنت مضطرا للعمل خارج قريتي لتأمين لقمة العيش لعائلتي المؤلفة من خمسة افراد (أنا وزوجتي وبناتي الثلاث) ، ولذلك كنت احتاج الى تصريح من الحاكم العسكري يسمح لي بالتنقل بين قريتي ومكان عملي ولم اكن احصل على هذا التصريح الا بشق الانفس . وقد كان الصراع من اجل الحصول على هذا التصريح يستغرق اسبوعا كاملا اذ كان يتعين علي ان انتظر قدوم الموظف المختص التابع للحاكم العسكري ، كما كنت اضطر الى خسارة يوم عمل كلما حان اجل تجديد التصريح . وكانت قضية الحصول على هذا التصريح مشكلة بالنسبة لي ولجميع العرب الذين كانوا يقطنون خارج المدن (أماكن عملهم) . واذكر انه في سنة ١٩٥٨ ، وبعد ان كنت قد خضت نضالا مريرا لنقل مكان اقامتي الى حيفا الى ان تم لي ذلك ، اذكر في ذلك الوقت أنني رغبت في زيارة قريتي

المغار لمناسبة عيد الفصح لقضاء عطلة العيد مع اهلي واقاربي ، فحصلت من مركز الشرطة في حيفا على تصريح للسفر الى الناصرة حيث كان يتوجب علي الحصول من مركز الشرطة هناك على تصريح آخر للسفر الى قريتي المغار . وهناك في الناصرة ، عانيت الامرين اذ رفض الموظف المختص اعطائي التصريح . لقد حدث هذا في الوقت الذي علمت فيه ان بعض الاشخاص قد حصلوا في هذه المناسبة — مناسبة توافق حلول عيد الفصح وعيد المسلمين في الوقت ذاته — على تصريح لقضاء عطلة العيد مع اهلهم رغم انهم قدموا من خارج الحدود — من شرق الاردن — هذا ، بينما انا الذي لم اغادر بلادي توضع العراقيل في طريق وصولي الى قريتي لقضاء عطلة العيد بين اهلي وذوي . واخيرا ، وبعد جهد جهيد وعناء ومساع شاقة لدى جهات عدة في الشرطة والحكم العسكري اعطوني تصريحا لمدة يومين فقط ، وعدت بعدهما الى حيفا . . .

ان انواع المشاكل التي تواجه الانسان العربي في هذه البلاد ، واليساري منهم بشكل ، كثيرة جدا وتستحق الوقوف عندها طويلا ، بيد أن الوقت المتاح اضيق من ان يسمح لي بأن اتقصاها جميعا . لقد كنت عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » وذلك من خلال الايمان بالاشتراكية وليس انطلاقا من الايمان بأفراد معينين . وفي سنة ١٩٦٠ ثار الخلاف والجدل بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني . ولقد ساهمت بقسط فعال في هذا الجدل داخل صفوف الحزب مؤيدا موقف الحزب الشيوعي الصيني ، وعلى هذا الاساس فصلت ، او بالاحرى انفصلت ، عن صفوف الحزب .

ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي في حينه ، وقبل انقسامه ، لم يقدم الحل الصحيح في معالجته للنزاع الاسرائيلي — العربي ، بل كان يغير مواقفه وفق الظروف وبموجب الحقائق التي خلقت بعد ذلك . وبناء على ذلك ، ومن ناحية مبدأية ، لم اعتبر توجه الحزب هو الحل الصحيح ، مما أدى الى خروجي من صفوف الحزب نظرا لايماني باستحالة التعايش السلمي بين الشيوعية والاشتراكية من جهة وبين الرأسمالية والامبريالية من جهة اخرى . وانا اؤمن بأنه يتعذر الحاق الهزيمة بالاستعمار والامبريالية سوى بالقوة والنضال وباعداد الجماهير لهذا النضال من اجل قيام الثورة الاشتراكية التي توفر الحل للمشاكل القومية فيعيش تحت لوائها كل انسان بمساواة مع اخيه الانسان دون فرق في القومية او الدين او الجنس . ومنذ خروجي من الحزب « ماكي » كرست اهتماماتي للسياسة المحلية والعالمية ، واعتبر نفسي جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . فكفاح وبطولة شعب فيتنام هو كفاحي . . . وكفاحي من اجل التحرر الوطني والاجتماعي هو كفاح جميع المناضلين من اجل الحرية في امريكا اللاتينية ، وهو كفاح جميع اولئك القابعين في السجون من اجل هذا الهدف . . ولقد اعطيت ، وأعطي ، وسأستمر في بذل كل ما لدي وكل ما استطيع وحياتي من اجل هذا الهدف .

لقد كانت اوضاع العرب الذين يعانون في هذا البلد من صنوف التمييز الذي يمارس ضدهم هي احد العوامل التي ساهمت في تشكيل آرائي ، فسلب الاراضي والحكم العسكري والطرد من العمل الخ . . . كل هذا ترك اثرا بالغا في نفسي ، وشعرت بأنه يتحتم علي الكفاح من اجل تغيير هذه الاوضاع . وبعد حرب الأيام الستة طرأ تغير على موقفي من دولة اسرائيل . قبل الحرب ربما كنت افكر هكذا : انني ضد الالام التي لحقت بالشعب اليهودي على ايدي النازيين والفاشست غير ان الحرب ضد مضطهدي الشعب اليهودي هي حرب جميع الشعوب وليست حرب الشعب اليهودي وحده . أنا أؤمن ان الشعب اليهودي كان جزءا لا يتجزأ من جميع المضطهدين في ذلك الزمن عندما كان يعاني من اضطهاد النازيين والفاشيست . وكان يتوجب على الشعب اليهودي ان يخوض نضاله ضد اي شكل من اشكال التمييز القومي او الطائفي على الارض التي يتواجد فيها . ان احضار اليهود من جميع البلدان الى فلسطين التي انا جزء منها ومن شعبها ليس هو الحل الصحيح . ان الحل الصحيح هو في ان يكافح كل شعب وكل

أناس يعانون من الاضطهاد او الظلم ضد ما يعانون منه لايجاد حل للمشاكل في البلد الذي يوجدون فيه . ان الصهيونية التي حملت لواء فكرة جلب اليهود من جميع انحاء العالم الى فلسطين على اساس الصلة التاريخية بين اليهود وهذه البلاد قد اساءت استغلال هذه الصلة ولم تضع في حسابها وجود شعب فلسطيني في هذه البلاد له حياته وثقافته التي استمرت خلال الفين من السنين . وعندما فكرت في قيام دولة اسرائيل على اساس العطف على الشعب اليهودي والتضامن معه في كفاحه ضد مضطهديه اتضح لي في سنة ١٩٤٧ ان الشعب اليهودي يرغب حقا في ايجاد مكان له يجيء فيه بهدوء ويدبر فيه امور حياته القومية كما يرغب ، لكن الصهيونية لم تقدم له ذلك بل فعلت العكس . فقد اظهرت رغبتها في التوسع . ولم تكتف بالمليون انسان عربي الذين طردوا او هربوا من الحرب ، بل ان لديها رغبات في التوسع تتعدى الاماكن التي احتلتها بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتطمح في تحقيقها في مراحل قادمة لاكمال احتلال المناطق التي بقيت للتوصل الى حدود مملكة اسرائيل التاريخية .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي عندما دخل الى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء لم يستقبله السكان المحليون أصحاب الحق المبدئي والاساسي فيها بالترحاب والاكبار كما كان الحال ، ابان الحرب العالمية الثانية ، في فرنسا والاتحاد السوفييتي وجميع البلدان التي كانت تحت ظل الاحتلال . ان من حق السكان العرب الذين يرزحون تحت نير الاحتلال ، بل من واجبهم ان يحاربوا الاحتلال بجميع الوسائل التي يرونها صحيحة ويتسنى لهم استخدامها ، كما ان هذا ايضا هو واجب جميع محبي السلام والحرية في دولة اسرائيل سواء كانوا عربا او يهودا .

ان الاحزاب في دولة اسرائيل هي في غالبيتها احزاب صهيونية . ورغم ان هنالك احزابا لا تنتمي الى الفكر الصهيوني فان مجرد موافقتها او تسليمها بالحقائق التي تخلقها الصهيونية تجعلني اعتبرها مساعدة للصهيونية ومتقبلة لها . ولهذا لا اجد لي مكانا في اي حزب من هذه الاحزاب رغم ان البعض القليل منها لديه استعداد لقبول الاعضاء العرب في صفوفه . وبعد الحرب شعرت بالحاجة الى اقامة تنظيم جديد يسير على هدى الماركسية — اللينينية ، آخذا بعين الاعتبار تجارب وتعاليم الثوريين الاخرين في العالم مثل البطل الاممي تشي غيفارا وزعيم الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ . وقد توخيت في التنظيم الذي فكرت في اقامته ان يضم ، قبل كل شيء ، جميع اولئك الاشخاص في اسرائيل ، من يهود وعرب ، ممن يتوفر لديهم استعداد للالتزام بالعقيدة والايديولوجية الاشتراكية ، والعمل من اجل هذا البرنامج والمشاركة في جميع نشاطاته الفكرية والتنظيمية . ان هدف هذا التنظيم هو اقامة نظام اشتراكي في اسرائيل والدول العربية. وللاسف الشديد لم تتم بعد صورة هذا التنظيم كما توخيت ، وقد راعيت في تحديد اطار العلاقات بين الاعضاء الانضباط بالديمقراطية المركزيةبحيث يختار الاعضاء ، بصورة سرية ، قيادة التنظيم التي تتولى ادارة وتوجيه نشاطات التنظيم بحيث لا يتصرف كل عضو كما يحلو له . انا أؤمن بأن أعضاء التنظيم من اليهود لهم مكان فيه وهم يشاركونني في هذا الهدف لانني لا ارى اي تنظيم فلسطيني يأخذ في برنامجه الشعب اليهودي بالحسبان . وبغض النظر عن عدد اليهود الموجودين في البلاد فأنا لا أدعو ولن أدعو في أي وقت الى طرد اليهود او القائهم في البحر . بل على النقيض من ذلك ، انا اقف ضد هذا التوجه بكل قوة ، وأنا على استعداد لتقديم كل ما بوسعي تقديمه للحيلولة دون معاناة أي انسان بسبب أصله او دينه او قوميته . والاعضاء اليهود في التنظيم يشاركونني في هذا الهدف . ونحن يوجد لنا برنامج هدفه الاشتراكية . ان الاشتراكية هي الهدف المشترك لجميع الكادحين والفلاحين والمضطهدين في المجتمع الاسرائيلي . ويوجد لليهود قسط ، ويجب ان يكون لهم قسط ، لانهم اعضاء متساوون معي في التنظيم،

من اجل اقامة حكم جديد ونظام جديد يوفر للشعب اليهودي وللشعب العربي المشاركة بفعالية في نضال الشعب العربي من اجل التحرير .

ان الصهيونية في كل تاريخها في البلاد سواء قبل قيام الدولة او بعد قيامها وضعت الشعب اليهودي والسكان اليهود في صراع مع الشعب العربي الفلسطيني وباقي الشعوب العربية . وهي بدل ان تتخذ لها موقفا سياسيا ملائما ومحايدا او مؤيدا للصراع العربي من اجل التحرير الوطني والاشتراكي تقف بجانب عدوه ، بجانب الامريكيين الذين يضطهدون الشعب الفيتنامي . والى جانب الامبريالية الامريكية التي تستغل شعوب امريكا اللاتينية وشعوب اسيا وافريقيا ، وتضع الشعب اليهودي ضد الشعب العربي الى الابد ، واني اعتقد ان هذا الموقف هو موقف اجرامي بحق الشعب اليهودي والشعب العربي على حد سواء .

ليس هناك اي اساس للاعتقاد بأن منظمتنا مرتبطة بالاستخبارات السورية او بالاستخبارات المصرية او مع اية استخبارات اخرى . نحن نعتقد اننا هنا لسنا الوحيدين المشتركين بل لنا شركاء من دول عربية اخرى لا يؤمنون بالحدود الحالية القائمة ، واذا كان لنا اي ارتباط مع اية دولة اخرى فهو ارتباط على اساس المشاركة الايديولوجية والمشاركة في الهدف .

ان حبيب قهوجي متهم كعميل اجنبي وانا متهم بالارتباط او بالاتصال معه. لقد ولد حبيب في فلسطين ، وهو من مواليد قرية فسوطة الموجودة على حدود دولة اسرائيل . انه أنسان ، اعرفه بصفته معلم وشاعر وكاتب وبصفته انسان وطني ومتطور بأفكاره . انني اعرفه منذ خمس وعشرين سنة ، وحبيب قهوجي عندما كان موجودا هنا في البلاد الى حين حرب الايام الستة كانت له اراء قومية متطرفة ، ولكنه بعد الحرب ابتدأ يفكر بشكل آخر ، ولقد ابتدأ يفكر بالمضمون الاجتماعي لحركة التحرير القومية العربية .

انا لا أقول ذلك للتمويه بل لانه سبق لي وتناقشت مع هذا الانسان ، وعندما ناقشته فيما يتعلق باشتراك اليهود في التنظيم وبمكانهم فيه ، وافق على هذا الاشتراك وقال انه عدل ولليهودي كل الحق ، ولقد اعترف بحق الشعب اليهودي بالعيش معنا في دولة واحدة ، تتصرف بمساواة تجاه جميع مواطنيها . وهو — كما اعتقد — وحتى الان ، لا أؤمن انه عميل اجنبي . وهو غير مرتبط مع اية استخبارات ، انه يقاتل من أجل الحرية، انه مضطهد وقد طرد من البلاد على ايدي السلطات الصهيونية ، واذا كان له اي اتصال مع عرب من خارج البلاد ، فهذا الاتصال هو مع اناس وليس مع سلطات او غيرها ، اتصال مع اشخاص يشاركونه كفاحه من اجل التحرير الوطني والاجتماعي سواء كانوا من منظمات فلسطينية او من احزاب قائمة في الدول العربية بما فيها سوريا . لقد ابتدأ اتصالي مع هذا الشخص بعد ان استلمت منه رسالة عن طريق جد امرأته ، يطلب مني فيها كتبا اختارها انا والتي أرى فيها انها تتوافق مع افكاره لانه يريد مطالعتها ،فارسلتها له بشكل منتظم بالسبل الاكثر قانونية وبواسطة البريد . ان الطرود التي ارسلتها لحبيب قهوجي كتبت عليها عنوانه الكامل وعنواني الكامل في اسرائيل . لقد كان لي اتصال مع حبيب قهوجي وتحدثت معه عدة مرات بالاضافة الى الاحاديث اليومية التي كنا نتبادلها عندما كان في البلاد حتى عام ١٩٦٨ . وقد قلت له في الخارج عندما تحدثت اليه اننا نعتقد اننا العرب واليهود يجب ان نمنع هذه الحرب الدموية الدائرة منذ ٢٥ سنة . وحسب ما نرى اليوم لا نهاية لهذه الحرب ، وان من واجب كل انسان وطني ، وكل انسان يفكر بمستقبل شعبه والشعوب الاخرى وشعوب العالم ، ان يجد طريقا لتنظيم يهودي — عربي يكافح ويحارب من اجل تغيير انظمة الحكم ، والسلطات الحاكمة في البلاد وفي الدول العربية .

وكان حبيب قهوجي مشاركا لرأيي وهو أيضا ضد مضطهدي الشعوب في البلاد وفي الدول العربية . وهو يرى ان هذا الاضطهاد يعمق الانقسام بين الشعب اليهودي والشعب العربي مع ان مستقبلهم واحدا اذ سيعيشون معا في وطن واحد وفي ظل دولة واحدة ، متحررة من أي تأثير اجنبي ومتحررة من كل استغلال اجتماعي .

عندما اعترفت امام المحققين قلت انني طلبت من حبيب قهوجي سلاحا ، وكان قصدي ان ذلك سيكون لامد بعيد ، اي من اجل الدفاع عن النفس ، اي في حالة تعرض تنظيمنا لهجوم من جانب « رابطة الدفاع اليهودية » التابعة للحاخام كاهانا . وقلت في اعترافي ان تنظيمي سيكون سريا ، ليس لاني اخاف التعبير عن افكاري ، وانما لان مجرد التعبير عن آرائي سيسبب لي الاضطهاد والمضايقة في سبل العيش . ولو عبرت عن آرائي فان مصادر رزقي ستضرب ، كما علمتني التجارب .

ان الديمقراطية في دولة اسرائيل هي ديمقراطية الطبقة الحاكمة . وهي ليست ديمقراطية كاملة . واذا حدث ان ادى استعمال هذه الديمقراطية الى تضارب مع مصالح الطبقة الصهيونية الحاكمة ، فعندئذ لا تبقى هناك ديمقراطية ، بل تنقلب للعكس تماما .

ومن تجربتي ، عندما كنت عضوا في الحزب الشيوعي خلال ١٦ سنة تعرضت لاضطهاد الدولة لانني عبرت في حرية عن آرائي وكان يجب ان احصل على حماية من هنا وهناك او ان ابيع آرائي ومعتقداتي واتنازل عن ابسط الحقوق الاولية لاي انسان ، وهو حقه في التفكير دون حدود ، ومع ان هذا التفكير وهذا الحق مؤمنان في الديمقراطية وجدت ان هذه لا تكون ديمقراطية كاملة اذا لم تؤمن العيش لانسان يفكر بعكس ما يفكر الحكم ، وعقليته تتعارض مع عقلية الحكم القائم . واليوم كل انسان يعتقد بأمور تناقض ما يعتقده الحكم ، أو يتنفس هواء دون موافقة الطبقة الحاكمة في البلاد هو عميل ، وخائن . وقد تأثرت جدا البارحة من شهادة الخبير عندما وقف وقال بالاضافة الى كل ما قاله . . . ان هذا الذي يأكل بيده اليسرى هو يساري رديء يكره اليهود ويريد ان يفني الشعب اليهودي .

لانه بمثل هذه العقلية وبمثل هذا التفكير يصعب على الصهيونية محاربة العرب الذين يناضلون من اجل الحرية ، والصهيونية تبحث لها دائما عن دواع ووسائل للدعاية امام الامم لتظهر المناضلين العرب بانهم ضد اليهود وانهم يكرهون اليهود ويبغون ابادة الشعب اليهودي . ان هذا الحكم وهذه العقلية لا تتحمل اشخاصا مثلنا ، يعملون معا يهودا وعربا ، لأن هذا الوضع يخرب لهم كل برامجهم ، والطريق التي يسيرون عليها والتي ساروا عليها منذ تأسيس الحركة الصهيونية والهجرة الاولى الى هذا البلد ، والطريق التي ساروا عليها هي طريق التفرقة ، لقد كانوا ضد سكان البلد الاصليين ومع المهاجر الغريب . لقد قلت في سياق اعترافي انني قابلت حبيب حسب طلبي ، وقد قابلني مع شخص شعرت من لهجته بانه فلسطيني مقيم في مصر . ان هذا الشخص ليس من الاستخبارات المصرية ، ولكنه ، حسب ما اعتقدت في ذلك الوقت ، وفي تلك الساعة ، انه رجل يستطيع ان يشاركني في قسم كبير من آرائي .

ان هدف تنظيمي لم يكن ليمس سيادة دولة اسرائيل ، ولكن ضمن هذه الحدود ، ومن خلال هذا النضال المشترك كنت انا — والذين سيجيئون من بعدي — وعندما يحين الوقت سنعمل ما اردنا الا وهو ثورة اجتماعية — وهذا كان سيأخذ منا وقتا كثيرا جدا حتى نصل اليه . وعندما اقول : « عندما يحين الوقت » لا اعني غدا او بعد غد . ان الشكل النهائي لتنظيمي لم يكتمل . قبل كل شيء نحن عشرون شخصا او مئة شخص لا نستطيع ان نجرب اسقاط حكم او قلب نظام حكم .

من قبل ، كان هذا الشيء أصعب بكثير من ان يجرؤ شخص في مثل ظروفنا ان يفكر به

كان هذا الشيء بعيدا جدا عن التفكير ، او حتى ان يسمح اي انسان لخياله ان يتصور انه يمكن ان يحصل غدا او بعد غد او بعد عشر سنين .

ان هذا الشيء وهو قلب الحكم واقامة حكم من طبقة العمال والفلاحين يستغرق وقتا كثيرا من التهيئة الفكرية ، والتنظيم ، ودرس المشاكل ، وكل هذه الاشياء . ورغم كل هذا فنحن نقول ونعترف اننا لا نستطيع اسقاط هذا الحكم الذي يمثل طبقة الحاكم ـ الطبقة البرجوازية ـ طبقة الذي يمثل الصهيونية ، نحن لا نستطيع ان نغير هذا الحكم او ان نسقطه الا بالقوة . انا اعترف بذلك ملء فمي . وعندما فكرت بالعمل ضمن حدود تنظيمي ، لم افكر بمساعدة العدو ، ولم افكر بمساعدة اي عدو كان ضد اسرائيل . وفي ارتباطي مع حبيب قهوجي ، انا وهو بصفتنا اعضاء في هذا التنظيم الذي هو تنظيم اقليمي محض وبصفتنا شركاء في هذا التنظيم تبادلت معه الآراء ، واذا سلمته اي شيء فلم اسلمه سوى معلومات عن الاعضاء في التنظيم وعن التنظيم ذاته .

وانا لم اسلم له اية معلومات تمس أمن الدولة او تساعد اعداء الدولة او تساعد العدو . وخلال وجودي في سوريا ، زرت دمشق ، ولم يكن لي اي اتصال مع اي شخص ذي صفة رسمية .

ان أهم اتصال لي كان مع حبيب قهوجي ومع اشخاص اخرين غير مرتبطين بالسلطة حسب ما فهمت من آرائهم وانهم فلسطينيون حسب ما تأكد لي جيدا من لهجتهم العربية الفلسطينية .

انني استغرب اعتقال حبيب قهوجي عند اندلاع حرب الايام الستة ، لا اعرف التهمة الموجهة اليه ، بل التهمة المزعومة بان له ارتباطات مع الاستخبارات المصرية . انني استغرب ، كيف تطلق السلطات بعد عام سراحه مع انها تقول انها تملك مستمسكات ضده . بودي ان اذكر واشير هنا ان زيارتي له في ١٩٦٩ كانت على اساس انه لا يعتبر رجلا خطرا في نظر السلطات ، ذلك انه لم يقدم الى المحاكمة ، الامر الذي دفعني للاعتقاد بانه من الممكن والمسموح اجراء اتصال مع هذا الرجل ، والاستمرار بتنمية زمالتي وعلاقتي معه .

عند الساعة الحادية عشرة والنصف قدمت مجموعة من عناصر الاستخبارات « الشين بيت » برفقة شرطي واحد يدعى مئير ياشي ، واخذت تفتش منزلي ، وبعد ذلك بساعة واحدة اعتقلت حيث اعتليت سيارة برفقة الشرطي والسائق توجهت بي الى مكان ما لم اتمكن من معرفته الا بعد مضي وقت على اعتقالي . وصلت الى المعتقل بعد ٤٥ دقيقة وهناك ادخلوني غرفة معزولة ، استطعت ان أنام فيها ساعة واحدة ، وفي الساعة الثانية والنصف ليلا ايقظني المحققون فجأة . لقد كان النعاس يداهمني لانني لم أذق طعم النوم خلال ٤٨ ساعة بسبب كثرة المشاكل التي كنت اواجهها .

داهمني المحققون بهذا السؤال : اين ابنتك عايدة الان ؟ عايدة هي ابنتي البكر ، وهي غالية على نفسي ، ان ما افتقرت اليه في هذه الحياة اردت ان اصل واياه اليه . ان ابنتي عايدة الفتاة العربية الوحيدة والاولى التي قبلت في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا ، حيث درست ثلاثة اعوام موضوع الهندسة الكيمائية . والان يجيء المحققون ليسألونني عن اعز ما املك . اين ابنتك عايدة ؟ انني اعلم ان ابنتي تتلقى دراستها في جامعة استانبول في تركيا . ان واقع طرح السؤال بهذا الشكل اثار في نفسي الشكوك حول مصيرها . فلربما حدث لها مكروه على يد رجال الشين بيت . فسئلت : أين هي ؟ قلت لهم انها في تركيا ، بيد انهم قالوا لي لا . قلت لهم انها في تركيا ، وسألتهم اين هي ، هل هي موجودة هنا ؟ قالوا لي « احزر » . اذا اردت ان لا يمسها مكروه وان لا يتحدث معها احد لتستمر في دراستها في تركيا فما عليك الا ان تحدثنا حول

قضيتك بالتفصيل وحول ما جرى معك . في تلك اللحظات كنت اريد ان اكون مطمئنا عن وضع ابنتي عائدة ، هل هي بخير ام لا . قال المحققون : ان باستطاعتنا عمل كل شيء، لان ذلك امرا سهلا بالنسبة لنا ، فنحن مرتبطون مع السلطات التركية بعلاقات حسنة للغاية ، وباستطاعتنا الاتصال مع السلطات التركية لابلاغهـا باننا سحبنا الجنسيـة الاسرائيلية عن هذه الشابة ، لانها تقوم عندكم بنشاط سري ، فيقومون باعتقالها ، وأنت تدرك سلوك السلطات التركية وتصرفاتها الوحشية . انهم يعرفون كم اعز ابنتي عايدة فهي بالنسبة لي عالمي الذي اريده . قالوا لي : اذا اردت ان لا يحدث لابنتك مكروه فما عليك الا ان تروي لنا ما جرى ، وبذلك نضمن لك سلامة ابنتك ومواصلة دراستها في تركيا . لم اكن انا الذي طلبت من المحققين اتفاقا كهذا . منذ اليوم الاول بل الدقيقة الاولى من التحقيق ، اثاروا موضوع ابنتي عايـدة واستغلوهـا في جميع المناسبات في التحقيق ، استغلوها عندما وجدوا صعوبة في ارغامي على التفوه بامور ليست قـائمة حول زملائي ورجال اخرين .

قال لي المحققون انك تراسل ابنتك عايدة ، لتقوم هي بدور تحريرها الى الاستخبارات السورية والمصرية . قلت : نعم انني اراسل ابنتي عايدة ، وليس الاستخبارات سواء منها المصرية او السورية . بل حبيب قهوجي الذي كنت اراسلـه واكتب اليه حـول المشاكل التي اواجهها في التنظيم ، كما وكان يكتب الي حول مشاكله هو الاخر في التنظيم، ومشاكله مع اصدقائه الذين يعيشون معه في البلدان العربية .

اثناء اتصالاتي مع حبيب ، كنت اجهل ان يكون له ارتباط مع الاستخبارات السورية ، ولا زلت حتى الان متأكدا من انه لا ينتمي الى اية استخبارات ، ومن هنا فانني لم ارسل معلومات الى أية استخبارات . ليس هدفي ، او هدف تنظيمي ، المس في أمن الدولة .

خلال استجوابي وجدت نفسي مضطرا لاستخدام المصطلحات التي يستخدمها المحققون، لانهم ارادوا ان اقول : منظمة تخريب ومواد تخريب واستخبارات . واذا ورد علـى لساني اسم شخص مصري ، كانوا يهتمون باضافة صفة عليه دون علمي . لم يقرأوا الاستجواب الذي اخـذوه مني ، كانوا يضيفون في افادتي مصطلحـات وتعابير مثل : استخبارات سورية او استخبارات مصرية ، او مواد متفجرة ومنظمات تخريب .

كان التنظيم يسعى الى الثورة الاشتراكية واقامة النظام الاشتراكي ولم يدر بخلدي ولو للحظة واحدة انه يمكـن الوصول الى هذا الهـدف بواسطة قتل اناس او التعـرض للمواطنين . بل اعتقد ان الطريق للوصول الى هذا الهدف يأتي فقط عن طريق تجريـد العدو الطبقي من سلاحه وسلبه امكانية الاستمرار في حربه ، كما وانني لم افكر بانـه ينبغي على ان اكون البادىء في حرب من اجل هذا الهدف ، انني لا اعتقد بانه من الممكن بهذا العدد البسيط البدء في ذلك . واذا كان لدينا عدد اكبر فاننا نبدأ فقط اذا اصبحنا في وضع لا نستطيع فيه تحمل اساليب القمع والاستغلال التي يتبعهـا النظام . هذا مـا اعتقدته ولا زلت اعتقده حتى اليوم .

بالرغم من كوني مواطنا اسرائيليا فانني اعتبر نفسي عربيا فلسطينيا وجزءا لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني الذي يعتبر جزءا من هذه الامة الكبيرة ، الامة العربية ، ومع ذلك فان نظرتي هي نظرة أممية ولا أجد أية حواجز بيني وبين رفاقي اليهود ، انني اؤمن ان من واجبي كعربي ، واؤمن ايضا انه من واجب رفاقي اليهود كيهود ، من أجـل مصلحة شعبهم ، ان نعمل جميعا جنبا الى جنب في الطريق الطويل . وان هنالك مكانا للشعب اليهودي ، بل ومن الضروري ان يساهم في هذا الهدف ، للحيلولة دون حروب أخرى وسفك مزيد من الدماء، ومنع العناصر الاجنبية من التدخل في سياستنا وشؤوننا. انني لا أكن الكراهية لاي شعب ، لا للشعب اليهودي ولا للافغاني ، ولا للفرنسي ، الا

اذا كان هذا الفرنسي ، بالرغم من انه يؤمن بنفس الديانة التي أؤمن بها ، يجيء الى هذه البلاد بنفس الشكل الذي سلكته الصهيونية ، فانني أعارضه .

ان تاريخ شعب هذه البلاد ، اثبت ان مقاومة الشعب العربي للمستوطنين الذين يأتون رغما عنه ، لم تكن من خلال نظرة عنصرية او شوفينية ، بل من خلال منطق مقاومة الاحتلال والسلطة الاجنبية .

(٢) افادة اودي اديف

انني أعتبر نفسي شيوعيا ، صاحب فلسفة حياة ماركسية لينينية ، وعندما اقول فلسفة حياة ، فانني اقصد النظرة الى التاريخ ، وبموجب هذه الفلسفة فان التاريخ ليس مجموعة عشوائية من الاحداث تتكرر دونما نظام أو أسلوب بل هو مسيرة ذات بداية واتجاه مسيرة مليئة بالتناقضات والمفارقات التي تخلق أحيانا انطباعا بأن لا قانون يحكمها وليس ثمة شيء ما يتخطاها بينما هي مسيرة تحكمها قوانين معينة تكتسب الاحداث ضمن اطارها معناها ووجهتها . وهذا التطور التاريخي (بموجب السطر الاول في البيان الشيوعي) ليس الا تاريخ حرب الطبقات ومنذ المرحلة التاريخية التي أصبح الانسان فيها قادرا على حيازة ممتلكات وبشكل خاص طعاما وجدت الفروقات بين الطبقات وعندما حوّل صاحب الاملاك ابن القبيلة الاخرى الذي اعتاد سابقا أن يقتله الى عبد لديه ، وفي هذه المرحلة تماما نجحت ضرورة قيام نظام حكم يحمي اصحاب الاملاك من عبيدهم الذين لا أملاك لهم (ويمكن الافتراض ان مثل هذا التطور قد حدث في تاريخنا عندما طلب ابناء اسرائيل من شموئيل أن يتوج ملكا عليهم) ومنذ ذلك الوقت وحتى الان تفسر كل الحروب وكل الثورات الكبرى ، جميعا على هذا الاساس ، صراع الطبقة المضطهدة ضد مضطهديها ، وفي مرحلتنا أصبحت الطبقة المتسلطة طبقة عالمية تتخطى اطار الدول مركزها في الولايات المتحدة الاميركية واسمها الاستعمار . ان الاستعمار من الناحية الاقتصادية نظام معقد لا مجال لشرحه هنا بل انني أيضا لا أدعي فهمه حتى النهاية ولكنه في الاساس نظام جمع رأسمالا كبيرا على مدى مئات السنين ويستعبد بواسطته جميع اجزاء العالم الاخرى .

ويقوم الاستعباد على مبدأ هدم الاقتصاد التقليدي المحلي وادخال البلد في اطار سوق منتوجاته ، وهي عملية تمت في القرن الماضي ومطلع القرن العشرين عن طريق الاحتلال العسكري واحياء الاستعمار الجديد بمساعدة حكومات الدمى (التي تضطر ، نتيجة لضغط الجماهير أن تتحول الى نظم ديكتاتورية أكثر فأكثر) . ان جوهر علاقات الولايات المتحدة واوروبا الغربية مع دول افريقيا وآسيا واميركا الجنوبية هو اخراج المواد الخام بسعر رخيص ثم بيعها كمنتجات صناعية جاهزة بسعر غال مع الحرص الدائم على الا تنجح اية دولة في الوصول الى وضع تصبح فيه مؤهلة بمفردها لاستغلال كنوزها الطبيعية والافلات بذلك من اطار وصيغة استغلالها من قبل الاستعمار .

كل ذلك كان صحيحا حتى الثورة الروسية حين تحررت دولة او الاصح نصف قارة لاول مرة من علاقات الاضطهاد هذه . وأقصد بذلك ان طبقة العمال في روسيا استولت على السلطة وحاولت لاول مرة في التاريخ أن تقيم نظاما لا يكون كله اضطهاد للاغلبية العاملة من قبل الاقلية صاحبة الاملاك بل على العكس نظاما يدافع عن الاغلبية ، العمال والفلاحين ، ضد الزعماء الحاكمين في العالم بأسره والذين اتفقوا معا على العمل

لاسقاطه (وجدير بالذكر ان هذا ليس الا تفسيرا شعبيا بعيدا عن الادعاء بأنه تحليل علمي دقيق للثورة الروسية) .
لكن الناحية الاقتصادية ، تقدم تفسيرا فقط وتصف الاساس أي اطار النظام الذي هو في النهاية نظام انساني . ولكي نفهم ونستوعب المعنى الكامل للاستعمار ، يجب ان نلقي نظرة على قيمة الانسان في هذا النظام ولا أعتقد بأنه سيصعب عليّ تصوير ذلك . ها أنا أرى الحقائق الواضحة التالية ماثلة أمام عيني : الظلم ، المقاساة من التمييز العنصري، ملايين الناس المقتولين من ابناء البشرية من جانب ومن الجانب الاخر أقلية صغيرة صاحبة امتيازات هي المسؤولة عن الوضعية التي يقاسي منها اولئك الملايين . ولا بد من ان أضيف هنا المقولة التي تظل صحيحة على المستوى العالمي وان كانت ليست بذات المقدار من الوضوح في اوروبا حيث يتم توزيع بشكل اكثر تساويا ولكن هذا لا يغير الصورة العامة لوضعية الانسان داخل هذا النظام ، هذه هي الخلفية العامة للموضوع المسمى الصهيونية — دولة اسرائيل — الثورة الاشتراكية .
ان الحركة الصهيونية منذ بداية نشوئها وأعني بها الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل والتي رأت في الامبريالية التي كانت أوروبه آنذاك حاميتها وراعيتها ، ليست حركة تحرير قومية للشعب اليهودي كما يحاولون تصويرها وانما هي ترتيب مع المضطهد (بكسر الهاء) يصبح الشعب اليهودي بموجبه محاربا مرتزقا وشرطيا لحساب راعيه في كل انحاء العالم الثالث . وكما قال هرتسل ، كان الهدف اقامة مستعمرة اوروبية في آسيا ، مستعمرة تحمي مصالح اوروبه . ومن الواضح ان تاريخ الحركة الصهيونية يعزز وجهة النظر هذه . في البداية كانت تركيا والمانيا هي الراعية للصهيونية ومن ثم حلت محلها انكلترا . وبالطبع لم تكن الامور بهذه البساطة. أقصد بذلك انه من الصعب القول ان الصهيونية كانت وما تزال مجرد أداة في أيدي القوى الكبرى الامبريالية حيث انه كان وما زالت لها مصالحها الخاصة . وكانت خدمة مصلحة الاستعمار في المنطقة وراء الرغبة في قيامها . ومن المهم ان نشدد هنا على الفرق الكبير القائم بين الصهيونية السياسية الهرتسلية ، ومتمميها ، وايزمن ، بن غوريون وبين كل حركات حب صهيون وعلى سبيل المثال حركة « احاد هعام » ، وهي التي رضعت من مصادر اخرى تماما . ان فكرة احاد هعام عن صهيون كمركز روحي كمكان لهجرة* ثقافية من الشعب اليهودي ، كطريق لاعادة ايمانه بنفسه ولتجديد حياته ليس فيها ما هو مرفوض ، وكل علاقة بينها وبين الصهيونية السياسية هي محض صدفة ، وهكذا كانت العلاقات فعلا كما هو معروف بين احاد هعام وهرتسل .

ولاثبات الموضوعة المذكورة اعلاه ، الارتباط بين الصهيونية والاستعمار ، قد يكون من الضروري ان نورد هنا تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين في الـ ٧٠ سنة الاخيرة . ولكن لا أنوي القيام بذلك حاليا وانما سأكتفي هنا بذكر عدد من المؤشرات الهامة :

أولا : وعد بلفور ، تصريح من الدولة الاستعمارية الاولى في العالم يتضمن حقيقة التبني. تعترف بريطانيا انها تنظر بعين الرضى الى الحركة الصهيونية وتنوي دعمها .

ثانيا : الارهاب العربي في فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ المسمى في قاموس المصطلحات الصهيونية « أحداث الـ ٣٦ » . تمرد جزء كبير من السكان العرب في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ولكي يقمعه البريطانيون حشدوا عددا من الفرق العسكرية وهي قوة كبيرة بالمقاييس التي كان متعارفا عليها ، وما كان معروفا باسم السكان اليهود تم تجنيده لقمع هذا التمرد (انظر كتاب « شبيتاي طيبت » ، موشى دايان) .

ثالثا : حرب ١٩٤٨ ، مؤامرة بريطانية صهيونية اشترك فيها الملك عبدالله لتقسيم الدولة

* الكلمة العبرية التي تعني « هجرة » هي ذاتها التي تعني « حج » وقد يكون المقصود المعنى الثاني للكلمة.

الفلسطينية التي كان من المفروض قيامها مع خـــروج البريطانيين في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

وجدير بالملاحظة ان تسلم حزب العمال للسلطة بعد الحرب العالمية الثانية للمرة الاولى ادى الى جعل الزعامة الصهيونية على مدى فترة قصيرة جدا تتخذ خطا معاديا لبريطانيا ولكن هذا الوضع كان استثنائيا ومخالفا لطابع العلاقات الذي ساد دوما بين الزعامة الصهيونية وبين بريطانيا ـــ وحتى هذا الخلاف سوي بعد وقت قصير . ولاعطاء فكرة عن تناقض وجهات النظر بين الصهيونية وبريطانيا فانه شبيه الى حد بعيد مع ما هو قائم (أو كان قائما) بين المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وبين باريس ، وحيث كانت الصهيونية ، كما هو الوضع حاليا مع الولايات المتحدة تحاول أن تقنع بريطانيا بما هو افضل بالنسبة لها (بريطانيا) .

رابعا : عملية سيناء ، ربما كانت هي التعبير الاوضح ، والاقل اثارة للاختلاف من كل الاحداث التي أشرت اليها عن التماثل بين الزعامة الصهيونية والاستعمار وتضامنها معـــه .

خامسا : حرب الايام الستة والفترة التي تلتها حددتا نهائيا موقع دولة اسرائيل كقلعة للاستعمار في هذه المنطقة .

ان جميع هذه المؤشرات تشرح السياسة فقط اي الارتباطات والاطـــار الذي عملت الحركة الصهيونية ضمنه ولا تزال . لكن الذنب الاساسي الذي ارتكبته هو عملية سلب الشعب العربي الفلسطيني الذي سكن هذه الارض . وما أقصده هنا ليس كل تلك الحكايات عن شراء وبيع الاراضي حتى سنة ١٩٤٨ رغم أن جرائم ليست قليلة نفذت في هذا المجال أيضا . انني اقصد عملية السلب الكبرى العظيمة في حرب ١٩٤٨ والتي تمثلت في سلب مئات الالاف من البشر ( ) أيا كانت ضحية السلب ( ) مدنا كاملة ، مئات القرى ، ملايين الدونمات الزراعية ، كلها أفرغت من سكانها ببساطة وسهولة. هذا هو بخطوط عامة ، تاريخ دولة اسرائيل ولقد رافقت هذه الاعمال نقاشات حادة بين الاطراف المختلفة في الصهيونية ، التي تستطيع ان تثبت نوايا اخرى (نوايا) أفضل ، مثلا عند « هشومير هتسعير » (الحارس الشاب) . لكن كل هذه (النوايا) ظلت مجرد نوايا حسنة . وكما هو معروف فان الطريق الى جهنم مفروس بالنوايا الحسنة .

وربما كان بالامكان تبرير الصهيونية لو انها على الاقل مثلت حلا للشعب اليهودي . وبالنسبة لي كيهودي ، يكفي هذا التفسير لمعارضة هـــذه الحركة او تأييدها لكـــن الصهيونية كأيديولوجية ، ليس فقط لا تحل مشكلة اليهود بل انها تجعلها اكثر خطورة . وسيكون من غير الضروري ان نستعرض الحيثيات المضادة للصهيونية سواء جاءت من اليمين او من اليسار ، من المتدينين او غير المتدينين . وربما اود ان اذكر حيثية واحدة متجسدة في أناس من أمثال مئير كهانا* الذين يدعون ان ينتظر يهود اميركا ـــ الولايات المتحدة ـــ كارثة على غرار الكارثة النازية ولذلك فان عليهم أن يتركوا « أن يهربوا » الى الدولة الملجأ ـــ دولة اسرائيل . ولو كانت وجهة النظر هذه خاصة فقط بكهانا ، كان يمكن ان نفهم ، ولكن ان يتقبل جمهور كبير مثل المؤتمر اليهودي ويدعم الموضوعة التي تقول بأن الولايات المتحدة سترغب في ابادة يهودها وتدعم دولة الملجأ التي سيهربون اليها في الوقت ذاته ، مثل هؤلاء ، في الحركة الصهيونيـــة أناس ساذجون الى حـــد اعتقادهم بأن دولة اسرائيل تستطيع الصمود ليوم واحد دون دعم الولايات المتحدة . ان هذه سخافة مفضوحة . لكن الاساس ليس الايديولوجية التي لم تكن في يوم من الايام مقنعة وهي اليوم أقل اقناعا ، وانما المهم العمل الصهيوني . واذا كان الوضع غير

* رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، يميني عنصري معروف .

واضح أبدا لليهود المقيمين في اسرائيل قبل حرب الايـام الستة ، فانه أصبح بعدهـا واضحا تماما . فقد حولت الصهيونية ، او ، لزيادة الدقة ، الزعامة الصهيونية ، اليهود في دولة اسرائيل الكبرى الى شعب من الاسياد وفق النمط الكلاسيكي ، ومع كل العلامات الفارقة للاستعمار الاستيطاني والاضطهاد الاوروبي ضد شعوب العالـم الثالث . كل ذلك بدعم رأس المال الاميركي والسلاح الاميركي .

لقد قدمت المناطق المحتلة حديثا والممتدة على مساحة تزيد كذا ضعف عن المسـاحة السابقة ، والتي يستوطنها ما يزيد عن المليون عربي ، للاقتصاد الاسرائيلي أيد عاملة عربية من ناحية ، وقدمت من الناحية الثانية سوقا كبيرة للمنتجات . ويتم كل ذلك في ظل حكم عسكري يمنع عن هؤلاء المواطنين كل امكانية لمقاومة هذا الوضع او رفضه . ولكن الحقائق الجافة ، كالعادة ، لا تكفي للوصول الى فهم دقيق للوضـع بل يمكن التوصل لمثل هذا الفهم من خلال نظرتنا الى قضية اللاجئين في غزة . في سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، طردتهم الصهيونية من المجدل على سبيل المثال ، وحولتهم الى معدمين يسكنون في أكواخ لا تليق حتى بالحيوانات . واليوم ، وبعد عشرين سنة ، جاءت (الصهيونية) لاتمام المهمة ، لاستخدامهم كعبيد لاقتصادها . وعندمـا يتجاسرون لرفع رؤوسهـم للمعارضة ، يدخلون لهم حرس الحدود والجرافات وينكلون بهم . ان حكومة اسرائيل تعرض اليهود أمام أعين العرب في المناطق القديمة (المحتلة سابقا) والجديدة ، وفي الشرق العربي بكامله ، على انهم محتلون « أصحاب عمل »* ومضطهدون (بكسر الهاء) . ان هذا الوضع يخلق هوة من الكراهية تتعمق وتتسع مع كل يوم يمر ، اذ انه مـن الواضح تماما ماذا سيكون عليه رد أولئك العرب — اللاجئـين في غزة على كل ما يعاملون به : قتل اليهود . وهذا هو بالضبط ما يحاولون القيام به . وحكومة اسرائيل ترد عليهم باللغة الوحيدة التي لديها « قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة » ، وهي طبعا التي تجعل مقاومة الجانب العربي اكثر حدة ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ان الدرس الذي تعلمته من تاريخ صراع المضطهدين (بفتح الهاء) من أجل التحرير ، هو انه ليس هناك اي نظام حكم أو دولة صمدت زمنا طويلا في هـذا الوضع . كل الامبراطوريات الكبيرة ، التي كان يبدو انها ستصمد بقوة حرابها الى الابد قد اختفت ، نزلت من على مسرح التاريخ . وأنا كشيوعي مقتنع بذلك دون أدنى شك . ان صراع المضطهدين (بفتح الهاء) عادل وسينتصر في نهاية المطاف . وفي ذلك اليوم ، وربما قبل ذلك بكثير ، اذا لم يتغير شيء في الوسط اليهودي في اسرائيل ، فسيكون مصير اليهود هنا سيئا ومريرا . انهم سيضطرون الى دفع ثمن غال جدا لاعمالهم ، بل حتى لسكوتهم في حال كونهم غير مشاركين عمليا في كل أعمال الصهيونية . ان وعي هذا الواقع الاعوج يجعل من الصعب التسليم به (أو الجلوس بهدوء) .

ومن المهم التأكيد انه ليس صدفة ان كل نشاطي السياسي ، وليس نشاطي أنا فقط ، قد أصبح مكثفا الى درجة كبيرة بعد حرب الايام الستة ، حيث نشأ وضع دولة محتلة ، وضع يضيف مع كل يوم يمر حقائق لا نهاية لها تعزز آرائي . وكما ذكرت ان نظرتي (فلسفتي) الى الصهيونية ، هي جزء من نظرتي الى العالم بشكل عام ، وحرب الايام الستة لم تغير ولم تجدد شيئا بشكل أساسي .

ما العمل ؟ كرد على هذا السؤال وضع لينين كتابا كاملا تقريبا ، أمـا أنا فسأحاول الاكتفاء بأقل من ذلك . الشيء الاول : ماذا تقترح الاحزاب أن يعمل ، وماذا تقترح المنظمات الشيوعية في اسرائيل ، راكاح — الحزب الشيوعي المؤيد للاتحاد السوفياتي ، وهو وفي للخط الروسي في التعايش السلمي ، ويسلم ، بل حتى يؤيد دولة اسرائيل الـ ٤

* ربما كان المقصود « مستعبدون » (بكسر الباء) .

حزيران (يونيو) . انها تتجاهل تماما المشكلة الفلسطينية ـــ الصهيونية التي هي في اساس كل الصراع الشرق أوسطي ، أي انها ترى مشكلة الشعب العربي الفلسطيني كمشكلة اقلية مضطهدة في دولة اسرائيل ، ومهمتها هي تبني نضاله العادل للمساواة في الحقوق . ان هذه (النظرة) لا تحل المشكلة ، انما هي تحاول جعلها اكثر صعوبة للهضم ، ونوع دعايتها أيضا هو انه سيكون من الافضل لاسرائيل أن تقبل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وأن تكون حيادية في الصراع بين الكتل ، وما شابه ذلك ، الامر الذي يدل على عدم فهم مطلق ، أو تجاهل واع لطبيعة الحـــركة الصهيونية وكان بامكـــان الصهيونية ودولة اسرائيل ان تختارا لنفسيهما طريقا آخر ، معادية للاستعمار . وبشكل عام يمكن القول عن نظرة راكاح انها ، كما ذكرنا ، انعكاس لنظرة البيروقراطية الحاكمة في الاتحاد السوفياتي ، التي يئست من قدرة الجماهير المضطهدة في بقية العالم على القيام بما قام به عمالهم وجنودهم قبل ٥٦ سنة ، اي القيام بثورة اشتراكية ، وهذه نظرة لا شيوعية ولا ماركسية ، لا أقبلها بالطبع . ماتسبين ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، بكل تياراتها ، هي صاحبة نظرية ، ايديولوجية صحيحة ، لكنها تفتقر تماما الى فصل « ما العمل » للوصول الى ذلك الشرق اوسط المتعدد القوميات ، الاشتراكي ، الذي تتحدث عنه ، وجميعهم في نشاطهم السياسي يقصرون كلامهم على دولة اسرائيل اليهودية وحدها . أي انهم يشغلون أنفسهم باقناع اليهود ، ويتجاهلون تماما النضال العربي ، وخصوصا ، النضال العربي الفلسطيني ضد الصهيونية ودولة اسرائيل . ان دلالة هذا التجاهل كبيرة ، اذ ينتج عنه نوعان من النضال ضد السلطة : أولهما : « ليس عن طريق القوة » كما يقول زعماء ماتسبن ، وهذا لا يؤدي الا الى كلام فقط . وثانيهما ، وهو الخاص بالعرب ، عمل غير نظيف وعنيف ودموي ، ولا اثر فيه للكلمة او الايديولوجية . ان هذا الوضع ، أبقى المشكلة ، من جديد ، بدون حل ، أي انه لم يقلص حتى الهوة القائمة بين اليهود والعرب في هذه البلاد ، ولقد بقيت كل مسببات انعدام الثقة والشكوك والكراهية من جانب العرب ، قائمة حتى بالنسبة الى اليسار اليهودي .

ان هذا الوضع الاعوج يجب تغييره ، وهذا ما حاولت ان أفعله ، بالتهيئة للنضال ضد دولة اسرائيل وهو ذلك الذي كان حتى الآن بمثابة حرب من جانب العرب ضد اليهود ، ونضال للمضطهدين ضد مضطهديهم ، في الوقت الذي يقف فيه كل من العرب واليهود على جانبي المتراس ، وتحويله من نضال قومي الى نضال طبقي ، وهذا يمكن عمله فقط بأن يقوم يهود ويثبتون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين ، بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ، ومستعدون أن يضحوا بكل ما لديهم ، وان يتعرضوا « للمعاملة » ذاتها وأن يقتسموا واياهم كل الامور ، دون أي تمييز أو افضلية لكونهم يهودا . وبدون ذلك لن يثق أي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة . وان أية ايديولوجية ، ولو كانت الاكثر مساواة وتقدمية ، لن تستطيع أن تقنع العرب ما لم يرافقها عمل من قبل اولئك الذين يحملونها . ان التنظيم الذي كنت عضوا فيه أصدر عددا من النشرات شرحت أهدافه وبرنامجه . وبما ان حلفاءنا في صراعنا هم المنظمات الماركسية اللينينية في المنطقة ، فقد حاولت وسأحاول طالما استطعت ذلك أن أتصل بهم من أجل خلق جبهة عمل مشتركة . ان موقفي من الكفاح المسلح هو موقف ايجابي ، طالما كان يعمل على دفع الثورة ، أي عملية تحرير الجماهير الى الامام، وبشكل ملموس، فان المقصود هو تنظيم يضم بعض مئات من الاشخاص ، ويعمل بشكل شرعي ، اي عن طريق الصحف والمنشورات والدعاية ، وبشكل غير شرعي ، اي عن طريق الجناح العسكري للتنظيم ، الذي يعمل من أجل تحقيق كل ما ذكر أعلاه .


الآثار الكاملة

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60 ($ 20), elsewhere LL 90 ($ 30); *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 45 ($ 15). *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا
٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

شؤون فلسطينية

٢١
ايار (مايو) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢١ . ايار (مايو) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صور الغلاف : شهداء الثورة الفلسطينية : ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان .

المحتويـــات

الثورة مستمرة

هذه الصفحات ليست رثاء .

فالانسان يرثي الاموات . ونحن ليس لدينا أموات . بل لدينا ثلاثة رفاق ، رفاق كبار ، موجودون معنا ، وسيظلون معنا ، ما دامت ثورتنا موجودة وباقية ومستمرة .

انهم باقون أبدا ، معنا ، يسيرون في نفس المسيرة ، ويشاركون في الجهاد حتى النصر .

ابو يوسف موجود وباق ، يحمل مشاكل شعبه ويكرس نفسه لثورته ، ولا يتعب ولا يتخاذل ولا يهدأ .

كمال العدوان موجود وباق ، يناقش ويصحح ويوجه ويحذر ويخطط ، بحيوية لا تضعف وديناميكية لا تنفد .

كمال ناصر موجود وباق ، يكتب ويخطب ويوفق ويؤاخي ، قلم لا ينضب لانه يعبر عن قلب دافق بالايمان والحب .

انهم معنا لانهم فينا . وسيظلون معنا لانهم سيظلون فينا .

لذلك نحن لا نرثيهم . ولا نبكيهم . ولا نلبس السواد . ولا نتقبل التعازي .

لكننا نتذكر . ولكننا نتعلم . ولكننا نحاول أن نقتدي . ونحاول أن نتمم الرسالة ونواصل السعي .

شؤون فلسطينية

الثورة مستمرة

فلنشدد ضرباتنا ...

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

كم هي حارة متفجرة دماؤهم لكي تفعل كل ذلك ؟ كم هي سخية معطاء لتتوزع على كل تلك الجماهير من المحيط الى الخليج ، فتسري في شرايينها ، فتجدد دماءها ، فتعطيها نفحة الامل والقوة ، وتشدد من عزيمتها واصرارها على مواصلة العطاء . هل يفعل الموت العظيم كل ذلك النصر العظيم . بلى وأكثر . ففي الاستشهاد ، تماما كما في الحياة ، كان أبو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان رموزا لعظمة شعبنا ، عظمة تضحياته وعظمة انتصاراته . وبظل من هذه العظمة المزدوجة صنع القادة الابطال النصر لثورتهم ولجماهيرها التي خرجت وهي تودعهم لتعلن تجديد بيعتها للثورة ومزيد التحامها بها والتفافها من حولها ، ولتكرس الى الابد من وحي تضحية الابطال المنتصرة أن دماءها ، دماء هذه الجماهير ، هي التي ستسدد الدين للقادة الذين استشهدوا ، وان اجسادها ، اجساد هذه الجماهير ، هي السقف الذي تستظل به الثورة وكل انجازاتها الرائعة .

ذلك هو المعنى الكبير لاستشهاد الاخوة رفاق الدرب الثلاثة: التضحية المنتصرة التي تكبت في القلب تفجرات الحزن وتبريح الالم. وهو المعنى الذي يرفعنا فوق الحزن وفوق الالم على جلال الحزن والالم . ان الانتصار حتى في الموت هو اجلى الحقائق التي تمخضت عنها مسيرتنا التي شارك في أرساء اسسها الاولى الاخوة رفاق الدرب . ومن وحي هذه الحقيقة كان تفجير الثورة في مطلع العام ١٩٦٥ ردا على الضعف والاستخذاء ، وكان استئنافها وتجديدها في آب ١٩٦٧ رفضا للسقوط والهزيمة . لقد ادركت ثورتنا منذ البداية ان قوتها تكمن في التحامها بالجماهير العربية التي احتضنتها بالفعل لانها كانت في الحقيقة تعبيرا عن مشيئتها . فوحدت الثورة ذاتها مع الجماهير

وجاهدت لان تكون في الوقت نفسه بؤرة استقطاب لقواها بحيث تعبر الواحدة من خلال الأخرى عن طموحاتها واهدافها .

وفي اثناء هذا التفاعل لم تكن القوى المعادية بغافلة عما يجري في الساحة العربية.فلاول مرة، منذ زمن طويل، تشهد هذه الساحة مثل هذا الالتقاء الوثيق العرى بين الطلائع المقاتلة والجماهير العريضة على اهداف واضحة وضمن استراتيجية معروفة الابعاد محددة الخطى.وكان هذا الالتقاء الامثل يعني تهديدا حقيقيا وجذريا للقوى المعادية المثلثة الوجوه : الصهيونية وركيزتها اسرائيل ، الاستعمار ومصالحه في المنطقة ، القوى المحلية العميلة التي ربطت مصالحها بمصالح الاستعمار.وكانت هذه القوى مجتمعة تعي ان استمرار الثورة وتصاعدها وشمولها والتحام الجماهير بها وما يمثل ذلك كله من حالة ثورية شاملة ومتقدمة على امتداد الوطن العربي، يعني تصفية للمصالح الاستعمارية في الوطن العربي ووضع حد لنهب خيراته واستغلاله ، كما يعني استحالة تمرير المشاريع الاميركية ــ الاسرائيلية ــ العميلة الهادفة الى اعادة ترتيب الخارطة السياسية في المنطقة العربية بحيث تضمن هذه الخارطة العتيدة تركيع الامة العربية واستسلامها وضرب قوى التحرر فيها لمصلحة العدو المثلث الوجوه وضمان سيطرته ونفوذه .

وفي سبيل المحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة ، من اجل ان يظل النفط يتدفق في شرايين مستغلي امتنا ومضطهديها ، من أجل أن تظل الاسواق العربية واجهة استهلاكية لمنتوجات السوق الرأسمالية الدولية ، من اجل ان يظل عمالنا يبيعون جهدهم وعرقهم لتجار هذه السوق وصناعييها بابخس الاثمان ، من اجل تمرير الحلول التصفوية الاستسلامية ولكي تظل اسرائيل حامية لكل هذه المصالح كان لا بد من ان يرافق ازدياد قوة الثورة تصعيد في شراسة الهجمة عليها وعلى جماهيرها العربية والفلسطينية على حد سواء بعد ان توحدت ذات الثورة مع ذات الجماهير . وتوزعت القوى المعادية الادوار فيما بينها ضمن مخطط واسع يستهدف الوجود الثوري نفسه من جهة وارادة الجماهير النضالية من جهة ثانية . وقد اندفعت القوى العميلة في هذا الشوط الى اقصى ما تستطيع ، وكانت الهجمة الشرسة التي قام بها النظام الهاشمي على قواتنا في الاردن حضيض ما انحطت اليه هذه القوى التي تآمرت على انبل ظاهرة انجبها تاريخ العرب المعاصر .

كما نهجت هذه القوى المعادية منهجا راهنت طويلا على نجاحه عندما سعت جاهدة الى تفكيك عرى التلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية. فقام النظام الهاشمي من جانبه بخلق النعرات الاقليمية وتغذيتها بين شعبنا العربي الفلسطيني الاردني الواحد ، كما عمدت اسرائيل على جبهة أخرى وضمن المخطط نفسه الى توجيه ضرباتها الى قرى الجنوب اللبناني بهدف استعداء جماهيرنا هناك على الثورة ومن ثم حرمانها من قواعدها البشرية المتينة .

وعندما فشل هدف اسرائيل في ذلك وظلت جماهيرنا في جنوبنا اللبناني درع الثورة وقاعدتها ، صعدت القوى المعادية من شراسة هجمتها ، فكانت العملية الاخيرة في قلب بيروت مزدوجة الهدف : تصفية بعض قادة الثورة ضمن مخطط تصفية الوجود الثوري نفسه ماديا ، وضرب العمق اللبناني لخلق حالة من التناقض بين مصالح الشعب والثورة . غير ان مراهنة القوى المعادية على نجاح هذين الهدفين كانت مراهنة خاسرة . فدماء ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ورفاقهم من الشهداء الابطال من فلسطينيين ولبنانيين انسكبت لتخصب تربة اللقاء والتلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية ، كما أن ضرب العمق اللبناني حفز كرامة جماهيرنا العربية في لبنان ووضعها بشكل حاسم في مواجهة صدامية مع العدو الذي وضحت من خلال هذه العملية صورته المثلثة الوجوه بعد ان اشارت جميع الدلائل الى ان تنفيذ العملية تم على أيدي القوات الاسرائيلية بمساعدة من الامبريالية الاميركية وعملائها . وبوضع جماهيرنا العربية في مثل هذه المواجهة الصدامية الحاسمة التي عمدت بالدم اللبناني في تلك الليلة حقق ابو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر باستشهادهم انتصارا اخر اضافوه بشرف ونبل الى انتصارات مسيرتنا المظفرة التي اثبت تاريخها وواقعها ان موت الرجال فيها هو قوة لها وتاجيج لعنفوانها وشموخها .

ان الالم بفقد الاخوة الثلاثة كان فاجعا . فابو يوسف كان متميزا بين الرجال ، ابو يوسف الرجل الذي كان يخفي خلف مرونته تصلبا في الحق وتمسكا بالمبدأ قل له نظير ، ابو يوسف سيظل بين الثوار بسلوكيته الصادقة وبتصلبه في الحق ، بعفويته الثورية النقية التي هي تعبير عن عفوية شعبنا وصدقه ، وسيظل الثوار من شعبنا يحملون ابو يوسف بقلوبهم ومع بنادقهم . وكمال ناصر ، ضمير

الثورة ، الرجــل الذي احب الجميع من ثوارنــا واحبه الجميع من ثوارنا ، سيظل رمزا كبيرا للنضال من أجل وحدة هؤلاء الثوار التي قاتــل الضمير من أجل الوصول اليها ، بأنبل دوافـــع الحب للثورة وأظهر الحوافز لتماسكها ووحدتهـــا . وكمال عدوان ، رجل المهمات الدقيقة ، الحاد بذهنية ذات رؤيـــة واضحة تدرك ابعـــاد العنـــف ومدلولاته ونتائجه ، والذي كان وجوده في كل مهمة عهدت اليه كثيفا ممتلئا . كمال عدوان ، مع استشهاده ، سيظل معنا بكل الوجـــود الكثيف الممتلىء الحاضر دوما ، وبكل العنف الثوري الهادف الذي كان كمال احد فرسانه .

الالـــم فـــاجع ، غير أن عظمـــة الثـــورة ، اي ثـــورة ، وجدارتها في الحياة هي في قدرتهـــا على تجـــاوز آلامهـــا والارتقاء فـــوق جراحها . وعلى الرغم من ثخانة الجرح الـــذي خلفه فقدان رفـــاق الدرب فلن نجهر بحزننا . فلقد ادركنـــا منذ الليلة التي التقت فيها بنادقنا لاول مرة واطلقنا فيها الرصاصة الاولى اننا جيل الاضاحي ، جيل الاجساد الممدودة جسورا ليعبر من فوقها العائدون المحررون . غير أن عزاءنا هو في وعينا لحقيقة شعبنا المعطاء السخي برجاله . ذلك هو العزاء الحقيقي الا انه مع كل هذا فان دماء رجالنا ليست رخيصة علينا . ان المسببين ــ كل المسببين ــ سيدفعون نزفا في مواردهم البشرية، نزفا في مصالحهم الاقتصادية ، نزفا في مؤسساتهم نفسها مهما كان شراسة هـــذه المؤسسات : احتلالا استيطانيا في ارضنا المغتصبة أم مصالح استعمارية تنهب ثروات امتنا في وطننا الكبير .

فلنشدد ضرباتنا في قلب فلسطين المحتلة ولتبـــدأ نضال جماهيرنـــا العربية في كـــل مكان ضد ركائز الاستعمـــار في المنطقة . هذا هو الشعار ، وهذا هو الرد . ووعدا منا للرجال الذين استشهدوا وهم واقفون : سنكمل المسيرة التي من اجلها استشهدوا ، فالبندقية التي رفعت مرة لن تنخفض مطلقا ، وثورة حتى النصر .

الثورة مستمرة

ابو يوسف ... رمز جيل كامل

خالد الحسن

شهيدنا أبو يوسف

كل كتابة عنه ستكون ناقصة ، لان قضيته لم تكتمل بعد .

ذلك أن أبو يوسف ، لم يكن في حياته وفي التزامه مجرد شخص اختار طريق النضال والثورة ، بل كان الى جانب ذلك نموذجا بارزا لجيل فلسطيني كامل . ومن خلال تمثيله لهذا الجيل ، ومن خلال تعبيره عنه ، اكتسب قيمته كمناضل وقائد .

في عام ١٩٤٨ شارك في القتال ضد اغتصاب فلسطين ، وخرج من مشاركته تلك ببتر في يده ، حمله علامة لا تزول تذكره بقضيته وبالثمن الذي تستحقه . وحين وقف عام ١٩٦٥ بين تلك الحفنة المجهولة من الرجال التي اعلنت انبثاق الثورة الفلسطينية وحددت لها هدف التحرير الكامل كان أبو يوسف نموذج التواصل في النضال . ولم يكن بذلك يمثل نفسه ، انما كان يمثل جيله بأكمله . هذا الجيل الذي لـم يخذله ، فلبى الدعوة حتى أصبحت احدى أقوى حقائق التحدي في المنطقة .

قبل ذلك ، واجه ابو يوسف مثل جيله بأكمله ، التشرد والجوع والفقر . وحين حملته احدى السفن الى سوريا قادما من مخيمات غزة كان بالكاد يملك ما يقيم أوده . ومن خلال نقطة الصفر التي كان عليها انطلق يواجه مشاق الحياة ، واستطاع بجهده وكفاءته أن يبني لنفسه حياة خاصة مريحة تغري اي انسان بالركون للراحة والهدوء . ولكنه أيضا مثل جيله بأكمله ، تخلى بسرعة وبوعي كامل عن كل ما بناه أثناء تلك السنين وقرر الالتحاق بالثورة . وأبرز بقراره هذا حنين الفلسطيني للارض واصراره على النضال من أجل العودة اليها . أثبت أكثر من ذلك ، ان ما خطط لاستيعاب الفلسطيني وتذويبه في مدن العالم ومشاريعه يتهاوى بلحظة واحدة يلوح فيها بريق العمل من أجل فلسطين .

وحين دخل عالم القيادة ، ظهرت من خلال أسلوبه في العمل ميزات تراثه النضالي ، فهو لم يكن ذلك النموذج المتطرف من الرجـال . ولم يكـن ذاك النموذج المرن من الرجال . كان مزيجا من التطرف والمرونة ، من الصراحة المطلقة والصمت ، من الايجاز في الحديث والممارسة المستمرة . وبهذه الروحية ، وبهذا الاسلوب، كان يعالج كل مشاكل المسيرة،

سواء داخل الاطار التنظيمي او في مهماته السياسية . وبقدر ما كان الكثيرون ينزعجون من صراحته ، كان الجميع يحبونه ويقدرونه ، لانهم كانوا يعرفون في النهاية اي رجل صريح ، اي رجل صلب ، اي رجل مرن ، هذا الذي يتعاملون معه .

وقد استشهد أبو يوسف وتركنا فجأة . ولكنها ليست مفاجأة على الاطلاق أن يستشهد أبو يوسف ، فالذي يعيش حياته كلها مناضلا تكون الشهادة نصب عينيه دائما . وحين تأتي ، تأتي كجزء من العمل . تأتي كرمز لهذا العمل ، تماما مثل الرمز الذي حمله معه منذ أن هاجر بعيدا عن الوطن . كل ما فعله أبو يوسف أنه أكمل الرمز حتى النهاية . أكمل حلقة الحياة التي بدأها وهو شاب . وهو بهذا يبتعد قليلا عن جيله . يبتعد خطوة الى الامام ، يطل فيها ويراقب المسيرة . وطالما ان هذه المسيرة ماضية في طريقها ، سيظل هناك ما يكتب عنها . ومتى تكتمل المسيرة ، ستبقى كل كتابة عن أبو يوسف ناقصة . لان قضيته هي قضية المسيرة ، هي قضية الجيل الذي يصنع المسيرة ، وهي قضية لم تكتمل بعد .

كمال عدوان رجل في ثورة وثورة في انسان

فاروق قدومي (ابو اللطف)

لقيته لاول مرة قبل اربعة عشر عاما في مدينة الدمام بالسعودية وكان كلانا يعمل في شؤون البترول . كان رجلا نحيل القامة تبدو في نظراته علائم الذكاء والفطنة وكان شابا في مقتبل عمره سريع الحركة والاشارة . فاذا تكلم تخرج كلماته كالحمم من بركان ثائر، وكالقنابل الزمنية تنفجر عند حدود فمه .

كان كمال شابا في مقتبل العمر جاء الى السعودية ليتدرب في حقل اختصاصه . التقينا معه كما التقينا مع رفاق اخرين ، جمعتنا الثورة وضمتنا الحركة في اطارها .

ومرت السنوات الطويلة لنلتقي مرة اخرى في عمان حيث جاء كمال ليتفرغ بشكل نهائي للعمل النضالي مكرسا كل وقته وجهده للثورة وشؤونها . فلا عجب فقد كان طاقة وطنية متقدة تحتاج لمثلها الثورة .

تسلم كمال مكتب الاعلام فكان مسؤولا دؤوبا في عمله دائم البحث والتنقيب عن كل طاقة ثورية خيرة ليحشدها في هذا المكتب المتواضع واستطاع ان يستقطب الداني والقاصي من الصحفيين ورواد الكلمة من العرب والاجانب وكان يجالس الكثير منهم ويتحدث الى البعض وينقل كل افكاره وتصوراته عارية من الرتوش وأساليب المجاملة ، فاذا أحس بأن هناك من يحاول ان يحتال على الخبر او يزيف الكلمة انطلق كمال يرشقه بجمل طاحنة لا تجعل لمحدثه مجالا للهروب او التهرب . كانت الحقيقة بارزة في كلمته والفكرة واضحة في حديثه . فلا مكان للمجاملات على حساب الثورة او المبادىء.وكم من الناس من غضب لصراحته او لكلمة حق يقولها . ولكنه لا يخشى لومة لائم ويقيم الدنيا ويقعدها بحجة ثاقبة ورأي حصيف اذا دافع عن قضية او مسألة .

لقد كان في كمال عدوان من صدق الثائر وجرأته ما يعجز الواقع عن تحمله فيثير فيه بكلماته وأعماله موجات متلاحقة من التأزم فيجعل هذا الواقع قلقا مستنفرا يبحث عن الحقيقة بكل ما فيها من مرارة وعن الخلاص بكل ما فيه من تضحيات .

كان كمال عدوان صورة من صور الحياة النابضة بالوطنية والطموح الخلاق يرنو الى العلا في كل مجال من مجالاته ويتقن فن الثورة ويحفظ دروسها عن ظهر قلب ويلقنها

للناس . لقد كان تلميذا واستاذا في آن واحد وكان قمة في التحدي والتجاوز البناء . لقد عظم الكلمة في فكره وعقيدته وأجل العمل في نضاله وكفاحه اليومي ، واجتاح أرض الثورة بنظره الثاقب فكان فارسا يجيد السباق في كل ميدان من ميادين العمل والمعرفة الوطنية . كان كمال صاحب حجة قوية وعقل منظم وذهن وقاد تتدافع الافكار في راسه كأمواج البحر تتلاطم بعنف لتعود مرة اخرى الى الاعماق في حركة مد وجزر واعية مستمرة لا تنقطع ابدا .

كان كمال بعيدا عن المجاملة في صداقته وصحبته فاذا غبت عنه وعدت اليه تراه هو هو بسجيته وطبيعته لا يعطيك اكثر مما تستحق ولا يأخذ منك الا ما يرى انه في وسعك أن تعطيه .

وفي عمان رفعت الثورة شعارها « أيها الرفاق اصعدوا الى الجبل » ، فكان أول من لبى النداء فقام بتنفيذ الامر وتحقيق الشعار واصبح اعلام الثورة يصدر من جبال السلط ومن كهوفها .

لقد اخرج جريدة «فتح» وأشرف على ادارتها وعبأ لها الكوادر والكفاءات فكانت واسعة الانتشار توزع عشرات الالاف من النسخ في ساعات قليلة . وكانت تتلقفها ايدي الناس بسرعة مذهلة . وكثيرا ما كان كمال يكتب الافتتاحية بقلم ساخر منتقدا اوضاعا خاطئة أو نظاما عربيا متخاذلا فكانت كلماته لاذعة قارصة تجلد الخطيئة في مهدها بأسواط الحق وتكشف الانحرافات بوضع الحقائق عارية تحت نور الشمس . لم تكن للاعراف الدبلوماسية حظ وفير في حديث كمال ومقالاته فاذا دافع عن رأي كان دفاعه صلبا عنيدا فيه حدة وفروسية ويندفع الى الامام بجرأة وشجاعة يخوض المعارك غير هياب ولا وجل ولكن اذا صدرت له التعليمات وقف عند حده وكان خير من التزم بها واول من نفذها بدقة واخلاص .

كان مشروع روجرز بداية الانفجار في نفسه وخاض نتيجة ذلك حربا ضروسا ضد كل الخصوم وفي كل اتجاه حتى فقدنا احدى وسائل اعلامنا الكبرى ، فارتد يبحث عن كل وسيلة محلية يستخدمها ويطورها ليسد كل عجز في وسائل اعلامه وامكاناته المتوفرة . وكنت أراه يتحرك بسرعة مذهلة يبحث وينقب عن دروب جديدة في العمل والكفاح .

وفي أيلول كان كمال جنديا مقاتلا شرسا في قتاله وقد عاش في عمان بعد احداث ايلول مع كل الرفاق وعانى ما عاناه اخوته من غدر الحكم الهاشمي وخيانته ، وانتقل بعدها الى جرش ودبين يعمل وينظم ويقود في ايمان وثقة لا تتزعزع . وخرج الى دمشق وبيروت ليعيد بناء الاعلام من جديد وكانت الصحف الصفراء تكيل التهم لقادة الثورة . فحاربها وتغلب عليها بقلمه الجارح وبالحقيقة الناصعة ولم تنل منه هذه التهم ولم تثنه عن عزمه بل زادته ايمانا بنفسه وثورته وقدرته على التغيير والتبديل .

كان كمال يكره التراجع والتردد ويندفع كالسهم يخترق الاجواء ويشد قـــافلة الثورة الى الامـــام .

وكان يتمنى لو استشهدت القيادة لتبقى الثورة في عمان . فالجماهير كفيلة بخلق قيادة جديدة لها .

كان رحمه الله يكره الهزيمة ولا يعرف الاستسلام ويتمنى لو يصبح قنبلة زمنية تنفجر كل يوم وتصيب اعداءه . وفي الاشهر الاخيرة من حياته اشرف كمال على المسيرة النضالية داخل ارضنا المحتلة فكان قائدا فذا في ارادته وصائبا في خططه . وقد تسلم بالاضافة الى مهامه الاساسية مسؤوليات أخرى ، كان يتولاها بطيبة خاطر دون تذمر وينجزها في حينها او قبيل الاوان .

لقد كان كمال مثلا في الالتزام والطاعة وقدوة في العمل والتنظيم وخلية حية متفجرة من خلايا الثورة وكان سيد نفسه في كل موقف لا يمل ولا يكل ، يعطي ولا يبخل حتى كـــان عطاؤه الاخير ، فجاد بروحه ودمه في أنصع صورة من صور العطاء .

رحم الله كمال عدوان فقد كان رجلا في ثورة وثورة في انسان .

كمال ناصر ... والثورة مستمرة

صلاح خلف (ابو اياد)

من الصعب ان أرثي الشهيد بالكلمة وهو الذي قال « لقد فقدت الكلمة محتواها » ومن الصعب ان أرثيه بالدمع الساخن لان مآقينا جفت منذ حملنا البندقية ... واصعب من الرثاء ان اكتب عنه بموضوعية تامة لانني أفقد موضوعيتي عند الحديث عن كمال الصديق والرفيق ... خاصة وان نفسي تبعثرت بفقده وتمزقت من الطريقة التي تمت بها عملية الغدر والاغتيال هذا فضلا عن استشهاد رفيقين الى جانبه من أعز الرفاق مزق استشهادهم بقايا الحزن في نفوسنا وافئدتنا ... ولكنني رغم كل الاسى والالم والتمزق والبعثرة ما زلت أعيش الحوار المستمر الذي كان يدور في هدأة الليل بيني وبين الشهيد كمال ناصر حول الثورة والقضية وما زال هذا الجانب من الحوار لا تشمله حالة البعثرة النفسية التي أعيشها لانه جانب مشرق بالحقائق الدائمة ومضيء بالحسم الذي لا يمكن للموت ان يمحوه او يؤثر في جوهره .

ولا يمكنني في هذه العجالة ان إكشف كل افكار الحوار المفتوح الذي كان يدور بيننا ولكن أهم القضايا التي كنا نتطرق اليها وتأخذ وقتا طويلا من احاديث الليل كانت تكشف الايمان العجيب الذي يعمر قلب الشهيد بالثورة وقدرتها على تخطي ازماتها الذاتية ومجابهة كافة المؤامرات التي تحاك ضدها... هذا الايمان الذي كان دوما يتناول الازمات ويحللها من الجوانب الايجابية مبددا كل سلبياتها بتفاؤل الثوار في وقت يكون فيه التفاؤل ضربا من الجنون كما يكون الايمان مأساة المؤمنين الصادقين .

وبهذه المعادلة البسيطة الايمان والتفاؤل كان يحاكم كافة القضايا المطروحة في الساحة رغم شراسة الظروف وخطورة الوضع ولا يعني هذا انه كان يبسط الامور ولا يحاكمها محاكمة موضوعية فلقد كنا نلجأ اليه في كافة القضايا الهامة نستطلع رأيه فيها ورؤيته لابعادها فنخالفه او نتفق معه ولكن رأيه في محصلته كان يشكل بالنسبة لنا القرار الحاسم وقلما كان يخطىء في التقييم او يتجاوز الاسس . ولم يكن الشهيد مستشارا في الثورة تعرض عليه القضايا ليؤخذ رأيه فيها بل كانت كثير من قضايا الثورة الهامة تعرض من قبله ويؤخذ رأيه وتحليله العلمي والعملي كأساس لاية خطة للمجابهة او التصدي او تشكيل القرار . وكان الشهيد لا يكتفي بعرض وجهة نظره وانما كان يقاتل من أجلها بشجاعة نادرة غير آبه بما يقوله الاصدقاء والاعداء على السواء وكم خاض

المعارك تلو المعارك من أجل مبادئه وافكاره وآرائه في قضايا الثورة الاساسيـــة والفرعية ... ولعل أهم هذه المعارك التي خاضها واستشهد وهو يصب من قلبه دما من أجلها هي قضية الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة فقد كان له رأي محدد في هذا المجال لم يهتز ايمانه به الى آخر لحظة في حياته فقد كان يرى « ان القضية الفلسطينية ولدت من جديد من خلال الثورة والكفاح المسلح وان من حق الذين يموتون ويقاتلون ان يقودوا المرحلة وبالتالي فعلى كل حملة البنادق والملتزمين بخط المقاتلين ان يتوحدوا في جبهة واحدة وعلى أرضية واحدة » ورغم كل الخطوات الوحدوية التي خطتها لقاءات المجلس الوطني الفلسطيني الاخير الا انها كانت دون مستوى طموح الشهيد « لن ينتهي الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية الا باقامة التنظيم الثوري الموحد ولن ينتهـــي النضال الدؤوب من أجل تحقيق وحدة أداة الثورة الفلسطينية الا بخلق التنظيم الثوري الموحد »... هذه كانت آخر نبضات قلبه عن الوحدة الوطنية وايمانه الذي لا يتزعزع بها وكم دفع ثمن هذا الايمان المطلق بهذه القضية عند الكثيرين الذين لم يكونوا يستوعبون مزايا وبعد نظر الشهيد حيث كانت تكال له التهم جزافا عن تجيير معنى الوحدة لصالح هذا التنظيم او ذاك وأشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من اجل الوحدة الوطنية ان كمال ناصر كان متحيزا للثورة الفلسطينية نشيده الكبير وتنظيمه الكبير وأشهد كم كان يتمزق وهو يرى العصبية التنظيمية تضع القناع على العيون لتحجب عنها مخاطر التشرذم والفرقة ولكنه رغم كل معاناته الحقيقية كان لا ييأس ولا يتوقف عن اداء دوره كرسول محبة ووفاق فلا ينقل للاطراف والفصائل الا الصورة المشرقة والكلمة الطيبة التي تفتح القلوب وكان يختزن في اعماقه كل الصور المحزنة المؤسفة والمواقف المنفعلة والمتشنجة من هذا الطرف او ذاك حتى تكاد نبضات قلبه تقف من كثرة معاناته وصبره ومثابرته وعندما كنت أثور عليه وأتساءل مشفقا عليه ألم تتعب من هذا الدور يـــا ضمير ...؟؟ كانت اجابته الدائمة « أنا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فأنتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما أعرفها أنا بحسي الناري أرى ان قضية الوحدة هي قضية عمري وسأناضل من أجلها وستنتصر ارادة الوحدة رغم كل المعوقين والحاقدين ... »

وكنت دائما رغم حبي له أتلذذ بتعذيبه بهذا الحوار حول دوره في الثورة وقضاياها لان الثورة كانت حبه الكبير الذي أعطاه عصارة أفكاره وعاطفته وله في حبه ما لكل المحبين من عذابات وجراحات حتى كان الحسم في كافة قضـــاياه الشخصية وجوانب حياته الخاصة عندما يصل الامر الى الخيار بين الثورة وحياته الحضارية كما كان يحلو له ان يسميها وكما ان المحبين تعصر الغيرة قلوبهم كان شهيدنا كمال يغار على الثورة من الحاقدين عليها باسم النقد خاصة اولئكم الذين كانوا يضعون الاخطاء الى جانب الخطايا حيث كان يرى الثورة بكل سلبياتها اشرف مـــا في الساحة العربية لانها تقاتل ولانهـــا نقطة الدم الساخن الذي ينزف بالكبرياء والكرامة ولانها شرف هذه الامة الذي لم يساوم ونبض عزتها الذي لم ينحن واكثر ما كنت اراه غاضبا ساخطا عندما كان يسمع ان زعيما

غربيا يتشدق من فوق المنابر بكلمات النقد والتجريح بالثورة وكان يصرخ من ألمه مجروحا « هؤلاء لا يحق لهم ان ينتقدوا لان انتقاداتهم من موقع التربص وليس من موقع التفهم لواقعنا والالتزام بخطنا » .

ونفس الغضب والثورة الجامحة كانت تلازمه عندما يقرأ ما يكتب على الجرائد او في الكتب من نقد للثورة من بعض المثقفين الذين يصبون أحقادهم على الثورة من خلال « الجمل الثورية » التي يرددونها دون وعي لظروف المرحلة ولما يجب ان يقال ومتى يجب أن يقال حيث كان يصنفهم بالمثقفين المترفين الذين لم يمارسوا النضال ممارسة يومية من موقع الالتزام الثوري والمعاناة الحقيقية لظروف الثورة وقضاياها . . . فيضعون انفسهم من حيث يريدون او لا يريدون ومن حيث يشعرون او لا يشعرون ضمن جوقة الحرب النفسية التي تشنها الدوائر الامبريالية والصهيونيين على الثورة الفلسطينية . . .
لقد كانت الغيرة على الثورة تتعدى هذه المواقف وتتجاوزها وكان ايمانه ينطلق بلا حدود الى حتمية انتصار الانسان العربي على الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة لان الثورة الفلسطينية كانت بالنسبة له طليعة تفجر مناخ النضال وتعمق ارادة القتال والرفض لدى الجماهير العربية ومن ثم تستطيع هذه الجماهير من خلال ثورتها العارمة ان تمد يدها الى كل القوى الصديقة والمعسكر الاشتراكي وكافة قوى التحرر في العالم من أجل العدالة والحرية والسلام ومن أجل ان ينتصر الانسان المضطهد والمعذب في كل انحاء الارض .

هذه كانت خطوط الرسالة التي حملها الشهيد كمال ناصر وكان ايمانه بحتمية الانتصار العربي ينبع من ثقته بالجماهير التي لا يمكن ان تقبل بعار الهزيمة ولان حركة التاريخ مع الجماهير وخطها السياسي الواضح المؤمن بحرب الشعب الطويلة المدى ولان طليعة هذه الجماهير هم ثوار فلسطين الذين يقاتلون ويصنعون تاريخ امتهم بتضحيـــــاتهم وبصلابتهم كان يرى الشهيد ان الثورة الفلسطينية مستمرة ومنتصرة لانها في اتجاه التاريخ الذي لا يخطىء الطريق ولا ينحرف عن اتجاهه السليم مهما تكالبت قوى الشر للانحراف به عن مجراه .

وكما بدأت الحديث اجدني مشدودا في نهايته الى بدايته الصعبة وما ذلك الا لضعفي امام كمال الصديق والرفيق فهو بالنسبة لي كما لغيري كتاب كبير تناولته فجاة ريح عاتية مجرمة فمزقت صفحاته ونشرتها في كل اتجاه فكيف يستطيع الصديق والرفيق ان يجمع هذه الصفحات وهو يعيش حالة الذهول والضياع من خلال الصدمة ولكنني رغم الضياع والحزن والحيرة أجدني مضطرا لان اكرر نفسي وأقول :

لقد فقدت الثورة الفلسطينية والعربية رجلا شجاعا لان الشجاعة في معناها الحقيقي الالتزام بخط الثورة في المحنة والرخاء وكذلك كان كمال ناصر . . .

وفقدت الثورة رجلا مفكرا صاحب كلمة شجاعة وهادئة وعاقلة وثورية في نفس الوقت وقيمة الكلمة ان تكون كذلك في مرحلة خطيرة تمر بها الثورة ...

وفقدت الثورة انسانا كان يتعذب بصمت دون ان يجعل الاخرين يحسون بهذه المعاناة القاسية كان بين الحين والحين يتحسس مواقع الخطر فيتحدث ولكن بدون ألم وينذر ولكن بلا ضجيج ويحذر ولكن بالتزام كامل ... والانسان الكبير وحده هو الذي يستطيع ان يجترح هذه المعجزة فيصمت عن احزانه ليبدو ايمانه أكبر من جراحاته وليبدو تفاؤله أقوى من واقع آلامه ومعاناته ... والخسارة هنا في كمال لا تعني المدلول المادي للكلمة بقدر ما تشير الى عمق الفراغ الذي سيخلفه غيابه الابدي عنا ...

ولن يحس بهذا الفراغ القاسي الا اولئكم الذين عاشوا مع كمال في أحلك الظـروف وأقساها والذين كان يسكب في قلوبهـم من حنانه واشراقة محياه ما يجعلهم ينسون احزانهم . واخيرا ، لقد قتلوك ثم صلبـوك وكأنهم يريدون ان ينذروا كـل الاديـان هذا مصير الفكر والعقيدة ولكنهم ما دروا ان دمك الغالي جعل المسلمين مسيحيين وجعل المسيحيين مسلمين فصلوا عليك في المسجد وصلوا على رفيقيك ابو يوسف وكمال عدوان في الكنيسة ... نعم اغتالوك واغتالوا معك أعز الرفاق وأعظم الرجال وأحب الاخوة والمناضلين ولكنهم لم ولن يغتالوا القضية التي قضيت ورفاقك من أجلها..

لقد تركتنا يا كمال أنت ورفاقك لنكتب فيكم الرثاء ونحن نعيش ادق وأخطر مراحل القضية ولكن عزاءنا اننا سنظل على العهد وعلى نفس الطريق واصرار على نفس الخط ثورة مستمرة لن نخون او ننحني او نستسلم وسيظل نضالنا من اجل مبادئكم أكبر من الالم واقوى من الجرح نصارع الاحزان ونحن نردد كلماتك يا كمال :

« أما القيادات فتتغير وأما الاشخاص فسيزولون وتبقى القضية أكبر من القيادات والاشخاص ولا بد ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة قبل ان تسقط الثورة الاجزاء التي لا تستحق الحياة » .

كمال ناصر ... شاعر في ورشة الثورة

الدكتور كلوفيس مقصود

يبدو أن العدو سبقنا بتقييم اهمية كمال ناصر في حياته حتى أخذنــا الآن ندرك حقيقة عظمته بعد استشهاده . فالعدو ادرك أن كمال ناصر كان انسانا بمنتهى الخطورة . لقد ادرك انه وان لم يكن في الجهاز القتالي المباشر للثورة الفلسطينيــة الا انه كان عاملا رئيسيا في جعل القتال محببا للجماهير،وهذا عنى ان بقاءه سيكون من العوامل المساعدة على ديمومة الجماهير في استعدادها ورغبتها أن تمد الثورة بالمزيد من المقاتلين . كما ان كمال ناصر كان خطرا لأنه في طليعة من ساهموا في تامين احتضان شعبي واسع ومكثف لفكر المقاومة وممارساتها ، وبالتالي ساهم بشكل رئيسي في دحر المحاولات المتكررة التي لجأ اليها العدو وحلفاؤه بغية عزل المقاومة عن قطاعات الشعب الفلسطيني .

كان كمال ناصر محاورا وملتزما . كان الحوار بالنسبة له تأكيدا للالتزام وقدرة في جعل ما يلتزمه جزءا من قناعات العالم . كان يؤمن بالحوار من أجــل اقناع الغير بعدالة وصوابية قضيته بالاضافة الى اعتباره أسلوبا جدليا يثري الالتزام ويطوره . فالالتزام العاجز عن التحاور يصاب حتما بالجمود ويتقوقع في حالة من الترهل والتزمت .

ادرك العدو أيضا أن دور كمال ناصر في كونه شاعرا في ورشة الثورة ، من شأنه أن يرسخ في وجدان الجماهير ديمومة الثورة وحتميتها . وحيث أن الملتزم الذي يعمل في ورشة الثورة يمارس ويفعل وهو عارف مدى ما باستطاعته انجازه مرحليا ، والشاعر في الثورة ــ أو حتى شاعر الثورة ــ يسجل أحلام الثورة والثوار فتكون أبياته تعبيرا عن معاناة أو اعلانا عن تأملات مستقبلية ، لكن الشاعر في ورشة الثورة مثلما كان كمال ناصر فهو الذي عنده الاستعداد والرغبة أن يضع يديه ورجليه وأظافر عقله واسنان ضميره في ورشة الثورة . هكذا يدخل الحلم بالموجود فلا يعــود الموجود قانعا وكافيا وينتقل المستحيل الى حيز الممكن . فيلتقي في الورشة الثائر بالشاعر في كل انسان فلا يعود الملتزم يكتفي بالممكن ولا أحد يعود يعترف بالمستحيل . كمال ناصر كان نموذجا طليعيا للملتزمين المجددين في الثورة الفلسطينية المعاصرة . من أجل هــذا قتلوه لانهم اعتقدوا أنهم اذا اغتالوا النموذج تمكنوا من وقف انتشار العدوى .

كان كمال ناصر واقعيا داخل الثورة وكان بنفس الوقت ثائرا على الواقع . كان يستمد

من الثائرين في الثورة حيوية جددت من فعاليته في الثورة على الواقع . تصور كمال ناصر مهمته كونها ايصال الواقع الى الثورة حتى لا تنقطع الثورة عن الواقع . من خلال معرفته الدقيقة للواقع ادرك كمال ناصر كيف يصبح باستطاعة الثورة أن تغير الواقع . هنا وجد نفسه في مأزق كبير . كانت شاعريته المرهفة تفضل أن يردد أنشودة الثورة فيصبح فارسا من فرسان أحلامها الا أن كمال ناصر اختار ورشة العمل يغامر بشاعريته بدلا من المغامرة في ثوريته المتأصلة في كيانه وتاريخه وسيرته . وكم بدا وكأنه مزدوج الشخصية عندما كان يحنو الى ايقاع الحان أشعاره ويتأمل مـــا يمكنه عطاءه في هذا المضمار وفي نفس الوقت يستدرك استباقا منه لهاجس الخوف الحقيقي من ان يؤدي به الحنين الى استعداد نفسي للتخلي عن الممارسة الثورية . كان مكانه الاول والاخير رغم كل الظواهر ، هو في ورشة الثورة .

لم يكن كمال ناصر هكذا في الثورة الفلسطينية المعاصرة فحسب بل كان هكذا في ورشة الثورة العربية التي عاش بكليته تعرجات وتضاريس مسيرتها المتعثرة والمتنكبة . . وكان كمال ناصر يقلق على مصير الورشة وكان يتمزق فهو قد وجد نفسه — ايام البعث — في مواقع التفكير لكنه بعيدا ومبعدا عن مواقع التقرير . . وكانت مأساته ان طلاقا حصل بين مواقع التفكير والتقرير وجسد الضياع وحالة التيه التي عاشها جيله بأمانة كاملة ، لكن في الوقت نفسه كان كمال ناصر يفتش عن طريق وعن منهاج وعن وسيلة يعيد بها بناء ورشة الثورة لان كل سلطة ، بنظره ، دون مستوى الثورة تكون فاقدة للأهلية وللشرعية. كمال ناصر أصر أن لا سلطة خارج الثورة ولا ثورة حقيقية مع سلطة مبتورة .

وجاءت هزيمة ١٩٦٧ ووجد كمال ناصر نفسه وجها لوجه مع العدو فنفذ ببصيرته الى حقيقة مراميه فترسخت قناعاته بضرورة ترميم الثورة . . وحيث كان يفتش كان يغني مآسي شعبه وطموحاته حتى شرده العدو وكان من أوائل من أخرجتهم سلطات الاحتلال واذ به ثاني يوم معركة الكرامة يجد ورشة الثورة فينخرط في صفوفها يحمل اليها تجربة خصبة وتصميما فولاذيا — ظنها الكثيرون نقيضا للشاعرية — على تجنيب ورشة الثورة الجديدة أخطاء وفواجع ورشات الثورات العربية السابقة . وكان لا بد أن يعي ويضغط على أن تكون عناصر التفكير والتقرير في موقع واحد ، وفي خندق واحد .

من أجل ذلك استبقى كمال ناصر استقلاليته التنظيمية اعتقادا منه ان باستطاعته ان يساهم في ابقاء فصائل المقاومة بأوثق وادفأ العلاقات فيما بينها ومع الملتزمين المصدومين من هزيمة ١٩٦٧ والمؤسسات التي أوصلتنا الى الهزيمة . من هنا كان دور كمال ناصر في أن يبقى مستقلا عن تنظيم الفصائل لكنه بنفس الوقت مؤتمنا على الانضباط في وحدتها الوطنية .

كان جريئا في تصديه للتشرذم ولكل محاولات التفرد في العمل او المبادرة . في هذا المضمار لعب دورا رئيسيا في ارساء قواعد الوحدة الوطنية ومواثيقها وجعل من دائرة الاعلام

والتوجيه القومي التي كان مسؤولا عنها في منظمة التحرير تنبض بالحيوية التي تختزنها هذه الوحدة . ولما كان مقتنعا ان لا اعلام بدون سياسة ، توجه من خلال تمرسه بالمسؤولية القيادية المباشرة الى جعل السياسة العامة للثورة متماسكة بحيث تحول دون طغيان أية عصبية تنظيمية أو أية تزمتات مذهبية . لذلك فان استقلاليته الملتزمة كانت بمثابة القاسم المشترك الفكري والسياسي بين الفصائل العاملة في المقاومة مما مكنه من التصرف مع كل منها وكأنه في « بيته » السياسي . هذا ما جعل من لقب « ضمير » الذي حمله لسنوات مصدقا ومقبولا على أنه أكثر من مجرد لقب . واذا نحن درسنا ما عانته المقاومة من جراء غياب الوحدة الوطنية لادركنا الاهمية التاريخية للدور الذي قام به كمال ناصر أثناء ممارساته القيادية .

من موقع كمال ناصر في الثورة تمكن أن يوصل اعلاميا ثقل المقاومة الى مختلف القطاعات . فكانت افتتاحياته في « فلسطين الثورة » بمثابة توجيهات تستهدف تعميق مفاهيم الالتزام بأهداف الثورة الستراتيجية والمرحلية . كان يتعمد أن يشارك المستهدف من اعلام الثورة كل أوجه المعاناة والمراحل التفكيرية التي أوصلته الى القناعات والنتائج . فلم يكن ما يقوله أو ما يكتبه هو مجرد محصلة ونتيجة التفكير النهائي للمقاومة بل اشراك القارىء والمستمع بكيفية الوصول الى هذه المحصلة أو تلك النتيجة . كانت نظرته في هذا المضمار أن القناعات تتكون من خلال اشراك الناس بخلفية النتائج المتوخاة بدلا من جعل ترديد النتائج أو السياسات معيار الولاء أو الالتزام . الاعلام بنظره لم يكن وسيلة لفرض وصاية فكرية أو سياسية بل تفتيحا لآفاق الملتزمين وجعلهم مجندين من أجل قناعات الثورة وسياساتها .

وعى كمال ناصر تعقيدات التحدي الذي تواجهه الثورة ووعى أهمية دور الاعلام في الإجابة على التحدي . أدرك انه من الضروري بحث كل البدائل والاحتمالات ليتمكن القرار السياسي أن يكون محيطا بكل المضاعفات المرتقبة ويكون القرار بالتالي محصنا في موقفه وقادرا على الاقتحام وعلى اضاءة طريق المسيرة . من هنا الحاحه في الدرس والاستقصاء وعرض أفكاره على عدد من أصدقائه الملتزمين أو من معاونيه في مجلس الاعلام قبل طرحها حتى عندما سجلت كلاما وأحرفا كانت بمنتهى الوضوح والنضج والشمول . وكانت أكثر من ذلك ، كانت بمثابة المواقف التي لا تستقيم ثورة بدونها .

ومع الذين جاؤوا من كل أرجاء العالم يستفسرون عن هذه الثورة التي قامت على أنقاض هزيمة ، أو مع الذين جاؤوا وهم مختمرون بالمسلمات الصهيونية ، أو مع المراقبين الذين يريدون تجميع المعلومات دون التعرف الى معاناة الشعب الفلسطيني ، مع الذين ارادوا منه تلخيص القضية ، بخمس دقائق للتلفزيون ، مع الكتاب والمعلقين الاجانب من أصدقاء ومحايدين وخصوم ، كان كمال ناصر يوصل اليهم نزعة التفاؤل التاريخي بمستقبل قضية شعبه . كان يفند بشكل جاد أضاليل الصهاينة وكان يستثير قطاع الوجدان عند

« المراقب » و« المحايد » لان المراقبة والحياد لا يجوزان وغير ممكنان في قضية عادلة كقضية شعب فلسطين . في الخارج مثله في الداخل حبب المقاومة والقضية الى من ظن بأنهم أبعد الناس عن المقاومة وعن القضية .

مرات عديدة كنت أتذمر ان أعدل قضية مخدومة اسوأ خدمة . . . هزه هذا التذمر وعمل، فكان هو من قافلة خدامها الخيرين . . . المتزايدين .

ماذا كان يوصي فداء لاستشهاده . . . مزيد من الثورة وابتعاد عن أساليب الثأر . . . الثورة كانت له أشمل وأعمق من الانتقام . . . من أجل هذا خافه العدو الفاشستي الذي تأنف الثورات مسه لانه متلوث بجاهلية الثأر .

كمال ناصر . . فرع الثوار في ورشة الثورة العظمى .

طوبى لشيء لم يصل !

محمود درويش

هذا هو العُرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي ..
هذا هو العرس الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
إلَّا شهيداً أو شريدا

دَمُهم أمامي ..
يسكن اليوم المجاورَ —
صار جسمي وردةً في موتهمْ ..
وذبلتُ في اليوم الذي سَبَقَ الرصاصةَ
وازدهرتُ غداةَ أكملتِ الرصاصةُ جُثّتي..
وجمعتُ صوتي كله لأكون أهدأ من دمٍ
غطّى دمي ...

دَمُهم أمامي
يسكن المدنَ التي اقتربتْ
كأنَّ جراحهم سفنُ الرجوعِ
ووحدهم لا يرجعون ...

دَمُهم أمامي ..
لا أراهُ

كأنه وطني
أمامي .. لا أراهُ
كأنه طُرُقات يافا –
لا أراهُ
كأنه قرميد حيفا –
لا أراهُ
كأنّ كل نوافذ الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
وحاسّةُ الدم أينعتْ فيهم
وقادتهم الى عشرين عاماً ضائعاً
والآن ، تأخذ شكلها الآتي
حبيبتُهم ..
وترجعهم الى شريانها .

دمهم أمامي ..
لا أراهُ
كأنّ كل شوارع الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهزيمة
والمرايا
هاهمُ يتطايرون على سطوحهم القديمةِ
كالسنونو والشظايا
هاهمُ يتحررون ...

طوبى لشيء غامضٍ
طوبى لشيء لم يصل
فكـّوا طلاسمه ومزّقَهُمْ

فأرّخْتُ البداية من خطاهم
[ها هي الأشجار تزهرُ
في قيودي]
وانتميت الى رؤاهم
[ها هو الميناء يظهرُ
في حدودي]
والحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والوطن المرابطِ خلفَهُ ..
الحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والجسد المخبّأ في شظيّة
والحلم أكثر واقعيّه

ألسفحُ اكبر من سواعدهمْ
ولكنْ ..
حاولوا أن يصعدوا
والبحر أبعد من مراحلهم
ولكن ..
حاولوا أن يعبروا
والنجمُ أقرب من منازلهم
ولكن ..
حاولوا أن يفرحوا
والأرض أضيقُ من تصورهم
ولكن ..
حاولوا أن يحلموا

طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لم يصل
فكوا طلاسمه ومزّقهم
فأرّخْتُ البداية من خطاهم

وانتميت الى رؤاهم
آه .. يا أشياء ! كوني مبهمه
لنكون أوضح منك
أفلستِ الحواسُ وأصبحتْ قيداً على أحلامنا
وعلى حدود القدسِ ،
أفلست الحواس ، وحاسّةُ الدم أينعت فيهم
وقادتهم الى الوجه البعيد
هربت حبيبتهم الى أسوارها وغزاتها
فتمردوا
وتوحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
وتسلّقوا جدران هذا العصرِ
دقّوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالمْ
ليقبّلوا أقدامها
فاكتظّ شعبٌ في أصابعهم خواتمْ
هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
هذا هو العُرسُ الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
الاّ شهيداً .. أو شريدا

— من أي عامٍ جاء هذا الحزنُ ؟
— من سَنةٍ فلسطينيةٍ لا تنتهي
وتشابهتْ كل الشهور ، تشابه الموتى

وما حملوا خرائط او رسوماً او اغاني
للوطن
حملوا مقابرهم ..
وساروا في مهمتهم
وسرنا في جنازتهم
وكان العالم العربيّ أضيق من توابيت الرجوع.

أنراك يا وطني
لأن عيونهم رسمتْكَ رؤيا .. لا قضية !
أنراك يا وطني
لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل وماء
وجه الجدلية !
أنراك يا وطني
لأن اصابع الشهداء تحملنا الى صفدٍ
صلاةً .. او هويّة
ماذا تريد الآن منّا
ماذ تريد ؟
خذهم بلا أجرٍ
ووزّعهم على بيّارة جاعت
لعلّ الخضرة انقرضت هناك ...

ألشيءُ .. أم هُمْ ؟
إن جثة حارسٍ صمّامُ هاوية التردّي—
[هكذا صار الشعار ، وهكذا قالوا]
ومرحلةٌ بأكملها أفاقتْ — ذات حلم —
من تدحرجها على بطن الهزيمة ، [هكذا ماتوا]

وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحــر
والمدن اللقيطة ساحلٌ لم يتّسع الاّ لموتانا ،
ومروا فيه كالغرباء [ننساهم على مهل]
وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحــر
والمدن اللقيطة حارسٌ تعبت يداه من الاشارة
لم يصل احدٌ ومروا من يديه الآن
فاتسعتْ يداهُ
كلُّ شي ينتهي من أجل هذا العرسِ ..
مرحلة بأكملها أفاقت — ذات موت —
من تدحرجها على بطن الهزيمه ..

ألشيء .. أم هم ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهمِ ،
يصير الشي أجساداً ،
وهم يتناثرون الآن بين البحر والمدن
اللقيطة
ساحلا
أو برتقالاً —
كل شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلة بأكملها .. زمانٌ ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيداً أو شريداً .

آخر حديث للشهيد كمال عدوان

بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصاب ارض فلسطين دعا مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية الى ندوة حول المجابهة العربية — الاسرائيلية . وقد مثل المقاومة الفلسطينية فيها الاخ الشهيد كمال عدوان . واشترك في الندوة الاخوة الهيثم الايوبي وياسين الحافظ ويوسف صايغ ونديم عبد الصمد وكلوفيس مقصود وعبد الرزاق اليحيى ، وادارها الاخ ابراهيم العابد . واذ نامل ان ننشر في الاعداد القادمة من « شؤون فلسطينية » مشاركات الاخوان في الندوة ، نقدم فيما يلي نصا حرفيا لمشاركة شهيدنا الكبير كمال عدوان . وتتكون المشاركة من حديث الشهيد ثم ملاحظاته على زملائه ، وقد كان هذا الحديث وهذه الملاحظات آخر مشاركة فكرية لكمال عدوان ، اذ سبقت استشهاده بخمسة ايام فقط .

— انا احسدكم لانه سيكون لكم الحظ بمناقشتنا ، والتحكم بنا كما تريدون ، وكنت أتمنى ان أكون واحداً منكم كي اناقش الاخ عبد الرزاق فيما قاله ! كي لا تمر اقواله كمسلمات . احب أن اوضح : انني لست مراقبا ، ولست ناقدا ، ولكني ملتزم ، وبالتالي لا اتحدث من موقع المراقبة او موقع النقد ، لانني اتكلم من الموقع الذي ينوي ان يحرك الاخرين في اتجاه رؤياه .

الموضوع اولا ، لي ملاحظة عليه ، تسميته « بالمجابهة العربية » ، يحتاج لتوضيح ، لانه في الحقيقة لا يوجد شيء اسمه المواجهة العربية ! هنالك نظريتان للمجابهة القائمة الان : **نظرية المجابهة الرسمية ، ونظرية المجابهة الجماهيرية التي تطرحها الثورة الفلسطينية .** ولا يجوز ان يجري الحديث عن النظريتين كشيء واحد وبلا تحديد ، والا اصبح خلطا ، واصبح انشاء . ومن ثم لا يمكن ان نصل الى نتائج صحيحة . وفي المقابل ايضا ان النظريتين في حالة صراع . من منهما النظرية التي يجب ان تتبناها المنطقة ، لكي تصل الى نتائج ؟ فالعملية ليست ترفا ، ولكن هي نتيجة لتحليلات . في الحقيقة هناك اكثر من تحليل، وكل تحليل قاد، ويقود، لشكل المجابهة كما يراها كل طرف . وهذا يستدعي مني ان اقدم تحليلنا — كثورة فلسطينية — الذي قادنا لاختيار مجابهة من طبيعة مختلفة للمجابهة التي تتولاها الدول العربية الرسمية ، او التي تدعو لها الدول العربية الرسمية . ولا استطيع التحدث عن طرف ثالث، وهو الطرف الذي : «يعلن يجب ان تعمل الدول العربية كذا وكذا ، ويجب ان يعمل كل مسؤول عربي كيت وكيت . ويجب ان يعمل ... ويجب ان يعمل الخ» . ولكن المسؤول العربي الذي يسمع كل هذه اليجب غير موجود ، وكذلك غير موجودة الدول العربية التي تسمعها . لقد كان عبد الناصر — أقوى شخصية عربية موجودة — كان غير قادر على تحقيق هذه الطلبات جميعا ، لان الواقع العربي لم يكن يمكنه من تجنيد كافة الامكانيات ، بالاضافة الى ان في تحليله ما هو مختلف عن تحليلنا .

في البداية ، يهمني ان احدد ، في أي صراع ، ما هي عناصر الصراع الرئيسية . بهذا التحديد استطيع ان اصل بالنتيجة التي تقول كيف يجب أن تكون المجابهة .

عناصر اي صراع دائما هي :

١ ــ قضية الصراع ، واهدافه .

٢ ــ شكل الصراع واطرافه وادواته .

٣ ــ ساحة الصراع .

٤ ــ توقيت الصراع .

ــ طبعا اسمحوا لي ان استعمل كلمة « صراع » في مكان « مجابهة » ، لانها يمكن ان تؤدي نفس المعنى ، بصورة ادق واشمل .

اولا ــ قضية الصراع :

في نظرنا ان قضية الصراع تتناول موضوع التناقض الحدي ، بين اطراف الصراع في المنطقة . ان اطراف الصراع يهدفون دائما ، الى معالجة موضوع التناقض القائم . فمن جانبنا ان الوجود الاسرائيلي بالنسبة لنا يشكل حالتين : حالة احتلال استيطاني : انتزع الارض وافرغها ، والحالة الثانية هي : حالة القاعدة . القاعدة لقوى الاستعمار في المنطقة التي تريد ان تستهلك امكانيات المنطقة ، ان تستنزف امكانيات المنطقة . وان تشل امكانيات الفعل في اتجاه التطور والتغيير . يقول الدكتور يوسف صايغ ان الحاجة الاميركية للطاقة في العالم تتزايد ، الحاجة الاميركية للطاقة تستند على الا يتمكن العرب من السيطرة على مصادر الطاقة، الامر الذي يستدعي وجود عناصر تستنزف هذه القوى ، وتشد اهتماماتها وتشل قدرتها على الفعل ، هذا فضلا عن ان تكون مرتكزا للقدرة الاميركية للقفز منها على مصادر الطاقة في أية لحظة . من هنا : كيف يمكننا ان نحدد أهداف الصراع ؟ ما دامت طبيعة الصراع قد اتضحت : ١ ــ احتلال استيطاني في المجال الفلسطيني ، ٢ ــ قاعدة لتهديد المنطقة العربية واستنزاف قدراتها . ومن هنا طرحت النظريتان المختلفتان في المنطقة العربية : النظرية التي تقول بتنفيذ قرارات ١٩٤٨ ، والنظرية التي تقول تصفية الوجود الصهيوني . النظرية الاولى تمثل **نظرية الامن الاقليمي** ، أي كل دولة عربية تبحث عن أمنها ضمن حدودها ، وترفع فلسطين من الحساب . المهم ان تصل للاتفاق مع الوجود الصهيوني على ترتيبات أمنية لحدودها، في الاطار الاقليمي . اما النظرية الثانية فتمثل **نظرية الامن القومي** ، والتي تتبناها الثورة الفلسطينية ، والتي تقول : ان الوجود الاسرائيلي على الارض العربية مهما تضاءل حجمه ، لا يقاس بالكيلومترات ، ولكنه يقاس بوجود القاعدة على أي حجم كان ، أي تظل قاعدة مؤهلة لاستنفاذ جهد المنطقة وقاعدة لتهديدها ، وللاستعمال ضدها عند الحاجة . من هنا ، حتى تستطيع ان توفر الامن القومي للمواطن العربي لا بد ان يصفى هذا الوجود . هنا نقطة البداية في الخلاف بين نظريتي المجابهة . نظرية الامن القومي التي تدعو لتحرير كامل الارض الفلسطينية بتصفية هذه القاعدة ، ونظرية الامن الاقليمي التي تدعو للتفاهم مع الاحتلال ، مهما اخذ هذا التفاهم من تسميات ، «تسوية»، « قرار ١٩٤٨ » ، « قرار التقسيم » ، « قرارات الامم المتحدة » ، « قرار مجلس الامن ٢٤٢ » ، « مشروع روجرز » ، ليس المهم التسمية . النتيجة بالتفاهم مع الاحتلال ونعني الاعتراف به .

ثانيـا : شـكل الصراع :

تحكم الصراع الخصائص الاساسية التي تتمايز بها اطرافه . من هو الذي يريد ان يقود الصراع، ويحاول ان يستثمر امكانياته . ففي المجال الاسرائيلي : يحاولون ان يستثمروا خصائصهم ومميزاتهم.ونحن أيضا مطلوب منا ان نستثمر خصائصنا ومميزاتنا (!) ولهذا فالطرف الذي يستطيع أن يفرض على الاخر شكل الصراع ، بالتأكيد ، سوف يضمن

نتائج الصراع . في الطرف الاسرائيلي ، الخصائص هي : مستوى حضاري متقدم ، جيش ميكانيكي باستراتيجية هجومية ، ندرة في المساحة البشرية والجغرافية — وهذه نقطة الضعف — ، دعم خارجي سريع الحركة . اما من ناحيتنا ، ففي المجال القومي لدينا : عمق جغرافي ، عمق بشري ، تخلف حضاري ، بطء في التحرك الجماهيري العربي . اذا ، في مقابل الدعم الخارجي السريع الحركة ، وحتى نستطيع ان نعبىء الجماهير العربية ، تلزمنا فترة زمنية أطول . لان الجماهير العربية لا تتحرك بقرار ولكنها تتحرك من ضمن حالة جماهيرية ، بينما الجيش الاسرائيلي يتحرك بقرار. من هنا يتحدد شكل الصراع الذي يريد ان يحدده كل طرف . فالطرف الاسرائيلي يختار الحرب الخاطفة ، لان في الحرب الخاطفة ينتصر من يتحرك أسرع ، فينقل المعركة الى خارج حدوده ، فتصبح المعركة في الارض العربية وليس في التجمعات الاسرائيلية . والطرف العربي ، عندما تنقل المعركة الى ارضه ، يصبح في حالة دفاع . كيف اذن ؟. الخيار الوحيد يصبح أمام المنطقة العربية هو الحرب التي تستثمر فيها امكانيات المنطقة وهي الحرب الطويلة الامد ، الحرب التي ينتصر فيها من يصمد أطول ، وليس من يتحرك أسرع . من خلال هذا الصمود تتاح فرصة تحريك الجماهير العربية . ولقد اثبتت تجربة ٦٨ و١٩٦٩ ، ان هناك تحركا جماهيريا في المنطقة قد بدأ يعبر عن نفسه ، وفي المقابل تركز الجهد العربي المعادي للثورة ، تركز في امتصاص هذا التحرك الجماهيري ، وفي سلخه عن الثورة الفلسطينية ، لان هذا التحرك هو الذي سيؤدي الى حالة التغير في المنطقة ، لاحداث حالة تغيير في مواقع القرار العربي ، لاحداث حالة التوحيد للجهد العربي لحساب قضية النضال .

اطراف الصراع : الاستعمار وقاعدته « الطليعية » اسرائيل . الامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني .

ادوات الصراع : من ؟ الكل يتحدث عن الطرف الثالث دائما ، ليعمل العرب ... ، ليعمل العرب ... ، يعمل العرب ... ، كلا، الجواب : ان تتحرك طليعة متميزة تأخذ على نفسها مسؤولية احداث هذا التغيير وقيادته . قد تبدأ صغيرة ، وقد تبدأ ضئيلة ، وقد تبدأ محدودة الفعل ، ولكنها قادرة على أن تتطور . المهم ان تملك هي زمام القرار والفعل . هي الفاعل ، ولا تتحدث عن الفاعلين . لا تتحدث دائما عن الطرف الثالث . الحديث عن الطرف الثالث هو حديث مراقب. بقينا ننادي بتسليح الفلسطينيين، « بدنا سلاح ... ، بدنا سلاح ... بدنا سلاح ... » عشرين سنة ، ولم يستجب أحد ، واخيرا حملنا السلاح ، بدأت بمحمود حجازي ، « ستن » صدىء وثلاثين « فشكة » ، وبعد ذلك تدفق السلاح ... واصبح السلاح الذي بأيدينا يعني الكثير ، حالة مختلفة ، لهذا عليك ان تبدأ انت باعتبارك الفاعل وليس باعتبارك المراقب ، لاحداث هذا التغيير ، ان تبدأ بطليعة متميزة ، تملك قضية وتقود في اتجاهها.

ثالثا : ساحة الصراع : ما هي ؟ اين ؟

يظل كل طرف حريص ان ينقل الصراع خارج دائرته البشرية ، دائما ، حتى يقلل من خسائره ويضع الطرف الاخر في حالة دفاع . اذن اين تكون ساحة الصراع على ضوء هذا ؟ في فلسطين ...، هناك التجمع السكاني المهاجر، الذي احتل الارض واستوطنها، لا بد من ان تكون المعركة هناك . كيف تكون هناك ؟ هنا السؤال ! هل تكون ، « على راي ... بأمر الجنرال فلان ... والجنرال فلان ... والجنرال فلان ... » الجنرالات هذه جميعا عاجزة عن الدفاع عن حدودها . لهذا لا بد من البحث عن صيغة لكيفية نقل الصراع الى الداخل . هنا يأتي دورنا ايضا !.

رابعـــا : توقيت الصراع :

كثيرون يقولون ان عامل الزمن معنا . هذا غير صحيح . ان العامل الزمني مع اسرائيل، اما القول ان العامل الزمني لمصلحتنا ، فهذه عملية تخديرية . العامل الزمني هو في صالح من يستثمره واسرائيل هي التي تستثمر العامل الزمني . تستثمره لتركيز الوجود السكاني والصناعي.تستثمره في بناء المجتمع و«القومية» . وتستثمره في تعمير القدرة الدفاعية والهجومية ، تستثمره في تأمين الحماية الدولية ، الرسمية والرأي العام . و « احنا بنتفرج وبنحكي عن الزمن » .

متى تفقد اسرائيل استثمار الزمن ؟. عندما يصبح الزمن مستثمرا من جانبنا ، في تلك اللحظة يصبح الصراع : من منا يستثمر الزمن أكثر ؟ اسرائيل تستثمر هـــذا الزمن في تحريك النمو في داخلها ، ونحن يجب ان نستثمر الزمن في ايقاف حركة النمو في داخلها وزيادة حركة النمو في داخلنا . كيف نوقف حركة النمو في اسرائيل ؟ هنا السؤال . ما هو محور الاستراتيجية الاسرائيلية ؟ اذا اتجهنا الى محور الاستراتيجية الاسرائيلية ، هناك يمكن ان نوقف حركة النمو . ليس ، بالضرورة ، ان نتمكن فورا من ايقافها نهائيا، ولكن من الممكن ان نحدث تباطؤا ، وهذا التباطوء يزيد بزيادة قدرة الفعل عندنا . تتركز الاستراتيجية الاسرائيلية على الانسان . سواء الانسان بالتوليد او الانسان بالهجرة . ومن هنا تنشأ حاجتها لتوفر لهذا الانسان أمنا وحماية وانتصارا دائما ليظل العنصر المميز . وكذلك خلق الظروف لبناء المجتمع و«القومية»، من خلال صهر مجمل التناقضات في اسرائيل ، ليصبح هذا المجتمع مؤهلا للتوسع والسيطرة والاستيعاب . وبمزيد من هذا التأهيل تتطور قدرته للقفز خارج اطاره . من هنا حددت اسرائيل استراتيجيتها الهجومية ، لكي تؤمن لهذا الانسان حماية وأمنا ، ولكي تخلق حالة نفسية لدى المجتمع الاسرائيلي لتشد اطرافه المتناقضة الى بعضها البعض ليتمكن البرنامج الاسرائيلي من تحقيق التذويب للاختلافات ، وتحقيق التوحيد في المجتمع المحلي . هذه الاستراتيجية تفرض علينا استراتيجية في المقابل : ما دام الانسان هو محور استراتيجيتهم ، فلا بد من ان يكون الانسان ايضا لدينا هو محور استراتيجيتنا . نعود للسؤال ما هي عناصر القوة في الجانب الاسرائيلي ؟ ما هي لكي نرى كيف نستطيع ان نهز هذه القوى ؟ لان أي انسان يريد ان يقود معركة مع أي طرف ، مطلوب منه ان يجعل الطرف الاخر في أضعف حالاته ، حتى تثمر نتائج معركته . اذن لنبحث عن عناصر القوة لدى العدو ، حتى نفكر كيف نضعف منها . طبعا هناك عناصر كثيرة ، وانا الان لا اتكلم بالتفصيل ، اعطي رؤوس اقلام ، عناصر القوة هي : (١) الانسان ، وحالة الشتات ، والهجرة . (٢) المستوى الحضاري والعقل المنظم والمحرك . (٣) الارتباط الخارجي مع الاستعمار العالمي والاستعمار الدولي . (٤) شبكة العلاقات الدولية والاستثمار غير المحدود للرأي العام الدولي . (٥) الاستراتيجية الهجومية التي تنقل المعركة بعيدا عن التجمعـــات البشرية المحلية . طبعا ربما كان هنالك عناصر اخرى كثيرة ، ولكن العناصر التي تعنيني هي التي ذكرت . الآن ، من أجل التصدي لعناصر القوة الاسرائيلية هذه ، يجب بالمقابل : (١) القضاء على شعور الاطمئنان ، ووقف الهجرة . ان القضاء على شعور الاطمئنان يحدد تدريجيا . فتكون المعادلة : يتزايد عدم الاطمئنان = يحد من الهجرة اكثر . اذن ، أحد عوامل وجود الانسان في اسرائيل ، بدأت تهتز فيه . الانسان يوجد في اسرائيل في احدى حالتين : اما بالولادة أو بالهجرة . (أ) بالولادة يحتاج الى ١٧ عاما ، ١٧ عاما لخلق انسان في اسرائيل . (ب) بالهجرة : الهجرة تتم بقرار ، بفعل ارادي . فاذا استطعت أن تهز حالة الامن في اسرائيل ، يمكنك ان تؤثر بداية في الهجرة . ومن ثم تتعامل مع الانسان بالولادة . طبعـــا هذا يعني اصبح الزمن بطيئا بالنسبة لهـــم . (٢) زيادة التناقض بين المواطن العادي وبين المؤسسة العسكرية ، وذلك بتكريس

عجز الجيش عن توفير الحمايات ، ودفع العلاقات الداخلية الى طبيعتها الاساسية المتناقضة بتناقض الاصول التي جاؤوا منها . وعندما يحس المواطن ان الجيش غير قادر على توفير هذه الحماية، تنحل قبضة المؤسسة العسكرية على المواطن في اسرائيل. وتبدأ تنمو ظواهر ايجابية لمصلحتنا ، مطلوب استثمارها والتوسع فيها . (٣) فك ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الدولي وتدميره ، وزيادة اعبائه وتكلفته . يجب ان يحس العالم ان ثمن قيام اسرائيل اكثر من ان يحتمل . . . اكثر من ان يحتمل . . . كانت التكلفة في ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ تتزايد ، كانت في اليوم الواحد مليون ونصف مليون دولار . أي أصبحت التكلفة السنوية تعادل تكلفة حرب حزيران . (٤) تعرية الوجه الاسرائيلي في المجال الدولي على حقيقته لافقاده التعاطف الدولي .

في مقابل هذا العرض يتحدد كيف يجب ان تكون الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة الاستراتيجيةالاسرائيلية وذلك لضربها في القلب. ان العدو يفكر باتجاه، وانا افكرباتجاه. ولهذا تتركز الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة عناصر القوة تلك ، بالعمل على تجميد حركة النمو في اسرائيل ، كمقدمة لتحطيم ركائز هذا الوجود وكياناته الاساسية . هذا التركيز على الانسان الاسرائيلي يعكس نفسه فورا على الانسان العربي ، من خلال حالة انتصار تشده الى الثورة مصحوبة بمزيد من الجهد والاستقطاب والتحــول في نفسية المواطن في اطار الجماعة . التحول في نفسية المواطن ، أعادة صياغة الانسان العربي من خلال المواجهة . الحرب هنا ليست قرارا ، الحرب هنا حالة جماهيرية . من هنا تبدأ بدايات خلق مجتمع الثورة . لقد تكلم د. يوسف عن « المجتمع الاستهلاكي » ، وهذه « قضايا لا تحل بقرارات » ولكنها تحل بالحالات الجماهيرية التي تنشأ . لا تستطيع أن تفرض منع استيراد البرادات في بيروت ! سوف يهربونها .. يشترونها من الســوق السوداء . ولكن يجب أن تنشأ حالة جماهيرية نفسية هي التي تقود الى تحويل عقلية هذه الجماهير .

منطلقات الثورة الفلسطينية : تنطلق الثورة الفلسطينية في مواقفهــا ومؤسساتها من قواعد اساسية .

اولا : ان اسرائيل قاعدة للاستعمار في المنطقـــة ، تستنزف جهدها وطاقتهـــا ، وتهدد مستقبل التطور والتغيير فيها ، ولهذا فان الامن القومي يفرض تصفية وجود هذه القاعدة من المنطقة نهائيا لطبيعتها الاستعمارية والعدوانية .

ثانيا : ان الكفاح المسلح من خلال حرب الشعب طويلة الامــد هو اسلوب المواجهـــة الوحيد ، الذي يستطيع ان يستثمر المزايا والخصائص المتوافرة في المنطقة العربيـــة ، وتعبئة الجماهير وحشدها وتمليكها القوة من خلال القتال لتحقيق الانتصار . وهذا يعني اعادة صياغة الانسان العربي .

ثالثا : ان بروز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني ، باعتبار الشــعب الفلسطيني يمثل حدية التناقض على ساحة الصراع مع الاحتلال الصهيوني ، يشــكل ضرورة اساسية لمواجهة الجهد المكثف المضاد الذي يحاول تغييب الشعب الفلسطيني من ساحات الصراع المحلي والدولي . ولهذا فان ابراز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني يعيد للقضية ، في الاطار الدولي ، حجمها ووجهها الحقيقي .

رابعا : الشعب الفلسطيني يظــل الطليعة لحــركة التحرير العربية من اجــل تحرير فلسطين .

خامسا : استقلالية الثورة الفلسطينية ، ورفض الوصاية العربية الرسمية شرطــان اساسيان للاحتفاظ بالهوية المميزة للثورة عن واقع الانظمة الرسمي مع كل ما يقــوده هذا التمايز من حركة تغيير في المنطقة .

ثمة نقطة يمكن ان نراجعها بسرعة . والكل يعرفها ولكن لها مدلولات . وهذه النقطة تتعلق بتطور الصراع العربي الاسرائيلي . كيف تطور الصراع العربي الاسرائيلي ؟ لقد مر الصراع العربي ـ الاسرائيلي في اعقاب سنة ١٩٤٨ في ثلاث مراحل : **المرحلة الاولى** هي مرحلة تغييب الشعب الفلسطيني عن قصد ، لكي يأخذ الصراع طابعا عربيا اسرائيليا في غياب الشعب الفلسطيني ، وكان الحرص على تغييب الشعب الفلسطيني مسألة اساسية من جانب اسرائيل لكي تؤكد ما طرحته في المجال الدولي من نظرية الفراغ في فلسطين . « أرض بلا شعب تعطى لشعب بلا أرض » . لذا كان من الضروري فرض غياب الشعب الفلسطيني . وبقي الشعب الفلسطيني غائبا ما دامت الانظمة العربية ، تحت المظلة الاسرائيلية ، في حالة دفاع . اما **المرحلة الثانية** : فكانت ميلاد الثورة الفلسطينية في عام ١٩٦٥ ، فنشأ واقع جديد . اذ بدأ الصراع يأخذ شكله الحقيقي ، فلسطيني ـ اسرائيلي . ولكن اسرائيل كانت ، منذ اول لحظة ، حريصة على ان لا يتسع او يتأكد هذا الواقع . وبدأت تدفع في الطرف العربي لتغييب الشعب الفلسطيني . ضربات في الجانب العربي لكي يقوم الجانب العربي بضرب الثورة الفلسطينية . وبدأ الصراع يأخذ طابع عربي ـ فلسطيني . فقد ارادت اسرائيل ان تصفي الثورة الفلسطينية بالجهد العربي . واخذ الصراع طابع عربي ـ فلسطيني . واصبحت القيادة العربية الموحدة ، هي السيف المسلط على رقاب الفلسطينيين . طاردتهم واعتقلتهم اينما كانوا باسم القيادة العربية الموحدة ، باسم الجهد العربي الموحد ، باسم التحرير . وجاءت هزيمة حزيران ، واختفت قدرة القمع العربية ، ونشأ واقع جديد وعادت القضية الى صورتها الحقيقية : صراع فلسطيني ـ اسرائيلي من جديد اي دخلت **المرحلة الثالثة** . وقد بدأ هذا الصراع في غياب قدرة الفعل ـ العربية ، في اعقاب هزيمة كافة الافكار والتحليلات العربية . وراحت الجماهير العربية تستقطب وتتحرك باتجاه الرؤية الفلسطينية لاسلوب المواجهة . ولكن لا الطرف العربي الرسمي، ولا القوى المعادية الدولية كان يروقها هذا . ان استقطاب الثورة الفلسطينية للجماهير العربية يقود فورا الى احداث سلسلة من التغيرات في المنطقة العربية ، تهدد مصير « الامر الواقع » في الانظمة العربية . وبالتالي كان لا بد من رفع قدرة التأثير الفلسطيني من الاطار العربي وشلها ، وبالتالي لا بد من ترسيم العلاقات الفلسطينية ـ العربية جماهيريا . ولا حاجة بنا للمجيء بالشواهد لان أكثر من دولة عربية لعبت اللعبة ، الى ان جاء مشروع روجرز . طبعا اثناء الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي ، كان الصراع العربي ـ الفلسطيني غير مرئي . اخذ اشكالا من الاختراق في الساحة الفلسطينية ، محاولة ايجاد تعدد منظمات في الساحة الفلسطينية . محاولة توليد . محاور متناقضة في الساحة الفلسطينية واغراقها بها . وعندما جاء مشروع روجرز . كان المشروع يمثل حالة الانتكاس العربية الرسمية . كانت الثورة الفلسطينية تراهن على قدرتها على تحريك قدرة القتال في المنطقة العربية . ارادة تحريك ارادة القتال الجماهيرية ، وما يمكن أن تفرزه ارادة القتال الجماهيرية في مواقع قرار التغيير . وكانت الموافقة على مشروع روجرز قرارا بالعجز من واقع القدرة . حيث كانت القدرة الجماهيرية العربية ، او حالة ارادة القتال العربية قد وصلت ، في يونيو ١٩٧٠ ، اقصى ما وصلت اليه طوال مسيرتها . وكان من الممكن لها ان تستمر ، ولكن قبول مشروع روجرز كان كأنه يضع حدا : هنا قف ! لا نريد ان نستمر . فورا دخلت الثورة الفلسطينية في حالة تناقض حاد ، مع الانظمة العربية . مشروع روجرز يمثل العودة الى منطق الامن الاقليمي . نريد ان نسوي الخلاف بالتفاهم لنؤمن حدودا مصرية واردنية وسورية ولبنانية على الحساب الفلسطيني . « خدوا اللي بدكم اياه » . المهم الامن الاقليمي المصري ، الامن الاقليمي الاردني ، الامن الاقليمي السوري ، الامن الاقليمي اللبناني ، اما ثمن هذا الامن الاقليمي في المنطقة العربية ، فيدفع من الرصيد الفلسطيني . طبعا ، هنا بدأ الصراع

الحدي بين نظرية الامن القومي الذي تمثله الثورة الفلسطينية ، والامن الاقليمي الـــذي تمثله الانظمة العربية ، طبعا كان العنصر الذي يحكم الصراع هو ارادتنا كفلسطينيين وارادة الاسرائيليين . نحن نريد ان نحرك ارادة القتال العربية لكي نحشد بها جهدا عربيا يقود الى احداث التغيير في العقلية وفي القرار وفي اتجاه الفعل . والاسرائيليون يريدون تحريك كافة القدرات التي يمكن تجنيدها لمحاصرة قدرة الفعـــل الفلسطينية وتطويقهـــا وخنقها ، قبل ان تتسع وتتغلغل في عمق الجماهير العربي . كان لا بد من اجل الوصول الى تسوية من تغييب الشعب الفلسطيني ، لتصبح هناك حرية في التصرف ، نيابة عنه ، وعلى حسابه . كان لا بد من اعادة الصراع الى مستواه الرسمي العربي — الاسرائيلي، **بدل أن يكون صراعا بين الجماهير العربية والاحتلال الاسرائيلي** . امـــام هذا الحصار كان لا بد من نشر النيران في اوسع دائرة ، هم يحاولون ان يخنقوا النار ، ونحن لا بد ان ننشرها في اوسع دائـــرة . الفانتوم الاسرائيلي نقلت الاستراتيجية الاسرائيليـــة الى الكويت وعدن . ونحن ملزمون ان ننقل الاستراتيجية الفلسطينية الى المدى الذي لا تصله الفانتوم . هذا المدى هو في عمق الارض المحتلة وفي خارجها . هذا المدى هو في البيت الاسرائيلي . حيث لا تصل الفانتوم . قرار الحرب لا يكفي ولكن المطلوب تحديد هوية الحرب . في حزيران اسرائيـــل احتلت الارض . ولكن ولـــدت ارادة شعبنا . واليوم يريدون ان يعيدوا ارضا ليعيدوا شعبنا الى الموت . هذا هو الهدف .

الان ، لو انتهينا من هذا العرض الذي جاء كمقدمة . طبعا كان المقصود ان يطرح خلفية المجابهة . نأتي الى ما هو الموقف الان . هنالك كما يقال مشروعات تسوية، او احتمالات تسوية ، فما هو الهدف ، لماذا ؟ هل صحيح ان التسوية تحقق انتصارا عربيا ؟؟ التسوية هي هروب من المواجهة العربية مع الاحتلال الاسرائيلي ، للتقوقع ضمن اطار المنطـــق الاقليمي . نحن كثورة فلسطينية نواجه السؤال : اذا تمت التسوية ، مطلوب تصفية الثورة . وحتى لا تتم التسوية مطلوب استمرار الثورة . تصورنا التالي ايضا : ليس هنالك ، حقيقة ، تسوية ، ولكن هناك قطعة حلوى مماثلة لمشروع روجرز ، هدفهـــا العرض الاميركي او الالحاح الاميركي على ضرورة البحث عن تسوية، على ضرورة دخول مفاوضات مباشرة او غير مباشرة . جزئية ضمن حل شامـــل ، او شاملة ضمن حل جزئي ! هذا الهدف — الهدف الاميركي هو — اولا : نقل القضية من اطارها الدولي ، من اطار اهتمامها الدولي الى اطار الاهتمام المحلي . عندما تبدأ مفاوضات عربية ، تنتقل القضية فورا من الاهتمام الدولي ، الى الاطار الثنائي لاطراف — المفاوضات — . ان اسرائيل تلح منذ مـــدة طويلة على عملية النقل هـــذه . اذا تم الدخـــول في مفاوضات — مباشرة او غير مباشرة — يحدث فورا تناقض ، بين الثورة الفلسطينية والدولـــة العربية التي ستدخل في اطار المفاوضات . وكان مطلوبا قبل ذهاب الملـــك حسين ، وحافظ اسماعيل — قبل الحج الى اميركا — كان مطلوبا احداث وئام عربي ، لكي تكون حالة التناقض بين الثورة الفلسطينية ومجمل الواقع العربي الذي ناله الوئـــام ، حتى تصبح امكانية خنق الثورة الفلسطينية اسهل مما لو بقيت هناك حالة تناقض عربية . المقصود هو (١) جر الطرف العربي الى مفاوضات . (٢) احداث تناقض عربي يقود الى صراع ، هذا الصراع يقود الى انحطاط في القدرة العربية على الجانبين ، على جانب الثورة الفلسطينية ، وعـــلى الجانب العـــربي الذي دخل الصراع . (٣) فتح قنـــاة السويس ، ان امكن ، لتفريغ الاهتمام الدولي من اهتماماته بالقضية ، لتعود القضية محلية جدا يتكرس من خلالها امر واقع مماثل لامر واقع الـ ١٩٤٨ . يعني ليس هناك تسوية ، ولكن هناك محاولات اغراء تقود الى تحطيم القدرة القتالية العربية ، او الى مزيد من الانحطاط في القدرة القتالية العربية . طبعا ، لا احد في الواقع الرسمي العربي قادر على استكشاف هذه الحقيقة حتى الان ، والا لقرر ان ست سنوات من المفاوضات كانت كافية ، ولبدأ يبحث عن معالجة بديلة . اما استمرار المعالجة بنفس الاسلوب على

طول السنوات الست فانه يؤكد ان قدرة الاستكشاف العربي لحقيقة ما تريده اميركا واسرائيل في المنطقة لا يزال عاجزا .

من هنا يأتي واجبنا كثورة فلسطينية . الثورة الفلسطينية تضع معادلة : استمرار الثورة يعني لا تسوية ، تمرير التسوية يعني تصفية الثورة الفلسطينية . بالتالي نحن امام واجبات : ان تستمر الثورة حتى لا تمر التسوية . حتى تستمر الثورة مطلوب تحقيق شروط . اما الشروط لاستمرار اية ثورة وطنية فهي شرطان : وجود احتلال تواجهه مقاومة تدفع بالجماهير لتتبنى برنامج ثورة (٢) قيام سلطة وطنية تتبنى برنامج الثورة ، وتدفع بجماهيرها لتتبنى برنامج الثورة ، وتقوم هي بتحمل مسؤولية نتائج هذا التبني .

الشرط الاول : وجود الاحتلال : الاحتلال موجود . فالمطلوب اذن هو اعادة تصحيح هذا الواقع القائم ليظل الصراع صراعا فلسطينيا — اسرائيليا على الارض الفلسطينية . وتنمية قدرات الثورة الفلسطينية بشكل يجعلها مشكلة اسرائيلية تقع مسؤولية تصفيتها على سلطات الاحتلال وليس على النظام العربي . وبالتالي سيشكل هذا قيدا على اتجاه اسرائيل نفسها الى التسوية ، الى ما بعد ان تنتهي من تصفية الثورة الفلسطينية . وهنا يأتي القمع الاسرائيلي ، وهذا القمع بالنسبة للثورة الفلسطينية ظاهرة صحية وليس ظاهرة مرضية . ظاهرة صحية لانه يدفع الجماهير للانحياز . عندما صعدنا القتال دخل الجيش الى نابلس ، ودخل القدس ، والاعتقالات تتزايد ، ان الدوريات الان في نابلس . في حين لم يكن احد قبل مدة يرى جيشا اسرائيليا ، الى حد كأنه لا يوجد احتلال ، اي كان احتلالا غير مرئي . أما الان فالاحتلال مرئي وزادت المجابهة .
الشرط الثاني : السلطة الوطنية التي تتبنى برنامج الثورة : هنالك في المنطقة دول الطوق ، وهي الدول المطلوب منها ان تكون اطرافا في التسوية ، اذا لا بد من ان تسقط احدى هذه الدول بيد سلطة وطنية ، تكون هذه السلطة رافضة للاستسلام ، رافضة للتسوية ، وتتبنى برنامج الثورة . الدولة المرشحة رقم واحد ، بغض النظر عن حدود القدرة ، الان او غدا او بعد غد ، هي الاردن . من اجل هذا مطلوب تغيير في واقع السلطة في الاردن .

على هذا الاساس يمكن ان نقول ان مهمات المرحلة — كمهمات شاملة وليست تفصيلية — هي :

اولا : استمرار الثورة الفلسطينية في التركيز على تنمية البناء الثوري في الارض المحتلة، وترتيب اوضاعها في قواعد الارتكاز .

ثانيا : تبديل القناعات العربية التي لازمت القرار في السنوات الماضية واعادة تركيب الامور على اساس الاقتناعات الجديدة ، التي هي ، بالاصل ، يجب ان تكون على ضوء نظرية المجابهة الفلسطينية . وترتيب الامور على اساسها في قواعد الارتكاز والمواجهة.

ثالثا : تدويل الصراع العربي — الاسرائيلي وتوسيع دائرته حتى يتزايد الاهتمام الدولي، ويحس بضخامة الخطر الاسرائيلي واعبائه .

النظام العربي لا يستطيع ان يقاتل ، والمواطن العربي يعيش حياة الاسترخاء .

النظام العربي الذي يخشى ان يرى السلاح في يد جماهيره ، يخشى ان يقاتل والسلاح بيد اعدائه .

المعركة في الاساس معركة جماهير تجري تعبئتها وقيادة نفسيتها وقدراتها في اطار المعركة ، وليست معركة قرار .

النظام الذي يحلم بالحرب الخاطفة هو نظام ذاهب للتسوية او للتسليم ، ليس له من احدهما فرار .

النظام الذي يذهب للحرب بدون جماهيره ، هو نظام ذاهب للتسوية ، ولا يمكن ان يغطي ذلك ، او يخفيه هدير المدافع والطائرات .

ان امكانية تحويل هزيمة التسوية الى انتصار – امكانية معدومة . لانهم ان استطاعوا ان يخدعوا شعبهم يوما او يومين ، فلا بد ان تتكشف الحقيقة ، ولا بد ان يتلوها تغيرات اكثر اشراقا من التغييرات التي حدثت بعد ١٩٤٨ .

*

ملاحظـــات :

جرى نوعان من الملاحظات ، ملاحظات قدمها الاخ الهيثم الايوبي والاخ كلوفيس مقصود وملاحظات الاستاذ ياسين الحافظ ، وهي من طبيعة مختلفة .

ملاحظات الاستاذ الحافظ كانت تختلف معي بالمنهج جذريا . فالفرضيات التي قدمهـــا ، والتحليلات التي قدمها، لا تلتقي معي مطلقاً ولا تقابل بيننا ، ونحن في موقعين متناقضين، والحوار فيه غير مجد . الاستاذ الحافظ قدم ظواهر عجز ، واعتبرها حقائق قائمـــة لا يمكن التغيير فيها ، واخشى ان يقود هذا الى الاستسلام . **ان كنت انا احمل الامـــاني ، فهو يحمل اليأس . والافضل ان احمل الاماني وان اصنعها** . فقد كان الحلم الاسرائيلي في سنة ١٨٩٧ اماني غير مرئية ، وأصبح في سنة ١٩٤٧ اماني حقيقية ، واقعا يفرض نفسه .

دعني أعش بأماني اصنعها ، خير من أن استسلم ليأسي .

ملاحظات الاخ هيثم والاخ كلوفيس : ليس بيني وبين الاخ هيثم أي تناقض ، ولكن يبدو ان العملية كانت عدم التقاط للكلمات . هو قال انه لا يجوز ان تكون مجابهة بين الشعب الفلسطيني والعدو الاسرائيلي . صحيح ، انا لـــم اقل هذا . قلت ان المجـــابهة بـــين **الاستراتيجية الفلسطينية والاستراتيجية الاسرائيلية** . واوضحت التناقض بين نظريتي المواجهة العربية الرسمية والفلسطينية ، بدليل انني قلت أن اطراف الصـــراع هـــي الاستعمار وطليعته اسرائيل من جهة ، والامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني من جهة ثانية . فأنا لم افصل ، ولكن احببت ان اركز عـــلى أن تكون المواجهة من خـــلال الاستراتيجية الفلسطينية .

اما ملاحظات الاخ كلوفيس فمنها ما يلي : اراد الاخ كلوفيس ان يضيف انه لا يجوز ان يكون نقل مركز الثقل بالعمل الفلسطيني في الارض المحتلة ، هروبا : من تحميـــل مسؤولية القمع للنظام العربي . لا ، ليس هذا هو الهدف . ليس الهدف في نقل ثقـــل العمل الفلسطيني الى الارض المحتلة هو الهروب من مواجهة القمع العربي . ولكن لان حركة النضال الفلسطيني في الارض المحتلة لا تتم في الفراغ ، وهي حركـــة تتفاعل مع الجماهير العربية خارجها . فان خلق حالة الرفض للاحتلال في الداخل وتعميقها ، يخلق بالتالي عند الاحتلال حالة رفض للتسوية . والاحتلال هو الطـــرف الاقدر للاشتراك في موضوع التسوية . وبالتالي هو لن يمرر التسوية ، وعناصر « عـــدم الامن » ، كمـــا يسميها ، لا تزال قـــادرة على الفعـــل في الارض . من هنـــا نحن نضمـــن استمرارية النضال ، **بما يعكسه هذا الاستمرار في النضال على نفسية الجماهير العربية في الارض العربية ، ويمهد بالتالي لاحداث حركة التغير تجاه القرار والفعل في المنطقة .**

تحدث الاستاذ كلوفيس ايضا عن انه يجب الا ننسى المحاولة الجديدة لايران والحبشة . صحيح ، لم ننسها . وبالعكس ، قلنا ان علينا ان ننشر دائرة النيران في اوسع نطاق . قلنا أكثر ، يجب ان ننقل استراتيجيتنا حيث تصل الفانتوم . وكنا اكثر تحديدا في واجبات المرحلة : « الواجب الثالث هو تدويل الصراع العربي — الاسرائيلي وتوسيع دائرته ، حتى يتزايد الاهتمام الدولي ويحس بقيمة الخطر الاسرائيلي واعبائه ولست مطالبا بتقديم تفاصيل» . اما ملاحظة الاستاذ كلوفيس على رأيي بالكفاح المسلح بان ذلك يقود الى انهاء النضال السياسي فهي ليست صحيحة . النص هو « الكفاح المسلح بحرب الشعب طويلة الامد هو الاسلوب الوحيد » . هنا حقيقتان : الكفاح المسلح — واحد — وحرب الشعب طويلة الامد — اثنين — **حرب الشعب طويلة الامد هي الاسلوب الوحيد . الكفاح المسلح هو المنهج الذي يمكن توظيفه لخدمة حرب الشعب** . الكفاح المسلح لا يمكـن ان يبدأ من فراغ . لا بد من ان يخلق حالة نفسية ، لخلق اجواء الثورة بداية : **ان اجواء الثورة لا يمكن ان تتم بطريقة ميكانيكية . ولكنها تتم بالتعبئة الجماهيرية . النضال السياسي فيها اساسي** ، وبالتالي ، فان **الكفاح المسلح منهج ، وحرب الشعب طويلة الامد الاسلوب الوحيد** . هنا التمييز .

اما عن موضوع العلاقات الثنائية التي قالها كلوفيس . فيجب ان اوضـح : نحن نعي تماما حقيقة الواقع العربي . حقيقة حتى اصدقائنا وحدود التعامل معهم . نحن نعرف ان العلاقات لا تحدد في موعد واحد . للتحليل دائما بعدان ، بعد زماني وبعد مكـاني . لو بدأنا سنة ١٩٦٥ نحدد من معنا ومن ضدنا ، لم يكن احد معنا ، اذا لكان انتهى بنا كل شيء . ولكننا كنا نراهن على قدرتنا على احداث التغيير التاريخي : التاريخ المتحرك . في عام ١٩٦٥ لم يكن احد معنـا . في سنة ١٩٦٨ كان الكل يبدو كـأنه معنا ، **ولكن ، حقيقة ، كانت الجماهير العربية معنا** . نحن نراهن على العمق الزمني الذي نهبـط من خلاله نغير في واقع الجماهير العربي ، لكي تحدث هذه الجماهير ، بدورها ، التغير في اطارها المحلي . نحن نعرف الارتباطات في كل الاقطار العربية ، ونعرف الى اي مـدى نستطيع ان نتعامل وفي اي حدود . فصداقاتنا غير مباحة ولا مفتوحة وليست مقدمة على بطاقة بيضاء . نعرف ماذا في الجزائر ، نعرف ماذا في السعودية ، ونعرف ماذا في مصر ، ونعرف ماذا في سوريا ، ونعرف ماذا في العراق ، ونعرف ماذا في الاتحاد السوفياتي . لو كان يجب أن نأخذ مواقف من الاخرين ، لكان يجب ان نأخذ موقفا من صديقنا الاتحاد السوفياتي ، بعد قرار الهجرة . وانتم تعرفون الى أي مدى تشارك عملية الهجـرة لاسرائيل ، ومن اي اتجاه جاءت ، في دعم الطاقة البشرية الاسرائيلية . ولكننا لا نسمح باستثمار هذا التعارض وهذا التناقض القائم الان بفعل الهجرة . لن نسمح بدفع الامور الى حد التناقض . ولكننا نركز على اصدقائنا ونبـذل جهدا معهم ، لوضع حـد لهذه الهجرة ، لوقفها ، وللتغيير في مواقفهم ورؤياهم . لو كنا نريد ان نراهن على مواقف الاخرين ، لكان موقف الاتحاد السوفياتي في سنة ١٩٦٩ ، يتطلب منـا موقفا غـير موقفنا من الاتحاد السوفياتي اليوم . لقد تطورت العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفياتي — مثلا — مواقفه سنة ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، اما الان فالاتحاد السوفياتي يقف موقفا غـير موقفه سنة ١٩٦٩ . ونحن نراهن على تطوير موقف الاتحاد السوفياتي . لا يجوز ان يطالبنا احد بأن نأخذ مواقف حدية من مجرد ظواهر خطأ . اما في اللحظة التي يتحـول فيها الخطأ الى خيانة ، في تلك اللحظة نحن مطالبون أن نقف مواقف جدية . ونحن نعرف مواقف الكل بوضوح . سؤال يحتاج الى اجابة : ولكن لماذا هذه العلاقات ؟ من شروط انتصار الثورة الفلسطينية ، من شروط قدرة الثورة الفلسطينية على احـداث التغيير هنالك شرط اساسي : **استقـلال الثورة وتميزهـا** . كيف تريـدون ان تكون الثورة الفلسطينية مستقلة في وسط عالم يتنازعها فيه كل في اتجاه ، **وهي لا تقف على أرضها ؟ من مداخلنا لتحقيق الاستقلال، استقلالية الارادة الفلسطينية، تعدد علاقاتنا وصداقاتنا .**

وذلك لكي لا يتمكن احد منهم ان يملي علينا موقفا . نحن نحـــاول ، في هذا التعدد في العلاقات ان نضمن موقفا مستقلا نفلت به من محاولة الضغط من اي اتجاه أتى . ولكن يجب ان يعي الجميع بوضوح ان صداقاتنا ليست رخيصة ولا تقدم على طبق من فضة بالمجان .

هناك بعض الملاحظات التي تحتاج مني الى تعليق . قضية النضال العربي من اجـــل تحرير فلسطين . هذه النقطة التي يلومنا بها البعض هي نقطة قوتنا . هذه النقطة هي بداية المدخل القومي للثورة الفلسطينية . كيف ؟ نحن نعتقد بضرورة توظيف كل الجهد العربي لحساب التحرير . كيف يتم هذا ؟ نحن ننادي بالتغير ، ننادي بالوحدة . **ولكن لا بد لاية حركة تحرير ولا بد لاية وحدة من قضية ، قضية واحدة . ولا بد لهذه القضية من طليعة تتبناها** . لو استعرضنا كافة قضايـــا الوطن العـــربي المرشحة للنضال من حولها ، فسنجد ان هناك قضايا كثيرة متعددة . في العراق ، في سوريا ، في عدن ، في الخليج ، في مصر ، في الجزائر ، في لبنان . **ولكن ما هي القضية الحدية ، التي تمثل حدية الصراع . والقضية المؤهلة لاستقطاب الجميع ؟**. يقول الاخ نديم عبد الصمد ان كـــافة القوى العربية التقت حول تأييد الثورة الفلسطينية ، رغم ان بينها خلافات . وهـــذا حقيقي . لو باشرت هـــذه القوى تبحث عن قضية اخرى لتعـــذر الموقف . ان قضية فلسطين ، هي قضية التناقض الحدي مع الاستعمار ، ومع اسرائيل ، وهي المرشحة لاستقطاب كافة القوى المناضلة ، وكافة الطلائع العربية المناضلة . وكذلـــك فان اي عمل ، اي تحرك ، اي بناء ، اي اداة ، لا بد لها من بداية . ولا تستطيـــع ان تنتظـــر لتنادي وتستنجد وتستحث اطرافا اخرى لتبدأ بدلا منها . لا بد من جهة ما معينة تقـــوم بالتصدي لهذه المسؤولية . وتقود النضال من اجلها ، وتشكل محور الاستقطـــاب . **الجهة المرشحة لهذا هي الجهة ذات التماس المباشر مع هذه القضية بداية . ولكن هذا لا يوقف العمل عندها . ولا يحصر اطاره فيها** . ولكنه يعطيها وضع الملزم بحكم تماسه المباشر مع القضية الحدية . من هنا ، **تتوفر القضية ، تتوفر الطليعة ، وتدور حـــركة النضال ، وتنعكس اثارها على الجماهير العربية ، فتفرز حالة جماهيرية ، تتطلع الى التغيير من خلال الطلائع المحلية في كل قطر . ويتم لقاء كافة هذه الطلائع . حول قضية واحدة ، في معركة واحدة** . فيتم من خلال ذلك توحيد للجهد في شكـــل توحيد للاداة ، بداية ، من اجل ما نطمح اليه جميعا ، **الوحدة العربية** . من هنا جاء شعارنا : «النضال من اجل فلسطين هو الطريق للوحدة » . عكس الشعار المطروح سابقا : « الوحـــدة هي طريق العودة » . الوحدة من يقوم بها ؟ وحدة حسابات ؟ قامت وانفصلت . اذا لم تتم الوحدة من خلال تفاعل نضالي ، كيف تتم؟ ان الاستنجاد بالاطراف الاخرى لا يجدي. لا بد من أن تتصدى طليعة لهذه المسؤولية ولهذا الواجب . من هنا، وبهذا النص الدقيق الذي طرحته الثورة الفلسطينية ـــ باعتبارها الطليعة لحركة النضال العربي من اجل تحرير فلسطين ـــ كانت تعكس بعدها القومي . وشكرا .

الثورة مستمرة

آخر حديث للشهيد كمال ناصر

فيما يلي ترجمة عربية لاخر حديث أدلى به الشهيد كمال ناصر ، وذلك في مقابلة تلفزيونية جرت في السادس من نيسان (ابريل) في قسم الثقافة الفنية في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ، وكانت المقابلة مع مايك والاس مراسل التلفزيون الاميركي سي. بي. اس.

سؤال : استاذ كمال ، ما هو دورك في حركة المقاومة الفلسطينية ؟

جواب : انني عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسمها ، وهي تمثل حركة المقاومة الفلسطينية .

س : ما هي م. ت. ف. ؟

ج : هي منظمة انشئت في العام ١٩٦٤ . وفي العام ١٩٦٧ قررت مختلف منظمات المقاومة الفلسطينية ان تعتبر م. ت. ف. ارضية للقاء وتوحيد الجهد في القتال في سبيل تحرير فلسطين .

س : ما هي ضرورة اقامة منظمة مشتركة . الأنه كانت هناك خلافات بين مختلف المنظمات ؟

ج : انها مطلب وطني . فعندما توحد قواك تقوى وتتقدم .

س : هل هناك مقاومة فلسطينية واحدة ؟ ام ان هناك بضع حركات فلسطينية تستخدم وضع الفلسطينيين في صالحها هي ؟

ج : قطعا هناك حركة مقاومة واحدة تمثلها قيادة شرعية منتخبة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني .

س : هل أنت عضو في فتح ؟

ج : لا .

س : لا ؟ الست عضوا في فتح ؟

ج : لا . انني فلسطيني مستقل .

س : الم تكن عضوا في فتح قط ؟

ج : أبدا . لقد عملت في السياسة على مدى العشرين سنة الماضية . وانني لست عضوا في فتح . ليس كل فلسطيني يعمل في م. ت. ف. بالضرورة عضوا في منظمة فلسطينية ما . ان م. ت. ف. هي المنظمة الأم . وهي تمثل الكيان الفلسطيني .

س : ماذا تريد المقاومة الفلسطينية ؟

ج : يريد الفلسطينيون ، بكل بساطة ، العودة الى ديارهم فلسطين .

س : تحت أية ظروف ؟

ج : تحت اية ظروف كانت .

س : ما هي صورة الدولة الفلسطينية لديهم ؟

ج : كانت المقاومة الفلسطينية هي الطرف الوحيد في العالم العربي ، بما في ذلك الانظمة العربية كافة ، الذي طرح حلا للمسألة الفلسطينية ، تلك المسألة المعقدة والفريدة من نوعها ، والمعروفة دوليا بأزمة الشرق الاوسط .

لقد طرحنا حلا ينادي بدولة فلسطينية ديمقراطية علمانية حيث تتمتع جميع الطوائف فيها بحقوق متساوية وفي ظل قانون واحد بسلام وانسجام تامين .

س : ما هي الارض التي سوف تعيشون عليها ؟

ج : انها أرض فلسطين .

س : ما هي الارض التي ستضمها ؟

ج : ستضم فلسطين ، فلسطين التي كانت في ظل الانتداب البريطاني . فلسطين التي عاش الفلسطينيون فيها آلاف السنين . وهذا أمر ليس تكتيكا بل هو أمر استراتيجي . ذلك لاننا ننادي منذ أمد بعيد بأننا نفرق بين الصهيونية واليهودية .

س : هل حركة المقاومة الفلسطينية هي حركة قومية ؟ ام قوة ثورية ؟

ج : انها حركة قومية وثورية في آن معا . ولا تناقض بين الاثنين . انه لا يمكنها الا ان تكون قومية لان الفلسطيني جزء من أمة ، وان تكون ثورية لان وسيلتها هي الكفاح المسلح وحرب الشعب في سبيل تحرير وطننا .

س : ثورة ضد من ؟

ج : انها ثورة داخل العالم العربي وداخل صفوف الفلسطينيين لحشد القوى للسير في سبيل تحرير فلسطين . اننا نسميها حركة المقاومة الفلسطينية . ان هدفها هو تحرير الوطن السليب وليس الحرب بحد ذاتها لان احدا لا يحارب او يقاتل من أجل الحرب أو القتال .

س : عندما نتحدث عن الثورة هل يمكننا القول ان حركة المقاومة الفلسطينية ترغب في اسقاط أي حكومة عربية ؟

ج : في الحقيقة ، لنا مشاكلنا الخاصة في العالم العربي . ان المسألة ليست اسقاط الانظمة العربية انما هي حمل بعض الانظمة العربية المترددة على القتال معنا في سبيل تحرير فلسطين . فهناك انظمة عربية معينة تتردد او ربما ليس لديها الامكانيات او الايمان او ارادة القتال الان بينما تؤمن الجماهير العربية بأن فلسطين حق لها وان الصهيونيين معتدون ويغتصبون أرضها .

س : يقال ان هناك داخل حركة المقاومة الفلسطينية يمينيين ويساريين وان هناك معركة بين الفلسطينيين . ما رأيك ؟

ج : لا بد ان أقول بوضوح اننا نجمد التناقضات الثانوية داخل صفوفنا ، ذلك لمواجهة التناقض الرئيسي وهو الصهيونية . الا انك لا تستطيع منع الناس من التفكير في ما يعتقدون . فهناك وسائل وطرق متنوعة للتحرير . الا أننا في هذه المرحلة القومية نجمد فعلا تناقضاتنا الثانوية في وجه التناقض الرئيسي وهو الصهيونية .

س : هل تقوم المقاومة الفلسطينية حاليا بعمليات عسكرية أو شبه عسكرية داخل اسرائيل ؟

ج : نعم ! اننا نقوم بذلك .

س : لماذا لا نسمع بها اذن ؟

ج : هناك بعض الاسباب . هناك مثلا الكثير من التعمية التي تفرض على عملياتنا .

س : من يفرض تلك التعمية ؟

ج : وسائل اعلامية متنوعة في العالم .

س : هل تستطيع أن تذكر لنا عمليات ناجحة واحيطت بالتعمية الاعلامية ؟

ج : اعتقد ان عشرات العمليات في الداخل تمت بنجاح جيد جدا واحيطت بالتعمية .

س : مثلا .

ج : لا استطيع ان اذكر الان ولكننا نقوم بعمليات ضد اسرائيل كل يوم وبامكانك الرجوع الى السجلات الاسرائيلية . ان اسرائيل ، بين الفينة والفينة ، لا تذكر العملية الفدائية الا اذا كانت واضحة وبارزة امام الصحافيين . والعمليات الفدائية لا تجري في مكان واحد انما هنا وهناك . اننا نعتقد ان الحكومة الاسرائيلية لا تعلن عن كل عملية فدائية الا اذا كانت معروفة من قبل الصحافيين والشعب . والقيام بذلك هو جزء من الاستراتيجية الاسرائيلية .

س : هل تنظمون عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : اننا لا نعمل من الحدود اللبنانية ولكننا نحاول العمل من اي مكان اخر . اننا نحاول أن نعمل في العمق .

س : أسألك مرة أخرى : هل تنظمون عمليات عسكرية او شبه عسكرية داخل اسرائيل؟

ج : نعم .

س : أي نوع ؟

ج : جميع أنواع العمليات . ولكن الشيء الرئيسي اننا لا نعمل الان عبر الحدود وانما في العمق واننا نعبر بالطبع الحدود العربية باستثناء الحدود اللبنانية ونعمل في العمق من أي مكان نريد لاننا عندما برزنا كحركة مقاومة لم نستأذن أحداً .

س : اذا كنتم لا تعملون عبر الحدود اللبنانية فانكم تعملون اذن عبر الحدود السورية ؟

ج : اننا نعمل من أي مكان نختاره ولدينا القدرة على ذلك سنعمل حتى تتحرر فلسطين .

س : هل تنظم المقاومة الفلسطينية عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : مثل ماذا ؟

س : عمليات من جميع الانواع مثلما تقوم به أيلول الاسود على سبيل المثال .

ج : اننا حركة مقاومة ونؤمن بالكفاح المسلح وحرب الشعب طويلة النفس . ليست هناك منظمة تسمى ايلول الاسود داخل منظمة التحرير الفلسطينية . ان منظمة كتلك لا توجد ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية . انني أعتقد ان منظمة ايلول الاسود كما افهمها هي حالة ذهنية تعيش وتحيا بين الفلسطينيين . انها ظاهرة نرقبها وندرسها بحذر . ان وضع الفلسطينيين يفسر هذه الظاهرة بسهولة . لقد عانى الفلسطينيون في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من الاحباط والمرارة ، لقد فقدوا ارضهم وبعضهم يعيش تحت الاحتلال وبعضهم الاخر لا يزال في الخيام . ويبدو ان العالم بأسره لا يريد فهم هذه المأساة . انه من الطبيعي اذن أن تبرز ظواهر كهذه. الا أنني كمسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية اقول لك لن اقبل ابدا أن تكون مثل هذه الظواهر بديلا لحركة المقاومة . ان ظاهرة ايلول الاسود أو غيرها ليست بديلا لحركة المقاومة .

س : ما هي اذن ؟

ج : انني شخصيا لا اتحدث باسمها ونحن في منظمة التحرير الفلسطينية لا نعرفهـــا . انها بالنسبة الينا ظاهرة وقد تكون منظمة أو لا تكون . انني اعتقد ان ظاهرة ايلـــول الاسود يمكن اعتبارها ابنا شرعيا لمجزرة ايلول التي وقعت في الاردن وقد يكون الامر ان عددا من الفلسطينيين شعروا بالاستياء من المذبحة ويريدون العالم اجمع ان يسمعهم ويسمع مشاكلهم ومراراتهم .

س : هل فتح عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ج : ان فتح هي اكبر فصيل في منظمة التحرير الفلسطينية .

س : لقد قال ابو داود وهو عضو في فتح ان ايلول الاسود ليست تنظيما منفصلا وانما هي عبارة عن مجموعة من الناس من فتح ذاتها .

ج : اعتقد ان ابو داود وهـــو سجين في ايدي السلطات الاردنية ربمـــا وضع في ظرف اضطر فيه الى قول ما يملى عليه من قبل النظام الاردني وقد يكون ذلك نتيجة للتعذيب . وهناك طرق كثيرة لحمل الناس على الكلام .

س : لقد قال ابو داود على سبيل المثال ان ابو ايـــاد خطط عملية ميونيخ وابو يوسف خطط عملية اللد وان اناسا اخرين من قيادة فتح يعملون في ايلول الاسود . هل تعتقد ان ذلك غير صحيح ؟

ج : قطعا . انني واثق ان ذلك غير صحيح . لقد قال ابو داود مؤخرا في مقابلـــة مع صحافية امريكية أن فتح ليست ايلول الاسود وان الاسماء التي كان قد ذكرها لم تكن اسماء قادة في ايلول الاسود . ان بعض المتطرفين الفلسطينيين قد يكونون ايلول الاسود ولكن ليس فتح .

س : ان لدينا فلما اعده بيتر سنو المراسل البريطـــاني في مقابلة ابو داود في سجنه في الاردن وانني اعرف ما قاله ومتأكد منه .

ج : ان بيتر سنو معروف تماما بانه من رجال العائلة المالكة في الاردن وهو يكتب عنهم ويضع سجل حياتهم وتاريخهم .

س : هناك تقرير في صحيفة « الواشنطن بوست » لا بد انك قرأته يقول ان ياسر عرفات زعيم فتح كان في مركز ارسال ايلـــول الاسود في بيروت عندمـــا صدر الامر باعـــدام الدبلوماسيين الثلاثة في الخرطوم في اثناء عملية ايلول الاسود الاخيرة فيها ؟

ج : انني اريدك كما اريد بقية الشعب الامريكي وحتى الحكومـــة الامريكية ايضا ان تعرفوا أننا لو كنا ايلول الاسود ولو كان لنا اية صلة بهم لما خشينا ان نعلن ذلك . وانني اعلن هذه الحقيقة للعالـــم باسره لاننا نناضل ونؤمن بقضيتنـــا وبأي شيء يقربنا من التحرير . انني اؤكد لك ان القوى المضادة للثورة في الغرب وفي العالم العربي تحـــاول ربطنا بايلول الاسود . اننا حركة مقاومة ونعرف معنى ذلك بالضبط .

س : اذا عرفات ليس من ايلول الاسود وليس له صلة بتخطيط الاغتيال او التهنئة به ؟

ج : ان ياسر عرفات هو زعيم حركـــة المقاومة الفلسطينية . انه زعيم منظمة التحرير الفلسطينيـــة ونحن مهتمون بـــأي شيء يبرز في فلسطين وعـــن فلسطين وفي صفوف الفلسطينيين . ولو كان عرفات من ايلول الاسود لقال ذلك للعالم بأسره لان لديه ما فيه الكفاية من الشجاعة والرجولة ليقول ذلك للعالم .

س : لماذا لا يحضر عرفات الى هنا ويقول لنا ذلك ؟

ج : ان ياسر عرفات هنا الان ولكنه قال ذلك اكثر من مرة .

س : لماذا لا يظهر عرفات في المناسبات العامة ؟

ج : ان ياسر عرفات يظهر في المناسبات العامة عندما يكون ذلــك ضروريا . ان الرأي العام العالمي مهم بالنسبة لنا . ولكني اؤكد لك انه لا بد للرأي العام من ان يعرفنا معرفة افضل ويفهم خط سيرنا ، عندما يعرف اننا نخوض معركة وتحقق بعض النصر لاننا نفهم ما يقف ضدنا ونعرف ان مسيرتنا طويلة جدا .

س : انك لا تتنصل من عمل ايلول الاسود ؟

ج : انني اتفهمه .

س : افصح .

ج : كما سبق وقلت لك ان تلك الظواهــر تبرز في ظروف معينة وتكتسب شعبية اكثر فأكثر .

س : هل تتنصل منظمة التحرير الفلسطينية مما تقوم به ايلول الاسود ؟

ج : ان م . ت . ف . لا تضم منظمة تدعى ايلول الاسود وانا لا اتحدث باسم ايلول الاسود ولكنني مسؤول فلسطيني مهتم بأية ظاهرة تبرز في صفوف الفلسطينيين واستطيع تفهمها تفهما جيدا . لقد عانى الفلسطينيون من الاحباط والمرارة وطردوا من بيوتهم ويعيشون تحت الاحتلال وفي الشتات في العالــم باسره . اذن نحن نتفهم ايلول الاسود والظواهر المماثلة لها ونأمل ان يهتم العالم بأسره بهكذا ظواهر ويتفهمها لانها قد تسهل الامــور للعالم كله .

س : كيف تسهل ؟

ج : بمعنى ان يصبح العالم اكثر اهتماما بالقضية الفلسطينية . بآلام واحزان الشعب الفلسطيني الذي طرد من وطنه في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة .

س : برزت ايلول الاسود في ايلول ١٩٧٠ عندما اهلك الملك حسين معظم تلك الحركة في الاردن .

ج : ان المقاومة لن تهلك ابدا . وربما بدات هذه الظاهرة علنا في ذلك الوقت .

س : قبل ذلك الوقت بدا ان حركة المقاومة الفلسطينية كانت تحرز تقدما وانها سيطرت على خيال الناس في العالم ولكن في العام ١٩٧٠ وبعد هزيمتكم على يد حسين بدا انكم تخسرون اهتمام العالم ؟

ج : لقد خسرنا في الاردن بلا شك ولكننا نقيس حركــة المقاومة عادة بمستقبلها وليس بحاضرها وانتكاساتها . ان حركة المقاومة لم تتوقف قط عن العمل والقتال .

س : من يمول ايلول الاسود ؟ من ينظمها ؟

ج : لقد قلت لك انني لا اتحدث باسمها .

س : وعرفات لا يعرف ؟

ج : قطعا . لو كان لنا صلة بها لما اخفيناها .

س : بمعنى اخر ان هذه المنظمة تخفى عليكم .

ج : قطعا .

س : وتخفى على حكومة اسرائيل ؟

ج : انها خافية على العالم كله . وهذا الظواهر ليست جديدة في تاريخ العالم كله اذا درست تاريخ الثورات وتاريخ الامم تجد دائما اناسا يتبعون العنف في سبيل حمل العالم على الاستماع اليهم . ان فلسطين محتلة والفلسطينيون يعانون من الاحباط والاحتلال . لقد تعبوا وسئموا من هذا الوضع .

س : هناك من يعتقد ان الشبان لجأوا الى ايلول الاسود لان م. ت. ف. لم تكن تعمل شيئا ولم تكن تتقدم تقدما كافيا .

ج : ليست المسألة مسألة صغار وكبار انما هي ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية هي قيادة عسكرية وسياسية تفهم مختلف التيارات في العالم العربي وتعرف النزاعات التي تواجهها وتفهم الامبريالية والصهيونية وتعرف حجم القوى المعادية . اننا نهدف الى بقائنا والحفاظ على أمننا ونؤمن ان الظواهر المشابهة لظاهرة ايلول الاسود واعمالها لن تنجح بتحرير فلسطين . اننا حركة مقاومة تخوض حربا طويلة الامد مع الصهيونية . انني اريد ان اوضح جيدا اننا نحن الفلسطينيين نعتقد ان قدرنا هو تحرير اليهود من الصهيونية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية .

س : من هو عدوكم ؟ هل هو اسرائيل ام الولايات المتحدة الامريكية ، ام بعض الدول العربية الاخرى ؟

ج : لا شك اننا نعرف اعداءنا واصدقاءنا .

س : من هو عدوكم ؟

ج : ان عدونا هو الصهيونية وهذا امر واضح لكل فلسطيني واتضح بعد حرب الخامس من حزيران لكل عربي . ولا شك ان الولايات المتحدة منحازة لاسرائيل وتدعمها وهذا واضح جدا بالنسبة لنا .

س : والاردن ؟

ج : لا شك ان هناك بعض الانظمة المحافظة ضدنا ولا تؤمن بالكفاح المسلح ولا تريد محاربة الصهيونية لانها حسب اعتقادنا لا تفهم فعلا مخاطر الصهيونية . ان من واجبنا ايضا حملهم على فهم ذلك .

س : لماذا لا تذكر اسماء هذه الدول التي تشعر انت انها رجعية ؟

ج : لانني لا أرى أي سبب للخوض في تلك التفاصيل معك .

س : ولكنك ذكرت اسرائيل والولايات المتحدة ؟

ج : ان اسرائيل والولايات المتحدة هما عدونا الاساسي وبامكانك ان تقول بعض الانظمة المحافظة . واستطيع ان اقول اننا كطليعة فلسطينية مستاؤون من معظم الانظمة العربية بسبب الطريقة التي يعالجون بها الصهيونية وذلك حسب اعتقادنا لانهم لا يفهمونها .

س : هل تقصد انهم مهتمون بالسلام في الشرق الاوسط ؟

ج : بالنسبة لي انهم ليسوا مهتمين بالسلام لانهم لا يحاولون تحقيق السلام الحقيقي في الشرق الاوسط طالما لم يرض الفلسطينيون فلن يكون سلام في الشرق الاوسط ابدا . ولم يطرح أحد السلام في الشرق الاوسط بصورة جدية . هناك حلول سياسية وقد قبلت بها بعض الانظمة العربية . ولكن السؤال هو هل قبلت اسرائيل أيا من تلك الحلول السياسية والسلمية التي طرحت هنا وهناك .

س : اذن ، لا الفلسطينيون ولا الاسرائيليون يريدون حلا ؟ انهم حلفاء ؟

ج : انني ارفض ان اضع ذلك في تلك الصيغة .

س : ربما كان ذلك هو الامر الواقع ؟

ج : لا يمكننا ان نكون حلفاء للاسرائيليين ابدا . نحن اصدقاء للشعب اليهودي ، ونحن نحب اليهود ولكننا نفرق بين اليهود والصهيونيين كما اننا لا نستطيع ابدا ان نكون حلفاء لدولة توسعية فاشية .

س : لو لم تكن ايلول الاسود موجودة لكان عليكم خلقها ؟

ج : هذا انطباعك انت ؟

س : لا .

ج : تقصد بين الفلسطينيين .

س : نعم ، انك بالتأكيد لا تتنصل مما يفعلون ، انك تقول انك لا تعرفهم ولا تعرف من يمولهم ولا من ينظمهم . لماذا يعتقد اناس كثيرون ومصادر كثيرة لا مصلحة لها في هذا الامر في العالم ان فتح وايلول الاسود هما شيء واحد .

ج : ان هذا سؤال مهم . انني اعتقد ان القوى المضادة للثورة والغرب يحاولان بكل الوسائل تصويرنا في الغرب على اننا ارهابيون ، انهم يحاولون تصفيتنا ، تصفية حركة المقاومة الفلسطينية التي لا يستطيع احد ان يصفيها وهذا ما سيثبته الزمن .

س : لماذا يبدو ان هناك انطباعا بأن فتح وايلول الاسود هما في الواقع شيء واحد . لماذا يوجد الانطباع في العالم بان عددا كبيرا من قادة فتح يخططون لايلول الاسود ويعرفونها ويساعدونها ويمولون عملياتها .

ج : انني اعتقد ان هناك دولا وعلى رأسها الولايات المتحدة الواقعة تحت تأثير الصهيونية تحاول تصفية حركة المقاومة الفلسطينية وان من الممكن جدا انها تريد طرح فتح وحركة المقاومة كحركة ارهابية لتبرير تصفيتها امام العالم . انني اعتقد شخصيا ان لا احد يستطيع تصفية حركة المقاومة الفلسطينية لاننا لسنا ايلول الاسود ولاننا حركة مقاومة . وهنا تكمن عظمة الطليعة الفلسطينية المتواضعة . انه من السهل دائما تصفية ظاهرة من الظواهر ولكنه ليس من السهل تصفية حركة مقاومة يخوضها شعب يؤمن بعدالة قضيته .

س : عندما كانت اسرائيل تحاول ان تصبح امة ساعدت في ذلك منظمات ارهابية صهيونية مثل شتيرن والارغون ويعتقد بعض الناس ان ايلول الاسود تلعب دورا مماثلا. هل ترى تشابها في الحالتين ؟

ج : انني لا اعتقد ان تلك المنظمات الارهابية ساعدت في ولادة اسرائيل . ان اسباب ذلك اعمق واكبر ولا اريد ان اخوض هنا في تفاصيل هذا الامر ، الا انني لا اعتقد ان مثل هذه العصابات ساعدت كثيرا في خلق اسرائيل .

س : الا يثبت التاريخ الى حد ما ان عمليات تلك المنظمات الصهيونية مثل نسف فندق الملك داود في القدس هزت البلاد ؟

ج : ان تلك الظواهر لا تبني دولا ولا تخلق امما . ان ولادة اسرائيل كانت ولادة غير شرعية وتمت على أيدي قوى معروفة لك كما هي معروفة في الغرب .

س : هل الارهاب الذي تقوم به ايلول الاسود هو في مصلحة الفلسطينيين أم ضدها ؟

ج : ليست ايلول الاسود مرتبطة بنا وهذه حالة مختلفة كليا لان شتيرن والارغون وغيرهما من المنظمات الصهيونية الارهابية كانت مرتبطة بالقوات الصهيونية الرسمية .

س : ان ايلول الاسود ترتبط في ذهن الراي العام بحركة المقاومة الفلسطينية فالشبان الذين نفذوا عملية ميونيخ جاءوا من مخيمات اللاجئين في لبنان وهذا امر معروف جيداً .

ج : وان كان اولئك الشبان جزءا من الشعب الفلسطيني فانــه لا يعني انهم من ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية التي تضم مختلف المنظمات الفدائية الفلسطينية . لقد كانت الارغون وشتيرن منظمتين . واعتقد ان ايلول الاسود هي عبارة عن افراد .

س : بعد عملية ميونيخ ذهب الفدائيون الثلاثة الذين نجوا من تلك العملية الى طرابلس الغرب في ليبيا حيث استقبلهم القذافي وحكومته استقبال الأبطال ، وقد عقدوا مؤتمرا صحافيا هناك . كيف يمكنك اذن ان تقول انك لا تعــرف من هم ومن اين يأتون وانهم ليسوا جزءا من المنظمات الفلسطينية .

ج : انني اعرف، انهم من ابناء الشعب الفلسطيني . ولكنني في الحقيقة لا اعرفهم .نحن فلسطينيون ولا سلطة لنا عليهم ولا نعرف قادتهم . اننا لو اردنا ان نعمل مثلهم لعملنا افضل منهم وبدقة اكثر وفعالية اكبر . اننا لو اردنا الوصول الى تلك المرحلة أو لــو وصلنا تلك المرحلة أؤكد لك ان لدينا الادمغة للقيام بذلك بفعالية اكبر ولكننا لن نتناقض مع انفسنا ابدا لان لنا ايديولوجيتنا ولدينا حركة مقاومة .

س : هل تعتقد ان قدر الشعب الفلسطيني هو ان ينير الطريق للشعوب العربية ؟

ج : اننا جزء من الشعب العربي ونعتقد اننا اكثر تقدما منهم سياسيــا وفكريا ، اكثر تقدما من الانظمة العربية . اننا نؤمن ان الجماهير العربية ستكون في النهاية معنــا في مسيرتنا الطويلة .

س : المسيرة الى اين ؟

ج : الى تحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطيــة وانقاذ الفلسطينيين واليهود من الصهيونية .

س : وعندما تحتلون مكانكم كدولة في الشرق الاوسط . هل ستصبحون الدولة القائدة في هذه المنطقة ؟

ج : ان ذلك يعتمد على مقدار ما نستطيع نحن واليهود عمله لا نحــن والصهيونيين . وذلك امر ليس سهلا ولا يتم في فترة قصيرة .

س : ما هو الذي يعجبك في اليهود ؟

ج : ان المسألة ليست مسألة اعجاب . انني اعتقد حقا اننا كنا دوما نحب اليهود ونعزهم عندما كانوا يعيشون معنا في فلسطين . وقــد صعقني ان الحركــة الصهيونية زادت المسألة اليهودية تفاقما وزاد ما يسمى بالاضطهاد ضدهم في الغرب .

س : ما يسمى بالاضطهاد ؟ لقد كان هناك اضطهاد .

ج : انني اعتقد انها كانت مأساة وذلك موضوع اخر .

س : ولكن يبدو انك تتحدث عن اليهود باعجاب .

ج : ليست المسألة مسألة اعجاب . انني اعجب بكل الشعوب . ان اليهود اذكياء وربما حل بهم ظلم في اوروبة وامريكة . ولكن لماذا تحــل مسألتهم على حسابنــا ؟ هذا هو السؤال . لقد عاش اليهود بيننا، اننا طويلو النفس ، اننا امــة عظيمة . اننا سنحل هذه المسألة وليست مهمة الولايات المتحدة حلها . انها لا تحل بالقوة .

س : تقول ايلول الاسود ان اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية وقادتها كبار في السن ومعتدلون جداً .

ج : هل قالوا ذلك ؟

س : بعضهم قال .

ج : انني اعتقد ان ايلول الاسود والذين قاموا بعملية ميونيخ لم يريدوا قتل اليهود ، لم يريدوا قتل الاسرائيليين . لقد ارادوا كما تعلم اسرهم من اجل اطلاق سراح رفاقهم المسجونين في اسرائيل . وانني اعتقد ان الحكومتين الالمانية الغربية والاسرائيلية مسؤولتان عما حدث في ميونيخ . أما فدائيو ايلول الاسود فلم يريدوا قتلهم .

س : اعود الى سؤالي : تقول ايلول الاسود ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية معتدلة جدا ، تتحدث وتجلس في المكاتب في بيروت ؟

ج : ان كل معلوماتك عن حركة المقاومة خاطئة ، ان شخصا مثلي قد يأتي الى بيروت بين الفينة والفينة ويجلس الى المكتب لانني مسؤول عن الاعلام اما المقاتلون فلا يفعلون ذلك ولن نسمح لاي كان ان يسيء تمثيل حقيقتنا . اننا حركة مقاومة ونحترم انفسنا ونقاتل واصحاب قضية عادلة نحيا في سبيلها .

س : ان ذلك النوع من الارهاب يبقي الامر في الصفحة الاولى . ويبدو لي ان حركات مثل الجيش الجمهوري الايرلندي وشتيرن وايلول الاسود هي طليعة اية حركة ثورية .

ج : انني طالب تاريخ واذا احتاجت ثورة ان تقاتل بهذا الاسلوب فانها تلجأ اليها . اما نحن فلسنا بحاجة اليه لحد الان وهو ليس ضمن استراتيجيتنا . واذا كان الناس لا يصدقوننا فان ذلك لا يهمنا . ومثل هذه الظواهر ستزول الا ان الغرب يضخمها .

س : كيف يضخمها وقد قتل ديبلوماسيان امريكيان وديبلوماسي بلجيكي .

ج : ان الكثيرين يقتلون في امريكا كل يوم . ان عصابة المافيا تعمل في الولايات المتحدة . ما هو تأثير عملها ؟

س : انني افهم ما تقول . ماذا سيحدث في الخرطوم ؟

ج : لا اعتقد انهم سيقتلوهم .

س : انني افترض ان شخصا ما سيعترف وانني انتظر الاعتراف بشوق .

ج : انهم لا يعرفون اي نوع من الشباب هم . ان هناك اناسا مستعدون لتفجير انفسهم وتفجير الاخرين .

آخر حديث للشهيد أبو يوسف

نص الكلمة التي القاها الشهيد ابو يوسف باسم الثورة الفلسطينية في الاحتفال الذي جرى في بيروت في ذكرى تاسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك قبل استشهاده بيومين .

حين تقف الثورة الفلسطينية لتحتفل مع البعث في ذكرى مولده فلا بد من أن نشير الى ان ذكرى تأسيس هذا الحزب الذي طرح شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية انما كانت شعارات رفعها مؤسسوه والقوى الدولية في ذلك الحين كانت تعمل جاهدة لتمزيق هذه الامة وتخطط وتنفذ لاقتطاع جزء عزيز من جسدها لتعطيه لقمة سائغة للصهيونية العالمية لتقيم عليه اسرائيل .

ومن هنا فان قيام حزب البعث كان استجابة لعامل البناء والتصدي داخل هذه الامة عملية بناء ضد محاولات التمزيق والاقتطاع وعملية تصدي ايضا لمحاولات التمزيق والاقتطاع .

ويوم ان طرح الحزب شعارات التمرد على الحدود وان رسالته هي استمرار لحمل رسالة امتنا الخالدة فمما لا شك فيه انها كانت عملية خلق جديد في تاريخ امتنا العربية امتدت حتى يومنا هذا ترفع الشعارات فتضم بين جوانحها هذه القلوب المؤمنة بأمتها من محيطها الى خليجها . الا أن قوى الشر المتربصة دوما وباستمرار بهذه الامة وتعرف أن في وحدتها ضمان لوجودها وفي حريتها ضمان لتثبيت هذا الوجود حاولت ولا زالت فصم هذه الوحدة واهدار هذه الحرية في داخل صفوفنا .

ومن هنا فانه لا بد من ان نقرر حقيقة طالما حاول اعداؤنا طمسها، انه في اليوم الذي حلت فيه نكبة الاستعمار بقرار التقسيم واقتطاع الجزء الغالي من وطننا فلسطين كان هذا الحزب يخرج الى النور ، بعد ثلاثين عاما بالضبط وبعد نكسة عام ٦٧ خلقت الثورة الفلسطينية وتجسدت ارادتها بعد أن مهدت لها طلائع شعبنا المكافح في فاتح يناير ٦٥ .

والتقت المسيرتان لتعطي دفعة جديدة لهذه المسيرة وبدأت تحمل لهذه الامة تباشير العودة بأن هذه الرسالة الخالدة لها من يحميها ويذود عنها .

الا انه كالعادة وقفت غربان الشر تحاول من جديد ان تجلل هذه المسيرة بالسواد معتقدة ان عملية تاريخ هذه الامة يمكن ان يعود الى الوراء وانه سيطلب من هذه الجموع التي أصبحت لا تعرف للراحة طعما ما دام في الوطن السليب محتل ان تستسلم . وما دروا أن بحرب التحرير وحرب التحرير الطويلة الامد اصبح كل انسان في هذا الوطن يعيش يومه وغده .

وانه في الوقت الذي تقف فيه غربان هذه الامة بكل أسف تحاول ان تشكك في حماة المسيرة وأبنائها نؤكد انطلاقا من ايمان الرجال كل الرجال أن تاريخا صنعه شهداؤنا وعهدا قطعه من هم على قيد الحياة انهم في سبيل الهدف سيناضلون وعلى العهد سيظلوا قائمين حتى يتحرر الوطن وتعاد لهذه الامة كرامتها وحريتها .

ومن هنا فان من واجبنا في ذكرى مولد البعث ان نطالبه انطلاقا من فهمنا لاخوة السلاح ورفاقية الدرب ان قدره في ان يظل أمينا على شعاراته مؤمنا برسالته التي هي رسالتنا تحرير الارض والانسان .

وان من واجبنا ونحن نحيي الذين اخرجوا هذه الشعارات واقاموا تحت ظلها نظما ترعى هذه الشعارات ان يكونوا معنا في حماية المسيرة مسيرة البناء والتصدي لكل اعداء هذه الامة .

ومن هنا فان عبء المرحلة ثقيل وثقيل جدا . ولعل من المفيد ان نقول في هذه الذكرى أن ثورتنا الفلسطينية وهي ترقب بأمل ورغبة ان تأتي هذه الذكرى وقد ضم البعث جناحيه ليرعى أبناء هذه الامة محققا اسمى هدف من أجل تحرير الارض والانسان اللذين هما هدفه وسر وجوده .

ومن هنا فان الثورة الفلسطينية ترى لزاما عليها ان تجدد العهد من جديد امام الشعب كل الشعب في أنها ستظل وفية لمبادئها واستراتيجيتها لا تنحرف ولا تخون ولا تهادن على حق وان من يفكر في شيء من هذا فلا شك انها ستلفظه من صفوفها كما يلفظ البحر الكبير الجيفة النجسة .

ومن هنا أيضا فان كل الذين يمكرون ويتآمرون ويدبرون في الخفاء لجر هذه الامة الى مصير مجهول وقذفها في مستنقع آسن تختنق فيه لن يصلوا بحول الله الى ما يريدون وان مؤامرة تحاك هنا او هناك من قوى الاستعمار واربابه لا بد وان تعطينا دفعة جديدة ودما جديدا يبعث فينا الحياة من جديد .

ان مشروعا يحاول فيه حكم العمالة في عمان ان ينهي ثورتنا وحق شعبنا في الوجود والمصير لا بد وان يلقى حتفه .

وان مؤامرة تستهدف ايجاد حلول استسلامية لا بد أن تلقى بالتالي حتفها لان مصير الشعوب لا يرتبط بمتخاذل ولا بمفرط بحق الشعب والامة .

وان مؤامرة تحاك في الارض المحتلة لشراء الاراضي لا بد وان يجند لها كل الجهد والمال لمنع هذا التآمر الجديد ومن هنا نسأل أين المال العربي الذي يتدفق على بنوك العالم ويوضع بطريق غبي جبان في بنوك العدو في اوروبا وأمريكا من ان يقف وقفة شجاعة لينقذ الارض والانسان .

ان اعباء جساما ملقاة على عواتقنا فهل سنكون على قدر المسؤولية ؟ ان روح التفاني والتضحية التي لا بد وان يكون ابناء هذه الذكرى ، ذكرى مولد البعث ، مطالبين بها هي ان يكرسوا الحقيقة بنفس المنهج الذي اختطوه لانفسهم منذ ان آمنوا بالمسيرة واهدافها .

ونحن بكل طاقاتنا وامكاناتنا التي هي دماؤنا ولا سواها نقف في هذه الذكرى مع البعث اينما وجد لنحقق نحن واياه عملية البناء والتصدي وخلق جبهة عريضة متراصة في وجه أدوات الاستسلام التي تريد العار والهزيمة لهذه الامة .

فتحية منا للبعث في يوم مولده وتحية منا لكل البنائين في صفوفه والصامدين في جبهته والمرابطين في خنادقه من يوم أن عرفنا البعث يقود التظاهرات من أجل الفتح وفلسطين ومن يوم ان عرفنا جبهة البعث تحمي ثوار فلسطين على حدود العدو من أجل تثبيت الثورة وحمايتها ومن اجل تحرير الارض والانسان .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

خمس وعشرون سنة ونحن نعيش المأساة . وخمس وعشرون سنة ونحن نتكلم عن المأساة . ومع هذا فان الكثير من حقائق المأساة ، من وقائعها ومن تفاصيلها ومن خلفياتها ومن نتائجها المباشرة ، لا يزال غير مؤرخ ، ذكريات متخفية في الاذهان ومعلومات موزعة لدى شهود عيان مبعثرين .

تحاول شؤون فلسطينية ، في هذه الذكرى الكئيبة لنكبة فلسطين قبل ربع قرن ، ان تلملم بعض هذه المعلومات وان تسجل بعض هذه الذكريات لتكون في النهاية جزءا من مرجع تاريخي يفيد منه الباحثون عندما يفطنون الى أن حقائق النكبة لا تزال بحاجة الى من يسجلها والى من يستنطقها العبر .

وهي ذكريات أليمة ، وذكريات متهمة جارحة . انها ذكريات أيام سود وقعت وما نزال نحصد ثمارها المرة . الا أن من بين أشواكها تنبت ، ولو ببطء شديد ، زهور الامل — الامل بنصر يسترجع الوطن ويعيد الغرسة الفلسطينية الى تربتها التي انتزعت منها طيلة هذه السنوات الخمس والعشرين . وان كان هذا العدد من شؤون فلسطينية قد أفرد صفحات كثيرة لتصوير الاشواك فان غدا مشرقا ، لا بد انه آت ، ستذوي فيه هذه الاشواك ، التي الفناها حتى اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، وستينع فيه ازاهير النصر والعودة التي ما فتىء الشعب الفلسطيني يتعهدها ويسقيها من دماء بنيه (خيرة بنيه) ومن امثولات نضاله ومن اماله الكبيرة .

حدود مقفلة وجسور مفتوحة
« واقع الساحة الفلسطينية »

الدكتور حسام الخطيب

١ ـــ تمهيد

منذ أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن وما نجم عنها من اضطرار الثورة الفلسطينية الى التخلي عن ساحة انطلاقتها الرئيسية تدور على ألسنة الجماهير العربية والشبيبة الواعية والمثقفين الثوريين أسئلة كثيرة حول الوضع الذي انتهت اليه الثورة الفلسطينية والآفاق التي ينتظر أن تتطور التجربة الثورية الفلسطينية باتجاهها سواء أكانت هذه الآفاق وضاءة مبشرة بالنصر أم كالحة ومشحونة بصعوبات وتحديات جديدة .

واليوم بعد انقضاء أكثر من سنتين ونصف السنة على هزيمة أيلول الفلسطينية المحزنة وبعد انقضاء حوالي ست سنوات على هزيمة حزيران العربية المأساوية ، لا بد للمرء من ان يجد عذرا ومسوغا للتساؤلات الكثيرة التي تثار حول مستقبل الثورة الفلسطينية بل حول مستقبل القضية العربية بالمعنى القومي الشامل لهذه الكلمة . ولا شك أن هناك تساؤلات كثيرة نابعة من نوايا تخريبية ومجندة لخدمة حملة التشكيك الكبرى التي يشنها علينا العدو الصهيوني والامبريالية بغية تحطيم ثقة الجماهير العربية بنفسها وخلخلة ولائها لقضيتها وتهيئتها لتقبل مشروعات التصفية والاستسلام . الا أن هذه الحقيقة يجب أن لا تحجب عن أذهاننا أن جانبا كبيرا من التساؤلات التي يسمعها المرء في كل مكان من الوطن العربي انما هو تعبير عن قلق حقيقي على مستقبل هذه الامة وحيرة سياسية وعجز عن اختراق الضباب الذي يلفع المرحلة ويحجب عن العين رؤية الاحتمالات الكثيرة المبشرة التي ينطوي عليها واقع الوطن العربي. على ان الاعتراف بهذا الواقع أو محاولة تجاوزه يجب أن لا يكون مسوغا لاتجاه تبشيري في معالجته او لاتجاه الى تجنب الخوض في المسائل الشائكة المطروحة أمام الوطن العربي بحجة **الحرص على المعنويات** . ان البحث الحالي يحاول تجنب هذه المزالق ولكنه يقوم على دعوى واضحة الحدود ، وهي أن النظرة الواعية الى مستقبل النضال العربي يجب ان تنطلق من معطيات الواقع المر الحالي لتفتق الحجب عن امكانات المستقبل . ان الرؤية المجردة للعوامل الموضوعية على جانبي الصراع لتؤكد ان الطرف العربي يملك من الامكانات ما يؤهله للقبض على زمام الامور وتسيير دفة الصراع لصالح تثبيت الحق العربي الواضح واجتثاث العدوان الصهيوني الامبريالي القائم على منطق القوة والباطل .

ومن الواضح ان البحث الحالي ينحصر في نقطة محددة جدا وهي الواقع الحالي لساحة

* وزعت نسخة مختصرة من هذا البحث في مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي عقد في تونس بين ١٨ — ٢٥ آذار ١٩٧٢ ، ويعتبر المؤلف النص الحالي للبحث المرجع الوحيد الذي يعترف به .

الثورة الفلسطينية ويتجنب الخوض في المشكلات المتعلقة بقوى الثورة ذاتها ، الا أن التركيز حول هذا الموضوع غير ممكن على الاطلاق دون ربط المسألة باطارها العربي الوثيق من جهة وكذلك باطارها الدولي من جهة أخرى ، وليس بالامكان فصل القضية عن هذين البعدين وذلك لاسباب كثيرة أبرزها المصير المشترك بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية من جهة والتلاحم العضوي بين الصهيونية والامبريالية العالمية من جهة أخرى . وكذلك يبدو أنه لا مندوحة لنا عن ربط الحاضر بالماضي على أن تجرى الاشارة الى الاطار العام بالقدر الذي يساعد على ايضاح جوانب الحاضر واضاءة الزوايا المهمة التي ستكون بنية المستقبل .

٢ ــ محاولة لفهم ساحة الثورة الفلسطينية

ان الثورة الفلسطينية تمثل حالة فريدة بين الحالات الثورية وساحتها بالضبط ــ ولنقل مجالها المغناطيسي ــ ليست من صنعها وحدها ولا هي من صنع الديالكتيك الطبيعي الذي يقوم بين الخصم والخصم وينتج عنه تركيب معين يكون لكل من الطرفين نصيب واضح في تحديده . ان العوامل المتضاربة العربية والدولية والصهيونية التي تدخل في صنع « التركيب » المسمى بساحة الثورة الفلسطينية تجعل دور الثورة الفلسطينية في تحديد طبيعة ساحتها دورا غير مؤكد وغير مطرد التأثير ومن هنا يبيح هذا البحث لنفسه أن يتحدث عن ثورة من جهة وعن ساحة من جهة أخرى دون أن يسمح بالفصل المصطنع بين الجهتين .

وبعد ان وضعنا الاعتبارات السابقة في الذهن يمكن أن نتساءل : ما معنى ساحة الثورة الفلسطينية وما حدودها وكيف تبدو في هذه الايام وما هي المؤشرات التي تحملها سلبا او ايجابا بالنسبة للاهداف القومية العربية ؟

لنحاول الاعتماد هنا على نوع من التحديد الجغرافي ، فهو يبدو باديء ذي بدء غاية في السهولة وربما ضربا من المسلمات . ساحة الثورة الفلسطينية هي بالضبط فلسطين بحدودها المعروفة ايام الانتداب (من البحر الابيض غربا الى نهر الاردن شرقا) . ولكن ما أن نضع هذا التحديد حتى نتساءل : ولكن أين الفلسطينيون وهل يستطيعون اثبات وجودهم في هذه الساحة اذا تبنينا مثل هذا التحديد ؟ ان نصف الفلسطينيين يعيشون خارج وطنهم ولذا ينبغي ان تكون الساحة أوسع من ذلك . ولكن هذا العامل ليس هو العامل الوحيد الذي يقتضي توسيع مفهومنا لساحة الثورة ، فهناك عامل آخر لا يقل عنه أهمية من الناحية العملية وهو واقع الاحتلال الصهيوني الذي تجاوز أرض فلسطين واقتطع أجزاء من دول عربية مجاورة ولا بد أن تكون هذه الدول بطبيعة الحال ساحة مباشرة للتحرك ضد العدو . واذا لنقل ان الساحة المباشرة للثورة تشمل أرض فلسطين كلها بالاضافة الى أراضي الدول العربية المحيطة بفلسطين ، وكلها بالفعل تعرضت لخسارة أجزاء بسيطة أو كبيرة من أراضيها حتى الآن وكلها تعيش حالة من التوجس والقلق وتخشى فقدان أجزاء أخرى من أراضيها .

على ان هذا التحديد للساحة المباشرة يبدو عاجزا عن تغطية العامل الاول وهو التشتت الفلسطيني الذي لا يقف عند حد الدول العربية المحيطة باسرائيل بل يمتد شرقا وغربا حتى يتجاوز حدود الوطن العربي الى اقطار أخرى كثيرة من العالم . كذلك يبدو هذا التحديد عاجزا عن تغطية العامل القومي العربي الذي يقوم على فهم أوسع للصراع العربي الاسرائيلي ويتضمن فيما يتضمن وجوب اشتراك الوطن العربي كله في المعركة المصيرية ضد العدو الصهيوني الذي تتناول مطامحه التوسعية المنطقة العربية بأسرها . واذا لكي نراعي هذه العوامل كلها لنقل ان ساحة الثورة الفلسطينية يمكن ان تفهم عمليا ضمن ثلاثة خطوط :

آ ــ ساحة الصدام المباشر ، وتتضمن في المرحلة الحالية أرض فلسطين والمناطق العربية المحيطة بها .

ب ــ الساحة العربية ، وهي تشكل العمق الاستراتيجي للجبهات العربية ، وليست في منأى عن الخطر ابدا ولكن طبيعة اسهامها في المعركة يمكن أن تكون ذات ملامح خاصة ليس من الضروري أن تتطابق تماما مع ملامح ساحة الصدام الفعلي .

جـ ــ الساحة الدولية وهي ليست ساحة ثانوية أبدا وان كانت لها اعتباراتها وقوانينها الخاصة . وتمتد حيثما وجدت المصالح الامبريالية أو الصهيونية وحيثما وجد الصدام بين قوى التحرر وقوى الظلم والاستعمار .

وفي البحث الحالي سيجري التركيز حول ساحة الصدام المباشر وسوف يجري التعرض للبعدين الآخرين للساحة من خلال مقتضيات البحث في النقطة الاولى .

٣ ــ الواقع الحالي للساحة

اذا كانت الصورة الحالية للجانب العربي من الساحة تبدو مريضة ومتدهورة فانها من خلال المنظور الاوسع للجانبين تبدو مشحونة بالمفارقات حتى من زاوية الموقف الفلسطيني نفسه . فعلى الجانب العربي يتلخص الموقف في ان الساحة المحيطة مباشرة بالعدو المحتل قد أغلقت تماما في وجه الحركة الفدائية بحيث أصبح تحرك أي فدائي على الحدود يصطدم بسياج من القوات العربية المرابطة (لا الاسرائيلية) ، وبحيث أصبحت الحركة الفدائية بالتالي خاضعة خضوعا مباشرا لاعتبارات السياسة المحلية في كل قطر من الاقطار العربية ما دام تحرك قواتها باتجاه الهدف مرهونا بارادة هذه الاقطار . وبالمقابل تجري على الساحة المعادية تجربة غريبة من نوعها تحمل مفارقة واضحة لما يجري على الطرف العربي وان كانت هذه المفارقة لا تفهم الا من خلاله . فمقابل قيام القوات العربية باغلاق الحدود امام الفدائيين* تقوم سلطات العدو بتنفيذ سياسة الجسور المفتوحة وتشجع تنقل الفلسطينيين عبر الحدود وتحاول أن تخلق من حول هذا التنقل جوا نفسيا وسياسيا يوحي في الظاهر انه طبيعي وغير مصطنع .

واذا يمكن القول ان ساحة الصدام الفعلي للثورة الفلسطينية تتميز بالموقفين التاليين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية .

ب ــ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين .

ومن زاوية الثورة الفلسطينية بالذات لا بد ان هذا الامر يبدو مربكا ويقتضي اتخاذ اجراءات وتدابير ذات مستوى غير اعتيادي حتى تتمكن الثورة من الاحتفاظ ولو بالحد الادنى من القدرة على التحرك ومن تأمين الالتفاف الجماهيري حولها .

ولنحاول فهم الموقف من خلال هاتين النقطتين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية

من الواضح ان النتائج التي ترتبت على احداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن كانت بالغة الخطورة على مستقبل الثورة الفلسطينية ، وقد اثبتت أحداث السنتين الماضيتين ان هزيمة الاردن كانت ضربة على المستوى الاستراتيجي لم تستطع الثورة حتى الآن معالجتها أو التعويض عنها بل انها ما زالت تعاني من عقابيلها ، وأبرز هذه النتائج بالنسبة لمصير الثورة هي خسارتها لقاعدة انطلاقها الرئيسية واضطرارها لتوجيه القسم الاكبر من مجهوداتها الحالية من اجل استعادة قاعدتها الرئيسية وهي مجهودات لا تنبىء حتى اليوم بأية درجة ملموسة من درجات التقدم باتجاه هذا الهدف ، وان كان ذلك لا

* لاسباب متفاوتة سنأتي على ذكرها فيما بعد .

يعني استحالة تحقيقه . لقد خسرت الثـورة في الاردن قاعدة انطلاق وساحة تؤهلها عوامل كثيرة لان تكون ساحة صدام رئيسية ، وأهم هذه العوامل امتداد الجبهة الاردنية مع العدو على طول ٦١٥ كم ، وغياب الحواجز الطبيعية بين الضفة الغربية والارض المحتلة قبل حزيران ١٩٦٧ ، ووجود مجال حيوي للثورة في النقب وايلات بوجه خاص ، وضعف الكثافة السكانية الاسرائيلية على الجانب الآخر من الحدود ، والاتصال البشري الوثيق بين شرق الاردن والضفة الغربية وكذلك بين الاردن وعدد من الاقطار العربية المجاورة ذات الاهمية الاستراتيجية ، والعمق الاستراتيجي للجبهة الاردنية جغرافيا وبشريا ، وأخيرا وأهم من ذلك كله — كون الاردن هو التجمع الفلسطيني الاكبر خارج الارض المحتلة ووجود هذا التجمع في بيئة متجانسة تماما وموحدة التكوين والمصير .

على أن المسألة ليست نظرية فحسب ، ويزيد الامر خطورة أن الثورة كانت قد أعدت عدتها على أساس أن الاردن هو قاعدة الانطلاق الرئيسية وقطعت في هذا الاعداد شوطا كبيرا ، اذ كدست الساحة الاردنية بالرجال والسلاح والمال وعبأت الجماهير الفلسطينية تعبئة سياسية وعسكرية غيرت من مجرى الحياة اليومية لهذه الجماهير التي دافعت عن نفسها بشكل لم تعرفه منطقة الشرق العربي منذ زمن ، وكانت هدفا أساسيا لحملة الابادة الجماعية التي قامت بها قوات النظام الملكي لصالح المخطط الصهيوني الامبريالي. لقد اتخذت الخسارة الفعلية للثورة نتيجة احداث أيلول شكلا مخيفا لان الثورة أصلا صبت جهودها الرئيسيـة في الاردن وكرست فيـه جل مواردهـا وامكاناتهـا . وبالطبع ليس المجـال الآن مجـال احصاء الخسائـر لتحليـل الاسباب وتحـديد المسؤوليات ، فذلك كلـه له مجال آخر ، ولكـن المهـم الآن ان نتصـور واقـع الثورة الحالي بعد أن فقدت الاردن فقدانـا شبه تـام . لنتذكر الوضـع الجغـرافي للارض المحتلة، في الجنوب وصل الاسرائيليون الى الشواطيء التي تؤلف حاجزا طبيعيا، خليج العقبة والبحر الاحمر وقنال السويس . ومن هنا لا مجال للحديث عـن العمل الفدائي وحتى لو افترضنا امكان تجاوز هذه الحواجز الطبيعية فان الوضع البشري في شبه جزيرة سيناء وطبيعة أرضها الصحراوية يجعلانها أيضا حاجزا طبيعيا آخر يسهم في محاصرة قطاع غزة ويجعل الاتصال بينه وبين مصر مسألة صعبة جدا في ظل ظروف الاحتلال وتقدم الوسائل التقنية المتوافرة لسلطات العدو العسكرية . اذا ما الذي يتبقى بعد ذلك ؟ هناك طبعا مرتفعات الجولان السورية ولبنان . وبالنسبة للهضبة السورية بالذات تبرز صعوبات واضحة ، فها هنا جيش عربي رابض في كل مكان على الحدود ذات الامتداد المحدود وهو يحمي قطرا عربيا يمثل الصلابة القومية في موقفه من العدو ومن مشروعات التصفية والاستسلام ، وأن أي تحرك فدائي لا يمكن الا أن يسبب له البلبلة وأن يضطره الى البقاء في حالة استنفار كامل وربما جره جرا الى معركة سابقة لاوانها وغير منسقة مع الجبهات العربية الاخرى ، يضاف الى ذلك ان الجيش العربي السوري كان طوال الفترة التي تلت هزيمة حزيران منهمكا باعادة بناء الجبهة ولم يكن ذلك عملا هينا وعلى الرغم من كل ذلك لم تنقطع العمليات الفدائية عبر الجبهة السورية طوال المدة السابقة بل انها في فترات كثيرة تصاعدت تصاعدا واضحا ولكن من المغالطة بالطبع اعتبار هذه العمليات المتقطعة المحدودة بديلا للعمل الفدائي المنشود .

وهكذا لم يبق أمام الحركة الفدائية الفلسطينية سوى لبنان ، وهكذا كان طبيعيا ان ينتقل التركيز الاساسي من الاردن الى لبنان . لقد كان لبنان حلا للازمة وذلك لاسباب كثيرة فلسطينية ولبنانية وعربية واستراتيجية . ولسنا هنا في معرض تحليل هذه الاسباب ولكن لا بد من القاء نظرة سريعة عليها حتى تكتمل الصورة الحالية لوضع المقاومة .

فمن الناحية الفلسطينية ، يسهل على المرء أن يتصور أن المخيمات الفلسطينية في لبنان تشكل تربة خصبة للبؤر الثورية نتيجة لمعاناة سكانها التي استمرت منذ ١٩٤٨ . فلقد

عاش سكان هذه المخيمات تحت وطأة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية قاسية جدا . لقد كانت الجماهير الفلسطينية في لبنان محرومة من أبسط حقوق الانسان، كانت محرومة حتى من حق العمل ولم يكن من السهل ان يحصل اللاجيء الفلسطيني على اجازة عمل وكثيرا ما سمعنا عن مطاردة قوات الامن للعمال الفلسطينيين واصحاب الحوانيت الصغيرة والصيادين بغية منعهم من العمل . وقد وجهت ضغوط مستمرة في الماضي لمنع الجماهير الفلسطينية من ممارسة اي نشاط تنظيمي سواء كان ذا صبغة سياسية أم اجتماعية ، ولم يكن يسمح للشباب الفلسطيني ان ينتسب الى فرقة كشافة او ان يكون فرقة لكرة القدم مثلا . وكانت ظروف الاحتقار والتمييز ضد الفلسطيني تجعله يعيش حالة من النقمة المستمرة ، وهكذا تضافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية لتجعل من (البروليتاريا الدنيا) في المخيمات نواة خصبة مهيأة للانخراط في الثورة وتكوين القاعدة الصلبة لها ، وحين اخذ التركيز الثوري الفلسطيني ينتقل من الاردن الى لبنان وجد التربة مواتية ووجد المخيمات الفلسطينية ، التي كانت قد قطعت شوطا جيدا في الاسهام في الثورة ، وجدها جاهزة لاحتضانه ودعمه. ومن الواضح اليوم ان بروليتاريا المخيمات الفلسطينية التي حصلت على السلاح وذاقت معنى التحرر والانتظام في العمل الثوري هي التي تشكل السياج الواقي للثورة التي ساعدتها على تحقيق انجازات اجتماعية وسياسية واقتصادية ملموسة . ولولا هذه الجماهير لكان ضرب القوات الفدائية المنظمة عملية غير معقدة* .

ومن الناحية اللبنانية لم يكن الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان يتضمن عراقيل وتهديدات ذات خطورة اساسية بالنسبة للثورة الفلسطينية . فطبيعة النظام السياسي في لبنان القائم على اللبرالية والتوازن سمحت للثورة الفلسطينية أن تثبت حق وجودها من خلال صراع متواصل ولكنه متفاوت في حدته وضراوته . وعلى الرغم من تفاقم هذا الصراع في المرحلة الحالية ، فمن الواضح ان هناك ادراكا واضحا بأن اي حرب ضد الثورة الفلسطينية ستعني التصدي لمخيمات الفلسطينيين التي تضم حوالي مئتي الف نسمة ومعظم شبابها ورجالها مسلحون ومدربون . وعلى الرغم من الضغوط الاسرائيلية المتواصلة وعلى الرغم من الاعتداءات التي تشنها اسرائيل باستمرار على جنوب لبنان فمن الثابت ان السياسة الاسرائيلية الرامية الى احراج الحكومة اللبنانية ودفعها للدخول في معركة مكشوفة وفاصلة مع قوات الثورة غير قابلة للتحقيق ، بسبب العوامل التي ذكرناها وعوامل اخرى كثيرة . ومن هنا كان التطور الاخير في طبيعة الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب ولا سيما في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ ، اذ يشير مستوى الهجمات وتتابعها ومكوث القوات الاسرائيلية في مواقع لبنانية معينة الى ان القوات الاسرائيلية لم تجد محيصا عن التصدي المباشر للفدائيين وتولي عمليات القمع بنفسها وهو امر حاولت اسرائيل دائما ان تتجنبه لاسباب عسكرية وسياسية ونفسية . وقد نجحت تماما في تجنب المواجهة المباشرة في الاردن بعد ان قامت القوات الملكية بهذا الدور ، ولكنها ـــ فيما يبدو ـــ اضطرت الى اتباع الاسلوب المباشر في لبنان للتوصل الى اقفال الحدود اللبنانية الفلسطينية في وجه الفدائيين .

ومن الناحية العربية بدا جليا ان معظم القوى السياسية المسيطرة على الساحة العربية ادركت بعد تفجر الازمة في الاردن ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تمحى من الوجود بفعل اية ضربة مهما كانت محكمة وانه لا بد من وجود قاعدة يتمركز فيها النشاط الثوري الفلسطيني ويتخذها متنفسا له ، ولم يكن لدى هذه القوى مانع من اتخاذ لبنان بديلا من الاردن لاعتبارات كثيرة منها الشعور بان حدود لبنان محمية دوليا مما يخفف كثيرا من

---

* للتفصيل في وضع الفلسطينيين في لبنان انظر : الحر ، ليلى : **الفلسطينيون في لبنان** ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ولا سيما ج ٢ (العلاقة مع الدولة اللبنانية) ، ملف **النهار** ، بيروت ، تموز ١٩٧٠ .

احتمال قيام اسرائيل باقتطاع اجزاء من ارضه بعد التذرع بوجود العمل الفدائي فيه ، وهناك اعتبارات اخرى بعضها غير متناقض مع المصلحة القومية وبعضها نابع من دوافع السياسة العربية المحلية .

ومن الناحية الاستراتيجية كانت هناك ايضا عوامل نوعية خاصة تجعل العمل الفدائي على النحو الذي تمارسه الثورة الفلسطينية ممكنا ، فالحدود اللبنانية الفلسطينية متصلة جغرافيا ، وهي غير محصنة تحصينا شديدا على الجانبين وتقل على الجانب الاسرائيلي نسبيا المستعمرات العسكرية خلافا لمناطق الحدود الاخرى في مواجهة الجبهات العربية ، ثم ان بعض مناطق الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية كالعرقوب تؤلف مجالا طبيعيا ملائما جدا لتمركز مقاتلي العصابات واختبائهم ومناورتهم ، وقد اثبتت تجارب السنوات الماضية صحة هـذا الحكم اذ اضطر العدو الصهيوني للقيـام بسلسلة من العمليات الانتقامية بدأت اولا بالغارات الجوية الكثيفة وبعـد ان ثبتت ضآلة هذه العمليات قام العدو بعمليات غزو بري على نطاق واسع ، ولم يكن احتلاله لمنطقة معينة بالذات يعني انه قضى على العمل الفدائي ففي كل مرة كـان الفدائيون ينسحبون او يتوارون ثـم يعودون الى التمركز والشروع في عمليات جديدة . ومن هنا اقدم العدو على الاحتفاظ بنقاط مراقبة وتفتيش ثابتة داخـل الاراضي اللبنانية واغلب الظن انه سيحتفظ بهذه النقاط الى ان ينجح في دفع السلطة الى تسلم مهمة بوليس الحدود ومنع الفدائيين من التسلـل كما يحدث في معظم مناطق الحدود العربية الاسرائيلية . وان التطورات التي حدثت في عام ١٩٧٢ لتشير الى ان الطوق الذي يراد احكامه حول الحركة الفدائية قد قارب على الانتهاء وثغرة العرقوب اصبحت بالتدريج ضئيلة الفعالية ، ومن الواضح ان التطورات الداخلية في لبنان وفي الحركة الفدائية الفلسطينية نفسها تشير الى انتهـاء الحدود اللبنانية الى الانغلاق التام ، وبذلك يمكن القول ان السياسة التي رمت اليهـا اسرائيل منذ نشوئها ومنذ ان كانت هناك عمليات تسلل فردية او منظمة ، هذه السياسة قد نجحت تماما عام ١٩٧٢ واحرزت درجة شبه كاملة من التطبيق ، **ويعني ذلك بالتحديد ان تصبح القوات العربية من حول اسرائيل بمثابة بوليس عربي يحمي الحدود الاسرائيلية من عمليات التسلل الفلسطينية فردية كانت ام منظمة ويوفر على قوات الامن الاسرائيلية مشقة الاحتفاظ بعدد ضخم من القوات في حالة تعبئة كاملة كما يؤمن للسكان الاسرائيليين ــ ولا سيمـا على الحدود ــ فرصة استثمـار الارض والتمركز والعيش الآمـن ،** هذه الامنيات التي طالما حلم بها سكان الحدود الاسرائيليون . ولعل اكبر دليل على اهمية هذه الامنيات بالنسبة لهم ذلك الفرح الذي ظهر في تعليقات الصحف الاسرائيلية على اثر احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن اذ انصبت التعليقات على ما سوف ينتظـر قرى الحدود من أمن واستقرار وهدوء بعد ان تم القضاء على الحركة الفدائية وتولي الجيش العربي المختص مسألة الامن على الحدود .

ب ــ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين

من خلال التحليل السابق لا بد ان يبرز سؤال حيوي وضروري . مـاذا عن العمل في الداخل ؟. لقد تناول الحديث حتى الان تطورات العمل الفدائي التسللي الذي يتخذ لـه قواعد في الاراضي العربية المجاورة للارض المحتلة . ولكن هذا العمل ليس هو النوع الوحيد من العمل التحرري غير النظامي ، فهناك ايضا رديف هذا العمل (لا بديله بالنسبة للوضع الفلسطيني) وهو المقاومة من الداخل على نحو ما كان يحدث خـلال السنوات الخمس الماضية في قطاع غزة واجزاء مختلفة من الضفة الغربية . لقد اثبت هذا العمل فعالية واهمية من خلال ما احدثه في صفوف العدو من بلبلة ومخـاوف على المستوى الشعبي ومن كلفة وخسائر وتعبئة مستمرة على مستوى قوات الامن ومن فضح للعدو الصهيوني على المستوى الدولي باعتباره غازيـا ومحتلا غاشما لا يتورع عن استخدام

اشد اساليب البطش والابادة لمقاومة حركات التحرير وكبت ارادة الشعوب . ومن جهة اخرى كانت بسالة قطاع غزة بالذات تعطي دفقة معنوية للثوار العرب في كل مكان وتثبت لهم أن العدو ليس ذلك الوحش الاسطوري الذي لا يمكن أن ينال منـه او يؤذى وان شعبا صغيرا استطاع ان يتحدى قوات الاحتلال الغاشمة وان يحدث البلبلة في صفوفها على الرغم من انه محصور من جميع الجهات وامكانـات امداده ضعيفة جدا والفرص العامة التي تتيحها له المنطقة محدودة جدا . ذلـك ان المقاومة في غزة خلال السنتـين الاخيرتين كانت النقطة الوحيدة المضيئة في ظلام المنطقة العربية وكان واضحا ان الناس في غزة يحاربون ويقاومون دون ان تلوح لهم في الافق اية بوادر تشير الى تحسن موقفهم السياسي والقتالي او حدوث اي تطورات يمكن ان تؤدي الى تخفيف الضغط عنهـم . والواقع أن التحليل الموضوعي كان يفيد دائما ان مستقبل المقاومة في غزة غير مضمون على الاطلاق وانه كان في احيان كثيرة نوعا من العنف الشعبي الذي لا يحمل مؤشرات نمو ثوري منظم وان كان ينطوي على امكانية قوية للعمل الثوري ، وهي حالة حذر لينين وغيره من القادة الثوريين من الركون اليها وتركها دون تطوير وتوجيه(*) .

واليوم بعد انقضاء خمس سنوات على الاحتلال الاسرائيلي لقطـاع غـزة والضفة الغربية وسيناء والجـولان يتساءل المرء : مـاذا جرى للمقاومة العـربية في الارض المحتلة ؟ . . . وهل صحيح ان العدو الاسرائيلي في حالة ممتازة يحسده عليها اي محتل اخر في العالم من حيث استتباب الامن والهدوء ومن حيث اقبال الناس على التعاون معه اقتصاديا واجتماعيا وبالتالي سياسيا ؟ . لا شـك ان الصورة العامة قاتمة وليس من الخطأ على الاطلاق الاعتراف بأن المحتل الصهيوني قد حقق نجاحا يتمناه اي محتـل في هذا العصر ، بل انه يكون ضربا من الغباء والانتحار السياسي لو تعامى العرب عن هذا الواقع وانكروا وجوده . ولكن ـــ مع ذلك ـــ يجب ان لا تقبل هذه الصورة العامة دون تمحيص ودون تفصيل .

ـــ لنقرر اولا حقيقة ربما كانت لا تحتاج الى براهين كثيرة وهي أن المقاومة في الارض المحتلة وحدها لا تكفي لاحراز اي تبديل جوهري في الواقع العسكري للمحتل الذي يتمتع برجحان ميزان القوى الى جانبه بشكل واضح حتى اليوم .

ـــ ولنقرر ان استمرار اي شعب في المقاومة من خلال واقع لا يبشر بأي تغيير جوهري ربما يتحول الى نوع من الانتحار وقطع الطريق على بروز مقاومة منظمة في المستقبل . وبالنسبة للوضع الفلسطيني بالذات يمكن القول ان المقاومة غير الواعية ربما تؤدي الى اعطاء المحتل مسوغا مستمرا للبطش وتنفيذ خطط التهجير والتدمير والكشف عن الخلايا الثورية قبل نضجها .

ـــ ولنقرر ايضا ان المقاومة الفلسطينية في الضفة الغـربية وفي غزة بوجه خاص بلغت الاوج خلال السنة التي تلت مذابح ايلول ١٩٧٠ ، كما لو كان ذلـك محاولة لشد ازر

---

* انظر : الخطيب ، د حسام ، **في التجربة الثورية الفلسطينية** ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٨٦ ـــ ٨٧ ، حيث جرى تحليل لوضع المقاومة في غزة اختتم بالتعليق التالي « وصحيح ان العنف في غزة ما زال يؤدي وظيفة حساسة في احباط خطط قوات الاحتلال لتطويع المنطقة وهضمها وكذلك في رفع الروح المعنوية لدى المواطنين، الا أن المرء يلمح في هذا النوع ظل الاعراض المرضية التي اتصف بها العمل الفلسطيني بمجمله ، والنمو الكمي في عدد العمليات او حوادث العنف يجب أن لا يصرفنا عن الحقيقة المؤلمة وهي القصور عن احداث تغيير نوعي في مستوى العمليات . وغني عن القول ان هذا التغيير لا يحدث الا بعد توحيد القوى المقاتلة وتنظيمها ووضع برنامج مرحلي لاهدافها العسكرية والسياسية يرافقه برنامج تدريبي وتنظيمي في مستوى الاهداف المرسومة . واذا لم يتم التحرك بهذا الاتجاه ، واذا لم تساعد المنظمات من الخارج على تطوير الامور بهذا الاتجاه فعلينا ان لا نتوقع استمرار مقاومة غزة الى الابد » .

الثورة والتعويض عن الشلل الذي أصاب قواتها عقب هذه المذابح ، ولنتذكر ان المقاومة اخذت بالتضاؤل في العام الماضي (١٩٧٢) بعد أن ثبت أن الثورة الفلسطينية في المنفى لم تستطع ان تتغلب على عقبتها وبالتالي لن تستطيع ان توجه كامل جهدها للارض المحتلة في وقت قريب ، وكذلك بعد ان ثبت ان الوضع على طرفي الصراع — سياسيا وعسكريا — لا ينبىء بأي تبدل جوهري لمصلحة الجانب العربي في الفترة الحالية . وما دام الحال على هذا المنوال فما الذي يمكن ان ينتظره اي مراقب موضوعي ؟ هل يقول للناس انتحروا مهما كانت الظروف ، والفرج لا بد ان يأتي عاجلا او آجلا . لقد قررنا سابقا ان المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة كانت اقرب الى التلقائية خلال السنوات الماضية فلماذا لا نفترض ان سكوتها اليوم ناجم عن شعور شعبي مشترك بأن المرحلة صعبة وهي تتطلب التريث والصبر وتقوية الخلايا والاستعداد للساعة التي تشير عقاربها الى مواتاة الظروف . لقد ابتلي الشعب الفلسطيني على مدى اجيال متعاقبة بضعف قياداته — بل غيابها عن اي تأثير فعال في كثير من الاحوال — ولكنه استطاع بفضل وعيه التلقائي العام ان يحافظ على وجوده وان يستمر ويعيش رغم كل المخاطر والمؤامرات التي استهدفت انهاء وجوده كشعب . ولنقل ان تصرفه في هذا الموضوع بالذات انما يدل على شعور تلقائي بضرورة التحفز والتربص . ولو كانت هناك قيادة فعلية في الارض المحتلة ربما يتصور المرء انها — من خلال تحليل الظروف المختلفة — قد تنتهي الى اتخاذ قرار بتجميد الوضع أو التريث أو على الاقل بتقنين العمليات .

والمهم — على اي حال — هو ان لا نفسر كل الظروف والتطورات لصالح العدو وان ندرك من خلال رؤية غير وحيدة الجانب ان طاقات شعبنا موجودة وكامنة وانها تنتظر القيادة التي تحسن تعبئتها واعدادها وبالتالي اطلاقها باتجاه هدف التحرير المنشود ، وان فترة الهدوء الحالية هي من نوع الفترات التي تسبق العاصفة عادة .

على ان التأكيد على الحقيقة السابقة يجب ان لا يدفعنا الى الاعتقاد بان الصمت تام ومطبق في الارض المحتلة وان الجو هناك طبيعي والامن مستتب استتبابا تاما كما تحاول اجهزة الدعاية الصهيونية ان تصور الامر . وعلينا ان نذكر انه لا يمضي اسبوع الا وتقع عملية في الارض المحتلة سواء التي احتلت بعد ١٩٤٨ او بعد ١٩٦٧ ، وعلينا أن نفترض كذلك أن هناك عمليات كثيرة تتم وتنقضي دون ان يسمع عنها احد لانها عمليات متفرقة يستطيع العدو خنق اي خبر متعلق بها . ان الانسان لو استقصى عدد هذه العمليات من خلال اخبار الوكالات الاجنبية لوجد انها اكثر مما يعتقد عادة ، والسبب واضح جدا ، وهو ان رقابة هذه العمليات تركت اثرا نفسيا على القارىء العربي بحيث اصبح يتجاهل هذه العمليات حين يجدها في الصحيفة او يسمع عنها في الاذاعة ثم يوهم نفسه بأنها غير موجودة . ويزيد الامر سوءا فقدان قابلية التصديق لدى الفرد العربي لدرجة انه يتشكك حتى فيما تنقله الصحافة الاجنبية ، وربما اعتمد على الاذاعة الاسرائيلية اعتماد المصدق من اجل التأكد من اخبار العمليات ودقة الاصابات والخسائر الناجمة عنها . ان هذا التصرف واضح البطلان ومن الطبيعي ان يفترض المرء ان المصادر لاسرائيلية تحاول دائما اسدال ستار من الصمت حول عمليات الفدائيين ، وان التناقض الذي يظهر دائما بين نص خبر معين في النشرة العربية وفي النشرة الانكليزية أو الفرنسية او العبرية من الاذاعة الاسرائيلية يجب ان يشكل لدى كل مواطن القناعة الطبيعية بأن العدو ، اي عدو ، لا يمكن أن يعتبر مصدر ثقة في مثل هذه الاحوال*.

---

* من أجل متابعة عمليات الثورة الفلسطينية راجع الجداول التي ترد عادة في **شؤون فلسطينية** ، وفي العدد (١٨) مثلا نجد تقريرا حول ١١ عملية بين ٧٢/١٢/١٣ — ١٩٧٣/١/١٢ ، اعترف العدو بعشر منها ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

والامر الذي يجب ان نتأكد منه هو ان المقاومة لم تنعدم تماما كما يحاول العدو ان يوهمنا وان كانت هناك فترة سكون نسبي ناجمة عــن الروح التراجعية التي تسود المنطقــة العربية وتجعل المقاومة في نظر المواطن العربي في فلسطين المحتلة عملا غير واضـــح الاهداف وغير مرتبط بتحرك شامل نحو التحرير ، وان المرء اذ يقــدر الاسباب الكامنة وراء هذا الركود ، لا بد ان يميز بين نوعين من الركود : ـــ الركود الذي يسبق العاصفة والذي يعبر عن تحفز وتربص والنوع الثاني وهو الركود الناجم عن الارتخاء والاستسلام لخطط العدو واليأس من احداث اي تغيير . وبالطبع ليس من السهل الحكم على الركود العربي في الارض المحتلة بمثل السهولة التي يلجأ اليها المستخفــون والانهزاميون حين يصورون المسألة وكأنها قد سويت نهائيا لصالح العدو .

ولنحاول ان نفهم الوضع الحالي على طريقة الاحتمالات المتغيرة بدلا من ان نطلق حكما ثبوتيا يتعارض مع معطيات التاريخ . لنتصور الوضع الحالي معادلة ذات طرفين من الاحتمالات . الطرف الاول ، وهو الطرف العربي الفلسطيني ، تحكمــه عوامل داخلية متأثرة تأثرا مباشرا بمـــا يجري في المنطقة العربية ، والطــرف الثاني وهو الطــرف الصهيوني ، تحكمه قوانينه الخاصة المتأثرة تأثرا مباشرا بالعوامل الخارجية ولا سيما بالولايات المتحدة الاميركية سواء على مستوى السياسة الداخلية فيها أم على مستوى سياستها الامبريالية العالمية . ويبدو الطرف الثاني اكثر قدرة على التخطيط والحركة والمبادرة في الظرف الحالي ، ولذلك كان ضروريا ان يعرض الموقف من زاويته مع بيان الاحتمالات التركيبية التي لا بد ان تنجــم من تصادم موقفه مع موقف الطرف العــربي الواقع تحت الاحتلال . ولنبدأ بعناصر سياسة العدو في الارض المحتلة .

اولا : ان العدو الاسرائيلي ، كأي محتل في هــذا العالم ، يهمه اولا استتباب الامن في المنطقة المحتلة ويهمه ثانيا الاستفادة الاستراتيجية والاقتصادية من المنطقة المحتلة . وفي المجال الاستراتيجي نجد اسرائيل تعمل جاهدة على استكمـــال مفهوم (الصندوق المحصن) فهي تزرع المستعمرات العسكرية على طول نهر الاردن وعلى حدودها الاخرى مع البلاد العربية بحيث تظل هذه المستعمرات حصونا طبيعية ومراكز هجومية او دفاعية حسبما يقتضي الموقف . والمهم ان هذه المستعمرات تغني اسرائيل عن الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة ضاربة على الحدود بحيث تستطيع توفير القوة البشرية العاملة والمختصة من اجل تشغيلها في التنمية الاقتصادية بدلا من تجميدها على الحدود كما تفعل الـــدول العربية ذات الجيوش الكبيرة العدد نسبيا .

ومن الواضح ان هذه الاهداف لا يمكن أن تتحقق الا بممارسة اساليب مختلفة من الضغط والارهاب والانتهاك لحقوق المواطن العربي الراسف في قيود الاحتلال . وقــد أثبتت التجربة خلال ربع القرن الماضي ان هذا الهدف الاستراتيجي هو الهدف المقدم على كل هدف آخر ، وان مقتضياته تتحكم تحكما كاملا بالسياسة الاسرائيلية . فمنذ أن قامت الدولة الصهيونية حرصت على اخضاع مناطق الحدود والمناطق التي يسكنها العرب لحكم عسكري غريب من نوعه يعطي السلطة العسكرية صلاحيات مطلقة ويجعل لهـــا اليد العليا في تصريف شؤون المناطق المذكورة ، على الرغم من وجود حكومة مدنية تتولى شؤون سائر البلاد ، وتمتد هذه الصلاحيات لتشمل اغلاق مناطق معينة وتحديد حرية الحركة للمواطنين واعتقال أي مواطن ، وأخيرا ـــ واهم من ذلك كله ـــ مصادرة الاملاك أو اتلافها*.

ولست هنا في مجال استقصاء هذه النقطة فهي مسألة معروفة تماما وقد كتب فيها الكثير ،

---

* من اجل التوسع في فهم طبيعة الحكم العسكري المشار اليه انظر بوجه خاص كتاب جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** (الجزء الاول) ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ١٢٠ ــ ١٢٢ .

وانما أود أن أشير الى بعض الامثلة الصارخة التي تثبت ان الضرورة العسكرية او الامنية تتحكم بأي عامل آخر في السياسة الاسرائيلية سواء بالنسبة للاراضي المحتلة بعد عام ١٩٤٨ أو بعد عام ١٩٦٧ . وان قضية الاستيطان اليهودي في مشارف رفح هي من أهم الامثلة التي توضح هذه السياسة . ففي عام ١٩٧٢ جرى تشريد آلاف البدو العرب من المنطقة الواقعة بين قطاع غزة والعريش ، وأقيمت عدة سياجات أمنية أولها سياج الامن البالغ طوله نحو ثلاثين كيلومترا بمحاذاة الحدود القديمة ، وسياج آخر في القسم الجنوبي من رفح صادرت السلطات العسكرية بموجبه ٢٦ ألف دونم ، ثم السياج الاخير الذي تم تحت ستاره تهجير آلاف العرب ومصادرة أربعين ألف دونم . وقد منعت الرقابة العسكرية نشر الانباء حول هذه الاجراءات الى أن وصلت الى الصليب الاحمر الدولي ، وحينها أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنها لم تكن على علم باجراءات التسييج والمصادرة والتهجير ، وأسفرت التحقيقات التي اجرتها الحكومة على توبيخ ونقل بعض الضباط*.
وهناك حدث آخر لا يقل أهمية عن الحدث السابق ويتعلق بالاراضي المحتلة بعد سنة ١٩٤٨ ، وهو اقدام السلطات الاسرائيلية اثر الاحتلال مباشرة على اخلاء قريتي كفر برعم واقرت الواقعتين على الحدود الفلسطينية اللبنانية واجبار سكانهما من العرب المسيحيين على ترك أراضيهم بالقوة واعتبار القريتين من ضمن مناطق الامن التي لا يجوز لاصحابها العرب العودة اليها . وعلى الرغم من الضجة الكبرى التي أعقبت هذه العملية ، وعلى الرغم من استمرار نضال الاهالي للعودة منذ أوائل الخمسينات حتى هذه الايام ، وعلى الرغم من تدخل سلطات دينية مسيحية على أعلى مستوى واتصال بعض هذه السلطات بكبار الحاخامين في نيويورك ، وعلى الرغم من استمرار استغلال فئات من المعارضة الاسرائيلية لهذه القضية ، فان الحكومة الاسرائيلية لم تتزحزح قيد شعرة عن موقفها المتصلب بل انها لم تصغ الى قرار محكمة العدل العليا التي أصدرت في ٣١ — ٧ — ١٩٥١ بناء على شكوى قدمها أهالي اقرت قرارا ينص على « أنه لا يوجد أي عائق قانوني لاعادة المشتكين الى قريتهم » . كما أصدرت في أول أيلول ١٩٥٣ قرارا مماثلا بالنسبة لاهالي قرية كفر برعم . ومنذ ذلك التاريخ رفضت سلطات الامن تنفيذ هذين القرارين وأعلنت اراضي القريتين «مناطق امن» ونسفتهما**. وحتى اليوم تصر سلطات الامن والحكومة والصحافة الاسرائيلية على ضرورة الوقوف في وجه أية محاولات يقوم بها العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية من أجل العودة . وتشير جميع ردود الفعل الاسرائيلية الرسمية الى هذا الاتجاه ، ويكفي أن نقتطف التعليق التالي لحاييم بارليف حول هذه المسألة :

« قبل كل شيء هناك قضية أمنية . توجد أهمية كبرى لعدد قرى الاقليات مع الحدود اللبنانية ، ويجب عدم زيادة هذا العدد . وبالاضافة الى الناحية الامنية هناك قضية أخرى تتعلق بسكان أبعدوا هم أيضا عن قراهم مثل أهالي كفر برعم أثناء حرب ٤٨ . ان هذا الوضع يشكل مأساة بالنسبة لهؤلاء ، وقضية صعبة ومستعصية بالنسبة لدولة اسرائيل . فاذا ما قمنا باعادة أهالي كفر برعم الآن فاننا نكون قد سجلنا سابقة . وهناك قرى أخرى لا أعرف بالضبط عددها أبعد أهاليها . فماذا نقول لهم ؟ هل نقول لهم اننا

---

* من مقال للسيد محمد ابو عزة بعنوان « الاستراتيجية الصهيونية وعرب الارض المحتلة » ، جريدة **البعث** السورية ، ١٩٧٣/٢/١١ ، ويسند كاتب المقال معلوماته الى **هآرتس** الاسرائيلية (١٩٧٢/٥/١٨) . راجع ايضا نشرة م. د. ف. ١٩٧٢/٧/١٦ .

** أجلي سكان اقرت في ١٩٤٨/١١/١٥ وسكان كفر برعم في ١٩٤٩/١١/١٥ ، ونسفت القريتان بعد ذلك . من أجل تفصيلات وافية عن هذه القضية راجع نشرة م. د. ف ١٩٧٢/٧/١٦ .

سمحنا لاهالي كفر برعم بالعودة لانهم موارنة ، ولن نسمح لكم لانكم مسلمون »*.

ويتضح من مراجعة الموقف الاسرائيلي تجاه هذه القضية بالذات ان المسألة ليست مسألة امن فحسب بل هناك مقتضيات الاستيطان اليهودي التي تتخذ من « الامن » ذريعة لاغتصاب مناطق عربية مقصودة وطرد سكانها . ويقدر صبري جريس الاراضي التي تمت مصادرتها تحت ذريعة المقتضيات العسكرية أو غيرها بمليون دونم**. على ان الاعتراف بالدوافع الاستيطانية والاقتصادية يجب أن لا ينسينا مطلقا أن الاعتبارات العسكرية والامنية تفوق كل اعتبار آخر عند العدو ، بل لقد دلت تجربة ربع القرن الاخير ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تظل لها اليد العليا في تقرير وتنفيذ اية سياسة متعلقة بالعرب والاراضي العربية واذا كان النظام السياسي الاسرائيلي يسمح لقوى سياسية بمزاحمة المؤسسة العسكرية فيما يتعلق بالشؤون الاسرائيلية فان الشؤون العربية بقيت حتى الآن وبشكل تام بيد السلطة العسكرية وقادة المناطق المحتلة أو الحكم العسكري بوجه خاص .

ومغزى هذا الكلام بالنسبة لما تحاول أن تصل اليه هذه الدراسة هو ان اية سياسة للتهدئة يمكن أن يتبعها المحتل الاسرائيلي في المناطق المحتلة لا يمكن أن تكون فعالة على المدى البعيد لانها تتصادم أصلا مع اعتبارات الامن العسكري للعدو ومقتضيات مطامحه التوسعية .

ثانيا : وفي المجال الاقتصادي ، وعلى الرغم من اعتراضات محلية كثيرة ، تعمل اسرائيل على الحاق اقتصاد الضفة الغربية بمصالح الاقتصاد الاستعماري الاسرائيلي واستيعاب القوة العاملة العربية بأرخص الاثمان ، ذلك ان المجتمع الاسرائيلي كغيره من المجتمعات المتقدمة صناعيا يحتاج الى طبقة عاملة رخيصة تساعده على انتاج سلع رخيصة يمكن أن تدخل سوق المنافسة الدولية . وتتطلع اسرائيل بوجه خاص الى غزو الاسواق في بلدان آسيا وافريقيا مستفيدة من قربها الجغرافي من معظم هذه البلدان وكذلك من معرفتها لطبيعة الانتاج المرغوب نفسيا في بلدان آسيا وافريقيا .

وقد وجدت بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧ فرصة مؤاتية لتنفيذ مرحلة جديدة من مراحل توسعها الاقتصادي فأخذت تزيد من الطاقة الانتاجية لمصانعها التي صممت أصلا لتلبية حاجات التوسع الاقتصادي والتي لم تكن تعمل بكامل طاقتها الانتاجية في المراحل السابقة . وقد استغل الرأسمال الصهيوني فرصة وجود آلاف العمال المتعطلين في الاراضي المحتلة وعمد الى تشغيلهم في المصانع بأجور منخفضة جدا بالنسبة لمستوى معيشة العامل الاسرائيلي ، ومرتفعة جدا بالنسبة لمستوى المعيشة في المجتمعات العربية المحتلة***. ومن هنا يسمع المرء كثيرا عن ارتفاع اجور العمال العرب من أبناء الضفة الغربية الذين يعملون في المصانع الاسرائيلية ، ويسمع أكثر عن انتشار نوع من أنواع الرخاء الاقتصادي هناك ، ويتوهم الكثيرون ان هذه الحالة دائمة ويعتبرونها مؤشرا مظلما بالنسبة لمستقبل القضية العربية .

ومن الاسف ان حالة اليأس التي تخيم على مجتمعنا تيسر الانتشار لمثل هذه الافكار التي تتنافى مع الواقع الموضوعي للمجتمع الصهيوني الرأسمالي في الاراضي المحتلة . وحتى

---

* انظر : درويش ، محمود : لا دولة صهيونية بدون طرد العرب ومصادرة اراضيهم ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٣ ، حيث ورد هذا النص ونصوص اخرى مشابهة تمثل الموقف الاسرائيلي المشار اليه .

** جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** ، الجزء الاول ، ص ١٦٤ — ١٦٧ .

*** الرقم الرسمي لعدد العمال العرب من المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل هو ٥٢٠٠٠ . انظر نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ . وتشير الصحف الاسرائيلية عادة الى وجود اعداد اخرى من العمال الذين يعملون بصورة غير قانونية .

تكون الصورة واضحة ومستكملة يجب ان نتذكر ان العدو الصهيوني متأثر بالعوامل الدولية تأثرا مباشرا وفريدا من نوعه في العالم المعاصر. ان اسرائيل — أكثر من أية دولة أخرى في العالم — تعتمد في وجودها وقوتها على مقومات خارجية كالحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية . وهي تتلقى قدرا من المساعدات المالية والاقتصادية يصل الى درجة خيالية ولا نكاد نعرف له مثيلا في العصر الحديث ، وعلى الرغم من اعترافنا بأن العدو الصهيوني قد قطع شوطا كبيرا منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن في تثبيت أقدامه وتحقيق نوع من المقومات الداخلية للاستمرار فاننا يجب ان لا ننسى أبدا أن ارتباط اسرائيل العضوي بالامبريالية هو عامل قوة وعامل ضعف في وقت واحد ولا بد أن تكون له انعكاسات في المستقبل طبقا لتطور المعركة ذات الوجوه المتعددة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) بين حركات التحرر الوطني والقوى الامبريالية على مستوى العالم كله .

واذا أردنا لكلامنا أن يكون أكثر دقة وتخصيصا فلنقل ان نجاح سياسة العدو الاقتصادية او اخفاقها سوف يعتمد على عوامل دولية كثيرة ، وفشل اسرائيل مثلا في ايجاد أسواق خارجية لسلعها أو دخولها في منافسات حامية في المستقبل مع دول رأسمالية أخرى سوف يعرض اقتصادها للاعراض المرضية المعروفة عامة في العالم الرأسمالي ، واذا قدر لازمة الدولار الحالية أن تتطور تطورات حاسمة بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة الامريكية فان الاقتصاد الرأسمالي التابع في اسرائيل سوف يعاني من ضربة محققة لانه أقل تحملا للصدمات من الاقتصاد الام ، وسوف تكون البطالة بين العمال من ابرز مظاهرها ، ويتوقع المرء أن اية موجة قادمة من البطالة في الارض المحتلة سوف تقلب الميزان في الارض المحتلة وتفقد المحتل الاسرائيلي كثيرا من المواقع الداخلية التي اكتسبها مؤقتا ، وقد تجعل الوضع أسوأ مما كان عليه في فترة الاحتلال الاولي ، ذلك ان العرب سيكونون أول المطرودين من اعمالهم كما تقول دافار* ، واذا قدر لموجة البطالة ان تتفشى تفشيا قويا فانها ستهيىء الطبقة العاملة الفلسطينية لربط مصيرها بمصير الثورة ، وهو أمر تفرضه طبيعة الامور وسوف تعجل الظروف الاقتصادية السيئة بتحقيقه ، وعند ذاك سيكون العامل العربي أكثر فعالية وقدرة على النيل من العدو وذلك بفضل ما اكتسبه من خبرات نجمت عن تغلغله في المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية . وان المناقشات الحالية الدائرة بين الاحزاب السياسية الاسرائيلية حول مستقبل الاراضي المحتلة لتشير بوضوح الى تخوف الاسرائيليين من هذه النتيجة** . ويجب ان لا يفهم من هذا الكلام طبعا أن اشتغال العمال العرب في المصانع الاسرائيلية مسألة يمكن أن تكون في صالح الثورة أوتوماتيكيا ، بل هو دعوة الى الاستفادة من الامر الواقع وقلبه لصالح الثورة وهذه بالاصل هي وظيفة الثورة ، وقد سبق للثورة الجزائرية أن خاضت تجربة في هذا المجال ، اذ حاولت منع العمال الجزائريين من العمل مع المستوطنين الفرنسيين وحين رأت ان الامر غير ممكن أطلقت شعار (خذ الغلة وسب الملا) وانصرفت الى تجنيد هؤلاء العمال في صفوف الثورة . كما ان التحليل السابق لا يعني ان ارتباط الطبقة العاملة العربية بالثورة متوقف فقط على الهزات الاقتصادية المرتقبة في اسرائيل . ان هذه

---

* نقلا عن المصدر السابق .

** أوضح يوسف الموغي ، وزير العمل الاسرائيلي ، في دورة نقاش اجريت في سكرتارية حزب العمل أن نسبة العمال العرب العاملين في اعمال بناء فعلية في اسرائيل تصل الى ٣٥٪ ، بينما تصل نسبتهم في قطاع البناء الى ٦٠٪ ، وتبلغ نسبة العمال العرب العاملين في الزراعة في اسرائيل ٣٠٪ ، وفي الصناعة ٥٪ . ويقول الموغي : « حان الوقت للحيلولة دون زيادة نسبة العرب العاملين في اسرائيل ، ان الكمية تتحول الى نوعية ، واذا ارتفعت هذه النسبة نكون قد زرعنا لانفسنا لغما موقوتا يشكل خطرا على مجتمعنا » . راجع نشرة م.د.ف. ١٩٧٢/١٢/١٦ حيث نقل هذا الكلام عن معاريف ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .

الهزات سوف تقرب من أمد هذا الارتباط وتعطيه دفعا وقوة ولكنها ليست الاحتمال الوحيد ، وهناك احتمالات كثيرة سوف تنجم عن الوضع البشري والاقتصادي الجديد في الاراضي العربية المحتلة ، والفارق الملحوظ في مستوى المعيشة على الجانبين العربي والاسرائيلي سوف يكون في المستقبل عاملا قويا يمكن أن تستغله الثورة استغلالا منظما وفعالا . ومن المهم أن ننبه منذ الآن ان العدو الصهيوني غير غافل عن هذه النقطة بالذات . وهناك أخبار عن مجموعة اسرائيلية تسمى « ريحوفوت » قامت بوضع برنامج يهدف الى رفع مستوى المعيشة في الضفة الغربية والى التقليل من الفارق في مستوى المعيشة بين العرب واليهود وذلك بهدف جعل التوحيد بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد الضفة الغربية ممكنا أو بعبارة أصح اخضاع اقتصاد الضفة الغربية كلية لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي وذلك عن طريق انشاء مشاريع متعددة صناعية واقتصادية وزراعية وسياحية بالاضافة الى مشاريع أخرى متصلة بالخدمات العامة ، وتلقى هذه المشاريع اهتماما متزايدا من السلطات الاسرائيلية التي بدأت بوضع بعض هذه المشاريع في حيز التنفيذ* .

ومهما يكن من أمر التطورات الاقتصادية المتوقعة التي يمكن ان تؤثر في فعالية خطط العدو فلا بد من الاشارة هنا الى ظاهرة ارتفاع تكاليف المعيشة التي بدأت تعاني منها الضفة الغربية . صحيح ان اجور العمال ارتفعت لدرجة ان بعض حملة الشهادات وبعض مالكي الاراضي الصغار (الكولاك) اصبحوا يفضلون الالتحاق بالمعامل والتخلي عن الوظيفة أو الارض ، ولكنه صحيح ايضا ان ارتفاع تكاليف المعيشة في الضفة الغربية آخذ بالازدياد وفقا لنسب غير طبيعية أبدا وسوف تتلاشى في القريب العاجل نظرة المقارنة بين الماضي والحاضر او بين الضفة الشرقية والضفة الغربية لتفسح المجال لنوع من النقمة العامة على الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية الجديدة التي تحيط بالسكان العرب .

وأخيرا لا تكتمل صورة الوضع الاقتصادي دون الاشارة الى ناحية مهمة معروفة في تاريخ الاحتلال ، ومتمثلة بشكل أحد وأقوى في حالة الضفة الغربية وهي التناقض الموضوعي بين مصلحة المحتل ومصلحة الشعب الواقع تحت وطأة الاحتلال . وفي حالة الاحتلال الاسرائيلي لا بد أن يؤدي هذا التناقض الى صدام حتمي ، ذلك ان الاطماع الاسرائيلية في الارض لا تقف عند حد أبدا ، ولدى الاسرائيليين خطط ثابتة للاستيلاء على الارض العربية وفقا لضرورات اقتصادية او استراتيجية . وعلى الرغم من سياسة التهدئة العامة التي تنتهجها السلطة الاسرائيلية فان ذلك لم يمنعها من تنفيذ مخططها لتهويد منطقة القدس والاراضي المحيطة بها ويتخذ هذا التهويد شكل اغتصاب قسري للارض عن طريق الجمعيات أو شكل مصادرة عن طريق الدولة ، ويمكن للانسان أن يتصور حالة الفلاح الذي تغتصب أرضه وكثيرا ما تكون خصبة أو ذات أهمية معينة ، وكثيرا ما يصبح المالك عاملا في الارض ذاتها .

وبمناسبة الكلام عن موقف الفلاح من الارض يجدر بنا أن نتذكر حوادث كثيرة في الضفة الغربية انطوت على استعمال العنف أو التدابير الجذرية ضد الفلاحين الذين رفضوا العمل في المشروعات الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ أحرقت السلطة مزروعاتهم ومنعتهم من فلاحة أرضهم وقطعت عنهم اية فرصة لكسب الرزق حتى يكون العمل في المشروعات الاسرائيلية (وأحيانا في الموسم الزراعي المنافس لمحصولهم نفسه) هو الاختيار الوحيد

---

* للتوسع في هذه النقطة وفي موضوع السياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية راجع : عنبتاوي ، د. منذر ، « بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيل ودبلوماسية البنغ بونغ » ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٨ ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ١٥ — ٢٧ .

امامهم . ومن امثلة ذلك الاستيلاء القسري على اراضي قرية عقربة وقطع اشجار البيارات في تلقيلية بالجرارات لاكراه العرب على هجر الارض واخبار هذه الحوادث ميسورة في الصحف الاسرائيلية. **لقد أوردنا كل تلك الشواهد لنؤكد على حقيقة يتجاهلها الكثيرون في هذه الايام وهي انه مهما بلغت سياسة التهدئة الاسرائيلية من براعة ومرونة فان الظروف الاقتصادية نفسها في الضفة الغربية ــ بصرف النظر عن العوامل الاخرى الوطنية والنفسية ــ سوف تمثل بالتدريج عاملا حادا من عوامل التناقض الابدي بين مصالح العدو المستعمر ومصالح الشعب المغلوب على أمره ، وان وصول هذا التناقض الى درجة معينة سيكون عاملاً من عوامل تهيئة المناخ الثوري الذي يمكن ان تستغله الثورة بشكل واع ومنظم .**

ثالثا : وبالاضافة الى الهدفين الاستراتيجي والاقتصادي تعمل السياسة الاسرائيلية على **استيعاب المناطق المحتلة** وتطويعها واستخدامها جسرا للوصول الى أهدافها البعيدة وهي خلق حالة طبيعية من التعامل مع الوطن العربي تتوج الانتصارات العسكرية الاسرائيلية وتجعل الوطن العربي مجالا حيويا لمطامح الصهيونية السياسية والعسكرية والاقتصادية دون أن تقيد اسرائيل نفسها بمعاهدات وحدود دولية.وفي البدء لجأ العدو المحتل الى أقصى درجات القمع والارهاب ، وبعد أن اتيح له كسر شوكة المقاومة اثر أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن نهج نهجا جديدا قائما على التهدئة العامة في الضفة الغربية ويتمثل هذا النهج رسميا بسياسة (الجسور المفتوحة) التي أصابت حتى الآن نصيبا من النجاح ومن أهم مظاهر هذه السياسة :

١ ــ ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين وتسهيل خروج السكان ودخولهم منها ضمن قيود معينة جرى تخفيفها تدريجيا حتى أصبح التنقل بين الضفتين أسهل بكثير من التنقل بين بلد عربي وآخر بل بين المدن الاردنية نفسها . ٢ ــ السماح لزوار الضفة الغربية بدخول الاراضي المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ بأذون خاصة في بادىء الامر ثم بدون اذن وعلى مدار السنة ابتداء من ١ ــ ٧ ــ ١٩٧١ . ٣ ــ السماح لابناء المناطق المحتلة المقيمين في الخارج بزيارة اقاربهم وأصدقائهم داخل هذه المناطق خلال الصيف وقد سمح ابتداء من ١٩٧٢/١/٢٥ للفلسطينيين المقيمين في الاقطار العربية بزيارة الضفة الغربية طوال العام . ٤ ــ السماح للعمال العرب بالعمل في مجالات متعددة داخل اسرائيل . ٥ ــ السماح لابناء الضفة الغربية بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية في الضفة الشرقية او عبرها . ٦ ــ ادارة البلاد فيما عدا الشؤون المتصلة بالامن ، من خلال الموظفين العرب الاعضاء أصلا في جهاز الدولة الاردنية والسماح لهؤلاء باستمرار قبض رواتبهم الاردنية رغم منحهم رواتب أخرى مساوية لها . ٧ ــ الابقاء على المجالس البلدية التي كانت قائمة عند الاحتلال وتجديد انتخاباتها وفقا للقوانين الاردنية . ٨ ــ الافراج عن عدد من الفدائيين الذين اجتازوا الضفة الغربية خلال أحداث ١٩٧٠ في الاردن تلبية لالتماسات استعراضية من جانب الزعامات التقليدية في الضفة الغربية*.

لقد كسب العدو الصهيوني كثيرا من وراء هذه السياسة ذات المظهر اللبرالي ولا سيما ما يتعلق منها بتسهيلات التنقل والسفر لانها تعد حدثا جديدا في المنطقة العربية التي يعاني سكانها من عقدة الاجراءات البليدة على الحدود بين كل قطر عربي وآخر. ويتحدث الناس كثيرا عن سهولة المرور عبر الجسور وعن سهولة التجول في الضفة الغربية وجميع المناطق في فلسطين المحتلة ويضفي الحديث عادة على هذا الامر هالة أسطورية. ويستطيع المرء أن يفهم هذا الموضوع تماما ولكن المواطن الواعي ــ ولنقل المراقب البصير ــ يجب ان لا يؤخذ بهذه الامور . صحيح ان الاسرائيليين يسمحون لمعظم

---

* نقلا عن المصدر السابق ص ١٦ ــ ١٧ مع تعديلات طفيفة .

الراغبين بالعبور — ولا سيما أولئك القادمين من عملهم في بلدان الخليج من أجل قضاء اجازة شهر أو شهرين ، وصحيح انه في حالات كثيرة جداً أعطيت اجازات مرور لاناس عرف عنهم الانتماء للمنظمات الفدائية أو لاقارب زعماء فلسطينيين عاملين أو لزوجاتهم ، وصحيح أن بعض هؤلاء لا يتعرضون لاي ضغط ظاهري في اسرائيل ، ولكن الاعتراف بكل هذه الامور يجب ان لا يلفتنا عن حقيقة الفارق التكنيكي الكبير بين اساليب الامـن المتخلفة في بلادنا العربية وبين الإساليب المتطورة التي يستخدمها العدو . وبالنسبة للمواطن العربي البسيط في هذه المرحلة ربما بدا الامر نوعا من المعجزة نظرا للمشقات الهائلة والتعقيدات البسمجة التي يعاني منها أي مواطن عربي تقتضي ظروفه ان ينتقل عبر الحدود العربية من دولة لاخرى ، ويزداد الامر تعقيدا حين يكون هـذا المواطن فلسطينيا اذ تسد في وجهه معظم الحدود . ان المسألة يجب أن لا تفهم الا على اساس تقدم في وسائل الامن ، فالدولة التي لا تطمئن لكفاءة اجهزة المراقبة الخفية عندها تغلق حدودها وتختلق الصعوبات اللازمة أحيانا وغير اللازمة في أحيان أخرى من أجل احكام الرقابة في الداخل وعلى الحدود . ان المواطنين في أوروبا يتجولون عبر حدود الدول المختلفة دون اية معاناة ، ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان المراقبة معدومة بل هي خفية وذكية . والاختصاصيون طبعا يستطيعون أن يتحدثوا طويلا في هذه النقطة ، نزيد على ذلك أيضا رغبة إسرائيل في الظهور بمظهر الدولة المنفتحة الواثقة من نفسها ، ولنا ان نتصور طبعا كم تكلفها هذه السياسة من استخدام لوسائل أمـن متقدمة جدا . ويستطيع المرء بسهولة أن يفترض ان أي نجاح عربي في الاستفادة من سياسة الجسور المفتوحة لخلق جو من الاضطراب في اسرائيل سوف يضطر سلطات الاحتلال لتغيير هذا الموقف الذي يتزيا بزي الليبرالية .

على أن الصورة العامة التي تتناقلها الالسن عن تسهيلات العبور في اسرائيل ليست كاملة أيضا ولا دقيقة . صحيح ان سلطات الامن تحاول دائما عدم التعرض للمواطنين الا عندما تقتضي الحاجة الملحة ذلك ، ولكنه صحيح ايضا ان سلطات الامن توجه اهتماما خاصا للشباب ولا يكاد يدخل شاب جامعي مثلا الى الارض المحتلة حتى يتعرض لساعات من الاستجواب وأحيانا يعتقل أو يطرد خارج البلاد . وتمارس على الشباب أساليب نفسية مستندة الى غنى المعلومات التي توفرها المخابرات الاسرائيلية عن هؤلاء الشباب بحيث يواجه الشاب بتفصيلات متعلقة بحياته اليومية في البلدان العربية بغية تحطيم معنوياته ودفعه الى الافضاء بما عنده من معلومات أو — اذا أمكن — تجنيده في جيش المخبرين العاديين الذي تعنى السلطات الاسرائيلية بتوسيعه وبثه في كل مكان . وان حوادث التحقيق اليومية التي تجري مع الشباب هي دليل آخر على عدم اطمئنان العدو الى فعالية سياسة التهدئة واضطراره المستمر الى استخدام الاساليب القمعية المعروفة في تاريخ أي احتلال .

وأخيرا يجدر بالمرء كلما تحدث عن النجاح النسبي الذي حققه العدو في تطبيق سياسة (الجسور المفتوحة) ، ان يضع هذا النجاح في اطار من واقع الضفـة الغربية قبـل الاحتلال حتى لا يقع في منزلق المبالغة في تقييم هذا النجاح . ان العدو الاسرائيلي يمكن ان يعتبر من اسعد المحتلين في التاريخ المعاصر لان الظروف العامة على الطرف الآخر كانت مؤاتية له باستمرار ، ولم يكن عليه سوى أن يستعين بوسائله المتقدمة سياسيا وتقنيا ليقطف ثمار التخلف العربي . وفي حالة الضفة الغربية بالذات تسلم الاسرائيليون المنطقة دون مقاومة تذكر من السلطات الملكية الاردنية التي كانت تمثل نوعا من الحكم المتخلف القائم على الارهاب وكبت الحريات والرشوة والفساد . وقد احتفظ الاسرائيليون بالقوانين الملكية واستخدموها من أجل تشديد قبضتهم على الضفة الغربية مستخدمين نفس الطبقة الاقطاعية — البرجوازية التي كان يعتمد عليها الملك .. وبالنسبة للجماهير

المسحوقة ــ اذا افترضنا امكان عزل العامل القومي ــ كانت المسألة استبدال سلطة غاشمة بسلطة غاشمة لا اكثر ، والمآسي التي خلفها الحكم الملكي في الضفة الغربية لم تساعد الناس كثيرا على الشعور بضرورة الاستبسال في مقاومة العدو وزاد الامر سوءا وجود شعور مشترك بغموض الهدف من النضال التحريري : هل يحارب المواطنون ويضحون بأرواحهم من أجل اعادة السلطة الملكية ؟ أم يحاربون من أجل تحرير فلسطين الكامل ؟ أم من أجل اقامة الدولة الفلسطينية ؟ وما هو شكل هذه الدولة ؟ وهل من المصلحة ان تقوم ؟ ان هذه الاسئلة ومثيلاتها ما زالت قائمة ويجب أن تدفعنا الى الاسراع في تحديد استراتيجية التحرير ومضمون التحرير ، أي نوع المجتمع المحرر الذي نسعى اليه .

لقد وجد الاسرائيليون بعد نجاح المؤامرة الامبريالية في اقصاء الثورة الفلسطينية عن الاردن الجو مهيأ للعمل على ايجاد مناخ جديد في المناطق المحتلة . وقد بداوا بالطبقة الحاكمة نفسها التي كان الحكم الملكي يستعين بها فشجعوا الزعامات التقليدية المتمثلة بالاقطاعيين ورؤساء البلديات وكبار برجوازيي المدن ــ وهم الذين كانوا يشكلون عماد الحكم الملكي ، ومنحوهم الامتيازات الكافية واستطاعوا أن يخلقوا بواسطتهم جوا من الهدوء أخذ يعيد مجاري الحياة الى طبيعتها ــ وقد اردفوا ذلك بتشغيل العمال العرب في المصانع الاسرائيلية وخلقوا بالتدريج جوا اقتصاديا جديدا يمكن تسميته بالرخاء النسبي اذا تذكرنا الشروط القاسية التي كانت تكتنف حياة الطبقة العاملة العربية في ظل الحكم الملكي الاقطاعي وخلاصة القول أن سياسة الاستيعاب الاسرائيلية تتخذ طريقين : الاول : طريق الطبقات الاقطاعية البورجوازية وكبار موظفي العهد الملكي ، والثاني : طريق الطبقة العاملة يضاف الى ذلك ان هناك محاولات لاسترضاء الفلاحين الذين لا تدخل أراضيهم ضمن مخطط الاستيلاء الاسرائيلي وذلك عن طريق تقديم خدمات زراعية توجيهية وأخرى وقائية لحماية المحاصيل بالاضافة الى افساح مجالات عديدة لتصريف هذه المحاصيل . ويكمن في هذا التخاطب المنظم مع الطبقات المختلفة سر النجاح النسبي الذي حققه العدو في ادارة الضفة الغربية بوجه خاص . وتشير التطورات الجديدة الى أن العدو أخذ يحاول تطبيق سياسة مماثلة في قطاع غزة بعد ان بلغ الاضطهاد هناك مستويات مخيفة . وتبدأ هذه السياسة باستخدام الزعامات التقليدية وتحريكها داخليا وعربيا لتنفيذ مآرب السلطات الصهيونية واذا لم تحدث تغيرات هامة في الوضع على الجانب العربي من خط المواجهة فان المرء يستطيع أن يتصور ان السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ستأخذ طريقها الى التنفيذ معتمدة على التعاون الكامل الذي يبديه النظام الملكي الاردني بشكل سافر وأنظمة عربية أخرى بشكل مكشوف . وسواء استمر الوضع الاحتلالي على ما هو عليه أم تمخض عن انشاء كيان فلسطيني هزيل مرتبط بالاردن أو باسرائيل فان مفتاح الاراضي المحتلة يظل متعلقا من زاوية العمل العربي بأمرين : **الاول** : مقدار ما يسهم به الوضع العربي من حول الاراضي المحتلة من فتح آفاق جديدة من الامل بالنصر أمام الجماهير المسحوقة تحت وطأة الاحتلال والواقعة تحت ضغط اختيارات محدودة جدا وغير مبشرة حاليا على الاقل . **الثاني** : مقدار ما تستطيع أن تقوم به الثورة من نشاط تنظيمي في الداخل معتمد على تأييد وتفهم شعبيين .

*

ان سياسة الجسور المفتوحة منسجمة تماما مع المخطط الاسرائيلي الهادف الى خلق جو طبيعي من العلاقات مع الجانب العربي يمكن اسرائيل من تنفيذ مآربها السياسية والاقتصادية في المنطقة ، بل ان هذه السياسة تبدو بديلا لسياسة الصلح الرسمية لانها ستمكن الاسرائيليين من اقامة صلات تدريجية مع المنطقة العربية من خلال الجسور

المفتوحة ، وجر المنطقة بالتدريج الى التعامل اليومي المباشر بصرف النظر عن الموقف السياسي العام ، وهي مسألة خطيرة جدا ما زال القادة العرب ينظرون اليها من خلال النافذتين الصغيرتين لجسري اللنبي ودامية على ان هذه السياسة في الوقت نفسه تبدو متعارضة مع العناصر الاخرى للسياسة الاسرائيلية جزئيا أو كليا . فبالنسبة **للهدف الاستراتيجي** يظل صحيحا أن وجود حالة من الهدوء والنظام الطبيعي للحياة مسألة ضرورية لاي محتل لانها تؤمن له فرصة تحريك قواته حسب مقتضيات مخططاته الخاصة لا حسب ردود الفعل في الاراضي المحتلة ، ولكن الهدف الاستراتيجي نفسه في حالة الاحتلال الصهيوني ينافي سياسة التهدئة ، فاحاطة المناطق العربية بالمستعمرات الاسرائيلية من كل جانب واجلاء السكان عن اراضيهم وتغيير معالم القرى العربية ومسح بعضها من الوجود ، هذه التدابير ومثيلاتها تجعل الطريق مسدودا أمام اية تهدئة وحتى لو حصلت هذه التهدئة فانها تظل موقوتة .

ثم ان **العنصر الاقتصادي** نفسه ينافي العنصرين الامني والاستراتيجي ذلك ان السماح لالوف العمال العرب بالعمل في المصانع ومراكز الانتاج الاسرائيلية يحمل في ذاته خطرا مباشرا على الامن داخل اسرائيل والاراضي المحتلة لان امكانية استغلال هذا الوضع من قبل حركة ثورية منظمة امكانية واردة كما أسلفنا ، وهو يشكل كذلك خطرا على المدى البعيد بما يتيحه من احتكاك وتفاعل بين الطبقة العاملة العربية والاسرائيلية من جهة وبما يتضمنه من جهة أخرى من خرق لمبدأ الانغلاقية الذي تقوم عليه الدولة الصهيونية اذ يجد اليهود أنفسهم ثانية مشتركين بالمعيشة اليومية مع غير اليهود ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن سياسة الجسور المفتوحة. ان المناقشات التي تدور في اسرائيل حول الوضع في الاراضي المحتلة تدل فعلا على أن العدو واع لصعوبة التوفيق بين هذه العناصر المتضاربة*. وعلى الرغم من المقدرة التي ابداها العدو في تحقيق مخططاته حتى الان فمن الواضح أن سياسته تتضمن ثغرات وتناقضات تتيح للجانب العربي امكانات عمل كبيرة ، وهناك أقوال ومواقف اسرائيلية كثيرة تشير الى هذا الوضع ليس آخرها ما كتبه يشعياهو بن فورات في صحيفة **يديعوت احرونوت** (١٩٧٢/٧/١٤) دعما لموقف غولدا مائير المتعنت من قضية اقرت وكفر برعم :

« من واجب القادة الاسرائيليين أن يفهموا الجمهور ، بصراحة وشجاعة ، عددا من الحقائق طمست بمرور الزمن ، وأولها أنه ليست هنالك صهيونية ، وليس هنالك استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة أراض »**.

ولنحاول أن نتصور كم تكون النتيجة ايجابية لو كانت هناك حركة فدائية منظمة قادرة على ارسال العناصر الى الداخل وتنظيم الشبكات والتهيئة لمقاومة داخلية فعالة .

ان سياسة الجسور المفتوحة وسياسة تشغيل العمال في المصانع الاسرائيلية وغيرها من سياسات العدو تشكل أمرا واقعا يستقي اهميته عند العدو من عجز الجانب العربي وضعف تحركه التنظيمي ونكوصه عن الاستفادة من الفرص ، ولكن هذا الوضع غير دائم ، والجانب العربي يستطيع في أية لحظة استغلال هذا الامر الواقع الذي يشكل بطبعه وضعا ذا حدين وتحويل عناصره لصالح عمل نضالي منظم وهادف .

---

* يمكن للمرء ان يتابع هذه المناقشات في الصحافة الاسرائيلية حيث تبدو التناقضات التي اشرنا اليه بارزة بل اكثر حدة مما ذكر في هذا البحث . انظر على سبيل المثال نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ التي تظهر حدة هذه المناقشات وتباعد وجهات النظر المتمثلة فيها .

** نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ .

خاتمة

هكذا يتبين لنا من استعراض عناصر المرحلة الحالية ان الثورة الفلسطينية في موقف لا تحسد عليه اطلاقا . فظروف الساحة العملية لا تتيح لها أي تحرك فعال من شأنه أن ينقذها من التوقف أو يعيد اليها ثقة الجماهير الفلسطينية والعربية بها كما يبدو ان هذه الجماهير معرضة لتجربة خطيرة يقوم بها العدو المحتل بغية هز قناعاتها ووضعها في جو اقتصادي واجتماعي ونفسي يباعد ما بينها وبين الانخراط في المقاومة ويجعلها تتوهم ولو الى حين أن امامها اختيارات أخرى غير اختيارات الصمود والمواجهة . ومن الواضح ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم هذا الوضع الصعب الذي هو ناجم في جزء كبير منه عن صعوبة المرحلة الحالية وتعقيداتها . ومن هنا يجب ان لا يساء فهم طبيعة المعضلة التي وقعت بها الثورة الفلسطينية، واذا كان صحيحا ان جزءا من المسؤولية عن هذه المعضلة هو من صنع الثورة فان جزءا كبيرا أيضا لم يكن من صنعها بل كان من صنع الوسط الرسمي العربي وقوى وظروف محلية ودولية لا تدخل ضمن نطاق امكانات الثورة .

على ان الاعتراف بهذا الواقع كله يجب ان لا يحجب بصرنا عن رؤية الامكانات الغنية التي يزخر بها الموقف العربي . **وقد حاولنا خلال السطور الماضية أن نؤكد على حقيقة علمية لا شأن لها بالتوجيه أو التبشير وهي ان الواقع القائم ليس ثبوتيا ولا نهائيا بل هو واقع دينامي مليء بعناصر التغيير وأن مؤشرات هذا التغير لن تستمر في صالح العدوان والاحتلال** ، وان موقف العدو على الرغم من نجاحه الموقوت لا ينطوي على عناصر القوة الجوهرية التي يحلو له ان يتظاهر بها والتي أخذ بها الكثيرون في بلادنا على المستوى الرسمي والشعبي ، بل ان عناصر سياسته نفسها تحمل بذور التناقض والتضارب . ان اغلاق الحدود في وجه الحركة الفدائية لا يمكن ان يستمر الى الابد لسبب بسيط هو أن الدول العربية المجاورة لا يمكن الا أن تكون طرفا مباشرا وفعالا في الصراع ولا بد ان تؤدي بها التطورات المقبلة الى مراجعة هذا الموقف ولا سيما ان الأحداث تحمل لنا كل يوم دليلا جديدا على عمق التناقض بين الطرفين العربي والاسرائيلي واستحالة التوفيق بين الحق العربي والباطل الصهيوني الاستعماري ، وذلك بالاعتراف المستمر لسعاة التسوية السلمية انفسهم . وحتى لو امكن للمساعي الدولية أن تثمر في أي شكل من اشكال توقف الصراع العسكري بين اسرائيل وطرف عربي واحد أو اكثر فان هذا الامر — على خطورته — ليس مدعاة لليأس لان كل المؤشرات تدل على انه لا بد أن يكون موقوتا وغير ثابت . ان الصراع بين الاستعمار وبين حق الشعوب يبقى رغما عن كل الملطفات والوساطات مسألة تناقض حيوي اي مسألة حياة أو موت ولا سيما في حالة التصارع العربي مع المطامع الواسعة للاستعمار الصهيوني الاستيطاني . ودون لجوء الى العواطف أو الخيال بامكاننا أن نتصور الضرر الذي يمكن ان يلحق بكيان هش مثل اسرائيل اذا استطعنا خلق حركة مقاومة جدية داخل الاراضي المحتلة . ان التنبؤ والتنجيم ليسا من صفات اي بحث جدي ولكن الاستسلام لمعطيات واقع معين والعجز عن ادراك ما ينطوي عليه الواقع من مؤشرات للتغير هما أخطر بكثير من التنبؤ والتنجيم . ان اية محاولة لتجاوز ضباب الواقع الحالي من شأنها أن تتيح لنا أن نتخيل الشعب العربي في الاراضي المحتلة ، سواء أبقيت رقعتها على حالها أم تغيرت ، وقد انتظم خلال سنوات معدودات في حركة مقاومة بطولية تحقق التواصل الثوري بين القوى الشعبية داخل سور الاحتلال وبين قوات الثورة الفلسطينية خارج هذا السور ، وعند ذاك بالفعل تصبح الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية والشرارة التي تشعل النار في الحقل كله .

القضية الفلسطينية
من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠ ودروسها

منير شفيق

اعلن قيام دولة الكيان الصهيوني ـــ « دولة اسرائيل » ـــ في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، اي قبل يوم واحد من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . وكان رد فعل الشعب العربي الفلسطيني عنيفا ضد اعلان قيام دولة الكيان الصهيوني الذي جاء تتويجا لقرار تقسيم فلسطين الصادر عن هيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . ولم يكن رد فعل الجماهير العربية باقل من ذلك ، لان قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني جاءا متعارضين تماما مع المصلحة الوطنية والاماني القومية للشعب الفلسطيني والامة العربية . وما كان بمقدور احد ان يعطي لهذين الاجرائين اي مسوغ يخفف من رفض الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية لهما . وحتى غروميكو الذي فاجأ العالم بالتحول لتأييد قرار تقسيم فلسطين ، مندوبا عن الاتحاد السوفياتي ، وصف القرار بانه « احسن حل سيء » .

لقد كان من الواضح تماما ان قرار تقسيم فلسطين ، وفرض اقامة «وطن قومي لليهود» ، بصورة ظاهرة الاصطناع ، في فلسطين ، جاءا نتيجة تآمر الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية على الشعب الفلسطيني والامة العربية . وهو تآمر لم يكن وليد عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، وانما امتد وتواصل منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وبرز ، بشكل سافر ، في وعد بلفور ١٩١٧ ، وكرس تنفيذه ، بكل اساليب الخداع والقوة والارهاب ، من قبل الامبريالية البريطانية خلال فترة سيطرتها المباشرة على فلسطين (١٩١٧ ـــ ١٩٤٨) ، ولاقى مختلف اشكال الدعم والتأييد من قبل الامبرياليتين الامريكية والفرنسية ، دون ان تكون الامبرياليتان النازية والفاشية بعيدتين عن دعمه ، بصورة غير مباشرة ، ـــ من خلال الضغط لتشجيع الهجرة . وقد قوبل ذلك التآمر ، طول تلك الفترة ، بنضالات مستمرة ضده شنتها الجماهير الفلسطينية والعربية ، الامر الذي ولد وعيا جماهيريا عميقا ـــ عربيا وفلسطينيا ـــ ضد قيام كيان صهيوني في فلسطين . ومن هنا اعتبر قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، منذ اللحظة الاولى ، اجراءين معادبين لمصلحة الجماهير العربية في فلسطين والبلاد العربية ، متعارضين مع الاماني القومية لتلك الجماهير ، الى حد لم يكن من الممكن معه زعزعة موقف الجماهير هذا من قبل اي طرف كان سواء جاء ذلك الطرف من الداخل او من الخارج ، ومهما تكن هويته السياسية ، او الطبقية .

كان الشعب العربي الفلسطيني قبيل صدور قرار التقسيم قد امتلك الدلائل التي تؤكد على ان الخطوة الاخيرة من تنفيذ المؤامرة الكبرى ضده قد اصبحت قريبة جدا ، فراح يحاول الاستعداد لمواجهة العاصفة القادمة ، فأخذ ، بمبادرة جماهيرية ، يسعى للتسلح ويطالب بالاعداد للمعركة ، الى حد اصبحت معه ظاهرة بيع الفلاح والعامل لحلي

النساء واثاث البيت من اجل شراء قطعة سلاح ، ظاهرة عامة في القرى وفي الاحياء الفقيرة من المدن . كان الشعب قد لمس بتجربته المباشرة ان عدوه الصهيوني قد تدجج بالسلاح ، وانتظم في سرايا وكتائب ، وواظب على التدرب العسكري بلا كلل ، الامر الذي دفع مسألة تسليح الشعب الفلسطيني ، الى المقدمة ، كمطلب جماهيري فلسطيني وعربي . وما كان من مجلس الجامعة العربية المنعقد في عاليه ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، امام هذا الضغط ، الا ان يوافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين تحت السلاح ، كما هو الحال بالنسبة للعدو الصهيوني ، ومساعدتهم على تحصين مدنهم وقراهم . كما قرر الا تدخل الجيوش العربية الى فلسطين ، والاكتفاء بالمرابطة على حدود فلسطين . وبهذا اتخذت اللجنة العسكرية العربية دمشق مقرا لها، وخصصت معسكر قطنة السوري لتدريب الفلسطينيين . وفعلا بدأ التدريب بألف متطوع فلسطيني . ولكن سرعان ما تدخلت بريطانيا وبعثت برسالة الى الامانة العامة للجامعة اعتبرت فيها تسليح الفلسطينيين وتدريبهم « عملا غير ودي » ، وذكرت انها ما زالت منتدبة على فلسطين . وفورا اسرعت الجامعة لوقف تدريب الفلسطينيين في معسكر قطنة ونزعت سلاحهم . وراحت تكوم الاسلحة في المخازن في وقت كان الشعب الفلسطيني يتحرق فيه للحصول على قطعة سلاح .

على ان جامعة الدول العربية خوفا من نقمة الجماهير العربية على حجب السلاح عن الفلسطينيين قامت بتشكيل جيش الانقاذ على ان تكون اغلبيته من متطوعين عرب ، وتحت اشرافها مباشرة ، وتحت قيادة ضباط اعيروا له من الجيوش العربية . ودخل جيش الانقاذ الى فلسطين ، وهو يحمل تعهدا لبريطانيا ، كما ورد ، ضمنا ، في تصريح وزير المستعمرات البريطاني ، في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، على عدم القتال قبل انتهاء الانتداب البريطاني . وفعلا نفذ جيش الانقاذ هذا التعهد . فلم يخض قتالا طوال الفترة حتى نهاية الانتداب ، رغم رؤيته ، بالعين المجردة ، تدهور وضع المناضلين الفلسطينيين ، وسقوط بعض المواقع بيد القوات الصهيونية . وعندما انتهى الانتداب ودخلت الجيوش العربية انسحب جيش الانقاذ الى شمال فلسطين حيث دخل معارك جزئية محدودة ولكنه عاد فانسحب من الشمال الفلسطيني ، بلا قتال ، وفي ظروف « غامضة » — اشتهرت تحت عبارة « اوامر عليا » — وكان ذلك في اثناء سريان مفعول الهدنة الثانية ١٩٤٨ ، تاركا الارض للعدو الصهيوني .

كان الشعب الفلسطيني ، بعد صدور قرار التقسيم ، قد الح في طلب السلاح الذي حجبته عنه الدول العربية ، ورغم ذلك اعلن الثورة في ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، فشكلت الهيئة العربية العليا جيش الجهاد المقدس . وبدأ هذا الجيش الذي انخرط فيه الاف المتطوعين من ابناء الشعب الفلسطيني يدافع عن القرى والاحياء والمدن العربية التي كانت تتعرض باستمرار لعمليات ارهابية وتدميرية وتوسعية من المنظمات الارهابية الصهيونية وجيش الهاغاناه . (من ١٩٤٧/١٢/١٣ الى ١٩٤٨/٢/١٠ القيت سلسلة من القنابل والبراميل المتفجرة على مقاه واسواق وشوارع عامة عربية اسفرت عن استشهاد ١٠٥ اشخاص وجرح ٢٩٢ شخصا . ومن ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ الى ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٨ هوجمت شاحنات ركاب عربية ونسفت قطارات ركاب أسفرت عن ١٠٩ شهداء و ١٩٥ جريحا . وما بين ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ الى ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نسفت بيوت وفنادق عربية اسفرت عن ١٦٧ شهيدا و ٩٧ جريحا) . كما تعرضت ثماني عشرة قرية فلسطينية لهجمات شرسة ومجازر ما بين ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ و ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، بلغت ضحاياها ٤٨٩ شهيدا و ١٩٦ جريحا . ولكن رغم كل هذه الغارات استطاع جيش الجهاد المقدس بالجماهير الفلسطينية ان يدافع عن المناطق العربية ، ويمنع توسع العدو الصهيوني ،

بفضل وحدة الشعب واستعداده الجماعي للقتال والتضحية . وهكذا بقي القسم الاعظم من فلسطين بيد العرب الى ان بدأ التدهور الذي يمكن أن نحدد علامته ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وهو ذكرى استشهاد القائد الوطني البارز عبد القادر الحسيني الذي كان يقود جيش الجهاد المقدس ، وقد قرر في ذلك اليوم خوض معركة انتحارية (معركة القسطل) كاحتجاج على الدول العربيـة فور عودته من زيارة لهـا ، رفضت فيها ، باصرار ، ان تقدم له السلاح .

والجدير بالذكر هنا ان الشعب الفلسطيني قاتل في ظروف صعبة تميزت بتآمر الحكومات العربية عليه فضلا عن التآمر الامبريالي والصهيوني ، وعن تهرؤ قيادته السياسية . وقد كان تسلحه ضعيفا للغاية مؤلفا من خليـط عجيب من البنـادق والمسدسات التي جعلت قوة نيرانه ضعيفة ، وحالت دون امداده بالذخيرة ، بصورة جيدة ، فقد كـان سلاح الفصيل الواحد مشكلا كما اتفق من بنادق طليانية وفرنسية وكندية تعود تواريخ صناعتها لما قبل الحرب العالمية الاولى . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فقد كانت السلطات البريطانية في فلسطين قد جردته من السلاح في فترة الحـرب العالمية الثانية ومن بعدها ، حيث سنت ضده قوانين صارمة ، طبقتها فعلا ، تقضي بانـزال عقوبة الاعدام بكل فلسطيني يوجد في حوزته سلاح ، ولو كان بلا ذخيرة . ولهذا كان الحصول على السلاح سباقا مع الزمن ويتم بمبادرات فردية اساسا ، وبشق النفس ، وباثمان غالية ، وتحت طائلة عقوبة الاعدام .

بدأ وضع المقاومـة الفلسطينية يتدهور ، كما ذكر ، بعـد ١٩٤٨/٤/١٧ ، فمن جهة حصلت الوكالة اليهودية على كميات كبيرة من الاسلحة بعضها من الجيش البريطـاني الذي كان يعد العدة للانسحاب من فلسطين ، وبعضها جاء عن طريق التهريب امام بصر السلطات البريطانية ومراقبتها . ومن جهة ثانية ، اتضح للشعب العربي الفلسطيني ان لا امل له بوصول اسلحة من الـدول العربية . اما من الجهـة الثالثة ، فقد اخـذت الحكومات العربية تطمئن الفلسطينيين والعرب الا يقلقوا لان جيوشها ستتدخل ، وسيتم التحرير ، وقد جاء تبديل قرار الحكومات العربية من تزويد الشعب الفلسطيني بالسلاح والمرابطة على الحدود فقط ، الى حجب الاسلحة عن الفلسطينيين وقرار التدخل المباشر ، ضربة ساعدت على تدهور الاوضاع تحت التعلل « بأمل » الخلاص القريب . وهكـذا تضافرت تلك العوامل مع تصاعد المجازر التي قامت بها المنظمات الصهيونية الارهابية تحت مظلة جيش الهاغاناه والجيش البريطاني ، ضد المدنيين الفلسـطينيين العزل من السلاح في القرى والمدن ، وكان ابرزها مذبحة دير ياسين (٢٥٤ شهيدا بتاريخ ٩ و ١٠ نيسان ١٩٤٨) ، الى اجبار اعداد كبيرة من الفلسطينيين على هجر قراهم ومدنهـم ، خاصة ، تفريغها من النساء والاطفال . ولكن اذا كان الوضع العسكري قد اخذ يتدهور الا انه لم يسفر عن تخلي المقاتلين الفلسطينيين عن اكثر مواقعهم التي راحوا يذودون عنها ببسالة ممزوجة باليأس .

أمام الغضب العارم الذي عم الشعب العربي في فلسطين وفي سائر البلاد العربية ، على قرار التقسيم ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، وانتشار اخبار تدهور الوضع في فلسطين نتيجة حجب الحكومات العربية للسلاح عن الفلسطينيين ، وجدت الحكومـات العربية نفسها ، في ذلك الحين ، مضطرة الى الاعـلان عن انها سترسل جيوشها الى فلسطين ، بحجة مساعدة الشعب الفلسطيني على تحرير وطنه ، ومنع قيام دولة العدو الصهيوني . ولكن الاهم ان اكثر تلك الدول ، خاصة مصر التي لم تكن راغبة في ارسال جيشها الى فلسطين ، وقعت تحت ضغط بريطاني لادخال جيوشها الى فلسطين ، فقد كانت الدول الامبريالية ، خاصة بريطانيا وامريكا ، تريد من دخول الجيوش العربية : (١) إبعاد الشعب الفلسطيني عن القتال وتحويل القضية الى قضية بين الحكومـات

العربية الخاضعة للامبريالية وبين الكيان الصهيوني حيث تصبح عملية تمرير المؤامـــرة الكبرى مضمونة (٢) عودة النفوذ البريطاني الى فلسطين من خـــلال الجيش الاردني حيث تعاد السيطرة على المناطق العربية التي ستكون خارج دولة الكيان الصهيوني ، وبهذا يحطم الشعب الفلسطيني عن طريق سلطات عربية ، بقوة الارهـــاب والبطش والتذويب ، بعد تجريده من السلاح ، وتمزيق مؤسساته الوطنية .

وفعلا ، في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية الى فلسطين واشتبكت مع جيش الهاغاناه الصهيوني ، بعدة معارك ، واخذت تتقدم ، خاصة الجيش المصري ، وبدا واضحا ان ميزان القوى العسكرية كان يميل لمصلحة الجيوش العربية ، مما دفع وزارة العدو الصهيوني الى ان تطلب من امريكا وبريطانيـــا وفرنسا ضرورة الضغط على الحكومات العربية لعقد هدنة ووقف القتال . فبادرت الدول الامبريـــالية من خلال مجلس الامن ، دون ان تبرز فيه معارضة ، تضغط على الدول العربية بوقف القتال وعقد هدنة . وقبلت الحكومات العربية العميلة فورا وقف اطلاق النار وعقدت الهدنة الاولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ لمدة اربعة اسابيع تحت حجة ان مجلس الامن سيعيد النظر بقرار التقسيم . ولكن هذه الهدنة كانت تعني كسب الوقت بالنسبة للعدو الصهيوني لاعادة تنظيم صفوفه ، وجلب صفقات اسلحة تدفقت عليه من اوروبا وامريكا وتشيكوسلوفاكيا ، ومعها عدد كبير من العسكريين الغربيين . وكان من بـــين تلك الاسلحة آليات وطائرات ومدفعية ثقيلة ، فضلا عـــن دخول عشرة الاف مهاجـــر يهودي جديد كانوا ينتظرون في قبرص . حدث كل ذلك خلال الاسابيع الاربعة التي تلت توقيع الهدنة الاولى ، في حين لم تفد الجيوش العربية شيئا من مدة الهدنة بل زاد ضغط حكوماتها عليها بالتراخي . وتقدم الكونت ف. برنادوت بعـــد اجتماعه بممثلي الدول العربية والكيان الصهيوني في رودس ، بمشروع الى مجلس الامن في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . وقد اقره في ٤ تموز (يوليو) ١٩٤٨ . ولكن الطرفين رفضاه ، فقد كان يقضي بتوحيد فلسطين وشرقي الاردن بحيث تقـــام دولتان احداهمـــا عربية والاخرى الكيان الصهيوني يربط بينهما اتحاد فيدرالي . وتحرك مجلس الامن في السابع من تموز (يوليو) ١٩٤٨ يطلب تمديد الهدنة ، ولكن الدول العربية رفضت حين اصبح واضحا ان وضعها العسكري قد ساء بعد ان تعزز جيش العدو الصهيوني عسكريا . وبهذا استؤنف القتال في ٩ تموز لكي تنتقل هذه الجيوش الى الهزيمة بعد ان كـــانت ، قبل الهدنة ، في وضع عسكري متفوق . وفي ١٨ تموز ١٩٤٨ بعد فقدان الكثير من المواقع قبلت الدول العربية بالهدنة الثانية ، في وقت مضى الجيش الصهيوني يتوسع فيه تدريجا ، وبصورة حثيثة ، حتى في اثناء مفاوضات توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في ربيـــع ١٩٤٩ . عندما توقف اطلاق النار في ١٨ تموز ١٩٤٨ في الجبهة الشرقية وتقيد به الجيش الاردني والعراقي تقيدا صارما ، تحول الجيش الصهيوني الى الجنوب واشتبك مـــع الجيش المصري ، واصدر مجلس الامن قرارا في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ بوقف القتال والانسحاب لخطوط الهدنة الثانية ، لكن جيش العدو الصهيوني استمر في التقدم . فاصدر مجلس الامن قرارا اخر يطلب فيه وقف القتال والانسحاب الى خطوط ما قبل ٤ تشرين الاول . ولكن العدو استمر ايضا بالتقدم ، الامر الذي دعا مجلس الامن لاصدار قرار اخر في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨ يطلب فيه وقف القتال ، وكأنه كان يطلب من جيش العدو ان يتقدم . واستمر القتال حتى ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ حيث توقف بعد ان كان العدو قـــد احتل جنوب فلسطين والنقب ولم يبق بيد الجيش المصري غير قطاع غزه الحـــالي . وعلى هذا الاساس وقعت اتفاقات الهدنة مع مصر في ١٩٤٩/٢/٢٤ في رودس ، ثم مع لبنان في ١٩٤٩/٣/٢٣ في الناقورة . اما مع الاردن فقد احتلت اسرائيل اثناء الاجتماعات في رودس شريطا على البحر الاحمر عرضه ١٥ كلم عرف فيما بعد باسم «ايلات»، ووقع اتفاق الهدنة في نيسان (ابريـــل) ١٩٤٩ بعد ان تنـــازل المفاوض الاردني عن اراضي

المثلث الخصيب في وسط فلسطين . واخيرا تم توقيع اتفاقيات الهدنة مع سوريا في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩ ، في جسر بنـات يعقوب . ويبدو من الواضح بعد كـل هذا ان مجلس الامن كان يكرس في كل مرة طلب فيها وقف اطلاق النار ما حققه العدو الصهيوني من توسع ومكاسب . وقد توج ذلك ، في تلك المرحلـة ، بتشكيل لجنة التوفيق الدولية من (فرنسا وامريكا وتركيا) في ١٩٤٨/١٢/١١ لتبحث الوضع الناشيء وتجد له حلا . وجاءت الى المنطقة في ١٩٤٩/٣/٢١ لاستطلاع آراء الاطراف المعنية ، وخرجت باقتراح يدعو لعقد مؤتمر فيلوزان في سويسرا في١٩٤٩/٤/٢٦ يضمالدول العربية و«اسرائيل» . وقد كان خط لجنة التوفيق الدولية منسجما مع خط الدول الامبريالية في تغييب الشعب الفلسطيني عن قضيته ، وتحويل المسألة الى مفاوضات بين الدول العربية والكيـان الصهيوني . وقد لقي هذا الخط الذي كان يتطلب تصفية المقاومة الفلسطينية ، ومختلف المؤسسات الفلسطينية ، تجاوبا لدى الدول العربية ، وحماسة منقطعة النظير من الملك عبد الله الذي كان متهالكا على توسيع مملكته . وتقدم الكيان الصهيوني خلال انعقـاد مؤتمر لوزان بطلب الى الامم المتحدة للانضمام لعضويتها ، وقبل عضوا بعد ان تعهـد بتطبيق قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين ومسألة اللاجئين . وهكذا لم تشترط هيئة الامم على الكيان الصهيوني ان ينفذ قراراتها كشرط مسبق لقبول عضويته ولكنها ناورت معه على اخذ التعهد الشكلي . وبعد توقيع بروتوكـول لوزان في ١٩٤٩/٥/١٢ الذي ينص على تطبيق قرار ١٩٤٨/١٢/١١ ، قبل الكيان الصهيوني عضوا في الامم المتحدة . وما ان تم له ذلك حتى اعلن ان بروتوكول لوزان غير عملي ، وعاد يتحدث عن الصلـح والمفاوضات المباشرة . وهكذا انفض اجتمـاع لوزان بعد ان عقـد ثانية في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٩ . واصبحت سياسة لجنة التوفيق الدولية البحث عن توطين اللاجئين . ولم يبق بنظرها من القضية غير قضية اللاجئين الفلسطينيين . وشكلت لجنة فنية لهذا الغرض برئاسة غوردون كـلاب (امريكي) ، وعضوية مندوبين عن فرنسا وتركيـا وبريطانيا . وكانت توصية هذه اللجنة التي رفعتهـا للجنة التوفيق الدولية هي تشكيل « وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهـم » . ثم رفعت التوصية للجمعية العمومية فاقرتها في ١٩٤٩/١٢/٨ .

الوضع بعد اتفاقيات الهدنة الدائمة ١٩٤٩

مع توقيع اتفاقيات الهدنة المشار اليها اعلاه اصبح الوضع في فلسطين : (أ) ٨٤٪ من فلسطين تحت احتلال الكيان الصهيوني ، (ب) الضفة الغربيـة (تضم منطقة نابلس والقدس والخليل ــ القدس القديمة وجزءا صغيرا من شرقيها وشمالها بيد العرب اما القسم الاعظم فكان تحت سيطـرة العدو الصهيوني) ، وقعت تحت احتـلال الجيش الاردني الذي كان على رأسه الجنرال البريطاني غلوب باشا ، (جـ) قطاع غزة تحت حكم الجيش المصري (د) فصلت الاراضي التي شملها الكيان الصهيوني بين قطاع غزة وبين الضفة الغربية ، اي اصبح الكيان الصهيوني يقطع الطريق البرية التي تصل مصر والسودان والبلاد العربية في شمال افريقيا من جهة مع بلاد المشرق العربي (فلسطين، الاردن ، سوريا ، لبنان ، العراق) من الجهة الاخرى .

لقد اصبح هذا التوزيع اساس اتفاقيات الهدنة ١٩٤٩ ، والذي بقي حتى حرب حزيران ١٩٦٧ . ولكن هـذا التجزيء لفلسطين والشعب الفلسطيني لم يكـن مجرد تجزئـة جغرافية ــ طوبغرافية سكانية ــ دولية فحسب ، وانما امتد ايضا الى جذور المجتمع العربي الفلسطيني والكيان الفلسطيني ومزقهما شر ممزق في كل المجالات الاجتمـاعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والقانونية الخ . ومن ثم احدث في الوضع السابق تغييرات كيفية خطيرة . فقد تخلخل المجتمع الفلسطيني ، واضطرت اعداد ضخمة من الفلسطينيين (حوالي مليون وربع المليون نسمة) لهجرة المناطق التي تحت احتلال جيش

الكيان الصهيوني . وعلى الرغم من انها فعلت ذلك تحت الارهاب ، والخوف من خطر التعرض للمذابح الجماعية وللاعتداء على الاعراض ، فقد اثبتت التجربة فيما بعد ان قبول التعرض لكل ذلك اهون شرا من الهجرة وتفريغ الارض . وبهذه الهجرة التي كان بعضها تهجيرا جماعيا بالقوة كما حدث لاهالي اللد والرملة ، لم يبق من السكان العرب ضمن ما يسمى بالكيان الصهيوني غير ١٠٪ من الشعب الفلسطيني اي ما يعادل ١٥٠ الى ١٧٠ الفا . اما المليون وربع المليون فلسطيني الذين طردوا من بيوتهم واراضيهم ، فقد توزعوا بين ما يسمى الان بالضفة الغربية ، وقطاع غزة ، فضلا عن شرقي الاردن ولبنان وسوريا والعراق . وبهذا فقد الفلسطينيون وجودهم على وطنهم الذي اغتصبه العدو الصهيوني وتمزقوا الى كتل منفصلة عن بعضها بعضا ، تعيش كل منها ضمن ظروف واوضاع اقتصادية وسياسية وقانونية وجغرافية خاصة متمايزة (حوالي ٩٠٠ الف في شرقي الاردن والضفة الغربية ، وثلث مليون في قطاع غزة ، وثلث مليون في لبنان وسورية ، وبضع عشرات من الالوف في العراق والاقطار العربية الاخرى) . والذين بقوا على ضفتي الاردن رزحوا تحت سيطرة الحكم الهاشمي ، واصبحوا تلقائيا تحت المعاهدة البريطانية الهاشمية . والذين كانوا في قطاع غزة اصبحوا تحت سلطة الحكم العسكري المصري ، اي حكم الملك فاروق الذي كان مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدة ايضا . اما الاخرون الذين توزعوا في لبنان وسوريا والعراق وسائر البلاد العربية فقد اصبحوا تحت سلطة تلك الدول مباشرة ، واعتبروا مهاجرين لاجئين خاضعين لحكم المخابرات والشرطة . وكانت كل تلك النتائج مصحوبة مع سياسة هادفة ترمي الى الامعان في تصفية كل المؤسسات الفلسطينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنقابية والعسكرية . فمن جهة عمدت دولة الكيان الصهيوني الى اقتلاع المجتمع الفلسطيني من جذوره ، والقته خارج مناطق سيطرتها ، وانتهجت سياسة قمع وتصفية لكل ما هو فلسطيني فيما بين الفلسطينيين الذين بقوا تحت سيطرتها ، حيث ابقتهم تحت الاحكام العسكرية العرفية ، والغت قانونيا شخصيتهم الفلسطينية والحقتهم بكيانها « كمواطنين » من الدرجة الثالثة . اما في الضفة الغربية وشرقي الاردن فقد عمد الملك عبد الله وغلوب باشا الى تصفية كل ما هو فلسطيني عن طريق الغاء كل ما تبقى من مؤسسات فلسطينية وضم الضفة الغربية قانونيا وسياسيا ودوليا الى المملكة الهاشمية . كما عمد حكم الملك فاروق الى حكم قطاع غزة بوساطة حاكم عسكري مصري ، وهنا تجدر الاشارة الى ان قطاع غزة بقي محتفظا بطابع فلسطيني نوعا ما ولكنه مفرغ من كل مضمون سياسي .

قطاع غزة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠

كانت الهيئة العربية العليا قد حاولت تشكيل حكومة فلسطينية يعلن عنها فور انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . ولكن هذه المحاولة اصطدمت بمعارضة شديدة من قبل الجامعة العربية . ولم تكن اصابع بريطانيا وامريكا بعيدة عن الضغط على الدول العربية بهذا الاتجاه ، خوفا من ان تضطر هيئة الأمم للاعتراف بها بموجب قرار التقسيم . كما كان ذلك تمهيدا لعزل الشعب الفلسطيني كلية كطرف في الصراع ضد الكيان الصهيوني . ولكن دخول الملك عبد الله الى فلسطين ، وبدءه العمل باتجاهين : الاول ضم الاجزاء العربية المتبقية من فلسطين ، والتي تحت سيطرة جيش غلوب باشا ، الى مملكته ، والثاني : العمل على التفاوض والصلح مع حكومة الكيان الصهيوني ، ثم مجيء بعثة الوسيط الدولي الكونت ف . برنادوت تعزيزا لسياسة الملك عبد الله اذ اقترح ، كأساس لمفاوضات « السلام » ان « تشكل فلسطين وشرقي الاردن اتحادا يمثله عضوان احدهما عربي والاخر يهودي » (ايلول ـ سبتمبر ١٩٤٨) ، ادى الى ان تلقى تلك السياسة معارضة من بعض الدول العربية التي كانت تخشى من اطماع الملك

عبدالله . ولهذا تحركت الجامعة العربية للرد على سياسة الملك عبدالله بمناورة سياسية صرف فأعلنت عن قيام ادارة فلسطينية ، حرصت على ان تكون مؤسسة اسمية تخدم فقط اغراض المساومة مع الملك عبدالله . ولكن الحاج امين الحسيني الذي شعر ان مخطط الملك عبدالله من جهة ، وسياسات الجامعة العربية من جهة ثانية ، ستفضيان الى انهاء زعامته واخراجه من حلبة الصراع السياسي كممثل لشعب فلسطين ، بادر الى تجديد دعوته السابقة لتشكيل حكومة فلسطينية ، تقوم على اساس انتخاب جمعية عمومية . وقد جاءت تلك الدعوة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، قبيل اجتماع الجمعية العمومية في هيئة الامم المتحدة لمناقشة مشروع الكونت ف. برنادوت آنف الذكر . ولم يكن الحاج امين ، في ذلك الوقت ، قد فقد نفوذه كلية ، او فقد زعامته على الهيئة العربية العليا ، مما اضطر الجامعة العربية ، في تلك الظروف ، للموافقة على تشكيل حكومة عموم فلسطين برئاسة احمد حلمي عبد الباقي . وجاء ذلك تشجيعا للحاج امين ليخطو الخطوة الثانية فتحرك الى غزة في ١٩٤٨/٩/٢٨ حيث دعت الهيئة العربية الى عقد مؤتمر فلسطيني ، عقد.فعلا في شهر اكتوبر — تشرين اول ١٩٤٨ وقرر انتخاب الحاج امين الحسيني رئيسا له ، واعلن تأييده لحكومة عموم فلسطين ، كما اعلن استقلال فلسطين ، واقرار دستور مؤقت لحين التمكن من اجراء انتخابات عامة . ولكن ذلك كله ازعج الجامعة العربية وحرك بريطانيا لتمارس ضغطا على حكومة النقراشي في مصر . ودفع الملك عبدالله ليقوم بخطوات مضادة سيأتي ذكرها فيما بعد . وبهذا امر النقراشي باستدعاء الحاج امين الى القاهرة ، وابعاده عن غزة ، وهكذا سحب الحاج امين في ليلة ٦/٧/ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ الى القاهرة شبه مخفور ، وبعد ذلك سحبت حكومة عموم فلسطين من غزة لتستقر في القاهرة مع الهيئة العربية العليا . ولم يبق لهاتين المؤسستين المتبقيتين من المؤسسات الفلسطينية سوى الوجود الاسمي ، واصدار البيانات بكل مناسبة دون ان يكترث احد بتلك البيانات التي اصبحت اجراء شكليا ميتا .

والجدير بالذكر هنا ان نلاحظ ان خط الامبريالية العالمية والحكومات العربية العميلة قد هدف الى تغييب الشعب الفلسطيني عن مسرح الصراع ، وعمد الى تصفية مؤسساته على اختلاف انواعها ، بما في ذلك الهيئة العربية العليا ، رغم قيادتها المتخلفة التي كانت تمثل الزعامات العائلية وكبار ملاك الارض والتجار ، ولكن باتجاه وطني معاد للصهيونية والامبريالية . لقد كان من الواضح ان تلك السياسة هدفت الى تصفية كل المؤسسات والمنظمات الفلسطينية مهما كان طابعها الطبقي او السياسي .

الضفة الغربية تحت حكم الملك عبد الله وغلوب باشا

لقد واظب الملك عبدالله وغلوب باشا ، منذ اليوم الاول ، لدخول الجيش الاردني فلسطين ، على العمل باتجاهين : (١) ضم ما هو تحت سيطرة الجيش الاردني الى المملكة الاردنية الهاشمية . (٢) العمل على التفاوض والصلح مع الحكومة الصهيونية في فلسطين . ولكن هذه السياسة قوبلت بمعارضة ، بادىء الامر ، من قبل الجامعة العربية وبعض الدول العربية ، خاصة مصر .

عندما دخل الجيش الاردني ارض فلسطين كان احمد حلمي عبد الباقي ، الذي اصبح رئيس حكومة عموم فلسطين فيما بعد ، حاكما عسكريا لمدينة القدس . ولكن لم يأت شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ حتى كان خارج الحدود وقد عين الملك عبدالله الكولونيل عبدالله التل حاكما عسكريا مكانه ، ثم توالت الضغوط لفرض الاستقالة على قادة جيش الجهاد المقدس ، فاستقال في ٢٢ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٨ محمد طارق الافريقي الذي كان يقود المناضلين الفلسطينيين في مدينة القدس القديمة . وكان الملك عبدالله في تلك الفترة قد قرر اتخاذ خطوات سريعة للرد على حكومة عموم فلسطين والمؤتمر

الفلسطيني الذي عقد في غزة ، فاوعز الى الزعامات الفلسطينية المعارضة تاريخيا للحاج امين ، والتي كان لاكثرها ارتباطات مشبوهة بالامبريالية البريطانية والحكومات العربية العميلة ، لعقد مؤتمر فلسطيني في عمان ، حيث قرر المؤتمرون مبايعة الملك عبدالله على فلسطين ، واستنكار مؤتمر غزة ، وحكومة عموم فلسطين . فاتخذ الملك عبدالله مقررات هذا المؤتمر كجسر يعبر عليه لشن هجمة شرسة ضد المؤسسات الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية ، خاصة ، عناصر الجهاد المقدس . فجرت اعتقالات واسعة ، تبعها فورا اعلان من وزارة الدفاع الاردنية بتجريد الفلسطينيين من السلاح . وفعلا قام الجيش الاردني بحملات تمشيط واسعة لجمع الاسلحة تحت شعار « من يريد القتال فلينضم للجيش الاردني » . وتمكن الملك عبدالله وغلوب باشا من المضي بعيدا في تحقيق التصفية لمؤسسات الشعب الفلسطيني واحداث انقسام في الصف الفلسطيني . وقد ساعدهما على ذلك تخلي الزعامة الوطنية التقليدية — الهيئة العربية العليا — عمليا ، وان لم يكن قولا ، عن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، وتحولها الى اداة بيد الجامعة العربية ، رهن الاعتقال ، في ركض محموم لاقامة حكومة فلسطينية اسمية . فكانت تطلب من الجامعة العربية ومن الدول العربية السماح للشعب الفلسطيني بالاستمرار في تنظيم نفسه ، وتولي قضيته ومتابعة القتال . ولكنها لم تتعد حدود المطالبة ، فاذا لم يؤذن لها في ذلك ، قبلت في وضعها المقيد « مغلوبا » على امرها ، وكأنما من يريد القتال وتنظيم الشعب الفلسطيني لا يستطيع ان يفعل ذلك الا بأذن من الجامعة العربية والدول العربية . بيد ان الجامعة العربية والدول العربية لم تشأ ان تأذن في ذلك ، فما كان من الهيئة العربية الا التخلي عمليا عن مواصلة القتال ، الامر الذي ترك الجماهير الفلسطينية في حيرة من امرها لا تدري ماذا تفعل ، وهي تحت الارهاب والقهر من كل جهة ، ما دامت البنادق قد نكست ، وسحبت الاسلحة ، ولم تتحرك طلائع وطنية جديدة لمواصلة الكفاح المسلح .

لقد أدى هذا الوضع الى تشجيع الملك عبدالله للاقدام خطوة اخرى في طريق تصفية الوجود الفلسطيني ، بعد مؤتمر عمان وحملة الاعتقالات وضرب العناصر الوطنية ، فاوعز الى عملائه من الفلسطينيين ، مجموعة مؤتمر عمان نفسها ، لدعوة مؤتمر فلسطيني اخر يعقد في أريحا ، في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ . وعقد في ذلك التاريخ ، وقرر مبايعة الملك عبدالله ملكا على كل فلسطين ودعا الى انتخاب ممثلين عن الشعب الفلسطيني . وقد لاقت مقررات مؤتمر أريحا معارضة من الشعب الفلسطيني . ولكن الملك عبدالله رفع مقررات مؤتمر أريحا للبرلمان الاردني الذي صادق عليها . وتشكلت لجان لوضع مسودة الدستور الجديد ، والتحضير للانتخابات العامة في الضفتين الغربية والشرقية ، في حين صعد الحكم العسكري في الضفة الغربية اعمال البطش والاعتقالات ، وسحب الاسلحة . واعلن في اذار (مارس) ١٩٤٩ ، استبدال الحاكم العسكري للضفة الغربية بحاكم مدني . ثم أعلن في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ عن منح كل الفلسطينيين الجنسية الاردنية . وفرض على فلسطينيي الضفة الغربية ، ومعهم الفلسطينيون النازحون الى الضفة الشرقية ، التخلي عن الهوية الفلسطينية ، والتجنس بالجنسية الاردنية . واصبحت الضفة الغربية ، عمليا ، جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية .

جرت الانتخابات البرلمانية الاولى للضفتين ، في نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، في ظروف الارهاب الشديد والاعتقالات الجماعية . ورغم ذلك ، فقد سارت تظاهرة في نابلس ضدها ، واصدرت عصبة التحرر الوطني بيانا يدعو لمقاطعتها ، مما صعد حملات الاعتقال ، وقد امر الملك عبد الله بجلب مجموعة من الشباب الذين قادوا تظاهرة نابلس ، الى عمان سيرا على الاقدام مقيدين تجرهم خيول « الفرسان » . وقد استشهد

احدهم مما اوقف المسيرة ، ثم نقلوا الى المعتقلات الصحراوية . وكانت هذه هي التظاهرة الثانية التي يقوم بها الفلسطينيون بعد دخول الجيش الاردني ، اذ كانت التظاهرة الاولى قد اندلعت من مدينة السلط في شرقي الاردن اثر انسحاب الجيش الاردني من اللد والرملة ، حيث تجمع عدد كبير من النازحين الفلسطينيين ، وتوجهوا الى قصر بسمان (قصر الملك عبدالله) وهم يهتفون « يا بايع اللد والرملة » . ويرجع السبب في استخدام الجماهير لعبارة بيع اللد والرملة ، ان غلوب باشا قائد الجيش الاردني جرد قوات الجهاد المقدس المرابطة في مطار اللد ، ومحطة السكة الحديد ، ومناطق اخرى ، من السلاح ، تحت ذريعة المحافظة على الهدنة الاولى ، مع وعد بارجاع الاسلحة فور انتهاء الهدنة . ولكن لم تكد تنتهي تلك الهدنة في تموز (يوليو) ١٩٤٨ حتى سحب غلوب باشا الجيش الاردني من منطقة اللد والرملة فجأة ، وبلا قتال ، ودون ان يعيد السلاح المصادر لقوات الجيش المقدس والمناضلين الفلسطينيين ، فسقطت اللد والرملة ، بلا قتال ، ومعهما عشرات القرى ، ليضاف الى النازحين الفلسطينيين مائة وخمسون الف نازح جديد من بينهم خمسون الفا نزحوا لمدينتي اللد والرملة من يافا .

عندما انعقد البرلمان الجديد الذي تمخض عن انتخابات نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، اعلن وحدة الضفتين تحت اسم المملكة الاردنية الهاشمية . ولم تكد هذه القرارات تعلن حتى بادرت كل من حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠، باصدار بيان مشترك تعهدت فيه بصيانة الامن والسلام في الشرق الاوسط والمحافظة على الوضع القائم ، الراهن ، فيه اي الاعتراف بدولة اسرائيل والمملكة الاردنية الهاشمية ، اساسا ، وفقا للحدود التي اقرتها اتفاقات الهدنة ١٩٤٩ . ثم تبع ذلك اعتراف الامم المتحدة بالمملكة الاردنية الهاشمية . وهكذا صهر الجزء الفلسطيني المسمى بالضفة الغربية الان ، في شرقي الاردن انصهارا كاملا ، ثم اعترف بهذا الصهر دوليا وعربيا .

امام اجراءات الملك عبدالله وغلوب باشا في ضم الجزء الفلسطيني المسمى الان بالضفة الغربية ، وامام الدعم الذي قدمته الامبرياليات البريطانية والامريكية والفرنسية لتلك الاجراءات ، قامت الجامعة العربية بمناورة تهدد فيها بطرد المملكة الاردنية الهاشمية من الجامعة العربية . ولكن سرعان ما توصل الطرفان (الجامعة العربية والمملكة الاردنية الهاشمية) الى اتفاق يقضي ، من جانب الملك عبدالله ، بالتخلي عن مساعيه الرامية الى الصلح مع الكيان الصهيوني ، في حين توافق الجامعة العربية ، من جانبها ، على ضم الضفة الغربية للمملكة الاردنية الهاشمية كعهدة لدى الملك عبدالله الى حين تحرير كامل التراب الفلسطيني . وبهذا اعترفت الدول العربية « بالامر الواقع » ، واصبحت المهمة المشتركة هي تكريس هذا الامر الواقع من خلال الاستمرار في العمل على محو الشخصية الفلسطينية ، وكل وجود فلسطيني مستقل . فشنت حملات ارهاب على الفلسطينيين في قطاع غزه وفي مخيماتهم في لبنان وسوريا والعراق ، وسنت ضدهم قوانين محلية تحرم عليهم التنقل بين الدول العربية ، او القيام باي تنظيم سياسي او نقابي ، واعتبارهم لاجئين مؤقتين لا حقوق مدنية او سياسية لهم . وقد جرى ذلك كله في ظل الاحكام العرفية ، والبطش بالحركة الوطنية والجماهير العربية في البلاد العربية .

مقارنة

على الرغم من خطأ الموضوعة التي تقول ان التاريخ يعيد نفسه ، الا ان استمرار بعض الملامح الاساسية في اوضاع معينة في مرحلة تاريخية محددة يجعل من الممكن ولادة احداث تاريخية توحي وكأن التاريخ اخذ يعيد نفسه — ولكن طبعا ضمن الملامح الاساسية في اوضاع معينة ، ومع أخذ الفارق وملاحظته ، ورصد التغيرات التي وقعت

الى جانب استمرار الملامح الاساسية . ولهذا قبل عقد المقارنة بين تلك الفترة الزمنية القصيرة التي تناولناها وبين الفترة الزمنية التي نعيشها ، لا بد من ان تحدد الاسباب التي جعلت كثيرا من السياسات والاحداث تعيد نفسها مع الفارق : (١) استمرار الكيان الصهيوني ، بكل طبيعته وسماته التي تكون عليها في ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، (٢) استمرار شرقي الاردن محكوما من قبل العائلة الهاشمية ممثلة لطبقة الاقطاع والكومبرادور وعميلة للامبريالية العالمية (٣) استمرار النفوذ الامبريالي والاطماع الامبريالية في البلاد العربية ، واستمرار تحالف الامبريالية الامريكية مع العدو الصهيوني. (٤) استمرار التجزئة العربية والاوضاع الاقليمية من جهة ، واستمرار وجود حكومات عربية عميلة للامبريالية من جهة اخرى .

ولكن قبل عقد المقارنة ، لا بد من التأكيد على ان استخلاص الدروس هو الشيء الاهم . الان ، اين يمكن ان تعقد المقارنة ؟ وما هي دروس تلك التجربة التي يمكن ان تفيدنا في الوقت الحاضر ، وفي المستقبل ؟

اذا تذكرنا الاحداث التي وقعت ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، ولخصنا الادوار التي لعبتها كل من دولة الكيان الصهيوني ، والدول الامبريالية ، وهيئة الامم المتحدة ، ومجلس الامن ، والدول العربية ، والجامعة العربية ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، فسنجد شبها قويا في الجوهر بين ادوار تلك الدول والهيئات وبين ادوارها في مرحلة ١٩٧٠ — ١٩٧٣. اولا : كما فعلت دولة الكيان الصهيوني ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل الان ، فهي من جهة تفرض الحدود التي تريد بينها وبين الدول العربية . وهي التي تقرر متى يقف اطلاق النار . وهي من جهة ثانية ، تعمد لتكريس وجودها فوق المناطق العربية والفلسطينية التي تحت سيطرتها باتجاه التهويد ، وازاحة الشعب الفلسطيني ، وتحطيم مؤسساته ، ورفض الاعتراف بوجوده ، وحقه في تقرير المصير ، مدعومة من الامبريالية العالمية ، وعلى التحديد من الامبريالية الامريكية ، بصورة رئيسية . الى جانب العمل المشترك مع الامبريالية العالمية لاخضاع الدول العربية ودفعها لتصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني وقبول الامر الواقع ، ودعم الحكومات العميلة العربية الموالية للامبريالية لضرب حركة الجماهير العربية وحركة التحرر الوطني في اقطارها .

ثانيا : كما فعلت الدول الامبريالية — الامبريالية الامريكية اساسا في اعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل في المرحلة الراهنة ، فهي من جهة تقدم الدعم المادي والسياسي والعسكري والتقني للعدو الصهيوني وتؤيده في كل سياساته ، وهي من جهة ثانية تضغط على الدول العربية ، مبتدئة بالدول العميلة لها ، لضرب الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب العربي الفلسطيني ، ومهادنة العدو الصهيوني وحماية حدوده . وهي من جهة ثالثة ، تعمل على التسلل الى كل الدول العربية ، بما في ذلك تلك التي خرجت من ربقة السيطرة الاستعمارية ، لتدخلها في مناطق نفوذها وتحولها الى دول عميلة تضرب حركة التحرر الوطني وتسحق الحركة الجماهيرية ، وتقبل بالتسوية ، المكتوبة او غير المكتوبة ، مع العدو الصهيوني .

واذا كانت الامبريالية الامريكية في الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ قد تحركت بالمناورات والمبادرات تحت ستار لجنة التوفيق الدولية ، والوسطاء الدوليين التابعين للامم المتحدة، من اجل تمييع الوضع القتالي ضد العدو الصهيوني ، وترك المنطقة تتفسخ بانتظار حل عن طريق تلك المناورات والمبادرات ، واعطاء الفرصة الكافية للعدو الصهيوني لترسيخ مكاسبه ومضاعفة قوته واعطاء فرصة كافية للحكومات العربية العميلة لتصفية الثورة الفلسطينية والمؤسسات الفلسطينية وحركة التحرر الوطني في بلادها ، فانها — اي الامبريالية الامريكية — تتحرك الان من خلال مبعوثيها المباشرين ومشاريعها مباشرة —

مشروع روجرز ، وزيارات سيسكــو ، وما يسمى بالمبادرة الامريكية الجديدة لتلعب الدور السابق نفسه .

ثالثا : كما وقف مجلس الامن الدولي وهيئة الامم في الاعوام ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ عاجزين عن تنفيذ قراراتهما كذلك يقفان الان اشد عجزا . وكما لعبا في ذلك الوقت دورا ضاغطا على الدول العربية لتقبول وقف اطلاق النار ، في حين تركا للعدو الصهيوني ، عمليا ، الحق في ان يقرر هو متى يوقف اطلاق النار والتوسع ، يلعبان الان الدور نفسه ، الى جانب ابقاء المنطقة تحت الشعور بقرب تنفيذ قراراتهما والتوصل لحل من خلال استخدام المبعوثين والبعثات الدولية كستار لهذه المناورة في حين يستمر العدو في تنفيذ مخططاته، في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ كان برنادوت ورالف بانش ولجنة التوفيق الدولية ، وفي هذه الفترة يارينغ وفالدهايم . وفي الفترة السابقة مؤتمر لوزان وفي هذه الفترة اقتراحات عقد مؤتمر السلام .

رابعا : كما لعبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة الملك عبدالله في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ دورا رئيسيا في تصفية الثورة الفلسطينية وتجريــد الفلسطينيين من السلاح ، والقضاء على الشخصية الفلسطينية ، واردنة ما بين ايديها من ارض فلسطين وشعب فلسطين ، والادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني جنبــا الى جنب مع السعي لعقد صلح منفرد مع العدو الصهيوني ، كذلك لعبت وتلعب حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة حفيد الملك عبدالله ــ الملك حسين ــ في فترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ ، وفي الوقت الحاضر ، ذلك الدور نفسه .

خامسا : كما تبنت الدول العربية والجــامعة العربية في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ سياسة التضييق عــلى الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، والاقــرار ، بعد معارضة شكلية ، بالوضع الراهن ، خاصة ، فيما يتعلق باجــراءات حكومـــة المملكة الاردنية الهاشمية ، ومن ثم تصفية المؤسسات الفلسطينية واحتواء المنظمة الفلسطينية الرئيسية القائدة لكفاح الشعب الفلسطيني وتحويلها الى اداة صورية بعد عزلها وتجريدها من كل نفوذ وصلاحية ، مع تكــريس هدنة دائمة مع العدو وتهدئة الحــدود ومنع اي تحرك عبرها ، كذلك مطلوب الان منها ان تتبنى تلك السياسة نفسها وتلعب الدور نفسه ، وكان اتجاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك الــذي انعقد في القاهرة ، مــا بين ١٩٧٣/١/٢٧ و ١٩٧٣/١/٣٠ مؤشرا قويا لتكرار الدور السابق حيث بدا من الواضح، عودة المصالحة مع حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بعد ازمة جاءت نتيجة مجازر تموز ١٩٧١ واخراج الثورة من الاردن ، ثم طرح الملك حسين لمشروعــه ، وزيادة مساعيه للتفاهم مع العدو الصهيوني . والى جــانب المصالحة كشف مجلس الدفــاع عن نيته باحتواء الثورة الفلسطينية تحت شعار احياء الجبهة الشرقية ، ووضعهــا تحت امرة القائد العام لجيوش الجبهة الشرقية . ولكن وجود بعض التمايز في الدول العربية الان عن وضعها في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، لان هنالك دولا ترفض لعب ذلــك الدور ، الى جانب استمرار الثورة الفلسطينية واصرارها على عدم الرضوخ للضغوط مدعومة من جانب الحركة الوطنية العربية والجماهير العربية ، قد افشل الى حد ما اتجــاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك في هذه المرحلة ، دون ان يلغي ذلك الاتجاه الذي مــا زال قائما .

نتيجة : استخلاص دروس

ان مراجعة الفترة التاريخية ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، مــع المقارنة اعــلاه ، تكسبان اهمية خاصة ، في هذه المرحلة ، لما تحتويانه من دروس ثمينة يجب ان تفيــد منها الثــورة الفلسطينية والثورة العربية والجماهير العربيــة الفلسطينية والجماهير العربية ، من

اجل المساعدة في مواجهة المؤامرات والمخاطر التي تتعرض لها الان من الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى العربية المضادة للثورة. وهنا ايضا يمكن استقاء الدروس من التجربة السابقة ـ فترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ ـ التي مرت بها الحركة الوطنية الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والحركة الوطنية العربية والجماهير العربية .

اولا : لقد رضخت الهيئة العربية العليا في الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ وما بعد ، لضغوط الدول العربية والجامعة العربية ، واستسلمت ، عمليا ، لاجراءات ضم الضفة الغربية، وقبلت لنفسها ان تعزل عن الجماهير الفلسطينية وتتخلى عن الكفاح المسلح ، وتتحول هي وحكومة عموم فلسطين الى الوجود الاسمي الصوري . وكان لهذا الموقف المتخاذل اكبر الاثر في تمرير المؤامرة التي رأيناها تتحقق ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ . وكأن قيادة الشعب وممارسة الكفاح المسلح يجب ان تأذن بهما الدول العربية . فاذا كان من الطبيعي ان يسعى الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية والدول العربية العميلة ، وخاصة ، حكومة المملكة الاردنية الهاشمية في فترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ ، لوقف الكفاح المسلح الفلسطيني وسحب الاسلحة من المناضلين الفلسطينيين ومحو الشخصية الفلسطينية ، بل فلسطين كلها من الخارطة ، فان هذا لا يعني ان يتم الرضوخ والاستسلام لهذا الواقع ، وانما يفرض على القيادة الفلسطينية ان تتحدى وتستمر في القتال تحت كل الظروف ، ما دام هنالك احتلال من قبل عدو قومي لارض فلسطين .

ان هذا الدرس يوضح الطريق امام منظمة التحرير الفلسطينية في المرحلة الحالية التي تدور فيها كل المحاولات لجعل مصيرها كمصير الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين . الامر الذي يتطلب من منظمات المقاومة وقيادة الثورة الفلسطينية ان تضع على رأس مهماتها رفض الرضوخ للضغوط التي تريد لها ذلك المصير ، بحيث تكون مستعدة للتحدي ، مهما كلف الثمن ، ولمواصلة الكفاح المسلح تحت اقسى الظروف واصعبها .

ثانيا : لقد تناولت احدى خطوات المؤامرة في فترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ احداث شرخ في صفوف الشعب الفلسطيني كما تجلى في مؤتمري عمان واريحا مقابل مؤتمر غزة . وهذا ما تحاول المؤامرة انجازه في هذه المرحلة من خلال مشروع الملك حسين ، او من خلال تقسيم الشعب الفلسطيني الى قسم يضم اولئك الذين تحت الاحتلال والى قسم يضم اولئك الذين خارج الاحتلال . وبدهي ان تفسيخ صفوف اي شعب يناضل من اجل تحرير وطنه يؤدي الى افشال كفاحه ، وتمرير المؤامرات المعادية عليه وعلى وطنه وقضيته . ولهذا فان على رأس المهمات التي تواجه شعبنا الفلسطيني في هذه المرحلة هي مهمة المحافظة على وحدته تحت الاحتلال وخارجه ، وترسيخ هذه الوحدة اكثر فأكثر ، والنضال بكل قوة ، وبكل اشكال النضال ، لافشال محاولات شق وحدة الشعب الفلسطيني سواء جاءت عن طريق مشروع الملك حسين او عن اي طريق اخر .

ثالثا : لقد نفذت مؤامرة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ عن طريق تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية ثورته ومن ثم الغاء شخصيته وهويته ومؤسساته ، الامر الذي ادى الى تغييبه عن الكفاح لتحرير وطنه ، وساعد على تكريس تمزقه والامعان في اذلاله ، والقائه في حومة الضياع والعجز والتسول . وهذا ما تسعى لتحقيقه ، من جديد ، المؤامرة التي يواجهها الشعب العربي الفلسطيني في هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها، الامر الذي يفرض على الجماهير الفلسطينية ان تدافع عن بنادقها ومواقعها وثورتها ، مهما كلف الثمن ، وترفض تجريدها من السلاح ، مهما كانت قسوة المعارك المقبلة ، ومهما كلف ذلك من تضحيات . الامر الذي يلقي على طلائع الشعب الفلسطيني مهمة البقاء في المعركة ومواصلاتها ، اي **ان تتولد ، باستمرار ، الطلائع التي تواصل القتال .**

رابعا : ان تصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني في فترة ١٩٤٨ – ١٩٥٠ وتحويل الصراع حول القضية الفلسطينية الى صراع عربي رسمي – اسرائيلي، أدى في الوقت نفسه الى تغييب الجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير ضد العدو الصهيوني ، وقد صحب ذلك حملة بطش بالجماهير العربية وحركة التحرر العربي في اكثر الاقطار العربية في ظل احكام عرفية شرسة . في حين ترك العدو الصهيوني يمضي ، بأمان ، في تكريس وجوده والتحضير لتوسع جديد ، مدعوما من الامبريالية العالمية التي راحت بدورها تحكم سيطرتها ، من خلال عملائها ، على البلاد العربية ، وان هذا كله هو ما تهدف اليه المؤامرة في المرحلة الراهنة ايضا .

ان ادراك هذا الدرس يؤكد صحة الموضوعة التي ترى الترابط العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، هذا الترابط الذي تدركه الامبريالية العالمية والعدو الصهيوني والقوى العربية المضادة للثورة ، والذي يترجم الى اصرار دائم على تغييب الشعب الفلسطيني عن تولي زمام قضيته ، وعلى تصفية الثورة الفلسطينية المسلحة ، وتحويل الصراع الى صراع عربي **رسمي** – اسرائيلي **لان ذلك يعني ، فيما يعنيه ، تغييبا للجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير أيضا . وتمهيدا للسيطرة على البلاد العربية كل قطر على حدة .**

ان ادراك هذا الدرس يطرح على الثورة الفلسطينية الان مهمة تعميق تلاحمها مع الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية ، كما يطرح على الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية مهمة الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، ورفض تغييب الشعب الفلسطيني، بما في ذلك اللجوء الى السلاح جنبا الى جنب مع التهيئة للمشاركة الفعالة في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني . على الا تكون المشاركة تعنى التضامن المعنوي فقط ، او تكون التهيئة شعارا مؤجل التنفيذ الى ما لا نهاية .

سقوط الناصرة والجليل :
دور فوج حطين ـــ اجنادين

أكرم ديري

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد اكرم ديري الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

الوضع العام قبل ١٠ حزيران ١٩٤٨

كانت بعض قوات الانقاذ وقوات حرس البادية السورية وفوج مـــن الجيش اللبناني مدعم ببعض المفارز الهندسية قد استعادت المالكية وقدس بهجوم ناجح مدعوم بالطيران السوري والمدفعية اللبنانية وبطارية مدفعية سورية .

وفي يوم ١٩٣٩/٦/١٠ تلقى فوج حطين ـــ الذي اشترك في هذه المعركة بامرة الرئيس (النقيب)مدلول عباس ـــ الامر بالحركة والتجمع في الرامة . وتحرك فعلا اليها . وفي صباح هذا اليوم اعلمني قائد الفوج بصفتي مساعدا له أن بعض القـــوات الاخـــرى ستلتحق بنا ، وأننا سنتحرك غدا لكي نصل قبل موعد وقف اطلاق النار (الهدنة الاولى) الى مشارف مستعمرة العفولة بعد أن نتجمع في المغـــار . وسنضرب هذه المستعمرة بمدفعيتنا ان لم نتمكن من احتلالها وتحقيق الاتصال مع الجيش العراقي الموجود فـــي منطقة المثلث العربي (جنين) .

وفي صباح ١٩٤٨/٦/١١ تأخرت حركتنا من الرامة واعتراها بعض الاضطراب . اذ تأخر تموين آلياتنا المستأجرة بالمحروقات وكان تموينها من مسؤولية الجيش اللبناني . وتحركنا اخيرا ، وما كاد رتل الفوج يصل الى مفترق طريق المغار ـــ طبريا ـــ الناصرة حتى تعرض لنيران حامية من الرشاشات ومدافع الهاون . فترجل جنود الفوج بسرعة من السيارات وبدأوا يتسلقون تلال الشجرة . وانتشرت المدفعية في الخلف وأخـــذت تقصف مواقع الاسرائيليين بعنف . وكانت هذه المعركة من أسرع المعارك التي خاضها جيش الانقاذ واكثرها حسما . وما كدت أصل مع السرية الخلفية الى المفترق حتـــى وجدت الرئيس (النقيب) مدلول عباس قائد الفوج والمقدم عامر حسك من اركـــان فوزي القاوقجي والدكتور امين رويحه وهما على حافة الطريق يقودون عملية تسلـــق المرتفعات واحتلالها . وترجلت من السيارة ، فما كان من عامر حسك الا ان طلب الي عدم التوقف بتاتا ومتابعة التقدم مع بقايا الفوج الى الناصرة بأسرع ما يمكن للوصول اليها قبل حلول موعد وقف اطلاق النار . وامتطى سيارة مصفحة ، وتحركنـــا خلفه ووصلنا الناصرة حوالي الساعة العاشرة . وفي حوالي الساعة ١٢،٠٠ من ذلك اليوم (١١ حزيران) وصل فوزي القاوقجي والامير مجيد أرسلان الى مقر المجلس البلدي بعد أن استقبلهما سكان الناصرة استقبالا حافلا . وأخذنا نستمع الى تبادل الكلمـــات الحماسية والبليغة من كلا الطرفين .

الدفـــاع عن الناصرة

كان فوج حطين برغم الخسائر التي تعرض لهـــا في **معركة الشجرة الاولـــى** واحتلاله لمرتفعاتها (٣٤ بين قتيل وجريح) قد أوكلت اليه جبهة طولها ٦٠ كم تمتد من شفاعمرو غربا الى قرية حطين شرقا (الموقع التاريخي المشهور) . وخلال فترة الهدنة بقيـــت السرايا التي اشتبكت في معركة الشجرة في مواقعها . الا انه أجري فيها بعض التبديل، وزودت بعدد محدود من أدوات الحفر اليدوية لتحصين مواقعها الدفاعية وذلك بحفر الخنادق ووضع مساتر من الرمل او الحجارة نظرا لعدم توفر اية امكانية لتحصـــين وتحكيم فنيين . وبعد عدة أيام من حلول الهدنة قدم الى الناصرة المقدم الركـــن عامر حسك مندوبا عن القاوقجي ومعه ضابط عراقي آخر ، وجرى الاتفـــاق معهما علـــى اجراء التوزيع التالي للقوات بعد استطلاع الناصرة وكل النقاط الحاكمة فيها :

١ ــ سرية مشاة ومقر قيادة فوج حطين في الناصرة ذاتها على ان تتولى هذه القوات الدفاع عن جبل القفزة ــ طريق العفولة والمرتفعات الواقعة على طريق يافا ــ المجيدل ــ معلولا مقابل مستعمرة نهلال ومستعمرة رامات دافيد ، والدفاع عن مركز البوليس في المدينة . ٢ ــ ١٥٠ شرطيا فلسطينيا في المدينة ذاتها . ٣ ــ ســرية ابو ابراهيم الصغير التابعة للهيئة العربية العليا ــ ويبلغ عدد افرادها حوالي ١٢٠ مسلحـــا ــ للدفاع عن غربي المدينة مقابل مستعمرة كفار هاخوريش (كانت هذه القوة موجودة قبل وصول قوات الانقاذ)(١). ٤ ــ سرية فلسطينية برئاسة النقيب ابـــو محمـــود الصفوري الذي كان ضابطا سابقا في حرس الحدود وتضم ١٥٠ مسلحا وتملك بعض الالغام والمتفجرات بالاضافة الى دعم كل سكان القـــرية الذين كان معظمهم مسلحين وكانت تابعة للهيئة العربية العليا(٢). وتتولى هذه السرية حماية الناصرة مـــن طريق حيفا ــ شفاعمرو ــ صفورية ــ الناصرة (كانت هذه القـــوة موجودة قبل وصـــول قوات الانقاذ) . ٥ ــ فصيلة مشاة في شفاعمرو من فوج حطين بقيـــادة ضابط صف متطوع من الجيش السوري . ٦ ــ سرية مشاة من فوج حطين في مرتفعات الشجرة معززة بفصيلة في قرية لوبيا ، وفصيلة مشاة أخرى معززة برشاش في قـــرية حطين الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات الى الشرق من طبريا .

وعززت هذه القوات قريبا من مفترق طريق الشجرة ــ طبريا ببعض المصفحات التـــي كان جيش الانقاذ قد استولى عليها من الاسرائيليين او من قوات الانتداب البريطانية ، يقودها بعض المتطوعين من اليوغوسلافيين بقيادة النقيب عز الدين الجراح .

عوامل الضعف في هذا التوزيع

يتضح من هذا التوزيع لفوج لا يملك اكثر من ٤٠٠ مقاتل هم في الاساس جنود غـــير نظاميين ما يلي : ١ ــ عدم وجود جهد رئيسي للدفاع ، بل كان هناك توزيع غير ملائم لقوة صغيرة مخصصة اساسا لاعمال الازعاج والكمائن والاغارات . ولو أن قيـــادة قوات الانقاذ كانت تملك خطة متكاملة وصائبة للدفاع عن هذا الجزء لاقتضى ان يوجه هذا الجهد الدفاعي الرئيسي اساسا في هذه المنطقة على مرتفعات الشجرة لمنع عـــزل الناصرة عن لواء الجليل وسحب كل قوات فوج حطين اليها ، علما بان فوج حطين لم يزد القوة الدفاعية الاساسية للناصرة ذاتها بأكثر من ١٠٠ مقاتل . ٢ ــ اطالة خطوط المواصلات بين مقر القيادة العامة لقوات جيش الانقاذ وبين فوج حطين ، حتـــى أن التموين اليومي لهذه القوات كان يقتضي جهدا بالغا علما بأن تموين الناصرة (المقر في

١ ــ كانت هذه المجموعة تتقاضى ميزانية ٣٠٠ مقاتل من الجامعة العربية . وقد طلب اليها العمل على تجنيد ما يعادل هذا العدد .

٢ ــ كانت تتلقى مساعدات من الجامعة العربية ومن جيش الانقاذ ايضا .

مركز البوليس) كان يتطلب يوما كاملا اذ كان التموين بالخبز والخضار يأتي يوميا من مدينة صور وجويا اللبنانيتين . ٣ — عدم وجود اتصالات سلكية او لاسلكية بين قيادة الفوج والسرايا والفصائل ، حتى ان فصيلة شفاعمرو والفصائل الاخرى الموزعة حول الناصرة كانت تتصرف كوحدات مستقلة ومنعزلة . ٤ — عدم وجود اتصال سلكي بين الناصرة والقيادة العامة لقوات جيش الانقاذ . ٥ — الافتقار الى ذخيرة كافية من الطراز الفرنسي مع أن معظم أسلحة الفوج كانت فرنسية قديمة مع بعض الاسلحة الالمانيـة القديمة . ٦ — عدم وجود أسلحة ثقيلة — وكان الفوج كله يملك فصيلة هاون ٨١ مم (سلاح متوسط) تمركزت في الشجرة . ٧ — كانت مستعمرة كفار هاخوريش تمثل نقطة ضعف أساسية في مدينة الناصرة . ومع أنها مستعمرة صغيرة الا أنها متصلة عبر السفوح الجبلية بمستعمرات مرج ابن عامر . وتشكل نقطة مراقبـة وتجسس على المدينة ، ونقطة وثوب خطرة . وكان من واجب قوات الانقاذ احتلالها ولكن هذه القوات تمسكت بنصوص الهدنة . ٨ — كانت العفولة وهي أهم مركز سياسي وعسكري وسط مرج ابن عامر لا تبعد عن الناصرة أكثر من ثمانية كيلومترات .

اثر الهدنة على الوضع في الناصرة

مما لا شك فيه ان هدنة الاسابيع الاربعة التي وقعها العرب لم تزد قوة فوج حطين ، بل زادته ضعفا . فلم تستغل هذه الفترة في التدريب والتسليح واعادة التنظيم نظـرا لانتشار الفوج وافتقار قواته أساسا للسلاح . ففي الوقت الـذي اتضح فيـه أن الاسرائيليين يحصنون مواقعهم في كل مكان ويستخدمون معدات التحكيم ويزرعـون الالغام امام خنادق الشجرة ، وينصبون الاسلاك الشائكة ، ويقتربون من خنادق قواتنا ليحدثوا الجنود ويمارسوا ضدهم حربا نفسية ، كانت قوات حطـين في عطالة تامة . ومارس الاسرائيليون ايضا طيلة هذه الفترة حربا نفسية في قـرية شفاعمرو مستغلين انعزال فصيلة من فوج حطين وبعدها عن مقر قيادتها حوالي ٢٠ كم ، وتمكنوا من ضم نائب قائد الفصيلة اليهم . كما وقعت حوادث كثيرة بين جنود جيش الانقاذ والسكان سببها عدم الانضباط ، والافتقار الى التلاحم بين قوات الانقاذ وسكان المدينة نظرا لتعدد التنظيمات الحزبية فيها وعدم وجود جبهة وطنية داخلية تمارس أثرها السياسي .

ورغم زيارة العميد الركن طه الهاشمي مفتش المتطوعين العام للناصرة وكل مراكزها العسكرية ووصوله الى شفاعمرو واطلاله على سهل حيفـا ، ووقوفه على تل القفزة (التل الذي قفز منـه المسيح عندما كان اليهود يطاردونه) واشرافه منه على العفولة ومرج ابن عامر ، الا ان هذه الزيارة لم تحدث أي تغيير او تبديل في مواقع القوات ، ولم تعززها بالعتاد والسلاح والاليات ، او علـى الاقـل لم تغير من استراتيجيتهـا الخـاطئة .

سقوط الناصرة والشجرة

ما كاد يوم ٩ تموز ١٩٤٨ يطل ويطل معه موعد استئناف القتال حتى اشتعلت جبهـة قوات جيش الانقاذ في كل مكان . وبدأت **معركة الشجرة الثانية** التي حشد فيها جيش الانقاذ معظم قواته الجاهزة وغير المشغولة بواجبات دفاعية في قطاعات اخرى . وزج فوج حطين بقيادة الرئيس (النقيب) مدلول عباس بكامله في هذه المعركة التي استنزفت كل قوى الفوج ما عدا فصيلة شفاعمرو ، وفصيلة المرتفعات المطلـة على مستعمرة نهلال ، وفصيلة أخرى في الناصرة وسرية المقر التي بقيت في مركز البوليس بقيـادة الملازم الاول الفلسطيني اسماعيل طهبوب . واخذت مواكب الجرحى والقتلى تتوالـى على مستشفى الناصرة الذي بذل فيه اطباؤه وسيدات الناصرة وممرضاتها وعلـى رأسهن صبا الفاهوم جهودا جبارة نظرا لافتقار المستشفى الى المواد التموينية والطبية،

علما بأن قيادة فوج حطين كانت تزوده بكل ما تستطيع من المواد التموينية ، وتم نقل الكثير من الجرحى والقتلى الى مستشفى الانقاذ في الرامة او مستشفيات صور وصيدا وبيروت ودمشق .

ووصلتنا أوامر سرية بالتزام الدفاع في كل المواقع نظرا لعدم توفر الذخيرة الفرنسية لاسلحتنا ، وضرورة استخدام القوات المزودة ببنادق المانية الصنع .

وفي فترة ٩ — ١٣ تموز جرح في معركة الشجرة قائد الفوج الرئيس (النقيب) مدلول عباس جروحا بليغة ، كما جرح اقدم ضابط في الفوج بعده وهو النقيب كمال العبدالله، واستشهد الضابط الشاعر الفلسطيني الملازم عبد الرحيم محمود ، وأصبت بجرح طفيف في قدمي بقيت بسببه في المستشفى لمدة ٤٨ ساعة فقط. وبلغ ما خسره الفوج أكثر من مائتين بين قتيل وجريح . وتكبدت قوات جيش الانقاذ الاخرى عددا مماثلا من القتلى والجرحى من الضباط والجنود. وبتاريخ ١٢ تموز قدم الى الناصرة الدكتور امين رويحه ومساعده الدكتور احمد السواح وقاما باخلاء بعض الجرحى ، وأرادا اخلائي فرفضت.

وبتاريخ ١٤ تموز وصل الى الناصرة المقدم اديب الشيشكلي قائد لواء اليرموك لاستطلاع منطقة الناصرة اذ كانت القيادة تنوي تبديل فوج حطين (الذي لم يبق فيه سوى ضابطين على قيد الحياة هما اسماعيل طهبوب وأنا وحوالي ٢٠٠ جندي موزعين بين الشجرة وشفاعمرو) بلواء اليرموك . وطلب مني مرافقته على أن لا أنزل من سيارته مراعاة لوضعي الصحي ولتزويده بفكرة عن الموقف . وبعد أن قمنا بزيارة كل المواقع حول الناصرة ، تحركنا معا الى صفورية . والتقينا بقائد السرية النقيب ابو محمود الصفوري واخذنا نناقش معه كل خطته الدفاعية ، فلاحظنا خطأ المواقع التي يحتلها ليلا ونهاراً . وبعد مناقشة كل الترتيبات التي ينبغي ان يتخذها ، طلبنا اليه تغيير مواقعه ، ولغم بعض المنعطفات وحراستها، وألححنا على ضرورة تحقيق الاتصال مع شفاعمرو رغم بعدها عنه . وكان احساسنا ان صفورية بما تملك من سلاح لدى السكان ، وبما تملك من الغام ومتفجرات لا يمكن ان تسقط بيد العدو بسهولة . ونبهنا قائدها الى اهمية موقعها لانها لا تتحكم بطريق الناصرة فحسب ، بل تتحكم بمحور صفورية — كفركنه الذي يعزل قوات الناصرة عن قوات الشجرة لو تمكن الاسرائيليون من السيطرة عليه .

وتابعنا طريقنا الى شفاعمرو . وهناك على مقربة من المرتفعات القريبة منها لاحظنا تحركا مشبوها ، وكان الوقت قد شارف الغروب . واخذنا نتساءل ماذا يعني هذا التحرك . وعدنا فورا الى صفورية ونبهنا قائد الحامية وطلبنا منه فورا زرع الالغام ولغم الطريق وحراسة المواقع الحاكمة وارسال بعض الرصاد الاماميين ، واكدنا على ضرورة الاتصال المستمر معنا ، وضرورة تنفيذ ما اتفقنا عليه فورا .

وعاد المقدم أديب الشيشكلي الى مقره في الرامة بعد أن أوصلني الى مقر القيادة في مركز البوليس . وكان أول عمل لي في مركز القيادة هو شرح الموقف لقائد الفوج بالوكالة الملازم الاول اسماعيل طهبوب . وبدأنا الاتصال بحامية شفاعمرو فلم نتلق منها أي رد . كان الاتصال غامضا ومشوشا ولم نستطع أن نتحدث مع قائد الفصيلة .

وفي صباح يوم ١٥ تموز وصل الينا أحد الجنود من فصيلة شفاعمرو وأعلمنا ان قائد فصيلة شفاعمرو ومراسله بوغتا بالدبابات تحاصر مقرهما ففرا وانه لا يدري شيئا عن مصير الفصيلة والقرية . وقد أذاعت محطة اسرائيل يوم ١٥ مساء سقوط شفاعمرو بدون قتال .

وبدأنا نتخذ الترتيبات في مواجهة كفار هاخوريش وطريق صفورية . وكان قائدا الحاميتين على اتصال دائم بي اذ تربطهما بي صداقة واحترام متبادلين استمرا الى ما بعد حرب ١٩٤٨ بسنوات .

وفي ليلة ١٥ ــ ١٦ بدأ العدو بمهاجمة صفورية وارسل قائد الحامية مراسلا الينا . وكانت لدينا مصفحة واحدة (ج. م. س) فجمعت في الساعة الواحدة من صباح ١٦ تموز ما استطعت جمعه من قوات لا تزيد عن ثلاثين جنديا وأركبت قسما منهم المصفحة، وركب الباقون احدى السيارات وتحركت بمنتهى الحذر باتجاه صفورية . وعندما اقتربت منها ترجل الجنود وبدأوا بالتحرك على المرتفعات يمين ويسار الطريق ، وقوبلنا بنيران هائلة وبمدفعية مضادة للدروع منطلقة من المرتفعات والمنعطفات التي كنا ــ المقدم اديب الشيشكلي وانا ــ قد طلبنا وضع قوات لاشغالها ولغم مناطق التقرب اليها . وتوقفت حركتنا تماما على بعد مئتي متر من القرية بنيران مضادة للدروع . وتسللت مع مجموعة فلسطينية بسيارة جيب الى داخل القرية من مسلك خلفي في الساعة الخامسة صباحا وقبل شروق الشمس . كان الصمت والسكون يخيم على القرية من الداخل . لم يكن هناك أي أثر فيها للاحتلال الاسرائيلي ، ويبدو ان حاميتها انسحبت باتجاه كفر كنه مع معظم سكان القرية . وعدت للتمركز خلف المرتفعات وفي حماية بعض المنعطفات . وعندما أشرق يوم ١٦ تبلور الوضع . كانت القوات الاسرائيلية تحتل المرتفعات المشرفة على صفورية فقط . فعدت الى مقر الفوج واعلمت قائده بالوضع وأخذنا نتبادل وجهات النظر حول الموقف، فلم نجد امامنا اي سبيل سوى تعزيز الدفاعات حول الناصرة ذاتها . كان موقفنا كالتالي : ١ ــ مفرزة صغيرة في التلال جنوبي صفورية ، ٢ ــ سرية ابو ابراهيم الصغير في مواجهة كفر هاخوريش ، ٣ ــ ٣٥ جنديا في جبل شنلر شمال المدينة ، ٤ ــ مفرزة صغيرة على طريق العفولة ، ٥ ــ ٨٥ جنديا بما فيهم عناصر مقر الفوج بين يافا ــ الناصرة ــ المجيدل .

وما كاد النهار ينتصف حتى جاءنا المقدم عامر حسك وأعلمنا بأن مصفحات جيش الانقاذ قد وصلت الى مدخل الناصرة من جهة الشجرة وانها ستقوم بهجوم معاكس لاسترجاع صفورية . وكنا قد ارسلنا برقية بواسطة لاسلكي البوليس الفلسطيني الى القيادة العراقية في جنين لتقوم بقصف جوي ومدفعي للعفولة وقصف جوي لشفاعمرو وطريق صفورية فتلقينا جوابا مشجعا عليها . ولكن دهشتنا كانت كبيرة عندما وصلتنا برقية من السلاح الجوي السوري يعلمنا فيها بأنه هاجم بعض الاهداف على طريق شفاعمرو وشاهد رتلا كبيرا من السيارات ودبابات تشرشل في المقدمة على طريق شفاعمرو ــ الناصرة . وكانت راجمات الالغام قد بدأت باطلاق نيرانها من مرتفعات كفار هاخوريش على مركز البوليس الذي كنا نتمركز فيه وكان اخر معقل من معاقلنا . وابتدأ المركز يتصدع وينهار من القصف . ورددنا على نيران راجمات الالغام بالرشاشات الموجودة بحوزتنا ومن سطح المركز ، ولكن كفار هاخوريش كانت في مرمى سرية ابو ابراهيم الصغير لا في مرمى مركز البوليس ، ولهذا كنا نتعرض للقصف ونحن عاجزون عن الرد . وكان القتلى والجرحى يتساقطون . فقررنا استطلاع الموقف في المدينة . ولهذا ارسل الملازم الاول اسماعيل طهبوب قائد الحامية دورية الى مدخل المدينة الشمالي ــ الشرقي فعادت الدورية لتؤكد بأن النيران تنطلق في المدينة من كل مكان ، ولم تتمكن الدورية من تحديد ما اذا كان العدو قد احتل بعض الدور العليا من المدينة او أن طابورا خامسا يقوم بهذه الاعمال . واكدت الدورية ان المصفحات بقيادة النقيب عزالدين الجراح والتي كان من المقرر ان تقوم بهجوم معاكس على صفورية قد احترق معظمها ، وقتل عدد من جنودها وتشتت الباقون . وكان الجنود قد ترجلوا دون أن

يقدروا خطورة الموقف وبدأوا في عملية فك المدافع والرشاشات وتنظيفها . فباغتتهم المصفحات والدبابات اليهودية وقطعت الطريق الى الناصرة وعزلتها تماما .

ازاء هذا الموقف وبعد محاولات عقيمة للاتصال بالقيادة العامة وجدنا ان من الافضل ان نخرج من المعسكر الى الخلاء لان ذلك افضل ، وخرجنا من معسكر البوليس عند الغروب . وكان القصف ما زال مستمرا ، والمناوشات مستمرة ومسموعة في كل مكان . وفي حوالي الساعة ١٨٫٠٠ تسللنا بما امكننا من السلاح والعتاد متجهين الى مرتفعات الشجرة عبر المنطقة الجبلية الموازية لمحور الناصرة ــ مفترق لوبيا . ووصلنا على مقربة منها حوالي الساعة الرابعة صباح ١٦ تموز . وكانت المنطقة خالية من القوات . اذ انسحبت جميع القوات دون ان تخطر قوات الناصرة ، ولم تكن القوات الاسرائيلية قد احتلت هذه المناطق بعد . فاتجهنا من المرتفعات وتسللنا الى طرعان جنوبي سهل البطوف .

وبعد مسيرة طويلة وصلنا الى المغار يوم ١٦ تموز ظهرا . والجدير بالذكر ان بقايا فوج حطين وقوات الهيئة العربية العليا التقت في طريق الانسحاب بما فيها قوات ابو ابراهيم الصغير ، وشاهدنا بأم اعيننا بقايا المصفحات مع سيارة الجيب التابعة للمقدم عامر حسك بعد أن تعطلت ولم تتمكن من السير في الجبال .

وبعد أن تجمعت بقايا فوج حطين يوم ١٦ و١٧ نقلت الى معسكر خيام بالقرب من سعسع للاستراحة ، واعيد تنظيمها وتشكيلها من جديد تحت اسم **فوج أجنادين برئاسة النقيب كمال العبدالله** ، الذي تسنم القيادة بعد شفائه وخروجه من المستشفى .

أسباب سقوط الناصرة

١ ــ كان الدخول الى الناصرة حركة تظاهرية لا تتضمن أي محتوى سياسي . وحتى لو انها كانت تشكل هدفا سياسيا في ذلك الوقت ، فان تحقيق هذا الهدف لا يتلاءم مع امكانات قوات الانقاذ ووسائله ، فجيش الانقاذ بكل قواته لا يشكل في جيش نظامي أكثر من لواء مشاة يفتقر الى وسائل النقل والاسلحة الثقيلة . ٢ ــ عدم وجود اتصال وارتباط بين القوات المدافعة عن مرتفعات الشجرة وحامية الناصرة سواء كانت تابعة لجيش الانقاذ او للهيئة العربية العليا . ٣ ــ كان من الواجب بقاء فوج حطين كله للدفاع عن مرتفعات الشجرة وترك أمر الدفاع عن الناصرة للسكان المدنيين . ٤ ــ عدم وجود مفارز هندسية والغام للغم المحاور الرئيسية . ٥ ــ عدم كفاءة قوات الانقاذ في الدفاع نظرا لعدم توفر تدريب وعتاد وأسلحة ثقيلة وأسلحة مضادة للدروع . ٦ ــ سقوط شفاعمرو بدون قتال مما ترك محور شفاعمرو ــ الناصرة مفتوحا امام الخصم . ٧ ــ سقوط صفورية بدون قتال حقيقي رغم ان قوة صفورية الفلسطينية المحلية تشكل اقوى واكبر حامية في قوات الناصرة . ٨ ــ انسحاب سرية ابو ابراهيم الصغير دون أوامر . ورغم انقطاع الاتصالات الهاتفية بين قائد حامية الناصرة وبينها الا انها انسحبت قبل أن تنسحب بقايا فوج حطين ، والتقت هذه المفارز ببعضها في طريق الانسحاب ، في حين بقيت الفصائل المنعزلة التي انقطع معها الاتصال الهاتفي في مواقعها طيلة يوم ١٦ . ٩ ــ وصول مصفحات قيادة جيش الانقاذ متأخرة جدا ، ودون أن تكون معدة اعدادا كافيا للدخول في معركة تصادمية مباشرة . وكان من الواجب وصولها مع بعض المفارز الهندسية (التي لا يملكها جيش الانقاذ) في صباح ١٥ تموز . ١٠ ــ عدم امكان الركون في الدفاع لقطعات محلية تسكن عائلاتها على مقربة منها الا اذا كان شعارها « البحر من ورائكم والعدو أمامكم » .

الخلاصة : استنزفت قوات الانقاذ استنزافا كاملا في مرتفعات الشجرة . ولو ان حامية صفورية بقيت في مواقعها وصمدت معها سرية أبو ابراهيم الصغير لما سقطت الناصرة

لان هذه القوات كانت سليمة . وقد تمكنت القوات الاسرائيلية من مشاغلة قوات الانقاذ في مجد الكروم والرامة . وحسمت معركة الناصرة على مرتفعات الشجرة .

سقوط الجليل

الموقف العام

رغم توقيع اتفاقية **الهدنة الثانية** استمرت الاشتباكات مع القوات الاسرائيلية بعد ان تمركزت قوات جيش الانقاذ بين منطقة الرامة والمغار ومنطقة ميرون — صفصاف — ترشيحا — المالكية — قدس على الحدود اللبنانية . وكان واضحا ان العدو على علم بموعد الهدنة الثانية قبل وقوعها ، لهذا عزز مواقعه في كل القطاعات ، وراح يحتل مزيدا من المواقع الحاكمة .

وكان المقدم عامر حسك قد استلم قيادة لواء اليرموك ، بعد ان استقال قائده السابق المقدم محمد صفا والتحق بالجيش السوري . ويعتبر هذا اللواء من أفضل قطعات جيش الانقاذ وأحسنها تنظيما نظرا لما اتسم به المقدم صفا من مزايا قيادية وكفاءة عسكرية . واحتل هذا اللواء قطاعا كبيرا يمتد من مجد الكروم وشعب وسخنين وكفرمندا وكوكب وعيلبون الى كفر عنان والسموعي . وقد دعم هذا اللواء بفصيلة مدفعية بامرة الملازم الاول فايز قصري (كان في الحقيقة مسؤولا عن فصيلة مدفعية ترشيحا ايضا يعاونه الملازم محمود صبري السيد) . والى يمين هذا القطاع كان فوج اجنادين (فوج حطين سابقا بعد اعادة تشكيله وضم سرية فلسطينية محلية من أهالي ترشيحا اليه) يدافع عن قطاع ترشيحا الذي يواجه مستعمرات الساحل الفلسطيني من الزيب شمالا الى جنوبي مستعمرة نهاريا .

والى يسار قطاع لواء اليرموك الاول كان الفوج العلوي بقيادة النقيب غسان جديد يدافع عن قطاع ميرون وصفصاف والجش غربي صفد .

كانت مواقع جيش الانقاذ في الجليل تشكل خطرا هاما على القوات الاسرائيلية . وكان أمام هذه القوات الاختيار الاستراتيجي التالي على ضوء التصور الاستراتيجي العام للجبهتين العربيتين : السورية واللبنانية . ١ — القيام بهجوم باتجاه المنطقة الساحلية نهاريا — عكا بالارتباط مع الجيش اللبناني . ٢ — القيام بهجوم باتجاه وادي الحولة بالارتباط مع الجيش السوري وتحقيق الاتصال معه .

وكانت المنطقة التي يحتلها جيش الانقاذ ملائمة جدا لحرب العصابات وصالحة عموما للدفاع ، لان أرضها تتمتع بالتضاريس الجبلية والمضائق والمناطق المشجرة . بيد ان عيبها الاساسي هو انه لا يمكن أن يستخدم فيها الا طريق وحيد في الاتجاه شمال جنوب وأربع طرق في الاتجاه شرق غرب . وتصب كل المحاور التي تمركز عليها جيش الانقاذ في القطاع الغربي او الشرقي (غربي صفد) في ملتقى طرق أساسي هو قرية سعسع يمر منها محور الطريق الوحيد الى الحدود اللبنانية ويعتبر طريقا للتموين والانسحاب . ولهذا كان ينبغي ان يركز جهد الدفاع الاساسي لقوات الانقاذ على محور الجش — سعسع — سحماتا ، وان يتمفصل الترتيب الدفاعي لهذه القوات على خط المالكية — صالحه — سعسع — الجش — الصفصاف — فراضية — المغار . وكان من الواجب ان يمارس جيش الانقاذ ، بدءا من هذه النقاط ، حرب عصابات في القطاع الغربي تربيخا — معليا — ترشيحا — يانوح — مجد الكروم — وسخنين وكفر منده — طريق شفاعمرو ، وعلى القطاع الشرقي في مواجهة صفد بدءا من الجش والصفصاف وميرون والسموعي وجبل الجرمق .

وسأقتصر في هذه المذكرات على ذكر دور فوج اجنادين عند هجوم العدو على الجليل .

الهجوم المزدوج

الموقف قبل الهجوم

كانت قوات فوج اجنادين تشتبك بصورة متواصلة بالقوات الاسرائيلية . ولم تكن اسرائيل تحترم وقف اطلاق النار على هذه الجبهة . وقد خاض هذا الفوج عدة معارك ناجحة في التل الاحمر غربي معليا وفي خربة جدين جنوب غربي ترشيحا مقابل مستعمرة جدين ، خلال فترة الهدنة حضرها المراقبون الدوليون والمفتش العام لقوات الانقاذ العقيد محمود الهندي والدكتور أمين رويحه وخاضت بقية قوات الانقاذ معارك في عدة مواقع أشهرها معركة المنارة يوم ٢١ و ٢٢ تشرين الاول غنمت فيها قوات الانقاذ كثيرا من السلاح وأوقعت باسرائيل كثيرا من الخسائر .

الهجوم

في الساعة ١٦٠٠ من يوم ٢٧ تشرين الاول كنت عائدا مع المقدم مهدي صالح قائد قطاع ترشيحا من عين ابل مقر قيادة فوزي القاوقجي . واثناء عودتنا في طريق ترابي كنا قد حاولنا شقه بمعونة السكان يربط سحماتا بدير القاسي عبر منطقة جبلية الى رميش وعين ابل في الاراضي اللبنانية ، فاجأتنا الطائرات القاذفة الاسرائيلية التي كانت تقصف المنطقة وتركز قصفها بشكل خاص على ترشيحا وسحماتا . وما أن وصلنا الى مقر قيادة القطاع في سحماتا حتى بدأنا تقدير الموقف .

وكانت خلاصة تقديرنا هي التالية : اذا استمر القصف الجوي ، وتبعه قصف مدفعي ينبغي أن نتوقع هجوما شاملا على القطاع ، والا فان من الممكن تفسير القصف بأنه قصف يستهدف تدمير قواتنا وتشتيت تجمعاتنا القتالية .

كان فوجنا مؤلفا من ثلاث سرايا : ١ ــ سرية فلسطينية محلية تدافع عــن الطريق الرئيسي معليا ــ الكابري ــ نهاريا . ٢ ــ السرية الاولى اليمنية تدافع عن التل الاحمر . ٣ ــ السرية الثانية تدافع عن خربة جدين والوديان المحيطة بها جنوب طريق نهاريا ــ ترشيحا . ٤ ــ السرية الثالثة وتدافع عن قرية ينوح على يسار السرية الثانية وهناك فرجة بينهما تفصلها الوديان والمرتفعات المشجرة يبلغ عرضها أكثر من ثلاثة كيلومترات . ٥ ــ سرية المقر مع فصيلة هاون ٨١ مم في مركز بوليس ترشيحا وتدافع عن مرتفع غرب القرية ، ومستشفى قوات الانقاذ برئاسة الدكتور أمين رويحه . ٦ ــ مقر قيادة القطاع في سحماتا ، وفصيلة المدفعية بامرة الملازم محمود صبري السيد .

والتحقت بالسرية الثانية فورا لان قائدها كان قد حصل على اجازة طويلة . وكنت قد استلمت قيادتها بالوكالة طيلة مدة غيابه . وكانت هذه السرية تضم عددا من ضباط الصف الفلسطينيين الاكفاء ، وتحتل قطاعا من أهم وأخطر القطاعات في ترشيحا .

كان القصف المدفعي قد بدأ وكانت القنابل تستهدف خربة جدين ومقر القيادة وترشيحا ذاتها وسحماتا . واستمر التمهيد المدفعي مدة طويلة . وفي الساعة ٢٠٠٠ ليلا كنت قد غيرت تمفصل السرية بشكل كمائن حول المداخل الرئيسية للوديان الصالحة للتسلل ، وأمنت الاتصال بين المفارز بواسطة المراسلين واتفقت معهم علــى السلوك الواجب اتباعه . الا أنني لم أتمكن من الاتصال بالسرايا الموجودة الى يميني ويساري ، وكنت أكتفي بالاتصال بقائد الفوج النقيب كمال عبدالله الذي اعطى صلاحية كاملة لفصيل المدفعية ليكون تحت تصرفي لتحديد الاهداف على جبهة القطاع كله طبقا لتقديري للموقف كله . واتخذت مكاني في خربة جدين التي كنا قد قمنا بحفر الخنادق فيها وتحصينها بالمواد المحلية المتوفرة .

وحوالي الساعة ٢٢٠٠ بدأ قصف مدافع الهاون الاسرائيلية بالاضافــة الى قصف

المدفعية . واكتشفت لاول مرة في حياتي العسكرية اتجاه هجوم العدو الذي كان يستهدف نقطة الاتصال بيني وبين سرية ترشيحا من خلال تحديد محوره ببعض الطلقات النارية وقنابل الهاون المضيئة . فاتصلت بقائد الفوج كمال عبدالله وأعلمته رأيي بأن الهجوم يستهدف احتلال ترشيحا في منطقة حدود السريتين باعتبار ان هذه المنطقة أضعف المناطق دفاعيا ، ورجوته اتخاذ بعض الاجراءات خلفهما . وكانت قذائف الهاون مركزة على خربة جدين بصورة خاصة الا ان طبيعة الارض ساعدتنا الى حد كبير . وضبط الجنود أعصابهم وفق التعليمات المحددة . وبدأ الهجوم الاسرائيلي يشق تقدمه عبر الصخور والارض الوعرة مثبتا تلة جدين وسرية ترشيحا بنيرانه ، يحاول التقدم في الفرجة الفاصلة بين السريتين . وكانت الاوامر قد أعطيت للكمائن بعدم فتح النار الا عندما أبدأ باعطاء الاشارة المتفق عليها من خربة جدين . وعندما انسحبت الكمائن بما فيه الكفاية وتوغل هجوم العدو داخل الارض الوعرة أمرت بفتح النيران واتصلت بالملازم محمود صبري السيد الذي فتح نار مدفعيته على الاهداف التي كنت أحددها . وكنا نشاهد أشباحهم ونسمع صرخاتهم من خربة جدين . واستمر الاشتباك حتى الساعة الرابعة صباحا فقمنا بهجمات مضادة صغيرة طردنا بها فلول العدو . وما أن بزغ الفجر حتى كانت سرية ينوح تتعرض لهجوم جديد . لقد بوغتت السرية من مسافة أمتار ولكن بطولة قائدها الملازم فتحي (من الخليل) جعلت السرية تصمد وتوقف الهجوم الذي استمر أكثر من ساعتين . وكان الاسرائيليون قد تسللوا عبر أرض وعرة ومشجرة وتسلقوا سفوح ينوح الا انهم باءوا بفشل ذريع . وقد أصيب الملازم فتحي بجرح في يده ، وسقط بين صفوف سريته عدد صغير من القتلى والجرحى .

وعند الفجر أرسلنا بعض الدوريات الى أمام فغنمنا كثيرا من الاسلحة والبنكلور والمتفجرات ، والخرائط ، وجمعنا كثيرا من الوثائق والاوراق ، والبطاقات الشخصية للقتلى . وكانت أرض الاشتباك مضرجة بالدماء .

ومضى يوم ٢٨ وكان هادئا جدا يتخلله بعض طلقات المدفعية وغارات الطيران فقط . ولكن معنوياتنا كانت عالية جدا لولا خوفنا من نقص الذخيرة الفرنسية . وفي المساء تجدد الهجوم المعادي على كل سرايا الفوج ولكن كان هجوما ضعيفا ومترددا نظرا لما أصابه في الليلة السابقة . وصمدنا في مواقعنا حتى الساعة الرابعة صباحا . فاتصل بي قائد الفوج كمال عبدالله وأعلمني بأن الجش والصفصاف سقطتا وان فوجا سوريا قام بهجوم مضاد فأسرتبعض قواته وانسعسع قد سقطت بيد الاسرائيليين وانترشيحا قد دمر معظمها بقنابل الطائرات والمدفعية ، وأن معظم أفراد سرية ترشيحا التي تدافع عن المحور الرئيسي قد انسحبتحت ضغط المصفحاتالاسرائيلية ونظرا لاصابة منازلهم في القرية ، وبغرض ترحيل عائلاتهم . وطلب الي البدء بالانسحاب ومقابلته في سحماتا . وانسحبنا مشيا على الاقدام بعد أن جمعنا خيامنا ومعظم تجهيزاتنا . ولم يكن انسحابنا تحت ضغط العدو . وفي سحماتا كانت كل هذه القوات تتجمع لتسير نحو الاراضي اللبنانية بحماية بعض وحدات لواء اليرموك الثاني التي انسحبت من الرامة وحماية فصيلة المدفعية بقيادة الملازم الاول فايز قصري الذي أبدى شجاعة فائقة في مواجهة المصفحات الاسرائيلية يوم ٢٩ ظهرا بمعونة بعض مفارز لواء اليرموك . وتجمعنا في رميش على الحدود اللبنانية بعد مسيرة طويلة على الاقدام استمرت يوما وليلة .

وهكذا نجح الهجوم الاسرائيلي المزدوج الذي استهدف احتلال ترشيحا في القطاع الغربي بذراع من ذراعي كماشة القوات الاسرائيلية ، بينما قام الذراع الاخر بهجوم آخر من صفد باتجاه سعسع النقطة الحيوية الاساسية في لواء الجليل ، مع هجوم ثانوي تشتيتي في الجنوب والجنوب الغربي .

أسباب سقوط الجليل

١ ــ عدم وجود اختيار استراتيجي للاهداف الحيوية التي ينبغي الدفاع عنها ، فقد اراد جيش الانقاذ حماية كل المواقع فخسرها كلها .

٢ ــ عدم تلاؤم الهدف مع الامكانيات والوسائل .

٣ ــ عدم اتباع نموذج استراتيجي ملائم لامكانيات قوات الانقاذ ووسائلها .

٤ ــ عدم تعاون الجيشين السوري واللبناني من جبهتيهما مع جيش الانقاذ عند احتدام المعركة . وبالرغم من أن الجيش السوري زج بفوج من قواته ليلــة سقوط الجش والمفصاف ، وأسر قسم منه نظرا لعدم معرفته بالمنطقة وخوضه المعركة ليلا ، وزج الجيش السوري بفوج آخر عزز فيه الحدود اللبنانية ، الا انه كان من الافضل أن يقوم الجيش السوري بهجوم معاكس من جبهته . وكــان بوسع الجيش اللبناني القيــام بهجمات معاكسة من الشمال لتخفيف الضغط عن ترشيحــا لان قوات ترشيحا كانت صامدة ، الا أن مقاومتها لا يمكن ان تستمر نظرا للنقص الفادح في الذخيرة الفرنسية .

٥ ــ عدم وجود آليات لنقل لواء اليرموك الثاني الذي كان بوسعه القيام بهجوم معاكس من فراضية ، كما كان بوسعه استعادة سعسع .

٦ ــ عدم وجود ذخيرة فرنسية كافية لان معظم قوات الانقاذ سلحت بأسلحة فرنسية قديمة من مخلفات الجيش السوري ، علما بأن أسلحة الجيش السوري ذاتها كانت من مخلفات أسلحة الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية .

٧ ــ رغم الانسحاب كان بوسع قوات الانقــاذ العودة لاحتلال تربيخا ــ الصالحه وتشكيل جيب مقاومة داخل الارض الفلسطينية يمكن منه التسلل الى الجليل لممارسة حرب العصابات واستعادة سعسع ، واقامة قواعد للمقاومة على أسس جديدة . وكان من الممكن لمثل هذه الاستراتيجية أن يكون لها أثرها في تهديد خطوط المواصلات المعادية ومنع استيطان الاسرائيليين للجليل . بيد أن أوامر عليا صدرت لقوات الانقاذ بعدم القتال على الحدود اللبنانية . فتجمعت هذه القوات ، وأعيد تنظيمها في لواء بامرة الزعيم (العميد) أنور بنود من الجيش السوري، وأوكلت اليها مهمة الدفاع عن القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية يعززها فوج سوري نظامي .

وبضياع الجليل فقد العرب أهم قاعدة في المستقبل لحرب التحرير الشعبية ، ولو بقي الجليل عربيا حتى الان لتغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية من أساسه .

ان كل هذه الهزائم تثبت بما لا يدع مجالا للشك الــى أن العرب لم يهزموا سياسيا فحسب ، بل انهم هزموا في كل المجالات لانهم لم يتفقوا علــى تصور سياسي موحد ، واستراتيجية سياسية وعسكرية موحدتين . ولو انهم نجحوا في هذا لتمكنوا من الدفاع عن المعاقل الحيوية الاساسية في فلسطين ، ولما تمكنت اسرائيل مــن احتلال أراض تتجاوز حدود مشروع التقسيم .

سقوط مدينة صفد :
من مذكرات حرب فلسطين (جيش الانقاذ)

جادو عز الدين

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد جادو عزالدين الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

مقدمة :

كنا مجموعة من الضباط جميعنا برتبة ملازم ورفاق دورة واحدة . ثم تعينا فور تخرجنا من الكلية العسكرية في مركز تشكيل وتدريب جيش الانقاذ . وكان التحاقنا في هذا المركز في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وتبع ذلك أن تطوع(١) معظمنا في وحدات هذا الجيش ، ودخل كل منا فلسطين مع الوحدة التي عين فيهـا ليشترك في الواجبـات والعمليات التي كلفت بها وحدته . وبعد ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين ، أخذت رئاسة الاركان العامة في سوريا تعيدنا تباعـا الى وحدات الجيش السوري . وقد استمر بعضنا في جيش الانقاذ حتى آخر عملياته التي خاضها في خريف ١٩٤٨ ضد الهجوم الاسرائيلي الشامل على منطقة الجليل . هذا الهجوم الذي أنتهى بسقوط هذه المنطقة الحيوية والهامة في يد القوات الاسرائيلية وانسحاب قوات الانقاذ الى معسكرات قطنا حيث تم تسريحها وتصفيتها . وسقط في معارك جيش الإنقاذ وفي جميع بقاع فلسطين الحبيبة المئات من الشهداء الابرار وفاز بالشهادة على أرضها رفاق أعزاء كانوا وسيظلون مثالا للبطولة والتضحية في سبيل استعادة حق سليب وأرض عربية مغتصبة .

دخلت فلسطين ليلة ١٦ كانون الاول (ديسمبر)١٩٤٧ مع السرية الاولى من فوج الحسين الاول(٢) وهي سرية عراقية . وقد كان قائدها ضابط عراقي برتبة ملازم اول وكنت معاونا لقائد هـذه السرية(٣) . وعبرنا نهر الاردن ليلا الى الضفة الغربية ، من مخاضـة

١ ــ المتطوعون هم : جودت أتاسي ، أكرم ديري ، جادو عز الدين ، جمال الصوفي ، عبد الحميد السراج ، شفيق عبيسي ، عدنان مراد ، سالم اتاسي ، مصطفى الدواليبي .

٢ ــ تم تشكيل هذا الفوج من متطوعين عراقيين وعين لقيادته الرئيس الاول الطيار (الرائد) محمود الهندي وهو ضابط عراقي . وكان الفوج يضم ثلاث سرايا مشاة فقط ولم يكن في تشكيله وحدة اسناد او اية أسلحة ثقيلة (رشاشات ــ هاون ٨١ ــ أسلحة ضد الدروع) .

٣ ــ كان تشكيل السرية من أربع فصائل ، ثلاث منها من العراقيين والفصيلة الرابعة من الفلسطينيين . وقد روعي ذلك في تشكيل جميع سرايا الفوج للمساعدة في التعرف على المناطق وتيسير التعامل مع السكان . وكان تسليح السرية مقتصرا على البنادق والرشاشات الخفيفة مع عدد محدود من القنابل اليدوية .

تقع الى الجنوب من جسر المالح . وتابعنا مسيرتنا بواسطة أدلاء الى قريتـــي تياسير وطوباس حيث كان مقررا أن يكون تمركز السرية في هاتين القريتين الواقعتين ما بين جنين ونابلس .

وكلفت السرية خلال وجودها في هذه المنطقة والذي امتد ثلاثة أشهر كاملة بكثير من المهمات . وكانت معركة الزراعة أهم العمليات التي شاركت فيها السرية . وقد خطط لهذه المعركة وقاد تنفيذها المقدم محمد صفا . وتم وضع السرية الاولى من فوج الحسين تحت تصرفه لتعزيز الفوج الذي كان يقوده في عملية الهجوم على مستعمرة الزراعة . وكانت خسائر السرية في هذه المعركة خمسة عشر قتيلا وثمانية وعشرين جريحا .

الانتقال الى منطقة الجليل :

في النصف الثاني من شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقت السرية أمرا بالتحرك الى شمال فلسطين لتنضم الى وحدات الانقـــاذ الموجودة في منطقة الجليـــل بقيادة المقدم أديب الشيشكلي ، الذي كان يتولى مسؤولية العمليات في هذه المنطقة الهامة . ولتنفيذ هذه الحركة من المثلث العربي في الضفة الغربية الى شمال فلسطين كان لا بد من العودة الى شرقي الاردن والتحرك الى سوريا فلبنان ثم الجليل ذلك لان سهل مرج ابن عامر الواصل بين شمال فلسطين وجنوبها واقع بأكمله تحت سيطرة المستعمرات اليهودية المتحكمة بشبكة الطرق التي تخترقه .

وفي ليلة ٢٠ آذار (مارس) ١٩٤٨ تحركت السرية الى الاردن فسوريا ، حيث قضت يومين للراحة في معسكرات قطنا . وفي ليلة ٢٣ آذار (مارس) تابعت حركتهـــا الى الجليل سالكة طريق دمشـق — بيروت — صيدا — صور — بنت جبيـــل — المالكية — كفر برعم — الصفصاف (شمال غربي صفد) والتي كانت وقتئذ مقرا لقيادة المنطقة ، فبلغناها قبيل الفجر . وتمركزت السرية فيها تمركزا موقتا انتظارا للتعليمات التي تحدد منطقة عملها ومهامها .

وفي ليلة ١٩٤٨/٣/٢٥ قام الصهيونيون بهجوم كثيف على مركز بوليس النبي يوشع الواقع شرق قرية قَدَس بغرض احتلاله ، فتلقت السرية أمـــرا بالحركة الى قـــرية قَدَس لنجدة قوات المركز وفك الحصار عنها . وكانت هذه أول عملية شاركت السرية فيها بعد وصولها لهذه المنطقة بأقل من ثماني واربعين ساعة . وقد دخلت ارض المعركة دون أن يكون لديها فكرة عن طبيعتها لانها لم تكن قامت بأية استطلاعات في هذه المنطقة ، واعتمدت السرية في تقدمها نحو قرية قَدَس على بعض الادلاء المتطوعين الفلسطينيين الذين قادوها الى منطقة عملها وخط انطلاقها وأرشدوها الى أهدافها. وقد انتهت معركة النبي يوشع هذه بفشل قوات العدو وانسحابها بعد أن تركت على أرض المعركة ما يقرب من الاربعين قتيلا بعضهم على الاسلاك الشائكة المحيطة بالمركز وبعضهم قريبا من بابه وجدرانه ، وكانت قوة الدفاع عن مركز النبي يوشع بقيادة الملازم شفيق عبيسي،وقد بقي في هذا المركز يصد كل الهجمات اليهودية المتكررة عليه حتى سقط فيه شهيدا في ليلة ١٦ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

منطقة تمركز السرية ومهمتها :

بعد انتهاء معركة النبي يوشع انسحبت السرية الى قرية قَدَس وكانت تتمركز في هذه القرية وحدة متطوعين بقيادة الملازم صلاح الشيشكلي . وفي قَدَس تلقت السرية انذارا لان تكون مستعدة للحركة لاماكن تمركز جديدة .

وبعد استراحة قصيرة أرسل المقدم أديب الشيشكلي يستدعي قائد السرية ويستدعيني واصطحبنا معه الى مركز بوليس قرية سعسع ثم الى قرية طربيخا ومركز بوليس قرية اقرت .

وكان هذان المركزان مشغولين بعدد محدود جداً من المقاتلين المدنيين من سكان قريتي سعسع واقرت . فأوضح لنا أهمية هذين المركزين وقرر أن يكون تمركز السرية فيهما محددا مهمتها بالآتي :

منع محور الكابري ـ البصة ـ اقرت ـ طربيخا ـ سعسع .

ولتنفيذ هذه المهمة كان المطلوب احتلال مركزي بوليس قرية سعسع وقرية اقرت . والحفاظ على هذين المركزين الاساسيين وعدم تمكين العدو من احتلال أي منهما بالدفاع عنهما حتى آخر طلقة ، والدفاع عن قريتي اقرت وطربيخا بعناصر المقاومة الشعبية بعد تعزيزها ببعض أسلحة السرية بالاضافة الى تعزيزها بعدد من أصحاب بعض الرتب حتى ولو كانت رتبهم صغيرة لتتولى قيادة ومسؤولية الدفاع عن المراكز الرئيسية في كل قرية .

وفي أول ليل ٢٦ آذار (مارس) تحركت السرية الى منطقة عملها . وأتمت احتلالها لمراكزها قبل الفجر . واثناء ذلك اليوم واليومين التاليين جرى استطلاع المنطقة والتعرف عليها وتعديل توزيع السرية وفقا لمقتضيات وأهمية واجباتها وتم تدعيم المقاومة الشعبية في قريتي اقرت وطربيخا . ولم تمض ايام قليلة على تمركز السرية في مواقعها حتى صدر أمر من قيادة جيش الانقاذ في دمشق (طه الهاشمي) بنقل قائد السرية الملازم الاول حسين عبداللطيف الى قيادة فوج الحسين معاونا لقائده فانفك عن قيادة السرية يوم ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وتسلمت بدءا من هذا التاريخ قيادتها حتى ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وهو تاريخ اعادتي الى الجيش السوري حيث تلقيت أمر تعييني في فوج المشاة الاول ، الذي كان وقتئذ في منطقة القنيطرة ، قائدا للسرية الاولى فيه اعتبارا من ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ .

لقد كان تعداد السرية حين التحاقها في منطقة الجليل تسعين مقاتلا فقط وذلك نتيجة للخسائر التي كانت قد اصيبت بها وهي في منطقة نابلس ، فأعيد تشكيلها بثلاث فصائل تعداد الواحدة منها خمسة وعشرون فردا : ـ الفصيلة الاولى بقيادة الملازم علي عراك . ـ الفصيلة الثانية بقيادة الملازم عبدالعزيز . . . ـ الفصيلة الثالثة ويقودها الملازم سيد قريشي . ـ حضيرة قيادة (خدمات السرية) بقيادة رئيس عرفاء يدعى جهاد .

لقد قامت هذه السرية منذ تاريخ التحاقها بمنطقة الجليل الى تاريخ اعادتها الى معسكرات قطنا في سوريا يوم ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٨ بالواجبات التي أسندت اليها ، واشتركت مع سواها من قوات الانقاذ التي كانت في المنطقة نفسها طوال هذه الفترة (على الرغم من قلة عدد هذه القوات وهزالة تسليحها) في عمليات عدة أهمها : ـ صد الهجوم المعادي على النبي يوشع . ـ الهجوم على مستعمرة الهراوي . ـ معركة مدينة صفد وسنتكلم عنها تفصيلا . ـ معركة المالكية وقدس ضد الهجوم الصهيوني على هاتين القريتين ليلة ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

معركة مدينة صفد وسقوطها بيد العدو :

كانت مدينة صفد ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للعرب وبالنسبة للصهيونيين أيضا . وكان كل من الطرفين حريصا على انتزاعها من خصمه والسيطرة الكاملة عليها . وقد بدأت الاشتباكات المسلحة في هذه المدينة الهامة عقب صدور قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وانشاء الكيان الاسرائيلي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وكان القتال داخلها يزداد عنفا يوما بعد يوم حتى سقطت بيد العدو في ليلة العاشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ . علما بأن صفد لم تكن في قرار التقسيم داخل المنطقة اليهودية .

واني اذ أكتب عن المعركة التي انتهت بسقوط هذه المدينة أرى لزاما علي أن أنبه مقدما الى النقاط التالية :

ـ اني لم اكن قائدا لهذه المعركة لاكون ملما بكل جوانبها وتفصيلاتها الكاملة بل كنت احد الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ هذه المدينة ، وشهدوا عن قرب تطورات الحوادث ومجرياتها ونهايتها البائسة .

ان ما أكتبه انما هو ذكريات أعتمد في ايرادها على الذاكرة . اذ ليس بوسعي الاعتماد على سجل للوثائع كالذي يكون عادة لكل معركة . لان معارك جيش الانقاذ لم تعرف للاسف مثل هذا التنظيم الذي يؤرخ لكل معركة هدفها وفكرتها وخطتها وتنفيذها ويحفظ لها تاريخها دقيقا وبعيدا عن كل تشويه .

ـ اني أدعو كل الاحياء الذين كانوا في هذه المعركة وشهدوا احداث هذه المأساة أن يبادروا لتوضيح ما قد أكون قصرت فيه أو تصحيح ما كتبت اذا ما ارتكبت خطأ أو أغفلت واقعة ، ففي ذلك خدمة جليلة ومطلوبة لمعرفة حقيقة أحداث جسام تستحق التسجيل والدراسة لأنها تشكل جزءا من تاريخ أمتنا خلال حقبة من الزمن .

ـ ان الاحداث التي أتناولها هنـا انما هي أحداث الايام الاخيرة مـن هذه المعركة ، وبالتحديد الاحداث التي وقعت ما بين الاول من أيار (مايو) ١٩٤٨ والعاشر منه وهو تاريخ سقوط المدينة ونزوح العديد من أهلها وانسحاب القوات المدافعة عنها .

حامية المدينة في ١ أيار (مايو) ١٩٤٨ :

كانت القوة المكلفة بالدفاع عن المدينة تتألف من : ـ سرية متطوعـين أردنيين بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش من الجيش الاردني . وكان يساعده في قيادة السرية الملازم اميل جميعان وهو ضابط أردني أيضا . ـ ما يعادل فصيلتين من المشاة أو بقية سرية متطوعين سوريين من فوج المقدم أديب الشيشكلي كانت قد دخلت مدينة صفد لتعزيز الدفاع عنها منذ الايام الاولى لدخول قوات الانقاذ الى منطقة الجليل . وكان يقود هاتين الفصيلتين الملازم هشام العظم . ـ ما يقارب الثلاثمائة مسلح من أهالي صفد بقيادة صبحي الخضرا ، يفتقدون الى التنظيم والتدريب والانضباط ، وهي عوامل أنقصت من قدرتهم على المساهمة بصورة فعالة في واجب الدفاع عن مدينتهم وحمايتها .

ولقد كانت حامية صفد كلها بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش ولم يكن هذا الضابط حسبما اتضح من مجريات الاحداث أهلا لمثل هذه القيادة أو قادرا على حمل مسؤولياتها أو حتى التحسس بها . وكان ساري الفنيش ومعاونه أميل جميعان موضـع شكوى مستمرة لتقاعسهما واستهتارهما وتغيبهما المتكرر عن مقرهما القيادي وتركهما المدينة أحيانا خلال الاشتباكات .

المراكز الاساسية ومسؤولية الدفاع عنها :

كانت المراكز الحيوية والاساسية في المدينة تحت سيطرة القوات العربية . وأهم هذه المراكز : القلعة القديمة ـ مركز البوليس ـ مقر رئاسة البلدية ـ مستشفى المدينة ـ نقاط عديدة مشرفة على الحي اليهودي .

أما الواجبات فقد كانت موزعة كالآتي : ـ الدفاع عن القلعة مـن مسؤولية سرية المتطوعين السوريين . ـ الدفاع عن مبنى رئاسة البلدية وعن مركـز البوليس مـن مسؤولية السرية الاردنية . ـ الدفاع عن الاماكن الحساسة في المدينة (مفارق ـ أماكن حاكمة ـ منافذ . . .) من مسؤولية المقاومة الشعبية من أبناء صفد . وعلى صورة مخافر قتال موزعة في كل انحاء المدينة . وكانت المخافر ذات الاهمية الخاصة معززة ببعض الافراد وبعض الاسلحة من السرية الاردنية او سرية المتطوعين السوريين . كان واجب الدفاع عن المستشفى ملقى على عاتق مفرزة صغيرة لا تتجـاوز الحضيرة

(عشرة أشخاص) من السرية السورية مدعمة بعدد من المقاومة الشعبية . والمجموعة بقيادة الدكتور فيصل ركبي .

وكانت القلعة هي المركز الاكثر أهمية في جميع دفاعات المدينة لانها الموقع الاكثر مناعة والذي يؤمن سيطرة كبيرة على كثير من المنافذ والاجزاء الهامة من المدينة .

الموقف القتالي وتطوره :

كان القتال في صفد يزداد ضراوة يوما بعد اخر . وتبلور موقف حاميتها في التزامها جانب الدفاع الثابت لانعدام قدرتها على القيام بأية عملية هجومية مهما كان حجمها صغيرا . بينما اصبح الموقف بالنسبة للعدو على النقيض من ذلك فقد انتقل الى وضع الهجوم . ولم تكن تنقضي ليلة واحدة دون ان يقوم الاسرائيليون فيهـــا بعملية هجومية على اكثر من مركز من الدفاعات العربية . وكان اصرارهم قويا على احتلال القلعة لان سقوط هذا الهدف المنيع في ايديهم سيكون بداية سيطرتهم الكاملة على المدينة وكل ما سيتبع نجاحهم في معركة القلعة من قتال لن يكون بنظرهم اكثر من عمليـــات تطهير لجيوب مقاومة لن تستطيع الاستمرار طويلا .

وكانت هنالك مشكلة ظلت قائمة على الدوام دون ايجاد حل لهـــا . وهي مشكلة تنوع الاسلحة الموجودة في ايدي قوات الحامية العربية فاسلحة السريـــة الأردنية (بنادق ــ رشيشات ــ قنابل يدوية) مختلفة عنها لـــدى سرية المتطوعين السوريين ومختلفة ايضا عن اسلحة المقاومة الشعبية من اهالي صفد . ناهيك عن نقص الذخيرة بالنسبة لكل انواع الاسلحة ، الامر الذي كان يزيد من صعوبة القتال ويجعل ادارة المعركة اكثر تعقيدا .

وهكذا اخذ موقف حامية صفد يزداد حراجة في مواجهة القوة المعادية التي كانت تملك التفوق في نوع الاسلحة المستخدمة في القتال وعددها وحداثتها . فالهجمات الاسرائيلية متكررة كل ليلة دون انقطاع . والخسائـــر في الوحدات العربية المـــدافعة في تزايد . وتناقص هذه الوحدات مستمر نظرا لعدم امكان تعويض العناصر التي تخرج من القتال بسبب اصابتها . وفترات الراحة مفقودة بسبب استمرار الاشتباكات حتى أثناء النهار الامر الذي كان يزيد من تعب المقاتلين .وذخيرة المدافعين في كثير منالاشتباكات في تناقص الى الحد الذي يقارب نفادها . وكانت هذه المشكلة شديدة التأثير على المقاتل . في حين كانت قيادة المنطقة تبذل جهودا كبيرة حتى تيسر الامـــداد بالذخيرة بالقدر الذي تتطلبه المعركة .

وكانت الهجمات الاسرائيلية تتميز بكثافة نارية غير عادية . اما الاسلحة المستخدمة فيها فهي البنادق والرشاشات الخفيفة والمتوسطة وكلها حديثة بالقياس الى الاسلحة المماثلة لدى المجاهدين العرب . واستخدم الاسرائيليون وبكثرة مدفع الهـــاون ٣٫٢ بوصة في دعم هجماتهم ، واستخدموا اخيرا في معركة صفد وليلة سقوطها ما يسمونه « براجمة الالغام » ، وهو جهاز يطلق قذائف ذات صوت انفجاري ضخم دون أن يكون لها تأثير تدميري ملحوظ . وقد كان لراجمات الالغام اثر سيء كبير على معنويات المقاتلين الذين فوجئوا بهذا السلاح ، ولم يكونوا قد سمعوا عنه شيئا أو عرفوا خصائصه او خبروا تأثيره .

عرض الموقف في صفد على القيادة العامة لجيش الانقاذ :

لقد كان المقدم اديب الشيشكلي قلقا للغاية بسبب تردي الموقف في مدينة صفد وكذلـــك بالنسبة للوضع في مدينة عكا الذي لم يكن اقل سوءا . فسافر الى دمشق في ايار (مايو) ١٩٤٨ ليعرض الوضع بكل تفصيلاته على قيادة جيش الانقاذ (العميد طه الهاشمي)

أملا في الحصول على بعض القوات والاسلحة والذخيرة لتعزيز وحداته المبعثرة في انحاء الجليل من عكـــا الى صفد الى المالكية الى قرب الناقورة وهي منطقة يقارب عرضهـــا الخمسين كيلو مترا وعمقها كذلك .

فكرة التمسك بمدينة صفد وتعزيز حاميتها :

بتاريخ ٧ ايار (مايو) ١٩٤٨ كانت السرية العراقية التي أتودها متمركزة في منطقـــة اقرت ــ طربيخا كما سبقت الاشارة الى ذلك . وفي ظهر ذلك اليوم تلقيت برقيـــة انذار صادرة من قيادة منطقة الجليل تقضي باعداد السرية للحركة مع ابقاء اقل عدد ممكن في مركزي بوليس سعسع واقرت ــ بينما تعود السرية من مهمتها أو تلتحق بها العناصر المتخلفة .

ومع فجر في ايار (مايو) ١٩٤٨ وصل المقدم اديب الشيشكلي فجـــأة الى مركز بوليس اقرت ومعه فقط جندي مرافق وابلغني فور وصوله التعليمات التالية : ــ ان السريـــة ستتحرك الى صفد لتدخلها اثناء الليل . ــ انه سيقوم بذاته باصطحابي وقادة الفصائل اثناء النهار الى صفد لاستطلاع طريق دخول السرية والاجتماع بقائد حامية المدينة ليطلع منه على اخر تطورات الموقف فيها . وليحدد لنا واجبات السرية والتعرف بصورة أولية على القطاع الذي ستحتله في اطار المخطط الدفاعي عن المدينة .

ــ وفي اليوم التالي وبعد دخول المدينة تستكمـــل السرية استطلاعاتهـــا تفصيلا ويتم توزيعها على مراكزها الجديدة . ويتم ايضا تحديد المهمة القتالية لكل مفرزة من مفـــارز السرية بشكل واضح ودقيق . وحوالي الساعة السابعة من صباح اليوم نفسه وصلت الى مقر السرية اربع سيارات نقل مدنية مستأجـــرة فتم تحميل التجهيزات والذخيرة واركاب الجنود والتوجه الى قرية ميرون . واصطحبني المقدم شيشكلي معه في سيارته وسبقنا القافلة ليتسنى لنا بلوغ ميرون قبلها بوقت كاف لتحديد منطقة ترجل السريـــة ومنطقة تمركزها المؤقت ليمكن التوجه بعد ذلك الى صفد .

وعلمت منه أن فصيلة مدفعية ميدان عيار ٧٥ مم بقيادة الملازم اول فايز قصري كانت قد وصلت بالامس وانها اخذت مرابضها شرقي ميرون . وتكلم طويلا عن حراجة الموقف في صفد وصعوبة وضع الوحدات المدافعة عنها وتآكلهـــا المستمـــر بسبب عدم امكانية تبديلها او تعويض خسائرهـــا . وشكا من قائد الحـــامية الرئيس ساري الفنيش ومن تصرفاته التي لا تدل على تقدير مسؤولية القيادة التي يتولاها . ولم يخف تخوفه مما قد يقدم عليه ساري الفنيش فيؤدي تصرفه الى ضياع مدينة صفد وسقوطها في يد العدو . خاصة وان هذا الضابط يجاهر في كل مجلس ويردد بين جنوده وأمام أهالي صفد ان استمرار الدفاع عن هذه المدينة أمسى عملية انتحارية دون ثمن ، وان الاحتفاظ بهـــا ضرب من المحال .

وتساءلت ان كان يجوز ابقاء هذا الضابط في هذه القيادة الحساسة فأجاب المقدم اديب الشيشكلي انه فكر في ابعاده وحاول تنفيذ فكرته فتعذر عليه ذلـــك للاسباب التالية : ــ لان ساري الفنيش برتبة رئيس (نقيب) بينما لا يوجد في وحدات الانقاذ العاملة في الجليل وقتئذ من هو أقدم منه او حتى برتبته . ــ لان سحب ساري الفنيش من مدينة صفد يقتضي سحب السرية الاردنية التي يقودها ، والوضع الدفاعي في المدينة اضعف من ان يحتمل هذا الاجراء ما دام النقص الذي تعانيه القيادة في الوحدات المقاتلة يجعل من المتعذر تيسير سرية بديلة . ــ لان السرية الاردنية ليست ــ في الاصل ــ من قوة الانقاذ بل كانت ملحقة بها ووجودها في صفد كان بتعليمات من قيادة جيش الانقاذ بالذات ومراعاة لرغبة قيادة الجيش الاردني .

وأضاف المقدم الشيشكلي بانه يأمل ان يصبح دفـــاع صفد أفضل بعد دخـــول السرية

العراقية اليها كما سيغدو أقدر على الصمود أمام الهجمات الاسرائيلية المتكررة كل ليلة بغرض احتلال المدينة قبل ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين فيتحول الموقف لصالحنا بعد هذا التاريخ .

وبلغنا حوالي الساعة التاسعة صباحا قرية الصفصاف (مقر القيادة) فوجدنا فيها المقدم عامر حسك وهو ضابط عراقي وصل منذ بضعة ايام الى المنطقة وعين رئيسا لاركان القوات العاملة في الجليل . فاعلم المقدم اديب الشيشكلي ان هناك سرية متطوعين على وشك الوصول الى الصفصاف . وان هذه السرية من المتطوعين الاردنيين وأن قائدها الملازم الاول عز الدين التل وهو ايضا ضابط اردني . فأعطى المقدم الشيشكلي تعليماته بأن توجه السرية الى قرية ميرون كما أوعز الى المقدم عامر حسك بالمجيء معنا الى ميرون ، وهناك انصرفت الى استطلاع عاجل لاماكن التمركز المؤقت للسرية التي لم تتأخر في الوصول ، وبعد اتمام توزيع السرية على مواضعها صعدت الى قرية ميرون وتقع على قمة عالية ومشرفة على مدينة صفد وعلى مستعمرة عين زيتيم القريبة من مدخل المدينة والمتحكمة بالطريق العام الموصل اليها . وابلغت المقدم الشيشكلي بوصول السرية فطلب أن اظل وقادة الفصائل جاهزين للتحرك الى صفد لاجراء الاستطلاع الذي اخطرني به .

وقبل ظهر ذلك اليوم ١٩٤٨/٥/٨ وصلت سرية المتطوعين الاردنيين بقيادة الملازم الاول عز الدين التل وكانت تتألف من أربع فصائل كاملة . وكان تعدادها في حدود المائة والثلاثين مقاتلا . وقد ترجلت السرية في منطقة ميرون للاستراحة وانتظار الاوامر .

قرار القيام بالهجوم على الحي اليهودي وتصفية الموقف في المدينة :

وفي ميرون تداول المقدم اديب الشيشكلي والمقدم عامر حسك في الموقف وذلك بحضوري والملازم الاول عز الدين التل والملازم الاول فايز القصري . وانتهى ، بعد أن تيسرت لديه القوات المذكورة الى القرار الاتي : ــ القيام بهجوم من داخل صفد بالتعاون مع هجوم من خارجها على الحي اليهودي فيها لتصفية التهديد الذي كان يمثله . وفي نجاح هذه العملية يتحول الموقف القائم في منطقة الجليل كلها وتنتقل المبادأة الى يد العرب بعد أن كانت حتى ذاك التاريخ بيد العدو .

وقد يصبح ممكنا بعد ذلك عمل شيء مؤثر لانقاذ عكا(١) من الخطر الذي كان يتهددها بالاحتلال الكامل . ومن أجل نجاح عملية صفد الهجومية نسب المقدم اديب الشيشكلي :
ــ ان تدخل السرية الاردنية التي يقودها الملازم عز الدين التل الى صفد بدلا من السرية العراقية التي كانت بقيادتي . والسبب في هذا التعديل هو تأمين أكبر قدر من التجانس بين الوحدات العاملة داخل المدينة ما دام موجوداً فيها بالاصل سرية اردنية وقائد الحامية كلها ضابط اردني . ثم ان السرية الاردنية اكثر تعدادا وأكمل تسليحا من السرية العراقية .

وفي اليوم ذاته ٨ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ توجه المقدم الشيشكلي الى مدينة صفد عن طريق مركز بوليس الظاهرية(٢) واصطحب معه الملازم الاول عز الدين التل ومعظم قادة فصائل السرية الاردنية ليطلع على اخر تطورات الموقف وابلاغ قائد الحامية بقراره الاخير.

---

١ ــ كانت حاميتها بقيادة الملازم عدنان مراد وتتألف من : فصيلتين من المتطوعين السوريين بقيادة المحامي خليل الكلاس ومن سرية من ست مصفحات من مخلفات الجيش الفرنسي مسلحة بمدافع ٣٧مم يقودها الملازم عدنان مراد . وغالبا ما كانت مهمة هذه السرية تأمين حماية القوافل .

٢ ــ غربي صفد ويقابل الجزء الجنوبي منها ويبعد عنها حوالى ٢،٥ كيلومتر تقطع سيرا على الاقدام لعدم وجود طريق صالحة لمرور السيارات .

واعطائه اوامره المتعلقة بمهمته، واعطاء الملازم الاول التل الفرصة للقيام بالاستطلاعات الاولية التي تقتضيها مهمة سريته . وعاد المقدم الشيشكلي مع غروب ذلــك اليوم الى ميرون ومعه بعض قادة الفصائــل وبعض الادلاء ليساعــدوا في عملية توجيه السرية وادخالها الى صفد بعد أن استبقى فيها قائد السرية . وتحركت السرية مع آخر ضوء الى مركز بوليس الظاهرية وتم ادخالهـــا فصيلة بعد الاخــرى الى المدينة مستخدمة الرواحل لنقل الذخيرة وبعض تجهيزات السرية . وهكذا كانت السرية بكاملها قبل فجر ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ داخل صفد وكان أمامها النهار كله لاستكمال استطلاعاتهـــا وتلقـــي واجباتها حتى تبدأ مع اخر ضوء ذلك اليوم احتلال مراكزها الى جوار السرية الاردنية الثانية ضمن ترتيب الهجوم المقرر تنفيذه في الليلة ذاتها(١) (ليلة ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨) .

وكنت بعد أن استقر الراي على ادخال سرية الملازم الاول عز الدين التل الى صفد قد تلقيت امرا بابقاء السرية في ميرون انتظارا للاوامر التفصيلية التي ستعطى لنا في اليوم التالي . مع اعطائي واجب يقتصر على حماية فصيلة المدفعية .

خطة الهجوم :

في صباح ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ استدعيت والملازم الاول فايز قصري الى قرية الصفصاف (مقر القيادة) وكان هنالك المقدم عامر حسك والملازم عبد الحميد السراج حيث اصدر المقدم اديب الشيشكلي تعليماته النهائية بقرار الهجوم عــلى صفد . متضمنة ما يلي :

١ ــ **فكرة الهجوم** : القيام بهجوم من داخل صفد على الحي اليهودي فيها متعاونا مــع هجوم من خارج المدينة هدفه الحي اليهودي ايضا بغرض احتلاله بعد القضاء على كل مقاومة فيه وتطهيره .

٢ ــ **الوسائط** : أ ــ **الوسائط المخصصة للهجوم من داخل المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

ــ السرية الاردنية التي يقودها الرئيس ساري الفنيش .

ــ السرية الاردنية التي يقودها الملازم الاول عز الدين التل .

ــ ما يعادل سرية من المقاومة الشعبية بقيادة صبحي الخضرا .

(٢) **الوحدات الثابتة كقاعدة للهجوم** (للمشاركة في الدعم الناري ــ تلقي الاخلاء ــ حماية ارتداد الوحدات المهاجمة في حالة فشل الهجوم) .

ــ سرية المتطوعين السوريين المتمركزة في العلقة بقيادة الملازم هشام العظم .

ــ بقية قوة المقاومة الشعبية (ما يعادل سرية تقريبا) .

(٣) **الدعم الناري** : يكون لفترة محدودة قبل انطلاق الهجوم . أما اثناء الهجوم فحسبما تسمح وسائل الاتصال بذلك . ويتألف هذا الدعم من :

ــ نيران فصيلة مدفعية الميدان بقيادة الملازم الاول فايز قصري .

ــ نيران الاسلحة الموجودة في القلعة وعلى المراكز الواقعة في متناولها .

(٤) **توزيع المهمات بالتفصيل** : من مسؤولية الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية وقائد الهجوم داخل المدينة .

---

١ ــ رؤي ان يتم الهجوم دون تأخيره عن التاريخ المذكور اعلاه لمفاجأة العدو وعدم اتاحة الوقت له باستقدام قوات اضافية .

ب ــ **الوسائط المخصصة للهجوم من خارج المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

ــ سرية مصفحات(١) من ٦ مصفحات (بقيادة الملازم عبد الحميد السراج) .

ــ سرية مشاة بقيادة جادو عزالدين .

(٢) **الدعم الناري :**

ــ نيران فصيلة مدفعية الميدان (المكلفة بدعم الهجوم من داخل المدينة) ووفقا للتعليمات نفسها .

(٣) **توزيع المهمات :**

لسرية المصفحات :

ــ التقدم على طريق مستعمرة عين زيتيم ــ صفد .

ــ القضاء على المقاومات التي تعترض تقدم السرية وشق طريقها الى مدخل صفد بما أمكن من السرعة .

لسرية المشاة :

ــ الانطلاق من قاعدة هجومها (الهضبة شرق قرية ميرون والمطلة على مدخل صفد من جهة الحي اليهودي) .

ــ التقدم يمين سرية المصفحات مع عدم الاقتراب من مستعمرة عين زيتيم ــ تحاشيا لنيرانها كي لا تتأخر حركة السرية الى هدفها الرئيسي .

ــ دخول الحي اليهودي والقضاء على كل مقاومة بالتعاون مع سرية المصفحات .

ــ تحقيق الاتصال والتعاون مع القوات المهاجمة من الداخل .

٣ ــ **تاريخ الهجوم : يوم ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ :**

٤ ــ **ساعة الصفر** : لجميع الوحدات المهاجمة الساعة ٤٣٠ . (أول ضوء) مـــا عدا سرية المشاة المتقدمة من شرقي قرية ميرون فقد كانت ساعة الصفر بالنسبة لها الساعة ٤٠٠ . لتكون مع أول ضوء على مقربة من هدفها لان المسافة بين خط انطلاق السرية وتخوم الحي اليهودي حوالي ٢،٥ كيلو متر .

وقد قامت فصيلة المدفعية عصر يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ باحكام رماياتها على عدة نقاط من الحي اليهودي تسهيلا لعمليات الدعم التي قد تطلب منها أثناء الهجوم .

تطورات الاحداث وسقوط المدينة المفاجىء بيد اليهود :

ظل المقدم أديب الشيشكلي طوال يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ يتتبع الوضع في صفد مستعلما عن مدى تنفيذ تعليماته الخاصة بالهجوم ومؤكدا على دقتها ، ومهتما بمعرفة أية معلومات عن تعزيزات معادية للمدينة . ومع اخر ضوء هذا اليوم بدات سريتا المشاة والمصفحات الموجودتين في ميرون باحتلال قاعدتي هجومهما .

ــ سرية المشاة في الهضبة الواقعة شرقي ميرون وخلف خط تبدل الانحدار المطل عـــلى صفد .

---

١ ــ هي السرية ذاتها الموجودة في عكا . فلقد تم استقدامها للاشتراك في الهجوم واسندت قيادتها الى الملازم عبد الحميد السراج .

ــ سرية المصفحات : الى يسار (شمال) سرية المشاة وعلى طرفي طريق مستعمرة عين زيتيم ــ صفد .

ــ فصيلة المدفعية : في مرابضها غربي الطريق العام المار شرقي ميرون .

ومر المقدم الشيشكلي على هذه الوحدات بعد انتشارها والتقى بقادتها وعاد ليظل على اتصال مستمر بصفد ومتتبعا الوضع داخلها .

وفي الساعة العاشرة مساء من ليلة ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ بدأت الاشتباكات في صفد وقد كان مقدرا ان يقـــوم الاسرائيليون مثل كل ليلة بمحـــاولات هجومية على بعض المراكز العربية وخاصة القلعة ولكن الاطمئنان كان كبيرا الى أن هذه الهجمات ستتكسر وترتد بعد الوضع الجديد لحامية المدينة .

ونظرا لاننا كنا خارج المدينة وفي اماكن مشرفة عليها وقريبة منها فقد كنا نلاحظ المعركة بمجملها ونراها بصورة شاملة . وبعد أقل من ساعة اتسعت الاشتباكات حتى شملت كل المواقع العربية وبدا القتال عنيفا لكثافة النيران المتبادلة . وحوالي الساعة الثانية عشر ليلا بدأ العدو بقصف مواقعنا بالهاون وبراجمات الالغام التي استعملها لاول مرة تلك الليلة وقد اتضح بعـــد انتهاء القتال انه كان لها تأثـــير سيء للغاية على معنويات المدافعين . وقرابة الساعة الواحدة من صباح تلـــك الليلة (ليلة ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨) هدات الانفجارات وخفت حدة الاشتباكات مع استمرار تبادل النيران بصورة متقطعة .

وحوالي الساعة الثانية والنصف صباحا جاءني مراسل من المقـــدم اديب الشيشكلي يستدعيني اليه ويرشدني الى مكانه على الطريق العام قريبا من فصيلة المدفعية حيث وجدت ايضا الملازم الاول فايز قصري والملازم عبد الحميـــد السراج . وكان المقـــدم الشيشكلي في غاية الالم والتأثر يحاول جهده ان يتمالك نفسه . فأعلمنا بأن مدينة صفد سقطت بيد العدو . واعتذر ساعتها عن ان يتكلم عن كيفية سقوطها واكتفى بابلاغنا ايقاف عملية الهجوم مع اضافة التعليمات التالية :

ــ تكلف مجموعة ميرون (المشـاة ــ المصفحات ــ المدفعيـــة) بتأمين الحماية للنازحين من أهالي صفد خشية أن يقوم العدو بعملية ملاحقة للمدنيين .

ــ من أجل تنفيذ هذه المهمة تعدل سرية المشاة تمركزها الى موقع يشرف على الوادي الممتد بين مركز بوليس الظاهرية ومدخل صفد من الجنوب (طريق الانسحاب) .

ــ تبقى سرية المصفحات وفصيلة المدفعية في اماكنهما جاهزتين لتنفيذ اية اوامر بشأن هذه المهمة . ومع اول ضوء بدأت سرية المشاة تعديل وضعها وكانت قبل شروق الشمس في مراكزها الجديدة .

لقد كان سقوط صفد بيد العدو نكسة كبيرة ذات اصداء واسعة وآثـــار سيئة علـــى المعنويات بالنسبة للفلسطينيين ولقوات الانقاذ وبالنسبة للعرب جميعا . وكـــان منظر الاف النازحين من نساء واطفال وشيوخ مؤلما ومحزنا . وكان منظر الكثيرين من شباب صفد المنسحبين بسلاحهم واحزمتهم ملأى بالذخيرة مثيرا للتساؤل وباعثا على اليأس . واستمر هذا السيل المتدفق بمناظره القاسية من فجر ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ حتى مسائه .

وبعد ظهر ذلـــك اليوم اعطى المقـــدم اديب الشيشكلي اوامره الى مجموعـــة ميرون بالانسحاب الى الاماكن التالية وبالترتيب التالي :

١ ــ فصيلة المدفعية تنسحب الى منطقة قدس ــ المالكية . وتتمركز قريبا من مدخـــل قدس من جهة المالكية .

٢ ــ سرية المصفحات تنسحب الى المالكية .

٣ — سرية المشاة تنسحب الى قرية قدس ولكنها لا تنفك عن مواقعها الا بعد حلــول الظلام تماما فتتحرك بعدئذ الى مركزي بوليس سعسع واقرت لاخذ عناصرها التي كانت لا تزال في هذين المركزين ثم تلتحق بقدس على ان تبلغها قبل أول ضوء من يوم ١١ ايار (مايو) ١٩٤٨ .

وبما ان حركة السرية كانت اثناء الليل فقد تصور بعض المجاهدين في منطقة سعسع ، نتيجة للهزة المعنوية التي خلفها سقوط صفد ، أن هذه الاليات المتحركة ليلا انما هي قوة اسرائيلية فنصبوا لها كمينا كاد يقضي على السرية لولا ان أمكن التعارف بكثير من المشقة قبل اطلاق النار .

وبلغت السرية قرية قدس مع الفجر وتمركزت فيهــا وقامت بالدفاع عنهــا عندما شن الاسرائيليون هجومهم على المالكية وقدس ليلة دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وتركت هذه السرية على ارض قرية قدس في ذاك اليوم سبعة قتلى احدهم ضابط واحد عشر جريحا .

اسباب سقوط صفد :

كان الامل كبيرا في نجاح الهجوم العربي وتحقيق السيطرة الكاملة على هذه المدينة ولم يكن باقيا على ذلك الا ساعـــات قليلة . غير ان الاسرائيليين كـــانوا اسبق بالهجـــوم واستطاعوا انتزاع المدينة من أيدي المدافعين عنها واحتلالهــا بالكامل . وليس سهلا معرفة الاسباب التي أدت الى تلـــك المأساة . ولكـــن وفقا لما أفصح عنه المقدم اديب الشيشكلي فيما بعد وما ذكره بعض الذين كانوا داخل المدينة ليلة المعركة يمكن ان نعزو سقوط المدينة الى الاسباب التالية :

١ — شعور الاسرائيليين بالتعزيزات العربية التي وصلت الى منطقة صفد. واستقدامهم تعزيزات من جانبهم وسبقهم بالهجوم على المدينة واحتلالها .

٢ — استهتار قائد حامية المدينة — الرئيس ساري الفنيش — وعدم شعوره بواجبه ، وعدم تقديره لمسؤوليته . وكان هذا يتمثل بغيابه المتكرر عن المدينة دون العودة للقيادة المرتبط بها .

٣ — تبني قائد الحامية فكرة عدم جدوى الاستمرار في الدفاع ومناداته بذلك بين الضباط والجنود واهالي المدينة دون ان يلقى حسابا على هذا السلوك الانهزامي .

٤ — تجاهله كـــل الاوامر المعطاة له بشأن الهجـــوم المقرر تنفيذه داخـــل المدينة ليلة ١٠ — ٥ — ١٩٤٨ . وعدم تنفيذه للتعليمات المتعلقة بذلك . وقد اتضحت بعد أيام من سقوط المدينة الحوادث التالية :

— عدم قيامه بتعديل التمركز وفقا لتعليمات الهجوم وبروح الحرص على انجاحه .

— قيامه ليلة ١٠ — ٥ — ١٩٤٨ بعملية تبديل سريته وتسليم جميع مراكزها الى سرية الملازم الاول عزالدين التل بتعليمات دفاعية . وهذا مخالف لما حددته واجبات الهجوم .

— قيامه بسحب سريته الى جنوب صفد بدلا من تعديل تمركزها وفقـــا لترتيب الهجوم المقرر لتقوم بتنفيذ الواجبات المحددة لها فيه .

— عندما قام الاسرائيليون بهجومهم على مواقع سرية الملازم الاول عز الدين التل (التي لم تكن قد ألفت القتال) لم تستطع الصمود للصدمة وتراجع جنودها دون انتظام . ولم يبادر الرئيس ساري الفنيش وهو المسؤول الاول عن صفد الى نجدة سرية عز الدين التل او التدخل بسريته المجتمعة لوقف الهجوم المعادي . بل سحب جنوده وترك المدينة دون أمر وتابع انسحابه الى دمشق دون ان يعلم احد بشيء مما اقدم عليه .

وكـان أول اشعار تلقاه المقـدم أديب الشيشكلي عن سقوط صفد من حـامية القلعة (المزودة بلاسلكي) والتي كانت تقاوم الهجوم عليها بثبات .

٥ ـ كـان لسقوط بعض الدفاعات بيد العدو اثـر معنوي سيىء وسريع السريان بين الاهلين، ولما شاع ايضا ان الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية انسحب هو وجنوده وتخلى عن المدينة ، ضعفت روح المقاومة عند المتطوعين المدنيين من السكان وبـدأوا يتخلون عن مراكزهم . ودبت روح الفوضى وبدأت عملية النزوح القاسية . ولـو ان المقاومة الشعبية تشبثت بمواقعها ودافعت عنها باصرار ربما أمكن وقف تقـدم العدو وحصره في أضيق الحدود ، وربما امكن في اليوم التالي اعادة الوضع الى ما كان عليه . خاصة وأن القلعة بقيت صامدة ولم تتلق حاميتها امرا بالانسحـاب الا بعد ان تبين ان الموقف يائس بلا أمل .

وترددت في ذلك الحين شائعة تقول ان انسحاب ساري الفنيش من صفـد انما كان بالامـر . وفقا للرواية التي قالت انه بتاريـخ ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو اليوم التالي لزيارة المقدم أديب الشيشكلي الى صفد وادخالـه سرية عز الدين التل اليها واعطائه تعليمات الهجوم ، ذهب الملازم اميل جميعان معاون الرئيس ساري الفنيش الى بيروت وعاد في اليوم نفسه الى صفد ومعه برقية من جهة اردنية (لم تحدد) فيهـا التعليمات التي تصرف الرئيس ساري الفنيش بموجبها .

والجدير بالذكر أنه تم القبض على الرئيس ساري الفنيش فور وصوله لدمشق وأودع سجن المزة ليقدم للمحاكمة باعتباره المسؤول عن هزيمة صفد وسقوطها . الا انه لم يبق طويلا في السجن ولم يقدم للمحاكمة !!

فلسطينيون يتكلمون : القتال في سبيل البروة

نافذ يوسف عبدالله

لقد رفضنا ان نستسلم ويلحق بنا العار امام اخواننا العرب الذيـن كنا نثق بانهم سيحررون قريتنا .

البروة قرية فلسطينية على طريق عكا ــ صفد ، وتقع على بعد ١٠ كلم شرقي مدينـة عكا . كان عدد سكانها في اواسط الاربعينات ١٤٦٠ عربيا ومساحتها ١٣٥٤٢ دونمـا يمتلك منها المسلمون والمسيحيون العرب ١٢٩٣٩ دونما ، بينما يمتلك اليهـود ٥٤٦ دونما ، و٥٧ دونما املاك عامة(١) .

كان معظم اهالي البروة مزارعين يحرثون ارضهم . وكانت هذه القرية ، مثل معظـم القرى الفلسطينية ، مستقلة تقريبا وتتمتع باكتفاء ذاتي . ورغم أن فائض المحصول كان يرسل الى مدينتي عكا وحيفا ، فان عددا قليلا من اهالي القرية كان يجد مـا يدعوه لمغادرة قريته . فالسفر كان نادرا وكان اذا تم فانما لهدف ، أي يكون المسافر « قاصدا او خاطرا » . ولم يكن السفر لحب الاستطلاع ابدا .

تتبع اهالي البروة انباء الحرب عام ١٩٤٨ بقلق . فقد سمعوا باحتلال اليهود لطبريـا وحيفا وصفد عبر جهاز راديو يملكه حسن درويش ، مختار القرية . كما سمعوا مـن اهالي قرية تمره ان « اليهود كانوا شريرين يسيئون معاملة الكهول والنساء والاطفال ... وانهم قتلوا امرأة وطفلها من قريتهم » . وحالا قفزت مذبحة دير ياسين الـى اذهـانهم .

في ١٨ ايار ١٩٤٨ سقطت مدينة عكا في ايدي اليهود . وعلى اثر ذلك سقطت القرى التي تقع شمال ــ غرب قرية البروة وهي : المكر ، جديدة ، جوليس ، كفر ياسيف ، وابو سنان . وأصبح الخطر يتهدد قرية البروة فأرسل اهلها وفدا الى القرى المجاورة ــ وهي شعب، ميعار ، مجد الكروم، البعنه ، دير الاسد ، والنهر ــ لاخبارها بالخطر المقبل واقتراح انشاء خط دفاعي موحد لمجابهة الهجوم الاسرائيلي الذي لن يتقدم ما لم تسقط البروة . وقد رفضت القرى المجاورة الخطة المقترحة تاركة لكل قرية مسؤوليـة الدفاع عن نفسها . وفي نفس الوقت استقبلت البروة وفدا درزيا مـن القرى التـي استسلمت أرسلته اسرائيل لكي يقنع سكان البروة بالاستسـلام وتجنب الهجـوم الاسرائيلي وما سينتج عنه من دمار حتمي . ولم يستطع اهل البروة التوصل الى اجماع حول الامر لان ولاءاتهم كانت موزعة بين عائلات درويش وسعد والكيال . كان بعضهم يخشى من تفوق قوة العدو وكان بعضهم الاخر يرفض الاستسلام ويرغب في القتـال حتى الموت .

لم يكن اهل البروة مهيئين للصمود أمام هجوم اسرائيلي . وكانت قوتهم تقدر بأربعين من رجال الميليشيا(٢) المسلحين بأنواع مختلفة من البنادق ورشاش واحد . وكان لدى كل رجل منهم ما بين ثلاثين وخمسين رصاصة كان قد ابتاعها حسب مقدرته المالية(٣) .

وقد استعد أهل البروة لمواجهة الهجوم الاسرائيلي باخراج الكهول والنساء والاطفال من القرية . مثلا ، قام الحاج علي فياض باخراج عائلته من القرية في ٢٣ ايار ونقلهم الى قرية البعنه التي تبعد عشرة كيلومترات الى الشرق . وقام عبد حسين بشر بارسال احدى زوجتيه مع ستة من اولاده الى بيروت في ٢٤ أيـار ، ثم ارسل خلفهـا زوجته الثانية مع اربعة من اولاده بعد أسبوع واحد . وقام محمود سعد بارسال عائلته الى البعنه في ١ حزيران ، بينما ارسل نجيب سعد عائلته في ٦ حزيران . وقد بقي في القرية ٣٠ ـ ٤٠ رجلا مسلحا ، بينما تجمع حوالي ٤٥ كهلا مسلما ومسيحيا في كنيسة القرية مع الاب جبران .

بعد ظهر العاشر من حزيران تقدمت ثلاث سيارات مصفحة اسرائيلية باتجاه البروة من الغرب . وعندمـا اقتربت من القرية اخـذ القرويون يطلقون عليهـا النار . وقد ظن الاسرائيليون في بادىء الامر ان القرويين يطلقون النار احتفالا بدخولهم القرية . ولكنهم ادركوا مع استمرار اطلاق النار ان النار موجهة نحوهـم فتراجعوا . وعند المغيب في نفس اليوم عاد الاسرائيليون ، الذين يقدر عددهم بـ ١٠٠ ـ ١٢٠ رجـلا ، الى القرية بسياراتهم المصفحـة وسيارات الجيب . ولم يستطـع القرويون ايقافهم سوى فترة قصيرة « لقد نفدت ذخيرتنا ولم نعرف ماذا نفعل . وبدأ رجالنا بالتراجع فرادى باتجاه الشرق »(٤).

وقد قبع الاسرائيليون على اطراف القرية طوال الليل . وفي فجر ١١ حزيران ، قبل اقرار اول هدنة من قبل الامم المتحدة ، دخل الاسرائيليون القرية واحتلوها(٥).

ترك الرجال الذين كانوا يدافعون عن البروة كل شيء وانسحبوا للالتحاق بعائلاتهم في مجد الكروم وشعب والبعنه وغيرهـا . ولم يكونوا يتوقعون احتـلالا اسرائيليا طويلا لقريتهم . فقد قال الحاج علي فياض : « لقد تركنا بيوتنا مفتوحة وحقولنا بدون حصاد . كان لنا امـل كبير في العودة بمساعدة اخواننـا في جيش الانقـاذ العربي الذين كانوا يتمركزون في « تل ـ الليبات » على بعد ستة كيلومترات شرقي البروة » .

وقد ظل اهالي البروة خارج قريتهم ثلاثة عشر يوما تقريبا . وقد اعتمدوا في هذه الاثناء على حسن ضيافة القرى الاخرى . وقد ارسل الاسرائيليـون الاب جبران لزيارتهـم والطلب اليهم ان يستسلموا ويعودوا لبيوتهم . وقد رفض كل أهل القرية تقريبا ذلـك العرض الاسرائيلي لانهم ادركوا انه خدعة . كـانوا لا يثقون بالاسرائيليين ويفتخرون بمقاومتهم لهم . ومن الاسباب الاخرى لرفضهم الاستسلام خشيتهم من أن تعيب القرى الاخرى عليهم استسلامهم بعد أن يحرر العرب فلسطين .

وفي صبيحـة ٢٣ حزيران قرر اهـالي البروة استعادة قريتهـم لكي يتمكنوا من حصد حقولهم . وقد انتشرت انباء خطتهم هذه في كافة القرى المجاورة . وقد اجتمع اهـالي البروة في « تل ـ الليبات » وكانوا ، طبقا لقول شهود عيان ، اكثر من مئتي رجل وامرأة مستعدين للقتال من اجل قريتهم ومحصولهم . كـان ٩٩ رجلا منهم تقريبـا مسلحين بالبنادق المختلفة ولدى كل واحد منهم ٣٠ ـ ٤٥ طلقة ذخيرة .

وقد قال جاسم ، الضابط العراقي المسؤول عن جيش الانقاذ العربي المرابط في « تل ـ الليبات » ، للقرويين انه غير قادر على مساعدتهم لان لا أوامر لديه بذلك ، لكنه أعطاهم بعض الطلقات اثناء هجومهم عبر خطوط جيش الانقـاذ العربي باتجاه القرية وهـم يصرخون الله اكبر(٦).

وقد تابع القرويون هجومهم واجبروا الاسرائيليين على التراجـع الى تلة كيسان والى منطقة ابو لبن على بعد نصف كيلو متر غربي البروة(٧). وقد خلف الاسرائيليون وراءهم في البروة ثلاثـة رشاشات ثقيلة مثبتة ، وتركـوا في زيتون دار سعد سبع حاصدات

ميكانيكية استعملوها لحصاد قمح القرية ، وتركوا أيضا بضع أكياس من القمح . وقد وجد القرويون في بيت احمد اسماعيل سعد وعبد درويش (حيث كان الاسرائيليون يمكثون) اكياساً مملوءة بثياب زوجاتهم وثيابهم ، ووجدوا ٢٠ ــ ٣٠ فنجان شاي ساخن ، ومأكولات معلبة ، وكمية كبيرة من السكر والشاي والقهوة .

وقد سر اهل البروة لوجود القمح المحصود والمعبأ في اكياس ، وسارعوا الى نقله الى بيوتهم . وقد قال نجيب سعد : « لقد عدنا الى القرية لاننا كنا جائعين . كنا كل عام ننتظر وقت الحصاد بفارغ الصبر . فكيف كنا سنترك ما زرعناه للاسرائيليين ؟ لقد حاولنا نقل الحاصدات الميكانيكية الى القرية لكن الاسرائيليين المتمركزين غربي القرية اخذوا يطلقون النار علينا واجبرونا على ترك الحاصدات في مكانها » .

وقد ظل اهل البروة مدة يومين في قريتهم . وقد قال لي شهود عيان ان اربعة ممثلين عن الامم المتحدة حضروا يوم ٢٣ حزيران الى القرية وهم يحملون الاعلام البيضاء . وقد تحدثوا الى سليم أسعد العبد الله ، وموسى حوراني ، واحمد أسعد وهم رجال شرطة سابقون أيام الانتداب البريطاني . وقد طلب ممثلو الامم المتحدة ان يقابلوا قائد رجال الميليشيا الذي قاد الهجوم اثناء الهدنة . « وقد ضحكنا . . . واخبرناهم انه ليس لنا اي قائد . . . وان هذه قريتنا وقد عدنا لحصاد محاصيلنا واستعادة قريتنا من الغزاة الاسرائيليين . وقد أرادوا ان يمروا عبر قريتنا لكي يقابلوا قائد جيش الانقاذ العربي في تل ــ الليبات ، لكننا لم نسمح لهم بذلك لاننا لم نثق بهم » .

وفي ٢٤ حزيران دخل حوالي ١٠٠ رجل من جيش الانقاذ العربي قرية البروة . وقاموا اثناء تقدمهم بقصف المواقع الاسرائيلية غرب القرية . « كنا سعيدين وفخورين الى أبعد الحدود لان اخواننا العرب قد هبوا لمساعدتنا . وكنا واثقين من انهم لن يتخلوا عنا . كنا متعبين وكادت ذخيرتنا تنفد . كانت القوات العربية بقيادة الضابط جاسم وضابط لبناني يدعى مهدي . وكانت لديهم اسلحة حديثة » .

وقد اثنى الضابط مهدي على شجاعة أهل القرية وصمودهم وردد عليهم قوله « الله يعطيكم العافية » ، ثم طلب منهم ان يعودوا الى عائلاتهم في القرى المجاورة ويأخذوا قسطا من الراحة . « لقد كنا نعتقد انه كان صادقا ومخلصاً في قوله وبذلك ائتمنا القوات العربية على قريتنا » .

وفي مساء اليوم نفسه سمع القرويون اطلاق نار في القرية. وقد قال محمود سعد : « لقد اردنا العودة الى القرية ولكن بعضنا كان يثق باخواننا العرب المسلحين تسليحا جيدا وبقدرتهم على صد الهجوم . كنا نثق فيهم الى درجة جعلتنا نؤمن بانهم سينقلون المعركة الى عكا ويستعيدونها . ولكن خلال فترة قصيرة رأيناهم يتراجعون عن القرية . لم نصدق اعيننا . لقد جاءوا لمساعدتنا وحمايتنا لكنهم قاموا بدلا من ذلك بتسليم القرية الى الاسرائيليين » .

بقي اهالي البروة في القرى المجاورة . وقد ظل نجيب سعد وزوجته واولاده على اطراف قريتهم مدة اسبوع قبل ان يقرروا الرحيل شمالا الى لبنان . وقد عارضت زوجته الذهاب الى لبنان بشدة على أمل العودة القريبة الى قريتهم . وقد انتظر عدد صغير من اهالي القرية مدة طويلة قبل ان يقرروا الرحيل شمالا . فقد مكث الحاج علي فياض ، مثلا ، مدة شهر في البعنه بعد سقوط قريته للمرة الثانية : وعندما يئس من استعادتها رحل الى لبنان . أما طريق النزوح الذي اتبعه القرويون فكان الى الشرق من البعنه ثم الى الشمال عبر دير الاسد ، كسرا ، كفر سميع ، سحماتا ، دير القاسي ، رميش ، وبنت جبيل .

وقد تمكن بعض القرويين من التسلل الى قريتهم من أجل « سرقة » بعض متاعهم

وممتلكاتهم الشخصية من بيوتهم . وقال نجيب سعد : « لقد وصلنا الى لبنان ولم تكن الحياة كما توقعنا . كانت احوالنا سيئة . لم يكن لدينا ما نعيش عليه . وقد يئست وقررت ذات ليلة ان اترك عائلتي واعود الى قريتي لكي احضر بعض الاموال التي كنت قد دفنتها في أرضي خارج منزلي قبل وقوع الهجوم الاسرائيلي . ولم اتمكن من الوصول الى قريتي . فقد قبض علي واودعت سجنا اسرائيليا . لم ابق طويلا في السجن . فقد جمعنا الاسرائيليون ذات يوم وعصبوا عيوننا ثم وضعونا في شاحنة واخذونا الى حدود غزة . وقد ضربنا الاسرائيليون ونحن في طريقنا ونحن في الشاحنة وانتزعوا ساعاتنا وخواتمنا . وعندما وصلنا الى حدود غزة جمعنا الاسرائيليون مرة اخرى واختاروا رجلا بطريقة عشوائية ثم اطلقوا الرصاص عليه وقتلوه امامنا . وبعد ذلك امرونا بالركض بأسرع ما يمكننا الى الناحية الاخرى من الحدود دون ان ننظر خلفنا . وبينما كانوا يطلقون النار في الهواء ركضت كما لم اركض من قبل . وقد اشتغلت في غزة فترة قصيرة وجمعت بعض الفلوس ثم سافرت الى لبنان للانضمام الى عائلتي » .

اعلن الاسرائيليون ، عام ١٩٥٠ ، وطبقا للمادة ١٢٥ من « قوانين الدفاع » التي سنت عام ١٩٤٥ ، قرية البروة منطقة « مغلقة » لاسباب أمنية . وقد سن هذا القانون لمنع عرب فلسطين من العودة الى وطنهم ، حتى بالوسائل الشرعية ، ولاجبارهم على قبول التعويض المالي بدلا من وطنهم . [لمزيد من التفصيل راجع : صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، مركز الابحاث] .

لقد قام الحاج علي فياض بزيارة قريته البروة ١٩٧٢ . ووصف زيارته بقوله : « لقد زرت اختي في البروة . وعندما وصلت لم اجد قرية البروة . فقد ازالها الاسرائيليون ونقلوا العدد القليل من اهلها الذين لم يغادروها عام ١٩٤٨ الى قرى اخرى . وقد بنى اليهود قرية جديدة مكان قريتنا . وقد أجبرت اختي على ترك منزلها وقريتها وهي تعيش حاليا في قرية البعنه » . [بنى الاسرائيليون موشاف احيهود مكان قرية البروة] .

---

١ — جرى تقدير عدد السكان في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٤ ، وملكية الارض في نيسان ١٩٤٥ . سامي هداوي ، **احصاءات الاراضي والملكية في فلسطين (١٩٤٥)** (بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠) ص ٤٠ .

٢ — كان عدد قليل من هؤلاء مدربا تدريبا عسكريا وقد تلقوا تدريبهم ، كاعضاء في قوة الحدود (الزنار الاحمر) أو كاعضاء في البوليس الفلسطيني .وكان من بينهم : سليم سعد ، يوسف كيال ، محمد اسماعيل الشيخ خليل ، مصطفى محمود ميعاري ، نجيب سعد ، محمود جودة ، حسن محمد ، حسن صانية ، صالح ميعاري ، سليم أسعد العبد الله ، موسى الحوراني ، وأحمد سعد .

٣ — كان القرويون مضطرين الى شراء بنادقهم وذخيرتهم . وكانت البندقية تكلف ما بين ١٠٠ و ١٢٠ جنيها فلسطينيا ، بينما كان ثمن الرصاصة عشرة قروش فلسطينية . وقد باع العديد من القرويين ماشيتهم او ارضهم او حلى زوجاتهم لكي يشتروا بندقية يدافعون بها عن انفسهم وعائلاتهم .

٤ — كان من بين الشهداء : علي حسين جودة ، علي محمد يونس ، احمد محمود نجم ، محمد طه عيشان ، نمر مصطفى سعد ، وفاطمة نجم. ومن بين الجرحى : محمد علي يوسف حسين ، محمد علي عيشان ، وعلي حسيان .

٥ — اشار عارف العارف الى ان البروة سقطت يوم ٢٣ ايار (**النكبة** ، ١٩٦٤ ، الجزء الثاني، ص ٤٢٥) .

٦ — قال لي شهود عيان ان ١١ متطوعا فلسطينيا في جيش الانقاذ ، من قرية عقربة هجروا وحدتهم وانضموا الى القرويين في محاولتهم لاستعادة القرية .

٧ — من بين الذين استشهدوا : جميلة محمد الخسمية ، محمد سعيد (سخنين) ، فرج اسماعيل عبد الله (مجد الكروم) ، صالح رباح (دير الاسد) ، رضوان عودة ولبيبة الرضوان . ومن بين الجرحى : صالح الدوخي، احمد العيسى ، وقاسم الحلو .

من ذكريات ١٩٤٧ – ١٩٤٨ :
هكذا كنا نجمع السلاح

عبد الرحمن علي
و
عبدالله مهنا

عقد مراسل شؤون فلسطينية في القاهرة جلسة مع كل من الاخ عبدالرحمن علي (من لفتا) وعبدالله مهنا (من المسمية الكبيرة) ، رويا له فيها كيف كانت تتم عمليات شراء الاسلحة للمناضلين الفلسطينيين في جهاد ١٩٤٨ .

الجلسة الاولى مع عبد الرحمن علي

في اواخر عام ١٩٤٦ زرت مصر للسلام على الحاج امين الحسيني والشهيد عبد القادر الحسيني ، وتهنئتهما بسلامة الوصول الى مصر . وكان الحاج امين مقيما في الاسكندرية بسيدي جابر ، في حين كان الشهيد عبد القادر يقيم في شارع منية السيرج بحي شبرا بالقاهرة . وقد حضر معي من فلسطين الاخوة : خليل منون (من عين كارم) محمد رشيد ابو خضير (من شعفاط) وآخرون . وقد سألنا الحاج امين عما اذا كان لدى الناس والمجاهدين اسلحة .

واذكر أن البندقية كانت تساوي في فلسطين حينذاك ٢٥ جنيها .

وقد زرت الشهيد عبد القادر ثم عدت الى لفتا ، بعد ان مكثنا في مصر قرابة اسبوع . وفي ٦ شباط (فبراير) ١٩٤٧ عدت لزيارة مصر ، بمناسبة « عيد الشعلة » في مصر ، كما حضر نفس الاشخاص الذين كانوا قد أتوا معي في الزيارة الاولى . وقد حضرت بعض فرق « النجادة » و« الفتوة » ، وخيمنا جميعا في المعرض الزراعي الصناعي بالجزيرة . واخذت النجادة والفتوة في الاتصال بالحاج أمين ، الذي سعى بدوره للتوفيق بين الفريقين المذكورين .

وعلمت ان الشهيد عبدالقادر كان قد اخذ في شراء وجمع الاسلحة من مصر .

وقد كلفني عبد القادر والمفتي بالبقاء في مصر للقيام بشراء الاسلحة ، ووافقت .

ووجدت عند الشهيد عبد القادر سيارة « ستيشن واجن » ، كان يقودها اخ سوداني اسمه محمود دياب ، وقد طلب مني الشهيد عبد القادر مصاحبة محمود دياب الى الاسكندرية ، وفعلا رافقته اليها حيث عدنا للقاهرة بعد أن اشترى محمود مسدسين . وكان محمود هذا طالبا في الطيران المدني . ودلوني على منطقة « ابو رواش » قرب هرم سقارة ، باعتبارها منطقة سلاح ، وفعلا ذهبت للشخص الذي دلوني عليه ، فوجدت عنده اربع او خمس بنادق ، فأخذناها وعدنا . ولم تكن البنادق حديثة ، وكانت اسعارها تتراوح بين ٧ و ١٠ جنيهات .

وقد سألت البدوي الذي باعنا هذه البنادق عن مصدر السلاح ، فدلنا بدوره على مناطق « حوش عيسى » و« أبو المطامير » عند كوبري العبد بمحافظة البحيرة ، كما دلنا على « فاقوس » قرب مدينة الزقازيق ، والتي يحضر أهلها الاسلحة من الجنود الانجليز الموجودين في معسكرات فايد وما جاورها .

وتوجهنا ، أنا وخليل العوري (من بيت عور) الى فاقوس ، الا اننا لم نعثر على أسلحة، واستمهلنا الرجل الذي سألناه بضعة أيام ، فتركنا الاخ خليل عنده وعدنا ، محمود دياب وانا ، الى القاهرة .

وتأخر خليل اربعة أيام ، ثم أبلغني بالتليفون في كابسيس هاوس ، حيث انزل ، بأنه موجود عند شخص يدعى عوض الجهمي في « أبو المطامير » عند كوبري العبد . وكان محمود دياب قد ذهب لشراء اسلحة من سوداني آخر . فاصطحبت سائقا مصريا اسمه كامل كان قد احضره محمود للعمل معنا ، وذهبت انا وكامل ، الى كوبري العبد ، حيث الفينا خليل العوري عند عوض الجهمي وقد اشترى بعض البنادق والذخيرة . فأخذنا الاسلحة المشتراة ، وعدنا الى القاهرة ، في حين استمر خليل مقيما عند عوض الجهمي. وقد سألنا عوض وبعض أصحابه عن مصدر السلاح فأخبرونا بأنها الصحراء الغربية .

وفكرت في أن يصاحبنا ضابط مصري في تنقلاتنا ، للامان . وكنا قد تعرفنا على « محمد بك نصير » عضو مجلس النواب المصري ، وهو من جمجرة ، وتعرف هو بدوره على الشهيد عبد القادر . وقدم لنا نصير بك اليوزباشي جلال حسن ندا ، من بنها ، (اصيب فيما بعد في عراق سويدان بفلسطين) لمصاحبتنا وتأمين تنقلاتنا . وأخذ جلال يصاحب سيارتنا من كوبري العبد حيث كانت تنقل السلاح الى القاهرة . في حين كان الشهيد عبد القادر يستلمها ويخزنها في اماكن لم نكن نعرفها حتى ذلك الوقت . وكان حجم الاسلحة المشتراة هنا قليلا ، مجرد عشرات قليلة .

وظلت الامور تسير على ما يرام ، الى ان فوجئنا بخفراء عزبة البستان يعترضون الطريق التي كنا نمر منها بخشبة كبيرة ، وكان امر شرائنا الاسلحة قد شاع ، ووصل الى اسماع حكمدار دمنهور « محمد بك مصطفى » .

وقررت أن أواجه الامور بنفسي ، فانتقلت الى عزبة البستان ، ومعي كامل ، ودخلت الى عمدتها « أحمد اسماعيل علي » ، ورفضت شرب القهوة عندما قدمها لي ، واشترطت عليه أن يعرفني . وقلت للعمدة « انا الفلسطيني اللي بتفتشوا عليه ، وأنا بدافع عن بيت الله والمسجد الاقصى ، اللي ماليش فيه اكثر منك ، خذني وسلمني اذا كنت تريد الدنيا » . وأفهمت العمدة اننا نعمل سرا ، وانه سيأتي اليوم الذي نعمل فيه علنا . فبكى العمدة ، ووافق على تسهيل مهمتنا . وافهمته أن هناك صهيونيين يشترون سلاحا مثلنا ، اما سيارتانا فقد أعطيته رقميهما ، حتى يسهل لهما مهمتهما .

وكان الحاج امين قد انتقل الى القاهرة قبل عودتي لزيارة مصر في المرة الثانية ، حيث أقام فيشارع الكمال بحلمية الزيتون . وقد زاره عمدة البستان ، وبعد مدة تبرع لنا العمدة نفسه بخمسة صناديق ذخيرة ، وواصل تقديم مساعدته لنا .

وفي احدى المرات التي ذهبت فيها الى أبو المطامير ، مر عندنا مخبر اسمه محمد درهاب، وكان يركب دراجة نارية ، عندها طلب الينا العرب الابتعاد عنهم لانهم كانوا يخشون درهاب هذا ، خاصة وانه قد نما الى علمه امر شرائنا السلاح من العزبة . فما كان مني الا أن لحقت بدرهاب ، وعندما وصلناه بسيارتنا ترجل عن دراجته وأدى لنا التحية العسكرية ، فسألناه عن وجهته فقال « انني أفتش عن سيارة تقوم بتهريب السلاح »

فقلت له «هذه هي السيارة»، وهي تنقل السلاح للدفاع عن المسجد الاقصى والصخرة». فبكى واستعد لتقديم مساعداته لنا ـــ عندها طلبت اليه أن يصاحب سيارتنا وفعلا حضر معنا في السيارة وترك دراجته في العزبة ، وطلب الينا أن نمر عبر طريق غير مطروق حتى نتجنب عيون البوليس ، وفعلا مررنا بالسيارة عبر طريق يمر بكفر الدوار .

ولدى وصولنا الى القاهرة ، تركنا درهاب في كابسيس هاوس ، وتوجهت بالسيارة الى الشهيد عبد القادر الحسيني ، الذي نقلنا بدوره الى «عزبة النخل» في ضواحي القاهرة، حيث ادخلنا منزلا وجدنا فيه ثلاثة ألمان .

واتفقت مع درهاب ان يستمر في مصاحبة سيارة السلاح . واقترح علـــي درهاب ان نضمن مزرعة بطيخ ، ونشتري سيارة نقل لنهرب بها المتفجرات تحت البطيخ الذي ننقله بالسيارة . وفعلا ضمنا مزرعة بطيخ بأربعين جنيها ، واخذنا في نقـــل المتفجرات الى القاهرة بالطريقة التي اقترحها درهاب ، واستمر درهاب في ملازمة السيارة في ذهابها وايابهـــا .

ومن بين الذين ساعدونا في ذلك الوقت عبدالعزيز بك مخيون ، نائب ابو حمص ، والذي كان قد عرفنا عليه محمد بك نصير . كما قدم لنا المعونـــة ضابط البوليس رؤوف ابو السعود وملازم ثان جيش احمد صدقي .

ولم تكن الاسلحة التي اشتريناها من كوبري العبد لتكفينا ، فظللنا نبحث عـــن وسيلة نتمكن بها من الوصول الى مرسى مطروح ، المصدر الرئيسي للسلاح . وقال لنا محمود دياب ان له ابن عم يعمل وكيلا لمحافظة مرسى مطروح اسمه سيد بك فرح وانه يمكنه تسهيل وصولنا الى مرسى مطروح ، اذ كانت منطقة حدود يستحيل الوصول اليهـــا بدون تصريح خاص . وفعلا أرسل محمود دياب برقية الى سيد فرح يخبره فيهـــا بأنه واصهاره سيزوورونه في مرسى مطروح، وطلب محمود اليه ان يعطي امرا للبوابـــات التي تقع بين الاسكندرية ومرسى مطروح بالسماح لنا بالمرور . والبوابات هي : برج العرب ، الحمَّام ، الضبعة ، فوقه ، حنيش ، حتاوه ، وجراولة . وقد سهلت تلك البوابات مرورنا عندما سافرنا الى مرسى مطروح . وقد أخذنا سيارتين من القـــاهرة الاولى « كرايزلر » و« ستيشن واجن » ، استقل الاولى محمود دياب مع زوجته، في حين استقل الثانية عبد القادر الحسيني ومحمود جميل الحسيني وأنا . وكان عبـــد القادر يقود سيارتنا في حين كان محمود يقود السيارة الاخرى . وفي الطريق نفد البنزيـــن من سيارتنا ، فنزل رفيقاي وانضما الى سيارة محمود دياب ، وعند وصولهم الى مرسى مطروح أرسلوا لي شاويشـا يحمل صفيحة بنزين ، افرغها بالسيارة ثم انطلق بهـــا الى مرسى مطروح .

ونزلنا عند سيد فرح ، وسألت المرحوم عبدالقادر أن أفاتح سيد فرح بمهمتنـــا ، عند وضع مائدة الطعام ، فوافق عبد القادر . عندها قلت لسيد : « هل تعلم من ضيفك ؟ » وأردفت دون أن أنتظـــر جوابا « ضيفك هو المجاهـــد الكبير عبد القادر الحسيني » . فازداد ترحيب الرجل بنا . عندها استطردت : « جئنا عندك لما سمعناه عنك » . وأفهمته أننا نستعين به للدفاع عن المسجد الاقصى ، لما عرفناه من تاريخه الوطني ، اذ كان قد سبق ان حكم عليه بالاعدام لاشتراكه في انتفاضة عام ١٩٢٤ في السودان ، كما تعاون مع عمر المختار في ليبيا .

ووافق سيد فرح على تقديم المساعدات لنا ، وسارع الى ارسال ابنه سيف مع الشهيد عبدالقادر الى بعض البدو ، حيث احضرا نحو ٥٩ بندقية . وحملنـــا السلاح وعدنا بالسيارة الى القاهرة ، وتركنا محمود دياب بالسيارة الثانية ليعود بمزيد من السلاح . ووصلنا بالسلاح الى عزبة نخل حيث أخفيناه في المخزن . وكان هذا السلاح من أنواع

متعددة ، فمنه الالماني والفرنسي ، والطلياني والانكليزي . وكان الطلياني في حالة جيدة.
وقد علمت ان البيت الذي نزلنا فيه في عزبة نخل كان لحفيد احمد عرابي ، عز الدين عرابي .

*

أخذت الوفود تتوافد من فلسطين على الشهيد عبدالقادر للتخطيط والتحضير واستلام السلاح . واتصلنا بالدكتور فهمي ... من أشمون ، الذي استصدر لي تصريحا رسميا، باعتباري من اشمون ، يتيح لي السفر الى مرسى مطروح ، وكان التصريح صادرا عن سلاح الحدود ويصلح لمدة ثلاثة أشهر .

واستأجرنا محلا في شارع الاصباغ بمرسى مطروح للتخزين . وقدمت طلبا الى محافظ مرسى مطروح أعرب فيه عن رغبتي في فتح صيدلية بالبلدة . واعطاني عبدالقادر أدوات طبية بنحو مائة جنيه للتمويه اخذتها معي الى مرسى مطروح ، حيث وضعتها في الفندق الذي كنت أنزل فيه ، والذي كان يملكه يوناني اسمه كرياكو . ثم استأجرت حانوتا لستة أشهر بدعوى استخدامه كصيدلية .

واتسعت علاقاتي بالناس في مطروح ، ومن البحيرة أخذت اسم شخص في مرسى مطروح اسمه العمدة الدربالي ، وهو من المرابطين ، وقد عاصر أنور باشا وكمال باشا (من الاتراك في الحرب العالمية الاولى) ، كما سبق له وتعاون مع صالح حرب باشا . ودلني جلال ندا على مجاهد طرابلسي (من ليبيا) اسمه الحاج رجب الرطب، وكان يقيم في مرسى مطروح . كما تعرفنا بسيدي ابراهيم السنوسي ، وكان مقدسا عند العرب هناك . كما كان اليوزباشي جمال الدين ملش يقدم لنا المساعدات (استشهد فيما بعد في الشيخ نوران بفلسطين) وكان ضابط نقطة سيدي براني وتعاون معنا عبدالرحمن زهير ، وهو مدني كان قد أسره روميل عندما وصل الى سيوه . واليوزباشي محمد عبدالله ، والقائمقام محسن ... والشيخ محارب زغلول ، من المرابطين ، والشيخ عبدالزين جبريل والعمدة ابراهيم عبدالرحمن ، والحاج عبدالكافي السمين (ليبي) والحاج كريم شعيب (من السوم) وكان الخمسة الاخيرون يجمعون لنا السلاح ، وكان محمد سليم (من مرسى مطروح) يعاونني ايضا في جمع السلاح .

ويبدو أن أخبارا وصلت الى البوليس المصري فيمرسى مطروح بشرائنا الاسلحة وتهريبها الى القاهرة . وفي أحد الايام كنت في مقهى يمتلكه يوناني اسمه « بنايوتي » في مطروح، وفوجئت بشخصين يسألان بنايوتي همسا ثم ينصرفان . وبعدها مباشرة جاءنا صف ضابط (صول) اسمه « ختال » وسألني عما اذا كنت قد أتيت من مصر ، وما اذا كنت أحمل تصريحا بدخول مطروح . وبادرت فأعطيته التصريح ودوّن بدوره المعلومات الواردة فيه لديه . ثم انصرف وعاد ليطلب مني مصاحبته لمقابلة مأمور قسم مطروح . وكان الشخصان اللذان تهامسا مع بنايوتي في القسم ، الاول هو اليوزباشي حسين حتاته من مخابرات الجيش المصري والثاني هو البكباشي جميل عبدالوهاب (مأمور القسم) . وسألني المأمور : « هل أنت مصري ؟ » أجبته : « انا عربي » قال : « منين ؟» قلت : « انا من هنا » فقال : « مين أهلك » قلت : « أهلي من مراكش الى مرسين » . قال : « أنا عايز أعرف أنت من فين ؟ » قلت : «عايزني أكون من فين» قال « عايزك تكون من فلسطين » سألته : « لماذا » قال : « انا كنت على الحدود المصرية الفلسطينية ، وأعرف ناس كثير من فلسطين » . فقلت له : « انا من فلسطين » . فسألني عما اذا كنت قد قدمت طلبا لفتح صيدلية وعن سبب تأخري في فتحها وأجبته بأنني لم أعثر ، بعد، على الصيدلي المناسب. وعاد يسألني: « لماذا اخترت هذه المهنة ؟ » أجبته: « لان الشرق مريض » فقال : « ليس هكذا يعالج الشرق » فقلت له : « بهذا وبغيره » . وعند هذا

الحد رد لي المأمور تصريحي وغرض علي خدماته . وتركت القسم وتوجهت لفوري الى سيد فرح واخبرته بانكشاف أمري . فطلب مني الذهاب الى نادي الضباط في اليـوم التالي ، وكان يوم جمعة ، وفيه يتجمع الضباط بما فيهم الضابطين المذكورين . وفعلاً ذهبت للنادي والتقيت بالضابطين وسلمت عليهم بكل ثقة ، وربما أوحت لهم تلك الحركة ان ثمة سنداً لي في الحكم . وبعدها عدت الى القاهرة وأبلغتهم بالامر .

ثم عدنا نخزن الاسلحة عند عبدالزين جبريل ، توطئة لنقلها الى صيدا عن طريق البحر . حيث كان معروف سعد (نائب صيدا السابق) قد أعرب للشهيد عبدالقادر عن استعداده لنقلها الى صيدا ، ونقوم من ثم بنقلها الى داخل فلسطين .

وكانت المفاجأة عندما اعتقل البوليس المصري ، فرج جبريل ، شقيق عبد الزين جبريل ، ومعه بعض الاسلحة الخاصة بنا غرب النخيلة . وتصادف ان كان أحمد عطية باشا ، وزير الحربية المصري آنذاك ، موجودا في مطروح وشاهد بنفسه الاسلحة المضبوطة في قسم مطروح ، وقد التقط البوليس عدة صور فوتوغرافية للاسلحة المضبوطة . عندها سارعت بالاتصال بسيد فرح ، الذي طلب الي سرعة مغادرة مطروح الى القاهرة . واذكر ان هذه الحادثة وقعت ابان انتشار وباء الكوليرا في مصر (أيلول ١٩٤٧) .

وقد أخبرت المفتي ومحمد بك نصير لدى وصولي للقاهرة بما جرى في مطروح ، وقابل نصير وزير الحربية ، الذي أفهمه أن الامر قد خرج من يده الى يد محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزراء .

وعدت أنا الى مطروح ، وكان سيد فرح قد ذهب الى قسم مطروح ،وطلب الى المأمور تسجيل قضية الاسلحة المضبوطة « ضد مجهول » ، كما أمره بالافراج عن فرج جبريل ، وقد نفذ المأمور تعليمات سيد فرح لكن السلاح ، وهذا هو المهم ، ظل مصادراً .

*

وبعد ذلك شكلت الجامعة العربية « اللجنة العسكرية » وانضم اليها صبحي الخضرا من فلسطين . وتحولنا الى العمل العلني في ظل اللجنة العسكرية وترك لنا عز الدين عرابي منزله لنستخدمه مخزنا للاسلحة . وتوسع عملنا بعد أن تحولنا الى العلن ، وانضم الي في الصحراء الغربية خليل العوري وأقام في السلوم ، بينما ظللت انا اتنقل من مكان لآخر. وأحضرنا الماناً من ليبيا بواسطة البدو ، وفتحنا ورشة صيانة يشرف عليها الالمان. وكان هؤلاء أسرى لدى الانكليز .

وأخذنا ننقل الاسلحة ونخزنها علنا ، وكنا نحملها بسيارات النقل ودخلت الالغام والمدافع ضمن الاسلحة المشتراة في المرحلة العلنية . وكان عبدالفتاح عبدالباسط التميمي مسئولاً عن مخازن الاسلحة . وكانت البندقية تساوي ٥ ــ ٧ جنيهات . وكنا عندما نشتري من أحد البدو ، كان يصر أن نشتري كل ما عنده من اسلحة ، دون انتقاء ، وكان القليل من هذه الاسلحة جيدا وبعضه كان متوسطا وبعضه كان فاسدا ، وكنا مضطرين لشرائها جميعا .

*

فاتني أن أذكر انه بعد ان ذهبنا الى مرسى مطروح في المرة الاولى، تعرفنا على الاميرالاي محمد نجيب (اللواء محمد نجيب فيما بعـد) وزار بدوره المفتـي وعبدالقادر وابدى استعداده لتسهيل توصيل الاسلحة الى فلسطين عبر سيناء . واذكر انه كان نائب قائد سلاح الحدود آنذاك . اما في العلن فأذكر ان الضباط الاتية اسماؤهم قد ساعدونا : يوزباشي انور سلام (الحمـام) ، اليوزباشي عبد الحميـد عطية (الضبعة) وهـو نجل احمد باشا عطية . يوزباشي فتحي زين العابدين (سيدي براني) ، يوزباشي حلمي

جمعة (السلوم) وقد استشهد في بئر السبع فيما بعد . ويوزباشي محمد الصباحي والصاغ محمد ابراهيم فهمي (سلاح الهجانة). وكان يساعدني في التفتيش على السلاح وتنظيفه كل من الصاغ أحمد الله جابه ، ويوزباشي حسن الماظ ، ويوزباشي سرور ... وهم سودانيون ، واصبح الثالث فيما بعد قائد الحامية المصرية في « شرفات » قرب بيت صفافا . وكان هؤلاء الضباط الثلاثة يقومون بتدريب المتطوعين الليبيين الذين تدفقوا للدفاع عن فلسطين ، وقد نظم لهم معسكر تدريب بمرسى مطروح .

*

وحضر صبحي الخضرا وعبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح ، ورافقتهما ، وزرنا معا محافظ مرسى مطروح القائمقام احمد بك سيف اليزل ، وأقام لنا مأدبة غداء . وأبدى المحافظ استعداده لتقديم المساعدات لنا . ومن المعروف أن القائمقام احمد سيف اليزل قد خلف الشهيد احمد عبدالعزيز في قيادة المتطوعين المصريين في فلسطين . واستفسر عبدالقادر مني عن الاسلحة التي أشتريناها ، وكنا قد اشترينا بنادق طويلة « بويز » ضد الدبابات ، ورشاشات برن ، ومدافع واحد هاون عيار ٢ بوصة ، وأذكر ان قنبلة كانت تعترض ماسورته عند الشراء . وواصلنا شراء الاسلحة ، وكنت اقدم بالاسلحة المشتراة كشوفا تفصيلية الى الهيئة العربية العليا . ولم أكـن وحدي الذي يشتري الاسلحة للهيئة العربية العليا ، ففي مناطق أخرى كان هناك أناس غيري يقومون بشراء الاسلحة . وغالبا ما كانت أثمان الاسلحة أعلى من تلك الاسلحة التي كنت أشتريها . كما ان بعض الاسلحة المشتراة كانت فاسدة ، وكنا مرغمين على شرائها من أصحابها ، مما كان يضيف أثمانها الى اثمان الاسلحة الصالحة فيرفعها . وأذكر اننا اشترينا أسلحة بما يزيد عن مائة الف جنيه مصري . وكلفني صبحي الخضرا بشراء أسلحة لمجاهدي الشمال ، ورأيت أن أستأذن المفتي لارتباطي به ، وفعلا حضرت للقاهرة وسألته فوافق وقال : « كلها فلسطين ايش الفرق بين الشمال والجنوب » .

*

كان المساعد الاول لتوصيل السلاح الى فلسطين ، عبر سيناء ، هو الصاغ رشاد مهنا (القائمقام فيما بعد) . وكان ذلك بترتيب بينه وبين المفتي والشهيد عبد القادر ، وذلك ابان المرحلة السرية . ولم يكن لي علاقة بموضوع توصيل الاسلحة . كما علمت انه في المرحلة السرية كان أحد مشايخ بدو سيناء ، ويدعى الشيخ سلمى ، يقوم بنقله عبر سيناء .

وكان الشهيد عبدالقادر يرسل الاسلحة الى مركزين لتخزينهما : الاول في « صوريف » والثاني في « بير زيت » ، وقد اختار هذين الموقعين نظـرا لبعدهما عن المستعمرات الصهيونية والقدس معا . وكان الشهيد ابراهيم ابو ديه مسؤولا عـن صوريف وما جاورها فيحين كان صلاح الحسيني وبهجت ابو غربية وآخرون مسؤولين عن بير زيت .

الجلسة الثانية مع عبدالله مهنا

في أوائل عام ١٩٤٦ جاءني قومندان بوليس غزة ، وهو انكليزي ، وكان يوجد حينذاك صدام بين الانجليز والقوات الصهيونية ، وقال لي انه سيطلب مني شيئا ، ورجاني الا أخبر به أحدا ، واستطرد : « هل يمكنك أن تجند لي الف شخص من المنطقة ؟ » وعندما سألته عن الهدف من ذلك ، قال : « لأسلحهم واعطي كل واحد منهم ١٥ جنيها شهريا ». وعندما سألته عن الوظيفة التي سيعملون بها ، قال : « سرية » . وسألته عن مصير من يلقى القبض عليه منهم بالسلاح ، فقال : « يحاكم محاكمة عسكرية » . وعندها طلبت اليه ان يجمعني بمن هو أعلى منه . فأجابني بتعذر ذلك . وقبل أن ينصرف القومندان قال لي : « يا عبدالله اذا استطعت أن تبيع وتشتري سلاحا فلا تقصر » . وأخذت أفكر طويلاً في هذا الكلام .

وفي صباح اليوم التالي توجهت الى القدس حيث قابلت حمدي الحسيني — مدير صندوق الأمة آنذاك — وقصصت عليه ما كان من القومندان . وطلبت من الاستاذ حمدي ان يعطيني بعض المال من الصندوق . فسألني عن الضمان ، قلت له : «بيارتي» . فوافق ، وأمهلني أسبوعا ، وعندما عدت اليه بعد اسبوع أخبرني بأن ادارة الصندوق رفضت طلبي ، وعليه قدم حمدي الحسيني استقالته من الصندوق ، وتوجه الى مصر للعمل في الجامعة العربية .

وبعد مدة اجتمعت بزميلي صبحي الشهابي ، مدير الزراعة بغزة ، وكان قساميا يعتمد عليه . وتباحثنا في هذا الموضوع ، ووعدني صبحي بالذهاب الى مصر ومقابلة الحاج امين الحسيني . وفعلاً ذهب صبحي الى مصر وقابل الحاج أمين ، الذي طلب اليه أن يبلغني ضرورة انشاء مخازن للسلاح في بيارتي ، على غرار المخازن التي كنت اقمتها ابان ثورة ١٩٣٦ . ووعد الحاج بتغطية نفقات بناء هذه المخازن . وأخذت في جمع الاسلحة . وذهبت الى العريش أنا ومصطفى العبادله (من خانيونس) واجتمعنا بشخصين أحدهما قاهري والآخر عرايشي ، واتفقنا معهما على تسليمنا بعض الاسلحة ، وحددنا أسعارها بحيث يكون مدفع البرن بـ ٢٠ جنيها والبندقية بـ ١٥ جنيها ورشاش الستن بخمسة جنيهات ورشاش التوميجن بعشرة جنيهات ومشط الذخيرة بخمسة قروش . وقد فهمنا انهم سيحضرون لنا أسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية . وقد دفعت ٢٠٠ جنيه من جيبي الخاص عربونا لهما .

وبعد شهرين أرسل اليّ هذان الشخصان يطلبان حضوري للعريش ، فذهبت اليهما واخترت أسلحة بنحو ٦٥٠ جنيها ، ووعدتهما بالعودة اليهما بعد أسبوعين لاستلام الاسلحة واعطائهما ثمنها . وارسلت للحاج أمين — بواسطة صبحي الشهابي — أطلب المبلغ المذكور ، فوعد الحاج أمين بارساله في القريب . ومضت ثلاثة أشهر دون أن يصلني شيء من سماحته . وبعد ذلك انتقل سماحته الى لبنان وطلب الي اللحاق به هناك . وعندما قابلته في بيروت وعدني باعطائي المبلغ في اليوم نفسه أو في الغد . الا انه لم يعطني المبلغ الا بعد مرور أحد عشر يوما . وعندها خرجت من بيروت الى دمشق فيافا والعريش ، حيث وجدت السلاح قد بيع الى داود القواسمي (من الخليل) بضعف الثمن . وعدت للمسمية . وفي اليوم التالي زارني المجاهد الباسل ابراهيم أبو ديه (من صوريف) فسلمته المبلغ طالبا اليه اعادته للمفتي ، وابلاغه أن اهماله كان السبب في ضياع السلاح .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، جمعت نحو ٥٠٠٠ جنيه من المسمية والقرى المحيطة بها ، دفعها الاشخاص الراغبون في اقتناء السلاح والقتال . وعند وصولي الى

مصر لشراء السلاح ، قابلت سماحة المفتي ــ وليتني لم أقابله ــ وأخبرته عن الهدف من حضوري الى مصر .

وكنت قد اغتلت صهيونيا اسمه يوسف كان قائدا لمخابرات الجنوب لدى الصهيونيين ، وكنيته أبو اسماعيل ، وهو عمدة مستعمرة البنات المواجهة لقرية عاقر . كما اغتلت الخواجه بنيامين قائد الهاجاناه في مستعمرة رحابوت ، وقد تمت باغتيالهما في وادي الصرار في منزل محمد هديوي المشارفة ، الذي كان يعمل ناطورا لديهم . ومن يومها أخذ الصهيونيون في مطاردتي ورصد تحركاتي .

وفي مصر سألني المفتي عن سبب حضوري الى مصر ، وعندما اخبرته ، قال لي : « ضع المبلغ في الصندوق ، فقد ذهب عبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح لشراء أسلحة ، والبندقية لا تكلف الا خمسة جنيهات فقط ». وقد وضعت المبلغ في صندوق الهيئة العربية العليا انتظارا لعودة المرحوم عبدالقادر الحسيني من مطروح . وبمجرد عودته قابلت سماحة المفتي ، الذي أخبرني بأنه خصص لنا ٢٥ بندقية من النوع الطلياني . فقلت له : « هذا سلاح رديء » . فقال لي : « هذا هو الموجود » . وسألته عن ثمن البندقية فقال: « ٢٥ جنيها » . فرددت عليه « انت قلت خمسة جنيهات ، علما بأن البندقية الطليانية لا آخذها بجنيه واحد بسبب ندرة ذخيرتها » . عندها قال لي الحاج أمين الحسيني ان احد وجهاء غزة اخبره بأن البندقية تباع في فلسطين بخمسة وأربعين جنيها . فأجبته : « هل الثورة تجارة عندكم يا سماحة المفتي ؟ » ثم رفضت شراء أسلحة منه ، وطلبت نقودي ، فنادى المفتي امين الصندوق سعد الدين عبد اللطيف وطلب اليه تسليمي مبلغي ، فاستمهلني سعد الدين لليوم التالي ، وفي اليوم التالي عاد واستمهلني لليوم الذي يليه ، وهكذا حتى مر أسبوع كامل دون أن يعيد لي نقودي . وبعد مرور الاسبوع دخلت عليه، فوجدت عنده كلا من رجائي الحسيني ومنيف الحسيني واسحق الحسيني ، وطلبت منه النقود وبمساعدة رجائي الحسيني استرجعت المبلغ .

وتمكنت بمجهودي الخاص من شراء ٤٥ بندقية انجليزية و٥ رشاشات ستن و١٠ رشاشات توميجن ، و١٢ مدفع برن ، ونحو خمسة آلاف طلقة ، وقد اشتريتها من القاهرة ، ومن جماعات متعددة .

وكنت أضع السلاح في « فندق البرلمان » بالعتبة ، حيث كنت أجمعه هناك علنا . ثم أحمله حتى مدينة الاسماعيلية ، حيث ينتظرنا ضباط مصريون ليمررونا حتى العريش بسيارات الجيش المصري . ومن العريش كنا نحملها بسيارات فلسطينية ، نمر بها عن طريق رفح ، ثم نوزعها على المقاتلين في القرى . وكان معي في هذه العملية حلمي الآغا (من خانيونس) .

ومن يومها انقطعت علاقتي بالحاج أمين الحسيني ، وان ظلت علاقتي بالمرحوم عبدالقادر الحسيني على ما يرام . وأذكر أن عبدالقادر طلب الي أن انسى ما وقع لي مع الحاج أمين لان عبدالقادر مقهور منه أكثر مني .

وكانت المناوشات بيننا وبين الصهيونيين قد بدأت . وكان معسكر وادي الصرار قرب قريتنا ، حيث كانت تقيم فيه قوات انجليزية ــ أردنية مشتركة . وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، أخلى الجيشان المعسكر ، فبادرنا باستلامه ، وكانت مساحته نحو ١٠،٠٠٠ دونم ، وكنا نحو ٥٠٠ مسلح . واشتريت صناديق الذخيرة من القرويين الذين كانوا قد استولوا عليها من المعسكر عند اخلائه ، وقد اشتريت الصندوق بخمسة وستين جنيها . أما تموين الكتيبة المرابطة في المعسكر وأغذيتها فقد تولت قريتنا ، المسمية الكبيرة ، أمره .

وقد حضر الى معسكرنا ١٣٠ مقاتلا من جيش الانقاذ ــ ما بين سوري ولبناني وعراقي

واردني وفلسطيني ـ وكان على راسهم عبدالجبار الشمري (عراقي)وقد اتوا بخطاب من الشيخ حسن سلامه . وبدأ الشمري يجري اتصالات بالانجليز ، علنا ، وأنا أرجح ان ضربنا بالقنابل كان يتم من قبل رجال الامن الانجليز ، الذين كانوا يجوبون الشوارع التي تفصل القرى عن بعضها بدبابات تحمل المدافع . وكان ضربنا يتم عقب كل زيارة للانجليز الى معسكرنا . وكان على بوابة المعسكر رجال من جيش الانقاذ ، فاستبدلتهم بفلسطينيين ، أوصيتهم بعدم السماح لاي جندي انجليزي بدخول المعسكر الا بأمري . وقد حصل أن حاول الانجليز الدخول فمنعوهم . وعندما علم عبد الجبار بالامر غضب . وبعدها بأسبوع ـ وكنا قد حصنا المعسكر ـ واذا في حوالي الثانية عشرة ظهرا بأهالي قرية « اشوع » فارين الى معسكرنا هربا من هجوم سكان مستعمرة عرطوف المواجهة لهم . فاجتمعت أنا وعبد الجبار وانتخبنا ٧٠ مناضلا ، واخذت معي الغاما ، وذهبنا الى عرطوف وطوقناها من جميع الجهات ـ بعد المغرب ـ وهاجمناها حوالي الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل ، وقد واجهنا مقاومة شديدة من الصهيونيين الذين كانوا يدافعون عن مستعمرتهم وهم مختفون تحت الارض ، وكانت المستعمرة المذكورة عالية وتحيطها الاحجار من كل جهة ، ووراء تلك الاحجار كانت الاسلاك الشائكة . فنسفنا الاسلاك لنفتح ثغرة ، ونجحنا في احتلال باب المستعمرة ، وأرسلت عشرة مناضلين لتعطيل الكشاف الجنوبي وعشرة آخرين لتعطيل الكشاف الشمالي ، اللذين كان يستخدمهما الصهيونيون ضدنا من داخل المستعمرة . وأخذت المجموعتان في ضرب الكشافين بالرصاص ، في حين اقتحمت ثلاث مجموعات المستعمرة ، وأخذنا في نسف المباني حيث تمكنا من نسف ١٢ منها . وفجأة انهمرت علينا قنابل الانجليز من خارج المستعمرة . وكان هناك مركز بوليس انكليزي قرب المستعمرة ، يبدو انه استحضر القوات التي أمطرتنا بقنابل مدافعها .

وعند هجومنا كان عبد الجبار موجودا في « اشوع » ، فاتصل به القائد الانجليزي وطلب اليه انسحاب قواتنا من المستعمرة . وأرسل عبد الجبار يطلب مني الانسحاب الا أنني رفضت ، عندها هدد القائد الانجليزي بتدمير المستعمرة فوق رؤوسنا . وعند الفجر انسحبنا . وعاد اهالي القرية العربية الى قريتهم . ولم يعد الصهيونيون لمهاجمتهم مرة اخرى . وقد خسرنا في هذه المعركة سبعة جرحى وثامنا فقد احدى عينيه .

وفي أوائل آذار (مارس) ١٩٤٨ ، حدث أن تعرضنا للقوافل الصهيونية الآتية من تل أبيب عن طريق عاقر ـ خلده ـ جنوبي باب الواد ، والمتجهة الى القدس . وقد لجأ الصهيونيون الى هذا الطريق بعد أن منعتهم القوات الاردنية من المرور بباب الواد . وقد تعرضنا لاحدى هذه القوافل الساعة السابعة صباح أحد أيام آذار وكانت آتية من تل أبيب ومتجهة الى القدس . وكنت عندئذ في المسمية لترتيب الحصول على الاغذية للمناضلين . فأرسل عبد الجبار ٣٥ مسلحا لاعتراض القافلة المذكورة . وأخذ المناضلون في اطلاق النار عليها من بنادقهم ، فنزل منها الصهيونيون وطوقوا مناضلينا الـ ٣٥ . عندها أرسل عبد الجبار لي يستعجل عودتي للمعسكر . وحضرت من فوري فوجدت عبد الجبار بعيدا عن ميدان المعركة قرابة ٣ كيلومترات ، فأحضرت نحو ٣٠٠ مناضل ، وتوجه كل ٥٠ منهم الى رأس جبل في المنطقة ، وعندما بدأنا في اطلاق النار على الصهيونيين ، انسحب هؤلاء ونجحنا في انقاذ مجموعتنا . الا ان الصهيونيين طلبوا نجدة بعد أن شعروا بأنهم محاصرون . وسرعان ما أتت اليهم النجدة من مستعمرة جديرة (قطرة) ومستعمرتي عاقر ورحابوت . وتدخلت الطبيعة لصالحنا وكان النصر حليفنا بعد أن أمطرت الدنيا بغزارة . وكانت النجدات قد أتت للصهيونيين مشيا على الاقدام . وكانت قطرة تبعد قرابة ٧٫٥ كم عن مكان المعركة وعاقر نحو ٣٫٥ كم ورحابوت ١٠ كم . وكانت النجدات الصهيونية تضم نحو ٤٠٠٠ مسلح . في حين كان المحاصرون من

الصهيونيين نحو ٤٥ دبابة وسيارات شحن واتوبيسات وتراكتــور واحد . ورأى قائد مناضلينا في الجبل الغربي النجدات الصهيونية آتية من الغرب ، عبــر أرض محروثة بالتراكتور . فانتظر عليهم حتى أصبحوا على بعد ٢٠٠ متر من قوته ، ففتح عليهم النار وسقط منهم الكثير . وفر الباقون الى أحراش مستعمرة خلدة ، وبعد أن تجمعوا في الاحراش عادوا وهاجمونا تؤازرهم احدى الطائرات . وكانوا يستخدمون الاسلحــة الاتوماتيكية والمدفعية ، وقد أرسل الينا حسن سلامة نجدة مكونة من ٢٥ مناضلا تقلهم مصفحتان ، وقد وصلتنا هذه النجدة دون طلب منا ، ويبدو ان ركاب السيارات المارة بالطريق قد أخبروه بالمعركة فبادر بارسال رجاله .

وطلب الي عبد الجبــار الانسحاب الى المعسكر والتحصن داخله ، الا أنني رفضت ، وجمعت وحدة رشاشات البرن ــ وكانوا ١٣ رشاشا ــ وكان مع جيش الانقاذ رشاش برن فرنسي ، وبدأنا هجومنا المضاد حيث دحرنا القوات الصهيونية المهاجمة ، ووصلنا الى الدبابات فوجدنا تراكتور ، وسيارة شحن من نوع ماك ألمانية فسحبناها بعد غياب الشمس الى المعسكر ، وكان بها ١٥ طن أغذية ، وسيارة أخرى حمولة ٨ طن أغذية و٥ مصفحات ، ونسفنا الاتوبيسين وسيارتي الشحن الاخريين ، لعجزنا عن سحبهما بسبب غوص عجلاتها في الوحل . وبقيت مصفحتان في كل منهما ١٥ صهيونيــا ، استمرا في مقاومتنا ، فنسفناهما بالغام ، وقد قام بنسفهما « سلام » الالماني ، الذي قتل في المعركة ، نسفهما بعد اصابته بشظية من اللغم الذي نسف به الدبابة الثانية . وقد نقلنا قتلانا الى المسمية ، أما الجرحى فكان ينقلهم الهلال الاحمر المصري الى مدينة الرملة حيث كان مرابطا .

وقد خسرنا يومها ٤٠ شهيدا ونحو ٨٠ جريحا . ودامت المعركة ١٤ ساعة . وقد علمت من حاكم لواء غزة الانجليزي ــ عندما التقيت به في اليــوم التالي بالمسميــة ــ أن الصهيونيين فقدوا حوالي ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح . وقال الحاكم « اذا بقي العرب هكذا فان الصهيونيين سوف يفنون » . وأذكر مــن الشهداء : محمد حسين بدوان (المسمية) ، أحمد زايد النجار (المسمية) ، محمود ريان (القسطينة) .

وحدث عند عودتنا بالدبابات والسيارات المغنومة ، أن التقت بنا قوات الامن الانجليزية وطلبت الينا اعادة الغنائم للصهاينة ، فرفضت ، وكدنا نشتبك مع الانجليز ، لولا أن القائد الانجليزي قال انه سيحضر الى معسكرنا في اليوم التالي ، للتفاهم معي بصدد هذه الغنائم . الا انه لم يحضر .

وتجددت المعارك بيننا وبين الصهيونيين في تلك المنطقة ، وبشكل يومي .

وفي يوم معركة القسطل (١٩٤٨/٤/٨) وقعت معركة طاحنة بيننــا وبين العصابات الصهيونية . وكان المرحوم عبد القادر الحسيني قد أرسل الي طلبا للنجدة في القسطل ، الا أن الذين أوفدهم الينا لهذا الغرض رجعوا اليه بعد أن رأوا معركتنا التي استمرت من التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف مساء ، وقد توقفت المعركة بعد نفاد ذخيرتنا . وعندها ركبت احدى المصفحات وتوجهت الى الرملة ومعــي عشرة مناضلين ، بهدف احضار ذخيرة ، حيث قابلت محمد نمر المصري (عضو اللجنة القومية في الرملة) وأخذت منه ورقة الى فندق بانوراما برام الله ، وهناك التقيت بسيدة ــ اعتقد انها زوجة المرحوم عبد القادر الحسيني ــ واخبرتني أنها أحضرت ١٥ صندوق ذخيرة من الجيش الاردني وأرسلتها بكاملها الى عبد القادر في القسطل . وعدت بدون ذخيرة الى المعسكر . ويبدو ان الصهيونيين كانوا يهدفون ــ من وراء جرنا الى هذه المعركة ــ الى الحيلولة دون نجدة اخواننا في معركة القسطل .

وفيما بعد نجحت في الحصول على صندوقي ذخيرة من القرى المجاورة ، ودفعت مائة

وعشرين جنيها للصندوق الواحد . وقد عجزت فيما بعد عن الحصول على ذخيرة ، مما دفعنا الى الانسحاب من المعسكر لعدم تمكننا من الدفاع عنه بذخيرتنا القليلة . وعدت الى بلدي بالمقاتلين الذين بقوا معي ، في حين عاد بقية المقاتلين كل الى قريته .

وعندما أخذ الصهيونيون في احتلال القرى العربية المجاورة لنا ، هاجر معظم هؤلاء الى قريتنا ، حتى أصبح سكانها حوالي ٥٠،٠٠٠ نسمة ، وكان سكانهـــا الاصليون نحو ٨،٠٠٠ فقط .

وعند دخول الجيش المصري الى فلسطين ، لم تصل قواته الى قريتنا . وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ذهبت الى غزة حيث قابلت قائدا مصريا هناك ، وسألتـــه « اذا كنتم تريدون حقا أن تحاربوا ، فرجاء احتلال تل الصافي والمسمية ، لبناء خط قتالي من تل الصافي ــ المسمية ــ أسدود » . وقد أخبرني القائد المصري أن هذا الخط هو نفس خط الجنرال اللنبي في الحرب العالمية الاولى . وكان هدفي ان يضع الجيش المصري مدفعيته في القرى الثلاث في حين يقوم مناضلونا بملء الفراغات بين هذه المواقع الثلاثة . ووعد القائد المصري بالحضور الى قريتنا بعد انتهاء الهدنة الاولى ، وان كان قد تحفظ بأنهم لن يحضروا في حالة انسحاب قوات الملك عبدالله من اللد والرملة ، لان انسحابها هذا من شأنه كشف جناح الجيش المصري في اسدود . وسألت القائد عـــن موقفي في حالـــة انسحاب قوات الملك عبدالله وعدم حضور القوات المصرية ، خاصة من قلة أسلحتنا وذخيرتنا . فرد علي القائد المصري : « اذا انسحب الملـــك عبدالله ولم نحضر نحن ، استعمل مخك » !!

وعند انتهاء الهدنة الاولى سحب الملك عبدالله قواته من اللد والرملة، وبادر الصهيونيون باحتلال تل الصافي وياسور وتل الترمس والخيمة وبشيت والقسطينة في الليلة الاولى لانتهاء الهدنة . ولم تبق الا بلدتنا . وعندما جمعت أهل البلدة وأخبرتهم أن قواتنـــا وأسلحتنا لا تكفي للدفاع عن البلدة أكثر من عشر ساعات . فأجمع الاهالي على ضرورة الرحيل ، خاصة بعد انقطاع المواد التموينية في البلدة ، من دقيق وكيروسين ... الخ . ورحلنا الى الشرق حيث وضعنا رحالنا في ارض مغلس (ضواحي الخليل) . وذهبت وقابلت حاكم بيت جبريل المصري ، وأعلنت لـــه عن استعدادي لاسترداد تل الصافي والاقامة فيها ، وقابلنا السيد بك طه وعرضنا عليه الامر فأبلغ القيـــادة التي رفضت الاقتراح . وبعدها ذهبت الى بتولا ومنها ــ في آب (اغسطس) ــ الى غزة .

فاتني أن أذكر انني فكرت انا وعبدالله أبو ستة وابراهيـــم أبو ديه ــ في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ــ بتكوين جيش متحرك في قضاء السبع ، وشاورنا في ذلك الحاج أمين الا أنه رفض الفكرة .

نشرة الثأر
قراءة في مقدمات الفكر المقاوم

عصام سخنيني

الفكر الفلسطيني المقاوم في صورته الراهنة ، أو في صيغه الراهنة ، ليس منبت الجذور ولم يولد من عدم ، بل هو في الحقيقة محصلة تتويجية لتطورات سبقته ، كانت احيانا جنينية واخرى مكتملة النضوج ، تكاثرت منذ كانت النكبة الاولى التي طرحت على العقل العربي تساؤلات عن اسباب هذه النكبة ووسائل مجابهتها ، ثم ما استتبعته هذه التساؤلات من تصورات ، مرة كانت صائبة واخرى لم يحالفها الصواب ، تحاول ان ترسي لها قواعد في الفهم وتقاليد في العمل ، ان تطويرا لقديم او استحداثا لجديد منسجم مع هول ما وقع . والفكر الفلسطيني — نعني ذلك المتجه نحو فلسطين دون شبهة من اقليمية — ما انفك منذ كانت النكبة يطرح تساؤلاته وبالتالي تصوراته . ولعل من أبرز سمات هذا الفكر — اذا استعرضنا تاريخه — انه دائم التطور نحو فهم أكثر تحديداً وعمقا للظاهرة — النكبة . فاذا كان الفهم هو انعكاس العالم في العقل ، واذا كان التعرف على جوهر الظاهرة هو بمقدار ما يتكشف من هذا الجوهر أمام العقل ، فان تطور الفهم الفلسطيني لجوهر النكبة كان يترافق مع ازدياد اكتشاف جوانبها ، في شكل تصطرع فيه المفهومات (والفرضيات) ضمن جهد وممارسة فاعلين ، متجاوزة المفهومات القديمة (بالنقيض والتركيب) ، محاولة الوصول ، وهي تصل فعلا ، الى مفهومات جديدة ، مستخلصة من المقدمات نتائج جديدة اوجدها التناقض من جانب وتراكم التجربة الممارسة من جانب اخر . وبحكم أن هذا الفكر هو نتاج تعرف تاريخي متطور و « مكتشف » ، ولانه مؤسس على قواعد من الممارسة ، ولكونه محصلة (أو تركيبا) لمفاهيم تناقضت تاريخيا ، فهو يتجه بالضرورة نحو الاحسن . وان رصد تطورات هذا الفكر في مراحله السابقة ، وهي التي قادت الى المرحلة الحالية الاحسن ، لازم لفهم معطياته الراهنة وتوقعاته القادمة ، مدركين ان ذلك التطور هو نتيجة عوامل موضوعية تتطور هي الاخرى وتنعكس في الفكر وتفعل فيه . وفي هذه المقالة اخترنا من تلك المراحل نشرة الثأر موضوعا للقراءة . وهي (النشرة) تمثل تاريخيا نوعا من الفهم للنكبة وفي الوقت ذاته كانت ترهص بميلاد فكر مقاوم احسن فهما واكثر انتظاما ، من خلال ما طرحته النشرة من مقدمات (او فرضيات) استخلص منها الفكر المقاوم (ومن غيرها بالتأكيد) عن طريقي النقض والممارسة نتائج اكثر تقدما .

وقد صدر العدد الاول من النشرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ واستمرت في الصدور اسبوعيا حتى اواسط العام ١٩٥٨ . وهي من « منشورات هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » التي كانت نواة لحركة القوميين العرب . اما الاعداد التي تسنى لنا الاطلاع عليها ومراجعتها فهي اعداد السنة الاولى من ١٩٥٢/١١/٢٠ الى ١٩٥٣/١١/٥ والسنة الثانية من ١٩٥٣/١١/١٩ الى ١٩٥٤/١١/٤ والسنة الثالثة من ١٩٥٤/١١/٢٥ الى

١٩٥٥/١١/١٧ والسنة الرابعة من ١٩٥٥/١١/٢٤ الى ١٩٥٦/١١/٢٥ والسنة السادسة من ١٩٥٧/١١/٢١ الى ١٩٥٨/٥/٨ . اما الموضوعات التي تناولتها النشرة فكثيرة بتكاثر ابعاد القضية التي تصدت لها وتشابكهـا . وهي احيانا تعالـج القضية « فكريا » فتطرح مفاهيمها ، واحيانا اخرى تلاحق تطوراتها السياسية ، على اي صعيد كان هذا التطور ، تكشف ابعاده وتحرض الجماهير ضد الاخطار التي تتعرض لهـا القضية . وهنا سنقرأ الجانب الفكري من النشرة وهو الجانب الذي يوضح فهم النشرة للموضوعات الاساسية للقضية الفلسطينية والتي سوف نجملها تحت العناوين الرئيسية التالية : ١ ــ **فهم النكبة** . ٢ ــ **تحديد العدو** . ٣ ــ **تصور الطريق والهدف** .

اولا ــ فهم النكبة : نلاحظ ، من مراجعة الاعداد التي ذكرت ، ان نشرة « الثأر » لـم تول هذا الجانب كثيرا من الاهتمام قياسا باهتمامها بالبحث عن الطريق نحو المستقبل . فالكلام عن اسباب النكبة ، على الرغم من ان النشرة فردت له في بعض اعدادها حقولا خاصة ومتتابعة ، ظل يشغل حيزا اضيق من ذاك الذي خصص للكلام عن الحل . ربما يعود ذلك الى أن شعارات المستقبـل التي رفعتها النشرة كانت تعنـي ضمنا نقيض الاسباب التي ادت الى النكبة ، وبذلك فان فهم هذه الشعارات كان يقود بالضرورة الى فهم نقائضها . كما ان الهدف التحريضي (او التعبوي) الذي كانت تسعى اليه النشرة فرض عليها ان تبشر بالحلول التي ترتئيها تبشيرا ملحا مستديمـا استوجب توسعا في الحديث وتكاثرا في التناول .

ومن خلال هذا الحيز الذي تحدث عن أسباب النكبـة ومسببات الهزيمة التي حدثت في العام ١٩٤٨ تبرز لنا الموضوعات التالية : « نحن لم تهزمنـا الصهيونية ، بل هزمتنـا الفوضى والذخيرة الفاسدة والتدجيل والخيانة »(١) . و « لقد كان السبب الرئيسي لنكبة العرب في فلسطين هو واقع الشعب العـربي ، وما هو عليه من ضعف وجبن وجهـل واستسلام ، فلولا ضعف هذا الشعب واستسلامه ، لما جرؤ ملك عـلى ان يخون ولا رئيس ان يعقد هدنة »(٢) . وان « اول اخطائنا في المعركة السابقة الجهل ، الجهل عند القائد وعند الجندي وعند المواطن البسيط على حد سواء . . . لقد خضنا المعركة وليس لدينا ادنى فكرة عما نمتلك من سلاح وذخائر . . . وكنا نجهل قوة الخصم فلم يكن لدينا دائرة منظمة للاستخبارات . . . وكنا نجهل موقف الاستعمار من قضيتنا . . . وكان فينا من يجهل علاقة اليهود بالاستعمار »(٣) . و « من افدح الاخطاء التي ارتكبت في المعركة الماضية اهمال العرب للسرية »(٤) . ولقد « دخلنـا المعركة مرتجلين . . . كنا دائمـا متهاونين . . . لم نحشد امكانياتنا »(٥) . و « من الاخطاء التي كانت سببا هاما في هزيمتنا اهمالنا التام للمحافظة على متانة جبهتنا الداخلية »(٦) . كذلك « كـان ينقصنا البرنامج الواضح السليم الذي يتبناه كل مناضل ، فخضنا المعركـة شيعا واحزابا متفرقة »(٧) و « لقد كان المفهوم الاقليمي في معالجـة قضية العـرب في فلسطين سببا من اسباب النكبة »(٨) .

يلاحظ ان هذه الاسباب التي أوردتها النشرة ، مجتزأة في أكثر من عدد ، لم يكن ينتظمها شامل تحليلي ، بل هي في الحقيقة ، كانت **مظاهر لسبب ورصدا خارجيا للظاهرة** دون التعرض ، ليس عن قصد بطبيعة الحال ، للاسباب الحقيقية الكامنة في طبيعة الظاهرة نفسها فلسطينيا وعربيا ودوليا . وقد أدى هذا الرصد الخارجـي الى « وصف » ما اعتبر اسبابا للنكبة وصفا جزئيا تناول حالات منفردة (ومتراكمة) دون معالجتهـا من خلال نظرة شمولية تربط الجزئيات بناظم واحد يمثل علة العلل او السبب الاول الذي من خلال فهمه يمكن فهم جميع العلل الناجمة عنه والتي هي لواحـق للسبب الاول . وربما نكون مغالين في طلبنا اذا توقعنا من نشرة صدرت في ذلـك الوقت المبكر من عمر الفكر الفلسطيني (المتجه نحو فلسطين) ان تعطي اكثر من رصد وصفي للنكبة في وقت

لم يكن هذا الفكر بمجمله قد امتلك بعد الادوات التحليلية التي يسبر بها غور المجتمع العربي فيستخلص من جوفه المستنقعي الاسباب الحقيقية التي ادت الى نكبة العرب الاولى . بالاضافة ، فأن كثيرا من حقائق النكبة على كل صعيد تأخر اكتشافها ، مما يجعل جهد النشرة في رصد هذه الظواهر وملاحظتها أمرا ذا قيمة مرحلية يقود بالتالي الى اكتناه اعماقها (بعد ان لوحظت من خارج) عندما يتوفر العقل التحليلي .

ثانيا ــ تحديد العدو : ان تحديد « من هو العدو » يعتبر في قمة الاهمية في الفكر المقاوم، ففي ضوء هذا التحديد يجري اختيار الادوات والاسلوب لمقاومة هذا العدو . بيد أن مسألة التعرف على العدو وتحديده مرتبطة بمسألة فهم القضية (التي يتعادى فيها طرفان او اكثر) ، وبالتالي بمسألة اسلوب هذا الفهم . ومن هنا فأن اسلوب الرصد الخارجي الذي ساد في فهم مسببات النكبة انعكس ايضا في التعرف على العدو وتحديده في نشرة « الثأر » . واذا كانت النشرة منذ اعدادها الاولى قد حددت اليهود بانهم العدو، فقد احتاجت الى أربع سنوات (في العام ١٩٥٦) لكي (تصنف الاعداء) على انهم : اليهود ، المستعمرون ، وقوف البعض من الحكام العرب في صف الاستعمار ، كثرة التيارات الفكرية والعقائدية وتضاربها ، تعدد الاحزاب الشعوبية ، الفئات المستغلة المستثمرة من اقطاعية ورأسمالية(٩) . وقد كانت هذه هي المرة الوحيدة التي تجري فيها النشرة هذا التصنيف . وينبغي هنا ان نستدرك فنوضح ان النشرة ان لم تهتم بتصنيف الاعداء فهي بممارستها الكشف عن المؤامرات التي تحاك ضد القضية الفلسطينية (او قضية العرب في فلسطين كما تسميها النشرة) تشير الى هؤلاء الاعداء (بالاضافة الى اليهود) اشارات واضحة صريحة . فهي تدعو الى معركة « نخوضها ضد اليهود **والاستعمار** » كما هي تدرك ان « وقوفنا » هو « في وجه **اليهود والمعسكر الغربي** »(١٠) . وتفضح مساعي اميركة لتسفير ٢٠٠٠ شاب نازح اليها(١١)، وتعتبر كذلك « ان الاستعمار على اختلاف اتجاهاته حليف لليهود ، وجميع مشاريعه وحلوله انما تهدف لتثبيت كيانهم في ارضنا المحتلة »(١٢) . غير ان النظرة الى الاستعمار تظل **في هذه الاحوال** جميعا ، وفي غيرها ايضا ، من خلال **العلاقة : الاستعمار ــ اليهود** . ففي تعليق للنشرة على السياسة الخارجية لبريطانية تقول « هي اليوم كما كانت في وعد بلفور ، **يهودية استعمارية ، ولا فرق عندنا بين الاستعمار واليهودية** »(١٣) .

وان تركنا الاستعمار جانبا فأن « الحفنة الحاكمة » ان لم تصنف باطلاق ضمن خانة الاعداء فهي ليست الامل المرتجى في « الثأر » ، ذلك أن « الفئة الحاكمة وهي التي اضاعت فلسطين لا تثأر ، فهي لا تشعر شعور الشعب ولا تضمر الحقد والعداء لليهود ... وانه لمن الخسارة للعرب ان يؤمل بعضهم خيرا في الفئة الحاكمة او ينتظر خيرا على يدها »(١٤) كما « ان الدول المجاورة الحالية [لاسرائيل] لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة ان تقاوم طويلا »(١٥) . وكانت النشرة قد حكمت قبل ذلك أن الدول العربية تريد الصلح مع اسرائيل و « نقطة الخلاف بين المسؤولين العرب وبين الدول الغربية لا تتناول مفاوضات الصلح او الصلح نفسه من حيث المبدأ ، اي ان الدول العربية تقر الصلح مع اسرائيل مبدئيا ، الا انها تشترط بعض الشروط بتنفيذه »(١٦) .

اما اليهود ، باعتبار انهم الاعداء المباشرون ، فقد استأثروا باهتمام النشرة الكبير . وهناك امر جدير بالملاحظة بالنسبة لفهم النشرة لليهود كاعداء هو رفض التمييز بين اليهودية والصهيونية « فهما اسمان لمسمى واحد . فاليهود سواء كانوا في فلسطين او في خارجها تكاتفوا في صف واحد كشعب له خصائصه من اجل بناء اسرائيل ... ان هدف الوكالة اليهودية والارغون والعناصر الدينية والشيوعيين اليهود هو في النهاية واحد ، انهم جميعا يريدون اسرائيل الكبرى وكلهم يعمل في نطاق المصلحة اليهودية ... اننا نؤمن بأن التمييز بين الصهيونية وبين اليهود كشعب هو خدمة لليهود ، لان في هذا

التمييز ما يساعد اليهود ، وخصوصا اليهود القاطنين في الوطن العربي ، على تحقيق اهدافهم العدوانية . ان عداءنا هو لليهود **كشعب** لا فرق بين يميني او يساري »(١٧). ان في هذه الفقرة التي اقتسبنا عدة امور لافتة للنظر : فهي بالاضافة الى اصرارها على عدم التمييز بين اليهودية والصهيونية تعتبر ان هذا التمييز « خدمة لليهود » كما انهـا ترى اليهود اينما كانوا شعبا واحدا ، (يلاحظ ان تشديد كلمـة (شعب) الواردة في النص اعلاه جاء كذلك في النشرة) ، والنشرة كذلك ، في هذه الفقرة وغيرها ، لا تقيم وزنا للخلافات العقائدية بين الفرق اليهودية (يسارية ام يمينية) فالعـداء لها واحد . وهذه الامور جميعا في تقديرنا مبررة ومفهومة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان العرب ، وهم المخاطبون في النشرة ، كانت جراحهم العميقة التي سببتها نكبة العام ١٩٤٨ لا تـزال تنزف على أيدي الفرق الاسرائيلية تلك اليمينية والاخرى « اليسارية » ، فمن الطبيعي ان يتوجه العداء للخصم كجسم واحد ان اختلف في جزئياته فهو في العين العربية المدماة يبدو واحدا (وهو بالفعل واحد) . كما ان الصهيونية وهي التي أستأثرت باهتمام العالم وهي التي كانت مخاطبة في العالـم ، كانت قد طغت على كـل صوت يهودي معارض وطمسته فلم يرتفع مثـل هذا الصوت ليشير ــ ولو اشارة فيهـا الاعلام عن وجوده وخاصة لدى المتلقي العربي ــ الى اي نافذة يمرق منها التمييز بين اليهودية والصهيونية او يجعل هذا التمييز واضحا ومقبولاً في وقت كان الفكر الوصفي طاغيا ما يزال على العقل العربي .

ربما كانت هذه النظرة الى اليهودية والصهيونية ناتجة ــ بالاضافة الى ما ذكر ــ عن فهم النشرة لليهود . فهي تعتبرهم شعبا واحدا له خصائصه وصفاته المميزة ليس للتاريخ والمكان دخل في تغيير هذه الصفات ، فهم « لا يشعرون بولاء لغير يهوديتهم بغض النظر عن البلد الذي يعيشون فيه ... واليهودي يظل يهوديا أكان رأسماليا او كان اشتراكيا او كان ماركسيا متطرفا »(١٨). وهذه النظرة الى « الطبيعة الثابتة » لليهـود التي لا تزول ولا تحول كانت سائدة في الفترة التي عنها نكتب . وقد ادى هذا النمط من الفهم الى وضع الصراع العربي ــ الاسرائيلي ضمن اطـار « تاريخي » فتكتب النشرة ان « هذه المعركة الناشبة بيننا وبين اليهود معركة قديمة يعود تاريخها الى قرون بعيدة في اغوار الزمن ، فهي ليست وليدة العصر الحديث ولا من نتاج الحركة الصهيونية ، بل انها تاريخية ، في قدمها ومظاهرها ، اثارها اليهـود ولا يزالون بقصد الاستيلاء على ارضنا في فلسطين وخارجها ... ولقد تبلور عزمهم وظهر سافرا في القرن الماضي بقيام الحركة الصهيونية التي اعلنت بوقاحة وصفاقة انها تريد فلسطين وما وراءها »(١٩). هل هي اللاسامية ؟ نستطيع بكل اطمئنان أن ننفي ذلك . فهذا الحقد الذي « تأصل تاريخيا » مسوغ أمام شراسة الهجمة التي قام بها العدو ، وهي شراسة تحتاج الى تعبئة مضادة تتوسل كل شيء وأي شيء ــ بما في ذلك التاريخ ــ لملاقاتها وصدها ، في وقت لم يكن هناك من وسيلة لمقاومة الاستسلام التام والنهائي سوى الدفع المعنـوي والتحريض الجماهيري . والتاريخ يظل سلاحا من هذه الاسلحة المعنوية التي تفعل في الجماهير وتؤثر . فازاء كثير من محاولات التسوية التي كانت تستهدف انهاء القضية « سياسيا » والتي كانت النشرة تتصدى لها بعنف(٢٠) كانت النشرة لا تجد من وسيلة أمامها سوى التأكيد على ان هذه المرحلة الراهنة من الصراع لا تنفصل عن « العداوة التاريخية » ، وانه حتى في حال اقدام الدول العربية على توقيع صلح مع العدو ينهـي هذا الصراع الراهن فان القضية لا تحل ذلك « ان عداءنا لليهود أمر تقرره متطلبات الدفاع عن **الكيان القومي** »(٢١) وهي تستنجد بالتاريخ لترسيخ مقولاتها تلك . وتجدر الاشارة هنا الى أن النشرة أدركت منذ وقت مبكر الخطر الذي تمثله اسرائيل ليس على فلسطين وشعبها فحسب ، وانما على الامة العربية أيضا « فان المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك ان أهدافها لا تقتصر على اسرائيل الحالية ، فهي أضيق من أن

تسكن يهود العالم ... ان اسرائيل ستلجأ حتما الى التوسع من تلقاء ذاتها حتى ولو اننا تناسينا فلسطين »(٢٢). وفي العدد نفسه كتبت « اسرائيل اذا ما فتحت في وجهها أسواق الوطن العربي فانها بمساعدة الرساميل الاميركية ستقضي حتما على الصناعة العربية الناشئة » .

ثالثا ــ تصور الحل (الطريق والهدف) : شغل هذا الموضوع حيزا واسعا من اهتمام النشرة حتى لم يخل عدد من اعدادها من حديث عنه . فكيف نظرت النشرة الى الحل ؟ في البداية نقرر أن الهدف الظاهر من اصدار النشرة هو « مقاومة الصلح مع اسرائيل »، وهي في أعدادها الاولى تعتبر هذا الهدف هدفا مرحليا فـ « يجب أن تتركز جهود العرب في هذه الفترة ضد ابرام الصلح مع اسرائيل ، لان في هذا التركيز ضمانة لمنعه »(٢٣). كما تؤكد ان « الخيانة بعينها أن ينادي عربي بالصلح مع اسرائيل باسم الاخوة وحسن الجوار »(٢٤). وهي في سبيل ذلك تقوم بفضح جميع التحركات الدوليــة والعربية ، والفلسطينية كذلك ، والتي يشتم منها أية رائحة تفوح بالصلح . غير ان النشرة ومع هذا النضال المشرف الذي كانت تخوضه لتحقيق ذلك الهدف ، كانت في الوقت نفسه ترسي تصورات لما ينبغي أن يكون عليه الحل النهائي للقضيــة العربية في فلسطــين والوسائل التي يجب توسلها وصولا الى ذلك الحل . وقبل الحديث عن هذه التصورات سنورد فيما يلي ــ كمقدمة لها ــ الامور التي رفضتها النشرة وناضلت في سبيل رفضها معبئة الجماهير ضدها وهي أمور كانت تطرح آنذاك بالاضافة الى الصلح : ١ ــ **العودة الجزئية** : « أن يعود جزء من النازحين الى ديارهم لا يعني العودة ، وأن تتراجع اسرائيل بضعة أميال الى الوراء لا يعني العودة ، أن يعود أصحاب الاملاك العرب الى فلسطين لا يعني العودة »(٢٥). كما تكتب النشرة : « اننا لا ندعو الى عودة النازحين تحت حكم اليهود ... ولا ندعو الى عودة العرب ليعيشوا في ظل حكومة مشتركة مع اليهود »(٢٦). ٢ ــ **التعويض** : « لن نسلم بفكرة التعويض عن فلسطين اطلاقا لان القبول بالتعويض هو تنازل طوعي عن حق الامة العربية في هذا الجزء المغتصب من وطنها ... علينا ان نقاوم فكرة التعويض عن فلسطين لانها دسيسة يهوديــة »(٢٧). ٣ ــ **المفاوضــات والتسويات** : « اننا نكفر بانصاف الحلول والتسويــات ولا نرى جدوى مطلقا في أي مفاوضات أو مباحثات تهدف الى حل قضية العرب في فلسطين »(٢٨). ٤ ــ **الاسكان** : « اننا نقاوم مشاريع الاسكان لانها مشاريع يهودية أستعمارية ، وضعت لغاية معلومة هي طمس قضية العرب في فلسطين وعقد الصلح »(٢٩).

هذا الرفض المقاوم ، والذي كان فاعلا ومؤثرا في الحقيقة ، كان ينبع من تطلعات النشرة الى ما يجب أن يكون عليه الحــل والذي تختصره النشرة وتحدده بكلمة واحدة هــي « الثأر » . وهي توضح في كثير من أعدادها مفهومها لهذا الشعار « حين ننادي برفع شعار الثأر ... انما نقصد المطالبة باسترداد فلسطين خالصة للعرب وطرد الغزو اليهودي من على الثرى العربي »(٣٠)، ثم هي تفصل هذا المعنى فتكتب « نعني بالثأر الجماعي او القومي أن تبادر الامة للدفاع عن حقوقها واسترجاع ممتلكاتها المغتصبة والذود عن شخصيتها وكرامتها والاقتصاص ممن يحاول طعنها في شرفها ووجدانها . اذا فالثأر له مدلول هجومي في نطاق الدفاع فحسب ، وهذا ما يميزه عن مفهوم الانتقام الذي ينتبذه كل فرد انساني خير »(٣١). هذا الشعار ، شعار الثأر ، الذي ترفعه النشرة كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بموضوعة عالجتها النشرة في جميــع أعدادها تقريبا هــي **الموضوعة القومية** فهي منطلقها الاساسي في النضال من أجل الثأر ، وعنها تصدر جميع مفهوماتها المتعلقة بالقضية التي تعالج . وفي المقابل اعتبرت « المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سببا من أسباب النكبة » كما رفضت اثارة « موضوع فلسطين بشكل **اقليمي قذر** يبعد بين عرب فلسطين والجماهير العربية الاخرى »(٣٢). والنشرة في

رفضها المفهوم الاقليمي لقضية فلسطين انما انطلقت من فهم واضح لعلاقة فلسطين بالعرب ومن ثم علاقة العرب باسترداد فلسطين ، فـ « فلسطين للعرب ... وواجب استردادها واقع على جميع العرب أينما كانوا وحيثما حلوا »(٢٣). وهذا الايمان العميق بعروبة القضية وقوميتها جعل النشرة تمتنع عن وصف القضية بالفلسطينية ، فالتعبير السائد لديها كان منذ البداية حتى النهاية **قضية العرب في فلسطين** ، وهو أمر جدير بالانتباه خاصة اذا وضعنا في الحساب أن معظم محرري النشرة كانوا فلسطينيين. وكان لا بد للموضوعة القومية أن تنعكس بالتالي على التصور الذي طرحته النشرة ازاء أمرين : الوحدة العربية ودورها في استرداد فلسطين ، والفلسطينيون ومهماتهم في العمل .

الوحدة العربية : ان الدعوة الى الوحدة العربية كانت السمة المميزة للنشرة فهي ضرورية في نظرها ـ بجانب انها هدف بحد ذاته ـ باعتبارها طريق الخلاص « فالمهم أن توجد بجوار اليهود **دولة قوية** ، والدول المجاورة الحالية لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة أن تقاوم »(٢٤). وقد وجهت النشرة جل اهتمامها ـ في الدعوة الى الوحدة ـ الى الدول المحيطة باسرائيل ، أو حسب التعبير المستحدث ، الى دول المواجهة ، ذلك انه « ما لم توجد الدولة الموحدة التي تضم العراق والاردن وسوريا (كخطوة اولى) فان وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمرا شبه مستحيل »(٢٥). ومع هذا الحماس للوحدة واعتبارها طريق الخلاص كانت النشرة في دعوتها تلك تضع الدول العربية في سلة واحدة دون النظر الى طبيعة انظمتها السياسية وتركيبها الاجتماعي وارتباطها (أو عدم ارتباطها) بالارادات الغربية عن المنطقة . فقد وجدت النشرة ـ في تعليق لها على تكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قرى الحدود الاردنية ـ ان العلاج الصحيح لهذه المشكلة هو انقاذ الاردن من براثن الانجليز « وهذا لا يتم الا بضم الاردن الى سوريا او العراق ... وقد يقال بأن العراق مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة وأن لا فائدة من انضمام الاردن اليه فكلاهما مرتبط بالانكليز . أما الجواب على هذا القول فهو أن العراق بلد غني بموارده ومستقل تمام الاستقلال عن بريطانيا ماليا . ثم ان العراق لم يسلس القياد يوما لبريطانيا ... [و] الاستعمار البريطاني ليس مستقرا في العراق »(٢٦). هذا المنطق الساذج في النظر الى الوحدة قد يكون مبررا اذا أدركنا ان النشرة تؤمن بأن « الوحدة والتحرر من الاستعمار معركة واحدة »(٢٧). فالنضال من أجل الوحدة يسير اذا جنبا الى جنب مع النضال من أجل التحرر من الاستعمار . والنشرة تدرك تماما ان الحكومات العربية غير قادرة على خوض معركة الثأر التي بابها الاول هو الوحدة لذلك « فنقطة الانطلاق في رسم معالم طريق النضال العملي لتحقيق الوحدة ، هي أن سلاحنا الرئيسي في المعركة يكمن في قوة الشعب وينبعث من ارادة الجماهير »(٢٨). ومع هذا الايمان الكامل بدور الشعب في صنع الوحدة (على الرغم من ان موضوعة الشعب غير موضحة بتحديد في فكر النشرة) ، ومع ان النشرة تعتبر « ان الفئة الحاكمة هي التي أضاعت فلسطين ... ولا تشعر شعور الشعب »(٢٩)، مع هذا كله فهي تتوجه الى « الساسة العرب وتخص منهم حكام سوريا ومصر ـ اذا كانوا جادين فعلا في رفض الاحلاف ومقاومتها ـ أن يسرعوا الى تحقيق اتحاد سياسي واقتصادي وعسكري يكفل لهم القوة التي تدعم موقفهم ... ويكون مثل هذا الاتحاد خطوة نحو الوحدة العربية الشاملة التي تضمن القضاء على دولة اليهود »(٤٠). ولكن مع هذا التوجه الى الساسة العرب تظل الدعوة قائمة وملحة الى تغيير الاوضاع في العالم العربي ، فحشد الامكانات العربية يتطلب أن يدخل الشعب العربي نفسه « عاملا فعالا في الميدان ... فيرغم الحكومات على تنفيذ ما يريد أو يحل محلها قادة قادرين على حشد امكانياته وقواه »(٤١). ويلاحظ ان صعود هؤلاء « القادة القادرين » الى قمة المسؤولية في الوطن العربي كان خطا استمرت الدعوة اليه في مسار النشرة جميعا . فلكي « تستقيم دفة السياسة العربية »

يتحتم « ان يرفع الشعب ... قادة الثأر الى دفة القيادة »(٤٢)، كما « ان الضمانة الوحيدة للنصر في هذا الصراع التاريخي العنيف هي أن تستقر دفة الحكم في يد الفئة المخلصة المؤمنة بحق هذه الامة في التحرر والحياة . ان الضمانة الوحيدة للنصر هي أن يرفع قادة الثأر الى مراكز القيادة »(٤٣). باجمال ، فان النظرة القومية للقضية العربية في فلسطين هي التي كانت سائدة في فهم النشرة ، والايمان بالشعب العربي وامكاناته كان ايمانا غير محدود ، فـ « انقاذ فلسطين واستعادة أرضنا المغتصبة لن يتم الا على يد الشعب العربي »(٤٤)، ومطلوب من هذا الشعب كي يصل الى مبتغاه « أن يهدم هذه الحدود المصطنعة وأن يضرب هذه النغمات الاقليمية ضربة واحدة قاضية ، فيربط بين كل مشكلة مهما صغرت ، وفي أي بلد عربي حدثت بمجموع القضية العربية... والنتيجة الحتمية ... هي حشد رائع جبار لموارد الامة وامكانياتها ... [فـ] قضية العرب في فلسطين جزء من قضية العرب الواحدة ، ولا حل لقضية العرب في فلسطين اذا لم توجد القوة الشعبية العربية الواعية »(٤٥).

الفلسطينيون : بعد كل الذي سبق عن الفهم القومي لقضية فلسطين يبدو واضحا اننا لن نجد أثرا « للفلسطينية » في فكر النشرة . فالفلسطينية ان لم تفهم على أنها هوية نضالية وليس أطروحة اقليمية هي نقيض الفكر القومي الذي بشرت به « الثأر » ودعت الى ترسيخه حلا للقضية . غير انه مع مقاربة السنة الثالثة من عمر النشرة على الانتهاء بدأ التفاتها الى البحث عن دور « للنازحين العرب » كما بدأ ادراك أهمية هؤلاء « النازحين » في المعركة . فـ « النازحون العرب تحت خيامهم البالية في مخيمات الشقاء يستطيعون — اذا أرادوا — أن يصبحوا قوة فعالة في تقرير مصيرهم ومصير الوطن الذي سلبه اليهود ... أن حوالي مليون نازح عربي، عندما يقودهم شباب مخلص قادر، يستطيعون أن يصبحوا قوة تفرض ارادتها وتساهم في رسم مستقبل شعبنا »(٤٦). والامر الملاحظ ان النشرة لم تستعمل قط تعبير الفلسطينيين ولا تعبير الشعب الفلسطيني ، وانما كان التعبير السائد في الاعداد التي راجعنا هو « النازحون » او « النازحون العرب » او « عرب فلسطين » . أما نظرة النشرة الى « النازحين » فهي كما يلي : ان من **حق** النازحين أن يساهموا في رسم مستقبلهم غير ان حل مشكلة النازحين لا يقوم على عاتق النازحين وحدهم وان نضالهم ليس منفصلا عن نضال المجموعة العربية(٤٧). وفي المقابل فانه **يجب** على النازحين أن يساهموا في حل مشاكلهم ومشاكل الامة العربية ، كما يجب أن يساهموا في رسم المستقبل العربي(٤٨). غير ان للنازحين دورا متميزا فهم « الطليعة التي ستقود الامة العربية نحو ميدان المعركة »(٤٩).

ولانجاز هذا الدور شددت النشرة على قضية تنظيم « النازحين » ذلك انه « من العسير عليهم الدخول في المعركة والخروج منها منتصرين فعلا ما لم ينخرطوا في تنظيم جماعي منسق يرسم لهم طريق العمل الجدي المثمر »(٥٠). والدعوة الى هذا التنظيم اتخذت لها أكثر من صيغة . فقد دعت النشرة الى ايجاد هيئة تمثل « النازحين » وتنطق باسمهم وتسعى لتحقيق أهدافهم « هيئة يستطيعون عن طريقها أن يساهموا في ابداء رأيهم وتدبير شؤونهم وتقرير أمورهم ... ومن واجب النازحين ان يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون »(٥١). كما دعت النشرة ، في صدد التنظيم ، الى تشكيل مكاتب عمال في مخيمات « النازحين » وهي رأت « أن مكاتب العمال هي محاولة تعمل على دفع ارادة النازحين الى حيز العمل وتخرجها للواقع ... ان مكاتب العمال هي الاداة الفعالة لتوحيد نضال النازحين من اجل العودة واعدادهم للمعركة »(٥٢). وبالاضافة الى مكاتب العمال دعت النشرة الى ايجاد **التنظيم الثوري** الذي يضع النازحين في الطليعة(٥٣). غير ان أيا من هذه الصيغ لم يتبلور في النشرة صعدا في خط واحد ومعمق ولم يتخذ له شكلا مفصلا مرسوم الملامح معروف الأبعاد .

بهذه المنطلقات والابعاد حددت النشرة الطريق نحو الحل الذي رأته في « العودة بالقوة » فكتبت « لن ينقذ فلسطين الا القوة ولن يعيد النازحين الى ديارهم الا القتال »(٥٤). أما العودة فمعناها « عودة السيادة العربية على أرض فلسطين ، سلطة مطلقة مسيطرة . العودة هي أن تعود فلسطين الـــى العرب ، لا أن يعـــود العرب الى حكم اليهـــود الاعداء »(٥٥). أما مصير اليهود في فلسطين فالنشرة حاسمة في موقفها فهي توضح منذ أعدادها الاولى « اننا لا نحمل وزر تشريد اليهود في العالم ولا يترتب علينا اذن واجب حل مشاكلهم »(٥٦) وهي تؤكد انهم « في معركة الثار سيستسلمون ويطلبون الصلح ولكنهم سيرحلون أو يبادون »(٥٧). لقد كان الوقت مبكرا بعد للدعوة الى الدولة الديموقراطية في فلسطين التي يتعايش فيها الجميع دون نظر الى دين أو جنس ، وفي ظـــل الوهن والضياع ، اللذين كانا سائدين آنذاك ، والتآمر كذلك ، وفي غياب العمل الجاد الهادف الى استخلاص الحق ، كانت كل دعوة فيها شبهة من تنازل عـــن الحق العربي ، كامل الحق ، سوف توصم بالخيانة .

وبعد ، فمهما اختلفت المقاييس والمنطلقات الراهنة للفكر المقاوم ، فان النشرة تظل جزءا من تراث هذا الفكر ، قيمتها — بالاضافة الى نضالها — في فرضياتها التي طرحتها ، والتي كان على الفكر المتجه نحو فلسطين ان يتفحصها بالممارسة وتركيب النقائض ، كي يتجاوزها ، في ضوء المعطيات المستجدة دائما ، نحو فهم للقضية أفضل .

---

١ — عدد ١٩٥٢/١١/٢٠ .
٢ — ١٩٥٣/٣/٢٦ .
٣ — ١٩٥٣/١٢/١٩ .
٤ — ١٩٥٤/١/١٤ .
٥ — ١٩٥٤/١/٢٨ .
٦ — ١٩٥٤/٢/١١ .
٧ — ١٩٥٤/١٢/٢٥ .
٨ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٩ — ١٩٥٦/٢/٢٣ .
١٠ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١١ — ١٩٥٥/٣/١٧ .
١٢ — ١٩٥٦/٥/١٠ .
١٣ — ١٩٥٣/٥/٢١ .
١٤ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
١٥ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١٦ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
١٧ — ١٩٥٣/١/٢٩ .
١٨ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
١٩ — ١٩٥٣/١١/٥ .
٢٠ — نشير الى عدد ١٩٥٢/١٢/١٨ حول قرار اللجنة السياسية الخاصة التابعة للامم المتحدة الذي يدعو العرب واليهود الى الدخـــول في مفاوضات مباشرة للصلح ، والى عدد ١٢/٢/ ١٩٥٤ الذي تحدث عن مؤامرة لتحقيق الصلح بين العرب واسرائيل وعن وجود مفاوضات في لندن بين مندوبين عرب وممثلين لاسرائيل وقد قام اشخاص فلسطينيون سمتهم النشرة بجمع تواقيع تتضمن المطالبة بانهـــاء الحرب مع اسرائيـــل ومصالحتها ، والى عدد ١٩٥٣/٧/١٦ الذي حمل على مشاريع الاسكان والى عدد ٢٣/٤/ ١٩٥٣ الذي بين الاخطار الكامنة في فكرة التعويض.
٢١ — ١٩٥٣/٣/١٢ .
٢٢ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
٢٣ — ١٩٥٣/٢/١ .
٢٤ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
٢٥ — ١٩٥٧/١١/٢١ .
٢٦ — ١٩٥٣/٦/١٨ .
٢٧ — ١٩٥٣/٤/٢٣ .
٢٨ — ١٩٥٣/٤/٩ .
٢٩ — ١٩٥٣/٧/١٦ .
٣٠ — ١٩٥٨/٣/٦ .
٣١ — ١٩٥٨/٣/١٣ .
٣٢ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٣٣ — ١٩٥٧/١١/١٢ .
٣٤ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
٣٥ — المصدر نفسه .
٣٦ — ١٩٥٣/٦/٤ .
٣٧ — ١٩٥٤/٧/١ .
٣٨ — ١٩٥٦/٣/١ .
٣٩ — ١٩٥٣/٥/١٠ .
٤٠ — ١٩٥٥/٣/٣ .
٤١ — ١٩٥٥/٥/١٠ .

٤٢ ـ ١٩٥٣/٧/١٦ .
٤٣ ـ ١٩٥٣/١١/٥ .
٤٤ ـ ١٩٥٣/٥/١٥ .
٤٥ ـ المصدر نفسه .
٤٦ ـ ١٩٥٥/٧/٢٨ .
٤٧ ـ ١٩٥٥/٨/١٨ .
٤٨ ـ المصدر نفسه .
٤٩ ـ ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٠ ـ ١٩٥٦/٨/٢ .
٥١ ـ ١٩٥٥/٨/١٨ .
٥٢ ـ ١٩٥٦/٨/٢ .
٥٣ ـ ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٤ ـ ١٩٥٣/٤/٩ .
٥٥ ـ ١٩٥٧/١١/٢١ .
٥٦ ـ ١٩٥٣/١٢/٤ .
٥٧ ـ ١٩٥٣/١/٢٩ .

وزارة الخارجية الاميركية وسياستها الفلسطينية

مايكل أ. جانسن

لقد اخطأت الحكومات والشعوب العربية باستمرار في قراءة افكار الولايات المتحدة ومعرفة نواياها حول المسألة الفلسطينية . ولقد مضى اكثر من خمسين سنة على التزام الولايات المتحدة « بدولة يهودية في فلسطين » ، وخمس وعشرين سنة على تورطها مع اسرائيل ، ومع ذلك ما زال بعض العرب يأملون في ان تغير اميركا موقفها وارتباطها هذا . وللان لم يحدث ما يبرر للعرب آمالهم . وفي الواقع على العرب ان يسألوا انفسهم لماذا هذا التمني ولماذا هذا الايمان الراسخ بان اميركا ستغير موقفها . أحد العوامل الرئيسية — على مستوى المؤسسات الحكومية والاشخاص في الحكم — لسوء تفسير العرب لسياسة الولايات المتحدة يمكن تسميته بـ خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ويمكن تفسير هذه الخرافة كالتالي : ان النفوذ الصهيوني الكبير في الولايات المتحدة يضطر رئيس الجمهورية اتباع سياسة مؤيدة لاسرائيل ، فاذا استطعنا ازالة قبضة هذا النفوذ عن الرئيس ، يصبح بامكان وزارة الخارجية الطيبة ان تحدث التغييرات التي يطلبها العرب في السياسة الخارجية لاميركا .

وقد ابتكر العرب خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » هذه نتيجة للسياسة المعادية للعرب والمؤيدة للصهيونية التي يتبناها « البيت الابيض الشرير » . اما الذين خلقوا وما زالوا يؤمنون بهذه الخرافة فهم بعض العرب الذين يرفضون التخلي عن اميركا والذين يحثون باستمرار وتفاؤل عن اصدقاء في واشنطن . ولكن هذه الآمال واهية وخادعة لان وزارة الخارجية منذ ١٩٤٧ لم تدافع ككل عن المصالح العربية في فلسطين ، كما ان المجموعة المؤيدة — للعرب في الوزارة قد هزمت في كل مرحلة من مراحل تكوين سياسة الولايات المتحدة . وان الوثائق التي أفرجت الحكومة الاميركية عنها حديثا وقد صدرت بعنوان « العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، ١٩٤٧ » (عن مكتب الحكومة الاميركية ، للطباعة ، ١٩٧١) تظهر كيف هزم اصدقاء العرب وكيف تابعوا خدماتهم للوزارة باخلاص ولعبوا دورهم في صنع سياسة كانوا يعارضونها بشدة .

قبل ان نصف ما حدث قبل ربع قرن ، عام ١٩٤٧ ، علينا ان نتفحص باقتضاب دور وزارة الخارجية الاميركية في عملية رسم السياسة الخارجية . علينا اولا ان نسأل هل بامكان وزارة الخارجية احداث تغيير اساسي في السياسة الاميركية ؟ الجواب هو كلا . فان الرئيس ، وليس وزارة الخارجية ، هو المسؤول عن رسم السياسة الخارجية . اما مسؤولية الوزارة فتنحصر في اجراء الدراسات ، وكتابة التوصيات ، وتطبيق قرارات الرئيس جزئيا على الاقل . اذن « فالخرافة » تتضمن اعتقادا خاطئا بوجود وزارة خارجية عليا ومسؤولة .

الوجه الاخر الخاطىء « للخرافة » هو اعتبار وزارة الخارجية كلا واحدا بدلا من تجمع مناصب واقسام مختلفة وغالبا ما تكون متصارعة مع بعضها بعضا . ان الايمان العربي « بوزارة طيبة » يقوم على اساس معرفة العرب « بالخبراء » في قسم الشرق الادنى

ومكتب شؤون الشرق الادنى والشؤون الافريقية ، وعلى اساس معرفتهم بموظفي وزارة الخارجية في السفارات العربية . وقد وقف العديد من هؤلاء الاشخاص الى جانب العرب حول المسألة الفلسطينية واعربوا لاصدقائهم العرب عن معارضتهم للسياسة الاميركية في هذه المسألة . ولكن هؤلاء الاشخاص يشكلون اقلية صغيرة من موظفي وزارة الخارجية . ويجب الا ننسى ان للوزارة رئيسا سياسيا يعين تعيينا ، وزير الخارجية ، وانه يخضع مباشرة لرئيس الجمهورية . فليس هناك اية سياسة مستقلة لوزارة الخارجية حول أي موضوع ، فالوزير وموظفوه يقومون بتفسير السياسات التي يرسمها رئيس الجمهورية وبتطبيقها ، سواء احبوا تلك السياسات او لم يحبوها .

ففي عام ١٩٤٧ قامت الدوائر العليا في وزارة الخارجية ــ وزير الخارجية ومساعده ، ومكتب الشؤون السياسية الخاصة والمكتب المسؤول عن ادارة المناطق التي احتلتها اميركا في المانيا والنمسا ــ بفرض سياسة رئيس الجمهورية على بقية اقسام الوزارة . وكانت السياسة التي فرضوها هي سياسة تقسيم فلسطين . وبذلك قامت المعارضة داخل الوزارة بالمشاركة على مضض ــ نتيجة لهزيمتها وعزلها ــ في حملة عشرة اشهر لفرض السياسة الاميركية حول فلسطين على الامم المتحدة . وقد كتب الكثير حول اللحظات الاخيرة لهذه الحملة ، وحول الضغوطات والتهديدات التي استعملت لجمع ثلثي الاصوات الذي يتطلبه تبني الجمعية العامة لقرار التقسيم ، ولكن لم يجر الكشف عن تلك الحملة بكاملها الا حين اطلقت هذه الوثائق مؤخرا .

لقد التزمت الولايات المتحدة بالتقسيم في ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ عندما اعلن الرئيس هاري س. ترومان ، خلافا لتوصية ونصيحة « خبراء » وزارة الخارجية ، تأييده لخطة التقسيم التي وضعتها الوكالة اليهودية في اب (اغسطس) ١٩٤٦ . وقد اوصت هذه الخطة بحدود يهودية مماثلة لخطوط هدنة ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ التي اقامها الجيش الاسرائيلي ، دون المطالبة بمثلث الوسط والقدس . ولم يكن الصهاينة ، قبل وضع هذه الخطة ، قد حددوا الارض التي سيقبلون بها . (كانوا بالطبع يريدون دولة يهودية في فلسطين كلها ، ولكنهم قبلوا باقل من ذلك مؤقتا ، حينئذ) . وقد جاء اعلان آب ليقلب السياسة الاميركية حول فلسطين رأسا على عقب : فقد ايد الرئيس ترومان الجهود الرامية الى التسوية بين الطرفين في فلسطين . وبناء على هذا الهدف تم اعطاء التعليمات للممثلين الاميركيين في لجنة التحقيق الانجلو ــ اميركية عام ١٩٤٦ لكي يوصوا بدولة موحدة في فلسطين تضم مقاطعات عربية ويهودية . وقد اعطيت الصلاحية للسيد هنري غرادي ، المبعوث الاميركي ، لكي يرسم خريطة الدولة المقترحة . وقد ادى خطاب الرئيس في ٤ تشرين الاول ، والذي جاء نتيجة لضغوط صهيونية ومتطلبات سياسية شخصية ، الى عكس سياسة التوفيق الاميركية ووضع الولايات المتحدة في مجرى لا يمكن معه الا ان تصطدم بالعرب في النهاية .

وكانت هناك اسباب اخرى دفعت الولايات المتحدة الى تفضيل حل التقسيم للمعضلة الفلسطينية : اولا ، كان هناك التزام من جانب اميركا للصهيونيين عام ١٩١٩ «بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تبرز الدولة اليهودية الى حيز الوجود » . (كما جاء في مذكرة اعدها عام ١٩١٩ مستشارو الرئيس ودروو ولسون لتقدم الى مؤتمر باريس للسلام) . ورغم ان عام ١٩٤٦ كان بعيدا عن وجود دولة يهودية ، الا ان الصهاينة كانوا متشوقين للحصول على اية دولة . وهكذا عرضوا تقسيم فلسطين على اساس ان التملك الفوري لنصف فلسطين كان افضل من الانتظار لتملكها كلها فيما بعد .

من المؤكد ان قرار الرئيس ترومان بتأييد خطة الوكالة اليهودية كان نفعية سياسية ، الا ان التقسيم المبكر لفلسطين وانشاء دولة يهودية هناك كان له جانب نفعي اكثر اهمية لان الدولة اليهودية كانت ستشكل مركزا ملائما لتجميع اليهود اللاجئين من اوروبا ،

وخاصة الذين كانوا يعيشون في المناطق التي كانت القوات الاميركية تحتلها والذين كانوا سببا للاحتكاك الدائم بين حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا . وكان ترومان قد طلب عام ١٩٤٥ السماح لمئة الف لاجيء يهودي بدخول فلسطين . وقد رفضت بريطانيا بحث هذا الطلب ، خوفا من نتائج دخول ذلك العدد الكبير من اليهود الى فلسطين ، رغم ان الرئيس ترومان كرره في مناسبات عديدة . وكانت حسابات الرئيس ترومان تشير الى ان دولة يهودية يمكن ان تستوعب المئة الف لاجيء واكثر بكثير . وقد استمر الصهاينة في الضغط على ترومان من اجل اولئك المئة الف يهودي لان هذا العدد من المهاجرين سيعطي الصهاينة **الامر الواقع** الديموغرافي الذي كانوا ينشدونه في فلسطين .

واخيرا ، كان انصار التقسيم ، العمليون لكن السذج ، يرون في التقسيم أفضل حل **آني** للمشكلة الفلسطينية المزعجة والتي كانوا عازمين على انهائها في دورة ١٩٤٧ للجمعية العامة للامم المتحدة .

وقد سعى صانعوا السياسة الاميركية الى تمرير قرار التقسيم عبر الامم المتحدة لانهم كانوا يرغبون في تفادي نتائج سياستهم هذه . وكان خوف اميركا الرئيسي ان يقوم العرب بطرد القوات البريطانية من مواقعها الاستراتيجية في العالم العربي . وكان الاميركيون يشعرون ان ذلك سيعني نهاية الهيمنة الغربية في المنطقة وبداية النفوذ السوفياتي . أما مصالح اميركا الاخرى ـــ النفط ، التجارة والمعاهد التعليمية ـــ فقد كانت ذات اهمية ثانوية .

وقد تم تخطيط وتنفيذ الجزء الاكبر من الحملة الاميركية من اجل التقسيم من قبل وزارة الخارجية . وكان يتزعم هذه الحملة الجنرال جورج س. مارشال (الذي اصبح وزيرا للخارجية في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٧) الذي كان يتمتع باحترام كبير ولا يسمح لارائه الشخصية بالتدخل في عمله . وقد فسر دوره على انه ضابط مسؤول عن تصميم استراتيجية الشؤون الخارجية بحيث تحقق الاهداف التي حددها رئيسه الاعلى ، اي رئيس الجمهورية . وقد طلب مارشال ، في أول اجتماع عقده مع كبار موظفي وزارة الخارجية ، من دين اتشسون الذي كان يشغل منصب مساعد وزير الخارجية ان يستمر في عمله وان يعتبر نفسه كبير موظفيه . وكان اتشسون ، مثل مارشال ، يهتم بخدمة رئيسه على احسن وجه ، ولكنه كان يتحرك بدافع طموحه الشخصي ، وذلك أمر كان يفتقده مارشال . وقد جنى اتشسون ثمار خدماته فيما بعد اذ تم تعيينه كوزير للخارجية (لم يكن تعيين وزراء الخارجية يأتي دائما من خارج ملاك الوزارة) . ويبدو ان دين اتشسون كان مولعا شخصيا بالتقسيم كحل للنزاعات على البلد الواحد . فقد قام عام ١٩٦٠ ، بعد ان فشل التقسيم فشلا ذريعا في كل من الهند وفلسطين ، بوضع خطة لتقسيم قبرص حاولت الحكومة الاميركية ان تفرضها على الجزيرة . وكان لدور اتشسون في المراحل الاولى لتطوير استراتيجية التقسيم اهمية خاصة لان الوزير مارشال كان مشغولا اساسا ، حتى حزيران على الاقل ، باوروبا وليس بالشرق الاوسط (تم خلال النصف الاول من عام ١٩٤٧ وضع خطة مارشال لاعادة تنظيم اوروبا) .

ويمكن ان نذكر من بين انصار التقسيم في وزارة الخارجية الذين لعبوا دورا رئيسيا في الحملة : هرشل ف. جونسون ، مساعد مندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، والجنرال جون هيلدرينغ ، مساعد وزير الخارجية لشؤون المناطق المحتلة ، ودين راسك ، مدير مكتب الشؤون السياسية الخاصة ومساعده روبرت م. مكلنتوك الذي أصبح فيما بعد سفيرا لاميركا في لبنان . أما كبار الرسميين ، من خارج وزارة الخارجية، الذين كانوا يدعمون التقسيم فهم : السيدة فرانكلين د. روزفلت ، ارملة رئيس الجمهورية السابق ومندوبة اميركا في الامم المتحدة ، ودافيد نيلز ، مساعد خاص لرئيس الجمهورية .

اما المعارضون الرئيسيون للتقسيم في وزارة الخارجية فكانوا : لوي هندرسون وموظفو مكتبه لشؤون الشرق الادنى وافريقيا ، وعدد من موظفي السلك الدبلوماسي . وقد انضم روبرت لوفت ، مساعد وزير الخارجية والوزير المؤقت فيما بعد ، الى المعارضة لكنه قبل في وقت لاحق السياسة التي كان يعارضها . وقد عارض التقسيم ايضا مبعوث مجلس النواب الى الجمعية العامة ، السناتور وارن اوستين . اما جون فوستر دالس، عضو الوفد الاميركي للامم المتحدة ، فلم يتخذ موقفا من التقسيم والتزم الصمت .

وقد بدأت الحملة قبل اجتماع الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن للبحث عن حل للمشكلة . فقد قابل اللورد انفرتشابل ، السفير البريطاني في واشنطن ، مساعد وزير الخارجية اتشسون في مكتبه في ٢١ كانون الثاني . وقد أبلغ أتشسون ان امام الحكومة البريطانية ثلاثة سبل يمكن اتباعها وانها ستقرر ايها تختار اثناء محادثات لندن . وهذه السبل هي : التقسيم ، والاقلمة (سيادة الاقاليم ضمن دولة موحدة) ، وتسليم الانتداب للجمعية العامة للامم المتحدة بدون تقديم اية توصيات . وكانت لدى اللورد انفرتشابل تعليمات بجس نبض اتشسون حول الموقف الاميركي من التقسيم بشكل خاص — « كان السيد بيرنز [وزير الخارجية السابق] قد طرح ، في محادثاته مع السيد بيفن ، مسألة التقسيم وحث على التفكير فيها ، ولكن بيفن لم يتخلص من شكوكه حول موقفنا من التقسيم » . من الواضح ان بيفن ، وزير الخارجية البريطانية ، اعتقد ان الوزير الجديد ، مارشال ، كانت له افكاره الخاصة حول المسألة . ولكن اتشسون خيب آماله حين اجاب بان « الحل الاسهل تأييده على الولايات المتحدة هو الحل القائم على اساس التقسيم » . وقد قام اتشسون بتسليم مذكرة رسمية الى اللورد انفرتشابل في ٢٧ كانون الثاني تؤكد الموقف الاميركي وتشدد على تردد اميركا في قبول الاقلمة كحل بديل .

وقد أدت اعادة تأكيد اتشسون لسياسة ترومان ٤ تشرين الاول الى تلبيد جو المفاوضات في لندن بالغيوم . وكان ارنست بيفن يأمل في موافقة يهودية على اقتراح الاقلمة ، ولكن الممثلين اليهود تمسكوا بمطلب التقسيم الذي كانوا يعلمون ان الولايات المتحدة تؤيده . وقد قامت الحكومة البريطانية ، نتيجة لذلك باختيار البديل الثالث الذي ذكره اللورد انفرتشابل لاتشسون وسلمت مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة بدون اية توصيات ، وكانت هذه الخطوة تشكل ثاني افضل بديل يلي التقسيم ، بالنسبة لصانعي السياسة الاميركية . وهكذا لم تقدم بريطانيا أية توصية للامم المتحدة لا يمكن للولايات المتحدة ان تؤيدها ، او قد تضطر الولايات المتحدة الى معارضتها كما هو الحال مع حل الاقلمة .

وخوفا من ألا يتولى البريطانيون أي دور قيادي في الجمعية العامة مما يخلق فراغا قد يملأه السوفييت ، قام اتشسون بضمان الدور القيادي لاميركا لكنه فعل ذلك بشكل لا يضطر الولايات المتحدة للالتزام **علنا** بأية محادثات مع الحكومة البريطانية . وكان اتشسون يخشى ان يجابه الحل القائم على أساس التقسيم والذي تفضله اميركا « مصاعب كبيرة تجعل تمريره على المجتمع الدولي مستحيلا » بالرغم من « فوائده المحلية » . وبذلك فضل ان يرى كيف يتطور الوضع الدولي قبل ان يعلن التزام الولايات المتحدة بذلك الحل . وقد أتفق لوي هندرسون مع اتشسون حول هذه النقطة . وهكذا غابت سياسة الرئيس ترومان حول التقسيم عن المسرح خلال الاشهر الاولى من الحملة .

أما المناورة التكتيكية الثالثة فكانت الترتيب لتكوين لجنة تحقيق جديدة من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة لكي تذهب الى فلسطين وتعود بتوصيات للدورة العادية للجمعية في أيلول (سبتمبر) . وكان التقسيم التوصية الرئيسية التي تسعى اليها هذه المرة ، لان توصية لجنة التحقيق الانجلو — اميركية لم تعجب الصهاينة . وبعد مفاوضات مطولة بين واشنطن ولندن ، دعت الحكومة البريطانية بصفتها منتدبة على فلسطين الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة حددت جدول اعمالها بتكوين لجنة تحقيق جديدة . وقد

منعت هذه الخطوة الوفود العربية من اثارة كافة الامور المتعلقة بمستقبل فلسطين . وقد تم عقد الجلسة الخاصة في ٢٨ نيسان (ابريل) .

في تلك الاثناء ، ارسل وزير الخارجية في ١٧ نيسان مذكـرة (كتبها دين راسك) الى رئيس الجمهورية يقترح عليه ثلاثة اختيارات لتكوين لجنة التحقيق . كان الاختيار الاول يتضمن لائحـة بالبلدان التي اعتبرت « دولا لا مصلحة لهـا في الامر » ، مع استبعاد الخمسة الكبار والدول العربية . وقد تضمنت اللائحة كندا ، نيوزيلاندا ، السويـد ، بلجيكا ، تشيكوسلوفاكيا ، البرازيل ، المكسيك ، كولومبيا ، النرويج ، وسيام . كـان هذا التوزيع لصالح اوروبا واميركا اللاتينية ، وخاصة الدول الصديقة للولايات المتحدة والمرتبطة بها . وقد حقق وزير الخارجية مارشال انتصارا في ١٦ أيار (مايو) اذ تبينت الجمعية العامة الاختيار الاول للولايات المتحدة ، مع تعديلات بسيطة وتوسيع التوزيع الجغرافي . فقد استبدلت نيوزيلاندا باوستراليا ، وبلجيكا بهولنـدا ، والدول اللاتينية بغواتيمالا واوروغواي والبيرو ، وسيام بالهند وايـران كأعضاء آسيويين ، والنرويج بيوغوسلافيا . وفي الواقع كانت اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة اكثر نفعا لانصار التقسيم من اللجنة التي اقترحتها الولايات المتحدة أصلا . فقد ضمت ١١ عضوا يتوقع ان يقف سبعة منهم الى جانب التقسيم بينما يعارضه اربعة وهم الاسيويان والشيوعيان. وقد تألفت اللجنة من مندوبين عينتهم حكوماتهم ويتصرفون حسب تعليماتها . وقد كانت تلك الدول « غير مهتمة » بمعنى عدم تورطها مباشرة في النزاع ، ولكن هذا لا يعني انها حيادية . فلم تكن تلك الدول حيادية ، خاصة بعد ان كشف مارشال في ٥ حزيران (يونيو) عن خطته لاعادة تنظيم اوروبا . وبالتالي كانت نتائج تحقيقات اللجنة الخاصة للامـم المتحدة حول فلسطين معدة سلفا . كـانت سياسة الولايات المتحـدة بتبني مشروع التقسيم ، وكانت تلك اللجنة ستعلن انها الى جانب التقسيم ايضا .

وقد رفضت الولايات المتحدة ، من أجل تدعيم وهم التحقيق النزيه ، أن تفرض نفسها أثناء الجلسة الخاصة . وقام الرئيس الاميركي في ٥ حزيران ، بناء على ايحاء مـن مارشال ، باصدار بلاغ يطلب فيه « من كل مواطن اميركي وكل مقيم في أميركا » أن « يمتنع عن» أي نشاط قد يعرقل بحث الامم المتحدة الموضوعي عن حل لمشكلة فلسطين. ورغم أن لوي هندرسون وموظفيه كانوا فريقا في الخديعة فقد حـاولوا تفادي نتائج التقسيم باقتراحهم اقامة دولة ديمقراطية مستقلة فيفلسطين تكون الهجرة اليها محدودة. واتبع وارن اوستين خط هذا الفريق في الامـم المتحدة . وقد عبـر الوزير مارشال للسناتور أوستين في رسالة بتاريخ ١٣ حزيران عن اعتقاده بأنه على الولايات المتحدة « الا تعطي أي تصريح علني عن آرائها ... الا اذا حدثت تطورات غير متوقعة » .

وفي ٧ تموز قدم لوي هندرسون الى الوزير مارشال مذكرة أعدها موظفوه تتضمن أربع خطط حول مستقبل فلسطين . كانت أولى هذه الخطط حول « دولة ذات قومية واحدة في فلسطين » ، والثانية حول « دولة ذات قوميتين » ، والثالثة والرابعة حول التقسيم . كانت خطة التقسيم الاولى تعطي اليهود ١٥٠٠ ميل مربع من فلسطين ، والثانية تعطيهم ١٥٠٠ ميل مربع بالاضافة الى النقب ومساحته ٥٠٠٠ ميل مربع . وكانت المذكرة تفضل الخطتين الاولى والثانية على خطتي التقسيم . ولكن الخطتين الثالثة والرابعة هما اللتان حازتا على اهتمام الدوائر العليا في وزارة الخارجية واللتان شكلتـا أساس المطالب المتعلقة بالارض التي قدمتها الولايات المتحدة للجمعية العامة أثناء بحث التقسيم . وهنا أيضا قام « الخبراء » بدورهم وهزموا .

وفي ٣١ تشرين الاول أعلنت اللجنة الخاصة نتائج تحقيقاتها . كانت هناك توصيتان حول مستقبل فلسطين : الاولى يؤيدها غالبية اعضاء اللجنة (غواتيمـالا ، اوروغواي ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، هولندا ، بيرو ، والسويد) وتدعو الـى تقسيم فلسطين .

والثانية تدعمها الاقلية في اللجنة (الهند ، ايران ، يوغوسلافيا) وتدعو الى دولة اتحادية مستقلة . وقد امتنعت اوستراليا، بناء على ايحاء من بريطانيا ، عن ابداء رأيها.

وفي ١٥ أيلول عقد الوزير مارشال في نيويورك أول اجتماع حول استراتيجيته . وقد حضر الاجتماع أعضاء وفد الولايات المتحدة للامم المتحدة المؤيدين للتقسيم . وكان هدف هذا الاجتماع معرفة مارشال رأي أعضاء الوفد حول الوقت الذي يجب ان تعلن فيه اميركا قرارها حول تقرير لجنة التحقيق الخاصة . وكان الوزير قد أحضر معه من واشنطن تصريحا كتبه مساعداه لوفت ولوي هندرسون لكي يلقيه أمام الجمعية العامة في ١٧ أيلول . وقد عارض الجنرال هليدرنغ والسيدة روزفلت ما جاء في التصريح . وقالت السيدة روزفلت ان على الولايات المتحدة أن تؤيد تقرير الاغلبية على اساس تأييد جهود الامم المتحدة ، سواء كانت صائبة او خاطئة ، جيدة أو سيئة (جدير بالذكر أن هذه الكلمات استعملها اللورد بلفور ليصف وعده) ، لان ذلك الموقف « سيقوي مكانة الامم المتحدة في أذهان الشعب الاميركي » . أما الاعتبار الذي كان يشغل فكر مارشال فكان مسألة تطبيق التقسيم . وكان يرى ان على الولايات المتحدة متابعة المسألة — اذا أيدت تقرير الاكثرية — ولو اضطرت الى وضع قوات في فلسطين .

وفي ١٧ أيلول أعلن الوزير مارشال أمام الجمعية العامة ان الولايات المتحدة تعطي « وزنا كبيرا ليس فقط للتوصيات التي حظيت باجماع أعضاء اللجنة الخاصة ، وانما للتوصيات التي حظيت بموافقة أكثرية أعضاء تلك اللجنة أيضا» وهكذا قام مارشال بتعديل التصريح الذي أعطاه اياه « الخبراء » في واشنطن ليتلاءم مع ما يريده أنصار التقسيم في نيويورك. وقد رفضت الوفود العربية تصريح الوزير ، بينما حاولت بريطانيا عبثا أن تعرف من الوفد الاميركي « المعنى الدقيق » لتصريح الوزير . لكن لوي هندرسون كان يعرف جيدا معنى تصريح مارشال . وقام في ٢٢ أيلول بارسال مذكرة « سرية جدا » اليه يعبر فيها عن آرائه وآراء أعضاء مكتب شؤون الشرق الاوسط وافريقيا . وقد قال في المذكرة « لن يكون في صالح المصالح الوطنية الاميركية ان تقوم الولايات المتحدة حاليا بتأييد اي خطة لتقسيم فلسطين أو انشاء دولة يهودية في فلسطين » . بعد ابداء هذا الرأي ، انتقلت المذكرة الى تقديم حجج تفصيلية ضد « تأييد الولايات المتحدة لخطة الاكثرية » . وقد أرفق هندرسون بالمذكرة رسالة يؤكد فيها انه «رغم الآراء الواردة في المذكرة فان موظفي مكتبي يعملون باخلاص لتطبيق القرار الذي اتخذته يوم الاثنين الماضي (١٥ أيلول) ، وما لم تبلغنا خلاف ذلك فاننا سنستمر في تنفيذ القرار بشكل يقلل قدر الامكان الضرر الذي سيلحق بعلاقاتنا ومصالحنا في الشرقين الادنى والاوسط » . ولم تتخط معارضة لوي هندرسون وموظفيه « المؤيدين للعرب » للتقسيم حدود مذكرات «سري جدا» و«سري». وبالرغم من أن رسميي وزارة الخارجية هؤلاء كانوا يعتبرون ان تلك السياسة ستلحق أضرارا بالمصالح الوطنية للولايات المتحدة ، وبالرغم من أن واجبهم الاساسي هو خدمة بلدهم وليس خدمة سياسات ادارة رئيس معين ، فقد اكتفوا بتسجيل اعتراضاتهم ، وتابعوا تطوير وتنفيذ السياسة التي اعتبروها مضرة . ولم تحصل اية استقالات أو أي احتجاجات علنية . وفي المقابل ، أدى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ الى ثلاث استقالات في وزارة الخارجية البريطانية : انتوني ناتينغ ، وايفان لورد ، وكان حينئذ ملحقا في سفارة بريطانيا في بكين على بعد آلاف الاميال من السويس وأصبح فيما بعد وزيراً في حكومة العمال ، وبيتر مانسفيلد الذي كان حينئذ دبلوماسيا يدرس اللغة العربية في لبنان ويعتبر الآن من كبار الخبراء البريطانيين في الشؤون العربية . أما الرسميون الاميركيون الذين عارضوا التقسيم فقد استعملوا المذكرة لارضاء ضمائرهم ثم تابعوا أعمالهم وكأن شيئا لم يحدث .

وفي ٢٣ أيلول دعا الوزير مارشال المندوبين العرب ، السعودي والسوري والعراقي والمصري واللبناني ، الى حفلة غداء أكد لهم خلالها أن الولايات المتحدة لم تلتزم تماماً بالتقسيم . وقد تمكن مارشال بواسطة هذه الخطوة من الاستمرار في خداع العرب . ثم دعا مارشال الى اجتماع آخر حول استراتيجيته في ٢٤ أيلول عندما بدأت الجمعية العامة تبحث مشكلة فلسطين . وكان بين الحضور السيدة روزفلت ودين راسك والجنرال هيلدرينغ ، وكلهم من أنصار التقسيم . وقد حدد الوزير كيفية تصرف مندوب الولايات المتحدة في اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة لبحث موضوع فلسطين . وقد ذكر ان على المندوب : ١) أن يمتنع عن القاء كلمة افتتاحية ، ٢) ان يؤيد ويشجع البحث العام (لايهام الآخرين بحرية ونزاهة التحقيق والدراسة) . ٣) ان يقوم عند انتهاء البحث العام باعطاء آراء الولايات المتحدة . وكان موقف الولايات المتحدة يؤيد خطة الاكثرية — مع التشديد على التقسيم والهجرة الواسعة النطاق . واقترح مارشال أيضا تحديد « موقف بديل » اذا لم تحصل خطة التقسيم على ثلثي الاصوات الضرورية لاقرارها .

وفي ٣٠ أيلول قام مكتب لوي هندرسون بالتعاون مع مكتب دين راسك بتسليم الوزير مذكرة حول استراتيجية حملته : الهدف الرئيسي للاستراتيجية الاميركية هو الحصول على « توصية من **الامم المتحدة** حول مشكلة فلسطين والعمل على فرض موقف الولايات المتحدة بهذا المجال بشكل **لا يمكن ان تعتبر معه التوصية الاخيرة للجمعية العامة خطة أميركية** » . ويمكن القول أن اخفاء دور أميركا كان محاولة من قبل أصدقاء العرب للاحتفاظ لاميركا برصيد وسط ذلك الوضع الخطير . ولكن محاولتهم كانت فاشلة مثل محاولة الاولاد الذين يضبطون وهم يسرقون بأن يلقوا اللوم على الآخرين . وقد فشل ذلك التكتيك هذه المرة . ولكن علينا أن ننظر اليه على حقيقته ، فقد كان محاولة من جانب « أصدقاء » العرب في وزارة الخارجية الاميركية لخداع العرب .

وقد عقد اجتماع الاستراتيجية العليا في مكتب مارشال في ٣ تشرين الاول ، وقد انضم للذين حضروا الاجتماعين الاولين السناتور أوستين والسفير هرشل جونسون . وقد اتفق الحاضرون على أن خطة التقسيم لن تحظى بالاصوات المطلوبة لتبنيها وبالتالي يجب ان تكون هناك محاولة لاسترضاء العرب . وكان لدى الولايات المتحدة بعض التعديلات « لصالح العرب » (اعطاء النقب الجنوبي للعرب وتغيير في توزيع ارض الجليل) التي قد تزيد من امكانية تبني الخطة . وقد قال مارشال أن الولايات المتحدة مستعدة لان تلعب دورها في تطبيق الخطة من خلال الامم المتحدة . واتفق على أنه في حال هزيمة قرار التقسيم ، يكون الموقف الاميركي البديل هو المطالبة بشكل من أشكال « الوصاية » . وأخيرا اتفق على الا تحاول الولايات المتحدة كسب الدعم للتقسيم في أوساط أعضاء الامم المتحدة . وكان هذا القرار من بقايا الخط السياسي الذي نصح به « الخبراء » المؤيدون للعرب في واشنطن . ولكن حتى هذا ما لبث أن هزم .

وفي ١٣ تشرين الاول أعلن الاتحاد السوفياتي ، الذي كان الى ذلك الحين قد أعطى الانطباع بأنه لن يؤيد التقسيم ، تأييده للتقسيم . وبذلك أصبحت الطريق ممهدة امام هذا المشروع .

وقد قام أنصار التقسيم في واشنطن بدفعة استراتيجية أخيرة في مكتب دين راسك . فقد قال روبرت مكلنتوك في مذكرة مؤرخة ٢٠ تشرين الاول أن أمام الولايات المتحدة « طريقا واحدا فقط : أن تؤيد بحزم خطة الاكثرية . . . وان تعمل على اقرارها في جلسة الجمعية العامة الحالية » . وقد عبر لوي هندرسون في ٢٢ تشرين الاول عن معارضته ومعارضة موظفيه لهذه السياسة وأصر مرة أخرى على الوصاية كأفضل حل بديل .

وفي ٢٢ تشرين الاول فوض الوزير مارشال رسميا كلا من الجنرال هيلدرينغ والسفير جونسون في الامم المتحدة بأن « يجمعا الاصوات اللازمة لتأييد المقترحات الاميركية » المعدلة لخطة الاكثرية والمتعلقة بتطبيقها . وكانت هذه المذكرة الرئيسية بالطبع قابلة لتفسير اشمل . وبالتالي بدأ وفد الولايات المتحدة يجمع الاصوات بنشاط لتأييد خطة التقسيم نفسها ولتأييد التعديلات الاميركية عليها . وقد أيدت الولايات المتحدة أيضا تقصير فترة السنتين الانتقاليتين التي اقترحتها اللجنة الخاصة واقترحت انشاء الدولتين في اول تموز (يوليو) ١٩٤٨ . وكان الاقتراح الاخير لصالح الصهاينة بالطبع .

وكان قرار تجميع التأييد للتقسيم بكل نشاط نهاية نفوذ معارضي التقسيم . وقد انتقلت عملية صنع السياسة جغرافيا من واشنطن الى نيويورك . وهناك أيضا ، في مقر الوفد الاميركي ، هزم معارضو التقسيم مثل وارن أوستين والحياديون مثل جون فوستر دالس ، بينما انتقل جونسون وهيلدرينغ ودافيد نيلز المقرب من رئيس الجمهورية الى الهجوم .

وفي ٢٤ تشرين الاول أبرقت الوزارة الى سفاراتها في العالم العربي بوجوب اجلاء الرعايا الاميركيين ، فقد كانت هناك توقعات كبيرة بانتقام العرب من الافراد الاميركيين والمؤسسات الاميركية .

وهناك حادثة حصلت يوم ١٩ تشرين الثاني ، أثناء تحديد المواقف النهائية حول توزيع الاراضي ، تدل على مدى تتبع الرئيس الاميركي شخصيا لما كان يحدث في نيويورك . فقد اتصل ترومان هاتفيا بالجنرال هيلدرينغ الذي كان على وشك أن يطرح موقف الولايات المتحدة من النقب . وكانت وزارة الخارجية قد أعطت هيلدرينغ تعليمات باقتراح النقب الجنوبي منطقة عربية . لكن الرئيس ، الذي قابل حاييم وايزمن في نفس اليوم ، أوضح لهيلدرينغ ان الولايات المتحدة تلتزم بتقرير الاكثرية الذي أعطى النقب كله لليهود . وهكذا قرر الجنرال هيلدرينغ تأجيل تصريحه السياسي ، على أمل انه في حال تبني الجمعية العامة لتوزيع الاراضي حسبما جاء في خطة الاكثرية يصبح النقب كله يهوديا .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ تبنت الجمعية العامة خطة التقسيم التي وضعتها الاكثرية في لجنتها الخاصة . وقد أيدت الخطة ٣٣ دولة وعارضتها ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت وغابت دولة واحدة . وبذلك نجحت حملة وزير الخارجية مارشال . وخلال وقت قصير قدمت وزارة الخارجية تبريرا شفهيا لنجاح خطة التقسيم . ففي ٢٦ كانون الاول ، أبرق روبرت لوفت ، وزير الخارجية الاميركية بالوكالة (كان مارشال في لندن) الى سفارة الولايات المتحدة في القاهرة يعطي تفسيرا للسياسة التي اتبعتها اميركا جاء فيه : « بعد مراجعة التصريحات السياسية لمسؤولين اميركيين كبار ، ومراجعة قرارات الكونغرس ، ومراجعة برامج الاحزاب خلال الثلاثين عاما الماضية ، توصلت الحكومة الاميركية الى الاقتناع بأنه ما لم يكن هناك عامل غير محسوب في الوضع فان اتجاه الرأي العام والسياسة المبنية على أساسه قد أجبرت عمليا الولايات المتحدة على تأييد التقسيم » . وقد وقع البرقية الرئيس ترومان للدلالة على موافقته . وانتهت المسرحية ، لكن كانت لها ذيولها . ففي ٣٠ تشرين الثاني تم تدمير مقر البعثة الاميركية في دمشق ، وفي ٤ كانون الاول هوجمت السفارة الاميركية في بغداد . وقد بدا في تلك اللحظة ان أسوأ مخاوف « الخبراء » في وزارة الخارجية ستتحقق وان محاولتهم خداع العرب قد فشلت . ولكن الجزاء المخيف الذي توقعه « الخبراء » لم يقع . فلم يجر أي ترحيل جماعي للاميركيين من العالم العربي ، ولم تدمر المصالح الاميركية التجارية والتعليمية ، ولم تمس المصالح الانجلو — أميركية الاستراتيجية . وقد احتفظت بريطانيا بموقعها في قلب المشرق العربي لمدة عشر سنين اخرى وفي الخليج العربي لعشرين سنة أخرى .

اما الامر الذي أنقذ الاميركيين فكان خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ورغم ان هذه الخرافة اختراع عربي فانها خدمت المصالح الاميركية لا العربية . وقد ساهم في دعم التضليل الميكافيليون في وزارة الخارجية الذين يريدون من العرب ان يستمروا في الاعتقاد بأنه في يوم أبيض قد تتبنى الولايات المتحدة سياسة توفيقية حول فلسطين . كما ان المؤيدين للعرب قد لعبوا دورهم في هذا المجال ايضا . فقد ساهم أمثال لوي هندرسون وهنري بيرود (وأمثال هارولد بيلي في الجانب البريطاني) في جعل الخرافة قابلة للتصديق . ولكن من الامور الملفتة للنظر انه لم يرتفع اي من هؤلاء الرجال الى القمة ، ولا حتى الى الصف الاول ، في وزارة الخارجية ، بينما أصبح اتشسون ودالس ودين راسك وزراء للخارجية . وبالاضافة الى ذلك، ما زالت سيطرة الميكافيليين على الوزارة، التي ترسخت عام ١٩٤٧ ، مستمرة . فعلى المسرح الحالي استطاع المتصلب جوزيف سيسكو أن يضعف موقف تشارلز يوست الذي اعتبر موقفا توفيقيا جدا لصالح وجهة النظر العربية .

اذا لم يكن واضحا من قبل ، فقد أصبح مؤكدا الآن ، مع توفر وثائق عام ١٩٤٧ ، أن الفئة المؤيدة للعرب في وزارة الخارجية الاميركية كانت دائما غير قادرة على احداث تغييرات في السياسة الاميركية وان معارضي السياسة المؤيدة لاسرائيل كانوا غير مهيئين أو مستعدين للعمل ضد تلك السياسة بشكل علني . فهم لم يكونوا مستعدين لنقل معارضتهم الى الشعب الاميركي أو للاستقالة من الوزارة وسط عاصفة من الاحتجاج .

واذا استمر المسؤولون العرب ، رغم هذا الدليل ، في التمسك بخرافة « وزارة الخارجية الطيبة » ، ما عليهم الا أن يطلعوا على حقيقة جديدة : ففي آذار ١٩٧٣ قام الرئيس الاميركي بنقل كامل مسؤولية رسم السياسة الاميركية حول شؤون الشرق الاوسط من وزارة الخارجية الى **مجلس الامن القومي** الذي يعمل تحت امرته مباشرة . فهذه الحقيقة يجب أن تكون كافية لكي تقنع في النهاية أولئك الذين ما زالوا يتمسكون بالخرافة بأن ذلك التمسك لا معنى له .

أضواء حول
جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية
عشية حرب ١٩٤٨

محمود عزمي

يقول الكاتب الاسرائيلي الامريكي الجنسية « ناداف صفران » في كتابه « من حرب الى حرب » « تشكل حرب ١٩٤٨ موضوعا لا غنى عنه للدراسة لكل من يريد أن يفهم كافة تعقيدات الصراع العربي ـــ الاسرائيلي الذي دشنته هذه الحرب »(١).

والواقع أن دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية بصفة عامة سواء كانت الاستراتيجية الشاملة أو الاستراتيجية العسكرية ـــ وهي ليست الا تطبيق الاستراتيجية الشاملة للحركة الصهيونية في الحقل العسكري المباشر ـــ تتطلب ضرورة دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية التي طبقت خلال المرحلة الممتدة من صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ الى توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في بداية ١٩٤٩ . وهي المرحلة التي نتج عنها التكوين الرسمي لدولة اسرائيل واعتراف المجتمع الدولي واهدار كيان فلسطين .

ولما كانت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المطبقة في المرحلة الاولى من مراحل المواجهة العسكرية الشاملة بين الشعوب العربية والاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، لبست وليدة يوم صدور توصية هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وانما تشكلت مقوماتها وتكاملت معطياتها تدريجيا وعبر تخطيط طويل استغرق حقبة تاريخية ممتدة من عام ١٩٠٩ على الاقل حتى عام ١٩٤٧ . لذلك كان لا بد من القاء أضواء البحث العلمي التاريخي حول مرحلة التكون التاريخي لمعطيات هذه الاستراتيجية العسكرية .

وبطبيعة الحال لن تعرض دراستنا هذه لكافة تفاصيل أحداث وتطورات تلك الحقبة التي تشكل جذور الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ، وانما ستعرض للاحداث بالقدر الذي يخدم رؤية الخطوط العامة الرئيسية للموضوع . كما أنها لن تعرض لجانب النضال العربي المضاد للمخطط الصهيوني ، لان ذلك يخرج بها عن الغرض والحيز المحدد لها .

هدف الاستراتيجية العسكرية الصهيونية :

يقول « ليدل هارت » ان الاستراتيجية هي « فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف السياسة »(٢). ويقول « أندريه بوفر » أنها « فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السياسة »(٣). كما يقول « كلاوزفيتز » أنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب »(٤).

ولقد كان هدف الحركة الصهيونية ومن ورائها الامبريالية العالمية هو انتزاع أرض فلسطين وطرد شعبها لاقامة دولة يهودية عنصرية عن طريق القوة . دولة ذات مقومات مفتعلة بالكامل ، دولة يجري تصدير أجزائها من خارج البلاد ويعاد تركيبها فوق أرضها بالقوة ! دولة يعلم المخططون من أجل زرعها في قلب الوطن العربي تمام العلم انها لا تمتلك أصلا أو موضوعيا وتاريخيا أي مقومات حقيقية لوجودها . وليس أدل على ذلك

من تقرير لجنة الخبراء الامريكيين المقدم الى الرئيس « ويلسون » حول هذه المسألة في ١٢ يناير ١٩١٩ والذي جاء فيه أنه « من الصحيح أن فلسطــين يجب أن تصبح دولة يهودية فيما لو جعلها اليهود كذلك ، ومتى أتيحت لهم الفرصة الكاملة . . . بيد ان اليهود في الوقت الحاضر ، لا يكادون يؤلفون سدس مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ ألف في فلسطين . . . وباختصار فان فلسطين أبعد ما تكون بلدا يهوديا الآن . الا انه يمكن الاعتماد على بريطانيا ، كدولة منتدبة ، لكي تمنح اليهود ذلك المركز الممتاز (المميز) الذي يجب حصولهم عليه »(٥)!

لقد أرادت الاحتكارات الامبريالية الدولية لهذه الدولة أن تقوم ، وهي بسبيل تخطيطها لخريطة المنطقة في مرحلة التصفية النهائية للامبراطورية العثمانية الاقطاعية المتخلفة واعادة تقسيمها مرة اخرى بين مراكز النفوذ الجديدة في العالم الرأسمالي ، أرادت الاحتكارات الرأسمالية وهي في عنفوان بداية عصر الامبريالية لاسرائيل ان تقوم حتى تكون « حاجزا بشريا قويا وغريبا على الجسر البري الذي يربط اوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة ، وصديقة للدول الاوروبية ومصالحها »(٦) ! وذلك كما جاء في توصيات مؤتمر « كامبل بنرمان » الذي دعا اليه حزب المحافظين البريطاني ورفع توصياته الى حزب الاحرار الحاكم في عام ١٩٠٧ ، وقد حضر جلساتـــه التي انعقدت في لندن كبار علماء التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والبترول والزراعة من كافة الدول الكبرى الاستعمارية !

وقد حدد الرئيس الامريكي «ترومان» دور هذه الدولة في المنطقة ـــ بعد أن تحقق المخطط في ظروف زعامة الولايات المتحدة للعالم الامبريالي وسعيها المستمر من أجل اعادة تقسيم المنطقة لصالحها على حساب بريطانيا وفرنسا ـــ بقوله عقب اعلانها في مايو ١٩٤٨ « لقد قامت اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع أن تحقق هذا ، فلا أقل من أن تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكي في الشرق الاوسط »(٧)!

ولما كان تنفيذ المخطط الصهيوني ـــ الامبريالي بالاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب وانشاء دولة اسرائيل لا يمكن له أن يتم دفعة واحدة وبطريقة فجائية سريعة ، نظرا لان فلسطين نفسها كانت لا تزال في أيدي تركيا ، ونظرا لان ظروف الصراع المسلح بين بريطانيا وتركيا وألمانيا أثناء الحرب العالمية الاولى كانت تستوجب الاستعانة بقوى الثورة العربية ضد الاستعمار التركي (لورنس والوعود باستقلال الدول العربية الخ) ، هذا فضلا عن تأثير التناقض بين بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى حول ثروات المنطقة ، بعد أن اقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا المنطقة فيما بينها بمقتضى معاهدة « سايكس ـــ بيكو » في عام ١٩١٧، ومحاولات أمريكا اجتذاب ولاء الحركة الصهيونية في فلسطين نحوها مما دفع بريطانيا الى محاولة ايجاد نوع من التوازن النسبي في المنطقة حتى لا تراهن بمصالحها كلها على جواد الصهيونية الجامح . ونتيجة لكل ذلك بالاضافة الى أن الهجرة اليهودية نفسها لم تكن تسير بالسرعة اللازمة نحو فلسطين الى أن حفزتها الحركة النازية في المانيا ابتداء مـــن ١٩٣٣ ، كان لا بـــد للاستراتيجية الصهيونية الشاملة ، وبالتالي استراتيجيتها العسكرية في مرحلة استكمال عناصر ومقومات وجودها وفاعليتها ، أن تتبع أسلوب الاستراتيجية غير المباشرة ، ذات الطابع المرحلي المتسلسل التدريجي ، والتي تعتمد على المناورات الخارجية أساسا للحصول على القدر اللازم الجزئي من حرية العمل في كل مرحلة فوق ساحة التطبيق المحلي أو الداخلي .

معطيات الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في طور التكوين :

تتمثل المعطيات الاولية أو العناصر والمقومات الاساسية لاي استراتيجية عسكرية في عناصر : القوة البشرية ، الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي ، الموارد الاقتصادية ، القيم الوطنية والروح المعنوية ، المقدرة التنظيمية والقيادية . ويشكل العنصر الاخير في واقع الامر عنصر القدرة الانسانية الذاتية ومدى كفاءتها في استخدام المعطيات أو العناصر الموضوعية الاخرى وتحويلها الى قوة تنفيذية عسكرية فعالة قادرة على تحقيق أهداف السياسة .

ونظرا لعدم وجود أي مقومات طبيعية أصلا للكيان الصهيوني في فلسطــين فقد جرى تصدير معظم أو كل المعطيات الاولية اللازمة للاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية تدريجيا، وتم اختلاق وتدعيم وتعزيز هذه المعطيات من خارج البلاد أساسا وفقا للمخطط الشامل لانشاء هذه الدولة الشاذة التكوين بصورة تدريجية مرحلية. وسنبحث الآن طريقة أعداد كل عنصر أو معطى من معطيات هذه الاستراتيجية منذ أن بدأ تنفيذ المخطط الاستعماري في بدايات هذا القرن حتى استكملت معظم صورتها الاساسية عند بداية القتال الفعلي في عام ١٩٤٨ قبل وبعد النشأة الرسمية لدولة اسرائيل :

١ ــ **القوى البشرية** : في عام ١٨٨٢ كان السكان اليهود في فلسطين حوالي ٢٤ الف نسمة ، ثم تتابع وصول موجات من اليهود المهاجرين من روسيا القيصرية وبولندا عقب عمليات اضطهاد لليهود حدثت هناك اثر اغتيال الكسندر الثاني في عام ١٨٨١ فوصل فلسطين نحو ٢٥ ألفا آخرين فيما بين عامي ١٨٨٢ و١٩٠٣(٨). وعند صدور وعــد « بلفور » عام ١٩١٧ كان يسكن فلسطــين ٥٦٦٧٠ يهوديا(٩)، وعند حصول بريطانيا على صك انتداب فلسطين عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود ٨ر٨٣ الف يمثلون ٩ر١٢ ٪ من جملة سكان البلاد . ونتيجة لاعمال الهجرة المنظمة من قبل الحركة الصهيونية العالمية والمنفذة نتيجة لوعد « بلفور » البريطاني بصورة رسمية أو سرية فقــد وصل تعداد السكان اليهود في فلسطين عند صدور قرار التقسيم من هيئة الامم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ الى ٦٥٨ ألفا تقريبا ، ثم الى ٧٥٩ الف يهودي تقريبا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب انشاء الدولة وقرب نهاية حرب ١٩٤٨ .

وكانت المنظمة الصهيونية العالمية تعمد الى اختيار الشباب أساسا لارسالهم الى فلسطين في هذا التهجير المنظم الذي تم أساسا من دول شرق أوروبا والمانيا خاصة عقب قيام النظام النازي ، وهكذا وجدت المنظمات العسكرية السريــة الصهيونية وعلى رأسها « الهاجاناه » حاجتها اللازمة من القوى البشرية الصالحة في معظمها لمباشرة الاعمال القتالية . وحول هذه المسألة يقول « ايجال آلون » بصدد تطور « الهاجاناه » في فترة ١٩٢٠ ــ ١٩٣٩ « وقد تدعمت الهاجاناه خلال تلك الفترة بسيل الهجرة اليهودية القادمة من دول كثيرة ، وخاصة من شرق أوروبا . وهذه الهجرة لم تزد مــن المورد البشري للهاجاناه من الناحية الكمية فقط ، ولكنها دعمته من ناحية الكيف أيضا . لقد كانت غالبية الوافدين الجدد شابة ومثالية متحمسة ، ولقد ذاق الكثير منهم طعم النشاط السري شبه العسكري ، عندما كانوا يدافعون عن الاحياء اليهودية في شرق أوروبا ضد الغارات المعادية للسامية »(١٠).

وفي الفترات التي كانت بريطانيا تحد نسبيا من سيل الهجرة لاعتبارات سياسية معينة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تتصل بتهدئة السكان العرب أو محاولة تقليص النفوذ الامريكي المتزايد على المنظمات الصهيونية والوكالة اليهودية ، كانت أمريكا تضغط بشدة من أجل السماح بمزيد من الهجــرة ، وذلك مثلما حدث مــن طلب الرئيس الامريكي « ترومان » الموجه الى رئيس الوزراء البريطاني « آتلي » في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ بأن

يمنح حق الهجرة لمائة ألف يهودي بصفة اضافية الى فلسطين . وعندما أبدى وزير خارجية بريطانيا « بيفن » معارضة لهـذه المطالب في يونيو ١٩٤٦ هدد الكونجرس الامريكي بعدم اعتماد قرض قدره ٣٧٥ مليون دولار لبريطانيا ! الامر الذي أجبر بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف أقل تشددا من موضوع الهجرة . وهكذا عملت أمريكا على سرعة استكمال بناء القوة البشرية المطلوبة للجيش الاسرائيلي الذي كان يجري اعداده بصورة سرية ظاهريا في فلسطين تحت اشراف الوكالة اليهودية (وهي الحكومة الاسرائيلية غير الرسمية من الناحية الفعلية) . وقد تم خلال الفترة من ١٩٤٦ حتى مايو ١٩٤٨ ادخال نحو ٦٢ ألف يهودي الى فلسطين بمختلف طرق الهجرة السرية ورغم بعض المحاولات المحدودة التي قامت بها بريطانيا لمنع الهجرة غير الشرعية ، ضمن سياستها العامة لتحديد نطاق النفوذ الامريكي في فلسطين .

٢ ــ **المستعمرات تصنع الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي** : لقد جرت عملية التسلل التدريجي للاستعمار الصهيوني الاستيطاني في اتجاهين ، الاول يقضي بزيادة نسبة السكان اليهود في المدن الرئيسية خاصة المدن الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط مثل « تل أبيب » ــ التي كانت أصلا مجرد ضاحية لمدينة يافا ــ و« حيفا » و« عكا » وكذلك في « القدس » باعتبارها القاعدة الاساسية في وسط البلاد والتي تركز عليها الدعاية الدينية للحركة الصهيونية والاتجاه الثاني ويقضي بخلق وجود مادي زراعي واستراتيجي صهيوني حول المدن وعند النقاط الاستراتيجية وقرب حدود البلاد ، عن طريق انشاء مستعمرات زراعية تخلق ارتباطا اقتصاديا وشعورا بالتوطن بين المهاجرين و« أرض الميعاد » ، وتبدل من عاداتهم الاصلية في الاعمال التي درجوا عليها من قبل كأقليات يهودية تخصصت في أغلب الحالات في أعمال غير انتاجية بشكل مباشر وبالصورة المطلوبة لانشاء دولة ذات كيان مستقل قائم على السكان اليهود فقط . مستعمرات يسهل تحويلها الى قلاع وحصون ذات اكتفاء ذاتي دفاعي الى حد ما تكون بمثابة رأس جسر عميق داخل جسم البلاد العربية ، تحمي مؤخرتها المدن والقواعد الساحلية التي ستتدفق منها أفواج المهاجرين والاسلحة اللازمة لاستكمال كيان الدولة . وبهذه الصورة يمكن ان يخلق الوجود الصهيوني ويصنع الواقع او الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي للدولة الصهيونية . ويقول آلون بصدد انشاء المستعمرات وسياسة اختيار مواقعها خاصة في الثلاثينات « وكان تطوير وتخطيط المستعمرات الصهيونية الرائدة يتقرر من البداية وفقا للاحتياجات السياسية ــ الاستراتيجية . لم يكن اختيار الموقع يتم وفق الاعتبارات الاقتصادية وحدها ، بل كان الاهم منها ، احتياجات الدفاع المحلي ، والاستراتيجية العامة للاستيطان الصهيوني ، التي كانت ترمي الى ضمان وجود سياسي يهودي في كافة أنحاء البلاد ، وكذلك الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المجموعة أو تلك من المستعمرات في أي صراع عام يحدث في المستقبل ، والذي قد يكون حاسما . وفقا لذلك كانت الاراضي تشترى ، وفي معظم الأحيان تستصلح ، في أجزاء نائية من البلاد وفي أعماق مناطق آهلة بالسكان العرب ، أو على مقربة من الحدود السياسية للبلاد اذا كان ذلك ممكنا »(١١) . لقد كانت سياسة انشاء المستعمرات تتم قبل الثلاثينات في الاغلب الاعم على اساس مجرد انشاء وتدعيم الوجود المادي الصهيوني داخل الريف الفلسطيني ، ولذلك كانت المستعمرات تنشأ في الوديان والسهول ذات الصلاحية الزراعية بطريقة اقتصادية . ومع تزايد فاعلية ووعي النضال العربي ضد الوجود الصهيوني والاستعمار البريطاني في فلسطين ، أخذت خطة الوكالة اليهودية في اختيار مواقع انشاء المستعمرات الجديدة ــ خاصة من نوع « الكيبوتز » ــ تتأثر في الاساس بالعوامل العسكرية الاستراتيجية وليس بمجرد أهداف الوجود المادي السياسي الصهيوني والعوامل الاقتصادية المتصلة بالانتاج الزراعي المتوقع من أرض المستعمرة الجديدة . لقد أصبح اختيار مواقع

المستعمرات يتم على أساس ان يوفر الموقع المختار للمستعمرة « الاشراف على المناطق الحيوية أو حصار المدن الهامة أو تأمين الدفاع عن الحدود وتوفير الاتصال والحماية المتبادلة بين المستعمرات ومناطقها وأخيرا تأتـــي مدى صلاحية المكان من الوجهـــة الاقتصادية وخاصة خصوبة الارض وتوفر المياه »(١٢) . لقد كانت شبكة المستعمرات تعد بحيث تلعب دورا استراتيجيا هاما في الصراع المقبل مع العرب داخل فلسطين وخارجها، ذلك لان هذه الحصون كانت عنصرا أساسيا لازما لزيادة العمق الاستراتيجي الضئيل للبلاد أو على الادق للتقليل من خطورة ضحالة العمق الاستراتيجي للدولة المزمع قيامها ازاء احتمال مهاجمتها من الدول العربية المجاورة التي قد تستشعر الخطر من قيامها . وخاصة ان واقع احاطة هذه الدول بفلسطين من ثلاث جهات باستثناء البحـــر فقط ، سيفرض على القيادة العسكرية الصهيونية ضرورة الحركة السريعـــة على الخطوط الداخلية ونقل قواتها من جبهة الى أخرى (وهو ما حدث فعلا بعد ذلك عند نشوب حرب ١٩٤٨ وفي حرب ١٩٦٧) الامر الذي يتطلب تثبيت احدى الجبهات أو اكثر أثناء تركيز العمليات الهجومية ضد جبهة أخرى ، والمستعمرات باعتبارهـــا نقاطا حصينة ثابتة تستطيع أن تساعد كثيرا على تحقيق هذا الهدف خاصة وأنها لن تتطلب والحال هذه الدفاع عنها بقوات كبيرة أو بقوات متحركة ، وبذلك تساعد على توفير القوة الضاربة الهجومية المتحركة التي سيجري تحريكها على الخطوط الداخلية ، بفضل اقليمية أو محلية وسائلها الدفاعية المتمثلة في مزارعيها الذين يجمعون بين صفتـــي المزارعين والمحاربين في آن واحد وتحصنهم داخل استحكاماتها . ويوضح « آلون » هذه المسألة فيقول « أصبح على كل مستعمرة يهودية أن تكـــون قلعة هاجاناه في الوقت نفســـه . وصحب التخطيط الاقتصادي والزراعي لبناء المستعمرات ، تخطيط عسكري وترتيبات حربية . كان على ميزانية الهجرة أن تهتم بالسيف والمحراث على السواء . ان هذه الاحتياجات قد ادخلت على التخطيط والتنفيذ العسكري للهاجاناه عناصر جديدة كثيرة ، بما في ذلك استراتيجية أكثر دقة على مستوى البلاد كلها ، تراعي الاعتبارات المحلية والتخطيط الشامل والقدرة الاكبر على الحركة . وفوق ذلك كله ، فان هذه الاحتياجات عجلت بانشاء « قيادة عليا » مدنية سرية — تتصرف بتفويض كامل من جانب المؤسسات السياسية الشرعية للمجتمع اليهودي في فلسطين — وهيئة أركان حرب عامة عسكرية سرية ، تتكون من الفروع المعتادة لمثل هذه الهيئة ويرئسها رئيس لهيئة الاركان »(١٣) . هذا وقد اتخذت المستعمرات الزراعية — الاستراتيجية احد شكلين أساسيين ، الاول عرف باسم « الكيبوتز » والثاني عرف باسم « الموشاف » . ولكن « الكيبوتز » كان هو النوع الاكثر انتشارا بين المستعمرات اليهودية المنشأة قبل ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وذلك بحكم انه كان الشكل الاكثر ملاءمة لتحقيق أهداف الاستعمار الاستيطاني في الاستيلاء على الارض واستغلالها اقتصاديا بسرعة وكفايـــة أسلوب الانتاج الكبير وحمايتهـــا بفاعلية ، فضلا عن دورها كنقاط ارتكاز استراتيجية . لقد كان « الكيبوتز » هو المعسكر الانتاجي — الحربي الذي شكل البوتقة اللازمة لاعادة صهر معدن الانسان اليهودي غير المعتاد على العمل اليدوي الانتاجي والروح القتالية العسكرية واعداده لمرحلة الصدام الحتمي المنتظرة مع العرب .

وقد بلغ عدد « الكيبوتزات » المنشأة قبل ايار (مايو) ١٩٤٨ نحو ١٧٦ « كيبوتز » ضمت في بداية اكتوبر ١٩٤٧ عشية قرار تقسيم فلسطين ٤٧٤٠٨ من سكان فلسطين اليهود البالغ جملتهم وقتئذ نحو ٦٤٩٠٠٠ اي بنسبة ٧٫٣٪ . بينما لم ينشأ طوال الفترة من ايار ١٩٤٨ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ سوى ٥٩ « كيبوتز » فقط(١٤)، واتجه انشاء المستعمرات الى « الموشاف » وغيرها من انواع المستعمرات الاخرى . ويرجع هذا الى الاهمية الخاصة التي كانت لحركة « الكيبوتز » في بداية الاستعمار الاستيطاني وما صاحبها من دعاية أيديولوجية ديماغوجية حـــول دورها الاشتراكي التقدمي ومـــا

اسبغته عليها هذه الدعاية الصهيونية من هالة مزيفة حول حماس الطلائع من الشباب الذين ذهبوا الى فلسطين ليحرثوا الارض ويزرعونها وينتزعون الوطن السليب مرة اخرى بعد قرون طوال من الحياة في المنفى الخ .

وقد كانت المسحة الاشتراكية المزعومة لحركة « الكيبوتز » (وذلك من حيث الادعاء بأن العمل فيها يجري وفقا للعقيدة الماركسية القائلة « من كل حسب قدرته ولكل حاجته » وأنه لا وجود لاي تمايز طبقي بين صاحب العمل والاجراء داخل الكيبوتزات(١٤)، بينما ان صاحب العمل هو المنظمة الصهيونية العالمية وصناديقها المالية المختلفة ، والذي يخضع هذه الكيبوتزات وعمالها الذين يعيشون حياة عسكرية اسبرطية تحت شعار الملكية الجماعية والحياة المشتركة لخدمة المخطط الاستعماري الامبريالي ، وكأن هذه المستعمرات يمكن ان تقيم اشتراكية خاصة بها داخل الاطار العام للمجتمع الاسرائيلي الرأسمالي المحيط بها والذي يعيش في صلة عضوية وتكامل مع الاحتكارات الرأسمالية العالمية بالاضافة الى الصفة البروليتارية المزعومة ايضا لحركة « الهستدروت ») ، كان لها تأثير مضلل الى حد كبير على قطاعات كبيرة من المهاجرين اليهود الذين قدموا الى فلسطين من روسيا ورومانيا وبولندا نظرا لتأثر الكثيرين منهم بالحركات الثورية والاشتراكية في اوطانهم الاصلية ، كما كان لها بعض التأثير على عديد من المنظمات اليسارية العالمية وعلى بعض الدول الاشتراكية مثل تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن العرب بنظمهم الاجتماعية المتخلفة وحكامهم من الملوك الاقطاعيين وتبعيتهم للاستعمار البريطاني كانوا يبدون في ظل هذه الدعاية الصهيونية وتنظيماتها السياسية والاجتماعية كقوة رجعية متخلفة تريد الوقوف في وجه قوى تقدمية ثورية ! لقد خلقت المستعمرات عنصر الارض والموقع الاستراتيجي لكيان اسرائيل المصنوع ، وكان « الكيبوتز » أساسا شكل الحياة والعمل الملائم لاغراض المستعمرات عسكريا ، بحكم انه الاكثر صلاحية لاجتذاب الشباب اليهودي المضلل من بين الطبقات الكادحة في دول شرق اوروبا التي عانى عقدة « الجيتو » حتى يقدم دمه بحماس على مذبح الصهيونية الاستعمارية ، كان « الكيبوتز » هو مدرسة الكادر الصهيوني الثوري — ان صح التعبير — ففيها تعلم اليهود لغتهم القومية وهي العبرية وفيها تعلموا امساك الفأس والبندقية ، وفيها نشأت « الهاشومير » ثم « الهاجاناه » وفيها نشأ معظم قادة اسرائيل ومنها خرجت احزابها السياسية .

٣ — **الامبريالية توفر الموارد الاقتصادية والعسكرية** : لقد قدمت الرأسمالية الامريكية ذات الميول الصهيونية الموارد المالية الرئيسية اللازمة لعمليات تسلل الاستعمار الاستيطاني في فلسطين قبيل التكوين الرسمي لاسرائيل . فمثلا « بلغ مجموع تبرعات المنظمات اليهودية والصناديق الخاصة في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٩٣٩ حتى نهاية ١٩٤٨ والتي قدمت الى المستوطنين الصهيونيين من ٢٨٢ مليونا الى ٣٠٢ مليون دولار »(١٤). وهذا بالاضافة الى نحو ١٤٠ مليون دولار اخرى تلقتها اسرائيل كمعونات من الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ بعد انشاء الدولة(١٤).

وليس هناك احصاء دقيق معروف لكمية الاموال الهائلة التي جمعتها المنظمة الصهيونية العالمية طوال سني نشاطها منذ نشأتها عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٤٨ ، ومولت بها عملية الاستعمار الاستيطاني في فلسطين سواء من ناحية شراء الاراضي الزراعية او نفقات بناء المستعمرات او ترحيل أفواج المهاجرين أو انشاء صناعات ومصارف الخ . ولكن يكفي ان تعلم ان دخل هذه المنظمة العالمية بلغ في عام ١٩١٤ مثلا ٢٣٧،٢٨٤،٨٣ ماركا المانيا من روسيا ، ١٤٤،١٣٣،٢٧ ماركا من النمسا ، ١٤٣،٧٤٠،٥٠ ماركا من امريكا الشمالية ، ١٠٧،٩٠٥،١٧ ماركا من المانيا، ٣٧،٥٦٣،٥٠ ماركا من كندا، ١٨،٨٦٢،١٤ ماركا من بريطانيا ، ٢٠،٧٦٦،٩٧ ماركا من افريقيا الجنوبية(١٥)!

ونتيجة لكل هذه الاستثمارات ارتفع الانتاج الصناعي في فلسطين وتحت سيطرة العناصر الصهيونية من مبلغ ٢،١ مليون جنيه استرليني عام ١٩٢٩ الى ٣٦،٣ مليون جنيه استرليني عام ١٩٤٢ ، كما زاد عدد العمال اليهود من ٧٦٠٠ عامل سنة ١٩٣٠ الى نحو ٥١ ألف عامل سنة ١٩٤٨(١٦). كما بلغت جملة الاراضي الزراعية التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية، سواء بالشراء او بالاستيلاء بالقوة، نحو مليون و ٦٥٠ الف دونم في عام ١٩٤٨(١٤) . وعلى هذه الاسس نشأ الاقتصاد الاسرائيلي اللازم للدولة الجديدة الغاصبة ، ولكنها لم تكن كافية لتحقق نموا اقتصاديا يكفل حماية الدولة وتدعيمها لتواصل الاستمرار في خدمة تحقيق الاهداف الامبريالية التي خلقت من اجلها . ولذلك نجد اسرائيل تعاني في السنة الاولى من نشأتها عجزا خطيرا في ميزانها التجاري اذ وصلت قيمة وارداتها (سيف) ٢٥٢ مليون دولار بينما بلغت قيمة صادراتها (فوب) ٢٩ مليون دولار في عام ٤٨ — ٤٩(١٦). فكان أن تلقى هذا الاقتصاد الذي لا تتوفر له موارد محلية كافية سواء في مصادر وخامات الانتاج او رؤوس الاموال كميات هائلة من المساعدات ورؤوس الاموال ، خاصة اذا ما وضعناها بالنسبة لعدد السكان ومساحة البلاد . ففي خلال السنوات من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ بلغت قيمة الدخل القومي نحو ١،٩ مليار دولار بينما بلغت قيمة رؤوس الاموال الوافدة نحو ٨٢٢ مليون دولار اي بنسبة ٤٠٪ من الدخل القومي . وبلغت نسبة التمويل الخارجي في جملة الاستثمارات العامة ٥٥٪ في عام ١٩٤٩ ، ٤٢٪ في عام ١٩٥٠ ، ٤١٪ في عام ١٩٥١(١٤). هذا وقد بلغت جملة الاموال التي تلقتها اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٤٨ حتى نهاية ١٩٦٢ ، في شكل مساعدات او قروض او تبرعات المنظمة الصهيونية في امريكا او رؤوس اموال او بيع سندات اسرائيل في الولايات المتحدة ، نحو ٣١٨٦،٢ مليون دولار(١٤). وهذا بخلاف التعويضات الالمانية وغيرها من القروض والمساعدات المباشرة وغير المباشرة من الدول الاستعمارية الاخرى .

٤ — **الصهيونية تصنع عنصر القيم المعنوية** : لقد بنت الحركة الصهيونية دعايتها الفكرية الهادفة الى انشاء وطن قومي ودولة اسرائيلية لليهود ، على مجموعة منسقة من الافكار المستندة الى الخرافات المتعارضة مع الواقع التاريخي لفلسطين واليهود أنفسهم الذين لا تربطهم اي رابطة قومية حقيقية من أي نوع أو درجة . أفكار مؤداها أن على الشعب اليهودي في جميع انحاء العالم ، حيث يتكلم أفراده نحو ٧٠ لغة ، ان يعود الى أرض الوطن بعد ١٩ قرنا من التشتت في المنفى ! وذلك حتى يمكن له أن يتخلص نهائيا من آلام الاضطهاد التي عانى منها على مر القرون في جميع البلاد التي يعيش او عاش فيها في أي مرحلة من التاريخ . ولذلك كان من مصلحة الدعاية الصهيونية — وهي حركة سياسية تماما وليست بأي حال حركة دينية يهودية — أن تستفيد من الحركات المعادية للسامية بل ان تذكيها وتشعل نارها اذا خمدت حتى تحفز اليهود في هذه الدول على الهجرة الى فلسطين . ولذلك كتب « دافيد بن جوريون » بصدد بطء حركة الهجرة وكيفية تنشيطها يقول « انني لن اخجل من الاعتراف بأنه لو كان لدي من السلطة بقدر ما عندي من الرغبة ، لانتقيت الشباب الموهوب والوفي لقضيتنا وأرسلتهم الى البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا آثم عن النفس ، ولأمرتهم بالتظاهر باللايهودية وملاحقة اليهود بالاساليب اللاسامية السمجة تحت شعارات « أيها اليهود القذرون ارحلوا الى فلسطين » وأؤكد لكم ان نتائج الهجرة قد تتخطى عشرات الاف المرات النتائج التي يحصل عليها رحالتنا الدعاة ، الذين يكيلون المواعظ للصم منذ عشر سنوات »(١٨). وقد كتب أيضا بصدد هذه المسألة أحد قادة المخابرات الالمانية مستشهدا برأي « بولكس » العميل الصهيوني والنازي يقول « كان يسود الاوساط اليهودية القومية ارتياح عميق لسياسة المانيا الجذرية تجاه اليهود ، وذلك لان هذه السياسة تساعد على زيادة السكان اليهود في فلسطين »(١٨).

وهكذا أخذت الدعاية الصهيونية تعمل على اجتذاب اليهود ـ وخاصة الشباب منهم الصالح للقتال ـ تحت شعار العودة الى أرض الميعاد فرارا من الاضطهاد وبحثا عن الامن والاستقرار ، محفزة اياهم بأنهم « شعب الله المختار » الذي يجب ان يتوحد فوق أرض الوطن المسلوب ويسيطر عليه بحكم تفوقه وارادة الله او الرب الذي امر « سليمان » بأن يبني هيكله في « أورشليم المقدسة » . ورغم ان الدعوة كانت تقودها المنظمة الصهيونية العالمية من قلب اوروبا الغربية والولايات المتحدة وتنفق عليها الاحتكارات الرأسمالية هناك ، فان المهاجرين اليهود من امريكا الى فلسطين في الفترة من ١٨٨١ الى ١٩٣٠ لم يزد عددهم عن نحو ١٢٠ ألفا بينما هاجر الى امريكا (أي الولايات المتحدة) في نفس الفترة نحو ٣٫٢ مليون يهودي بحثا عن فرص افضل للحياة ! كما بلغت جملة اعداد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٤٧ نحو ٤٤٥ الف مهاجر من جملة مليون و٤٨٣ الف مهاجر يهودي(١٩) في جميع أنحاء العالم ! وهذا ما دفع « ترومان » الى مطالبة « آتلي » في ١٩٤٥ بفتح باب الهجرة لمائة ألف يهودي كانوا محشودين في معسكرات « النازحين » في أراضي دول اوروبا الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية تحت اشراف الجيش الامريكي، وذلك حتى يقدم للحركة الصهيونية وقودا بشريا من الذين عانوا مرارة الاعتقال النازي تستخدمهم بعد ان تعاد صياغتهم نفسيا بالقيم الصهيونية ـ وباستغلال عقدة الاضطهاد لديهم التي عاشوا مرارتها بالكامل ـ المعنوية القائمة على فكرة غزو شعب الله المختار لارض الميعاد في غزو فلسطين ، وحيث يعيشون في « الكيبوتزات » أو الاحياء اليهودية في مدن فلسطين داخل « جيتو » جديد تحت اشراف « الهاجاناه » تحت مشاعر كره العرب وخطرهم على وجودهم ومستقبل آمالهم في حياة رغدة خالية من الاضطهاد في وطنهم الجديد ، وأنهم اذا لم يحملوا السلاح ويقتلوا العرب قبل ان يقتلوهم فانهم سوف يتعرضون لخطر الابادة ، وهو الخطر الاسطوري الذي ما زالت اسرائيل تروج خرافته حتى الان لتدعم وحدتها الداخلية وتغطي تناقضاتها الاجتماعية في مواجهة الخطر الخارجي المشترك لجميع سكانها . والذي خلقت من أجله نظرية « الحرب الوقائية » و « الضربة الاجهاضية المضادة » التي تزخر بها الكتابات الاستراتيجية الاسرائيلية . وهكذا جرى ويجري صنع القيم المعنوية اللازمة لاستراتيجية الدولة الاستعمارية الصهيونية والتي تساندها مزاعم أخرى تروجها الدعاية الصهيونية العالمية حول اسرائيل « واحة التقدم والديمقراطية » وسط العالم العربي المتخلف !

٥ ـ **الامبريالية توفر السلاح والخبرات** : مع نشأة أول « كيبوتز » في عام ١٩٠٩ تشكلت أول منظمة عسكرية صهيونية داخل فلسطين من طلائع الشباب المتحمس للدعوة وكان معظمهم من اعضاء الفوج الثاني من المهاجرين القادمين من روسيا القيصرية ودول شرق أوروبا (وذلك في الفترة بين ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ وعددهم ما بين ٣٥ ـ ٤٠ ألفا جاء معظمهم من روسيا بعد الهزائم والمذابح التي وقعت بين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ تحت تأثير الدعاية الصهيونية)(٢٠) وكان من بينهم « بن جوريون » الذي وفد الى فلسطين في عام ١٩٠٦ . وكانت مهمة هذه المنظمة هي حراسة المستعمرات بدلا من الحراس القدامى المستأجرين من « الشركس » . ولذلك سميت بأسم « هاشومير » أي « الحراس » ، وكانت أول مستعمرة تتم حراستها بواسطة هذه المنظمة هي مستعمرة « سيجيرا » التي انشأت بواسطة صندوق الاستعمار اليهودي في الجليل ، وكان « بن جوريون » يسكنها وقتئذ . ولم يحل عام ١٩١٤ حتى كانت كل المستعمرات تحرس بهذا الاسلوب . وقد سلمت السلطات التركية لهذه المنظمة بعض الاسلحة لتساعدها في مواجهة العرب ! ويصف « بن جوريون » في مذكراته شعور أفراد المنظمة عند الحصول على الاسلحة فيقول « كنا ننتظر مجيء الاسلحة ليلا ونهارا ولم يكن لنا حديث الا الاسلحة وعندما جاءتنا الاسلحة لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا . . . كنا نلعب بالاسلحة كالاطفال، ولم نعد

نتركها ابدا . . . كنا نقرأ ونأكل ونتكلم والبنادق في أيدينا او على أكتافنا »(٢١) . ومنذ ذلك الوقت حملت الحركة الصهيونية السلاح في فلسطين ولم تلقه من يدها مطلقا بعد ذلك الى اليوم . وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما لاحت مرحلة بدء تحقيق المخطط الامبريالي بصورة عملية نظرا لانضمام تركيا الى صف المانيا في الحرب ، انتهزت بريطانيا الفرصة للزحف على فلسطين وبقية المشرق العربي لتصفية تركة « الرجل المريض » واعادة تقسيمها بينها وبين فرنسا ، وكانت معاهدة « سايكس ــ بيكو » في ايار (مايو) عام ١٩١٦ ، التي ادخلت فلسطين ضمن حصة بريطانيا من تركة الامبراطورية التركية ، ثم كان « وعد بلفور » في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ الذي ضمن للصهيونية حق اقامة وطن قومي في فلسطين . وكان لا بد من اتخاذ خطوات اكثر جدية وحسما على طريق بناء جهاز الدولة الاسرائيلية المزمع اقامتها وضرورة بدء اعداد نواة الكوادر العسكرية اللازمة . فكان ان شكلت اول كتيبة اسرائيلية نظامية تابعة للجيش البريطاني في عام ١٩١٤ من نحو ٥٠٠ جندي ، ٥ ضباط انجليز ، ٨ ضباط يهود . وقد اشتركت الكتيبة المذكورة ــ والتي وسعت الى لواء تقريبا في عام ١٩١٧ ــ في القتال لاول مرة في الانزال البرمائي الذي تم بشبه جزيرة « غاليبولي » ، ثم شاركت في بعض المعارك التي دارت في فلسطين وآخرها في « اللد » عام ١٩١٨ ، حيث تبقى من رجالها نحو ١٥٠ جنديا و ١٥ ضابطا . كما لعبت المنظمة الصهيونية دورها بفاعلية ــ كما هو عهدها دائما في عمليات المخابرات العالمية ــ في أعمال التجسس والمخابرات وراء الخطوط التركية ــ الالمانية بواسطة منظمة سرية تدعى « نيلي » التي اقامها جماعة من شباب المستوطنين اليهود في فلسطين كما يروي « آلون » في كتابه « انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي » والذي يستطرد قائلا بصدد دور الكتيبة اليهودية المذكورة « وفي تلك الفترة ، انشئت اول كتائب يهودية تابعة للجيش البريطاني الذي كان يقاتل على مسرح الشرق الاوسط . وكانت تضم متطوعين يهودا من فلسطين وبريطانيا وامريكا . وهي التي اتاحت لشباب اليهود فرصة اكتساب تدريب عسكري وتنظيم أفضل ، كما حصلوا على كمية معينة من المعدات العسكرية الخفيفة ، اثبتت بعد ذلك انها كانت ذات قيمة كبرى »(٢٢) .

وبعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح وتشكيل عصبة الامم ، حرصت القوى الامبريالية الدولية على استكمال الخطوات اللازمة لاستيلاء الصهيونية على فلسطين وانشاء نواة جهاز الدولة الاداري الاسرائيلي مع اعطاء وجوده صفة شرعية في وثيقة دولية صادرة عن عصبة الامم وهي صك انتداب بريطانيا لادارة شئون فلسطين ، فضمنت الصك المذكور ضرورة التزام بريطانيا بتنفيذ « وعد بلفور » (في الديباجة والمادة الثانية) كما ضمنته الاعتراف بالمنظمة الصهيونية وخولتها صلاحية أن « تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن اليهودي »(٢٣)! وضمنته ايضا الاعتراف « بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة »(٢٣)! وهكذا تشكلت الوكالة اليهودية أو جهاز الحكومة الاسرائيلية قبل الاعلان الرسمي عن دولة اسرائيل بأكثر من خمس وعشرين سنة ! كما تشكل « الهستدروت » ــ أي الاتحاد العام للعمال اليهود ــ في ديسمبر ١٩٢٠ والذي قال عنه « بن جوريون » « بدون هذا الاتحاد اشك في أننا كنا سنحصل على دولة »(٢٤) . وفي عام ١٩٢١ تأسست « الهاجاناه » كجزء من الهستدروت في بادىء الامر وحلت محل « هاشومير »، ثم تطورت في ١٩٣٠ لتشمل اليهود غير الممثلين في الهستدروت ، وفي عام ١٩٣٣ تم تشكيل هيئة أركان دائمة للهاجاناه باعتبار انها

الجيش السري للوكالة اليهودية ، وهكذا تم اعداد كافة الاجهزة الاساسية لنواة الدولة الاسرائيلية وتلقى كوادرها العسكريون والاداريون والسياسيون تدريبهم النظري والعملي ما بين خلايا وتشكيلات الهاجاناه وتنظيمات الوكالة اليهودية بعد ان يكونوا قد تشربوا بالروح الصهيونية والتربية الاسبرطية الجديدة في « الكيبوتزات » التي كانت معامل اعادة صياغة لليهود المهاجرين . وتعمد هذا الكادر مبدئيا في الاشتباكات الاولية التي وقعت مع الشعب العربي في فلسطين في اعوام ١٩٢١ ، ١٩٢٩ . ثم كانت مرحلة الثورة العربية الكبرى ضد الاستعمار البريطاني والوجود الصهيوني المتزايد في فلسطين في الفترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، هي المرحلة التي تطورت فيها « الهاجاناه » . وزادت خلالها حركة بناء المستعمرات « الكيبوتز » على النحو الذي اشار اليه « آلون » في كتاباته السابق ذكرها عند حديثنا عن دور « الكيبوتزات » في تشكيل الواقع الجغرافي — الاستراتيجي للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي .

ففي هذه المرحلة قدمت سلطات الانتداب البريطاني كل المساعدات العسكرية والتدريبية اللازمة لتدعيم قوة وخبرة « الهاجاناه » حتى تلعب دورا أكثر فاعلية في مقاومة الحركة الثورية العربية وحماية المنشآت البترولية البريطانية . ويروي « آلون » بعض تفاصيل هذه المساعدات الامبريالية البريطانية فيقول « وفي ذلك الوقت ساهمت بادرتان مشجعتان من جانب الانجليز ، في تطور الهاجاناه الى حد كبير . كانت الاولى رسمية ، وهي انشاء « شرطة المستعمرات اليهودية » ، وهي قوة كانت تضم ثلاثة عناصر : أ — عدد صغير من الوحدات المتنقلة ، تدفع مرتباتها وتزودها بالمهمات حكومة الانتداب، للقيام بكافة واجبات الحراسة المحلية . ب — عدد اكبر من قوات الشرطة الخاصة ، يسمح لها باستخدام اسلحة القوة المتنقلة للتدريب وفي حالات الطوارىء . جـ — وحدات متنقلة تقتصر خدمتها على مناطق محددة ، تمولها الحكومة ايضا ، وهي المسئولة في مناطقها عن القيام بدوريات الحراسة للطرق والمحصولات ، وتعزيز حاميات المستعمرات التي تتعرض للهجوم ، ونصب الكمائن للفدائيين العرب اثناء اقترابهم من المناطق اليهودية أو انسحابهم منها . اما البادرة الثانية فكانت غير رسمية، وان لم تقل عن الاولى اهمية : فلقد ظهر على مسرح فلسطين الكابتن — الجنرال بعد ذلك — اورد وينجت Orde Wingate . وكانت مصالح شركة بترول العراق هي التي أدخلته في الصورة . فلقد انزل الفدائيون العرب خسائر جسيمة بخط الانابيب التابع للشركة والممتد الى مصافي حيفا . ونتيجة لذلك انشئت وحدة يهودية — انجليزية مشتركة تحت قيادة وينجت لحماية خط الانابيب الحيوي عرفت باسم « الفرق الليلية الخاصة » . ولكن هذه الفرق كانت اقل عددا وافقر تسليحا من ان تستطيع اداء مهمتها . ولذلك تعاون وينجت سرا مع وحدات الهاجاناه المشابهة لوحدته والتي تمارس نفس المهمة بالفعل ، وكثيرا ما كان يقترض السلاح من ترسانة الهاجاناه للقيام بغاراته وكمائنه ، وكان معظمها يتم ليلا في مناطق شاسعة بالجليل على جانبي خط الانابيب . وفي الصباح كانت الوحدات غير الرسمية تختفي تماما، وتعود الوحدات الرسمية الى قاعدتها . وقد زودت الهاجاناه قوتي الشرطة هاتين ، الرسمية وشبه الرسمية، بالرجال واستخدمتهما كغطاء لتدريباتها وعملياتها . وكان ظهور « وينجت » — بحماسة الصهيوني غير العادي — حدثا ذا أهمية تاريخية للهاجاناه . . . لقد وهب نفسه دون تحفظ للتعاون مع جيش اليهود السري . وكان زميل « وينجت » على الجانب اليهودي ورفيقه في الفرع السري للهاجاناه « اسحق ساده» ، الذي كان عبقرية عسكرية . . ولقد ادخل مع « وينجت » تعديلات جوهرية على تكتيكات الهاجاناه »(٢٥) ثم يستمر « ايجال آلون » في سرد تفاصيل عديدة هامة عن الفوائد التي جنتها الهاجاناه من تعاون « وينجت » معها والصفات الممتازة العسكرية التي كانت له والخبرات التي وفرها للهاجاناه نتيجة لذلك مثل « انه كان يصر على النظام الدقيق ، المرتبط بغرض مفيد مع التركيز على الجوانب العملية لا الشكلية »(٢٥)

ـ وتلك احدى خواص الضبط والربط الاسرائيلي حاليا ـ ومثل « انه كان دقيقا وبالغ الحرص في رسم الخطط التمهيدية للعمليات . وكان يحرص قبل كل عملية على التأكد من ان رجاله يفهمون أسس خطته واهدافها. . . كما كان يحرص على منح السلطة لضباطه وتدريبهم على تولي القيـادة ، وبأن يحزموا رأيهم ويتخـذوا قراراتهم دون الرجـوع اليه »(٢٥). وما زالت هذه الاساليب التنظيمية في القتال مطبقة في الجيش الاسرائيلي ، ومثل انه كان يدرك « أهمية تركيز القوات حول الهدف الرئيسي . . . ومع ذلك فقد كان شديد البراعة في استخدام القوات المشتتة والمتفرقة اذا استدعت ظروف القتال ذلك . كما كان يهتم اهتماما خاصا باستغلال عنصر المفاجأة والحركة السريعة »(٢٥) هذا كما انه كان «يؤكد أهمية الدافع الايديولوجي في الحرب. . . وكثيرا ما كان يستشهد بالتوراة. وكان يؤمن أن الشعب اليهودي شعب فريد ، ومن حقـه ان يعود الى وطنه القومي التاريخي »(٢٥). ومثل انه « لما كان قد وهب نفسه لنظرية الدفاع الايجابي ، اي بلغة العسكرية الاسرائيلية الحديثة نقل الحرب الى أرض العدو،فقد كان شديدالحماس لافكار وعمليات مجموعات الكوماندوز اليهودية التي كانت تتقدم كثيراً اثنـاء الاشتباكات ولا تكتفي بالقتال من وراء المتاريس . ولقد ساعد الحاقه بعض المقاتلين اليهود بوحداته ، على اتاحة فرصة التدريب العملي لهم في ظروف ملائمة نسبيا . كان « وينجت » يعتبر نفسه من الناحية الفعلية، عضوا في الهاجاناه. وكنا جميعا ننظر اليه كذلك»(٢٥). وهكذا يلقي « آلون » ـ الذي حرصت على أن أنقل كثيرا من أقواله بنصها لشدة دلالاتها ـ ضوءا واضحا على الكيفية التي امدت بها الامبريالية العالمية جيش المرتزقة الصهيوني بالخبرات التنظيمية والقتالية والقيادية فضلا عن الدعم بالسلاح والمال ، ولو انه يحاول جاهدا أن يصور حماس « وينجت » ، وصلاحيته للدور اللورنسي الذي عهدت اليه به المخابرات البريطانية والاحتكارات البترولية ، على انه حماس صهيوني فردي خـاص بشخص وينجت نفسه بمعزل عـن الاستعمار البريطـاني . الا ان « ليدل هارت » ـ المنظر الاستراتيجي البريطاني الشهير والشديد الحماس للصهيونية ودور اسرائيل في المنطقة ـ يروي في مذكراته المنشورة في عام ١٩٦٥ جانبـا من قصة وينجت الحقيقية وصلته بجهاز المخابرات البريطاني وبأهداف الاستعمار البريطاني فيقول « لقد زارني وينجت ليبحث ويناقش معي تدريب وتكتيك الوحـدات المضادة للعصابات التي كـان ينظمها في فلسطين من متطوعين يهود لتواجه العصابات المسلحة العربية التي سببت اضطرابا كبيرا للغاية منذ ١٩٣٦ استوجب ارسال تعزيزات ضخمة من القوات المرابطة في بريطانيا للحامية البريطانية هناك بلغت ما يزيد عن قوة فرقة . وقد أوضح لي وينجت أنه يطبق هناك الافكار التي ضمنتها كتبي المبكرة عن تكتيكات المشاة وكتابي الحديث عن « مستقبل المشاة » . . ولقد كانت وجهات نظره حول الموقف في الشرق الاوسط ، وأهمية الامكانيات العسكرية المتوفرة لدى الشباب الصهيوني ، متطابقة تماما مع وجهات نظري بهذا الصدد. ولذلك كتبت عنه رسالة الى « تشرشل » وأخرى الى « ايدن » ايضا»(٢٦). ويستطرد « ليدل هارت » موضحـا ما اورده في رسالته الى « تشرشل » الذي كـان « وينجت » شديد الرغبة في الالتقـاء به والتي كتب يقول فيها « منـذ ايام قليلة مضت التقيت بالكابتن أورد وينجت وهو احد رجال مخابرات قيادتنا العامة في فلسطين ، والذي يؤدي حاليا دورا مشابها لدور « لورنس » (بطـريقة عكسية) في مقاتلة العصابـات الارهابية العربية في فلسطين . وقد قال لي انه شديد الرغبة في الحصول على فرصة لقائك. . .وقد لخصت لك الاساليب التي يطبقها بنجاح ملحوظ في المذكرة المرفقة بخطابي، والتي أبعث بها اليك بصفة خصوصية . ونتيجة لها فقد اجيز له أن يحاول تطبيقها وأن يشكل ويدرب مجموعات ليلية خاصة لاداء هذا الغرض . ومما يؤسف له ان امكانيـة توسيع النجاح الذي تحقق بالفعل قد عرقلت بواسطة تـردد السياسيين في السماح بتوسيع هذه القوة الخاصة الى الحد الملائم لها لتأدية الهدف المطلوب »(٢٦). ثم يقول

« ليدل هارت » في مذكراته ان « وينجت » سلمه ملفا ضخما فيه كافة الاوراق الخاصة بتعليماته واوامره الخاصة بالتدريبات والعمليات التي كان يقوم بها بالنسبة لهذه القوة اليهودية ويعرض استعداده لتسليم هذه الاوراق بكل سرور الى مركز الوثائق القومية الاسرائيلي باعتبار ان « وينجت » ذو الذكرى التي لا تنسى في اسرائيل يعتبر بطلا قوميا لديها(٢٦)! ويروي « ليدل هارت » بعد ذلك انه « في ١٩٣٨ وفي العام الذي سبقه قدم لزيارتي عدد من الزعماء الصهيونيين عندما جاءوا الى لندن في زيارة لها ، ليتبادلوا معي الرأي في الاوجه الاستراتيجية للموقف في الشرق الاوسط ، وموقعهم فيه على وجه الخصوص . وقد كان من بينهم وايزمان ، رئيس اسرائيل في المستقبل ، بن جوريون ، جاليلي ، موشي شرتوك »(٢٦).

لقد قصدت من ايراد هذه المقاطع الطويلة نسبيا من كتابات ممثل رئيسي من ممثلي الفكر العسكري الاستراتيجي لدى كل من اليهود الصهيونيين والامبرياليين البريطانيين ، حتى تتضح من هذه الوثائق شبه الرسمية والى ان يكشف الغطاء تماما عن الوثائق السرية الكاملة للحركة الصهيونية ومنظماتها العسكرية ولوزارة الخارجية والحربية وادارة المخابرات البريطانية وللشركات البترولية الامريكية والبريطانية وادارة المخابرات الامريكية الخ ، حتى تتضح حقيقة الدور الذي لعبته القوى الامبريالية في امداد الجيش الاسرائيلي السري بكافة مقومات القتال من سلاح وتدريب ، وخبرات تنظيمية وقيادية.

وقد تم الجانب الجذري في هذه المسألة اثناء مرحلة الثورة العربية ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وكادت ان تستكمل مسألة تكوين جهاز الدولة العسكري الاسرائيلي وتنشأ الدولة رسميا (توصيات لجنة اللورد بيل عام ١٩٣٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية) لولا اضطرار بريطانيا الى مهادنة العرب بسرعة ازاء تصاعد خطر الحرب العالمية الثانية واحتمال تحالف القوى العربية مع المانيا وايطاليا ضد بريطانيا . فكان أن صدر الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ الذي تعهدت فيه بريطانيا بتحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين بحيث لا تزيد عن ١٠ الاف مهاجر تقريبا كل سنة وبتشكيل حكومة فلسطينية مستقلة يساهم فيها العرب واليهود بعد عشر سنوات . ولكن هذا كان مجرد تأجيل للصراع يتم في غير صالح العرب ، لانه ادى الى تصفية القوة الثورية العربية الفلسطينية الرئيسية وهذا يفسر قول « آلون » ربما يكون الصهيونيون قد كسبوا حرب فلسطين في الثلاثينات ، ولكن لا جدال في أن اللجنة العربية العليا قد كسبت الصراع السياسي . ويبدو ان القوة المتصاعدة لدول المحور ودعاياتها في الشرق الاوسط هي التي ادت الى زيادة القوة السياسية العربية في ذلك الوقت الحرج(٢٧). والواقع أن هذا الكسب السياسي العربي الذي يتحدث عنه « آلون » والمتمثل في عدول بريطانيا مؤقتا عن تقسيم فلسطين وتكوين دولة يهودية وصدور الكتاب الابيض كان كسبا ظاهريا زائفا فرضته ضرورات تأمين الجبهة الداخلية العربية التي تشكل مؤخرات الصراع العسكري بين بريطانيا وفرنسا من جهة والمانيا وايطاليا فوق ساحة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط . فلقد كانت الثورة العربية المسلحة قد هزمت فعلا وقتل الكثير من كوادرها وقادتها (مثل عبد الرحيم الحاج محمد القائد العام الذي استشهد في ٢٧ مارس ١٩٣٩) كما تفسخت قيادتها السياسية ، بينما انزلق البعض الاخر الى مهاوي الثورة المضادة مثل عناصر حزب الدفاع التي شكلت عصابات مسلحة مضادة للثورة سميت « فصائل السلام » بقيادة فخري النشاشيبي(٢٨). وتبعثرت بقايا التنظيم السري المسلح للثورة الذي انشأه أصلا الشيخ عز الدين القسام(٢٩).

لقد خرجت حركة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني من مرحلة صراع ١٩٣٦ — ١٩٣٩ أقوى مما دخلتها بكثير ويلخص « آلون » نتائج هذه المرحلة الهامة التي تقرر فيها في حقيقة الامر مستقبل حركة الصراع العربي — الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ فيقول « وتحت

ضغط القومية العربية الحربية ، نمت الهاجاناه حجما وقوة ، وضمت الى عضويتها كل يهودي ويهودية في فلسطين تقريبا ، كل يخدم في الوحدة المناسبة . ودربت الهاجاناه عددا كبيرا من ضباط الصف والضباط الشبان ، وحصلت على سلاح أكثر وأفضل . وفوق ذلك ، نمت طابعها القومي ، ودعمت قيادتها ، وحققت بداية ناجحة في محاولتها انشاء قوة احتياطية دائمة . . وكان هناك بطبيعة الحال بعض النكسات والهزائم ، ومع ذلك فانه من المكن أن نقول ان هذه الفترة بصفة عامة هي التي أعطت النصر لليهود . ان مستعمرة واحدة لم يهجرها سكانها ، وبنيت مستعمرات جديدة ، وتكونت مجموعات من المستعمرات في مناطق هامة . وعندما وجد العرب ان هجماتهم تتزايد تكاليفها على الدوام ، بدأت مبادرتهم تتلاشى بالتدريج ، حتى امكن تحقيق سلام نسبي — وكان سلاما غير مستقر — في ربيع ١٩٣٩ »(٣٠).

وواصلت الهاجاناه نموها كميا وكيفيا اثناء الحرب العالمية الثانية بفضل الدعم المستمر المقدم لها في صور عديدة من جانب بريطانيا والولايات المتحدة والمنظمة الصهيونية العالمية . فقد اخذت بريطانيا تجند في صفوف جيشها خاصة في فلسطين الاف اليهود بصورة اوسع بكثير مما حدث خلال الحرب العالمية الاولى وبدأ التفكير في انشاء لواء او فرقة يهودية يأخذ سبيله الى التنفيذ منذ عام ١٩٤٠ ، فقد كتبت « مسز دوجال » ابنة أخ اللورد « بلفور » في مذكراتها يوم ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ تقول « أنه يوم سعيد ، بل يوم عظيم ، ففيه يجتمع حاييم (تقصد وايزمان) باللورد لويد وانتوني ايدن . وقد علمت منهم ان آمالنا كلها قد تحققت . ويجري تحضير قوة مقاتلة يهودية تعدادها عشرة الاف رجل ، يجند ثلاثة آلاف منهم في فلسطين . . . وقد قابلت « حاييم » بعد الظهر وهو يكاد يطير من الفرح وقال لي : انه يوم يعادل في عظمته يوم اعلان وعد بلفور . وكان وينجت حاضرا ايضا . وفي اليوم الثاني شرح لي خطته وتقدمه في مضمار التجنيد والتدريب ، ورأيه في كيفية استخدام القوة اليهودية المقاتلة في المستقبل »(٣١) . كما كتب « تشرشل » في مذكراته عن الفترة يونيو — اغسطس ١٩٤٠ بخصوص الوضع في مصر والشرق الأوسط يقول « لقد أردت أن أسلح اليهود في « تل ابيب » ، الذين يستطيعون ، متى توفرت لهم الاسلحة المناسبة ، أن يقاتلوا بكفاءة ضد جميع الغزاة »(٣٢) . وقد تم بالفعل تجنيد الالاف من المتطوعين اليهود داخل وحدات الجيش البريطاني اثناء الحرب . وحول هذه المسألة يقول الكاتب الامريكي « روبرت دونوفان » في كتابه المسمى « **اسرائيل تقاتل من اجل البقاء** » « لقد استطاعت الجالية اليهودية في فلسطين — التي كان عددها لا يزال لم يتعد بضعة مئات قليلة من الالاف — أن تعبىء قوتها الى حدها الاقصى من اجل الحرب . فقد تم تجنيد نحو ٢٧ الفا من أبنائها في الجيش البريطاني ، حيث اشتركوا في القتال ضمن اللواء اليهودي الذي حارب الالمان والايطاليين في أوروبا . وفي داخل فلسطين نفسها كان هناك الجيش السري المعروف باسم « الهاجاناه » والذي أوجد منذ فترة طويلة لحماية المستعمرات اليهودية ، وقد أصبح قوة ضاربة صغيرة ولكن ذات فاعلية قوية . وعندما أخذت قوات رومل تقترب من قناة السويس ، استجابت « الهاجاناه » لنداء بريطانيا بطلب المساعدة وخاضت القتال معها . وعندما انقشع خطر الغزو الالماني ، عادت الهاجاناه مرة اخرى الى السرية . وبعد أن اثبتت الهاجاناه قدراتها القتالية على هذا النحو ، أخذت تعد نفسها لخوض حرب من اجل تأسيس دولة يهودية . وبمجيء يوم النصر في نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان اليهود قد قطعوا شوطا طويلا في اعداد انفسهم للصراع الوشك الوقوع من اجل اقامة دولتهم »(٣٣) . ويروي الكاتب البريطاني « جوردون لاندزبورو » في كتابه « **الاغارة على طبرق** » عن تفاصيل اشتراك مجموعة خاصة من اليهود ذوي الأصل الالماني والموطن الفلسطيني في الاغارة الفدائية التي قامت بها وحدات الكوماندوس البريطانية على قاعدة المحور في طبرق خلال شهر سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وان هذه المجموعة كانت تضم ٢١ يهوديا من بينهم

- ضابطين وكان يعهد اليها بمهـام خطرة خاصة ، وأنها كانت تعـرف في صفوف القوات البريطانية باسم "Special Identification Group" وكان نشاطها وأفرادها محاطون دائما بسرية وغموض(٣٤).

هذا ويقول الكاتب الامريكي « كينيث لوف » في كتابه «**حرب السويس التي وقعت مرتين**» « لقد منحت الحرب العالمية الثانية رجال « الهاجاناه » فرصا طيبـة ليس فقط لخوض القتال ضد النازية ولكن ايضا في الحصول على التدريب والاسلحة من اجل الامل المتوقع حدوثه وهو اقامة دولة في فلسطين بالقوة . وقد سعت الوكالة اليهودية باستمرار طوال متابعتها لاهدافها هذه ، لتحصل على حق تشكيل جيش يهودي ، ولكنهـا لم تنجح في مساعيها هذه الا متأخرة وبصورة جزئية . وقد التحق معظم الشباب اليهودي بالجيش البريطاني كأفراد . وبلغ عددهم أكثر من ١٤ ألفـا عند نهاية الحرب . وقـد اعتبروا أنفسهـم يخدمون اثنين من السادة ، قيادة الهاجاناه والقيادة البريطانية أيضا ، وقـد انتهزوا الفرص التي تتيحها ظـروف الحرب وقاموا بسرقة كميات ضخمة من الاسلحة والذخيرة نقلوها الى المستودعات السرية للهاجاناه . ولقد كانت تلك الاسلحة والتدريب عناصر هامة للغاية خلال الحرب العربية ـ الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ »(٣٥).

ولقد افادت الهاجاناه كثيرا من تدريب آلاف اليهود كجنـود في الجيش البريطاني ، أو كجنود ضمن الفرقة اليهودية المستقلـة التي وافقت الحكومة البريطانية رسميا علـى تشكيلها في مارس ١٩٤٥ وساهمت في المعارك الاخيرة ضد المانيا الهتلرية . هذا وقد شكلت الهاجاناه في مايو ١٩٤١ قوة خاصة ضاربة دائمة التعبئة مستقلة عـن الجيش البريطاني عرفت باسم « البالماخ » (أي الصاعقة) بدعوى الاستعداد لمواجهة احتمالات الغزو الألماني لفلسطين ووضع خطة مفصلة لذلك الاحتمـال بالاشتراك مع بريطانيا . ولقد ساهمت بريطانيا مساهمة فعالة في انشاء هذه الوحدات مننواحيالتدريب والتمويل والتسليح . ويقول « آلون » بصدد نشأة وتطور وحدات « البالماخ » ـ التي لعبت دورا هاما في حرب ١٩٤٨ والتي تولى قيادتها منذ عام ١٩٤٥ ـ « ان التعاون مع الانجليز ، قد أعطى « البالماخ » ، رغم قصر حياته ، فرصة فريدة لتدريب عسكري افضل في ظروف علنية ، وبالتالي أكثر سهولة ، على ايدي مدربين من البالماخ نفسها او من الانجليز . وقد تخصصوا في التخريب وعمليات الكوماندوز وأعمال المخابرات والاتصالات من النوع المطلوب لمحاربة الالمان اذا وصلوا الى فلسطين . وبغطاء من المئات القليلة الذين اعترف بهم الانجليز ومولوهم ، تلقى الالاف من شباب اليهود تدريبا وخبرات عسكرية مماثلة . وقد عمل بعض افراد البالماخ مستقلين كمظليين محاربين في دول البلقان... واشترك البعض الاخر مع القوات البريطانية ، في غارات عميقة وراء خطوط العدو في الصحراء الغربية . كما قام آخرون ـ ممن يتقنون الالمانية ـ بالتسلل الى معسكرات الالمـان لاغراض المخابرات ، ولنفس المهمة تنكر اخرون كعرب ودخلوا سوريا ولبنان استعدادا لاحتمال غزو الماني للبلدين... وبدأ ادخال مستوى الكتيبة كوحدة تكتيكية ، كما بدء في تكوين الالوية ، ولكن لم يسمح لذلك بأن يكون على حساب مرونة البالمـاخ كقوة حرب عصابات... ان تدريب البالماخ ، المتعدد الاهداف ، كان من أعظم مقوماتها. فلقد تلقى افرادها تدريبا بدنيا صارما من النوع الاسبارطي ، تعلموا استخدام مختلف الاسلحة ، من السكين والقنبلة اليدوية الى الرشاشات ومدافع الهاون والمفرقعات . ودرسوا على الطبيعة طبوغرافية البلاد في طولها وعرضها .. بل انهم كرسوا جزءا كبيرا من دراستهم لمعرفة العادات القومية والهياكل العسكرية لاعدائهم المحتملين في المستقبل .. ولما كانت البالماخ هي القوة اليهودية الوحيدة الدائمة التعبئة ، فقد أخذت على عاتقها خلق نواة لسلاحين جديدين ، اسطول وقوة جوية . وتم استخـدام النوادي الرياضية ، البحرية والجوية ، في تدريب عشرات الجنود على قيادة الطائرات البسيطـة .. ودرب مئات

الجنود كبحارة محترفين .. وفي السنة الثالثة من حياة البالماخ تقرر انشاء نظام للاحتياط خاص بها الخ .. »(٣٦)! ويستطرد « آلون » موضحا الكيفية التي خلقت بها نواة الجيش الاسرائيلي بمعاونة الاستعمار البريطاني تمهيدا للاستيلاء على فلسطين وطرد شعبها ، الذي تفككت قياداته القديمة المتخلفة اثر ثورة ١٩٣٦ وافتقد وجود قيادة ثورية في مستوى الموقف طوال هذه المرحلة الهامة من تنفيذ المخطط الامبريالي ، فيقول « لقد كانت البالماخ معمل التجارب للهاجاناه ، تختبر فيه الاساليب الجديدة للتدريب والتنظيم (المكتسبة طبعا من وينجت وامثاله من كوادر الامبريالية العالمية) .. لقد كانت في الواقع اول جيش يهودي دائم التعبئة يعمل تحت سلطة يهودية كاملة الاستقلال .. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك أربع كتائب بالماخ جيدة التنظيم والتدريب والانضباط ومستعدة دائما للعمل ، وحولها وحدات اخرى كثيرة للهاجاناه ، على استعداد للتعبئة كلما دعت الضرورة »(٣٦). ثم يقول في موضع اخر « لا شك ان الحرب العالمية الثانية بصورة عامة ، قد زادت من قوة المجتمع اليهودي في فلسطين زيادة كبيرة. لقد اكتسب عشرات الالوف من المتطوعين اليهود في مختلف فروع القوات البريطانية المسلحة تدريبا عسكريا قيما وخبرة فنية طيبة ، ولقد جلبوا معهم خبراتهم هذه الى الهاجاناه ، مما عاد عليها بفوائد كبرى في مراحل تالية »(٣٦).

وقد قال « بن جوريون » الذي كان يتولى زعامة الوكالة اليهودية طوال فترة الحرب ــ اي الحكومة الاسرائيلية السرية ــ بصدد فوائد التعاون مع الانجليز اثناء الحرب « لم يكن في وسعنا ان نحصل مطلقا على وحدات المدفعية التي لدينا الان لو لم نلبس البزة العسكرية البريطانية . وليس هذا كل شيء ، فهل كنا نستطيع ان ندرب عشرين الف الشاب الموجودين في الجيش النظامي ذلك التدريب الذي تلقوه ؟ »(٣٧). وهكذا تكاملت للقيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية العاملة في خدمة الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط كافة معطيات الاستراتيجية العسكرية المطلوبة لتنفيذ مخططها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعشية حرب ١٩٤٨ الوشيكة الوقوع .

الصراع البريطاني ــ الامريكي حول فلسطين عشية حرب ١٩٤٨ :

بحكم أن الاستراتيجية الاسرائيلية الشاملة وثيقة الاتصال والتأثر بالعوامل الدولية الخارجية ، وهي مسألة مؤثرة في أي استراتيجية بصفة عامة الا انها ذات وضعية أكثر خصوصية بشكل كبير بالنسبة للاستراتيجية الاسرائيلية بالذات ، نظرا للعلاقة العضوية بين الحركة الصهيونية وحركة الامبريالية العالمية . لذلك يكون من الضروري لاي دراسة موضوعية لمجرى تطور الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية خاصة في الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ وطوال مرحلة الحرب النظامية العربية ــ الاسرائيلية الاولى التي انتهت في يناير ١٩٤٩ ، ان تدرس واقع التناقض البريطاني ــ الامريكي، الناتج من محاولة الولايات المتحدة تصفية نفوذ ومصالح بريطانيا منمنطقة الشرق الاوسط ، وبادىء ذي بدء من فلسطين باعتبارها اضعف حلقات مراكز السيطرة والنفوذ البريطاني نتيجة لوجود عناصر الدولةالاسرائيلية الكامنة فيها ، وباعتبار ان نقطة البداية بالنسبة للقوى الامبريالية الراغبة في ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في احكام سيطرتها على المنطقة اقتصاديا واستراتيجيا (وفقا لاسلوب الاستعمار الجديد الذي كانت ملامحه الاولية قد بدات في التشكل) هي ضمان ولاء وتبعية الدولة الصهيونية التي توشك ان تولد في المنطقة ، باعتبار انها تجمع المرتزقة العصريين العاملين في خدمة الدول الراسمالية ضد شعوب المنطقة كما حددت وثيقة مؤتمر « كامبل بنرمان » المبكرة في عام ١٩٠٧ السابق الاشارة اليها . لقد عملت الولايات المتحدة منذ وقت طويل وقبل أن تصبح قوة مؤثرة وذات مصالح جوهرية في الشرق الاوسط والوطن العربي ، اي منذ الحرب العالمية الاولى ، على قيام الوطن

القومي لليهود والدولة الصهيونية في فلسطين ، وذلك كما توضح كثير من الوثائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومنها على سبيل المثال الوثيقة السابق الاشارة اليها والخاصة بتقرير لجنة الخبراء الامريكيين الى الرئيس « ويلسون » في عام ١٩١٩ . ومنها أيضا الاتفاقية الانجلو امريكية بشأن فلسطين عام ١٩٢٤ .

هذا فضلا عن التصريح الواضح المحدد الذي قاله الرئيس « ولسون » في مارس ١٩١٩ الذي جاء فيه « لقد قررت الامم المتحالفة الى جانب التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا وضع الاساس للدولة اليهودية في فلسطين »(٣٨) .

لقد مارست الولايات المتحدة الامريكية سياسة حذرة معقدة تجاه العالم العربي خلال فترة ما بين الحربين بحكم انها تسعى للتسلل التدريجي الى منابع الثروة البترولية في المنطقة وتوجد لها موطىء قدم وسط المنافسة القوية من جانب الدولتين اللتين اقتسمتا المنطقة باتفاقية « سايكس ـــ بيكو » بريطانيا وفرنسا ، وقد حصلت بالفعل على امتيازات بترولية في البحرين عام ١٩٣٢ ، ثم في السعودية عام ١٩٣٩ « ولذلك كانت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى المحافظة امام الدول العربية على الوقار الخارجي لانشطتها السياسية . فامتنعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن الاعتراض الرسمي على حكومة بريطانيا ، وعن التأييد العلني للصهيونيين ، ولكنها كانت تلهب المشاعر ضد الانجليز بجميع الوسائل .. وفي فترة الحرب العالمية الثانية استمرت الولايات المتحدة في ممارسة نفس الخط السياسي وهو « عدم التدخل » في الامور الفلسطينية ولكنها في الوقت نفسه كانت تمارس نشاطا سريا فعالا »(٣٩) .

وفي مايو ١٩٤٤ قدم الى الكونجرس الامريكي ومجلس الشيوخ مشروع قرار يعلن النواب بمقتضاه ان الولايات المتحدة الامريكية ستقدم خدمات جليلة باتخاذ « الاجراءات المناسبة للتصريح بهجرة اليهود غير المحدودة الى فلسطين واعتبار فلسطين دولة يهودية ديمقراطية حرة »(٣٩) . وقد تأجل التصويت على هذا القرار واعلانه في اللحظات الاخيرة قبل صدوره مراعاة لحساسيات ظروف الحرب والمجهود الحربي ضد المحور في الشرق الاوسط(٣٩) .

ولقد كان هذا القرار هو مقدمات طلب الرئيس «ترومان» الى «آتلي» في ديسمبر ١٩٤٥ بالسماح بهجرة مائة الف يهودي بصفة اضافية وكافة نشاطات الولايات المتحدة الاخرى التي تبعته تجاه القضية الفلسطينية حتى صدور قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ . كما كان هذا القرار وغيره من القرارات والخطوات العلنية التأييد لسياسة انشاء اسرائيل في قلب الوطن العربي ، نتاج التسخين المباشر للسياسة الامريكية تجاه الموضوع الذي ترتب على عقد اللجنة الامريكية للشئون الصهيونية مؤتمر « بلتمور » في نيويورك في مايو عام ١٩٤٢ . وهو المؤتمر الذي أسفر عن تأييد الطلبات التي قدمها « بن جوريون » الى الرئيس « روزفلت » في بداية العام . وتتلخص في ضرورة مقاومة سياسة الكتاب الابيض البريطاني الصادر في ١٩٣٩ ، وفتح أبواب الهجرة غير المحدودة الى فلسطين ، واهمية تشكيل لواء يهودي مستقل يحارب الى جانب الحلفاء ، وتطوير فلسطين بعد انتهاء الحرب الى كومنولث يهودي ضمن ديمقراطيات العالم(٤٠) .

هذا وقد كتب « بن جوريون » ، حول رأيه في مراكز الثقل في السياسة الدولية ابتداء من عام ١٩٤١ ، يقول « لم أعد أشك في أن مركز الجاذبية لعملنا السياسي في الميدان الدولي قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة التي تزعمت العالم وتحتوي على مجموعة كبيرة من اليهود . ان اوروبا أصبحت في قبضة النازيين وانها حتى بعد أن تتغلب على المانيا ستكون منهوكة القوى وستكون معتمدة اقتصاديا على امريكا لسنوات عديدة بعد التحرر ، حتى المسائل السياسية ستكون تحت التأثير الامريكي »(٤١) .

وهكذا وضعت الحركة الصهيونية نفسها بالكامل فيخدمة السيد الامريكي صاحب ملايين ومليارات الدولارات والوريث الشرعي المقبل للامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط ، وانطلقت امريكا بسرعة في تدعيم استيلاء عصابة المرتزقة الصهيونيين ، او جنود الصدام النازيين الجدد ، على فلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الهام للسيطرة على الشرق الاوسط ، ليؤدوا الدور المطلوب منهم ضمن سياسة الاستعمار الجديد التي تمارسها . ولذلك انطلقت العصابات الاسرائيلية المسلحة السرية « الهاجاناه » و« الارجون » و« شتيرن » ــ بتوزيع متقن للادوار وان كان يعكس بعض الاختلاف في منهج التطبيق ــ تمارس ضغطا عسكريا شديدا على بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة تقريبا وحتى عام ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا رغبتها في احالة المشكلة على هيئة الامم المتحدة . فكانت عمليات نسف وتخريب خطوط السكك الحديدية ومختلف مرافق حكومة الانتداب ومهاجمة المطارات وسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود الانجليز وجلد ضباطهم علنا في شوارع المدن . كل ذلك والسلطات البريطانية لا تستطيع ولا تريد ان تتخذ اجراءات حاسمة مضادة للعصابات الاسرائيلية كالتي كانت تتخذها في « كينيا » أو «الملايو» مثلا ! لقد كانت بريطانيا تريد حلا بريطانيا صرفا لمشكلة فلسطين، حلا يضمن انشاء دولة اسرائيلية تعمل في خدمتها أساسا وضمن كومنولث بريطاني ــ عربي ــ اسرائيلي يضمن مصالحها بعيداً عن تزايد النفوذ الامريكي وسيطرته . ولذلك عملت على الحد من الهجرة والتقليص النسبي لقوة العصابات السرية بواسطة حملات التفتيش عن الاسلحة وضبطها ومقاومة سفن الهجرة غير المشروعة الخ. وقد كان هذا هو محتوى المشاريع البريطانية المختلفة المقدمة الى العرب واليهود عقب الحرب (مشروع « موريسون » المقدم في سبتمبر ١٩٤٦ في مؤتمر لندن الذي كان يتضمن تقسيم فلسطين الى ٤ أقسام ، منطقة عربية واخرى يهودية ، منطقة القدس ، منطقة النقب ، مع وجود حكومة مركزية مختلطة تشمل فلسطين كلها تتولى شئون الدفاع والخارجية والجمارك تتبع المندوب السامي البريطاني . ثم مشروع « بيفن » المقدم في ١٩٤٧ الذي لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون) وقد اتبعت « الهاجاناه » ــ خلال المرحلة التي امتدت من عام ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا تحويل مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة ، ــ استراتيجية عمليات عسكرية محدودة يطلق عليها « آلون » اسم « استراتيجية الحرب البناءة »(٤٢) يمكن تلخيصها في الآتي :

تنشيط الهجرة السرية بكل الطرق بحرا وبرا وطوال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ عبرت البحر الابيض المتوسط ٦٥ سفينة وبلغ عدد المهاجرين نحو ١٠٠ الف معظمهم ممن كانوا في معسكرات الاعتقال النازية . وانشاء مستعمرات « كيبوتزات » جديدة في « المناطق الحيوية استراتيجيا لمواجهة الاحداث المتوقعة »(٤١). ثم توجيه ضربات عسكرية محدودة الى مراكز الجيش البريطاني والادارة البريطانية وفقا لتكتيكات حرب العصابات في المدن والمقاومة السرية ، وعلى أساس « ان تتجنب الخسائر في الارواح او على الاقل تنخفض بها الى الحد الادنى سواء على الجانب البريطاني او اليهودي في جميع عملياتها »(٤١). ولقد كان هدف هذه الاستراتيجية كما يقول « آلون » تمهيد الارض لنشاط صهيوني في لندن وفي غيرها من العواصم وفي الامم المتحدة ، توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية في القدس ... لقد كنا نفضل هدف ارغام بريطانيا على تسليم انتدابها الى الامم المتحدة »(٤١). وبطبيعة الحال كانت أمريكا في الامم المتحدة توجهها كما تشاء .

ويستطرد « آلون » فيقول « كان هدف العمليات الحربية هو تقويض مركز القوات البريطانية وشعورها بالامن ومكانتها ، وفوق ذلك كله اقناع « هوايت هول » مرة اخرى وأخيرة انه بدون موافقة اليهود لن تستطيع بريطانيا ابقاء فلسطين كقاعدة آمنة ومفيدة في هذه المنطقة الحيوية... وفي النضال العسكري ذاته ، أثبتت الاستعدادات

التي تمت أثناء الحرب ـ بمساعدة الانجليز الى حد كبير ـ لمقاومة الغـزو الالمـاني المحتمل ، قيمتها الكبرى للوحدات ، التي أصبح عليها الآن ان توجه عملياتها ضد الانجليز »(٤١).

لقد كانت مرحلة استراتيجية « الحرب البناءة » هذه التي مورست فيها عمليات حرب عصابات محدودة وتهريب للمهاجرين وبناء مستعمرات جديدة سرا أثناء الليل خلال يوم واحد الخ ، مرحلة أخيرة قبيل المعركة الشاملة الكبيرة المنتظرة مع العرب عند اعـلان الدولة ، تم فيها تدشين وحدات الجيش الاسرائيلي السري ظاهريا واكسابها مزيدا من الخبرات القتالية اللازمة للمرحلة القادمة مرحلة حرب ١٩٤٨ . فعمليات تنظيم وصول سفن الهجرة السرية التي كانت تنظم رحلاتها « قيادة الهاجاناه السرية في اوروبا التي تتكون أساسا من رجال البالماخ ، واليهود الفلسطينيون الذين كانوا يخدمون في الجيش البريطاني ولكنهم بقوا في اوروبا بعد الحرب خصيصا لهذا الغرض ، وبعض مقاتلـي احياء اليهود في اوروبا والانصار وغيرهـم »(٤١) قد مكنت « الهاجاناه علـى ان تطور نفسها الى منظمة عسكرية قادرة على التخطيط والتوجيه والتنفيذ في مثل هذه العمليـة المعقدة . كما انه زود الوحدات التي اشتركت في عمليات الانزال الفعلية على الشاطىء بخبرات قيمة عن العمليات الساحلية المشتركة بكل ما تتضمنه من جوانب خاصة بالنقل والامداد والتموين وغيرها من النواحي التنظيمية والادارية . . . كما تعلم المجتمع اليهودي في فلسطين ـ من خبرة مشاركته الصادقة في المشروع ـ قيمة ان يكون له دولة »(٤١). كما أن عمليات انشاء المستعمرات الجديدة سرا (أي بناء هيكل مؤقت للكيبوتز أثنـاء الليل ينشأ عنه أمر واقع لنواة مستعمرة تستكمل بعد ذلك وذلك مثلما كان يحدث فـي الثلاثينات مع فارق ان مستعمرات الثلاثينات المؤقتـة كانت تبنى خلال نهار واحـد بينما مستعمرات مرحلة الاشتباك مع الانجليز كانت تبنى في ليلة واحدة) قد زادت هي الاخرى « كثيرا من خبرة الهاجاناه العسكرية . وكان تخطيط هذه العمليات يشمـل اختيار الموقع وصنع المستعمرة الجاهزة واقامتها ، ومعالجة ترتيبات النقل والدفـاع والتعاون بين المدنيين والجنود وقد ساعدت هذه العمليات على تطور الهاجـاناه كقوة عسكرية »(٤٢).

ويستطرد « آلون » ـ ونحن نحرص على اثبات الحقائق التي تعالجها دراستنا هذه من واقع نصوص كتابات واقوال قادة العدو الصهيوني أنفسهم قدر الامكان ـ موضحـا الخبرات التي اكتسبتها الهاجاناه خلال هذه المرحلة الهامة التي سبقت حرب ١٩٤٨ مباشرة ، فيقول « ومع ذلك فان اعظم الخبرات ، كانت تلك التي قدمتها العمليـات الحربية بمعناها الضيق ، سواء كانت صغيرة او كبيرة . كانت الأهداف المختارة لهـذه العمليات الحربية هي السكك الحديدية والجسور والعربات المصفحة ومراكز الشرطة والقواعد العسكرية ومعسكرات الاعتقال ومحطات الرادار والزوارق المسلحة والسفن في فلسطين وفي قبرص . . . لقد اتيح لكل فرد من افراد البالماخ وعدد كبير من افـراد الوحدات الاخرى التابعة للهاجاناه ، فرصة اكتساب خبرة قتالية على جميع المستويات، وقد تم هذا عمدا لصهر قدراتهم القتالية وروحهم المعنوية واعدادهم لمهام أكبر فـي المستقبل »(٤٢).

والواقع أن سياسة « استراتيجية الحرب البناءة » هذه كانت قد أقرت في المؤتمر الثاني والعشرين للحركة الصهيونية الذي انعقد في « بال » في ديسمبر ١٩٤٦، والذي تم خلاله رسميا استكمال سيطرة الجناح الموالي لامريكا في الحركة الصهيونية على قيادة الحركة، اذ أشار الدكتور « موشيه سنيه » ، وهو أحد اعضاء الوكالة اليهودية ، الى ان « النفوذ السياسي للولايات المتحدة الامريكية وحده مع ضغط قوى اليهود الفلسطينيين المسلحة بمقدورهما ارغام بريطانيا على تنفيذ مطالبنا »(٤٣).

واخيرا عندما أدركت بريطانيا أنها لا تستطيع الاستمرار في السيطرة على فلسطين بأسلوب الانتداب في مواجهة هذا الضغط الامريكي ، وأنها لا تستطيع ايضا ان تخلق دولة اسرائيلية في جزء منها وفقا لمتطلبات السياسة البريطانية ومصالحها في المنطقة وبعيدا عن النفوذ الامريكي ، قررت في فبراير ١٩٤٧ احالة المشكلة الفلسطينية برمتها الى الامم المتحدة . وقد القى وزير المستعمرات البريطاني «كريتش جونز» بعض الضوء على دوافع ومرامي سياسة بريطانيا في احالة المشكلة الى الامم المتحدة ، حين قال أثناء مناقشة المشكلة بمجلس العموم وقتئذ « اننا نتوجه الى هيئة الامم المتحدة لا لكي نرفض الانتداب ولكننا نذهب الى هيئة الامم المتحدة نضع المشكلة كي نحصل على نصيحة في كيفية ادارة الانتداب . فاذا كان الانتداب لا يضار بهذا الشكل الحالي فنحن نريد ان نستوضح كيف يمكن تحسينه »(٤٤) .

لقد أرادت بريطانيا أن تضع الضغط الامريكي تحت دائرة ضوء المجتمع الدولي لعلها تحصل منه على سند سياسي يساند موقفها في فلسطين ، ويجعلها تستطيع ان توجد اسرائيل بريطانية الولاء كما كان القصد أصلا والهدف منذ صدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧ ، حين كانت هي الدولة المتزعمة للعام الرأسمالي الامبريالي ، اي حينما كانت هي « بريطانيا العظمى » وكانت عصبة الامم ـــ التي رفضت امريكا الدخول فيها ـــ أداة قوية في يدها دوليا . ولكن هيئة الامم ، تلك المنظمة الدولية الجديدة التي تشكلت في ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذي انتزعت فيه الولايات المتحدة الامريكية علم الزعامة الامبريالية ، قررت تقسيم فلسطين يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الى دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية بضغط امريكي حاد وشديد على الدول الصغرى ، وكان قرار التقسيم هذا مجرد الخطوة الاولى الممكنة في ظل مختلف الظروف والتناقضات الدولية والمحلية وخاصة التناقض البريطاني ـــ الامريكي لاقامة دولة اسرائيل . وعلى أن يتم فيما بعد بطبيعة الحال استكمال سيطرة هذه الدولة على البلاد كلها على ضوء المتغيرات المنتظرة في السنوات التالية لصالح امريكا عندما تنحسر شمس الامبراطورية البريطانية الغاربة عن المنطقة تدريجيا . وكان ان تحدد يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ كموعد نهائي لانسحاب القوات والادارة البريطانية من فلسطين ، أو بالاحرى من الجزء المقرر اقامة اسرائيل عليه مؤقتا . هذا وقد ترك الصراع البريطاني ـــ الامريكي على فلسطين بصماته بوضوح على مختلف مراحل المواجهة العربية ـــ الاسرائيلية المسلحة المسماة بحرب ١٩٤٨ .

الهاجاناه تستكمل ترسانة سلاحها السرية :

في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ذهب « بن جوريون » الى الولايات المتحدة الامريكية ليدرس ويبحث امكانيات الحصول على السلاح من هناك ، بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وانتهت معها مرحلة التعاون الوثيق بين الوكالة اليهودية والهاجاناه وبين السلطات البريطانية في فلسطين وبات الصدام معها وشيكا ، وبالتالي أصبح من المتوقع أن تنتهي سياسة التغاضي شبه الرسمية من جانب السلطات البريطانية عن عمليات انتقال الاسلحة من مستودعات الجيش البريطاني عن طريق « السرقة » الى مستودعات الهاجاناه السرية . وقد عقد « بن جوريون » و« العازر كابلان » و« وريفين زاسلافي » ، اللذان صحباه من فلسطين في رحلته هذه ، اجتماعا سريا يوم ٧ يوليو ١٩٤٥ في منزل أحد كبار رجال الاعمال اليهود الامريكيين يدعى « رودلف سونبرن » بمدينة نيويورك حضره ١٥ شخصا آخر من أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية الامريكيين . وقد طلب « بن جوريون » في الاجتماع تكوين لجنة أو هيئة سرية في الولايات المتحدة تتولى تدبير الاموال اللازمة للحصول على الاسلحة من امريكا والقارة الامريكية بصفة عامة وتدبير وسائل نقله الى فلسطين سرا . وقد تكونت بالفعل هيئة سرية اطلق عليها « مؤسسة

سونبرن » تولت جمع ملايين الدولارات وانشأت مكاتب لشراء الاسلحة وشركات وهمية تتولى شحنها بعد شرائها أو الحصول عليها مجانا من مخازن سلاح الجيش الامريكي . وقد شملت هذه الاسلحة المشتراة أو المأخوذة من أمريكا عددا من الدبابات الخفيفة والمدفعية الخفيفة والمتوسطة والسيارات المدرعة الخفيفة وسيارات النقل(٤٥) .

وكان يجري فك أجزاء هذه الاسلحة وشحنها بالسفن أو الطائرات — فقد شكلت مؤسسة سونبرن شركة طيران وهمية تضم بعض طائرات النقل الامريكية — على أنها آلات زراعية . هذا ويقول « بن جوريون » بصدد هذه الوقائع في تسليح الهاجاناه « منذ نهاية الحرب اهتميت في البحث عن أسلحة ثقيلة وقد استجاب الامريكيون لي واشترينا أسلحة بقيمة ما يقارب مليون دولار هربناها الى فلسطين رغم مراقبة حكومة الانتداب . ووافقت فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على بيعنا الاسلحة على أن تجلب الاسلحة الثقيلة بعد قيام الدولة »(٤٦) .

وبالاضافة الى هذا فقد تم شراء آلات مصانع صغيرة لصنع الاسلحة الخفيفة والذخيرة سرا داخل فلسطين من الولايات المتحدة . وحول هذه المسألة أيضا يقول « بن جوريون » « بأقل من مليون دولار اقتنينا عتاد المعامل الحربية الذي يساوي عشرات الملايين ، والذي نقل الى فلسطين كاملا سالما »(٤٧) . وقد ضمت هذه الالات الى ما كان موجودا من ورش صنع السلاح السرية الاخرى في فلسطين منذ الحرب العالمية الثانية والتي ساعدت بريطانيا على انشائها لتزويد قواتها في الشرق الاوسط ببعض احتياجاتها من الذخيرة والاسلحة الخفيفة مثل رشاشات « ستن » ، الالغام ، القنابل اليدوية « ميلز ٣٦ » الخ . وهناك احصائية تقول انه حتى شهر مارس ١٩٤٨ كانت المصانع الحربية الصغيرة السرية اليهودية تنتج ١٠٠ رشاش خفيف يوميا ارتفعت الى ٢٠٠ مدفع بعد ابريل ١٩٤٨ ، نحو ١٥٠ الف قنبلة يدوية ميلز ، حوالي ٣٠ الف قذيفة هاون عيار ٣ بوصة ، ٤٠٠ الف طلقة عيار ٢٣ مم للرشاشات شهريا(٤٨) .

هذا ويقول « بن جوريون » أيضا بصدد صفقات السلاح السرية التي تمت قبل اعلان الدولة الاسرائيلية رسميا « كان أول مبلغ كبير تلقيته لشراء الاسلحة الثقيلة هو ٣ ملايين دولار وذلك بناء على قرار الهيئة الصهيونية التنفيذية في باريس في أغسطس ١٩٤٦ . أما في عام ١٩٤٧ فقد رأيت ان هذا المبلغ لا يكفي على الاطلاق . وكانت أكثر الدول تمتنع عن بيعنا الاسلحة الا أن عملاءنا استطاعوا عقد صفقات سرية عديدة لشراء الاسلحة من الخارج . أما الدولتان اللتان كانتا ترسلان لنا الاسلحة والمعدات علنا فهما فرنسا وتشيكوسلوفاكيا . وقد ساعدتنا تشيكوسلوفاكيا قبل أن تصبح جمهورية شعبية وبعد أن أصبحت شيوعية . (أثبتت أحداث ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا مدى تغلغل العناصر الصهيونية في الاجهزة الحاكمة) وقد اشترينا من فرنسا مقابل عملات صعبة طائرات وزوارق طوربيد ودبابات ومدافع هاون ، وحصلنا من تشيكوسلوفاكيا على طائرات « مسر شميدت » الالمانية وطائرات « سبيتفير » الانجليزية وقنابل ورشاشات من شتى الانواع وما لا يحصى من الذخيرة . وحصلنا على بعض الطائرات والدبابات والزوارق الحربية من أمريكا مباشرة . كما حصلنا على بعض الطائرات والمدافع من سويسرا والمكسيك . وقد اشترينا بالمجموع : ٢٠٤ طائرات ، ٣٨ وحدة بحرية مختلفة الانواع ، ٤٠ دبابة ، ١١٩ سيارة مدرعة ، ٤١٦ مدفعا ، ٢٤ هاونا ثقيلا ، ١٥٨ رشاشا ثقيلا ، ١٤١٧ رشاشا متوسطا ، ٦٠٣٤ رشاشا خفيفا ، ٥٢٣ رشاشا صغيرا ، ٥٣٣٩١ بندقية ، ١٧٥٥ مسدسا . ولم نستطع أن ندخل الى البلاد قبل اعلان الاستقلال الا قسما ضئيلا من هذه الاسلحة وهي : ٢٠ طائرة كنا اشتريناها من الجيش البريطاني في فلسطين ، ٥٢ سيارة مدرعة ، ٢٦ مدفعا رشاشا ثقيلا ، ٥٤ رشاشا متوسطا ، ٤٦٤ رشاشا خفيفا ، ٤١٧ رشاشا صغيرا ، ٦٢٤٠ بندقية ، ٥٠٠ مسدس . هذا عدا الاسلحة التي

كانت تملكها الهاجاناه سرا من قبل وتلك التي كنا ننتجها داخل البلاد . وبهذه الاسلحة كان علينا أن نقف في الفترة الاولى التي أعقبت اعلان الاستقلال وقيام دولة اسرائيل ضد الجيوش العربية ، وكان لنا احتياطي كاف من اليهود الذين خدموا في الحرب العالمية الثانية الخ... »(٤٩) !

وهكذا تكاملت للقيادة العسكرية الصهيونية كافة معطيات استراتيجيتها العدوانية الهادفة الى الاستيلاء على موطىء قدم أو رأس جسر قوي فوق أرض فلسطين . فقد كفلت لها الهجرة الموارد البشرية ، وحققت لها « الكيبوتزات » وبقية انواع المستعمرات الانتشار الجغرافي والركائز الاستراتيجية اللازمة ، فضلا عن دورها في خلق معنويات وقيم الصهيونية في نفوس هؤلاء المهاجرين المزارعين — المقاتلين ، وضمنت لها الاحتكارات والدول الامبريالية المال والسلاح والعتاد والخبرة القتالية والتنظيمية ، والعلاقات والمناخ الدولي المناسب لشرعية قيام الدولة المزعومة . وقد تم تكامل الدعائم الرئيسية لهذه المعطيات ومقومات الوجود العسكري لدولة اسرائيل قبل أن يبدأ الاشتباك الفعلي الواسع النطاق الاول بين الشعوب العربية واسرائيل ، أي في عشية حرب ١٩٤٨ .

---

١ - Safran, Nadav : *From War to War*, New York, Pegasus, 1969, p. 28

٢ — Hart, Liddell : *Strategy, The Indirect Approach*, London, Faber & Faber, 1967, p. 335.

٣ — بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية** ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — بيروت — دار الطليعة — ١٩٦٨ — صفحة ٢٨ .

٤ — كلاوزفيتز ، كارل ، **في الحرب** ، الجزء الاول — ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — القاهرة — الكاتب العربي — ١٩٦٩ — صفحة ٢١٨ .

٥ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، القاهرة ، مركز دراسات الشرق الاوسط ، صفحة ٣١٥ ، ٣١٦ .

٦ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٤٣ .

٧ — صلاح منتصر ، الاستراتيجية البترولية الامريكية والشرق الاوسط ، القاهرة ، **السياسة الدولية** ، اكتوبر ١٩٧٠ ، صفحة ١٥ .

٨ — محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، صفحة ٩٤ .

٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل : خصائص التطور السياسي والاقتصادي** ، القاهرة ، دار الهلال ، صفحة ٤٨ .

١٠ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، صفحة ٦٦ ، ٧٩ .

١١ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٦ .

١٢ — Howard, Michal; *The Theory And Practice of War*, London, Cassell, 1965, p. 339.

١٣ — آلون ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٦٧ ، ٦٨ .

١٤ — Leon, Dan.: *The Kibbutz, A New Way of Life*, Oxford, Pergamon Press, 1969, 201,8,9.

١٥ — نيكيتينا ، جالينا ، دولة اسرائيل ، **المرجع السابق** ، صفحات ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠١ ، ١٨٠ ، ٢٦٠ .

١٦ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، وكالة نوفستي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، صفحة ٧٧ .

١٧ — يوسف مروه ، **أخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٤ ، ٤٥ .

١٨ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٣ ، ١٠٢ .

١٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٢٠ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٦٣ .

٢١ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، صفحة ٢٣ .

٢٢ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٤ .

٢٣ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، **المرجع السابق** ، صفحة ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

٢٤ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٣٦ .

٢٥ — آلون ، ايجال ، **نشأة وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ .

٢٦ — Hart, Liddell: *The Liddell Hart Memoirs*, Volume II, London, Cassell, 1965, p. 181, 182.

٢٧ — الون ايجال ، **المرجع السابق** ، ص٨٠ .

٢٨ — عبدالقادر ياسين ، « ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بداية الكفاح المسلح ضد الصهيونية » ، مجلة **الطليعة** ، القاهرة ، مايو ١٩٦٩ ، صفحة ٧٩ .

٢٩ — صبحي ياسين ، « حرب العصابات في فلسطين » ، القاهرة ، **الكاتب العربي** ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٣٠ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٨ ، ٧٩ .

٣١ — نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٩ ، صفحة ٧٧ .

٣٢ — Churchill : *The Second World War 4. The Commonwealth Alone*, London, Cassell, 1964, p. 90

٣٣ — Donovan, Robert : *Israel's Fight For Survival*, New York, Signet Books, 1967, p. 19.

٣٤ — Gordon, Landsborough : *Tobruk Commando*, London, Mayflower Books, 1968, p. 31-33.

٣٥ — Love, Kennett: *Suez The Twice - Fought War*, London, Longman, 1970, p. 50, 51.

٣٦ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٨٨.

٣٧ — نص أورده هيثم الكيلاني ، **المرجع السابق**، صفحة ٧٨ .

٣٨ — نص أوردته جالينا نيكيتينا في كتابها **دولة أسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٨ نقلا عن الكتاب التالي :

C. Friedrich, *American Policy Toward Palestine*, Washington, 1944, p. 7.

٣٩ — **المرجع السابق** ، صفحة ٣٨ ، ٣٩ .

٤٠ — نص أوردته تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٥٥ ، نقلا عن كتاب :

Ben Gurion, David. *Israel : Years of Challenge*, Anthony Blond, London, 1964, p. 17.

٤١ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٩ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

٤٢ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٠٤ ، ١٠٧ .

٤٣ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٤٤ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٤١ .

٤٥ — المعلومات المذكورة نقلا عن ملخص كتاب « الوعد » للكاتب اليهودي « ليونارد سلاتر » المنشور بمجلة **روز اليوسف** عدد ٧٢/٧/٣١ صفحة ٣٠ ، ٣١ .

٤٦ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٦٤ .

٤٧ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، صفحة ١٠٠ .

٤٨ — محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٢٣ .

٤٩ — نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحة ٨٤ .

٤٣ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

الاغنية الشعبية الفلسطينية
من الحزن الى الشوق الى القتال

نمر سرحان

لقد جاءت معركة الكرامة بعد اقل من عام من الهزيمة المدوخة التي حلت بجيوش الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وفي الفترة بين حزيران والكرامة كان الناس يعرفون وهم في غمرة جو معنوي شديد الانخفاض ان الارض العربية مفتوحة للجيش الاسرائيلي الا أنه هو نفسه لا يريد أكثر مما حصل عليه من أراضي سوريا ومصر والاردن . وكانت مرارة الهزيمة لا تزال حية في الاذهان كما لو انها حصلت قبل يوم واحد . ولم يكن الشعب قد صحا بعد على الوضع المذهل الذي وجد نفسه كأن الحزن هو قدره . وكان وجدانه أضعف من أن يعبر عما حصل . ولم يكن يطفو على سطح هذا الجو الحزين سوى بعض تعابير تقطر بالاسى :

رايب يا يما رايب
بغني والقلب ذايب
لو انا في بلدنا
لسوي أمور العجايب

وخلال الساعات الاولى من ساعات المعركة الخمس عشرة وعبر البيانات التي اذاعتها اذاعة اسرائيل والتي قصدت منها تحطيم معنويات السكان خيل للمستمعين انه هو ذاك الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد احتل اراض جديدة على الضفة الشرقية من نهر الاردن وبعد اقل من عام من احتلاله لاراض واسعة (سورية ومصرية واردنية) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . كانت اذاعة العدو تردد نفس البيانات التي كانت ترددها وهي تجتاح الضفة الغربية والجولان ، ادخلوا الى بيوتكم . احكموا اغلاق الابواب والنوافذ . كل من يطلق النار على جيش الدفاع الاسرائيلي يقتل حالا » . الا انه وفي ساعات المساء من يوم الكرامة وبعد انجلاء غبار المعركة وتوارد الانباء عن بطولات رجال المدفعية في الجيش الاردني والاستبسال الرائع المنقطع النظير الذي ابداه رجال المنظمات الفدائية الفلسطينية والذين جابهوا المحتلين بكل ضراوة ، تغيرت الصورة وتناقل الناس اخبار الابطال الذين دمروا دبابات العدو ، بعد ان نسفوها باجسادهم والذين حصدوا المظليين الاسرائيليين بالرشاشات والسلاح الابيض والذين التهبت (سباطانات) مدفعينهم حتى تحولت الى جمر . وروى شاهدو العيان كيف دمرت مدفعية الجيش الاردني سيارة تائد انهجوم الاسرائيلي واطاحت علمها ذلك العلم الذي كان سرعان ما يرفع على ارض عربية بعد كل احتلال . وقد عبر وجدان الجماهير عن هذا الحدث الجديد في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بهذا البيت من العتابا :

نكست اعلامهم الا علمنا
وقال الشعب يا فرحة علمنا

ويـوم الكرامـة رفعنـا علمنـا
وعـلى اسرائيـل طاب الموت طاب

وبعد الكرامة التزم العدو الاسرائيلي لاول مرة بموقف دفاعي وهو مسمرة الجنود خلف خطوط امن الكترونية في بعض المناطق وبشرية في مناطق اخرى .

واثر هذه المعركة بدأ الناس يرسمون تصورا جديدا ومحددا لرجال المقاومة فبعد ان كان ينظر الى الفدائي على انه شخص يقوم بمهمة انتحارية تؤدي الى نتيجة ليس لها حساب بمعركة الربح والخسارة فانه أصبح حامي كرامـة الامة والمدافع عن شرفها ومحقق امجادها :

لولا الفدائي ما ظل النا كرامة
المولى اوهبه من عنده كرامـة　　　هو اللي صان الشرف يوم الكرامة
ولولاه الاعـادي مـا تحسب حساب

وقد سجل الوجدان الشعبي معركة الكرامة كيوم من ايام النصر واعتبرها بداية التحرير وانهاء اقامة الغاصب في الأرض العربية الفلسطينية :

بارض الكرامة
سطرنـا النصر بـارض الكرامـة　　　مـا في اقامـة للجيش الغاصـب
ما في اقامة

وقد تركت احداث الكرامة اثارا بعيدة في وجدان الجماهير ، والتي بـدأت ترفد الثورة بسيل من الشباب الـذين انخرطوا في صفوف المقاتلين والتنظيمات الشعبية المساندة للثورة لقـد عبرت الجماهير عن تقديرهـا للثورة وعن مدى ما تعلقه من امال عليها في التحرير ورد الاراضي المغتصبة وذلك بعمليات الاسناد التي رفدت بها هذه الجمـاهير اولئك الرواد الاوائل للتحرير . واحس الانسان العربي الفلسطيني وكأن ميلادا جديدا قد حدث لموقعه ازاء التحدي المصيري الذي يواجهه . وقد ترك النصر ورد المعتدين عن الارض العربية وضعا نفسيا لدى الجماهير جعلهـا مستعدة للنضال في جبهة عريضة لمحاربة العدو ومن هم وراءه :

انطلقـت ثورتنـا ويسمعهـا نكسـون
ونحـرر وطنـا وع ترابـه نسكـن
سافـر الاعـور يحكـي لويلسـون
خـايف ثورتنـا تشمـل الكونـا

وبعد هذا النصر بدأ الوجدان الشعبي يعكس موقفا صلبا ازاء التحدي وقد لخص هذا الموقف برفض الاستسلام والدعوة للتحرير بقوة السلاح وهو بذلك يقطع الطريق على بوادر روح الانهزام والاستسلام ومحادثات الحل السلمي :

اذا تردوا علـى شـوري ورايـي
لنرفـع للحـرب بيرق ورايـة
انـا قدامكـم وانتـوا ورايـي
وانـا أول ضحيـة للعـرب

ومن جهة أخرى فقد كان الهجوم على الضفة الشرقية من نهـر الاردن يحمل في طياته العدوان على الانسان العربي بالاضافة لكونه اصلا عملا موجها ضد الانسان الفلسطيني بالتحديد . صحيح ان الخطة العسكرية على الكرامة والشونـة الجنوبية وغور الصافي والعمليات الموجهة ضد سكان الغور الشمالي — من ذلك معركة لثماني ساعات مثلا — كانت ردا على عمليات الفدائيين الفلسطينيين بالتحديد الا انها كانت موجهة بطريقة لا

مناص منها ضد السكان الاصليين للضفة الشرقية من النهر وضد ابطال الجيش العربي الاردني ومدفعيته التي طالما حمت وغطت عمليات اخوانهم الفدائيين الفلسطينيين .

وكان النصر يوم الكرامة دافعا لمزيد من التلاحم بين رجـال المنظمات الفلسطينية وبين ابناء الضفة الشرقية شعبا وجيشا . وكان لا بد لهذا التلاحم والوقوف صفا واحـدا في وجه العدوان الاسرائيلي من ان يترك اثـارا ذات ابعد مدى في وجـدان الجماهـير الفلسطينية والاردنية وبالتالي في الفولكلور الذي تفرزه ذهنية الجماهير . وهناك ظاهرة فولكلورية تستحق الملاحظة والاهتمام وهي سريان روح المقاومة في الفولكلور الغنائي للضفة الشرقية وتتضح هذه الظاهرة في اسلوبين : الاول سريان روح المقاومة في الغناء الفولكلوري بشكل ابتدائي ومباشر . ان اغنية مثل « على الجسرين » اخذت تحمل تأييدا وتعاطفا للفدائي (وهي اغنية نبعت وراجت في الوسط الاردني) :

عـلى الجسرين لاسرع واروح علـى الجسرين
عـلى الثنيـة لاسرح واروح علـى الثنيـة
والفدائيـة يـا رب تنصـر هـالفدائيـة

والثاني هو تحويل كلمات لحن معين ومعروف في الضفة الشرقية بحيث اصبحت تتضمن مضامين ثورية . من ذلك احدى اغنيات دبكات الجوفية :

سيفنـا يخلـي الـدم شـلال

صارت :

كلاشنكـوف يخلـي الـدم شـلال
ديكتريـوف يغطـي انسحابنـا

ان عشرات الاغاني الشعبية التي اخذت تعكس روح المقاومة والتي كانت في الاصـل ذات مضامين وجدانية بحتة وتنطلق من جهات متعددة في الضفة الشرقية مـن الاردن لتدل اصدق دلالة على وحدة الانسان العربي وتعاطفه مع قضية الانسان الفلسطيني . ويمكن القول ان هذه التعاطف وهذه الروح الثورية في وجدان الجماهـير عائد لانتصار الرواد الاوائل من ثوارنا الذين صدوا العدوان يوم الكرامة .

وفي منتصف عام ١٩٦٩ قام الثوار الفلسطينيون باخطر العمليات واجرئها عندما فتحوا في ليلة واحدة ٢٨ ثغرة في الحواجز الالكترونية التي اقامها الاسرائيليون في الشمال والتي يضعون فيها كل موانعهم (موانع الكترونية ـ الغام ـ اسلاك مكهـربة) وكذلك عند قيامهم بعمليتي الحمة والحزام الاخضر في المنطقة التي كان ديان يعتبرها منطقة مغلقة في وجه المقاومة .

ان اصداء هجمات الثوار الفلسطينيين وقـذائف مدفعيتهم قـد اخذ يتردد في حيـاة الاسرائيليين وبات له انعكاساته في الاقتصاد الاسرائيلي . لقد ازدادت الهجرة من وادي بيسان واقفـرت الاراضي الزراعية من العمـال الى الدرجة التي ارغمت الحكومـة الاسرائيلية على ان تعلن عن اعفاء سكان منطقة غور بيسان من كافة انواع الضرائب ، على ان يشمل هذا الاعفاء كل القاطنين في الغور حاليا اولئك الراغبين في العودة اليه . ويمضي ديان في سياسة المطـاردة الساخنة ويبرر اشتراك المصفحات والهليوكوبتر في المطاردة بان مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين سوف تحتاج الى لواء كامل لمطاردتهـا اذا تسربت الى تل ابيب . وفي ميزانية ٧٠ ـ ٧١ خصصت الحكومة الاسرائيلية مبلغ ٣٧ مليون جنيه استرليني لمواجهة نفقات تدريب الاحتياطي وبناء المـلاجيء والنفقـات الناشئة من مرابطة قوات عسكرية في خطوط المواجهـة . وادت الهجمـات الى توقف مصنع البوتاس جنوبي البحر الميت توقفا يكاد يكون تماما . وكان ذلك مما دفع ديان الى احتلال الجبـال في غور الصافي حتى يؤمن المصنع ويبعده عن صواريخ الثوار . ولكنه

أرغم على الانسحاب في معركة باسلة (كانون الثاني ١٩٧٠) . ومن أجل المحافظة على معنويات الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعرفون مهمتهم فسر الاسرائيليون التراجع عن احتلال الجبال بانه تم بسبب الاحوال الجوية . وكان لا بد لتصاعد العمل الفدائي بهذه الصورة من ان يؤدي الى ردة فعل من الجانب الاسرائيلي تجلت في هجمات الطيران والمدفعية (وبمقدار محدود الكوماندو) على الجهات التي ينطلق منها الفدائيون الفلسطينيون في الضفة ، الشرقية / اربد — وغور الاردن وغور الصافي — والعقبة . وقد ادت هذه الهجمات الى نتيجتين : اولا على الصعيد الشعبي ازدياد تلاحم الجماهير الفلسطينية والاردنية في وجه اسرائيل ، فالشخص الذي فقد بيته في الشونة الشمالية واربد والغور واضطر الى النزوح شرقا هربا من المنطقة المحروقة بفعل القصف الاسرائيلي كان لا بد له ان يتحول من مزارع الى مقاتل او نصير للثورة . وثانيا على الصعيد الرسمي تنامت في البلد حساسية بين النظام القائم وحركة المقاومة تجلت في الصدامات التي حصلت بين الجبهتين في ١٩٦٨/١١/٤ و ١٠ شباط ١٩٧٠ واحداث حزيران ١٩٧٠ .

ومهما يكن من امر لقد بدأت مرحلة جديدة من حياة شعبنا ، هذه المرحلة التي بدأت في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ وان كانت قد بدأت بشائرها قبل ذلك بقليل مع انبثاق منظمة التحرير الفلسطينية التي بشرت بالكيان الفلسطيني والتنظيم الشعبي وبنت جيش التحرير الفلسطيني . ثم قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » التي نفذت اول عملية عسكرية داخل الارض المحتلة في اليوم الاول من الشهر الاول من عام ١٩٦٥ ثم تلتها وجود تنظيمات فلسطينية اخرى تتخذ اسلوب الحرب الشعبية كحل لا بديل له للقضية الفلسطينية . ومن أولى سمات هذه المرحلة ضياع نغمة الحزن الذليلة التي كانت قاسما مشتركا للادب الشعبي الفلسطيني وحلت محل تلك النغمة الذليلة نغمة القوة والتحرير والثورة حتى النصر .

لقد احس الانسان الفلسطيني بفرحة ما بعدها فرحة وهو يتحسس السلاح بيديه ويمتلكه ثم يصوبه الى صدور مغتصبي ارضه وجلاديه ، هذه الفرحة العارمة بالسلاح جاءت اثر سنوات طويلة من التشوق لحمل السلاح والاستغاثة للحصول عليه . وبذلك انطلقت الاهازيج العفوية تكرس هذه الفرحة القوية :

بايدي كلاشنكوف
وفي قلوب العدا خوف
والثورة علمتني
على اكبر ديكتريوف

حتى الفواجع والمصائب لم تعد تهز الانسان الفلسطيني ولم تعد تثير فيه الحزن بل أصبحت حوافز على التصميم وفرصا للتفاؤل بانتصار الثورة . بالامس كنا نرثي الشهيد ونقول :

شفته على تخت الرويد ممددا	**والدم جاري مبلل القمصان**
يا حيف سبع الغاب كرم امجدا	**يصبح دفين بتربة الوهدان**
شواربه جنح الغراب مرقدا	**وعيونه تلمع كبرق نيسان**
كل البلد تبكي عليه وتتجمدا	**تبكي الرجال وتنحب النسوان**

ولكننا اليوم لا نبكي على الشهيد ، بل يطالب الفنان الشعبي من ام الشهيد ان تغني للبطل الذي دق وجه الارض الفلسطينية بقدميه ونفث النار في صدور المحتلين :

يا ام الفدائي دائما غني	**والله ابنك واصل للجنة**
ربي هالثورة ما تخيب ظني	**وننول النصر بفلسطيننا**

والسمة الثانية لهذه المرحلة هي ارتفاع الجماهير الى مستوى المعركة الضاربة التي تخوضها فالجماهير تحيط الثوار بجو من المودة والتأييد وتفاخر بمن يحمل السلاح لتحرير الارض وتنبذ الهزل والمساخر ما دام المغتصب يعيش على ارضنا :

ويعجبني الذي للسيف سنا — نقلت الطرب انا من صفر سنا
حرام اضحك وحرام يبان سنا — والعدا تدوس في ارض العرب

والمرأة هي ايضا غيرت اغانيها العاطفية واستبدلت بها اغان تحض على الثورة والتحرير والانتقام من المغتصبين :

يحرم علينا — نلبس ذهبنا — يحرم علينا
ساكنة بلدنا — ما دام العدا — ساكنة بلدنا

يا ابو عمار حط جيوشك ع الوادي
واشبع الطير من لحم الاعادي
يا ابو عمار حط جيوشك ع الميه
واطعم الطير من لحم الصهيونيه

وحتى الاطفال عاشوا جو الثورة وانطلاقتها ، واصطبغت العابهم واحاديثهم واغانيهم بصبغة الثورة . فاطفال فلسطين اليوم يشاهدون الابطال يحملون الكلاشنكوف ويلبسون ثياب الميدان المبرقعة ويصطفون على اطراف الشارع حيث يهرول الفدائيون شاكي السلاح وهم يهزجون باناشيد المقاومة وحيث يصطف الاشبال ويهرولون هازجين . ولذلك كنا نسمع الاطفال قديما يغنون لدود الصيف :

حرقص برقص قوم ارقص يا دود الصيف
واوع تشعبط علينا يا دود الصيف

ولكن اطفال فلسطين اليوم يرددون اغاني الاشبال والفدائيين والاغاني الهادرة التي يسمعونها من الاذاعات الفلسطينية . فوق ذلك فقد ابتكروا لانفسهم اغانيهم الفولكلورية الثورية :

حط المدفع ع الميدان
فليسقط موشي دايان
حط المدفع ع الدوار
فليحيى ابو عمار

كما عكس الاباء شوق الصغار للالتحاق بالثورة وترك الحياة الوادعة . ومن ذلك ما جاء في بيت الدلعونا هذا :

وابني عن رأيه عيا يتحول
وترك دراسته من الصف الاول
قال لي يا يابا لازم اتسلل
واضرب الغاصب بفلسطيننا

من جانب الثوار عود المقاومة يتصلب والقواعد تصبح اكثر استقرارا واكثر مناعة وكفاءة التسليح والتدريب تزداد والتنظيم الشامل من اجل تحويل قوات المقاومة الى جيش للتحرير الشعبي يأخذ مجراه وتتسع قاعدة العمل المسلح بتكوين الميليشيا المسلحة . وتتسع القاعدة الشعبية المساندة للثورة كما يبدو في هذا النص الفولكلوري الذي يشيد بجيش التحرير وثوار « فتح » الذين يشنون الغارة كل ليلة والذين خلقوا وضعا جديدا يخنق استعلاء وشوفينية المحتلين الاسرائيليين :

وصلوا معاي يا حظور ع محمد طه المختار
ونويت انشر لي منشور استمعوا مني يا حظار
وبطلب من ربي العالي على عباده يسبل الاستار
وبطلب من ربي العالي بلك ينصر الثوار
وبلك ينصر أمة حبيبه ينصرهم ع القوم الكفار
ويا رب يا ابو الكرم ع الخرسة تبعثر الامطار
انصر امة حبيبك وبحياة النبي المختار
في الوسط سووا عصابات في المستودع داروا الشعلات
ودخلك يا قاظي الحاجات تعطي النصر للثوار
وهذه عزوة ما تهاب الموت بيظربوا لا يفوت الفوت
ابن صهيون يا هلفوت اشرفت روحك ع الممات
اتحدت عليك العربان وسع عليك الميدان
انت واخوك الشيطان وين تلقوا يا كفار
اقرب ما يكون المينا وروح اسلك ع الابحار
ما اسمعت بسرية فتحية قاموا عليكوا الارظية
ركبت ع كتوفك جنيه واكم قصر راح دمار
بعدين عسكر التحرير وعليك يطفو المنير
والا مطالك ما يصير وين تلقوا يا كفار
كل ليلة يشنوا الغارة اوعوا تظلوا بها الحارة
اعماركم راحت خسارة ولحكموا اتنسوف ع الحجار

اود ان اتناول ظاهرة اغتراف الوجدان الشعبي من الاغاني المصنوعة التي تبثها أجهزة الراديو والتلفزيون في البلاد العربية . قلت فيما مضى ان الاغنية الشعبية الفلسطينية ظلت تجتر احزان الجماهير وتروي قصص الهزائم المتلاحقة وتتحدث عن الابطال الذين قاوموا الطائرات البريطانية بالبنادق العتيقة . وظلت الحال هكذا حتى اوائل الستينات عندما بدأت جماهير الشعب الفلسطيني تتململ لتأخذ دورها في تحرير ارضها . وأخذت بعض الاوساط العربية تتعاطف مع آمال هذه الجماهير في تحرير اراضيها وصرنا نسمع صوت فلسطين من هذه العاصمة العربية او تلك . ومع هذه الانتعاشة في آمال الشعب الفلسطيني بتحرير ارضه راجت بعض الاغاني التي تعبر عن شوق الجماهير الى البيارة وزهر الليمون والبرتقال والقرية المهجورة وتطلعها الى معانقة الارض والشجر والهواء في فلسطين . ولم تختلف هذه الاغاني عن الاغاني السابقة الا في كونها تحمل ايحاء بأن هذا الشوق يحمل في احشائه رغبة كامنة في التحرير . ولاول مرة يتحسس الانسان الفلسطيني موقفا جديدا مثل فيه دور البطل المنتصر . وأخذت جماهير الثورة ومقاتلوها وفنانوها تعبر عــن ارادة التحرير والصمود بأغان وأهازيج وأناشيد هادرة تنبثق من صفوف المقاتلين وتبثها اذاعة صوت العاصفة ــ صوت فتح .

ان رصدنا لهذه الاعمال الغنائية يتضمن عددا من الاعتبارات فهي ذات مضمون تؤيده الجماهير تمام التأييد وطالما تاقت الى التعبير عنه بقوة ووضوح كما ان هذه الجماهير الفلسطينية موزعة بين اقطار الدول العربية المجاورة لفلسطين في لبنان وسوريا والعراق والاردن ومصر وشبه الجزيرة العربية . ولا بد ان تتأثر هذه الجماهير بالتعابير والالحان العربية فضلا عن الخميرة الفولكلورية الفلسطينية التي تختزنها هذه الجماهير وتكدس فيها أشواقها للارض السليبة . ولا بد من النظر بعين الاعتبار الى عامل تكنولوجي هام له أثره على الاناشيد الشعبية وهو جهاز الراديو وبالتحديد ما يسمع من « صوت العاصفة ــ صوت فتح » ، صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة والذي اخذ يبث

سيلا من الاهازيج والاناشيد التي تميزت بوضوح المضمون وقوة الاداء استجابة للجماهير التي ملت التعليقات التعميمية والاحاديث غير المحددة والاغاني الخاوية من كل مطلب مباشر .

ونأتي الآن الى دراسة نماذج اهازيج الثورة سواء منها ما انبثق من بين الجماهير او المقاتلين او صوت العاصفة أو أية اذاعة عربية تنطق باسم الثورة الفلسطينية . ولنبدأ من حيث الشكل . هناك عدة نماذج لحنية للاغاني الجديدة والتي بدأت تروج بعد حزيران ١٩٦٧ . من هذه النماذج ما بني على الحان فولكلورية شائعة في فلسطين والاردن ومنها ما بني على الحان أغان مصنوعة تذيعها اذاعات الدول العربية ومنها نمط ثالث مصنوع مؤلفه معروف وملحنه معروف وقد شارك في صناعة الاغنية مرددون واوركسترا ، ومع ذلك فقد ادخلت هذا النمط ضمن الاغاني الفولكلورية ومبرري في ذلك هو ان هذه الاغاني توافق مزاج الجماعة موافقة تماما . وقد اخذ الناس يرددونها ويغنونها متناسين مؤلفها وانني واثق من ان هذه الاغاني التي أخذت بألباب الجماهير في فترة زمنية قصيرة ستصبح جزءا من تراثهم الغنائي الذي يضيفون كلمات لكلماته ويزخرفون الحانه حسب المزاج الشعبي . ومن جهة اخرى يجدر بنا الا ننسى المرحلة الجديدة التي تعيشها الجماهير الشعبية في ظل أداتي التكنولوجيا الحديثتين الراديو والتلفزيون ، ففي السابق كان حداء الجمهور مثل العجاوي او العراني او حافظ موسى او محارب ذيب يؤدي لحنا او الحانا غنائية فتتناول الجماهير منها ما يناسب مزاجها من حيث المضمون والشكل وتتداوله وتتوارثه فيصبح هذا اللحن فولكلوريا . واما اليوم فان ملحنا مثل صبري محمود او مهدي سردانة وكاتب كلمات مثل ابو هشام او صلاح يتعاونان في صناعة الحان تسمع من صوت فلسطين او صوت العاصفة . وتبادر الجماهير الى تناول ما يوافق مزاجها وما يمكن ان تتداوله وتتوارثه فتصبح الالحان الجديدة الحانا فولكلورية وتتناسى الجماهير كاتب الكلمات ومؤلف اللحن .

ومما يساعد على انتقاء الاغاني والاناشيد الجديدة من حظيرة « الغناء المصنوع » الى حظيرة الغناء الفولكلوري هو ان مؤلفي وملحني هذه الاغاني والاناشيد قد وضعوا اعمالهم الفنية بحيث تكون أقرب ما يمكن الى الفولكلور الغنائي الفلسطيني مساهمة منهم في احياء تراث البلد الذي يتطلعون الى احيائه وتحريره أو على الاقل أقرب ما يمكن الى اهازيج المظاهرات والمسيرات التي ظلت تسمع هادرة في شوارع عمان والقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وقد كان الفلسطينيون القاسم المشترك لهتافة هذه المسيرات . وافضل مثال على هذا النمط الغنائي :

يا جماهير نيسان عـــدي
عـــدي
بوابــة تشرين عـــدي
عـــدي

وكذلك هذه الاهزوجـــة :

ثوري ثــوري ... يــا جمــاهير
الارض المحتلــة

ان تغييرا طفيفا جرى على اهزوجة المظاهرات الاولى التي سمعت ايام حلف بغــداد والتي كانت تقول :

يــا بغــداد ثــوري ... ثــوري

فقد حلت هنا « جماهير الارض المحتلة » محل « بغداد » وظل المضمون واحدا وهو الحاح الانسان الفلسطيني على تثوير الوطن العربي بما في ذلك جماهير الارض المحتلة .

ومن الاهازيج الثورية التي سارت على نفس اللحن الفولكلوري الفلسطيني الاصيل اهزوجة :

جـر المدفـع فـدائي
لا تستنـى السيـارة

وهي مبنية على اللحن الفولكلوري الفلسطيني المعروف :

يـا احليـوة طـاب رمانـي
وانـا ع البـاب بسـتنى

وكذلك أغنيـة :

بايـدي رشـاشي
وبـدي أظـل مـاشي
وأرضنـا المحتلـة
مـا بترجـع ببـلاش

فهي على لحن اغنية من اغاني العطل الدارجة واوسط فلسطين :

حبـة قطامي .. فيهـا اللطامي
يا مـين تيقظـم .. عليش تيقظم
على وزة محشية،. يوخذها ويجو د
ع الزيتـون يهـود

ومن هذا النوع من الاغاني والاهازيج اغنية :

يـا شـعب كـبرت ثورتي
كبرت واحنـا ثـوارهـا
مـن قـريتي لمـدينتي
مـن نهـرهـا لبحرهـا
يـا أم الشـهيد وزغردي
كل الشـباب اولادك .

وهي على لحن :

يـا رب تكـبر مهـرتي
تكـبر وانـا خيـالهـا

وكذلك اغنية « رايحين نقول ارايداه » بمضمونيها الوجداني القديم والثوري الجديد :
أما اهزوجة « يا شعبنا هز البارود » فهي تنتمي الى الحان اغاني المسيرة ـ زفة العريس في وسط فلسطين مع زخرفة لحنية واضحة . وكلمات المسيرة التقليدية تقول :

عريسـنا عنتر عبـس عنتر عبـس عريسـنا

ومن الاغاني والاهازيج الثورية التي بنيت على الحان اغان عربية مصنوعة . هـذه الكلمات المبنية على اللحن المصري المعروف « عدوية » :

بـايـدي كلاشـنكـوف
وفي قلـوب العـدا خـوف
والثـورة علمتـني
عـلى حمـل الدكـتريوف

وكذلك اغنيـــة :

مـــدي يـــا ثـــورتنـــا مـــدي
اســـــتمـري ومــــــــــدي

وهي على لحن اغنية فيروز :

شـــــتي يـــا دنيي شبـــتي

ويمكن ان يقال ان لحن اغنية فيروز هذا ينتمي الى لحن معروف في جنوب لبنان وشمال فلسطين من اغاني الاطفال — تقول كلماته :

اشـــتي يا دنيـــا وزيـــدي
بيتنــــــا حـديـــــدي .

ومن هذا القبيل اهزوجة :

طـــيري طـــيري يـــا حمامـــة
مـــن الحمـــة لارض الكـــرامة

وهي مبنية على لحن شعبي عربي ذي صيغ متعددة واهزوجة :

اوحنـــا ع القواعـــد لوحنـــا

وتنتمي للحن :

يا مســـعود .. اهلا وسهلا .. يا مسعود

وهناك اغان واهازيج ثورية فلسطينية استعارت اغان والحان من الضفة الشرقية . من ذلك ما سبقت الاشارة اليه عند التحدث عن يوم الكرامة وكذلك هذه الاغنية التي يرددها مقاتلو الجبهة الشعبية :

شــــــــعبيـــــة شعبيــــــة
جبهتنـــــــا شــــــــعبية
والله لاعيـدك يـــا بـــــلادي
مـــــن الميــــــة للميــــــة

هذا اللحن (شعبية) مبني على لحن (ريدها) . وهو لحن أصيل في الكرك وقد صيغت منه أغنية مصنوعة .

ومن الالحان المؤهلة لان تدخل حظيرة الاغنية الفولكلورية المتوارثة والمتداولة لملاءمتها مزاج الجماعة هذه المجموعة من اغـــاني الثورة الفلسطينية التي تسمـــع من اذاعة صوت العاصفة :

فــوق التـــل .. تحت التـــــل
اســـال عنـــا .. الريح تنـــدل
انـــا صـــامـــد
باســـم الله .. باســـم الفتح
بلادي بلادي .. فتح ثورة ع الاعادي
لا بنغـــــادر ولا بنهـــــاجر
ولا بنسالـــم جيـــش الغـــادر
وعهـــد الله مـــا نـــرحـــل
نمـــوت نمـــوت ولا نـــرحـــل
احمي الثـــورة بـــدمـــك احمي

وننتقل الى دراسة هذه النماذج من حيث المضمون . ولا شك ان مضمون أهــازيج الثورة الفلسطينية يعكس واقع هذه الثورة ونشوءها وتطورها . لقد ظلت الثــورة الفلسطينية تواجه مجموعة من التحديات الكبيرة فهي تواجه اولا « الترسانة العسكرية الاسرائيلية » والمدعومة بالامبريالية الامريكية والاخطبوط الصهيوني الذي ينتشر تقريبا في كل مكان على سطح الكرة الارضية ممثلا بأجهزة الجباية والدعاية والاعلام والمصالح اليهودية والمساندة لها . وثانيا فان الثورة الفلسطينية كانت مطالبة بان ترد على تحديات فلسطينية وعربية . لقد كان هناك من لا يثق بان منظمات الفدائيين ستقدر على قهر الجيش الاسرائيلي الذي لا يغلب والذي غلب جيوش الدول العربية واحتل اراضي ثلاث من هذه الدول . كما ان بعض الجهات العربية اعتبرت الثورة الفلسطينية عملا متسرعا ومتهورا لن يؤدي الا الى توريط الدول العربية « الكسيرة الجناح » في حرب جديدة لا مقدرة لها عليها وبالتالي جذب مزيد من الهزائم للامة العربية كما ان الجماهير الفلسطينية والعربية كانت مصابة بعقدة الفرارية التي رسختها أحداث ١٩٤٨ ، وتسليم المثلث ١٩٤٩ وهزيمة السويس ١٩٥٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، تلك الهزائم التي عبر عنها الوجدان الشعبي بهذه الكلمات :

ل ورا يــا هالعــربــان
ل ورا
انتــــوا قــدامنـــــا
واحنـــا وراكـم كـــزدرى

وكان الصمود يوم الكرامة محاولة للوقوف بوجه عقدة الفرارية هذه . اما البرجوازيون فظلوا يعبرون الجماهير المنضمة للثورة انها جماهير كانت بلا عمل وهي ترتزق من الثورة او تذهب اليها هربا من التجنيد الاجباري . ولذلك كانت الثورة مضطرة لمجابهة كل تلك التحديات واعادة الثقة الى الانسان الفلسطيني والعربي . وكان ذلك عبئا ثقيلا . وكان لا بد للاغنية الشعبية التي تنبع من اوساط الجماهير او تتبناها هذه الجماهير أن تعكس احساسا قويا بالتحدي ومزيدا من التمسك بزناد البندقية وافتخارا به « بايدي كلاشنكوف .. وفي قلوب العدا خوف » و « بايدي رشاش وبد ظل ماشي وارضنــا المحتلة ما بترجع بلاش » و « يا شعبنا هز البارود » . كما توجهت اهازيج الثــورة الى الجماهير التي طالما سحقوها تشد من ازرها وتبث المزيد من الثقة في نفسها . واغنية أنا صامد خير كبسولة لذلك . لقد واجهت الجماهــير أعمال القمع والاضطهاد ونسف المنازل في الارض المحتلة بصمود رائع تتجلى في رفض التخاذل وقبول الاحتلال . واذا ما نسف البيت ارتفعت أصوات الناس في أعقاب تفجير الديناميت هازجة « ان اهدموا بيتي .. يا بيتي .. في ظل حطانك انا صامد » واذا ولــد مولود جديد سموه صامد تيمنا بالصمود في وجه الاحتلال . وفي الخارج ـــ خارج الارض المحتلة ـــ كانت الاهازيج تحيي الثورة كلما خرجت منتصرة بعد ازمة من الازمات « يا جماهير نيسان عدي .. بوابة تشرين عدي » . وفي تشرين ، عندما انطلق الرصاص في لبنان الى صدر الثوار خرجت الجماهير الشعبية في العواصم العربية تهزج بانفعال :

شعب العربي شوف .. شوف
والخيانــة ع المكشـــوف

وبعد الخروج من الازمة كانت الجماهير تتنفس الصعداء ثم تدعو الثورة الى :

المد .. المد يا ثورتنــا الشعبية
ما بيقدر حد .. يوقف زحف الفدائية

والكلمات هذه حديثة الا انها قريبة من لحن شعبي اصيل طالما حمل روح النضال ضد الاستعمار وتقول كلماته :

هبت النار والبارود غنى
تسلم لينا يا حامي ظعنا

وترتفع عبارات التحية للثوار بعد الاعمال البطولية التي ينفذونها ضد قوى الاحتلال :

غلابة يا فتح يا ثورتنا غلابة
غلابة الايد اللي تدمر دبابة

لقد حظي المقاومون الفلسطينيون بعطف جماهيري واسع سواء كان ذلك من الجماهير الفلسطينية او العربية . واخذت هذه الجماهير تسبغ صفات البطولة والشجاعة بكلمات نابعة من قلوبها لاولئك الابطال الذين اعادوا سمعة الامة التي هزمت في حزيران ١٩٦٧ . وقد امتدت يد التحرير الى الاغاني العاطفية والاغاني القديمة وكذلك الاغاني العربية الاخرى . حتى اغاني زفة العريس العاطفية حورتها الجماهير الى اغان تدعم الثورة وتغدق عليها من تعاطفها وودها وليس أدل على ذلك من تلك الفورة العاطفية التي احاطت بالجماهير الفلسطينية عندما تعرض الفدائيون في احد المخيمات للتحرش والعدوان . لقد وقفت الجماهير في صفوف متراصة تهتف بمقاطع من زفة العريس بعد ان اودعتها مضمونا ثوريا :

ع باب الخيمة انبحوني
وشيلوني برة وارموني
وهالثورة ما بخونها
وبعيني بصونها
ونخ الخيل .. ونخ الخيل
ونخ الخيل .. على الصفين
والله يمسيكم بالخير
والله يمسي ثورتنا
وهلي حاملة حملتنا

رأيان في كتاب
« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية »:
هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟

ناجي علوش
و
وليد نويهض

صدر منذ أسابيع كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ، للدكتور صادق جلال العظم ، عن دار العودة في بيروت . وقد أثار الكتاب مناقشات وردود فعل كثيرة. وتخصص « شؤون فلسطينية » باب « مراجعات » هذا الشهر للكتاب المذكور ، فيتناوله بالنقد كل من الاستاذين ناجي علوش ووليد نويهض .

النقد الاول
للاستاذ ناجي علوش

— ١ —

ذكرني كتاب صادق جلال العظم : « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » بقصة الملكة ماري انطوانيت مع الجماهير ، ذلك ان الملكة ماري انطوانيت قابلت صراخ الجماهير الهاجمة على القصر ، والهاتفة نريد الخبز بالحل التالي : « اذا كان ليس هنالك خبز ، فلماذا لا تعطوهم بسكويت». والدكتور صادق جلال العظم أنهى نقده الطويل الذي يملأ مائتين وثلاثا وخمسين صفحة بثلاث نصائح ، احتلت أقل من صفحة وثلث ، اقتبسها من ماوتسي تونغ : وهذه النصائح الثلاث هي : النظرية الثورية ، الحزب الثوري ، الوقوف الى جانب الاشتراكية أو الامبريالية . وهكذا حول صادق هذه القضايا الثورية الاساسية الثلاث ، بالطريقة التي طرحها بها ، الى « بسكويت » مثل بسكويت ماري انطوانيت .

ولقد ساقنا معه مسافة مائتين وثلاث وخمسين صفحة ليقدم لنا بسكويت ماري انطوانيت ، ولكنه في هذه المرة « بسكويت ماركسي » . وكما ان الجماهير التي كانت تحاصر قصر ماري انطوانيت لم تكن تطلب منها الخبز ، فان جماهيرنا الباحثة عن الخبز لم تتوجه الى الدكتور صادق جلال العظم طالبة منه البسكويت .

ولكن الدكتور صادق تبرع بذلك . وتبرعه السخي يكشف عقلية بعض المثقفين ، والعرب منهم خاصة ، الذين يظنون بأن قراءة بعض الكتب تغنيهم عن الممارسة ، وعن فهم الواقع وقواه ، وتجعلهم يقدمون بسكويتا نظريا لجماهير لا يتعدى حلمها « الخبز اليابس » .

وهم في النهاية لا يعتبرون أنفسهم مطالبين بشيء غير هذه « النصائح الثورية الجميلة » . الحل السهل : انه النظرية والحزب والانحياز الى الاشتراكية ، وكل ما عداه خطأ وانحراف وعجز وقصور الخ ... الخ وعلى الجماهير ان تفهم وان

تتعلم وأن تهضم النظرية وتنشىء الحزب ، وتتخذ الموقف الحازم مع الاشتراكية ضد الامبريالية .

ولقد بدأ صادق كتابه مؤكدا ان منهجه مختلف عن منهج الياس مرقص وانه لا يذهب مذهبه ، ولكنه في الحقيقة يتبنى المنهج ذاته ، ليتخطى الياس بعيدا على طريق الميثولوجيا الماركسية الحديثة ، او على طريق بسكويت ماري انطوانيت .

كيف ؟

لقد كان الياس من حيث المنهج ذاتيا وسطحيا وانتقائيا وأحادي الجانب فجاء صادق ليتبنى هذا المنهج ، وليعزز اقانيمه الثلاثة . الياس تبنى الاثاني الثلاث : الحرب النظامية ، الناصرية ، السلم مقابل : الحرب الشعبية ، رفض الاستسلام واستمرار القتال ، وجاء صادق ليتبنى أثاني ثلاثا أخرى ، بالطريقة نفسها ، هي : النظرية الثورية، الحزب ، الانحياز الى معسكر الاشتراكية ، مقابل كل شيء ، بعد أن جردها من كل مضمون ثوري ، ومن تماسها المباشر مع الواقع المحسوس .

وقد قاد هذا المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب صادق جلال العظم الى الوقوع في مزالق التعميم والاجتزاء والاختزال والمغالطة. وسوف نضرب أمثلة واضحة على كل منها :

اولا : **التعميم** سنضرب هنا مثلين :

الاول : حول فكر المقاومة : ان عنوان الكتاب هو دراسة نقدية لفكر المقاومة . ويقول صادق في المقدمة « تطمح محاولتي الى تقديم تقييم نقدي لعدد من الافكار والاتجاهات والممارسات الرئيسية التي سادت في حركة المقاومة وسيطرت على عملها وخاصة في منظمة فتح » (ص ٧) . ولكن صادق ما يلبث ان يقول « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي وأكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة ». ويضيف صادق الى ذلك ما يلي: « يبدو لي واضحا كل الوضوح أن استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص ، واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب». ثم يحاول تبرير ذلك قائلا : « هذا الرأي ليس اجتهادا من عندي في تفسير الواقع الذي ساد وتحكم بمسيرة المرحلة المعينة ، بل هو مجرد اقرار غير منقوص بما تقوله منظمة فتح عن نفسها باصرار وشدة ، حيث تعتبر ان الثورة الفلسطينية معادلة لفتح لا اكثر ولا أقل » (ص ١٢) .

وصادق هنا يحاول ان يقنعنا بفكرة مسبقة فلا يجد المبررات المقنعة ، ولذلك يلوذ بفكرة ينسبها لفتح. ولكن هل هذا التعميم صحيح ؟

ان فتح هي « العمود الفقري » للمنظمات ، وهذه نظرة طرحت في بعض ادبيات فتح، ولكن هناك منظمات اخرى . وهذه المنظمات الاخرى لا تعترف بهذه الحقيقة ، لانها تطالب بالمساواة التامة في المجلس الوطني والمنظمات الشعبية . وهنالك لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير فيها اثنان لفتح من عشرة اعضاء . ثم ان المنظمات ليس بالحجم ، وقد عودتنا المنظمات ان تضرب عرض الحائط بهذه النظرية التي يتبناها صادق ، فالمنظمة الكبيرة اليوم من يقول بأنها ستبقى كبيرة في المستقبل . والاراء والاتجاهات لا تقيم بحجم المنظمات فحسب . وفوق هذا ، فان المنظمات عودتنا ان تنظر الى فتح على انها تمثل الاتجاه اليميني المتخلف في الحركة الوطنية ، وعودتنا أن تنسب لنفسها انها تمثل الاتجاه الثوري الجذري البرولتاري . ولقد كان صادق ، وما زال، كما يبدو في كتابه ، من انصار هذا الرأي . فكيف يسمح لنفسه بأن يقيم حركة المقاومة من خلال فتح ؟ وكيف يرضى ان يفرض هذا التعميم على حركة المقاومة ؟ واذا كانت فتح قد فرضت منهجها وأسلوبها على المنظمات الاخرى ، وخاصة ممثلة الاتجاه الثوري الجذري البرولتاري ، الا يعني ذلك ان هذه المنظمات يجب ان « تقيم » حتى نرى كيف يفرض اليمين المتخلف فكره ومنهجه واسلوبه على اليسار الثوري الجذري البرولتاري ! وهكذا تبدو القضية واضحة ، فحين يبحث موضوع الوحدة الوطنية تصر المنظمات على التكافؤ في التمثيل ، وترفض نظرية العمود الفقري ، وحين يبحث فكر المقاومة في المجلات والجلسات يعتبر فكر فتح متخلفا ، وفكر المنظمات الاخرى متقدما ، وحين تستهدف ادانة فتح يصبح فكرها هو السائد .

ان صادقا لا يجيبنا على هذا كله . انه يكتفي بالقول في نهاية كتابه « ... ان منظمات مثل الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية قد برهنت عن عجز مزمن في القدرة على بناء نفسها تنظيميا وماديا ، وتدريب مناضليها وكوادرها ، ووضع استراتيجيتها وتكتيكاتها بصورة تتناسب مع

تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وتناعاتها المتقدمة حول طبيعة حركة التحرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها » . (ص ٢٥١) . ولكنه ، وعلى الرغم من هذه الفاجعة لا يرى مناسبا ان « يقيم » افكار هذا اليسار الثوري الجذري البرولتاري ! ويبدو ان صادق ينسى ان هذه الثلاثية ليست جديدة ، وان ذوي الافكار المتقدمة — كما يدعوهم — طرحوا هذه الثلاثية ، وكان صادق معهم ، ولكن هذه الثلاثية ظلت « حلما » . وهكذا نجد ان بسكويت صادق « تديم » .

ومن هنا نرى ان هذا التعميم غير علمي ، وانه فوق هذا يستهدف غايتين :

الاولى : الاجهاز على فتح بتحميلها مسؤولية كل الاخطاء والاخفاقات ، والقاء الاضواء على اخطائها واخفاقاتها وحدها ، دون وضع « فتح » ضمن المنظومة الفلسطينية ، وضمن تفاعلاتها وتناقضاتها.
الثانية : تبرئة المنظمات الاخرى من المسؤولية ، مع أنها تتحمل مسؤولية كبيرة، لا تقل عن مسؤولية فتح فيما حدث قبل ايلول وخلالها وبعدها .

ومن هنا يجب ان ينظر الى كتاب صادق على انه جزء من حملة التصفية الايديولوجية لفتح ، وبالتالي لحركة المقاومة .

الثاني : الماوية في فتح : يركز صادق على ان هناك خطا ماويا في فتح . ولكنه لا يقول من اين جاء بهذه الموضوعة ، ولا كيف استنتجها . ويبدو انه بنى قراره على بعض الاقتباسات التي قرأها هنا وهناك . لانه ليس هنالك من يدعي ، داخل فتح ، بأنه يمثل خطا ماويا . هذا بالاضافة الى اننا نرى ان هذه التسمية ليست صحيحة ، فيما يتعلق بثورتنا وقضيتنا ، والاصح ان يقال هنالك خط ثوري صحيح او غير صحيح .

ثم ان ماو لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، وهو ليس مطالبا ان يطرح خطا للثورة الفلسطينية والثورة العربية ، لان ذلك من واجب الثوريين العرب .

ومع هذا نجد ان صادقا يقدمني ويقدم منيرا وهاني الحسن واخرين على اننا ممثلون لاتجاه ماوي . وهو تصنيف لا يقوم على اساس ، ويثير الاستغراب لتهافته ، ويستدعي التفكير بأهدافه ، لانه مكشوف التهافت الى درجة كبيرة ، وخاصة داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

ثانيا : الاجتزاء والاختزال :

اذا كان التعميم خطرا فان الاجتزاء لا يقل خطورة . وصادق الذي أبلى في الاولى ، يحرز قصب السبق في الثانية . انه يقتبس ما يحلو له دون ان يذكر سياقه ، ودون ان يشير الى الظروف التي قيل فيها . ومن هنا تبدو النصوص المقتبسة غريبة وسط المقاطع التي حبّرها وجعلها فواصل بين الاقتباسات ، كما تبدو الاقتباسات غريبة عن اصولها .

وسأورد هنا مثلين فقط :

الاول : يتعلق باقتباس انتزعه صادق من نص لي ، واكتفي ان يورد منه ما يلي : « ان تتكيف (اي الجيوش النظامية) مع الحرب الشعبية الطويلة المدى ، وان يعاد تثقيفها باحترام الجماهير والثقة بها ومحبتها ، وتقدير امكانياتها حق قدرها واحترام ممارساتها » (ص ١١٢) . وقد اعتبر صادق انني توصلت الى هذه النتيجة الغريبة ، بناء على تشخيصي « لطبيعة التناقض بين المقاومة والنظام الهاشمي» ولذلك يتلخص موقفي بمطالبة «الجيوش النظامية القائمة» بما فيها جيش الملك حسين بأن تتغير (لان ناجي علوش لا يميز في كلامه بين جيش نظامي قائم واخر) .

وعلق صادق على هذا الاستشهاد بقوله : « السؤال الاساسي الذي لا يتطرق اليه ناجي علوش في طرحه الطوباوي لهذا المطلب وما يشبهه هو : من هي القوة العربية المسيطرة حاليا التي يعتقد ان من مصلحتها ان تتكيف « الجيوش النظامية القائمة » مع الحرب الشعبية الطويلة المدى الخ؟» ويمضي صادق في تساؤلاته مضيفا « ... يحق لنا ان نسأله الى من تتوجه بهذه النصيحة الرائعة ؟ الى هيئات الاركان المسيطرة في الجيوش العربية النظامية القائمة؟ أم الى الطبقات العربية الحاكمة» (ص ١١٣) .

وما اقتبسه صادق من نص لي ، منتزعا من سياقه، يجب ان نعيده الى سياقه . والسياق هو مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية ومبادىء وأسس لعلاقات مع الجماهير العربية ، تتجاوز الانظمة ، تقدمية او رجعية وتتجاوز قيادات المقاومة ، وهذا ما هو واضح في النص . والفقرة المقتبسة هي ليست الا الفقرة (ج) من البند (سابعا) .

واشرنا في النص الى أن « تحقيق هذا البرنامج

يحتاج الى نضال دائب ووعي سياسي نافذ » ، كما اشرنا الى ان الانظمة العربية عقبة حقيقية في طريق تحقيق هذا البرنامج . ويستطيع القارىء ان يراجع كتابي : الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها الصفحات (١٢٣ — ١٢٨) ليرى ما فعله صادق العظم .

ويأتي صادق بعد هذا كله لينهال على القارىء بمجموعة من الاسئلة التي تتهم ناجي علوش بالتوجه الى الانظمة ، والى نظام الملك حسين بالذات من اجل تكييف جيوشها مع الحرب الشعبية ...!

الثاني : انتزع صادق فقرتين من سياقهما ، الاولى من ص ١٢٢ والثانية من صفحة ١٣٠ ودمجهما معا ، وعزلهما عن سياقهما .

اورد صادق النص كما يلي : « تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجزالحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية ، واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح ... ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » (ص ١١٠) .

ويعلق صادق على ذلك قائلا : « لنلاحظ هنا انه نتيجة لاعتباره التناقض مع النظام « المرتبط بالامبريالية والخاضع لمخططاتها » في الاردن تناقضا ثانويا ، يمتنع ناجي علوش عن التركيز على الخطر المباشر (الذي لا يقل في أهميته عن الخطر الاسرائيلي) الذي يشكله هذا النظام على المقاومة . لذلك يصفه بعبارات لا توحي بأن النظام يتحرك بصورة ديناميكية ليضرب المقاومة ويصفيها بل بعبارات مخصصة لوصف ردود الفعل فقط وليس لمن يأخذ زمام المبادرة والاقدام » (ص ١١٠) .

وسوف اورد فيما يلي الفقرتين كما جاءتا في كتابي : الموضوع موضوع العلاقات مع الجماهير العربية ، جاء في كتابي :

« وعلى الرغم من ان هذه القضية كانت تشغل بال الكثيرين ، وكانت موضوع همس في الكواليس وموضوع مناقشات خاصة ، متضاربة وحارة احيانا ، فانها لم تكن موضوع مناقشة عامة واضحة وصريحة . السبب بالطبع ، التحسب من الحساسيات والحرص على عدم الدخول في دوامة التناقضات السياسية العربية .

واذا كان هذا مبررا ، فيما مضى ، نتيجة ظروف موضوعية كثيرة ، ونتيجة الشرط الذاتي للثورة الفلسطينية ، فانه لا يجوز ان يستمر التبرير بعد الان . كانت الثورة فيما مضى بحاجة الى تهدئة الامور وتجميد الخلافات ، مهما كانت ، لتتاح لها فرصة اكبر للنمو والاستعداد . وكانت الثورة ، بسبب ذلك ، مستعدة لتقبل السياسات العربية ، كما هي ، وغير مستعدة للمواجهة الا حين تصبح السياسات العربية خطرا مباشرا على الثورة . ولكن المرحلة الجديدة ، مع انها تحتاج الى تخفيف حدة النزاع والصراع على الجبهة الداخلية ، وفي المؤخرة ، وعدم الانجرار الى معارك جانبية ، فانها تقتضي التأكيد على حقيقتين :

الاولى : ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين ، والاردن — سوريا — لبنان — بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع الثورة ان تحرك الداخل وتمده بأسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع .

الثانية : ضرورة ان يوضع برنامج للعمل ، يحقق الوحدة الوطنية الفلسطينية من جهة ، ويحقق جبهة وطنية مع الحركات الوطنية والجماهير الوطنية في المناطق المحيطة بالاحتلال خاصة ، وبالبلاد العربية عامة . ومثل هذا البرنامج ضروري لتحقيق التفاعل الحقيقي بين الثورة وجماهيرها الفلسطينية والعربية .

ومن الضروري العمل بسرعة لانجاز هاتين الغايتين لان انجازهما هو الذي يضمن توافر امكانيات تتيح للثورة التقدم خطوات الى الامام .

ان انجازهما يضمن :

أ — توفير مناخ اكثر ملاءمة للتلاحم مع الجماهير .
ب — توفير امكانيات بشرية ومادية اكبر ، تجعل قدرة الثورة على تنمية قواها اكبر .

ج — توفير امكانيات سياسية اكبر لحماية الثورة من المؤامرات الداخلية وتحركات القوى المضادة . وان ما يزيد من أهمية هذا كله **هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بان الايام المقبلة تحمل**

لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

وهنا سنورد النص الذي اشار اليه صادق كاملا : « الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح » .

اكتفى صادق ان يقف هنا وشطب الاضافة التالية: **« ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهناك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة »** (١٢١ — ١٢٣) .

ولقد وضع صادق مكان هذه الفقرة ، التي تناقض استنتاجاته تماما ، فقرة من نص اخر ، سنوردها ايضا ضمن سياقها .

ذكرت انني كنت اقترح مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية . وذكرت أنني اعتبرت الانظمة عائقا . وهذا هو النص : « فالانظمة تريد ان تمر علاقة الثورة الفلسطينية بالجماهير العربية من خرم ابرتها . وهي تعتبر ان أي تجاوز لهذا الخرم هو تجاوز لها واعتداء على وجودها وشرعيتها . ولما كانت الثورة الفلسطينية فيلا كبيرا لا يدخل من خروم الابر ، أصبحت القضية بالنسبة لهذه الانظمة واضحة ومحلولة : ان تضغط الثورة الفلسطينية نفسها لتصبح قادرة على ولوج خرم الابرة ، وان تمنع نفسها من ممارسة اية علاقة مع الجماهير العربية خارج « الخرم الرسمي » .

ولما كان الخرم الرسمي مستعصيا على شعرة من شعرات الفيل ، لا على الفيل كله ، اصبحت علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية علاقة **تلامس وتضاد** : الفيل يحاول ولوج خرم الابرة فيرتد دون اية نتيجة .

وهكذا تقف « الانظمة » حاجزا بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . ووقوفها حاجزا يحد من امكانيات التفاعل المنظم ، ويعرقل نمو العلاقات وتطورها . و « الانظمة » عموما عاجزة ومقصرة ، تغطي قصورها وعجزها بالبيانات والادعاءات . والثورة لا تستطيع ان تربط مصيرها بالقصور والعجز والمبالغة . فما العمل ؟

انها مهمة شاقة وعسيرة ولكن الثورة مطالبةبالعمل على تحقيقها . وتتلخص هذه المهمة في ضرورة النفاذ الى الجماهير ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت النتائج ، لان تقنين علاقة الثورة بالجماهير العربية **مؤامرة تستهدف خنقها وقتلها . والثورة لا يجوز ان تنتظر مقتلها ، وهي تدري ذلك .**

ثم يأتي النص الذي دمجه صادق ناقصا بالفقرة السابقة . وهذا هو النص : « الا ان النفاذ الى الجماهير ، لا يعني بالضرورة الصدام مع الحكومات ، كل الحكومات مرة واحدة . ولا يعني البدء بالتحريض من أجل حرب أهلية عربية شاملة، لان مثل هذا السلوك سيقود حتما الى فجيعة » .

لقد شطب صادق هذا كله من النص واكتفى بايراد الفقرة التالية منه : « ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » .

اكتفى صادق بالفقرة المذكورة اعلاه دون ان يهتم بالفقرة التالية : « ولكي يكون الوضع طبيعيا ، وتكون المسيرة سليمة ، لا بد من ان تقوم الجماهير العربية ، من خلال ممارستها السياسية ، ومن خلال منظماتها الشعبية بعملية التطوير هذه .وهذا يقتضي نمو حركة وطنية جماهيرية قادرة على الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبيرة » (الثورة الفلسطينية ص ١٢٨ — ١٣٠) .

وهكذا يبدو واضحا ان صادقا لعب بالنصوص لعبا قاتلا ، ليستخرج منها ، عكس ما رمت اليه . لقد اراد ان يقنع القارىء انني لا ادرك خطورة النظام الاردني ، وانني اتوقع ان تتكيف الانظمة العربية الخ . ولسوف اناقش موضوع موقفنا من النظام الاردني في مكان اخر . ولكني اريد هنا ان اسجل فقط ان صادقا لم يكن امينا في اقتباس النصوص ولا تفسيرها ، وانه اراد ان يلصق بنا تهما كبيرة لا تقوم على اساس .

ويكفي هذان المثلان للتدليل على اسلوب « صادق » في الاجتزاء والاختزال ، انهما يكفيان جدا ، ولا

حاجة للمزيد لانهما يعطيسان صورة عن منهجه واسلوبه .

ثالثا : المغالطة

وسأقدم هنا بعض امثلة ، اتماما لمحاولتي كشف المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب الذي انتهجه الدكتور صادق جلال العظم .

أ — يجري صادق مقارنة بين فكرة طرحها منير شفيق قبل ايلول بفكرة طرحتها أنا بعد ايلول ، يقول منير : « ... ولذلك اقول ان وجود الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة ، ووعيها السياسي الذي استطيع ان اقول انه اعلى واعمق من اي وعي سياسي كان في المنطقة العربية منذ عقود طويلة من السنين ، ولاء الجماهير لحرب الشعب، واستعدادها للقتال وعدم رهبتها من مواجهة الامبريالية والقوى المضادة وتمسكها الحازم بقضيتها ، هذا يدل على تغيير ثوري » .

واقول أنا : « وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق ، وسادت الروح الاستعراضية ، وسيطرت عقلية الارتجال ،وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ، ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الراي الواضح السليم » .

ويواصل صادق مقارناته المجتزأة المعزولة عن زمانها ومكانها ، ليؤكد خطأ ما ذهب اليه منير شفيق ، وليثبت فكرة مسبقة في رأسه حول « وهم » الثورة الفلسطينية قبل ايلول وبعده .

وتكمن المغالطة في أن صادق استخدم آرائي حول القيادات وممارساتها ، ليرد على منير شفيق الذي كان يتحدث عن الجماهير والوضعية الثورية . ورأيي طبعا لا يختلف هنا عن رأي منير شفيق ، وفي هذه القضية بالذات . ولقد ذكرت ذلك مرارا وتكرارا . وكان من واجب صادق أن يقرأ ما كتبت ليطرح آرائي الحقيقية ، لا أن يحاول اجراء مقارنات مضللة ، كالتي ذكرت . وسأورد هنا بعض آرائي حول موضوع التحول الثوري الذي تحدث عنه منير شفيق .

لقد أشرت الى هذه القضية قبل ايلول في كتابي « الثورة الفلسطينية : ابعادها وقضاياها » قائلا : « استطاعت الثورة الفلسطينية ان تحقق خلال السنوات الماضية نجاحات كبرى . وأهم هذه النجاحات ثلاثة :

الاول : نقل القضية من ايدي « الاوصياء » الى ايدي الجماهير ، بعد ان ظلت في ايدي الاوصياء حوالي عشرين عاما ، وبعد ان حولها الاوصياء الى « مزايدات كلامية » ممجوجة .

الثاني : تحويل العمل السياسي من عمل مثقفين ثرثارين وسياسيين محترفين وحزبيين قاصرين الى عمل مسلح . واذا كان شعار الجماهير ان « الكف لا تجابه المخرز » فقد كان الجواب : « لنجابه المخرز بالمخرز » . وكان هذا التحول تحولا جذريا، على الرغم من انه لم يكن تحولا ايديولوجيا جذريا .

الثالث : خلق المناخ الثوري لدى الجماهير التي عانت الكثير من الهزائم حتى كادت ان تفقد الامل . وقد ساعد هذا المناخ الثوري على زعزعة انظمة مغرقة في عدائها للجماهير ، ولمى كبح جماح القوى المضادة للثورة في بلادنا العربية ... » (ص ٨٤ — ٨٥) .

وكررت ذلك بعد ايلول . أما حديث البيروقراطية والاستزلام والارتزاق فهو حديث اخر . ان القتال الذي خاضته الجماهير في ايلول يؤكد صحة ما ذهب اليه منير شفيق قبل ايلول ، كما ان المعارك التي خاضتها عمان والرصيفة والبقعة واربد ، بعد ايلول ، تؤكد ما نذهب اليه انا ومنير ، على الرغم من وجود كل ما ذكرته ، بعد ايلول .

ب — يقارن صادق بين نصين احدهما لي والاخر لمنير . يتحدث منير عن الدفاع والهجوم في المدن وأتحدث انا عن الروح الهجومية في الثورة .

يقول منير :

« ان قتال المواقع الثابتة قانون لا مفر منه في الدفاع عن المدن والجماهير شريطة ان تصحبه هجمات غوارية صغيرة في بادىء الامر ، بينما يتم مخطط المنظمات الفدائية في مواجهة معركة ايلول ، التحول للهجوم الشامل المضاد » (مناقشة حول ص ٣٣) .

واقول أنا ان الانحراف اليميني يعني :

١ — فقدان الروح الهجومية ، ذلك ان الحركة الثورية حركة مهاجمة ، حتى وهي في اشد حالات الضعف . وهي اذا فقدت روحها الهجومية تحولت الى حمل وديع في ساحة الصراع . وهنا لا بد ان ينقض عليها الخصوم ويفترسوها » (الثورة الفلسطينية (ص ٩٨) .

وأوضح هنا أن صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فالدفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيءوالروح الهجومية والروح الدفاعية في الثورة شيء اخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : « هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد أشرت الى هذه القضية في كتابي نحـو ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط .

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي اثارها منير . انه يقول : « على كل حال يبدو لي ان العودة الى التأكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كـان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم عـلى مستوى البديهيـات والامـور البدائية » (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات ، لان ممثلي الاتجاه « اليساري الثوري الجذري » في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخـذوا يرددون بعد ايلول مـا طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيـادات العسكرية النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقـع كان من اكبر اخطائنا في ايلول . وكنا نحن ، انـا ومنير نسمع هذا الطرح باذاننا ، ونناقشه مـع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما اخليـت عمـان والمـدن والمخيمـات ، وانتقل المقاتلـون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات . والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هـذه الاراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكـذا يـرى القارىء ان التركيـز على هـذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليهـا ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصـا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد ان يبرر الانسحاب من المدن وتصفية مكاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة. وكان أكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتاولكن «المنظرين»العسكريين وغير العسكريين برروا « عملية السحب » باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنـا التي أعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكر صادق « الماركسي » بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : « يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم! لقد عصفوا بالسماء » . ونذكره ايضا بالاهتمام الكبير الذي اولاه ماركس وانجلـز ولينين وكـل الماركسيين لكومونة باريس . وما زالوا يولونه . وكان في كومونة باريس حوالي اربعمائة الـف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العام ،وحين هاجمهم جيش تير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم. وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الـذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تير عددا، وصمدت في معركة طاحنة استمرت شهرا ٨/٢٨ — ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ما عدا المعارك السابقة . وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمـان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرىمعاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس اخطاء تجربتها وتثمن بطولاتهـا تركز الاضواء عـلى الاخطـاء تركيـزا « هستيريا » وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

أما كانـت بطولات جماهيرنـا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . انالشعوب لا تتعلم من اخطائهـا فحسب ، انها تتعلم مـن بطولاتها ايضا .

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها « العفوية » لا يرون الا اخطاءها ، لانهم

يقدسون « الذات القائدة المنظرة » ممثلة بهم وبحزبهم « الخيالي » ونظريتهم « الطوباوية » ، ويسمون ذلك كله « ماركسية — لينينية » .

— ٢ —

ومن حيث المنهج ايضا ، فان صادق جلال العظم استمرار للمدرسة نفسها التي فرخت بعد حزيران، والتي لبست لبوس الماركسية ، محولة الماركسية الى ميتافيزياء عجيبة . واذا كان الياس مرقص هو استاذها الاول ، فان صادق ليس الا احد تلامذتها الذين استهوتهم استثارة الميتافيزياء الجديدة ، فحملوا رايتها غير هيابين .

وهنا حدث الاشكال : ذلك ان الميتافيزياء هي ليست الماركسية ، وهم يحاولون جعل الماركسية ميتافيزياء . الماركسية هي النظرية المادية في المعرفة ، هي المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وهي فوق هذا وذاك بحث ودراسة وتحليل وممارسة . انها معرفة التناقضات لا عن طريق اخضاعها للفكر فقط ، بل عن طريق الاحتكاك بها بالممارسة . وماوتسي تونغ الذي استشهد به صادق كثيرا ، يركز على هذه الناحية كثيرا . ولا بأس هنا من استحضاره . انه يقول :

« ان للمادية الديالكتيكية من الفلسفة الماركسية ابرز ميزتين : اولاهما صفتها الطبقية ، فهي تعلن بصراحة ان المادية الديالكتيكية هي في خدمة البرولتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهي تؤكد تبعية النظرية للممارسة العملية ، حيث انالنظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ، ثم تعود لتخدم الممارسة العملية ثانية » .

وحين يتساءل ماو : « من أين تنبع الافكار السديدة ؟ » يجيب : « انها تنبع من الممارسة الاجتماعية وحدها ، تنبع من ثلاثة انواع من الممارسة الاجتماعية : النضال من اجل الانتاج والصراع الطبقي والتجربة العملية » (الكتاب الاحمر ص ٢١٦) .

والماركسية تنطلق « من الحقائق الموضوعية لا من التعاريف المجردة » وتتوصل « ... الى مبادىء مرشدة وسياسات واجراءات عن طريق تحليل تلك الحقائق » (الكتاب الاحمر ص ٢٢٢ — ٢٢٣) ولهذا فالماركسية مجهدة ، وان يكون الانسان ماركسيا معناه ان يجد ويعمل ويبحث ويناضل ، ولكن الانسان لا يحتاج الى هذا كله ، اذا اراد ان يكون مثاليا . يقول ماوتسي تونغ :

« ان المثالية والميتافيزيقا هي الشيء الوحيد في العالم ، الذي لا يكلف الانسان اي جهد ، لانها تتيح له ان يتشدق كما يشاء دون ان يستند الى الواقع الموضوعي ، ودون ان يعرض اقواله لاختبارات الواقع . أما المادية والديالكتيك فهي تكلف الانسان جهدا ، اذ انها تحتم عليه ان يستند الى الواقع الموضوعي ، وان يختبر امامه ، فاذا لم يبذل جهدا انزلق الى طريق المثالية والميتافيزيقا» (الكتاب الاحمر ص ٢٢٣ — ٢٢٤) .

ولقد اختارت هذه المدرسة (مدرسة مرقص — العظم) هذا الطريق . ولهذا وقعت في المزالق التي ذكرناها آنفا ، ووقعت اضافة الى ذلك فيما يمكن ان يسمى الاطلاقية . وهذه النظرة من بعض مظاهر المنهج الذاتي . وقد سماها ماوتسي تونغ النظرة الوحيدة الجانب ، وعرفها كما يلي :

« وهي النظرة الميتافيزيقية الى القضايا . فالنظرة الوحيدة الجانب في تقديرنا لاعمالنا هي اما اثبات كل شيء واما نفي كل شيء .... ومعنى اثبات كل شيء هو ان المرء يرى من اعمالنا الجانب الحسن وحده دون الجانب السيء ، ويقبل المدح وحده دون النقد . والقول بأن اعمالنا حسنة من كل ناحية ، فيما يبدو ، هو قول لا يطابق الحقيقة، اذ ليست كل اعمالنا حسنة ، بل ما زالت هنالك نقائص واخطاء فيها . كما انها ليست سيئة كلها ، لان هذا ايضا يجافي الحقيقة . اذن فالتحليل واجب في هذه الحال . اما نفي كل شيء فهذا يعني ان المرء يعتبر ، دون ان يقوم بأي تحليل ، انه ما من شيء قد انجز بصورة مرضية ، ويخيل اليه ان قضية البناء الاشتراكي العظيمة ، قضية النضال العظيم الذي يسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى وليس فيها ما يستحق التقدير . وبالرغم من ان كثيرا ممن ينظرون هذه النظرة يختلفون عن الذين يضمرون العداء نحو النظام الاشتراكي ، الا ان نظرتهم هذه خاطئة ومضرة جدا ليس من شانها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا . لذلك فمن الخطأ تقدير عملنا سواء من وجهة النظر القائلة باثبات كل شيء او القائلة بنفي كل شيء » (الكتاب الاحمر ٢٣٢ — ٢٣٣) .

وهذا ما فعله صادق ، كما فعله الياس مرقص من قبل . وسندرس هذه الاطلاقية ، كما برزت عند صادق من خلال المظاهر التالية :

اولا : يردد صادق ان الانظمة العربية استوعبت حركة المقاومة و « ... بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي». ويضيف صادق : « حتى في هذا الامر الهام جدا والحساس الى اقصى الحدود اصبح الفارق بين الوضع الفعلي للمقاومة من جهة وللانظمة العربية من جهة اخرى معدوما وغير ذي بال » (ص ٢٠) ولقد استوعب « الواقع العربي بكل زيفه وضعفه » ... « الثورة الفلسطينية وهضمها ... » (ص ٣٤) . ويضيف في مكان اخر : « ... استقر ميزان التأرجح في علاقات فتح بين طرفي التزامها الرسمي والجماهيري الى جانب الانظمة . حتى على صعيد العمل العسكري استقر التأرجح الى جانب الطرف الرسمي والتبعية لمنطق الجيوش النظامية » (ص ١٦٦) .

ويعلق صادق على بيان اصدره كمال ناصر في ٧١/١١/٢٥ حول رياح الحرب الساخنة التي تهب على المنطقة ، بعد خطابات التاهما السادات في الجبهة قائلا :

« لا اعتقد انه بامكان انسان ان يعثر على صك رسمي يكرس تبعية فتح والتصاقها بالانظمة العربية وجيوشها بوضوح اكبر مما فعله هذا البيان » (ص ١٦٩) .

وصادق في هذا كله ، لا يخرج عما قاله ماوتسي تونغ في تعريفه للنظرة الاحادية الجانب ، ونظرته « ... خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا » . انه هنا يرى « قضية النضال العظيم الذي تسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى ، وليس فيها ما يستحق التقدير » كما يقول ماوتسي تونغ . واذا ما تحدثنا عن وضعنا بلغتنا قلنا ان صادق يرى ان كل شيء قد انتهى .

هذا ما تعودنا ان نسمعه من مدرسة صادق والياس وغيرهما منذ ما قبل ايلول .

ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟

علينا ان نخضع القضية للتحليل .

واذا ما اخضعناها اكتشفنا ما يلي :

أ ــ هنالك تراجعات فعلا ، بدأت منذ البدء بتنظيم الاسلحة وجمعها من ايدي الجماهير في الاردن ، وادت الى فقدان الاردن كله ، والى تجميدالعمليات العسكرية من لبنان . وهذه التراجعات اساسية وخطيرة ، كما بينا واوضحنا في اكثر من مكان ، واكثر من مناسبة .

ب ــ السبب الاساسي لهذه التراجعات ذاتي الا ان الظروف الموضوعية لعبت دورا في استعجال هذه التراجعات .

جـ ــ هنالك قيادات اصبحت تزداد قناعة يوما فيوما بانتهاج طريق البحث عن « الحل المناسب » ومنهم من ينظر لاخلاء المواقع والقاء البنادق والتقوقع في خلايا معزولة تحت شعار العودة الى العمل السري وبناء الحزب الثوري وتبني النظرية الثورية ، والتخلص من رذائل البرجوازية الصغيرة ومباذلها.

د ــ وهنالك كوادر وقواعد مصممة على القتال والاستمرار ، يساندها رأي عام فلسطيني وعربي وقوى وطنية مع الاستمرار وضد التوقف ، مع القتال وضد الاستسلام .

و ــ وما زال هناك قتال داخل الارض المحتلة ، وما زالت هناك بنادق على الحدود ، وفي المخيمات تدافع عن الثورة ، ولا تقبل الاستسلام . وما زالت هنالك قوى فلسطينية تعمل على احباط الحلول الاستسلامية .

ولذلك فاننا لا نستطيع ان نرفع الراية البيضاء باسم المقاومة ، ولا يجوز لنا ان نرفعها . وحين نفعل ذلك كما فعل صادق لا نخدم قضية القتال بل نضرها . وهذا لا يعني ان نخدع الجماهير ، وان نزين الامور لها ، بل يعني ان نكشف التراجعات وعواملها الحقيقية ، وان نحدد حجمها الحقيقي ، وان نعمل بدأب ووعي لمحاربة العدو وللتمسك ببنادقنا ، ولتثوير الجماهير وتعبئتها ، ولاسقاط القيادات العاجزة والمتراجعة . انه عمل واحد موحد . وهذا العمل لا يتم برؤية جزء واحد من الصورة : التراجعات . لا بد من ان نرى الجماهير المستعدة والقوى الكامنة والكوادر المتحفزة والقيادات التي ما زالت تقاتل حتى النفس الاخير . ومن لا يرى ذلك لا يرى حقائق الواقع ، ولا يعرف ديالكتيك الصراع في المجتمع ، ولا يثق بالجماهير وبامكانيات النصر .

ومن هنا فاننا لا نقول مع صادق ان المقاومة « سقطت » واستوعبت ، اننا نقول : انها تواجه

صعوبات حقيقية وازمات ومخاطر ومع ذلك فمنها قوى ما زالت تعارض وتقاتل ، قدر طاقتها ؛ وما زالت مختلفة عن الانظمة العربية ، على نقيض ما يؤكده صادق . ونقول أيضا : اذا كانت هنالك قيادات وفئات في المقاومة أصبحت قابلة للسقوط او سقطت ، فهناك داخل المقاومة وداخل جماهير الشعب الفلسطيني مناضلون مصممون على الاستمرار ، وعازمون على مقاومة التبعية والبروقراطية وكل المظاهر السلبية . ايجوز لنا الا نرى هؤلاء ؟ ثم لماذا تشن الامبريالية والصهيونية والرجعية كل هذه الهجمات الشرسة على المقاومة وقياداتها اذا كانت لا تختلف عن « الانظمة » !

ثانيا : يؤكد صادق على ان المقاومة امتداد لحركة التحرر الوطني العربية ، وان استسلام هذه ناتج عن استسلام تلك وعيوب هذه هي عيوب تلك . وما أظن أحدا يناقش صادق في ان القيادة الفلسطينية هي احدى قيادات البرجوازية الصغيرة العربية . ولكن هذه القيادة الفلسطينية البرجوازية الصغيرة مختلفة عن زميلاتها العربيات . ولقد حاول صادق ان يحدد تفردها (ص ٢٢) ولكنه لم ينجح. انه لم ير وضعها الخاص . ويتلخص في انها منفية ومشردة ، أو محرومة من السلطة في الارض المحتلة والاردن وكل مكان ، وأنها لذلك تقاتل ، انها تحمل كثيرا من خصائص زميلاتها العربيات ، ولكنها ستبقى متمردة من بين زميلاتها لانها ما زالت بعيدة عن السلطة . ان هذا يعني ان القيادة البرجوازية الصغيرة الفلسطينية لا تختلف عن زميلاتها العربيات من حيث التكوين الايديولوجي ، ولكنها ستختلف عن زميلاتها العربيات فيما يتعلق بقضية الموقف من دولة الاحتلال الصهيوني ، وقضية الحرب و« السلام » . واذا سقطت شرائح منها ، فستبرز شرائح اخرى بسرعة من الجماهير الفلسطينية التي تنمو برجوازيتها الصغيرة بسرعة . ومن لا يرى هذه الحقائق لا يعرف كيف يعالج قضايا الثورة !

وهذا لا يعني ان القيادات الفلسطينية الحالية ستتجاوز القيادات العربية المماثلة في اتجاه ثوري جذري اشتراكي ، لان هذا من مهمة البروليتاريا وحزبها ولان البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقود نضالا وطنيا ديمقراطيا اكثر جذرية من نضالها خلال السنوات الماضية ، ولكن البرجوازية الفلسطينية الصغيرة ستلعب دورا اكثر جذرية في النضال الوطني مما يتوقع صادق ، انها لم تنته ، ولم ينته دورها بعد .وستظل كذلك الى أمد غير قصير . أما دورها القيادي ، فيبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي الجدير بالقيادة ، وان كان دورها في النضال الوطني الديمقراطي ، حتى بعد ذلك ، لن يتقلص كثيرا ، وسنبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي ، حزب الشغيلة والكادحين ، أسرى قيادة البرجوازية الصغيرة وذبذباتها ومصالحها ومطامحها ، ولن نستطيع ان نسقطها بالجمل الطنانة والنضال اللفظي العنيف . ومن هنا فان المطلوب الان ليس اسقاطها ، ما دامت تقاتل ، ولكن المطلوب بلورة خط ثوري صحيح يضع المشروع العملي لبناء التنظيم الثوري واستنهاض الجماهير وبناء الجبهة الوطنية العريضة ، فلسطينيا وعربيا .

ونحن لا نقول ان هذا يتم عفويا ، كما يزعم صادق (ص ٤٢ و١١١) لاننا حددنا موقفنا من هذه القضية منذ وقت طويل، وفي كتابنا الذي استشهد به صادق مرارا : « الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها » (ص ٨١) . ولكننا نضيف ان ذلك يتم من خلال النضال العملي ، لا من خلال قراءة الكتب وتحبير الاقتراحات الثورية ، ومن خلال الجماهير وحركاتها العفوية .

ثالثا : ويحاول صادق ، منذ السطر الاول لكتابه ، ان يقنعنا بأنه : « ... ليس من الضروري الاسترسال طويلا في التذكير بالانجازات الايجابية الكبيرة التي حققها الصعود العنيف لحركة المقاومة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ » . ويضيف صادق : « بهذا الصدد ، هناك حقائق اصبحت ثابتة ، ومن المتعذر الشك بها أو المكابرة فيها » .

ومما يذكره صادق :

« مثلا التأثير الايجابي الضخم الذي أحدثه الكفاح المسلح في أوساط الجماهير الفلسطينية، والامكانات النوعية الجديدة التي فتحها هذا الاسلوب في النضال امام الحركة الوطنية على الصعيد الجماعي وأمام الكثيرين من العرب على الصعيد الفردي ، لبناء المستقبل العربي على اسس اكثر ثورية وحداثة وضمانة مما جرى في السابق . يضاف الى كل ذلك عملية التجذير القوية (وان كانت الفتية) التي أحدثها الكفاح المسلح في قطاعات واسعة من الجماهير العربية غير الفلسطينية ، خاصة في الاوساط الشعبية والشبابية والطلابية وفي صفوف الانتلجنسيا » (ص ٩) ، وهو هنا بالطبع يردد

ما قاله منير شفيق ، مع انه انتقد منير على ما ذهب اليه .

ويشير صادق الى ان المناضلين : « الاكثر وعيا وتقدما في الحركة » والمثقفين : « الاكثر راديكالية ممن ارتبطوا بها » كان واضحا لهم منذ البداية أنها « مثقلة باعباء الارث الذي حملته من انماط الحياة العربية الماضية والحاضرة التي جعلت انهيار عام ١٩٦٧ محتما » (٩ — ١٠) . ثم يواصل : « لكن من جهة أخرى كان الكفاح المسلح يبشر أيضا بامكانية اتخاذ خطوات جادة باتجاه تحقيق مستقبل أفضل حيث تتراجع الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي (والشرق الاوسط عامة) وتتقدم قضية الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه أشواطا الى الامام ، كما تنكمش البنى الاجتماعية العربية الرجعية والقمعية السائدة امام امتداد البنى الجديدة لصالح التمرد والعمل الثوري واعادة البناء الاجتماعي على أسس اشتراكية واضحة . كان جليا كذلك أنه بدون السير على ما يشبه هذه الطريق لن يكون باستطاعة الشعب الفلسطيني العمل بصورة جدية على تحرير ارضه ، كما انه لن يكون باستطاعة باقي الامة العربية التصدي بنجاح لاعداء شرسين مثل القوى الرجعية في الداخل والسطوة العسكرية الاسرائيلية في الخارج وهيمنة المصالح الامبريالية على الوطن عموما» (ص ١٠). ويكتفي صادق بمدخل عام لا يتعدى الصفحات الثلاث، ليكرس مائتين وخمسين صفحة للحديث عن تراجعات المقاومة وسلبياتها . ولا يكرس صادق اي فصل او مقطع من هذا الكتاب الكبير للحديث عن المنجزات والانتصارات . ان ماركس ولينين تحدثا عن الكومونة ، ولم تكن تستوقفهما أخطاؤها فحسب ، بل كانت تستوقفهما نضالات جماهيرها ، ذلك أننا لا نتعلم من الاخطاء فحسب ، بل نتعلم ايضا من البطولات ، من حماسة الجماهير واندفاعها وتضحياتها ، ومن البطولات الفردية ايضا .

لماذا لا يقدم الدكتور صادق الوجه الاخر للصورة ؟

لان النزعة الذاتية التي قام عليها منهجه قادته الى هذا المنزلق . لقد اعدم قادة البرجوازية الصغيرة في رأسه ، ولذلك قد بلا من اعدام حركتهم كاملة ، بما في ذلك نضالات الجماهير وبطولات الكوادر والعناصر .

وهذا هو ديدن هذه المدرسة منذ ظهورها . انها تعدم دائما كل النضالات الوطنية والديمقراطية و« العفوية » ، لانها ليست من منتجات مصنع « بسكويت » البرولتاريا « الوهمية » !

وهكذا نرى ان المعارك التي خاضتها قوى المقاومة والاثار التي أحدثتها لا تستحق منه الا اشارة موجزة جدا في اول كتابه ، وهامشا يعيدنا فيه الى كتاب الدكتور حسام الخطيب : « التجربة الوطنية الفلسطينية » (ص ٩) .

ان هذا التجاهل لنضالات الجماهير وتضحيات الكوادر والعناصر ، والاستخفاف بالذين يضعون ثقتهم بالجماهير ، والسخرية من الذين يصرون على ان الثورة أحدثت تقدما كبيرا بوجود«عشرات الالوف من الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة في المخيمات وفي الضواحي الشعبية بوجود التنظيمات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية ووجود ميليشيا شعبية» وان هذه الظواهر « تدل على تغيير جذري في الفكر السياسي لدى الجماهير ، وفي الممارسة الثورية في المنطقة ... » ... ان هذا كله يكشف موقفا ذاتيا بعيدا عن العلم والماركسية ، وبعيدا عن الجماهير ونضالاتها . ان الذين يعرفون الجماهير من الكتب والجرائد طبيعي الا يقدروا نضالاتها !.. والذين يكتبون عن الثورة جملا طنانة يعطون للجمل الطنانة اهتماما اكبر كثيرا من اهتمامهم بالجماهير .

— ٣ —

ولقد قاد صادق موقفه الذاتي الى ان يتخذ موقفا ذاتيا وعدائيا مني ومن منير شفيق . ويهمني في هذا الموقف ما يلي :

اولا : اتهامنا بالتبريرية

ثانيا : تشويه موقفنا من الاردن .

ونحن في هذين المجالين ، كما في غيرهما ، ليس بيتنا من زجاج ، لانه كان واضحا دائما ، وكنا نود ان لا يتحول الموضوع الى موضوع شخصي ، ولكن الحملات المغرضة منذ سنتين تسير في خط واحد ، يستهدف تشويه مواقفنا الواضحة التي تعرفها قيادات وكوادر وقواعد . ولذلك فسنوضح بعض الحقائق دون ان نسمح لاحد بأن يجرنا الى الحديث عن اعمالنا ومواقفنا .

أ — حين انضممنا الى حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) كنا نعلم أننا ننضم الى حركة تقودها البرجوازية الصغيرة . وكنا نعرف طبيعة الحركة وطبيعة قيادتها ، ولم تخامرنا اية اوهام حول هذه القضية . وكنا نعلم طبيعة البرجوازية

الصغيرة عموماً ، وطبيعة البرجوازية العربية الصغيرة خصوصاً ، والفلسطينية على الاخص . ولم يدر في خلدنا يوما ان النضال الفلسطيني سليم ومعافى ، وان البرجوازية الصغيرة ستقوده الى شاطىء السلامة . ولذلك قررنا ان نكون مع الجماهير ، وانتقلنا الى صفوفها ، لنقاتل معها ، ولنتعلم منها ، ولنحرضها على مزيد من النضال ، ونكتسب منها الصبر والصلابة والوضوح . وكان منهجنا يقوم على : استخدام معرفتنا لتحليل الواقع، ثم اختبار هذا التحليل عن طريق الممارسة. ولذلك كنا نرفض الافكار « ما فوق الماركسية » ، و« ما فوق الحمراء » ، ونرفض ميتافيزياء يساريي الكتب والمقاهي رفضا قاطعا ، كما كنا نرفض ايضا غيبيات البرجوازيين الصغار ومثالياتهم . وهذا ما جعلنا نقف موقفا نقديا من البرجوازيين الصغار كلهم : الذين رفعوا راية ميتافيزياء الماركسية والذين رفعوا راية ميتافيزياء الافكار البرجوازية الصغيرة . وكنا نعلم ان هذه وتلك اوهام البرجوازية الصغيرة .

ب ـ كان موقفنا منذ البدء ، وبعد ان استوعبنا مبادىء المعرفة العلمية ، يتلخص بالتالي : الممارسة والتعلم من الممارسة ، النضال والنقد ، النقد لخدمة الممارسة ولخدمة خط الجماهير ، كشف الاوهام من خلال الممارسة وزرع الافكار السليمة خلال الممارسة . ولذلك كنا نرى ان الاوهام لا يمكن ان يسقطها الا مناضلون يملكون الخط السليم ، وان الافكار الصحيحة لا يمكن ان تنمو الا عبر الممارسات الصحيحة ، وعبر جو الجماهير لا في أوساط النخبة .

ولم نكن نعتبر ان هذه مهمة قابلة للتحقق بسرعة . كنا نراها مهمة طويلة تحتاج الى سنوات من العرق والالم والتأمل والممارسة . وكنا نعلم ان انتصار الخط السليم لن يكون نتاج كتابة « الوصفات الثورية » ، ولا نتاج « الطهر الثوري » و« الاحلام الثورية » بل نتاج التجربة العملية والممارسة العملية ، مع الجماهير ، وعبر كل تعقيدات الواقع والتواءات الحياة الانسانية .

ولهذا لم نخف البرجوازنة الصغيرة ، ولا خشينا ان تلوثنا مباذلها ، ولا أن تخدعنا افكارها . لم يكن امامنا مجال غير العمل معها ، ضمن ظروف الحركة الوطنية العربية خلال العشرين سنة الماضية . وكنا لا نريد ان نصنع لانفسنا تصورا ثورية نقبع فيها ، ونطلب توزيع البسكويت على الجماهير المطالبة بالخبز من نوافذها . ولكنا ، وخلال كل حياتنا السياسية منذ اوائل الخمسينات ، ونحن نصارع تيارات البرجوازية الصغيرة ، سيان كان ذلك في الاحزاب التي انتمينا اليها ، او خارج اطار هذه الاحزاب .

ومنذ أن نلنا شرف عضوية فتح والثورة الفلسطينية ساهمنا بجهدنا المتواضع في النضال ضد الاعداء وضد الاخطاء ، وكنا دائما نناضل ونحن وسط الجماهير ، ونتخذ مواقف واضحة ، وننتقد من خلال استنباط خط الجماهير . ولما كانت الاطر التنظيمية ليست ضمانة ، كنا نصر على ان ننقل النقد الى الجماهير . وكتابي « الثورة الفلسطينية: ابعادها وقضاياها » حزيران ١٩٧٠ ، مثل كتاب منير شفيق : « التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » نوع من النقد العلني لكل افكار البرجوازية الصغيرة ، وبكل قياداتها « ماركسية » وغير ماركسية . ثم ان دراساتنا ومقالاتنا وندواتنا وكتبنا كرست لخدمة هذا الغرض . وهنالك ايضا ما كتبناه بلا أسماء ، وفي صحف ومجالات مختلفة ، وما طرحناه في جلسات سرية .

ولكنا لم نكن مثل صادق ومدرسته في هذا كله ، نثبت كل شيء او ننفي كل شيء ، كما يقول ماو تسي تونغ ، لان الجدل لا يعلمنا هذا الاسلوب الميتافيزيائي . لقد كنا نحاول ان نرى الصورة بكل جوانبها ، والالوان بكل اختلافاتها ، ولم نكن نريح أنفسنا وراء شعارات وكليشهات وافكار طوباوية. هذا كان منهجنا وما زال . ولا يعني هذا أننا لم نخطىء . فقد أخطأنا ، ولا نخاف مناقشة أخطائنا أمام الناس ، لاننا واثقون من صحة منهجنا . ولكنا لم نخطىء مرة واحدة بالوقوف ضد خط الجماهير ، ولا وقفنا مرة واحدة في الابراج العاجية نتهكم على المقاتلين والشهداء ، ونسخر من عفوية الجماهير . وكل خطأ ارتكبناه كان نتيجة عدم معرفة خط الجماهير ، وعدم التعلم منها بتواضع اكثر .

جـ ـ وكان موقفنا ، فيما يتعلق بالاردن واضحا منذ البدء . لقد عشنا مع الجماهير في الاردن ، وعرفنا كل أشكال القمع والبطش والتنكيل . وتربينا وسط شعور جماهيرنا بخيانة النظام العميل في عمان ، وعشنا منذ ١٩٤٩ تآمره وخيانته . ولم نكن من المنظرين الذين عاشوا بعيدين عن الاردن وجماهيره. وكنا فوق هذا نعي الدور الرجعي العميل الذي

يلعبه النظام الاردني ضد الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصا وحركة التحرر الوطني العربية عموما . ولذلك كان موقفنا واضحا كل الوضوح ، داخل فتح ، ومع المنظمات الاخرى ، وأمام الجماهير . وسوف لا نطرح هنا المعلومات التي يعرفها صادق وقيادات المنظمات بمـا فيها الجبهـة الشعبيـة والديمقراطية ، وان كان قد عمل على التشكيك بموقفنا (الصفحات ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠) . سوف نترك الممارسة جانبا ، لان صادقا يحتقر الممارسة ، ولان الحـديث عن الممارسـة الشخصية ، حتى في مثل هذه الحالة ، يبدو دعاية للنفس ودفاعا عنها . وسوف نناقش النصوص لنرى مدى احترامه « الاكاديمـي » لها ومدى أمانتـه العلمية في فهمها ومناقشتها .

د — يقول صادق ، في هذا الصدد ، بأنني رفضت « قبل هزيمة ايلول بأشهر قليلة » ... أن أتطرق « ... ولو بصفحة واحدة الى موضوع السلطة العميلة ومسألة الاطاحة بها » في كتابي عن « أبعاد الثورة الفلسطينية وقضاياها » (ص ١٤٧) .

ومع انني كنت اقوم بدوري ، بصدد هذه القضية في كل مجال ، فانني أيضا لم اهملها في الكتاب المذكور الذي قرأه صادق على ما يبدو مـن كثرة الاستشهادات به .

ان الفصل الخاص بـ « العلاقات مع الجماهير العربية » (ص ١٢٠ — ١٢٨) كان واضحا في هذا المجال . ولقد أكدت في هذا الفصل على الحقائق التالية :

أ — ان هناك مرحلة جديدة ، وان هذه المرحلة تقتضي عدم قبول « السياسات العربية » . وتقتضي المرحلة الجديدة ايضا التركيز على حقيقتين الاولى منهما: «ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين، والاردن وسوريا ولبنان بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع ان تحرك الداخل وتمده باسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع » (ص ١٢١) .

ثم تضيف الصفحة التالية :

« وان ما يزيد من أهمية هذا كله هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بأن الايام المقبلة تحمل لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ... ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهنالك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد، ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة » (ص ١٢٢ — ١٢٣) .

لقد رفض صادق ان يقرأ هذه الفقرات ، مع انه استشهد بفقرات اخرى مـن نفس الصفحات كما بينا .

سأقدم لصادق دليلا آخر . لقد ارسلت مقـالا لدراسات عربية قبل ايلول ، وكان صادق رئيس تحريرها . وجاء في هذا المقال ما يلي :

« ولهذا نرى تحركات مشبوهة في الاردن ولبنان مثلا » . وبعد ان نوضح هذه التحركات نقول :

« ان مثل هذه التحركات تطرح علينا بوضوح قضية الصدامات التي ستحصل قريبا ، والتي ستفرضها الاوساط العميلة علـى الثورة ... » دراسات عربية ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

ب — وطرحت هذه القضية ، بعد ايلول مباشرة ، وقبل أن تحصل التراجعات طرحا واضحا ، راح صادق يسخر منه على اساس انه جاء بعد خراب البصرة ، ولكن البصرة لم تكن قد خربت بعد ، وكان ما طرحته بعد أيلول علنا هو استمرار لما كنت أطرحه قبل أيلول .

ج — ونود ان نقول كلمة اخيرة في هذا المجال هي أننا لم نكتف خلال السنوات الماضية ، وفيما يتعلق بالاردن او غـيره ، باطلاق الشعارات وكتـابة « المقالات » « ما فوق الماركسية » . بل كتبنا ومارسنا ، ولم نفصل النظرية عن الممارسة ، ولا الكلمة عن البندقية . واذا كنا لم نستطع ان نسقط نظام الحكم الاردني ، فليس لاننا اعتبرنا التناقض مع النظام الاردني تناقضا ثانويا ، ولا لاننا لم نعمل لاسقاطه ، بل لان اصحاب نظرية التعايش من جهة وأصحاب الشعارات الجوفاء من جهة ثانية ، لم يتبنوا خطنا الصحيح : خط التعبئة الجماهيرية ، التنظيم ، التسليح ، الاعداد ، ولكن مع الشعارات التي توحد اوسع الجماهير ، والتي لا تفـرض معارك في غير اوانها ومع خوض النضالات والمعارك

حتى النهاية، لا مع اثارة الزوابع والتردد والتراجع في الازمــات .

— ٤ —

لا نعتقد ان منهجا مثل هذا المنهج يمكن ان يقود الى تجاوز الوضع الراهن للمقاومة . واذا كان كتاب صادق يحاول تركيز الاضواء على كثير من الاخطاء والانحرافات فانه :

اولا : لا يأتي بجديد في هذا المجال . والدليل انه لم يقدم فكرة الا قدم عدة استشهادات حولها .
ثانيا : لا يتجاوز منهج مدرسته فيما قبل ايلول ، وبالتالي لا يقدم تحليلا متماسكا ينفذ الى صميم المشكلة .

ثالثا : لا يقدم رؤية واضحة تساعد على اكتشاف طريق الحل ، غير رفيقيه : النظرية والحزب وهما ليسا حلا ، وليسا حلا جديدا على كل حال .
ولكن الاهم من هذا كله ان صادقا يعلن حكم تصفية او تفليسة بحق المقاومة ، ممثلة بنتح لمصلحـة « الحزب » و« النظرية » والانحياز الى معسكر الاشتراكية . ولما كان الحزب غائبا ، والنظرية غائبة ، لانهما يظلان غائبين ، حتى يتجسدا فـي الواقع ، فان حكم التصفية يصدر لمصلحة مجهول ، او شخصية وهمية . ان صادقا يراهن على الوهم، والمراهنة على الوهم ليست من الثورية في شيء .

ولما كان صادق يتوجه الى الوهم ، بدلا من ان يتوجه الى الجماهير والى الكوادر والقواعد المتألمة المتعطشة الباحثة عن الحل الثوري ، فاننا نقول له : اننا نتوجه الى هذه الجماهير والكــوادر والقواعد دائما ، ولا نتوجــه الى « القيادات الساقطة » ، لان ثقتنا مستمدة من هذه الجماهير اولا واخيرا ، ولان أثافينا الثلاث هي الجماهير ، الوعي الثوري والممارســة الثورية ، التنظيــم الثوري .

النقد الثاني
للاستاذ وليد نويهض

جاءت محاولة الدكتور صادق جلال العظم في كتابه الجديد « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » كمحاولة رد ونقد لمسيرة المقاومة الفلسطينية طيلة ثماني سنوات ، وبالضبط بعد هزيمة الانظمــة العربية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، وذلك لتحديد سماتها العامة في تلك الفترة ولتحديد معالم المرحلة المقبلة الطويلة والصعبة .

وقد جاءت محاولة العظم بعد مرور سنتين علــى مذبحة ايلول الاردنية العام ١٩٧٠ ، وفي الوقت الذي تلاقي فيه المقاومة الفلسطينية ابشع واوقح المحاولات التصفوية العسكريــة او الاستيعابيــة السياسية ، وفي الوقت الذي انكشفت فيه محاولات الخداع والاضاليل التي مارستها وتمارسها مختلف الانظمة العربية القائمة تجــاه الحركة الوطنيــة العربية التقدمية كمقدمة لخنقهــا والقضاء عليها لتمرير انواع اشكــال الحلــول الاستسلامية — السلمية والمشاريع التآمرية الامبريالية .

ومحاولة العظم النقدية ليست الوحيدة وليســت الاولى من نوعها ولن تكون الاخيرة ، وقــد كان ابرز من سبقه في هذا المجال الياس مرقص ، حيث اصدر مجلده الاول من « نقد الفكر المقاوم » قبل مجزرة ايلول وبعدها اصدر كتابه الثاني « المقاومة الفلسطينية والموقف الراهــن » كانت خلاصة رأيه كنتيجة منطقية لتحليله السياسي « نقض » المقاومة مــن الاساس ورفض اسلــوب الكفاح المسلــح واستراتيجية حــرب الشعب والتزامه بالحــرب النظامية الخاطفة ومراهنته المطلقة على « الانظمة التقدمية » وفي طليعتها الناصرية والنظام المصري وبالتالي الموافقة النهائية على الحل السلمي والقبول بالمبادرات الاستسلامية .

والعظم هنا في كتابه يسير في الاتجاه « النقدي » نفسه مع ملاحظة اساسية تميزه عن مرقص ، وهو انه لا يراهن على الانظمة العربية ولا يقبل بالحل السلمي للمسألة الفلسطينية وبالتالي لا يتوافــق « نقده » مع استنتاجات الياس مرقص وحلولــه السطحية التي سقطت مباشرة بعد ان كشفــت بعض الانظمة العربية عن وجهها القمعي وتراجعها اليميني .

ونحن هنا وبالتحديد في هذا المجال مع العظم وضد مرقص . لاننا نــرى بان المهمة الاساسية عنــد

الثوريين العرب ، هي صياغة واعادة صياغة ليس فقط فكر المقاومة الفلسطينية بل فكر واستراتيجية الحركة الوطنية العربية التقدمية بافق ماركسي — لينيني تحدد نظرية العمل الثورية للثورة العربية الاشتراكية وذلك من خلال كشف القوانين الخاصة لظروف الوطن العربي وخصائصه الذاتية بالاضافة الى نقد واعادة نقد ذاتي صارم ليس فقط لفصائل المقاومة الفلسطينية بل لكافة فصائل حركات التحرر الوطنية في مختلف الاقطار العربية لايجاد الصيغة الثورية البديلة لتلك الممارسات مع تقييم سلبيات وايجابيات تلك الفصائل والاستفادة القصوى من تجاربها النضالية غنية كانت ام فقيرة، صائبة ام منحرفة .

ولذلك جاءت محاولة العظم النقدية في « دراسته » الطويلة هذه ، مقصرة عن فهم ظروف المقاومة الفلسطينية والاطار التاريخي الذي احاط نشأتها ، اذ طغت في كتابه النصوص على التحليل ، والاستشهادات الانتقائية والعشوائية على دراسة الواقع العربي ومن ضمنه الوضع الفلسطيني كمقدمة لفهم معنى انبثاق المقاومة المسلحة ، والارضية المادية — الاجتماعية التي انطلقت منها ، والمحيط العربي في بناه الطبقية واختلاف انماطه الانتاجية وانظمته السياسية الذي طوق المقاومة ، بالاضافة الى توازن القوى السياسية في العالم وطبيعة العدو الصهيوني وبالتالي طبيعة الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة وكيفية مواجهتها للمؤسسات الاسرائيلية ومقاومتها لها بالرغم من كل الظروف والضغوط .

ولهذا فان اي محاولة لدراسة فكر المقاومة دون دراسة واقع المقاومة ، تكون محاولة قاصرة وجزئية . وتجاهل العظم لواقع المقاومة دفعه للاغراق في نصوص فكرها لا في تفاصيل نضالها السياسي والمسلح ، الذي كان الطابع المميز لمسيرة ممارستها القصيرة التي تتوجت بصدام دموي مكشوف في الاردن مع النظام الملكي ، ادى الى خسارتها الجولة الاولى وليس الى « هزيمتها » او « نهايتها » كما يحاول ان يقول المؤلف .

كما ان محاكمة العظم للمقاومة ، لم تكن من خلال واقع المقاومة ، بل من خلال جمعه لوثائق وفكر « ادمغة » المقاومة ، ومن هنا جاء فشله في محاكمة « جماهيرية » فصائل المقاومة ، التي حاكمها على اساس انها مشروع حزب يعمل ببطء وروية لتكوين النواة الطليعية والكوادر الاساسية لبناء التنظيم الذي سيواجه المعركة الوطنية — الطبقية ضد الامبريالية والطبقة الرجعية الحاكمة ، وليس على اساس ان المقاومة كانت منذ البداية مشروع ثورة، مشروع تحرير ، افرزها الواقع وتناقضاته ، افرزتها الهزيمة — هزيمة الخامس من حزيران وهزيمة البورجوازية الصغيرة العربية مع حلفائها او « اعدائها » المحليين من بقايا الاقطاع السياسي وطبقة البورجوازية الكبيرة التجارية والمالية .

ولذلك فالمقاومة عند بداية انطلاقتها عام ١٩٦٥ ، كانت « مقاومة » افراد وليست مقاومة جماهير مسلحة ، لذلك كان فكرها ينبع من «فوهة البندقية» على حد تعبير احد فصائلها ، وليس من الكتاب والقلم . كان فكرها ينطلق كتتمة لصعود الحركة الوطنية في الوطن العربي وكتتويج مسلح لها قبل هزيمتها في ٥ حزيران . وبعد الهزيمة شهدت المنطقة العربية دفقا ثوريا واندفاعات جماهيرية غطت بداية انحسار الحركة الوطنية وطغت عليها. وبعد معركة الكرامة في اذار ١٩٦٨ كانت بداية التحول في بنى فصائل المقاومة ، حيث بلغ الاندفاع الجماهيري اوجه ، وحيث برز الدفق الثوري في أرقى اشكاله ، لدرجة ان المقاومة نفسها لم تستوعب تلك السيول ولم تستطع تأطيرها بسهولة وسرعة في تنظيم جماهيري طليعي مسلح وضمن خطة ومنهج سياسي جاهز وناجز . بل كان على المقاومة ، عبر مسار ثورتها ، وعبر نضالها السياسي والمسلح ، وعبر ممارستها العملية التي من المفترض ان تأخذ وقتا طويلا لتهضم تلك المجموعات المتباعدة والفئات الاجتماعية المتمايزة والقوى الطبقية المتنافرة ، وان تقدم الدليل الثوري الوطني — الطبقي للتحرير القومي والتغيير الاجتماعي للوضع العربي الحاضر ضمن اطار القوانين العامة للثورة العالمية . كان عنصر الوقت هو العائق الرئيسي في عمر المقاومة القصير في مرحلتها الاولى، اذ تراكمت عليها المهام، واصبحت بديلا عن الجميع ، ليس فقط لانها طرحت نفسها كبديل بل لان الجماهير المندفعة نفسها اتخذت من المقاومة بديلا لها عن « الانظمة » ، بل حتى بديلا عن الحركات الوطنية العاملة في ساحاتها السياسية منذ فترات متفاوتة في عدة اقطار عربية . وبذلك تحولت المقاومة الفلسطينية رغم ارادتها من مقاومة فلسطينية الى مقاومة عربية ، واصبحت الحركات الوطنية في مجمل الوطن العربي مجرد ملاحق

للمقاومة وامتدادات عربية لها ، مما اثقل الحمل على كاهلها ، فعجزت عن السير بخطى ثابتة كالسابق وعجزت عن اعادة صياغة نفسها (تركيبها الطبقي — علاقاتها التنظيمية — خطها السياسي قياداتها — ايديولوجيتها) في تلك الظروف القاسية والطاغية على المنطقة العربية ، حيث تراكمت المسؤوليات على فصائل المقاومة ، وتراكمت عليها المهام ، وبالتالي أدت الى تراكم الاخطاء ، التي لا يمكن الا ان تقع بها اي ثورة وحتى اي مشروع ثورة ، لدراسة نفسها من جديد واعادة نفسها من جديد دون تكرار الاخطاء ، وذلك باستعادة دراستها للتجارب الثورية في العالم وتجربتها هي في الدرجة الاولى ، لتحديد مسيرتها الجديدة في ضوء تلك التجارب وتجربتها ، وعلى ضوء الاخطاء العامة واخطائها الخاصة ، فلا تكون تلك الاستعادة تكرارا للاخطاء ، بل استعادة حقيقية لحجم المقاومة الحقيقي .

النقاط الرئيسية في كتاب العظم

قلنا بان العظم انتقد ذاتية المقاومة ، بمعنى انه انتقد العوامل المكونة للمقاومة من الداخل ، قياداتها ، منظماتها ، ايديولوجيتها وخطها السياسي ، ولم يتطرق الا فيما ندر الى الاوضاع العربية والفلسطينية العامة والخاصة التي رافقت نشأة المقاومة والواقع المتحرك الذي انبثقت منه وتحركت من ضمنه ، والقوى السياسية العالمية وتوازن تلك القوى في ميزان الصراع العالمي.ما بين المعسكرين الاشتراكي والامبريالي وشراسة الهجمة الصهيونية والرجعية التي واجهتها ساعة الاعلان عن نفسها . ولذلك بقيت دراسة العظم مجرد حوار نقدي مع القيادات ، مع « دماغ » المقاومة لا جسمها ، فوقع في نفس الخطأ الذي سقط فيه ما يسمى بيسار المقاومة الذي خاض نقاشا نظريا مع فتح ولم يحاول ان يتعاطى معها الا في مجال المجادلات النظرية والسجالات السياسية ، التي بقيت تدور في فلك المقاومة وبالضبط بقيت تحلق فوق « زعماء » فتح دون ان تخترق جسمها ، وتتحول القضايا التي طرحها يسار المقاومة الى قضايا جدية وعملية يدور الصراع حولها في قواعد فتح ومختلف كوادرها .

ونأتي هنا الى النقطة الاولى في دراسة العظم ، وهي تتلخص : « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة . بعبارة اخرى فتح هي التي حددت — بحكم موقعها ووزنها وحجمها على اقل تعديل — الطبيعة التي اتصف بها الكفاح الفلسطيني المسلح وسماته الغالبة ، بالاضافة الى ايقاعه واتجاه حركته . يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب » (ص ١٢) .

والجواب على السؤال المطروح عن سبب تمثيل فتح لمثل هذا الحجم الجماهيري والوزن السياسي، في الوقت الذي كان يسار المقاومة يطرح نفسه كبديل سياسي — مسلح عن فتح ويحاول باستمرار ان يأخذ مكانها ولو بصورة ذاتية لا موضوعية ، ارتكز في الغالب على النظريات اكثر من الممارسات والاقوال اكثر من الافعال . وفي الوقت الذي كان يسار المقاومة يشكل ظاهريا « نصف » المقاومة وخاصة بالنسبة لما يتعلق بخطه السياسي المطروح الذي كانت اغلبية الفئات الاجتماعية المهتمةبالمقاومة على اطلاع عليه ومأخوذة به . على هذه النقطة لا يجيب العظم بشكل صريح،وخاصة انه كان مع يسار المقاومة بعد هزيمة ٥ حزيران ، حيث استطاعت فتح ان تنجح عمليا في الوقت الذي فشل يسار المقاومة ان يحقق طموحه بتمثيل اوسع الفئات الاجتماعية الفلسطينية والعربية التي كانت تمثلها فتح بالذات . اي ان ازمة يسار المقاومة انه كان يشكل نظريا — اعلاميا « نصف » المقاومة ، بينما كانت الساحة على الصعيد العملي مفتوحة لفتح ، ولاستراتيجية فتح وتكتيكاتها وخطها السياسي ، بسبب عملها المسلح الذي « عوض » عن فقدانها للنظرية الثورية ، واستقطب بالتالي أوسع الفئات الاجتماعية لصالح فتح . مما دفع بعض فصائل يسار المقاومة ، للاندفاع في عمليات « عسكرية » لا تخدم في النهاية استراتيجية المقاومة الفلسطينية، ولا تحقق وظيفتها السياسية على صعيد التحرير ام على صعيد تأليب القوى الطبقية والوطنية ضد الانظمة في الساحة العربية ، وبالتالي ساهم هذا الوضع فيما بعد في تقصير مسافة الافتراق ما بين فتح ويسار المقاومة وفي تمييع التمايز المفترض بين خطي المقاومة ، اليسار وفتح . اذ كانت الجماهير الفلسطينية والعربية لا ترى فرقا شاسعا لحدة

الخلاف ما بين الاتجاهين الا ما ظهر في الكتب والبيانات والتصريحات الصحفية ، وبكلمة اوضح كانت حدود التمايز ما بين فتح ويسار المقاومة تتوقف على الورق ولم تترجم عمليا على ساحة الواقع الاجتماعي وبالتالي الثوري . ومن هنا نرى بان مسؤولية ما حصل في الاردن لا تتوقف فقط على فتح بل على المقاومة الفلسطينية ككل ، يسارها ويمينها .

ويتابع العظم كلامه حول « التصاقية » فتح بالواقع العربي فيقول : « ان مشروع الثورة يكون دوما من الواقع الفاسد وضده في نفس الوقت ، وقد وعى بعض قادة فتح هذا الانتماء المزدوج المتعارض لمشروع الثورة ولكنهم لم يفهموا مدلولات هذه الواقعة بصورة ديالكتيكية متحركة بحيث تعني نمو المشروع باتجاه التغليب التدريجي لاحد طرفي التناقض على الاضرار (...) وهذه الالتصاقية بطرف الواقع القائم فعلا من التناقض تكمن خلف ما هو معروف ومعترف به بالنسبة لتحويل فتح للبراجماتية الى فضيلة كبرى ، وتقديسها للعفوية والتلقائية على صعيد الجماهير والافراد ، وغياب استراتيجية لصالح الطغيان الكامل للتكتيك (وفي احيان بمعناه المبتذل) بالاضافة ليس الى مجرد غياب النظرية والجهد التنظيمي في العمل الثوري بل ايضا الى احتقارهما » (ص ٢٧) .

نسي العظم هنا ايضا بأن « التصاقية » فتح بالواقع العربي وانجرافها مع الجماهير في واقعها « الفاسد » دون تغييره ، يقابلها ايضا من الجهة الثانية تحليق يسار المقاومة فوق الواقع وبالتالي فوق حركة الجماهير . حيث تحولت الثورة مجرد النافذ ، والشعارات مجرد جمل تتكرر وتتردد وتتبدل دون تعبئة ودون تنفيذ وبمعزل عن مدى ملاءمة الشعار لواقع الجماهير « الفاسد » ومدى تقبل تلك الجماهير لسيل من المصطلحات الجديدة التي لم تسمع بها من قبل . وفي الوقت الذي كانت ايديولوجية الطبقة الحاكمة سائدة في صفوفها وراسخة ، بحكم تكونها التاريخي ، بعمق يستحيل استئصالها بسرعة وبقفزة هوائية . وهذا يعني بان يسار المقاومة لم يكن يتعاطى بشكل جدي مع الواقع ، ولم يكن يتعامل ثوريا — ديالكتيكيا مع حركة الجماهير ، بل كان مجمل تعاطيه يتوقف عند حدود فتح — قيادات فتح و « ادمغتها » المفكرة عنها ، ولم يتجاوزها عمليا — ممارسة ، الا عند حدود تسجيل المواقف ذات الصفة النظرية والسجالية مع فتح وخطها السياسي . والعظم يعترف بدوره في الصفحات الاخيرة من كتابه ببعض هذه الوقائع ، اذ يقول : « لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة افضل من غيرها طبيعة المعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ وادركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري الضيق لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسات العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) . ولهذا يعتبر العظم بان المقاومة الفلسطينية وصلت « بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » (ص ٢٠) وذلك بسبب « ان اي تنظيم ثوري يطمح لقيادة الجماهير يجب ان يعرف كيف يتعلم من الجماهير ولكن يجب عليه ايضا ان يعرف كيف يواجه بنجاح وبنضال حازم اشكال التخلف وجوانب النقص والجمود التي يتصف بها الوعي الجماهيري العفوي المتروك لسجيته من ناحية ، ولوصاية الطبقة الحاكمة واجهزتها « في التثقيف الشعبي » من ناحية ثانية » (ص ٤٥) . ان محاكمة العظم للمقاومة الفلسطينية تأتي من جهة كأنها لم تكن تعايش واقع المقاومة والظروف المحيطة بها — طبعا هذا لا يعني باننا يجب ان نلجأ الى منطق التبرير لا النقد فنقع فريسته دون نتيجة عملية — فهو من جهة يعتبر الحركة الوطنية الفلسطينية « امتدادا » للواقع العربي والحركة الوطنية العربية ومن جهة ثانية يعتبر بان المقاومة الفلسطينية مثلت في مرحلة ما بعد ٥ حزيران دور البورجوازية الصغيرة الفلسطينية التي تخلفت من البورجوازية الصغيرة العربية وكررت دورها الذي سبقتها هذه في تمثيله قبل هزيمة ١٩٦٧ . وساقه تحليله هذا للقول بأن وضع المقاومة بعد أيلول اصبح « متجانسا » مع « الوضع العربي المهزوم » منذ خمس سنوات ، مستندا في ذلك لحالة وقف « اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » متجاوزا بذلك عملية خنق المقاومة في لبنان وتصفيتها في الاردن ومحاولة استيعابها سياسيا في بقية الاقطار العربية . هذا عدا من تجاهله لبعض العمليات العسكرية التي جرت وتجري داخل

الاراضي المحتلة وفي غزة بالضبط ، والتي تدل على ان المقاومة الفلسطينية لم « تنته » ولم « تهزم » بالرغم من نكستها العسكرية — السياسية في الاردن، وبالتالي قدرتها على تجديد نفسها واستعادة قوتها وحيويتها للاستمرار بمهمتها وذلك مرهون بشكل اساسي بمدى اخلاص القوى الثورية لثورتها ، ومدى التزام القوى السياسية بمبادئها ، مبدأ استراتيجية حرب الشعب واسلوب الكفاح المسلح ، مع الاخذ بعين الاعتبار ضرورة تطوير ذلك الاسلوب وتعميق تلك الاستراتيجية ،لترتفع الى مستوى المعركة الوطنية — الطبقية التي تخوضها وترتقي الى مصاف الحركات الثورية الوطنية القادرة على انتزاع المبادرة من الانظمة لنفسها — لجماهيرها في حسم توازن القوى السياسية لصالحها .

وينتقل العظم الى مناقشة المقاومة الفلسطينية من زاوية تبريرها « للهزائم » والنكسات ، فيقول : « في هذه المحاولة لدفع مسؤولية الهزيمة عن لمتح وعن فهمها العسكري والسياسي لا نجد الا تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى محاولة التملص من مسؤولية ما حدث من طريق اسقاطه ، على العوامل الخارجية وحدها مثل شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل الى آخر ذلك مما يذكره القارىء جيدا » (ص ٦٣) .

ان العظم لا يرى هنا وفي كل كتابه تقريبا الا الجانب السلبي من المقاومة ، بالرغم من أن أبسط شروط النقد هو وضع سلبيات الموضوع ومناقشتها بجانب الاعتراف بايجابياته . لا شك بأن كل وطني شريف ومخلص يطمح للتحرير الوطني — الطبقي يرفض الا ان يستفيد من أخطائه وبالتالي يرفض المنطق التبريري والتفكير الذرائعي الذي يقود في النهاية الى الفشل تلو الفشل والسقوط تلو السقوط . الا ان العظم يرفض حتى المنطق النقدي الموضوعي وينجرف في بعض مقارناته ما بين الانظمة العربية والمقاومة الفلسطينية الى درجة الانزلاق «الرجعي» الذي لا يميز بين « أخطاء » الانظمة واخطاء المقاومة وامكانات وظروف الانظمة بالمقابل مع المقاومة والطبيعة الطبقية والتمثيلية او التعبيرية للانظمة بالمقارنة مع المقاومة . وذلك بسبب شغف العظم في « نقد » المقاومة بمعزل عن الواقع — واقعها العام والخاص ، لدرجة التشهير بها وبقدراتها وامكاناتها ، انطلاقا من مناقشته لذاتية المقاومة وبالتحديد لذاتية فتح وتحميله لها مسؤولية الفشل كل الفشل (قياداتها — استراتيجيتها — تكتيكاتها — كوادرها — علاقاتها التنظيمية) ودون درس واحاطة شاملة لولادة المقاومة وتعاطيها مع الواقع من جهة وتعاطي الواقع (الانظمة ، الجماهير ...) معها من جهة ثانية . لذلك لم ير العظم في نقد المقاومة لنفسها الا « تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى » . هكذا ، وبشطبة قلم ، استطاع العظم أن يصفي حساباته مع المقاومة والانظمة دفعة واحدة ، دون ان يحدد معالم التمايز ما بين الطرفين اللذين يعتبرهما هو في الاصل في حالة تناقض رئيسي ، ودون ان يرى حدود الانظمة التي سقطت برامجها السياسية وفشلت تاريخيا بالرغم من استمرارها على سطح الوطن العربي وحدود المقاومة التي انتكست في جولتها الاولى ولكنها لم تسقط تاريخيا ولم يفشل المنحى العام لبرنامجها السياسي الذي هو وحده القادر ، في حال تطويره وتجذيره ، على قلب موازين القوى الطبقية — السياسية لصالح قوى التحرر والثورة . لذلك نرى ان سبب نكسة أيلول تتلخص بعاملين ، ولهما وجهان ، الاول ذاتي تتحمل مسؤوليته المقاومة والثاني خارج عن ارادة المقاومة ويتمثل — عكس ما يراه العظم — في « شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل » في الوقت الذي لم تكن المقاومة استكملت نفسها وبظل فقدانها للظهير الثوري المساند لها لمواجهة اي حرب نظامية شاملة وواسعة كالتي جرت في الاردن .

ونلاحظ انسياق العظم وراء أحادية « النقد » و« التحليل » في مجمل كتابه من خلال تطرقه لبعض تصرفات المقاومة . فهو مثلا لا يرى في مسألة خطف الطائرات الا بعض الجوانب الانسانية والاخلاقية والاعتبارات العسكرية أو الاقتصادية دون ان يشمل ذلك الموقف السياسي في مناقشته ، والوظيفة السياسية التي تحققها الاعمال العسكرية في حال نجاحها ، فهو يقول : « ليس باستطاعة اية حركة تحرر جدية ان تستمر الى ما لا نهاية في تنفيذ سياسة تعتبر أي مواطن اميركي او اي مسافر هندي يصدف ان يكون على متن طائرة تابعة لشركة بان اميركان مسؤولا عن جرائم الطبقة الحاكمة الاميركية في الفيتنام والشرق الاوسط ، أو عن الاستغلال الامبريالي الذي تمارسه شركة الطيران المعنية في أنحاء العالم ، فيستحق بذلك ان تعرض حياته لخطر الموت والدمار » (ص ٥١) . واذا

سرنا مع العظم في المنهج نفسه ، نستطيع أن نقول أيضا ، ما ذنب المواطن الاميركي ابن العامل والموظف الصغير ، والمواطن الاميركي « المنبوذ » والمحروم حتى من حقوقه المدنية (السود مثلا) عن جرائم الامبريالية الاميركية في فيتنام ، وما مصلحته في القتال ودفع حياته ودمه عربونا ليصب في النهاية في صندوق الاحتكارات الرأسمالية الامبريالية ، وما هو دوره في تنفيذ سياسة « الطبقة الحاكمة الامريكية » وما هي مسؤوليته في كل ذلك ليقتل على يد الفيتكونغ والجيش الفيتنامي الشمالي !؟ الجواب : لا شيء . ولكن هذه هي طبيعة الحروب، حرب التحرير أو حرب الامبريالية .

ولذلك فان مسألة خطف الطائرات ، لا تناقش من هذه الزاوية ، بل من زاوية وظيفة هذه الاعمال « العسكرية » اذا صح التعبير في تحقيق الهدف السياسي — التحرير، وضرب المؤسسات الصهيونية والاحتكارات الامبريالية . كما ان مثل هذه القضايا المغامرة لا يمكن تحديد موقف صحيح اتجاهها الا بوضعها في الاطار الذي حصلت فيه والظروف المحيطة بها ، التي دفعت المنظمات للقيام بمثل هذا العمل . لان العمل الارهابي — المغامر له وجهان ووظيفتان ، وجه ايجابي ووجه سلبي . ففي مرحلة الانحسار الوطني وفي حالة اشتداد الهجمة الرجعية الشرسة ضد القوى الثورية وفي ظرف بروز الوجه القمعي المطلق لديكتاتورية الطبقة الرجعية الحاكمة وفي وقت تضييق عملية الخنق ضد قوى التحرر ومنعها من التحرك ولو الجزئي ، فان العمل الارهابي — المغامر مبرر تاريخيا على الاقل ، اذ انه يصبح من ضرورات المعركة ، وأحد أساليبها التكتيكية لا الاستراتيجية ، عدا عن كونه نتيجة لعملية الخنق المتبع والطوق المحكم بشدة حول عنق الجماهير . فأي عمل ارهابي — مغامر يساهم في فتح ثغرة في جدران القلعة المحكمة الاغلاق ، دون ان يؤدي طبعا الى سقوط « الجدران » وانهيار « القلعة » فهذا من مهمة الجماهير ودورها التاريخي واستهدافاتها الاستراتيجية .

ماوية فتح

ونأتي الى النقطة الثانية في دراسة العظم ، وهي مناقشته لاطروحات « التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » وبالتحديد لادبيات فتح وخلفياتها السياسية .

وفي هذا الموضوع نقول سلفا بأننا توافق على مجمل ما ورد في مناقشات العظم وتحليلاته تقريبا ، لاننا نرى بأن اسطوانة «التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » ترتفع انغامها عندما يطرح موضوع التحرير الاجتماعي — الطبقي كعلاقة ديالكتيكية مع التحرير الوطني ، مما يدفع بعض القوى الرجعية اليمينية والقوى المحافظة التي تدعي زورا بأنها « وطنية » وتؤمن « بمرحلة التحرير » و« تقديم التحرير الوطني على التحرير الاجتماعي » الى التشديد على موضوعات التناقضات و« اللعب » على التناقضات ، لتبدأ بترتيب سلم التناقض وأولوياته وثانوياته بدرجات متفاوتة تتناسب مع حجمها الطبقي ومصلحتها الطبقية ، أو تبدأ بتفصيل التناقضات وتدريجها لتتناسب مع قياس الطبقة الرجعية الحاكمة ، من الانظمة البورجوازية الى أنظمة التحالف الاقطاعي — البورجوازي ، وذلك كخطة لتبرير تراجعها الوطني وكخدعة للابقاء على علاقاتها مع الانظمة الرجعية وعدم قطع خيوط ارتباطاتها المشبوهة .

ولهذا نرى بأن سماسرة التناقضات ، وتناقض التناقضات ، يبدأون ببيع الجماهير اطنان التعابير التي تدل على خلفية سياسية رجعية ، تطمح في النهاية لا الى تحرير الارض ولا تحرير الانسان ، بل الابقاء على الوضع الراهن كما هو من خلال تلاعبها بالالفاظ ورقصها على أنغام التناقضات ، من « التناقض الاكبر والتناقض الاصغر » و« التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » الى « التناقض الاساسي والتناقض الفرعي » . هذا لا يعني بالطبع اننا نرفض تحديد أولويات التناقض وثانوياته ، ولا الى الاستنكاف عن استعمال المنهج الديالكتيكي لفرز الاعداء من الاصدقاء، وتبدل الاعداء والاصدقاء في كل مرحلة تاريخية ، ولا الى عدم التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي او التناقض الاساسي والتناقض الفرعي ، لاننا نرى بالمقابل انه مثلما هناك انتهازيون يمينيون يستغلون مبدأ تحديد التناقض وترتيب التناقضات ، فانه هناك ايضا انتهازيون « يساريون » يضعون العالم في سلة واحدة ويطلقون عليه النار دفعة واحدة ، لا تتعدى حدود المقالات والبيانات والكتب ، وبالتالي باسم الثورة يقبع « الثوريون » في منازلهم يحاربون العالم دفعة واحدة من وراء متاريس طاولاتهم ومقاهيهم . يقول العظم : « ان الكفاح ضد الغزو الامبريالي مرتبط بصورة جدلية بالصراع الطبقي ولا يجوز طرح القضية على أساس انها اما تحرر وطني أو صراع

طبقات كما جرى في الاردن بالنسبة للثورة الفلسطينية وعلاقتها بالطبقة الحاكمة ونظامها هناك ، وكأن هذين العنصرين معزولان بعضهما عن بعض » (ص ١٣٠) ويتابع « الحقيقة هي ان كل هذا التنظير حول التناقض الثانوي مع النظام الهاشمي ليس الا محاولات لتبرير الخط الوسطي المتذبذب والمتأرجح (...) واستخدمت حملة التنظير التبريري هذه أدوات عديدة لتحقيق اهدافها كان من اهمها وأكثرها بروزا الموضوعات التي طرحتها الثورة الصينية والمقولات الماوية المشهورة ، الا ان الاشكال الكبير في الموضوع هو ان المنظرين المعنيين قد أعادوا تفصيل الموضوعات الصينية والمقولات الماوية على هواهم بحيث يتسنى لهم تطبيقها على حركة فتح والمقاومة عموما بصورة عشوائية وتجريدية وبدون الاخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية الصينية التي أحاطت بالتجربة الثورية هناك وكانت المنبع الاساسي لاطروحاتها النظرية » . (ص ١١٩) .

ويستنتج العظم بأن فتح لم تفهم الا جانبا واحدا من طرفي التناقض ، فوعت تناقضها هي مع النظام واعتبرته « ثانويا » ولم تفهم الطرف الاخر من التناقض ، اي وعي النظام لتناقضه هو مع المقاومة الفلسطينية الذي اعتبره « رئيسيا » . فيقول حول الموضوع : « يبدو لي انه عندما قرر الماويون الفتحويون وغيرهم في المقاومة ان التناقض مع النظام الهاشمي ثانوي لم ينظروا بدقة الا الى جانب واحد من التناقض فقط وهو جانبهم فوصلوا الى استنتاجهم على اساس تطبيق المبدأ الماوي العام الذي أشرنا اليه على هذا الجانب وحده » (ص ١٤١) ، ولذلك لم تميز فتح ما بين التصاقها بالواقع لفهم تناقضاته مقدمة لتغييره وبين « التصاقها » بالانظمة اي تعاطيها مع مراكز القوى العربية السياسية . وبفضل هذا ماع عندها عمق وبعد العلاقة الديالكتيكية بين حركة التحرير الوطني وحركة التحرير الاجتماعي — الطبقي ، مما دفعها الى « شن كفاحها ضد الغزو الصهيوني الامبريالي بمعزل عن الصراعات الاجتماعية وطبيعة الطبقة الحاكمة في القاعدة الامنة الاردنية ... » (ص ١٣٤) . وبالتالي فان « تقدير المقاومة لطبيعة التناقض لا يلزم الملك حسين والطبقة الحاكمة بشيء لان لهما تقديراتهما الخاصة والواضحة للموضوع تنبع من مصالح حيوية سيتم الدفاع عنها بشراسة. لا اعتقد انه يوجد اختلاف كبير في الراي في اوساط المقاومة بأن الملك حسين عمل وخطط وأعد اجهزة قمعه ، منذ البداية ، على اساس ان تناقضه الرئيسي هو مع المقاومة والحركة الوطنية وليس مع اسرائيل بالرغم من الاحتلال القائم » (ص ٨٩) لانه أحس بأن وضعه في السلطة بدأ بالتزعزع ، وأخذت تنمو في الاردن نواة ازدواجية السلطة (سلطة الملك وسلطة المقاومة) وبالتالي « ان كل التعديلات الدقيقة التي يمكن ادخالها على شعارات المقاومة ، وكل حسن السلوك والتهذيب الذي يمكن ان يظهره الفدائيون لا يمكن ان يزيلا من الوجود واقعا ماديا محددا ، هو ان نمو حركة المقاومة قد جرف سيطرة حسين على مملكته . كذلك مهما أعلنت فتح عن رغبتها في عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، فان الملك حسين لا يمكن أن ينسى ولو لثانية واحدة حقائق ووقائع ازدواجية السلطة التي نمت في الاردن بسبب نمو قوة المنظمات الفدائية .» (ص ٧٥) .

وبظل فقدان « النظرية الثورية » عند فتح و« الممارسة الثورية » عند يسار المقاومة ، وبظل طغيان موجة الانحرافين اليميني و« اليساري » تراكمت اخطاء المقاومة وتقديراتها السياسية في تحديد العدو الحقيقي ، أي في التمييز ما بين العدو المباشر والعدو غير المباشر ، العدو الملموس والعدو غير الملموس ، أي في تعيين الهدف — العدو للنضال ضده دون الاغراق في « الكفاح » ضد عدو وهمي ، استطاع ان « ينقلب » ضدها في لحظة تاريخية كان فيها توازن القوى لصالحه ، فحسم ازدواجية السلطة لمصلحة الطبقة الحاكمة — طبقته في أيلول ١٩٧٠ ، حيث وافقت المقاومة بعدها على سحب الاسلحة من عمان وتفريغ المخيمات من الميليشيا الشعبية مما أتاح له مرة ثانية اقتناص الفرصة في تموز ١٩٧١ (معارك جرش) وحسم توازن القوى — السلطة لصالحه نهائيا .

نحو مقاومة جديدة !؟

نصل الان الى النقطة المهمة الثالثة ، نصل الى السؤال الذي يجب ان يطرحه كل ثوري على نفسه: ما العمل ؟ ما هو الطريق الثوري الصحيح والنظرية الثورية الصحيحة ؟ للقيام بمهمة الانقاذ ، مهمة انجاز المشروع الثوري الكبير الذي يطمح له الكادحون العرب .

يقول العظم حول هذه النقطة : « ومن اسباب ذلك

ان الرد على الهزائم بشكل ثوري لا يمكن أن يأتي عبر مثل هذه الدعوات الطوباوية التجديدية او من خلال وصفات سريعة جاهزة يفترض فيها ان تشكل حلولا فوريا للمعضلات والمآزق التي تواجهها حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الفلسطيني بشكل خاص . ففي هذا الموضوع لا توجد ايــة أسرار أو أية حلول خفية ينبغي اكتشافهــا أو استنباطها بصورة ما باعتبارها المفتاح السحري الذي يمكن الحركة الثورية من السير على طريق تحقيق النصر والنجاح » (ص ٢٤١) .

ويستعرض العظم بعدها عدة حلول مقترحة من قبل بعض قياديي المقاومة الفلسطينية ، فينتقدهم كلا على حدة ويتهم آراء كل من حسام الخطيب ، أبو اللطف ، ناجي علوش ، أبو اياد ومنير شفيــق بالتجريدية والطوباوية والبعد عن الواقع ، بسبب عدم تعيينهم للوسيلة التي يجب ان ينفذ بها الاقتراح والطريقة التي يطبق بواسطتها الحل المطلوب .

وفي معرض رده علــى أبي اللطف واقتراحاتــه وحلوله ، يطرح العظم المشكلة ، يطرح على بساط البحث أزمة المقاومة التي تتلخص برأيه ، في وجود قيادات قاصرة وانتهازية وقوى مهيمنة على رأس المقاومة ، لايمكن التقدم خطوة واحدة الى الامام دون اعادة النظر فيها وابدالها بقيادات ثوريــة جذرية جديدة ذات برامج سياسية واضحة ، فيقول عن الموضوع : « والسبب في ذلك تهــربه (أبو اللطف) من مواجهة السؤال الاساسي : هــل القيادات والقوى التي أوصلت حركة المقاومة الى هزيمة أيلول قادرة فعلا على تنفيذ اقتراحاته الممتازة من حيث المبدأ ؟ يبدو ان أبا اللطف تجنب هــذا السؤال المحرج والمهم جدا بالنسبة لمستقبل حركة التحرير الفلسطينيــة ، لانه افتــرض ضمنا ان القيادات المعروفة والقوى المهيمنة اياها قادرة على القيام بهذه المهمة » (ص ٢٤٣) . الا ان العظم وقع أيضا في خطــأ « تجريدي » و« طوباوي » وبالتالي أعطى حلا وهميا ، عندمــا حدد بــأن المشكلة — الازمة هي في استمرار القيادات ذاتها وسيطرة القوى نفسها على المقاومة ، دون ان يحدد بالمقابل ، كيفية تبديل هذه القيادات ؟ وكيفية ازالة سيطرة تلك القوى المهيمنة ؟ والطريقة الصحيحة لمعالجة الوضع — المأزق . وما هي الوسيلة الاسلم لاسقاط القيادات وتغييرها ؟ وكيف يتم ذلك ؟

ويكرر العظم ملاحظاته — اقتراحاته دون ان يحدد طريقة العمل لتنفيذ ذلك فيقول : « يضاف الى ذلك ان الوضع الجديد الذي نتج بعد كل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وأيلول ١٩٧٠ أخذ يعزز وقائعه الخاصة التي سيكون لها شأنها بالنسبة لتحديد مستقبل الحركة التحــررية العربية والفلسطينيــة خاصة ، وكل الدلائل تشير الى ان حركة المقاومة أصبحت غائبة عن الواقع الجديد الذي يتكون وغير قادرة على التأثير فيه » ويتابع « مما يعني ان قيادات وتنظيمات مستقلــة عــن المقاومة التــي عرفناها ، مرشحة لان تنشأ كتعبير موضوعي من التفاعلات الاجتماعيــة والطبقيــة الناتجة عــن الاستعمار الاسرائيلي الجديد وعــن عودة القمع الهاشمي الى السيطرة على جماهير واسعة من الشعب الفلسطيني في الاردن ، وعن العجز العام الذي برهنت عنه منظمات المقاومة ، كل هذا ضمن اطار عربي عام يتسم باستمرار بتدهور الوضع الوطني العــربي العــام أمام بقــاء الاحتــلال الاسرائيلــي ... » (ص ٢٥٣) . أن هــذه الاستنتاجات تبقى وستبقى مجرد اوهام تجريدية ، ومجرد توقعات (نمو طبقة عاملة في الضفة الغربية — نمو تيار وطني في الاردن) اذا لم يرافقها خطة — نظرية عمل للاستفادة من الوضع الجديد ، أي انها مجرد تخمينات لكل مؤمن بحتمية التطور التاريخي ، وحتمية انفجار التناقضات والتحول النوعي في البنى الاجتماعية القائمة في كافة انحاء الوطن العربي ، سواء في الارض المحتلة ام غير المحتلة . الا ان السؤال الاساسي يبقــى مطروحا : كيف يمكــن الاستفادة من كل هذه الظروف الموضوعية والفرص القائمة ؟ وكيف يمكن ان نختزل طريق الثورة ونختصر طريق التحرير ؟ هذا ما هو مطلوب منا الان بالضبط، وهذا ما لا يجاوب عليه العظم في تساؤلاته العديدة. اذ أنه على العكس من ذلك ، يترك الامور على سجيتها ، متسيبة دون تنظيم ودون تأطير القوى الثورية لمباشرة العمل — التنفيــذ ، اذ يقول : « بالرغم عن الموجة اليمينية والمضادة للثورة التي تجتاح المنطقة العربيــة في الوقت الحاضر والتي تحمل لواءها الطبقــات الحاكمة المحلية ، فــان الاندفاعة التحررية المعادية للامبريالية الضاربة بجذورها بعمق فيحياة الجماهير العربية والفلسطينية ستعود لتؤكد نفسها من جديد بأشكال كفاحية أرقى وعلى اسس تنظيمية وطبقية اكثر جذرية مما عرفناه حتى الان » (ص ٢٥٣) . أظن بأنه ليس هناك من وطني شريف وثوري مخلص يخالف العظم في مثل

هذا الاستنتاج ولمثل تلك التوقعات ، التي ستبقى توقعات تأملية ومستقبلية ، اذا لم يرافقها ممارسة يومية في صفوف الجماهير تبتعد عن التوجيه الفوقي والتشخيص النظري . لان مسألة صياغة واعادة صياغة نظرية الثورة العربية الاشتراكية ، ومسالة نقد واعادة نقد التجارب النضالية الوطنية والطبقية السابقة ، لا تتوقف عند ترك المسألة ، متوقفة على افرازات الواقع وتطور التاريخ ، وما يحمله في احشائه من قوى طبقية جديدة وقوى ثورية جديدة ، دون أي محاولة جادة منا لصياغة نظرية العمل الثورية التي تتلاءم مع ظروف المنطقة العربية والتي لا تتم الا بعملية اكتشاف القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية .

ويحاول العظم في نهاية الكتاب ، ان يقدم بعض الاقتراحات « العملية » التي تبقى ايضا نظرية اذا لم نشارك في الممارسة النضالية اليومية التي ، عبر تراكمها الكمي ، تفرز على السطح السياسي قوى ثورية نوعية جديدة وبالتالي نظرية نوعية في العمل الثوري . واقتراحات العظم ثلاثة ، اولا وجود نظرية ثورية (الماركسية ــ اللينينية) ثانيا وجود حزب ثوري (حزب الطبقة العاملة) ثالثا وجوب فرز وتحديد الاعداء من الاصدقاء (البرنامج السياسي) . ان هذه الاقتراحات الثلاثة ، سليمة ولا غبار عليها ، الا أن لا النظرية الثورية يمكن أن تفهم بشكل صحيح ، ولا الحزب الثوري يمكن ان يقوم ، ولا ترتيب سلم التناقضات يمكن ان يستقيم ، اذا لم تكن هناك قوى ثورية تمارس وتحتك بالواقع الموضوعي ، واقع الجماهير ، لتخرج من وسطها حاملة الى ساحة العمل السياسي تفاصيل القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية . والا ستبقى كل الاقتراحات مجرد « وصفات جاهزة » وأدوية « ناجزة » نحاول أن نطبق الواقع عليها بدلا من تطبيقها بشكل خلاق ومبدع مع الواقع .

شــــهريات

(١) المقاومـــة الفلسطينية

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة تواجه ذيول عملية السفارة السعودية في الخرطوم ، بادرت الى متابعة نشاطها الجماهيري فلسطينيا وعربيا ، ولعبت دورا سياسيا بارزا على الصعيد الرسمي اثر انفجار أزمة الحدود بين العراق والكويت . وفي الوقت نفسه كانت عملية الصراع بينها وبين اسرائيل تتطور وتتفاعل حتـى وصلت الى ذروة عالية بعد الهجوم الاسرائيلي على مدينة بيروت الذي استهدف بشكل رئيسي اغتيال ثلاثة من القادة هم أبو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر . وفيما يلي تسجيل لابرز مراحل هذا النشاط وأبرز معانيه السياسية في الفترة الواقعة بين ١١ آذار و١٠ نيسان ١٩٧٣ .

١ ــ ختام عملية الخرطوم :

على اثر حملة الاتهام والتشهير التي قادها النظام السوداني ضد حـركة المقاومـة بعـد عمليـة الخرطوم ، تدخلت أكثر من جهة عربية لايقاف هذا التدهور في العلاقات .

ففي ١٤ آذار وصل الــى بيروت السيد سعدون غيدان وزير الداخلية العراقي قادما من الخرطوم حيث سلم الرئيس نميري رسالة من السيد أحمد حسن البكر ، واجتمع فور وصوله الى السيد ياسر عرفات وابلغه نتيجة اتصالاته .

وفي ١٥ اذار نقل السيد جمال الصوراني رسالـة من محمود رياض الامين العام للجامعة العربيـة الى السيد ياسر عرفات تضمنت نتائج اتصالاتـه حول ذيول عملية الخرطوم .

كذلك استقبل ياسر عرفات وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية في نفس اليوم السيد عبداللطيف ابو حجلة مدير مكتب المنظمة في الخرطوم حيث نقل اليهم اخر تفاصيل الموقف السوداني .

وعلى أثر هـذه الاتصالات ، اجتمعـت اللجنـة التنفيذية (١٤ اذار) وبحثت في المساعي العربيه الجارية مع السودان ، ثم اعلن مصدر مسؤول ان مندوبا خاصا سيصل الى الخرطوم حاملا رسالة من عرفات الى النميري . وفي ١٨ اذار وصل الى الخرطـوم وفد فلسطيني برئاسة السيد جمـال الصوراني وعضوية عبد اللطيف ابو حجلة ومحمد ابو ميزر. وبعد جولة من الاجتماعات مع المسؤولين السودانيين صرح الوفد الفلسطيني (٢٠ اذار) ان الفدائيين الثمانية الذين نفذوا عملية الخرطوم مسؤولون شخصيا عن العملية ، وكان ذلك يعني تاكيدا جديدا من حركة المقاومة بأن لا علاقة لحركة فتح رسميــا بالعملية ، وكـان نشر التصريح في الصحف السودانية يعني قبول الحكومة السودانية لمضمون الموقف الفلسطيني ، وتراجعها عن موقفها السابق . وكانت اول بوادر الانفراج بعد ذلـك قول المصادر المطلعة في الخرطوم ان الحكومـة السودانية قد تكون اقتنعت بوجوب اجراء محاكمة مدنية للمعتقلين ، تفاديا لتأثير نتائج أية محـاكمة سياسية على العلاقات بين المقاومة والسودان . وقد كان الاجتماع الحاسم في الموضوع هو اجتماع الوفد الفلسطيني مع الرئيس النميري في ٢١ اذار، حيث أعلن على اثره عمر الحاج موسى وزير الاعلام بشكل صريح ان النميري لا يعتبر فتح مسؤولة عن الهجوم على السفارة السعودية ، وانه يحصـر المسؤولية ببعـض موظفي مكتب فتح في الخرطوم (٢٣ اذار) . وحين عاد الوفد الفلسطيني الى القاهرة ابلغ السيد سليم اليافي ، الامين العـام المساعد للجامعة العربية ، ان الخلاف انتهى كليا بين المقاومة والسودان . وفي السابع من نيسان تقرر اعادة مكتب فتح في الخرطوم ، كما قـررت منظمة التحرير الموافقة علـى طلب مدير مكتـب المنظمة بالانتقال للعمل في مكان اخر . وكان ذلك ختام عملية الخرطوم ، وختام العلاقة التي توترت

بسرعة شديدة بين المقاومة والنظام السوداني ، بسبب الاتهامات التي وجهها .

٢ ـ نشاط المقاومة الجماهيري :

كان استشهاد ثلاثة من قادة الجبهة الشعبيــة في قطاع غزة اثر معركة ضارية مع القوات الاسرائيلية مناسبة للقيام بنشاط جماهيري واسع لابراز معنى الحادث ونتائجه ومتطلبات تطوير الحالة الثورية التي يعبر عنها . وتعبيرا عن ذلك وجه جــورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية رسالة الــى جماهير غزة أشاد فيها بالدور الذي لعبه الشهداء الثلاثة . وقال أن جماهير شعبنا لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان ترضى لنفسها ان تبقى في مخيمات الذل والشقاء ... ان تبقى مشتتة في انحاء العالم بلا وطن ولا كرامة . (١٢ اذار) .

وفي اليوم التالي أقيم احتفال جماهيري في جامعة بيروت العربية للمناسبة نفسها القى فيه الاخ احمد اليماني احد قادة الجبهة الشعبية وعضو اللجنــة التنفيذية ، خطابا طويلا ابرز فيه ان المطلوب هو « رأس المقاومة ، وهذا امر محتوم ، والسبيل الى وقف هذه المؤامرة هو وحدة المقاومة ، وعلى حركة المقاومة الا تكتفي ، كما في عادتها ، بقرارات تؤخذ ، كالبرنامج الذي اقره المجلس الوطني قبل شهرين ، بل عليهــا ان تطبق هــذا البرنامــج السياسي » . وخلص الى ضرورة الاستفادة من تجربة الهجوم الاسرائيلي على مخيمي نهر البــارد والبداوي « حيث اظهرت مختلف فصائل المقاومة تخاذلا ، فمقاتلونا استطاعوا ان يضربوا العدو ، لكن ضرباته كان يجب ان تكون اقل من ضرباتنا » . (١٣ اذار) .

ثم أقيم في الجــامعة العربية في بيروت احتفــال جماهيري اخر تأبينا لشهداء غزة حضره جــورج حبش وصلاح خلف ، وكان حضورهما معا دلالــة على علاقات خاصة بين فتح والجبهة الشعبيــة . وفي هذا المهرجان قال صلاح خلف « هناك بعــض الايدي العربية والرجعية تتآمر على هذه الثورة ... لن نقبــل ان نكون جــزءا مــن المؤامــرة الاستسلامية ولن نركع على باب واشنطن ... اننا ماضون ولن نلقي سلاحنا وسنحارب في كل مكــان من العالم نستطيع القتال فيه » . ثم القى جــورج حبش خطابا مطولا قال فيه :

ــ ان النقطة المركزية في مخطط العدو في هذه الفترة بالذات .... هو ان يدب اليأس في قلوبنا ... وواجبنا ، واجبنا بالوعي العلمي ان نحبط هــذا المخطط .

ــ ان واجبنا تجاه جيفارا غزة هو ان نعلن اليوم للعدو الصهيوني الامبريالــي الرجعي ... انــه يستطيع ان يغتال ... وان يوجه لنا ضربــات جديدة وغير متوقعة ، ولكن لن يستطيع ولا يمكن ان يستطيع ان يدمر فينا ارادة القتال .

ــ اننا لا نستطيع ان نحقــق الانتصار بمجــرد العواطف والمناشدات ... ان اول واجب مــن واجباتنا هو ان نخوض نضالا ذاتيا في تنظيماتنــا حتى نتخلص من كل حالة الترهــل التي تعيشها حركة المقاومة .

ــ ان الجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة .... يجب ان تصبح هدفا اساسيا مركزيا ... والــى جانب هذا الخط في قضية الوحدة الوطنية يجب ان يترافق معه تحالفــات اساسية ايضا بين بعــض التنظيمات .

ــ ثم حدد جورج حبش في خطابه ميادين العمــل الاساسية للنضال الفلسطيني داعيــا الى تعميق العمل الجماهــيري في الاراضي المحتلــة ، والى الالتحام مع حركة التحرر الوطني الاردني ، والى النضال الدؤوب بين جماهيرنا في لبنان ومع الحركة الوطنية اللبنانية بشكل خاص .

وكانت قد سبقت هذا المهرجان مسيرة جماهيرية في مخيم شاتيلا . (١٧ اذار) .

وعلى غرار بيروت شهدت مدينة صيدا مهرجانــا جماهيريا اخر اقامه « الاعلام الشعبي الفلسطيني» احياء لذكرى الشهداء الفلسطينيين . وتكلم في هذا المهرجان الاخ احمد اليماني الذي كشف النقاب عن وجود تحالف خاص بين فتح والجبهة الشعبية حيث قال « ان لقاء وطنيا تم بين فتح والجبهة الشعبية ، وان هذا اللقاء الثوري هو نواة لتحقيق الجبهــة الوطنية الفلسطينية بين مختلــف فصائل حركــة المقاومة ، انــه ليس محورا بل نــواة الجبهــة الوطنية » . ثم وضع لحركة المقاومة خمس مهمات في المرحلة الراهنة هي : ١ ــ تحقيــق الجبهــة الوطنية الفلسطينية ، ٢ ــ تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ، ٣ ــ الالتحام مع حركة التحرر العربية ، ٤ ــ تشكيل جبهة الرفض العربية ، ٥ ــ توثيــق تحالفاتنا مع الدول الاشتراكية . (٢٥ اذار) . وفي مقابلة مع مجلة الهدف الناطقة بلسان الجبهة

الشعبية اوضح السيد احمد اليماني بصورة اكثر تفصيلا موضوع اللقاء بين فتح والجبهة فقال « ان من حق الجبهة الشعبية اذا ارتأت ان في تعاونها الثنائي مع تنظيم اخر ، ضمن اطار البرامج المقرة في المجلس مصلحة للثورة ودفعا لبناء الجبهة الوطنية ، من حقها ان تقوم بهذا اللقاء . ويجب ان لا يفهم باي شكل من الاشكال من الخطوة هذه، انها محاولة لعزل او محاصرة او تصفية اي تنظيم. ان هذا التعاون يتم ايضا على ضوء الظروف التي يخضع لها عملنا الثوري ... وهنا يدخل موضوع التواجد في الارض المحتلة كمقياس ، والفاعلية العسكرية والجماهيرية كمقياس اخر » . (٧ نيسان) .

٣ ـ الجبهة العربية المشاركة :

الى جانب النشاط الشعبي الفلسطيني ، كان لحركة المقاومة نشاط شعبي عربي مماثل . ففي ٣٠ آذار عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا لها في بيروت. وقد شارك في هذا الاجتماع لاول مرة مندوب الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، واعلنت سوريا عن استعدادها للمشاركة في اعمال الجبهة ، بينما استبدل المندوب المصري السابق السيد احمد بهاء الدين بعد عملية العزل التي تعرض لهاالكتاب والصحفيون المصريون . وفي بداية الاجتماع قدم السيد اديب عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تحليلا للوضع السياسي الفلسطيني والعربي ابرز فيه استمرار ونمو المقاومة داخل المناطق المحتلة، وخطورة استجابة الانظمة العربية لمشاريع الحلول الاميركية ، وتأثير هذه الاستجابة السلبي على مستقبل النضال داخل الاراضي المحتلة . داعيا الى مواجهة مؤامرات التصفية ببناء جبهات رفض عربية من خلال النضال من اجل الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . ثم جرت بعد ذلك مناقشة موسعة لتقرير اللجنة التنفيذية شاركت به معظم الوفود ، وبرز فيها تياران : الاول يدعو الى مجابهة المؤامرات ضد الثورة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربية من خلال اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . بينما يدعو التيار الثاني الى التركيز على القضية الفلسطينية في البحث ، وتجنب كل ما يتعلق بالاوضاع العربية . ثم استمر بروز هذين التيارين عند مناقشة القرارات التنظيمية التي ستخرج من الاجتماع . فبعد ان اقر تشكيل لجان وطنية في كل قطر عربي لتحويل الجبهة المشاركة من جبهة ذات علاقات فوقية ، الى جبهة ذات قاعدة جماهيرية ، نادى الفريق الاول بان تنبثق هذه اللجان عن مؤتمرات تضم الاحزاب والنقابات والهيئات والشخصيات الوطنية ، بينما طالب الفريق الثاني بأن تتشكل هذه اللجان بقرار يصدر عن الاحزاب المشاركة في الامانة العامة . ولكن الاجتماع اقر في النهاية الاتجاه الاول الداعي لعقد مؤتمرات تنبثق منها اللجان الوطنية القطرية . كذلك أقر المؤتمر اعطاء المكتب التنفيذي للجبهة صلاحية اقامة لجان وطنية خارج الوطن ، ولجان مناصرة للثورة الفلسطينية ، وحق القيام بكل اشكال النشاط السياسي على اساس برنامج الجبهة والمقررات السياسية للامانة العامة .

وبذلك يمكن القول ان اجتماع الامانة العامة الاخير اسهم في تحديد الفوارق بين الاتجاهات الوطنية والتقدمية الجذرية التي تناضل لتغيير صورة الواقع القائم ، وبين الاتجاهات التي لا تريد الابتعاد عن حدود المواقف العامة التي ترضخ للامر الواقع وتناقضاته . وكانت القضية الفلسطينية واساليب دعمها المحور والمنطلق في الصراع الذي دار بين هذين الاتجاهين .

٤ ـ الوساطة الفلسطينية بين العراق والكويت :

وكما كان لحركة المقاومة نشاط جماهيري فلسطيني وعربي بارز ، كان لها ايضا نشاط رسمي فعال ، ظهر في مهمة الوساطة التي تصدت لها بين العراق والكويت ، بعد انفجار ازمة الحدود بينهما . فمنذ اليوم الاول لانفجار الازمة (٢٠ اذار) بعث السيد ياسر عرفات برسالتين الى صباح السالم الصباح ، واحمد حسن البكر ، اعرب فيهما عن « قلق الثورة الفلسطينية » من حوادث الحدود ، واكد استعداد الثورة للقيام بأي دور يطلب منها لمعالجة هذا الموقف الطارىء . ويبدو أن العرض الفلسطيني لقي تجاوبا من البلدين ، ففي ٢٧ اذار وصل عرفات الى بغداد وعقد مباحثات واسعة مع المسؤولين العراقيين ، قالت على اثرها مصادر مطلعة في بغداد ان العراق يميل الى اتاحة الفرصة للمقاومة لتلعب دورا مهما في انهاء الازمة . وبعد ذلك انتقل عرفات الى الكويت (٢٩ اذار) وابلغ اجتماعا حضره الشيخ صباح السالم وكبار رجال الدولة وجهة نظر العراق ، واعلنت مصادر كويتية ان الكويت تعلق أهمية خاصة على وساطة عرفات. ونتيجة لهذا الاتصال بالطرفين العراقي والكويتي

صرح عرفات قائلا انه « متفائل جدا بايجاد حل للازمة .... وبان ما عرضته سيؤخذ به » . وبعد ان قام عرفات بالجولة الاولى من الوساطة تابعت المقاومة مهمتها من خلال مندوبين ، ابو مازن ، الذي كان يتابع الوساطة من بغداد ، وخالد الحسن الذي كان يتابعها من الكويت ، وكان المندوبان على اتصال دائم مع ابو عمار في بيروت . وفي ٣ نيسان اعلن خالد الحسن في الكويت ان وفدالمقاومة توصل الى تسوية للازمة بين البلدين وقال « ان الجهود ، مضافة اليها الرغبة في التعاون بين البلدين الشقيقين ، ثم التفهم الذي ابداه مسؤولو كل بلد، جعلتنا نصل الى النتيجة الاخوية الحالية». وعلى اساس هذا الاتفاق ، ابرق عرفات من العراق (٥ نيسان) مبلغا حكومة الكويت ان الرئيس العراقي احمد حسن البكر قد امر القوات العراقية بالانسحاب من الاراضي الكويتية ، ثم حضر الى الكويت (٦ نيسان) برفقة وفد عراقي جاء لبحث المشكلة وحلها بالتفاوض وفينفس اليوم غادر عرفات الكويت وصرح قبل مغادرته قائلا ان مهمة الوفد الفلسطيني قد انتهت باجتماع وفدي البلدين .وهذا يعني ان الوساطة الفلسطينية ركزت على منع الاصطدام العسكري ، وعلى اقناع الطرفين بحل المشاكل العالقة بينهما من خلال المفاوضات .

٥ ــ العمليات الخاصة :

بعد مقتل حسين ابو الخير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص يوم ٢٥ ك٢ الماضي ، اطلق شاب اردني النار في نيقوسيا على الاسرائيلي سيمحا غيلزر فقتله ، وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان غيلزر عميل للمخابرات الاسرائيلية يتخفى تحت صفة رجل اعمال . ثم اعلنت منظمة ايلول الاسود (١٣ اذار) مسؤوليتها عن الحادث موضحة بأن غيلزر هو الذي دبر حادث اغتيال ابو الخير قبل شهرين . وقد اصدرت السلطات القبرصية مذكرة اعتقال بحق الشاب الاردني الذي اختفى بعد الحادث ، ووجهت له تهمة الاغتيال .

كذلك كانت قبرص ميدانا لعمليات اخرى اشد عنفا. ففي صباح يوم التاسع من نيسان شن فدائيون تابعون لمنظمة تدعى « منظمة الشبيبة القومية العربية لتحرير فلسطين » هجوما مزدوجا على اهداف اسرائيلية في قبرص . الهجوم الاول جرى في مطار نيقوسيا حين هاجم ٦ فدائيين طائرة ركاب اسرائيلية تابعة لشركة العال . وقد واجه هجوم الفدائيين نيران القوات القبرصية ونيران رجال الامن الاسرائيليين من داخل الطائرة . وبعد عشرين دقيقة من تبادل اطلاق النار اصيبت الطائرة بأضرار، وقتل فدائي ، وشرطي قبرصي،وجرح ثلاثة فدائيين، وتمكن احد الفدائيين من الفرار . اما الهجوم الثاني فقد تم في الوقت نفسه على منزل السفير الاسرائيلي أحايم تيمور ، وذلك حين زرع ٣ فدائيين كمية كبيرة من المتفجرات امام المنزل ، وادى الانفجار الى انهيار الواجهة الامامية للمنزل والى تدمير الجزء السفلي من المبنى . وقد سبق الانفجار اشتباك بين المهاجمين والحرس ، قتل فيه شرطي قبرصي . وقال السفير الاسرائيلي ان السلطات القبرصية اعتقلت المهاجمين الثلاثة .

وكان قد جرى قبل ذلك اعتقال شابين عربيين (١٥ اذار) اثناء دخولهما الى فرنسا في سيارة مليئة بالمتفجرات ، قيل انها كانت مخصصة لنسف السفارة الاسرائيلية في باريس ، وان الشابين ينتميان الى منظمة فتح . ولكن حركة فتح نفت رسميا يوم ١٨ اذار اية علاقة لها بالشابين المعتقلين في فرنسا . كذلك تم في باريس يوم ٢٢ اذار اعتقال طبيبة بريطانية ووجهت لها تهمة الانتماء الى منظمة ايلول الاسود ، ثم افرج عنها وغادرت فرنسا متوجهة الى بريطانيا .

وفي باريس نفسها أقدمت المخابرات الاسرائيلية فجر يوم السادس من نيسان على اغتيال الدكتور باسل القبيسي احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، اثناء تواجده في العاصمة الفرنسية للقيام بمهمة سياسية للجبهة تتعلق بالعلاقات بين الجبهة والقوى السياسية الوطنية المغربية .

٦ ــ اسرائيل ولبنان والمقاومة :

قامت اسرائيل منذ منتصف شهر اذار ، وحتى نهاية الاسبوع الاول من نيسان بسلسلة من عمليات الضغط والتهديد على لبنان والمقاومة الفلسطينية . وقد كانت بعض هذه العمليات بادية للعيان وكان بعضها الاخر يجري التحضير له بشكل سري . وحول هذه النشاطات السرية وصلت الى حركة المقاومة معلومات كشف النقاب عنها المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير يوم ١٦ اذار حين حذر من اعتزام المخابرات الاسرائيلية والاميركية والاردنية القيام بعمليات تخريبية على اكثر من أرض عربية وصديقة ، والصاقها بالمنظمات الفلسطينية ،

للضغط على بعض الانظمة العربية ، للاحتكاك بالثورة وضربها . ولم تكد تمضي على هذا التصريح سوى ايام قليلة حتى قام بعض المسلحين المجهولين بالهجوم يوم ٢١ اذار على مخفر للجيش اللبناني في قضاء راشيا . وقتل في هذا الهجوم جنديان لبنانيان وجرح ثالث . وترك المهاجمون في مكان الحادث بندقية كلاشينكوف مكتوب عليها « أبو كفاح — الجبهة الشعبية — القيادة العامة » . وكان من الواضح منذ البداية ان الحادث مفتعل ، وان القصد منه هو اثارة المشاكل بين المقاومة والجيش اللبناني ، وان البندقية تركت عن عمد لزج اسم فصيل فدائي ، والادعاء أنه مسؤول عن الحادث . وقد تولى الكفاح المسلح الفلسطيني بالتعاون مع الجيش اللبناني التحقيق بصورة مشتركة ، وقال مسؤول الكفاح المسلح « نستنكر الحادث الذي هو عمل جماعة غوغائية تصدها الايقاع بين الجيش والمقاومة . ثم ادلى السيد أحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية — القيادة العامة ، بتصريح جاء فيه « ابلغنا الاخوة في قيادة الجيش اللبناني اننا على استعداد للتعاون معهم من اجل الكشف عن المجرمين الذين حاولوا زج اسمنا في اقذر عمل استهدف علاقاتنا مع الجيش اللبناني ... نعلن استنكارنا للحادث وللاساليب الدنيئة هذه » . كذلك أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة بيانا مماثلا قالت فيه انها « تستنكر بشدة هذا العمل الاجرامي ، وتضع كل امكاناتها ... للقبض على الجناة » . ونتيجة لهذه المواقف الصريحة ، فشل الحادث في ان يؤدي الى الغاية المقصودة منه ، ولم تظهر اية بوادر للتوتر بين الجيش والمقاومة ، بينما تأكد للمقاومة ان مخطط التخريب على علاقاتها مع السلطة اللبنانية سيستمر .

وفي يوم السابع من نيسان تعرض شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت الى حادث اعتداء على حياته ، وذلك حين رميت على شرفة مكتبه في جريدة المحرر قنبلة احدثت اضرارا في المكتب ، بينما كان هو قد خرج منه . وهذه هي المرة الثالثة التي يتعرض فيها شفيق الحوت لمحاولة اغتيال . المرة الاولى كانت حين اطلق اشخاص النار عليه ، وفي المرة الثانية حين قصف مكتب المنظمة بالصواريخ من عمارة مقابلة . ومن المؤكد ان هذا الحادث الجديد قد جاء ضمن سياق عمليات التخريب التي حذرت منظمة التحرير السلطات اللبنانية منها في وقت مبكر .

أما عمليات الضغط والتهديد الاسرائيلية التي كانت بادية للعيان فقد عبر عنها اولا المسؤولون اللبنانيون أنفسهم ، وذلك حين اصدرت وزارة الخارجية اللبنانية يوم ١٦ اذار تحذيرا من عدوان اسرائيلي محتمل على لبنان . قام على اثره السيد جميل كبي وزير الداخلية بالوكالة ، بالاجتماع مع الرئيس سليمان فرنجية حيث اطلعه على حجم التواجد الفدائي في مناطق الحدود الجنوبية ، بينما اعلنت (وفا) ان اسرائيل بدأت حشد قوات كبيرة في المنطقة . وقد كان ملفتا للنظر بعد ذلك ان السيد البير مخيبر ، رئيس الوزراء بالوكالة ، اصدر نفيا لانباء الحشود الاسرائيلية عند مناطق الجنوب (١٧ اذار) . وكما هي العادة لدى التحضير لاي اعتداء اعلنت اسرائيل انها اكتشفت الغاما في منطقة الجليل يوم ٢٤ اذار ، وبعد ذلك بأيام اقتربت زوارق اسرائيلية من مدينة صور في المنطقة المواجهة لمخيم الرشيدية (٢٨ اذار) .

وبحصيلة هذه الحوادث ، توفرت القناعة الاسرائيلية بان تهيئة الجو المضاد للبنان قد تمت ، وحالة التوتر الداخلي بين المقاومة والنظام قد غذيت بحادثي الهجوم على المخفر والقنبلة على جريدة المحرر . فنفذت فجر يوم التاسع من نيسان عدوانها الواسع على مدينة بيروت الذي اغتيل فيه القادة الثلاثة .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ غارة قوات الاحتلال على بيروت وضواحيها :

هددت دولة الاحتلال الصهيوني مرات ، ثم نفذت : وما نفذته هذه المرة لم يكن هجوما بريا او بحريا او جويا ، ولم يكن هجوما على قاعدة او معسكر او مكتب فقط . لقد كان غارة من نوع جديد ، على بيوت القيادات ايضا !

انها فعلا غارة من نوع جديد . وهي تدل على ان دولة الاحتلال ، قد قررت توسيع نطاق عملياتها ، وتصعيد عمليات العنف تصعيدا لا سابق له . انه الهجوم الشامل الذي تحدث عنه قادة دولة الاحتلال كثيرا ، والذي تريد منه ان يكون رادعا وقاضيا . فما الذي حدا بدولة الاحتلال الى تصعيد حملتها التصفوية الدموية الشرسة ؟

ان هنالك عدة اسباب ، اهمها ما يلي :

اولا : تريد دولة الاحتلال ان توجه ضربات قاصمة للثورة وقد جربت ضرب المعسكرات والقواعد ، فوجدت انها لا تجدي فتيلا . وما دام هنالك قيادات تعبىء وتنظم وتكون كوادر وتعد الخطط فان الثورة تستمر مهما كانت الخسائر في الارواح . ولذلك ، كان لا بد من ان توجه الضربات الى الكوادر والقيادات . وكما يقول المثل الشعبي ، « الضربة في الرأس بتوجع » . استراتيجية العدو اصبحت الان اذن ان يضرب في كل مكان ، وان يركز على الرأس ، على مركز الاعصاب ، وهو يأمل ان يهز الثورة بمثل هذه الضربات ، وان يقودها الى حتفها .

ثانيا : يريد العدو ان يقنع « مواطنيه » ان حياة الرعب التي فرضتها الثورة لن تدوم طويلا ، وان سلطات الاحتلال قادرة على ان ترد الصاع صاعات ، وعلى ان تقتل زعماء منظمات «الارهاب» في بيوتهم . وانها لذلك قادرة على ان تصفي ما تسميه منظمات التخريب .

ثالثا : ويريد العدو ان يقدم « لمواطنيه » الذين سيحتفلون قريبا بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة الاحتلال الصهيوني هدية كبرى في هذه المناسبة ، هي رؤوس ثلاثة من قادة الثورة ، لكي يشحنهم بمزيد من الثقة بقوة جيشهم ولكي يضمن مزيدا من التأييد لسياسة العدوان والاضطهاد والقمع .

رابعا : ويريد العدو ان يثبت للولايات المتحدة ، وللدوائر الامبريالية العالمية ، انه قادر على ان يفعل ما يريد في المنطقة ، وانه بالتالي اهل للاعتماد عليه في المعركة التي تقوم بين الامة العربية من جهة والامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى .

خامسا : ويريد العدو ان يرد على بعض عمليات الثورة ، وعمليات ايلول الاسود ، ويظهر للعالم انه وحده القادر على توجيه ضربات «للارهاب» . ولذلك ذكر دايفيد اليعازر عملية الخرطوم على رأس العمليات التي قال بأن عملية بيروت انتقام لها .

سادسا : ويريد العدو ان يساهم مساهمة فعالة في تصفية الارادة الفلسطينية ، لانها ارادة القتال التي تحرك المنطقة وتهزها ، ولانها بالتالي عامل عدم الاستقرار في منطقة المصالح الاميركية الكبرى.

سابعا : ويريد العدو ايضا تصعيد حملته ضد لبنان من اجل خلق اشكالات في لبنان تدفعه الى الدخول في صراع مع الثورة الفلسطينية . ان العدو يريد ان يدفع لبنان الى ما دفع اليه الاردن، وهذا ما يكرره قادة العدو مرارا وتكرارا . المطلوب اذن ليس الاغارة على قاعدة او معسكر فحسب ، وليس قتل رجل او ثلاثة فقط ، بل دفع لبنان الى مجزرة تصفى فيها ارادة القتال بأيد عربية .

ولقد نجح العدو في الوصول الى اهدافه ، وضربها ، والعودة الى مواقعه برجاله وجرحاه وقتلاه وبوثائق ايضا . ولم يجابه العدو الا بمقاومة دفاعية محدودة ، في بعض المواقع (الاوزاعي ، مكتب الديمقراطية) ولم يواجه اية مقاومة فيمواقع اخرى (بيوت ابي يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان) لان اثنين من رجال الحراسة صفيا مع بدء العملية ، واختفى ثالث ، ولم يكن هنالك غيرهم .

ولكن لماذا حدث ذلك ؟

لن اعالج الموضوع فلسطينيا ، ولكني ساعالجه عربيا . ولما كانت الحادثة قد وقعت في لبنان ، فمن الزاوية اللبنانية .

لقد كان الهجوم على بيروت وضواحيها ، ولكن السلطة لا تعتبر نفسها ذات علاقة ، لان الهجوم

ليس موجها اليها ، ولا الى حلفائها . والسلطة في لبنان لا تعتبر المقاومة حليفا . وقصة الرجل الذي سلم معلومات الى عملاء وكالة المخابرات المركزية الاميركية عن العمل الفدائي معروفة . لقد القي القبض على الرجل واعترف . وعندئذ اطلقت سراحه المحكمة ، لانه لم يقدم معلومات عن لبنان او عن دولة صديقة . ونشرت الصحف قرار المحكمة وما زال الرجل يسرح ويمرح في بيروت . ومن ثم فان السلطة في لبنان لا تعتبر انها مطالبة بالتصدي لاي هجوم تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني على مواقع المقاومة ومراكزها وقياداتها . ولقد حدث في البداوي ونهر البارد ما حدث في بيروت .

وبالطبع فان السلطات في لبنان تستطيع التدخل لو ارادت . ذلك ان العمليات الخمس التي حدثت كانت كلها على مقربة من مواقع للجيش او الدرك . ففي الاوزاعي وقعت العملية على مرمى حجر من حراسات المطار ، وفي فردان لم تكن بيوت القادة ابعد عن ثكنة الدرك السيار . هذا بالاضافة الى ان قوى الامن كانت مستنفرة في تلك الليلة ، وكانت موجودة في كل مكان من بيروت . وكانت تستطيع الوصول خلال خمس دقائق من عدة مواقع لو كانت حريصة على الوصول .

الا ان السلطة ليست حريصة على ذلك ، ولا تعتبر ان هذه مهمتها . وهذه حقيقة يجب ان نبدأ منها ، لاننا ان لم نبدأ منها ارتكبنا خطأ كبيرا .

واذا كانت السلطة قد اتفقت مع الثورة على ان تدافع الثورة عن المخيمات لتدافع السلطة عن بقية لبنان ، فان هذا لا يعني شيئا امام واقع السلطة ، وأمام مواقفها الحقيقية . ان السلطة لا تعتبر نفسها حليفة او صديقة . ولا ترى انها مضطرة للدفاع عن قوى غيرها .

وتتعلل السلطة دائما بأنها لم تستطع التدخل ، لانها ظنت ان الصدام صدام بين الفدائيين انفسهم، او لان قوات الامن لم تستطع الوصول في الوقت المناسب . وهذه الاعذار الواهية غير مقنعة ، وواضح انها تستخدم للتبرير والتغطية ، لا لاي شيء اخر .

اذا كان هذا موقف السلطة ، فان موقف القطاعات الواسعة من الجماهير مختلف . وسيان الذين يؤيدون الثورة او لا يؤيدونها ، فهم جميعا يحسون بالاذلال والمهانة عندما تغزو قوات العدو ارض الوطن ، فلا ترد عليها القوات المسلحة اللبنانية .

ولذلك كانت مظاهرة تشييع الشهداء مظاهرة لم يشهد لبنان لها مثيلا .

واذا كان ليس مطلوبا من المقاومة ان تقطع الشعرة مع السلطة ، فانه مطلوب منها ان تهتم بأمر هذه الجماهير ، والمؤيدة منها خصوصا ، وان تبدأ مع هذه الجماهير مرحلة اعداد مدروس لمقاومة الاعتداءات المقبلة .

فاذا ما بقيت الجماهير اللبنانية ، كما هي الان ، كانت القوى المضادة (الولايات المتحدة الاميركية ، دولة الاحتلال الصهيوني ، العملاء) قادرة على ان تحسم في موضوع المقاومة في لبنان ، كما حسمت فيه في الاردن وان تم ذلك بالاسلوب المناسب .

واذا ما بقيت الجبهات العربية الاخرى صامتة توجه كل زخم قوات العدو الى لبنان ، لاجباره على الاستسلام . ولن يطول هذا كثيرا اذا ظلت الامور كما هي : اي اذا لم تهتم الجماهير اللبنانية بتنظيم نفسها واعداد قواها للقتال ، واذا ظلت الجبهات العربية صامتة . ان تغيير اي عامل من هذه العوامل يزيد من القدرة على الصمود والاستمرار .

٢ ــ ردود الفعل العربية على الغارة :

حركت الغارة في كل البلاد العربية تعاطفا واسعا مع الثورة ، كما استثارت استنكارا شديدا للجريمة . وكان هذا التعاطف وهذا الاستنكار عامين ، بحيث لم يشملا الاوساط المؤيدة للثورة فحسب .

ولقد اثار الانتباه في بيروت ان رجالات مثل الشيخ بيير الجميل وريمون اده قد شاركوا في المسيرة التي انطلقت من المسجد العمري والكنيسة الانجيلية الى مقبرة الشهداء . كما اثار الانتباه العدد الكبير من رجال الدين المسيحيين ، ومن مختلف المراتب، الذين حضروا مراسيم جنازة الشهيد كمال ناصر في الكنيسة الانجيلية .

وكانت المظاهرة الكبرى التي ضمت اكثرية من اللبنانيين خير دليل على هذا التعاطف وهذا الاستنكار . ومما اثار الانتباه خلال المظاهرة ان الذين كانوا على الشرفات كان قسم منهم مشاركا في المظاهرة ، كما لو كان في وسطها . وكانت هتافاتهم ذات طابع سياسي معبر .

ولوحظ ايضا ان هتافات المشاركين في المظاهرة كانت تركز على ثلاث قضايا : الاولى : ادانة موقف لبنان الرسمي من الاعتداءات التي تقوم بها قوات

الاحتلال . الثانية : تأييد المقاومة الفلسطينية . الثالثة : المطالبة بالقتال ضد العدو ، وتأكيد ان « الكل فدائية » ، و « كلنا فدائية » كانت تتردد في كل الحلقات على طول المسيرة ، من ساحة البرلمان الى مقبرة الشهداء .

ولقد استقالت الوزارة اللبنانية ، يوم حدوث الغارة . ومع ان رئيس الوزراء لم يذكر في كتاب استقالته اسباب الاستقالة ، الا انه كان واضحا انه استقال بالمناسبة . وقد اكد ذلك حين اعلن استقالته بنفسه قائلا : « ان العدوان الغادر الاثيم الذي وقع صبيحة هذا اليوم على لبنان كانموضوع المداولة ، وبنتيجة اجتماعاتنا مع زملائي الكرام ، رأيت من المصلحة ان اتقدم باستقالتي لفخامة رئيس الجمهورية . وهكذا كان ... » .

وفسرت الصحف الاستقالة بانها نتيجة سوء تفاهم بين رئيس الوزراء وقائد الجيش (العمل ٤/١١/ ٧٣) اما قادة الحركة الوطنية فقد فسروها بأنها ضربة ذكية من صائب . ذلك انه يواجه مصاعب جمة في الداخل ، وكانت الغارة ستزيد هذه المصاعب تفاقما . ولذلك آثر صائب الاستقالة ، ليكسب بعض العطف الشعبي ، وليظهر بمظهر غير المسؤول عما حدث .

وتقول (العمل ٤/١١) ان صائب سلام اجتمع مع الرئيس فرنجية في الساعة ١٠ صباحا ، واطلعه على رأيه فيما حصل ، وان الحديث « توقف عند « سوء تفاهم » حصل بين رئيس الحكومة وقائد الجيش ، اثناء عملية « الكوماندوس » الاسرائيلي . الا ان فكرة الاستقالة لم تكن واردة » . ولكن الوضع تغير بعد الظهر بعد « ان وصلت الى القصر انباء تفيد ان تظاهرات طلابية وغير طلابية قد نزلت الى العاصمة ، وان اليافطات والهتافات التي تطلقها تحمل رئيس الحكومة المسؤولية وتتهمه « بالتواطؤ » ... وفهم ان هناك اتجاها لاستغلال ما حدث على الصعيد السياسي ... » . وهذا يعني ان صائبا استقال ليحرم معارضيه من الهجوم عليه بتهمة « التواطؤ » ومن استغلال الغارة لمزيد من التشهير به وبحكمه .

ومن المحتمل ان يعود صائب ، بعد ان امتص جزء من النقمة ، عن طريق تكليفه برلمانيا مرة اخرى ، او عن طريق تحقيق بعض شروطه (يبدو انه لن يعود فقد كلف غيره) . ولكن عودته او عدم عودته لا يغير من الامر شيئا . ان ما يغير في الامر تبدل موقف السلطة نحو المقاومة ايجابيا . وهذا التبدل ليس في يد رئيس الوزراء ، مع انه احد الاركان ، انه في يد رئيس الجمهورية وقائد الجيش والبرلمان على صعيد السلطة . وليس هنالك ما يدل على ان امكانية تبدل موجودة الان. ذلك ان اي موقع من هذه المواقع غير قابل للتغيير قريبا . حتى والجماهير العريضة تبدي مثل السخط الذي ابدته يوم ٧٣/٤/١٢ في مسيرتها .

وهذا لا يعني ان تغيير رئيس الوزراء لا يعني شيئا ، ولكنه لا يعني حتما تغيير موقف السلطة نحو الافضل تغييرا جديا .

ولذلك فان استقالة الوزارة ، بالمناسبة ، لا يعني شيئا في الواقع . وليس من مستوى الحدث . وليس هذا غريبا ، لقد حدث اكبر منه واعظم ولم يتحرك ساكن من السواكن في هذا الوطن العربي الكبير ، ذي التاريخ المجيد .

ولقد بادرت القوى الوطنية اللبنانية فحملت السلطة مسؤولية ما حدث ، وزادت من حدة حملتها على النظام ومواقفه . وكان جنبلاط واضحا وعنيفا في خطابه الذي كان مقررا أن يلقيه في المسيرة (الشعب٧٣/٤/١٤)كماكان واضحا فيندوتهالصحفية. اما اليمين فقد ابدى تعاطفه مع الثورة ، ولكنه اكد ان لبنان لا يستطيع ان يتحمل عبء الثورة وحده . قالت العمل : « ماذا يعني استشهاد محمد النجار وكمال ناصر وكمال عدوان وغيرهم ، سوى انه الدليل الذي لا يرد على ان لبنان ، الوطن الصغير الذي ما ضاق يوما بوجود الفلسطينيين تحت سمائه ، لا يستطيع ان يكون مساحة الثورة الفلسطينية الوحيدة ودرعها الوحيد في وجه الانتقامات الاسرائيلية » (العمل ٧٣/٤/١٣) . وطرحت « الحياة » نفس الفكرة ، وطالبت ، بأن يحظى قادة العمل الفلسطيني « من حكومات المواجهة العربية بمواقف ايجابية لا تقتصر على لبنان وحده ، بل ولا يجوز ان تعتمد لبنان كأساس، بل ان عليها ان تجد قواعد لا تشوبها الحساسيات ولا تعترضها ... في غير لبنان ايضا ، بل وفي غير لبنان اولا » (الحياة ٧٣/٤/١٢) وكانت الحياة قد شنت حملة على ما اسمته الانظمة الدكتاتورية في الوطن العربي .

وطالبت صدى لبنان (١٩٧٣/٤/١٣) بتوحيد الموقف العربي ، وتوحيد الموقف الفدائي لان « تصفية الاغتصاب الصهيوني ، لارض فلسطين يجب ان لا

يعلو عليها اي هدف او اي مطلب اخر . وعلى هذا ليس معقولا ان يظل التعاون والتعاضد مفقودا بين الجيوش العربية من جهة ، وبينها وبين فصائل المقاومة من جهة اخرى ، بل يجب ان تنتهي هذه الاسطورة . اسطورة عدم ثقة كل فريق بالفريق الاخر » .

وترى صدى لبنان ان البادرة الاولى على هذا الطريق قد بدرت « من الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية في برقيتيه اللتين بعث بهما لكل من الرئيس سليمان فرنجية والسيد ياسر عرفات ، حيث ركز كلامه على جمع الصفوف وحشد الطاقات العربية لاسترداد عزة العرب وكرامتهم ... » وتتبع الجريدة ما سلف وتدمته بهذه المناشدة : « ... فهل تتجاوب الضمائر المخلصة مع هذا النداء المخلص الذي صدر من مهد العروبة والاسلام ؟ وهل يكون الاعتداء على بيروت ، مهمازا يحرك الساكنين او ناقوسا يوقظ النائمين ؟! » . لقد كان رد الفعل في لبنان واسعا وعنيفا . اما في البلاد العربية فقد كان رد الفعل الشعبي واسعا وعميقا ، ولكنه لم يعبر عن نفسه ، كما عبر عن نفسه في لبنان .

ولقد اكتفت الانظمة بعقد الاجتماعات وارسال برقيات التعازي والوفود . (سنواصل متابعة ردود الفعل في العدد القادم) .

٣ — حملة « وقائية » من اجل السيطرة على النفط العربي :

ان الحملة التي حركتها أوساط أميركية أوروبية حول « ثروة العرب الخيالية » لا يجوز أن تمر دون دراسة معمقة . انها تحمل في ثناياها مخاطر كبيرة ، وتكشف عن معالم مرحلة جديدة في تعامل الامبريالية العالمية معنا ونظرتها الينا .

ولما كان مقال مجلة التايم (١٩٧٣/٤/٢) المقال الرئيسي الذي افتتحت به الحملة ، فلا بد من ان نلخص أهم ما جاء فيه . وما جاء فيه يمكن تلخيصه بما يلي :

١ — « ان استهلاك العالم من النفط سيزداد بنسبة ٨ ٪ سنويا ، واستهلاك الولايات المتحدة ، وهو ٤٠ ٪ من المجموع الكلي ، يزداد بنسبة ٨٧ ٪ » .

٢ — « ان بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط ، وكلها دول عربية ، ما عدا ايران ، تسيطر على ٦٠ ٪ من الاحتياطي المكتشف في العالم ، وهي تفاوض بمهارة متزايدة » .

٣ — « ان دخل (هذه الدول) الذي كان ٤٫٤ بليون دولار سنويا ، قبل خمس سنوات مضت ، ارتفع الى أكثر من عشرة بلايين ، وقد يبلغ سنة ١٩٨٠ مبلغ ٤٠ بليون بسهولة » .

٤ — « اذا صرفت الدول العربية مجتمعة نصف العائدات (الاموال) فقط التي من المتوقع ان تحصل عليها من نفطها من الان الى سنة ١٩٨٥ ، فانه سيكون ما زال لديها قرابة ١٢٠ بليون دولار لم تمس — او مقدار كل الاحتياطي الرسمي في العالم من الذهب والعملات الصعبة اليوم . وهذا كاف لشراء كل أسهم شركات النفط العالمية » .

٥ — « ولاعتبارات عديدة فان عصر الثروة العربية ، والقوة العربية ، قد جاء لتوه » .

٦ — « وكانت أموال النفط عاملا رئيسيا في الازمة المالية التي قادت الى التخفيض الثاني لقيمة الدولار في الشهر الماضي » .

٧ — « ومهما كانت القضية فان رجال البنوك العالميين يشعرون بقلق عميق حول ما سيكون من آثار لقوة العرب المالية المتنامية في السنوات الخمس القادمة . انهم يشعرون ان عقد الاجتماعات في باريس حول مستقبل العملات دون اشتمال العرب أمر خيالي غريب » .

٨ — « ان ثروتهم (العرب) النفطية هي في عملية تغيير لتاريخهم ، جالبة لهم قوة لم يعرفوها منذ الحروب الصليبية — قوة يمكن ان تستخدم للتطور السلمي أو للعنف والانتقام » .

٩ — « ويقال بأن الرئيس نيكسون مقتنع ، على كل حال ، بأن على الولايات المتحدة الا تسمح لنفسها بأن تصبح معتمدة الى هذا الحد على منطقة كتلك بعيدة وغير مستقرة » .

١٠ — « ان العامل الجديد الاكثر أهمية في العالم العربي — بالنسبة للعرب وبالنسبة للاسرائيليين ولكل الامم الصناعية — هو الثورة التي انجزها النفط ، ولكن التغييرات السياسية التي ستصاحب هذه الظاهرة بالضبط لا يمكن التنبؤ بها ، مع ان ارنولد تتنجر يعتقد انه كلما استخدمت الدول الحدودية المزدحمة بالسكان ، مثل مصر ، الوسائل الممكنة — بما في ذلك قلب الانظمة المحافظة الغنية بالنفط ، لتتأكد ان نصيبا وافرا من عائدات النفط قد « صرف » في النضال ضد اسرائيل . « انهم

ـسيحاولون » ، يقول تتنجر ، « ان يطوروا سياسة نفطية مصممة لعقاب اصدقاء اسرائيل ولمنفعة اصدقاء العرب ، الذين في هذه الحالة سيشملون بالتأكيد معظم العالم الشيوعي أو كله».

١١ — « وهنالك خلاف واسع حول ما اذا كان العرب يستطيعون معاقبة القوى الغربية بفعالية . ولكنه واضح ان الثورة في النفط، بينما هي تستطيع أن تزود الامم العربية بفانوس علاء الدين من الثروات للتطور ، يمكن ان تزيد حالة التبدل في منطقة غير مستقرة تاريخياً » .

ويبدو من هذا التلخيص الموجز ما تريده الامبريالية من هذه الحملة ، وما تريده يمكن أن يوجز بما يلي:

اولا : ضمان تدفق النفط العربي ، ضمن خطط الاحتكارات العالمية وسياساتها ، دون اشكالات معقدة ، وبارخص الاسعار .

ثانيا : ضمان بقاء أموال النفط العربية ضمن سيطرة المؤسسات المالية الغربية ، حتى لا يتحول الى سلاح بأيدي العرب اقتصاديا وسياسيا .

ثالثا : ضمان عدم استخدام هذه القوة في الصراع ضد الامبريالية او ضد الاحتلال الصهيوني .

ومع أن الامور لا تستدعي مثل هذا الخوف اليوم ، فان هنالك ظواهر في الوطن العربي تخيف الاحتكارات ، وتجعلها تفكر بالمستقبل . وما تطرحه الصحافة الغربية اليوم هو دعوة للتفكير بالمستقبل والتخطيط له مع اخذ احتمالات الموقف بعين الاعتبار . ان ما يقوله المراقبون الامبرياليون اليوم هو الآتي: ماذا لو تحولت هذه الثروة الى قوة سياسية ؟ ماذا سيحصل لمصالحنا وماذا سيحصل للاحتلال الصهيوني ؟

وهم يثيرون هذه الزوبعة المبكرة ليستنهضوا كل عداء الدوائر الغربية ذات المصلحة ، وليدفعوا الاجهزة المتخصصة الى مزيد من « التخطيط » لمستقبلنا والتآمر عليه .

وليس بعيدا ان تكون دوائر الصهيونية العالمية مشاركة في هذه الحملة مشاركة فعالة . ذلك ان هذه الدوائر تهمها القضية من زاويتين : الاولى : زاوية مصالحها المالية والاحتكارية والثانية : زاوية تأثر الوجود الصهيوني في فلسطين بهذه السياسة (الحوادث ٤/١٣ ص ٢٣) ولكن هذا لا يمنع ان تكون الدوائر الامبريالية كلها ، مهتمة بالقضية لهذين السببين ، ذلك ان دولة الاحتلال الصهيوني ليست اداة بيد الدوائر الصهيونية العالمية وحدها انها أداة للامبريالية العالمية واحتكاراتها .

ان هذه الحملة نوع من « الهجمة الوقائية » . انها تريد ان تستبق الزمن ، وكما تفعل قوات الاحتلال الصهيوني بتوجيه ضربات ساحقة للدول العربية ، قبل أن تستعد ، كذلك تريد الدوائر الامبريالية والصهيونية ان توجه للعرب ضربة ساحقة ، تضرب الظواهر الجديدة في حياتهم ، وتربطهم بالسياسة الامبريالية العالمية الى حين .

وما دامت الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعتمد على منطقة غير مستقرة ، فيجب ان تستقر المنطقة . وهذا يعني ١ — زيادة قوة دولة الاحتلال الصهيوني بزيادة مساندتها ماليا وعسكريا وسياسيا ، ٢ — ضرب القوى الوطنية العربية المتنامية واخضاع المنطقة كليا .

ولقد تناولت بعض الصحف العربية هذه القضية ، ونبهت الى خطورتها . وقد قالت الاخبار : « لم يكن البترول والسياسة متلازمين من قبل قط كتلازمهما في الوقت الراهن . فقد صرح مؤخرا الرئيس الاميركي ، نيكسون ، بأن البترول يحمل اكثر من كل السلع الاخرى مضمونا سياسيا » . وتحاول الاخبار ان تفسر ظاهرة الاهتمام بالمنطقة فتبين ان ظاهرة الاهتمام هذه لا تعود الى كون المنطقة « المصدر الرئيسي للطاقة بالنسبة للعالم الغربي ، وخاصة أوروبه الغربية » فحسب بل بسبب مردود استثمارات النفط أيضا . لقد بلغ المردود ٦٩٫٥٪ سنة ١٩٦٩ و٧٩٫٢٪ عام ١٩٧٠، بينما « بلغت هذه النسبة » في « صناعة التعدين والصهر في الاقطار النامية ، بنفس الفترة ١٩٫٥٪ و١٣٫٥ ٪ على التوالي . وبلغت في الصناعات التحويلية في الاقطار الصناعية المتقدمة خلال نفس الفترة ١١٫٢ ٪ و١٠٫٢ ٪ على التوالي » .

وتستنتج الاخبار من هذا كله : « ... ان الصراع مع الامبريالية الاميركية مرشح الى الاحتدام والتفاقم ، وليس الى الهدوء كما تحاول ان توحي ابواق الرجعية والاستسلاميين على نطاق منطقة الشرق الاوسط كلها ، وليس في منطقة الخليج وحدها » (الاخبار اللبنانية ، ٧٣/٣/٣١) .

اما الصياد (١٢ — ٧٣/٤/١٩ ، العدد رقم ١٤٩١) فقد اعتبرت الحملة اشارة « الى ان شيئا ما يدبر ضد العرب » . وتضيف الصياد أن « من يتذكر

الطريقة التي كانت تكتب بها الصحف الغربية عشية تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ يجد ان هذه الصحف كانت يومذاك تتحدث ايضا عن القدرة غير المحدودة التي بدأ العرب يمتلكونها » .

وتتساءل الحوادث (٧٣/٤/١٣) بعد أن تنبه الى مخاطر الحملة وأهدافها : « فلماذا لا يقرر العرب، او على الاصح دول النفط العربية ، القيام بمشروع جبار لتطوير العالم العربي ككل ؟ لماذا لا يذهب المال العربي (بدلا من سرقته) لبناء العالم العربي والانسان العربي ؟ »

أما لماذا لا يتم ذلك فهو معروف : ان الدول العربية عموما ما زالت خاضعة للسياسات الامبريالية ، وما زالت لا تمثل ارادة جماهيرها وتطلعات هذه الجماهير نحو الوحدة والتقدم . ولهذا يجب ان تناضل الجماهير العربية وقواها الوطنية من أجل ان تصبح هذه الثروة الهائلة « ثروة للعرب » ، ومن اجل ان تخلق « ثورة » في حياة العرب . وعليها ان تناضل من اجل أن تصبح هذه الاموال أداة لمواجهة التخلف ولمواجهة دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية . وعليها ، قبل ذلك ، ان تجعل النفط العربي نفطا عربيا ، وتخضعه للسيطرة العربية مادة وانتاجا وتسويقا .

٤ — الجبهة العربية المشاركة :

عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا طارئا يوم السبت ٧٣/٤/١٣ ، ناقشت فيه موضوع الغارة التي قامت بها قوات الاحتلال الصهيوني على لبنان ، والتي استشهد خلالها ثلاثة من قادة الثورة الفلسطينية . وكانت بادرة حيوية وفعالية ان تعقد الامانة العامة اجتماعا بهذه السرعة .

وكانت البادرة الاخرى المثيرة للانتباه ان معظم اعضاء الامانة العامة قد حضروا الاجتماع . وكان الحضور : كمال جنبلاط الامين العام ، جلول الملائكة عن جبهة التحرير الوطني الجزائري ، والدكتور محمد طلبة عويضة عن الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، وعبد الخالق السامرائي عن حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) ومحمد حسن الصايب عن الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، ومصطفى عبدالخالق عن الجبهة القومية في جمهورية اليمن الديمقراطية والدكتور احمد الخطيب عن الحركة الوطنية في الكويت والخليج ، ومحمد عايش وهادي ناصيف عن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، وياسر عبد ربه وأبو لطف والدكتور عبد الوهاب الكيالي وابو حاتم وصلاح صلاح وتوفيق صفدي عن منظمة التحرير، ونديم عبدالصمد ومحسن ابراهيم ورغيد الصلح وتوفيق سلطان ومحيي‌الدين أغا عن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

ناقش المجتمعون التقريرين المقدمين من ممثلي منظمة التحرير والحركة الوطنية اللبنانية . وجاء في البيان أن التقريرين كانا حول : « الاعتداء الاسرائيلي الاخير ومضاعفاته ، ومشاركة الولايات المتحدة مباشرة في الاعتداء واطلاقها التهديدات والتحديات الوقحة ضد الشعوب العربية ، وكذلك حول تغاضي السلطات اللبنانية واحجامها عن اتخاذ اي تدبير على الاطلاق للدفاع عن المقاومة في قلب العاصمة بيروت وتضييقها على المقاومة ومنعها من امكان الدفاع عن النفس » .

ولقد نوقشت هذه القضايا جميعا مناقشة مستفيضة واتخذت مجموعة من القرارات تنص على ما يلي :

١ — الدعم الكامل للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية .

٢ — المطالبة باطلاق حرية العمل الفدائي في مختلف الاقطار العربية ، وخصوصا دول المواجهة واتخاذ مواقف حازمة ضد الامبريالية الامريكية ومصالحها الاقتصادية والسياسية .

وما من شك في ان هذه القرارات « هامة » ولكن من يضعها موضع التنفيذ ؟ ان كثيرا من القوى الاعضاء في الجبهة العربية المشاركة أحزاب حاكمة ، ولديها امكانيات التنفيذ ، وبعضها الاخر يقود قوى وطنية وجماهير واسعة . اننا سننتظر لنرى ، ونأمل أن تعالج القوى المشاركة في الجبهة أزمة عجزها عن تحويل قراراتها الى ممارسات .

(هنالك قرارات اخرى للجبهة العربية المشاركة ، سنقدمها في العدد القادم) .

ناجي علوش

تقرير : الدورة الاخيرة لمجلس الجامعة العربية

عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته التاسعة والخمسين ، التي ابتدأت في نهاية الشهر الماضي ، واستمرت المناقشات فيها مدة ثمانية ايام ثم اعتبرت الدورة مفتوحة حتى الان ، لكي تناقش بتمهل اقتراحات السيد محمود رياض الامين العام للجامعة والخاصة بالتنظيم الجديد للجامعة .

وبين الموضوعات العديدة المدرجة على جدول اعمال الدورة كان ثمة موضوعان اهتمت بهما منظمة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة :

الموضوع الاول : يتعلق بالموقف من سياسة الجسور المفتوحة . لقد اثير هذا الموضوع قبل ذلك، وشكلت الامانة العامة للجامعة ، بناء على توصية الدورة السابقة ، لجنة درست الموضوع من جوانبه المختلفة ، ثم قدمت مذكرة وافية للدورة الاخيرة .

وقد تضمنت المذكرة ، التي نوقشت مليا في كل من اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ثم في مجلس الجامعة ، تضمنت وجهات نظر منظمة التحرير الفلسطينية ، والحكومة الاردنية ، والمركز الرئيسي لمقاطعة اسرائيل، كما تضمنت وجهة نظر احد خبراء القانون الدولي .

وبالطبع دافعت الحكومة الاردنية عن سياستها ووصلت الى حد وصف فتح الجسور بأنه مهمة وطنية . وتستند الحكومة الاردنية في موقفها الى ما تسميه هي بالاعتبارات الاقتصادية ، وبضرورة المساعدة على تصريف انتاج الضفة الغربية وقطاع غزة . بينما تلتزم الصمت فيما يختص بحركة السفر الهائلة بين الضفتين ، وتقدم وعودا غامضة باجراءات ستفرض للتخفيف منها .

اما وجهة نظر المقاطعة ، فتتلخص ، كما صرح بذلك السيد محمد محجوب المفوض العام للمقاطعة ، في ان « استمرار فتح الجسور يعني انهاء المقاطعة عمليا » وقد أوضحت الوثائق التي استند اليها المفوض العام للمقاطعة ان الجسور اصبحت نافذة يتسرب منها راس المال الاسرائيلي الى البلاد العربية بأشكال متعددة . وطالب على ضوء ذلك باغلاق الجسور .

وأيدت منظمة التحرير المفوض العام ، وأوضحت ، من الناحية السياسية ، ان بقاء الجسور مفتوحة هو جزء من سياسة تستهدف تكريس واقع الاحتلال وجعله مقبولا ، كما تستهدف خلق الاساس المادي للتعايش مع العدو الذي يحتل وطننا .

وبين وفد المنظمة ان التذرع بالحجج الاقتصادية مردود ، وان بالامكان في حالة اغلاق الجسور ان نجعل هذا الانتاج مشكلة للعدو وليس وسيلة يستغلها لتصريف انتاجه هو كما يحدث الان .

وكان مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية الذي انعقد في ظل الجامعة قد اوضح بدوره ان ضرر فتح الجسور يفوق كثيرا نفعه وأوصى باغلاقها .

وفي ختام مناقشات الدورة لهذا الموضوع أكد مجلس الجامعة وجهة نظر المقاطعة ، وتبنى وجهة نظر مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية ، وصوت المجلس باجماع الاصوات (عدا الاردن) على توصية تدعو لاغلاق الجسور ولحث الدول العربية على وضع سياسة اكثر فعالية لدعم صمود سكان المناطق المحتلة .

الموضوع الثاني : يتعلق بانشاء الصندوق الخاص بالشهداء الفلسطينيين . وكان مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، الذي سبق الدورة الاخيرة ، قد أقر انشاء صندوق للشهداء الفلسطينيين تموله الدول العربية ، وشكل لجنة ثلاثية (من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ومنظمة التحرير والعراق) مهمتها دراسة الموضوع دراسة تفصيلية واقرار نظام تمويل وعمل الصندوق ، على ان تقدم اللجنة نتائج عملها لاقرارها في الدورة العادية التاسعة والخمسين . وقد قامت اللجنة بمهمتها بالفعل ، فاتصلت بالجهات الفلسطينية المختصة وتلقت البيانات الوافية الخاصة بعدد الشهداء واحتياجات الصرف على أسرهم .

وقدرت اللجنة استنادا للبيانات المدققة التي تلقتها أن الصندوق بحاجة الى انفاق مليونين ونصف مليون استرليني سنويا ، وهذا مبلغ قابل للزيادة مع تزايد عدد الشهداء .

وأوصت اللجنة بأن تقوم الدول العربية الاعضاء في الجامعة بتمويل هذا الصندوق ، على ان تدفع كل دولة جزءا من المبلغ المطلوب يتناسب مع نسبة مساهمتها في ميزانية الجامعة .

وقدمت اللجنة الثلاثية للدورة التاسعة والخمسين

مشروع نظام عمـل الصندوق ، بحيث يصبـح الصندوق هيئة لها اعتبـار خاص ترتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويتولى ضابط اتصال (يعين لهذا الغرض) تنظيم العلاقة بين الصندوق وبين جامعة الدول العربية فيما يتعلق بالتمويل ، وبحيث تتلقى الجامعة العربية تقريرا سنويا من نشاط الصندوق وصرفياته .

وقد عرض مشروع النظـام هذا امام اللجنـة السياسية ، فأثير أول اعتراض ضده وهو شكلي تماما . كان المعترض هـو مندوب احدى الدول العربية (الذي يرئس اللجنة القانونية الدائمة في الجامعة ويعترض بهذه الصفة) وملخص اعتراضه ان المشروع لم يمر على لجنته قبل عرضه على الدورة ، وهذا مخالف للوائح !

وتوالت الاعتراضات بعد ذلك ، وكان واضحا انها كلها أشبه بالتنصل منها بالاعتراض ، وقد اضطر وفد منظمة التحرير الى التلويح بالانسحاب .

ثم تدخل السيد محمود رياض الامين العام للجامعة واعاد وضع النقاش في اطاره الصحيح مؤكدا ان الاعتراضات الشكلية لا مبرر لها ، وان الامـر أساسا يتعلق بالمبلغ المطلوب دفعه (٢٢٥ مليون استرليني) وبدل اللف والدوران حول الموضوع يتوجب على ممثل كل دولة أن يوضح ما اذا كانت دولته مستعدة للالتزام بدفع حصتها ام لا .

وفيما عدا ممثل العراق (الذي تبرعت دولته مسبقا بمبلغ مليون دولار) أوضح الجميع انهم بحاجة للعودة الى حكوماتهم لاخذ رأيها ، وهذا كما لاحظ الجانب الفلسطيني والسيد الامين العام ، أمر يدعو الى الاسف ، لان مثل هذه الاستشارة كان يجب ان تتم قبل انعقاد الدورة وفي الفترة التي أعقبت قرار مؤتمر وزراء الخارجية علما بأنه ما من دولة تحفظت آنذاك على القرار عدا المملكة العربية السعودية التي فعلت ذلك لاسباب تتعلق بموقفها من تمويل منظمة التحرير ككل .

وبعد طلب الاستشارة اصبح واضحا ان النية تتجه لارجاء الموضوع الى الدورة المقبلة (تنعقد بعد ستة أشهر) وهنا تدخل الامين العام مرة اخرى وقال ان قرار انشاء الصندوق قد صدر فعـلا والمسألة تتعلق بالالتزام المالي ويستطيع كل ممثل أن يعود لحكومته منذ الان .

وبما أن الدورة مفتوحة فانه سينتظر تلقي الاجوبة حتى نهاية شهر نيسان فاذا كانت كلها ايجابية يعتبر الموضوع منتهيا ، واذا لم تكن كذلك فانه سيدعو الى عقد جلسة في اطار هذه الدورة ذاتها لبحث الموضوع على ضوء اجابات الدول العربية . وبهذه المناسبة فمن المعروف ان هناك الان اكثر من جهة تتولى الصرف على أسر الشهداء ، وأبرز الجهات كلها : جمعية أسر الشهداء التي تلبي في حدود امكانياتها احتياجات أسر شهداء المنظمات الفدائية . والصندوق القومي الفلسطيني في منظمة التحرير الذي يتولـى رعاية أسر شهـداء جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية .

وتعول منظمة التحرير الفلسطينية كثيرا على انشاء الصندوق الموحد ، وترى ان تولي الدول العربية تمويل الصندوق ، فضلا عن انه قيام بالحد الادنى من الواجب العربي وفاء لمن قدموا أرواحهم دفاعا عن حرية العرب وكرامتهم ، يقصد منه تأمين مورد ثابت في هذا المجال الذي لا يجوز العبث به بأي حال من الاحوال .

وانشاء الصندوق ، زيادة على هذا وذاك ، يعني قيام مؤسسة وطنية فلسطينية موحدة في سيـاق العمل الجاد لبنـاء مؤسسات الوحدة الوطنيـة الفلسطينية وفي وقت تشتد فيه الحاجة لمثل هذه المؤسسات .

مراسل شؤون فلسطينية

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

منذ فترة غير قصيرة والدبلوماسية الامريكية تعتمد في تعاملها مع الصراع العربي الاسرائيلي علـــى الايحاء بشتى الطرق للحكومات العربية بأنها تنوي التحرك بصورة من الصور لاخراج أزمــة الشرق الاوسط من المأزق الذي وصلت اليه، ولكن مع ابقاء هذا التحرك قيد الاعداد المستمر بحيث لا يتحقق ابدا ، في الوقت نفسه كان المسؤولون الامريكيون يطلقون تصريحات يفهم منها ان حكومتهم لا تنوي التحرك أصلا الا ضمن حدود اقناع مصر بضرورة التفاوض مع اسرائيل على اعادة فتح قنـــاة السويس لا أكثر . على سبيل المثال أعلن وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في ١١ اذار انــه تشجع كثيرا بالمحادثات التي اجراها اخيرا مــع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير لانهــم راغبون في أن تبدأ المفاوضات حول التسويــة السلمية ، وستبذل الحكومة الامريكية كل ما في وسعها لاطلاق هذه المفاوضات . من الواضح ان تصريح روجرز مدروس بحيث يوحي بأن محادثات امريكا مــع الاطراف المعنية بالنــزاع في الشرق الاوسط قد حققت تقدما ولكنه تقدم من النــوع الذي لا يتعدى اطار البدء بالمفاوضات التي تطالب بها اسرائيل والتي لا يمكن لمصر ان تقبل بهــا ، بهذا الشكل السافر على أقل تعديل . كما انه يحدد دور الولايات المتحدة على أنها مجرد الساعي الى جمع الطرفين للبدء بالمحادثات لا أكثر .

الا ان المسألة الملفتة للانتباه ، بهذا الصدد ، هي انه بعد انتهاء واشنطن من استقبال ضيوفها الثلاثة من الشرق الاوسط ، وبعد مرور فتــرة زمنية مناسبة على اطلاق التصريحات اللبقة المعتادة اثناء الزيارات وبعدها مباشرة ، اخذت السياسة الامريكية تبتعد تدريجيا عن اسلوب الايحاء المذكور اعلاه وتتجه نحو الافصاح عــن حقيقة مراميها وموقفها من النزاع في منطقتنا ، والتي تتلخص بترك اسرائيل تفرض « السلام » الذي تريده على الدول العربية . لذلك تركز الموقف الامريكي علــى مواضيع مثل ضرورة اجراء المفاوضات بــين مصر واسرائيل ، واعادة فتح قناة السويس ، وعــدم رغبة الاتحاد السوفياتي في الوصول الى حــد المجابهة الخطرة مع امريكا بسبب النزاع في الشرق الاوسط ، وعدم رغبة الولايات المتحدة في الضغط على اسرائيل للقبول بحلول لا تريدها (مما يعني اطلاق يد اسرائيل للعمل على هواها في المنطقة). ففي ٣ اذار أعلن سيسكو ان حكومة بلاده ابلغت مصر انها لا تستطيع ان تجعــل اسرائيل تلتــزم بالانسحاب الكامل من الاراضي المصرية قبل البدء بالمفاوضات حول اتفاق اعادة فتح قناة السويس. وبين أن اسرائيل وافقت على اجراء محادثات غير مباشرة للوصول الى مثل هذا الاتفاق ولكنها رفضت أية شروط مسبقة بشأنها . واستنتج ان الهــوة بين موقف مصر واسرائيل واسعة ولا يمكن ردمها في المستقبل القريب . كما أوضح سيسكو ان زيارة الرئيس نيكسون لموسكو قد أسفرت عن تعهد من قبل الجانبين بتجنب اية مواجهة بينهما مهما توتر الوضع في الشرق الاوسط .

في المقابلة التي اجرتها المجلة الاسبوعية الامريكية « نيوزويك » مع الرئيس السادات (٩ نيسان ١٩٧٣) تكشفت معالم هذا الموقف الامريكي بوضوح كامل ، كما تم شرحها لمستشار الرئيس المصري لشؤون الامن القومي ، حافظ اسماعيل ، اثنــاء زيارته الاخيرة لواشنطن حيث قابل الرئيس نيكســون وكبار المسؤولين الامريكيين . ومن اهم معــالم هذا الموقف :

(أ) مطالبة مصر بتقديم تنازلات علنيــة اضافيــة لاسرائيل مثل الاعلان صراحة عن شرعية موقــف اسرائيل وقضيتها ، والقبول بالتزامات من جانب واحد لصالح اسرائيل ، ونزع السلاح عن سيناء، مما دعا السادات لان يقول في المقابلة انه لو اجرى حافظ اسماعيل محادثاته مع غولدا مائــير نفسها لتوصل الى نتائج أقل مدعاة للسخرية مما توصل اليه مع نيكسون .

(ب) لم تمارس الولايات المتحدة ، وهي لن تمارس في المستقبل ، اي ضغط على اسرائيل من اجل حل الازمة على اسس يمكن ان تقبل بها الحكومات العربية .

(ج) لقد أصبح التطابق بين السياسة الامريكية والاسرائيلية في الشرق الاوسط كاملا سواء من حيث الاهداف او الوسائل ، مما جعل السادات يقول في المقابلة ان حصيلة الاتصالات العربية بامريكــا كانت « الفشل واليأس الكاملين » .

(د) لم تتقدم واشنطن بأي جواب على اعــلان

الرئيس السادات بأنه يريد التوصل الى عقد اتفاقية سلام نهائية مع اسرائيل (على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢) .

(هـ) لا تعتزم الولايات المتحدة التقدم بأية مبادرة جديدة للسلام في المنطقة حتى بعد زيارة الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف لواشنطن في شهر حزيران المقبل .

(و) الولايات المتحدة مقتنعة بأن الوضع القائم في الشرق الاوسط يخدم مصالحها وليس ثمة من داع يدعوها لان تضغط على اسرائيل لتغييره طالما ان الوجود السوفياتي في مصر قد انتهى وعلاقاتها مع الدول النفطية في الخليج وثيقة جدا وممتازة ، ولا توجد أية قوى فعالة تهدد الاستقرار الامبريالي في المنطقة . على سبيل المثال : (١) يعتبر السناتور جاكسون (الذي قاد حملة ناجحة للضغط على الاتحاد السوفياتي من أجل تسهيل هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل) ان اسرائيل تشكل جبهة امامية للغرب في محاربة « التخريب الشيوعي » في المنطقة وفي منع « التسلل السوفياتي » اليها (صحيفة « اللوموند » ، ٢١ اذار ١٩٧٣) . (٢) وصلت المصالح الاحتكارية البترولية الكبرى في امريكا الى قناعة بأن اسرائيل في وضعها الحالي تشكل عامل استقرار أساسيا في الشرق الاوسط ، في حين كانت هذه المصالح تتخوف في السابق من الصراع العربي الاسرائيلي بسبب تأثيراته السلبية الممكنة على الانظمة البترولية الرجعية : أي نجحت هذه الاحتكارات أخيرا في الجمع بين ولاء الانظمة البترولية لها وبين فرض الاستقرار على المنطقة (أي ضرب حركة التحرر العربي) من خلال القوة الاسرائيلية المتعاظمة باستمرار . (٣) بين احد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجية الامريكية ان اسرائيل هي الحليف الافضل لامريكا ، في العالم ، افضل حتى من فيتنام الجنوبية لانها « أنقذت عرش الملك حسين اكثر من مرة ، وزودت سلطات الحبشة بالمعونات العسكرية ضد الثورة في اريتريا ، وبنت جيشا من افضل الجيوش في العالم موضوعا في خدمة استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط » (المرجع السابق) . (٤) بامكان امريكا ان تنظر الى المستقبل في الشرق الاوسط بكثير من الاطمئنان خاصة بعد عودة علاقاتها الدبلوماسية مع الخرطوم وصنعاء والحد من فاعلية حركة المقاومة في لبنان وتقوية التيار المعادي للشيوعية والاتحاد السوفياتي وتدهور اوضاع الانظمة التقدمية في المنطقة .

(ز) ان عرض الرئيس السادات بالتنازل عن شرم الشيخ الى « المجتمع الدولي » او الى « الدول الخمس الكبرى » او الى « مجلس الامن » لم يترك اي اثر على توجهات السياسة الامريكية في المنطقة . بعبارة اخرى لقد استقرت السياسة الامريكية في الشرق الاوسط على الحفاظ على « الامر الواقع » الامبريالي من خلال الهيمنة المستمرة للقوة العسكرية الاسرائيلية ، مما يعني التراجع الكامل من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارينغ ومشروع روجرز (الذي أدى دوره المطلوب في ضرب حركة المقاومة في الاردن ووقف اطلاق النار على الجبهات العربية) ، وأية وساطة اخرى غير الوساطة الامريكية. واستقرار السياسة الامريكية على هذا الموقف يعني مجرد الانتظار الامبريالي من مواقع القوة الى ان تقرر الانظمة العربية تحت ضغط الظروف التي تعيشها التكييف كليا مع المخطط الامريكي الاسرائيلي للمنطقة .

ومن المفيد هنا الاشارة الى التصريح الذي ادلى به سيسكو في ٤ نيسان امام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي (برئاسة السناتور وليم فولبرايت) حيث عرض استعداد بلاده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر في أي وقت وبدون أية شروط مسبقة ، وبيّن ان حكومته تنتظر تبدلا في موقف مصر (أي مزيدا من التنازلات انسجاما مع الموقف الامريكي) لكي تتبدل طبيعة العلاقات بين البلدين . كما اعرب عن تشاؤمه بالنسبة لاحتمالات ردم الهوة بين الموقف المصري والاسرائيلي في المستقبل المنظور ، وعاد لتأكيد فكرة المفاوضات من اجل الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . اما السناتور فولبرايت المتأثر جدا بالتفكير القديم لمصالح الاحتكارات النفطية القائل بضرورة اتباع سياسة امريكية متوازنة بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي خوفا على المصالح البترولية الامريكية وعلى الانظمة العربية الحامية لها ، فقد وجه النقد لسياسة بلاده الحالية بسبب تطابقها الكامل مع السياسة الاسرائيلية واشاد بضرورة العودة الى مشروع روجرز باعتباره يمثل السياسة الامريكية المتوازنة في الشرق الاوسط . ومن اجل تدعيم التفوق العسكري الاسرائيلي قررت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بـ ٢٤ طائرة فانتوم و ٢٤ طائرة سكاي

هوك اضافية وعدد من الطائرات الهجومية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، هذا بالاضافة الى المعونات اللازمة لصنع طائرة سوبر ميراج في اسرائيل وهي مبنية على أساس تصاميم الميراج ٣ والميراج ٥ ومزودة بمحرك جنرال اليكتريك المستخدم في طائرات الفانتوم . وقد تم الاتفاق على هذه الصفقة اثناء زيارة غولدا مائير الاخيرة لواشنطن . ولم تصدر اية انباء بعد حول رد فعل الحكومة الامريكية ازاء طلب اسرائيل التزود « بالقنابل الذكية » (سمارت بومب) الموجهة بأشعة «الليزر» التي استخدمتها القوات الامريكية في فيتنام في عمليات القصف الجوي الدقيق جدا . كما ستمنح الحكومة الامريكية للوكالة اليهودية ٤٩ مليون دولار من اجل اسكان اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل .

وعلى صعيد آخر ركزت السياسة الامريكية انتباهها بشكل علني وبارز في الفترة الاخيرة ، على موضوع البترول ومنطقة الخليج العربي والارصدة المالية العربية . وتكمن عدة عوامل وراء هذا التركيز أهمها : (أ) أزمة الطاقة التي أخذت تعاني منها الولايات المتحدة بصورة مباشرة ، على سبيل المثال أعلنت شركة تكساكو في أواخر شهر آذار — وهي أكبر شركة لبيع النفط بالمفرق — فرض نظام التقنين في عدد من محطات المحروقات التابعة لها ، كما أعلنت شركات أخرى اتخاذ خطوات مشابهة في كاليفورنيا وفي ولايات الساحل الشرقي من البلاد . ولم تعرف أمريكا نظام التقنين بالنسبة للمحروقات السائلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . (ب) شعور الدول الرأسمالية الصناعية (أمريكا، اليابان ، اوروبا الغربية) بأنها مضطرة للاعتماد بشكل متزايد على البترول العربي ومصادر الطاقة العربية وذلك لفترة طويلة في المستقبل ، بالاضافة الى تخوفها من تراكم كميات هائلة من العملات الصعبة في ايدي الدول العربية النفطية مما يعطيها سلاحا فعالا يمكن ان تستخدمه في يوم من الايام ، ومع نشوء الظروف المناسبة لخدمة القضايا العربية الوطنية والتحررية ولمقارعة السيطرة الامبريالية على المنطقة. وفي مواجهة هذا الوضع تتبع الولايات المتحدة في الوقت الحاضر سياسة قائمة أولا على الاستفادة المباشرة من مصادر الطاقة العربية كما في الصفقة التي عقدتها مع الجزائر لاقامة اكبر مشروع في العالم لانتاج الغاز الطبيعي السائل وتصديره الى الولايات المتحدة ، مما سيساعد على تخفيف حدة أزمة الطاقة التي اخذت بوادرها تؤثر في الحياة الامريكية اليومية . ثانيا ، العمل على نزع كل صفة سياسية ممكنة من التعامل بالبترول ومشاكله عن طريق الاتفاق مع الدول البترولية على النظر الى النفط كسلعة تجارية محض لا صلة لها بالمشاكل السياسية للمنطقة . وواضح ان من أهداف اتفاقيات المشاركة التي تعقدها امريكا مع بعض الدول البترولية العربية تحييد النفط سياسيا وعزله عن بقية قضايا المنطقة واحكام السيطرة الامبريالية على مصادره والتعامل به وكأنه سلعة عادية يتم تبادلها بين بائع ومشتر لا أكثر . وقد عبر سيسكو مؤخرا عن هذا الاتجاه في التصريح الذي أدلى به في أواخر شهر آذار حيث قال : يجب الا تتعرض المصالح المشتركة لمنتجي البترول ومستهلكيه لاية اخطار بسبب الخلافات القائمة او بسبب النزاع العربي الاسرائيلي . كما وجه الانتباه بصورة قوية باتجاه منطقة الخليج بتأكيده على اهميتها القصوى بالنسبة لامريكا . وقال ان الامريكيين تعودوا الا يفكروا الا بالنزاع العربي الاسرائيلي عندما يوجهون انظارهم نحو الشرق الاوسط . أما الان فعليهم أن يفكروا جيدا بمنطقة الخليج . ولم يخف سيسكو ان حكومة بلاده كانت تفضل لو ان بريطانيا لم تسحب قواتها من الخليج عام ١٩٧١ لانها كانت تشكل عامل استقرار في المنطقة ، كما أعرب عن ارتياح بلاده لقيام دولة الامارات العربية المتحدة ودعا الى قيام تعاون اقليمي يرتكز حول ايران والمملكة العربية السعودية . والاتجاه نحو عزل الخليج عن المشاكل الوطنية والسياسية لبقية المنطقة العربية واضح من كلام سيسكو . ان تحييد النفط وتحويله الى سلعة تجارية محض من قبل الامبريالية والطبقات الحاكمة المحلية يعني ايضا وبالضرورة العزل السياسي للخليج عن محيطه العربي على النحو المذكور . ثالثا ، اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية لمنع امكانية قيام اي وضع يسمح للدول العربية باستخدام البترول كسلاح في خدمة مصالحها الوطنية . وكان الجانب الظاهر ، في الفترة الاخيرة ، لهذا النوع من الاجراءات دعوة مستشار الرئيس نيكسون لشؤون النفط في ٢١ آذار لانشاء جبهة امريكية — اوروبية — يابانية مشتركة تقف في وجه الدول المنتجة للنفط وخاصة الدول العربية بينها . شن حملة اعلامية واسعة هدفها التهويل بالقوة العظيمة التي تملكها الدول العربية المعنية نتيجة وجود مخزون بترولي ضخم في

أراضيها ونتيجة امتلاكها لارصدة مالية ضخمة (وتزداد ضخامة مع مرور الايام) قادرة على التأثير الحاسم على الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وتريد هذه الحملة اظهار العرب بمظهر من يشكل خطرا كبيرا في المستقبل القريب على « العالم » بسبب حاجاته المتزايدة للبترول العربي ، وبسبب تأثير أرصدتهم على استقرار الاوضاع الاقتصادية والمالية الدولية ، والايحاء بأن العرب سيسيئون بالضرورة استخدام القوة الموضوعة بين ايديهم وسيستعملونها لغايات أنانية حتى لو كان ذلك يعني خراب «العالم» من حولهم . ان رسم مثل هذه الصورة عن العرب لا بد ان يكون مقدمة لاجراءات لاحقة هدفها وضع حد لقوة « هذه الفئة » التي تتهدد أمن « العالم » واستقراره. وواضح من هذه الحملة ان الامبريالية تحسب ألف حساب وتتخوف كثيرا من اليوم الذي تقوم فيه ظروف سياسية معينة في الوطن العربي تجعل من البترول والارصدة سلاحا استراتيجيا ماضيا في خدمة قضايا المنطقة الوطنية والتحررية والمعادية للامبريالية . عندئذ سيشكل « العرب » خطرا ليس على استقرار « العالم » واقتصادياته، بل على استقرار العالم الرأسمالي واقتصادياته الامبريالية بالتحديد .

أخذت هذه الحملة لارعاب « العالم » من قوة العرب الفائقة شكلا منظما ومنسقا ، فعلى سبيل المثال دعت امريكا لجنة الدول المجتمعة في امستردام لدراسة الازمة النقدية الاخيرة الى ايجاد صيغة لتفاهم امريكي — اوروبي — ياباني — هدفها ضمان استمرار تدفق النفط من الشرق الاوسط . ثم خرجت مجلة « تايم » الامريكية (٢ نيسان ١٩٧٣) وعلى غلافها صورة الرئيس الليبي معمر القذافي كمدخل لموضوعها الاساسي الذي يدور حول الاخطار الناجمة عن حاجة العالم للنفط العربي ، وعن الارصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على الاوضاع النقدية والتجارية العالمية . وذهبت المجلة الى حد الكلام عن امكانية قيام أمراء النفط العرب بشراء المشاريع الاقتصادية والصناعية الكبرى في امريكا نفسها ، وهولت بامكان سيطرة اموال الارصدة العربية على اقتصاديات الولايات المتحدة بطريقة مشابهة لسيطرة الرأسمال الامريكي على حياة اوروبا الاقتصادية . (التحدي العربي لامريكا في مقابل ما سمي بالتحدي الامريكي لاوروبا — على حد تعبير المجلة) . وفي اليوم التالي صدرت صحيفة « الواشنطن بوست » بافتتاحية تكلمت فيها عن الرئيس القذافي والبترول العربي في محاولة لخلق نفس الانطباع الذي عملت على نشره الصحف الاخرى عن العرب. وفي ٢٥ آذار نشرت «النيويورك تايمز » مقالا افتتاحيا بعنوان « الكنوز المرصودة في جزيرة العرب » خصصته ايضا للحديث التهويلي عن اهمية مخزون البترول العربي ، والارصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على استقرار « العالم » واقتصاده . واعتبرت الصحيفة ان ضخامة هذه الارصدة تخلق مشكلة عالمية (أي يحق للجميع التدخل فيها) لانها تضر ضررا كبيرا بالعملات العالمية الرئيسية . واقترحت « النيويورك تايمز » ربط عائدات البترول بشروط تلزم الدول المنتجة على استثمارها مباشرة في المشاريع الامريكية ولكن بدون ان يؤدي ذلك الى اية سيطرة اجنبية على الصناعات الامريكية . كما دعت الى اتباع سياسة منسقة بين الدول المستهلكة للنفط لمواجهة الدول المنتجة . وفي الفترة نفسها نشرت صحيفة « الفاينانشال تايمز » اللندنية مقالا مطولا عن الموضوع نفسه قالت فيه انه سيكون بمقدور المملكة العربية السعودية في اواخر السبعينات شراء شركات نفطية عالمية كبرى بمعدل شركة كل سنة . لكن على الرغم من هذه الحملة الواسعة لا توجد اية دلائل تشير الى ان البترول العربي او الارصدة العربية سيستخدمان في المستقبل المنظور كأسلحة لخدمة القضايا الوطنية وفي مقدمتها مواجهة توسع اسرائيل المستمر وسيطرتها المتزايدة على منطقتنا.

وتبينت النوايا الامريكية بالنسبة لهذا الموضوع بمزيد من الوضوح في منتصف شهر نيسان عندما أعلن مسؤول أمريكي في ندوة دراسية حول ازمة الطاقة بأن الولايات المتحدة قد تواجه قريبا ضرورة الاختيار بين القبول بتدابير مشددة للمحافظة على انتاج النفط المحلي وبين ارسال قوات الى الشرق الاوسط للسيطرة على حقول البترول هناك . وهذا اول تلميح امريكي علني شبه رسمي بأن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب الى اقصى الحدود من اجل استمرار سيطرتها على مصادر الطاقة البترولية في منطقتنا .

● بالنسبة للاتحاد السوفياتي تحسنت علاقاته مع مصر في الفترة الاخيرة بعد الفتور الذي ساد علاقات البلدين منذ انتهاء الوجود السوفياتي في مصر . وكان هذا واضحا في الاشارة التي جاءت في نهاية مقابلة الرئيس السادات مع مجلة «نيوزويك» حول موضوع السلاح حيث قال ان الاتحاد

السوفياتي يمد مصر الان بكل شيء يستطيع ان يمدها به ، وانه راض كل الرضى عن الوضع الراهن للعلاقات بين البلدين . واثناء زيارة كوسيغين الاخيرة لاسوج اكد في مؤتمر صحافي (٥ نيسان) ما اشار اليه السادات حول امداد مصر بما تحتاج اليه من السلاح والاعتدة وقطع الغيار عندما اجاب على سؤال حول الموضوع بقوله ان معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين ما زالت سارية المفعول وان القيادة السوفياتية تعتقد انه من حق مصر ان يكون عندها جيش قوي يستطيع الدفاع عن البلاد ضد العدوان وقادر على تحرير الاراضي المحتلة . وأكد كوسيجين من جديد الموقف السوفياتي القائل بأن اسرائيل يجب ان تبقى وان تنال ضمانات لوجودها واستقلالها ولكن بدون ان يعني ذلك تأييد عدوانها على اراضي الدول العربية لان مسألة العدوان هذه لا يمكن التساهل فيها . اما بالنسبة لامتناع الاتحاد السوفياتي عن اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فقد قال كوسيجين ان اقامة مثل هذه العلاقات يعني ان ينظر الاتحاد السوفياتي بميزان واحد الى الدولة المعتدية والى ضحايا العدوان ، وهنا شدد على الاضطهاد القومي الواقع على الشعب الفلسطيني بسبب العدوان الاسرائيلي .

وتوفرت فرصة اخرى لمزيد من التوثيق في العلاقات العربية السوفياتية في الزيارة الرسمية التي قام بها صدام حسين ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي ، في النصف الثاني من شهر اذار لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف وكبار المسؤولين في العاصمة السوفياتية . وذكرت الانباء ان المحادثات بين الطرفين جرت في جو ودي وحار وتطرقت الى قضايا اساسية مثل تطوير العلاقات الثنائية على اساس معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين البلدين ، ومشكلة الشرق الاوسط المستمرة بسبب استمرار العدوان الاسرائيلي والنشاط التخريبي الذي تقوم به الامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة ، ورغبة العراق في الحصول على المزيد من الاسلحة السوفياتية للمحافظة على توازن القوى في الخليج العربي بعد صفقات الاسلحة المهمة التي تم الاتفاق عليها بين ايران وامريكا . وقد ذكرت وكالات الانباء الغربية ان الاتحاد السوفياتي قابل مطلب العراق التزود بمزيد من السلاح ببعض التحفظ ، خاصة وان الشاه اكد لكوسيغين اثناء زيارته الاخيرة لطهران بأن ايران تؤيد سياسة الهدوء والاستقرار في منطقة الخليج . وعلى أثر الزيارة صدر بيان صحافي مشترك اكد من جديد انه لا يمكن احلال السلام في الشرق الاوسط بدون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وبدون استمرار الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية كجزء عضوي من حركة التحرر الوطني العربية . كما اكد ضرورة توطيد التعاون العربي السوفياتي واحباط كل المحاولات الامبريالية والرجعية لنسف الصداقة العربية السوفياتية وتخريبها، بالاضافة الى تقوية تلاحم الدول العربية وتعبئة جميع طاقاتها لمكافحة الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة .

● لقد تعرض الاتحاد السوفياتي لحملة ضغط واسعة من الدوائر الامبريالية كي يتساهل في موضوع هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل ، وهي الهجرة التي يعتبرها الجانب العربي عموما والفلسطيني خاصة مضرة كثيرا بمصالحه الحيوية، والتي تتذرع بها القوى الرجعية العربية في تهجمها على الاتحاد السوفياتي وعلى علاقاته العربية . وكان اخر مظهر من مظاهر الضغط قيام السيناتور هنري جاكسون بعرقلة عملية الموافقة على الاتفاقية التجارية بين امريكا والاتحاد السوفياتي في مجلسي الشيوخ والنواب . وعمد جاكسون الى ادخال تعديل على الاتفاقية ، حظي بموافقة الاكثرية في المجلسين ، يمنع رئيس الجمهورية من تنفيذها « مع دولة تطبق قوانين هجرة غير عادية » . ومن الواضح أن المعني بهذا التشريع الضريبة التي يفرضها الاتحاد السوفياتي على المهاجرين من اراضيه (أي اليهود المهاجرين الى اسرائيل بصورة رئيسية) . وفي هذه الاثناء قام وزير الخزانة الامريكي ، جورج شولتز ، بزيارة لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف لمدة ثلاث ساعات اجرى اثناءها محادثات هدفها تذليل العقبات التي تعترض الابرام النهائي للاتفاقية التجارية بين البلدين . وصرح شولتز في مؤتمر صحافي انه لمس خلال محادثاته رغبة لدى المسؤولين السوفيات بالتغلب على المشاكل التي قد تنشأ نتيجة تطبيق الاتفاق التجاري . وعلى اثر ذلك نشر الصحافي السوفياتي المعروف فيكتور لويس مقالا في صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية قال فيه ما معناه ان حكومة بلاده لن تتراجع عن قانون ضريبة الهجرة الا انها ستتساهل كثيرا في تنفيذها . وبالرغم من هذا الموقف السوفياتي فانه من المرجح ان تتم الموافقة

على اقتراح السيناتور جاكسون كي يكون سلاحا موجها دائما ضد الاتحاد السوفياتي بحيث تتعرقل اتفاقية التجارة فيما لو عادت السلطات السوفياتية للتشدد في تطبيق قانون ضريبة الهجرة على الخارجين من البلاد . ولا بد من الملاحظة هنا انه حتى عندما كان قانون ضريبة الهجرة قيد التطبيق استمر وصول اليهود السوفيات الى اسرائيل ولكن بأعداد اقل من السابق ، وبعد التساهل الذي اعلن عنه نيكسون لويس في شهر اذار عاد عدد المهاجرين الى الازدياد من جديد .

● على صعيد اخر ذكرت انباء مصدرها وكالة انباء كوريا الديمقراطية ان وفدا عسكريا مصريا برئاسة سعد الدين الشاذلي قام بزيارة لم يعلن عنها رسميا للصين في الاسبوع الاول من شهر نيسان . وذكرت هذه الانباء ان هدف الوفد شراء اسلحة صينية . ويبدو ان موقف السلطات الصينية هو انها مستعدة لتزويد مصر بالاسلحة المناسبة اذا رفضت السعي للحصول على تسوية سياسية للصراع مع اسرائيل وقررت تحرير الاراضي المحتلة باتباع اسلوب حروب التحرير الشعبية . وجاءت زيارة الوفد العسكري المصري في اعقاب الزيارة التي قام بها وزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — للصين في منتصف شهر اذار (في نطاق جولة الى ايران وباكستان) . وكان الهدف المعلن للزيارة اطلاع السلطات الصينية على « الوضع المتفجر » في الشرق الاوسط باعتبار ان الصين هي من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن وواحدة من الدول الخمس الكبرى . وقد اجرى الزيات محادثات مع وزير خارجية الصين ولكنه لم يقابل شو ان لاي رئيس الوزراء . واعلن الوزير الصيني ان الدول الكبرى (أي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) هي المسؤولة عن ابقاء حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الاوسط لانها تخدم مخططاتها التوسعية وجهودها للاستيلاء على مصادر الطاقة في المنطقة . كما ندد في خطابه بالصهيونية والاعمال العدوانية لاسرائيل واكد مساندة بلاده للشعبين المصري والفلسطيني وغيرهما من الشعوب العربية في كفاحها العادل من اجل استعادة اراضيها المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين . كذلك كرر موقف بلاده القائل بأنه ليس باستطاعة العرب تحقيق الانتصار الا بالاعتماد على جهودهم الخاصة وتقوية وحدتهم ومواصلة نضالهم — اي عدم الاعتماد كثيرا على المساعدات الخارجية والوساطات الدولية لاخراجهم من المأزق الحالي الذي وصلوا اليه في مواجهتهم مع اسرائيل والامبريالية .

● بالنسبة لاوروبا الغربية لم تطرأ اية تطورات هامة في مواقف دولها من النزاع العربي الاسرائيلي، لكن لا بد من رصد بعض الاحداث الجزئية . (۱) كانت الحكومة البلجيكية تدرس اقامة مصنع على اراضيها بمشاركة اسرائيل والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية (راجع « شؤون فلسطينية »، عدد ۲۰ ، نيسان ۱۹۷۳ ، ص ۲۱۳) وقد اعلن مؤخرا بصورة رسمية ان السلطات البلجيكية رفضت السماح بتنفيذ المشروع على اراضيها ورفضت المساهمة فيه . ويبدو ان الجهود الدبلوماسية العربية لعبت دورا هاما في اقناع الحكومة البلجيكية بعدم المشاركة في المشروع . (۲) عقد تجمع الشباب الاشتراكي الراديكالي في المانيا الغربية مؤتمرة في أواسط آذار واتخذ قرارات على جانب من الاهمية بالنسبة لمسألة النزاع العربي الاسرائيلي وحقوق الشعب الفلسطيني . وتجمع الشباب الاشتراكي هو التنظيم الشبابي والطلابي التابع للحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم في المانيا الغربية . وقد خرج التجمع بوضوح عن سياسة حزبه الرسمية بالنسبة للشرق الاوسط واعلن رفضه لها عندما تبنى قرارات تدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والى ضمان حق العودة للفلسطينيين الذين طردوا او اضطروا للفرار من ديارهم ، والى ضرورة اتاحة الفرصة امام الشعب الفلسطيني ليقرر بحرية ما اذا كان يريد انشاء دولة جديدة او الانضمام الى دول اخرى في الشرق الاوسط . كما حث المؤتمر حكومة بلاده على لفت انتباه اسرائيل الى قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن المتعلقة بالشرق الاوسط . وقد انسحب الوفد الممثل لحزب العمال الاسرائيلي من الاجتماعات احتجاجا على القرارات التي وافق عليها المؤتمر . ويبدو ان القطاع الطلابي والشبابي في الحزب الحاكم قد تأثر بالتأييد الذي حظيت به الثورة الفلسطينية والنضال التحرري العربي في اوساط اليسار الاوروبي بعد انفضاح الطبيعة التوسعية والامبريالية لدولة اسرائيل انفضاحا كليا . (۳) لقد اعلن رسميا ان المستشار الالماني الغربي فيلي برانت سيقوم بزيارة رسمية لاسرائيل في النصف الاول من شهر حزيران المقبل . وترددت انباء لم تؤكد رسميا ان المستشار الالماني يعد العدة لزيارة عدد من العواصم العربية ايضا

في الخريف المقبل . (٤) بمناسبة زيارة الرئيس النميري لبريطانيا في اواخر شهر اذار اطلق وزير الخارجية السوداني ، منصور خالد ، تصريحا دعا فيه الرساميل البريطانية لدخول السودان . قال الوزير ان باستطاعة رؤوس الاموال البريطانية ان تستثمر بكل ثقة في السودان لان حكومة البلاد سنت تشريعا لضمان الرساميل الاجنبية . وواضح ان هذه الزيارة والتصريحات المرافقة لها تعكس اتجاه التقرب السوداني الشديد من الغرب والمعسكر الرأسمالي ، مما يزيد الامبريالية اطمئنانا على مستقبل مصالحها .

● في منتصف شهر اذار القى ثلاثة صحفيين كبار محاضرات في بيروت حول الوضع في الشرق الاوسط بدعوة من مؤسسة كامل مروة التذكارية . وقد افتتح سلسلة المحاضرات روبرت ستيفنز محرر الشؤون الخارجية في صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط وكانت له لقاءات متعددة مع الرئيس عبد الناصر . قدم ستيفنز مراجعة لاهم التطورات التي شهدتها المنطقة في صراعها مع الاستعمار منذ تأميم قناة السويس ثم ذكر ان الاسباب التي دعت الولايات المتحدة لتقديم الدعم الكلي لاسرائيل في حرب ١٩٦٧ وبعدها (بخلاف الموقف الامريكي خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦) هي (١) حرب اليمن وتهديد مصر للنظام في السعودية ، (٢) تأييد مصر للحركات المتطرفة (أي الحركات المعادية للاستعمار والرجعية المحلية) وحملتها على الانظمة الملكية والمحافظة ، (٣) تحرك بعض الانظمة العربية بشكل متزايد نحو اليسار . وخلص المحاضر الى تقديم نصيحة الى العرب بالقبول « بسلام سيء » في الوقت الحاضر اقتداء بمعاهدة برست ليتوفسك التي عقدها لينين مع المانيا ومن ثم توجيه جهودهم الى التنمية الداخلية . وعلى الرغم من مسحة السرد الموضوعي للاحداث التي تلبس بها ستيفنز فانه توصل الى مطالبة العرب بالاستسلام الكامل أمام المطالب الاسرائيلية التوسعية والهيمنة الامبريالية على المنطقة وتصفية قضية فلسطين متناسيا انه عندما عقد معاهدة برست ليتوفسك كانت السلطة البلشفية قد وصلت لتوها الى السلطة في روسيا وكان امامها المستقبل كله لانجاز المهمات الثورية الملقاة على عاتقها ، في حين يعترف ستيفنز نفسه ان الانظمة العربية الحالية « تميل بصورة متزايدة نحو الغرب وباتجاه اليمين » وليس أمامها اي مستقبل ثوري يمكن ان تبرر على أساسه عقد معاهدة استسلامية مع اسرائيل امام الجماهير .

اما المحاضر الثاني فكان الصحافي الفرنسي جان لاكوتور الذي يكتب في صحيفة « اللوموند » ومجلة « النوفيل اوبزرفاتور » وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط والهند الصينية ، وقد الف كتابا معروفا عن الرئيس عبد الناصر . وتلخصت الفكرة الرئيسية التي طرحها في تحليله لاوضاع الشرق الاوسط في القول بانتقال محور الاهتمام الدولي من قناة السويس ومصر الى منطقة الخليج بسبب تزايد اهمية البترول الناتج عن ازمة الطاقة في العالم الغربي وازدياد استهلاكه للنفط بشكل هائل ، وبسبب تقلص قدرة مصر على المبادرة السياسية على الصعيدين العربي والدولي . كما اشار لاكوتور الى صعود القوى اليمينية في الدول العربية منذ هزيمة ١٩٦٧ والى الدور الذي يقوم به المحور المعادي لنهضة العرب وتقدمهم المؤلف من بلدان مثل ايران وتركيا واسرائيل ، هذا بالاضافة الى نمو التيار الديني المعادي للشيوعية على حساب التيار العروبي العلماني الذي طور روابط قوية مع دول المعسكر الاشتراكي . ويمكننا ان نقول ان لاكوتور اكتفى برسم صورة قاتمة للواقع العربي الراهن والمازق الذي وقعت فيه الانظمة في مجابهتها العاجزة مع اسرائيل والولايات المتحدة الداعمة لها ، لكنه لم يقدم اي استشراف جدي للمستقبل المنظور ، بل اكتفى بالاشارة الى الجهود التي يبذلها الجيل الشاب في تحسس طريقه الى مستقبل افضل عن طريق نقد تجارب الماضي .

وكان المحاضر الثالث الصحافي السوفياتي ايغور بلاييف معلق الشؤون السياسية في صحيفة « البرافدا » الذي عرض موقف بلاده المعروف من النزاع في الشرق الاوسط القائم على علاقات الصداقة مع الدول العربية المعنية وعلى الدعوة والعمل لايجاد سلام عادل ومستقر في المنطقة بدون ان يكون ذلك على حساب الشعوب العربية . وهذا يعني ان تنسحب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة مع ضمان حقوق الشعب الفلسطيني . وشدد بلاييف على نقاط هامة مثل : (١) اشارته ان الحديث في الاوساط العربية يميل دوما الى القول ان كل شيء في ازمة الشرق الاوسط يعتمد على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بدلا من القول ان كل شيء يعتمد في الواقع على العرب انفسهم وعلى توحيد قواهم

وجهودهم . (٢) ان الاتحاد السوفياتي يساند المقاومة الفلسطينية ولكنه يستنكر العمليات « الارهابية » الفردية مثل عملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم وما نجم عنها من نتائج ، ويريد من المقاومة ان تكون ثورة حقيقية تقسف في وجه الامبريالية بنجاح . (٣) ان الاتحاد السوفياتي قدم لمصر وغيرها من الدول العربية الاسلحة ذاتها التي استخدمتها الثورة الفيتنامية في قتالها الطويل ضد اعدائها ، مما يعني ان المشكلة لا تكمن في السلاح نفسه بقدر ما تكمن في معرفة استخدام السلاح وفي مدى الاستعداد العربي جيوشا وشعوبا لدخول الحرب . وهنا قال بلاييف بتعجب « أنا لا أفهم لماذا لا يحسن العرب استخدام هذه الاسلحة بفعالية ! » (٤) ان الاتحاد السوفياتي ضد حالة اللاسلم واللاحرب السائدة في المنطقة وهو ليس مسؤولا عنها لان الرئيس عبد الناصر هو الذي قبل بمشروع روجرز وباتفاقية وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ ، كما ان الرئيس السادات هو الذي قرر تمديد مهلة وقف اطلاق النار بدون حدود ولا شأن للاتحاد السوفياتي في هذا القرار . وشدد بلاييف على انه اذا كان العرب يريدون السير على طريق الثورة والتحرير العنيف فما عليهم الا التقدم بهذا الاتجاه ولن يقف الاتحاد السوفياتي عقبة في وجههم بالتأكيد .

● على صعيد هيئة الامم نددت لجنة حقوق الانسان في منتصف اذار بجرائم الحرب التي ترتكبها اسرائيل في الاراضي المحتلة ، وجاء ذلك في قرار وافقت عليه اللجنة بعد ان تقدم به عدد من البلدان الافرو — اسيوية مدعومة من قبل الاتحاد السوفياتي . واعتبر القرار انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة « جرائم حرب واهانة للانسانية » . وقد صوتت الولايات المتحدة ضد القرار . كما قابل ماكسيموس الخامس حكيم، بطريرك انطاكية والقدس وسائر المشرق للروم الكاثوليك ، الامين العام لهيئة الامم ، فالدهايم ، حيث دعا البطريرك الى الاسراع في تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقدس وبقية الاراضي العربية المحتلة ، والى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما لفت نظر فالدهايم الى ان عشرة ملايين مسيحي في الشرق الاوسط قد حرموا من زيارة القدس بسبب الاحتلال الاسرائيلي ورفض السلطات السماح للعرب المسيحيين بزيارتها .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

حركة الاستيطان : شهدت حركة الاستيطان ظاهرة فريدة من نوعها تمثلت في قيام سلطات الاحتلال بحل مستوطنة ناحال يام الواقعة على بحيرة البردويل والغائها ، وقد رافقت عملية الغاء المستوطنة تحليلات توحي بأن الخطوة الاسرائيلية قد جاءت عقب ضغط اميركي من اجل تسهيل التوصل الى حل مع مصر ، اما السلطات الاسرائيلية فقد فسرت خطوتها بأنها تعود الى عاملين الاول اقتصادي والثاني سياسي ، فبالنسبة للعامل الاول واجهت المستوطنة صعوبات في اعمال صيد الاسماك علاوة على ان المنطقة تفتقر الى المياه العذبة التي من شأنها ان تساعد على اقامة مزارع هناك ، وبالنسبة للعامل الثاني — وهو الاهم — يعتبر مكان المستوطنة وفق تصور مبرمجي خريطة الاستيطان خارج الخريطة التي تعتزم اسرائيل عدم الانسحاب منها . والجدير بالذكر هنا ان التيارات الرئيسية الفاعلة في اسرائيل تجمع على ان الحدود الجديدة ستكون ما بين شرم الشيخ ونقطة على البحر المتوسط في منطقة ما بالقرب من العريش ، وليس بالقرب من مستوطنة ناحال يام القريبة من جبهة القنال .

ان قرب المستوطنة التي اصبحت بذمة التاريخ ، من خط وقف اطلاق النار يعيد الى الاذهان صورة طريفة ابان حرب الاستنزاف ، ارتسمت فوق رمال سيناء ، فقد حدث ان هاجمت الطائرات المصرية المستوطنة في وضح النهار ، بينما كانت فتيات الناحال يغتسلن في الحمامات ، ولشدة الصدمة المباغتة لم تتمكن الفتيات من ارتداء ملابسهن ، فأخذن يركضن الى الخارج ويهمن على وجوههن عاريات فوق رمال سيناء خوفا من القصف ، كما ذكرت الصحف الاسرائيلية في ذلك الوقت .

بالاضافة الى الظاهرة الجديدة استمرت سلطات الاحتلال في خلق وقائع جديدة في المناطق التي تصر على عدم الانسحاب منها حتى ولو مقابل اتفاقية

سلام . وتمثلت هذه الاعمال في :

١ ــ تعزيز الاستيطان في شرم الشيخ ، حين احتفلت سلطات الاحتلال في أواخر شهر آذار الماضي بتدشين محطة للركاب في مطار « اوفيرا » وتدشين محطة لباصات « ايجد » وبلغت تكاليف محطة المطار مليوني ليرة اما محطة الباصات فقد بلغت تكاليفها مليون ونصف المليون ليرة . ومن المعروف ان مطار شرم الشيخ استقبل خلال العام الماضي ٧٢ الف مسافر قدموا الى هناك بواسطة طائرات « اركيع » الاسرائيلية ، وتتكهن وزارة المواصلات الاسرائيلية بأن يصل عدد السياح في عام ١٩٧٥ ، الى ١٢٠ الف سائح ، وفي عام ١٩٨٠ ، ٢٠٠ الف سائح .

ومن الجدير بالذكر ان وزير المواصلات شمعون بيرس عبر في كلمة ألقاها بمناسبة الاحتفال بتدشين محطة الركاب عن أمله بأن يكون بوسع مطار اوفيرا في المستقبل ، استقبال طائرات اضخم من تلك التي يستقبلها الان وان يغدو مطارا مدنيـا دوليا ، وشدد على ان الجمهور الاسرائيلي موحد تجاه مصير منطقة شرم الشيخ التي تصر اسرائيل على عدم الانسحاب منها . وقد ربط بيرس عملية تكريس الاحتلال بخطاب الرئيس السادات الذي قال فيه انه لم يبق أمامنا الا المعركة بقوله : « ان خطاب السادات الاخير هو بمثابة خطاب وداع لاية تسوية ممكنة ، وضربة مميتة لاية تسوية ، وان الجواب الاسرائيلي لن يكـون خطابات على غرار تلـك الخطب ... » ومن الواضح ان الجواب الاسرائيلي جاء على شكل تكريس للاحتلال بواسطة تدشيـن المحطتين المذكورتين ، وتوسيع رقعة الاستيطان هناك بواسطة اقامة فنادق كبيرة تتسع لالفي سرير ، وتشجيع السكان اليهود على الاستيطان في مدينة اوفيرا التي يقدر الاسرائيليون بأن عدد العـائلات اليهودية التي ستستوطنها سيبلغ في عام ١٩٧٨ حوالي الف عائلة .

٢ ــ العمل على اقامة فندق في منطقة « نعمة » في جنوب سيناء يتألف من ٨٠ غرفة ، وتبلغ تكاليف انشائه مليونين وربع المليون ليرة .

٣ ــ اعتزام سلطات الاحتلال اقامة مستوطنة رابعة في قطاع غزة شمالي خانيونس تحمل اسم«سميري»، وذكر ان المستوطنة ستعتمد على الزراعة .

٤ ــ تحويل مستوطنة « مخورا » في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس الى مستوطنة دائمة ، حيث يجري العمل على قدم وساق لاقامة المباني الجديدة في منطقة تبلغ مساحتها الف دونم . ومن المعروف ان سلطات الاحتلال استولت عقب حرب حزيران على اراض واسعة للقرية العربية واغلقتها بحجة الامن ، وقد أقيمت المستوطنة على جزء من هذه الاراضي ، وازاء احتجاج سكان القرية على ذلك، ادعت سلطات الاحتلال بأنها لم تستول على ٢٥ الف دونم كما ذكر الاهالي ، وان كل ما في الامر ان صفقة قد عقدت بين السكان وادارة ارض اسرائيل ، حيث « وضعت ادارة ارض اسرائيل يدها على الف دونم من الاراضي الصخرية وفي المقابل تلقى سكان القرية الف دونم من الاراضي الزراعية » والحقيقة ان هذا القول يتسم بالسخافة والاستخفاف بالعقل والمنطق ، فهل تملك ادارة ارض اسرائيل ارضا في منطقة بيت فوريك لتقوم بعملية المبادلة ؟

٦ ــ العمل على ربط مستوطنات الغور بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، فقد تمت الموافقة اخـيرا على ربط شبكة المستوطنات (١٢ مستوطنة) بشبكة الكهرباء ، بغرض جعلها امتدادا طبيعيا لمستوطنات بيسان في الشمال ، ومن المحتمل ان تستكمل العملية خلال عام .

حول حق اليهود شراء اراض في الضفة : تمشيا مع سياسة الضم والمصادرة والتعويضات لتكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليها ، اقدم وزير الدفاع موشيه ديان على خطوة خطيرة حين قدم مشروع اقتراح يسمح بموجبه لليهود الاسرائيليين بشراء اراض في الضفة الغربية وتسجيلها في الطابو ، وقبل التطرق الى ردود الفعل لـدى التكتلات السياسية الاسرائيلية ومواقفها من اقتراح ديان سنتحدث قليلا حول الدوافع الكامنة وراء هذا الاقتراح . هنالك دوافع ايديولوجية صهيونية تجيش في صدر ديان، اذ انه يعتبر فلسطين بكامل أجزائها ومناطق عربية اخرى محتلة او غير محتلة تعتبر «أرض اسرائيل» ، ولذا فانه لا يستطيع فهم عدم السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة ، « ينبغي ان توضحوا لي ، لماذا لا يحق لليهود شراء الاراضي من عرب المناطق ؟ لقد منعتنا حكومة الانتداب من شراء الاراضي ، والان نأتي ونمنع انفسنا ... لقد وقف الجعبري ضد بيع الاراضي لليهود ، ولكن هل الجعبري يعتبر مرشـــــدا للصهيونية ؟ » (معاريف ١٩٧٣/٣/٣٠).

لقد خلق اقتراح ديان ثلاثة اتجاهات داخـــل الحكومة ، الاتجاه الاول يدعم الاقتراح ويقف

على رأسه بالاضافة الى ديان ، وزراء كتلة رافي سابقا ، مثل شمعون بيرس الذي يعتبر ان حق اليهود في تملك الاراضي في الضفة الغربية بمثابة امر بديهي شريطة ان تتم عملية البيع عن طيب خاطر ، وكذلك وزراء الحزب الوطني المتدين الذي يدعو الى عدم الانسحاب من الضفة الغربيــة ولو مقابل اتفاقية سلام ، مثل الدكتور زيرح فارهفتج وميخائيل حزاني .

اما الاتجاه الثاني فانه يعارض الاقتراح بيد انه لا يعارض « حق » اليهود في شراء الاراضي ، ويدعو الى ان يكون هذا « الحق » مرتبطا بموافقة الحكومة مثل وزير الخارجية ابا ايبن الذي قال ان بيع الاراضي للاسرائيليين في الضفة الغربية ليس موضوعا يمكن وضعه تحت تصرف الافراد وان الحكومة يجب ان تكون هي التي تقر ما اذا كان يجب شراء مثل هذه الاراضي وكيف ومتى ، وقال انه حتى الان كانت السياسة المتعلقة بهذا الامر اختيارية وانتقالية واعرب عن امله بان يستمر هذا الخط ، وايضا مثل وزير التجارة والصناعــة بارليف الذي يعتقد ان شراء الاراضي في المناطق يجب أن يبقى في هذه المرحلة بواسطة هيئة حكومية.

اما الاتجاه الثالث فيعارض بشكل اقوى اقتراح ديان ، ويقف على رأسه الوزير شمطوف (مبام) ويعتقد هذا الاتجاه ان عملية شراء الاراضي في هذه الفترة من شأنها ان تسيء الى سمعة اسرائيل في العالم ، وان تعيق احتمالات السلام . ومن الجدير بالذكر هنا ان شمطوف وجه سؤالا الى ديان اذا كان اقتراحه يشمل حق العرب ايضا في شراء اراض اسرائيلية ، اجاب ديان انه من الناحية المبدئية ضد بيع الاراضي للعرب. « اننا نقيم هنا دولة يهودية وليس دولة عربية ... اننا ننقل الملكية الفردية من العرب الى اليهود ، ان اقامة دولة يهودية دون الغاء الكيان العربي هما امران لا يمكن تحقيقهما معا » .

وبالرغم من ايمان الاتجاهات الثلاثة داخل اعماقها بأقوال ديان ، الا انها اتفقت في هذه المرحلة على البقاء على ما هو عليه سابقا ، اي السماح لليهود بشراء الاراضي شريطة ان تكون عملية البيع انتقالية ومراقبة من قبل الحكومة . . .

موضوعان لهما علاقة بالجسور المفتوحة :

انهمكت الزعامة التقليدية في الضفة الغربيــة بدراسة موضوعين لهما علاقة بالجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن ، الموضوع الاول يتمثل في الاجراء الاردني الذي اتخذ قبل حوالي اربعة اشهر والذي فرضت بموجبه قيود على المواطنين الاردنيين الذين يزورون الضفة الغربية حددت بموجبها فترة الزيارة باسبوعين واشترطت بان لا يتجاوز المبلغ الذي يحمله الزائر ٥٠ دينــارا. وقد عادت الحكومة الاردنية عند مطلع شهر نيسان والغت تلك القيود بعد تزمر سكان الضفة الغربية من النتائج المتمخضة عنها ، وفي اعقاب تحرك الزعامة التقليدية والغاء القيود . وكان على رأس المتحركين رئيس بلدية الخليل الذي يحظى بتأييد السلطتين الاسرائيلية والاردنية معا ، بعد ان كان في الماضي يحظى بتأييد السلطة الاسرائيلية فقط ويصب هجماته على الملك حسين وجــــده عبدالله ، فقد ارسل الجعبري كتابا الى « صاحب الجلالة الملك حسين المعظم » تطرق فيه الى الجوانب السلبية المتأتية عن تلك القيــــود ومستشهدا بآيات قرآنية ليصل في النهاية الى القول : « يا صاحب الجلالة ان اهالي الضفة الغربية الذين تعلنون انهم من الرعية يهيبــون عدالة الحسين بأن يأمر بالغاء هذه التعليمات والاوامر الجديدة لتدوم الوحدة الوطنية التي لم نفرط فيها ، وتدوم الالفة والمحبة ، وحب الوطن والسعي اليه من الايمان . اما اذا دام العمل بهذه التعليمات والاوامر فاننا نعتقد بان هــذه اول بادرة تنذر بالفرقة والتباعد وهذا ما لا يرضاه الحسين وجد الحسين » ... وقد استجاب الملك بعد اسبوع لطلب الجعبري .

اما الموضوع الثاني الذي حرك الزعامة التقليدية فيتمثــل في اقتراح قدمه لبنان يدعو الى غلــق الجسور المفتوحة امام البضائع من الضفة الغربية لكيلا تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاسواق العربية ، فقد قام رؤساء البلديات والغرف التجارية ووجهاء في الضفة في اواخر شهر اذار بالتوقيع على عريضة موجهة الى جامعة الدول العربية طلبــوا فيها عدم الموافقة على اقتراح لبنان ، وشكلت وفدا مكونا مــن ثلاثة اشخاص يمثلون الغــرف التجارية في نابلس ورام الله والقدس للاشتراك في مؤتمر رؤساء الغرف التجارية في الاردن لتأكيد الخطورة الناجمة من الاقتراح اللبناني اذا مــا تمت الموافقة عليه بالنسبة لسكان الضفة الغربية، ومن المقرر ان يسافر الوفد بعد ذلك الى القاهرة لاقناع الجامعة العربية بعدم الموافقة على الاقتراح

اللبناني . ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا الاقتراح ليس الاول من نوعه الذي يطرحه لبنان ، فقد تقدم لبنان في عام ١٩٧١ اقتراحا مشابها ، اثار ضجة كبيرة الا ان النجاح لم يحالفه .

« الجامعة العربية » في الضفة الغربية : بعد حوالي اكثر من عامين من الحديث عن اقامة جامعة في الضفة الغربية ، تمت مؤخرا موافقة سلطات الاحتلال على اقامة الجامعة . وقد جاءت الموافقة الاولى عندما صادق الحاكم العسكري ١٣ اذار في الضفة الغربية على قرار الحكومة بهذا الشأن ، واستكملت الموافقة باجراء اخير عندما قام وزير الشؤون الاجتماعية بتقديم رخصة لاقامة الجامعة بعد أن تم تسجيلها كجمعية منذ مطلع شهر نيسان.

ومن المعروف ان الجامعة التي تقرر ان تدعى « الجامعة العربية » بدل الجامعة الفلسطينية ، لازالة تحفظات السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، ستشمل عدة فروع متوزعة على مدن رام الله والخليل ونابلس وطولكرم ، وحسب انظمة الجامعة كما تقول المصادر الاسرائيلية فانها « لن تنهمك في اية موضوعات سياسية بل ستكرس عملها في الشؤون الاكاديمية فقط » .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ، ان برامج التدريس في الجامعة ستتم الموافقة عليها شريطة ان لا تتضمن تحريضا ضد اسرائيل والشعب اليهودي . ومن المقرر ان تقوم لجنة مؤسسي الجامعة بارسال وفود الى الدول العربية بغرض أخذ موافقتها على اقامة الجامعة اولا وبغرض جمع الاموال والطاقم التدريسي ثانيا (للاستزادة حول تحليل مواقف السلطتين الاردنية والاسرائيلية تجاه اقامة الجامعة أنظر شهريات المناطق نشر في عدد ٣ ، ١٥) .

العمال العرب : لم يطرأ تغيير ملموس على عدد العمال العرب الذين يعملون في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ وصل الرقم حسب ما اعلنه مستشار وزير العمل لشؤون المناطق المحتلة حوالي ٥٧ الف عامل ، بين منظم وغير منظم ، وتوزع العمال المنظمون (٤٠ الف) على الفروع التالية : البناء ٢٠ الف ، الزراعة ٦٥٠٠ و١١ الفا في فرع الصناعة والباقون يعملون في مجالات أخرى .

كان من نتيجة تسابق المقاولين اليهود على الايدي العاملة العربية الرخيصة ، ان بدأت تتشكل ظاهرتان : الاولى تتمثل ببروز « أسواق عمل » شبيهة بأسواق النخاسة في العهود السابقة ، والثانية تتمثل في تحول الاطفال العرب من تلاميذ يتلقون علومهم في المدارس الى عمال يبذلون عرقهم وجهدهم في اعمال رثة في المجتمع اليهودي ، ونكتفي هنا باقتباس فقرة من صحيفة اسرائيلية لوصف الظاهرة الاولى ، ظاهرة « سوق العبيد في يافا » : « في حوالي الساعة السادسة صباحا يبدأ الاسرائيليون بالوصول ، لاختيار بهائم للعمل . يأتون بسياراتهم ، يتوقفون ، ليهرع العرب الى السيارات لكي يحظوا بالعمل . ان الاسرائيلي يختار جيدا ، يصوب بصره نحو العضلات (لحسن الحظ لا يقوم بفحص الاسنان) ، ويأخذ معه الغنيمة ، اما اولئك الذين لم يحظوا بالعمل ، فيعودون للانتظار في الحديقة ، بين الاشجار ، ويقوم بعض العرب باداء صلاة الفجر ، بينما يقوم آخرون بقضاء حاجتهم في زاوية من الحديقة ، لعدم وجود مرحاض هناك ... » (هعولام هزيه ١٩٧٣/٣/٢٨) .

اما الظاهرة الثانية فانها تنطوي على خطورة مضاعفة : هروب الاطفال من المدارس وتعرضهم لاستغلال بشع . وقد اخذت هذه الظاهرة تشغل بال الاهالي ومدراء المدارس ، وتقدم بعض رؤساء البلديات احتجاجا الى الحاكم العسكري على هذه الظاهرة ، وقد وصفت صحيفة « القدس » حالة المدارس في الضفة الغربية بقولها : « ... يشكو مدراء المدارس ، في عدد كبير من القرى في قضاء نابلس (وهذا الوضع ينطبق على معظم الضفة الغربية) من الوضع الدراسي فيها ، والذي يسير من سيء الى أسوأ نتيجة لتزايد هروب الطلاب من مدارسهم للعمل في اسرائيل ، حيث يؤكد مديرو هذه المدارس بانها فقدت ٥٠٪ من طلابها ، فهل من علاج لهذا الامر الخطير ؟ (القدس ١٩٧٣/٢/١٣) .

ردود الفعل على عملية بيروت في المناطق المحتلة :

تركت العملية الوحشية التي نفذتها اسرائيل في بيروت وادت الى استشهاد القادة الثلاثة ابو يوسف ، كمال ناصر ، وكمال عدوان ردود فعل عنيفة على الصعيد الجماهيري داخل الارض المحتلة اضطرت معها الاذاعة الاسرائيلية باللغة الانكليزية الى وصفها بانها « كانت غير متوقعة » [اذاعة اسرائيل بالانكليزية ، الساعة ٨،٣٠ مساء ١٩٧٣/٤/١٢] ، واضطرت معها دايان الى القول « انه ساد بين سكان المناطق المحتفظ

بها جو من الحداد بعد عملية بيروت ، فلقد ابدوا زعماء المخربين الذين قتلوا حتى انهم عبروا عن ذلك في الصحف الصادرة في المناطق » [نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٢١١ في١٣/٤/١٩٧٣].

وقد أكد هذه المشاعر دافيد اليعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلي حين قال : « ان نشر صور كمال ناصر وهو الذي يدعو الى تدمير اسس دولة اسرائيل ، في صحف الضفة الغربيـة والقطاع الشرقي من القدس وما رافقها من بيانات التعزية ، ان هذا أمر له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من اجلً تصفية اسرائيل لا يزالً مقبولاً من عدد كبير من العرب » . (النهار ٢٠/٤/١٩٧٣) .

هذا وقد جاء في تقرير خاص وصلً الى مركز الابحاث الوصف الحي التالي لردود الفعلً فيً المناطق المحتلة :

١ ــ **يوم الاربعاء ١١/٤/١٩٧٣** : شن اضراب عام وشامل مدينة نابلس فاقفلت كلً المحـلات التجارية والعامة ، وخلت شوارع المدينة مــن السكان وفي بيوتها يستمعون لاجهزة الاعلام ويتابعون اخبار المجزرة .

٢ ــ اضراب عام في كل مدارس الضفة الغربية يوم الخميس امس ، حيث تجمع الطلاب في ساحات المدارس وامتنعوا عن دخول قاعات الدرس وقسم منهم لم يأت للمدرسة وقسم آخر غادر . وفي ساحات المدارس جرت مظاهرات وهتافات ضد اسرائيل وضد العدوان وحياة المقاومة وفلسطين.. ورددت اناشيد صوت فلسطين خاصة نشـــيد بلادي نحن ثورة ضد الاعادي ... وقد هوجمت المدارس الثانوية في كل من نابلس ورام الله وبيت لحم وجنين وطولكرم والقيت قنابل مســيلة للدموع واعتقل عدد كبير من الطلبة .

من الصباح الباكريوم **الخميس ١٢/٤/١٩٧٣** تقاطرت مئات السيارات من كل من **الضفة الغربية وقطاع غزة** (لمدينة بيرزيت) لتتجمع في بيت (آل ناصر) للتعزية بالشهيد كمال ناصر . ولدى ملاحظـة السلطات التجمع الكبير داخل المدينة فقد أقفلت الطريق المؤدية لبيرزيت بحواجز شائكــة تحرسها قوى مدرعة ومحمولة من قوات الجيش الاسرائيلي واوقفت السيارات ومنعت الركاب من دخــــول المدينة وكان الناس يترجلون ويتجمعون في هذه النقطة . وقد وصلً عدد السيارات الى اكثر من ٣٠٠ سيارة حتى الساعة ١٢ ظهرا . وبدأ قسم منهم بالسير على الاقدام الى بيرزيت وقسم آخر بدأ يهتف ضد السلطات مما دعــا لتعزيز قوات الجيش في هذه النقاط واجبروا القسم المتبقي منها على العودة .

ثم قام تجمع داخل المدينة بتظاهــرة الى جانب السكان قدرها شاهد عيان بـــ ٣٠٠٠ شخص على الاقل . بدأت بهتافات وطنية ورفعت العلم الفلسطيني مما اهاج الجماهير ولدى تقدم قوة بوليـــس لانزالً العلم تعاركت الجماهير بالايدي مع افراد هذه القوة واوسعوهم ضربا مما اضطرهم للانسحاب وظلً علم فلسطين مرفوعا والجماهير مستمرة في مظاهرتها . وكانت الهتافات على النحو التالي :

يااللي استشهدوا جوا بيروت
دم الثوار عمــرو مــا يفوت

على لحن دلعونا الشعبي الفلسطيني . ثم هتاف بلادي ، بلادي بلادي ، انت ثورة على الاعادي . وهتف المتظاهرون بسقوط الاحتلال والقتلة المجرمين كما وهتفوا بحياة الشهداء الثلاثة وبالاسماء . ثم سارت جنازة رمزية داخل المدينة . وفي نهاية مسيرة المظاهرة والجنازة الرمزية عقدت تجمع تأبين وخطب عدد من الخطباء بينهم مدرس ندد بالعدوان وبالاحتلالً . وقام اخر بالقاء قصيدة مشهورة للشهيد كمال ناصر (عن القدس) .

ــ في قرى الضفة والقطاع . كان الناس يؤلفون تجمعات في الشوارع يتبادلون اخر اخبار المجزرة ويعزون بعضهم بالشهداء . وعمت حالة وجوم وركود عام في معظم قرى الضفة . وقد حولت بعض الافراح الى مظاهرات واهازيج الافـــراح حورت عن شهداء بيروت وآلام الهجوم ولم يذهب قسم كبير من العمال للعمل في اسرائيل وقســم آخر منهم تعارك في داخل المصانع مع عمـــال واداريين اسرائيليين لدى مناقشتهم للاحداث التي جرت خلال ذلك اليوم .

ــ **يوم الجمعة ١٣/٤/١٩٧٣** صمت ووجوم عــام حتى الصباح وكان يتوقع خروج مظاهرات من المساجد بعد صلاة الجمعة .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضيـة الفلسطينية عسكريا

تحليل عسكري لحديث الرئيس انور السادات :

من ابرز النقاط العسكرية التي وردت في حديث الرئيس انور السادات مع ارنو بورغراف مدير تحرير نيوزويك الامريكية والذي نشر في عـدد (١٩٧٣/٤/٩) النقاط التالية :

١ — ان لا بديل للمعركة لاسترداد الحق وتحرير الارض المحتلة بعـد ان استنفدت القاهـرة جميع الوسائل الاخرى لتحقيق السلام العادل .

٢ — ان الموقف في الشرق الاوسط سيكون أخطر من الموقف في فيتنام . وان الولايات المتحـدة ترتكب أكبر الاخطاء اذا اعتقدت ان العـرب مشلولون تماما .

٣ — ان الولايات المتحدة ستستيقظ قريبا على صدمة في المنطقة فهي لم تدع للعرب سبيلا آخر .

٤ — ان من المتعذر على اسرائيل ان تحقـق انتصارا شاملا على العرب ، وان الغزاة مهزومون في النهاية كما هزم جميع الغزاة عبر التاريخ .

٥ — ان الايام المقبلة ستثبت عجز اسرائيل عن البقاء في حالة اللاسلم واللاحرب .

٦ — ان من الممكن ضمان حرية الملاحة في شرم الشيخ بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي . كتسليم مهمة حماية الملاحة مثلا للدول الخمس الكبرى في مجلس الامن (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين) .

٧ — ان استمرار القتال شرط هام واساسي لاجراء مباحثات السلام .

وليست النقطة الاولى في حديث الرئيس السادات جديدة كليا ، فهي تكرار لما قاله من قبـل حول ضرورة المعركة المسلحة بالاضافـة للاساليـب السياسية والدبلوماسية كوسيلة لقهر ارادة العدو واجباره على التخلي عن مطامعه التوسعية . كما انها تطبيق لمبدأين اطلقهما الرئيس عبد الناصر : « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » و « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . والجديد هنا هو ان المعركة المسلحة تقدمت في جدول افضليات الوسائل التي يمكن استخدامها حتى أصبحت على رأس هذا الجدول بعد ان نشلت كافة الوسائل السياسية — الدبلوماسية بسبب التعنت الاسرائيلي المدعوم بمباركة امريكية كاملة على كل المستويات. والحقيقة ان القاهرة لم تأل جهدا في محاولة ايجاد حل بمختلف الوسائل. فلقد قبلت المبادرات المتعددة وقدمت مبادراتها الخاصة . وسارت على الطريق السياسي مستخدمة كافة السبل لتجد في النهاية ان عليها ان تستخدم الوسيلة النهائية — الحرب — كامتداد عنيف لسياستها . فلماذا انتهى الموقف الى هذا الطريق المسدود الذي يهدد بالانفجار ؟

لقد ادت حرب ١٩٦٧ الى احتلال اراض عربية معينة ، وامتلكت اسرائيل بذلك اوراقا متعددة (اراضي ، ومصادر ثروة ، ومواقع استراتيجية ، وسكان) ، واخذت تستخدم هذه الاوراق في اللعبة السياسية الرامية الى تحقيق هدف الحرب المزدوج (الامن والتوسع) . وهي لا تنكر رغباتهـا التوسعية التي تشمل في اكثر الاتجاهات الاسرائيلية اعتدالا الجولان والقدس وشرم الشيخ . وتمتد في الاتجاهات الاخرى الى مناطق واسعة في سيناء والضفة الغربية . كما انها تخفي هذه الرغبات وراء ضرورات الامن ومتطلباته . واذا كـان المتطرفون الاسرائيليون يدعون بأن من الضروري الحفاظ على جميع الاراضي المحتلة لتحقيق حلم اسرائيل الكبرى فان اكثر الاسرائيليين اعتدالا يرون ان كل ما تود اسرائيل الحفاظ عليه من اراض لا يستهدف سوى ايجاد حدود آمنة .

بيد ان الحقيقة تفرض علينا فصل الهدف المزدوج (التوسع والامن) الى هدفين : اولهما هدف يرغب الاسرائيليون تحقيقه وهو التوسع عـلى قدر الامكان وبأكبر قسط يسمح به الوضع العربي والدولي الحاليين .

اما الثاني فهو هدف يطرحونه دعاويا لتحقيـق اغراض اخرى رغم انه محقق بالفعل عن طريق حجم القوة المتفوقة الرادعة التي ضمنت الولايات المتحدة تفوقها بحجة تهدئة المنطقة .

ان اسرائيل التي تتحدث عن الامن كانت منـذ وجودها عنصر الخطر في المنطقة ، ولم تكن في يوم من الايام معرضة لخطر جدي ماحق ، كما انها حققت أمنها منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم عن طريق الردع والمعلومات وضمانات الدول الامبريالية لا عن طريق الحدود الامنة . أي ان امنها كان — ولا

يزال — أمن قوة ديناميكية لا أمن حدود جيو — طوبوغرافية ملائمة .

وهكذا يمكننا ان نقول ان معطيات الموقف الاسرائيلي — المدعوم امبرياليا — هي التمسك برهينـــة والمساومة عليها لتحقيق هدف التوسع مع طرح هدف الامن لاغراض دعاوية . اما معطيات الموقف العربي فهي : الرغبة الملحة في تحرير الارض العربية كلها ومنع أي توسع مقبل ، وتحقيق الامن على الارض العربية خاصة وان العدو الاسرائيلي يعرض هذا الامن للخطر على الحدود وفي عمـق الاراضي العربية ، ويهدد بتوسيع حدود نشاطه التخريبي الى بلدان عربية بعيدة جغرافيا عن جبهة الصراع (الكويت ، السعودية ، ليبيا ... الخ).

وما دامت معطيات الموقفين العربي والاسرائيلي متناقضة الى هذا الحد (توسع وتهديد مقابل تحرير وأمن) ، وما دام العدو المعتدي يملك الرهينة ، وما دام المجتمع الدولي عاجزا عـن اجباره على التخلي عنها ، فان على الطرف المعتدى عليه ، والذي استنزف كـل الامكانات السياسية والدبلوماسية، ان يلجأ الى الحكم الاخير وهو المعركة التي لن تكون نتائجها مهما ســاءت أسوأ من النتائج التاريخية الرهيبة (قوميـــا وحضاريا) المترتبة على الاستسلام لشروط العدو. من هنا جاء حديث الرئيس السادات عن المعركة ذلك « الباب الضيق » الذي لا بد من اقتحامه بعد رحلة العمل السياسي — الدبلوماسي التي دامت ست سنوات دون ان تصل الى أية نتيجة . علما بأنه كان بوسع التحليل العلمي المبني على تحديد صحيح للقوى المادية وحجم مصالحهـا وترابطها واهدافها والشراسة التي سيستخدمهـا العدو للحفاظ على هذه المصالح وتحقيق تـلك الاهداف ان يصل مسبقا — وقبل اضاعة ست سنوات — الى أن الجهود السياسيـــة — الدبلوماسية ستكون عقيمة ، وان الكفاح المسلح (المعركة) هو السبيل الوحيد « لاسترداد الحق وتحرير الارض » وهذا ما وصلت اليه المقاومة الفلسطينية عندما اطلقت الرصاصة الاولى .

وتأتي خطورة الموقف المذكورة في النقطة العسكرية الثانية من حساسية موقع الشرق الاوسط واهميته الاستراتيجية والاقتصادية وحجم القوى التي يبدو ان الامبريالية الامريكية مستعدة لاستخدامها للحفاظ على موطىء قدم في بلادنا ، ومتابعة نهب ثرواتنا. كما انها تأتي من ضخامة القوى البشرية التي يستطيع العرب زجها في المعركة وسعة الاراضي التي ستندلع عليها نـيران القتال واطلال هذه الاراضي على العديد من البحار والممرات الحساسة بالنسبة للاستراتيجية الامريكية في مجابهة الاتحاد السوفييتي ، واهمية المصادر الاقتصادية التي يمكن للعرب استخدامها في الصراع كما يمكن ان تدمر خلال القتال وأثر ذلك على الاقتصاد العالمي كله ، وقرب الاتحاد السوفييتي من مســارح العمليات واحتمالات تدخله بقوى تقليدية تصعد العملية الى صراع بين العمالقة ، ووجود قوى عربية رجعية مرتبطة بعجلة الامبريالية ومستعدة لتحويل المعركة من حرب بين العرب وعـدوهم الامبريالي — الاسرائيلي الى حرب مختلطة معقدة يمتزج فيها الصراع ضد الغزاة الخارجيين مع حرب أهلية عربية — عربية . بالاضافة الى ان ضخامة « هدف الرهان » بالنسبة للعرب واسرائيل، وطبيعة العدو الاسرائيلي وارتباطاته مع الصهيونية العالمية ووجود قوات مسلحة اسرائيلية تقاتل مع شعب اسرائيلي مستورد ومعبأ تعبئة عنصريـة حاقدة ويشكل قاعدة متينة الى حد ما تقف وراء القوات المسلحة عبارة عن عوامل تميل الى زيادة حدة القتال وتصعيد خطورة الموقف .

ان « الكابوس المفزع الذي يضع نهاية لكل الاحلام المفزعة » الذي تحدث عنه الرئيس الســادات سيكون في تصورنا حربا طويلة شاملة ضد الامبريالية واسرائيل تمتد على كل الارض العربية وتهدد جميع المصالح الامبريالية في وطننا الكبير وتشترك فيها الولايات المتحدة بشكل متدرج اشتراكا ظاهرا وخفيا يحمل في طياته بذور صدام غير محدود مع قوى غير محدودة .

وتتحدث النقطة الثالثة عن الصدمة التي ستوقظ الولايات المتحدة ، « فلقد آن الاوان لصدمة » . وهذا تهديد باستخدام السلاح — دون تحديد ما اذا كان هذا السلاح حربيا ام اقتصاديـــا أم سياسيا . ويدخل هذا التهديد بمضمونه في مجموعة التهديد الذي وجهه الرئيس السادات الى نيكسون من قبل بانتظار « خريف ساخن » والتهديد الذي سبقه باستخدام البترول في المعركة والتهديـــد المعروف باعلان « سنة الحسم » . ونقطة الضعف في التهديد الجديد هي انخفاض مصداقية التصريحات العربية في العالم بعد سلسلة من التصريحات والتهديدات التي لم تنفذ . ولا شك في ان الرئيس

السادات قد وعى هذه الحقيقة وفسر سبب عدم تنفيذ التهديدات السابقة بقوله : « كانت لدي خططي في ذلك الوقت ، ولكنها تغيرت لاسباب عديدة . أعطيت كلمتي بان انتظر الانتخابات الامريكية قبل ان اتحرك . وانتظرت ، ولكن خططي تغيرت » مؤكدا بذلك جدية تهديداته في ظروف لحظة اطلاقها ، وتعذر تنفيذها بعد ذلك بسبب تغيرات داخلية وخارجية كبيرة .

ولكن ترى كيف يمكن ان تكون الصدمة . وهل ستكون ضربة اقتصادية بترولية اساسا ، أم ضربة عسكرية ، أم عودة عسكرية سوفييتية على نطاق واسع تنفيذا لمعاهدة دفاع لا تزال قائمة ؟. ان الرئيس السادات لا يذكر ذلك . ولكنه يحدد بان الجهود الديبلوماسية ستستمر « قبل واثناء وبعد المعركة » .

وتؤكد النقطة الرابعة تعذر انتصار اسرائيل الشامل على العرب وانها ستصل في النتيجة الى الهزيمة . ومن المؤكد ان اسرائيل تعرف ذلك جيدا وتعي ان انتصاراتها العسكرية ستبقى في اطار ربح المعارك لا ربح الحرب ، وتعرف ان قوتها العسكرية ستذوب في النهاية وسط البحر العربي الواسع . فلقد حققت في عام ١٩٦٧ انتصارا عسكريا لا جدال فيه ، ولكن هل حققت ما تصبو اليه ، وهل انتهت حالة الحرب التي يعيشها الانسان الاسرائيلي منذ ٢٥ عاما ؟ وهل ستنتهي هذه الحالة اذا ما وصلت جيوشها الى دمشق وعمان والقاهرة ؟ كلا . انها ستبقى دائما جسما غريبا مغروسا في محيط معاد ، وستعيش دائما في جو التوتر والكراهية وراء جدار الدم الذي بنته بنفسها ، والذي سينهار في النهاية فوقها ، وسيبقى الاستعداد الحربي شغلها الشاغل وخبزها اليومي ، وستبقى دائما دولة تعيش على فوهة بركان لا بد ان ينفجر .

ان المجتمعات لا تبني حضاراتها بهذا الاسلوب . ولا تستطيع أية دولة ان تبقى في حالة حرب مع جيرانها الى الابد ، ولا يعرف التاريخ امة غازية استطاعت البقاء منتصرة الى الابد . هذا قانون تاريخي ثابت على مر العصور ، ولكن ثباته سيبقى حقيقة كامنة لا تتحول الى حقيقة ملموسة الا اذا استيقظت الجماهير العربية وصنعت تاريخها بنفسها طاوية بذلك صفحة من صفحات غزوات الابادة والوحشية التي تعرضت لها امتنا .

وعندما سأل بورغراف الرئيس انور السادات « ولكن هل الموقف الراهن [اللاحرب واللاسلم] أفضل من سيناء منزوعة السلاح ؟ » اجابه الرئيس : « دعنا نرى ما اذا كانوا قادرين على البقاء على هذا النحو . انني اقول انهم لن يستطيعوا ، وسوف ترى في القريب العاجل اننا على صواب » . والتهديد موجه هذه المرة الى اسرائيل والولايات المتحدة معا وهو تهديد واضح في الزمان (القريب العاجل) والمكان (سيناء) فهل يعني ذلك القيام قريبا بمعركة في سيناء ؟ ان الجماهير المصرية والعربية تضغط باتجاه الحرب. وتقف سوريا من اسرائيل موقفا متشددا تزداد صلابته مع تزايد الاستقرار وتنامي الوحدة الوطنية في سوريا . ويضغط الرئيس معمر القذافي مطالبا بشن معركة تحرر سيناء مهما كانت التضحيات. ولا بد أن كل هذه العوامل ستلعب دورا ايجابيا في أخذ قرار المعركة . ولكن العامل الاهم سيكون دائما القوة التي يمكن استخدامها في هذه المعركة اي : طبيعة تماسك الجبهة الداخلية ، ومدى استعداد القوات المسلحة النظامية وغير النظامية، وقدرة القيادة السياسية — العسكرية على استخدام هذه القوات على ارض المعركة .

أما ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية في شرم الشيخ بضمانات دولية (النقطة السادسة) فهو يدخل ضمن اطار اعادة جوهر الوضع في شرم الشيخ الى ما كان عليه في يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ . فلقد كان هذا الممر تحت حراسة قوة من الطوارىء الدولية حتى سحب الرئيس عبد الناصر هذه القوة واغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية . ومن الواضح عسكريا ان هذه الخطوة تعني حرمان مصر في أي صراع مقبل يجري ضمن اطار الاستراتيجية غير المباشرة من تنفيذ الخنق الاستراتيجي القريب ، الامر الذي لا يعني بالضرورة حرمانها من الخنق الاستراتيجي البعيد الذي قد يكون اكبر اثرا وأشد فعالية .

والنقطة السابعة والاخيرة الخاصة بضرورة استمرار القتال كشرط هام واساسي في مباحثات السلام هي أهم النقاط الواردة في حديث الرئيس السادات وأكثرها حيوية في الوضع الراهن الذي تضغط فيه القوى الدولية باتجاه ضرورة ايجاد حل سلمي للنزاع في منطقتنا .

وتأتي اهمية هذه النقطة من أن المباحثات

والمفاوضات في اي نزاع هي اساسا جزء من هذا النزاع وامتداد له . اذ ان النزاع يبدأ سياسيا ويتصاعد حتى الذروة العسكرية، ثم يعود بعد المعركة الى الحقل السياسي حيث تجري تصفية الامور وتقديم التنازلات والتخلي عن هذا الربح او ذاك مقابل تحقيق ربح اخر ضمن اطار حل وسط . وتكون مواقف كل طرف من الطرفين المتنازعين ومطالبهما خلال المباحثات متناسبة مع وضعه العسكري ، ونتيجة القتال السابق ، والضغوط السياسية — الديبلوماسية — الاقتصادية الدولية ، ومستوى التماسك الداخلي ، وتوقعات الخسارة المقبلة في حالة تجدد الاشتباكات، واهمية هذه الخسارة بالنسبة للربح المنتظر من التصلب . لذا يحاول كل طرف من الاطراف تحسين هذه النقاط لصالحه قبل بدء المباحثات او خلالها (وهذا ما يفسر عنف العمليات العسكرية وكثافة النشاط السياسي — الدبلوماسي في فترة ما قبل المباحثات أو في فترات انقطاعها لسبب من الاسباب) ، كما يحاول اطالة أمد الصراع لاقناع الطرف الاخر بامكانية تقديم تنازلات كانت من قبل مرفوضة .

واذا طبقنا هذا المبدأ على واقع المباحثات التي يلح المجتمع الدولي علينا لاجرائها كمدخل لحل النزاع بعد اختفاء كثير من بؤر التوتر في العالم وجدنا أن تصلب اسرائيل ورغبتها في اجبار العرب على توقيع صك استسلام كامل ناجمان عن التفوق العسكري الاسرائيلي المضمون امريكيا ، ووجود رهينة كبيرة بيد العدو يساوم عليها ويلوح بالاحتفاظ بها ، وضعف الضغوط الداخلية لدرجة كبيرة داخل معسكرالعدو،وانخفاض تأثير الضغوط الدوليةبسبب التأييد الامريكي على جميع المستويات . والنقطة الوحيدة التي يمكن تبديلها بشكل ملحوظ والتأثير بذلك على العدو هي : تجديد القتال بصورة تؤكد بأن الخسائر التي سيتكبدها العدو اكبر من المكاسب التي يساوم عليها . اما بالنسبة للعرب،فان اية خسائر يتكبدونها خلال الصراع ستبقى على المدى التاريخي اقل خطورة من الاستسلام .

والسؤال هو ما هي القوات التي ستجدد القتال ؟ وهل ستجدده باسلوب الحرب التقليدية الشاملة ، أم بحرب استنزاف ، ام بتسخين الجبهات وخاصة جبهتي قناة السويس والحدود السورية ، ام عن طريق تدعيم حركة المقاومة الى أبعد مدى وفتح المجال امامها للعمل بحرية كاملة ، ام بشكل يجمع الاساليب كلها بنسب متفاوتة ؟ ان رئيس اركان الجيش الاسرائيلي يهدد بأنه لن يسمح للعرب بممارسة « لعبة الحرب المحدودة في الوقت والمكان والاسلوب»وانه سيقلب مثل هذه العمليات الىحرب شاملة (نشرةرصد اذاعة اسرائيل العبرية رقم ٢٠٩) ولا يحدد الرئيس السادات في حديثه اسلوب الحرب المنتظرة ، ولكنه يؤكد ان عملية الحشد اللازمة لتجديد القتال قائمة « وكل شيء يتغير هنا ايضا ... من اجل المعركة » .

ان تحليل المسائل العسكرية الواردة في حديث الرئيس انور السادات مع مجلة نيوزويك يلقي كثيرا من الاضواء على مستقبل الصراع واحتمالاته وآثاره . وستبقى الصور المشرقة التي رسمها هذا الحديث أملا يدغدغ نفوس الجماهير العربية حتى تندلع احداث ترفع المصداقية العربية الى مستوى لم يعرف من قبل ، وتقلب ل جماهيرنا الى حقائق ملموسة .

وصول القوات المغربية سوريا :

اعلنت سفارة المملكة ربية في الشهر الماضي عن وصول القوات ربية التي أرسلها الملك الحسن الثاني لدعم الجيش العربي السوري الذي غدا بعد تراجعات النظام الاردني ، وانسحاب القوات العراقية الى مناطق تجمع بعيدة واقعة قرب الحدود العراقية — الاردنية، وتضييق الخناق على حركة المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ حتى اليوم، القوة العربية الاساسية في الجبهة الشمالية .

ولقد كثر الحديث داخل المغرب وفي الاقطار العربية قاطبة عن الاسباب السياسية الكامنة وراء ارسال هذه القوات ، وعن العوامل التي دفعت ملك المغرب الى اتخاذ هذه الخطوة . ولقد قيل من جملة ما قيل أن الغاية من هذا العمل ابعاد بعض القوات المغربية المعارضة للحكم وخاصة بعد تزايد النقمة داخل الجيش على أثر حادثتي الصخيرات، ومحاولة اسقاط طائرة الملك وما تلاهما من ملاحقات ومحاكمات وتصفيات داخل الجيش وخارجه . وقيل أن تصاعد النقمة الشعبية في المغرب ، وتزايد الحركة الجماهيرية المعارضة للنظام واحتمالات انفجار الكفاح المسلح الريفي والمديني بقيادة الحركة الاشتراكية الرئيسية المعارضة (اتحاد القوى الشعبية) دفعت الملك الى القيام بهذه الخطوة لاكتساب سمعة جماهيرية في بلد يتأجج شعوره القومي ، وينظر باهتمام الى الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويعتبر المشرق

العربي كعبته ومصدر وحيه الحضاري .

ولقد نظرت الحكومة السورية الى الامر من زاوية اخرى ، ورأت فيه خطوة محدودة على طريق عروبة المعركة وزج الامكانات العربية كلها في القتال . لذا قبلت العرض المغربي ووافقت على قدوم قوات قوامها متطوعون من الجيش المغربي . ويذكر رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي عن ملابسات هذا الموضوع : « نحن بعد المعارك الاخيرة زرناهم وشرحنا موقفنا ، فقال لنا المغاربة: نستطيع ان نساعدكم ببعض القطعات من القوات المسلحة . وفي السابق لم تكن بيننا اتصالات تذكر. قبلنا العرض المغربي . والقوة التي ستأتي هي من المتطوعين من الجيش المغربي . وستأخذ هذه القوة موقعها في الجبهة بحسب حجمها » (الصياد عدد ١٤٨٩ ، ٣/٢٩ — ١٩٧٣/٤/٥) .

واذا ما درسنا المسالة من زاويتها العسكرية وجدنا أن للمسالة مدلولين هما : المدلول المبدئي، والمدلول العملي . ويتمتع المدلول المبدئي بأهمية استراتيجية بالغة لان قدوم قوات عربية مغربية او غير مغربية لاخذ مواقعها على الجبهة السورية او المصرية عمل صحيح يتطابق مع أبسط قواعد الحشد وتجميع القوى . وينسجم مع فكرة تقريب القوى من العمق الاستراتيجي العربي الكبير الى العمق التكتيكي او العملياتي على الاقل لتكون قوة مؤثرة قادرة على الاشتباك بفاعلية في حالة الصدام مع العدو بمعركة تقليدية سريعة ، او بمعركة استنزاف طويلة الامد .

وينبع المدلول العملي من حجم القوات المتحركة باتجاه مسرح العمليات وطبيعة تسليحها وتدريبها ومستوى قياداتها . ولقد تناقلت وكالات الانباء ان هذه القوات ستضم عدة الاف. ولم ينشر حتى الان العدد الصحيح للقوات المكلفة بالذهاب الى سورية او التي وصلت واخذت مواقعها على الحدود .

وكل ما يعرفه حتى اليوم هو أنها قوات مزودة بكامل سلاحها وعتادها . وتتمتع بمعنويات رائعة وكفاءة قتالية . ولا تقل أهمية هذه القوات بأي حال من الاحوال عن اهمية الوحدات الكويتية التي رابطت على قناة السويس الى جانب قطعات الجيش المصري منذ حرب ١٩٦٧ . ولكنها تبقى مع ذلك قوة محدودة لا تؤثر على ميزان القوى البرية على خط المواجهة مع العدو .

ولا تشمل القوات المغربية المتطوعة للعمل في سورية قوات جوية أو وحدات دفاع متقدمة تقنيا (صواريخ) مع ان مساعدة الطيران السوري لزيادة فاعليته الهجومية والدفاعية أمر بالغ الاهمية بالنسبة للمواجهة مع اسرائيل . ومن المعروف ان المساعدة الجوية (طائرات — طيارين — أجهزة رصد وكشف — فنيين .. الخ) اكثر تكلفة من المساعدة البرية ولكنها اسهل منها بكثير لانها لا تتطلب نقل اعداد كبيرة من الاشخاص — وما يعقب ذلك من تعقيدات ادارية — بل تعتمد على زيادة القوة بشكل ملحوظ عن طريق زيادة عدد اسراب الطائرات وبطاريات الصواريخ المضادة او تقديم عدد من الطيارين والفنيين المؤهلين تأهيلا عاليا . والحقيقة ان الدول المتحالفة او الصديقة — غير الذرية — التي تود مساعدة بعضها تبدأ قبل كل شيء بتقديم المعدات القتالية المتطورة (طائرات ، صواريخ ارض — جو ضد الطائرات، بطاريات صواريخ ارض — أرض ، بطاريات مدفعية محمولة ، مدرعات ثقيلة ، مدرعات برمائية قطع بحرية .. الخ) بالاضافة الى الكوادر العالية والفنيين النادرين الذين يحتاج اعدادهم زمنا طويلا . ثم تقدم بعد ذلك قوات مدرعة كاملة تمتاز بقلة رجالها وضخامة قوتها النارية ، لتصل في النهاية الى تقديم القوات البرية التقليدية . وكان من الممكن ان يكون اثر القوات المغربية اكبر بكثير لو تمت المساعدة وفق هذه المبادىء .

ولا يمكن فهم الاسباب التي حددت حجم القوات المغربية الا بعد القاء الضوء على القوات المسلحة المغربية — عدا القوات شبه العسكرية — حسب معطيات كتاب : The Military Balance 72-1973 الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .

ان ميزانية الدفاع المغربية لعام ١٩٧٢ هي ١٢٤ مليون دولار . وتضم القوات المسلحة المغربية :

أ — **الجيش** ٤٨٠٠٠ رجل .

— ١ لواء مدرع
— ٣ الوية مشاة آلية
— ١ لواء أمن خفيف
— ١ لواء مظلات
— ٩ كتائب مشاة مستقلة
— ١ كتيبة حرس ملكي
— ٢ مجموع كتيبتي هجانة
— ٣ كتائب فرسان صحراوية

— ٥ مجموعات مدفعية
— ٢ كتائب مهندسين
— دبابات متوسطة ت — ٥٤ عدد ١٢٠
— دبابات خفيفة آ — ام — اكس عدد ١٢٠
— سيارات مدرعة ي ب ر — ٧٥ عدد ٣٦
— سيارات مدرعة آ — م — ل ٢٤٥ وم — ٨ عدد ٥٠
— ناقلات جنود مدرعة نصف مجنزرة م-٣ عدد٤٠
— ناقلات جنود مدرعة تشيكية عدد ٩٥
— مدافع ذاتية الحركة س — يو — ١٠٠ وآ — ام — اكس ١٠٥ عدد ٢٥
— مدافع هاوتزر ٧٥ و١٠٥ مم
— طائرات عمودية (هليكوبتر) آلويت عدد ٦

ب — **الاسطول : ١٥٠٠ رجل**

— ١ فرقاطة
— ٢ خفر سواحل
— ١ زورق دورية
— ١١ زورق دورية (اقل من مائة طن)
— ١ سفينة انزال .

ج — **القوات الجوية : ٤٠٠٠ رجل**

— ٤٨ طائرة مقاتلة منها ٢٠ طائرة معترضة ف — ٥ آ ، و٤ طائرات معترضة ف — ٥ ب، و٢٤ طائرة ماجستير مسلحة .
— ٣٥ طائرة تدريب ت — ٦ و ٢٥ طائرة ت — ٢٨
— ١٠ طائرات نقل سي — ٤٧
— ١١ طائرة نقل سي — ١١٩
— طائرات عمودية آب — ٢٥ عدد ١٢
— طائرات عمودية هـ هـ ٤٣ عدد ٦
— طائرات عمودية و هـ — ١٣
— ١٢ طائرة ميغ ١٧ (في المخزن)

فاذا اخذنا القوات السورية المسلحة كدليل للمقارنة بغية تكوين صورة ملموسة عن القوات المسلحة المغربية وجدنا أن تعداد الجيش المغربي (٤٨ الفا) يعادل نصف تعداد الجيش السوري (١٠٠ الف) . أما دباباته ومدفعيته وناقلاته المدرعة فلا تكاد تعادل خمس دبابات السوريين ومدفعيتهم وناقلاتهم المدرعة. ويملك السلاح الجوي المغربي من الطائرات المقاتلة نحو ربع ما يملكه الطيران السوري مع تفوق طائرات السوخوي والميغ ٢١ السوفياتية الصنع تفوقا ساحقا لا حدود له على الطائرات المعترضة ف — ٥ ب و — ف ٥ آ الامريكية الصنع وماجستير الفرنسية الصنع .

والوضع مشابه بالنسبة لسلاح البحرية فالاسطول المغربي أصغر من الاسطول السوري الذي يعتبر في الاصل صغيرا ، كما انه لا يضم غواصات او مراكب حاملة صواريخ بحر — بحر على حين تضم البحرية السورية عددا من الغواصات الراسية في الموانىء المصرية و٦ زوارق سوفياتية من طراز كومار مزودة بصواريخ بحر — بحر .

وتصل بنا دراسة جداول القوات المسلحة المغربية ومقارنتها مع قوات دولة من دول المجابهة [سوريه] الى الملاحظات التالية :

١ — ان حجم القوات المسلحة المغربية كلها صغير جدا بالنسبة لعدد السكان (٥٣٤٥٠٠ رجل من سكان عددهم ١٦٤٥٠٠٤٠٠٠ نسمة متقابل ١١٢٤٠٠٠ جندي سوري من اصل سكان عددهم ٦٤٤٥٠٤٠٠٠ نسمة) .

٢ — ان مصروفات التسلح ضئيلة بالنسبة للدخل القومي (٣٤٦٠ ٪ مقابل ١١٤٤ ٪ في سورية) .

٣ — ان الطائرات المقاتلة المغربية محدودة العدد وغير متطورة ، ومعظمها امريكي الصنع .

٤ — القوات المدرعة محدودة نسبيا ونصفها من الدبابات الخفيفة الفرنسية آ — ام —اكس— ١٣.

٥ — ان القوات البحرية محدودة وغير مجهزة بغواصات او بمراكب سطح حديثة ، ولا تعدو أن تكون اسطول حراسة صغير .

٦ — قوات المظلات كبيرة بالنسبة للقوات المظلية السورية (لواء مظلي مغربي مقابل كتيبة مظلية سورية) . ولكن عدد الطائرات العمودية (الهليكوبتر) في المغرب يعني ان هذا اللواء مظلي تقليدي من الطراز الذي قل استخدامه في الحرب الحديثة لا مظلي محمول بالهليكوبتر صالح للقتال في ظروف المعركة المعاصرة .

٧ — عدم وجود وحدات صواريخ أرض — جو ووحدات صواريخ ارض — ارض ووحدات ودبابات مضادة للطائرات او دبابات برمائية او بطاريات مدافع محمولة ذاتية الحركة في الجيش المغربي .

وتعني الملاحظتان ١ و٢ [ويمكن ان نصل الى النتائج نفسها اذا ما ادخلنا في المقارنة العراق

ومصر والاردن* مقابل السعودية وليبيا وتونس] ان البلدان العربية الواقعة على خط المجابهة مع اسرائيل او القريبة من هذا الخط تكرس لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية تفوق بكثير الطاقة التي تكرسها الدول العربية البعيدة عن خط المجابهة [باستثناء الجزائر] . رغم ان دول المجابهة بحاجة ملحة لهذه الطاقة في سبيل تنفيذ برامج التنمية الرامية الى رفع مستوى الحياة والخروج من حالة التخلف ، وتقوية القدرة على المجابهة ايضا .

وتعني الملاحظة الثالثة ان الدعم الجوي الذي يمكن للمغرب (حاليا) ان يتدمه دعم محدود بقلة عدد الطائرات المقاتلة ، وبتحديدات الولايات المتحدة التي تمنع ارسال الطائرات الى منطقة الشرق الاوسط بغية الحفاظ على التفوق الاسرائيلي . ولكن وجود ١٢ طائرة ميغ ١٧ في المخزن يترك المجال مفتوحا امام ارسال هذه الطائرات السوفياتية غير الخاضعة لشروط الانتقال الى منطقة المواجهة ، كما يضيء السبيل أمام قدرة المغرب على كسر طوق السلاح وتزويد سوريا او غيرها من بلدان المجابهة بطائرات سوفياتية جديدة.

وتعني الملاحظة الرابعة ان الدعم البري بوحدات مدرعة مزودة بدبابات سوفياتية متوسطة ت — ٥٤ أمر ممكن لا يخضع للتحديدات ، على حين ان ارسال وحدات مدرعة مزودة بدبابات فرنسية خفيفة آ — ام — اكس قد يلاقي معارضة باريس التي قررت بعد حرب ١٩٦٧ حظر شحن الاسلحة الى منطقة المجابهة .

وتجيء الملاحظة الخامسة لتؤكد تعذر تقديم دعم بحري مغربي في الوقت الحاضر .

اما الملاحظة السادسة فتعني ان بوسع المغرب دعم سورية بقوات مظلية قادرة على تنفيذ مهمات خاصة فعالة لا على تنفيذ مهمات مشاة عادية وذلك اذا ما زود هذه القوات بطائرات هليكوبتر لنقل الرجال والمعدات وطائرات هليكوبتر للقتال والحماية . ومع عدد من التقنيين .

وتعني الملاحظة السابعة عدم قدرة المغرب (حاليا) على رفع كفاءة الدفاع الجوي السوري أو زيادة ضخامة القوة النارية السورية عن طريق تزويد سورية بصواريخ ارض — جو وصواريخ ارض — ارض وشبكات الرادار والتقنيين المدربين اللازمين لاستخدام هذه المعدات المتطورة .

وتدلنا هذه الملاحظات بشكل لا يدع مجالا للشك على ان حركة تقريب القوات من المدى الاستراتيجي الى المدى العملياتي او المدى التكتيكي لا يمكن ان تعطي ثمارها وتؤثر على موازين القوى الا اذا تصرفت الدول العربية البعيدة عن ساحة الصراع بشكل ينسجم مع حجم الخطر الامبريالي — الاسرائيلي ، وكرست لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية كبيرة تتناسب مع امكاناتها البشرية ودخلها القومي المرتفع ، وتخلصت نهائيا من قيود التسليح التي تفرضها الولايات المتحدة الامريكية على العرب بغية تأمين تفوق العدو ومساعدته على تكريس عدوانه وفرض شروطه .

ان القوة المغربية التي وصلت الى سوريه لتعزيز قدرتها العسكرية تبقى — رغم اهمية الفكرة الاستراتيجية الكامنة في مثل هذا العمل — قوة رمزية لا تلعب دورا مؤثرا في تبديل ميزان القوى . وهي كما وصفها رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي « ليست حاسمة في المعركة » (الصياد عدد رقم ١٤٨٩) . ولا يمكن تقييمها الا كبداية محدودة تستقي اهميتها من انها تفتح أمام العرب بعدا جديدا ضروريا هو بعد « عروبة المعركة » بالمعنى الفعلي لا الدعاوي لهذا الشعار القومي الهام .

المقدم الهيثم الايوبي

* ان ذكر الاردن هنا لا يعني انه يقف بالنسبه للصراع العربي — الاسرائيلي في مستوى مصر وسورية والعراق رغم ان الملاحظات الخاصة بحجم التسليح بالنسبة لحجم القوة البشرية والاقتصادية يضعه الى جوار هذه الدول . ويرجع سبب استثناء الاردن هنا الى تصورنا للدوافع الامريكية الكامنة وراء تقوية الاردن عسكريا لا للصراع ضد اسرائيل بل للقيام بدور فعال ضد حركات التحرر الوطني العربية عندما ستلجأ الامبريالية الامريكية الى فتنة الشرق الاوسط على نطاق واسع ، وتحويل الصراع من صراع عربي ضد الامبريالية واسرائيل الى صراع عربي — عربي يخفف حدة النقمة العالمية على الولايات المتحدة ، ويأخذ طابع حرب اهلية تخفي القبضة الحديدية الامبريالية وراء قفاز عربي اسلامي .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٣/١٣ ــ ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١ ــ	٣/١٥	ــ	ميناء عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	اشعال خزانات البترول على امتداد عدة كيلومترات	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٣	٣/١٦
٢ ــ	٣/١٧	ــ	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة قرب مدرسة الغزالية	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٤	٣/١٨
٣ ــ	٣/١٧	ــ	القدس	تفجير	قنبلة حارقة ومتفجرة	عدد من الاصابات	حرق وتدمير مطعم «ماناريت» في شارع الزهراء .	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٥	٣/١٨
٤ ــ	٣/١٧	ــ	يــافا	كمين	غير محدد	١	ــ	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٦	٣/١٨
٥ ــ	٣/٢٣	ــ	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	عدد من الاصابات	تدمير باص لشركة « دان »	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٧	٣/٢٣
٦ ــ	٣/٢٤	٩،٣٠	رفح	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	غير محدد	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٨	٣/٢٤
٧ ــ	٣/٣٠	ــ	الخضيرة/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محطة الباصات المركزية لشركة ايجيد	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٠٩	٣/٣٠
٨ ــ	٣/٣٠	١٢،٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بلدية القدس باضرار	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧١٠	٣/٣٠
٩ ــ	٢/١٤	ــ	تل ابيب(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير فيمصنع للحقائب الجلدية في شارع الملك جورج	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧١١	٤/ ٤
١٠ ــ	٣/١١	١٧،٠٠	الخليل(*)	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	تدمير باص لشركة ايجيد بين خويلفة وبئر السبع	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧١٢	٤/ ٧

١١ —	٣/٢٠	١٢٤٠٠	القدس(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية تحمل انابيب غاز وصهاريج وقود واصابة بعض المباني بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٣	٤/ ٧
١٢ —	٤/ ٩	٨٤٣٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محطة الباصات رقم ١٢ التابعة لشركة ايجيد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٤	٤/ ٩
١٣ —	٤/ ٩	٩٤٠٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات متفجرة	غيرمحدد	تدمير جزء من بناية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٥	٤/١٠
١٤ —	٤/١٣	١٤٠٠	كريات جات/عسقلان	كمين	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٦	٤/١٣
١٥ —	٤/١٠	١٩٤٠٠	كفرالما/الجولان(*)	اشتباك	اسلحة مختلفة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	عدد من الاليات	٣(١)	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٧	٤/١٣
١٦ —	٤/١٠	١٤٠٠	بيروت	اشتباك	اسلحة مختلفة	عدد من الاصابات	عدد من الاسلحة والذخائر	٨(٢)	—	—	وفــا	٤/١٠

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٣ ــ ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١ ــ	٣/١٤	٢٢٠٠	قرية ابو سنان/الجليل الغربي	تفجير	ألغـام	٣	١	اصابة سيارة جيب	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٨٧ ص٥	٣/١٦
٢ ــ	٣/١٧	١٢٤٤٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	اصابة سيارة قرب مدرسة الغزالية	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٨٩ ص٢	٣/١٩
٣ ــ	٣/٢٣	ــ	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	اصابة اوتوبيس لشركة دان	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٩٢ ص٧	٣/٢٣
٤ ــ	٣/٢٤	ــ	رفح	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٥ ــ	٣/٢٤	٦٠٠	زرعيت	اشتباك	اسلحة رشاشة	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٦ ــ	٣/٣٠	٦٤٤٥	الخضيرة	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	٤	تفجير في محطة اوتوبيسات شركة ايجيد	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٩٨ ص٧	٣/٣٠
٧ ــ	٣/٣٠	ــ	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تفجير في حديقة اوستر امام مبنى البلدية	ــ	ــ	ــ	ن. عدد١٩٩ ص٦	٣/٣١
٨ ــ	٤/ ٩	٩٤٤٥	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	٢	جرى الانفجار في احد المنازل	ــ	ــ	ــ	ن. عدد٢٠٦ ص٨	٤/٩
٩ ــ	٤/١٠	١٠٠٠	بيروت(٢)	اشتباك	اسلحة مختلفة	٢	٢	ــ	٤٠	اصابة		ن. عدد٢٠٧ ص٨	٤/١٠
١٠ ــ	٤/١١	٢٠٠٠	كفار علما/الجولان	تفجير	عبوات	ــ	ــ	ــ	٣	ــ	ــ	ن. عدد٢٠٨ ص٦	٤/١١

* ــ اوردنا العمليات في هذا الجدول حسب تسلسل البيانات الصادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وبالتالي فان هذه العمليات ليست بتسلسل زمني متتابع .

١ ـ الشهيد سليمان يوسف « ابو جعفر » ــ الشهيد خليل عليان جبيلي « ربيع » ــ الشهيد محمد محمود صادق « ابو الرائد » .

٢ ــ قام العدو بهجوم واسع النطاق استهدف عددا من مساكن قيادات الثورة الفلسطينية في مدينة بيروت وكذلك بعض المكاتب ونشر الرعب في احياء اخرى في كل من بيروت وصيدا ، واستشهد في هذا الهجوم :

١ — الاخ الشهيد محمد يوسف النجار « ابو يوسف » .
٢ — الاخ الشهيد كمال عدوان .
٣ — الاخ الشهيد كمال ناصر .
٤ — الاخ الشهيد صلاح صبحي السبع « جابر » .
٥ — الاخ الشهيد دياب موسى ابو شحادة « ابو السعيد » .
٦ — الاخ الشهيد غانم عبد الرحمن السحامرة .
٧ — الاخ الشهيد زياد فاروق لويس « ابو العيس » .
٨ — الاخ الشهيد محمد سالم ابو سعدة « فتحي خليل ابو النمر » .

كما استشهد من جراء الاشتباكات عدد من الاخوة المواطنين ورجال الامن اللبناني وجرح عدد آخر .

٣ — لمزيد من التفاصيل حول ما ادعته اذاعة العدو حول هذا الاعتداء يرجى مراجعة نشرة رصد اذاعة اسرائيل الاعداد ٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

— ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

— وفا : وكالة الانباء الفلسطينية تصدر يوميا عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

تقريـــر

عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة ١٩٧٢/٨/١ — ١٩٧٣/٢/٢٠

مقدمة : يجمع هذا التقرير الاجزاء المتعلقة بتصاعد العمليات في الارض المحتلة التي وردت في ثلاثة تقارير سياسية صدرت عن مركز التخطيط الفلسطيني . ولهذا جاء مقسما على اساس ثلاث فترات تاريخية . ان الاهمية الخاصة لجمع تلك الاجزاء في تقرير واحد تكمن في الحاجة لمعرفة اوضاع الثورة المسلحة في الارض المحتلة بعد ان تعرضت لحملة تعتيم اعلامي مقصود ، ادى الى جعل الكثيرين حتى ممن يتابعون اخبار الثورة او من المنضمين لصفوف الثورة ، يظنون ان العدو الصهيوني قد نجح بتصفية خلايا التنظيم في الداخل ، وقضي على العمليات العسكرية . ولا شك في ان الهدف من وراء ذلك التعتيم ، ومحاولة الايحاء بتصفية نشاط الثورة في الارض المحتلة ، يرمي الى التمهيد لعزل الثورة الفلسطينية على اعتبار انها انتهت وما عادت هنالك ضرورة لبقائها ، ما دامت لم تعد قادرة على مواصلة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني على ارض فلسطين .

ان هذه الدراسة المرتكزة على حقائق لا يمكن انكارها ، وقد اعترف العدو نفسه بأكثرها ، لا تبدد التعتيم الاعلامي فحسب ، وانما ايضا ، تشحن الثورة بثقة اكيدة على امكانية مواصلة الكفاح المسلح ، من اجل المضي ، بكل حماسة وعلمية ، لتصعيده . من هنا يجب ان تؤخذ هذه الدراسة بكل جد من قبل كل المناضلين والثوار .

تقرير عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة

ما بين ٧٢/٨/١ و ٧٢/١٢/٣١

بالرغم من الضربات العديدة والانتكاسات التي منيت بها الثورة الفلسطينية في المرحلة الماضية فان الثورة مصممة على الاستمرار في نضالها حتى التحرير الكامل . ويأتي انتصار ثورة فيتنام ليؤكد لشعوب العالم المستضعفة ولكل القوى المتخاذلة في الصفوف العربية ان الطريق الوحيد لهزيمة العدو المتغطرس ، مهما عظمت قوته هو طريق الكفاح الشعبي المسلح طويل الامد . وان الثورة الفلسطينية التي آمنت بذلك منذ انطلاقتها ، استعادت المبادرة من جديد ونجحت في اعادة تنظيم صفوفها داخل الارض المحتلة لتعود الى كيل الضربات الى العدو الصهيوني الذي ادعى ان الثورة الفلسطينية قد انتهت داخل الاراضي المحتلة .

ان العمليات المتصاعدة داخل الاراضي المحتلة تضطر مراجع العدو نفسها الى الاعتراف بها ، بالرغم من صمت اجهزة الاعلام العربية وتعتيمها .

ان هذه العمليات تأتي مع انتصار ثورة فيتنام لتؤكد ان الثوار الفلسطينيين يسيرون على خطى رفاقهم في فيتنام مصممين على النضال الطويل حتى النصر .

بعد هدوء دام بضعة اشهر في اعقاب مجازر تموز ١٩٧١ في الاردن عادت الالغام والقنابل تتفجر في غزة والضفة والوطن المحتل ١٩٤٨ ، وعادت الوحدات المقاتلة تشتبك وجها لوجه مع دوريات العدو الصهيوني . وبالرغم من محاولات فرض جو الهزيمة والاستسلام والتراجعات على الوطن العربي ، وبالرغم من الحصار المضروب على الثورة الفلسطينية ، فقد استمرت عمليات ثوارنا في التصاعد داخل الارض المحتلة . وقد رافق دوي القنابل والرصاص صمت اعلامي رهيب من جانب الاذاعات والصحف العربية . كل ذلك من اجل انكار وجود الثورة داخل الارض المحتلة ، ونفي قدرتها على الاستمرار تمهيدا لضربها واشاعة روح الهزيمة والاستسلام . يهدف التعتيم الاعلامي على تصاعد عمليات ثوارنا داخل الارض المحتلة الى اظهار الثورة وكأنها انتهت تماما ، ولم تعد ثمة امكانات لتطوير الكفاح المسلح ، او الاستمرار به حتى لا تبقى من جدوى غير البحث عن حلول تصفوية من خلال الترامي على اعتاب الدول الكبرى والعرش الهاشمي والعدو الصهيوني .

ان هذه المراجعة للعمليات العسكرية التي قامت بها الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة في خمسة الاشهر الماضية ، والتي اعترف العدو باغلبها ، تتطلب اخذها بكل جدية والخروج منها بالاستنتاجات الصحيحة ليس لدحض الافكار والاتجاهات الاستسلامية ودحر كل المشاريع التصفوية والمؤامرات الرامية لتنكيس البنادق والتخلي عن طريق الثورة فحسب وانما ايضا من

اجل تكريس خط الثورة ، والانطلاق بعزيمة اشد وايمان في طريق تطويـر الوضع الذاتي لثورتنا وتقويته والمحافظة على بنادقنا وتوسيع كفاحنا المسلح ونضاله الجماهيري . وكان هناك الى جانب العمليات العسكرية نشاط ملحوظ في اعادة التنظيم والبناء في الداخل ويدل على ذلك اعتراف العدو بالقاء القبض على خلايا فدائية والعثور على مخابيء اسلحة وانتشار موجة توزيع المناشير التي لم يخف العدو انزعاجه الشديد منها .

ومن هنا فان مراجعة تفصيلية لجداول العمليات المرفقة تؤكد ان الاستنتاجات اعلاه مبنية على وقائع وحقائق لا يمكن لاحد انكارها ، كما ان ذلك يتيح تلمس الخطوط العريضة للمهمات المرحلية التي يجب على الثورة تنفيذها ، خاصة ، مسالة تطوير الكفاح المسلح كميا ، ونوعيا . ولكن قبل اجراء هذه المراجعة لجداول العمليات لا بد من لفت النظر الى : ١ ــ ان العمليات التي تشملها الجداول المرفقة تغطي الفترة بين ٧٢/٨/١ الى ٧٢/١٢/٣١ وهي التي وردت في بلاغات صادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية والعمليات التي اعترف بها العدو ولم تصدر بها بلاغات عن القيادة العامة ، والعمليات التي صدرت عن القيادة العامة واعترف بها العدو . اما العمليات التي قامت بها مختلف فصائل الثورة والتي لم يعترف بها العدو ولم ترد بها بلاغات من القيادة العامة فانها لا تدخل في جدول العمليات . ٢ ــ بالنسبة لجدول عمليات المرتفعات السورية (الجولان) فقد يحدث ان يعترف العدو بعدة عمليات في يوم واحد ، وتصدر عن القيادة العامة بلاغات عن عمليات حصلت في اليوم نفسه ولكن في اماكن مختلفة وليس واضحا ما اذا كانت هذه العمليات متطابقة وان اختلاف المناطق ليس اختلافا وقد تكون المنطقة المذكورة في بلاغات القيادة العامة تشمل المنطقة التي اعترف العدو بوقوع الحادث فيها او العكس . ٣ ــ ان العدو يعترف في اذاعته باللغة العبرية بالعمليات التي تقع امام مشهد اليهود ولا يأتي على ذكرها في اذاعته العربيةوكذلك يفعل بالعمليات التي تقع على مشهد العرب حيث يعترف بها في اذاعته باللغة العربية ولا يأتي على ذكرها في اذاعته باللغة العبرية . ولعل هذا ما يفسر عدم تطابق بلاغات الثورة مع ما يعترف به العدو في المرتفعات السورية .

لذلك فان مجموع العمليات لا يمكن ان يكون دقيقا بشكل كامل. والمهم في الامر ملاحظة نوعية العمليات في المناطق المختلفة ونسبة ما يعترف به العدو .

والمناطق التي شملتها العمليات مقسمة على النحو التالي : الاراضي المحتلة ١٩٤٨ ، الضفة الغربية، قطاع غزة ، المرتفعات السورية (الجولان) .

أ ــ الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ :

اعترف العدو في اذاعته باللغة العبرية ان مجموع الاعمال الفدائية داخل الخط الاخضر خلال سنة ١٩٧٢ بلغ ١٨ عملية . ولكن الناطق العسكري الصهيوني ، كما ورد في « ونا » ، كان قد اعترف في ٨/١ بوقوع ١٤ عملية في المناطق المحتلة خلال شهر تموز فقط : ٩ عمليات على الساحل الفلسطيني ، ٤ عمليات في الجليل الاعلى وعملية في النقب . تبقى ٤ عمليات ، حسب اعتراف الناطق الصهيوني ، نفذت خلال السنة كلها فيما عدا شهر تموز . وهذا يتناقض بشكل فاضح مع اعترافات العدو التي نشرت خلال الاشهر الخمسة الاخيرة من عام ١٩٧٢ . اذا نظرنا الى الجدول فاننا نجد ان مجموع العمليات بلغ اكثر من ٣٩ عملية ، ويرتفع هذا الرقم اذا ادخلنا في الحساب الحرائق المتعمدة التي اعترف بها العدو وخاصة في بئر السبع والجليل الغربي . اما عدد العمليات التي اعترف بها العدو بطريقة مباشرة او غير مباشرة (مثل الاشارة الى عطل في محطة كهرباء ، او حريق) فقد بلغ اكثر من ٢٩ عملية .

تركزت معظم العمليات في منطقة تل ابيب كما شملت مناطق : حيفا ، الجليل ، يافا ، ناتانيا ، العفولة ، بئر السبع ، عكا وايلات . والاغلبية الساحقة من العمليات تمت بوضع عبوات ناسفة وحارقة في اماكن يصعب الوصول اليها مثل المطاعم والمصانع والمباني ، اي في اماكن ليست بعيدة عن التجمعات البشرية . وحدثت ثلاث عمليات مواجهة: فقد حصل اشتباك بحري في الشريط بين نهاريا وحيفا ، ووقع اشتباك مع فدائي تسلل من الاردن قرب ايلات ، كما تم اعداد كمين لناقلتي جنود وشاحنة ذخيرة على طريق حيفا ــ عكا . ومن ابرز هذه العمليات : عملية مصنع اسلحة عوزى ، عملية المدرسة العسكرية في عسقلان ، عملية مطعم العفولة ، عملية مبنى شالوم وعملية مصنع تروم اسبست .

(الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨)

**١ — ٨/١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى الصندوق القومي .

* ٢ — ٨/٦ تل ابيب ، انفجار قنبلة في حي .

* ٣ — ٨/١٢ تل ابيب ، انفجار عبوات ناسفة وحارقة في محلات « داليا » .

* ٤ — ٨/٢٢ ناتانيا ، اكتشاف عبوة زنتهـا ١،٥ كيلو .

٥ — ٨/٢٧ عسقلان ، عبوات ناسفة حارقة في المدرسة العسكرية .

** ٦ — ٩/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في منجرة ومستودع اخشاب .

** ٧ — ٩/٨ بين حيفا ونهاريا ، اشتباك بحري بالمدافع الثقيلة .

٨ — ٩/٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٩ — ٩/١٣ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى ليلي .

١٠ — ٩/١٣ بتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودع خشب .

١١ — ٩/١٥ بتاح تكفا ، تفجير عبوات ناسفة في متاجر وبنايات .

** ١٢ — ٩/١٧ بين تل ابيب وبتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودعات كريات حوليم .

١٣ — ٩/١٨ بين مجيدو وحيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مصنع اسلحة عوزي .

١٤ — ٩/٢٢ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في سيارة .

** ١٥ — ٩/٢٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في احد مصانع سكب الحديد .

* ١٦ — ١٠/٥ رحوفوت ، حريـق في محكمة الصلح .

** ١٧ — ١٠/١٣ ناتانيا ، تفجير عبوات ناسفة في بنك العمال .

** ١٨ — ١٠/١٥ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ١٩ — ١٠/١٥ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٢٠ — ١٠/١٩ كريات اوتو/تل ابيب ، تفجير عبوات في سيارة شحن .

** ٢١ — ١٠/٢٩ العفولة ، تفجير عبوات ناسفة في مطعم .

** ٢٢ — ١٠/٢٩ بئر السبع ، حرق مستودع اعمدة كهرباء .

٢٣ — ١٠/٣٠ كريات آسا/حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى .

** ٢٤ — ١٠/٣١ تل ابيب ، تفجيـر عبوات ناسفة في مبنى شالوم .

* ٢٥ — ١٠/٧ تل ابيب ، حريق في المركز العام لكوبات حوليم .

٢٦ — ١٠/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة حارقة في مركز زيادة الانتاج العمالي .

** ٢٧ — ١١/٩ بئر السبع ، حريق في منجرة ومستودع اخشاب .

٢٨ — ١١/١١ يافا ، تفجير عبوات في متاجر .

** ٢٩ — ١١/١٨ اشدوت يعقوب ، انفجـار الغام بجنود العدو .

** ٣٠ — ١١/١٩ حيفا ، تفجير عبوات حارقة في ملهى بيجال .

* ٣١ — ١١/٢٣ بسفوح الكرمل ، حرائق في بساتين .

* ٣٢ — ١١/٢٨ لهبوت هباشان ، انفجـار بشمابين .

٣٣ — ١٢/١ تل ابيب ، حريق في مصنع للتوابل .

* ٣٤ — ١٢/٧ بئر السبع ، انفجار قنبلة .

** ٣٥ — ١٢/٣ بين حيفا وعكا ، كمين اسلحة مختلفة لسيارتين عسكريتين ذخيرة وشاحنة .

** ٣٦ — ١٢/١٠ عكا ، تفجير عبوات في مصنع تروم اسبست .

* ٣٧ — ١٢/١٥ ايلات ، اشتباك مع فدائي .

** ٣٨ — ١٢/٣١ تل ابيب ، القاء عدة قنابل مولوتوف على مستودعات للمواد الاستهلاكية .

* شهر ٩ بئر السبع ، ٥ حرائق متعمدة .
* ١١/٢٣ الجليل الغربي ، ٨ حرائق في بساتين.

ملحوظة :

النجمتان على يمين العملية في هذا الجدول — وفي الجداول الاخرى — تشير الى العمليات التي اعترف بها العدو واصدرت قيادة الثورة بلاغا بها . اما النجمة الواحدة فتشير الى العمليات التي اعترف بها العدو ولم يصدر بلاغ رسمي في قيادة الثورة بها . اما العمليات التي لا تحمل نجوما فهي التي صدر بها بلاغ من قيادة الثورة ، ولم يعترف بها العدو .

ب — الضفة الغربية :

اما في الضفة الغربية فقد بلغ مجموع العمليات ٣٣ عملية اعترف العدو بـ ٢٢ منها . وهناك ملاحظة بالنسبة لعمليات الخليل ، حيث انه من ٨/١ — ٩/١٢ اعترف العدو بعمليتين فقط في منطقة الخليل ولكنه في اعترافه بالعملية الثانية لاحظ العدو ازدياد النشاط « التخريبي » في منطقة الخليل وفي هذه الفترة كانت الثورة قد اعلنت عن ٦ عمليات. ان الطابع المميز لعمليات الضفة الغربية هو الكمائن والهجوم بالاسلحة الخفيفة بالدرجة الاولى واستعمال القنابل اليدوية بالدرجة الثانية جنبا الى جنب مع الاسلحة الرشاشة . واهم الاهداف هي الدوريات العسكرية ، وسيارات نقل للعدو . وقد تركزت الكمائن والهجمات والاشتباكات التي سيطر عليها طابع المواجهة في منطقة الخليل اذ بلغ مجموعها ١٠ عمليات مواجهة . وقد حدثت عمليات مواجهة في مناطق اخرى ولكن بكثافة اقل ، في نابلس ، طولكرم ، بيت لحم ، رام الله والقدس . اما وضع العبوات الناسفة والحارقة فقد تركزت بشكل رئيسي في القدس . وتأتي هذه العمليات في المرتبة الثانية بعد عمليات المواجهة . واهم هذه العمليات عملية السوبر ماركت ، ومصنع الكرتون، ومبنى البريد ، ومبنى شتراوس ومبنى تجمع الشباب في القدس . وقد احتلت نابلس المرتبة الثانية بعد القدس من ناحية وضع العبوات الناسفة ولكن الاماكن التي وضعت فيها ليست على درجة اهمية الاهداف في القدس . ان عودة التحرك في نابلس قد جعلت العدو يقوم بحملات تفتيش واعتقالات كبيرة في المدينة .

الضفة الغربية

١ — ٨/٢ القدس ، كمين لاثنين من جنود العدو.

٢ — ٨/٥ تبلان/نابلس ، تفجير في مبنى دائرة العمل (عبوات ناسفة) .

٣ — ٨/٨ جنين ، تفجير عبوات ناسفة وصواريخ على مقر الحاكم العسكري .

٤ — ٨/٢٢ طريق عجور — بيت جبرين/الخليل ، كمين اسلحة خفيفة ورشاشة .

٥ — ٨/٢٥ بين يطا والخليل ، كمين قنابل يدوية ورشاشات .

** ٦ — ٨/٣١ طريق القدس — نابلس/نابلس ، كمين اسلحة خفيفة على باص .

** ٧ — ٩/٢ بين رام الله والقدس ، كمين لباص بالمدافع الرشاشة .

٨ — ٩/٧ الخليل ، كمين لباص صهيوني (حادث صدام*).

٩ — ٩/١٠ منطقة دورا ، كمين ، هجوم بالار. ب. ج. ورشاشات خفيفة .

** ١٠ — ٩/١١ بين حلحول والخليل ، كمين لسيارة عسكرية : قنابل يدوية ورشاشات .

* ١١ — ٩/١٢ بين حلحول والقدس ، هجوم على سيارة ركاب بالبازوكا .

** ١٢ — ٩/١٥ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .

١٣ — ٩/١٥ يطا — الخليل ، اشتباك مع دورية — اسلحة خفيفة .

* ١٤ — ٩/٢٩ يدحنا/طولكرم ، اكتشاف شحنة منخخة .

** ١٥ — ٩/٢٩ القدس ، تفجير عبوات ناسفة في سوبر ماركت .

** ١٦ — ٩/٢٩ بزاريا/طولكرم ، هجوم اسلحة رشاشة على دورية .

** ١٧ — ١٠/٢ القدس ، عبوات ناسفة في مصنع كرتون .

١٨ — ١٠/٧ القدس ، شاب يطعن جندي صهيوني .

١٩ — ١٠/١٩ غرب الخليل ، هجوم قنابل واسلحة رشاشة .

** ٢٠ — ١٠/٣٠ بيت لحم ، كمين اسلحة رشاشة .

** ٢١ — ١٠/٣١ نابلس — طولكرم ، تفجير عبوات ناسفة على طريق .

* ٢٢ — ١٠/١٠ الخليل ، انفجار عبوة قرب المقبرة .

** ٢٣ — ١١/٢ القدس ، عبوات في مبنى البريد وحرق الارشيف .

** ٢٤ — ١١/١١ نابلس ، عبوة ناسفة في سيارة .

** ٢٥ — ١١/١٢ بين اللطرون ورام الله ، كمين اسلحة مختلفة لشاحنة .

** ٢٦ — ١١/٢١ القدس ، حريق في مبنى شتراوس نتيجة تفجير عبوات حارقة .

** ٢٧ — ١١/٢٩ القدس ، عبوات ناسفة حارقة في مبنى تجمع الشباب .

** ٢٨ — ١١/٢٩ القدس ، حرق باص ايجد .

٢٩ — ١٢/١ بير النحاس/ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة .

** ٣٠ — ١٢/١٠ القدس ، القاء قنبلة مولوتوف على باص ايجد .

** ٣١ — ١٢/١٣ القدس ، عبوات ناسفة في مستودعات (اعتراف بالحريق) .

* ٣٢ — ١٢/١٥ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة قرب مكتب العمل .

* ٣٣ — ١٢/١٦ نابلس ، اكتشاف عبوة موقوتة لم تنفجر بالقرب من المسلخ البلدي .

ملاحظة : * اعتبرت القدس الجديدة في منطقة الضفة الغربية وليس في منطقة ما وراء الشريط الاخضر .

* للنجوم ذات المدلول كما في الجدول الاول .

جـ — قطاع غزة :

اما في قطاع غزة فقد كان مجموع العمليات ٢٩ عملية اعترف العدو بمعظمها (٢٦ عملية) . وهناك ملاحظة هامة بالنسبة للقطاع وهي انخفاض عدد العمليات في القطاع في شهر كانون الاول انخفاضا كبيرا . وفي حين كانت الكمائن بالاسلحة الخفيفة هي الطابع المسيطر على عمليات الضفة الغربية فان القاء القنابل اليدوية كان الطابع المميز لعمليات القطاع وتأتي الاسلحة الخفيفة بالدرجة الثانية . والتقاسم المشترك بين عمليات الضفة وعمليات القطاع هو تميز العمليات بطابع المواجهة ان في الكمائن او الهجوم او الاشتباكات . اما الاهداف فقد كانت بشكل اساسي دوريات العدو وسياراته وباصاته . والعملية البارزة في القطاع هي محاولة اغتيال الشوا التي استعملت فيها القنابل اليدوية والمسدسات وتأتي بعد عمليات المواجهة عمليات وضع العبوات الناسفة والالغام ولكن في الاماكن البعيدة عن التجمعات البشرية مثل الطرقات وسكك الحديد . وبذلك تختلف عمليات وضع العبوات عن عمليات المناطق المحتلة ١٩٤٨ وعمليات القدس حيث توضع العبوات بشكل رئيسي في اماكن يصعب الوصول اليها .

ملاحظة : ورد في صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ١٥/ ٧٢/١٢ ان : ١ — عدد العمليات في قطاع غزة خلال اب وايلول بلغ ٣٢ عملية . واذا نظرنا الى الجدول نرى ان هذا العدد لم يتجاوز العشرة حسب اعترافات الناطق الصهيوني في اذاعته العبرية .
٢ — يعاني القطاع نقصا في السلاح بعد تسييج مشارف رفح وقطع الطريق على وصول الاسلحة الموجودة بكثرة في سيناء الى القطاع ولعل هذا ما يفسر الطابع المميز لعمليات غزة الا وهو القاء القنابل اليدوية . فقد اشارت صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ٧٢/١٢/١٥ انه « .. خلافا لسنوات سابقة يعاني القطاع الان نقصا شديدا في الاسلحةومعدات التخريب ، بعد ان كان مليئا بالمعدات العسكرية . لذلك واجه « المخربون » .. صعوبات . فقد كان معظم القنابل التي القيت في الحوادث الاخيرة صدئا ، او دون جهاز ، او كانت قنابل فقدها الجيش الاسرائيلي ، كما يبدو » . وبالرغم من ذلك فان ارادة القتال لم تتوقف وكان « من بين ما استعمله « المخربون » العبوات الموقوتة وقد دربوا على اعداد مواد كيماوية يمكن الحصول عليها من سوق المدينة ومن الصيدليات » . حسب تعبير الصحيفة .

قطاع غزة

* ١ — ٨/٢٥ غزة ، القاء قنبلة على سيارة مدنيسة .

** ٢ — ٨/٢٧ جباليا ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

* ٣ — ٨/٣٠ خان يونس ، القاء قنبلة على باص ايجد .

** ٤ — ٨/٣١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة للبلدية .

* ٥ — ٩/١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

** ٦ — ٩/١ خان يونس ، انفجار لغم بسيارة دورية .

** ٧ — ٩/٤ غزة ، كمين لرشاد الشوا : تنابل ومسدسات .

* ٨ — ٩/١٤ غزة اطلاق نار على سيارة .

٩ — ٩/٢٥ دير البلح ، كمين تنابل ورشاشات .

١٠ — ٩/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

** ١١ — ٩/٢٦ البريج ، كمين تنابل ورشاشات لدورية .

** ١٢ — ٩/٢٩ غزة ، القاء تنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٣ — ١٠/٢ غزة ، القاء تنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٤ — ١٠/٥ غزة ، القاء عبوة ناسفة على سيارة عسكرية .

** ١٥ — ١٠/١٣ غزة ، القاء تنبلة يدوية .

** ١٦ — ١٠/١٤ جباليا ، انفجار عبوة ناسفة في الشارع بسيارة عسكرية .

* ١٧ — ١٠/١٥ خان يونس ، اطلاق الرصاص على باصين ايجد .

** ١٨ — ١٠/١٩ رفح ، القاء تنبلة على باص ايجد .

* ١٩ — ١٠/٢٢ العريش ، تفجير تنينة هاون في مبنى البريد .

٢٠ — ١٠/٢٧ الشاطىء ، كمين لدورية .

** ٢١ — ١٠/٣١ الشاطىء ، اشتباك اسلحة مختلفة : رشاشات وتنابل .

** ٢٢ — ١١/٢ الشاطىء ، كمين لدورية : عبوات ناسفة مسيطر عليها فنيا .

** ٢٣ — ١١/٥ الشاطىء ، القاء تنبلة يدوية على دورية .

** ٢٤ — ١١/٧ غزة ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٥ — ١١/٧ غزة ، القاء عبوة على سيارة مدنيـة .

* ٢٦ — ١١/١٣ خان يونس ، انفجار لغم بجرار زراعي .

* ٢٧ — ١١/١٦ غزة ، العثور على تنبلة لم تنفجر .

* ٢٨ — ١٢/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٩ — ١٢/٢٦ غزة ، هروب باص من دورية صهيونية .

د — المرتفعات السورية (الجولان) :

كـان مجموع العمليـات في المرتفعات السوريـة (الجولان) ٦١ عملية اعترف العدو بـ ٣٠ منها . ومن الملاحظ ان العمليات التي تصدر عن القيـادة العامة لا يعترف بها العدو في حين يعترف بعمليات لم تصدر عن القيادة العامة . وقلما ترد بلاغـات متصلة بين القيادة العامة ومصادر العدو . وكمـا اشرنا في السابق قد يكون عدم التطابق ناتج عـن كيفية تحديد المناطق التي تحصل فيها العمليات . وبالرغم من ان العـدو اعترف بـ ١٢٢ عمليـة في الجولان خلال سنة ١٩٧٢ وكان هذا اكبر عـدد بالنسبة لبقية المناطق ، الا ان عدم اعتراف العدو بالعديد من العمليات التي اعلن عنها الناطق باسم القيادة العامة ما هو الا نتيجة تطبيق سياسة العدو في عدم الاعتراف بالعمليات التي تحدث على الحدود بعيدا عن اعين المستوطنين الصهاينة ، او العرب. ان الطابع المميز لعمليات الجـولان هو القصـف بالصواريخ والقـذائف . وتأتي بالدرجة الثانية الالغام التي تزرع على الطرق وفي المزارع وتنفجر بالدوريات والجـرارات الزراعية . اما معـارك المواجهة كالكمائن والاشتباكات واطلاق الرصاص على دوريات فانها قليلة نسبيا ، وليس واضحـا فيما اذا كان الهجـوم بالصواريخ يحمل طابـع المواجهة ام لا .

الجــولان

* ١ — ٨/٢ ناحال هاجولان ، هجوم بالكاتيوشا .

* ٢ — ٨/٥ موقع في الجولان ، تذينة بازوكا .

٣ — ٨/٨ معسكر ابو زيتون ، قصف مدفعيـة ثقيلة .

** ٤ — ٨/٢٠ سعد بطاح ، هجوم تذائف صاروخية واسلحة مختلفة .

٥ — ٨/٢٠ حيتل وجبين ، قصف هاون وقذائف صاروخية ورشاشات .

٦ — ٨/٢٢ خربة العرايس ، هجوم صـواريخ ثقيلـة .

٧ — ٨/٢٩ شعار هاجولان ، هجوم صـواريخ ثقيلـة .

٨ — ٨/٢٩ بين الدبوسية والفرضاوي ، انفجار لغم بآلية .
* ٩ — ٨/٢٩ ناحال هاجولان ، قصف تذينة .
* ١٠ — ٨/٣٠ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .
١١ — ٨/٣١ العال وجبين وحتيل ، قصف هاون ومدفعية ثقيلة ورشاشات .
١٢ — ٨/٣١ معسكر ابو خيط ومعسكر ابو الخيطان ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .
* ١٣ — ٨/٣١ رمات مغشيميم ، قصف مدفعية هاون ثقيلة .
* ١٤ — ٩/٣ مجدل شمس ، هجوم على دورية.
* ١٥ — ٩/٤ بقعاتا ، تفجير الغام .
* ١٦ — ٩/٤ القنيطرة ، قصف قذائف .
* ١٧ — ٩/٨ خسفين ، قصف قذائف .
* ١٨ — ٩/١١ معسكر ابو خيط ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .
١٩ — ٩/١٢ القنيطرة ، هجوم قذائف صاروخية .
* ٢٠ — ٩/١٢ حصنية ، قصف بازوكا .
٢١ — ٩/١٤ بانياس ، كمين .
٢٢ — ٩/١٥ تل ابو السقي ، قصف هاون .
٢٣ — ٩/١٥ ابو خيط ، تفجير الغام .
٢٤ — ٩/١٥ بين رويسة الحمراء وسحيتا ، تفجير الغام .
* ٢٥ — ٩/١٥ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .
* ٢٦ — ٩/١٥ خسفين ، قصف قذائف .
* ٢٧ — ٩/١٥ رمات مغشيميم ، تفجير الغام .
* ٢٨ — ٩/١٥ مجدل شمس ، العثور على عدة الغـام .
٢٩ — ٩/١٦ القنيطرة ، قصف صواريخ .
٣٠ — ٩/١٦ تل ابو الذهب ، قصف مدفعية هاون.
** ٣١ — ٩/١٧ القنيطرة وناحال جولان ، قصف صواريخ .
٣٢ — ٩/١٧ جبين ، قصف صواريخ .
٣٣ — ٩/١٨ جبين ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .
٣٤ — ٩/١٨ بين القنيطرة والخشنية ، تفجير عبوات ناسفة في جسر .
٣٥ — ٩/١٨ مسعدة/القنيطرة ، قصف صواريخ .
٣٦ — ٩/١٩ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .
٣٧ — ٩/٢٠ تل ابو الذهب ، الغام .
٣٨ — ٩/٢٠ الجولان ، قصف صواريخ .
* ٣٩ — ١٠/١٠ بقعاتا ، عبوة ناسفة على طريق ترابي .
** ٤٠ — ١٠/٢٤ شمالي بقعاتا ، انفجار في جسر .
** ٤١ — ١٠/٢٤ ناحال هاجولان ، تفجير عبوة.
٤٢ — ١٠/٢٨ تل شيحة ، تفجير الغام ببلدوزر .
** ٤٣ — ١١/٢ بقعاتا ، اشتباك أسلحـة مختلفة ، معركة مواجهة .
٤٤ — ١١/٦ جبـين وحتيل ، هجوم صواريـخ وهاون .
* ٤٥ — ١١/٦ ناحال هاجولان ، هجوم بقذائف الهـاون .
** ٤٦ — ١١/٨ بقعاتا ، انفجار عبوة بجرار زراعي .
٤٧ — ١١/٩ كفر الماء ، هجوم صواريخ .
٤٨ — ١١/١٦ الجولان ، هجوم اسلحة مختلفة .
** ٤٩ — ١١/١٧ بين خسفين وناحال هاجولان ، تفجير الغام.
* ٥٠ — ١١/١٧ ناحال هاجولان ، اطلاق رصاص.
* ٥١ — ١١/١٧ الجولان ، الغام وقذائف هاون.
* ٥٢ — ١١/٢١ ناحال هاجولان ، تفجير الغام .
٥٣ — ١٢/٣ الجولان ، تفجير شبكة الغام .
٥٤ — ١٢/٧ الدبوسية ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة خفيفة ، اشتباك .
٥٥ — ١٢/٧ جسر الرقاد ، صواريخ في موقع .
* ٥٦ — ١٢/١٥ وادي رقاد ، قذائف هاون .
* ٥٧ — ١٢/١٥ ناحال هاجولان ، العثور على تذينتي بازوكا وثلاثة الغام .
٥٨ — ١٢/٢١ تل موسى ، اشتباك قذائـف صاروخية واسلحة مختلفة .
* ٥٩ — ١٢/٢٦ ناحال هاجولان ، هجوم بالقذائف الموقوتة .
* ٦٠ — ١٢/٢٩ الجولان ، العثور على بقايا انفجار كاتيوشا .
٦١ — ١٢/٣٠ تل الصرفان ، هجوم قذائـف صاروخية واسلحة مختلفة ومدفعية هاون .

خلاصة عامة :

اذا كانت الارقام تشير الى تصاعد كمي بارز في العمليات العسكرية فان هذا ليس كل ما يحمله هذا التصاعد من دلالات . فهناك مسألة نوعية تلك العمليات واماكن تنفيذها حيث يلاحظ ان اغلبية العمليات قد نفذت في العمق على طول الشريط الممتد من غزة جنوبا حتى الجليل شمالا بما في ذلك نقاط في العمق تقع في قلب مواقع العدو مثل تل ابيب وناتانيا والعفولة ، وهي مناطق ليس من السهل وصول الثورة اليها . والاهم ان تلك العمليات شملت عمليات القاء قنابل يدوية على السيارات العسكرية الصهيونية والغام وعبوات في مواقع استراتيجية ، وقذائف واشتباكات باسلحة خفيفة حسب اعتراف الناطق الصهيوني نفسه . ولكل ذلك دلالته على قدرة الثورة على مواصلة الكفاح المسلح وتصعيده والمضي حتى النهاية في حرب التحرير .

موقف العدو من تصاعد العمليات :

ان العمليات الفدائية ، والخلايا التي لم تتم بأي عمل عسكري ، والمناشير التي توزع ، كل هذه اثارت العدو وجعلت قادته يصدرون التصريحات المتضاربة حول تصاعد نشاط المقاومة في الداخل ، فالعمل في الداخل يفسر تارة على انه نتيجة للفشل في الخارج وطورا يفسر العمل في الخارج على انه نتيجة للفشل في الداخل .

في ١٠/٢٩ قال حاييم هرتسوغ : « نحن نواجه صراعا مع « المخربين » خارج البلاد نتيجة لفشلهم المنزل هنا وعلى طول الحدود » . وقال اهارون ياريف في ١٠/٢٩ : « ان المنظمات « التخريبية » لجأت الى اعمال الارهاب لانها حشرت في الزاوية الا اننا يجب ان نرى هذه العمليات كجزء من مقاومة اعمال عديدة ومتنوعة » . اما هليل فقد قال في ١٠/٢ : **علينا ان نعد انفسنا لمواجهة تجدد** « الارهاب » على طول الحدود وداخل اسرائيل . وقد دعا الوزير الجماهير في اسرائيل الى زيادة يقظتها . وفي ١٠/١٢ دعت صحيفة عال همشمار الى الاستعداد جيدا ضد « الارهاب » داخل دولة اسرائيل لانه كلما قل خطر الصدام العسكري في الجبهة يتزايد خطر « التخريب والارهاب » . اما العميد شلومو غازيت ، المسؤول من تنسيق الاعمال في المناطق المحتفظ بها فقد تحدث مع مراسل اذاعة العدو العسكري روني دانييل في ١٠/١٤ واعتبر ان الاسباب الرئيسية لتجدد وازدياد اعمال « التخريب » في اسرائيل متشعبة . وقال : « قبل كل شيء انا اعتبر هذا محاولة متجددة تقوم بها منظمات « التخريب » لاستئناف النشاط بأي ثمن خصوصا نتيجة لفشلهم في كل مكان اخر . وحتى نشاطهم خارج البلاد الذي يظل في نطاق الاعمال الاستعراضية ، فان الامكانيات المتوفرة له ضيقة جدا . ومن هنا ، فقد كان عليهم ان يحاولوا بكل ثمن القيام بأية عملية ، اذا ارادوا ان يثبتوا انهم ما زالوا موجودين » . اما عن الاسباب لزيادة العمليات في هذه الفترة بالذات فقد ارجعها غازيت الى اربعة اسباب :

١ — حركة الزيارة في المناطق في فصل الصيف الذي هو اكثر سهولة وراحة . (ان التنقل بين الاراضي المحتلة و « اسرائيل » كان سهلا في فترة الصيف وخاصة ان اسرائيل كانت تريد ان تفيد الى اكبر درجة من الناحية الاعلامية وفي حربها النفسية ضد العرب ولذلك سهلت الزيارات في المناطق وحسب التقارير الداخلية الواردة فانه كان من السهل جدا التنقل في كل انحاء اسرائيل دون ان يسأل الزائر عن تصريح او هوية) . ٢ — الفترة الزمنية التي يتطلبها اعداد وتشغيل الشبكات الجديدة بعد كل فشل تمنى به شبكة « تخريبية » .

٣ — الاعمال الاستعراضية خارج البلاد — عملية طائرة سابينا — « مذبحة » اللد ، وعملية ميونيخ. هذه الاعمال خارج البلاد بالذات تشكل حافزا وعوامل ضغط على الشبكات الداخلية لمحاولة القيام باعمال في الداخل ايضا . ٤ — ارسال بعض الافراد غير القلائل لاقامة الشبكات من جديد، لتجنيد الافراد ، تنظيمهم وتدريبهم وتوجيههم وبعض هؤلاء جاءوا عبر الجسور المفتوحة ومن بينهم بعض الزوار الصيفيين .

وتقول هآرتس ١٠/١١ انه « بعد حوادث ميونيخ حدث انتعاش كبير بين منظمات « التخريب » في منطقة الضفة الغربية ولدى دوائر الامن معلومات بأن بضع عشرات من الشبان العرب انضموا في الاونة الاخيرة الى المنظمات التي اخذت تجدد اتصالاتها بمراكز « المخربين » في الدول العربية ». يتضح من هذا ان العمليات الخارجية تشكل حافزا للشباب في الداخل للانضمام الى المنظمات وان الجسور وحرية التنقل النسبية في الداخل تسهل اقامة الاتصال بين الداخل والخارج ونقل

المعلومات والتعليمات ومن ثم تجديد العمل العسكري في الداخل .

استنتاج :

١ ــ ان حركة التنقل بين « اسرائيل » والمناطق ، والتي هي اكثر سهولة في فصل الصيف (ولكن يمكن أن تستمر في الشتاء) تجعل التنقل سهلا وهذا يساعد على سهولة الاتصال مع الداخل ونقل المواد والمعلومات ودراسة الاهداف والقيام بعمليات .

٢ ــ ان فترات الهدوء التي تعقب نشاط المقاومة نتيجة لضربات القوى المضادة يجب ان لا تفسر على أنها نهاية الثورة . المهم ان لا يتوقف العمل وان لا يكون هناك تنازل عن الاهداف اذ انه من الممكن ان تولد باستمرار خلايا جديدة ويعاد تنشيط الخلايا القديمة لتقاتل العدو وتكمل المسيرة . المهم ان لا نسارع الى اصدار الحكم على الثورة بعد فترة من الهدوء في النشاط العسكري .

٣ ــ ان العمليات الخارجية يمكن ان تستغل جيدا من أجل بناء التنظيم في الداخل والا فقدت مبررها. اذ يجب ان ترتبط نتائج مثل هذه العمليات باحياء التنظيم الذي سيكون الاداة لمنع التسويات ولكن الاهم من هذا دوره في التحرير . ان مهمة العمليات الخارجية هي بناء التنظيم من ناحية ، كما ويكون لها دور ايجابي ــ وباعتراف العدو ــ في تصعيد الكفاح المسلح في الداخل ورفع معنويات الجماهير وربطها بالثورة من ناحية اخرى . ان كل التقارير الواردة من الداخل ــ وكذلك اعترافات العدو ــ تشير الى ان معنويات الجماهير ترتفع ويبدأ الكل بالحديث عن الثورة دون خوف وابداء تأييدهم للمناضلين الذين يقومون بمثل هذه العمليات . ولكن لا يجوز ان تبقى ردود فعل الجماهير في الداخل عفوية وعاطفية وغير مرتبطة بالعمل التنظيمي . يقول غازيت : « من ناحية المشاعر لم يتغير العامل الذي يمكن اجماله بأن هناك عطفا على منظمات « التخريب » وعلى عملياتهم واستطيع القول انه كان هناك تأييد لمذبحة ميونيخ على ما فيها من وحشية . ولكن لا يوجد الان ميل لدى سكان الضفة الغربية ، ومن الممكن القول ايضا في قطاع غزة ، للمشاركة الفعالة في نشاط المنظمات . ويميل الجو العام في المنطقة ، نحو عودة الحياة الى مجراها الطبيعي والاستفادة من الرفاهية وجميع المنافع مثل حرية الحركة وحرية التجارة ورفع مستوى المعيشة وخلافه » . ان العطف على المنظمات الفدائية يمكن ان يطور في اتجاه المشاركة الفعالة ومن مهمات التنظيم توعية الجماهير على مخططات العدو التي تعمل على فرض التعايش والهدوء .

٤ ــ ما دامت الجسور مع العدو مفتوحة يجب استغلالها بشكل فعال من أجل بناء التنظيم في الداخل . فبناء على اعتراف غازيت هناك خلايا في الداخل ولكن الوسائل لتنفيذ العمليات غير متوفرة تقريبا ويقول ان ليست لديه معلومات على ان الذين عبروا الجسور اشتركوا فعليا في تنفيذ العمليات . ولكنه يقول « انه يعلم جيدا انهم جاءوا لاعادة تنظيم الشبكات او لنقل المعلومات والتعليمات ، لا كمنفذين » . ان الخلايا الموجودة في الداخل مشلولة عن العمل لان الاتصال بها متطوع . ان الاتصال بالداخل ممكن وضروري وتقول تقارير القادمين من الارض المحتلة انه بعد عبور الجسر لا احد يسأل عن الهويات ويمكن للانسان ان يتنقل بسهولة وليس المهم نقل المواد عبر الجسور اذا كان التفتيش دقيقا اذ أن الحصول على المواد بطرق اخرى والعمليات التي حصلت تستخدم فيها المواد المنقولة عبر الجسور حسب ما يعترف به العدو . ان الاتصال بين الداخل والخارج واقامة العلاقات العضوية امر ضروري . يقول غازيت : « مما لا شك فيه أن الجسور المفتوحة تشكل خطرا فالاتصال الممكن للاشخاص ، ونقل الاوراق ، والرسائل والسندات والاوراق المالية ، وادخال المنظمين والمدربين كل هذه الامور تسهل اعادة تنظيم الشبكات « التخريبية » » .

ان العدو يعترف بتأثير ما يحدث في الخارج على ما يحدث في الداخل ان كان من الناحية النفسية او التنظيمية وهذا يتطلب ان يعزز تنظيم الثورة في الخارج من اجل ان يمتلك القدرة على احياء التنظيم في الداخل واقامة العلاقة العضوية به لان تطوير النضال الثوري في الخارج ــ التنظيم ، العلاقة بالجماهير ، القوات الفدائية على الحدود ــ يلعب دورا حاسما في تطوير النضال الثوري في الداخل كما أن هذا بدوره يعود فيطور النضال الثوري في الخارج .

تصاعد العمليات من ١٢/٣١ الى ٧٣/٢/٤

اتساع النضال السياسي والعسكري في الوطن المحتل :

في تصريح لموشي دايان وزير دفاع العدو حول امن المناطق المحتلة بتاريخ ٧٣/١/١٣ قال : « ان الوضع اليوم هادىء تماما ، فلقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضرابات ، وتم القضاء على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية تقريبا ، وان كان هذا لا يعني انه لم تبق هنا وهناك نوبات لبعض منظمات التخريب ، وان النشاط التخريبي لن يتجدد بأي حال من الاحوال » . ولكن الوقائع — للنظرة الاولى — تكذب هذا التصريح . فالنضال ضد الاحتلال الصهيوني الامبريالي يتصاعد ، ويتعمق ، ويتسع نطاقه ، ويكتسب الى صفوفه كل يوم أفواجا جديدة من المناضلين برغم كل عمليات القمع .

ومن السمات الخاصة والهامة والتي تشير الى تعمق النضال الوطني الفلسطيني واتساع نطاقه حملة الاعتقالات التي شنها العدو في الجليل والناصرة والتي أسفرت عن اعتقال عشرات المناضلين كان اكثر ما ازعج العدو هو وجود عدد من اليهود بينهم .

وفوجىء العدو بعد ذلك بنكسة اخرى ، فطوال اكثر من عشرين عاما وهو يعمل جاهدا على كسب المواطنين الدروز في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وتجريدهم من هويتهم العربية ، وفي الاسابيع الاخيرة تصاعد نضال المواطنين العرب من أبناء الطائفة الدرزية وامتد الى الجولان، واخذ نضالهم الجماهيري شكل مؤتمرات مطلبية (مؤتمر مزارعي التبغ احتجاجا على استغلال الشركات الاحتكارية) وتوزيع منشورات لالغاء التجنيد الاجباري المفروض على الدروز في الجيش الاسرائيلي ، وغير ذلك من النشاطات الجماهيرية ، ثم امتد هذا النضال ليأخذ طريقه الى تشكيل خلايا مسلحة . لقد اعترفت صحف العدو بأن ما كشفت عنه حملات الاعتقال ضد المناضلين العرب من أبناء الطائفة الدرزية هو نكسة خطيرة ودلالة فشل سياسة اسرائيل طوال عشرين عاما مع أبناء الطائفة الدرزية . كذلك أدى تصاعد النضال الى شن حملة اعتقالات واسعة اخرى في القدس ونابلس وجنين وقلقيلية .

العمليات من ٧٢/١٢/٣١ — ١٩٧٣/٢/٤

** ١ — ١٢/٣١ تل ابيب ، القاء قنابل مولوتوف في مستودعات للمواد الاستهلاكية .

٢ — ١٢/٣١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في المحطة المركزية .

** ٣ — ١/١ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة شديدة الانفجار في مستودعات حبوب (اعتراف حريق) .

** ٤ — ١/٢ داجانيا (ب) انفجار لغم باحد افراد العدو (اعتراف في دافار ١/٢١) .

** ٥ — ١/٣ تل ابيب ، تفجير عبوة ناسفة في سيارة .

** ٦ — ١/٥ — العفولة — جنين — اللدون ، انفجار شبكة الغام في سيارة عسكرية محملة بالجنود (اعتراف في دافار ١/١٦) .

٧ — ١/٥ جان/بتاحتكفا ، تفجير عبوات حارقة في سينما (اعتراف حريق) .

** ٨ — ١/٥ ناحال هاجولان، تفجير الغام بجرار زراعي .

٩ — ١/٦ حيفا ، عبوات ناسفة في معامل كيم. .

** ١٠ — ١/٧ جسر الرقاد ، هجوم صواريخ ورشاشات ثقيلة .

* ١١ — ١/٧ القنيطرة ، مهاجمة دورية اسرائيلية : رشاشات خفيفة .

* ١٢ — ١/٨ منطقة بركة ، اطلاق النار من أسلحة خفيفة .

* ١٣ — ١/١٠ غزة ، محاولة تدمير سكة قطار.

* ١٤ — ١/١٠ تل ابيب ، اضرام النيران في مقهى .

* ١٥ — ١/١١ بتاح تكفا ، انفجار في احد اقسام مصنع آسيا .

* ١٦ — ١/١٨ جبل الشيخ ، اطلاق تذائف بازوكا على سيارة .

١٧ — ١/٢٢ عاليا هاحاشا / الجليل ، هجوم على نادي بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية .

١٨ — ١/٢٣ رمات جان / تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في بناية .

* ١٩ — ١/٢٤ حيفا ، انفجار عبوة في سيارة باص .

* ٢٠ — ١/٢٦ القدس ، انفجار شحنة متفجرات في سيارة في كاراج .

* ٢١ — ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة مولوتوف في احدى ادارات وزارة الداخلية .

* ٢٢ — ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة في احد مراكز الشباب .

** ٢٣ — ١/٢٨ خان يونس ، انفجار عبوة ناسفة في خط السكة .

* ٢٤ — ١/٢٨ الجولان ، انفجار لغم بمزارع .

* ٢٥ ١/٢٩ القدس ، القاء مصباح مشتعل في احد مكاتب وزارة الداخلية .

** ٢٦ — ٢/١ تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في سيارة (اعتراف بأنه عمل انتقامي) .

** ٢٧ — ٢/٢ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة في مكتب العمل .

* ٢٨ — ٢/٢ تل ابيب ، انفجار شحنة مواد ناسفة عند مدخل مطعم .

٢٩ — ٢/٢ القدس ، انفجار عبوات ناسفة شديدة الانفجار في باب العامود (وكالة رويتر) .

* ٣٠ — ٢/٢ تل ابيب ، القاء قنبلة على ثكنة عسكرية فارغة .

* ٣١ — ٢/٢ تل ابيب ، انفجار قنبلة في مبنى .

** ٣٢ — ٢/٣ دورا/الخليل ، تفجير شبكة ألغام في كمين لسيارات دورية العدو .

* ٣٣ — ٢/٤ نابلس ، اكتشاف شحنة مواد متفجرة في ميدان الساعة .

* ٣٤ — ١/٣٠ بني براق/تل ابيب ، انفجاران في صندوقي بريد .

ملاحظة : للنجوم ذات المدلول كما في الجداول السابقة .

من الجدول السابق يمكننا ملاحظة ما يلي :

١ — ان العمليات العسكرية ضد الاحتلال ، تجري بمعدل عملية كل يوم ، (٣٤ عملية في ٣٥ يوما) . واذا اخذنا بالاعتبار ان غالبية هذه العمليات جرت من الداخل ، فان اهميتها مضاعفة ، لكونها تجري في ظروف أمنية غاية في الصعوبة .

٢ — ان العدد الاكبر من العمليات وقع في المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، وفي منطقة تل ابيب ثم في حيفا ، الامر الذي يلقي على الثورة الفلسطينية مهمة توجيه عناية كبيرة لبناء خلايا تنظيمية وعسكرية بين صفوف عرب الاراضي المحتلة ١٩٤٨ .

٣ — تركزت عمليات الضفة الغربية في القدس بشكل خاص ، وتلتها نابلس بالدرجة الثانية . وتستدعي الضرورات السياسية الراهنة اعطاء منطقة القدس أهمية خاصة عند توجيه العمليات العسكرية ، نظرا لكونها موضع مساومات ومباحثات ، ولاهميتها الخاصة بالنسبة لاسرائيل . حيث نلاحظ اكثر من اية منطقة اخرى محاولات التعتيم على عمليات القدس من قبل السلطات الاسرائيلية .

٤ — الطابع المميز للعمليات في المناطق بشكل عام هو وضع العبوات الموقوتة في الاماكن التي يصعب الوصول اليها . ومن وجهة النظر الامنية فان هذه العمليات محبذة .

٥ — هناك انخفاض ملحوظ في عمليات قطاع غزة خلال الشهر الاخير من العام الماضي وشهر كانون الثاني . ورغم الظروف الموضوعية الصعبة المحيطة بالقطاع ، سياسيا وعسكريا ، فان الوضع ما زال قابلا لتجديد عمليات الثوار هناك .

٦ — هناك انخفاض في عمليات الجولان والجليل . وهو الوضع الناشىء عن الاجراءات والقيود المفروضة على تحرك المقاتلين عبر خطوط وقف اطلاق النار .

٧ — من مجموع العمليات العسكرية وعددها ٣٤ عملية اعترف العدو بـ ٢٥ عملية . من هذه العمليات عدد كبير من العمليات التي لم يصدر بها بلاغ رسمي عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ، مما يستدعي اهتمام الهيئات المسؤولة بمزيد من رصد ومراقبة اذاعات العدو .

٨ — يستدعي تزايد عمليات الداخل مزيدا من التنوير الاعلامي حولها في صحافة واذاعات الثورة ، كما يستدعي حث الصحافة العربية عموما والصديقة خصوصا على اعطاء هذه العمليات حجمها في النشر ، لما لها ، في الظروف الراهنة ، من تأثير ايجابي على روح ومعنويات الجماهير الفلسطينية والعربية ، ولمواجهة موجة التنازلات العربية الرسمية .

تصاعد العمليات وتطور النضال من ٧٣/٢/٥ — ١٩٧٣/٢/٢٠ .

بعد أن شن العدو هجومه على مخيمي نهر البارد والبداوي في ٧٣/٢/٢١ ، ذكرت صحفه اسبابا عديدة لهذا الهجوم وكان من أهم تلك الاسباب ربط الهجوم بتصاعد النشاط العسكري والسياسي للثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة فقد قالت

يديعوت احرونوت: « يجب أن نفهم العملية الاخيرة على أساس النشاط الآخذ في التزايد «للمخربين» والذي تجلى في وضع الغام في الجليل والجولان وتسلل عملاء الى داخل اسرائيل ... » . وقالت معاريف : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي يعمل على أساس النظرية التي تقول بوجوب ضرب مصدر الشر واقتلاعه من جذوره ، وليس معالجة الوحدات الشريرة كل على حدة » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث الفلسطينية ٢/٢١/ ١٩٧٣) .

ونظرة سريعة الى جدول العمليات ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تؤيد استمرار تصاعد عمليات ثوارنا الفلسطينيين في الداخل :

* ١ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اطلاق عيارات نارية على دورية ، والعثور على بقايا قذائف بازوكا موقوتة وآثار انفجار شحنة متفجرات .

* ٢ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اشتباك مع دورية تفتيش .

** ٣ — ٢/١٠ سويمة / غور الاردن ، اشتباك بالاسلحة الرشاشة مع مجموعة لفتح كانت تعمل في جبل الخليل مدة ثلاث سنوات .

* ٤ — ٢/١١ طبعون / حيفا ، حريق .

* ٥ — ٢/١١ معسكر الشاطىء / غزة ، قتل ذيب الهريبطي بست رصاصات .

* ٦ — ٢/١٢ غزة ، محاولة اغتيال الشوا بواسطة الرشاشات .

* ٧ — ٢/١٤ معلوت / ترشيحا ، انفجار لغم بشاحنة .

** ٨ — ٢/١٥ طريق عكا / صفد ، انفجار لغم بعبارة واصابة سيارة .

* ٩ — ٢/١٥ غزة ، اكتشاف عبوة ناسفة موقوتة .

* ١٠ — ٢/١٥ ناحال هاجولان ، اطلاق قذائف .

** ١١ — ٢/١٥ جفعتايم / تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في مدخل مسكن مدير سجن الرملة .

* ١٢ — ٢/١٨ بني براك / تل ابيب ، حريق في معامل الكوكا كولا .

* ١٣ — ٢/١٧ سلواد / رام الله ، مقتل صهيوني يسعى لشراء ارض .

١٤ — ٢/٢٠ بين القنيطرة وتل الصرفان / الجولان، تدمير ٢٠٠ متر من الاسلاك الشائكة وتدمير حقل الغام .

** ١٥ — ٢/٢٠ منطقة تل الصرفان / الجولان، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة واشتباك.

ملاحظة : للنجوم ذات الدلالة كما في الجداول السابقة .

ان دراسة هذا الجدول تظهر ما يلي :

١ — تنفيذ خمس عشرة عملية خلال خمسة عشر يوما ، اي بمعدل عملية كل يوم موزعة على المناطق كما يلي : أ) ٥ عمليات في الجولان . ب) ٣ عمليات في غزة (اعلن العدو عن محاولة اغتيال جديدة ولكنه قال أن لا صلة لها كما يبدو بالحدثين السابقين (باعتراف نشرة رصد اذاعة إسرائيل ٧٣/٢/١٢) الهريبطي والشوا ولكننا لم ندخلها في الجدول لعدم التأكد من طبيعة العملية . جـ) عمليتان في الضفة الغربية . د) ٥ عمليات في المناطق المحتلة ١٩٤٨ .

٢ — اعترف العدو بـ ١٤ عملية من العمليات الـ ١٥ . ويلاحظ ان بلاغات القيادة العامة حول العمليات أقل من العدد الذي اعترف به العدو . فقد اعترف العدو بـ ١٤ عملية في حين اصدرت القيادة العامة خمسة بلاغات فقط . (التقرير لا يأخذ بعين الاعتبار البلاغات التي تصدر باسم المنظمات على اعتبار ان القيادة تمثل كل المنظمات وفقا للاتفاق الخاص بالاعلام الموحد ، ولكن حتى لو اضيفت بلاغات المنظمات الاخرى فسيظل ما اعترف به العدو اكثر من عدد البلاغات الصادرة عن الثورة) .

٣ — يلاحظ ان العمليات العسكرية التي حدثت في الفترة ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تتميز بطابع سياسي مباشر ، خاصة في غزة وسلواد . فقد جرى اعدام ذيب الهريبطي في ٢/١١ تتويجا للحملة السياسية التي شنتها الثورة ضد دمج المخيمات في مدن القطاع ، كما أن محاولة اعدام الشوا حملت الطابع نفسه اذ جاءت منسجمة مع النضال السياسي والجماهيري ضد مخطط العدو لاخراج مجلس بلدي ورئاسة بلدية من خلال مجالس الاحياء التي شكلها بالضغط والتهديد على سكان الاحياء . وقد اثبتت التجربة ان العمل السياسي النشط في الداخل والخارج ضد مخططات العدو اذا ما اقترن بعمل عسكري منسجم معه ولخدمة اهدافه يؤدي في الغالب الى افشال مخططات العدو حيث اضطرت مجالس الاحياء الى الاستقالة او تجميد نفسها .

وبهذا فشل مخطط العدو وحققت الثورة انتصارا تكتيكيا هاما . قال مراسل اذاعة اسرائيل في غزة امنون نداف : « ... ان ما يمكن فهمه من الحديث مع السكان المحليين هو أنه اذا لم يتم الانسحاب فمن المحتمل ان يطرأ جمود على التعاون المتزايد بين الزعامة التي اخذت تتبلور في غزة وبين الحكم الاسرائيلي ... ولكن الانتخابات المحلية التي اخذ الحديث عنها يزداد في غزة ، أصبحت ابعد مما كانت ... » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل في ١٩٧٣/٢/١٢) .

في الواقع ، يجب ان ينظر الى افشال مخطط العدو في تكوين لجان واخراج مجلس بلدي ورئاسة في مدينة غزة وكذلك في مختلف مدن القطاع ، على انه كان اخطر من انتخابات البلديات في الضفة الغربية ، لان التجربة اثبتت ان الدور الذي يلعبه مجلس بلدي في غزة خطر للغاية في اضعاف الكفاح المسلح ومحاولة تغطية الاحتلال بوجوه غزاوية ، والعمل على تجيير القطاع بين الاحتلال وحكم الملك حسين ، كما حدث في عهد رئاسة الشوا للبلدية . ومن هنا كان احباط هذا المخطط نصرا تكتيكيا احرزته الثورة، خاصة ، ضمن هذه الظروف التي تتميز باشتداد المخاطر والصعوبات التي تواجه الثورة الفلسطينية .

كما أن اعدام السمسار الصهيوني في عملية سلواد بتاريخ ٢/١٧ جاءت منسجمة مع الحملة السياسية ضد بيع الاراضي . فقد أشارت جريدة هآرتس ان جاكوب شابيرو وزير العدل قد الح في اجتماع عقدته الهيئة البرلمانية لحزب العمال الحاكم يوم ٢/١٣ حول السماح لليهود بشراء اراض في الضفة الغربية . ويلاحظ ان بعض السماسرة العرب قد أخذوا ينشطون في شراء الاراضي في الضفة الغربية استعدادا لبيعها لاسرائيليين فضلا عن ملاحظة انخفاض اقامة المستعمرات في الجولان . واتجاه التركيز على الضفة وخاصة منطقة نابلس والقدس والغور الامر الذي يعطي عملية سلواد اهمية خاصة ويتطلب من الثورة الاستمرار في عملها السياسي والعسكري ضد مخطط بيع الاراضي من أجل احباطه . ان النية في بدء تنفيذ خطة السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة الغربية يجب أن يؤخذ بعين الجدية فبالاضافة الى ما صرح به شابيرو فقد كتب دان برغليت في هآرتس ٧٣/٢/٢ مقالا قال انه : يعتمد على اقوال ادلى بها دايان في اجتماع مغلق (ن. د. ف. ، ٧٣/١٢/١٦) « ... اذا اراد يهودي شراء ارض في بيت لحم ، او في سفوح جبل جرزيم المطل على نابلس ، واذا ارادت هاشومير هتسعير ، او حركة المستوطنات دق وتد قرب جنين ، كما يريد اخرون بناء مساكن لهم في منطقة النبي صموئيل فيجب تمكينهم من ذلك » .

٤ ــ ثمة اهمية خاصة لعملية الاشتباك الذي جرى في السويمة بين مجموعة من الفدائيين وبين قوات العدو حيث كشف ان المجموعة كانت مطاردة في جبال الخليل منذ سنة ١٩٧٠ ويقول مراسل اذاعة اسرائيل « انه نسب لافراد المجموعة عمليات « تخريب » عديدة وقعت في منطقة جبل الخليل في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ منها اطلاق قذائف كاتيوشا على القدس وزرع لغم بالقرب من بيت جبرين تسبب انفجاره بمقتل اربعة من ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢/١٢/ ٧٣) . وهذا يدل على انه بالامكان ان تعمل مجموعات مسلحةفي جبال فلسطين لفترة طويلة وهي مطاردة من قبل العدو .

بالاضافة الى العمليات العسكرية فقد اتسمت الفترة بين ٢/٥/ ــ ٢/٢٠ :

أ) بتوزيع سلسلة من المنشورات ضد اللجان المحلية في قطاع غزة وضد بيع الاراضي في الضفة الغربية . فقد ورد في نبأ لوكالة رويتر من القدس بتاريخ ٢/١٦ انه وزعت منشورات في البلدة القديمة من القدس تدعو السكان العرب الى التضامن ضد الخطوات الاسرائيلية لاجلاء العرب عن حي باب السلسلة في البلدة القديمة واسكان يهود محلهم . كما وزعت منشورات في ٢/١٧ في مدينة القدس تفضح عملية شراء الاراضي من قبل الصهاينة وتحذر من مخطط لتهويد المدينة . كما وزعت منشورات في غزة تأمر لجان الاحياء التي انتخبت مؤخرا بعدم التعاون مع الحكم العسكري . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٨) .

ب) جرت سلسلة من اعتقالات واسعة في قطاع غزة والضفة الغربية والجليل والجولان مما يدل على تصاعد النشاط السياسي والعسكري لخلايا المقاومة فقد : ١ ــ اعلن العدو عن اعتقال ١٨ « مخربا » في غزة . ٢ ــ جرت حملة اعتقالات اخرى في ضواحي مدينة الخليل اثر القبض على عناصر كانوا يعملون في المنطقة منذ ثلاث سنوات . ٣ ــ كما تم اكتشاف شبكة فدائية في شمال قضاء

نابلس وانه تم اعتقال عشرة اشخاص معظمهم من قرية قباطية قرب جنين وقد اعتقلوا في اعقاب اعتقال شاب بعد عودته من الاردن عن طريق جسر دامية وهو يحمل مواد متفجرة . ٤ — اعتقل في ٢/١٤ عدد من الاشخاص من القرى العربية في منطقة عكا اثر انفجار لغم في منطقة معلوت في الجليل . كما اعتقل في ٢/١٧ اثنا عشر مواطنــا فلسطينيا من سكان قريتي بعنه ودير الاســد في الجليل اثر اصابة سيارة للعدو وتدمير عبارة على الطريق ما بين عكا وصفد . وقد وصفت وكالة الاسوشيتدبرس ان هذه هي الشبكة الثالثة التي يعلن الاسرائيليون عن اكتشافها منذ كانون الاول الماضي . واهمية هذه « الشبكة » انها تأتي بعد اكتشاف اعضاء الجبهة الحمراء. ٥ — اما بالنسبة لتنظيم الجولان فقد وصل عدد المعتقلين الى ٣٩ شخصا . وعلى اثر عمليات التفتيش التي جرت في قرى مسعدة ومجدل شمس وبقعاثا تم اكتشاف بعض الرشاشات من نوع كلاشينكوف وقنابل يدوية وذخيرة . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢٠/٢/١٩٧٣) . وقد كشف العدو ان ما اسماها بشبكة الجولان كانت قد أحبطت مشروعين للعدو احدهما تعيين لجان محلية لادارة اعمال القــرى على غرار المجالس المحلية في اسرائيل وثانيهما اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة . وبهذا دحض العدو رغما عنه ادعاءه بأنها شبكة تجسس وكشف انها خلية سياسية مناضلة .

يلاحظ مما تقدم ان ثمة نشاطا متصاعدا فعلا في تنظيم الخلايا وممارساتها لمختلف اشكال النضال العسكري والسياسي والجماهيري . فلولا تصاعد هذا النشاط لما تصاعدت الاعتقالات ، ولما اضطرت صحف العدو ووكالات الانباء الى الاعتراف بهذه الحقيقة .

مركز التخطيط في م. ت. ف.

تقريران :

الهجوم الاسرائيلي على بيروت

(٩ — ١٩٧٣/٤/١٠)

التقرير الاول

مقدمات ونتائج

الهجوم الاسرائيلي الذي استهدف مدينة بيروت ، وأدى الى مقتل ١٦ شخصا من الفدائيين والمدنيين، بينهم القادة الثلاثة : محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ، ليس الا جزءا من الحرب المعلنة بين حركة المقاومة الفلسطينية والعدو الاسرائيلي . ولكن هذه الحقيقة لا تنفي أن للمخطط الاسرائيلي في هذه المرحلة اهدافا خاصة ، تركز اهتمامها على ضرب حركة المقاومة من الداخل ، بعد ان فشلت كل محاولات القضاء عليها كقوة عسكرية وسياسية ، فرضت نفسها على خارطة الشرق الاوسط بسرعة كبيرة .

ويركز الاعلام الاسرائيلي على ان هذا الاسلوب في العمل ضد حركة المقاومة ، انما هو رد فعل على عمليات ايلول الاسود ، وخاصة عملية ميونيخ الشهيرة. ولكن الوقائع القريبة كافية وحدها لنسف هذا الادعاء من اساسه . فقبل بروز ايلول الاسود قامت المخابرات الاسرائيلية بنسف منزل الدكتور وديع حداد ، أحد قادة الجبهة الشعبية بالصواريخ . وبعد ذلك بفترة وجيزة قامت اسرائيل أيضا بعملية مماثلة على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . وتثبت هذه الوقائع ان الارهاب سياسة معتمدة من قبل اسرائيل قبل عملية ميونيخ ، ولكنها حتى ذلك الوقت كانت جزءا من العمل الروتيني لجهاز المخابرات ، اما بعد عملية ميونيخ فقد جرى تعميم هذا الروتين ونقله من اطار المخابرات ، الى اطار أجهزة الدولة الاسرائيلية بكاملها . فأقره اولا مجلس الوزراء ، ثم باركه الكنيست بأغلبية ساحقة ، وخصص له بعد ذلك مسؤول كبير ملحق بمكتب رئيسة الوزراء جولدا مئير هو اهرون ياريف الرئيس السابق للاستخبارات الاسرائيلية . وهذا التعميم والتوسيع لاطار الارهاب الاسرائيلي مرتبط بظروف موضوعية ابرزها :

١ — ضرب الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن، والذي أدى حتى الان الى تهدئة اكبر قطاع من قطاعات جبهة المواجهة مع اسرائيل . والذي كان مفروضا على اسرائيل من خلاله ، ان تواجه **القوة العسكرية لحركة المقاومة** . اما بعد غياب هذه القوة ، واستمرار فعلها في الارض المحتلة بأساليب عمل سرية ، فان متابعة التصدي لها تقتضي انتهاج اساليب تهدف الى **القضاء على بنيتها الداخلية** من خلال ضرب القادة ، وضرب المسؤولين عن مفاصل العمل الاساسية .

٢ — اقدام النظام الاردني ، من خلال مشروع المملكة العربية ، على ترتيب شؤون التسوية السياسية مع اسرائيل باتجاهين : اتجاه الحل الثنائي ، واتجاه ابراز قيادات فلسطينية عميلة تتولى شؤون القطر الفلسطيني في اطار المملكة المتحدة . وهذا لا بد ان يقود في النهاية الى العمل **لتصفية قيادات حركة المقاومة بالذات** ، باعتبار انها القيادة التي تمثل الشعب الفلسطيني رسميا من خلال منظمة التحرير ، وفعليا من خلال العمل الفدائي وما فرضه من وقائع نضالية .

٣ — فشل الولايات المتحدة ، ووسائلها الدبلوماسية العلنية والسرية ، في ترويض حركة المقاومة الفلسطينية ، واقناعها بقبول التسويات السياسية المنتظرة ، او الدخول في لعبتها ، تنفيذا لمخططها

الرامي الى فرض هيمنتها السياسية الكاملة على منطقة الشرق الاوسط لضمان الحصول على النفط العربي . وذلك يقتضي بالطبع ضغطا متواصلا على حركة التحرر الوطني العربية لتركيعها ، وهو يقتضي بشكل خاص عملا مباشرا ضد حركة المقاومة باعتبار انها اكثر فصائل حركة التحرر العربي حيوية واثباتا للوجود في هذه المرحلة .

وبقدر ما تشكل هذه النقاط الثلاث ، الاساس الموضوعي لاندفاع اسرائيل نحو اسلوب الارهاب لمواجهة حركة المقاومة ، بقدر ما تشكل الاساس الموضوعي لقيام تعاون وتنسيق بين اسرائيل والولايات المتحدة والاردن ، انطلاقا من المصلحة الواحدة التي يشكل القضاء على حركة المقاومة قاسمها المشترك . ويفرض هذا التعاون بين الاطراف المذكورة ، التشاور ، وتبادل المعلومات ، واقتراح الخطط ، ثم اقتراح افضل الجهات للتنفيذ . وهنا من المفيد ان نستعيد للذاكرة سلسلة العمليات التي دبرها النظام الاردني في بيروت ، اما لتشويه سمعة المقاومة والايقاع بينها وبين النظام اللبناني (القاء القنابل على الكنائس) ، أو لضرب واغتيال قيادات المقاومة انفسهم . وقد كان الشهيد ابو يوسف احد الذين كشفوا هذه العمليات (عملية مساعد الملحق العسكري الاردني) وسلموا اشخاصها بالجرم المشهود للسلطة اللبنانية . كذلك من المفيد ان نستعيد للذاكرة مبادرات الولايات المتحدة (المخالفة للاعراف الديبلوماسية) حين سربت للصحافة تقارير السفير الاميركي في بيروت عن وضع الفدائيين الفلسطينيين وعلاقاتهم بالمواطنين اللبنانيين . كذلك حين تبرعت بنشر اسماء كثيرة لبعض قادة حركة المقاومة على أساس انهم من قادة ايلول الاسود . وكأن هذا النشر للاسماء كان تمهيدا وتهيئة للرأي العام حتى يتقبل عمليات الاغتيال التي ستحدث فيما بعد .

وانطلاقا من هذه الوقائع لم يكن غريبا على الاطلاق أن تقول حركة المقاومة في بيانها الرسمي عن الحادث ان العدو اعتمد «على عناصر للاستخبارات الاميركية في بيروت ... وشوهدت عدة سيارات تتجه الى مقر السفارة الاميركية في عين المريسه ، وكذلك حاول بعض قوارب العدو الاقتراب من الشاطىء من تجاه السفارة لاخذ هذه العناصر ».

كذلك لم يكن غريبا على الاطلاق ان يعلن السيد كمال جنبلاط ، الامين العام للجبهة العربية المشاركة في مؤتمره الصحفي ان الطائرة التي تنقل حرس السفارة الاميركية الى بيروت قد ادخلت ١٥ شخصا ثم غادرت وهي تحمل ٤٥ شخصا ، ويتساءل عن هوية هؤلاء الذين غادروا خلافا للاعداد المألوفة في كل مرة .

ان ذكر هذه الوقائع ليس غريبا ، لانها تنسجم مع كثير من الشواهد والمواقف المعلنة من قبل . واذا كان الكنيست الاسرائيلي قد أقر رسميا سياسة الارهاب ، فان الرئيس الاميركي نيكسون تولى شخصيا الاشراف على رسم سياسة الولايات المتحدة ضد الارهاب ، وكذلك فعل النظام الاردني حين تابع حربه ضد المقاومة ونقلها الى خارج حدوده . والارهاب عند هذه الاطراف الثلاثة ، يتلخص في النهاية باعلان الحرب ضد حركة المقاومة ، وضد كل تواجد فلسطيني ، مهما كانت الوسيلة التي يعبر بها عن نفسه .

اسرائيل تهدد بالاستمرار

ان توجه اسرائيل والقوى المعنية معها ، لضرب البنية الداخلية لحركة المقاومة ، لا يلغي ان لهذا التوجه هدفا آخر ، هو الاستمرار في ضرب المقاومة كقوة عسكرية . ودائما كانت اسرائيل تتبع من اجل ذلك وسيلتين : وسيلة الضرب المباشر لقواعد الفدائيين ، ثم وسيلة ضرب المواقع العربية لدفع الحكومات العربية نحو سياسة التضييق على العمل الفدائي ، وصولا الى ايقافه ومنعه . وقد مورست هذه السياسة أولا ضد الاردن ، ثم مورست بشكل مكثف ضد لبنان بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ . وقد اثمرت هذه السياسة الاسرائيلية اتفاق تجميد العمل الفدائي المنطلق من لبنان ، ولكن اسرائيل كما ثبت بالتجربة تريد مواصلة الضغط من اجل دفع لبنان الى القيام بانهاء وجود العمل الفدائي من اساسه . وبعد الهجوم الاسرائيلي على بيروت توالت التصريحات الاسرائيلية التي تعبر عن هذا الموقف بوضوح ، كما تعبر عن عزم اسرائيل على الاستمرار في هذا النوع من العمليات . ففي اليوم التالي للعملية قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية « ان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بأن الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها . واذا استمرت حكومة لبنان في منح « المخربين » حرية العمل فوق أراضيها ، واستمر الجيش الاسرائيلي في أعماله في بيروت ، فان ذلك من شأنه ان يضع حكومة

لبنان امام ضغط عام يؤدي في النهاية الى تصفية ، او تخفيف ، الاعمال « التخريبية » من لبنان » . وفي اليوم نفسه أدلى ديفيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي بتصريح قال فيه « انني لا أعتزم تقديم تفاصيل حول العملية ... لاننا سنستخدم الاساليب ذاتها في المستقبل ... وينبغي على حكومة لبنان ان تتعظ من هذه العملية ، ذلك لانه لا توجد امكانية للمحافظة على سيادة لبنان ، في الوقت الذي يحظى فيه المخربون بحرية العمل لاقامة القواعد » .

نتائج العملية في لبنان

وعلى ضوء هذه الاهداف الاسرائيلية الواضحة تماما في التصريحات العلنية لكبار المسؤولين ، ما هي التوقعات المنتظرة في الموقف اللبناني ؟ هنا لا بد من الاشارة الى القضايا الاساسية التالية :

١ ــ برزت ملاحظات هامة وعديدة حول تصرف السلطات اللبنانية اثناء وقوع الهجمات على بيروت، ولخص بيان الجبهة العربية المشاركة هذه الملاحظات بالنقاط التالية: عدم وجود اي دوريات في الشوارع أثناء الهجوم ، وعدم الاقدام على وضع الحواجز على الطرق بحيث يمكن القبض على العناصر المنفذة .قطع الكهرباء عن مدينة بيروت بطريقة بدا معها وكأن قطع الكهرباء يساعد العناصر على الهرب . منع النجدات الفدائية من الوصول الى قلب العاصمة . اعتقال قائد الكفاح المسلح الذي كان يحاول الوصول الى مناطق الاشتباكات . قطع خطوط التلفون عن بعض مكاتب الفدائيين الرئيسية. وقد تساءلت الجبهة المشاركة في بيانها عن معنى كل هذه المواقف بلهجة شديدة تحمل الكثير من الادانة.

٢ ــ حين أعلن الرئيس صائب سلام تقديم استقالته برز سؤال آخر أكثر اهمية . فقد تسرب ان سلام يطالب كشرط لبقائه في رئاسة الوزارة ، اقالة قائد الجيش لانه لم ينفذ الاوامر التي صدرت اليه بالرد على الهجوم الاسرائيلي . وتسربت بالاضافة الى ذلك انباء تقول بأن هناك خلافا بين الوزارة والجيش حول الجهة التي تقع مسؤولية التصدي للهجوم على عاتقها ، فبينما يعتبر الفريق المدني ان التصدي لانزال عسكري على الشاطىء هو من مسؤولية الجيش ، يعتبر الفريق العسكري ان مواجهة ما يجري في المدينة هو من مهمة قوى الامن الداخلي .

وبغض النظر عن هذا الجدل الدائر في الكواليس ، فان الحقيقة الثابتة أن العدوان قد أحدث هزة عنيفة في أوساط النظام ، زاد من حدتها رد الفعل الشعبي الغاضب والمستنكر . وازاء هذه الهزة وما رافقها من توتر جماهيري كان تقديم ضحية هو أفضل ما يمكن عمله لامتصاص حالة النقمة ، واشعار الجماهير بأن ثمنا قد دفع . ويبدو ان استقالة الوزارة تشكل من ضمن اللعبة البرلمانية ، حلا ينسجم مع طبيعة النظام اكثر من تقديم ضحية أخرى .

٣ ــ أصبح من المؤكد ان مبدأ الوجود الفدائي كان ولا يزال موضوع بحث لدى أعلى المراجع اللبنانية. وقد أثير هذا الموضوع بشكل رئيسي في اللقاءات التي جرت مع السيد حسن صبري الخولي الذي أوفده الرئيس السادات بعد الحادث مباشرة . فقد قالت المصادر الصحفية انه تم في هذه الاجتماعات بحث ثلاث قضايا : اولا قضية حدود الوجود الفدائي في لبنان ، وما يترتب عليه من مسؤوليات لبنانية ، على اساس ان لبنان يؤثر بسبب اوضاعه العسكرية ، عدم التسبب باعتداءات اسرائيلية لا قدرة له على صدها . ثانيا قضية المخيمات الفلسطينية ، والمطالبة بأن تكون السلطة اللبنانية مسؤولة عنها كليا والا فانها لا يمكن ان تتحمل اية مسؤولية . ثالثا تحركات المقاومة التي تتم دون تنسيق مع السلطات اللبنانية ، مما يجعل من المتعذر على الجهات المختصة معرفة حقيقة ما يجري . ورددت الانباء الصحفية ان الحوار حولها انتهى الى ضرورة البحث في كافة هذه المسائل بين المقاومة والمسؤولين اللبنانيين من ضمن منطق التمسك بالاتفاقيات المعقودة وعدم الاخلال بها ، على أن تجري مشاورات عربية سريعة لدى بروز أي خلاف قد يقود الى التوتر ، ليتم حل المسائل على اساس هذه المشاورات .

٤ ــ في الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المناقشات حول مبدأ وجود العمل الفدائي في لبنان ، كانت اكثر من جهة سياسية لبنانية تطرح موضوع سرية العمل الفدائي . ومما لا شك فيه أن موضوع السرية من المواضيع الاساسية والحيوية التي يتوجب على حركة المقاومة ان تعطيها اهتماما خاصا ، وفي هذه المرحلة بالذات ، تكميلا لابحاث وخطوات جرت فعلا ونفذ العديد منها . ولكن موضوع السرية الذي يطرح في لبنان ، وعلى لسان شخصيات معروفة اتخذ ولا يزال معنى مغايرا

للمعنى الذي تبحث حركة المقاومة على اساسه . فبينما تبحث حركة المقاومة موضوع السرية من زاوية الامن ، ومن زاوية بناء كادرات جديدة غير معروفة ، لتصعيد نشاطها وتمكينه من مواجهة المخططات المضادة ، فان الشخصيات السياسية اللبنانية المعنية تقصد بسرية العمل الفدائي ، اخلاء القواعد المتواجدة في جنوب لبنان ، والاختفاء من داخل المخيمات . وبكلمة أخرى الغاء اتفاق القاهرة وما تفرع عنه من بروتوكولات لتنظيم العلاقات اليومية ، وهو ما ترفضه حركة المقاومة من حيث المبدأ .

٥ — والى جانب هذا الحوار الرسمي حول مواجهة الهجوم الاسرائيلي والموقف من حركة المقاومة ، كان هناك حوار آخر يجري على الصعيد الشعبي باتجاهات ومواقف مختلفة ، عبرت عنه كافة الاحزاب والمنظمات الشعبية بالبيانات التي أصدرتها وركزت فيها على تخاذل السلطة في الرد على الهجوم الاسرائيلي . كما عبرت عنه عشرات المظاهرات التي نظمت في كافة المدن اللبنانية ورفعت شعارات حاسمة وواضحة ضد موقف السلطة ، وتأييدا لحركة المقاومة . وحين تم تشييع الشهداء (يوم الخميس ١٢ نيسان) كان زحف الجماهير اللبنانية للمشاركة في التشييع أبلغ دليل على طبيعة الموقف الجماهيري وتأييده الكاسح لحركة المقاومة . والجدير بالذكر هنا ان السلطة تركت لحركة المقاومة أمر تنظيم التشييع ، وبسبب معرفة الجماهير ، الذين تجاوز عددهم ربع المليون، لهذه الحقيقة ، فقد أبدت انضباطا رائعا أذهل كافة الذين راقبوا الجناز ، وفاجأ كافة الذين كانوا يجزمون بأن التشييع سيتحول الى عملية فوضى تتولد عنها اصطدامات واضطرابات عديدة .

ان هذه الصورة لرد الفعل اللبناني ، بما تحمله من تناقضات ، وبما عبرت عنه من تجنب للكثير من الصراعات ، الا انها تنطوي بداخلها على احتمالات تستدعي المراقبة الحذرة . فالهجوم الاسرائيلي على بيروت ليس حدثا يمر بسهولة ، والتحرك الجماهيري الذي عبر عن تأييده للمقاومة ليس تحركا ضئيل الدلالة ، واستمرار الحفاظ على التوازن بين هاتين الصورتين أمر لا يمكن الجزم به ، سلبا أو ايجابا ، بمجرد الاستقراء المنطقي للامور .

ب. ح.

التقرير الثاني

تقييم عسكري سياسي لعملية ٩ ــ ١٠ نيســان في بيروت

« حيثما يوجد قهر توجد مقاومة . ان البلاد تريد الاستقلال ، والامم تريد التحرر ، والشعوب تريد الثورة . هذا هو الاتجاه التاريخي الذي لا يمكن مقاومته » . ولكن الطغمة العسكرية الفاشية الحاكمة في اسرائيل تود تجاهل هذا الاتجاه التاريخي ومقاومته بمختلف الاساليب ، وتعتقد ان العنف وسيطرة القوة ستحقق لها اغراضها متناسية ان العنف القمعي المستعبد غير العادل يلد في النهاية العنف الثوري المحرر العادل الذي قهر امبراطوريات العدوان في كل زمان ومكان .

وليعذرني القارىء اذا بدأت حديثي عن عملية ٩ ــ ١٠ نيسان في بيروت بتكرار بديهيات معروفة عن العنف واختلاف النظرة الاخلاقية اليه حسبما يكون عنفا تحريريا أم عنفا قمعيا ، ثوريا ام مضادا للثورة ، عادلا ام غير عادل . فلقد اضطررت لاختيار هذه البداية عندما وجدت صحيفة الغارديان البريطانية تكتب في ١١/٤ « ان من الممكن تبرير » عملية الجيش الاسرائيلي واعتبارها عادلة ، وذلك لان ضحاياها صرحوا علانية ان « العنف هو سلاحهم السياسي » ، وعندما رأيت ان جميع الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة « المدافعة عن الديموقراطية ! والحرية ! في العالم » ستستخدم حق الفيتو في مجلس الامن اذا ما قررت غالبية اعضاء هذا المجلس ادانة العدوان الاسرائيلي على بيروت والذي راح ضحيته ثلاثة من ابرز قادة المقاومة وعشرات الشهداء والجرحى . وان اقصى ما يمكن للولايات المتحدة ان تقدمه للعرب مقابل نهب ثرواتهم وكتم انفاسهم واذلالهم والحصول من حكوماتهم على صك البراءة من دم شهداء العدوان ، بالاضافة الى التعهدات بتصفية الحركة الثورية العربية والمقاومة الفلسطينية هو أنها ستندد بالعنف الذي يزيد خطورة الموقف في الشرق الاوسط دون تمييز بين عنف الغزاة وعنف المدافعين ، بين عنف من يمارسون القمع لقهر الانسان العربي وتشتيت الشعب الفلسطيني والاستيلاء على ارضه بل وابادته ، وعنف من يلجأون الى العنف [الكفاح المسلح] كآخر وسيلة لاسترداد الحق السليب .

ويحق للمرء هنا ان يتساءل : الى اين تود الولايات المتحدة قيادة الانسانية ، وما هي طبيعة الحضارة التي ستسود العالم اذا ما ساد الامريكيون انصار « الديموقراطية » و« الحرية » ؟ لقد هب العالم بأسره في النصف الاول من هذا القرن وناضل ضد جرائم الفاشية والنازية وضد خطرهما على القيم الانسانية والحضارة العالمية . ولا بد ان يناضل احرار العالم كله ، بما في ذلك ليبراليو العالم الرأسمالي لتدمير الوحش الامبريالي الجديد الذي يوشك ان يبتلع حضارة عمرها آلاف السنين .

ولنعد الان الى عملية ٩ ــ ١٠ نيسان نفسها لنبحثها عسكريا من زوايا : الهدف والاعداد والتوقيت والتنفيذ واستثمار النصر والدروس .

الهدف : يقول الاسرائيليون في بلاغاتهم ان هدف العملية كان يتمثل في قتل قادة المقاومة الثلاثة وتدمير مكتب الجبهة الشعبية الديموقراطية في بيروت وعدد من البيوت والاماكن التي يتم فيها تدريب الفدائيين وتخزين اسلحتهم واصلاح سياراتهم في جنوب بيروت وصيدا . ولقد أشار المراسل العسكري للاذاعة الاسرائيلية الى انه « لا يجب اعتبار هذه العملية كعملية انتقامية مباشرة بل تعبيرا آخر عن سياستنا القاضية بضرب « المخربين » [رجال المقاومة] دون هوادة **حيثما وجدوا** » (ر. ا. أ. عدد ٢٠٧). بيد ان رئيس الاركان الاسرائيلي دافيد العازار صرح في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٠/٤ تصريحا مناقضا لذلك عندما قال بأن الحملة جرت « **ردا** على عمليات المخربين [رجال المقاومة] في اوروبا وفي أماكن أخرى في الشهر الماضي » (ر. أ. أ. عدد ٢٠٨). ولقد ربطت اذاعة اسرائيل العملية المعادية ببعض عمليات المقاومة عندما قالت « بعد مرور ١١ يوما على الانفجارات التي وقعت في الخضيرة وفي القدس ، وبعد ساعات معدودة على الهجومين في قبرص، خرجت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي... » (ر. ا. أ. ملحق عدد ٢٠٧) . فما هو الهدف الحقيقي من العملية وهل هي رد على عمليات عربية وفق مبدأ العين بالعين ، ام هي حلقة من سلسلة عمليات مخططة بشكل مسبق ؟

الحقيقة ان الامر متشابك الى حد بعيد ، فالعملية جزء من خطة مجهزة مسبقا لضرب قواعد المقاومة

وقياداتها ومفكريها وأجهزتها ومؤسساتها العسكرية والسياسية والاعلامية داخل الارض المحتلة وفي البلدان العربية وبلدان العالم بغية اخذ المبادرة من المقاومة وشل عملياتها وحشرها في مواقع دفاعية ، ودفعها الى مواقع اليأس والاستسلام وتقديم التنازلات — وفق توقعات الجنرال الاحتياطي هرتسوغ في حيفا في ندوة لكبار الضباط في جيش الاحتياط وزعماء المؤسسات (ر. أ. أ. عدد ٢٠٩).

ولقد اعلن قادة العدو أهداف خطتهم بعد عملية ميونيخ اكثر من مرة . ثم عاد رئيس الاركان دافيد العازار الى تكرار هذه الاهداف في ٧٣/٤/١١ أمام المؤتمر الرابع لجمعية الصحف الاسرائيلية في حيفا عندما حدد الاهداف الثلاثة التي يضعها الجيش الاسرائيلي نصب عينيه في العام المالي القادم ، وذكر ان احد هذه الاهداف هو « مواصلة الحرب ضد منظمات التخريب [المقاومة] من اجل تقليص نشاطها ، وتخفيف الاضرار داخل البلاد وخارجها » (ر. أ. أ. ملحق عدد ٢٠٩) ، واشار الى ان اسرائيل لن تحدد نفسها « بحدود الزمان والمكان والاسلوب » اذا مارس العرب ضدها العمليات المحدودة (ديلي تلغراف ٧٣/٤/١٢) .

والعملية بالاضافة الى ذلك رد فعل هجومي على تصعيد عمليات المقاومة داخل الارض المحتلة . فلقد شهد الشهر الماضي ومطلع الشهر الحالي تزايدا واضحا في العمليات التي شملت كافة مناطق الارض المحتلة (الاراضي المحتلة في عام ١٩٤٨ — الضفة الغربية — قطاع غزة — الجولان) واتسمت بعنفها وتنوعها (زرع الغام — هجوم بالصواريخ — نسف محلات عامة — نسف سكة حديد — اعدام جواسيس — قتل جندي منعزل وتجريده من سلاحه — كمين — اشعال حريق — نسف سيارات مدنية وعسكرية — مهاجمة دوريات عسكرية) بالاضافة الى العمليات الخارجية التي نفذت او لم تنفذ لسبب ما .

وهكذا يمكن القول ان العملية كانت **فعلا ورد فعل بآن واحد** . بيد ان العدو الاسرائيلي الذي يتبجح بنجاح عمليته يعترف بأنها لا يمكن ان تكون حاسمة وانها ليست سوى جزء من حرب مضادة طويلة المدى ضد قوى حركة المقاومة . ولقد صرح العازار بأنه « لا يجب اعتبار عملية واحدة كافية لانهاء الحرب ضد العصابات . على ان سلسلة من العمليات ضد الارهابيين [رجال المقاومة] سيكون لها تأثير تراكمي يمكن ان يقلص حجم نشاطهم » (ديلي تلغراف ، ٧٣/٤/١٢) . ويمكننا تحديد أهداف العملية بما يلي :

١ — دفع المقاومة الى خنادق الدفاع .

٢ — تدمير القوى المادية والمعنوية للمقاومة ضمن خطة حرب استنزاف مضادة طويلة الامد .

٣ — ضرب الجهاز العصبي القيادي للمقاومة بغية شله ومنعه من التخطيط لعمليات جديدة وعرقلة الاعدادات القائمة لتصعيد العمليات داخل الارض المحتلة وخارجها بمناسبة مرور ٢٥ عاما على اغتصاب فلسطين وانشاء دولة اسرائيل .

٤ — الحصول على وثائق هامة من اي نوع كانت (يبدو ان العدو كان يتوقع وجود وثائق في بيوت قادة المقاومة بدليل انه فتش البيوت المهاجمة بشكل دقيق) .

٥ — خلق جو من التوتر واللاثقة بين المقاومة والسلطات اللبنانية ، واعطاء هذه السلطات المبرر اللازم لتصفية المقاومة على الطريقة «الهاشمية» .

٦ — دفع الجماهير اللبنانية الى المطالبة بابعاد المقاومة عن لبنان بحجة انه بلد لا يستطيع الدفاع عن نفسه امام هجمات الجيش الاسرائيلي .

٧ — الرد على عمليات الداخل والخارج المتزايدة باستمرار بغية رفع معنويات الاسرائيليين والحفاظ على مستوى مصداقية التهديدات الاسرائيلية .

٨ — الرد على عملية الخرطوم (لحساب الاستخبارات الامريكية وبمساعدتها) وعلى مقتل الدبلوماسيين الامريكيين على يد منظمة أيلول الاسود .

الاعداد : تدعي اسرائيل للتغطية والتمويه ان العملية تمت بقوات الجيش الاسرائيلي . ولكننا نعتقد كل الاعتقاد انها نفذت بعناصر من مجموعات العمليات الخاصة (تفيكيديم ميوحاديم) بالتعاون مع عناصر من الاستخبارات العسكرية (موديعين تسفائي) . ولقد ساعد في اعداد العملية وجمع المعلومات اللازمة لها عناصر وعملاء الاستخبارات المركزية الامريكية في لبنان بالاضافة الى الاستخبارات الاردنية التي وجهت اليها والى اللواء رسول الكيلاني اصابع الاتهام من قبل مجلة الفجر الصادرة في القدس (المحرر ٧٣/٤/١٧ عن رويتر).

ولقد بدا واضحا منذ عملية ميونيخ ان مجموعات

العمليات الخاصة (تفيكيديم ميوحاديم) العاملة برئاسة المستشار الخاص لغولدا مايير الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف* هي المكلفة بالحرب المضادة ضد المقاومة في العالم . وتحظى مجموعات أهارون ياريف بتعاطف يهود العالم ومساعدتهم . ولقد كانت تعمل في اقطار العالم في البداية بحذر شديد ، ولكنها بدأت تعمل بشكل أكثر جراة عندما أعطاها الرئيس نيكسون الضوء الاخضر ومنحها بركاته السياسية ودعم وكالة المخابرات المركزية بعد عملية الخرطوم التي أعلن الرئيس نيكسون على اثرها ضرورة البدء بالنضال ضد الارهاب .

وتستخدم مجموعات العمليات الخاصة « تفيكيديم ميوحاديم » ، والاستخبارات العسكرية « موديعين تسفائي » ، والمخابرات العامة « شين بيت » وقوات الجيش الاسرائيلي [في داخل الارض المحتلة وخارجها كل حسب اختصاصه] اسلوبين للصراع ضد المقاومة الفلسطينية . الاول دفاعي يستند الى الابواب المصفحة والاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ورجال الامن وكاميرات التلفزيون والدوريات والكمائن والحراس ... الخ وكل التدابير الدفاعية المطبقة على هذا الهدف او ذاك حسب طبيعته وموقعه وأهميته ، والتي سخر اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف من فعاليتها في الخارج عندما قال : « وكان في امكان خط بارليف ان يمتد الى كل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » (ن. م. د. ف عدد ٧٣/٣/١٦) . والثاني هجومي يعتمد على تشديد الضربات المتلاحقة الى مصادر الخطر بغية درء الاحداث قبل وقوعها . ولقد تحدث الجنرال العازار بعد عملية ٩ — ١٠ نيسان بهذا الصدد قائلا : « منذ شهر كانون الاول [١٩٧٢] غير الجيش الاسرائيلي توجهه الدفاعي ودمجه بتوجه هجومي . وهو التوجه الذي أعطى ثماره بانخفاض مستمر في نشاط المخربين [رجال المقاومة] وعدد مصابينا ، الى جانب ارتفاع عدد الاصابات بينهم ، وهدوء الحدود مع لبنان وسوريه» (ر. ا. ا. عدد ٢٠٩).

يعد العدو الاسرائيلي هجومه عادة بوضع جدول للاهداف مع تحديد الافضليات . ويلي ذلك البدء بالاستطلاع وجمع المعلومات واعداد الخطة التفصيلية المرنة لضرب كل هدف وتحديد القوى اللازمة لذلك . وما ان يتم هذا الاعداد حتى تتحرك القوة المكلفة لتنفيذ المهمة . وتختلف ساعة الحركة حسب طبيعة الهدف . فاذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولا بد من ضربه فورا تحركت القوة المنفذة من مكان التجمع (اسرائيل أو أي مكان آخر) متجهة مباشرة نحو الهدف (قواعد المقاومة ومكاتبها في مخيم نهر البارد ، معسكر التدريب في البداوي ، بناية مقر قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية في صبرا ، كراج صيدا .. الخ) اما اذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولكن من الضروري انتظار الظرف الملائم لضربه (ضجة عالمية ضد الارهاب ، أو للرد السريع على ضربة تقوم بها المقاومة بشكل يظهر للعالم سرعة رد اسرائيل وديناميكيتها) فان القوة المنفذة تتحرك من مكان التجمع البعيد الى داخل البلد الذي سيجري التنفيذ فيه وتبقى على شكل قوة كامنة تنتظر اشارة البدء (ويمكن اعتبار بيوت قادة المقاومة الثلاثة الذين استشهدوا في ليلة ٩ — ١٠ نيسان من هذا النوع او من النوع الاول حسبما يثبت التحقيق بالدليل القاطع قدوم المنفذين من خارج البلاد في **ليلة الهجوم نفسها** او عدم قدومهم) . واذا كان الهدف متحركا يبدل مكانه بسرعة تجعل من المتعذر الافادة من معلومات رصد سابقة استخدم العدو القوة المنفذة الكامنة . وهو يقسم القوة المنفذة في هذه الحالة الى مجموعتين : مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ . وتكون المجموعتان في البلد الذي سيتم التنفيذ فيه، وتبقيان على اتصال دائم . والفرق بينهما ان مجموعة الاستطلاع تمارس عملها على حين تبقى مجموعة التنفيذ في حالة تأهب . وما ان يظهر الهدف أمام مجموعة الاستطلاع حتى تعلم المنفذين للقيام بمهمتهم . ولا تنجح مثل هذه المجموعات الا اذا أمنت ما يلي : ١) سرعة الاتصال بين مجموعة الاستطلاع ومجموعة التنفيذ ، ٢) سرعة حركة مجموعة التنفيذ ، ٣) خضوع مجموعة الاستطلاع لمراقبة دقيقة من مجموعة التنفيذ حتى تختفي هذه الاخيرة اذا ما انكشفت مجموعة الاستطلاع ووقعت في الاسر . واخيرا فان هناك الاهداف الطيارة ، أي الاهداف الصغيرة العابرة التي يتم كشفها ووضع الخطة وتنفيذها بالوسائل المحلية المتوفرة في منطقة ظهور الهدف دون الحاجة للاستعانة بوسائل اكبر. (حادثة استشهاد حسين ابو الخير في قبرص، واستشهاد الدكتور باسل قبيسي في باريس ... الخ)

---

* كان الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف رئيسا للاستخبارات العسكرية قبل استلام منصبه الجديد كمستشار لرئيسة الحكومة الاسرائيلية .

وسواء أثبت التحقيق قدوم المجموعات التي اغتالت قادة الثورة الثلاثة من الخارج (اي استخدام العدو للطريقة الاولى) أم أثبت العكس (اي استخدام العدو للطريقة الثانية) فان من المؤكد ان في لبنان، وفي بلدان عربية اخرى مجموعات كامنة مغطاة بغطاء تجاري او سياحي او اعلامي او ثقافي ، وتتمتع بحماية ومساعدة سفارات الدول الامبريالية. وستكون مهمة هذه المجموعات تنفيذ الطريقتين الثانية والثالثة حسب مقتضيات الظروف وطبيعة الاهداف . كما ان في البلدان الاجنبية مجموعات مستعدة لمجابهة الاهداف الطيارة . الامر الذي يتطلب قيام حركة المقاومة في البلدان الاجنبية وحركة المقاومة واجهزة الامن في الدول العربية المضيفة بالبحث بجدية عن هذه المجموعات لتدميرها .

وما دمنا في معرض الحديث من التخطيط فان علينا ان نعترف بدقة تخطيط العملية التي نحن بصددها، ولكن علينا ايضا ان لا نبالغ في تقييم هذه الدقة ، ولا نعيدها لعبقرية العدو وتغلغل اجهزته ... الخ بل نعيدها الى اسبابها الحقيقية وهي : ١ — صحة المعلومات الناجمة عن انكشاف الاهداف وضعف امن المقاومة ، ٢ — تنفيذ العملية في بلد سياحي مفتوح يعتمد جزء كبير من ازدهاره على منح اكبر حرية ممكنة للاجانب من السواح ورجال الاعمال ، ٣ — قرب البحر والحدود الاسرائيلية بشكل يساعد على وضع خطة الانسحاب ، ٤ — معلومات الاستخبارات التي تقدمها الدول الامبريالية ، ٥ — عدم استخدام بعض قيادات المقاومة لمبدأ المراكز المتحركة، ٦ — عدم تطبيق مبادىء وأساليب التملص من المراقبة والتملص من المطاردة خلال الحركة .

التوقيت : لقد تم اختيار التوقيت العام في الفترة التي سبقت العمليات المنتظرة بمناسبة مرور ٢٥ سنة على انشاء دولة اسرائيل بحيث يكون للعملية تأثير سلبي على مجموعات الداخل . اما التوقيت التنفيذي ، اي ساعة الصفر فقد اختير بشكل تستفيد به اسرائيل من الضجة الاعلامية الناجمة من عمليتي قبرص ضد منزل السفير وضد طائرة العال . ومن الملاحظ ان التوقيت جاء في فترة هدوء جبهات القتال العربية واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم الذي ترك يدي اسرائيل حرتين للتعامل مباشرة مع الاطراف العربية الاضعف : لبنان وحركة المقاومة . ومن المؤكد ان العدو ما كان ليجرؤ على القيام بمثل هذا العمل لو انه كان مشتبكا بحرب استنزاف مع البلدان العربية ، أو لو انه كان يتوقع ردا عربيا عنيفا على مستوى الاحداث . ولكن الايام علمته ان الانظمة العربية التي لا تقاتله هي في حالة حياد سلبي معه ، وان ردها سيكون لفظيا غير رادع ، الامر الذي شجعه على توسيع العدوان مع حرية في اختيار **الزمان والمكان والاسلوب .**

التنفيذ : جرى تنفيذ عملية صيدا بمجموعة واحدة أما عملية بيروت فقد تم تنفيذها بثلاث مجموعات (مجموعة صبرا ومجموعة الاوزاعي ومجموعة شارع فردان) مختلفة التكوين والتسليح ، ومتباعدة عن بعضها مسافة ٥ كيلومترات . وهذا يعني أنها كانت تعمل بصورة منعزلة وببداهة منفذيها . ولن نكرر هنا وصف العملية الذي اوردته الصحف العربية والاجنبية بتفصيل لا يخلو من الاثارة الصحفية والمعلومات غير المؤكدة ، والاشارات المقصودة او غير المقصودة لبراعة المنفذين . ولكننا سنكتفي بالاشارة الى نقاط ثلاث : المفاجأة ، والدور الامريكي ، ودور السلطات اللبنانية .

المفاجأة : اذا كان من المبرر نسبيا مفاجأة حرس قادة المقاومة في شارع فردان نظرا للاسلوب الذي استخدمه المهاجمون (سيارات مدنية — البسة مدنية — مسدسات كاتمة — تنكر بهيئة الهيبيين — الوجود داخل بناية يسكنها مواطنون آخرون... الخ) فان من غير المبرر ابدا ان تنقلب هذه المفاجأة المحلية المحدودة الى مفاجأة كاملة لكل قوى الامن خاصة اذا ثبت ان مجموعات شارع فردان جاءت عن طريق البحر او عن طريق الجو (هليكوبتر) وبقيت على الارض اللبنانية حوالي ٤٠ دقيقة (حسبما تقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ الصادرة عن الشعبة الخامسة في الاركان العامة لقيادة الجيش اللبناني ، النهار ٧٣/٤/١٧)* . أما بالنسبة للمفاجأة في صبرا والاوزاعي وصيدا فهي أمر كارثوي لا يقبل أي تبرير ، ولا يمكن تفسيره الا باهمال المقاومة لتدابير الحماية والحراسة والرصد والانذار وضعف استعدادات الميليشيا الشعبية وضآلة قدرتها على كشف العدو وصده

---

* انتشر في الايام الاولى بعد العملية نبأ يقول ان مدتها كانت ساعتين ونصف . وتقول النشرة المذكورة اعلاه ان المدة كانت ٤٠ دقيقة فقط . وتفسر الاختلاف بين الرقمين الى ان العدو ترك وراءه قنابل موقوتة انفجرت بعد انسحابه بشكل أوحى للناس بأن القتال لا يزال مستمرا .

ومطاردته ، واهمال السلطات اللبنانية لحراسة الساحل اللبناني وحمايته وانعدام تدابير الرصد والانذار على طول الشاطىء ، واذا كانت حماية الشواطىء من الهجمات مهمة تتجاوز امكانات القوات المسلحة واجهزة الامن فان حراسة هذه الشواطىء والانذار بوجود مراكب متقدمة أمر ممكن ولازم ويمكن تنفيذه بوسائط محدودة بل وبدائية . ولو كان هذا العمل من باب المستحيلات لكانت عمليات التهريب ، وفرار المجرمين العاديين عن طريق البحر أمرا مألوفا في كل بلد يطل على بحر. وهذا ما لا يدخل في مجال العلم العسكري او في مجال المنطق المجرد .

ان علينا ان نعترف بصراحة بأن المفاجأة تمت بكل بساطة نظرا لانعدام تدابير الامن والرصد والانذار. ولو كانت هذه التدابير مؤمنة لوقعت معركة تصادمية — ولا بأس ان كانت غير متكافئة — في المياه الاقليمية او على الشاطىء او في العمق . ولكن شيئا من هذا لم يقع ، وقام العدو بالتقرب والنزول والتسلل والضرب تحت ستار من المفاجأة الكاملة . ولو ان المتفجرات والرصاصات التي استخدمها كانت بلا صوت لتم الانسحاب ايضا في جو من السرية الكاملة . ولقد قال العميد ريمون اده في تعليقه على الاحداث « هذه اكبر فضيحة عرفها لبنان ، وهي اكبر من فضيحة المطار . ولقد كان علينا ان نتخذ الاحتياطات اللازمة للحؤول دون تكرار مثل هذه الحوادث المؤسفة » (النهار ٧٣/٤/١١) وانني لاضيف الى قول العميد بأن اول هذه [الاحتياطات] يتمثل في خلق جهاز رصد وانذار متكامل يغطي البلاد كلها ، ويمنع العدو من اقتطاف ثمار المفاجأة .

الدور الامريكي : في ١٩٧٣/٤/١٠ اصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بلاغا ذكرت فيه ان هجوم العدو « اعتمد على عناصر للاستخبارات الامريكية في بيروت » وان عدة سيارات من سيارات المهاجمين « شوهدت تتجه الى مقر السفارة الامريكية في عين المريسة » . ولقد نظرت الولايات المتحدة الى هذا الاتهام بشكل جاد ، واعتبرته عملا خطيرا يستثير مشاعر الجماهير العربية ويهدد أرواح الرعايا الامريكيين ومصالحهم ومؤسساتهم في البلدان العربية . واسرعت وزارة الخارجية الامريكية الى نفي النبأ ووصفته بأنه « لا يستند الى اساس » . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث المندوب الامريكي طويلا عن هذا الموضوع وانكر اشتراك امريكا في العملية ووصف الخبر الوارد في بلاغ القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بأنه « غير صحيح » و« كذبة كبيرة ». وفي اليوم التالي استدعى وزير الخارجية ويليام روجرز ١٣ ديبلوماسيا عربيا الى وزارة الخارجية لينفي دور الولايات المتحدة في الغارة . وطلب منهم ان ينقلوا النفي الامريكي وفي اسرع وقت الى حكوماتهم والتأكد من اذاعته في المحطات الرسمية. بيد ان وكالة الانباء الفلسطينية — وفا — ذكرت ان طائرة عسكرية امريكية من طراز هيركوليس قامت من بيروت بنقل ٤٥ شخصا مساء يوم الثلاثاء الماضي ، اي بعد اقل من اثنتي عشرة ساعة من تنفيذ العملية . وقالت انها انزلت ١٥ شخصا فقط (في عملية روتينية لتبديل حرس السفارة) ومن الطبيعي ان تأخذ ١٥ شخصا فقط وهو عدد الحرس الذين يتم تبديلهم بصورة دورية . فمن اين جاء الثلاثون الباقون ؟ ثم قالت الوكالة بأن الايام القادمة ستحمل « وثائق اكثر وأخطر » عن التدخل والاشتراك الامريكي في عملية بيروت . (المحرر ٧٣/٤/١٢) .

وهكذا بدأت الحملة العربية ضد الولايات المتحدة الامريكية ، والحملة الامريكية المضادة للتخلص من التهمة . وليس بوسعنا انتظار الوثائق وانتهاء الحملة لنقول كلمتنا بهذا الصدد . ان رأينا واضح لا يقبل اللبس وهو انه سواء اثبتت الوثائق اشتراك السفارة الامريكية الفعلي في العملية ام لم تثبت ، وسواء اعترفت الولايات المتحدة بالمشاركة الجرمية أم لم تعترف فان الولايات المتحدة شريكة متواطئة في هذه العملية والعمليات التي سبقتها والعمليات التي ستليها . وتتمثل مشاركتها الجرمية في انها تزود المجرم بالسلاح والمعلومات اللازمين للجريمة ، وتتستر على عملياته ، وتحميه من غضبة المجتمع الدولي وعقوباته ، وتنجيه من العقاب بشكل يدفعه الى تكرار جريمته ، وتؤمن تفوقه العسكري للحفاظ على الاراضي المغتصبة كمكافأة على عدوانه . ولا اعتقد ان بوسع وزارة الخارجية الامريكية ان تنكر ذلك مع ان المشاركة الجرمية الثابتة هنا — باعتراف المجرم نفسه — عمل يستهدف قتل شعب كامل لا قتل عشرات الاشخاص .

تقول صحيفة لوموند الفرنسية : « ان الولايات المتحدة التي كانت بعد حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] تود الحفاظ على « توازن » عسكري بين

اسرائيل وجيرانها العرب ، ترى اليوم بعد خروج الخبراء السوفييت من مصر ان التفوق الاسرائيلي الساحق هو افضل ضمانة ضد عودة القتال » (لوموند ٧٣/٤/١١) . وهذا يعني ان التفوق الاسرائيلي الساحق الذي تضعه واشنطن بين يدي اسرائيل سيمنع الحرب على نطاق واسع ، اي سيسمح لاسرائيل بالبقاء في الاراضي المحتلة نظرا لعجز العرب عن اخراجها بالقوة ولعدم رغبتها في الخروج بدون قوة . وهذا التفوق نفسه هو الذي يسمح لاسرائيل بضرب قواعد المقاومة ومخيمات اللاجئين بكل حرية « حيثما وجدت » . وهكذا يؤدي الدعم الامريكي الى تفوق اسرائيلي يشل العرب من جهة ويطلق يدي اسرائيل لابادة الشعب الفلسطيني من جهة اخرى . فهل هذا الدعم مشاركة واضحة في جريمة الابادة ام لا ؟ وهل ينبغي علينا تقديم شرح افضل لفهم دور الولايات المتحدة الاجرامي ؟ المأساة كل المأساة هي ان الكثير من العرب الذين يملكون مفاتيح القوة لم يفهموا هذه المعادلة الصعبة . أو انهم فهموها فحسب دون ان يتصرفوا وفق مقتضيات هذا الفهم .

دور السلطات اللبنانية : في ٧٣/٤/١٠ اصدرت الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بيانا اتهمت فيه السلطة اللبنانية بالتواطؤ مع « المخطط التخريبي الجديد الذي تشترك في وضعه الاستخبارات الامريكية والبربرية العسكرية الصهيونية لتصفية المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية » (النهار ٧٣/٤/١١). وصرح الاستاذ كمال جنبلاط للصحفيين عند عودته الى البلاد « مش ممكن الانسان الا ان يعتقد ان هناك تواطؤا بين الحكومة اللبنانية والسلطات الاسرائيلية . ويجب محاكمة المسؤولين على هذا الشيء . وفي البلدان الاخرى يحاكمونهم بتهمة الخيانة الوطنية » ... « ما في تعابير يمكنها ان تصف الوضع الذي وصلنا اليه . البلاد بلاد جواسيس ، والحكم بلا شرف وما في شهامة » . (النهار ٧٣/٤/١١) . وقال الرئيس رشيد كرامي: « الجميع باتوا قلقين على المصير نتيجة فقدان الحماية ، ونتيجة هذا الغياب المطلق للسلطة الذي هو أشد خطرا من اعتداءات العدو الذي بات يسرح ويمرح حتى في العاصمة » (النهار ٧٣/٤/١١) . ووصف النائب الدكتور علي خليل عجز الحكومة عن حماية ارواح مواطنيها بانها « اللامنطق غير المبرر » (النهار ٧٣/٤/١١) . وأعلن حزب البعث العربي الاشتراكي : « نحن نرى ان النظام العميل في لبنان يهيىء الفرص للعدو الاسرائيلي للاستمرار في شن اعتداءاته البربرية على ارض لبنان والجماهير الفلسطينية اللبنانية عندما يتخاذل عن المواجهة او القيام بأية اجراءات احترازية او تنبيهية » (النهار ١٩٧٣/٤/١١) .

هكذا بدأت الحملة ضد السلطة اللبنانية لعدم اشتراكها الفعلي في كشف المعتدين، او في مجابهتهم خلال التنفيذ ، او في مطاردتهم وتدميرهم بعده . واستعد المجلس النيابي لمحاسبة الحكومة على التقصير . ونزلت الجماهير الى الشوارع منددة بالعدوان الاسرائيلي ، والتواطؤ الامريكي ، وتهاون السلطة . (الصحف اللبنانية في ١١ و ١٢ و ١٣/ ١٩٧٣/٤) ونجاة استقالات الحكومة . وقيل على لسان رئيس الحكومة الرئيس صائب سلام « انه اشترط للبقاء في الحكم اقالة قائد الجيش باعتباره مسؤولا عن عدم تنفيذ الاوامر بالمقاومة » ولم ينف رئيس الحكومة هذا الخبر او يؤكده . ولكن رئيس الجمهورية رفض الشرط . وقبل الاستقالة بعد تأجيل . وطرحت مسألة عدم تدخل القوات المسلحة في المعركة ضد المعتدين على بساط البحث دون ان تصدر بيانات رسمية اتهامية او دفاعية . بيد ان خصوم الرئيس صائب سلام طرحوا الاسئلة التالية : لماذا لم تتدخل قوى الامن الداخلي وهي على بعد خطوات من مكان الحادث ولديها من الامكانات ما يؤهلها لضرب القوات الاسرائيلية المهاجمة المحدودة ؟ وكيف يتدخل الجيش قبل ان تستنفد قوى الامن طاقاتها وامكاناتها ؟ وهل ينبغي محاسبة الجيش لعدم تنفيذ الاوامر دون النظر الى قدرة هذا الجيش على الدفاع اذا ما صعد العدو العمليات لانقاذ مخربيه ؟ ولقد اوجز الشيخ بيار الجميل الرأي المدافع عن الجيش بقوله : « لا اوافق قطعا على اعتبار قائد الجيش وضباط الجيش هم المسؤولون لان جيشنا لم يدخل في حرب مع الغزاة . فانا اعرف بأنه كان ممكنا تدخل الجيش ضد عشرات او مئات الاسرائيليين الذين غزوا بيروت وضواحيها ، ولكن هل ان هؤلاء وحدهم اسرائيل ؟ الا نعرف ان غواصات وطائرات حربية اسرائيلية كانت في حالة تأهب للتدخل في لبنان اذا تعرض الكوماندوس الاسرائيلي للخطر؟ الا نعرف انه ليس بامكان كل الدول العربية الصمود في وجه اسرائيل ، فكيف يستطيع لبنان الصمود ؟ واذا كانت الدول العربية قادرة على مواجهة اسرائيل ، فمن الجريمة الا تبدأ القتال

حالا . اما ان يطلب من جيش صغير مثل جيش لبنان ان يواجه اسرائيل وحده فهذه خيانة وطنية. اني متأكد ان اي قتال جدي بين لبنان واسرائيل سيؤدي الى احتلال المطار والمرفأ وتدميرهما ، كما سيؤدي الى احتلال المناطق التي تريدها اسرائيل من جنوب لبنان . فكفى مكابرة وبهورة ، وعلينا ان نقيس الامور بميزان العقل» (النهار ٧٣/٤/١٢)

فلنترك صعيد المحاورات بين رجال السياسة ولننظر الى الامور نظرة عسكرية ذات محتوى سياسي — استراتيجي . ان الوضع العسكري اللبناني ، والجمود العسكري العربي يدفعنا لان نقول :

١ — هناك خطأ يقع على عاتق الجيش وسلطات الامن الداخلي في مجال رصد وكشف التحركات الاسرائيلية الجوية والبحرية ، والانذار بوقوع الهجوم .

٢ — كانت قوى الامن الموجودة في المدينة (ثكنات او دوريات آلية) قادرة على الاشتراك في مجابهة المعتدين ومطاردتهم والحاق الخسائر بهم داخل المدينة وخارجها . ولقد قامت دورية من الفرقة ١٦ بالاشتباك وتكبدت عددا من الخسائر . ولكننا لا ندري حتى الان لماذا لم يكن التدخل اوسع نطاقا . وليس لدينا من المعلومات ما يفسر ذلك .

٣ — كانت قوات الجيش البرية قادرة على التدخل بفاعلية في المجابهة والمطاردة خلال الليل على الاقل نظرا لضعف فاعلية الطيران ضدها ليلا . ولكنها لم تتدخل . وتقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ المذكورة سابقا ان سبب عدم التدخل يرجع الى ان الجيش لم يتأكد من ان الحادث يتعدى حدود الاحداث الداخلية وتقوم به قوات معادية الا في الساعة ١،٥٠ اي بعد انتهاء الحادث في شارع فردان بعشرين دقيقة . وانه ارسل الدوريات الى فردان والشاطىء ولكن العدو كان قد انسحب. واذا كان الامر كذلك ، فان الجيش غير مسؤول عن الصد . ولكن مسألة المطاردة تبقى مطروحة على بساط البحث . واذا كانت المطاردة البرية متعذرة نظرا للتأخر بالتبليغ وطلب التدخل ، فان المطاردة الجوية والبحرية بقيت ممكنة بعد ذلك . واغلب الظن ان عدم تدخل القوات المسلحة في هذه المطاردة ، رغم ما تتسم بهذه القوات من جراة وحمية وطنية، ترجع الى وقوعها تحت تأثيرات الردع بشكل كامل شلها وجعلها تقف متفرجة على المجرمين وهم يتسللون من بين اصابعها وتحت انظارها دون ان تبادر الى القيام باي اجراء مضاد.

هنا لا بد لنا من ذكر نقطتين بالنسبة للقوات المسلحة . نقطة لها ونقطة عليها . اما النقطة التي لها فهي أن القوات المسلحة (اليد الضاربة) تنفذ دائما خطط السياسة (الروح والعقل) ، ضمن حدود الامكانات الموضوعة تحت تصرفها . ولقد دابت الاوضاع السياسية اللبنانية والعربية بصورة عامة منذ حرب ١٩٤٨ حتى الان الى وضع القوات المسلحة في موقف استراتيجي غير ملائم ، يؤدي الى شللها الاستراتيجي وهزيمتها على مسرح المعارك تكتيكيا وعملياتيا . وليس ذنب الجيش ان سياسة البلد الدفاعية جعلت حجمه وتسليحه وميزان القوى في غير صالحه لدرجة تجعله امام احتمالين : فاما ان يحجم عن القتال بتأثير الردع ، او يقبل المعركة الانتحارية ويتلقى الموت بشرف .

ان التاريخ المعاصر لم يعرف حالة تم فيها ردع الطرف الاضعف بسبب اختلال ميزان القوى سوى حالة تشيكوسلوفاكيا عندما احتلتها قوات حلف وارسو لمنعها من السقوط في احضان الغرب. وها هي لبنان تقدم لنا حالة ثانية مشابهة من زاوية الردع فقط مع وجود اختلافات كبيرة وجوهرية بين المثالين بالنسبة لمعطيات الموضوع الاخرى . ولكن التاريخ المعاصر نفسه قدم لنا دولة بولونيا كمثل رائع لدولة قررت قواتها المسلحة — وحجمها بالنسبة لحجم القوات النازية كحجم قوات لبنان بالنسبة للجيش الاسرائيلي — الاشتراك في حرب يائسة تنهزم فيها بشرف بدلا من الشلل والاستسلام امام قوة الردع . ولماذا نذهب بعيدا وقد قدم لنا الجيش اللبناني نفسه في معركة ١٦ — ١٩٧٢/٩/١٧ مثلا حبذا لو انه تكرر في ليلة ٩ — ١٩٧٣/٤/١٠ وخلق ملحمة تنير سبيل الاجيال المقبلة .

ان الحساب قبل المعركة وخلالها امر عقلاني لا بد منه ، ولكن ما ان يتعرض امن الوطن وسلامته لخطر داهم حتى يصبح الحساب عملا اضافيا وترفا لا محل له . ويغدو اندفاع القوات المسلحة نحو الموت شرفا لها ومبررا تاريخيا لوجودها .

٤ — كانت قوات المقاومة الاحتياطية ووحدات الكفاح المسلح الفلسطيني قادرة على التدخل خلال المطاردة ، ولكن قوى الامن منعتها بالقوة ، واصيبت قائدها المقدم خالد بجروح في رأسه (بيان الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية .

استثمار النصر : ما أن نفذ العدو هدفه العسكري

حتى بدأ استثمار النصر باتجاهين رئيسيين هما :
١ ــ استغلال الوثائق المستولى عليها لاعتقال خلايا الداخل واحباط العمليات المعدة . وتقول الانبـاء الواردة من الارض المحتلة ان اجهزة امن العـدو اعتقلت عشرات المواطنين العرب في قضاء عكـا والجليل الغربي والناصرة وقرى المثلث مستندة الى معلومات مستقاة من الوثائق . واغلب الظن ان في هذه الانباء مبالغة مقصودة لان مصادر المقاومة تؤكد ان المعلومات المستولى عليها قليلة الاهمية . ٢ ــ استغلال النجاح العسكري الناجم عن المفاجأة التكتيكية في الهجوم (بسبب اخطائنا) والغطاء الامني في الانسحاب (بسبب ردع قواتنا) بغية تحطيم معنويات قيادات المقاومة وقواعدها ووضعها في وضع التحفز القلق، ٣ ــ استغلال العملية كلها لخلق شرخ بين اللبنانيين والفلسطينيين، أو بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية على الاقل . ولقد بدأت وسائل العدو الاعلامية ووسائل الغرب الموالية حملة دعاويـة تستند على التهويل والتهديد . ففي ١٩٧٣/٤/١٠ قـال مراسل الاذاعـة الاسرائيلية اوري دانيال « واذا لم يكن هناك مناص فان قوات الجيـش الاسرائيلي ستفعل في العاصمـة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بان الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها » (ر.ا.ا ملحـق عـدد ٢٠٨) . واشارت صحيفة دافار في صبيحة ٤/١١ « ان من السابق لاوانه ان نقع في خطأ الوهم بانه بذلـك ــ أي بالعملية ــ قد اقتلع اساس الارهاب واذا ما استمر العمل الارهابي فانه سيكون مطلوبا تنفيذ عمليات اخرى » ونسجت صحيفتا اومر وشعاريم على المنوال نفسـه (ر.ا.ا ملحق عدد ٢٠٨) . وذهبت صحيفتا تريبونا واويكلت الى ابعد من ذلك عندما طلبتا من سورية وليبيا والقاهرة تعلم الدرس من الغارة (ر.ا.ا. ملحق عـدد ٢٠٨) . وفي ٤/١٢ كتبت صحيفة هآرتس « ان العملية اثبتت لاول مرة لحكومة لبنان ان ما هو معلق وقائم بينها وبين حكومة اسرائيل هو مجرد وجود المخربيـن [المقاومة] على الاراضي اللبنانية » . وتحدثت هتسوفيه وعل همشمار باللهجة التهديدية ذاتهـا (ر.ا.ا. ملحـق عدد ٢٠٨) . وكـان الجنرال اليعازر قد صرح « بأن الاسرائيليين سيواصلـون غاراتهم عـلى لبنان وعلى بيروت نفسها مـا دام للفدائيين حرية العمل والتحرك واعداد العمليات » (النهار ٧٣/٤/١٢) . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث مندوب اسرائيل يوسف تكواع عن لبنان ووصفه بأنه « مركز للارهاب العربي » ثم قال « ان لبنان يطالب بالحصانة تحت ستار أنه دولة تسعى من اجل السلام . لكن احترام سيادة لبنان لن يكون ممكنا الا اذا أبعد الفدائيين عـن اراضيه » (ر.أ.ا. ملحق عدد ٢١٠) ولقد صعد موشي دايان وزير الدفاع التهديدات عندما قـال في مقابلة تلفزيونية في ٤/١٣ بأن لبنان سيتعـرض للضرب كدولة اذا استمـر في السماح لمنظمـات المقاومة باقامة مقر قياداتها في اراضيه وان الضربات المقبلة ستوجه الى لبنان لا الى اهداف المقاومة فقط . (المحرر ١٩٧٣/٣/١٤) . ولم تترك الولايات المتحدة الفرصة تفوتها للاشتراك في حملة الضغط المعنوية على العرب عامة والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص فلقد طالبت الدول العربية رسميـا باغلاق محطات الاذاعة الفلسطينية التي تهـاجم امريكا وتعتبرها شريكة في العدوان . وفي يوم ١٤ نقلت الاسوشيتدبـرس « ان الولايات المتحدة تضغط علـى لبنـان لكـي يلجـم الفدائيـين الفلسطينيين داخـل اراضيه . وفهم ان الحكومة الامريكية لا تقبل الرد القائل ان لبنان لا يستطيع فرض قيود اشد على الفدائيين » (النهار ٤/١٥/ ٧٣) .

ولقـد ردت الجماهير العربية على الحملة بمزيد من الالتفاف حول حركة المقاومة وطالبت ببيان ٤/١٠ الذي اصدرته الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بأن تكون « كل الحرية للمقاومة للعمل وحمايـة نفسها » وهب حزب البعـث العربي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي وحركة التوعية وحركة ٢٤ تشرين والتنظيم الناصري والتجمع الوطنـي للجنوب والمجلس الاسلامي والنقابات والمجلـس النسائي واتحاد الكتاب اللبنانيين والطلاب وغيرهم من القوى الوطنية وطالبـوا بدعم المقاومـة والالتفاف حولها ومنحها حرية العمل وحرية الدفاع عن النفس . ورفضت الحكومات العربية الاذعان لطلب واشنطن باغلاق الاذاعات الفلسطينية العاملة على ارضها . وساعد قدوم عدد من الشخصيات العربية الرسمية على تلطيف الجو ومنع التوتر بين السلطات اللبنانية وحركة المقاومة رغـم شراسة الحملة الدعاوية ورغم عملية نسف خزانات التابلاين في الزهراني التي قالت دوائر التحقيق العسكري انها توصلت الى شبه قناعة بأن مرتكبيها اشخاص من خارج المقاومة يستهدفون « الايقاع بين السلطة اللبنانية والمقاومـة » . (النهار ٧٣/٤/١٦) .

الدروس المستفادة : لن تكون الدروس المستفادة هنا سوى عناوين . ولكن الدروس الحقيقية وتطبيقاتها تستحق اكثر من عناوين . وبوسعنا ان نلخص العناوين بما يلي :

— ان في الافق غيوم ضغوط امبريالية ستؤدي عاجلا ام اجلا الى فتنمة الصراع في وطننا .

— الامن ادفاعي ضرورة حيوية لبقاء المقاومة الفلسطينية على ان يرافقه امن هجومي .

— الرصد والانذار اول عمل امني دفاعي وشرط لازم ولكنه غير كاف لتحقيق سلامة حركة المقاومة .

— لا يمكن لميليشيا المقاومة ان تلعب دورها بفاعلية الا اذا تمتعت بحذر ثوري عال .

— التلاحم مع الجماهير العربية شرط مهم لاحباط تصفية المقاومة مهما كانت هوية القوة القائمة بهذه التصفية .

— ان الردع الاسرائيلي قادر على شل الانظمة ولكنه عاجز عن شل المقاومة بسبب ارتفاع مستوى اهمية « هدف الرهان » وصغر اهداف المقاومة .

— ان خطورة التهديد المعادي يجعل حماية قواعد المقاومة القتالية واجهزتها القيادية لا تتم الابالعمل السري والتصرف على الارض العربية وكأنها في في منطقة محرمة No Man's Land

— ان اجهزة المقاومة الاعلامية والاجهزة الاخرى المضطرة للعمل العلني بحاجة لتدابير خاصة تجعلها بمأمن من ضربات العدو مهما كان نوع هذه الضربات . ولا يمكن التحدث هنا عن نوع هذه التدابير لانها جزء من اسرار المقاومة .

— ان أمن القواعد والاشخاص والمؤسسات أمر هام لانه يضمن حماية القوى الثورية خارج الارض المحتلة . ولكن أمن الوثائق والمعلومات اهم من ذلك بكثير لان يضمن حماية الخلايا الثورية السرية العاملة وراء خطوط العدو ، وهي على الصعيد العسكري — السياسي — المعنوي اهم بكثير من القوى الموجودة في الخارج .

— ان على المقاومة والقوى التقدمية في البلدان العربية المضيفة ان تناضل حتى تحصل المقاومة من السلطات المحلية على كافة التسهيلات التي تساعدها على تأمين حماية نفسها بشكل فعال (رفع القيود عن التسليح ، واعطاء صلاحيات اكبر في اقتناء ونقل السلاح ... الخ) .

والخلاصة : ان عملية ٩ — ٤/١٠ اثبتت بأن هناك اخطاء لا تغتفر على صعيد الرصد والانذار وحفظ الوثائق ، وأن العمل الرسمي مشلولا بسبب الردع الشامل . وان المقاومة في لبنان بشكلها السابق كانت غير محمية تماما وان الحماية لا تكون بالحراسة فحسب بل بالتلاحم التام مع جماهير البلد العربي المضيف ، وبخوف العدو من الرد بعنف ثوري على كل عنف قمعي . ان الوضع العربي المهادن الحالي يجعل الشعب الفلسطيني وحده في فوهة المدفع ، ويفرض على هذا الشعب ان يتحمل وحده شراسة الغزوة الفاشية الصهيونية . والى ان يلتف الشعب العربي حول المقاومة ، والى ان تصبح المقاومة في كل بلد عربي جزءا من كيان هذا البلد لا هدفا فلسطينيا يطارده العدو ، والى ان تكسر الانظمة طوق الركود الذي يخنقها سيبقى الشعب الفلسطيني وحده حاملا لواء الكفاح المسلح باسم العرب اجمعين مهما دفع من تضحيات . وهو قادر — باعتراف العدو — على تحقيق هذه المهمة التاريخية . ويقول اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف « لم ينحن الفلسطينيون على رغم كل الخسائر التي انزلناها بهم . فقدوا قواعدهم في الاردن . ويفقدون بين الحين والاخر قواعد في لبنان ، لكنهم لم ييأسوا . فهم يطورون يوما بعد يوم وسائلهم واساليبهم القتالية . وهم الوحيدون الذين يحولون دون امكان التسوية بين الدول العربية واسرائيل » (نهدف ٧٣/٣/١٦) . فالى هذا الشعب الذي يرفض الركوع ، ويقدم بسخاء قوافل الشهداء تحيات اعجاب وتقدير .

هـ. أ.

اسرائيليــات

رئيس اشكنازي رابع تتويج للتفرقة العنصرية

كانت احداث اسرائيل الداخلية ، هي الموضوع الاساسي الذي شغلت به الصحف الاسرائيلية في شهر آذار الماضي ، وكان ترشيح ثم انتخــــاب « رئيس الدولة » الجديد ، هو الاهم بين تلـــك المواضيع ، خاصة بما افرز هذا الحدث مـــن معان ، بل — زيادة في الدقة — ما رسخه مـــن معان ، وابرزها اثنان :

- استمرار وزيادة الشعور بالغربة لدى اليهود الشرقيين — السفاراديم — وعجز هؤلاء عن ايصال اي منهم الى « فوق » في سلم المسؤوليات داخل اسرائيل .

- استمرار بقاء بنحاس سابير — وزير مالية العدو — رجل « حزب العمل » الحاكم القوي ، وبالتالي رجل اسرائيل القوي .

وقبل الدخول في تفاصيل ما حدث ، يجدر بنا ان نقف — ولو قليلا — عند السؤال : كيف ينتخب رئيس الدولة ؟ ثم ما هي صلاحياته ؟

على الشق الاول من السؤال ، يمكن الاجابة ، باختصار ، على النحو التالي :

« ١ — ينتخب رئيس الدولة من قبل الكنيست لمدة خمس سنوات ، تحسب بالتقويم العبري .

٢ — كل مدني اسرائيلي ، مقيم في اسرائيل يحق له ان يكون مرشحا للرئاسة . ومن يشغل هذا المنصب فترتي رئاسة متواليتين ، لا يحق له الترشيح لفترة الرئاسة التالية . (اقرت الكنيست ذلك يوم ١٩٦٤/٦/١٦) .

٣ — يجري انتخاب الرئيس في فترة لا تسبق بأكثر من تسعين يوما ، ولا تتأخر بأكثر من ثلاثين يوما عن يوم انتهاء فترة الرئاسة. وفي حال شغور كرسي الرئاسة قبل الفترة المحددة لذلك ، يجري انتخاب الرئيس الجديد خلال خمسة واربعين يوما ...

٤ — بعد تحديد يوم الانتخاب ، يحق لاي عشرة على الاقل من اعضاء الكنيست تقديم مرشح ، ويكون الترشيح كتابة ويسلم الى رئيس الكنيست، مرفقا بموافقة المرشح كتابة او برقيا ، خلال فترة لا تقل عن عشرة ايام قبل يوم الانتخاب .

٥ — يعلن رئيس الكنيست لجميع اعضاء الكنيست كتابة ، وخلال فترة لا تقل عن سبعة ايام من يوم الانتخاب ، عن كل مرشح وعن اسماء اعضاء الكنيست الذين رشحوه .

٦ — يكون انتخاب رئيس الدولة بالاقتراع السري في الجلسة المخصصة لذلك الموضوع فقط .

٧ — المرشح الذي ينال غالبية اصوات اعضاء الكنيست — أي اكثر من ٦٠ صوتا — يكون هو الفائز ، وما لم يفز اي من المرشحين بمثل هذه الاغلبية يجري الاقتراع ثانية ، وما لم يفز في هذه المرة ايضا أي من المرشحين بالاغلبية المذكورة يجري الاقتراع ثالثة بعد استثناء ترشيح الحائز على أقل نسبة من الاصوات ، وهكذا الى ان يفوز احد المرشحين في الاقتراع الثالث او الــذي يليه بالاغلبية المذكورة ، ويصبح هو الرئيس ...» (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

اما ابرز ما في صلاحيات رئيس الدولة فهي :

« ١ — توقيع كافة القوانين ، باستثناء تلك المتعلقة بصلاحياته .

٢ — توقيع المعاهدات بعد اقرارها في الكنيست .

٣ — تعيين مندوبي الدولة الديبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية . وتسلم اوراق اعتماد المندوبين الديبلوماسيين للدول الاجنبية لــــدى اسرائيل .

٤ — استلام التقارير عن جلسات الحكومة .

٥ — قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل

حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب في الكنيست ، والقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .

٦ ــ اصدار العفو وتخفيف العقوبات عن المسجونين ، بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

٧ ــ تعيين مراقب الدولة ، وعميد بنك اسرائيل ، والقضاة المدنيين ، والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة ... » (كتاب « من ومن في اسرائيل (بالعبرية) ، ٧١ ــ ١٩٧٢ » ، الجزء الثاني ــ المؤسسات ، الطبعة العبرية ص ٢٣٣) .

هذا على الصعيد القانوني ، فماذا على الصعيد العملي ؟

يقول الصحافي الاسرائيلي مايزلس في معاريف (١٩٧٣/٣/١) انه « بموجب القانون تنتخب الكنيست رئيس دولة اسرائيل ، لكن التجربة تعلمنا ان انتخاب المرشح للرئاسة « يطبخ » بداية في مطابخ الاحزاب المختلفة ، ويقدم بعد ذلك كطبخة معدة من قبل حزب واحد ، كان سابقا « حزب ماباي » ، وهو حاليا « حزب العمل » ، المكون من ثلاثة احزاب هي : ماباي ، احدوت هعفودا ورافي » .

من هنا كان واضحا سبب اهتمام ومتابعة الاسرائيليين ، لما يحدث داخل حزب العمل بالذات حول هذا الموضوع ، رغم ان صلاحيات الرئيس ــ كما ذكر آنفا ــ هي صلاحيات فخرية واسمية فقط .

منذ اواسط شهر شباط (فبراير) الماضي ، بدات مسالة اختيار حزب العمل لمرشح منصب الرئاسة تتفاعل ، وكان بين اوائل المهتمين بهذا الموضوع ، عضو الكنيست اريبه الياف ، سكرتير حزب العمل سابقا ، واحد اشهر ثلاث « حمائم » في اسرائيل ، « حيث اقترح الياف بكتاب الى السكرتير الحالي لحزب العمل اهرون يدلين ، قاضي المحكمة العليا الياهو ماني كمرشح للرئاسة . وكان الياف قد رشح ماني في آخر انتخاب لرئيس الدولة ...، والياهو ماني هو يهودي شرقي ، من اصل عراقي، ولد في الخليل ، واثار ترشيحه حماسا في الحزب، خاصة لدى الاعضاء من اصل شرقي ، وانضم لهؤلاء عدد كبير من اعضاء مركز الحزب » (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

وكان اعضاء آخرون في الحزب ، قد رشحوا عددا كبيرا من الاعضاء لتسلم منصب الرئاسة ومن بين هؤلاء المرشحين ، يعقوب تسور ، رئيس ادارة الكرن كييمت ، واسحق نافون ، ويسرائيل يشعياهو ، رئيس الكنيست ، واميل نجار ، سفير اسرائيل في روما ، والبروفيسور نتان روتنشترايخ، والبروفيسور افرايم كاتشالسكي ، والياهو ناوي، رئيس بلدية بئر السبع ...، وكانت كل الدلائل تشير الى انه في هذه المرة ، سيحصل صراع دراماتيكي داخل « مطبخ » حزب العمل ، حول اختيار المرشح للرئاسة ، ولن يفتقر ذلك الصراع الى اشارات وعلامات طائفية ». (المصدر السابق).

وفيما يتعلق بالاحزاب الاسرائيلية الاخرى ، « فان مناحيم بيغن ، رئيس حزب حيروت ، قال ان كتلة فاحال ستفضل هذه المرة احد ابناء الطوائف الشرقية ، كمرشح للرئاسة ...، ومن بين الذين وردت اسماؤهم كمرشحين من قبل حزب العمل ، يبدو ان الافضل بالنسبة لفاحال هو قاضي المحكمة العليا الياهو ماني ، نظرا لكونه من ابناء الطوائف الشرقية من ناحية ، وليست عليه دمغة حزبية واضحة من الناحية الثانية » .

« والافضل بالنسبة لحزب المفدال (الحزب الديني الوطني) من بين مرشحي حزب العمل ، هو احد اثنين : عضو الكنيست اسحق نافون (وهو يهودي شرقي) او يعقوب تسور » .

« وفي وسط « حزب مبام » (الذي يشكل مع حزب العمل ما هو معروف باسم « المعراخ » ــ اي التجمع) هناك رأي بتفضيل رئيس من اصل شرقي هذه المرة ، مثل عضو الكنيست اسحق نافون ، الذي يستطيع ان يمنع زيادة الاستقطاب الطائفي والاجتماعي في الدولة » (المصدر السابق) .

وكان واضحا مما حوته الصحف الاسرائيلية في الاسبوع الاول والثاني من شهر آذار ، ان هناك اتجاها قويا لـ « ارضاء » اليهود الشرقيين بانتخاب احدهم لمنصب الرئاسة في اسرائيل ، بعد توالي ثلاثة يهود غربيين هم حاييم وايزمان ، واسحق بن تسفي ، وزلمان شازار على رئاسة الدولة ، وكان واضحا اكثر ايضا ، ان عضو الكنيست اسحق نافون ، هو الاسعد حظا بين جميع المرشحين ، نظرا لما له من شعبية داخل حزبه وخارجه على السواء .

وفي هذا الجو من التكهنات ، شكل مكتب حزب

العمل ، يوم ١٩٧٣/٣/١٣ « لجنة الستة » (المكونة من الوزراء بنحاس سابير ، ويسرائيل غاليلي ، ويعقوب شمشون شابيرا ، وشمعون بيرس ، بالاضافة الى عضوي الكنيست موشي برعام ، رئيس ادارة الائتلاف الحكومي ، واهرون يدلين ، سكرتير حزب العمل) بهدف ان تقدم هذه الى مكتب الحزب توصية بمرشح او بعدد من المرشحين ، استعدادا للانتخابات المصيرية في مركز الحزب (وقد جرت بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٢) ، واتضح منذ ذلك اليوم ان المعركة قد دخلت مرحلتها الحاسمة » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

وبدل ان تختار « لجنة الستة » واحدا من المرشحين الباقين — بعد انسحاب عدد منهم مثل الياهو ماني ويعقوب تسور وابلاغ البروفيسور كاتشالسكي للوزير شمعون بيرس عدم قبوله الترشيح — بدأ عدد من اعضاء اللجنة ، وابرزهم يسرائيل غاليلي وبنحاس سابير اجراء الاتصالات مع كاتشالسكي الذي كان اذاك في بوسطن بالولايات المتحدة ، لقبول الترشيح ، وذلك ما فاجأ وازعج نافون ، خاصة وانه كان من قبل قد استمزج آراء كل من غولدا مئير وبنحاس سابير حول قبوله الترشيح ، وابلغه هذان انهما لن يتدخلا في هذا الموضوع . (معاريف ٧٣/٣/٢٣).

وفي الاتصالات الهاتفية مع كاتشالسكي ، « اشترط هذا لقبول الترشيح ان لا يدْخل منافسه ، وان يكون هو المرشح الوحيد في مركز الحزب ، وقيل له ان وضع هذا الشرط سيكون فيه الحاق للضرر بسير الديموقراطية ، وان عليه الاكتفاء بالتأكيد من قبل زعامة المعراخ ان تعمل كل ما من شأنه ان يؤمن انتخابه » (المصدر السابق) ، وزادت جريدة يديعوت احرونوت في التاريخ ذاته على ذلك ، ان بنحاس سابير شخصيا هو الذي اجرى تلك المكالمة مع كاتشالسكي ، وهو الذي قدم له الوعد بالدعم وضمن له الانتصار على المنافس القوي اسحق نافون .

وكان كاتشالسكي قد طلب مهلة مدتها ٢٤ ساعة لاعطاء جوابه النهائي حول قبول الترشيح او رفضه ، وسأل اثناء المكالمة « ان كان باستطاعة رئيس دولة ان يكون مرشحا لجائزة نوبل ، فجاءه الجواب ايجابيا ، وفي مكالمات هاتفية مع عدد من الحائزين على جائزة نوبل في انحاء العالم ، والذين كانوا قد اوصوا من قبل بترشيح كاتشالسكي لهذه الجائزة ، قال هؤلاء ان انتخابه لرئاسة الدولة لن يقدم ولا يؤخر في مناقشات لجنة الجائزة ، وان كان لا بد من تأثير فانه سيكون تأثيرا ايجابيا ». (المصدر السابق) .

وغالبية المعلقين الاسرائيليين ، رأوا في دفع سابير لكاتشالسكي ، وتشجيعه على قبول ترشيح نفسه للرئاسة ، في الايام الاخيرة قبل انتخاب مركز حزب العمل لمرشحه كان مناورة ذكية منه لافشال اسحق نافون ، ومنعه من الوصول الى كرسي رئاسة الدولة .

والجواب على سؤال « لماذا هذا الاصرار من قبل بنحاس سابير » يرتكز على عدة نقاط ، لعل أهمها :

١ — « ان لاسحق نافون شعبية قوية بين اعضاء حزبه ، وكان قبل سنة تقريبا قد حصل في الاقتراع داخل الحزب لانتخاب مرشح لرئاسة الكنيست — بعد موت رئيسها السابق كديش لوز — على ٢٨ صوتا مقابل ٣٠ صوتا حصل عليها منافسه يسرائيل يشعياهو — رئيس الكنيست الحالي — ، أي بفارق صوتين فقط ، رغم ان قادة الحزب — ومنهم بنحاس سابير وغولدا مئير ويسرائيل غاليلي — كانوا مصرين على انجاح يشعياهو » . (معاريف ١٩٧٣/٣/٦) .

٢ — « في اذار — مارس — سنة ١٩٦٨ ، كان نافون قد اقترح — داخل حزبه — ان تعطى لرئيس الدولة صلاحية حل الكنيست ، في حال عدم نجاح المرشحين الذين يلقى عليهم مهمة تشكيل حكومة جديدة ، وكان نافون يريد بذلك ان يعطي لمؤسسة الرئاسة مكانة اهم في الحياة السياسية » (المصدر السابق) .

٣ — ان نافون ، رغم كونه حاليا عضوا في حزب العمل ، الا انه — وذلك ما لم ينسه له سابير — كان قد انفصل عن حزب مباي لدى تشكيل حزب رافي سنة ١٩٦٥ ، وما زال اعضاء حزب العمل حتى الآن يصنفون حسب ولاءاتهم السابقة ، رغم انهم رسميا اعضاء حزب واحد .

٤ — اما السبب الرابع — وربما الاهم — فهو انه ليس في « قانون اساسي : رئيس الدولة » (وهو احد القوانين القليلة المسماة قوانين اساسية ، أي ان لها قوة الدستور في اسرائيل ، رغم ان اسرائيل ما زالت بدون دستور) ، أي نص رسمي يلزم رئيس الدولة بالقاء مهمة تشكيل الحكومة على

عضو مجدد ، من اعضاء الكتلة البرلمانية الاكبر في الكنيست ، رغم انه من المتعارف عليه — بصورة غير رسمية — ان يطلب رئيس الدولة من المرشح رقم واحد في قائمة انتخابات الكتلة البرلمانية او من يرشحه الحزب ، تشكيل حكومة جديدة . ومن هنا ، فانه لا يستبعد ان يكون سابير قد خشي من احتمال طلب نافون — لو نجح واصبح رئيسا للدولة — من دايان مثلا ، وهو احد زعماء رافي سابقا ، تشكيل الحكومة الجديدة وسد الطريق بذلك امام سابير او من يرشحه في حال استقالة غولدا مئير ، او تنحيها عن رئاسة الحكومة ، ولعل في اقتراح زيادة صلاحيات رئيس الدولة التي اقترحها نافون — كما ذكر — ما يشكل اكثر من اشارة لمثل هذا الاحتمال .

يضاف الى كل ذلك ، ان اسحق نافون الذي يفاخر كثيرا بكونه من مواليد البلاد — وهو من اصل مغربي — ، وكثيرا ما كان يلمح ساخرا الى التمييز ضده نتيجة لعدم كونه يهوديا غربيا ، وعلى سبيل المثال فانه « قبل سنة تقريبا ، عندما انتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية ، اجاب على سؤال لصحافي عما اذا كان هو صهيونيا ام لا ، بقوله : نعم ، انا صهيوني ، ولكن هناك نقصا في صهيونيتي ، فانا ولدت في البلاد ، ولم اتمكن — نتيجة ذلك — من ان انفذ وصية الهجرة الى ارض اسرائيل » ! (معاريف ١٩٧٣/٢/٦) .

وازاء التأييد الكبير الذي لنافون — من اليهود الشرقيين داخل حزب العمل من ناحية ومن اعضاء رافي من ناحية ثانية ، ومن خارج حزبه من الناحية الثالثة — فانه لم يكن من المتوقع تمكن منافس عادي من الصمود في وجه نجاحه بترشيح حزب العمل له لرئاسة الدولة . ومن هنا جاء اختيار سابير لكاتشالسكي ، وقبل ايام معدودة فقط من حسم هذا الموضوع .

وقد لاحظ الاسرائيليون ذلك ، حيث انه « كان واضحا ان الشخصية الاساسية وراء انتخاب كاتشالسكي ، هو — دون شك — رجل حزب العمل القوي ، وزير المالية بنحاس سابير ، وبدون ان يكشف هذا عن اتجاهاته كان واضحا انه — أي سابير — ليس سعيدا بشكل خاص لمظاهر التأييد والدعم التي حظي بها عضو الكنيست اسحق نافون ، حتى قبل ان يعلن « للجنة الستة » من موافقته على ان يكون مرشحا ، وكان هناك مجال للمتوقع بان يتخذ مبادرة ذات دلالة من جانبه » . (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

كذلك فانه « كان لرئيسة الحكومة غولدا مئير ما تقوله حول هذا الموضوع ، رغم انها حرصت على توله بعيدا عن صفحات الصحف وعن الميكروفونات . وفي مشاورات داخلية مع كبار وزراء حزب العمل (وابرزهم سابير طبعا) لمحت غولدا مئير الى انها ما كانت لتنظر بارتياح الى وضع يلقي عليها فيه ، سكرتير سابق لرئيس الحكومة الاسبق دافيد بن غوريون (وهو زعيم رافي سابقا) هو اسحق نافون ، مهمة تشكيل الحكومة المقبلة بموجب منصبه كرئيس ، اذا انتخب فعلا لهذا المنصب الرفيع ، واذا وافقت هي فعلا ، كذلك ، على الاستمرار في منصبها الحالي » (المصدر السابق) .

كل ذلك يصل بنا الى السؤال عن ذلك « الحصان القوي » ، البرفيسور افرايم كاتشالسكي ، الذي تمكن بنحاس سابير من اقناعه بدخول حلبة السباق والمراهنة عليه ، واحراز الفوز به بعد ذلك .

« افرايم كاتشالسكي مجاز في العلوم ودكتور في الفلسفة ، ولفتننت كولونيل (احتياط) — في جيش الاحتلال — وبروفيسور ورئيس قسم البيوفيزياء في معهد وايزمان للعلوم في رحوفوت — جنوب تل ابيب — منذ سنة ١٩٥١ . ولد — في بولونيا — بتاريخ ١٩١٦/٥/١٦ ... وهو خريج الجامعة العبرية في القدس ، وحصل على جائزة تشرينخوفسكي سنة ١٩٤٨ ، وجائزة وايزمان ١٩٥٠ ، وجائزة اسرائيل في العلوم الطبيعية ١٩٥٩ ، وجائزة روتشيلد في العلوم الطبيعية ١٩٦١ ، كما حصل على ميدالية ليندرستروم لنغ الذهبية سنة ١٩٦٩ ، وهو كاتب مقالات وابحاث كثيرة في موضوع الزلاليات والحوامض ، وعضو في الاكاديمية الوطنية للعلوم ، والمجلس الوطني للابحاث والتطوير ، ومجلس التعليم العالي ، والرابطة البيوكيميائية الاسرائيلية ، والرابطة الكيمائية الاسرائيلية ، وكان ايضا العالم الرئيسي في وزارة الدفاع الاسرائيلية من سنة ١٩٦٦ حتى سنة ١٩٦٨ — اي في الفترة التي سبقت وتلت حرب حزيران — ، وعضو في روابط دولية هي : الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم ، والاكاديمية الاميركية للفنون والعلوم (عضو شرف اجنبي) ، واكاديمية العلوم في لاوبولدينا ، الشركة الاميركية للكيميائيين

البيولوجيين (عضو شرف) ، ومؤسسة «سيناء» ، والرابطة الدولية للبيوكيمياء ، روابط عديدة اخرى ، وهو ايضا في هيئات مجلات شهرية دولية مختلفة متخصصة في العلم والتكنولوجيا » . (« من ومن في اسرائيل ، ١٩٧١ — ١٩٧٢ » ، ص ١٩٣ — ١٩٤) .

وقد ذكرت جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٣/٢٣) ان العديد من الخدمات التي قدمها كاتشالسكي لاسرائيل ، عبر عمله في تطوير أسلحة جيش العدو ، ما زالت سرية نظرا لنوعيتها وطبيعتها .

وكان يمكن ان يظل البرفيسور افرايم كاتشالسكي، بالنسبة الى الاسرائيلي العادي ، مثل غيره من العلماء غير المعروفين ، لولا حدثان ، او صدفتان :

اولهما : انه شارك وظهر على شاشة التلفزيون الاسرائيلي عبر مسلسل من اعداد عضو الكنيست اسحق نافون اياه ، منافسه في الترشيح لمنصب الرئاسة .

وثانيهما : انه شقيق البرفيسور اهرون كتسير الذي كان بين قتلى مطار اللد في العملية التي نفذها الفدائيون اليابانيون الثلاثة يوم ١٩٧٢/٥/٣٠ .

وقد اكتسب افرايم كاتشالسكي ، نتيجة مقتل اخيه ، صورة « المسكين » الذي فقد شقيقه ، خاصة وان صحف اسرائيل قد كتبت بايجابية مطلقة عن كتسير بعد موته ، و« خسارة اسرائيل العظيمة له ولكفاءاته وخدماته » .

ولم يخل مقال عن كاتشالسكي بعد ذلك ، الا وذكر القارىء بأنه شقيق « الشهيد » البروفيسور اهرون كتسير ...

وبرغم جميع صفات كاتشالسكي المذكورة ، اضافة الى « صفاته الاخرى » ، وبرغم دعم قادة الحزب المؤثرين له ، فقد جاءت نتيجة الاقتراع مفاجئة للجميع ، حيث فاز افرايم كاتشالسكي على نافون بأغلبية ضئيلة .

« ومن بين أعضاء مركز حزب العمل ، وعددهم ٦١٢ عضوا ، تواجد في قاعة « اوهل » في تل ابيب حيث جرى الاقتراع ٥٠٣ اعضاء،وكان ابرز الغائبين موشي دايان ، ومن المتواجدين اقترع ٢٧٩ عضوا الى جانب ترشيح البروفسور افرايم كاتشالسكي، واقترع ٢٢١ عضوا الى جانب ترشيح اسحق نافون ، وامتنع عضوان عن الاقتراع، ورفض صوت واحد ، وبذلك فاز كاتشالسكي بـ ٥٥٫٨ ٪ من الاصوات ، مقابل ٤٤٫٢ ٪ من الاصوات لنافون ، وهكذا خسر نافون ولكن « بشرف » . (يديعوت احرونوت ، ومعاريف ٧٣/٣/٢٣) . « ثم دعي جميع الاعضاء بعد ذلك للاقتراع العلني لصالح المنتصر ، فنال — بموجب التقليد — المرشح لرئاسة الدولة كاتشالسكي ١٠٠ ٪ من الاصوات ، للتدليل على أن المرشح هو مرشح الحزب بجميع اعضائه » (المصدر السابق) .

وبعد يومين من انتخاب حزب العمل لمرشحه للرئاسة ، اي صباح يوم ٧٣/٣/٢٤ ، بثت اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢٧) ، مقابلة مع اسحق نافون ، كانت هي — حتى الان — اخطر واوضح ما أدلى به مسؤول اسرائيلي في الحزب الحاكم عن وجود التفرقة العنصرية داخل اسرائيل .

قال نافون : « ان ما أشعر به خلال هذا اليوم ، وليلة أمس ، هو خيبة امل العديد من الاشخاص، الذين علقوا امالا كثيرة ، واشعر أن كتفي قد ناءتا بحمل هذه الامال . اريد أن اتحدث بوضوح: هنالك موضوع يسمى « اسرائيل الثانية » هذا اولا وقبل كل شيء ، ولا أعلم لماذا ، ولا اعلم كيف ، ولكن هكذا حدثت الامور ، على الرغم من انني لا اذكر مطلقا انني شعرت شعورا طائفيا، لقد حصل ان المراكشيين يدركون انني مراكشي ، واليهود الشرقيين يعرفون انني شرقي ، وحصل أن قرى التعمير والمستوطنات واليهود السود من كافة الانواع ومن كافة الاتجاهات ، اعتقدوا بأنهم وجدوا اخيرا مناسبة لتحقيق تلك الامنية : ان يصل واحد منهم الى فوق ! » .

وعندما سئل نافون : هل سيلحق التطور الاخير ضررا بالحزب بصورة عملية في رأيك ؟ ، اجاب : ماذا تعني بقولك « سيلحق ضررا » ؟ لقد اضر وانتهى الامر ، وانهى نافون حديثه عبر اذاعة العدو بعد التذكير بأنه ترشح قبل ذلك لمنصب رئيس الكنيست ، وافشله قادة الحزب ، بقوله : « انني احمل اسم « نافون » (وهي كلمة عبرية تعني عاقل او ذكي)وينبغي ابداله باسم«تميم»...» (وهي كلمة عبرية تعني بسيط ، او ساذج) .

واخيرا ، في العاشر من نيسان الحالي عقدت الكنيست جلسة خاصة لانتخاب رئيس جديد لدولة اسرائيل ، وفاز بالمنصب ، البروفيسور افرايم

كاتشالسكي ، وغير اسمه الى افرايم كتسير ، وكان منافسه في هذه الجولة البروفيسور اوربـاخ مرشح حزب المفدال .

هل ستقود هذه التطورات الى ازدياد شعـور اليهود الشرقيين بالتفرقة ضدهم ، او : هل يأخذ مثل هذا الشعور — بعد بلوغه الى اعلـى المستويات التي بلغها اليهود الشرقيون — ابعادا جديدة ؟

يبدو أن مثل هذا الاحتمال وارد ، بل هو وارد جدا ، خاصة وان هذه السنة هي سنة الانتخابات البرلمانية العامة في اسرائيل ، وستشهد شهورها المقبلة نتيجة ذلك نشاطا سياسيا واسعا علـى صعيد المواطن العادي ، وستظل — كما يبدو — قصة خذلان قادة الحزب الحاكم الاشكناز للمرشح اليهودي الشرقي قصة تروى ، ويذكر بهـا العديدون ، علما بأن اليهود الشرقيين يشكلون ٦٠٪ تقريبا ، او اكثر ، من يهود اسرائيل ، ولم يتسلم اي منهم حتى الان منصب رئاسة الدولة او رئاسة الحكومة ، او اي من الوزارات الهامة في دولـة العدو .

عماد شقور

PALESTINE LIVES

INTERVIEWS WITH LEADERS OF THE RESISTANCE

للمرة الاولى يصدر باللغة الانجليزية تحليل شامل لحركة المقاومة الفلسطينية ، ومن قبل ستة من قادة المقاومة ذاتها ، يتناول مختلف جوانبها .

يمثل الكتاب مجموعة من المقابلات مع قادة المقاومة ، بحيث يعطي الرؤية الكاملة لحركة المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظماتها الاساسية ، وتعكس محاولة مخلصة وصريحة في النقد الذاتي واستخلاص الدروس البناءة بتفكير واقعي هادىء بعيدا عن العاطفة. تقدم هذه المقابلات اجابات امينة بالفعل بعيدا عن الانفعال او اية اعتبارات دعاوية . وهي ، من جهة اخرى ، تعكس محاولة جدية من قبل المنظمات للتوصل الى خطة موحدة تمثل الاتفاق على سياسة الحد الادنى ، فتجربة أيلول القاسية جعلت الجميع يدرك اهمية الاعتماد على النفس وضرورة التعاون بين الجميع .

لا بد وان يخرج القارىء من هذا الكتاب بفهم حقيقي لحركة المقاومة لانه سيتعرف على افكار زعمائها مباشرة ، لا من خلال التقارير غير الموضوعية التي تقدمها وسائل الاعلام الغربية .

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

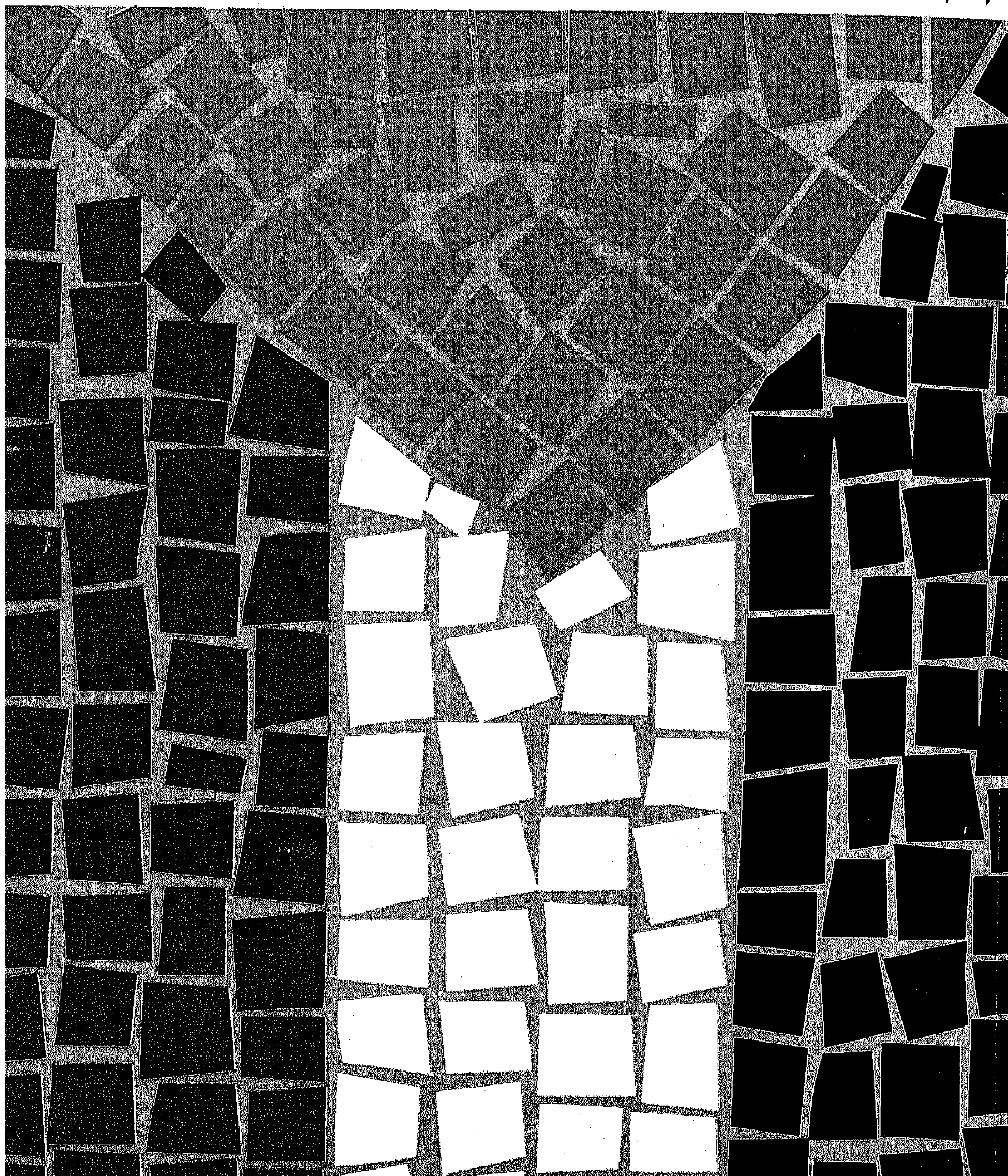
ثمن النسخة ٨ ل.ل. ، يضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم .

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center. *Editor*, Dr. Anis Sayegh. *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL 45. *Address* : P.O. Box 1691, Beirut, Lebanon. Tel. [illegible]51260. Cables : MARABHATH.

شؤون فلسطينية

حزيران (يونيو) ١٩٧٣ ٢٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٢ . حزيران (يونيو) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومبياني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : العلم الفلسطيني

المحتويـــات

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

المعذرة من القراء الذين اعتاد معظمهم أن يجدوا العدد الجديد من شؤون فلسطينية في بريدهم (ان كانوا من المشتركين بها) ، او معروضا أمامهم في كشك بائع الصحف ، في صباح اليوم الاول من كل شهر ، ان كانوا يقيمون في الوطن العربي ، او في صباح اليوم الثاني أو الثالث من الشهر ان كانوا يقيمون في خارج الوطن العربي — حتى ولو كانوا في بلاد نائية كأستراليا أو كندا أو ايسلندا . المعذرة من قرائنا لانهم لم يجدوا العدد السابق من شؤون فلسطينية ، عدد مايو ، لا معروضا في أكشاك الصحف ولا ضمن بريدهم اليومي ، لا في الاول ولا في الثاني ولا في الثالث من مايو — بل ان بعضهم لم يستلم العدد الا في منتصف الشهر .

والواقع ان العدد الماضي صدر في موعده ، كالعادة ، وذلك بالرغم من التجربة القاسية التي مر بها العاملون في الحقل الفلسطيني في لبنان اثر الغارة الاسرائيلية الوحشية على منازل بعض قادة الثورة الفلسطينية وعلى مكاتب بعض فصائل الثورة . وعلى العكس مما توقع العدو ، صمد العاملون في مواقعهم ، وواصلوا العمل والانتاج بمزيد من الايمان والحماس والثقة بالنصر .

لكن أن يصدر العدد من شؤون فلسطينية ، او أية مجلة ، شيء ، وان تقوم دوائر البريد وشركات الشحن بتوزيع العدد شيء آخر — خاصة اذا كانت المجلة تطبع اثني عشر ألف عدد ، وتوزع في حوالي ستين بلدا في العالم . اذ أن أحداث مايو في لبنان عرقلت توزيع العدد الذي لم تعرقل أحداث ابريل صدوره أبدا . ومع هذا ، وبفضل جهود استثنائية ، نرجو أن يكون العدد الماضي قد وزع توزيعا كاملا قبل صدور عدد يونيو الجديد هذا .

وقد اتخذت شؤون فلسطينية اجراءات كثيرة كي لا يتعرض هذا العدد لتأخير في التوزيع. ونرجو أن تصل النسخ الاثنا عشر الفا الى أيدي القراء في المواعيد التي اعتادوا عليها منذ أن صدرت المجلة في مارس ١٩٧١ . وقد تضافرت الطباعة مع التصحيح مع التحرير في انتاج هذا العدد ، بمادته المعهودة وبشكله المعهود وبحجمه المعهود (ونأمل أن يكون بمستواه المعهود ايضا) بالرغم من كل الظروف القاسية والمعرقلة التي تعرض لها العمل الفلسطيني في لبنان في النصف الاول من مايو .

وتأمل شؤون فلسطينية أن يتقبل الاخوة المقاتلون ، الصامدون في مواقعهم ، الثائرون حتى النصر ، أن يتقبلوا هذا العدد تحية خاصة من اخوان لهم في الثورة ، من حملة الاقلام ، ممن يجمع بينهم جميعا (حملة السلاح وحملة الاقلام) ايمان عميق واحد بالثورة وبالنصر .

بدلا من الرصاص حوار بالكلمات

شفيق الحوت

عندما تقرر قيادة المقاومة الفلسطينية في تعريفها للمقاومة بأنها طليعة نضالية للجماهير العربية الرافضة بالكلمة والمتصدية بالسلاح للغزوة الامبريالية الصهيونية على فلسطين والوطن العربي كله ، فان هذا القرار المبدئي ، يفرض عليها من جملة ما يفرض من مواقف نظرية وممارسات عملية ، أن تطل باستمرار ، وهي تحلل ازماتها وصراعاتها السياسية في المنطقة العربية ، من نافذة قومية قادرة على استيعاب الصورة الشاملة لحركة الصراع العربي — الاسرائيلي ، وذلك لكي لا تنزلق ، مهما كانت حدة الظروف التي تتعرض اليها ، الى مهاوي الشوفينية الفلسطينية ومطبات المعارك القطرية .

فان ما جرى في الاردن من صراع دموي ، وما نقف اليوم على شفير الوقوع فيه من صراع مماثل في لبنان ، لم يكن في حقيقته الا صراعا سياسيا حول الموقف من الغزوة الامبريالية الصهيونية وأسلوب التصدي لها . وهو صراع لا قيمة فيه للهوية القطرية بمعناها الجغرافي على الاطلاق ، ومن الممكن ان تشهده أي ساحة عربية اخرى يصل الحكم فيها الى قناعة تامة بأنه أصبح ، وفق تقديراته للموقف وتطلعاته للخروج من أزماته على تناقض مع تقديرات المقاومة الفلسطينية وتطلعاتها .

وانها لمغالاة خادعة أن يتلمس أي نظام عربي اعذاره لضرب المقاومة في البحث عن مخالفاتها او اخطائها أو سرد تصرفها — ان توفرت مثل هذه الاعذار — في الدولة « المضيفة » لها ولجماهيرها .

ان المخالفات والاخطاء وسوء التصرف لا تعالج بالقمع والارهاب ولا بالقوات المسلحة وفي كل ميادين الرماية برا وجوا وبحرا .

مثل هذه القضايا والمشاكل ، تحل كما تحل القضايا والمشاكل المحلية التي يرتكبها المواطنون في أي قطر ، ضمن اطارات الشرطة واجهزة القضاء .

ولا أظن ان ثمة داع للتركيز على هذه النقطة بالذات،فلنا مما جرى في الاردن عام ١٩٧٠ ما يغنينا عن أية مرافعة . فلقد بدأ النظام الاردني حملته الارهابية ضد المقاومة بحجة الحفاظ على « أنظمة السير في الطرقات » لينتهي باتباع « وجهة سير سياسية » مغايرة ومناقضة لوجهة سير الثورة الفلسطينية . وهنا كان سر الخلاف وسبب الصراع وما ترتب عن ذلك من مجزرة بشرية تبعتها مجزرة سياسية أوصلت النظام في الاردن الى ما وصل اليه من استسلام لارادة العدو دون أي مقابل على الاطلاق سوى العزلة عن المحيط العربي والقلق ضمن اطار الاسرة الواحدة .

ولن نقع ، وموضوعنا يتناول أزمة المقاومة في لبنان ، في أوهام الظن بأن لبنان هو الاردن او العكس ، وان عام ١٩٧٠ يعيد نفسه عام ١٩٧٣ .

فرغم كل مظاهر التشابه ، ومنها ما هو قائم فعلا ، بين أزمة المقاومة في الاردن وازمتها في لبنان ، فان هناك مظاهر تباين واختلاف . كذلك ان المناخ السياسي لعام ١٩٧٠ وما

كان يعكسه هذا المناخ من اثار سياسية على القوى السياسية العربية ، من رسمية وشعبية ، هو غير المناخ السياسي لعام ١٩٧٣ .

ففي الاردن ، وعلى الرغم من كل ما صدر عن قيادات العمل الفدائي الرئيسية من بيانات تؤكد حرصها على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد ، كان النظام هناك يدرك ، وربما اكثر من المقاومة ، ان مثل هذه البيانات لا يمكن ان تشكل اي ضمانات حتى ولو كانت صادرة عن ايمان ونوايا صادقة .

فالاردن ، بتكوينه الديموغرافي ، وبجغرافيته وتاريخه السياسيين يشكل جزءا لا يتجزأ من فلسطين . وحتى لو كان الاسم الرسمي للبلاد هو « المملكة الاردنية » فان هذا لا يغير من واقع الامر شيئا بل يثبت هذه الحقيقة ويعززها .

فالمقاومة في الاردن ليست « ضيفة » على قطر عربي مساند او مؤيد او مجابه . المقاومة في الاردن تقف فوق ترابها الوطني وبين جموع شعبها التي تشكل طليعة الثورة القومية .

وبالتالي ادرك النظام ، وكان بذلك أبعد نظرا ، أن اي تناقض بينه وبين المقاومة الفلسطينية لا يمكن حصره في ميدان معزول عن التركيب الداخلي للنظام بكل مؤسساته المدنية والعسكرية .

علما بأن هذه النظرة الاحترازية التي نظر بها النظام الاردني للمقاومة لم تكن متبادلة ، لاسباب لا مجال لذكرها هنا ، بدليل ان شعار « اسقاط النظام الاردني » لم يستطع المرور بمجالس المقاومة الوطنية رغم المذبحة الايلولية ، واكتفي بشعار النضال من أجل اقامة حكم وطني ديمقراطي في عمان .

وكم يجدر بأخوتنا في لبنان من المسؤولين في الحكم وخارجه ان يدرسوا تجربة المقاومة في الاردن قبل أن تملأهم مخاوف لا مبرر لها ولا داع ، اللهم الا اذا اصبح « التخوف » هو المبرر الوحيد لضرب المقاومة وتصفيتها .

ومن أجل تبيان هذه الحقيقة أشرنا الى الفارق بين الاردن ولبنان . ومن اجل ذلك نطرح الان — ومن موقع المقاومة الفلسطينية — هذا السؤال :

— ماذا يريد الفلسطينيون من لبنان ؟

ان الذين يطرحون هذا السؤال من بعض ساسة لبنان بقصد التشكيك بنوايا المقاومة الفلسطينية يعرفون قبل غيرهم واكثر من غيرهم ان قيادة المقاومة لم تتقدم منذ أن وجدت في الساحة اللبنانية بأي مطلب سياسي يتجاوز مطلبها المبدئي والستراتيجي بأن تمارس حقها القومي في نضالها المشروع — دوليا — من أجل تحقيق أهدافها . ذلك المطلب الذي تجسد بعد حوارات طويلة ، ساخنة وباردة ، بما يسمى باتفاقية القاهرة الممهورة بتواقيع القادة المسؤولين عن الطرفين بكل حرية وارادة .

وقد يكون من الضروري ان نشير الى أن هذه الاتفاقية ، التي يحاول البعض تصويرها وكأنها « وثيقة احتلال » ، لا تتعدى مجموعة من النقاط التنظيمية ذات الاهمية البالغة في تنسيق العلاقات بين المقاومة والسلطات اللبنانية .

وقد يكون أكثر ضرورة ان نعلن ، ونحن في موقع مسؤول ويعرف ، ان قيادة المقاومة الفلسطينية ، بمحض ارادتها ، ومن منطلق ثوري وقومي حريص على كل شبر ارض عربية ، قد تنازلت عن الكثير من «حقوقها» في الاتفاقية المذكورة ، نتيجة لتقدير المقاومة للواقع العربي والظروف السياسية والعسكرية التي تهيمن على المنطقة .

غير أن هذا الموقف الفلسطيني الثوري اسيء فهمه على الصعيد الرسمي لبنانيا واستثمر اسرائيليا . ولا شك ان المراقبين المنصفين لاحظوا ان اسرائيل قد صعدت عملياتها

الحربية ضد لبنان والمقاومة الى أعلى درجات التصعيد في الوقت الـذي التزم فيـه الفدائيون بموقفهم الجديد — منذ ايلول الماضي — على الحدود الجنوبية ، فكـانت هجماتهم الوحشية على الجنوب اولا ، ثم على الشمال في البداوي والنهر البـارد ، واخيرا في قلب العاصمة اللبنانية نفسها .

ولكن لكي لا نتيه بالاستطراد نعود للسؤال حول ما يريده الفلسطينيون من لبنان وما ينسبه البعض زورا لهم في مجال تبرير ضربهم وتصفيتهم أمام المواطنين البسطاء الذين لا يعرفون الحقائق .

● يقول هذا البعض :

ـ المقاومة في لبنان تسيست ، وأسلمت زمام أمرها لليسار اللبناني الذي يحاول الافادة من قدراتها العسكرية لتحقيق أهدافه المحلية للاطاحة بالنظام او للضغط عليه من أجل تحقيق تغييرات اجتماعية .

في مجال الرد على هذه النقطة بالذات يقول قادة المقاومة وكل الملتزمين بها ، ان المقاومة لم تختر اصدقاءها في لبنان ولا في خارج لبنان . اصدقاؤها هم الذين اختاروها من بين القوى السياسية المناضلة ، فالتفوا من حولها ومحضوها كل دعم وتأييد .

الخطأ ، ان كان ثمة خطأ ، ليس خطأ المقاومة ولا خطأ اصدقائها ، وانما خطأ الذين يأخذون على هذا التحالف قيامه ويحاولون اليوم ضربه وتفسيخه ، بدلا من أن يبادروا هم لاعلان دعمهم وتأييدهم للمقاومة .

لماذا لم يتقدم « اليمين » اللبناني لتأييد المقاومة ودعمها وحمايتها من أعدائهـا ، ان للمقاومة خارج الساحة اللبنانية صداقات وطيدة مع الكثيرين ممن لا يمكن تصنيفهم الا على حساب اليمين ، واليمين الملكي العريق احيانا .

ان قيادة المقاومة ، رغم ما يساق ضدها من انتقادات قاسية حول صداقاتها هذه لـم تأبه لهذه الانتقادات ولم تستسلم لها . بل على العكس ، فقد كانت المقاومة اول من طرح مفهوما جديدا لليسار واليمين في المنطقة العربية عندما فرضت اولوية الصراع القومي من أجل استرداد الارض قبل أي صراع اخر . ولم يكن وصول المقاومة لمثل هذه القناعة نتيجة ضغط او اكراه او تسلط فصيل من فصائلها على فصيل آخر ، انما كان نتيجة ممارسات وتجارب وحوارات ديمقراطية تحفل ملفات مجالسها الوطنية بما ورد فيها من مداخلات ومرافعات .

يبقى في مجال الرد على هذه النقطة ، الحديث عن « تسييس » المقاومة . والواقع ان هذا الحديث تغلب عليه سطحية وسذاجة تثـيران الدهشة . فالذيـن يتصورون أو يريدون ان تكون المقاومة زندا بلا عقل وبندقية بلا هدف سياسي هم اما جهلة موغلون في الجهل او خبثاء اغبياء لا في حق المقاومة وحسب بل وفي حق أنفسهم وفي حق مصالحهم . هؤلاء غاب عنهم ما اراد الاستعمار والصهاينة ان يغيب عنهم وعن العالم كله ، وهو أن هناك شعبا متكاملا هو شعب فلسطين ، وان لهذا الشعب ، ككل شعوب الدنيا ، عقله السياسي وزنده المحارب ومؤسساته الاخرى .

حركة المقاومة ليست عصابة مسلحة ، ولا جهازا حربيا ملحقا لهذه الدولة او تلك ، لهذا المرجع او ذاك . حركة المقاومة هي ثورة متكاملة لم تحمل البندقية عبثا بل من اجـل أهداف سياسية محددة ، منها ما هو مرحلي ومنها ما هو استراتيجي . ولن تكون الا كذلك . وباللحظة التي تتجرد فيه من « التسييس » المشار اليه ستنتحر وتمـوت ، وبالتالي تستحق مثل هذه النهاية .

يبقى من النقطة اياها ، الحديث عن تسليح اليسار اللبناني عـن طريق المقـاومة . والحديث عن السلاح والتسليح قد يكون واردا في أي بلد عربي باستثناء لبنان ، بسبب

تكوين لبنان السياسي والاجتماعي عبر تاريخه الحديث والمعاصر . واذا اعتمدنا التلميح حول الحقائق المعروفة عن السلاح والتسليح في هذا البلد لكي لا نمس اوتارا حساسة في مرحلة حرجة ، فاننا نكتفي بالتساؤل :

— من في لبنان لا يملك بندقية ؟ ومن من ساسة لبنان وقادته، ولا سيما التقليديين منهم لا يملك قوات مسلحة ؟ بل من لا يعرف أن لبنان كان في السنوات الماضية أهم قاعدة لتجارة السلاح في المنطقة ؟ ان من يعرف المصادر التي يأخذ منها الفدائيون أسلحتهم ، يعرفون ، او يجب أن يعرفوا ، بأن هذه المصادر وغيرها قادرة على تسليح من تتحمل المقاومة زورا مسؤولية تسليحهم . ومن المؤكد ان لليسار اللبناني نفسه ما يقوله في مجال الرد على هذه القضية عندما يسأل من يسألونه : وانتم من أين لكم ما عندكم من سلاح ؟ هذا اذا لم يكشف اوراق بعض غلاة اليمينيين ممن جعلــوا السلاح تجــارة رائجة لهــم .

● ويقول البعض :

— نحن نفهم ان السلاح في أيدي رجال المقاومة يستهدف العدو الصهيوني في الارض المحتلة . فلم كل هذا السلاح ، ولا سيما الثقيل منه ، في المخيمات وداخل المدن ؟

في بداية الرد على هذا التساؤل لا بد من الملاحظة بأنه سؤال طارىء . ولولا تفجــر الازمة الاخيرة والوصول الى مستوى الاشتباكات العسكرية لما استطــاع لبناني او فلسطيني ان يطرح مثل هذا السؤال لانه كان من المستحيل ان يخطر له على بـــال . هذا يعني ان السلاح الذي ظهر ، كان من الممكن ان يبقى في عالم السرية ، وكأنه غير موجود فعلا ، لولا اختلال جسر الثقة بين المقاومة والسلطة وتصاعد الازمة الى مستوى الانفجار فالاشتباك بمختلف الاسلحة وصولا الى الطيران . السلاح الذي استعمل في الاشتباكات المؤلمة لم يأت فور وقوع الاشتباك . كان موجودا من قبل ولكن في بطن الارض حيث يجب ان يكون كل سلاح الا عندما نحمله لنضرب العدو . تعود الثقة مرة اخرى يختفي السلاح ويعود فقط للظهور ان هي اهتزت وضاعت . هذا هو الاساس السياسي الوحيد الذي يضبط السلاح ، وغير ذلك خداع للذات والعقل ولقـــدرات التحرك السريع .

ونأتي الان لصلب السؤال :

في ظل ظروف قتالية ، لا السلاح ولا حملة السلاح يجب ان يكونوا في غير ساحـــات القتال . المقاومة تعترف بذلك ولكن والكل يعرف أين نحن الان من الظروف القتالية . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، على الذين يدعون الدهشة من وجود السلاح في المخيمات والمدن ان يتذكروا معنا مسلسل التصفيات الجسدية الذي تعرض له الفلسطينيون ولا يزالون في كل أصقاع الارض ، سواء عن طريق العدو الصهيوني مباشرة او عن طريق عملائه من افراد ومؤسسات ودول . ان اميركا ذاتها لم تخجل من اعلان الحرب على الفلسطينيين تحت شعار مكافحة الارهاب . واقامت من أجل ذلك الدوائر المختصة بكل ما تحتاجه من خبراء ورجال واموال واسلحة .

ولكي لا نكرر « فيلم » أيلول في الاردن ، وهو لا يزال قريبا الى ذاكرة كل منصف حر ، فهل نسينا ما جرى للفلسطينيين في مخيماتهم في الجنوب وفي الشمال ، وما جرى لقادتهم في بيروت قبيل الاشتباكات المؤلمة الاخيرة بليلتين فقط ؟ اولم توزع أجهزة السلطة اللبنانية نفسها مذكرات خدمة على قواتها المسلحة بأن ثمة اخبار عن امكانية انزال اسرائيلي في مخيمات الفلسطينيين في لبنان ؟ ولو كان في قدرة لبنان العسكرية ان يحمي المقيمين فوق ترابه من حرب الابادة التي تشنها اسرائيل ، بل لو أبدى لبنان ، مجرد موقف سياسي

مطمئن بالنسبة لهذه الحرب ، لكان من الممكن طرح مثل هذا التساؤل عن السبب وراء وجود السلاح في المخيمات وحول المدن .

والذين يطرحون هذا التساؤل ، ويتباهون أحيانا بأن لبنان على استعداد لمعاملة الفلسطينيين كما تعاملهم الدول العربية لا يعرفون شيئا عن « الوجود الفلسطيني المسلح والسياسي» في كثير من هذه الدول . اللهم الا اذا كان القصد بأنهم يريدون معاملة الفلسطينيين على غرار المعاملة في الاردن . وعلى الرغم من انه يعز على اي قلم فلسطيني ، في هذه المرحلة بالذات ، ان يبدو مبخرا لاي نظام عربي ، الا ان الحقيقة الموضوعية تفرض علينا ان نشير الى جزء مما للفلسطينيين — كشعب وكثورة — من مكاسب قومية في عدد من الاقطار العربية .

اولا : للفلسطينيين في عدد من الاقطار كامل حقوق المواطن « المضيف » على الصعيد المدني .

ثانيا : انهم ينخرطون في جيوش عدد من الاقطار تماما كالمواطنين الاصليين ويصلون في الجيش الى أعلى المراتب . وكما في الجيش كذلك في السلك السياسي .

ثالثا : للثورة الفلسطينية في مصر وسوريا والعراق قوات مسلحة وقواعد تدريب ثابتة.

رابعا : للثورة الفلسطينية في بعض الاقطار قواعد بحرية .

خامسا : وهذا الاهم : للفلسطينيين في عدد من الاقطار المكسب الثوري الاساسي وهو الموقف المبدئي لهذه الاقطار من قضية التحرير والموقف الستراتيجي الثابت المعادي للامبريالية واسرائيل .

فمن كانت له مثل هذه المكاسب — اذا جاز مثل هذا التعبير — ولم يحمل السلاح داخل مخيماته فلأنه مطمئن الى الحد الادنى من واجبات الدولة « المضيفة » للدفاع عن وجوده كشعب وكمقاومة وكقضية . ومع ذلك كله فان القضية السلاحية تبقى كما أشرنا قضية مرهونة بعلاقة امن الثورة ومدى الثقة التي يمكن الاطمئنان اليها في القدرة للدفاع عن وجود آلاف الفلسطينيين .

ولا بد استكمالا للرد على هذه القضية من طرح سؤال او تساؤل مضاد .

السؤال : من يخاف فعلا من السلاح الفلسطيني ؟ وأي عدو للفلسطينيين غير الصهيوني والاسرائيلي وحلفائهما ؟

في غمار الاشتباكات المؤلمة ، او اقتتال الاخوة كما حلا للجميع أن يسموه ، كان ابو عمار وهو يسمع القصف والمدافع يقول والالم يحز في قلبه :

— أي جنون هذا الذي نشهده ! صحيح اننا ندافع عن أنفسنا ، من منازلنا ومن مكاتبنا، ولكنها معركة لا نصر فيها لاحد .

أكثر من ذلك ، قال مسؤول في المقاومة في حوار له مع شخصية لبنانية في مجال التأكيد له على حرص المقاومة على وقف اطلاق النار .

— ان أي نصر عسكري نسجله عليكم يعادله على الفور هزيمة سياسية لنا . انها بالنسبة الينا ، لولا الدفاع عن الذات ، حرب بلا هدف ، بلا غاية ، حرب مجانية .

واضاف :

— نحن في لبنان ولسنا في الاردن . في الاردن كان يمكننا اعتبار قلب النظام هدفا سياسيا نفيد منه باقامة حكم وطني ثوري يجعل من عمان « هانوي » الثورة . ولكننا في لبنان ، وأي مس بمؤسسات لبنان او نظامه ليس من اهدافنا وليس في صالحنا .

وساق له على ذلك المثل التالي :

ــ ان لنا في « سجن الرمل » الذي هو على بعد امتار منا أكثر من ثلاثمئة معتقل . ان فكرة اطلاق سراحهم بالقوة لم تخطر لنا على بال لاننا نعتبر حتى السجن (وكررها) الذي فيه شبابنا وثوارنا مؤسسة نحرص على سيادتها .. فما بالك بلبنان الوطن ؟

● ويقول البعض :

لماذا تريد المقاومة من لبنان ، وهو البلد الصغير المحدود الامكانيات ان يتحمل في سبيل القضية الفلسطينية اكثر من أي بلد عربي آخر ؟

ونحن نحاول الرد على هذا السؤال لا بد لنا من الاعتراف بأننا نحن أيضا نطرح هذا السؤال ، لا من قبيل المزايدة على الذين يطرحونه ، وانما انطلاقا من كوننا ــ كما أشرنا بداية ــ حركة قومية التفكير والتطلعات والغاية . والمقاومة لم تزعم ذات يوم انها قادرة على تحرير فلسطين وتصفية الوجود الصهيوني ــ الامبريالي المتجسد بالكيان الاسرائيلي بمعزل عن قوى الجماهير العربية كلها بما تملكه من قدرات وأمكانات . اذن فالمقاومة أنطلاقا من تقديرها لدورها وتقييمها للقوى التي يجب تسخيرها للمعركة تناضل من اجل وضع كل الامكانات العربية في المعركة . ولكنها في معالجتها لهذه القضية التعبوية **لا تنطلق من مبدأ السير على خطى اضعفنا** ، او في اطار تفكير جامعة الدول العربية التي أصبح الاجماع فيها مستحيلا الا ضمن الحدود الدنيا لاية توصية .

مع ذلك فان تفكير المقاومة ، رغم ثوريته ، لا يشترط الى حدود المغامرة بالمصائر ، وشاهدها على ذلك كما سبق وقلنا قرارها بالتنازل عن « حقوقها » المكتسبة من اتفاقية القاهرة عندما رأت ان الممارسة الثورية قد تورط لبنان بتحمل نتائج سلبية مرفوضة للمقاومة قبل أي فريق اخر . ولو اراد لبنان الرسمي فعلا ، وهو المعترف بخطورة الوجود الاسرائيلي على كيانه ومستقبله ، تبني سياسة دفاعية جادة لوجد في حركة المقاومة اكبر حليف له ليؤمن كل ما تتطلبه هذه السياسة من امكانيات مادية .

والمقاومة الفلسطينية لم تتوان مرة واحدة عن التعرض لهذه القضية بالذات حول دور لبنان وقدراته ، ولعل من يطلع على ما يصدر عن قيادة المقاومة من ادب ثوري، قد لاحظ مدى اهتمام المقاومة بهذه القضية .

لقد قالت المقاومة اكثر من مرة ان لبنان احدى ساحات نضالها ، ولا يجوز ان تبقى ، أو أن يقع الفلسطينيون في اوهام الظن ان لبنان وحده الساحة التي يجب النضال منها . الواقع ، ان المقاومة الفلسطينية تشعر بحرج شديد ان تخوض في تفاصيل هذه القضية، تاركة للقوى الوطنية اللبنانية ذاتها أن تحكم على مدى جدية لبنان الرسمي ــ عبر كل عهوده ــ على ترجمة ايمانه بخطورة العدو الصهيوني بأفعال وخطط دفاعية تعكس هذا الايمان .

ان كلاما كثيرا يمكن ان يساق في مجال الرد على هذه القضية ، لكن يجدر بالمقاومة ان تبقى مطلة على أزمتها في لبنان من النافذة القومية وان تربط أزمتها بالصورة الشاملة للواقع العربي ، وعندئذ تصل الى الرؤي الثورية السليمة وهي أن ازمتها هنا ، كما كانت أزمتها في الاردن ، هي أزمة سياسية على المستوى القومي بين نوعين من المواقف بالنسبة للغزوة الصهيونية الامبريالية : **موقف من يريد التصدي ويسعى لتنمية قواه وقدراته ، وموقف من يريد المساومة ويرى بالضعف الراهن مبررا للاستسلام والتصفية .**

من خلال هذه الرؤية القومية لأزمة المقاومة في لبنان ، ستتفتح امام المقاومة وكل القوى والجماهير المساندة لها افاق جديدة لا بد لها من تصويب نضالاتها في اتجاهها لكي تضع حدا ، لا لازمتها في لبنان وحسب ، بل ولكل ازمة على الطريق .

ذاهب الى الجملة العربية في الخامس عشر من أيار

محمود درويش

[١]

تجلس في أيار ، ما بين الوردة والبندقية .

هذا هو اول الرحيل . وهذا هو آخر الارض . لكل شيء اوانه الا موتك ، يأتي مباغتا ومكررا وبلا مناسبة كالمطر الاستوائي ، فمن أين تلتقط برهة لليـــاقة الاحتفال بذكرى الموت الاول ؟. مهزوم من الوريد الى الوريد . وها أنت تعبـــر بين الصوت والصدى مسيحا جديدا بلا طقوس . في الجملة العربية متسع لقارة من الخيام . اسكن احداها واحلم بصيف قليل الحر .

تجلس في أيار ، ما بين الوردة والبندقية .

الوطن ليس صخرة قديمة حتى لو كانت لها حرارة الجسد . مـــا أشد سذاجتك اذا حاصرت ذاتك ونارك بهذا الحلم البدائي المحدد . الوطن مطلق . فلا تسأل عمن أعطى الارض هذا الضيق الواسـع . من الماء الى الماء ملايين من القلوب التي تؤويك وتسند ظهرك . اذهب الى الجملة العربية تجد الذات والوطـــن . وفي الوقت متسع للحرب والسلام .

تجلس في ايار ، ما بين الوردة والبندقية .

وماذا تفعل لو خرجت من هذا الدور ؟ هذه الصيرورة صارت تطعمك وتسقيك . يلقون على جراحك النقود والتبرعات ، فمن أين تأكل لو التأمت ! كل الذين جربوا الحرية قبلك لعنوها حين اكتشفوها وتاقوا الى أيام البحث عنها . والدولة شرطة وضرائب ، فهل تنفق هذا الدم من أجل بوليس جديد وضريبة جديدة ؟. مجد المسيح أنه مصلوب في عز الدعوة . تصور .. تصور لو ترجل المسيح ما يحدث في الدنيا !. الفوضى والردة . سيتمرد عليه الكهنة والفنانون والفقراء . سيرغمونه على العودة الى جراحه حافيا او بحذاء جديد لكي تستمر حياة الاخرين . اذهب الى الجملة العربية ، واستمتع بهدير التأييد واحلم بسلامة الضاد . مر غزاة كثيرون (هل عرفت شعوب اخرى ما عرفنا من الغزاة ؟) احتلوا الارض ، وشردوا الناس ، ولكنهم ما استطاعوا ان يفترعوا حجاب حرف حلقي واحد ! .

تجلس في أيار ، مابين الوردة والبندقية .

ويا وطني الذي أعرف الطريق اليك ولا أعرفك . من ربع قرن وأنا ذاهب اليك عبر الجملة العربية الرسمية ، وغريب عنها وعنك . أعجبتهم وردتي ، وحاولوا أن يسرقوا بندقيتي ، فأطلقت النار على الهواء ، فأصبت الوردة ، فاتهموني بمحاولة الانتحار . . وساقوني الى المحاكمة . فهل أصمت كي اقترب منك ، أم أدافع عنك وعني بالجملة العربية اياها ؟

[٢]

انتهت حفلة الميلاد . ليس للمدينة المقدسة ذاكرة منتظمة . أمطرت السماء ماء وغزاة . وكان الجندي الجديد يتنزه في حارات التاريخ المفتوحة مع صديقته القديمة ويقول « اذا نسيتك يا حبيبتي تنساني ذراعي » . وقد نسي ذراعه في صدرها ، فنبهته الى الخيانة « تحب اورشليم أكثر مني ! » . ضحكا وتابعا النزهة . كانا يستعيدان ذكريات عن الحرب الاخيرة ويندهشان من امكانية الحياة بدون القدس ، ويروي لها بطولة لم يمارسها . .

ابتاعا فلافل من بائع عربي صار يتقن اللغة العبرية بلثغة بولندية .

« اعتادوا علينا . هل تعرفين ان الزمن ضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي ، يترقى عاما بعد عام ؟ » خلعت حذاءها ومشت حافية . « تريدين أن أثبت لك ذلك ؟ » اشترى صحيفة من بائع عربي يروج للطبعة الجديدة من صحيفة المساء بلغة عبرية سليمة .

« للقهوة العربية مذاق لاذع . كيف تكون حياتنا بدون هؤلاء السكان . . كيف ؟. هل تتصورين ان بمقدورنا المحافظة على وحدتنا القومية اذا كنا نعيش وحدنا ؟ »

دخلا مسجد الصخرة ، وتبادلا قبلة على مرأى من الاسطورة « لتشهد الاسطورة على أن شعب اسرائيل حي » . شعرا بالندم لانهما ، قبل سبع سنوات ، تبادلا قبلة هنا للذكرى بأحساس السائح الذي لن يعود . وها هما يعودان كل سنة . « هذه القبلة ليست للذكرى ، بل هي لاستفزاز الاسطورة » .

كانت السماء تمطر . السماء تمطر دائما في أعياد الميلاد . راقه ان يجري مقارنة — على الطبيعة — بين بوله والمطر ، فانتحى زاوية وعاد يحدثها عن فارق طفيف في اللون . « للعرب طباع حميدة أهمها الكرم والنسيان » . ردت بلا اكتراث : « لا أحبهم » . اكتشف برهانا جديدا : « لولاهم ما كنت عرفتك وأحببتك . ولكي يستمر حبنا ويثمر لا بد من وجود عرب » . تذكرا خلافاتهما القديمة عندما كانا يدرسان في كلية الاداب ، ولكن المساء أغراهما بالعناق فقبلها ، وتابع : « انهم جوهر وحدتنا . أنا من وارسو وأنت من بغداد . الذي صنع اليهودي هو التحدي وحاجته الى التماسك . فما هو محور تماسكنا . العرب هم تحدينا المشترك ، فاذا ذهبوا ذهبت وحدتنا ، وانتقل التحدي الى العلاقة بين القادم من وارسو والقادم من بغداد » . ذكرته بأنه سينام الليلة مبكرا ليبدو قويا ونشيطا في الاستعراض العسكري غدا .

في تلك اللحظة ، كان عمال التنظيف يكنسون الشوارع من آثار صلوات الاسبوع الماضي . كان المسيح يتراجع الى الوراء ، وكانت المدينة المقدسة تخون ذاكرتها وتفتح شوارعها لعيد الغزاة الجدد الذين كانوا ينشدون « يا أورشليم من ذهب » .

وفي تلك اللحظة أيضا ، كانت تصل اليهم هدية مفاجئة أو بطاقة معايدة : كان دم عربي غزير يسيل في شوارع بيروت ، وكان يتحول الى زيت ينعش الارز القديم الذي أهدي الى الملك سليمان لبناء الهيكل !

[٣]

من يوقف التشريد ؟

كنا نتساءل قبل أيام : من يوقف الهزيمة ؟ والان نصرخ : من يوقف التشريد .. تشريد هذه المرأة ؟

الصورة ذاتها تواجهنا دائما في الصحيفة ، وفي ضواحي المدينة ، وعلى كل أرض عربية ، ونادرا ما تواجهنا في الضمير .

الصورة ذاتها . تأتي بعد الرصاص دائما : أم فلسطينية تجر أطفالا ، وتحمل فراشا ، وتمشي في الريح والمجهول . تلجأ من ملجأ الى ملجأ . فمتى تستقر في ملجأ أخير غير القبر ؟ كأن الدعوة الى العودة أرجئت . من ربع قرن ونحن نراها تخطو في العظم (من نحن لنتكلم بهذه الصيغة ؟ — مراقبون) تخرج من مخيم في اتجاه خيمة أخرى أو صخرة منحنية . تلاحقها اللعنة والقذيفة والاقدار المكتوبة . سموها ما شئتم ، فهي أمي .

— اقيموا لها خيمة من اسمنت ، لكي تكف عن التشرد . دعوها تستقر في لجوء واحد .
— الفراش المحمول على الرأس .. والوطن المحمول في القلب مربوطان بخيط واحد .
اذا استراح الفراش ضاع الوطن .
— وهل أصبح اللجوء اعلانا وزينة ؟
— بل هو نداء يتجسد في غضب يعلن في ثورة .

لا ينتهي الحوار الا بتدخل غارة ، مرة من الاعداء ، ومرة من الاشقاء ، فلا يبقى في الوطن العربي (أو العالم العربي) مكان لا تصل اليه القذائف بحثا عن ظل هذه المرأة التي لا أعرف اسمها ولكنني أعرف أنها أمي ..

— لماذا تضربها الطائرات ؟
— لكي تخفي ظلها عن الارض .
— ولماذا يؤذيكم ظلها ؟
— لانه ثقيل .. ثقيل تنوء به أكتاف هذه اليابسة الممتدة من المحيط الى الخليج .
— انها لا تطلب شيئا الا الوجود .
— العدو لا يرضى بهذا .
— وأنتم .. هل يعنيكم رضا العدو .. أم حياة هذه المرأة التي هي دمكم ؟
— لا حيلة لنا بمصارعة العدو .
— لا تصارعوه .. دعوها تصارعه وحدها .
— ليس على أرضنا . لان العدو لا يرضى بهذا .

صار بوسع العدو أن يمشي أو يتنزه في الشوارع العربية التي لم يعلن عن احتلالها بعد . يشرب القهوة في المطارات او المقاهي ، يسهر في البارات ، ويعود بسيارة خاصة أو بسيارة أجرة في آخر الليل الى حدود فلسطين . واذا تعب من السهر نام في فراشنا . الم يطرد كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار من فراشهم !.

غضب العرب من هذه الاهانة ، فسارت ملايين في جنازتهم . وبعـــد اسبوع تبرعت الطائرات العربية — دفاعا عن سلامة فراش النساء المستوردات — بضرب هذه المرأة التي لا أعرف اسمها ولكنني أعرف انها أمي .

— لماذا تضربونها ؟
— من أجل مصلحتها .. من أجل الدفاع عنها . نحن لا نستطيع أن نحميها من غارات العدو ، فنحميها من الحياة التي تسبب لها التشرد وتسبب لنا فتور السياح . خير لها أن تموت برصاص الاشقاء من أن تموت برصاص الاعداء .

[٤]

على شريط تسجيل ، كانت الافتتاحية لصوت العصافـــير . العاشرة صباحا ، وليس للعصافير موقف ولا مصلحة . بعد دقائق انهمرت أصوات الطائرات (فجأة صرنا نحارب) . بين الطلعة والاخرى كانت العصافير تكمل زقزقتها .

— لماذا ؟
— لانها لا تفهم السياسة .
— الا تملك غريزة الخوف من الموت ؟
— تملك ، ولكنها تعرف أن الطائرات لا تصيبها على هذه الشجرة .
— كيف ؟
— لعلها جاءت بأجنحة مزورة .

صدق ! أو لا تصدق . لقد سمعتها بأذني . وهذا هو الشريط .

— ماذا سمعت أيضا ؟
— ان هونغ كونغ لا تكون أرض ثورة .
— لا أحد يطالب بهذا .
— أين جسدك ؟
— تحت ثيابي .
— وما هي حدوده ؟
— تواريخ : جنوبا — ١٥ أيار ١٩٤٨ . شرقا — تشرين الثاني ١٩٥٦ . غربـــا — ٥ حزيران ١٩٦٧ . شمالا — أيلول ١٩٧٠ . هذه هي حدود جسدي .
— تحمل قنابل ؟
— لا .
— ماذا تحمل اذن ؟
— انني مدجج بالغضب .
— لماذا تعيش ؟
— لاعود الى وطني .

هذه هي المشكلة . ليس مهما أن تحمل سلاحا في الشارع او في المخيم او في البيت . ما دمت تحمل هذا الجسد المدجج بالغضب — كما اعترفت — فانك قابل للانفجار وتوريط العرب . ولا تنس أن هونغ كونغ ليست أرض ثورة . واسمح لي أن اقول لك انك ما دمت موجودا هنا فان فلسطين موجودة هنا . وفلسطين ممنوعة من التداول العلني ، لان العدو يغضب .. يغضب .. يغضب .. هل تفهم !.

— هذا اختياري وقدري . اذا تحررت من الاختيار فلن أتحرر من القدر .

ــ اذهب الى الدول التي تقوم مبررات حكمها وشرعيتها على أولوية التداول بقضية فلسطين . والا ، فما عليك الا المتاجرة بالملابس الداخلية أو العمل بوابا في شقة مفروشة . لان العدو يغضب . . يغضب . وبيتنا من زجاج .

ــ لقد ولدت هنا . لست لاجئا . من ربع قرن ولدت هنا . لست لاجئا . هونغ كونغ ليست أرض الثورة . لست لاجئا . ولكن لماذا تكون سايغون ؟

ــ لان العدو يغضب .

ــ أين اذهب اذن ؟

ــ اذهب الى الثورة العربية .

ــ أين هي ؟

ــ لا أعرف .

واستمعت الى بقية شريط التسجيل . كانت اصوات الطائرات والقذائف تتداخل مع أصوات العصافير . .

[٥]

وقفت على هذه القارة المحاصرة بالبحر والمحيط ، وقلت : أنا قادم من ذروة السقوط . كانت هذه الارض شبيهة بثور جريح يسقط من قمة الرجاء الى قاع الهزيمة المتناسلة ، ولكنه كان يرتبط بالكون بقرنه الحاد الذي ما زال يطفو على سطح اليابسة . طافح بالنفط ، والكسل ، والشعوب الممنوعة من الممارسة والمجهزة بنتائج استفتاء جاهزة « نعم » .

[خلع الملك ثيابه الملكية ، وارتدى بزة ضابط ، واحتل الاذاعة ، واعلن الجمهورية . وقال : كان الحكم البائد متآمرا على قضية فلسطين ، وقد قامت ثورتنا المجيدة من أجل تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية . صفقوا له . انتقلوا من حالة اليأس الى حالة اللا يأس . وكان الملك يضحك في غرفة النوم سعيدا بنتائج الاستفتاء الشعبي «نعم»] .

أغمدت القرن في صدرك ، فكنت بين الجسم والجثة شكلا ثالثا قابلا للتسمية المشجعة . فسموك وصدقت اسمك . وما كنت تدرك ، جيدا ، انك التوتر الباقي في أعصاب المرحلة المترددة على مفترق الاختيار .

ــ دمك والنفط ، هذا هو الصراع .

كانوا يحتاجون هذه المعادلة من أجل الضغط على المستهلك عبر البحار . فصفقوا لك . . . وكان لون الدم أقوى من دمك في علاقتهما الاولى .

مادة للانفجار ممنوعة من الانفجار . هذا أنت . لك الاناشيد كلها . وأطنان من الخيام . وحائط الاعلان .

ثوريّ في قبضة ملك . هل تتقن اللعبة ؟ وهذه الجماهير التي تمنحك آمالها وخبزها يخبئها الملك ــ باسمك ــ في عباءته البيضاء .

وهذا الشيء الممتد من الماء الى الماء ، ما اسمه ؟ لا هو خارطة ، ولا هو وطن . ولكنه جسد ينتظر الزلزال القادم من نبي لا شرط لنبوءته الا ان يسمي الاشياء بأسمائها . ولست البديل ولا المخلّص ، ولكنك الاشارة والبدء والقربان . فتحركت أشياء .

ـــ دمك والنفط . هذا هو الصراع الباقي بعد سقوط التجارب السابقة والشعارات .

لماذا يزهو دمك الى هذا الحد ، ويصبح لونه أقوى من لون النفط ؟ يرجوكم المستهلك عبر البحار ان تعيدوا النفط الى صفائه القديم مقابل وعد باعادة قطعة أرض . فجاءوا اليك ليعيدوك الى قبضة الملك في لعبة لا تتقنها . وانتهى دورك لتعود الى حالتك الاولى : لاجئا وقضية . وقالوا للجماهير هذا عدوك الداخلي الذي يؤلب عليك العدو الخارجي . واعطوا الامان للعدو المشترك ، لان المعادلة تغيرت ، والتحم أمن العدو بأمن النظام . تركوا العدو يستريح وقاموا بالدفاع عن أمنه وحدوده التي تشدد قبضتها على رقاب العواصم . الدفاع عن الباب العالي يقتضي الدفاع عن نوم الغزاة وراحتهم . وكان الطلبة القلقون يتساءلون : ما الفرق بين الغزاة القادمين من الخارج والطغاة الطالعين من الداخل ؟ اختلفوا على فروق كثيرة واتفقوا على فارق واحد هو : ان الغزاة يشرّدون والطغاة يقتلون من ينجو من ايدي الغزاة . واتفقوا على شيء آخر هو ان الغزاة يحتلون الارض ، والطغاة يقتلون من يدعو الى تحريرها .

وانت ، ما زلت واقفا على هذه القارة المحاصرة بالبحر والمحيط وتصرخ : أنا قادم من ذروة السقوط ، لاحمي قرن الثور الذي ما زال يطفو على سطح اليابسة التي هي ... صدري !

[٦]

تكبران معا : أنت وايار .

تكبر كتفاك ، وتكبر الصخرة . ويقدم أيار اوراق اعتماده الى الشهر الذي يليه . ويبقى الوضع سجالا . من الصعب ان يبلغ ايار ربع قرن بمثل هذه السهولة ، ولا تتغير نتيجة الحرب الصامتة . هل يمزح التاريخ ؟. بعد كل هذه الهزائم ... بعد اختلاط هـــذه الشهور تدور الحرب في شوارعنا ليتسنى للعدو ان يكمل احتفالاته . هل يمزح التاريخ ؟ يخرج ايار ليدخل حزيران ، والبنادق العربية تصوب الى كل الاتجاهات الا الاتجـــاه الصحيح . اذا اشتكى العامل ، واذا غضب الطالب تصبح بنادقنا شجاعة . كل الحرب في الداخل ونغني للصمود . ربع قرن ... ربع قرن ونحن نلوك الجملة اياها ، وحدود العدو تلاحقنا . مزيد من الخطابات مزيد من الهزائم ، وأنت الشذوذ عن القاعدة .

ـــ أيها الفلسطيني التائه ! ضع حدا لهذه الفوضى .

لم تسمع ، فساقوك الى مجزرة في شهر آخر او في عيد ميلاد موتك الاول . لماذا ؟ من أجل سلام وهمي .

تصير شبحا . تصير كابوسا . تصير شرارة .

ـــ اذهب الى مكان آخر واتركنا بأمان .
ـــ أينما ذهبت يصير ظلي مكانا .

حين سقط حصان في الملعب الرياضي ، برصاص طائش ، حزنت سيدات المجتمع وهواة سباق الخيل .

وحين سقط عشرات من الناس ، في البيوت ، وبرصاص مصوب لم يحـدث حزن في المدينة .
ليس لقتلاك صور ولا أسماء ، لان الحصان الشهيد يغطي الكون .

لماذا يسقط الشهداء بهذه الكثرة المجانية ، وفي مكان غير صالح للاستشهاد ؟. كثيرا ما يتحول الموت الى مهنة . فماذا يحدث لو أعلن المرشحون للموت الاضراب عن هذه المهنة ... ماذا يحدث ؟

ــ نصير شعبا بلا شهداء ، ويصير عيد الشهداء باطلا .
ــ ماذا ايضا ؟
ــ يفلس الشعراء
ــ ماذا ايضا ؟
ــ يتلعثم الخطباء
ــ وماذا ايضا ؟
ــ تسقط الحكومة .

التصفية ؟. لا نظن . هذه مشكلة داخلية . علاقاتنا طيبة . ومن أجل السيادة والمراعاة المتبادلة للاستقلال الوطني ــ لا نتدخل . التصفية ؟ لمـاذا ينبغي استخدام هـذا المصطلح ؟. هذا يسمى تحريرا . والشعار المرحلي المطروح الان ليس تحرير الارض العربية المحتلة من الغزاة الاسرائيليين . الشعار الآن هو تحرير الارض العربية من الذين يشكلون خللا في معادلة الامن الرسمي في منطقة الشرق الاوسط ، ومن الذيـن يذكرون الناس بأن لهم أوطانا محتلة . وهذا بالطبع ليس تصفية . من المسؤول ؟ ليس شخصا وليس جناحا في سلطة . المسؤول هو المناخ العربي الرسمي . ففي ظل هذا المناخ الراكد يصبح القمع الداخلي امرا مشروعا ينطوي تحت لواء المحافظة على السيادة الوطنية . وزن القضية أكبر من أي كتف فلماذا نحملها وحدنا ؟ هكذا يقولون . في ظل هذا المناخ العام يصبح كل اعتداء على الوجود الثوري ــ لا الفلسطيني فقط ــ شأنا من شؤون البلد الداخلية .

ــ اذا قتلتموهم سرنا في جنازتهم . واذا لم تنجح العملية بسرعة نجد انفسنا في مأزق ونضطر للتدخل من أجل المصالحة . فمن المسؤول؟. حالة السلم غير المكتوب في الممارسة العربية ، وحالة الحرب المعلنة في الجملة العربية .

مشكلة اسرائيل بين امثولة التاريخ وبرامج البقاء

انطوان بطرس

تحتفل اسرائيل بمرور خمس وعشرين سنة على قيامها وهي لا تزال في حالة حرب مع الدول العربية تحكمها قانونيا اتفاقيات هدنة او قرارات وقف اطلاق نار . وهي ، بواسطة ثلاث حروب رئيسية خاضتها ضد العرب ، تمكنت ان تجعل وجودها المؤقت يستمر طوال هذه الفترة الطويلة .

اما الوضع الفعلي الذي يتحكم بعلاقاتها بالدول العربية فهو وضع متناقض واكثر سوءا مما كان في أي وقت مضى . فهناك استعداد لدى عدد من الدول العربية المحيطة بهـا للاعتراف بها ان هي انسحبت الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ، وعزوف عن المبادرة بالنسبة للدول التي لا تزال تعلن رفضها لها . اما الشعوب العربية فهي لا زالت في مرحلة الرفض الاساسي لكن غير المستند الى مقدرة للتعبير عن الارادة والسعي لتحقيق هذه الارادة . اما في عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ فكان الرفض شاملا وان كانت الارادة دون مستوى الاحساس . وبالنسبة لاي مراقب خارجي فاسرائيل ، وفق هذه الاوضاع، قائمة لتبقى طالما ان احدا من المعنيين لا يملك القدرة على طردها .

ويبرز هذا الواقع ضمن اطار من الاحتفالات الكبرى ليوبيل يمثل ربع قرن من الاستمرار والتواجد ، فيثير انفعالات مؤلمة قاسية لدى العرب بسبب ما يمثله هذا الواقع من قهر للارادة العربية ودلالة على ان الزمن لا زال يسير لصالح اسرائيل وان ذلك قد يستمر ان لم يحدث تغيير جذري لا زالت ملامحه ، بل قل رؤاه ، غير موجودة .

من جهة اخرى فان هذا الواقع يمثل في الوقت نفسه جوهر المعضلة الاسرائيلية . فلقد استطاعت اسرائيل ان تفرض نفسها بحد السيف ، لكن الى متى يظل سيفها مجليا وهل ان الارادة العربية المقهورة ستظل ظاهرة تاريخية أم انها ستتحرك مع التطور العربي فيعود العرب الى مواقفهم الاساسية كما حصل ايام الصليبيين ؟ وبحسب تعبير احد الخبراء الاستراتيجيين الاميركيين فان اسرائيل « قد » تظل متفوقة ربع قرن اخر « ولكن المنطق وقانون المعدلات يوحي بان اسرائيل الصغيرة المحاطة بكتلة بشرية هائلة من العرب ستفقد في وقت ما تفوقها »(١) .

هل يعمل الزمن لصالح اسرائيل ؟

لم يكن المحللون الاستراتيجيون البعيدون هم وحدهم الذين اثاروا هذه التساؤلات . بل ان هذه التساؤلات بدأت في الظهور مباشرة بعد انتصار اسرائيل في حرب حزيران . كتب حول ذلك مبكرا جندي اسرائيلي مغمور ترك اسرائيل ليعمل في لندن مع الجماعة الرافضة التي عرفت فيما بعد باسم « متسبن » يدعى شمعون تزابار . وقد كتب ذلك في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، كما ونبه الكاتب الاسرائيلي آهارون كوهن الى ان البلاد العربية لم تستثمر بعد طاقاتها ومواردها الاساسية ، وان اي تطور في هذا المجال سيضيق الشقة بينها وبين اسرائيل . فالعرب ، كما كتب ، يمثلون ٣٪ من عدد سكان

العالم و١٢ ٪ من دول الامم المتحدة وتزيد مساحة بلادهم بمقدار مليون كيلومتر مربع عن مساحة القارة الاوروبية ، ويملكون أضخم احتياطي للنفط في العالم (٦٠ ٪) ويشكل وضعهم الجغرافي تقاطعا حيويا في التجارة العالمية برا وبحـــرا وجوا ولديهم طاقات اقتصادية وزراعية وصناعية(٢).

وخصصت « التايم » الاميركية مؤخرا (١٩٧٣/٤/٢) عدة صفحات لتتحدث عن مستقبل الامكانات العربية على ضوء موارد النفط وحدها . وقالت ان دخل الدول المنتجة سيصل الى ٤٠ بليون دولار سنويا في الثمانينات . واذا انفقت هذه الدول نصف دخلها عـــلى النفط فسيجتمع لديها في منتصف الثمانينات ١٢٠ بليــون دولار ، اي مــا يوازي كــل احتياطي العالم اليوم من القطع النادر والذهب ، وما يكفي لشراء جميع شركات النفط في العالم . ونقلت « التايم » عن احد مسؤولي وزارة الطاقة والمحروقات الاميركية « ان العالم لن يشهد مثيـــلا للثروة التي تتدفـــق وسوف تستمر في التدفق عـــلى الخليـــج الفارسي » .

كما تناقل الاسرائيليون بعيد الحرب صدى كتاب(٣) حوى تسجيلات اذاعية ادلى بهـــا الجنود الاسرائيليون وذووهم حول الحرب ونتائجها جاءت معظمها تبدي امتعاضها من التوسع وتجدد الحرب مرة كل حقبة من السنين . جاء فيه عبارات من طراز « اصبع وادي يوري يساوي كل حائط المبكى » و « القرية التي ربيت فيها مع حبيبتي تساوي كل القدس القديمة » .

فلما هذه التساؤلات كلها ؟

لقد أعرب رؤساء اركان الجيش الاسرائيلي السبعة السابقون في ندوة عقدتها صحيفة « معاريف » بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين عن اعتقادهم بأن العداء العـــربي لاسرائيل عنصر من الدرجة الاولى من عناصر الصراع العربي الاسرائيلي وان حـــالة اللاسلم قائمة حاليا تحت غطاء القوة الاسرائيلية . اعرب ديان عن اعتقاده بان السلام الممكن حاليا هو سلام للمدى القصير ، في حين قال رابين بانه لا يوجد حاليا اي استعداد للتسليم باسرائيل ، وقال تسور ان تحقيق السلام سيستغرق وقتا طويلا ، وتوقع يدين ان تستمر حالة اللاسلم حوالي ثلاثين سنة اخرى وقال مكليف انه لا يعتقد ان السلام سيحل خلال السنوات العشر المقبلة(٤). كمـــا ويعيد عـــدد من الاسرائيليين وغـــير الاسرائيليين امثولة الدولة الصليبية . يبدو من هذا الكلام ان الاسرائيليين يعتقدون ان القوة لم ولن تتمكن أن تكسب اسرائيل قبولا في المنطقة وانه اذا أرادت اسرائيل ان تنهي حالة العداء وتتمتع بوجود مقبول من قبل جيرانها ، فان عليها أن تبحث عن وسيلة او جملة وسائل اخرى تحل بها المشكلة .

الواقع ان الذي يقرأ تاريخ الصليبيين سيعجب من أوجه الشبه بين الدولتين . فهو لن يرى تشابها في الخطوط العامة والعريضة بل شبها فوتوغرافيا في التفاصيل الدقيقة .

ولعل افضل دراسة عن أوجه التشابه بين الدولتين دراسة الدكتور شارل عيساوي(٥) كما وان من الذين عنوا بها أوري افنيري ، الذي ، رغم انه حاول الرد عليهـــا في كتبه ومقالاته(٦)، يقول « ان الفروق بين الدولتين ، على اهميتها ، ليست شيئا يذكر أمـــام أوجه الشبه المثيرة في الاتجاه العام للحركتين [الحركة الصهيونية والحركة الصليبية]. ويضيف « بامكان المرء ، عندما يبدأ برسم المشابهات ، ان يذهب الى التفاصيل . هل كان الملك بولدوين يختلف كثيرا عن بن غوريون ؟ ومن ذا الذي يشبه موشي دايان اكثر من رينالد ده شانتيون ، غازي القوافل الاسلامية » . ويشبه افنيري هرتسل بالبابـــا ادريان باعث الحملة الصليبية ، كما ويشبه المؤتمر الصهيوني الاول بمؤتمر كلير مونت ١٠٩٥ . ويصف موجـــة الغزو البحرية وبناء القـــلاع والحصون (عنـــد الصليبيين) بالكيبوتسات ، عند الاسرائيليين(٧).

ولكن دارسنا للتاريخ مثل شارل عيساوي يمضي أكثر من ذلك كله ويعتبر ان التشابه بينهما ، القائم حتى في التفاصيل الدقيقة ، يصل الى حد الاعجاز . لكن الشيء الهام في استنتاجه هو ان هذه التشابهات ليست وليدة الصدفة ، بل ناتجة عن تشابه المعطيات والظروف بين الدولتين ، وفي كلا الحالتين فالموضوع هو تأثير مجتمع غربي على الشرق الادنى المسلم . ويتساءل هل يؤدي التشابه والمعطيات والظروف الى تشابه في النتائج وفق قوانين التاريخ . فالعوامل والمؤثرات الاساسية التي سادت اوضاع الدولة الصليبية لم تتبدل اليوم . فهناك العامل الجغرافي (كون سوريا ومصر تشكلان الفاصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي وبالتالي بين مراكز النشاط الاقتصادي في اوروبا والشرق الاقصى) والعامل الجغرافي البشري (كون مصر مركز الثقل في الشرق الاوسط) وهناك مؤثران ثقافيان (الاسلام عامل للتلاحم الاجتماعي والقدس ذات مكانة روحية سامية) . هذا من ناحية عوامل التاريخ التي لم تتبدل . ثم ان هناك اوجه شبه بين طبيعة الدولتين (التطلع نحو القدس ، التجزئة العربية ، سوء تقدير العرب لقوة الدخلاء ، المفاوضات السرية مع العدو ، بدء التلاحم العربي بعد خلق الدولة الدخيلة ، وحدة سوريا ومصر واليمن ، الروح التوسعية عند الدولة الدخيلة واعتمادها على العون الخارجي بالمال والرجال ، رفض العرب للدولة الدخيلة ، سعي الدولة الدخيلة الى الاتصال بالبحر الاحمر عن طريق العقبة ومقاومة القاهرة كذلك حصول تقارب مصري — سوري عند قيام عدوان على مصر من قبل الدولة الدخيلة) . وقد وصف رنيه غروسيه « ان هذه الكتلة الاسلامية الضخمة القادرة على محو اضعاف هؤلاء المغامرين القادمين الى آسيا بعشرين مرة ، قد سمحت لنفسها ، بتجزؤها ، ان تتحطم امام الانفجار الفرنجي »(٨) .

« السابقة الصليبية »

لقد كان لنظرية « السابقة الصليبية » تأثيرها على كل من العرب واليهود . فقد تحدث عنها الفريق امين الحافظ إيام رئاسته لسوريا مرارا كما وان الرئيس عبد الناصر كان يضعها في صلب تفكيره عندما قال في خطابه ، في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، ان حرب العرب مع اسرائيل حرب طويلة قد تمتد الى « عشرات السنين وربما مئات السنين » كما وان توينبي تحدث مرارا عن ان الصراع العربي الاسرائيلي قد يطول مئات من السنين وان اليهود سيضطرون بالنهاية الى الهجرة من اسرائيل . ويروي انتوني ناتنغ احد معارضي الفكرة الصليبية بانه كثيرا ما سمع العرب يتحدثون عنها واعتبرها ميلا خطيرا لدى العرب لاعتقاده ان وجود الاسلحة النووية قد بدل المعطيات تبديلا اساسيا(٩) .

ويجد المرء كذلك في مذكرات ناحوم غولدمان وكتاباته قلقا من أن الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل . كما وأن اهم جوائز رئيس الدولة في اسرائيل عن عام ١٩٦٩ اعطيت للبروفسور يشوع براڤر أحد خبراء تاريخ الصليبيين الذي «اثبت» ان السابقة الصليبية لن تكرر مع اسرائيل . ولكن رجلا مثل الجنرال اسحق رابين ادهش مستمعيه ، في ايلول ١٩٦٧ ، في الخطاب الذي القاه في احتفالات الذكرى السبعين لانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول حينما شبه اسرائيل بالدولة الصليبية وقال ان اكثر ما يخشاه على اسرائيل هو ان تذبل اذا اصابها جفاف في الهجرة كما حصل الامر مع الدولة الصليبية . وكان رابين آنذاك رئيسا للاركان يحمل لقب المنتصر في حرب حزيران .

فما هي السابقة الصليبية وما العبرة فيها ؟

بدأت أول غزوة صليبية عام ١٠٩٥ بدعم مادي وبشري هائلين من العالم المسيحي . وقد افاد الصليبيون من التفكك الذي عم العالم الاسلامي فاقاموا دويلات عدة في المنطقة .

ووصف رنسيمان ، اشهر مؤرخي الحملات الصليبية ، ان من أهم الاسباب وراء نجاح حملة الصليبيين « تجزئة العرب التي مكنت الدولة الدخيلة الصغيرة من ان تقيم لنفسها اسسا في اراضيهم » . ولكن رغم سيطرة الصليبيين على القدس وامكنة عديدة في المنطقة فقد اضمحلت الدولة الصليبية في النهاية ، بعد ثماني موجات صليبية كان اخرها عام ١٢٧٠ .

ويجمع المؤرخون على ان اضمحلال الدولة الصليبية يعود الى عاملين اثنين :

اولا : تعب العالم المسيحي وملله من مد الدولة الصليبية بالرجال والمال وهو ما كانت تحتاج اليه باستمرار بسبب رفض العالم الاسلامي الاعتراف بالدولة الصليبية واصراره على عدائه لها وعدم تمكينها من اقامة علاقات اقتصادية معه وبالتالي زرع جذور ثابتة لبقائها في المنطقة .

ثانيا : وحدة سوريا ومصر . ففي خلال الوقت الذي بدأ فيه الغرب يفقد الاهتمام بالدولة الصليبية ظهرت زعامة قوية في المنطقة وحدت مصر وسوريا واستطاعت ان تكيل الضربات الشديدة الى الدولة الصليبية بزعامة صلاح الدين فاحتوتها كمرحلة اولى واوقفتها عن التوسع . وقد قضي على الدولة الصليبية بعد حوالي مئة سنة اخرى على يد المماليك الذين اعادوا توحيد مصر وسوريا ومعظم شاطىء البحر الاحمر في قبضتهم الحازمة .

احتواء السابقة الصليبية بالدراسات المستقبلية

وقد عني عدد من الاسرائيليين واليهود بهذا الموضوع بشكل او بآخر ومنهم من عني به عناية علمية في مجال العلوم المستقبلية الجديدة Prognosis التي اصبحت موضة العصر في شؤون السياسة والاستراتيجية .

والنظرية التي تكمن وراء العلوم المستقبلية هي في دراسة معطيات موضوع ما بواسطة العلم والتكنولوجيا وبأسلوب تحليل الانظمة System analysis ودراسة امتدادات هذا الموضوع في المستقبل وتطور نموه واشكاله والعوامل الداخلة او التي يمكن ان تتداخل فيه ، والتوصل الى فكرة عن حالته بعد عقد او عقدين او ثلاثة الخ . . . وبذلك التكهن المستقبلي حول شكل التطور في ذلك الموضوع . وقد ادت هذه النظرية الى جعل العلماء، على مختلف انواعهم ، ركيزة خلفية لدراسة السياسة بمدلولها العصري والمستقبلي . واصبحت هناك عشرات المراكز او « بنوك الادمغة » ومهمتها تقديم الرأي والمشورة حول معضلات سياسية تسند اليها .

وتكاد لا تحصى الدراسات والمقالات التي صدرت في اسرائيل وخارج اسرائيل حول مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي وشكل القوى والعوامل التي ستدخل فيه في المستقبل ، وكذلك المقترحات والحلول التي نادى بها مفكرون اسرائيليون ويهود وغير يهود لهذه القضية والتي تعكس نظرة مستقبلية للواقع الحالي . فهناك على سبيل المثال الكراس المثير الذي اصدرته جماعة تطلق على نفسها اسم « جمعية السلم » في اسرائيل بعنوان « الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ » والتي تمثل في رسوم بيانية وخرائط ومصورات واحصائيات جغرافية المنطقة وتعداد سكانها ومداخيلها وقواهم الفاعلة واتجاهات النمو في الدخل القومي ومصادر الطاقة والثروة والعمالة والبطالة والصحة والتكنولوجيا والعلاقات الاقتصادية والبشرية وغيرها ، ثم تخرج باستنتاجات وتوصيات تدعو بالنهاية الى ان أفضل حل للصراع العربي الاسرائيلي هو في اقامة دولتين اسرائيلية وفلسطينية .

وفي حين ان العرب دعاة الحل الصليبي للقضية الفلسطينية ينتظرون سقوط اسرائيل

كتفاحة ناضجة من على الشجرة غير عالمين بأن الامثولة الصليبية تعني مبادرة عربية ، نلاحظ ان كثيرا من مجالات النشاط الاسرائيلي متوجهة لتدارك السابقة الصليبية بدراستها وتحليل عناصرها ووضع الحلول لعناصرها وجزئياتها .

ولنستعرض ذلك بالتفصيل :

لما كانت الدولة الصليبية قد اضمحلت نتيجة عوامل اهمها وحدة سوريا ومصر وبروز قيادة عربية قوية وملل العالم المسيحي من الاستمرار في مد الدولة الصليبية بالمال والرجال لتظل جيبا اوروبيا دائم التجدد بوجه المسلمين ، فما الذي تفعله اسرائيل لكي لا تتعرض لذلك ؟

يقول العالم الفيزيائي — الرياضي ، اليهودي هيرمان كاهن ، ومؤلف كتاب « العالم سنة ٢٠٠٠ » ورئيس مجلس امناء مؤسسة « هدسون انستتيوت » للدروس المستقبلية في محاضرة له بجامعة بارايلان ، بتل ابيب ، ان اسرائيل ستظل حتى المستقبل المنظور « جيبا اوروبيا في بحر اسلامي وان العرب لن يعدموا وسيلة لاستعادة [فلسطين] مثلما فعل اليهود حينما عادوا اليها بعد فاصل الوف السنين » . وكشف النقاب على انه يرأس فريقا من العلماء لدراسة المشكلة والبحث في العوامل الاقتصادية والسياسية التي يمكن اللجوء اليها للتخفيف من ضغط العرب على اسرائيل « وابقاء قوة اسرائيل متفوقة حتى يوجه العرب انظارهم نحو شؤون اخرى [بعيدا عن الحرب] ويتم بالتالي تخفيف حدة التوتر » .

فما الذي تحتاج اليه اسرائيل لمواجهة السابقة الصليبية ؟

أ) ان تصبح ، اقتصاديا واجتماعيا وبشريا ، جزءا من المنطقة . وحتى يتحقق لها ذلك فهي تحتاج الى دعم مالي منتظم من العالم ومن اليهودية العالمية بشكل خاص وكذلك الى دعم بشري منتظم من يهود العالم .

ب) كي تحقق اسرائيل لنفسها وضعا طبيعيا مقبولا في الشرق الاوسط فهي تحتاج الى انهاء العداء العربي الرسمي والشعبي حتى تكسب الاعتراف بها وبوجودها ضمن اطار من السيادة الاقليمية وتقيم علاقات بشرية واقتصادية يومية مع جيرانها وتحل مشكلة الفلسطينيين . والى حين يتحقق ذلك فانه يهمها بمقدار كبير استمرار حالة السلام تحت غطاء القوة الاسرائيلية كما وانه من صالحها عدم تحقيق تكتل عربي قوي في ظل زعامة تستند الى ارادة متحررة مجندة طاقات مستغلة استغلالا صحيحا .

فاذا حققت اسرائيل ذلك تكون قد حصلت على ما عجزت عنه الدولة الصليبية وحالت دون تكرار السابقة الصليبية ، لا عن طريقة فرضية ان التاريخ لا يكرر نفسه بل بابدال قوانين ومبادىء الصراع وبالتالي نتائجه .

فلنستعرض ما تقوم به اسرائيل والصهيونية على صعيد هذه الاستراتيجية :

١ — تأمين انتظام الدعم المالي

تمكنت اسرائيل ان تجعل الدعم المالي يتدفق عليها بصورة منتظمة طوال السنوات الخمس والعشرين الماضية ، ولا يبدو ان هناك اي تبديل طارىء في الصورة . أهم موارد هذا الدعم مصدران اثنان : الاول المعونات الاميركية (الخاصة والرسمية) والثاني التعويضات الالمانية لاسرائيل . وقد بلغت المعونات الاميركية مجتمعة منذ ١٩٤٨ وحتى الربع الاول من عام ١٩٧٣ ٩ بلايين دولار(١١) . وكان نصيب الفرد من العون الاميركي الخاص والرسمي خلال السنوات العشرين الاولى ١٤٠٠ دولار اميركي وهي نسبة تزيد عن العون الذي تقدمه الولايات المتحدة لاي بلد من البلدان الثلاثة عشر المجاورة

لاسرائيل، اذ أن العون الاميركي لهذه الدول لا يتعدى ٣٥ دولارا للفرد الواحد(١٢).

وجاء هذا العون لاسرائيل في اكثر من قناة . فقد شكلت المعونات الاميركية للوكالة اليهودية نصف ميزانيتها ، للفترة بين تأسيس الوكالة ولغاية حرب حزيران . كما وبلغت المعونات الاميركية للوكالة للفترة بين حرب حزيران ومنتصف عام ١٩٧٠ : ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . وتلقت اسرائيل من صندوق النداء الموحد الناشط في اميركا ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٩ وحده(١٣).

ومن المانيا الغربية استطاعت اسرائيل ان تحلب ١،٠٨ بليون دولار حتى نهاية عام ١٩٧١ كتعويضات لضحايا النازية من اليهود . وتوقعت مصادر اسرائيلية ان تصل هذه التعويضات الى ٢٠ بليون دولار عام ٢٠٠٠ . كما وتطالب اسرائيل والصهيونية المانيا بأن تدفع لاسرائيل تعويضات جديدة لقاء تشغيل العمال اليهود في المصانع والمنشآت الالمانية قبل الحرب دون اجر على حد تعبيرها. كما وتسعى اسرائيل كذلك الى الحصول على تعويضات من النمسا .

ولقد دفع العون الخارجي الهائل الذي استطاعت اسرائيل الحصول عليه بصورة منتظمة ببعض من الخبراء العرب الرصينين ، امثال الدكتور يوسف صايغ ، الى اعتبار العون الخارجي اشبه بقطاع ثابت من قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي ، وان على العرب ان يتخذوا منه « منطلقا لا يخضع للشك الخطير » عند وضع استراتيجية العمل القومي(١٤).

٢ — تأمين انتظام الهجرة الى اسرائيل

بلغ عدد المهاجرين الى اسرائيل عام ١٩٤٨ ٦٠٠،٠٠٠ اي ٣٥٪ من عدد اليهود الذين كانوا في اسرائيل عند انشائها(١٥)، وبلغ معدل الهجرة في السنوات ١٩٦١ — ١٩٦٦ ٥٠ الف مهاجر تقريبا ثم هبط هذا المعدل تدريجيا حتى زاد عدد المهاجرين من اسرائيل الى الخارج عام ١٩٦٧ عدد القادمين اليها .

وقد ساهمت حرب حزيران في اعادة حجم الهجرة اتساعا بحيث بلغت عام ١٩٦٩ ٤٥ الفا (مقابل ٣١،٠٠٠ لعام ١٩٦٨ و ١٨،٠٠٠ لعام ١٩٦٧) . ونقلا [illegible] مدير عام وزارة الاستيعاب في اسرائيل فان مجموع المهاجرين الى اسرائيل [illegible] حزيران وحتى نهاية ١٩٧٢ بلغ ٢٢٥،٠٠٠(١٦).

ولا يتعدى تكاثر السكان الطبيعي في اسرائيل ١،٦٪ سنويا ، [illegible] معدل الهجرة الى اسرائيل بحدود ١،٢ — ١،٥٪ من عدد السكان ، فان الزيادة [illegible] حدود ٣٪ اي في حدود الزيادة الطبيعية في الدول العربية(١٧).

ويبدو ان الهجرة من الدول العربية وصلت ، او كادت تصل، [illegible] وجهت اسرائيل انظارها نحو يهود الاتحاد السوفياتي الذين يبلغ [illegible] ما بين ٢،[illegible] — ٣ ملايين نسمة حسب مختلف التقديرات(١٨). وقد شنت اسرائيل حملة ضغط شديدة على الاتحاد السوفياتي دون كلل طوال السنوات العشر الاخيرة بحيث نجحت في فتح باب الهجرة اليهودية السوفياتية . وكان اخر محاولات الضغط موقف الكونغرس الاميركي من اتفاق التجارة السوفياتي الاميركي المشروط بتجميد الضريبة على المهاجرين اليهود. ففي حين لم يزد عدد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٧٠ عن تسعمائة يهودي ارتفع عددهم الى ١٥،٠٠٠ عام ١٩٧١ ثم قفز الى ٣٢،٠٠٠ عام ١٩٧٢(١٩).

٣ — دراسة عوامل الرفض العربي

يظهر المستشرقون اليهود اهتماما كبيرا بالتاريخ العربي . والجامعة العبرية في القدس حافلة بالدراسات العربية والاسلامية وبالاساتذة المتخصصين في مختلف الشؤون العربية

والاسلامية . وقد اثار موقف العرب الرافض للدولة الصليبية طوال مئتي سنة اهتمام الدارسين اليهود المعاصرين امثال شلومو غوتاين ، استاذ الدراسات الاسلامية في الجامعة العبرية ، والياهو اشتور – شتراوس ، الخبير بتاريخ اليهود في العالم الاسلامي واسبانيا الاسلامية . كما ان ثمة دراسات نشرت في هذا الصدد منها دراسة عمانوئيل سيفان عن « الاسلام والصليبيين » التي تناولت فكرة الجهاد عند المسلمين كما دونها ابو طاهر السلمي في « كتاب الجهاد » . ولهذا الكتاب – المخطوطة أهمية خاصة اذ انه كتب بعد ثلاث سنوات فقط من دخول الصليبيين الى المنطقة وبالتالي فهو اول دراسة عن موقف العرب من الدولة الدخيلة .

ويفسر المستشرق اليهودي برنارد لويس الرفض العربي بأنه نابع عن كره الاسلام للمساومة . فالعالم بالنسبة للمسلمين خير او شر ، والصراع قائم ابدا بين دار الاسلام (المسلمون والدول التابعة لهم) ودار الحرب (الدول غير الاسلامية) وفي هذا الصراع يمكن ان تقوم الهدنة ولكن يستحيل قيام سلم(٢٠) .

ويرى غلوب باشا الذي عاش مع العرب ستة وثلاثين عاما انهم شعب لا يساوم ، ويستشهد بأن الفتح الاسلامي ، حينما بدأ كانت تواجهه قوتان عالميتان (الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية) فلم يهادن الاسلام أيا منهما ، ولو مؤقتا ولضرورات التكتيك ، بل ضربهما في وقت واحد وأقام امبراطورية امتدت من المحيط الاطلسي الى حدود الهند . وقد استمرت هذه الامبراطورية التي بناها جيل واحد من الفاتحين ، ٢٥٠ عاما . وبعد ان اضمحلت السيطرة السياسية لهذه الامبراطورية ظلت للعرب الزعامة الفكرية للعالم طوال ٢٥٠ سنة اخرى(٢١) .

يرى المستشرقون ان هذه النقاط تفسر الكثير من العداء العربي لاسرائيل فتضعه ضمن محتوى تاريخي مبدئي ، فكيف تعزل اسرائيل الشعوب العربية عن هذا الموقف وتضع حدا فاصلا بينه وبين خطه التاريخي ؟

٤ – مقابلة الرفض العربي بالضرب المبرح

من المعروف ان الحروب لا تمثل « علاجا صداميا » فحسب بل عاملا لقهر ارادة الشعوب المهزومة ووسيلة لفرض واقع جديد مختلف برمته . وأفضل مثال على ذلك نتائج هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية على البنيان الثقافي للنظام السياسي والتربية المدنية في اليابان .

والمعروف ايضا ان اسرائيل تعتبر اول دولة ذات سياسة رسمية تقوم على الردع(٢٢) وتعترف نشرات رسمية اسرائيلية بالغارات الانتقامية كسياسة رسمية(٢٣) . ولقد نبه مفكرون امثال اسحق دويتشر بان الحروب المتوالية التي تقوم بها اسرائيل « تؤدي في نهاية المطاف الى القضاء على قوة البلدان العربية قضاء مبرما »(٢٤) . وكان أحد المبررات التي قدمها ديان للضرب قرب القاهرة في اواخر عام ١٩٦٩ ايصال حقائق الوضع على الجبهة الى المصريين(٢٥) .

ولقد كان عبء ذلك على الاقتصاد الاسرائيلي باهظا .

وقبل اعطاء لمحة عن كلفة هذه السياسة لا بد من التذكير بان الاقتصاد الاسرائيلي ، الذي يشبهه البعض بانه اقتصاد النبات في غرفة زجاجية ، يحتاج بصورة اساسية لاستمراره للعون الخارجي ، فجاءت السياسة العسكرية الاسرائيلية لتضفي عليه اعباء ثقيلة جعلت المكلف الاسرائيلي يدفع ارفع نسبة ضرائب في العالم ، او يدفع ٦٢٪ على الدخل الذي يتعدى عشرة آلاف دولار(٢٦) . ويذهب ٨٠٪ من ايرادات الضرائب الى ميزانية الدفاع (٢٧) .

وتقدر نفقات الاحتلال بـ ١٥ مليون ليرة اسرائيلية في اليوم اي حوالي ١٬٦٢٠٬٠٠٠ جنيه استرليني وذلك وفق تقديرات اسرائيلية رسمية(٢٨). ويذكر ان ميزانية العام ٦٨/٦٩ كانت قد خصصت ١٥ مليون جنيه استرليني لادارة المناطق المحتلة(٢٩).

وفي تصريح للمستشار المالي لرئيس الاركان الاسرائيلي ان كلفة عمليات القصف على قناة السويس التي استمرت ما بين ٢ـ٤ ايام اثر اغراق الباخرة ايلات بلغت ٦ ملايين ليرة اسرائيلية كثمن قنابل . ويكلف الجندي الاسرائيلي في اليوم ٢٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، وتكلف ساعة طيران اسرائيلية ما بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ليرة اسرائيلية . وتبلغ كلفة طائرة الفانتوم مع معداتها الحربية ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية(٣٠). وقدر بنحاس سابير ان تكاليف طائرات الفانتوم الاسرائيلية كافية لسد احتياجات اسرائيل من المحروقات خلال السنوات السبع عشرة المقبلة(٣١).

وقد قفزت ميزانية الدفاع في اسرائيل بمعدل ٤٥ ٪ بين حرب حزيران واواخر عام ١٩٧١ فتجاوزت ٥ مليارات ليرة اسرائيلية(٣٢). وهي اليوم تشكل ٣٠ ٪ من الميزانية العامة البالغة ٤٫٧ بليون دولار (٣٣) ، ويذهب نصف موازنة الدفاع للاستيراد العسكري . وتعتبر نسبة ميزانية الدفاع الاسرائيلية الى مجموع ميزانية الدولة العامة أعلى ميزانية دفاع في العالم. ومن أجل المقارنة نورد ما سبق لرئيس الحكومة اللبنانية الاسبق الراحل حسين العويني ما قاله من أن ميزانية الدفاع الاسرائيلية شكلت عام ١٩٦٩ ضعفي ميزانية لبنان العامة و١٥ ضعفا لموازنته العسكرية(٣٤).

وتشكل ميزانية الدفاع السبب الرئيسي في عجز ميزان المدفوعات ، فاسرائيل تنفق ٢٠ ٪ من الميزانية العامة على سداد ديونها(٣٥). (كانت هذه الديون قد بلغت في نهاية ايار ١٩٦٩ الفي مليون دولار كما وان العجز التجاري بلغ ١٩٧٠ بليون دولار أي بزيادة ٥٤ ٪ على حجمه عام ١٩٦٩) .

هذا على صعيد الاعباء المالية اما على صعيد الخسارة البشرية فقد تكبدت اسرائيل منذ ١٩٤٧ وحتى منتصف ١٩٧٢ ٨٢٨٧ قتيلا(٣٦) (اكثر من نصفهم بين ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ اذ بلغوا ٤٤٨٧ قتيلا) .

٥ ــ التوسع الاستراتيجي

وخلافا لبعض الاعتقادات الشائعة ، فان التوسع الاسرائيلي ليس مجرد تلبية لشهوة الصهيونية للتوسع ، بل انه عملية منتظمة تهدف الى تقوية اسرائيل استراتيجيا بوجه الدول المعادية المحيطة بها . فمن المعروف ان حدود اسرائيل قبل حرب حزيران لم تكن جيدة من الناحية الاستراتيجية ، اذ كان بالامكان ، عسكريا، شق اسرائيل عند منتصفها حيث يضيق عرضها بين الاردن والمتوسط الى ١٢ ميلا فقط . كما وان مرتفعات الجولان السورية كانت تضع الجليل الاعلى بكامله تقريبا تحت مرمى المدفعية السورية .

فقد أعطى قرار التقسيم الدولة اليهودية ما مساحته ١٤٬٠٠٠ كلم٢ ، ثم احتلت اسرائيل بعد حرب ٤٨ حوالي ٦٠٠٠ كلم٢ اخرى من أصل المساحة المخصصة للدولة العربية، ثم امتدت حدود اسرائيل بعد حرب حزيران اربعة اضعاف ، اذ احتلت ٦١٬١٩٨ كلم٢ في سيناء (التي تبلغ وحدها ضعفي مساحة اسرائيل) و٥٬٨٧٨ كلم٢ في الضفة الغربية و١٬١٥٠ كلم٢ في الجولان و٣٦٢ كلم٢ في غزة، اي انها احتلت ٢٠ ٪ من الاراضي المصرية و٧٠٪ من الاراضي الاردنية و١٥٪ من اراضي سوريا وكل غزة(٣٧). وكان يتطلب الطائرات المصرية قبل حرب حزيران كي تصل الى قلب اسرائيل في تل ابيب فترة ٥ دقائق طيران في حين كان يتطلب الطائرات الاسرائيلية حتى تصل الى القاهرة ثلاثين دقيقة طيران(٣٨). اما الان فقد انعكست الاية لصالح اسرائيل . ويقول حاييم هرتسوغ

احد خبراء اسرائيل العسكريين انه بفضل الحدود الجديدة لم تعد اسرائيل مضطرة الى الهجوم اولا لتأمين سلامتها عند الخطر(٣٩).

٦ ـ الحرب النفسية المكثفة

يقترح رئيس الاركان الاسرائيلي الاسبق يغئال يادين للتخفيف من العداء العربي الاسرائيلي « الوصول الى الشعوب العربية ، ليس في يوم واحد وانما خلال سنوات عديدة » واقترح « سلاحا من الدرجة الاولى » البث باللغة العربية بصورة مستمرة طوال اربع وعشرين ساعة وعلى أن يستمر ذلك « حتى نصل الى يوم التفاوض » . واقترح التركيز على مشكلات الدول العربية الداخلية لا بل المحلية كالتذكير للمصريين بأن بينهم ٢٥ ـ ٣٠ مليونا مصابا بالزهري على حد تعبيره ، وعلى « أن يصل هذا الى الفيوم واسيوط » مقرونا بالدعوة الى صرف الجهود في غير مجالات التسلح .

٧ ـ الشعب الفلسطيني : بين الخلاص منه واحتوائه

تعنى اسرائيل بهذا الموضوع عناية خاصة لارتباطه بمجمل وضع العداء العربي . فالفلسطينيون ليسوا فقط رأس الحربة العربية المنتصبة امامهم بل هم السكان الاحياء الذين يحتل الاسرائيليون بيوتهم منذ وقت لم يمض عليه زمن طويل . فالثابت ان القضية الفلسطينية قضية دائمة الاشتعال ومفتاح لليقظة العربية المقبلة . لهذا فمن الضروري بالنسبة لاسرائيل حل قضية الشعب الفلسطيني وظاهرة المقاومة .

ورغم جميع الادعاءات المعاكسة من قبل الرسميين ، فهناك اليوم اتفاق بين المسؤولين الاسرائيليين حول التوصل الى حل للشعب الفلسطيني يوفر للفلسطينيين وجودا مستقلا دون أن يبلغ حد السيادة المستقلة . ويعتقد الاسرائيليون ان الفلسطينيين داخل الاراضي المحتلة اصبحوا قانعين بهذا الحل لانهم باتوا يخشون اندثار الهوية الفلسطينية . وان أقصى ما يطمحون اليه أن يكون لهم وجود مستقل يحفظ الشخصية الفلسطينية على أن يتكفل الزمن بمستقبل سيادتهم . ويستشهد الاسرائيليون بشخصيات فلسطينية سياسية وفكرية عميلة كالجعبري وعزيز شحادة وعطاالله منصور .

ويتلخص الموقف الاسرائيلي حول مصير الشعب الفلسطيني في ثلاثة اتجاهات . الاول اتجاه الاعتراف بالشعب الفلسطيني وبوجوده وشخصيته المستقلة كحل لاسكاته. ويمثل هذا الاتجاه ديان وهركابي وشامير وايلاف . والثاني ، فهو الذي آمن بوجود هذه الشخصية ومضى خطوة اضافية الى الامام لكن لم يعثر بعد على الحل الامثل . ويمثل هذا الاتجاه ماتيتياهو بيليد وسبرينتساك . اما الاتجاه الثالث فقد مضى بدوره مرحلة اضافية الى الامام واقترح خلق كيان فلسطيني واضح . ويمثل هذا الانجاه افنيري (رئيس دائرة العلوم السياسية في الجامعة العبرية) وهرتسوغ وشحاده ومنصور(٤٠).

ويبقى السؤال كيف تعالج اسرائيل قضية الفلسطينيين خارج الاراضي المحتلة الذين تنضوي غالبيتهم العظمى في المقاومة الفلسطينية . يمثل هذا الفريق المطالب بالتحرير بالنسبة لاسرائيل حالة عقلية مختلفة تنطبق عليه السياسة المطبقة على الدول العربية المعادية ، اي سياسة القهر وتخفيف حدة العداء . وتوفر لنا الاحداث بين ١٩٦٧ واليوم اكثر من مثال على سلوك اسرائيل في هذا المجال .

٨ ـ تزيين فوائد السلم

ولا تكف اسرائيل عن التحدث عن فوائد السلم بالنسبة الى الدول العربية وتزيين المكاسب التي ستتحقق للشعوب العربية من جراء ذلك . والذين اطلعوا على كراس « الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ » لاحظوا مقدار تركيزه على هذه الناحية . وابرز ما يلفت

النظر في هذا المجال أن الكراس يتحدث عن تقدم الخدمات الطبية وارتفاع مستوى المعيشة واطالة الاعمار وتحسن الدخل وفرص التعليم بالنسبة لمجتمعات الشرق الاوسط ان هي انصرفت الى التنمية والتعمير عوضا عن التسلح . كما وان الكراس يعد كل بلد عربي بأنه سيكون مركزا رئيسيا لسلعة ما او صناعة بالنسبة لدول المنطقة : سورية للصناعات النسيجية ، مصر مركزا صناعيا ، لبنان مقرا لسوق مشتركة تضم كل المنطقة ومركزا للعمل والنقل والمواصلات واسرائيل مركزا للصناعات الالكترونية الخ ... كما تجدر الاشارة كذلك الى اقتراح دان بافلي مستشار الحاكم العسكري للضفة الغربية عام ١٩٦٩ باقامة سوق مشتركة بين اسرائيل والاردن ولبنان(٤١).

ويكفي ان نذكر ، اضافة الى ما ورد حول الدراسات المتقدمة التي تجربها اسرائيل حول الشؤون العربية ، ان هناك، اضافة الى الهيئات والمؤسسات العلمية المعنية بالدراسات العربية في الجامعة العبرية ، خبراء للشؤون العربية لكل حزب او مسؤول حكومي أمثال الكولونيل فرح وتوليدانو وموشي ساسون ويوسف غينات ودان بافلي وميخائيل عساف ويهوشع حبوشي ويعقوب كوهن والعازار يعاري ومردخاي آلون وأمنون لين ويعقوب اتيان وغيرهم . ولا بد كذلك من الاشارة الى القرار الذي اتخذه وزير المعارف يغآل الون ، بناء على توصية لجنة خبراء على رأسها البروفسور موشي بيامنتا ، استاذ اللغة العربية في الجامعة العبرية ، بتدريس العربية بصورة الزامية في المدارس الاسرائيلية « كي تصبح العربية جسرا بين سكان اسرائيل والعالم العربي ووسيلة للتفاهم اليهودي ـــ العربي » .

٩ ـــ القفز فوق علاقات الجوار بعلاقات البعد

اذا نظرنا الى خريطة الشرق الاوسط لوجدنا ان هناك ثلاث دول غير عربية تمثل كتلا بشرية لا يستهان بها تقيم علاقات طيبة مع اسرائيل وهي ايران ، تركيا والحبشة . وبما ان الدول العربية المحيطة باسرائيل هي المجال الحيوي لاقتصاد اسرائيل ونظرا الى افتقار اسرائيل الى هذه السوق قبل حرب حزيران (تشكل الضفة الغربية اليوم سوقا هامة للمنتجات الاسرائيلية) ، فقد وجهت اسرائيل انظارها نحو هذه الدول الثلاث كي تكسر بواسطتها نطاق العزلة التي تحيط بها . وتتصور الدراسات الاسرائيلية ان عدد سكان هذه الكتل البشرية الثلاث سيصل عام ٢٠٠٠ الى حوالي ١٤٠ مليون نسمة (٦٠ مليونا ايران ، ٤٠ مليونا الحبشة ، ٤٠ مليونا تركيا) مما يجعلها توازن العنصر العربي في دول المواجهة ، اي الدول العربية المعادية التي تحيط بها .

كيف ينظر العرب وبعض أصدقائهم الى هذه الامور ؟

أ ـــ انتصار المعادلة بين السلم المبكر والتوتر المرسوم

يعتقد بعض المفكرين العرب ان هذه الامور حقائق مرة ولكنها ليست نهائية . فمقابل ذلك كله هناك حقائق ايجابية عربية ينبغي استكشافها والعمل بموجبها ، كما وان في صميم الحقائق المرة سلبيات اسرائيلية ينبغي تحريكها اذا أريد افشال مساعي اسرائيل في هذا المجال . وان كثيرا من مصادر القوة الاسرائيلية نقاط ضعف في الوقت ذاته ينبغي استثمارها .

على سبيل المثال فان دعوى الصهيونية ليهود العالم للهجرة الى اسرائيل لم يقم بتلبيتها اكثر من ٥ بالالف(٤٢). كما وان هناك معادلة دقيقة بين السلم المبكر والتوتر المرسوم ، ينبغي على الخبراء العرب البحث عنها وتحديدها . فالآراء لا زالت متضاربة ، حتى في اسرائيل ، حول ما اذا كان السلم المبكر وتقليص الموازنات الدفاعية بين الدول العربية واسرائيل يخدم اسرائيل أم الدول العربية ، وأي منها يفيد من الابقاء على التوتر . ومتى وعند اي نقطة يصبح أحد هذين العاملين لصالح هذا الفريق أو ذاك .

فمن جهة أثار أرييه بنكوس رئيس الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية مسألة انخفاض الاندفاع الوطني في اسرائيل بعد حرب حزيران والمناخ « المعادي » للمهاجرين في اسرائيل وتأثيره على تقليص الهجرة الى اسرائيل(٤٣). كما ودعا الباحث الاقتصادي شاؤول زارحي الى ضرورة « تأمين الهدوء على الحدود والعمل لتحقيق تسوية سلمية مع العرب تتيح (لاسرائيل) تخفيض نفقات الامن التي تستأثر حاليا بأكثر من ربع الناتج القومي »(٤٤).

ومن جهة أخرى أثارت دراسة أعدها « معهد هورفيتس للسلام » في اسرائيل ، حول الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل والبلاد العربية في الثمانينات في حالتي السلم والحرب جملة استنتاجات محيرة فقد أشارت الدراسة الى أن الاقتصاد الاسرائيلي آخذ بالنمو وبالازدياد بالمقارنة مع دول المجابهة رغم ان نفقات الامن اقتطعت جزءا مهما من القوة الاقتصادية . كما قالت الدراسة ان التوتر المرسوم هو من صالح العرب اذ يضمن لهم عدم تحول اسرائيل الى دولة توازيهم في القوة الاقتصادية . وان عقد سلم فوري سيفقد اسرائيل جزءا هاما من مصادر التمويل وتفقد بالتالي الفرصة لتحقيق النمو الاقتصادي الذي تطمح اليه .

لكن هل صحيح ان مصادر التمويل ستتقف أم أن توقيع اتفاقية السلم سيتيح لاسرائيل مبررا لطلب مساعدات وقروض جديدة ؟ ثم اذا تمكنت اسرائيل ، رغم ازدياد العبء الامني ، ان تقلص بسرعة الفجوة الاقتصادية بينها وبين دول المواجهة ، فهل يعني ذلك ان السلام يزيد من النمو الاقتصادي ويجعل قوتها مساوية لقوة دول المواجهة .

ان قيام العرب باتخاذ المبادرة في اجراء مثل هذه الدراسات عامل أساسي لرسم استراتيجية العمل القومي . وليس أدل على الفائدة من المكاسب التي تحققها أسرائيل بوضع القضايا العربية على المشرحة ودراستها دراسة علمية . فقد يقف العرب على نتائج تقلب التفكير السائد حول طرق واحتمالات الصراع كما وانهم يصبحون عنصرا متحركا على رقعة الصراع فيفقدون اسرائيل امتياز توفر خصم ساكن يتوقعون كل سكناته وتحركاته فيرسمون له الخطط والمناهج ويوجهون سيره حسبما تقتضيه مصالحهم .

ب ــ أنصار التكامل الاقتصادي

يؤيد فريق من المفكرين العرب انصار نظرية التكامل الاقتصادي ، الفريق الاول ويضيفون ، نقلا عن ولتر روستو ، مستشار الرئيس الاميركي السابق جونسون لشؤون الامن القومي ، ان النمو الاقتصادي « كتدفق الحياة يسير في مراحل متعاقبة وان جميع المجتمعات تمر به دون تمييز وتتخذ فترة زمنية ثابتة كما لو انها قانون حديدي » . وتقرب هذه المدة من ستين عاما يبلغ عندها التكامل الاقتصادي المقدرة التكنولوجية ، فيتبدل وجه المجتمع وامكاناته .

ويرى أصحاب هذه المدرسة ان الامل في قلب موازين الصراع العربي الاسرائيلي يكمن في التصنيع الذي سيؤدي ، بحسب نظرية روستو الى سد الفجوة العلمية والتقنية بين العرب واسرائيل . ويستشهدون بأنه من أصل ٥٠٠٠ سنة من التاريخ المدون فان البلدين العربيين اللذين يحتلان مركز الثقل في العالم العربي ، سوريا ومصر ، ظلا فاعلين في الحضارة البشرية مدة ٤٥٠٠ سنة وان الجمود قد أصابهما في السنوات الخمسمائة فقط . وان وضعهما المالي لا يعكس اصالتهما التاريخية . كما يستشهدون بما كتبه برنارد لويس ، المستشرق اليهودي حول مقدرة العرب على التكيف ، عندما استطاعوا وهم شعب الصحراء ان يتحولوا الى البحار ويتابعون أبهر فتوحهم وراء البحار .

ج ـــ انصار نظرية الكفاح الشعبي المسلح

أدت التجربة الفياتنامية الى تقليص أهمية التكافؤ في التقنية والقـــوة الاقتصادية بين المتحاربين وأعطت بالمقابل قيمة أساسية للقدرة الشعبية المنظمة خاصة عندما يكون أحد الفريقين دون الثاني قدرة على خوض معارك عسكرية بالمعنى الكلاسيكي .

ويقوم مفهوم هذه الحرب على ان جيشا غير مسلح جيدا ، لكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة ويسانده شعب موحد في جبهة وطنية متحدة تقوم على اساس تحالف العمـــال والفلاحين ويقودها حزب قوي النظام مسلح بالنظرية الماركسية ـــ اللينينية ، يستخدم اسلوب النقد الذاتي قادر على كسب حرب شعبية ضد بلد يفوقه قوة وتقدما(٤٥).

وبحسب منطوق هذه النظرية فان حربا شعبية يخوضها العرب ضـــد اسرائيل كفيلة بانتصار العرب مهما كانت قوة اسرائيل . ويقولون ان ما جرى حتى اليوم على الصعيد الفلسطيني كان بمثابة اختبار وتلمس لطريق الحرب الشعبية وان التراجع الذي أصاب المقاومة الفلسطينية يعود الى عدة اسباب من ضمنها ان الفلسطينيين يخوضونها دون سائر الامة العربية ، لا بل يخوضونها وهم معلقون في الهواء بلا ارض او ركيزة جغرافية تكون لهم بمثابة « هانوي » . أما اذا أمكن الهاب الأمة العربية وتنظيمها وتعبئتها وفق المفهوم العلمي للحرب الشعبية فالنتيجة سوف تختلف .لكن لا توجد حتى الان أية دراسة منهجية لكيفية حصول هذا التحول في العالم العربي .

د ـــ انصار نظرية حتمية التاريخ والعدالة والمشيئة الالهية

على النقيض من هؤلاء كلهم يقف جماعة من المؤرخين والمفكرين العرب وغير العرب الذين يقدمون حلا للقضية الفلسطينية يستند الى مبدأ انتصار العدالة وتنفيذ مشيئة الله . ففي الحديث الذي أدلى به توينبي الى صحيفة معاريف(٤٦) مثال على ذلك . قال « ان دولة اسرائيل لن تثبت لانها قائمة على الظلم » . كما وان الرئيس شارل حلو يكثر في احاديثه في ترداد مثل هذه الآراء انسجاما مع موقفه العام القائل بأن اعمال الانسان ومنجزاته « تجسيد لحتمية التاريخ ومشيئة الله »(٤٧).

*

وجهت يوما المدعوة مريام غليلي ، من رامات غان في اسرائيل ، رسالة مفتوحة الى موشي ديان قالت فيها « نحن نريد ان نعيش في هذه البلاد مع هاجر واسماعيل ولا ننوي الهجرة الى ميامي بيتش او الى الريفييرا » . أن هذه الكلمات تعبير عن حقيقة هامة وهي ان اليهود حينما جاءوا الى فلسطين فقد جاءوا اليها هربا من الاضطهاد ، وان الشعور بالغطرسة يتضاءل عندما يجابهون اختبارا حقيقيا يتناول استقرارهم ، كما وان الواقع المنسي يعود الى السطح عند لقاء المخاطر فيتذكرون انهم انما جاءوا سعيا وراء حياة عادية طبيعية وان الذي جنته لهم سياستهم الصهيونية كان العكس تماما .

ويحلو للمرء أن يستشهد بما قاله توينبي « ان في داخل فلسطين شيئا من السحر ذلك ان كل من كان فيها مرة يريد العودة اليها » . ان نضال الفلسطينيين في سبيل العودة ، وما مثله ويمثله هذا النضال من عبء ثقيل على اسرائيل ، سينتصر بالنهاية ، ومهما طـــال الزمن ، لانه نضال عادل .

---

١ ـــ مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .
٢ ـــ انظر مجلة « **الجويش كورترلي** » ، خريف ١٩٦٧ .
٣ ـــ كتاب سياح لوحاميم « **حديث المقاتلين** » .
٤ ـــ نقلا عن مجلة « **الى الامام** » ٧٣/٤/٢٧ .
٥ ـــ مجلة « **فورين افيرز** » تموز ١٩٥٧ .
٦ ـــ كتاب « **اسرائيل بلا صهاينة** » ومجلة « **نيو ميدل ايست** » ايلول ٦٩ ، ومجلة « **ذي موسلم**

ورلد » كانون الثاني ١٩٧٠ .
٧ — كتاب « **اسرائيل بلا صهاينة** » ص ٦٨ — ٧٧ .
٨ — انظر تلخيصنا وعرضنا لدراسة الدكتور عيساوي في « **الدستور** » ملحق النهار ١٠/٥/٦٩ .
٩ — انظر محاضرته بمناسبة ذكرى وعد بلفور في المؤتمر السنوي الثالث والعشرين للمجلس الاميركي لليهودية بنيويورك : « مأساة فلسطين من وعد بلفور حتى يومنا » .
١٠ — صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٠/٣/٢٦ .
١١ — مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .
١٢ — مقال لدافيد نيس في « **التايمز** » ٧١/٢/٥ (سحب هذا المقال من الطبعة) .
١٣ — لورنس موشر في « **الناشيونال اوبزرفر** » ٧٠/٥/١٨ .
١٤ — كتاب « **الاقتصاد الاسرائيلي** » ، طبعة ثانية ، مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٥٦ — ٣٥٩ .
١٥ — من خطاب لبن غوريون أمام الوكالة اليهودية الموسعة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٠/٦/٢٤ .
١٦ — صحيفة «**الجيروزاليم بوست**» ٧٢/١٠/٢٤ .
١٧ — انظر يهوشوا بارهلل « **تأملات في أزمة الشرق الاوسط** » ، دار منتور باريس .
١٨ — صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ، ١٠/٢٤/٧٢ و ٧٢/١١/١٥ .
١٩ — الوكالات ، ٧٣/٤/٢٥ .
٢٠ — كتاب «**الشرق الاوسط والغرب**» ص ١١٥ .
٢١ — محاضرة منشورة في كتاب « **المأزق العربي الاسرائيلي** » واشنطن ١٩٦٨ تحرير ماجدة خدوري ، ص ٢١ — ٣٩ .
٢٢ — سياسة الردع من العلاقات العربية الاسرائيلية ، مقال فرد خوري ، « **ميدل ايست جورنال** » العدد ٤ ، ١٩٦٦ ، ص ٤٣٥ .
٢٣ — انظر على سبيل المثال **كتاب حكومة اسرائيل السنوي لعام ١٩٥٨** ص ١٣٦ .
٢٤ — مجلة « **الازمنة الحديثة** » تشرين الثاني ١٩٦٧ .
٢٥ — صحيفة « **الهرالد تربيون** » ٧٠/١/٢٩ .
٢٦ — مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .
٢٧ — صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٦٩/٨/١٥ .
٢٨ — تصريح لمدير عام وزارة الدفاع الاسرائيلية « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٥/٤ .
٢٩ — صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/١/١٠ .
٣٠ — صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/١/٨ .
٣١ — صحيفة «**الجيروزاليم بوست** »٦٩/١٠/٢٢ .
٣٢ — تصريح لسابير « **النهار** » ٧١/٨/٢٢ .
٣٣ — مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .
٣٤ — صحيفة « **الانوار** » ٦٩/١/٤ .
٣٥ — مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .
٣٦ — الارقام لغاية حرب حزيران نقلا عن تقرير لرويتر صحيفة « **الحياة** » ٦٨/٥/١ الارقام بين حرب حزيران ومنتصف ٧٢ نقلا عن صحيفة « **هآرتس** » ٧٢/٦/٦ .
٣٧ — صحيفة « **النهار** » ٧٠/٢/١٩ و٧١/٤/٨ .
٣٨ — ملحق صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٦٩/٤/٢٢ .
٣٩ — صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٦/١١ .
٤٠ — للاطلاع على تفاصيل هذه الاتجاهات انظر كتاب «**اسرائيل والفلسطينيون**»، مجموعة مقالات تحرير شلومو افنيري .
٤١ — صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/٨/١ .
٤٢ — صحيفة « **هاعولام هازيه** » ٧٢/١/٢٦ .
٤٣ — صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٥/٢٨ .
٤٤ — مجلة « **نيو اوتلوك** » تموز — آب ١٩٧٢ .
٤٥ — انظر الجنرال فونغوين جياب ، « **حرب الشعب ، جيش الشعب** » ، دار النشر باللغات الاجنبية (الطبعة الانكليزية) هانوي ، ١٩٦١ ، ص ٣٠ . كذلك انظر ماوتسي تونغ « الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية » **المؤلفات المختارة**، المجلد الرابع ، دار النشر باللغات الاجنبية (الطبعة الانكليزية) بكين ، ١٩٦١ ص ٤٢٢ .
٤٦ — حديث لصحيفة « **معاريف** » ٧٢/١١/١٠ .
٤٧ — صحيفة « **النهار** » ٧٣/٥/١ .

اغلاق مضائق تيران ـــ السبب والذريعة

المقدم الهيثم الايوبي

طبقت الدول العربية خـــلال حروبها الثلاث مـــع اسرائيل استراتيجية تقليدية مباشرة تستهدف خرق دفاعات العدو بضربات تقليدية على الحدود مع قصف لبعض الاهـــداف الاستراتيجية بالعمق (حرب ١٩٤٨) او تستهدف صد هجمات العدو المباشرة الموجهة الى داخل البلدان العربية المجاورة لاسرائيل عن طريق مجابهتها بقوات تقليدية منتشرة على الحدود (حربا ١٩٥٦ و ١٩٦٧) . وبالرغم من نقطة ضعف العدو المتمثلة في طول مواصلاته الخارجية نظرا لوجوده داخل منطقة معادية تحيط به من كل جانب ، وانفتاحه على العالم الخارجي عن طريق البحر فقط ، واعتمـــاد قوته العسكرية والاستراتيجية والاقتصادية الى حد بعيد على الامدادات الخارجية فان الدول العربية لم تلجأ خـــلال الصراع الى تصعيد الحرب حتى مستوى الحرب الشاملة التي تستهدف فيما تستهدف قطع قصبة التنفس الاستراتيجية الممتدة عبر البحر الابيض المتوسط (خلال الحروب الثلاث) او قطع قصبة التنفس الثانية الممتدة عبر البحر الاحمر (خلال حرب ١٩٦٧) . اي انها لم تستخدم طيرانها وبحريتها لتنفيذ عمليات غير مباشرة تتمثل بتسديد ضربات فعالة لخط امداد العدو بالمواد الاستراتيجية في عرض البحر وفي الموانىء الاسرائيلية نفسها **ضمن اطار حرب طويلة الامد** . واكتفت في هذا المجال بتسديد ضربات جويـــة وبحرية محدودة الى الموانىء وخاصة في حرب ١٩٤٨ .

وهكـــذا انحصر الصراع الاساسي في مناطق الحـــدود ، وحافظ عـــلى شكله المباشر التقليدي ، وساعدت سرعة انتهاء العمليات في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ على بقاء قصبتي التنفس الاستراتيجيتين سليمتين كما بقيت رئتا اسرائيل (حيفا وايلات) تعملان بدون تعطيل ، وتزودان القوة العسكرية الاسرائيلية بكل ما تحتاجه من امدادات .

ولقد استمر هذا الخطأ حتى خلال حرب الاستنزاف المصرية ـــ الاسرائيلية . اذ بقيت منطقة قناة السويس مسرح هذه الحرب في المرحلة الاولى رغم أهمية الاهداف البشرية والبترولية المصرية على الضفة الغربية بالنسبة للاهداف الاسرائيلية العسكرية (خط بارليف) على الضفة الشرقية ، فاذا استثنينا عمليات الضفادع البشرية المصرية ضد ميناء ايلات وعددها ثلاث عمليات وصفها موشي دايان بانها « نصر عسكري » وامتدح العناصر التي نفذتها بأنها « أثبتت تقدمـــا كبيرا في قدرتها القتالية »(١)، وجدنـــا ان الجمهورية العربية المتحدة لم تفكـــر آنذاك بتبديل منطقـــة الاستنزاف او فتح منطقة استنزاف جديدة في عرض البحر بعيدة عن منطقة القناة . وكان التبرير السائد في تلك الفترة : هو أن اي ضرب لمواصلات العدو البعيدة ، وتصعيد الاستنزاف الى مستوى المجابهة الشاملة سيدفع الطيران الاسرائيلي الى ضرب اهداف مدنية داخل الاراضي المصرية التي لم تكتمل دفاعاتها الجوية . بيد ان هذا التبرير سقط من تلقاء نفسه عندما صعد الاسرائيليون حرب الاستنزاف ونقلوها الى قلب مصر ، وقصفوا الاهداف المدنية بالطائرات معتمدين على تفوقهم الجوي وضعف شبكة الدفاع الجوي المصرية . وعندما

اكتملت شبكة الدفاع المصرية ، وفقدت طائرات الفانتوم سحرها (فترة ٣٠ حزيران ــ ٧ اب ١٩٧٠) واصبح التصعيد الاسرائيلي عن طريق القصف بالعمق عملا غالي التكاليف ، وصار بوسع الطيران والبحرية المصريين تصعيد الاستنزاف عن طريق تسديد ضربات موجعة لاهداف بعيدة وغير محمية (خطوط المواصلات البحرية) دون خوف من تصعيد اسرائيلي معاكس ، توقفت حرب الاستنزاف وسقط الوضع كله في مستنقع اللاحرب واللاسلم ، واضاع العرب فرصة نادرة لاستخدام الخنق الاستراتيجي كوسيلة غير مباشرة لاستنزاف القوات المعادية المشتبكة في حرب استنزاف مباشرة تقليدية على طول القناة .

ولقد جسدت المقاومة الفلسطينية خلال حرب العصابات التي شنتها ضد العدو ــ كجزء من حرب استنزاف ثورية طويلة الامد ــ فهمها لمبدأ الخنق القريب (قصف ميناء ايلات المتعاقب) ولمبدأ الخنق البعيد (ضرب ناقلة البترول كورال سي في حزيران ١٩٧١) . بيد ان تأثير هذه العمليات بقي محدودا بحدود امكانات حركة المقاومة التي لا تقارن بامكانات الدول .

ويكشف لنا هذا العرض السريع للتطبيق العسكري العربي لمبادىء الخنق الاستراتيجي القريب والبعيد أهمية اغلاق مضائق تيران في ايار ١٩٦٧ والمغزى الاستراتيجي الفريد لهذه العملية . ففي ١٦ ايار ، وبعد حشد القوات المصرية في سيناء لتخفيف ضغط الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية ، قام الرئيس عبد الناصر **بأول حركة استراتيجية غير مباشرة** منذ حرب ١٩٥٦ عندما طلب من سكرتير الامم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ لتحل محلها القوات المصرية.وكان هذا العمل هو الخطوة الاخيرة لتصفية آثار العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ والذي حصلت اسرائيل بموجبه على حق المرور في خليج العقبة تحت اشراف قوات الامم المتحدة . ولقد لجأ الرئيس عبد الناصر الى هذا العمل معتمدا على ما يلي : ١) حق مصر « الذي لا ينازع » في السيطرة على كامل اراضيها ، وانعكاس هذا الحق على الرأي العام الدولي الذي لا يستطيع ان يقف موقف المعارضة من سيادة اي شعب على كامل أرضه ، ٢) الاعتقاد بأن القوات المصرية التي احتشدت في سيناء تشكل مع القوات السورية المحتشدة على الجبهة الشمالية قوة رادعة كافية لمنع اسرائيل من شن اي هجوم يستهدف العودة الى السيطرة على المضائق المتحكمة بحركة الملاحة نحو ميناء ايلات . كما انها قادرة على الدفاع ــ وفق حساب موازين القوى الموجودة والمحتملة ــ اذا ما غامر الاسرائيليون بمثل هذا الهجوم ، ٣) تحقيق كسب سياسي على الصعيد العربي الداخلي بعد ان لمحت الاوساط السياسية العربية على نطاق واسع الى وجود قوات الطوارىء وحرية الملاحة الاسرائيلية ، واعتبرت ذلك مساسا بالسيادة العربية .

وفي الفترة ما بين ١٦ و ٢٢ وصلت القوات المصرية الى شرم الشيخ وحلت محل قوات الطوارىء الدولية . واعلن الرئيس عبد الناصر اغلاق خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية عندما قال في خطاب ٢٢ ايار « ان العلم الاسرائيلي لن يمر من خليج العقبة ... ان سيادتنا على مدخل الخليج لا تقبل المناقشة » (الاهرام ٦٧/٥/٢٣) واكد بأن المواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور من الخليج حتى ولو كانت على سفن غير اسرائيلية ، وذلك تطبيقا لقواعد ما قبل حرب ١٩٥٦ . وهنا بدات أول بوادر الخنق الاستراتيجي الذي لا تستطيع اسرائيل احتماله او السكوت عنه ، وتعتبره سببا كافيا لشن الحرب .

ولم يكن مخططو السياسة المصرية يجهلون هذه الحقيقة التي أبرزتها الاحداث الماضية وتصريحات الزعماء الاسرائيليين وتهديداتهم السافرة . ومن المعروف ان الزعماء الاسرائيليين وعوا قيمة ميناء ايلات والبحر الاحمر حتى قبل قيام دولة اسرائيل . ويقول

بن غوريون في كتابه **أعوام التحدي** « وكان هؤلاء يدعون لاستعادة هذا الميناء الذي هو أول ميناء يهودي في التاريخ . واثناء الحرب التي وقعت ضد العرب عام ١٩٤٨ لم يكن من الميسور بلوغ ميناء ايلات لانه يقع على رأس مثلث يسيطـر العدو على ساقيه ـ الاردن من جهة ومصر من الجهة الاخرى . وكان هذا المثلث فخ الموت بالنسبة لاية قوة اسرائيلية تحاول الوصول اليه ....!! » وفي ٢٣ تموز ١٩٤٨ بعث بن غوريون الى وفد مستوطنات النقب رسالة حدد المهمات الاربع التي ترغب اسرائيل في تحقيقها ، وكـانت احداها « الوصول الى ايلات واقامـة ميناء فيها ومطار ومعسكـر للجيش ومدينة ، واستيطان زراعي حولها » (باماحانيه ٧١/١٠/٢٦) . ويؤكد المؤرخون الاسرائيليون أن من أهم الاهداف التي تحققت في حرب ١٩٤٨ هو الوصول الى البحر الاحمر، واحتلال ام الرشراش ـ التي بنى الاسرائيليون في موقعها ميناء ايـلات ـ وذلك بعد الهدنـة الثانية ، وعلى اثر انسحاب مفاجىء غير مفهوم للقوات الاردنية التي كانت تأتمر بأمرة غلوب باشا . ويروي الصحفي موشي بيرلمان كيف وقف بن غوريون عند أم الرشراش في عام ١٩٤٨ وسرح بفكره طويلا ثم قال : « انني هنا احلم بأساطيل داوود تروح جيئة وذهابا لتربط بين الدولة اليهودية المرتقبة وبين شعوب اخرى عديدة » (الاهرام ٩/٦/ ١٩٧١) .

بيد أن وصول الاسرائيليين الى البحر وبناء ميناء ايلات لم يفتح امامهـم أبواب البحر الاحمر لان المصريين عمدوا الى تسليح مضائق تيران واغلاق هذا الممر المائي أمام الملاحة الاسرائيلية . وفي ١٢ ايلول ١٩٥٥ شددت مصر الحصار بأن أصدرت قوانين لتنظيـم الدخول من البحر الاحمر الى خليج العقبة ، وتحدد هذه القوانين « ضرورة اعلان السفن عن رغبتها بالدخول قبل ٩٢ ساعة . وان تحمل تصريحـا من المكتب المصري الاقليمي المكلف بالاشراف على الحصار الاقتصادي على اسرائيـل ومقره الاسكندرية »(٢) فكان هذا الموقف سببا من الاسباب التي دفعت اسرائيل الى التحالف مع فرنسا وبريطانيا ، والاشتراك بالعدوان الثلاثي (١٩٥٦) .

ولقد أعد العدو خطته لاحتلال شرم الشيخ منذ عام ١٩٥٥ . وتتلخص هذه الخطة بانزال كتيبة مظلات في شرم الشيخ ، على حين تتقدم كتيبتا مشاة محمولتان من اللواء جفعاتي ـ الذي كان بقيادة حاييم بارليف ـ وتسيران من ايلات بمحاذاة الشاطىء حتى تصلا الى شرم الشيخ . وفي حزيران ١٩٥٥ نفذت السلطات الاسرائيلية عملية يرقون الاستطلاعية التي قام بها مجموعة من الضباط والرقباء داخل سيناء وكانت مهمتهـم كشف جزء من الطريق والتحقق من صلاحيته لسير آليات اللواء(٣). ثم نفذت اسرائيل بالفعل خطتها في عام ١٩٥٦ بأن دفعت لواء مشاة ميكانيكيا سار مع الشاطىء الغربي لخليج العقبة حتى بلغ شرم الشيخ ، واخذ مواقعه في جزيرتي تيران وصنافير عند مدخل المضيق .

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ جرى في شرم الشيخ عرض عسكري تليت خلاله رسالـة دافيد بن غوريون التي أكدت ان من اهـداف حرب ١٩٥٦ « تأمين حرية المـلاحة في المضائق وقناة السويس ايضا »(٤). ويتفق هذا القول مع ما اورده بن غوريون في كتابه **أعوام التحدي** من انه اخبر مجلس الوزراء الاسرائيلي قبل الزحف على سيناء ان الهدف من هذا الزحف لا يتمثل في « الاستيلاء على صحراء قاحلة بل فتح مضائق العقبة في وجه الملاحة ، مما يتيح لدولة اسرائيل اتصالا مباشرا مع البحر الاحمر والمحيط الهندي وقارتي أفريقيا وآسيا » . ولقد أكد ييغال آلون هذه الحقيقة الهامة عندما تحدث عن اسباب حرب ١٩٥٦ وبرر القيام بها بقوله : « ان الحظر المفروض على المـلاحة الاسرائيلية في قناة السويس والبحر الاحمر ... كان في الحقيقة جزءا من حرب اقتصادية شاملة ضد اسرائيل . وبصفة خاصة فان الحصار حول ميناء ايلات على البحر الاحمر يجعـل من المستحيل على نصف اسرائيل الجنوبي (النقب) ـ الذي تتركز فيه موارد البلاد المعدنية

الطبيعية — ان يتطور اقتصاديا »(٥). كما اكدها الجنرال عيزر وايزمن عندما حدد اهداف الحرب الاربعة ومنها «فتح قناة السويس وضمان حرية الملاحة في مضائق تيران» (ن م د ف ١٥/٧/١٩٧١) . ويروي كريستيان بينو — وزير خارجية فرنسا اثناء العدوان الثلاثي — في احدى مقالاته ان احد اهداف اسرائيل من حرب ١٩٥٦ كان فتح مضائق العقبة بغية شق طريق اسرائيل الى افريقيا . (الحياة ١٣/١١/١٩٦٦) .

وبالرغم من انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء وقطاع غزة في عام ١٩٥٧ تحت تأثير ضغط سوفييتي — امريكي مشترك فقد حقق العدو هدفا هاما من أهداف الحرب ، وتخلص من خطر الخنق الاستراتيجي القريب عندما وافقت مصر « على مرابطة قوة من البوليس الدولي في المناطق الحساسة ، بما في ذلك منطقة شرم الشيخ بمحاذاة مضائق تيران . والتزمت الدول البحرية بضمان حرية الملاحة ، بما في ذلك حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية . وبالاضافة الى ذلك ، وعد الرئيس ايزنهاور (وان كان ذلك قد تم سرا) باستغلال مركزه من اجل فتح قناة السويس في وجه الملاحة الاسرائيلية »(٦).

ولم يكن الحديث عن استخدام قناة السويس كمنفذ الى افريقيا وآسيا جديدا على الاسرائيليين . فلقد حاولوا المرور عبر القناة منذ البداية استنادا الى البند الاول من اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ الذي يحدد حرية الملاحة في القناة خلال السلم والحرب. ولقد تأمن لهم ذلك طالما ان القناة كانت تحت اشراف السلطات البريطانية . وفي ايلول ١٩٥٤ استخدم الاسرائيليون سفينة الشحن بيت جاليم القادمة من اريتريا كسفينة اختبار للملاحة الحرة بعد الاتفاقية المصرية — البريطانية للجلاء عن منطقة القناة فاحتجزها المصريون واسروا طاقمها(٧). وبعد حرب ١٩٥٦ واتفاقية ١٩٥٧ وانفتاح الملاحة الاسرائيلية على البحر الاحمر تابعت اسرائيل محاولاتها لاستغلال قناة السويس عن طريق شحن بضائعها على بواخر أجنبية . فلقد مر عبر قناة السويس في سنتي ١٩٥٧ — ١٩٥٨ حوالي ٤٠ سفينة تستأجر أغلبها شركات ملاحة اسرائيلية . وفي عام ١٩٥٩ شددت السلطات المصرية الخناق على البواخر التي تحمل اعلام دول اجنبية وتنقل البضائع من اسرائيل واليها فأوقفت الناقلة الليبرية قفطين منوليس (٩ اذار ١٩٥٩) الذاهبة من حيفا الى سيلان وصادرت شحنتها . واوقفت في بور سعيد الباخرة الألمانية الغربية ليلوط (١٧ اذار ١٩٥٩) المتجهة من حيفا الى الشرق الاقصى وصادرت شحنتها ، وحجزت الباخرة الدانماركية أنجا طوفت (٢١ أيار ١٩٥٩) في بور سعيد ، مدة ٩ شهور حتى أفرغت البضائع التي تحملها من اسرائيل الى الشرق الاقصى كما حجزت الباخرة اليونانية اسطبليا (١٩ كانون الاول ١٩٥٩) التي تنقل صادرات اسرائيلية الى الشرق الاقصى(٨).

بيد ان محاولات اسرائيل المتكررة لفتح القناة أمام الملاحة الاسرائيلية لم تكن أبدا محاولات جادة للحصول على منفذ حيوي ، اذ لا تمثل القناة بالنسبة لها طريقا هاما او حتى متوسط الاهمية ، فهي تتصل مع أوروبا عن طريق حيفا وتتصل بأفريقيا وآسيا عن طريق ايلات ، ولا تفيدها القناة الا **لتسهيل** عمليات تصدير منتجات القسم الشمالي من البلاد الى افريقيا وآسيا واستيراد المواد الاولية اللازمة لهذا القسم . وليس لها أي تأثير على حركة المواصلات الاستراتيجية (استيراد المعدات والاسلحة من اوروبا أو استيراد البترول من ايران) . ولهذا فاننا نلاحظ ان رد الاسرائيليين على اغلاق القناة أمام ملاحتهم كان يتسم دائما بالسمة **السياسية والدبلوماسية** مع محاولة الاعتماد على التعهدات والاتفاقات والمعاهدات وعلى راسها معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ . على حين أن ردهم الفوري بالنسبة لفكرة اغلاق المضائق هو **التهديد بالحرب أو شنها بالفعل** .

ولقد كان هذا كله واضحا امام القاهرة في ايار ١٩٦٧ اذ ما ان اغلقت المضائق حتى توتر الوضع في اسرائيل الى ابعد حد ممكن ، فلقد حطم هذا العمل جميع مخططات اسرائيل

التجارية مع آسيا وافريقيا وازال من الوجود آخر ربح احتفظت به اسرائيل من حرب ١٩٥٦ . واعاد القبضة العربية لتسيطر من جديد على رئة اسرائيل الجنوبية (ايلات) وتضغط من جديد على قصبة التنفس الاستراتيجية الجنوبية . وفي ٢٣ ايار تحدث رئيس الوزارة الاسرائيلية ليفي اشكول امام الكنيست عن قرار ج. ع. م. لاغلاق خليج العقبة واعتبره « خرقا واضحا للقانون الدولي » ... و « اعتداء على اسرائيل » (الاهـرام ٦٧/٥/٢٤). وذكر مصدر مسؤول في القدس المحتلة ان هذا القرار يعني «خنق اسرائيل» (الاهرام ٦٧/٥/٢٤) ونقلت اليونايتد برس عن مصادر مطلعة في القدس « ان اسرائيل ستحارب لفتح القناة » (الاهرام ٦٧/٥/٢٤) وردد زعماء العدو بجوقة واحدة « ليس امام اسرائيل اي خيار . يجب علينا ان ندافع عن حقنا في حرية الملاحة بكل ما لدينا من وسائل » (معاريف ٦٧/٥/٢٣) . وان « اغلاق خليج العقبة ليس سوى جزء من خطة مصر لتدمير اسرائيل ». وفي ٦٧/٥/٢٧ ذكر مسؤول اسرائيلي كبير لمراسل رويتر « أن اغلاق الخليج هو بداية سياسة شاملة لازالة اسرائيل » (الاهرام ٦٧/٥/٢٨) ووصلت الازمة الى نقطة اللاعودة . ولم يعد السؤال هـل ستجري الحرب ؟ بـل متى ستقع الحرب ؟ ويذكر العميد شلومو آرال قائد سلاح البحرية الاسرائيلية « وزادت الحـالة خطورة بعد قفل مضائق تيران من قبل المصريين تلك الخطوة التي حولت المواصلات البحرية الى موضوع رئيسي زاد من حدة التوتر »(٩).

وحتى يوم ٢٦ لم تحاول اية باخرة اسرائيلية الاقتراب من المضائق . وصدرت الاوامر لكافة السفن الماخرة في عرض البحر بابطاء سرعتها والانتظـار . وحولت السلطـات الاسرائيلية باخرتين تابعتين لشركة تسيم وطلبت منهما التوجه نحو جنوب افريقيا (الاهرام ٦٧/٥/٢٦) . ولم تستبعد اسرائيل استخدام بواخر مدنية لاختبار الحصار المصري ، ويقول العميد شلومو آرال بهذا الصدد « وفي فترة الاستعداد كان على الاسطول ان يقتحم الحصار المضروب حول تيران . وأحضرت سفينتان تجاريتان الى ميناء ماسادا الموجود في اثيوبيا ... وتم تزويدهما بالاطقم بواسطة السلاح البحري ، واعدتا لتكونا سفينتي اختبار للمرور في مضائق تيران . ولقـد ألغيت هذه المهمة عندمـا تم احتلال المضائق »(١٠).

وتحركت الدول الامبريالية لدعم اسرائيل في الحفاظ على الوضع الراهن Status - quo المبني على نتائج حرب ١٩٥٦ ، وحذرت الولايات المتحدة بأنها تؤيـد حرية الملاحة في مضائق تيران . وتؤيد حرية تحرك جميع الدول في هذه المضائـق التي تحرس البحـر الاحمر. واعلنت على لسان احد موظفي وزارة الخارجية امام المؤتمر القومي للسياسة الخارجية الذي يحضره رجال الصحافة والاذاعة « انها تعتبر هذا المضيق ممرا دوليا ، وتنظر للامر نظرة خطرة لو ان اية دولة حاولت غلقه » (الاهرام ٦٧/٥/٢٣) .

في يوم ٥/٢٧ تناقلت وكالات الانباء نبأ احتمال اختبار الحصار عند وصول بترول ايراني على بواخر تحمل علم ليبريا . بيد ان هذه الوكالات لم تلبث ان اكدت في ٥/٢٩ ان باخرة امريكية تحمل علم ليبريا اتجهت نحو المضائق ثم عادت بعد القصف التهديدي من مدفعية خفر السواحل (الاهرام ٦٧/٥/٣٠) . وفكرت الدول الامبرياليـة البحرية بممارسة ضغوط فعالة على القاهرة لاجبارها على التراجع عن موقفها بالنسبة للملاحة . وكانت النوايا في هذه الدول تتجه الى ما يلي : ١) اعتبار مضائق تيران ممرات دولية لا يمكن اغلاقها امام الملاحة ، ٢) القيام بضغط سياسي عـلى مصر ، ٣) تهديد مصر ماليـا واقتصاديا ، ٤) تشكيل قوة بحرية دولية لحمـاية السفن المتجهـة الى اسرائيـل ، ٥) اختراق الحصار وفق خطة « رغاتـا » Reggata الامريكية اذا مـا رفضت مصر الخضوع لكل الضغوط .

ولقد استندت الضغوط الغربية على اتفاقات ١٩٥٧ التي انسحب الاسرائيليون بموجبها

من سيناء ، اي على الجائزة التي حصل عليها المعتدي الاسرائيلي لمكافأته على عدوانه في عام ١٩٥٦ — وهي جائزة باطلة لانها جاءت كوضع راهن باطل ناجم عن عمل باطل «ولا ينجم عن العمل الباطل [قانونيا] الا باطل . ولا بقاء لباطل» — وصمدت القاهرة أمام الضغط . وبدا الموقف المصري حازما في المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس عبد الناصر في يوم ٢٨ ، واعلن فيــه أن اغلاق المضائق هــو « تصحيح للاوضاع » التي نجمت عن حرب ١٩٥٦ . واكدت مصر موقفها ازاء محاولات الدول البحرية الامبريالية عندما نشرت صحيفة الاهرام شبه الرسمية بأن « أية دولة تحاول اقتحام خليج العقبة بالقوة تقــوم بعمــل عدواني ضد ج. ع. م. ويحق لـ ج. ع. م. بمقتضى معاهــدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ منعها من استعمال قناة السويس » (الاهرام ٦٧/٦/٢) . وفي الوقت الذي كانت الدول البحرية تستعد فيه لاتخاذ قرار جماعي صعد الرئيس عبد الناصر الموقف الى حدوده القصوى ، واعلن في احتفال توقيع انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك في ٦٧/٦/٤ « لن نعترف بأي بيان تصدره الدول البحرية عن أي حق لاسرائيل في استعمال خليج العقبة ، وسنعتبر مثل هــذا البيان عملا عدوانيا ومقدمة للحــرب » (الاهرام ١٩٦٧/٦/٥) . وهكــذا تمســك الرئيس عبد الناصر بخطوته الاستراتيجية غير المباشرة ، وقرر الاحتفاظ بهذا الكسب المحمي بقوات مسلحة برية محتشدة في سيناء ، وقوات جوية منتشرة في مطارات سيناء ومطارات ج. ع. م. وبدا غير مستعد لتقديم التنازلات أو الخضوع للضغوط من اي نوع كانت . وأصبح الخنق الاستراتيجي **القريب** حقيقة ملموسة ومدعومة بالقوة .

وبالرغم من استمرار المحاولات الدبلوماسية الغربية المتعددة ووجود أمل ضعيف جدا بامكان التوصل الى صيغة ملائمة لتخفيف حدة التوتر فقد اعتبرت اسرائيل ان الموقف المصري عبارة عن « **اعلان حرب** » . ولقد عبر جدعون روفائيــل مندوب اسرائيل في مجلس الامن عن هذا الرأي في جلسة مجلس الامن بتاريخ ٦٧/٦/٣ بقوله « ان قطع هذا الشريان يعتبر عملا مساويا في خطورته لبتر جزء من اراضينا » (الاهرام ٦٧/٦/٤). وجاءت أقوال ييغال آلون أكثر وضوحا عندما ذكر في مؤتمر عام « أن عبد الناصر أعلن الحرب علينا فعلا ونحن اليوم نريد رفع الحصار » (الاهرام ٦٧/٦/٤) . ولآلون رأي محدد بالنسبة لاغلاق مضائق تيران وأسلوب الرد عليه شرحه في كتابه **الستار الرملي** (ص ١٤) عندما قال : « فمن ناحية القانون الدولي ، ومن ناحيــة التمرس السياسي تحملت مصر مسئولية بدء العمل العدواني منذ الساعة التي أغلقت فيها المضائق بتصريح علني . ولم تكن هناك ضرورة لطلقة مصرية اولى لكي تثبت مصر عدوانها . وكان من الواضح ان ربط ساعة الصفر الاسرائيلية بسفينة اسرائيلية تقوم باختبــار الحصار المفروض على المضائق يعتبر اعلانا اسرائيليا للقيادة المصرية بالساعة التي ستبدأ فيها العملية الاسرائيلية ، فيضيع بذلك عنصر المفاجأة » ولقد أعاد آلون طرح هذا الرأي في كتابه **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** (ص ١٨٧) عندما قــال : « ان اغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية سيعتبر (عملا من أعمال الحرب السافرة) وانه (من وجهة نظر الاستراتيجية الحيوية يجب ألا تقوم اسرائيل بالاشتبــاك في حرب دفاعية « مرتبطة » بمسرح بعينه — مثل منطقة مضائق تيران — أو بموعد معين — مثل الموعد الفعلي للاغلاق — يختارهما الحاكم المصري ... فمن الواضح انه سيحــاول اختيار الزمان والمكان الانسب له وغير المناسبين لاسرائيل . ولا توجد غلطة اكبر من السماح للعدو بأن يفرض مكان الفعل وزمانه ... وبالتالي أسلوبه . ان اغلاق مضائق تيران ليس عملا محليا يستدعي مجرد رد فعل محلي . أنه يصل الى حد اعلان الحرب الذي يسمح لاسرائيل بأن تحدد مكان ومدى وساعــة الصفر لعملها) » . ويــذكر الجنرال

يشعياهو جافيش « اعلن ناصر اغلاق مضائق تيران لمنع الملاحة الى ايلات . وهكذا بدأ حاكم مصر الاعمال العدوانية ضد اسرائيل »(١١).

وبالرغم من الضجة الاسرائيلية حول « عدوانية ! » اغلاق المضائق واعتباره بمثابة « اعلان الحرب » من جانب ج. ع. م. فان من المؤكد ان هذا العمل لم يكن السبب الوحيد الكامن وراء حرب ١٩٦٧ . فلقد خطط الاسرائيليون لهذه الحرب منذ أمد بعيد بناء على دوافع اقتصادية وديموغرافية وتوسعية ومائية وحددوا أهدافها الاستراتيجية (التوسعية والامنية) وأعدوا القوى اللازمة لتحقيق هذه الاهداف ، وانتظروا الوضع الملائم لهم على الصعيدين العربي والدولي بغية تحديد ساعة الصفر الافضل لشن حرب ظافرة . ولم يكن اغلاق خليج العقبة أمام الملاحة ـ كما يقول الجنرال متتياهو بلد ـ سوى « ذريعة للحرب »(١٢) [Casus Belli] وان كانت هذه الذريعة أهم من الذرائع الاخرى (حشد القوات في سيناء ، توقيع الدفاع العربي المشترك ، تزايد نشاط الفدائيين في شمال البلاد ... الخ) في كسب المناورة السياسية الخارجية على الصعيد العالمي .

ويؤكد هذا الراي كل من حاييم بارليف واسحاق رابين ، فلقد صرح بارليف في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٢/٦/٢ « أن اللحظة الحرجة بحسب رأيي هي اغلاق المضائق ... لان دخول الجيش المصري الى سيناء لم يكن سببا شرعيا لاعلان الحرب » (نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٧٢/٦/١٦) . كما صرح اسحاق رابين في مقابلة مع صحيفة معاريف في ٧٢/٦/٢ « حتى اغلاق المضائق كان بالامكان ارجاع العجلة الى وراء ... واذا لم تكن اسرائيل ملزمة عمليا باتخاذ اي قرار عدا اتخاذ الاحتياطات لتكون مستعدة لكل طارىء ، فانه منذ فرض الحصار اصبح الامر عملا عدائيا ضد اسرائيل أجبرها على القتال » (ن. م. د. ف ٧٢/٦/١٦) . ولا يخفي ابا ايبان ان قرار البدء بشن الحرب ـ تنفيذا لقرار الحرب المتخذ سابقا ـ قد اتخذ فور الحصول على ذريعة الحرب [Casus Belli] فهو يقول في مقابلته مع صحيفة معاريف في ٧٢/٦/٢ : حذرت الدول الغربية في ١٨ و ١٩ و ٢٠ أيار ١٩٦٧ من نتائج فرض حصار مصري على مضائق تيران ولكن « الحصار فرض في ٢٢ ايار . وكان واضحا لكل أولئك الذين اشتركوا في المشاورات في اليوم التالي في تل ابيب ... ان فرض الحصار يعني ان الحرب واقعة لا محالة ـ الا اذا حدثت معجزة والغاه ناصر » (ن م د ف ٧٢/٦/١٦) . ولكن كل من يعرفون حقيقة شخصية الرئيس عبد الناصر ـ ومن بينهم ايبان وبقية زعماء اسرائيل السياسيين والعسكريين ـ كانوا يعرفون ان هذا الالغاء مستحيل ، وأن المعجزة لن تقع . اي أن الحرب قائمة لا محالة . وأن الذي سيشنها هو اسرائيل لا ج. ع. م. لان القاهرة كانت تفضل آنذاك الحفاظ على **الوضع الراهن الجديد** الذي يلائمها سياسيا واستراتيجيا . وتحاول ابقاء **الامر الواقع المفروض من قبلها** حتى لو اضطرها ذلك الى الاشتباك بمعركة دفاعية او معركة هجومية محدودة . على حين كانت تل أبيب ترفض هذا الوضع الجديد ولا تتمكن من احتماله ، ولكنها لا تستطيع تبديله وتحطيم الامر **الواقع المفروض** الا بشن حرب هجومية واسعة النطاق تدمر جميع القوات المسلحة المصرية المحتشدة في سيناء أو تجبرها على التراجع حتى قناة السويس . ويؤكد هذا التحليل لاهداف الطرفين الاستراتيجية خطأ الفكرة التي طرحها بعض العسكريين العرب بعد حرب ١٩٦٧ ، والقائلة بأنه كان على مصر أن تحشد كبد قواتها على الضفة الغربية وراء القناة ، او على الضفة الشرقية قرب القناة ، وأن تترك ستارة ضعيفة من القوات البرية على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، لان مثل هذا الحشد الذي يتحدثون عنه كان يعني السماح لقوات العدو بالوصول الى شرم الشيخ برا وبحرا ، ويسمح لها بتحقيق هدف هام من أهداف الحرب . وهو هدف كبير على مستوى الاستراتيجية العليا للدولة ، يؤدي ضياعه الى افقاد ضربة الرئيس

عبدالناصر الاستراتيجية غير المباشرة كل معناها ، ويفك القبضة المصرية عن قصبة التنفس الاسرائيلية الجنوبية ، ويسمح للرئة ايلات بالعودة الى العمل بصورة طبيعية ، وكأن الحشد المصري لم يكن .

ولم تبدأ اسرائيل هجومها العسكري في صبيحة ٥ حزيران ١٩٦٧ الا بعد ان طورت مناورتها السياسية الخارجية الى أبعد مدى مستخدمة مسألة فتح المضائق الحيوية لحياتها ، ومستغلة التصريحات العربية المتعلقة بوجود الكيان الاسرائيلي كله . وكانت دعايتها السياسية الموجهة الى العالم مبنية على النقاط التالية : ١) ان وجود دولة اسرائيل مهدد بخطر عربي ساحق ، ٢) ان اغلاق المضائق عمل يتنافى مع قوانين الملاحة الدولية ، ٣) ان اغلاق ميناء ايلات يخنق اسرائيل اقتصاديا ويحرمها من التجارة مع آسيا وأفريقيا ، ويمنع عنها البترول اللازم لحياتها ، ٤) ان اغلاق ميناء ايلات سيؤخر سرعة تطور القسم الجنوبي من البلاد وتعمير صحراء النقب واسكانها ، ٥) ان في الخطوة المصرية خرقا للاتفاقات التي وقعتها مصر في عام ١٩٥٧ ، ٦) ان الخطوة المصرية تتجاهل تعهدات الدول الكبرى الخاصة بحرية الملاحة في المضائق . وكان من أبرز مظاهر المناورة السياسية الخارجية سفر أبا ايبان الى الولايات المتحدة لاستطلاع رأيها بالنسبة لتعهداتها الخاصة بحرية الملاحة في المضائق . ولقد أكد له جونسون « انه يستطيع ان يؤكد للحكومة الاسرائيلية انه سيتخذ بقوة كل اجراء ممكن لابقاء المضائق مفتوحة » (معاريف ٢/٦/٧٢) . ووقفت بريطانيا موقفا مشابها للموقف الامريكي واعتبرت ان فرض الحصار على المضائق يعتبر « تحديا مثيرا » لاسرائيل . أما الجنرال ديغول فقد اعتبر ان اندلاع الحرب بسبب المضائق سيكون بداية حرب عالمية . انه « لم يتنكر ابدا لحقيقة ان تعهدا فرنسيا أعطي في سنة ١٩٥٧ ، لكنه قال : لقد تغير الزمن . التعهدات لا تعتبر ابدا مطلقة » (معاريف ٢/٦/٧٢) .

وبعد ان اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرار **بدء** الحرب ، المعتمد على **قرار الحرب** السابق ووجود **ذريعة الحرب** حددت يوم ٥ حزيران لبدء العمليات العسكرية التي اطلقت عليها اسم « الهجوم المضاد المسبق » . ولقد تم هذا التحديد بناء على عوامل متعددة بعضها **تأخيري** والبعض الاخر **استباقي** .

وتتمثل **العوامل التأخيرية** في : ١) اعطاء الاجهزة الدبلوماسية والسياسية الفرصة الملائمة لكسب **المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية** . ٢) اعطاء الاجهزة العسكرية الزمن اللازم **للحشد** شريطة ان لا يكون هذا الزمن أطول مما ينبغي ، ٣) السماح لاكبر عدد ممكن من القوات المصرية من عبور القناة ، ويقول آلون بهذا الصدد « وقد رؤي بصورة عامة انه يجب ان يترك العدو يحشد قواته لاطول فترة ممكنة لاعطاء اسرائيل أفضل الفرص لتحطيم الجزء الاكبر من جيشه »(١٣) .

أما **العوامل الاستباقية** فهي : ١) الهجوم قبل ان تتوصل الدول البحرية الى تنفيذ تعهدات ١٩٥٧ او الضغط على مصر لاجبارها على تطبيق اتفاقات ١٩٥٧ الخاصة بحرية الملاحة في المضائق تحت اشراف الامم المتحدة ، الامر الذي يحرم اسرائيل من فرصة استغلال **ذريعة الحرب** التي سنحت امامها ، وقد لا تسنح مرة أخرى قبل زمن طويل ، ٢) الهجوم قبل استكمال التنسيق المصري — الاردني — السوري ، وقبل استكمال الحشد العربي بوصول القوات العراقية التي تحركت باتجاه الاردن ، ٣) استباق أية عملية مصرية — اردنية تخلق وضعا راهنا جديدا يتمثل في **عزل النقب واحتلال ايلات** . ويقول ييغال آلون « خطط المصريون كما يبدو بالتعاون مع الاردنيين في عملية محلية لعزل النقب واحتلال ايلات بحركة كماشة مدرعة من سيناء ومن العقبة بمعاونة القطع البحرية المصرية في البحر الاحمر ... ويجب ان لا نستبعد من الاحتمالات احتمال انهم أملوا في ان يؤدي احتلال ايلات الى الغاء ضرورة الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر .

ومن هنا تكون الدول البحرية معفاة من التزاماتهـا حول حرية الملاحـة في مضائـق تيران»(١٤) ويذكر كتاب معهد « شيلواح » السنوي الخـاص بأحداث ١٩٦٧ [ميدل ايست ريكورد] : « كان عبد الناصر يسعى لفصل ايلات . ولم يكن ليبقى في مكانه في الخامس من حزيران لو لم تتدخل اسرائيل » . ويقـول البروفسور ديشون احد كبار باحثي المعهد في الكتاب نفسه « ان اعادة تتبع خطوات وتصريحات عبد الناصر خـلال شهر ايار ١٩٦٧ ، توضح انه كان ينظر الى احتفاظ اسرائيل بايلات على انه عمل غير شرعي . وكان ينوي القيام بعملية عسكرية محدودة لفصل منطقة ايلات عن اسرائيل كاستمرار لعملية اغلاق مضائق تيران » ، (٤) استباق توزيع القوات المصرية المحتشدة في سيناء وتنظيمها . ويقول آلون بأنه كان يرى في تلك الفترة ان على اسرائيـل « ان تهاجم عندما يكون العدو قد حشد اكبر قسم من قواته في سيناء . ولكن لم يكن لديـه الوقت الكافي لتوزيعها وتنظيمها بصورة سليمة . ان هذه هي اللحظة المناسبة لسحق قوات العدو بالحد الادنى للخسائر من جانبنا »(١٥).

هناك راي شائع يقول بأن اغلاق المضائق كان **سبب** حرب ١٩٦٧ ورأي اخر يؤكد بأن هذا العمل كان **ذريعة** الحرب . ولعل التحليل السابق قد كشف لنا انها كانت من الجهة الاسرائيلية **سببا من الاسباب** العديدة التي دفعت الى شن الحرب غير العادلة ، كمـا كانت في الوقت نفسه **الذريعة** الدولية لوضع الآلة الحربية موضع العمل . اما من الجهة العربية فهي ضربة استراتيجية غـير مباشرة وخنق استراتيجي قريب مغطى بحشد عسكري ظنه مخططو السياسة العربية كافيا لردع اسرائيل او للاشتباك معها في حرب دفاعية ـــ هجومية محلية عادلة ، ثم جاءت الاحداث لتثبت انه كان غير كاف للقيام بهذه المهمة . واذا كان الخطأ في تقييم حجم الردع الناجم عن القوة العسكرية المحتشدة هو خطأ السياسيين الذين لم يحسنوا الموازنة بين الخطر الذي يمكن ان تتعرض له اسرائيل اذا ما شنت الحرب والخطر الذي تتعرض له اذا ما تخلت عن « هدف الرهان » الثمين (الرئة الجنوبية)، ولم يقدروا ان الخطر الثاني هو الاكبر بما لا يقبل الجدل،ولم يستنتجوا من ذلك ان الحرب قائمة بالفعل ، فان عدم تمكن القوات المحتشدة من الدفاع عن هدف الاستراتيجية العليا رغم ان موازين القوى المادية كانت تسمح بذلك [راجع مقدمة مقال محمود عزمي « خبرات معارك رفح ـــ غزة في حرب ١٩٦٧ » **في هذا العدد**] **هو خطأ** العسكريين وحدهم . ويمكننا ان نخفف مسئولية السياسيين اذا قلنا بأن القرار السياسي أخذ مع وجود احتمالين هما : **الردع او الدفاع** على الاقل لحماية الربح المحقق في الجولة الاولى وكلاهما مبنيان على تقديرات غير صحيحة قدمها العسكريون عـن قدرة القوات المحتشدة على الردع او على الدفاع عند اللزوم . اي انهما مبنيان على موازين القوى بالمعنى الشامـل للقوى (المـادية والمعنوية والتدريبيـة والتقنية الخ) كما قدرهـا العسكريون . وليس للعسكريين في هذا المجال سوى عذر واحد هو انهم طلبوا تسديد الضربة الاولى فمنعوا من ذلك . ولكن لو ان التدريب والمعنويات واستيعاب السلاح في قوات الطرفين كانت متشابهة ، او لو انها كانت لدى الجانب المصري اضعف بقليل مما هي عليه لدى الجانب المعادي لكانت القوى المادية المصرية كافية لصد الضربة الاولى رغم كل مفاجاة . ولكن نتائج العمليات دلت على ان العوامل المختلفة [عدا العامـل المادي] كانت متباينة بشكل خلخل ميزان القوى وحرم القوة المادية المصرية من القدرة الدفاعية رغم حجمها المادي الكافي [نظريا] للدفاع .

لقد كانت المضائق في عامي ٥٦ و ٦٧ على راس قائمة الاهداف التي اندلعت المعارك من اجلها . فما هو الموقف اليوم ؟ ان اسرائيل تصرح بأنها ترفض التخلي عن شرم الشيخ بغية ابقاء مداخل ميناء ايلات حرة امـام الملاحة الاسرائيلية . ففي ٢٣ تشرين الاول ١٩٧١ اعلن وزير الشرطة شلومو هيلل ان « اي مجهود دبلوماسي لحمل اسرائيل على الانسحاب من شرم الشيخ هو مضيعة للوقت لان هذا الموقع يشكل الضمانة الوحيدة

لحرية مرور السفن الاسرائيلية الى خليج العقبة » (و. ص. ف — تل ابيب) . ونقلت وكالات الانباء العالمية في مطلع اذار ١٩٧٣ ان غولدا مايير اعلنت « ان اسرائيل يمكن ان تنسحب من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ باستثناء مرتفعات الجولان السورية وشرم الشيخ في سيناء » ... « اننا نـدرك أهمية قناة السويس بالنسبة الى مصر ، ولكن مصر يجب أن تدرك قيمة شرم الشيخ بالنسبة الى اسرائيل . ان شرم الشيخ لا أهمية لها بالنسبة لمصر ، لكنها مهمة بالنسبة لنا ولاتصالاتنا البحرية مع الشرق » (النهار ١٩٧٣/٣/٢) . ولا يكتفي الاسرائيليون بالمطالبة بشرم الشيخ بل يطالبون بطريق بري من ايلات الى شرم الشيخ . ففي ٧٣/٣/٢٧ قال وزير المواصلات شمعون بيرس اثناء حفلة تدشين ورشة طيران جديدة في شرم الشيخ « ان مصير هذا المكان لن يتقرر بالمدافع بل بالجرارات ... انه لن يكون تغيير ولن يحصل انسحاب من شرم الشيخ . وانه ينبغي انشاء المستوطنات على طول القطاع الساحلي حتى اوفيرا » (ر. ا. أ. ٧٣/٣/٢٨) . ويرفض الاسرائيليون الانسحاب من شرم الشيخ مع ضمانة الدول الكبرى لحرية الملاحة ، ويقولون انهم لا يثقون بمثل هذه الضمانات ولا يودون تكرار تجربة ١٩٦٧ ويعتبرون ان الوجود العسكري في شرم الشيخ وعلى خط محدد داخل سيناء يغطي شرم الشيخ هو الضمانة الوحيدة في المستقبل . وتصطدم هذه الرغبة اصطداما مباشرا مع سيادة جمهورية مصر العربية على اراضيها الامر الـذي يجعل القاهرة تتصلب في موقفها بالنسبة لشرم الشيـخ مع تساهلهـا بالنسبة لمسألة حرية الملاحة . ففي حديث للرئيس السادات مع نيوزويك طرح مراسل المجلة سؤالا يتعلق باشارة غولدا مايير الى « ان الداعي الوحيد لامن اسرائيل في سيناء هـو منطقة شرم الشيخ » فكان جواب الرئيس السادات : « اننا سنوافق على اي شيء بالنسبة لشرم الشيخ ، وعلى ضمان حرية الملاحة . ولكننا لن نوافق عـلى احتلال اسرائيلي . اننا سنعطيها للمجتمع الدولي تحت اية صيغة يرونها مقبولة — الى الخمسة الكبار في مجلس الامن بما في ذلك الصين ، بقواتهم أو بقوات محايدة وتحت ضمانتهم . ماذا تستطيع ان تطلبه مني اكثر من ذلك ؟ ولكن ان تبقى القوات الاسرائيلية رائحة غادية كما يحلو لها في منطقة الشرم فذلك أمر ليس محل نقاش » (نيوزويك عدد ١٩٧٣/٤/٩) .

لقد اندلعت الحرب على رمال سيناء مرتين لفتح الملاحـة الى ايلات ، ومنـع الخنق الاستراتيجي عند شرم الشيخ . ولكن هل ينبغي ان يكون الخنق قريبا دائما ؟ ان الضغط على قصبة التنفس الاستراتيجية الجنوبية ممكن في كل نقطة من نقاط البحر الاحمر ، وشمال مضيق باب المندب وجنوبه ، وعند المضيق نفسه . وبالرغم من تبجح اسرائيل بقدرتها على حماية الملاحة في البحر الاحمر عن طريق قواتها البحرية الجديدة وطائراتها التي تزود بالوقود في الجو فان القدرة البحرية العربية متفوقة على البحرية الاسرائيلية بمراحل ولن تستطيع الطائرات المقاتلة الاسرائيلية عند باب المندب وعلى بعد ١٢٠٠ — ١٣٠٠ ميل من مطاراتها مجابهة الطائرات المقاتلة العربية التي تنطلق من مطارات موجودة في جنوب مصر او في السودان او في اليمن (الشمالي والجنوبي) لان عـدد طائـرات ستراتوكروزر الاسرائيلية المخصصة لتموين طائرات السكاي هوك محدود جدا [تقول نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٧٢/٥/١ عن مجلة القوات المسلحة الامريكية أن لدى اسرائيـل ٦ طائرات ستراتوكـروزر للتموين . ولكن نشرة معهـد الدراسات الاستراتيجية The Military Balance 1972 - 1973 تقـول بأن لدى اسرائيـل ١٠ طائرات ستراتوكروزر منها طائرتان فقط لنقل الوقود والعدد في التقديرين صغير جدا بالنسبة للمهمة] . كما ان بعد محطات الرادار الاسرائيلية وقرب محطـات الرادار العربية سيجعل المعارك الجوية تدور لصالح الطيران العربي حتما . ومن هنا جاءت رغبة اسرائيل الملحة في التعاون مع الحبشة ومع القواعد الأمريكية المنتشرة في البحر الاحمر رغم زيارات الامبراطور هيلاسيلاسي المتكررة للدول العربية(١٦) ورغم تعهدات

الحبشة المستمرة بأنها « لن تقف أبداً ضد العرب بسبب روابطها الخالدة مع العرب »(١٧) .

لقد كان ميناء ايلات دائما رئة هامة لاسرائيل . ولكن اهميته اليوم اكبر من ذي قبل ، وخاصة بعد اكتمال انشاء خط أنابيب البترول — ايلات — عسقلان الذي سترتفع طاقته في عام ١٩٧٤ حتى ٦٠ مليون طن . ومهما كانت اهمية ايلات لتأمين « التجارة مع الشرق » كبيرة فان أهميتها الاستراتيجية اليوم اكبر من اهميتها الاقتصادية . ومهما كان اهتمام اسرائيل الاقتصادي بافريقيا كبيرا فان اهتمامها اليوم بشرق افريقيا يحمل طابعا استراتيجيا . ويلاحظ المراقبون ان تغلغل اسرائيل في افريقيا يتمحور حول محاور جديدة « فلقد تبدل تسلسل الافضليات . وتقدمت المتطلبات الاستراتيجية على المتطلبات الاقتصادية . لذا تم تجاهل افريقيا الغربية لصالح افريقيا الشرقية التي يمكن ان تغدو خط تحديد جديد اسرائيلي — عربي » L'Orient Le Jour 8/9/71. خاصة وأن بلدان افريقيا الشرقية وسواحلها المشرفة على شمال مضيق باب المندب وجنوبه هي الاماكن الوحيدة التي تستطيع اسرائيل منها حماية الملاحة في البحر الاحمر ومنع اي خنق استراتيجي بعيد .

ان القوة البحرية العربية قادرة على تحقيق هذا الخنق . فاذا قارنا قوة اسرائيل البحرية مع قوتي مصر وسورية البحريتين [على اعتبار ان البحرية الاسرائيلية موزعة بين البحرين الابيض والمتوسط والاحمر] لوجدنا تفوق العرب البحري الساحق(١٨) رغم مبالغات الدعاية الاسرائيلية وتضخيمها لصناعتها البحرية (قوارب ساعار ، صواريخ غبرييل ... الخ) . ولكن التفوق البحري وحده لا يكفي فلقد كانت البحريتان المصرية والسورية متفوقتين(١٩) في حرب ١٩٦٧ ولم تحققا الخنق البعيد لان اسرائيل سددت الضربة الحاسمة في مكان اخر ولم تسمح باطالة أمد الحرب . وتأمل اسرائيل في المستقبل أن تمنع اي خنق أستراتيجي بحري بضربات توجه الى مسارح العمليات البرية بشكل ينهي الصراع بسرعة وينهي بالتالي امكانية تحقيق الخنق . لذا فان من المتعذر على القوات البحرية العربية أن تمارس أية عملية غير مباشرة وأن تستخدم الخنق البعيد الا اذا كانت القوات العربية البرية والجوية قادرة على الهجوم او الدفاع على الاقل في مسارح العمليات البرية . وهذا مثال واضح عن قدرة الدفاع على تعزيز الهجوم ، وعن انقلاب أية قوة دفاعية الى قوة هجومية كامنة في مسرح العمليات نفسه او بالنسبة لمسارح العمليات الاخرى .

لقد فتح الرئيس عبد الناصر آفاق الخنق الاستراتيجي القريب في ايار ١٩٦٧ ثم كانت الحرب ، وضاع الكسب الذي حققه ، وتسعى القاهرة اليوم جادة للعودة في شرم الشيخ الى اوضاع ما قبل ٢٢ ايار ١٩٦٧ بضمانات دولية . ولكن آفاق الخنق الاستراتيجي البعيد مفتوحة على مصراعيها أمام الاستراتيجيين العرب في الجولات المصيرية المقبلة . ومقتل اسرائيل هو ضعف سلاحها البحري وحساسية قصبات تنفسها الطويلتين ، ولكنها تغطي هذا المقتل بوجود ثغرات في الدرع الدفاعي العربي على جبهات المواجهة . وعندما يكون الدرع ضعيفا يصاب السيف بالشلل ، وكلما قوي الدرع وازداد مناعة أصبح بوسع السيف أن يقطع قصبات التنفس بحرية أكبر .

١ — العميد الركن عزيز الاحدب « **اليوم السابع لحرب حزيران** » الدار الشرقية للطباعة والنشر ، ص ١٤٩ .

٢ — افرايم تشلمي « **حروب اسرائيل ١٩٤٩ — ١٩٦٩** » ، نسخة مترجمة عن العبرية في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية .

٣ — **المرجع السابق** .

٤ — **المرجع السابق** .

٥ — ييغال آلون « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » ، دار العودة ، ص ١٥٦ .

٦ — ييغال آلون « **الستار الرملي** » ، ص ٥٧ من النسخة المترجمة في مركز التخطيط .

٧ ــ افرايم تشلمي « حروب اسرائيل ١٩٤٩ ــ ١٩٦٩ » .
٨ ــ **المرجع السابق** .
٩ ــ **المرجع السابق** .
١٠ ــ **المرجع السابق** .
١١ ــ **المرجع السابق** .
١٢ ــ Le Monde نقلا عن **معاريف** ٢٩/٣/٧٢.
١٣ ــ بيغال آلون « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » .
١٤ ــ بيغال آلون « **الستار الرملي** » ، ص ١٥.
١٥ ــ بيغال آلون « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » ، ص ٢٠٢
١٦ ــ زار الامبراطور هيلاسيلاسي مصر ولبنان والكويت والاردن في عام ١٩٦٦ ، ثم زار السودان في عام ١٩٦٧ ومصر في عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ . ومصر في عام ١٩٧٣ .
١٧ ــ من خطاب الامبراطور هيلاسيلاسي في الكويت في عام ١٩٦٦ (**المحرر** ١٠ تشرين الاول ١٩٦٦) .
١٨ ــ **القوات البحرية ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣** (المرجع The Military Balance 1972 - 1973

	اسرائيل	**مصر وسوريا**
مدمرات	٢ (واحدة قيد التجهيز)	٥
غواصات	٢	١٢
زوارق دورية سريعة	١٢	١٨
	مع صواريخ سطح ـ سطح فبرييل	مع صواريخ سطح ـ سطح ستيكس
طوربيدات	٤	ـ
زوارق دورية صغيرة	١٢	٣٢
زوارق انزال	١٠	١٢
مطاردات غواصات	ـ	١٢
سفن حربية	ـ	٢
كاسحات الغام للاسطول	ـ	١١
كاسحات الغام على الشواطىء	ـ	٢
زوارق دورية سواحل	ـ	٢

١٩ ــ **القوات البحرية في حرب ١٩٦٧** (المرجع : **حروب اسرائيل ١٩٤٩ ــ ١٩٦٩** ــ افرايم تشلمي) .

	اسرائيل	**مصر وسوريا**
مدمرات	٣	٧
غواصات	٢	١٢
حاملات صواريخ	ـ	٢٤
سفن ضد الغواصات	١	١٥
طوربيدات	١٢	٥٠

خبرات معارك « رفح ـ غزة » في حرب ١٩٦٧

محمود عزمي

استحوذت الضربة الجوية المفاجئة التي قام بها الطيران الاسرائيلي صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ضد القواعد الجوية المصرية ، على القسط الاكبر من اهتمام من تناولوا احداث حرب ١٩٦٧ بالبحث أو التعليق ، نظرا للنتائج الاستراتيجية التي ترتبت عليها في تقرير مجرى الحرب كلها .

ونتج عن هذا التركيز المبالغ فيه على ضربة الطيران ان توارت الصورة الحقيقية لكثير من المعارك البرية التي دارت فوق « رمـــال سيناء » وبين « بيارات غزة » أو في شوارع « القدس » أو فوق مرتفعات « الجولان » . وتوارت معها ايضا بطولات عربية عديدة سجلتها الاحداث الفعلية لهـــذه المعارك ، وكان من اخطر آثار ذلـــك التواري لصور المعارك الفعلية أن طمست معالم الدروس العسكرية المستفادة منها سواء على المستوى التكتيكي او الاستراتيجي ، او على الاقل لم تظهر بوضوح أمام الفكر العربي الذي تعذبه الهزيمة حتى الان ويؤرقه البحث عن سبل الخلاص من آثارها . ولذلك فاننا نعتقد انه مع مرور ست سنوات على احداث هذه الحرب ، يجدر بنا ان نلقي بعض الاضواء على المعارك البرية التي شهدتها . وسوف نقصر دراستنا هذه على معارك القطاع الشمالي من الجبهة المصرية التي دارت بين « غزة » شمالا و « العريش » جنوبا مرورا « بخان يونس » و « رفح » و « ممر خروبة » ، نظرا للاسباب التالية : اولا ان محور الجهد الاسرائيلي في خرق الجبهة المصرية كان مركزا في هذا القطاع . ثانيا قوة وعنف العمليات الدفاعيـــة التي قامت بها القوات المصريـــة والفلسطينية خلال هذه المعـــارك . ثالثا للاحتمالات الايجابية التي كان من الممكن ان تحدث لو طالت المقاومة في هذا القطاع على مجنبه ومؤخرته .

التوزيع العام للقوات المصرية عشية بدء القتال : عقب اتخاذ القيادة السياسية المصرية قرارها الخاص بتدعيم موقف سوريا ازاء التهديدات والحشود الاسرائيلية في ١٣ مايو ١٩٦٧ ، حشدت القيادة العسكرية العليا قوات ضخمة خلال الاسابيع الثلاثة التي تلت ذلك ووزعتها عشية بدء القتال يوم ٥ يونيو بالصورة التالية :(١)

- الفرقة ٢٠ الفلسطينية في قطاع « غزة » : وكانت تتألف مـــن لوائي مشاة وفوج صاعقة . وتقول بعض المصادر أن افرادها كـــانوا يبلغون نحو ٣٠ الف مقاتل ، وأن نصفهم تقريبا كانوا موزعين على شكل وحدات دفاعية صغيرة ثابتة او واجبات حراسة فردية عادية ، وكانت تدعمها بعض وحدات المدفعية وحـــوالي كتيبة دبابات معظمهـــا من طراز « شيرمان » ويقودها ضباط معظمهم من المصريين وعلى رأسهم اللواء عبـــد المنعم الحسيني حاكم « غزة » .
- الفرقة السابعة مشاة في قطاع « رفح ــ العريش » : وتتألف من اربعة الوية مشاة ولواء مدفعية(٢) ومجموعة مدرعة تتكون من دبابات « ت ٣٤ » ودبابات « ستالين ــ ٣ »

ومدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات « س يو ١٠٠ » ، وتضم بمجملها نحو ١٠٠ قطعة مدرعة موزعة بين مواقع « رفح » ، « الشيخ زويد » ، « ممر خروبة » ورئاستها في العريش .

- الفرقة الثانية مشاة في قطاع « ابو عجيله ــ القسيمة » : وكانت تتألف من لوائي مشاة ولوائي مدفعية فضلا عن مجموعتين مدرعتين (المجموعة تشكيل مدرع أقل قوة من اللواء المدرع بكتيبة دبابات) من دبابات « ت ٣٤ » ومدافع « س يو ١٠٠ » وكانت موزعة ما بين « أم قطف » و « ابو عجيلة » و « القسيمة » .

- الفرقة الثالثة مشاة في قطاع « جبل لبنى ــ بير الحسنة » : وكانت تتألف من ثلاثة ألوية مشاة راكبة ، اي محمولة بعربات نقل جنود (Motorized Infantry) ولواء مدرع ولوائي مدفعية وكانت بمثابة خط دفاعي ثان وراء الفرقتين الثانية والسابعة ونستطيع التحرك لمساندة اي منهما .

- الفرقة السادسة مشاة في قطاع « الكونتيلا ــ نخل » : وكانت تتألف من ٤ ألوية مشاة راكبة ولواء مدرع ولواء مدفعية ، وقد وزعت بين « الكونتيلا » و« نخل » حيث تركزت قوتها الاساسية نظرا لتلاقي عدة طرق هناك ، فهناك الطريق من الكونتيلا عبر « تامد » وطريق من رأس النقب قرب « ايلات » عبر « تامد » ايضا الى « نخل » ، وطريق من « القسيمة » واخر من « بير الحسنة » ، ثم يمتد الطريق بعد تلاقي هذه الطرق نحو الغرب متجها الى « السويس » عبر « ممر متلا » .

- مجموعة مدرعة : تتألف من لواء مدرع ولواء صاعقة راكب ، ولواء مدفعية ، وقد حشدت في منطقة تقع بين الفرقتين الثانية والسادسة على مقربة من طريق القسيمة ــ نخل . بحيث تستطيع ان تشكل دعما لكل من الفرقتين وخاصة الفرقة السادسة في الجنوب ما بين نخل والكونتيلا .

- الفرقة الرابعة المدرعة : وقد اضيف الى قوتها المدرعة الاصلية ، لواء مشاة راكب ولواء مدفعية ، وكانت موزعة بين « بير جفجافة » و « بير تمادا » مشكلة بذلك خطا دفاعيا ثالثا في عمق مسرح العمليات في سيناء حامية بذلك طرق الاقتراب من ممرات « سيناء » الحيوية في « جفجافة » ، « الجدى » ، « متلا » . والاستعداد لشن هجمات معاكسة عملياتية على مستوى الجبهة المصرية .

وتقدر معظم المراجع العسكرية قوة هذه التشكيلات جميعا بنحو ١٠٠ الف جندي تدعمهم قرابة ٩٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة . كما تقدر ايضا ان نسبة لا تقل عن ٢٠٪ من مجموع الدبابات والمدافع ذاتية الحركة وعربات نقل الجنود المصفحة كانت غير صالحة للحركة عند نشوب القتال بسبب نقص الوقود الناجم عن اضطراب وحدات الشئون الادارية نظرا لكثرة تحريك التشكيلات قبيل نشوب الحرب ، او بسبب الاعطال الميكانيكية الناتجة عن طول مسافة التحركات المتوالية منذ بدء الحشد وكان هذا واضحا بالنسبة للمدرعات بالذات لانها اضطرت للسير المستمر المذكور على سلاسلها معظم الوقت . كما تقدر هذه المراجع ان نسبة تصل الى ٢٥٪ من مختلف انواع المركبات الاخرى كانت في الحالة السابقة نفسها فضلا عن نسبة الربع ايضا من نحو ١٠٠٠ مدفع كانت هي الاخرى غير صالحة للقتال للاسباب نفسها(٣)! وهذه مسألة بالغة الاهمية في حساب ميزان القوى الفعلي بين الطرفين يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند كل بحث . وتقدر المراجع العسكرية ان كتيبة الدبابات المصرية كانت تتألف من ٣٣ دبابة وان اللواء المدرع كان يضم ثلاث كتائب دبابات (بالاضافة الى الوحدات المعاونة الاخرى) اي انه كان يتكون من ٩٩ دبابة بخلاف المدفعية(٤). كما تقدر المراجع المذكورة ان كتيبة الدبابات الاسرائيلية كانت تتألف من ٣٥ دبابة موزعة على ٣ سرايا ، فضلا عن كتيبة مدفعية مكونة

من ١٢ مدفع هاون عيـــار ١٢٠ مم محملة على عربات نقل جنود مصفحة(٥)، وسرية دبابات استطلاع ، وانه كان يضم بمجمله ١١٠ دبابات .

ولم يكن في الجيش الاسرائيلي وقتئذ تشكيل قتـــالي يعــرف بالفرقـــة . وانمـــا وزعت القوات الاسرائيلية سواء كانت مشاة او مدرعـــات او مدفعيـــة او مظليـــين على شكل كتائب والوية ، وكان اللواء هو أعلى شكل تنظيمي ثابت ، وقد تشكل مـــن مجموعة الوية مختلفة قوة قتالية خاصة بمهمة معينة بصفة مؤقتة تأخذ شكلا قريبا من شكل الفرقة من حيث القوة ووحدة القيادة ولكنها تنحل فور الانتهاء من المهمة المحـــددة لها . ولذلك يطلق على هذا التجميع اسم« Ugdas »بالعبرية وهي تقابل « Task Force ». ويحتفظ كل لواء داخل المجموعة القتالية باستقلاليته الاصلية من حيث شئونه الادارية ووسائل نقله القائمة على الاكتفاء الذاتي حتى يكون وحدة قتالية سريعة الحركة قادرة على الهجوم والقتال بمفردهـــا . هذا ويبلغ حجم اللواء المدرع الاسرائيلي نحو ٣٥٠٠ جندي . وهذا على خلاف تنظيم الفرقة الذي كان يأخذ بها الجيش المصري وقتئذ اذ ان الفرقة تنظيم اداري وقتالي كبير نسبيا (حوالي ١١ الف جندي في الفرقة المدرعة) يعطي قوة قتالية اكبر ولكنه يحتاج الى جهد كبير منظم للشئون الادارية وكفاءة كبيرة ايضـــا في قيادة وتحريك مختلف وحدات الفرقة اثناء القتال بحيث تعمل بتناسق وفاعلية . وهذه مسألة أخرى يجب وضعها في الاعتبار عند تقدير حسابات القوى بين الطرفين ، اذ ليس المهم كميات السلاح واعداد الجنود فحسب وانما ايضا طريقة التنظيـــم والقدرة على الاستفادة الفعالة منها لاحداث اكبر مردود ممكن لقوة النيران ووســـائـــل الحركة التي تتوفر لدى كل طرف في المكان المحدد والزمان المناسب لظـــروف المعركة . كل هـــذه الاعتبارات الجزئية ، بخلاف اعتبارات اخرى ستتضح خلال مجـــرى القتال ، رأينا أن نلقي عليها بعض الضوء قبل الدخول في سرد تطورات المعركة وحتى لا تبدو الارقام لدى الطرفين مجرد ارقام فحسب فلا يحسن تقديرها .

المخطط الاسرائيلي وتوزيع القوات المعدة له : يقول الكاتب الامريكي الجنسية الاسرائيلي الاصل « ناداف صفران » في كتابه « من حرب الى حرب » ، أن القيادة الاسرائيلية العليا قد حشدت في مواجهة الجبهة المصرية(٦) من جملة ١١ لواء مدرعا كانت لديهـــا ــ بعد اجراء التعبئة العامة ــ ٦ الوية ومجموعتين مدرعتين اخريين . بالاضافة الى ٣ الوية مظليين من جملة اربعة كانت لديها ، و ٣ ــ ٤ الوية مشاة من جملة عشرة الالوية من الصف الاول التي كانت متوفرة لديها ، و٦ الوية مدفعية من جملة ١٢ لواء مدفعية (أو ما يقابل قوة اللواء كشكل تنظيمي) كانت لديها . وأن جملة هذه القوات كانت تقدر بنحو ٦٥ الف جندي ، حوالي ٦٥٠ دبابة(٧) بخلاف المدفعية ذاتية الحركة . وهذا التقدير في قوة المدرعات التي كانت لدى الجيش الاسرائيلي في الجبهة المصرية وحدها ينفي المزاعم الشائعة في عديد من الكتابات التي تناولت تقدير القوى العسكرية بين الجيوش العربية التي خاضت حرب يونيو والجيش الاسرائيلي ، حول اجمالي عدد الدبابات التي كانت لدى اسرائيل عند بـــدء القتال ، وانها كانت ٨٠٠ دبابـــة فحسب (مثلما ورد في كتاب الجنرال الامريكي «مارشـال» المسمى « Swift Sword » (٨)وذلك حتى يبدو تفوق اسرائيل التقني خرافيا في مقابل التفوق الكمي للجيوش العربية المشتركة في القتال ضدها ، حيث أن تقديرات المصادر المذكورة لقوة المدرعات العربية كانت : ١٣٠٠ دبابة لدى مصر ، ٦٠٠ دبابة لدى سوريا ، ٢٥٠ دبابة لدى الاردن) . ولكن تقدير عدد الالوية المدرعة بـ ١١ لواء الذي ذكره « صفران » يصل بعدد الدبابات لدى الجيش الاسرائيلي الى نحو ١٢٠٠ دبابة بخلاف المدافع ذاتية الحركة ، وهو تقدير مقارب للواقع وأكثر منطقية من التقدير الشائع بانها كانت ٨٠٠ دبابة فقط ، لان واقـــع الهجوم عـــلى جبهة « سيناء » و « الضفة الغربية » في آن واحد مع الاحتياط لمواجهة احتمال تدخل الجيش السوري

ينفي اسطورة الـ ٨٠٠ دبابة . خاصة وأن الدبابات ليست كالطائرات يمكن نقلها من جبهة لاخرى في اليوم نفسه او خلال ساعات قليلة !

ان حشد ٦٥٠ دبابة اسرائيلية على الاقل امام الجبهة المصرية ــ ونحن نعتقد ان العدد كان اكبر من هذا بعض الشيء لانه من الثابت وجود ستة الوية في العمليات فضــلا عن بعض الكتائب المدرعة المستقلة ــ يجعل عدد المدرعات الاسرائيلية المتاحة لدى القيادة الجنوبية اكثر في الواقع من عدد المدرعات المصرية القادرة على القتال اذا تذكرنــا أن اجمالي قوتها بما في ذلك المدافع ذاتية الحركة « س يو ١٠٠ » قــدر بـ ٩٠٠ قطعة وان نسبة لا تقل عن ٢٠٪ منها كانت غير قادرة عمليا على الحركة والقتال عند بدئه .

وقد رسمت الخطة العامة الاسرائيلية للهجوم في الجبهة المصرية عــلى اساس خرق المواقع الدفاعية في « رفح » ، « أبو عجيلة »، التي تتحكم في مداخل الطريقين الاساسيين في شمال ووسط سيناء المؤديين الى « القنطرة » و« الاسماعيلية » عند قناة السويس ، ثم الاندفاع بسرعة ودون مرحلة توقف مؤقتة لاعادة التجميع والتنظيم نحو المــرات الاربعة لسيناء المتحكمة في طرق المواصلات ، وهي ممر « رمانة » على طريق « العريش ــ القنطرة » ، « ممر جفجافه » على طريق « ابو عجيلة ــ الاسماعيلية » ، و « ممر الجدي » على طريق « القسيمة ــ بير الحسنة ــ بير تمادا ــ قناة السويس قــرب جنوبها » ، « ممر متلا » على طريق « الكونتلا ــ نخل ــ السويس » . وبقفل الممرات والوصول الى ضفة القناة الشرقية تعزل بقية القوات المصرية خاصة التي في الجنوب او تتحطم اثناء محاولتها الانسحاب عبر الممرات نحو القناة .

اما الاستيلاء على « شرم الشيخ » او فتح الملاحة في « مضائق تيران » الذي كان المبرر الاصلي لنشوب القتال فقد ترك أمرها لعملية تكميلية صغيرة تقوم بهــا قوة من مشاة البحرية وقوات المظلات بعد الانتهاء من العمليات الرئيسية في شمال ووسط « سيناء ». ولكن اتخذت عدة تدابير لاشعار القيادة المصرية ان « شرم الشيخ » ستكون لها أولوية خاصة في العمليات التعرضية وذلك عن طريق مضاعفة نسبة طلعات الاستطلاع الجوي فوقها بالنسبة للطلعات فوق « غزة » ، وبواسطــة اعطاء انطباع مبالــغ فيه عن قوة الحشد المدرع على المحور الجنوبي عند « الكونتيلا » حيث حشد هناك في الحقيقة لواء واحد مدرع معزز بقوة اضافية ، الا انه جرى حشد لواء اخر من الدبابات الهيكلية على مقربة منه وبطريقة تمويه لم تراع فيهــا الدقة حتى يبدو واضحا في الصــور الجوية لطائرات الاستطلاع المصرية . هذا وقد اخضعت القوات المستخدمة في الجبهة المصرية للعميد « جافيش » قائد المنطقة الدفاعية الجنوبية لاسرائيل . والذي قام بتوزيع قواته في شكل ثلاث مجموعات قتالية (متباينة الحجم ونوعية التشكيل وفقا لطبيعــة مهمة كل مجموعة) لها قوة الفرقة ــ اي ثلاثة « Ugdas » ــ سميت على أسماء قادتها كما هي عادة الجيش الاسرائيلي : مجموعة العميد « تــال » : في أقصى الشمال عند « خــان يونس » و« رفح » مهمتها اختــراق دفاعات الفرقة الفلسطينية في « خان يونس » والفرقة المصرية السابعة في « رفح » ثم الاندفاع الــى العمق العملياتي للفرقة عند « العريش » في اليوم نفسه عبر مواقع « الشيخ زويد » ، « ممر خروبة » . وكانت هذه المجموعة أقوى المجموعات الثلاث ومشكلة من أفضل الوية الجيش الاسرائيلي . وقــد تألفت من لوائين مدرعين ولواء مظليين ميكانيكي ولواء مشاة ميكانيكي ، تدعمها نحو ٥ كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين فضلا عــن كتيبة او كتيبتين مستقلتين من الدبابــات احداهما لمعاونة لواء المظليين والاخرى لمعاونة لواء المشاة الذي كلف بمهاجمة « غزة » بعد الاستيلاء على « خان يونس » . هذا ويقدر « ادجار بالانس » قوة مجموعة « تال » بنحو ٣٠٠ دبابة ، و١٠٠ عربة نصف جنزير ، وأكثــر من ٥٠ مدفعا بعضهــا ذاتي الحركة(٩) .

مجموعة العميد « شارون » : في الوسط عند قطاع «أم قطف ــ ابو عجيلة ــ القسيمة» مهمتها اختراق دفاعات الفرقة المصرية الثانية في « ام قطف » و « أبو عجيلة » وتصفية دفاعات « القسيمة » بعد ذلك ثم الاندفاع بسرعة الى « نخل » لتدمير «مجموعة الشاذلي المدرعة » وتطويق الفرقة السادسة مشاة . وكانت هذه المجموعة تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة وكتيبة مظليين و ٦ كتائب مدفعية ، فضلا عن قوة صغيرة أخرى تضم كتيبة دبابات ووحدة استطلاع ووحدة مشاة ميكانيكية ، ووحدات مهندسين . ويقدر « ادجار بالانس » مجموع قوة « شارون » بنحو ٢٠٠ دبابة ، و ١٠٠ عربة نصف جنزير ، و ١٠٠ مدفع .

مجموعة العميد « يوفه » : وقــد حشدت في المنطقــة الواقعة بين فرقتي « تــال » و « شارون » وكانت تتألف من لوائين مدرعين بدون مدفعية وقد عهد الى احد لوائيها بالقيام بزحف من منطقة تبعد عن جنوب « رفح » بنحــو ٣٠ كيلومترا عبــر وادي « حرادين » الذي كان عبارة عن مجرى ماء جاف ممتد بين كثبان الرمال غير الصالحة لسير المركبات ينتهي قرب موقع « بير لحفن » الواقــع الى الجنوب من العريش على الطريق المؤدي الى « ابو عجيلة » . (وكانت القيادة الاسرائيلية اثناء احتلالها سيناء عام ١٩٥٦ قد أرسلت جماعة استطلاع لدراسة ارض هذا الوادي اكدت امكان اجتيازه بعربات نصف جنزير بشيء من الصعوبة) وذلك لمهاجمة الموقع المصري ومنع وصول اية نجدة للعريش من جانب الفرقة الثالثة مشاة المرابطة في « جبل لبنى » ولم يكن يدافع عن مخرج هذا الوادي غير سرية مشاة مصرية واحدة نظراً لان القيادة المصرية كــانت تعتقد باستحالة سير الدبابات او المجنزرات بصفة عامة في هذا الوادي . هذا بينما كلف اللواء المدرع الاخر بالتقدم صوب جبل لبنى اثر احتلال مجموعة « شارون » لمواقــع « ابو عجيلة » وبذلك يتم تحطيم خط الدفاع الثاني المصري في العمق العملياتي بقــوات سليمة وغير مجهدة بمعارك الاختراق الاولى وفي أسرع وقت ممكن . ويقدر « ادجــار بالانس » مجموع قوة « يوفه » هذه بنحو ٢٠٠ دبابة ، ١٠٠ عــربة نصف جنزير(١٠) . وبالاضافة الى هذه المجموعات الثلاث الرئيسية حشد « جافيش » ، كما سبق ان قلنا ، لواء مدرعا مدعما أمام « الكونتيلا » لمشاغلة الفرقة السادسة مشاة وتثبيتهــا الى ان تصل قوات « شارون » الى مؤخرتها عند « نخل » بعد الاستيلاء علــى « القسيمة » ثم يقوم اللواء المدرع في هذه الحالة بمطاردة قوات الفرقة المذكورة عبر طريق « الكونتيلا ــ التامد ــ نخل » .

ويقول « ادجار بالانس » في كتابه « الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة » (وهو صادر عام ١٩٧٢) أنه كان هناك لواء مدرع اخر أعطاه الاسم الرمزي (مثلمــا فعل بالنسبة لبقية الالوية الاسرائيلية لدواعي السرية والامن التي فرضتها عليه سلطــات الجيش الاسرائيلي عند تجميعه مادة الكتاب) « اللواء المــدرع ن » كان محتشدا في مواجهــة « القسيمة » التي تبعد بضعة اميال الى الجنوب الشرقي من « أبو عجيلة » خشية قيام حاميتها بهجوم مضاد يستهدف مؤخرة قوة « شارون » الرئيسية اثناء انشغالها بالهجوم على مواقع « ابو عجيلة » (وكانت تتألف وفقا لقول « بالانس » من لواء مشاة تعززه ١٢ دبابة ستالين ، ٣٠ دبابة ت ٣٤ ونحو ١٠٠ مدفع)(١١) . وهذا التقديــر يرفع قوة المدرعات الاسرائيلية الى ٧ الوية كاملة بخلاف كتائب الدبابات المستقلة الاخــرى التي عملت احداها على الاقل في قطاع غزة وأخرى مع « تال » لتعزيز لواء المظليين واخرى مع « شارون » . ولا بد أنه كانت توجد كتيبــة او اكثر في الاحتياطي التابــع لقيــادة « جافيش » الامر الذي يرفع قوة المدرعات الاسرائيلية المستخدمة في الجبهة المصرية الى نحو ٩٠٠ دبابة على الاقل . هذا كما حشد لواء مشاة مــن الصف الاول تعززه وحدة استطلاع مدرعة من الدبابات الخفيفة « ام اكس ١٣ » امام قطاع « غزة » بخلاف قوات

الدفاع المحلي الموجودة داخل المستعمرات الاثنتي عشرة القائمة هناك . وفي « ايلات » كانت مجموعة صغيرة من الوحدات تساعد كتيبة مشاة في الدفاع عن الميناء المذكور وتستعد للعملية البرمائية التي ستتم ضد « شرم الشيخ » في مرحلة متقدمة من تطور العمليات الرئيسية بنجاح .

خطة « تال » في مهاجمة « رفح » : كانت القوات العربية الموجودة في المنطقة المحددة لهجوم مجموعة تال موزعة كالآتي : اللواء الفلسطيني ١٠٨ المؤلف من ثلاثة افواج مشاة ومجموعات من الفدائيين وكتيبة مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطلا الانجليزية الطراز مع فوج غير كامل من دبابات « شيرمان » القديمة (سريتين فقط من الدبابات) وسريتين من المدافع المضادة للدبابات(١٢) . وكان يدافع عن منطقة « خان يونس » موزعا قواته بين قرية « بني سهيل » وبلدة « خان يونس » نفسها ومفرق « ام كلب » وبلدة « رفح » . وقد استحكمت القوات داخل خنادق وحفر للمدافع تحميها بعض الالغام والاسلاك الشائكة فضلا عن حقل الغام كان ممتدا من موقع « أم كلب » حتى دفاعات وطريق بلدة « رفح » التي تبعد نحو ١٦ كيلومترا عن « خان يونس » . وداخل « خان يونس » و « بني سهيل » و « رفح » كانت هناك قوات المقاومة الشعبية غير النظامية المسلحة بالبنادق والرشاشات ، ولكن الاسلحة الثقيلة الموجودة مع اللواء المذكور كانت غير كافية العدد ومن نوع اضعف من اسلحة العدو المماثلة . والى الغرب والجنوب من بلدة « رفح » كانت تمتد مواقع الفرقة السابعة مشاة على جبهة عرضها نحو ١٢ كلم بين كثبان ساحل البحر المجاورة تقريبا لخط سكة حديد « العريش — رفح » وكثبان منطقة « العجرة » الواقعة على بعد ١٥ كلم جنوبي « رفح » ، يسترها حقلان من الالغام احدهما يسد الفجوة بين « رفح » وشاطىء البحر والآخر يبدأ من جنوب « خان يونس » مارا بشرق « رفح » ثم يتجه نحو الجنوب حتى كثبان « العجرة » ، بالاضافة الى الالغام الموزعة حول المواقع الدفاعية نفسها بشكل مباشر ، وذلك وفقا لما ترويه مصادر العدو الاسرائيلي(١٣) . وقد تركزت الدفاعات المصرية على كلا جانبي منطقة « مفرق طرق رفح » الواقعة الى الجنوب الغربي من « رفح » نفسها ، وهي منطقة يتلاقى عندها الطريق الرئيسي بين « رفح » و « العريش » بطريق قديم كان ممتدا حتى « العوجة » من قبل وطريق آخر كان متجها داخل فلسطين اصلا جنوبي « رفح » حتى المستعمرات الاسرائيلية هناك .

وقد وزعت قيادة الفرقة السابعة احد ألويتها تقريبا في موقع دفاعي يقع شمال المفرق المذكور حتى خط سكة « رفح — العريش » ، كما وضعت لواء آخر في موقع دفاعي جنوب المفرق يمتد حتى كثبان العجرة ، وركزت مدفعية الميدان وراء هذين الموقعين خاصة الجنوبي منهما الذي عززته ببعض الدبابات من طراز « ستالين ٣ » و « ت ٣٤ » داخل حفر عميقة تحمي مجنبة الموقع الجنوبي بالذات لمواجهة حركات التطويق المحتملة ، هذا بالاضافة الى المدافع المضادة للدبابات وقواذف البازوكا التي كانت موزعة داخل حفر مموهة مع كتائب المشاة في المواقع . كما وضعت قيادة الفرقة المذكورة لواء مشاة اخر تعززه الدبابات والمدفعية في موقع دفاعي عند بلدة « الشيخ زويد » الواقعة على بعد نحو ١٣ كلم غرب مفرق الطرق على الطريق المؤدي الى « العريش » . والى الغرب من « الشيخ زويد » بنحو ١٥ كلم حشدت قيادة الفرقة نحو لواء مشاة رابع كان قد اضيف الى قوتها للدفاع عن « ممر خروبة » الذي يمتد نحو ١٤ كيلو مترا حتى ضواحي « العريش » وهو منطقة رملية لا يمكن لاية عربة ان تمر خلالها الا عبر الطريق المعبد فقط تقريبا وقد عززته بعدد من المدافع المضادة للدبابات وببعض الدبابات « ت ٣٤ » الموضوعة في حفر مموهة ، وكانت القوات المدافعة تحميها بعض الالغام وتتمركز داخل خنادق وبعض التحصينات . وفي العريش نفسها كانت توجد قيادة الفرقة والوحدات

الادارية وبعض الوحدات التي تدافع عنها وعن المطار القريب . وازاء هـذا التنظيم الدفاعي الذي تحمي طرق الاقتراب اليه حقول الالغام وكثبان الرمال من الاجنحة والذي تعززه بالنيران مدفعية الميـدان بعيدة المدى من عيار « ١٢٢ مم » وغيرهـا المحشودة بصورة مركزة في مؤخرة الموقع الدفاعي عند المفرق ، قرر « تال » ان يخرق الجبهة في « خان يونس » أولا حيث الدفاعات والقوات اضعف بصفة عامة وحيث تبعد المدفعية المصرية الرئيسية بأكثر من ١٦ كلم ويصعب عليها توجيه نيران قوية نظرا لوجود الكثافة السكانية الفلسطينية في « خان يونس » والقرى المحيطة بها ، ثم يندفع اللواء المـدرع الذي سيقوم بهذا الخرق بسرعة وبغض النظر عن الخسائر التي تلحق به وعن استمرار وجود جيوب مقاومة في مؤخرته باتجاه بلدة « رفح » ومحطة سكة حديدها زاحفا فوق الطريق المعبـد الرئيسي الذي قـدر أنه لن يكون ملغما نظـرا لان القوات المصرية والفلسطينية تستخدمه في حركة مركباتها وحركة المواصلات مع « غزة » و « العريش » فيهاجم البلدة من الشمال الشرقي ثم يتجه الى مفرق الطرق ويقتحمه زاحفا بسرعة نحو « الشيخ زويد » فيهاجمها ويواصل زحفـه حتى « ممر خروبه » حيث يناوش القوات المدافعة عنه فاذا شعـر بامكان التغلب عليها يقتحـم الممر ويزحف نحـو مشارف « العريش » ، أما اذا كان الموقع قويا صامدا فانه عليه ان ينتظر حتى الليل حيث سيقوم اللواء المدرع الاحتياطي بالهجوم ملتفا حول مؤخرة الموقع من الجنوب عبر كثبان الرمال الناعمة . وفي الوقت نفسه يقـوم لواء المظليين الميكانيكي بواسطـة كتيبتين من قوته تعززهما كتيبة دبابات « باتون » مستقلـة بالالتفاف حول الجنـاح الجنوبي للدفاعات المصرية الممتدة جنوب مفرق الطرق حتى كثبان « العجرة » ثم تتجـه قوة من المظليين للهجوم على خنادق المشاة من المؤخرة ويتجه قسم اخر منهم مع الدبابات لتدمير مواقـع المدفعية الميدانية المصرية الاساسية في المنطقة وتطوق الدفاعـات كلها وتلتقي بقوات اللواء المدرع المهاجم من الشمال عند بلـدة « كفرشـان » القريبة من طريق « رفح — العريش » .

هذا ويقوم لواء المشاة الميكانيكي التابع لمجموعة « تال » تعززه كتيبة من اللواء المظلي الميكانيكي بتطهير « خان يونس » بعد اقتحام اللواء المدرع الزاحف نحو « رفح » لها ، ثم يزحف اثر ذلك داخل قطاع « غزة » صوب المدينة نفسها من الجنوب ، لتصفية المقاومة فيها واحتلالها . تلك كانت المعالم الرئيسية لخطة « تال » في اختـراق الجبهة المصرية في قطاعها الشمالي . وقد وضع تكتيكه الهجومي على أساس دفـع الدبابات لخرق المواقع الدفاعية في اقتحام بالنيران والدروع يتم في هجوم نهـاري ودون تحضير كبير من المدفعية بينما تقوم الطائرات بضرب مواقع المدفعية المعادية من ارتفاع منخفض بالرشاشات والصواريخ . وهو تكتيك تدربت عليه المدرعات الاسرائيلية في منـاورات ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ حتى تعطى امكانية عملية لتحقيق أساليب الحرب الخاطفة وسرعة نقل المعركة الى أرض العدو ، وتخلى الجيش الاسرائيلي بشكل رئيسي عن تكتيك اقتحام المشاة للخطوط الدفاعية في هجوم ليلي يعقبه دفع المدرعات في العمق بعد ذلك، ولم يطبق هذا التكتيك سوى في اقتحام دفاعات « أبو عجيلة » بواسطة مجموعـة « شارون » مع استخدام « المظليين » في اسكات المدفعية بهجـوم مباغت على مؤخرتها يتـم فيه ابرازهم بواسطة طائرات الهليكوبتر ليلا ايضا ، وذلك لقوة وعمق الدفاعات هناك(١٤).

اقتحام دفاعات « خان يونس » : في الساعة الثامنة والربع من صباح ٥ يونيو ، وبعـد عودة طائرات الموجة الاولى المهاجمة للمطارات المصرية من عملياتها ، تحـرك اللواء المدرع المكلف بالهجوم على « خان يونس » بقيادة العقيد « شموئيل » ، وكان يضم كتيبة دبابات من طراز « باتون » وكتيبة دبابات « سنتوريون » ، وسرية استطلاع مـدرع مؤلفة من دبابات « باتون » وعربات نصف جنزير وسيارات « جيب » مسلحة ، (وقد سمي اللواء « س » في الكتابات الاسرائيلية والاجنبية) بادئا بذلك أول مرحلة من عملية

« المنديل الاحمر » أي عملية الهجوم البري على الجبهة المصرية التي كان مقررا الشروع فيها عقب ظهور بشائر نجاح عملية « الحمامة » (أي عملية الهجوم المفاجىء على القواعد الجوية المصرية) ، تحرك اللواء المدرع تتقدمه جماعة استطلاع في مقدمة كتيبة « الباتون » التي زحفت وراءها كتيبة « السنتوريون » كموجة ثانية للاقتحام المدرع نحو « الخط الاخضر » أي حدود وقف اطلاق النار هدنة ١٩٤٩ ، التي تبعد نحو ٦ كلم عن بلدة « خان يونس » نفسها ، ودون ان تطلق المدفعية الميدانية الاسرائيلية أية طلقة بعد على المواقع العربية . وبعد دقائق قليلة حلقت فوق الدبابات المتقدمة أسراب طائرات « الفوغا ماجستر »(١٥)وأجنحتها محملة بالصواريخ فيطريقها نحو مواقع المدفعية المصرية المتمركزة في مؤخرة المنطقة الدفاعية في «رفح» حتى تسكت نيرانها المتوقعة . وما أن اقتربت الدبابات من المواقع الفلسطينية حتى أخذت قنابل المدفعية تتساقط تجاهها وفي الوقت نفسه فتحت المدفعية الاسرائيلية نيرانها عليها ، ثم صبت المدافع المضادة للدبابات والبازوكا والرشاشات نيرانها على الدبابات والعربات نصف جنزير والجيب المهاجمة وكانت الساعة قد تخطت الثامنة والنصف بدقائق قليلة ، واصيب بعض العربات واشتعلت فيها النيران بينما اخذت الدبابات تزحف وراء بعضها متبعة علامات جنازير الدبابات الامامية لتتجنب الالغام ، واخذت تشق طريقها بصعوبة فوق أرض مليئة بالحفر المضادة للدبابات وداخل الازقة الضيقة لقرية « بني سهيل ».ويصف « شابتاي طيفيت » في كتابه « دبابات تموز » المقاومة هناك فيقول « لقد كان متفقا ان يلتقي طابورا دبابات « الباتون » عند محطة « خان يونس » ولكن كلما كانت الدبابات تزداد أقترابا من « بني سهيل » كانت تشتد مقاومة المصريين واصبح من الصعب فتح طريق للتقدم بالقوة . وعند مدخل « بني سهيل » قوبلت الدبابات بنيران عنيفة من الرشاشات والبنادق والمدافع المضادة للدبابات ، وقد أصيبت نتيجة ذلك عربة ضابط الاتصال الخاص بالمدفعية نصف المجنزرة من احد المواقع المحصنة واشتعلت فيها النيران القرمزية اللون وغطتها تماما »(١٦). وتوالت اصابات العربات نصف مجنزرة واصابات الدبابات ايضا التي اخذت تتجنب المناطق المحصنة وتخترق الازقة او تلتف عبر الحقول . وفي بلدة « خان يونس » نفسها ازدادت المقاومة شدة ، وشعر قائد اللواء المدرع « شموئيل » أنه قد حدث تقليل للقوة الدافعة عن « خان يونس » قبل المعركة ، فقد بلغ عدد الدبابات المصابة ستا من الكتيبة الامامية . ولذلك قرر تغييرا جزئيا للخطة الاصلية التفصيلية التي كان قد وضعها فبدلا من ان تستمر الكتيبة المدرعة الاخرى في السير جنوبي « خان يونس » لتشتبك مع دفاعات رفح من بعيد ، أمرها بأن تعدل خط سيرها وتهاجم « خان يونس » بالاشتراك مع كتيبة الدبابات الاولى المتورطة في القتال داخل أزقة البلدة . وازاء عنف المقاومة هذه طلب « جافيش » من « تال » ان يشرك لواءه المدرع الثاني الاحتياطي في القتال ولكن « تال » رأى عدم ضرورة ذلك الاجراء وأخذ يساند مدرعاته بنيران مدفعيته ، كما أمر « الفوغا ماجستر » بمعاودة الهجوم الجوي على مواقع المدفعية المصرية في « رفح » لانها عادت الى العمل مرة أخرى وأخذت تساند المدافعين عن « خان يونس » بنيرانها ونتيجة لهذه الاجراءات استطاعت الدبابات أن تواصل اختراقها لخان يونس وتنطلق صوب « رفح » و « أم كلب » على الطريق المعبد الخالي من الالغام . وتركت وحدة الاستطلاع التابعة للواء المدرع ومعها سرية مشاة ميكانيكية لتصفية المقاومة في « خان يونس » التي عادت واشتدت مرة أخرى حيث أخذ القناصة يطلقون النار على الجنود في العربات نصف جنزير وكذلك مدافع « البازوكا » والرشاشات ، وكذلك كان الحال في مرتفع « بني سهيل » الذي سبق اقتحامه .

القتال في القطاع الشمالي من دفاعات رفح : دخلت دبابات لواء « شموئيل » بلدة « رفح » نفسها بعد مقاومة بسيطة من نيران الاسلحة الصغيرة ثم تقدمت نحو محطة « رفح » على الطريق المعبد أو بجوار الخط الحديدي فاستولت عليها ، ومن هناك

اتجهت الى منطقة مفرق الطرق من الشمال تتقدمها وحدة استطلاع مكونة من دبابتين « باتون » و ٣ عربات نصف جنزير و ٤ عربات جيب مسلحة ، وعلى مبعدة ١٠٠ متر تقريبا من المفرق اطلقت النيران بشدة على هذه القوة من موقع جيد الاخفاء على مقربة من الطريق ثم انهالت قذائف مدفعية « رفح » الشهيرة التي لم تكن الطائرات قد نجحت في تدميرها تماما ، فاصيبت عربة نصف جنزير واخرى « جيب » فاندفعت دبابات الوحدة لمهاجمة الموقع حيث اصيبت احداها بلغم . ودار قتال عنيف مع الجنود المصريين داخل خنادق الموقع اسفر عن اصابة الدبابة الثانية ايضا ولم يتبق لدى هذه الوحدة في النهاية سوى عربة واحدة نصف جنزير و ٢ جيب ونصف رجالها ، وذلك كما يروى مؤلف كتاب « دبابات تموز » الاسرائيلي(١٧). وقد أسرعت بقية وحدات « شموئيل » بمهاجمة المواقع الدفاعية شمال مفرق الطرق وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة صباحا ودار قتال عنيف بين الدبابات الاسرائيلية والدفاعات المصرية التي كانت تتخندق فيها المدافع المضادة للدبابات والدبابات « ت ٣٤ » التي اخذت قذائفها تصيب دبابات «السنتوريون» القوية التدريع وتشعل فيها النيران ، وطوال هذا الوقت اخذت المدفعية تقصف الدبابات المهاجمة فقد كان جنود أطقم المدافع يبتعدون عن مدافعهم في الخنادق اثناء اغارة الطائرات الاسرائيلية ثم يعودون اليها مرة اخرى لمواصلة اطلاق نيران المدافع التي لم تصب في الاغارة . وتزايدت اصابات الدبابات من كلا النوعين « باتون » و « سنتوريون » التي اخذت تطلق نارها اثناء السير على دبابات « ت ٣٤ » ومدافع « س يو ١٠٠ » الثابتة داخل حفرها (مساندها) من مسافات قريبة فتدمر عددا منها ، وفي عديد من المرات كان جنود المشاة المصريون يتقدمون من الدبابات الاسرائيلية بمدافع « البازوكا » ويقذفونها عن قرب اثناء زحفها نحو خنادقهم الى حد أن اضطرت دبابة منها لقرب المسافة ان تسحق احدهم بجنازيرها قبل ان يصيب دبابة اخرى قريبة . وكان كثير من قادة الدبابات الاسرائيلية يوجهون حركتها ونيرانها من ابراج الدبابات المفتوحة فأخذت الرشاشات المصرية تقتل العديد منهم . ولذلك طلب « شموئيل » مساندة المدفعية التي صبت نيرانا غلالة امام حركة الدبابات التي اندفعت بسرعة عبر المواقع المصرية ودون ان تصفي مقاومتها على الطريق الاسفلت صوب « الشيخ زويد » التي وصلتها مسرعة مفاجئة القوات المدافعة عنها التي لم تكن تتوقع ظهور دبابات العدو أمامها بهذه السرعة ، وكانت النتيجة ان استولت على الموقع بعد مقاومة محدودة ، وواصلت سرية « سنتوريون » زحفها على الطريق حيث صادفت قافلة امداد مصرية متقدمة فاطلقت عليها النار ودمرت عرباتها وواصلت تقدمها حتى مداخل « ممر خروبة »، بينما كانت هناك سريتان اخريان تقفان في « الشيخ زويد » لتأمينها . وقد توقفت السرية المتقدمة وكان لديها ٧ دبابات « سنتوريون » ولذلك أمر قائدها بالتوقف لانه خشي قيام المصريين بهجوم مضاد يقضي عليه تماما وهو منعزل هكذا في مؤخرة الفرقة السابعة بعيدا عن حدود اسرائيل بـ ٤٠ كلم وبينه وبين العريش ٢٠ كلم اخرى ، وبقي ساعتين في انتظار وصول باقي الكتيبة .

اقتحام « ممر خروبة » : عندما توقفت الدبابات الاسرائيلية بعد احتلالها « الشيخ زويد » نزل قادتها للراحة قليلا فوجدوا أن ما من دبابة الا وبها اصابات مختلفة من نيران المدافعين ؛ ولم يكن الهجوم على « ممر خروبة » ضمن المهام المنوطة بلواء « شموئيل » المدرع اصلا كما سبق ان أوضحنا عند الحديث عن خطة « تال » في الهجوم ، الا أن « شموئيل » رأى ان يستغل سرعة التقدم في العمق الذي احرزه ولا ينتظر الهجوم الليلي بواسطة اللواء المدرع الاخر الموضوع في احتياطي الفرقة ، ولذلك طلب من «تال» ان يسمح له بمواصلة الهجوم صوب الممر للوصول الى « العريش » بسرعة . وقد سمح له « تال » بدفع كتيبة من دبابات « السنتوريون » لاقتحام الممر متى كان ذلك سهلاً ومع ارسال كتيبة « باتون » الى مفرق طرق « رفح » مرة اخرى لمعاونة قوات

المظليين التي تواجه مقاومة شديدة في القطاع الجنوبي من الدفاعات . وقد توجهت الكتيبة المذكورة الى هناك فعلا بينما قامت كتيبة « السنتوريون » بالزحف تجاه ممر « خروبة » الذي يطلق عليه الاسرائيليون اسم « ممر جيرادي » منذ عام ١٩٥٦ حين اصيب فيه لواء مدرع بقيادة بارليف بخسائر شديدة حين مر خلاله . وكانت الساعة قد تخطت الثانية والنصف ظهرا حين تحركت الكتيبة المدرعة المؤلفة من ١٧ دبابة « سنتوريون » و ٢ « باتون » لاختراق ممر « خروبة » الذي وصلته وهي سائرة في شكل رتل على الطريق الاسفلتي نفسه لاستحالة السير على جانبه تقريبا ، وقد انطلقت مسرعة داخلة الممر الذي تحيط به الدفاعات المصرية التي بوغتت بظهور الدبابات الاسرائيلية وهي تطلق النار بشدة على كلا الجانبين اثناء سيرها دون توقف وفقا لتكتيك الرمي الغزير اثناء المسير الذي يستخدمه الاسرائيليون في المدرعات والمشاة بغية ابطال نيران المدافعين ومنعهم من استخدام اسلحتهم ، فمرت فترة قصيرة دون ان ترد عليها ، ثم اخذت تطلق النار عليها فأصابت عربات وحدة الاستطلاع التي كانت تتبع الدبابات في حركتها السريعة كما اصابت دبابة من السرية الثانية ، فكان ان انسحبت وحدة الاستطلاع الى مدخل الممر حيث قبعت هناك بلا حركة بعد ان دمرت عربتان منها ودبابة، بينما واصلت بقية الدبابات سيرها السريع ووصلت الى خارج الممر وتوقفت عند مشارف « العريش » نظرا لحاجتها الى التزود بالوقود والذخيرة . وقامت القوة المصرية المدافعة عن الممر اثر ذلك بقفل الممر مرة اخرى واخذت تعيد تنظيم دفاعاتها عازلة بذلك كتيبة « السنتوريون » وراء الممر قرب « العريش » . ثم وصل قائد اللواء « شموئيل » بعد ساعتين حيث حذرته قوة الاستطلاع من محاولة عبور الممر لان المدافعين اعادوا تنظيم انفسهم مرة اخرى . وقد حاول « شموئيل » مهاجمة استحكامات المصريين بعد ذلك بحوالي نصف ساعة بدفع كتيبة دبابات « باتون » الى يسار الموقع اثناء مشاغلة باقي قواته لهذه الاستحكامات من الامام على الطريق ، الا ان هجوم « الباتون » فشل وحطمت عدة دبابات كما تعطل البعض الاخر نتيجة الالغام وقتل قائد الكتيبة بطلقة اطاحت برأسه وهو يطل من برج دبابته وكان يدعى « الماجور اهود » كما غاصت بقية الدبابات في الرمال الناعمة . وهنا وصلت الى مدخل الممر سرية دبابات « باتون » ضلت طريقها اثناء زحفها مع القوة التي كانت تهاجم جنوب « رفح » فأمرها قائد اللواء باقتحام الممر على الطريق نفسه بسرعة ، وتقدمت هذه السرية ودباباتها الامامية تنطلق بسرعة ٤٥ كلم/ساعة وهي تطلق النار ذات اليمين واليسار على مواقع المدافع المضادة للدبابات واستطاعت الوصول الى حيث كانت الكتيبة السنتوريون تقف عند مشارف « العريش » وليس لديها سوى ٧ دبابات كلها مصابة اصابات مختلفة اذ كانت هوائياتها محطمة وفتحاتها الصغيرة غير قائمة ولونها قاتم مسود موحل كما يصفها مؤلف كتاب « دبابات تموز »(١٨) وهي تدخل العريش مع الغروب . وعندما حاول قائد اللواء وبقية القوة الزحف داخل الممر وجدوه مقفلا مرة ثانية في وجوههم من جانب المدافعين الذين اصلوهم بالنيران ! فاضطر « شموئيل » الى الانسحاب الى حيث كان واتصل بقائده « تال » يشرح له الموقف ويطلب منه ارسال كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة له التي كانت لا تزال تقاتل في « رفح » لتطهر الدفاعات المصرية هناك ، الا ان « تال » خشي من ذلك التصرف لان المنطقة الدفاعية كانت لا تزال تعج بالمصريين ويحتمل ان يعيدوا تنظيم انفسهم ويقطعوا مواصلات الفرقة ويدمروا مناطق الشئون الادارية خاصة وأنه قد حدث أن تقدم مدفع « س يو ١٠٠ » من منطقة « الشيخ زويد » صوب مستشفى ميدان اسرائيلي أقيم في محطة قطار « رفح » وكاد يقضي عليها لولا تصادف وجود دبابة اسرائيلية « باتون » كانت تصلح من عطب اصابها اطلقت عليه النار في اخر لحظة وهي تسير لتلحق بوحدتها في المقدمة . وهذا يوضح لنا مدى اضطراب موقف فرقة « تال » وقتئذ . ولقد حاول تال الخروج من هذا الموقف العصيب بأن امر لواء الدبابات الاحتياطي

وكان مؤلفا من دبابات « ام اكس ١٣ » و « شيرمان » بأن يزحف صوب « ممر خروبة » ليهاجمه من الجنوب الا ان دبابات وعربات هذا اللواء نصف جنزير غاصت في الرمال الناعمة قرب المر وكاد وقودها ان ينفد فحاول جنود المشاة الميكانيكية ان يقطعوا المسافة المتبقية سيرا على الاقدام الا انهم تعبوا من السير في هذه الرمال وتعذر عليهم الاستمرار فعادوا ادراجهم مرة اخرى بعد أن كانوا قد قطعوا كيلو مترا واحدا ! وبقي هذا اللواء بلا حركة حتى الصباح . وعندما علم « تال » بذلك أمر بقطع تماس الكتيبة الميكانيكية التي تقاتل في دفاعات « رفح » مع المصريين وتحريكها نحو « ممر خروبة » فورا لانقاذ الموقف هناك وفتح الطريق للدبابات المعزولة وراءه والتي كانت بحاجة ملحة الى الوقود والذخيرة والاصلاحات . وكان هذا القرار مخاطرة من جانب « تال » لان اي اعادة تنظيم لبقية القوات المصرية التي كانت لا تزال في « رفح » كانت كفيلة باحداث آثار خطيرة على قواته المتقدمة اثناء هذه الليلة الحرجة ليلة ٥/٦ يونيو . وقد وصلت الكتيبة الى « ممر خروبة » بعد صعوبات شديدة في السير على الطريق الذي كان مزدحما بالعربات والدبابات المحترقة وبقوافل سيارات الامداد ، وعند منتصف الليل هاجمت الكتيبة القوات المدافعة عن المر تتقدمها الدبابات ثم ترجل الجنود المشاة من العربات نصف جنزير وهاجموا المواقع الدفاعية على ضوء القنابل المضيئة ، وبعد قتال عنيف استمر ٤ ساعات استولت القوة المهاجمة على المر وبقيت رابضة فيه لضمان استمرار فتحه للقوات المتقدمة . وفي الرابعة صباحا وصلت امدادات الوقود الى الدبابات المنعزلة عند مشارف العريش والتي كان قائدها يخشى قيام القوات المصرية بهجوم مضاد على قواته المفتقرة الى الوقود والذخيرة الكافية طوال هذا الوقت . وفي السادسة صباحا استولت قوة من ٧ دبابات باتون على مطار « العريش » وقبل ذلك وصلت جماعة « تال » القيادية الى مدخل المدينة حوالي الرابعة والنصف من صباح الثلاثاء ٦ يونيو بعد ان حققت اختراقها المطلوب في عمق خطوط دفاع الفرقة السابعة مشاة التي قتل قائدها اثناء القتال عند « الشيخ زويد » وهو اللواء « عبد العزيز سليمان »(١٩).

القتال عند النطاق الجنوبي لدفاعات رفح : اثناء العمليات السابق عرضها والتي كان يقوم بها لواء « شموئيل » المدرع ، كانت القوات المكلفة بالالتفاف حول الدفاعات المصرية جنوب مفرق طرق « رفح » عند كثبان « العجرة » تخوض غمار قتال عنيف للغاية . فقد اجتازت قوة المظليين الميكانيكية الحدود في حوالي التاسعة صباحا من نقطة تبعد عن مستعمرة « كرم شالوم » ٦ كلم الى الجنوب ، وقد اصطدمت بمقاومة شديدة من نيران اللواء المصري المتخندق هناك أدت الى قتل قائد احدى سرايا دبابات الباتون المتقدمة امام زحف المظليين وتدمير بعض دباباتها ، واضطرب زحف السرية ثم اندفعت الى مجنبة الدفاعات حيث اشتبكت مع الدبابات المصرية من طراز « ستالين ٣ » وانفصلت عن كتيبة المظليين التي زحفت شمالا على الطريق القديم للعوجه نحو المفرق تهاجم المواقع المصرية من الخلف ، بينما اندفعت سرية « باتون » اخرى صوب الطريق العام على اساس أنها ستصل الى بلدة « كفرشان » لتهاجم المدفعية المصرية هناك والمدرعات الا أنها ضلت الطريق ووصلت الى « الشيخ زويد » وانقطع اتصالها اللاسلكي مع الكتيبة المدرعة (وهذه السرية هي التي عثر عليها « شموئيل » عند ممر خروبه بعد ذلك واستخدمها في الهجوم الثاني لفتح المر المذكور) . وهكذا عملت كتائب المظليين دون حماية الدبابات فوقعت تحت نيران المدفعية والهاونات المصرية وفقدت احدى سراياها ١٢ عربة نصف جنزير من عرباتها الـ ١٤ ، وفقدت سرية اخرى جميع عرباتها واضطرت للسير على الاقدام ، وخسرت سرية ثالثة ٩ عربات نصف جنزير من مجموع عرباتها الـ ١٥(٢٠)! وهكذا تحرج موقف اللواء المهاجم ولذلك طلب « تال » من « شموئيل » ارسال كتيبة مدرعة لنجدة هذه القوات كما سبق ان أوضحنا . ودار قتال شديد طوال اليوم تداخلت فيه القوات مع بعضها وتحرجت مراكز عديد من وحدات

العدو المدرعة والميكانيكية خلاله كثيرا ، خاصة موقف سرية الدبابات التي انعزلت عن كتيبة المظليين اذ حوصرت تقريبا من جانب بعض الدبابات المصرية «ستالين ٣» . ولم يتبق لديها سوى ٥ دبابات صالحة للقتال انخفض عددها الى ٤ دبابات بعد اشتعال النار في دبابة اخرى ولكن الدبابات الثقيلة كانت بطيئة المناورة فلم تكمل تطويقها لسرية دبابات العدو فنجت من الموقف الذي كانت فيه . ولولا ان انتهت المعركة التي كانت تدور عند « كفرشان » بسرعة في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريبا لبقيت قوات المظليين وبعض الدبابات التي كانت معها محاصرة خلف المواقع المصرية ، اذ ان القوة المدرعة التي كانت قد انفصلت عن المظليين عادت بعد انتهاء مقاومة هذا الموقع وهاجمت الدفاعات كلها في الثالثة والنصف بعد الظهر حتى حوالي السابعة والنصف مساء حيث انتهت المقاومة المنظمة جنوب مفرق الطرق . ويرجع السبب في فشل الدفاع المصري في الاستفادة من سوء موقف القوات المهاجمة الى استخدام الدبابات معظم الوقت من داخل الحفر وعندما كانت تتحرك لم تكن تتحرك بالسرعة المطلوبة في المناورة وكان تحركها يتم بصورة جزئية دون تجميع قواتها الامر الذي أتاح للدبابات الاسرائيلية فرصة مواجهتها على مراحل والقضاء عليها بنيرانها .

المعركة في ((غزة)) : بعد أن تحرك لواء « شموئيل » المدرع من منطقة « خان يونس » ليواصل اختراقه لدفاعات « رفح » دخلت «خان يونس» كتيبة مشاة ميكانيكية لتطهيرها ولكن المقاومة العربية التي أعيد تنظيمها حالت بينها وبين ذلك وبقي قلب البلدة وضواحيها في أيدي القوات الفلسطينية ، ولذلك قامت بقية القوة الاسرائيلية المعهود اليها احتلال قطاع « غزة » (وهي لواء المشاة الميكانيكي المعزز بكتيبة مظليين وكتيبة دبابات « شيرمان ») بتجنب « خان يونس » وزحفت حولها نحو الشمال حيث أخذت تلاقي مقاومة متزايدة من شبكة معقدة من المواقع الدفاعية قرب « دير البلح » وبعدها على الطريق الى « غزة » نفسها ، في هذا الوقت كانت كتيبة مشاة اخرى تهاجم « تل علي المنطار » المشرف على مدينة « غزة » الا انها اوقفت عن التقدم هناك ، فقامت كتيبة المظليين ودبابات « الشيرمان » بالتحرك نحو الشرق للهجوم على هذا « التل » ذي الموقع الحاكم . وبعد قتال عنيف استطاعت هذه القوة ان تحتله بعد مباغتة القوة المدافعة عنه من الخلف. الا ان المدينة لم تسقط خلال الليل واستمرت المقاومة الشديدة، وفي الصباح اخذت المدفعية الاسرائيلية تقصف جميع المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة بآلاف القنابل وبعد توقف القصف قال رجال المدفعية انهم « وحدهم قد استخدموا ذخيرة اكثر مما استخدم طوال الحروب السابقة ضد العرب من الذخيرة »(٢١) كما يروي الكاتب الاسرائيلي « دافيد ديان » في كتابه « اضرب اولا » ، والذي يصف تفاصيل كثيرة عديدة عن عنف وخطورة مقاومة القوات الفلسطينية للقوات الاسرائيلية المهاجمة للقطاع ، فهو يقول مثلا « لقد كان جنود الفرقة الفلسطينية الذين دافعوا عن النقاط الدفاعية القوية لمدينة غزة وضواحيها خصوما صلبي العود . عندما اقتحمت الدبابات « خان يونس » واطلقت نيرانها على طول مواقعها الدفاعية ، توقفت المقاومة في البلدة. ولكن بمجرد ان مرت الدبابات وقبل ان تصل المشاة الاسرائيلية ، عاد الفلسطينيون الى خنادقهم وبثوا الالغام بسرعة في الطوق وخارج الدفاعات . لقد قاوم الفلسطينيون بعناد بالرغم من عدم تفوقهم عسكريا ... ان قتال الوحدات الفلسطينية يستحق الاحترام والتقدير فأن كل موقع كنا نقتحمه كانوا يعيدون تلغيمه بسرعة على نحو اشد مما كان عليه قبل اختراقه . وقد حدث هذا في المدن وفي كل مكان قاتلناهم فيه . انهم لم يكونوا يلقون بسلاحهم ولا يتوقفون عن القتال حتى يدمروا بشكل كامل »(٢١)! كما يروي ان « خان يونس » عرضت التسليم ثم استقبلت القوات التي دخلتها بالنيران مرة اخرى فكان أن قصفت بعنف طوال صباح الاربعاء ٧ يونيو ثم طهرها المظليون بعنف بعد ذلك . وقد استسلمت « غزة » رسميا في الثانية عشرة وخمس واربعين دقيقة ظهر الاربعاء ٧

يونيو وتوقفت المقاومة فيها . ولم يعلن العدو عن خسائره في « غزة » ولكن الواضح وخاصة من كتاب « دافيد ديان » هذا ان الخسائر كانت باهظة في الافراد والعربات نصف جنزير والدبابات والتي كثيرا ما وقعت في كمائن مدفعية وبازوكا الخ .

الدروس المستفادة من معارك « رفح ـ غزة » : يعلق الكاتبان « دافيد كمشي » و « دان باولي » في كتابهما « حرب الايام الستة » على معارك اليوم الاول في القطاع الشمالي من الجبهة المصرية فيقولان « لم تكن المعركة بأي حال من الاحوال ذلك الانتصار السهل الذي يتصوره الكثيرون . فلقد قاتل المصريون بشكل كله عزم وتصميم على القتال . وقاموا خلال اليوم بتجميع قواهم واعادة تنظيم خطوطهم . ولقد احتلت « رفح » ومواقع محصنة اخرى واعيد احتلالها مرتين واحيانا ثلاث مرات في قتال نهاري شاق . وقد قام احد مؤلفي هذا الكتاب بدخول المدينة اثناء زحف اللواء المدرع ووجدها كمصيدة موت، اذ كان القناصة المصريون يطلقون النار على الجنود الاسرائيليين، بينما يواصل جنود آخرون المقاومة الشرسة ، رغم ان المدينة كانت قد سقطت في أيدي الاسرائيليين منذ ساعات مضت » (٢٢) . فاذا ما وضعنا هذا التعليق مع ما سبقه من تعليقات اخرى قالها « دافيد ديان » وكثيرون غيره من الكتاب وقادة العدو نفسه عن صلابة المقاتلين المصريين والفلسطينيين في عديد من المواقف والمواقع وما تبرزه احداث « خان يونس » و « غزة » و « رفح » و « ممر خروبة » نفسها من صلاحية الجنود العرب للقتال والصمود بشجاعة في حدود الطاقة الانسانية ، يشتد في ذهننا سؤال : لماذا كان الفشل في صد الهجوم الاسرائيلي ؟ لماذا لم تسفر كل هذه المواقف الصلبة عن صد زحف « تال » ومنع اختراقه او تدمير قواته بعد ذلك الخ لماذا ؟ ! ونحن بطبيعة الحال لن نتطرق في محاولة الاجابة على هذا التساؤل الى تحليل كافة أسباب الفشل العسكري العربي في حرب ١٩٦٧ ، لان ذلك يخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة المحددة لبعض معارك هذه الحرب . وانما سنقتصر تحليلنا لاسباب الفشل في صد الاختراق الاسرائيلي في القطاع الشمالي من الجبهة المصرية كما أوضحته خبرات المعارك التي قدمنا لها عرضا سريعا موجزا فيما سبق ، ودون تطرق لتأثير صدور الامر العام للانسحاب من « سيناء » على الموقف العسكري الذي تلا الاحداث التي تعرضنا لها ، نظرا لان الامر لم تصدره القيادة العليا للقوات المصرية الا بعد مضي نحو ٣٠ ساعة من بدء القتال ، أي بعد أن كانت دفاعات الفرقة السابعة قد اخترقت وسقطت « العريش » وكانت « غزة » محاصرة وعلى وشك ان تبدأ المعركة فيها ، ومن ثم لم يكن لهذا الامر صلة مباشرة بالجزء الذي تعرضنا له من المعارك على الجبهة المصرية . ويمكن لنا أن نوجز هذه الاسباب العسكرية التكتيكية في النقاط التالية :

- جمود التكتيك الدفاعي الثابت : تبالغ الكتابات الاجنبية نقلا عن المصادر العسكرية الاسرائيلية في تصوير قوة ومناعة استحكامات المواقع الدفاعية في « رفح » ، « خان يونس » ، « غزة » ـ كما بالغت في تصوير قوة الدفاعات في « ابو عجيلة » وفي مرتفعات الجولان ايضا ـ وذلك لاضفاء هالة ضخمة من المجد على الجيش الاسرائيلي الذي اخترق مثل هذه الدفاعات في ساعات قليلة وتصويره كقوة عسكرية لا تقهر مثلما كانت الدعاية النازية تصور به الجيش الالماني الهتلري . وتكرر الكتابات الاسرائيلية فكرة كاذبة عن قوة هذه الدفاعات فتقول عادة انها قد اعدت على مدى عشرين عاما تقريبا اي منذ عام ١٩٤٨ ، او منذ عشر سنوات في حالات اخرى ، متناسية في الحالة الاولى ان الجيش الاسرائيلي احتل سيناء عام ١٩٥٦ وأزال اي استحكامات كانت موجودة قبل ذلك ! وانه في الحالة الثانية كانت ظروف ما بعد عدوان ١٩٥٦ ووجود قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصري من الحدود وحساسية اي تحركات او استعدادات عسكرية كان يمكن أن تتم هناك ، ادت في الواقع الى عدم تحصين دفاعات الحدود بالمعنى الذي تعنيه كلمة تحصين . ولذلك كانت معظم هذه الدفاعات من النوع الميداني العادي الذي

تقيمه الجيوش في أي ميدان قتال تتوقف فيه حركة المد والجزر مؤقتا ، وأنها لذلك لم تكن بالقوة التي وصفت بها والتي كادت ان تقترب بها الدعاية الاسرائيلية من صورة قريبة من تحصينات خط « ماجينو » . وان الكتابات المصرية القليلة عن هذا الموضوع توضح هذه الحقيقة الى حد ما ، اذ يتضح منها ان الفكرة السابقة لحرب ١٩٦٧ بفترة طويلة نسبيا كانت تتركز في محاولة انشاء شبه خط دفاعي على مبعدة نحو ٣٨كلم داخل الحدود ، أي عند بداية « ممر خروبة » تقريبا في الشمال ، كما أن عدم اتضاح الاستراتيجية العليا السياسية والعسكرية وترددها بين مجموعة مختلفة من الاهداف العامة المرجوة من حشد القوات في سيناء عقب قرارها السياسي في ١٣ مايو ١٩٦٧ كان له أثره في سرعة ومدى قوة الاستحكامات المذكورة ، أدى الى كثرة تعديل وتبديل المهام الرئيسية الموكل تنفيذها للفرقة السابعة من استعداد للدفاع ثم التحول للهجوم ، الى الاستعداد لعملية هجومية محددة ، ثم الى الاستعداد مرة أخرى للدفاع والاعداد لهجوم مضاد ! وذلك كما ورد في مقال « اسرار معركة رفح » الذي نشر بعد عام من انتهاء الحرب في صحيفة مصرية ، والذي جاء فيه أيضا أن « هذا التناقض في الاوامر التي صدرت الى الفرقة قد أثر في درجة اتزان دفاعات الفرقة . كما أدى ضيق الوقت لها الى عدم اتقان الاستحكامات وتجهيز الدفاعات ، فلم تصل الى الدرجة المطلوبة من القوة والكمال »(٢٣). وعلى أي حال وايا كانت قوة المواقع الدفاعية فقد قاتلت القوات العربية قتالا عنيدا شجاعا في معظم المواقع ، خاصة حين كان يتوفر لها قدر من الانذار باقتراب العدو من مواقعها . ولكن فاعلية هذا الصمود كانت ستؤتي نتائج افضل بكثير لو أنه تحقق تعاون منظم فعال بين المواقع التي قاتلت شبه منعزلة عن بعضها غير موحدة الجهد ، وكانت صورة التعاون الوحيدة بين المواقع هي نيران مدفعية الفرقة التي كانت متمركزة في مؤخرة الموقع الدفاعي الواقع جنوب مفرق طرق « رفح » ، الا أن المدفعية المذكورة تعرضت بصورة شبه دائمة للقصف الجوي الذي حد من فاعلية دورها ثم شلها في النهاية. هذا فضلا عن أن الدبابات التي كانت ملحقة بالفرقة السابعة قد بعثرت على مختلف المواقع ووضعت داخل حفر لتدخل ضمن الاسلحة المضادة للدروع الموجودة في المواقع ، وذلك فيما عدا موقع جنوب المفرق حيث كان هناك نوع من تجميع الدبابات — وكان معظمها من طراز « ستالين ٣ » — ولكنها أيضا كانت داخل خنادقها ولم تستعمل متحركة الا قليلا وبدون حشد كاف لقوتها او تنظيم فعال لهجمات مضادة تكتيكية .

وبذلك فقدت الفرقة أبرز ميزة كان يمكن ان يوفرها لها تواجد اكثر من ١٠٠ دبابة معها ضمن قوتها . ذلك لان الدبابات المتخندقة التي كانت تخفيها شباك التمويه الموزعة على المواقع كانت مواقعها تحدد بعد اطلاقها القذائف الاولى على المدرعات المهاجمة ، مما كان يؤدي الى تطويقها واطلاق النار عليها من دبابات العدو التي لم تصب في الصليات الاولى من المؤخرة .

وكانت النتيجة ان اتسم التنظيم الدفاعي الثابت بجمود شديد حال دون فاعليته في مواجهة تكتيكات حرب الحركة الخاطفة التي طبقتها مدرعات العدو .

● اهمية سرعة المبادرة في الدفاع : لقد أثبتت خبرات « رفح » القتالية عام ١٩٦٧ أن سرعة المبادرة مطلوبة في القتال الدفاعي الثابت مثلما هي مطلوبة في القتال الهجومي المتحرك ، وان من الضروري للغاية تدريب القادة على مختلف المستويات ابتداء من قائد الفرقة واللواء الى قادة الكتائب والسرايا والفصائل بل الجماعات ايضا عن سرعة المبادرة والتصرف المضاد على ضوء تطورات القتال العملي الجارية دون الرجوع في كل أمر الى المستويات العليا في حدود الخطة الدفاعية العامة الموضوعة .

فمثلا بعد أن اخترقت دبابات لواء « شموئيل » المدرع « خان يونس » وأسرعت الى

« رفح » من الشمال الشرقي عبر الطريق الاسفلت غير الملغم كان يجب على المدفعية ان توجه نيرانا عنيفة لتدمير الطريق ، وكان يجب على قائد اية وحدة قـريبة من هذا الاتجاه ان يسعى لتدمير الطريق او نسفه وتلغيمه او وضع اي موانع كانت تعطل اندفاع الدبابات . ولكن الذي حدث باستثناء بعض قصفات المدفعية المتقطعة بسبب القصف الجوي ان المدافعين كمنوا فيمواقعهم حتى اقتربت وحداتاستطلاع اللواء المدرع الاسرائيلي من مفرق الطرق ثم فتحوا عليها النيران . وتكررت الظاهرة نفسها في « ممر خروبة » اذ لم يتم نسف الطريق او تلغيمه رغم اختراق الدبابات الاسرائيلية للطريق في المرة الاولى .

لقد أثبت المدافعون وقادتهم في معركة « ممر خروبة » التي اشاد بها كتاب العدو ، انهم يتمتعون بشجاعة وثبات اعصاب حين اقفلوا الممر اثر كل مرة كانت تخترقه فيها المدرعات الاسرائيلية بالصدمة والنيران ، وقدموا أنموذجا سليما من حيث الجوهر في التكتيك الدفاعي للمواقع الثابتة ازاء تكتيكات الحرب الخاطفة التي طبقتها مدرعات العدو الا ان هذا التكتيك كان ينقصه توفر الروح الهجومية المدعمة للدفاع ، اذ كان من الضروري مهاجمة الدبابات من المؤخرة بعد اجتيازها الممر على الاقل أثناء الليل وهي تقف على مشارف « العريش » تعاني مشكلات نقص الوقود والذخيرة . هذا فضلا عن ضرورة القيام بتدمير الطريق وتلغيمه ، ومحاولة مهاجمة القوات الموجودة امام الممر ولو بهجمات ليلية بواسطة المشاة والمدفعية .

وبطبيعة الامر فلقد كان على القوات الموجودة في « العريش » نفسها القيام بمثل هذه الهجمات المضادة خاصة اثناء الليل ضد المدرعات الاسرائيلية الرابضة على مشارف المدينة والمطار الحربي الموجود على مقربة منها . ان الروح الهجومية وسرعة المبادرة كانتا كفيلتين باعطاء الدفاع الثابت طابعا أكثر ايجابية ، وكانتا ستؤديان الى تكبيد العدو خسائر أفدح مما أوقع به فعلا ، كما أنها كانت ستطيل أمد المعركة ، الامر الذي كان سيؤثر كثيرا على استراتيجية الحرب الخاطفة التي يلعب الوقت فيها عنصرا هاما للغاية ، لان العدو الاسرائيلي كان يريد انهاء القتال بسرعة نظرا لان هامش حرية العمل العسكري المتاح له باعتباره معتديا كان محدودا بالضرورة وفقا لمقاييس مناورة الخرق السريع للارض والاهداف التي يريد تحقيقها .

هذا وقد كشفت خبرات معارك «رفح — ممر خروبة» اهمية توفير نظام متكامل للمراقبة والاستطلاع والانذار والاتصال بين المواقع الدفاعية وبعضها وبينها وبين قيادتها قادر على العمل في مختلف ظروف القتال السريع الحركة، وظروف تعطل الاتصال اللاسلكي . وذلك حتى تكون المواقع والقيادة متابعة بسرعة ودقة لحركة القتال وتطوراته السريعة، وبالتالي تكون اكثر قدرة على المبادرة واكثر ايجابية في الرد . وباختصار كان على القوات المدافعة وقياداتها ان تكون اكثر ادراكا لطابع الايقاع السريع للحرب المتحركة الميكانيكية .

● اهمية تأمين القاعدة الادارية في «العريش» : تقول معظم الكتابات العسكرية الاجنبية أنه كانت هناك خطة للاستيلاء على « العريش » بعملية ابرار جوي ، وان هذه العملية قد عدل عنها لعدم ضرورتها بعد اختراق المدرعات لممر خروبة في وقت اسرع مما كان مقدرا من قبل . وأيا كانت صحة هذه الخطة فانها تعكس مدى اهتمام القيادة الاسرائيلية بسرعة الاستيلاء على القاعدة الادارية الكبرى في سيناء وهي « العريش » عاصمة هذه المحافظة الهامة ، وحيث تتركز الكثافة السكانية الاساسية وأكبر مصادر المياه الجوفية والمناطق المزروعة والنخيل ، وحيث يمر الخط الحديدي والطريق الرئيسي الذي يربط القنطرة برفح و« غزة » ، ومن ثم كان يجب في تقديرنا اقامة نطاق دفاعي قوي كامل حول المدينة يدخل في اطاره المطار ايضا، نطاق دفاعي قادر على مواجهة الهجمات

البرية والجوية واي محاولة للاقتحام الراسي من الجو او الانــزال البحــري ، وتحمل مرحلة زمنية ليست قصيرة من الحصار الكامل ، وبحيث تؤمن له حامية دائمة تضــم اسلحة المشاة والمدفعية م/د ، م/ط والمدفعية الساحلية التي تدعمها دفاعات ساحلية (كانت توجد فعلا بطارية ساحلية هناك) وبعض المدرعات التي تستطيع ان تلعب دور الاحتياطي المتحرك لمساندة الدفاع او لشن هجمات مضادة خارج الاطار الدفاعي وفقا لخطة العمليات الشاملة في شبه الجزيرة ككل . أن مثل هذا التأمين الفعال لقاعدة « العريش » كان ضرورة حيوية للدفاع عن شمال سيناء ومساندة الدفاع عن قطــاع « رفح ــ غزة » ، وهو ضرورة استراتيجية أيا كانت الاستراتيجية العسكرية العــامة هجومية كانت او دفاعية .

● سلبية الدور الدفاعي المسند لقطاع « غزة » : لقد كان قطاع « غزة » يمثل امتدادا جغرافيا وسكانيا له اهميته الاستراتيجية داخل الارض المحتلة من فلسطين يهدد جناح الجبهة الجنوبية للجيش الاسرائيلي الايمن تهديدا خطيرا . وكان من الممكن لو استثمرت كثافته البشرية الشديدة الحماس لمقاتلة العدو الصهيوني وأهمية موقعه الجغرافي ــ الاستراتيجي كنتوء ممتد بعمق داخل الارض المحتلة ، أن يلعب دورا بالغ الاهمية في تقرير نتيجة المعارك التي تدور في « سيناء » خاصة في حالة صمود «العريش» و«رفح» و« خان يونس » أو أي منها ، بحكم انه كان سيشغل جانبا له اهميته مــن القوات الاسرائيلية ويهدد مواصلات العدو المتجهة الى جبهة سيناء ، في حالة قيام القــوات الموجودة فيه بهجمات مضادة قوية في اتجاه « بير سبع » او « العوجة » مثلا . وكان هذا يتطلب مستوى ارفع كما وكيفا في تسليح القوات الفلسطينية النظامية والشعبية الموجودة فيه ، يتضمن قدرا معقولا من المدفعية بمختلف انواعها مــن ميدان ، م/د ، وم/ط ومدفعية ساحلية ، ومن الدبابات الحديثة (ت ــ ٥٤ مثلا) بكمية لا تقل عن لواء مدرع متكامل الوحدات . وفي ظل هذه الظروف كان القطاع الشمالي للجبهة المصرية غالبا ما سيصمد أمام ضربات العدو ، وبالتالي كان الهجوم على المحور الاوسط ستخف حدته ويمكن تركيز القوى ضده . لانه سيصبح من المجازفة الخطيرة بالنسبة للعدو أن يدفع مدرعاته وسط « سيناء » ومؤخرته مهددة من الشمال على هذا النحو . وفي هذا الاطار الاستراتيجي كان يمكن «للعريش» و«غزة» ان تكونا قنفذا دفاعيا متحركا يهدد مجنبة القوات المعادية المتقدمة ومؤخراتها . وان تلعبا معا وفي وقت واحد متناسق الاداء دور « طبرق » في عام ١٩٤١ ضد جيوش « روميل » التي كانت تهدد حدود مصر الغربية وقتئذ . اذ صمدت حامية المدينة لحصار ثمانية شهور كاملة فحرمت قوات المحور من قاعدة ادارية ضرورية ولازمة ومثلت خطرا لا يمكن تجاهله منذ وضع خطة الاندفاع الى داخل الاراضي المصرية . وبطبيعة الحــال فان مقارنة موقف وتأثير صمود كــل من « العريش » و « غزة » بصمود « طبرق » ليست مقارنة حرفية نظرا لوجود قواعــد ادارية للعدو في « بير سبع » وغيرها وامكانية امتداد الجبهة كثيرا الى الجنوب منهما ، الا انه كان بوسع صمود وايجابية دفاع كل من المدينتين أن يعطيا آثارهما الحتميــة على مجرى عمليات الحرب الخاطفة الاسرائيلية من حيث سرعة التنفيذ وتركيز القوى. وفي هذه الحدود كان دورهما سيتشابه مع دور « طبرق » في الصحراء الغربية عــام ١٩٤١ ، ودور « سباستبول » في شبه جزيرة القرم عام ١٩٤٢ .

وبعد لقد قدمت الجندية العربية والجماهير الشعبية العربية في قطاع غزة آلاف الشهداء في معارك « رفح » ، « خــان يونس » و « العريش » وكتبت بالدم صفحــات فخار في تاريخ النضال الوطني الثوري ، وهي وان كانت لم تؤد الى النتائج التي كانت تستحقها لانها كانت نجاحات تكتيكية محلية وسط فشل استراتيجي عام ، فانها زودت مستقبــل الصراع المسلح الثوري ضد الصهيونية والامبريالية بخبرات ودروس هــامة جديرة

بالدراسة والاستيعاب ، وهي وغيرها من التضحيات والخبرات تمثل مشاعل مضيئة على الطريق الطويل نحو التحرير .

---

١ — هذه البيانات مستمدة اساسا من المراجع التالية :

Safran, Nadav. *From War To War* New York; Pegasus, 1969, p. 234-36.

العميد الركن حسن مصطفى ، **حرب حزيران ١٩٦٧** ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحات ٩٤ ، ٩٦ .

٢ — تفاصيل تشكيل الفرق المصرية مستمدة من المراجع الاجنبية لا من مصادر مصرية رسمية لان وثائق هذه المرحلة لم تنشر حتى الان . ولذلك قد تكون التفاصيل غير منطبقة بدقة على الواقع نفسه الذي تحدده الوثائق الرسمية .

٣ — O'Ballance, Edgar, *The Third Arab-Israeli War*, London, Faber And Faber, 1972, p. 100.

٤ — نداف صفران ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٤.

٥ — *Military Review*, November 1971, p. 47.

٦ — ويقول صفران في الوقت نفسه انها قد حشدت عشية بدء القتال في ٥ يونيو ١٩٦٧ ثلاثة الوية مدرعة بالاضافة الى مجموعة او اثنتين مدرعتين في الجبهة الاردنية ومعها لواء مظلي و ٥ الوية مشاة من الصف الاول و ٤ — ٥ الوية مدفعية . وانها حشدت امام الجبهة السورية وقتئذ وقبل الهجوم الفعلي على الجولان لواء مدرعا ولواء مشاة صف أول ولوائين مدفعية . وان اجمالي القوة الاسرائيلية امام الجبهة الاردنية كان ٥٠ الف جندي و ٣٥٠ دبابة ، وامام الجبهة السورية ٢٥ الف جندي و ١٠٠ دبابة .

٧ — نداف صفران ، **المصدر السابق** ، ص ٣٣١ و ٣٣٧ .

٨ — Marshall. Brigadier General, *Swift Sword*, American Heritage Publ. 1967, p. 138.

٩ — ادجار اوبلانس ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ .

١٠ — **المرجع السابق** ، ص ١٠١ .

١١ — **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ ، هامش ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

١٢ — مصطفى ، حسن ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٢ و ١٢٢ .

١٣ — **المرجع السابق** ، ص ١٢٣ .

١٤ — Teveth. Shabtai, *The Tanks of Tammuz*, London, Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 51, 115.

١٥ — طائرات « الفوغا ماجستر » هي اصلا طائرات تدريب نفاثة من طراز فرنسي تقوم اسرائيل بتصنيعها محليا تحت اشراف المصنع الفرنسي ويمكن استخدامها في المعاونة الارضية المباشرة في حالة عدم وجود مقاتلات معادية ، وهي مسلحة برشاشين ٧٫٥ مم ويمكن تحميلها ببعض الصواريخ العادية جو — ارض او قنابل خفيفة . واقصى سرعة لها على ارتفاع ٣٠ الف قدم نحو ٤٥٠ ميل/ساعة ويصل مدى عملها الى نحو ٦٠٠ ميل في حالة تزودها بخزانات وقود اضافية . وكان يوجد منها لدى اسرائيل ٦٠ طائرة وقد وضع بعضها تحت قيادة « تال » مباشرة .

١٦ — **المصدر** نفسه ، ص ١٣٥ و ١٤١ .

١٧ — **المرجع السابق** ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٣ .

١٨ — **المرجع السابق** ، ص ١٦٦ .

١٩ — مصطفى ، حسن ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٣ .

٢٠ — **المرجع السابق** ، ص ١٤٨ .

٢١ — Dayan. David, *Strike First*, New-York, Pitman, 1967, p. 73, 74, 77, 79, 80.

٢٢ — David Kimche and Dan Bawly, *The Six - Day War*, New York, Stein And Day, 1971, p. 182.

٢٣ — عبيدة ، فاروق « الجمهورية تكشف اسرار معركة رفح » ، القاهرة ، جريدة **الجمهورية** في ١٩ يونيو ١٩٦٨ .

كيف فهمت اسرائيل المقاومة الفلسطينية قبل ٥ حزيران ؟

وليد نويهض

في ليل ١٩٦٤/١٢/٣١ قامت منظمة فتح بأول عملية عسكرية لها داخل الاراضي المحتلة ، وأعلنت ذلك في بلاغ صدر يوم الجمعة أول كانون الثاني من العام ١٩٦٥ . وفي نفس اليوم اذاع شمعون بيريس بيانا نيابة عن ليفي اشكول رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورد فيه : بأن اسرائيل تقوم بتحسين خط دفاعها العسكري وندد بالاعمال التخريبية . وتبعه الميجر جنرال اسحق رابين رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلي فقدم تقريرا عن الوضع الامني الى مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي انعقد في ٢ كانون الثاني . وتلاه ليفي اشكول في بيان القاه في الكنيست يوم الاربعاء ٦ كانون الثاني قاله فيه : ان اسرائيل لن تتحمل ازدياد تدهور الوضع على حدودها مع سوريا والاردن . ويوم الثلاثاء في ١٢ كانون الثاني صدر البلاغ الثاني عن قوات العاصفة حول عمليات جديدة لها في الاراضي المحتلة . فاعاد الميجر جنرال اسحق رابين الكرة واعلن بان : اسرائيل ستعمد بالقوة لمواجهة مشروعات التحويل العربية ، وهدد بان الاحداث الموسمية مع سوريا ستؤدي الى اشتعال « نيران اكبر »(١) .

وكرت أعمال المقاومة الفلسطينية في عمق الاراضي المحتلة ، بالرغم من التهويل الصهيوني والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ، والاعتداءات المضادة ضد المقاومة وعمليات الانتقام ضد الجماهير العربية في فلسطين المحتلة ، اذ قامت قوات العاصفة (فتح) طيلة عام ١٩٦٥ ، بـ ٧ عمليات في كانون الثاني و ٤ في شباط و ٩ في اذار و ٣ في نيسان و١٢ في ايار . وتصاعدت العمليات العسكرية في شهر حزيران فوصلت الى ٢٠ عملية(٢) . وتابعت العاصفة اعمالها العسكرية فقامت في شهر تموز من نفس السنة ، بـ ١٢ عملية و ٥ في اب و ١٦ في ايلول و ٧ في تشرين الاول و ٩ في تشرين الثاني و ٦ في كانون الاول . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد اجتمعت في ٣ تشرين الاول لبحث أعمال العاصفة ، واجراءات الامن الخاصة ، والجهود الدبلوماسية التي اعتمدتها اسرائيل في وجه السلسلة الاخيرة من عمليات «التخريب» والتسلل من الاردن . ورفع ليفي اشكول تقريرا الى الحكومة عن حالة الامن على ضوء اعمال « التخريب » الاخيرة التي قام بها رجال فتح(٣) .

وفي السنة الثانية لولادة فتح ، تابع رجال العاصفة اعمالهم العسكرية داخل الاراضي المحتلة . فقامت المقاومة بـ ٥ عمليات في كانون الثاني و ٣ في شباط و ٤ في نيسان و٧ في ايار و٤ في حزيران . وقدم ايضا الدكتور جورج طعمة مندوب سورية الدائم في الامم المتحدة في ١٢ ايار من العام ١٩٦٦ شكوى الى جاكوب دي بوس مندوب هولندة ورئيس مجلس الامن لذلك الشهر ، اتهم فيه اسرائيل بان لديها نوايا للقيام بهجوم على سورية وبان ليفي اشكول رئيس الحكومة الاسرائيلية ووزير دفاعها وغيره من الناطقين الاسرائيليين وخاصة الميجر جنرال اسحق رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي يطلقون تصريحات تهدد بالحرب التي عادة تتبعها اعتداءات على الدول العربية(٤) .

وتصاعدت عمليات المقاومة الفلسطينية ضد المؤسسات الصهيونية وازداد عمق ضرباتها داخل الاراضي المحتلة ، ابتداء من النصف الثاني من العام ١٩٦٦ . اذ قامت العاصفة بـ ٤ عمليــات في تموز و٦ في ايلول و١١ في تشرين الاول و٣ في تشرين الثــاني و٦ في كانون الاول (٥) . مما دفع شمعون بيريس نائب وزير الدفاع الاسرائيلي سابقا والسكرتير العام لحزب « رافي » الى نشر مقال في صحيفة « قباط حداش » اشار فيه : « انه على الرغم من عدم وجــود حرب فعلية بين اسرائيل والعرب ، فيجب عــلى اسرائيل الا تستهين بخطورة « سياسة العدوان العربية » ذلك لان مثل هذه السياسة تشجع القوى المتطرفة مثل منظمة « فتح » للاعتداء على المواطنين الاسرائيليين ، كما ان مثل هــذه السياسة لا تــزال تفرض على اسرائيــل الحصار والمقاطعة وتضطرهــا لتخصيص الامكانيات الكبيرة من أجل سباق التسلح »(٦) . ونشرت صحيفة « الجروزالم بوست » بتاريخ ٨ تموز ١٩٦٦ مقالا قالت فيه ، انه بالامكان عقد صلح بين العرب واسرائيل ، اذا قامت الدول العربية بتحقيق شيئين للوصول الى السلام « وهذان الشيئان هما : ايقاف غارات الفدائيين العرب من قطاع غزة الى داخل اسرائيل ، وفتح خليج ايلات امــام الملاحة الاسرائيلية »(٧) . وفي جلسة مجلس الوزراء الاسرائيلي في ١٨ ايار ١٩٦٦ ورد في تقرير اشكول حول اعمال مكتب رئيس الوزراء « ان اسرائيل تعرف ان افراد منظمة « فتح » يعملون من الاراضي السورية ، وان اسرائيل لا تحبذ القوة ، ولكن من واجبات الحكومة الاساسية حماية اراضيها ومواطنيها واحباط محاولات الارهاب التي تقوم بها بعض العناصر »(٨) .

ونفذت اسرائيل تهديداتها في اعتداء كبير على الاراضي السورية في ١٤ تموز ١٩٦٦ . حيث قال المندوب الدائم للوفد الاسرائيلي امام مجلس الامن ، مبرراً العدوان : « في ١٣ و ١٤ تموز قامت وحــدات من الجيش السوري وبعض الجماعات الاخرى المسلحــة بأحداث اعمال تخريبية ضمن الاراضي الاسرائيلية ، وان الحكومة السورية مسؤولة عن أعمال التخريب تلك ، وان الحكومة الاسرائيلية قد أمرت قواتها لتقوم بعمل ثأري مــحدود النطاق ضد سورية ، وذلــك ردا عــلى اعتداءات سوريــة المتكررة عــلى اسرائيل »(٩) . وكررت اسرائيل اعتداءاتها بهجوم بربري على قرية السموع الاردنية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، فقال المنــدوب الاسرائيلي في مجلس الامن : « ان أعمــال اسرائيل العسكرية تقوم بها حكومتي بسبب الاعمال التخريبية التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضمن الاراضي الاسرائيلية . ومــا قامت بــه الحكومة لم يكن الا عملا عسكريا محدودا يهدف الى ردع الاردن عن السماح باستعمال اراضيه قاعــدة لشن اعمال تخريبية ضد الشعب الاسرائيلي »(١٠) .

الا ان المقاومة الفلسطينية ، بالرغم من الهجوم المضاد الذي قامت به القوات الاسرائيلية وبالرغم من محاولات النظام الاردني لخنق تحركهــا ، صعدت اعمالها العسكرية داخل الاراضي المحتلة . اذ بلغت مجموع عملياتها في شهر كانون الثاني ١٩٦٧ ما يزيد على ٨ عمليات وفي شهر شباط ٦ وفي اذار ٩ وفي نيسان ١٤ وفي ايار ١٦ وفي حزيران (شهر الحرب العربية ـــ الاسرائيلية) ١٢ عملية (١١) .

وقبل اندلاع نار حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، حدثت عدة اشتباكات دامية على الحــدود الســورية ـــ الاسرائيلية ، وتميزت خمسة الاشهر الاولى من العام ١٩٦٧ بالمعــارك المستمرة بين اسرائيــل وسورية عــلى الحدود ردا على اعمال المقاومــة الفلسطينية المتزايدة . وهذا شريط بمسلسل الاشتباكات التي وقعت في شهر كــانون الثاني ، وهي في الاول والثاني والثالث عندما نسف الفدائيون مخزنا للادوية يقع عــلى الحدود السورية ـــ اللبنانية ـــ الاسرائيلية . وفي ٦ كانون الثاني صرح اشكول ، بــأن عام ١٩٦٧ سيكون حرجا بالنسبة للشرق الاوسط . واستمرت الاشتباكات بعد ذلك في

٨ و٩ كانون الثاني حين وقعت ثلاث معارك عنيفة وتبعها اشتباكان في ١١ و١٤ كانون الثاني ، فعقدت الحكومة الاسرائيلية على اثرهما اجتماعا خاصا في ١٥ كانون الثاني ، شرح فيه اشكول اسباب الاجتماع الطارىء فقال : جئت « ابلــغ الوزراء بالخطوات التي يجب ان تتخذها اسرائيل للاستعداد لمواجهة الاعتداءات السورية » وتركز البحث « حول احتمال توجيه غارة انتقاميــة ضد سورية » . وفي ١٦ كانون الثاني ، هاجــم الفدائيون اهدافا حيوية في اسرائيل ، مما دفع يوثانت الطلب الى لجنة الهدنة السورية ــ الاسرائيلية لعقد سلسلة اجتماعات حول الموضوع ، فعقــد اجتماعان في ٢٥ و ٢٩ كانون الثاني ، دون أن يصل الجانبان الى حل مشترك تتفق عليه جميع الأطراف(١٢).
وعقد الكنيست اجتماعا في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٧ وذلك للتداول بشأن الوضع المتوتر مع سورية ولتقدير ما اذا كانت اسرائيل ستشارك في اجتماعات لجنة الهدنة المشتركة.
وقد انقسم اعضاء الكنيست الى معسكرين واضحين : الاول يشمل اعضاء الاحـــزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي ، وهو يؤيد استخدام جميع امكانات الضغط الدبلوماسي لاقناع السوريين بوقف اعمالهم العدوانية . والثاني يشمل اعضاء حزب رافي وجبهـــة جاحال ، وهو يحث على القيام بعملية عسكريـــة ضد السوريين في الحال ومن ثم تقديم ايضاح الى الامم المتحدة والدول الكبرى بشأنها(١٣).

وخلال شهر نيسان ١٩٦٧ اشتد التوتر العسكري عــلى خطوط الهدنة الاسرائيلية ، وشرح اشكول ذلك في خطاب له : « انه اذا كان عبر الحدود (يقصد سورية) يعتقد بأن تفوقه الطوبوجرافي يتيح له الحماية والحصانة في مهاجمتنا والاعتداء على ارضنا ، دون تعريض نفسه لخطر العقاب ، فانه يكون قد ارتكب خطــأ بالغا ، اذ ان رجال سلاحنا الجوي اثبتوا له وللعالم أجمع باننا نعرف كيف نحمي حقوقنا وارواح مواطنينا »(١٤).
وقبل أواخر ايار ١٩٦٧ ، سحبت مصر قوات الامن عن الحدود واعلنت حالة الطوارىء واغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية ، عــلى أثرها القى اشكــول خطابا في الكنيست في ٢٢ ايار فقال : ان الاحداث حتمت على اسرائيل « اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للتعبئة لتدارك اية تطورات محتملة » وقـــال بان الحكومـــة « اصدرت اوامر باجراء تعبئة لقوات الاحتياط »(١٥).

ووقعت فجر الخـــامس من حزيران حــرب عربية ــ اسرائيلية من جانب واحد ، اذ استطاعت اسرائيل أن تهزم الجيوش العربية في مدة لا تتجاوز الايام الستة ، وذلك نتيجة اتباعها تكتيكا مرنا وفر لها الجو الملائم لتنفيذ خطـــة الاحتلال مباشرة . ويمكن اختصار التكتيك الاسرائيلي بالنقاط التالية :

١ ــ تصريحات عديدة من جانب الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين تظهر بان اسرائيــل دولة معتدى عليها .

٢ ــ المناداة باحلال السلام بين اسرائيل والدول العربية عن طريق المفاوضات المباشرة، في الوقت الذي كانت تقتنص الفرص لاعلان الحرب .

٣ ــ استنكار اعمال الفدائيين في الاراضي المحتلـــة التي تزيد حــدة التوتر في المنطقة وتحميل المقاومة المسؤولية الرئيسية والمباشرة لحرب حزيران(١٦).

اسرائيل والمقاومة من خلال محاضر الكنيست

شكلت اعمال المقاومة الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة محورا للنقاش دار طيلة اعوام ١٩٦٥ و ٦٦ و ٦٧ في الكنيست الاسرائيلي ، ولقد كانت مختلف الكتل النيابية ــ الاحزاب الممثلة داخل الكنيست متفقة على المضمون من ناحية اعتبار اعمال الفدائيين وكفاحهم من أجل التحرير اعمالا « ارهابية » و « تخريبية » تهدد «الاستقرار والامن الاسرائيليين» هذا بالرغم من اختلاف الكتل والاحزاب على الشكــل واشكال قمــع ومكافحة اعمال

المقاومة والنظرة الى « الجيران » العرب . ولقد كان واضحا بان الحكومة الاسرائيلية كانت تعطي اهمية بالغة لاعمال المقاومة ولا تترك مجالا الا وتطرح مشكلة « التخريب » و« الاعتداءات العربية على أمن اسرائيل » وذلك كمحاولة لاخفاء الطابع الاستعماري والاستيطاني لدولة اسرائيل وكيفية تكونها وظهورها الى حيز الوجود بالاضافة الى محاولة طمس حق شعب فلسطين بالعودة الى دياره ، وتعتبر اي عمل من هذا القبيل عملا « عدوانيا » و« ارهابيا » يريد أن يمحق الشعب اليهودي ويزيله من الوجود بتشجيع من البلدان العربية التي تصرح اجهزة اعلامها باستمرار عن نواياها في هذا الشأن !؟

اما حول نسبة تمثيل الاحزاب الاسرائيلية ودور كل حزب في الكنيست وخطه السياسي العام ، فاننا نلحظ بان الكنيست كان يضم قبيل العدوان الصهيوني في الخامس من حزيران الكتل التالية :*

١ ـ كتلة التجمع او الائتلاف . وهي الكتلة الحاكمة في اسرائيل والمسيطرة على الكنيست ومجلس الوزراء ، وتضم الاحزاب التالية : تجمع عمال اسرائيل ، الحزب الديني القومي ، حزب العمال المتحد (مابام) حزب الاحرار المستقلين ، التعاون والاخاء ، والتقدم والانماء ، اجودات يسرائيل وعمال اجودات يسرائيل .

٢ ـ كتلة جاحال . وهي كتلة يمينية متطرفة لا تؤمن بالحوار الدبلوماسي والحلول السياسية وتضم مختلف المنظمات الصهيونية الارهابية قبل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، منها : كتلة حركة حيروت ـ حزب الاحرار وقائمة عمال اسرائيل (رافي) .
٣ ـ كتلة « اليسار » الصهيوني . وهي كتلة ضعيفة (٥ نواب فقط) ومتشعبة الاتجاهات السياسية ومنقسمة على بعضها بعضا ، وتتألف من التيارات الثلاثة التالية :
أ ـ كتلة القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) . ابرزهم مئير فيلنر ، ب ـ هاعولام هازيه ـ كتلة القوة الجديدة . ابرزهم اوري افنيري ، ج ـ الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) . ابرزهم شموئيل ميكونيس .

ان هذه الكتل الثلاث تشكل لولب السياسة الاسرائيلية على اختلاف احجامها واوزانها . وحتى نفهم بطريقة جيدة نظرة اسرائيل للمقاومة الفلسطينية قبل ٥ حزيران ، علينا بدراسة النقاشات ـ ولو بشكل مختصر ـ التي جرت في الكنيست ورؤية كل كتلة او ممثل حزب لهذه المشكلة الطارئة التي واجهتها الحكومة الاسرائيلية ابتداء من أول كانون الثاني العام ١٩٦٥ .

يوم الاثنين ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، دعا الكنيست الى اجتماع لمناقشة بيان حول الامن الاسرائيلي يلقيه رئيس الحكومة ووزير الدفاع الاسرائيلي ليفي اشكول . وقد ورد فيه : « وعلى غرار منظمة الشقيري ، تكونت عصابة تحت اسم « فتح » هدفها الاساسي عدم استقرار اسرائيل ، وكذلك التعرض لبعض الدول العربية ، وهذه العصابة جمعت مجموعات من المخربين اطلقت عليهم اسم « العاصفة » ، هذه المجموعات مشكلة اساسا من مجرمين محترفين وقتلة مرتزقة . واتضح ان منظمة الشقيري وعصابات المخربين تتمتع بتأييد محدود فقط في العالم العربي » وتابع « لكن عصابات المخربين قصيرة الاجل . فلكي تعمل تلزمها المعونة والملجأ والمال والثقة والتعاون من جانب الدول العربية . وقد أدت يقظتنا ونشاطنا الى احجام بعض الدول العربية عنها في الواقع . اما التأييد والتحيز فقد وجدتهما اساسا في دولة عربية واحدة وفي حكومتها ، وهي سوريا . ويمكن الافتراض ان هناك عناصر معينة تتعاون معها ايضا في بعض الدول العربية الاخرى ، ولكن الاساس نجده في سورية » واكمل خطابه قائلا : « ان الحكم السوري يسمح بصدور صحيفة هذه العصابة في دمشق ، كما يساعد في تخطيط عمليات المخربين ، ويقدم التأييد الفعال لزملائهم في الدول العربية المختلفة .

وبالاضافة الى « فتح » فالجيش السوري يدرب وحدات في نطاقه ، مهمتها القيام بعمليات في اسرائيل وفي دول عربية اخرى » وتابع « ولا تكتفي سوريا بمحـاولاتها الوقحة في الخارج — في اخلاء مسؤوليتها — بل تتجرأ على التصريح بلا توقف بأن اسرائيل هي التي تتآمر للهجوم على سوريا ، وان البيانات الاسرائيلية عن اعمال التخريب داخل اراضي اسرائيل ما هي الا ذريعة لهجوم مدبر » وانهى خطابه قائلا : « وطبقا لهذا اضطررنـا الى العمل ضد اهداف في الاردن ولبنـان لان القتلة خرجوا من هنـاك للعمل داخـل اسرائيل . لا يمكننا تبرئة دولة يعبر المخربون اراضيها ولا تبرئها من المسؤولية عن منع عبور كهذا — هذه المسؤولية التي تظهر في اتفاقيات الهدنة »(١٧).

واضح من بيان اشكول ثلاث نقاط رئيسية : ١ — وصم المقاومة بالارهاب واتهام ابناء المخيمات بالمجرمين المحترفين . ٢ — تحميل سورية المسؤولية الاساسية عن اعمـال المقاومة وتهديدها بالرد على دعمها للفدائيين . ٣ — التلميح بشن حـرب مضادة ضد قواعد المقاومة داخل الاراضي العربية مع التشديد على مسؤولية سورية في المساهمة لاستمرار عملياتهم .

وسنرى الان بان مناقشة البيان من قبل الكتل الحزبية في الكنيست لم تخرج عن هـذه النقاط الثلاث ، باستثناء « اليسار » الصهيوني ، الذي اعتبر بان المقاومة الفلسطينية عمل « تخريبي » و « ارهابي » الا انه لم يوافق على ردود الفعل العسكرية الاسرائيلية ضد قرى الدول العربية وتهديدات الحكومة لاسقاط الحكـم في سورية ، مفضلا اتباع اسلوب الضغوطات السياسية والدبلوماسية .

وبدأ المناقشة يوسف سابير (جاحال) فقال : « علينا الا ننظر الى أعمال التخريب هذه كعمل مؤقت لا يتكرر ، بل كجزء من خطة تعدها اما دولة عربية واحدة او بالاتفاق بين كل الدول العربية المجاورة » وتابع « علينا في ظروفنا الجغرافية والجغرافية السياسية ان نكون متيقظين دائما لحالة الدفاع المباشر لا ضد حرب بمعنى الكلمة بل ضد ما يسمى « حرب العصابات » على غرار ما تقوم به هذه الدول . اذ ان أي دولة من هذه الدول او كلها لا تستطيع شن حرب ضد اسرائيل بقصد ابادتها . والطريق الاسهل لهـا هو التحرش بنا بالوسائل المعروفة ، والحاق الضرر بنا الى درجة نضطر معها الى العيش دائما في توتر غير منقطع »(١٨).

وتبعه زئيف تسور (التجمع) فقال ان « حكومات سوريا المتغيرة دائمـا في السنوات الاخيرة ، وخصوصا الحكومة الحالية ، بدأت بتكتيك ارهابي جديـد نعرف جوهره منذ فترات سابقة . ولكنه اصبح الان اسلوبا حديثا يهدف الى تشويش مجرى الحياة العادية في اسرائيل واضطرار اسرائيل ومعها الدول العربية الى الـدخول في حرب شاملة في المنطقة » وتابع « وعلى اساس العمليات الارهابية التي تتم داخل اسرائيل ينبغي ان نطالب في الجمعية العامـة (يقصد الامم المتحـدة) العناصر المؤيدة لوكالـة الغوث والتشغيل باعـادة تنظيم اداري وعملي للوصول الى تسجيـل حقيقي للمحتاجين الى الاغاثة ومحو اسماء المجندين في جيش التحرير من القوائم تماما ، وكذلك توجيه عمل الوكالة الى عمل بناء يقوم على استيطان اللاجئين واستيعابهم في الدول التي يعيشون فيها »(١٩).

وقال يتسحاق رفائيل (المفدال) : « طوال عدة اسابيع ذعرت سكان اسرائيل اعمال القتل والتخريب وحكومتنا تسجل هذه الاعمال وتضيفها الى الحساب المخضب بالـدم ولكنها لا ترد بالقوة التي تملكها » وتابع « هنا ليس في الامكان شن حرب بحسب المفهوم الفيتنامي ، كما اشار الى ذلك متحدثون سوريون اخيرا . لا توجد غابات او ادغـال تفصل بين بلدينا . فالحدود مكشوفة وسهلـة العبور — نسبيا — كمـا ان الظروف الاستراتيجية والعملية هنا لا تلائم حربا من هذا القبيل »(٢٠).

وتبعه شمعون بيريس (رافي) : « ان « فتح » ــ بوحي من سوريا ــ تحاول توريط حكومة الاردن ، ولا يوجد أي طعم لاتباع خطواتها . فالملك حسين كعبد الناصر يعرف علاقات القوى ، ولهذا فهو لا يميل الى أعمالها المتسرعة » و « اذا كان من الضروري ان تطالب الاردن باتخاذ جميع الوسائل لعدم جعل اراضيها ملجأ لـ « فتح » حتى لو لم تكن مصدرا لهذه المنظمة ، فيبتغي التمييز بين الموانع الاردنية وبين الدوافع السورية »(٢١).

وقال يترهار هراري (حزب الاحرار المستقلين) : « علينا الا نتجاهل او نستهين بحرب العصابات او بحرب المقاومة او بالصور الاخرى التي اتخذتها الحرب ضد اسرائيل ، وسوريا التي تريد الدخول في حرب معنا ، ولا تتجرأ على محاربتنا وجها لوجه ، فتجرب صورا اخرى من الحرب »(٢٢).

وصعد مناحيم يدوش (اجودات يسرائيل) الحملة على سورية من خلال عمليات المقاومة ، فقال بعصبية عنصرية : « الدم اليهودي الذي يسفك . ليس له بديل او ثمن، كل نفس في اسرائيل عالم متكامل . حتى هذا الجيل الذي رأى مجرى دماء اخواننا وفقد الملايين . هذا الجيل لا يمكن ان يتكلم عن دم يهودي يسفك لاعتبارات الاستحقاق والتكتيك »(٢٣).

وتبعه جبر معدي (التعاون والانماء) فقال « أسلوب وضع الالغام وحرب العصابات اسلوب قديم ، لا فائدة منه وليس في استطاعته حل المشكلة . على العكس سيزيد النار اشتعالا » وجاء بعده موشي دايان (رافي) فقال « لا توجد اليوم موجة تسلل ، بل يعبر الحدود عشرات من قطاع الطرق التابعين لمنظمة « فتح » وبسببهم لا ينبغي ان تسود دولة اسرائيل حالة ذعر تضطرها الى زيادة استعدادها الدفاعي » وتابع دايان كلامه مستندا الى أهمية دور الدول العربية الرجعية في تصفية المقاومة « ان قوة حسين في الاردن في محاربة « فتح » قائمة على اساس الافتراض بانه ان لم يحاربها فان اسرائيل سترد باعمال عسكرية »(٢٤).

وشرح موشيه آرام (التجمع) دوافع سياسة الحكومة السورية « المخزية » في دعم المقاومة فقال : « اعتقد أنه يمكنني ان المح بسهولة ثلاثة اتجاهات جامحة . أ ــ بالاستفزاز الدائم يمكن دفع بقية الدول العربية ــ وخصوصا مصر ــ وتوريطها في حرب ضد اسرائيل رغم ارادتها . ب ــ صرف نظر جماهير الشعب السوري عن الصعوبات الداخلية الخطيرة التي تزعزع سوريا في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي . ج ــ الاتجاه الرئيسي ــ محاولة تجريد حكومة اسرائيل من سلاحها ، بالمبادرة باحداث اشتباكات على الحدود وعمليات ارهابية وتخريبية »(٢٥).

اما « اليسار » الصهيوني فلقد كانت مواقفه « متناقضة » مع الكتل اليمينية والدينية المتطرفة في عنصريتها وشوفينيتها ، الا ان حدود « تمايزه » و « معارضته » لا تخرج عن كونها « معارضة » صهيونية في الاساس و « تمايز » من ضمن دائرة اسرائيل ومصالحها الامنية . اذ كانت ولا تزال تحكمه جملة تناقضات تصب في النهاية بطاحونة الدولة الاسرائيلية . وهي :

١ ــ اعتباره المقاومة الفلسطينية عملا « تخريبيا » و « ارهابيا » .

٢ ــ اعتباره ان اي حرب اسرائيلية ــ عربية هي حرب استعمارية ولدوافع استعمارية وبتحريض من الاستعمار ولخدمة الاستعمار .

٣ ــ تحذيره للحكومة الاسرائيلية بعدم قيامها بأي اعتداء على الدول العربية لانها ستقع في عجلة الاستعمار ومصالحه . وكأن اسرائيل ليست في الاساس مشروعا استعماريا ــ أستيطانيا ــ صهيونيا ، « فاليسار » هنا يغيب طبيعة اسرائيل العدوانية والتوسعية

وكيفية قيامها في الاساس ، كما انه يغيب ارتباطاتها بالامبريالية العالمية مع اعترافنا « باستقلالها » النسبي في بعض الاشياء .

٤ — طرحه لموضوعات السلام والامن والاخوة الدبلوماسية والسياسية وشجبه للحرب، بشكل تجريدي وغير عملي وواقعي . اذ انه (اليسار) لا يميز بين حرب اسرائيل ضد الدول العربية والمقصود منها بالاساس ضرب الحركة الوطنية في هذه البلدان أي خدمة الرجعية العربية والامبريالية وبين حرب العرب ضد اسرائيل وهي حرب تقدمية ، تحررية وطنية تصب في النهاية في الهدف النهائي الا وهو الثورة الاشتراكية — البناء الاشتراكي .

وهذه تعليقات « اليسار » الصهيوني حول الموضوع المطروق في الكنيست . اذ اميل حبيبي (القائمة الشيوعية الجديدة) يقول : « اننا نستنكر بكل شدة اعمال التخريب والقتل التي تقوم بها المنظمة التي تدعى « فتح » . اننا نستنكر اي تأييد مباشر او غير مباشر من جانب دوائر حاكمة في سوريا لعمليات عدوانية تقوم بها هذه المنظمة . ونقول هذا الكلام من خلال التفهم العميق لجوهر النزاع الاسرائيلي — العربي الذي يحاول الاستعمار استغلاله لانجاح مؤامراته العدوانية ضد السلام واستقلال الشعوب » ويستنتج اخيرا ان « طريق اسرائيل هو مع الشعوب العربية ضد الاستعمار ، لا مع الاستعمار ضد الشعوب العربية »(٢٦).

ويقول اوري افنيري (هاعولام هازيه — قوة جديدة) ان « الوضع السائد الان على الحدود السورية هو ايضا جزء من الثقة والايمان باننا نخدم الاستعمار . وها نحن نتهم مرة اخرى بالاشتراك في مؤامرة استعمارية لاسقاط الحكم الثوري في سوريا » ويردف « يجب ان نقوم بأعمال سياسية توضح تماما اننا لا ننتمي الى عجلة الاستعمار ، ولا نتآمر على رغبة الجماهير العربية في التقدم القومي والاجتماعي » ويتابع « ان مشكلة الساعة هي « فتح » . ولكن مشكلة الجيل هي السلام . علينا الا ننساه مجرد لحظة »(٢٧).

اما شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي — ماكي) فقد طرح المقترحات التالية : « أ — عملا سياسيا دوليا يشكل ضغطا على حكام سوريا لوقف تأييدهم للعمليات الارهابية ضد اسرائيل . ب — تأمينا لمناطق الحدود التي يتسلل منها المخربون والقتلة باستخدام وسائل حراسة ، كسد هذه المناطق وانارتها بما فيه الكفاية ، بوسائل وقائية حديثة »(٢٨).

وتبعه توفيق طوبي (القائمة الشيوعية الجديدة) فقال : « يجب ان نصل الى السلام . ثمانية عشر عاما تصرفتم هكذا (يقصد الحكومات الاسرائيلية) وهذا ما أبعد اسرائيل عن تسوية عادلة ، تسوية سلمية »(٢٩).

وبالرغم من موقف « اليسار » الصهيوني المعارض بشدة لمخططات اسرائيل العدوانية والمؤيدة « بشدة » للحلول الدبلوماسية والسياسية التي تضع المنطقة على عتبة السلام دون تقدير حقيقي منه لابعاد السلام السياسية التي تعني لاسرائيل والامبريالية ، الاستسلام الكامل للصهيونية والارتماء الكلي باحضان الولايات المتحدة الاميركية ، فان اسرائيل اكملت سياستها العدوانية التي ليست الا نتيجة طبيعية وتكملة حتمية لاستمرار الوجود الصهيوني في فلسطين ، مما دفع « اليسار » الصهيوني الى تقديم مشروع مناقشة للاعتداءات الاسرائيلية على البلدان العربية في الكنيست .

وتقدم مشروع المناقشة شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي) حيث ورد فيه: « أعضاء الكنيست ، لقد طرأ تحول خطير على سياسة الحكومة الانتقامية العسكرية الا وهو الانتقام الجماعي من سكان منطقة عربية كاملة على الحدود ، بحجة ان عصابات

المخربين تتسلل منها الى اراضينا ثم تعود اليها كما يقول لنا بصورة رسمية . لقد علمتنا التجربة ان هذا لا يمنع استمرار تسلل المخربين الى الاراضي الاسرائيلية » وتابع « على اسرائيل ان تعيد النظر في سياستها الدفاعية والخارجية حتى تكسب المزيد من الاصدقاء ، ولا تتمادى الدوائر الحاكمة في اخطائها الشديدة ، ولا يقع بلدنا في حيل المؤامرات الاستعمارية في المنطقة »(٣٠) .

وتبعه توفيق طوبي (القائمة الشيوعية الجديدة) فناقش مسألة غارة اسرائيل على الاراضي الاردنية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، فقال ان « القوى الاستعمارية الاجنبية التي تريد اعاقة التقدم الاجتماعي للشعوب العربية والمحافظة على مصالح شركات البترول وعلى المصالح الاستعمارية للدول الغربية الكبرى . وهذه القوى هي بعينها التي تهتم بالنزاع بين اسرائيل والدول العربية ، وهي التي تحرك الخيوط وتعجل بالاشتباكات العسكرية ، وهي التي تستغل النزاع الاسرائيلي — العربي وتعجل بسفك الدماء المشترك بل انها تعجل حتى بالحرب وعلى الخصوص ضد الدول العربية المناهضة للاستعمار مثل سوريا حتى تتمكن من التدخل والعودة بعجلة التاريخ الى الوراء »(٣١) . وقال اوري افنيري (هاعولام هازيه — قوة جديدة) : « ان المسألة ليست استسلامنا لاعمال القتل والتخريب ، فلا محل للمناقشة سواء في الكنيست او في الدولة . انه ليس هناك اي نقاش في اننا لن نستسلم لحرب العصابات على الحدود . ان المسألة هي كيف ؟ هل العمل العسكري على وجه العموم ، وخصوصا هذه العملية ، يساعد على وضع حد للصدام ، ام ان العكس هو الصحيح ؟»(٣٢) .

ورد ليفي اشكول (وزير الدفاع ورئيس الحكومة) على مناقشة « اليسار » الصهيوني فقال : « يؤسفني انني سمعت هذه التهم عن الامبريالية الاسرائيلية وعن الاستعمار الاسرائيلي وان اسرائيل تسير في ركب الاستعمار من فم احدى النساء الباسلات قبل الغارة على جبل الخليل بعدة أيام وفي اثناء مناقشات مجلس الامن » وتابع مبررا سياسة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية فقال : « ان حكام سوريا لا يخفون تأييدهم لـ « فتح » ويفخرون باعمال القتل التي تقوم بها ويطلبون استمرارها علانية »(٣٣) .

وهكذا نرى بان حدود تمايز « اليسار » الصهيوني الممثل في الكنيست عن باقي الكتل والاحزاب ضيقة جدا . وتتلخص :

١ — بأن اعمال العنف العسكرية الجماعية التي تقوم بها اسرائيل ضد البلدان العربية لن تؤدي الى نتيجة ، ولن تمنع حرب العصابات والتسلل ، عدا عن كونها ستشجع أعمال العنف العربي المضاد وستجر الى حرب اسرائيلية — عربية .

٢ — اتهام الحكومة الاسرائيلية بانها تريد اسقاط الحكم التقدمي في سوريا ، المعادي للاستعمار ، وبالتالي فان اسقاطه يعني خدمة للامبريالية وتجميداً للتطور الاجتماعي للشعوب العربية .

٣ — اعتبار ان اسرائيل ليس لها علاقة بالاستعمار من الاساس ، مع الموافقة على ان اعمال الحكومة الاسرائيلية العدوانية تصب في طاحونة الامبريالية وتسير مع عجلة الاستعمار في المنطقة .

٤ — التشديد على السلام بشكل مطلق ولوم اي جهة (عربية ام اسرائيلية) تحاول خرق الهدنة على الحدود والمطالبة باتباع اساليب الحوار السياسي والدبلوماسي دون الاخذ بعين الاعتبار حق شعب فلسطين باتباع طريق الكفاح المسلح للعودة الى أرضه المغتصبة .

٥ ـ محاولة التمييز ما بين الحكم التقدمي في سورية واعمال المنظمات « الارهابية » و « التخريبية » في الوقت الذي تعتبر بقية الكتل الحزبية بانه لا فرق بين الحكم السوري والعمل الفدائي . بل تعتبر ان سورية هي التي خلقت وشجعت وأيدت المقاومة الفلسطينية وساهمت في نموها وتطورها .

ومر عاما ١٩٦٥ و ١٩٦٦ وجاء مطلع العام ١٩٦٧ ، وطبعا لم تغير اسرائيل موقفها من المقاومة الفلسطينية ، واصرت على اتهام سورية بانها المسؤولة الاولى والمباشرة عن العمليات الفدائية ، وكأنها لا تعلم بأن المقاومة المسلحة كانت ستقوم وستستمر سواء بوجود نظام حكم تقدمي في سورية أو غيرها من البلدان العربية أم بعدم وجود مثل ذلك النظام في أي قطر عربي . وبالمقابل ازدادت اعمال المقاومة في الارض المحتلة التي تمثلت بحرب الالغام والهجوم على المستعمرات ونسف بعض المرافق الحيوية التي أدت الى مقتل العشرات وجرح المئات عدا عن حالتي الذعر والرعب في اسرائيل بالاضافة الى ازدياد توتر الاوضاع العسكرية على الحدود السورية ـ الاسرائيلية وخاصة فترة الاشهر الخمسة السابقة لحرب ٥ حزيران .

وهذا ما دفع الحكومة الاسرائيلية الى دعوة الكنيست الى اجتماع لمناقشة بيان لفي اشكول حول الوضع الامني في دورة ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ . ولم يطرأ في الجلسات اي تعديل جوهري على موقف الكتل والاحزاب السياسية في اسرائيل من ناحية فهمها للمقاومة الفلسطينية ونظرتها للاعمال العسكرية التي تقوم بها ، وكيفية مواجهتها ، واسلوب مجابهتها على الصعيدين السياسي والعسكري .

فقد ورد في بيان اشكول : « ان السوريين يعملون بذراعين : ذراع واضحة عسكرية بادواتها المختلفة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يستندون الى اعمال مجموعات المخربين على اختلاف انواعهم ويشجعونها » وتابع تحليله للموضوع « وعندما تمكنا من وقف اعمال تحرش الجيش السوري ، وكفلنا استمرار العمل الزراعي المنظم ، وازلنا التهديد عن المستوطنات توجه السوريون مرة اخرى الى تشجيع عمليات زرع الالغام والتخريب »(٣٤) .

ورأى حاييم لنداو (جاحال) رأي اشكول ، وشرح أهداف حرب العصابات العربية بالشكل التالي : « الاول ، التشويش على سير الحياة النظامية في اسرائيل ، والتأثير في أمن مواطني اسرائيل ، ووضع قوة عسكرية ومدنية للدفاع ضدها . وعلينا ان نفهم انه ان لم توقف هذه الحرب عاجلا ، تطورت وتقدمت في امكاناتها ، واستطاعت ان تكون مزعجة جدا وحافلة بالاخطار . والهدف الثاني لحرب العصابات داخلي ، هو رفع الروح المعنوية للمواطنين السوريين ورفع سمعة الحكومة السورية . والهدف الثالث هو تحريك دول عربية أخرى من أجل دفعها في طريق حرب متشابهة ، ومن خلال تسوية الحسابات بين العرب . والهدف الرابع سياسي خارجي وهو خلق « حركة تحرير فلسطينية » ليست فقط سياسية بل عسكرية ايضا . والادلة على هذه المحاولة رأيتها وسمعتها في الجمعية العامة للامم المتحدة الاخيرة » وبعد ان انهى شرحه يخلص لنداو الى القول : « يجب ايقاف حرب العصابات. ان كل التغيير الاساسي تغيير حتمي »(٣٥) . وتبعه جبريل كوهين (التجمع) الذي حدد احتمالات الحرب من ضمن هذا المنظار : « ان في علاقات اسرائيل وسوريا ثلاثة منطلقات للازمة وكل منطلق منها يشكل احتمالا لنشوب حرب : أ) تحويل مصادر نهر الاردن . ب) مشكلة المناطق المنزوعة السلاح ونزاعات عمليات استغلال الاراضي . ج) استخدام حرب التخريب والالغام والارهاب داخل حدود دولة اسرائيل . ومركز ثقل ينتقل ويتحرك كل مرة من مجال الى اخر ، واخيرا فوجئنا بانضمام فعال في تركيز عمليات الارهاب والتحدي على الحدود وفي مواصلة عمليات التحويل »(٣٦) .

وقال موشيه أونا (الحزب الديني القومي) : « ان عملية واحدة لمنع المخربين من القيام بها ، او تنتهي بالقبض على المجرمين ، لها تأثير اكثر من هدم عشرة منازل . وانني مقتنع الان انه يجب توسيع الوسائل الخاصة باحباط نشاط المخربين وتحسينها حتى لو لم نستطع ان نمنعها كليا ، وكلنا يعلم مدى الصعوبات المرتبطة بهذا الوضع » . وبعد ان كشف أونا خطورة الوضع الناجم عن اعمال المقاومة التي لم يستطع الجيش الاسرائيلي حتى ذلك الوقت من افشال واحدة منها على الاقل عسكريا ، تبعه شمعون بيريس (رافي) : « لا يمكن ان نفترض ان هدف سوريا هو ان تهزم وتتلقى ضربة من جيش الدفاع الاسرائيلي في ضوء وقوفها وحدها وضعف جيشها . ان ما تريده سوريا هو حرب عصابات ممتازة مع كل توجيهاتها دون مخاطرات اضافية . وهذا بالذات ما على اسرائيل ان تمنعه »(٣٧).

وقال يعقوب حزان (مابام) : « اننا اقوياء بما فيه الكفاية ومتأكدون من قوتنا على صد اي اعتداء موجه ضدنا . واننا قادرون على مناقشة مشكلات أمننا في هدوء ، من خلال تشغيل ادراكنا والابتعاد عن كل هستيريا الصياح او عن كل حديث تختفي خلفه اقتراحات بسيطة للغاية : ردود ، ردود ، ردود . . . » .

واكمل جدعون هاوزنر (حزب الاحرار المستقلين) كلام بيريس عن هستيريا الحرب التي اصابته واصابت الحكومة الاسرائيلية وكيفية تجاوزهما لاعتبارات « السلام » والعمل الدبلوماسي والسياسي ، فقال : « اننا نقف الان بيد ممدودة للتسوية . وانه لعار ان نقف بها على هذا الوضع مدة طويلة ، ان هذا الموقف يتلاءم مع هذا الوقت فقط ، وقد قررنا ان نقوم بذلك وانني اظن ان الحكومة قررت ما ينبغي ، ولكن اذا ردت يدنا خالية فانها ستكف عن الشرح والتوضيح وتعود مرة اخرى الى السلاح »(٣٨).

ونبعه يعقوب كاتس (عمال اجودات يسرائيل) : « يجب ان نعلن رغبتنا في السلام وأمن حياتنا وحياة ابنائنا . وان مع ذلك لن نسمح لاي كان بان يرسل سهامه بصورة دائمة الينا ، يقتل ابناءنا ويعرض حياتنا للخطر دون ان نرد عليه ونقتص منه »(٣٩).

نلاحظ ، بان ادعاءات الكتل اليمينية المتطرفة والمتعصبة وخلافاتهم البسيطة تتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ الادعاء بان اسرائيل تريد السلام ، وبلد محب للسلم ولا يكن اي عداء لجيرانه العرب .

٢ ـ الادعاء بان اسرائيل بلد معتدى عليه . وتصوير الخطر العربي بشكل يجعل اسرائيل بمثابة الحمل الوديع امام الذئاب الكاسرة .

٣ ـ الامعان في اخفاء الطبيعة التوسعية والعدوانية لاسرائيل ، وتغييب موضوع نشأتها وتكونها مع تجاهل كلي لشعب فلسطين وحق النازحين والمشردين في العودة الى اراضيهم . وتكرار تحميل سورية مسؤوليتها عن اعمال العنف في المنطقة ، كغطاء لتبرير هجومها العسكري .

٤ ـ الخلاف الطفيف بين الكتل اليمينية والمتطرفة اي بين كتلة الائتلاف الحكومي (التجمع) وكتلة المنظمات الصهيونية الارهابية المعارضة (رافي) يتمحور حول ان الحكومة تريد ان تستغل الوسائل الدبلوماسية اولا لتبرير عدوانها العسكري امام الرأي العام العالمي ، بينما المعارضة اليمينية المتطرفة ترفض اي مجال للعمل السياسي و « الحوار » وتطالب بالرد الفوري والقمع العسكري .

اما مناقشة « اليسار » الصهيوني لبيان رئيس الحكومة فلم تخرج عن كونها تكرارا لفظيا لما سبقها من مناقشات وخلافات في اساليب العمل لمواجهة المقاومة الفلسطينية .

اذ ان مئير فيلنر (القائمة الشيوعية الجديدة) يقول : « اننا نرفض الدعاية العسكرية المتطرفة التي يقوم بها ممثلو جاحال ورافي في الكنيست الذين يخافون من كلمة المفاوضات نفسها » وتابع يشرح اسباب الخلاف العربي ــ الاسرائيلي : « ان المشكلات المختلف عليها هي مشكلات سياسية ، ويجب حلها بالوسائل السياسية في اطار لجنة الهدنة . وكل عمل عسكري ضد سوريا على غرار الغارة على السموع او بصورة مشابهة لها ، سترتد علينا . يجب المحافظة على اتفاق وقف اطلاق النار ، ولجنة الهدنة المشتركة جزء لا يتجزأ من هذا الاتفاق » . وتكلم اوري افنيري (هاعولام هازيه ــ قوة جديدة) حول العمل الفدائي وعلاقته بسورية فقال : « ان الدعاية الرسمية تنسب كل هذه الاعمال بصورة تلقائية الى حكومة دمشق ، وهذا الامر أعطى شرعية لهجوم كبير على سوريا . والواقع ليس لدينا اثبات قاطع ان حكومة سوريا أو أي حكومة عربية اخرى تتحكم مطلقا في هذه المنظمات » .

وتبعه شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي) الذي اعتبر بأن اعمال المقاومة الفلسطينية تعطي حجة للامبريالية بركوب موجة العداء العربي ــ الاسرائيلي فقال : « ان الانتقام العسكري من جانب واحد ، واعمال القتل والتخريب التي تقوم بها منظمات الارهاب العربية التي تؤمن بالافكار المغامرة التي لا صحة لها حول « حرب شعبية لتحرير فلسطين » من جهة أخرى تخدم في الواقع المصالح الاجنبية لنفس القوى التي تكف عن ركوب « حصان » النزاع الاسرائيلي ــ العربي »(٤٠) .

لقد كانت مجمل تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول الوضع الامني ، وخطورة العمل الفدائي تأخذ مجراها الطبيعي وتتصاعد يوما بعد يوم كمقدمة لتنفيذ الخطة الصهيونية بقمع حركة التحرر الوطنية العربية واحتلال المزيد من الاراضي العربية . وقد عبر عن هذا الاتجاه ــ اتجاه خوف اسرائيل من نمو الشخصية الفلسطينية وانبعاثها من جديد من خلال المقاومة المسلحة ــ بشكل صريح مقال ييغال الون في ١٠ شباط ١٩٦٧ في جريدة الجروزاليم بوست . اذ قال : « ولكنهم يدركون ايضا (يقصد العرب) بان الهزيمة على يد اسرائيل ، مع انها قد لا تهدد وجودهم كدول ذات سيادة الا انها قد تهددهم كأنظمة حكم قائمة » وشرح الون اهداف منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح بقوله : « تحاول هاتان المنظمتان ان تخلقا ما يسمى « الشخصية الفلسطينية » بقصد اكتساب اعتراف مختلف الدول بها ولغرض اقامة نواة سياسية قادرة على المطالبة بعودة الاراضي التي تحتلها اسرائيل » ويتابع « ان اعمالهم العسكرية تستهدف نسج اسطورة من الكفاح البطولي حول « الشخصية الفلسطينية » ورفض قبول وجود دولة اسرائيل من قبل العرب وغيرهم ، وابقاء القضية قائمة ومتحركة ، وانزال الخسائر البشرية وزعزعة الثقة في اسرائيل » ويردف معلقا على اهداف المقاومة المسلحة سياسيا ، فيقول : « ان وجود واعمال منظمة التحرير الفلسطينية ليست موجهة كليا ضد اسرائيل . . . بل هي موجهة ايضا ضد الدول العربية » وبعدها يكشف الون عن دور الدول العربية في خنق الشخصية الفلسطينية من خلال خنقها لتحركهم الوطني التحرري وأمله في حصول ذلك « وبعد عامين من الهجمات الفدائية وهجماتنا الانتقامية المقابلة ، اظهر الاردن بامكانه عند الضرورة ان يسيطر على حدوده وان يمنع تسلل الفدائيين »(٤١) .

إن مختلف التصاريح والبيانات والمقالات والمناقشات هذه ، ان كانت داخل الكنيست ام خارجه ، ليست الا مدخلا لتحقيق هدف واحد . وهو : عدوان الخامس من حزيران وهزيمة العرب الثالثة .

ملاحظات عامة

ان تحليل نصوص مناقشات الكنيست التي تعبر عن مجمل السياسة الاسرائيلية تحتاج

الى دراسات عديدة . ولكننا نستطيـــع ان نستنتج منها عـــدة أمور ارادت الحكومة الاسرائيلية اخفاءها لتبرير عدوانها الاساسي (قيام اسرائيـــل) واعتداءاتها الثانوية (حرب حزيران مثلا) عن الراي العام العالمي . وهي :

١ ـ دور اسرائيل في المنطقة العربية . وهو يتمثل في اتجاهين : أ) تبعيتها للامبريالية العالمية مع الاحتفاظ « باستقلالها » النسبي في التحرك العسكـــري لخدمة الاهـــداف الاستراتيجية السياسية المشتركة . ب) اداة تنفيذ لمخططـــات الامبريالية العالمية وفي طليعتها الولايات المتحدة الاميركية لقمع اي تحرك شعبي عـــربي ـ فلسطيني مسلح لتحرير الارض والانسان . بالاضافة الى ضرب الحركة الوطنية العربية التي بـــدأت تحقق بعض المنجزات الاجتماعية وتفرض بعض المكتسبات الديمقراطية .

٢ ـ التهويل بالخطر العربي وجعله الخطر الاساسي ، والتناقض الرئيسي للجماهير اليهودية في فلسطين . وذلك لتحقيق هدف داخلي ، وهو تحويل اي امكانية لبروز تناقض طبقي بين الجماهير اليهودية (وخـــاصة اليهود الشرقيين) والمؤسسات الصهيونية . وتمييع ذلك التناقض وصهره في اتجاه واحد : احتلال المزيد والمزيد من الاراضي الجديدة، تحت شعار بان الاحتلال هو الحل الوحيد لفك تناقضات الـــدولة الاسرائيلية والطريق الوحيد للخروج من أزمات النظام الرأسمالي الصهيوني ـ الاستيطاني .

٣ ـ من الواضح جدا بأن اسرائيل كانت تعاني قبل العام ١٩٦٧ أزمة اقتصادية خانقة تتمثل في : ١) نقص كبير في كمية المعونات والتبرعات من الصهيونية والدول الرأسمالية الامبريالية . ٢) ازدياد عـــدد العاطلين عن العمـــل . ٣) العجز الفاضح في الميزان التجاري . ٤) تدهور الاوضاع الاقتصادية في مجمل القطاعـــات الانتاجية الاسرائيلية بسبب فقدان السوق الاستهلاكية من جهة ونقص المواد الخام للتحويل الصناعي المتقدم والتطوير الاقتصادي .

٤ ـ لقد نشرت صحيفة الجلوبو الايطالية تقريرا صادرا عن حاكم بنك اسرائيل دافيد هوروفيتز ، ورد فيه بالارقام مدى العجز الاسرائيلي طـــوال عامي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ ، يقول : بلغ العجز في الميزان التجاري عام ١٩٦٤ ما يزيد على ٣٤١ مليونا من الدولارات مقابل ٢٢٥ مليونا عام ١٩٦٣ اي بزيادة ٢٤ ٪ . وايضا بلغ عجز اسرائيل في ميزان المدفوعات ٥٨٠ مليونا بزيادة ١٧٠ مليونا عام ١٩٦٣ . هذا بالرغم من « المساعدات » الالمانية الغربية لاسرائيل والتي بلغت طيلة اعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٦٤ ما يزيد على ٢٤ مليار مارك مع الوعد باستمرار دفع ١٦ مليار مارك لسنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥(٤٢).

وأعلن وزير العمل الاسرائيلي في تقريره عن البطالة امام الكنيست في ٩ أيار ١٩٦٦ ما يلي : « هناك ظواهر واضحة لوجود بطالة وتدهور اقتصادي ، خاصة في بعض مناطق الاعمار . وقد شكلت لجنة وزارية لوضع التوصيات اللازمة لمواجهة الحـــالة »(٤٣). وبعـــد صدور التقرير منعت الحكومة الاسرائيلية تداولـــه . الا ان الذي كشف حقيقة الوضع الاقتصادي في اسرائيل هو الخلاف الذي حصل في اذار ١٩٦٧ بين أطراف الاتحاد الصهيوني البريطاني بسبب رفض مجلة « الجويش اوبزرفر » التي يصدرها الاتحاد في لندن ، نشر مقالة لمراسل المجلة في القدس حول تفشي البطالة في اسرائيل ، استنادا الى أرقام استقاها المراسل من مدير «لجنة الطاقة البشرية» في اسرائيل هانوف سميث. كما ان رئيس الحكومة الاسرائيلية اعترف امام اعضاء الكنيست ، بان حماسة اليهود قد خفت بالنسبة لاسرائيل وبان ذلك اثر تأثيرا ملحوظا على كمية التبرعـــات المرسلة الى صندوق الدولة اليهودية . ويتابع اشكول بان ذلك الحماس عاد من جديد بعد حرب ٥ حزيران التي كلفت اسرائيل ٧٥٠ مليون دولار ، غطتها بسرعة تبرعات اليهود في العالم التي بلغت ٣٥٠ مليون دولار فقط ابتداء من شهر حـــزيران الى ايلـــول ١٩٦٧ ، عدا

التبرعات الصهيونية ــ الاميركية التي بلغت في الفترة نفسها ما يزيد على ٢١٠ ملايين دولار(٤٤) .

ان هذه الحقائق توضح طبيعة اسرائيل العدوانية وارتباطاتها بالاحتكارات الامبريالية ، والسوق الرأسمالية العالمية ، ودورها التنفيذي في ضرب حركة التحرر الوطنية العربية، كما انها تكشف عن طبيعة أزمة النظام الرأسمالي في اسرائيل واوضاعه الاقتصادية التي تحتاج باستمرار الى عملية احتلال جديدة لتنفيس حدة التناقضات الداخلية التي يمكن ان تنشب اذا استمرت تلك الحالة دون تنفيذ سياسة العدوان والاحتلال ، مـــع الاخذ بعين الاعتبار ان حرب ٥ حزيران لم تكن في الاساس متوقفة على الاسباب الاقتصادية (انخفاض التبرعات ــ نقص المساعدات ــ البطالة ...) بل ايضا تعود لاسباب جوهر قيام اسرائيل والتي تتلخص في عدائها الشرس لاي حركة تحرر عربية عــلى الصعيدين الوطني والاجتماعي .

وبعد ، نقول كلمة اخيرة ، انه بعد ٥ حزيران نشرت عدة دراسات وابحاث عربية تحلل وتفسر اسباب الهزيمة قبل ١٩٦٧ ونتائـــج الهزيمة بعد ١٩٦٧ ، وحتى الان لم تجر اي محاولة لدراسة شاملة وكافية ــ على حد علمنا ــ تشرح وتحلل وتقيم الهزيمة نفسها ، عسكريا وسياسيا .

---

١ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، الصفحات ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩ .

٢ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، النصف الاول من العام ١٩٦٥ .

٣ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الثاني ، النصف الثاني من العام ١٩٦٥ .

٤ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الثالث ، من ٦٦/١/١ الى ١٩٦٦/٦/٣٠ .

٥ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلدان الرابـع والخامس ، من ٦٦/٧/١ الى ١٩٦٧/٦/٣٠ .

٦ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

٧ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٦٨ .

٨ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٧٢ .

٩ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٥٩٦ .

١٠ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٦٠٦ ــ ٦٠٧ .

١١ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلدان الرابـع والخامس .

١٢ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٥٧٣ .

١٣ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٥٧٩ .

١٤ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٧ .

١٥ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٨ .

١٦ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٥ .

* ان هذا التقسيم الاستثنائي يطال فقط القضايا التي تعرضت لها الدراسة .

١٧ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ .

١٨ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ١١ ، ١٢ .

١٩ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ١٥ ، ١٨ .

٢٠ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٠ ، ٢٢ .

٢١ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٦ .

٢٢ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٤ .

٢٣ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٧ .

٢٤ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ .

٢٥ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٧٧ .

٢٦ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٤١ ، ٤٣ .

٢٧ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ٥٧ ، ٥٩ .

٢٨ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٦٠ .

٢٩ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٨٣ .

٣٠ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ١٩٩، ٢٠٠ .

٣١ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٠٢.

٣٢ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢١٤.

٣٣ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

٣٤ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ .
٣٥ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٩ .
٣٦ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٣٠٠.
٣٧ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٣٠٦، ٣٠٩ .
٣٨ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٣١٢، ٣٢١ .
٣٩ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٣٣٠.
٤٠ ــ محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ٣٢٥، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ .
٤١ ــ نقلا عن ملحق فلسطين الصادر عن جريدة المحرر اللبنانية ، ٢٣ شباط ١٩٦٧ .
٤٢ ــ نقلا عن اليوميات الفلسطينية ، المجلد الاول ، ص ١٦ ، ١٧ .
٤٣ ــ الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦ ، ص ٢٧٣ .
٤٤ ــ المصدر نفسه .

تجربة في الصحافة السرية

عبد القادر ياسين

عندما تم للقوات الاسرائيلية احتلال قطاع غزة ، في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ واجهت التنظيمات الثورية في القطاع جملة واجبات عسيرة ، كان عليها ان تنجزها . لعل على رأس تلك الواجبات كان انتزاع الجماهير من هوة اليأس التي أسقطتها فيها الهزيمة . لذا فقد كان أمام القوى الثورية في القطاع أن تخوض نضالا تحضيريا دؤوبا وشاقا ، قبل الوصول بالكفاح الى النضال المسلح . مما طبع الكفاح الثوري بالقطاع ، في النصف الثاني من سنة ١٩٦٧ ، بالطابع السياسي . ولعبت الصحافة السرية دورا محوريا في هذا الكفاح . وقد ارتكزت القوى الثورية في القطاع على الصحافة السرية ، دون الدعاية الشفهية . نظرا للانتشار الواسع للتعليم في القطاع أولا ، وطلبا للامان ثانيا ، ولقلة الاعضاء المنظمين القادرين على تغطية الدعاية الشفهية ثالثا . وحتى الاميين كانوا يستطيعون السماع الى مواد الصحيفة من أحد القراء ، بما يتيح لهؤلاء الاميين تربية فكرية وسياسية ثورية .

كيف ولدت المقاومة

منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة ، تأسست « الجبهة الوطنية المتحدة » من « الحزب الشيوعي » و« حزب البعث » و« جبهة تحرير فلسطين (ج ت ف) » . وشارك بعض المستقلين الوطنيين الديمقراطيين في قيادة الجبهة . ولبعض المستقلين ثقل سياسي كبير في قطاع غزة ، لا تستطيع معه التنظيمات الثورية تجاهلهم ، نظرا لتأثيرهم البالغ في أوساطهم المهنية والعائلية .

وقد صدرت صحيفة « المقاومة » ، في أول آب (اغسطس) ١٩٦٧ ، لمساندة الجبهة في عملها السياسي والفكري . وفي العدد الاول منها جرى شرح نهجها . وتصدت « المقاومة » لواجباتها منذ اليوم الاول ، فقد اجتهدت لجذب قطاعات واسعة من الجماهير الى ساحة الكفاح ، وعمدت الى ملاحقة الافكار الانهزامية والانتحارية على حد سواء . وجاءت موادها لتربي الجماهير بالروح الكفاحية الصحيحة ، من اجل الكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وتصعيد هذا الكفاح ، ليأتي الكفاح المسلح تتويجا له .

وقد أظهرت تجربة « المقاومة » أن خير وسيلة لنشر الافكار الثورية بين الجماهير ، هي القيام بتحريك ودعاية صائبين وواضحين ، مع رفع مستوى الجماهير الفكري . وقد واجهتنا منذ البداية عقبة داخلية لم تكن في الحسبان . تلك هي استصغار بعض اعضاء قاعدة الجبهة شأن الدور الذي تلعبه الصحافة والمطبوعات في تربية الجماهير وفي توجيه نضالاتها .

لقد كانت الصحافة السرية الثورية في قطاع غزة — بشبكة منشوراتها اليومية والاسبوعية والشهرية — تلعب دورا هاما في تربية الشعب، وفي تنظيم اعمال جماهيرية، وفي رفع مستوى المناضلين الفكري والسياسي .

وبينت التجربة ان ارتفاع توزيع الصحيفة السرية، شأنه شأن نهوض التنظيم واتساعه، ملتحم بالاعمال الجماهيرية . فارتفاع توزيع الصحيفة السرية مرتبط اشد الارتباط بمستوى نشاط الاعضاء ، وبمدى مشاركة الجماهير في النضال . وفي الوقت نفسه ، ارتبط تقدم العمل الجماهيري للجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة ، ارتباطا مباشرا ، بالنجاحات التي احرزها التنظيم السري والصحافة السرية للجبهة . وباختصار ، كانت صحافة الحزب السرية هي قلب النضال الشعبي . والجسد بلا قلب لا يستطيع الحياة على حد تعبير المناضل التقدمي البرتغالي « جوزيه موريرا »*. لذا لم يكن صدفة ان تتوقف « المقاومة » عن الصدور ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، اي في أعقاب المذبحة الشرسة التي نظمتها السلطة الاردنية للمقاومة الفلسطينية ، في الاردن ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

ولقد كانت « المقاومة » ثغرة في جدار الرقابة الشرسة التي فرضها الاحتلال الاسرائيلي على قطاع غزة ، ومصدر صحيح للاعلام ، حيث كان يجري فيها تحليل أكثر القضايا الحاحا ، وتسجل فيها نضالات الجماهير الشعبية ، وتلقى فيها الاضواء على المسائل المحلية والعربية والعالمية .

وقد اتت الصحافة السرية في الوطن المحتل (المقاومة ، الجماهير ، الوطن) لتعبر عن ارادة المقاومة عند شعبنا ، وعنصرا أساسيا في الكفاح الوطني . وهي ــ بحق ــ شعلة تضيء الطريق الى النصر .

حيــاة الصحيفة وطابعهــا السري

يكتسب دور الصحافة الثورية اهمية خاصة في قطاع غزة . ففي خلال ست سنوات من الاحتلال الاسود والارهاب الفاشي والقمع الوحشي ، نجحت القوى الثورية في القطاع في المحافظة على تنظيماتها السرية واصدار صحافتها السرية .

وقد قامت القوات الاسرائيلية بشن غارات عديدة على مقار صحيفة « المقاومة » . وهذه امور كنا ننتظرها ، الا أننا لم ننقطع عن العمل أبدا طوال أكثر من ثلاث سنوات . وبالرغم من كل الصعاب ، فقد حافظت « المقاومة » على مواعيد صدورها بانتظام .

وفي الظروف السرية فان عملية اصدار الصحيفة تظل محفوفة بأخطار جمة ، وتتطلب درجة عالية من الحذر واليقظة الثورية . بدءا من شراء الورق والحبر ونقلها الى مقر المطبعة ، مرورا بأعمال الطباعة البالغة الدقة والخطورة ، وانتهاء بالتوزيع ومصاعبه واخطاره .

وفي ظل الارهاب الاسرائيلي البشع ، يعود نجاح صحيفة « المقاومة » ، الى حد بعيد ، الى الاجراءات المحكمة التي اتخذت لمواجهة تلك القضايا الشائكة التي تحيط ــ عادة ــ بالصحافة السرية : الجهاز الفني (المطابع) ، الطباعة ، الورق والاحبار ، المقر، وأخيرا توزيع الصحيفة . فبدون حل هذه الامور حلا صحيحا ودقيقا كان يستحيل اصدار عدد واحد من « المقاومة » .

وقد جرى استعمال أدوات طباعة غير متقدمة ، لقلة الضجيج الذي تصدره اثناء عملها، وان كانت هذه الادوات تحتاج الى وقت أطول في العمل . فاذا اضفنا الى الميزة الاولى سهولة نقل هذه الادوات ــ عند الضرورة ــ لتبين لنا مدى الامان الذي يتيحه استخدام مثل هذه الادوات .

ويرتكز الصدور المنتظم للصحيفة وبقية المطبوعات ، على نظام طاعة حديدي ودقيق ، يجري فيه توزيع المهام والواجبات بشكل مدروس ومحدد . كما يتم انتقاء الكوادر المختصة ، بالدقة نفسها . واذا عرفنا أن مطبعة « المقاومة » لم تكتشف طوال اكثر من

عشرين شهرا ، بالرغم من تفتيش القوات الاسرائيلية للحي الذي تقوم فيه المطبعة ــ بيتا بيتا ــ عشرات المرات ، وان « المقاومة » ظلت تصدر بانتظام أكثر من ثلاث سنوات ، في ظروف بالغة القسوة والسوء ــ لاتضح لنا مدى ما تتمتع به الجبهة الوطنية المتحدة من كفاءة تنظيمية وعلاقات وثيقة وعميقة بالجماهير . وما تتمتع به كوادرها من جسارة واستعداد غير محدود للتضحية في سبيل وطنها .

وفي ظل القمع والتفتيشات المستمرة ، والمفاجئة ، من قبل القوات الاسرائيلية ــ للمارة والمنازل والسيارات ــ فان تخفيض أوزان واحجام المطبوعات السرية يرفع من معدلات الامان وسلامة التوزيع ، وبالتالي سلامة عمل وتنظيم الجبهة كله .

وقد يصدم القارىء عندما يعلم ان كل هذه الضجة التي أقمتها هنا ، هي بخصوص ورقة واحدة كانت تصدر بصفة دورية مرة كل اسبوع ، وتمتلىء بالمواد السياسية المتنوعة . فقد جرى طبع « المقاومة » على ورقة فولسكاب واحدة ، على كلا الوجهين . وقسمت كل صفحة الى ثلاثة أعمدة ، وجرى توزيع المواد على كل صفحة بشكل يجعل العين تتقبلها وتستريح لها ، ويسمح ، في الوقت نفسه ، بنشر اكبر قدر ممكن من المواد ، في أصغر حجم ممكن ، توفيرا للامان واختصارا لوقت القراء .

واذكر اننا طبعنا من الاعداد الثلاثة الاولى من « المقاومة » نحو مائة نسخة للعدد الواحد ، وزعنا نحو سبعين من كل عدد ، وطلبنا الى اعضاء الجبهة تمريرها على اكبر عدد ممكن من القراء ، ثم اعادتها الينا ، حيث كان يجري اعادة حصرها واحراقها ، مع الاحتفاظ ببعضها في الارشيف . وقد لجأنا الى هذا الاجراء للحيلولة دون وقوع نسخ من « المقاومة » في أيدي المحتلين ، ولحصر الجهة التي تسرب منها في حالة وقوع بعض النسخ في أيدي سلطات الاحتلال .

ونظرا لعدم عملية هذا الاجراء ، وصعوبته ، وحاجته الى جهود مضنية ، فقد جرى رفع العدد الى ٥٠٠ نسخة ، وسمح منذ العدد الرابع بعدم اعادة النسخ . وفي وقت لاحق جرى رفع عدد النسخ المطبوعة من « المقاومة » الى الف نسخة للعدد الواحد. وأخذ الاقبال على « المقاومة » يشتد ويتزايد ، خاصة بعد دخول القطاع مرحلة النهوض الثوري ، بعد نجاح الاضراب الشامل الذي كانت قد دعت اليه الجبهة ، في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . الا ان قيادة الجبهة رأت ان تكون استجابتها ــ لهذا الاقبال على الصحيفة ــ محكومة ، خشية أن يؤدي الاتساع غير المحكوم لتوزيع الصحيفة الى تعريض سلامة الجبهة كله للخطر ، او أن يشكل هذا الاتساع عبئا اضافيا على الاعضاء ، ينجزونه على حساب بقية المهام التنظيمية ، التي أخذ دورها يتزايد مع النهوض الثوري . وظل نمو واتساع توزيع « المقاومة » مسايرا لنمو واتساع الجبهة نفسها .

صحيح أن طباعة وتوزيع صحيفة سرية ، وتدابير امنها ، تكلف غاليا ، الا انها خير بطاقة مرور الى الجماهير ، تحمل صوت الحزب اليها ، ويستمد الحزب من الجماهير ــ بواسطتها ــ العون المادي والمؤازرة المعنوية . والعون المادي مطلوب لتغطية نفقات الطباعة والورق ، ومصاريف النقل ، وايجار المقر ، وما اليه . ونجاح اصدار وتوزيع الصحافة الثورية السرية ، وسلامتها في ظل نظام فاشي ، لا يمكن ان يكونا ثمرة جهود أفراد لا تربطهم ببعض اي رابطة ، بل هما نتيجة عمل حزب قوي ، منظم ، ويضرب بجذوره في أعماق الجماهير . واصدار مثل تلك الصحافة ، يتطلب وجود حزب قادر على حل القضايا العديدة التي يثيرها الاصدار والتوزيع ، ولديه الكوادر اللازمة لمواجهة تلك القضايا . واصدار وتوزيع صحافة سرية ، يتطلبان مناضلين لديهم القدرة على التقيد الواعي بانضباط صارم ، متمتعين بيقظة عالية ، وقادرين على الخروج من

المآزق . وهذا كله لا يكون الا في رجال ونساء نشأوا على عبادة وطنهم ، وحب شعبهم .

وقد أوضحت التجربة أن قيام جهاز متفرغ لتنظيم وتوزيع الصحيفة السرية ، هو خير وسيلة لحماية الفنيين والتنظيم كله ضد غارات العدو وكمائنه . وتتيح للقسم الاكبر من الحزب ، في الوقت ذاته ، الانصراف الى الواجبات والمهام العديدة الاخرى الملقاة على عاتقه .

وكان تسليم نسخ « المقاومة » يتم في أوقات متفاوتة ، في غير الزمان والمكان اللذين تم بهما التسليم في المرة السابقة . وما أن تصل نسخ الصحيفة الى قواعد الحزب والجبهة، حتى يقوم هؤلاء بتوزيعها مباشرة ، ويدا بيد ، الى العناصر الوطنية الشريفة والمأمونة .

وللتحريك المباشر والعاجل ، كانت الجبهة تصدر بيانات ، يقوم الاعضاء بتوزيعها — ليلا — على المنازل ومناطق التجمع ، مثل النوادي والمقاهي والمستشفيات والورش ، في ساعة صفر محددة وموحدة في كل القطاع ، ويجري تبليغ « التمام » الى « مكتب العمليات » الذي كان يتشكل لمواجهة مسائل توزيع كل منشور . ويتم تبليغ « التمام » من القاعدة الى اللجنة المركزية ، عبر اللجنة المحلية فلجنة المنطقة فمكتب العمليات .

وقد شاركت منشورات الجبهة الوطنية المتحدة في الاعداد وصنع المظاهرات والاضرابات والنضالات المتعاظمة التي جرت في قطاع غزة في السنوات الست الماضية ، وشارك فيها عشرات الالاف من ابناء القطاع .

وقد أتاح هذا كله للجبهة الوطنية المتحدة — بواسطة صحافتها — ان تشارك بشكل مباشر وفعال في الكفاح السياسي والعسكري في القطاع ، ابتداء من مظاهرات آب (أغسطس) ١٩٦٧ ، الى اضراب الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، الى هبة أيار (مايو) ١٩٦٨ ، الى العمليات العسكرية منذ عام ١٩٦٩ .

وقد لعبت صحيفة « المقاومة » دورا بالغ الاهمية في تحريك وتعبئة الشعب ، وتعزيز الروابط بين أعضاء الجبهة وبعضهم بعضا ، وتربية الجماهير . كما عممت « المقاومة » تجربة وخبرة كفاح الشعب الفلسطيني دفاعا عن حريته وتراب وطنه .

وغني عن القول ان العمل في الصحافة السرية يتطلب معرفة تفصيلية بالاوضاع المحلية — طبوغرافيا وديموغرافيا وسياسيا — وان يكون لدى العاملين فيها خطة عمل واضحة، وأن يتسم عملهم بالمرونة والجسارة والانضباط .

نماذج من معالجات « المقاومة »

بالاضافة للدعوة الى الوحدة والتصدي لمؤامرات الاحتلال ، التي نلحظها في كافة أعداد « المقاومة » ، نلاحظ ايضا اهتمامها بالتصدي لمحاولات اقامة كيان فلسطيني هزيل تحت حراب الاحتلال الاسرائيلي ، ففضحتها وأدانت القائمين بها ، ونبهت الجماهير الى مخاطرها . كما لفتت أنظار الجماهير الى مخططات التصفية والتوطين والتشريد التي تقوم بها اسرائيل ، وتنفذها من خلال بعض المتعاملين معها من الوجهاء الفلسطينيين . كما ألقت « المقاومة » الضوء على مشاريع تهويد التعليم والاقتصاد في قطاع غزة . ونددت بمحاولات نبش أخطاء الادارة المصرية والتهويل من أخطائها . ودعت الى « ان لا نقف مكتوفي الايدي ، انتظارا لما تسفر عنه دورة الامم المتحدة ، بل علينا أن نصعد عملية المقاومة ضد العدو ، ونفشل مخططاته »(١). وكان ذلك أبان نظر قضية الشرق الاوسط — كما يحلو للبعض أن يسميها — في الامم المتحدة ومجلس الامن .

وعندما احتدمت الازمة الاقتصادية في القطاع ، أشارت « المقاومة » الى أن « هذه الازمة

لا يمكن أن تزول الا بكنس المحتلين » . ووضعت الصحيفة أمام الجماهير حلولا نضالية لمواجهة الازمة قوامها « ١ ــ اعلان التقشف ، وشد الاحزمة على البطون ، والادخار . ٢ ــ مقاطعة البضائع الكمالية التي تنتجها الشركات الصهيونية ، مقاطعة تامة شاملة . ٣ ــ على التجار أن يضعوا المصلحــة الوطنية العليا فوق مصالحهم الخــاصة ، وأن لا يعمدوا الى اخفاء السلع ورفع الاسعار ، واستغلال الازمة في الاثراء على حساب شقاء وجوع مئات الالاف من أبناء شعبنا . ٤ ــ يجب أن تبقى النقود المصرية متداولة مهما كانت حالتها »(٢).

وعندما ارتفعت الهمسات منتقصة من قدر النضال السياسي ، أوضحت المقاومة ــ في مقال عقدته خصيصا لهذا الغرض ــ أهمية هذا الشكل من النضال ، لتحقيق الوحدة الوطنية ، وانتشال جماهير الشعب من وهــدة اليأس ، وفضح المشاريع الرامية الى تصفية ونسف قضيتنا الوطنية ، ومقاومة الارهــاب الاسرائيلي ، والتصدي للحــرب النفسية الاسرائيلية ، وكشف المتعاونين مع المحتل . وأشارت الصحيفة الى أنه « الان ، وبعد انجاز معظم هذه المهام ــ في جوهرها ــ نقف عــلى أعتاب مرحلة نضالية جديدة تتطلب أشكــالا نضالية أعلى . ومع ذلك يظــل للنضال السياسي أهميته وضرورتــه ... »(٣).

وتنبهت المقاومة الى الموجة المتصاعدة من الارهاب الاسرائيلي في القطاع . والتي كانت ترمي الى دفع السكان الى مغادرة القطاع ، وكان هذا يحقق للاسرائيليين هدف تفريغ القطاع ويمهد ابتلاعهم له وضمه الى اسرائيل . وأكدت الصحيفة « أن النتيجة الحتمية الوحيدة للارهاب ، هي تدفق الالاف من أبناء شعبنا الشجاع الباسل الى خنادق المقاومة المجيدة ، والتعجيل بنهايــة المحتلين » وطالبت صحيفة الجبهة الوطنيــة ، في مقالها ، الشخصيات الوطنية والمخاتير بتكوين « الوفود للاحتجاج ، وتنظيم عرائض الاستنكار ، وارسالها للمحافل والهيئات الدولية » وطالبت « المثقفين أن يبصروا أبناء شعبنا بأهداف هذه الحملة الارهابية ، ويحضونهم ضد مؤامــرات العدو » . وطالبت الجميع بتضييق الخناق على عملاء الاستعمار وجواسيسه ، وادعياء الوجاهة المتصدرين بأسمه (٤). ومنذ العــدد السادس عشر (١٩٦٧/١٢/٣٠) خصصت « المقاومة » مربعــا صغيرا (٥ × ٧ سم) ثبتت فيه بعض الشعارات السياسية والاقتصادية ، مثل : التقشف ، مقاطعة الكماليات ، مقاطعة المناهج غــير العربية ، والتصدي للحرب النفسية . وفي العدد التالي جاءت الشعارات عــلى النحو الاتي : « البقاء عــلى أرض الوطن صفا واحدا ضد الصهيونية والصمود في مواجهة ارهاب الاحتــلال » . وبجــانب مربــع الشعارات استجد مربع اخر حوى « حكمة المقاومة » ، وكانت في المرة الاولى بيتي شعر للشاعر المصري التقدمي كمال عبد الحليم ، كــان قد قالهما ضمن قصيدة عــام ١٩٤٦ لاستنهاض همم الشعب المصري في مواجهة طغيان اسماعيل صدقي ، وهما : « ايهــا الشعب تمرد ، أفلا تبصر قبرك ؟.. ها هو الحفــار قد أوشك أن ينهي أمــرك »(٥). وجاءت حكمة العدد التالي للشاعر نفسه « نحن لن يرهبنا السجن ، ولن نلقي السلاح .. دولة الظلم ستنهار ، وتذروها الرياح » في حين كانت « شعارات المقاومة » في العدد نفسه هي « الوطن أو الموت .. التمسك بأرض الوطن تحت كل الظروف »(٦).

كما قامت « المقاومة » بنشر ملخصات لمقالات كتاب تقدميين مصريين ، امثال الدكتــور عبد العظيم أنيس وفيليب جلاب . كما أعطت حيزا كبيرا من مساحتها لخطب ومواقف المناضل عبد الناصر .

وعوضا عن « المقاومة » والمنشورات التحريكية ، أصدرت الجبهة العديد من الكراسات. كان الاول منها عن « الصهيونية » ، في حين جاء الثاني عن « حــرب الشعب وجيش الشعب » وقد حوى تلخيصا وافيا لكتاب الجنرال جياب الذي يحمل العنوان نفســه ،

ومقتطفات لماوتسي تونغ في الموضوع نفسه . أما الكراس الثالث فقد ضم دراسة موجزة عن الماركسية .

الفن الصحفي :

استخدمت « المقاومة » المقال والخبر والقصيدة والشعار في التوجيه الصحفي والتحريك . وقد خصصت الصفحة الاولى منها للمقال السياسي الرئيسي ، بالاضافة الى مربع صغير كان يحتل الطرف الاسفل الايسر ، ويضم توجيهاً مباشراً حول قضية جماهيرية ملحة . اما الصفحة الثانية فكانت تضم الاخبار وجزءا من قصيدة حماسية ، والشعارات ، وكانت القصيدة في بعض الاحيان تخلي مكانها لمقال سياسي قصير .

وقد جاءت مقالات « المقاومة » بسيطة موجزة ، وكانت جملها قصيرة وواضحة ، وتجنبت التقعر واستخدام المصطلحات ، والانشاء ، والخطابة .

واذا كانت مهمة الصحافة هي الاعلام والتثقيف والتسلية ، فقد كان طبيعيا أن تسقط « المقاومة » المهمة الثالثة من حسابها . وان تجعل من المهمة الاولى هي المهمة الرئيسية لها ، في حين تترك التركيز على المهمة الثانية للكراسات والنشرات .

كما حل في « المقاومة » مفهوم « الجماهير تصنع الانباء » محل المفهوم الصحفي البورجوازي المعروف : « الاسماء تصنع الانباء » .

الدروس المستفادة :

ولقد بين صدور « المقاومة » — في حد ذاته — للجماهير ، ان العمل والنضال ضد الاحتلال الاسرائيلي ليس واجبا فحسب ، بل ممكنا أيضا . كما فضح صدور هذه الصحيفة السرية مدى عجز سلطات القمع الاسرائيلية — التي بدت كغول مخيف عقب هزيمة حزيران — عن القبض على مصدري « المقاومة » ، أو العثور على مطابعها .

وكان انتظام صدور « المقاومة » بمثابة نبض الجبهة والشعب معا . فلم تستطع سلطات الاحتلال الاسرائيلية وقف هذا النبض ، حتى عندما تمكنت من ضرب المطابع السرية للصحيفة ، في شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، اذ سرعان ما عادت « المقاومة » الى الظهور في اذار (مارس) التالي .

وقد كان مقدرا تشكيل لجان للصحافة والمنشورات في الهيئات العليا للحزب، وما يوازيها في الهيئات الوسطى ، ولجان القاعدة ، لترويج الصحيفة والمنشورات والكراسات ، وتوفير الامن لها . وان تتعاون كافة هذه اللجان مع لجان الدعاية الحزبية المختلفة . الا ان الضربات المتلاحقة التي وجهها الاحتلال الاسرائيلي للحزب حالت دون تحقيق هذا الطموح .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الحزب الشيوعي هو الذي تولى الجوانب الدعائية في الجبهة الوطنية . بما له من طول خبرة في العمل السري ، ولامتلاكه الكوادر والمطابع والاستعدادات اللازمة لمواجهة مثل هذا النشاط .

وقد خصص الحزب ثلاثة من كوادره القيادية لكتابة وطباعة « المقاومة » ، حيث تولى اثنان منهم الكتابة ، وتخصص آخر لامور الطباعة ، اي ان احد الكوادر الثلاثة كان مشتركا بين الكتابة والطباعة معا . ولضمان الحد الاعلى من الامان والسرية كان الثلاثة اعضاء في اللجنة المركزية للحزب . هذا في حين كان يشرف على مكتب الدعاية الحزبي — في الاحوال العادية — عضو مركزي واحد يعاونه أعضاء حزبيون عاديون . وكان يدير الجهاز الفني — في تلك الاحوال العادية — أعضاء غير مركزيين ، ولم يكن يشترط

في أعضاء الجهاز الفني سوى عدم انكشاف امرهم للسلطات والناس كأعضاء في الحزب، كما كان يحال بينهم وبين الانشطة التنظيمية والسياسية .

وقد استخلصنا جملة دروس من هذه التجربة الفنية :

* تعلمنا أن الدفاع عن المواقف المبدئية لا يحتاج الى فظاظة وتوتر ، ولكنه يتطلب صبرا متعقلا . وان كان هذا لا يعني ــ البتة ــ الاخذ برأي العمليين ، القائلين بالعمل البحت وهجر الدعاية . اذ كيف يمكن أن نعمل ... وعلى أي أساس ؟!

* كما تعلمنا أنه يجب الاستعانة بأوســع دائرة ممكنة من الناس ، لوضــع محتوى الدعاية واساليبها . مما يضفي على الحركة الطابع الديمقراطي والعلمي في آن واحد . كما أن البحث عن وسائل جديدة للدعاية ، من شأنه تطبيق أكثر فعالية لهذه الوسائل ، باجتذابه قوى جديدة الى الابداع والابتكار .

ومفهومنا العلمي للاشياء ، بالاضافة الى ارتباطنا الوثيق بالجماهير ، يتيحان لنا امكانية الوصول الى حلول صحيحة لمشاكلنا . ويجب ان نعي أن العمل الدعائي الصحيح ليس فقط بالاجابة على الاسئلة بشكل صحيح ، وانما أيضا اعطاء حل تتبناه الجماهير ، اذ ان الجماهير هي القوة الاساسية التي تجعل للحل الصحيح أهمية عملية .

* ان الانهــاك الذي يسببه الارهــاب الاسرائيلي ، وضيق الوقت المخصص للقراءة والمناقشة ، يدفعان الدعاة الثوريين الى التفكير بلا انقطاع في هذه المسألة . فكتاباتنــا صحيحة ، الا اننا يجب أن نحرص على تقديمها بشكل مختصر ... مجرد بضع حقائق وأفكار أساسية ، أي علينا الجمع بين العمق والايجاز في وقت واحد . فالدعاية ــ في نظر لينين ــ فن ، ونشاط ابداعي ، مبني على كمية كبيرة من الوقائع ، وفن في انتقاء الوقائع الاشد وضوحا والاكثر دلالة ، وفي الجمع بين المفهوم العلمي للاشياء وبين شكل بسيط ، شعبي ، مقنع ، مع تجنب الكليشيهات ، والجمل الطنانة ، والتوجه الى أكبر عدد ممكن من المناضلين والكادحين .

* كان على دعايتنا أن تتصدى لاكثر القضايا تعقيدا ، والا تاه عملنا وسط الضباب .

* والمناقشة الفردية شكل هام جدا من أشكال الدعاية ، علينا ألا نهمله . مما يحتم على الاعضاء ــ والدعاة منهم على وجــه الخصوص ــ تعلــم فن النقاش ، واجادة ضبط النفس ، وكيفية عرض أفكارهم بمنتهى العلمية ، والبساطة ، والاختصار ، والوضوح .

* ليست الدعاية وقفا على جهاز متخصص في الحزب ، بل هي من شأن الحزب كله . ومعيار النجاح في الدعاية الثورية هو في مدى تعبيرها عن الاحتياجات الملحة للجماهير ، وعن الاهداف النهائية للثورة .

* الدعاية الثورية هي الارادة الواعية لنشر الحقيقة بين قطاعات واسعة من الجماهير . لذا فالدعاية الثورية جزء لا يتجزأ من النضال الثوري .

* بالرغم من تفوق العدو الدعائي ــ تكنيكيا وماليا ــ فان الدعاية الثورية قادرة عــلى قهره ، لاعتمادها على الحقيقة ، ولدفاعها عن قضية عادلة ، ولاستنادها الى قاعــدة جماهيرية عريضة ، مما يجعل منها مصدرا اعلاميا موثوقا به .

وبعد ، فأن الوضع الثوري في قطاع غزة اليوم يضع أمام الصحافة الثورية السرية في الوطن المحتل مهام نضالية جديدة . فقد دل تصاعد النضال الشعبي في فلسطين المحتلة، على أن كفاح الشعب هناك قد اكتسب ابعادا جديدة . والثورة التي تعي دور صحافتها في تعبئة الشعب ، لا بد ستبــادر الى تلافي النواقص والسلبيات في العمــل الصحفي السري ، ليستطيع مسايرة الحركة الثورية الفلسطينية . وبذا يمكن لصحافتنا الثورية

أن تتبوأ مكانها الصحيح في المسيرة النضالية من أجل التحرير وبناء فلسطين المستقلة الديمقراطية .

---

* جوزيه موريرا : مناضل شيوعي برتغالي ، عذبه رجال الشرطة السرية البرتغالية ، املا في انتزاع معلومات عن المطبعة السرية للحزب ، الا أنهم فشلوا في الوصول الى هدفهم ، ومات موريرا تحت التعذيب .

١ ــ **المقاومة** . العدد السابع ، ١٩٦٧/١٠/٦ . (انظر : ليكن تصعيد المقاومة واجبنا الفوري ومهمتنا العاجلة) .

٢ ــ **المقاومة** . العدد الخامس عشر ، ١٢/١٥/ ١٩٦٧ . (انظر : في مواجهة الازمة الاقتصادية).

٣ ــ **المقاومة** . العدد نفسه (انظر : النضال السياسي لماذا ؟!) .

٤ ــ **المقاومة** . العدد السادس عشر ، ١٢/٣٠/ ١٩٦٧ (انظر : في مواجهة الاحتلال) .

٥ ــ **المقاومة** . العدد السابع عشر ، ١/٧/ ١٩٦٨ .

٦ ــ **المقاومة** . العدد الثامن عشر ، ٢/١٣/ ١٩٦٨ .

تقرير عن معركة غزة في حزيران ١٩٦٧

حصل مراسل شؤون فلسطينية في القاهرة على هذا التقرير — شفاهة — من أحد ضباط جيش التحرير الفلسطيني عقب الهزيمة مباشرة في مدينة غزة ، وقد قام بتدوينه في حينه .

الموقف السياسي يزداد توترا ، ساعة بعد اخرى ... رفعت حالة قواتنا ، واصبحت كتيبتنا في أقصى درجات استعدادها القتالي للتحرك واخذ مكانها على خط المواجهة مع العدو . القوات الاسرائيلية كانت تتحشد في مستعمرة « نحال عوز » والتباب المحيطة بها ، متخذة كثرة الاشجار في تلك المنطقة ستارا تخفي به تحركاتها ، وللقيام بأعمال التنظيم والتنسيق بين مختلف الوحدات ، استعدادا للانطلاق للهجوم ، وكنا نلاحظ هذه التحركات ونرفع بتقاريرنا للمستويات العليا ، وكان العدو نشطا لا تكف قواته عن الحركة ، ليل نهار ، لتتحشد على طول المواجهة ، وطيرانه نشطا يقوم بطلعات استطلاعية طوال النهار .

كنا في قطاع غزة نعرف بان العدو يملك التفوق علينا في مختلف اسلحته ووحداته ، اذا ما قارنا قواتنا الموجودة في قطاع غزة بقواته ، ولكننا كنا نملك العزيمة والروح المعنوية العالية والايمان بالهدف الذي نحارب من أجله ، فنحن اصحاب قضية عادلة .

صدرت الاوامر لكتيبتنا لاحتلال منطقة دفاعية على خط المواجهة من العدو ، تمتد من يمين مطار غزة ، مارا بتبة المنطار ، ثم بيارة سعدى الشوا ، وحتى ٥٠٠ متر خارج معسكر قوات الطوارىء الدولية ، الكائن يسار تبة المنطار .

المواجهة واسعة ، والفواصل كبيرة بين كل سرية واخرى ، وكان التعاون بالنيران عندنا مفقودا . بل كان غير فعال في داخل السرية نفسها بين الفصائل . حيث لم يجر احتلال السرية على خط واحد ، كما هو متبع ، بل كان موقع السرية بشكله وحدوده هو ما فرضته علينا طبيعة الارض باشجارها وكرومها ، ولم يكن للكتيبة اية قوات احتياطية ، تستخدمها لصد أي قوات معادية يمكن ان تخترق احدى مواجهات الكتيبة ، والدفاع عن تلك المنطقة لم يتوفر فيه لا الثبات ولا الفعالية ، لقلة اسلحة التدعيم مع الكتيبة ، ناهيك عن كثرة الاوامر من أكثر من مصدر ، وما كان علينا سوى التنفيذ لكل أمر واخر ، وكثيرا ما كانت تلك الاوامر تناقض بعضها بعضا لتعدد القيادات ، ولعل هذا اسوأ ما تبتلي به القوات في الفترة الاولى لنشوب الحرب ، حيث لم يحصل ان بقيت وحدة واحدة في مكانها المخصص لها من أول الامر ، بل جرى تغييره عدة مرات ، فما ان نبدأ في حفر الخنادق والتجهيز في مكان ، حتى يأتينا امر بترك هذا المكان والتحرك جهة اليمين او اليسار ، ثم نضطر أخيرا لترك هذا المكان ايضا ، لحجج واهية ، كل ما فيها ان الذي اصدر هذا الامر يريد ان يعرف الاخرين بانه هو القائد المسؤول !

وهكذا ، كان من نصيب كتيبتنا ان تحتل منطقة دفاعية تمتد من يمين مطار غزة وحتى ٥٠٠ م خارج معسكر قوات الطوارىء الدولية ، والى الامام منها ، اي ان وحدات الكتيبة المقاتلة كانت شرقي الطريق المسفلت ، فيما عدا مؤخرة الكتيبة ، التي كانت تحتل مواقعها في كروم الزيتون خلف تبة المنطار .

اخذنا في تجهيز المنطقة الدفاعية للكتيبة ، وتجهيز حفر الاسلحة ، وخنادق الجنود ، وكنا — لضيق الوقت — نستعين بافراد الشعب ، والحق انهم كانوا يندفعون عن طيب خاطر يتطوعون لمساعداتنا ، وكان الكل مقاتلا يحمل السلاح .

كنا نتابع التطورات السياسية اضافة الى متابعتنا لاعمالنا كعسكريين ، وكان الجميع متوتر الاعصاب ، كمن يترقب حدوث شيء في أية لحظة ، الى ان كان صباح الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفي الساعة العاشرة بالضبط . ولم نفاجأ بهذا التوقيت لاننا اعرف بطبيعة العدو الصهيوني ونواياه الغادرة ، بل كنا نعد لكل احتمال يجري في اذهاننا عدته .

في هذا الوقت اخذ العدو يقصف مواقعنا بتمهيدات المدفعية ، ولمدة ست ساعات تقريبا ، وبدون انقطاع ، وبشكل كثيف ومركز ، من مواقعه يسار ويمين مستعمرة «نحال عوز»، وكنا نرد عليه بما لدينا من اسلحة ، كانت في الواقع عاجزة عن ان تحدث به أية خسائر تذكر ، ورجال المشاة في قواتنا قابعون في خنادقهم في انتظار لحظة هجوم العدو . والحقيقة اقول ان معنويات جنودنا كانت عالية ، ولم يحصل ان فقد الرجال توازنهم نتيجة القصف ، او وضعوا في الاعتبار بان العدو سيتمكن من تحطيم خط دفاعاتنا، وكنت الاحظ هذا على وجوه الكثيرين متوتري الاعصاب ، واصابعهم على الزناد ، يمضغون لفافات التبغ ، ولكن في اعينهم كثيرا من التساؤلات ، يعجز عن فهمها الا من كان يشاركهم نفس الموقف . ولم يجرؤ اي منهم ان يرد عليها ، حتى بينه وبين نفسه . فلا يمكن ان تحرز اسرائيل نصرا ساحقاً ، واحب الناس الينا ، على بعد عشرات الامتار منا ، يحتضن اطفالهن في البيوت تحت رحمة قنابل مدفعية وطائرات اسرائيل .

لم يعد اي فرد يفكر في شيء سوى تلك اللحظة ، وهي بدء الهجوم الاسرائيلي ، وكنا في هذا الوقت على اتصال مستمر بين مختلف وحدات الكتيبة ، وكانت اعمال اخلاء الشهداء والجرحى وامداد القوات بمختلف الاحتياجات تجري بصورة صحيحة ومنتظمة . ومع اخر ضوء لنهار الخامس من حزيران (يونيو) بدأ هجوم العدو ، واشتبكنا معه ولكنه استطاع ان يخترق مواجهة السرية المحتلة ليمين تشكيل قتال الكتيبة ، بعد ان دفع الثمن غاليا ، فقد دمرت له سبع مجنزرات ، ولكن دباباته داست مواقع السرية . وقد استشهد لنا حوالي العشرين مقاتلا ، ثم قام العدو بعملية التفاف على الطريق المسفلت، متجها الى الشمال ثم مارا بمعمل « اللتون » ، وهكذا فقد صعدت آلياته ودباباته (نحو خمسين دبابة ومجنزرة) الى تبة المنطار من الخلف ، بعد ان لاقت مقاومة عنيفة من قواتنا المتخندقة هناك ، وسقط لنا كثير من الشهداء .

فوجئنا بتلك اللحظة بان قوات العدو قد اصبحت خلفنا ، وعلى تبة المنطار ، اي اننا اصبحنا واقعين تحت سيطرة نيرانه ، وهكذا قررنا الانسحاب الى مقبرة الشجاعية ، لنعترض طريق العدو ونمنعه من التوغل والانتشار داخل المدينة ، ولكن بعد فوات الاوان ، فلم تعد مقاومتنا منظمة ، وفقدت السيطرة والقيادة داخل المدينة . واخذ العدو يقصف المدينة بمدفعيته ، واخذت ارتاله تتقدم على كثير من المحاور والطرق لتحتل غزة . وهكذا أصبحت الاحياء الشرقية للمدينة واقعة في ساحة القتال . ولم يكن في مقدورنا ان نوقف تقدم العدو . وبذا تشتتت الكتيبة الى جماعات صغيرة لا رابطة بينها ، وتفرق الكثيرون لمقاومة وحدات العدو المخترقة ، او للانضمام لوحدات اخرى لاعادة التنظيم ثانية ، وهكذا انتهت حربنا النظامية مع العدو .

ولم يكن الذنب ذنب رجالنا ، بقدر ما يقع على عاتق القيادات المتعددة ، وقلة ما نملك من اسلحة ، وانتشار قواتنا على مواجهة واسعة ، وعلى خط واحد ، اشبه بقشرة رقيقة يسهل على العدو اختراقها ، بما لديه من تفوق عددي وكمي في الانفار والسلاح والمعدات .

تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢

ليلى سليم القاضي

للقضية الفلسطينية تاريخ طويل نسبيا مع مشاريع التسوية السياسية (الحلول السلمية) الهادفة الى تصفيتها نهائيا واضفاء طابع الشرعية الرسمية على الوجود الاسرائيلي في المشرق العربي . وقد حصرت في هذا التقرير أهم مـا صدر من هذه المشاريع ومـن « مبادرات السلام » منذ قيام دولة اسرائيل حتى مشروع الملك حسـين الداعي الى تصفية قضية الشعب الفلسطيني عن طريق اقامة « المملكة العربية المتحدة » . ومن مراجعة هذه المشاريع تبرز أمامنا صورة عامة عن النزاع العربي الاسرائيلي تتلخص بما يلي :

(١) أنظمة عربية تعرف انها عاجزة أمام قوة اسرائيل والقوى الامبريالية الداعمة لها ، وغير قادرة في الوقت نفسه على تخطي هذا العجز (لاسباب عديدة تختلف وفقا لطبيعة الطبقة الحاكمة في كل دولة عربية) .

(٢) الانظمة العربية نفسها وهي معرضة لضغط شعبي عربي وفلسطيني شديد كي تواجه التحدي الاسرائيلي بنجاح وتدعم نضال الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه الوطنية وما يولده هذا الضغط من احراجات كبيرة لهذه الانظمة .

(٣) دولة اسرائيل وهي تستفيد من وضع الانظمـة العربية الحرج وتنتهز الفرص المناسبة للمزيد من التوسع والسيطرة في العالم العربي مما يزيد بدوره من حراجة مركز الانظمة العربية أمام شعوبها ويفضح بصورة متصاعدة حقيقة عجزها عن القيام بالمهمات الوطنية الكبرى المطروحة على الامة .

(٤) تأرجح الانظمة العربية المستمر بين مغازلة فكرة الوصول الى تسوية سياسية مع اسرائيل (مع حفظ ماء الوجه قدر الامكان) تحت ضغط عجزها المزمن ، وبين التزاماتها بمواجهة اسرائيل مواجهة كفاحية وعسكرية ناجحة تحت ضغط المطالب الجماهيرية والتوقعات الشعبية من جهة ، ورفض اسرائيل والامبريالية تمكين الانظمة من الحصول على تسوية تحفظ ماء الوجه ولو ضمن أدنى الحدود ، من جهة ثانية .

(٥) اسرائيل وهي تستفيد الى أقصى الحدود من التأرجح العربي الرسمي المذكور فتطرح نفسها كداعية للسلام والتسويات السياسية « المعقولة » والحلول السلمية بينما هي في الواقع تكسب مكاسب كبيرة من استمرار حالات الحرب الباردة أو الساخنة ، أو حالات اللاسلم واللاحرب مما جعل اية تسوية للنزاع قضية خاسرة بالنسبة لها حتى هذه الساعة .

(٦) نزعة الانظمة العربية المعنية ، في وجه هذا المأزق الخانق ومن أجل المحافظة على المصالح الطبقية التي تمثلها ، الى البحث عن المخارج « اللائقة » لنفسها عن طريق

الاصرار على « تدويل » مأزقها واخراج الصراع عن نطاقه الاقليمي ، ومن ثم اللجوء الى الوساطات الخارجية ، ومشاريع التسوية الدولية ، ومساعي هيئة الامم ، وجهود الدول الاربع الكبرى ، في محاولة لتغطية رغبتها في تسوية النزاع بدون اراقة ماء الوجه كليا أمام جماهير دولها وشعوبها ، ولمنع مركزها الحرج شعبيا من الوصول الى حافة التدهور الكلي .

ان كل مشروع تسوية سياسية سنمر عليه في هذا التقرير يعكس ، من حيث تركيبه وخلفيته وطبيعة الاستجابات العربية والاسرائيلية الى دعوته ، المقومات الاساسية الستة المذكورة التي صنعت تاريخ علاقة التسويات السياسية بالقضية الفلسطينية عامة والنزاع العربي الاسرائيلي بالتخصيص .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذا التقرير لا يتطرق الا الى مشاريع التسوية ذات الطابع الرسمي وشبه الرسمي التي طرحت من قبل أحد الاطراف المعنية (الطرف الاسرائيلي أو العربي ، او طرف ثالث مثل هيئة الامم وحكومات الدول الاخرى) على الاطراف الاخرى في الصراع كأساس ممكن التفاوض حوله لتصفية القضية الفلسطينية . أي لا يتطرق هذا التقرير الى المشاريع ذات الطابع « الخاص » أو غير المطروحة على بقية الاطراف بصفة رسمية مثل مشروع آلون ومشروع بعثة فيشر والمشروع الذي تقدمت به جماعة الكويكرز والافكار التي طرحت حول التنمية الاقتصادية والمائية المشتركة لمنطقتنا ، الخ ...

القسم الاول : ١٩٤٨ – ١٩٦٧

لجنة التوفيق الدولية

جاءت أول محاولة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي بعد قيام دولة اسرائيل من قبل مجلس الامن الذي اتخذ قرارا في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ بتشكيل لجنة التوفيق الدولية . تألفت اللجنة من ممثلين عن فرنسا والولايات المتحدة وتركيا . وتلخص موضوع الخلاف الذي ركزت اللجنة مساعيها عليه في ما يلي : مطلب الحكومة الاسرائيلية اجراء مفاوضات مباشرة مع كل دولة عربية منفردة وعلى حدة من جهة ، واصرار الحكومات العربية على دخول المفاوضات ككتلة واحدة واجرائها بصورة غير مباشرة بحيث تعمل اللجنة كوسيط بين الطرفين من جهة ثانية . وكان الموقف العربي ناتجا عن القرار الذي تم اتخاذه بالاجماع في اجتماعات الجامعة العربية التي انعقدت في القاهرة من ٢٥ آذار الى ١٣ نيسان ١٩٤٩ . ونص القرار على منع الدول العربية من اجراء مفاوضات منفردة مع اسرائيل او عقد اية معاهدات سلام منفصلة معها على أن تخضع الدولة المخالفة الى عقوبات مثل الطرد من الجامعة العربية وقطع العلاقات الدبلوماسية والمالية والاقتصادية والتجارية معها ، هذا بالاضافة الى اغلاق حدودها . وواضح ان هذا القرار كان محاولة أخيرة من قبل الطبقات الحاكمة يومها لانقاذ ما يمكن انقاذه بالنسبة لامكانية استمرارها بعد هزيمتها أمام اسرائيل ووقوفها عارية تماما أمام شعوبها ، وبعد تعرضها لضغط الغليان الجماهيري المتصاعد الذي زادته الهزيمة حدة وقوة .

للخروج من المأزق ، تقدمت لجنة التوفيق بمشروع تسوية الى الحكومة الاسرائيلية والحكومات العربية في ٢٩ آذار ١٩٥٠ اقترحت فيه انشاء لجان مشتركة تجتمع برئاسة ممثل عن اللجنة وتكون مؤلفة من ممثلين عن البلدان المعنية بالموضوع الذي يجري البحث فيه . وقد قام ممثلو اللجنة بزيارة كل من تل أبيب والعواصم العربية بين ٥ و١٥ نيسان ١٩٥٠ من أجل مناقشة الاقتراح . ومن الواضح أن مشروع اللجنة هو نوع من الحل الوسط بين المطلبين الاسرائيلي والعربي يمكن الحكومات العربية من الدخول في

المفاوضات مجتمعة بصورة جزئية ولكن بدون أن تشكل كتلة واحدة (هذا على افتراض انها كانت قادرة أصلا على تشكيل كتلة واحدة) .

هنا بدأ التأرجح العربي الرسمي المعهود بين الاغراءات التي يقدمها مشروع التسوية الطبقات الحاكمة من جهة ، وبين الضغط الجماهيري المعاكس والعواقب الشعبية التي سيؤدي اليها التطبيق الفعلي للمشروع من جهة ثانية .

في ١٢ نيسان ١٩٥٠ اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة وقررت قبول مقترحات اللجنة . الا ان عبد الرحمن عزام باشا ، أمين عام الجامعة يومها ، خفف من وقع القبول بقوله ان القرار العربي لا يعني فتح المفاوضات المباشرة مع اسرائيل وانه مشروط بقبول اسرائيل بقرارات هيئة الامم حول فلسطين (بما في ذلك قراري التقسيم وتدويل القدس) وبضرورة اتمام اللجنة لمهمتها قبل انعقاد الدورة التالية للجمعية العامة لهيئة الامم . وفي تصريح لاحق لعزام باشا (١٣ نيسان ١٩٥٠) أعلن ان الدول العربية مستعدة للبحث في تسوية نهائية لقضية فلسطين ، بما في ذلك قضية الحدود ، شرط أن توافق اسرائيل على اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين على أرضهم أو أن تدفع لهم التعويضات المستحقة .

أما اسرائيل فقد تقدمت بمذكرتين الى البعثة (في ١٣ نيسان و٨ أيار ١٩٥٠) عبرت فيهما عن « استعدادها للبدء مباشرة بالمفاوضات من خلال أي أسلوب فعال يمكن التوصل اليه من أجل تحقيق تسوية لكافة القضايا العالقة واحلال السلام الدائم » . الا انها وجهت النقد لشروط الجامعة العربية من اجل اجراء المفاوضات واتهمت الدول العربية بتنفيذ برنامج تسلح وحصار اقتصادي ضدها مما لا يتفق مع ميثاق هيئة الامم ومع روح اتفاقيات الهدنة . كما اتهمت الدول العربية بشن حملة دعائيـــة شعواء ضدها وذلك تحضيرا لحرب انتقامية جديدة .

وعلى اثر القبول العربي والاسرائيلي للمقترحات المذكورة ، أعلنت لجنة التوفيق في ١٥ أيار ١٩٥٠ أن الاجابات التي تلقتها تفتح امكانية لتنفيذ مشروع المصالحة المقترح وتمنت على الدول المعنية بأن يكون كافة ممثليها في المفاوضات متمتعين بالصلاحيات التي تمكنهم من التصرف باسم حكوماتهم . لكن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة أصدرت في هذه الفترة البيان الثلاثي الشهير (٢٥ أيار ١٩٥٠) الذي تعهدت فيه بحماية حدود اسرائيل القائمة . وهنا اضطرت الدول العربية الى الاعتراف رسميا بعجزهـــا الكامل امـــام التحديات التي طرحتها المسألة الفلسطينية وبقبولها صراحة بوصاية الدول الاستعمارية الكبرى على المنطقة العربية . جاء هذا الاعتراف في البيان الذي أصدرته جامعة الدول العربية على اثر اجتماعها في ٢١ حزيران ١٩٥٠ للبحث في البيان الثلاثي . ذكر بيان الجامعة ان الحكومات العربية قررت التعبير عن نوايا العرب السلمية قبل أن تفكر الدول الكبرى الثلاث باصدار بيانها ، وتفنيد المزاعم الاسرائيلية القائـــلة بأن العرب يطلبون السلاح لاغراض عدوانية . أي ان بيان الجامعة أكد نوايا العرب السلمية وبيَّن أن الدول العربية ترى ان «أفضل وسيلة وأضمنها لاعادة السلام والاستقرار الى الشرق الاوسط » هي حل مشكلاته على أسس « الحق والعدالة » .

بعد فضيحة البيان الثلاثي اضطرت الحكومة المصريـــة الى سحب ممثليها لدى لجنة التوفيق كما أعلنت حكومات سوريا ولبنان والاردن رفضها لمقترحات اللجنة باقامـــة لجان مشتركة مؤكدين على انه من المستحيل التفاوض مع اسرائيل في الوقت الحاضر تحت اشراف اللجنة .

بعد فشل محاولتها الاولى رفعت اللجنة تقريرا عن أعمالها الى الامين العام لهيئة الامم المتحدة اقترحت فيه ضرورة قيام اسرائيل باتخاذ الخطوة الاولى نحو تحقيق التسوية في

المنطقة بسبب الخلل الذي ادخله انشاؤها على العالم العربي، وضرورة تكيف السياسات العربية مع الامر الواقع الجديد في المنطقة . أما بالنسبة للاجئين الفلسطينيين فقد أوصت اللجنة باعادة قسم منهم الى « اسرائيل » بما لا يتعارض مع مصالحها ، وبالتعويض المباشر عن ممتلكات البقية ، وباتخاذ الاجراءات اللازمة من قبل الدول العربية وغيرها من اجل دمج الفلسطينيين في المجتمعات الموجودين فيها وذلك بمساعدة هيئة الامم ماليا وفنيـــا .

في ١٠ آب ١٩٥١ دعت لجنة التوفيق حكومات كل من اسرائيل ومصر والاردن ولبنان وسوريا الى ارسال ممثلين الى مؤتمر ينعقد في باريس بعد شهر من توجيه الدعوة . مرة اخرى أخذت الانظمة العربية تغازل امكانات التسوية فردت ردا مشتركا ، نشر في ٢٩ آب ١٩٥١ ، بقبول دعوة اللجنة شرط الا يطلب من الممثلين العرب والاسرائيليين ان يجلسوا الى المائدة نفسها . كذلك وافقت اسرائيل على الدعوة عبر مذكرة موجهة الى لجنة التوفيق مؤرخة في ٩ أيلول حيث جاء أن البعثة الاسرائيلية ستتقدم « باقتراحات واسعة وعملية » من أجل احلال السلام ، ولكنها لن تناقش أيا من الاسباب المحددة للاحتكاك بين الطرفين ما لم تقبل الدول العربية بأن يكون هدف المؤتمر هو « التسوية النهائية لكل المشكلات العالقة » .

عند افتتاح المؤتمر في باريس في ١٣ أيلول ١٩٥١ تقدم رئيس اللجنة بمذكرة الى الوفود العربية والوفد الاسرائيلي (كل على حدة) شرح فيه أهداف اللجنة من مباحثات المؤتمر على النحو التالي :

(١) تسوية حقوق الاشخاص واوضاعهم خاصة فيما يتعلق باعادة توطين اللاجئين ودفع التعويضات عن الخسائر الناجمة عن القتال .

(٢) حل المشكلات المتعلقة بحقوق وواجبات الدول المعنية وعلاقاتها ببعضها ، خاصة مسألة رسم الحدود واقامة المناطق المجردة من السلاح وأعادة المواصلات والاجراءات الجمركية .

(٣) الاتفاق بين الاطراف المعنية على احترام حق كل منها في التمتع بالامن ، والامتناع عن القيام بأية أعمال عدائية ، والعمل من اجل السلام الدائم في فلسطين .

وبعد أن تشاورت الوفود العربية مع حكوماتها وافقت ، في ١٧ أيلول، على مذكرة رئيس لجنة التوفيق كما عبرت عن رغبتها في التعاون مع اللجنة ، ولكنها أصرت على ضرورة موافقة اسرائيل على اعادة اللاجئين كشرط اساسي لاية تسوية . أما اسرائيل فقد بدأت باثارة المتاعب في المؤتمر باعتبار ان مصالحها الحيوية المستقبلية لا تنسجم أبدا مع تحقيق تسويات ورسم حدود مع دول ضعيفة وحكومات على حافة الانهيار . طالب الوفـــد الاسرائيلي في رده (٢١ أيلول) بفتح مفاوضات مباشرة مع الوفود العربية ، وبضرورة الاتفاق على جدول اعمال قبل البدء بالمباحثات التفصيلية ، كما اقترح عقد معاهدات عدم اعتداء بين اسرائيل والدول العربية كخطوة أولى نحو عقد معاهدة سلام رسمية .

على اثر ذلك تقدمت لجنة التوفيق بمشروع للتسوية تصدرته مقدمة تقول ان الفرقاء ، بحكم واجباتهم كأعضاء في هيئة الامم كموقعين على اتفاقيات الهدنة ، يتعهدون بتسوية كافة الخلافات الحالية أو المستقبلة باللجوء الى الاساليب السلمية فقط ، ويمتنعون عن اي استخدام للعنف أو للاعمال العدوانية ، كما يعترفون اعترافا كاملا بحق كل طرف من الأطراف بالامن والتحرر من الخوف من اي هجوم على حدوده ، كما يتعهدون بالعمل من أجل اعادة السلام الى فلسطين بهذه الاساليب . بعد هذه المقدمة اقترحت اللجنة ما يلي من أجل تسوية الخلافات العالقة بين الفريقين :

(١) الغاء كل المطالب الناتجة عن الاعمال الحربية في حرب ١٩٤٨ .

(٢) موافقة الحكومة الاسرائيلية على اعادة عدد محدد من اللاجئين وعلى أسس تمكنها من دمجهم في الاقتصاد الاسرائيلي .

(٣) قبول الحكومة الاسرائيلية دفع تعويضات عن الممتلكات التي يتركها اللاجئون الذين لا يعودون ويكون التعويض مبلغا يقدر على أساس القيمة التي توصل اليها مكتب اللجنة للاجئين ، وأن توضع خطة للدفع تأخذ بعين الاعتبار قدرات الحكومة الاسرائيلية على ذلك . توضع هذه الخطة من قبل لجنة خاصة من الخبـــراء الاقتصاديين والماليين يتم تعيينها من قبل هيئة الامم .

(٤) توافق حكومات كل من مصر والاردن وسوريا ولبنان واسرائيل على رفع الحجز عن كافة الحسابات المصرفية المجمدة وعن القدرة على دفعها بالجنيه الاسترليني .

(٥) تنظر الحكومات المذكورة ، تحت اشراف هيئة الامم ، بامكانية تعديـــل أو اعادة النظر في اتفاقات الهدنة ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا التالية : (أ) اجراء تعديلات اقليمية بما فيها انشاء مناطق منزوعة السلاح . (ب) انشاء وكالة دولية للمياه تعالج مشكلات استخدام مياه نهري الاردن واليرموك وروافدهما ، بالاضافة الى مياه بحيرة طبريا . (ج) مستقبل قطاع غزة الذي تديره حاليا مصر . (د) اقامة مرفأ حــر في حيفا . (هـ) اجراء ترتيبات خاصة بالنسبة للحدود بين اسرائيل وجيرانها مع اهتمام خاص بمسألة العبور الحر الى الاماكن المقدسة في منطقة القدس بما في ذلك بيت لحم . (و) ضبط كل ما يتعلق بقضايا الصحة والمخدرات والمواد الممنوعة على خط الحدود . (ز) اجراء ترتيبات هدفها تسهيل النمو الاقتصادي للمنطقة واعادة الاتصالات والعلاقات الاقتصادية بين الطرفين .

استجابة لمقترحات لجنة التوفيق تقدم ممثلو اسرائيل بمسودة معاهدة عدم اعتداء تدعو الى احترام حق كل طرف في العيش بأمـــان وبدون أن يكون مهددا بالهجوم والاعمال العدوانية الصادرة عن الطرف الآخر .

أما الجانب العربي فقد وافق على اصدار بيان يؤكد من جديد نوايا الحكومات العربية باحترام التزاماتها المتضمنة في اتفاقيات الهدنة ، وعزمها على عدم اللجوء الـــى القوة العسكرية من أجل تسوية القضية الفلسطينية واحترامها لحق كل فريق في العيش بأمان متحررا من الخوف من اي هجوم عليه من جانب القوات المسلحة التابعة للفريق الآخر . على اثر هذا « التفاهم » وجهت لجنة التوفيق رسالة الى ممثلي الطرفين في المؤتمر ، مؤرخة في ٦ تشرين الاول ١٩٥١ ، قالت فيها ان مقترحات الطرفين تشكل خطوة الى الامام باتجاه خلق الاجواء الملائمة من أجل انجاح المباحثات الجارية ومن أجل التقدم نحو اعادة السلام الى فلسطين . كما ذكرت الرسالة ان اللجنة تعتبر المقترحات المذكورة أساسا للنظر في مشروعها الشامل . واستجابة لرسالة اللجنة عبرت الوفود العربية عن استعدادها للدخول في المباحثات التفصيلية لتسوية النزاع . الا انه في هذه اللحظة الحرجة حيث الانظمة العربية واقعة بين المطرقة الاسرائيلية وسندان الضغط الشعبي ، بدأت المناورات الاسرائيلية القيام بدورها في المؤتمـــر وهدفها عدم تمكين الحكومـــات العربية من الخروج بأي نوع من التسوية السلمية التي تمكنها من الرجوع الى شعوبها بشيء سوى الاستسلام والاذلال الكاملين . اذ أن عملية رسم الحدود وتسوية النزاعات لا يمكن أن تكون لمصلحة دولة ذات بنيان توسعي واضح مثل اسرائيل .

في ١٤ تشرين الاول ١٩٥١ بعث الوفد الاسرائيلي برسالة الى لجنة التوفيق اكد فيها رغبة حكومته في التعاون معها ، ثم أعلن انه لا يمكن ان يقبل بوجهة نظر اللجنة حول الموقف العربي لان الاخير الزم الدول العربية باعتبارها موقعة على اتفاقات الهدنة فقط ولانه لم يتضمن أي تعهد من قبل الجانب العربي بتسوية خلافاته بالاساليب السلمية

فقط ، ولانه حدد معنى الاعمال العدوانية بصورة لا تشمل الا عمليات القوات المسلحة. وفي ١٩ تشرين الاول أجابت اللجنة الوفد الاسرائيلي قائلة بأنها لا يمكن ان تقبل أي تفسير لموقفها يتضمن تقييما لمدى صلاحية اتفاقيات الهدنة ، أو قرار مجلس الامن ، أو بنود ميثاق هيئة الامم . كما أكدت الرسالة ان ما يعلنه أي من الطرفين لا يمكن ان يبدل شيئا من الالتزامات التي تعهدا بها على اساس اتفاقات الهدنة والميثـاق ، ثم دعت الوفـد الاسرائيلي للدخول في المباحثات حول الاقتراحات التي تقدمت بها اللجنة . وفي ٢٦ تشرين الاول رفض الوفد الاسرائيلي الاستمرار في المفاوضات وفشلت مهمة لجنة التوفيق . بعبارة أخرى دخلت اسرائيل المؤتمر كداعية للسلام والتصالح وخرجت منه مناورة تريد الاستفادة الكلية من حالة الحرب الباردة القائمة بينها وبين الحكومات العربية المجاورة الضعيفة والمهلهلة .

المشروع النرويجي

بعد فشل لجنة التوفيق تقدم المندوب النرويجي بمشروع قرار في هيئة الامم (٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٢)من أجل تسوية الخلافات بين الدول العربية واسرائيل . وشاركت الدول التالية في تقديم مشروع القرار : كندا ، الدنمارك ، هولندا ، الاوروغواي ، كوبا ، بناما ، الايكوادور . وقد نص على ما يلي : (١) مناشدة الفريقين العربي والاسرائيلي الامتناع عن القيام بأية أعمال عدوانية ضد الفريق الآخر . (٢) التأكيد من جديد على المبدأ القائل ان المسؤولية الرئيسية في الوصول الى تسوية الخلافات تقع على الحكومات المعنية . (٣) حث تلك الحكومات على الدخول في مفاوضات مباشرة في أقرب فرصة ممكنة . (٤) دعوة لجنة التوفيق لتقديم خدماتها من أجل تحقيق التسوية .

وعادت المناقشات لتدور من جديد حول موقف الدول العربية الذي كان يصر على اجراء المفاوضات ضمن اطار القرارات السابقة للجمعية العامة لهيئة الامم (بما في ذلك تدويل القدس واعادة اللاجئين) من جهة واصرار اسرائيل على ان تبدأ المفاوضات على اسس جديدة بدون العودة الى القرارات السابقة لهيئة الامم. وبعد مناقشات طويلة ومحاولات « توفيقية » متعددة تبنت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة مشروع حل وسط دعمته اسرائيل وعارضته الحكومات العربية . وبما ان المشروع لم يحظ في الجمعية العامة بثلثي الاصوات فقد طابعه الالزامي .

الدبلوماسية الامريكية الهادئة

بعد استلام الضباط الاحرار السلطة في مصر بقيادة جمال عبدالناصر في صيف ١٩٥٢ تركزت جهود النظام الجديد على التخلص من بقايا الاستعمار الانكليزي في البلاد . وكان هذا يعني تبادل الابتسامات مع الولايات المتحدة ولو من باب تحييدها مؤقتـا من أجل انجاز المعركة مع الوجود البريطاني بنجاح . واستغلت امريكا هذه الفرصة لعرض وساطتها السرية لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا. وفي ٣ آب ١٩٥٤ صرح عبدالناصر بأن مصر تحتاج الى السلام كي تتمكن من حل مشاكلها الداخلية واقترح ان تقوم الولايات المتحدة بدور الوسيط بين اسرائيل والدول العربية . ومع انه وصف اسرائيل بأنها دولة عدوانية قال بأن مصر تريد أن تنهي التوتر القائم شرط ان يتم تنفيذ قرارات هيئة الامم . وقد كتب مايلز كوبلاند (صحيفة « التايمز » اللندنية ، ٢٤ حزيران ١٩٧١) أن الرئيس عبدالناصر تبادل في هذه الفترة عددا من الرسائل مع موشيه شاريت رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها ، وان اجتماعـات سرية عقدت بين ممثلين عن مصر واسرائيل في احدى العواصم الاوروبية ، كل ذلك بتشجيع الدبلوماسية الامريكية ومساعدتها . أما موضوع الاتصالات الاولى فقد كان تخفيف حدة التوتر بين الطرفين . وفي المذكرات التي نشرها بن غوريون في صحيفة « معاريف » بتاريخ ٢ و٩

و١٦ و٢٣ تموز ١٩٧١* حديث عن الرسائل المتبادلة بين مصر واسرائيل في عام ١٩٥٣ (قبل ازاحة محمد نجيب من السلطة) وعن الاجتماعات التي تمت في باريس بين مبعوثين من الدولتين عام ١٩٥٤ بهدف تخفيف حدة التوتر على الحدود. وانقطعت هذه الاتصالات في أوائل ١٩٥٥ بعد عودة بن غوريون الى السلطة وقيام اسرائيل بهجومها الشهير على غزة . وكما هو معروف كان للغارة الاسرائيلية اثر كبير في اقناع الرئيس عبدالناصر بضرورة حصول مصر على السلاح من مصادر غير المصادر الغربية التقليدية مما جعله يتوجه نحو الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي من أجل تحقيق هدفه . وكانت النتيجة المباشرة لهذا التوجه صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا . وعلى اثر هذا الحدث الذي هز المنطقة يومها عادت الدبلوماسية الامريكية الى محاولاتها لاحياء الاتصالات المصرية الاسرائيلية السرية على أعلى المستويات . وأوكلت الاجهزة الامريكية الى مايلز كوبلاند وكيرميت روزفلت مسؤولية احياء هذه الاتصالات والاشراف عليها .

في أيلول ١٩٥٥ أجرى روزفلت اتصالات سرية مع الرئيس عبدالناصر هدفها اقناعه باتخاذ اجراءات معينة هدفها موازنة صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا وذلك خدمة للسلام في المنطقة ، كأن يعلن ، مثلا ، أن أهداف الحصول على الاسلحة دفاعية محض وان مصر مستعدة لاتخاذ خطوات ايجابية نحو السلام اذا رأت ان الطرف الاسرائيلي سيستجيب بخطوات مماثلة . وبالرغم من تنديد وزير الخارجية الامريكي ، جون فوستر دالاس ، بصفقة الاسلحة والتأثير السلبي الذي تركه هذا التنديد في مصر ، استمرت الدبلوماسية الامريكية في مشروعها الرامي الى تحقيق اتصالات سرية بين مصر واسرائيل . واطلق اسم « جاما » على المشروع . وتكفل روزفلت (مع مايلز كوبلاند) بجانبه السري وروبرت اندرسون بجانبه العلني . أما تفاصيل مشروع جاما فهي كما يلي وفقا لرواية كوبلاند ومذكرات بن غوريون : يقوم كل من روزفلت ومايلز كوبلاند بسلسلة من المحادثات مع الرئيس عبدالناصر هدفها الوصول الى تحديد موقف اساسي تنطلق منه المفاوضات . كما يقوم أمريكيان آخران باجراء محادثات مماثلة مع بن غوريون من أجل الوصول الى تحديد موقف اسرائيلي أساسي مشابه . بعد ذلك يتنقل اندرسون بين القاهرة وتل ابيب من أجل تضييق شقة الخلاف بين الموقفين الى الحد الادنى الممكن. عندئذ يتم ترتيب اجتماع سري بين الرئيس عبدالناصر وبن غوريون في يخت خاص في البحر الابيض المتوسط لسد الفجوة نهائيا بين الطرفين . ويؤكد كوبلاند ان روزفلت حصل على موافقة كل من عبدالناصر وبن غوريون على هذه الترتيبات مع اصرار الرئيس المصري على نقطتين : أولا يجب أن تحصل مصر على أكثر من مجرد ممر (وسيتم تحديد عرض هذا الممر في المفاوضات مع اسرائيل) لربطها بالاردن . ثانيا ، على الاسرائيليين أن يوافقوا ، من حيث المبدأ ، على قبول الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة الى منازلهم . ويبدو انه لم تكن لدى عبدالناصر اية أوهام حول نوايا اسرائيل السلمية بدليل قوله لروزفلت وكوبلاند انه يتوقع أن تضع اسرائيل عراقيل ادارية في طريق المشروع . على هذا الاساس سافر أندرسون من القاهرة الى تل ابيب (٢٣ كانون الثاني ١٩٥٦) حيث عقد اجتماعات مطولة مع المسؤولين هناك بمن فيهم بن غوريون وبحضور ممثل عن دائرة الاستخبارات الامريكية لا يذكر بن غوريون اسمه الا اننا نعلم مما كتبه كوبلاند انه كيرميت روزفلت . وتنقل اندرسون أكثر من مرة بين القاهرة وتل ابيب (٣١ كانون الثاني ١٩٥٦ و٩ آذار ١٩٥٦) حيث عقد عدة اجتماعات على أعلى المستويات . ويستفاد من مذكرات بن غوريون ان المحادثات كانت تدور حول قضيتين رئيسيتين : السلام بين مصر واسرائيل ، وتخفيف حدة التوتر والاشتباكات على الحدود . ويؤكد بن غوريون ما قاله

---

* انظر الملخص الذي قدمه احمد خليفة لمذكرات بن غوريون في « **شؤون فلسطينية** » ، عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

مايلز كوبلاند حول اشتراط عبد الناصر لتحقيق السلام ان تقبل اسرائيل بحل مشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم ، وبتأمين اتصال اقليمي بين افريقيا وآسيا العربيتين . ويلقي كوبلاند مسؤولية فشل مشروع جاما على أكتاف بن غوريون وتصلبه اذ يقول ان رئيس الوزراء الاسرائيلي رفض مناقشة التفاصيل المتعلقة بالتنازلات الاسرائيلية مع اندرسون وقال له « وظيفتك هي أن تعمل على عقد اجتماع بين عبدالناصر وبيني ، واذا كنت سأقدم اية تنازلات فانني سأقدمها له وليس لاي شخص آخر » ، أي مات مشروع جاما كغيره من المشاريع بسبب التصلب الاسرائيلي في اللحظة المناسبة مما جعل مهمة اندرسون في تضييق شقة الخلاف بين الموقفين الى حدها الادنى مستحيلة . وقد برر يعقوب هرتزوغ ، الذي حضر الاجتماعات الاسرائيلية مع اندرسون ، موقف اسرائيل بقوله في « معاريف » (٦ آب ١٩٧١) ان اسرائيل لم تكن تعتقد ان باستطاعة عبدالناصر عقد الصلح مع اسرائيل حتى لو اراد ذلك بسبب المعارضة الداخلية والعربية لمثل هذه الخطوة كما يقول بن غوريون في مذكراته بأنه كان يعتقد أن عبدالناصر كان يجري هذه الاتصالات على سبيل المناورة ومن أجل كسب الوقت كي يتيح الفرصة امـــام جيشه لاستيعاب السلاح السوفياتي الجديد . وفي هذه الاشارة أكثر من مغزى مهم يفسر اقدام اسرائيل على الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر في أواخر ١٩٥٦ .

مشروع دالاس

في ٢٦ آب ١٩٥٥ ادلى دالاس بتصريح مهم حول السياسة الامريكية في الشرق الاوسط عبر فيه عن رغبة الحكومة الامريكية في العمل على تحقيق تسوية سلمية بين اسرائيل والدول العربية . وطرح الوزير الامريكي مشروعه من خلال قوله ان هناك ثلاث مشكلات رئيسية يجب حلها من أجل تحقيق التسوية وهي :

(١) وضع حد لبؤس مليون اللاجىء من الفلسطينيين المقتلعين مما يستدعي تأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة الى وطنهم الاول ضمن حدود الممكن ، وتوطينهم في المناطق العربية المتواجدين فيها . ومن أجل تحقيق التوطين اقترح دالاس استصلاح المزيد من الاراضي من خلال مشاريع الري بحيث يتمكن اللاجئون من الاستقرار والعمل عليها . ومن أجل تحقيق هذه الافكار اقترح دالاس على اسرائيل دفع تعويضات للاجئين يتـــم تمويلها من خلال قرض دولي ستشارك فيه الولايات المتحدة بصورة اساسية . وأكد ان حكومة بلاده ستساهم في اقامة مشاريع الري وتحقيق التنمية المائية في المنطقة ممـــا سيساعد مباشرة على اعادة توطين اللاجئين .

(٢) الخوف الذي يسيطر على دول المنطقة مما يجعلها عاجزة عـــن الشعور بالامان والاطمئنان . وشدد دالاس ان التغلب على هذا الخوف والوصول الى الشعور بالامان لا يمكن ان يتحققا بجهود دول المنطقة وحدها بل يتطلبان اجراءات جماعية هدفها ردع أي عدوان بشكل قوي وحاسم . على هذا الاساس عبر دالاس عن استعداد الولايات المتحدة للدخول في معاهدات رسمية هدفها منع اي عمل من قبل أي من الطرفين من شأنه تغيير الحدود بين اسرائيل وجيرانها بالقوة ، بالاضافة الى كبح مثل هذا العمل . كذلك عبر عن أمله في أن توافق دول أخرى على المساهمة مع امريكا في مثل هذه الضمانات الامنية ، وأن يتم كل ذلك تحت اشراف الامم المتحدة .

(٣) من أجل ضمان الحدود يجب أن يكون هناك اتفاق مسبق حول طبيعة هذه الحدود . وبما أن الخطوط الحالية التي تفصل اسرائيل عن الدول العربية ناتجة عن اتفاقات لجنة الهدنة عام ١٩٤٩ ولا تشكل حدودا دائمة تصبح مسألة الحدود من أهم المسائل التي يجب حلها من أجل الوصول الى تسوية سلمية بين الدول العربية واسرائيل . وأعلن دالاس عن رغبة حكومته في المساهمة في عملية البحث عن حل لمشكلة الحدود . كما

اعتبر ان حل هذه المشكلات الاساسية سيمهد الطريق الى حل بقية القضايا العالقة بين العرب واسرائيل بما فيها قضية القدس .

من الضروري التنبه هنا الى أن التكتيك الامريكي البارز في مشروع دالاس هو النزع المفتعل للصبغة السياسية عن النزاع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية واعادة طرح المشكلة على أسس تكنوقراطية قابلة للحل بالوسائل الفنية المتقدمة . أي تحويل المشكلة وتجزئتها الى مشاكل « التنمية المائية في المنطقة » ، « توطين المقتلعين » ، « تأمين القروض المالية اللازمة » ، « رسم الحدود » ، « معاهدات لضمان هذه الحدود » ، الخ .

بعد فشل المحاولات السياسية الاولى (السرية منها والعلنية) لتسوية النزاع وتصفية القضية الفلسطينية تحولت الدبلوماسية الامريكية باتجاه آخر يتلخص في محاولة تصفية القضية عن طريق مشاريع ذات مظهر تقني خارجي براق تدعو الى تطوير ثروات المنطقة المائية وغير المائية ، وتركيز الجهود والاموال على « التنمية » بدلا من المواجهة مع العدو الى آخر دعوات هذا الخط المعروف ، والذي جاء مشروع دالاس كأول تعبير واضح ومتماسك عنه .

أيدت وزارة الخارجية البريطانية المبادرة الامريكية في تصريح صدر في ٢٧ آب ١٩٥٥ ، أعلن عن استعداد بريطانيا لضمان أية تسوية اقليمية يتم التوصل اليها عن طريق الدخول في معاهدات رسمية مع الاطراف المعنية ، وللمساهمة في القرض الدولي من أجل دفع تعويضات اللاجئين .

أما اسرائيل فقد حددت موقفها من مشروع دالاس في تصريح أدلى به رئيس وزرائها في ١١ أيلول ١٩٥٥ حين قال : (١) ان حكومته مستعدة لمناقشة موضوع ادخال بعض التعديلات المتبادلة على الحدود مع جيرانها العرب ولكنها غير مستعدة لتقديم اية تنازلات من طرف واحد فيما يتعلق بالارض وخاصة بالنقب . (٢) مع ان مشروع دالاس قد جعل تعيين الحدود شرطا يجب تحقيقه قبل عقد المعاهدات الدفاعية ترى اسرائيل ان عقد مثل هذه المعاهدات مسألة ملحة جدا . (٣) ان خطوط الهدنة الحالية ، مهما كانت نواقصها وسيئاتها ، قد تم الاتفاق عليها بين الطرفين ، في حين ان أية محاولة للوصول الى اتفاق حول تعديل هذه الخطوط في المستقبل القريب ستثير اشكالات كبيرة لا طائل منها . (٤) منطقة النقب مهمة جدا بالنسبة لاسرائيل بسبب ثرواتها المعدنية وبسبب الاهمية الكبرى لمرفأ ايلات الذي يعطي اسرائيل موطىء قدم على البحر الاحمر . وعاد السفير الاسرائيلي في واشنطن (أبا ايبان) الى تأكيد موقف حكومته من مشروع دالاس ولكن بشكل أكثر تفصيلا . وكما هو متوقع أصر الموقف الاسرائيلي على تثبيت الوضع القائم يومها على حاله مع عدم التورط في أية اتفاقات قد تضطر اسرائيل الى اعلان حدودها الاقليمية النهائية — هذه الحدود التي ما زالت غير معلنة او معروفة حتى اليوم . ويبدو ان مشروع روجرز (١٩٧٠) الداعي الى « ادخال تعديلات طفيفة » على الحدود بين الدول العربية المعنية واسرائيل مستوحى جزئيا من مشروع دالاس القديم والمناقشات التي دارت حوله وحول طبيعة التعديلات المتبادلة على الحدود التي يمكن أن تقبل بها اسرائيل .

أما على الجانب العربي فقد اعلن رئيس الوزراء السوري ، سعيد الغزي ، في المجلس النيابي في ٢٦ أيلول ١٩٥٥ رفض سوريا لكل الخطط او المحاولات الرامية الى عقد سلام مع اسرائيل بما في ذلك اقتراحات دالاس . ولم تحدد أية دولة عربية أخرى موقفها الرسمي من مشروع دالاس ، الا أن اذاعة القاهرة هاجمت المشروع واعتبرته محاولة لوضع العرب تحت رحمة اسرائيل .

مشروع انطوني ايدن للتسوية

في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٥ أعلن رئيس الوزراء البريطاني ، أنطوني ايدن ، بأنه على استعداد (مع مساهمة دول أخرى) لتقديم ضمانات رسمية الى اسرائيل والدول العربية اذا تم التوصل الى اتفاق هدفه تسوية موضوع الحدود بين الطرفين . من الضروري أن يذكر القارىء ـــ بصدد المشروع البريطاني ـــ ان التنافس بين الاستعمار القديم المتداعي ومصالح الاستعمار الامريكي الجديد حول منطقتنا كان شديدا في تلك الفترة . وهذا ما يفسر تقديم ايدن لمشروع تسوية من عنده على الرغم من وجود مشروع امريكي مطروح قيد التداول والدرس في الاوساط الدبلوماسية والدولية. مع العلم ان المشروع البريطاني لا يتعارض مع مقترحات دالاس ، لكنه يذكر فقط بآخر محاولة من قبل الاستعمار البريطاني للتأكيد على استقلاله السائر في طريق التلاشي . ووعد ايدن ، في حال تحقيق مثل هذه التسوية ، بتقديم مساعدات مالية وغير مالية هامة تساهم فيها دول اخرى لحل مشكلة اللاجئين . وشرح ايدن طبيعة النزاع العربي الاسرائيلي على النحو التالي : (١) تستند الدول العربية في موقفها على قرار هيئة الامم الصادر عام ١٩٤٧ وغيره من القرارات . وهم على استعداد ، كما أعلنوا مرارا ، للدخول في مباحثات مع اسرائيل على هذا الاساس . (٢) يستند الموقف الاسرائيلي على الواقع العسكري القائم في المنطقة الذي رسمته اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ . (٣) ان الفجوة بين الطرفين ليست على درجة من الاتساع بحيث لا يمكن لاية مفاوضات أن تسدها ، اذ لا يمكن اهمال قرارات هيئة الامم من ناحية ، كما أنه لا يمكن تطبيقها على علاتها من ناحية ثانية . وبما أن الدول المعنية بالنزاع تريد السلاح لانه يخدم مصالحها ، لا بد اذن من أن يقدم كل من الطرفين بعض التنازلات لسد الفجوة بين الموقفين المتعارضين . وأكد ايدن ان حكومته على استعداد لتقديم كل الخدمات الممكنة لتحقيق هذا الهدف . كان ايدن يتقدم بهذا التحليل الشكلي والتجريدي لطبيعة الصراع العربي الاسرائيلي بدون أن يدرك اهمية المد الوطني الصاعد في صفوف الجماهير العربية في تلك الفترة ومدى ارتباطه الصميمي بالقضية الفلسطينية ، مما كلف ايدن منصبه الرئاسي ومستقبله السياسي. مع ذلك كانت اسرائيل السباقة الى رفض مشروع ايدن لانه أشار الى قرارات هيئة الامم ، وكان ذلك في خطاب ألقاه بن غوريون في الكنيست في ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٥ حيث قال « ان غزو الدول العربية لارض اسرائيل في حرب ١٩٤٨ قد جعل كافة قرارات هيئة الامم حول فلسطين لاغية وباطلة بدون اية امكانية لاعادتها الى الحياة » .

أما على الجانب العربي فلم تصدر اية تعليقات رسمية على مشروع ايدن باستثناء تصريح صحفي أدلى به عبدالناصر (وكان يومها رئيسا للوزراء) في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٥ حيث قال ان عودة ايدن الى قرارات هيئة الامم لعام ١٩٤٧ تشير الى ان حقوق الفلسطينيين لم يتم التخلي عنها ـــ كما كان يظن البعض ـــ من قبل الدول الكبرى وان الوقت قد حان لاعادة احياء تلك القرارات التي اهملت لمدة ثماني سنوات . كما ذكر عبدالناصر في تصريحه أن ايدن لم يتقدم بأية مقترحات محددة تتطلب دعما مصريا ، بل عاد الى التقاط قرارات هيئة الامم من جديد مما يشكل في نظر مصر اعترافا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي أغتصب وطنه عندما كان خاضعا للانتداب البريطاني .

وساطة صحفية

في شهر ايار ١٩٥٦ قام الصحفي المصري ابراهيم عزت بزيارة لاسرائيل دامت ١١ يوما (انتهت في ١٦ أيار) كان اثناءها بضيافة الحكومة الاسرائيلية . وقد تم الكشف عن الزيارة في ١٩ أيار ١٩٥٦ عندما رفع ابراهيم عزت تقريره عن الرحلة الى الرئيس جمال عبدالناصر ثم نشر مقالا في « روز اليوسف » ضمنه عدة انطباعات ايجابية عن اسرائيل.

وفي عام ١٩٥٧ نشر كتابا عن رحلته ثم أعاد طبعه بشكل موسع عام ١٩٥٨ تحت عنوان « أنا عائد من اسرائيل »*. ذكر عزت في كتاباته عن الزيارة انه اجتمع الى بن غوريون وموشيه شاريت ، وزير الخارجية ، وجولدا مائير ، وزيرة العمل ، حيث شدد كل منهم على رغبة بلاده في السلام مع مصر بعد أن قالوا ان مصر هي العدو المحتمل الوحيد لاسرائيل وان السلام معها هو هدف كل انسان في اسرائيل وحلمه . وذكر الصحافي المصري ان الاسرائيليين مقتنعون انهم اذا حققوا السلام مع مصر فان بقية الدول العربية ستضطر الى سلوك الطريق نفسها**. ويبدو ان بن غوريون حمّل ابراهيم عزت رسالة من نوع ما الى الرئيس عبدالناصر بدليل قول الصحافي المصري : « قال لي بن غوريون بالحرف الواحد الذي أملى علي كلمة كلمة ، اذا ذهبت الى مصر واستطعت ان تقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، قل لسيادته انني على استعداد لمقابلته في أي وقت ، وفي أي مكان يحدده هو لمناقشة أي مسألة يحب أن يثيرها سواء كانت هذه المسألة خاصة باللاجئين أو الحدود ، أو كانت مسألة اقتصادية او سياسية أو عسكرية ، بدون وسيط وبدون اذاعة أي شيء عن هذا الاجتماع أو نتائجه . قل له ، انني على استعداد لمقابلته ولو في القاهرة »*** .

وفي ٢١ حزيران ١٩٥٦ أكد ناطق بلسان بن غوريون أن رئيس وزراء اسرائيل على استعداد لمقابلة عبدالناصر في أي مكان وأي زمان يختاره ، وانه على استعداد لان يذهب الى القاهرة « كالقذيفة » اذا كان ذلك ضروريا . كما ذكر الناطق ان بن غوريون لن يسمح للصحافيين المصريين بزيارة اسرائيل بعد اليوم ما لم يرد عبدالناصر المبادرة بالسماح للصحافيين الاسرائيليين بزيارة مصر . وبطبيعة الحال ماتت كل المشاريع المطروحة والوساطات العالقة على اثر تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي الذي تلاه.

المشروع الاسرائيلي

- اثناء الزيارة التي قام بها موشيه شاريت للولايات المتحدة وبعد المحادثات التي اجراها مع دالاس (٢١ تشرين الثاني و٦ كانون الاول ١٩٥٦) طلب أسلحة امريكية وأعلن عن استعداد اسرائيل لتقديم تنازلات رئيسية مهمة منها تحقيق تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . وتضمنت مقترحاته التفاصيل التالية كما نشرت في واشنطن في ١٩ كانون الاول ١٩٥٦ :

(١) موافقة اسرائيل على اجراء تعديلات متبادلة في خطوط الهدنة بهدف تحسين الاوضاع الامنية والمواصلات ، ورفضها للتفاوض على أساس خط التقسيم لعام ١٩٤٧ .

(٢) استعداد اسرائيل للنظر بموضوع منح الدول العربية حقوق ترانزيت تسهل حركة التجارة بين الشمال والجنوب (أي بين لبنان ومصر) وعبر النقب (أي بين مصر والاردن) شرط أن تمنح الدول العربية لاسرائيل حقوقا مشابهة . وتشمل هذه الحقوق النقل البري والجوي .

(٣) استعداد اسرائيل لمنح الاردن تسهيلات حرة في ميناء حيفا وحقوق الترانزيت الضرورية من اجل الوصول اليه عن طريق البر .

(٤) استعداد اسرائيل لجمع الاموال اللازمة من أجل التعويض على اللاجئين وقبولها بالقرض الذي عرضته الولايات المتحدة للمساهمة في اعادة اسكانهم وتوطينهم . الا ان اسرائيل مصرة على ضرورة توطين اللاجئين في الدول العربية .

---

* ابراهيم عزت ، **انا عائد من اسرائيل** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٨ .

** راجع الصفحات التالية من كتابه « **انا عائد من اسرائيل** » : ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩٦.

*** « **انا عائد من اسرائيل** » ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

(٥) قبول اسرائيل بمشروع تطوير نهر الاردن الذي اقترحه جونستون بحيث تشترك مع الدول العربية في الاستفادة من مياه نهري الاردن واليرموك . وتعتبر اسرائيل هذه الخطوة تنازلا من طرفها لان ما يزيد عن نصف الموارد المائية سيذهب الى الدول العربية .

وأوضح المشروع ان اسرائيل لن تتراجع عن النقاط التالية في موقفها المعروف :

(١) لن توافق على اية تنازلات من جانب واحد (أي جانبها) كما انها تتوقع ان تجري التعديلات الطفيفة على خطوط الهدنة بصورة تترك أرض اسرائيل على ما هي عليه تقريبا .

(٢) لن تتنازل عن ميناء ايلات في العقبة .

(٣) عندما تعطي حقوق الترانزيت للاردن ومصر لن تسمح باقامة اية ممرات غير خاضعة للسيادة الاسرائيلية .

(٤) ستستمر اسرائيل في معارضة تدويل القدس .
ولم تصدر اية تصريحات أو تعليقات من قبل الحكومات العربية حول مشروع شاريت .

المشروع الكندي

في ٢٦ شباط ١٩٥٧ قال ليستر بيرسون وزير الخارجية الكندي في خطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم بأن المنظمة الدولية « وصلت الى نقطة اللارجوع » بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي لانه ليس بالامكان العودة الى الظروف التي كانت قائمة قبل تشرين الاول ١٩٥٦ (أي قبل العدوان الثلاثي) . وعلى هذا الاساس تقدم بالمشروع التالي لتثبيت الوضع في المنطقة وليس لتسويته على ما يبدو :

(١) تتعهد كل من اسرائيل ومصر بالتقيد بدقة بكافة بنود اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ .

(٢) يقوم كل من الامين العام لهيئة الامم ، والمنظمة الدولية نفسها ، وقائد قوات الطوارىء التابعة لها بوضع الترتيبات اللازمة مع الحكومات المعنية من أجل وضع قوات الطوارىء على خطوط الهدنة . أما الهدف من هذه الخطوة فيتلخص بثلاث نقاط : (أ) ان تأخذ على عاتقها بعض واجبات هيئة رقابة الهدنة ، (ب) المساعدة في منع الحملات والهجمات عبر خطوط الهدنة ، (جـ) المحافظة على السلام على طرفي الخط .

(٣) الالتزام بعدم التدخل في حق العبور البريء في مضائق تيران . ويتبع انسحاب القوات الاسرائيلية من شرم الشيخ دخول قوات الطوارىء الدولية اليها للمساعدة في الحفاظ على السلام ومنع حدوث أي صدامات وفقا للاهداف التي عينتها الجمعية العامة لهذه القوات .

(٤) اقامة ادارة مدنية تابعة لهيئة الامم في غزة بالتعاون مع مصر واسرائيل .
ولم تعلق أي من الحكومات العربية او اسرائيل على المشروع الكندي كما انه لم يشر اليه في مناقشات الجمعية العامة .

المشروع الاسترالي

في ٢١ تشرين الاول ١٩٥٧ قال الرئيس الاسترالي (السيد منزيس) في خطابه السنوي أمام الحزب الليبرالي الحاكم انه ينبغي القيام بمحاولة جديدة من اجل الخروج من الحلقة المفرغة التي تلف النزاع في الشرق الاوسط . ودعا هيئة الرقابة للدفع باتجاه مباحثات على مستوى رفيع من أجل استكشاف امكانيات الوصول الى اتفاقية جديدة مضمونة دولية هدفها ازالة أسباب التوتر في المنطقة من جذورها . ثم اقترح النقاط التالية كأساس لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي :

(١) تسوية نهائية ومضمونة للحدود العربية الاسرائيلية .

(٢) تسوية لقضية اللاجئين .

(٣) تقديم مساعدات اقتصادية دولية غير مشروطة عسكريا الى الدول التي تحتاجها في الشرق الاوسط .

(٤) تشجيع التبادل التجاري السلمي الذي يستفيد منه البائع والشاري .

(٥) الاعتراف بالجوانب المدنية والاقتصادية لحلف بغداد وتوسيعها .

(٦) النظر الى مشكلة البترول وتموينه على أساس التعاون والضمانات الدولية وليس على أساس التنافس الدولي فقط .

(٧) اقامة هيئة استشارية دولية تقدم النصائح الى دول الشرق الاوسط حول مشاكلها المالية والاقتصادية .

واعتبر رئيس الوزراء مقترحاته الاساس الذي تسير عليه سياسة حكومته بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط . ولم تصدر أية تعليقات رسمية حول المقترحات من اسرائيل أو من الدول العربية .

مشروع جونسون

شهدت السنوات القليلة التي تلت العدوان الثلاثي على مصر معارك عنيفة بين القوى التقدمية العربية الصاعدة يومها وبين الاستعمار كان من أهم نتائجها قيام الجمهورية العربية المتحدة وسقوط حلف بغداد والانزال العسكري الامريكي في لبنان . لذلك لم تتقدم اي من الجهات المعهودة بأية مشاريع جديدة بالمعنى الدقيق للعبارة في تلك الفترة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وتصفية القضية الفلسطينية . واخذت المجهودات الامريكية في هذه الفترة طابع تقديم المشاريع الاقتصادية العامة « لتنمية » المنطقة وحل مشكلات « التخلف » فيها . وكان أحد الاهداف الكامنة وراء تقديم مثل هذه المشاريع العمل على تصفية القضية الفلسطينية عن طريق استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في المجتمعات العربية المقيمين فيها وذلك بواسطة خلق مشاريع اقتصادية تحت اشراف امريكا وبرعايتها وتمويلها لتحقيق هذا الهدف . ويجب ان نذكر هنا ان الامبريالية الامريكية كانت يومها في سبيلها الى الحلول محل الاستعمار الكلاسيكي في المشرق العربي مما دعاها الى عرض أغراءاتها على دول المنطقة بشكل مشاريع تنمية أقتصادية ومائية للمنطقة . ونذكر بالتحديد مشروع ايزنهاور الذي تم اعلانه في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ والداعي الى قيام امريكا بتقديم المساعدات المالية الى الدول العربية المشرقية من أجل التنمية الاقتصادية مع الربط بين هذه المساعدات ومقاومة الشيوعية . عاد ايزنهاور الى طرح مشروعه من جديد في النصف الاول من عام ١٩٥٨ في الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة التابعة لهيئة الامم بشأن الشرق الاوسط . دعا ايزنهاور في مشروعه الى انشاء مؤسسة تنمية عربية على اساس اقليمي بالتشاور مع هيئة الامم ومساعدتها وذلك للاسراع في التنمية الصناعية والزراعية والمائية الخ . . . وذلك بدعم من الدول والمنظمات المستعدة لتأييد هذه المؤسسة . وأعلن عن استعداد الولايات المتحدة للمساهمة في اقامة هذه المؤسسة وتأييدها . ومع ان ايزنهاور لم يشر في مشروعه الى القضية الفلسطينية الا أن الامين العام لهيئة الامم يومها ، داغ هامرشولد ، ربط بوضوح بين مقترحات ايزنهاور والقضية الفلسطينية بقوله ان التقدم في انجاز هذه المقترحات سيخلق الاساس المناسب لمعالجة مشكلة خطيرة من مشاكل المنطقة هي مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

واستمرارا في هذا الخط تقدم هامرشولد في ١٥ حزيران ١٩٥٩ بوثيقة الى الجمعية

العامة لهيئة الامم عنوانها « مقترحات بشأن استمرار الإمم المتحدة في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين : وثيقة صادرة عن الامين العام » . ركز هامرشولد في مقترحاته على توسيع البرامج التي من شأنها تأهيل اللاجئين وتعزيز قدرتهم على اعالة انفسهم وعلى الاستغناء عن المساعدات التي تقدمها لهم الوكالة الدولية ، وبالتالي توطينهم في الواقع ان لم يكن بصورة رسمية علنية . ان مختلف مشاريع التأهيل وتيسير الهجرة والشغل واعالة النفس بين اللاجئين — تلك المشاريع التي كانت وكالة الاغاثة تقوم بها على نطاق محدود — هي المشاريع التي جاء هامرشولد يدعو الى اعلانها سياسة رسمية للوكالة ، والى توسيع نطاقها الى أبعد حد ممكن .

بعبارة أخرى نظر هامرشولد الى هذه المشاريع كتمهيد لعملية الاذابة والاستيعاب والادماج التي جعلها محور تقريره فيما يتصل باللاجئين . وهو لذلك يدعو الى المزيد منها ، ويناشد الدول العربية المضيفة بالتعاون مع الوكالة فيها .

ومع ان مقترحات هامرشولد لم تتطرق بصورة مباشرة الى مسألة تسوية الصراع العربي الاسرائيلي الا انه واضح من مضمونها انها تهدف الى دمج الشعب الفلسطيني في المجتمعات العربية المتواجد فيها عن طريق مشاريع التنمية الاقتصادية وعن طريق اعتبار « اللاجئين » طاقة بشرية واقتصادية تحتاجها هذه المجتمعات في عملية التنمية هذه . أي أمامنا هنا نموذج عن الاسلوب غير المباشر لتصفية قضية الشعب الفلسطيني .

كان رد الفعل الفلسطيني ضد مشروع هامرشولد قويا كما ظهر من المؤتمر الفلسطيني الذي انعقد في بيروت في ٢٦ حزيران ١٩٥٩ وحضره مندوبون وممثلون عن جميع مخيمات الفلسطينيين ومختلف أماكن اقامتهم في الاراضي اللبنانية وجميع هيئاتهم ومنظماتهم . وصدر بيان هام عن المؤتمر رفض مشروع هامرشولد ودعوته لتذويب الشعب الفلسطيني في اقتصاديات الشرق الاوسط وكل مشروع آخر من شأنه ان يحول دون حقه الطبيعي في وطنه . وفي ١٢ تموز ١٩٥٩ انعقد مؤتمر عربي فلسطيني ثان في بيروت أصدر بيانا أكد فيه الموقف الذي تم تحديده في المؤتمر الاول ، كما استنكر موقف وكالة الاغاثة وحذرها من تبنيها لمشروع هامرشولد وتنفيذها لتوصياته .

مع استنفاد النهوض الوطني الجماهيري العربي بقيادة مصر لزخمه واندفاعه ، عادت الدبلوماسية الامريكية لطرح مشاريعها المتعلقة بالصلح مع اسرائيل ، واتجهت هذه المرة ايضا باتجاه نزع الصفة السياسية عن القضية في محاولة لاظهارها بمظهر المشكلة التي تتطلب حلولا ذات طابع فني أو تقني يتقدم بها أختصاصيون بعد أن يكونوا قد درسوا « المعضلة » بشكل « موضوعي » و« مجرد » من أجل الوصول الى الحل المناسب لها . انطلاقا من هذا التصور كلفت حكومة الولايات المتحدة في سنة ١٩٦١ الدكتور جوزيف جونسون ، رئيس مؤسسة كارنجي للسلام العالمي ، القيام بدراسة جديدة عن مشكلة اللاجئين . ولاعطاء مهمة جونسون الطابع الدولي المناسب تم تكليفه من خلال لجنة التوفيق الدولية .

اعتبر جونسون ان استمرار مشكلة اللاجئين يعود الى التناقض القائم بين موقف الحكومات العربية وموقف اسرائيل من المشكلة . كانت اسرائيل تصر على ان الاعتبارات الامنية تمنعها من الموافقة على اعداد كبيرة من اللاجئين ، بينما كانت الدول العربية ترفض مناقشة اية تفاصيل تتعلق بالتسوية ما لم توافق اسرائيل على قرارات هيئة الامم الداعية الى السماح « للاجئين الذين يريدون العودة الى منازلهم والعيش بسلام مع جيرانهم » بالرجوع الى اسرائيل في أقرب وقت ممكن ، والى التعويض عن ممتلكات الذين يختارون عدم الرجوع . انطلاقا من هذين الموقفين حاول جونسون في محادثاته ايجاد صيغة حل وسط يأخذ بعين الاعتبار الناحية « الانسانية » (وليس السياسية والوطنية) من مشكلة اللاجئين من جهة، ولا يهدد أمن اسرائيل من جهة ثانية.

وفي ٢ تشرين الاول ١٩٦٢ اقترح جونسون حلا قائما على الاجراءات التالية :

(١) يعطى كل رب اسرة من اللاجئين فرصة للاختيار الحر — بمعزل عن اي ضغط من اي مصدر كان — بين العودة الى فلسطين والتعويض .

(٢) ينبغي ان يكون كل لاجىء على علم تام (أ) بطبيعة الفرص المتاحة له للاندماج في حياة المجتمع الاسرائيلي ان هو اختار العودة و(ب) كمية التعويضات التي سيتلقاها كبديل ان هو اختار البقاء حيث هو .

(٣) يتم حساب التعويضات على اساس قيمة الممتلكات كما كانت في فلسطين عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ مضافة اليها الفوائد المستحقة .

(٤) تقوم الولايات المتحدة وغيرها من الدول الاعضاء في هيئة الامم — بما فيها اسرائيل — بالاسهام في توفير الاموال اللازمة لدفع التعويضات .

(٥) من حق اسرائيل أن تجري كشفا أمنيا على كل لاجىء يختار العودة .

(٦) يستفيد اللاجئون الذين لم يكن لهم اية ممتلكات في فلسطين من تعويض مالي مقطوع لمساعدتهم على الاندماج في المجتمع الذي يختارون التوطن فيه . ويتم دفع هذه التعويضات من خلال هيئة الامم التي ستقوم بدور الوسيط والعازل بين الاطراف المعنية الى أن تنتهي عملية التوطين .

(٧) يحق لاية حكومة الانسحاب من هذا المشروع اذا اعتبرت ان فيه تهديدا لمصالحها الحيوية .

(٨) يتم تطبيق المشروع بصورة تدريجية ، كما ان التخلي عنه في منتصف الطريق لن يترك اللاجئين في وضع أسوأ مما كانوا عليه قبل الشروع بتنفيذه .

رفضت اسرائيل مقترحات جونسون في تشرين الثاني ١٩٦٢ على لسان وزيرة الخارجية يومها (جولدا مائير) التي أكدت من جديد القرار الذي اتخذه الكنيسيت في تشرين الثاني ١٩٦١ القائل باستحالة عودة اللاجئين الى اسرائيل لان الحل الوحيد لمشكلتهم هو توطينهم في الدول العربية .

لم ترفض الحكومات العربية مقترحات جونسون صراحة ، انما استمرت في اصرارها على ضرورة موافقة اسرائيل على قرارات هيئة الامم المتعلقة بقضية اللاجئين قبل الدخول في بحث اية تفاصيل أخرى مرتبطة بهذا الموضوع . وعلى اثر فشل مشروعه استقال جونسون في مطلع عام ١٩٦٣ من عمله في هيئة الامم .

بعد مضي بضعة اشهر على فشل مهمة جونسون تحركت الدبلوماسية الامريكية من جديد ولكن بدون ان تتقدم بأية مشاريع او مبادرات جديدة للسلام ، بل عادت للعمل هذه المرة من خلال لجنة التوفيق الدولية . ففي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة لهيئة الامم يدعو لجنة التوفيق للاستمرار في مساعيها من أجل تنفيذ نص الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤/٣ (وهي الفقرة التي تعطي الخيار للاجئين بين العودة والتعويض) . وقد تبنت اللجنة السياسية مشروع القرار الذي رفضه المندوب الاسرائيلي رفضا كليا ومباشرا .

أما لجنة التوفيق فقد رفعت تقريرا الى الجمعية العامة في ٣ كانون الاول ١٩٦٣ قالت فيه ان الولايات المتحدة اخذت تجري منذ بداية عام ١٩٦٣ سلسلة من الاتصالات الهادئة على أعلى المستويات مع كل من اسرائيل والاردن ولبنان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة حول تسوية النزاع العربي الاسرائيلي . كما ذكر التقرير ان جميع الاطراف ابدت

استعدادا حسنا ورغبة صادقة في تحقيق تقدم بالنسبة لحل مشكلة اللاجئين ، وهي تريد الاستمرار في هذه المحادثات التي لم تكتمل بعد . ويبدو ان هذا التقرير وضع الحكومات العربية في موقف محرج أمام شعوبها مما دعا ممثليها في هيئة الامم الى اصدار بيان مشترك نفى وجود مثل هذه الاتصالات واكد ان الحكومات العربية غير مستعدة للدخول في أية محادثات مهما كان نوعها مع لجنة التوفيق ، وان الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين هو اعادة توطينهم في فلسطين . لا بد من الاشارة هنا الى انه مع مجيء عام ١٩٦٣ كانت الوحدة بين مصر وسوريا قد انحلت ، والنهوض الوطني الجماهيري الذي شهدته المنطقة ابتداء بمنتصف الخمسينات قد استنفد طاقته وقوته وأخذ بالانحدار البطيء ، وكانت الهجمة الامبريالية على أنظمة الحياد الايجابي وعدم الانحياز في العالم الثالث قد اشتدت، وفي هذه الاجواء المتراجعة ، على الصعيدين الوطني والتحرري ، طرح الرئيس التونسي، الحبيب بورقيبة ، في سنة ١٩٦٥ مشروعه لتصفية القضية الفلسطينية ولتسوية النزاع مع اسرائيل .

كان بورقيبة يقوم بجولة في المشرق العربي (آذار ونيسان ١٩٦٥) حيث أدلى بتصريحات تحدت الموقف العربي الرسمي المعلن والقائل بأن التعايش مع اسرائيل غير ممكن وانه لا بد من الدخول في حرب من أجل تحرير فلسطين . واقترح الرئيس التونسي العمل على « حل » المشكلة الفلسطينية خطوة بعد خطوة بحيث يتمكن العرب والاسرائيليون من العيش بسلام جنبا الى جنب ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي يقوم بها رئيس دولة عربي بالاعلان صراحة ان المطلوب للقضية الفلسطينية هو حل وسط . وكانت هذه المرة الاولى أيضا التي يدخل فيها مثل هذا الموقف ميدان المناقشات السياسية بين الزعماء العرب .

بعد عودته الى تونس القى بورقيبة خطابا في ٢١ نيسان ١٩٦٥ دعا فيه الى تسوية النزاع العربي الاسرائيلي على اساس قرار التقسيم ، وشرح معناه على النحو التالي :

(١) تعيد اسرائيل الى العرب ثلث المساحة التي احتلتها منذ انشائها لتقوم عليها دولة فلسطينية عربية .

(٢) يعود اللاجئون الفلسطينيون الى دولتهم الجديدة .

(٣) تتم مصالحة بين الدول العربية واسرائيل تنهي حالة الحرب الباردة بينهما .

وعبر الرئيس التونسي عن اعتقاده بامكانية التوصل الى صلح عربي اسرائيلي على المدى البعيد ، واقترح أن تبدأ المفاوضات بين الفلسطينيين واسرائيل على أن يتبعها اجتماع بين اسرائيل والحكومات العربية في روما أو في أية عاصمة أخرى . كما وعد بورقيبة باثارة هذا الموضوع في مؤتمر القمة العربي القادم في الرباط وان يتصل شخصيا بالرئيس عبدالناصر حوله ، اذا أخذت اسرائيل موقفا ايجابيا من مقترحاته .

يبدو ان الرئيس التونسي لم تكن لديه اية أوهام حول قبول اسرائيل بالرجوع الى قرار التقسيم أو حول مقدرة البلاد العربية مجتمعة على العمل لتنفيذ مثل هذا المشروع . أي انه ليس بالامكان أخذ مقترحات بورقيبة بعين الجد كمشروع حقيقي صادر عن جهة قادرة على تصفية القضية الفلسطينية . مع ذلك حققت تصريحات بورقيبة هدفها في كسر اجماع الموقف العربي الرسمي المعلن أمام الجماهير حول القضية الفلسطينية والموقف من اسرائيل ، وذلك في فترة تراجع القوى التحررية العربية بقيادة مصر وعبدالناصر ، وسيادة سياسة مؤتمرات القمة والمصالحة مع الرجعية العربية وانظمتها . لقد طرح بو رقيبة مشروعه على اساس العودة الى قرار التقسيم (وهو يعلم ان اسرائيل لا يمكن أن تقبل بمثل هذا الاجراء على الاطلاق) لكي يخفف من وقع مقترحاته على الصعيد العربي الداخلي وكخطوة أولى للدخول في مساومات يصبح من الاسهل التحكم بها وبردود

فعلها داخليا اذا أخذت طابع المرحلية والتدرج الممتدتين على مدى فترة زمنية طويلة نسبيا بحيث لا تولد صدمة قوية تستفز المشاعر الوطنية الجماهيرية دفعة واحدة . وبما أن مشروع بورقيبة لم يصدر عن أية جهة دولية قادرة ويحسب لها حساب فقد تعرض الى نقد عنيف من قبل عدد من الحكومات العربية لم تتعرض له اي من مشاريع التسوية الاخرى المقترحة من جانب الدول الكبرى مثلا ، حيث كانت تقف الانظمة العربية أمام تلك المشاريع وقفة حائرة مترددة بين الاغراءات التي تقدمها من ناحية وبين الاحراج الجماهيري الذي كانت تخلقه من ناحية ثانية .

ولم تعلق حكومات كل من ليبيا السنوسية والمغرب والمملكة العربية السعودية على مقترحات بورقيبة . وفي مقابل ذلك أعلن محمود رياض وزير خارجية مصر أمام مجلس الامة في ٢٧ نيسان ١٩٦٥ ان بلاده ترفض اقتراحات الرئيس بورقيبة وتستنكر بشدة صدورها عن رئيس دولة عربية . وشدد على انه لا يمكن ان يكون هناك اي توسط أو مفاوضات أو حلول وسط بالنسبة للقضية الفلسطينية . واتخذ مجلس الامة قرارا بادانة الرئيس التونسي باعتباره خرق اجماع ملايين العرب ورجع عن توقيعه على قرارات مؤتمر القمة الاول التي دعت الى العمل العربي الموحد ضد اسرائيل .

أما رد الفعل الاسرائيلي على مقترحات بورقيبة فقد جاء على لسان ايبان في ٢٨ نيسان ١٩٦٥ حيث اعتبرها ظاهرة مهمة ، ولكنه رفض فكرة التسوية على أساس قرار التقسيم . وفي ٢ أيار رفض رئيس الوزراء ليفي اشكول مشروع بورقيبة ، لكنه رحب بالحدث باعتباره يشكل أول مبادرة لزعيم عربي بارز باتجاه اتخاذ موقف لصالح « السلام والمصالحة » بين الدول العربية واسرائيل .

مشروع اشكول

في ١٧ أيار ١٩٦٥ عرض اشكول في خطابه الافتتاحي في الكنيسيت مشروعا لتحقيق السلام العربي الاسرائيلي اعتبر يومها ردا على مقترحات بورقيبة . وتلخص المشروع الاسرائيلي بالنقاط التالية :

(١) تنطلق اسرائيل من التزامين : الاول ، الواجب العام الذي تخضع له جميع الدول الاعضاء في هيئة الامم في العيش بسلام مع بعضها بعضا . الثاني ، الالتزام باتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ التي تنص على ان الهدنة هي مرحلة انتقالية نحو السلام الدائم .

(٢) تقترح اسرائيل اجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين البلدان التي وقعت اتفاقات الهدنة من أجل احلال اتفاقية السلام محل اتفاقات الهدنة .

(٣) تتم التسوية السلمية على اساس وضع اسرائيل القائم باستثناء بعض التعديلات الطفيفة ـــ المتبادلة والمتفق عليها ـــ عند نقاط معينة على الحدود بهدف تسهيل الحياة اليومية للسكان .

(٤) يعني السلام حرية الدول العربية واسرائيل في الاستفادة من نتائجه مثل : النقل البري عبر الطرقات وبالقطارات ، حرية المرور عبر المطارات ، الراديو والتلفون والاتصالات البريدية ، الوصول الى المرافىء الاسرائيلية على البحر الابيض المتوسط حيث تقام مناطق حرة بشروط مناسبة لمصلحة الاردن ، تسهيلات من أجل مبيع البترول عن طريق اعادة تشغيل أنبوب حيفا وبناء أنابيب جديدة أكبر منه ، تشجيع السياحة الى جميع بلدان المنطقة ، حرية الوصول الى الاماكن المقدسة وتقديم كافة التسهيلات من أجل الحج الى المراكز المقدسة لجميع الديانات .

(٥) عمل عربي ـــ اسرائيلي مشترك من أجل كبح جماح سباق التسلح وتوجيه الطاقات

المالية والبشرية لكافة دول المنطقة نحو تطوير امكانياتها الاقتصادية والعلمية والتقليل من حاجاتها للمساعدات الخارجية .

(٦) توجيه جزء من الموارد الضخمة للمنطقة باتجاه اعادة توطين اللاجئين ودمجهم في بيئتهم الوطنية الطبيعية ، أي في الدول العربية . واسرائيل على استعداد للمساهمة المالية — مع الدول الكبرى — في عملية توطينهم باعتبارها الحل الوحيد الذي يناسب مصالحهم الاساسية والحقيقية ويناسب المصالح الاسرائيلية أيضا .

ان النقاط الواردة في مشروع اشكول على قدر كبير من الاهمية لانها تعبر عن المطالب الاساسية التي تريدها اسرائيل من جيرانها العرب مثل المفاوضات المباشرة واسقاط كل الحواجز والموانع بينهم وبين اسرائيل ، وفتح الاسواق العربيـة لها وتمكينها مـن الاستفادة من المواد الخام العربية والمنتجات الزراعية العربية والممرات المائية والبرية العربية ، وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا بتذويب الشعب الفلسطيني وانهاء وجوده المستقل وشخصيته المتميزة والتنازل كليا عـن حقوقه الوطنية . وكـل هذه المطالب أصبحت جزءا لا يتجزأ من شروط الاستسلام التي تريد أن تفرضها اسرائيل على العرب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

القسم الثاني : بعد ١٩٦٧

جاء القسم الاهم من مشاريع التسوية للصراع العربي الاسرائيلي بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ونتائجها . وتشبه المشاريع الجديدة سابقتها من حيث قيامها على فرضية أساسية هي التسليم الكامل بالعجز العربي في مواجهة القوة الاسرائيلية ، وتختلف عنها من حيث دخول أطراف عربية رسمية دخولا فعالا في رسمها أو الموافقة عليها أو مناقشتهـا او مناشدة الاطراف المعنية تطبيقها والعمل على تنفيذها . اي تعليق الامل العربي الرسمي للخروج من المأزق الخطير الذي انتجته الهزيمة على احتمال تنفيذ مشروع من مشاريع التسوية المطروحة أو التي يمكن طرحها في المستقبل .

مشروع الرئيس جونسون

في ٧ حزيران ١٩٦٧ شكل الرئيس الامريكي جونسون لجنة خاصة تابعة لمجلس الامن القومي هدفها تنسيق جهود السلام الامريكية في الشرق الاوسط . وفي ١٩ حزيران ألقى جونسون خطابا تناول فيه السياسة الخارجيـة الامريكية وحدد خمسة مبادىء كبرى للسلام في الشرق الاوسط :

(١) لكل دولة في المنطقة حق اساسي في الحياة ينبغي احترامه من قبل جيرانها .

(٢) يجب حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا ، خاصة وأن النزاع الجديد اقتلع المزيد من الناس من موطنهم الاصلي . وينبغي على دول الشرق الاوسط توجيه جهودها نحو رفع الظلم الذي وقع على هؤلاء .

(٣) ينبغي احترام حرية الملاحة البريئة في الممرات المائية الدولية ، لان العمل الطائش الاساسي الذي كان وراء تفجير الحرب هو القرار التعسفي باغلاق مضائق تيران .

(٤) يجب وضع حد لسباق التسلح في الشرق الاوسط لان الحرب بينت خطورته وتقع المسؤولية في ذلك ليس على دول المنطقة المعنية فقط بل علـى الدول الكبرى ايضا . وستعمل الولايات المتحدة على استخدام كل طاقاتها الدبلوماسية لايجاد السبل للحد من سباق التسلح ، وهنا اقترح جونسون أن تدعو هيئة الامم جميع اعضائها باعلامها عن جميع شحنات الاسلحة المرسلة الى الشرق الاوسط .

(٥) من الضروري احترام الاستقلال السيـاسي والسلام الاقليمي لجميـع الدول في

المنطقة . ان ما تحتاج اليه الدول المعنية بالنزاع الان هو حدود معترف بها بدلا من خطوط الهدنة الهشة والمخترقة باستمرار ، بالاضافة الى ترتيبات اخرى تجعل الحدود آمنة من الارهاب والتدمير والحرب ، وترتيبات تعترف بالمصالح الخاصة لثلاثة من الاديان الكبرى في الاماكن المقدسة في القدس .

مع ان الرئيس جونسون حدد الخطوط العامة لاحلال السلام الامريكي في الشرق الاوسط لكنه لم يقل شيئا حول كيفية تنفيذ هذه المبادىء وتطبيقها ، خاصة أنه رفض في خطابه المطلب العربي والسوفياتي بانسحاب اسرائيل الفوري الى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧ ، وبين ان اسرائيل لا يمكن أن تقبل بالتنازل عن كل المكاسب الاقليمية التي جنتها نتيجة انتصارها في الحرب . وكان الاصرار الاسرائيلي على الاحتفاظ بالمكاسب الاقليمية (التوسع) هو الصخرة التي تحطمت عليها كافة مشاريع التسويات السلمية اللاحقة (لحسن حظ الشعب الفلسطيني وقضيته) .

وفي الاجتماع الذي تم بين كوسيغين وجونسون في ١٧ حزيران ١٩٦٧ في غلاسبورو حاول الزعيم السوفياتي الحصول على مساعدة جونسون لارغام اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ولكن بدون جدوى . وقد عرض جونسون النقاط التالية أمام كوسيغين كأساس لاحلال السلام الامريكي في الشرق الاوسط :

(١) انسحاب كافة القوات العسكرية وانهاء حالة الحرب .

(٢) الاتفاق بين كافة الاطراف على الاعلان عن احترام حقوق كل طرف بالمحافظة على دولته القومية المستقلة بذاتها .

(٣) ضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكافة الدول في الشرق الاوسط .

(٤) ضمان المصالح الحيوية لجميع الدول في المنطقة وحمايتها .

(٥) التخلي عن العنف في العلاقات بين دول الشرق الاوسط .

(٦) ضمان حقوق جميع الدول في المرور الحر والبريء في جميع الممرات المائية الدولية.

(٧) تسوية عادلة ودائمة لمشكلة اللاجئين .

(٨) اتفاق على أن تعطى الاولوية لتحسين الاقتصاد الوطني ومستوى المعيشة قبل سباق التسلح .

(٩) حماية الاماكن المقدسة مع ضمانات دولية لحرية الوصول اليها من قبل الجميع .

(١٠) نظام دولي تساهم فيه هيئة الامم لمساعدة الدول المعنية على تحقيق الاهداف المعلنة أعلاه .

ويبدو ان طرح هذه المبادىء العامة بدون تحديد أية أساليب عملية لتنفيذها هو كسب المزيد من الوقت لتمكين اسرائيل من توطيد مواقعها في المناطق المحتلة وخلق أوضاع تضع العرب والعالم أمام وقائع جديدة لا مفر منها .

مشروع الرئيس تيتو

جاء مشروع التسوية الثاني من قبل الرئيس تيتو الذي قام بجولة شملت مصر وسوريا والعراق في آب ١٩٦٧ . وبعد انتهاء زياراته بعث الرئيس اليوغوسلافي برسائل الى عدد كبير من رؤساء الدول (السيدة انديره غاندي في الهند ، الجنرال ديغول ، والرئيس جونسون ، ورئيس الوزراء البريطاني ويلسون ، والزعيم السوفياتي بودغورني ، والامبراطور هيلاسيلاسي ، الخ) والامين العام لهيئة الامم يوثانت . وفي ١٨ أيلول ١٩٦٧ أوضح وزير الخارجية اليوغوسلافي في باريس الفكرة الرئيسية التي تضمنتها

رسائل تيتو من اجل الوصول الى تسوية سياسية في الشرق الاوسط . وتتلخص هذه الفكرة بضرورة اعلان الاسرة الدولية عن عدم جواز ضم الاراضي بالقوة والاصرار على ضرورة عيش كل دولة داخل حدودها الاقليمية كما كانت قبـل حرب ١٩٦٧ مع تقديم ضمانات لامن هذه الحدود من قبل الدول الكبرى . أما بالنسبة للقضايا الاخرى مثل الملاحة في قناة السويس ومسألة اللاجئين الفلسطينيين فيجب التفاوض حولها بصورة مباشرة بين الفرقاء المعنيين . وواضح ان مقترحات تيتو تعكس الموقف العربي غـير المعلن يومها بالنسبة لطبيعة التسوية المطلوبة : الانسحاب الاسرائيلي الى حـدود ٤ حزيران ١٩٦٧ في مقابل الاعتراف العربي النهائي بشرعية هذه الحدود تحت مظلـة ضمانات الدول الكبرى لها .

رفضت اسرائيل مقترحات الرئيس تيتو وأفكاره وشدد أبا ايبان في معرض رفضه على ان اسرائيل لن تعود بأي شكل من الاشكال الى حدودها القديمة لان فيها تهديدا لامن بلاده ووجودها . وطالب بعقد معاهدة سلام واضحة وملزمة مع الدول العربية باعتبارها الحل الوحيد الممكن للازمة . بعبارة اخرى طرح ايبان جوهر الموقف الاسرائيلي الذي لم يتغير حتى اليوم من قضية الانسحاب والعلاقات مع الدول العربية .

مع ان الانظمة العربية المعنية كانت قد حددت موقفها بالنسبة لنوعيـة التسوية التي تعتبرها ممكنة ومناسبة لها كما تبين مقترحات الرئيس تيتو ، لم تكن هذه الانظمة قادرة على مواجهة جماهيرها وشعوبها ، بعد الهزيمة بفترة قصيرة جداً ، بحقيقة موقفهـا التراجعي والعاجز . لذلك خرج مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الخرطوم في أواخر آب ١٩٦٧ بلاآته الثلاث : لا اعتراف ، لا مفاوضات ، لا سلام ، كل ذلك تحت شعار « عدم التصرف بالقضية الفلسطينية » . ومعروف ان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية (أحمد الشقيري) في اجتماعات القمة اضطر للانسحاب من المؤتمر احتجاجا على الخط الاستسلامي الذي بدأت السياسة العربية الرسمية تسير عليه في صراعها مع اسرائيل. هذا على الرغم من القرارات القوية التي خرج بها المؤتمر أمـام الجماهير العربيـة المفجوعة . ولا لزوم لتذكير القارىء انه مع مرور الايام واتجـاه السياسة العربيـة الرسمية كليا نحو البحث عن الحلول السلمية والتسويات السياسية سقطت لاآت مؤتمر الخرطوم واحدة بعد الاخرى ولم يعد أحد يأتي على ذكرها الان .

٤ - قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

في ٧ تشرين الاول ١٩٦٧ طلبت مصر اجتماع مجلس الامن في جلسة عاجلـة للنظر في الوضع الخطير في الشرق الاوسط نتيجة رفض اسرائيل سحب قواتها المسلحة من جميع المناطق المحتلة بعد عدوانها على الجمهورية العربية المتحدة . واجتمع مجلس الامن في ٩ تشرين الاول وشاركت وفود الاردن وسوريا واسرائيل في المناقشات ولكن بدون حق التصويت . وتقدمت عدة دول بمشاريع قرارات كان اهمها مشروع الولايات المتحـدة ومشروع بريطانيا الذي صاغه اللورد كارادون . ولم يكن المشروع الامريكي الا اعادة للنقاط التي عرضها الرئيس جونسون كما مر معنا سابقا . وكانت اسرائيل موافقة على المشروع الامريكي لانه يحقق لها كـل اغراضها بدون ان يأخـذ بعين الاعتبار المطالب العربية . وقد رفض المنـدوب السوفياتي المشروع الامريكي لانه يسمـح لاسرائيل بالاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة لاية مدة تريدها ، وبحق اقامة حدود جديدة لنفسها وبسحب جيوشها الى المسافة التي تريدهـا هي فقط . كما ان المشروع الامريكي لـم يتضمن اي اشارة الى عـدم جواز احتـلال أيـة أراض او ضمها عـن طـريق الغزو العسكري .

وافق مجلس الامن عـلى المشروع البريطاني بالاجمـاع « لانه متوازن ومنصف لكلا

الطرفين » على حد تعبير اللورد كارادون ، واصبح مشهورا تحت اسم قرار مجلس الامن رقم ٢٢/٢٤٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ . نص القرار على ما يلي :

« ان مجلس الامن اذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط واذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب والحاجة الى سلام دائم ، تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة.

« واذ يؤكد ايضا أن جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

« ١ يعلن أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط وهذا يقتضي تطبيق المبدءين التاليين :

« (أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الاخير .

« (ب) أن تنهي كل الدول حالة الحرب وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من اعمال القوة أو التهديد بها .

« ٢ ــ ويؤكد المجلس الحاجة الى :

« (أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

« (ب) تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

« (ج) ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح .

« ٣ ــ يطلب المجلس من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا الى الشرق الاوسط لاقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

« ٤ ــ يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن » .

وكانت موافقة مصر على قرار مجلس الامن هي الخطوة الاولى والحاسمة على طريق التراجعات العربية الرسمية عن مقررات مؤتمر الخرطوم العلنية (اللاآت الثلاث) . وقد تم تبرير هذه الموافقة يومها عن طريق القول بأنها خطوة تكتيكية من قبل مصر هدفها كسب الوقت من أجل اعادة بناء القوات المسلحة العربية . الا انه لم تمض فترة قصيرة حتى تلت هذه الخطوة تنازلات مهمة عن الموقف العربي الاساسي الرافض تقليديا للوجود الاسرائيلي والقائم على مبدأ عدم التصرف بالقضية الفلسطينية ، كل ذلك من اجل التوصل الى تسوية سياسية مع اسرائيل . وقد تم تبرير التنازلات اللاحقة باسنادها الى القبول العربي الاصلي بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . بعبارة أخرى تحول هذا القرار الى المحور الاساسي الذي تدور حوله السياسة العربية في مواجهة اسرائيل والذي تسعى بكل قواها لتنفيذه . وبما أن تنفيذ القرار يعني تصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية (لم يذكر القرار شيئا عن الشعب الفلسطيني أو حقوقه أو مصيره) فقد عارضته الثورة الفلسطينية معارضة عنيدة وهي ما زالت عند موقفها منه .

في ٢٣ تشرين الثاني عين الامين العام لهيئة الامم يوثانت الدكتور جونار يارينج ممثلا خاصا له ليذهب الى الشرق الاوسط عملا ببنود القرار ٢٤٢ . وعلى اثر ذلك بدأت التنازلات العربية الرسمية تتوالى لجعل الموقف العربي منسجما مع متطلبات قرار مجلس الامن . فبينما كان الموقف المصري يقول انه لا يمكن تسوية النزاع في المنطقة قبل قيام اسرائيل بتنفيذ الفقرة الاولى من القرار الداعية الى انسحاب قواتها المسلحة من أراض احتلتها في الحرب الاخيرة ، اخذت مصر تقول بعد دخول يارينج الى الساحة ان المطلوب هو اعلان اسرائيلي بقبول قرار مجلس الامن يتلوه وضع جدول زمني يضعه يارينج لتنفيذ بنود القرار بالتدريج . على سبيل المثال اعلن الناطق الرسمي المصري في ٢ نيسان ١٩٦٩ ، محمد حسن الزيات يومها ، ان مصر لا تشترط الانسحاب المسبق أو

الجلاء الكامل كخطوة اولى من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن . كانت مصر قد قدمت قبل هذا التاريخ تنازلات هامة لهذه الغاية اعلنها وزير خارجيتها في ١١ أيار ١٩٦٨ وتلخصت بالموافقة على مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس واقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود بين البلدين وعدم وضع أية شروط مسبقة على عملية تنفيذ قرار مجلس الامن .

لكن اسرائيل ظلت عند موقفها المطالب بضرورة عقد معاهدة سلام رسمية مع مصر يتم التوصل اليها على مائدة المفاوضات .

مشروع اخر للرئيس تيتو

في أوائل عام ١٩٦٨ حاول الرئيس تيتو مرة أخرى حل مشكلة الشرق الاوسط عن طريق تقديم مقترحات جديدة بعد ان قام بزيارات لبلدان افريقية وآسيوية بما فيها مصر حيث اجتمع بالرئيس عبد الناصر حول مشكلة الشرق الاوسط . وصدرت انباء عن بلغراد في ٨ شباط تقول ان الرئيس تيتو حصل على موافقة الرئيس عبد الناصر وغيره من زعماء العالم الثالث على مشروع لتسوية الازمة في المنطقة . وكان الرئيس تيتو قد عقد مؤتمرا صحفيا في القاهرة في ٧ شباط شرح فيه بعض افكاره حول الموضوع . وتلخص مشروع الرئيس اليوغوسلافي بالنقاط التالية :

(١) ان حل مشكلة الشرق الاوسط في ايدي الولايات المتحدة ، كما انه لا يمكن ان تحل الازمة الا بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة . من الصعب ان نعتقد ان اسرائيل لن تطيع الولايات المتحدة اذا قررت واشنطن ان تضغط على تل ابيب من أجل الوصول الى تسوية سلمية ولمصلحة الطرفين وليس على حساب البلدان العربية فقط .

(٢) على القوات الاسرائيلية الانسحاب من المناطق المحتلة على ان يتبع ذلك اعلان بانهاء حالة الحرب بين الطرفين والبدء بالمفاوضات والاتفاق على المرور الحر للسفن الاسرائيلية في خليج العقبة . بعد ذلك يتم التوصل تدريجيا الى تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومسألة الملاحة في قناة السويس .

(٣) اقامة مناطق منزوعة السلاح على الحدود العربية الاسرائيلية .

وقد مات هذا المشروع لتصفية القضية الفلسطينية كغيره من المشاريع .

مشروع اسرائيلي آخر

في الخطاب الذي القاه ابا ايبان امام الجمعية العامة لهيئة الامم في ٨ تشرين الاول ١٩٦٨ ، قال ان حكومته تعتزم بذل جهود جديدة في الاسابيع المقبلة مع الوسيط الدولي يارينج من أجل احلال السلام في المنطقة ، ثم حدد المبادىء التالية التي تريد اسرائيل تحقيق السلام من خلالها وعلى أساسها .

(١) يجب ان يكون السلام الذي يلي وقف اطلاق النار عادلا ودائما ومتفاوضا عليه ومعبرا عنه بشكل تعاقدي وفقا للاصول المرعية في هذه الميادين . وبما انه يترتب على هذا السلام نتائج عملية وسياسية وحقوقية بعيدة المدى تقترح اسرائيل ان تأخذ التسوية شكل معاهدة تحدد بدقة شروط تعايش اسرائيل مع جيرانها وتحدد خريطة متفق عليها للحدود الآمنة والمعترف بها .

(٢) يتم الاستعاضة عن خطوط وقف اطلاق النار (اي وقف اطلاق النار الذي تلا حرب حزيران ١٩٦٧) بحدود دائمة ، آمنة ومعترف بها بين اسرائيل وكل دولة عربية من جيرانها ، وتوزع القوات العسكرية على الحدود كما يتم الاتفاق عليها في نصوص السلام النهائية .

(٣) بالاضافة الى رسم حدود اقليمية متفق عليها يجب اجراء محادثات لوضع ترتيبات أمنية هدفها تجنب الوضع الذي سبب انهيار السلام في ١٩٦٧ .

(٤) عندما يتم الوصول الى اتفاق حول اقامة السلام مع حدود دائمة يجب المحافظة على حرية التحرك المتوفرة الان وخاصة في القطاعات الاسرائيلية ـ الاردنية .

(٥) يجب الا يكون هناك أية تحفظات حول الترتيبات المتعلقة بضمان حرية الملاحة التي ينبغي أن تكون بدورها دقيقة وملموسة وقائمة على المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات بين اسرائيل والدول البحرية الاخرى .

(٦) تنبغي الدعوة لعقد مؤتمر تحضره الدول الشرق أوسطية والدول المساهمة في اعانة اللاجئين والاجهزة المختصة في هيئة الامم من أجل رسم خطة خمسية هدفها حل مشكلة اللاجئين ضمن اطار السلام الدائم وعن طريق دمجهم في الدورة الانتاجية للمجتمعات الموجودين فيها.. وبالامكان الدعوة لهذا المؤتمر قبل بدء مفاوضات السلام .

(٧) لا تعمل اسرائيل على ممارسة اي تشريع بالنسبة للاماكن المقدسة التابعة للمسيحية والاسلام . ان رغبة اسرائيل هي التوصل الى وضع محدد يعطي هذه الاماكن طابعها العالمي عن طريق التوصل الى الاتفاقات المناسبة مع الاطراف المعنية تقليديا . وتتلخص سياسة اسرائيل حول هذا الموضوع بالقول ان الاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية يجب ان تقع ضمن اطار مسؤولية الذين يقدسون هذه الاماكن .

(٨) تثبيت مبدأ حق الحياة القومية وسيادتها وسلامتها ، وهو المبدأ المتضمن في ميثاق هيئة الامم والذي تم التعبير عنه في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولا يمكن تطبيق هذا المبدا الا من خلال التزامات تعاقدية محددة تدخل فيها حكومة اسرائيل والحكومات العربية . ويستتبع هذا انه على الحكومات العربية ان تسحب تحفظاتها الماضية بالنسبة لوجود اسرائيل وبالنسبة للالتزام بالمعاهدات الدولية المتعلقة باسرائيل .

(٩) يجب ان تشمل محادثات السلام توجيه الاهتمام المشترك الى موارد المنطقة ووسائل الاتصال فيها في محاولة لارساء دعائم مجموعة شرق اوسطية مؤلفة من دول مستقلة وذات سيادة .

(١٠) لا يمكن تصفية النزاع والانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم الا على طاولة المفاوضات .

رفضت الحكومة المصرية المشروع الاسرائيلي في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٨ على لسان وزير خارجيتها محمود رياض الذي وصف محتويات المشروع « بانها جزء من حملة خداع دولية » . وفي خطابه امام الجمعية العامة قال رياض بأن اسرائيل تحاول تفشيل مهمة يارينج في التوسط ، بينما هي تغطي هذه المحاولة « بمناورات لفظية وعبارات خداعة » ، وطالب بانسحاب اسرائيل من كل شبر من المناطق العربية المحتلة ، كما اعلن انه ما كان باستطاعة اسرائيل الاستمرار بسياستها العدوانية وبتحدي هيئة الامم وقراراتها لو لم تكن مدعومة ماديا وسياسيا ومعنويا من قبل الولايات المتحدة .

وساطة الدول الاربع الكبرى

في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٩ اعلنت الحكومة الفرنسية انها اقترحت عقد اجتماع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا بالتعاون مع الامين العام لهيئة الامم بهدف البحث عن الطرق المناسبة التي تمكن هذه الدول من المساهمة في احلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط . في ٥ شباط ١٩٦٩ وافقت الحكومة الامريكية على الاقتراح الفرنسي لكن شرط ان تسبق اجتماعات الدول الاربع محادثات ثنائية تمهيدية بين ممثليها الدائمين في هيئة الامم بهدف التوصل الى حد أدنى من التفاهم المشترك حول

الموضوع المطروح . وكان واضحا منذ البداية ان الولايات المتحدة ستعمل كل ما في وسعها لعرقلة اجتماعات الدول الكبرى وابقائها عقيمة لانها تريد فرض السلام الامريكي الاسرائيلي على الوطن العربي بدون مشاركة احد .

في ٤ نيسان ١٩٦٩ ، عقدت الدول الاربع الكبرى اجتماعها المشترك الاول واصدرت بيانا مختصرا قالت فيه انها (أ) متفقة على خطورة الوضع في الشرق الاوسط والحاحه، ويجب الا يسمح له بتهديد الامن الدولي . (ب) انها اجرت مباحثات حول قضايا جوهرية وبدأت بتحديد مجالات الاتفاق بينها وهي مهتمة بتحقيق تقدم سريع في مساعيها . (ج) انها موافقة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتدعمه كما تؤكد من جديد دعمها لمهمة يارينج . وعقد ممثلو الدول الاربع الكبرى اجتماعهم الثاني في ٨ نيسان ورفعوا تقارير الى حكوماتهم ، والى الامين العام لهيئة الامم يوثانت ، والى كل من الحكومة الاسرائيلية وحكومات الدول العربية .

كان رد فعل اسرائيل سلبيا بالنسبة لمحادثات الدول الاربع الكبرى باعتبارها محاولة لفرض تسوية على المنطقة من الخارج ، ولا تريد اسرائيل الا فرض تسويتها كما هو معروف . لذلك طالب ايبان اثناء زيارته للرئيس نيكسون في ١٤ اذار ١٩٦٩ تخلي الولايات المتحدة عن هذه المحادثات . وبعد عودة ايبان من واشنطن اعلنت الحكومة الاسرائيلية في ٣٠ اذار ١٩٦٩ انها لن توافق على اية توصيات من قبل اية دولة تتعارض مع مصالحها الحيوية ومع حقوقها وأمنها . كما انها تعارض كليا الخطة الرامية الى جمع ممثلي الدول الواقعة خارج الشرق الاوسط كي تعد توصيات حول مستقبل المنطقة ، لان في ذلك تأثيرا سلبيا على الدول المعنية مباشرة بالنسبة لمسؤولياتها في التوصل الى السلام فيما بينها . كذلك اكدت الحكومة الاسرائيلية انها تعارض اية تسوية لا تتوصل اليها الحكومات المعنية بالنزاع مباشرة على اساس معاهدات يتم الاتفاق عليها عبر مفاوضات مباشرة ترسم الحدود الآمنة والمعترف بها وتحدد اسس التعاون وتبادل المساعدات بين الاطراف المعنية وحل المشكلات العالقة بينها بالطرق السلمية . والى ان تحقق اسرائيل هذه الاهداف ستستمر في المحافظة على الوضع القائم كما حدده اتفاق وقف اطلاق النار الناتج عن حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ وستعزز وضعها وفقا للمصالح الحيوية لامنها ونموها .

وفي ١٣ نيسان ، اعلن ايبان في مؤتمر صحفي اجراه في القدس ان تدخل الدول الاربع الكبرى قد شل مهمة يارينج ، كما ان محادثاتها لا طائل منها لانها لا تشمل الاطراف المعنية بالنزاع مباشرة . واكد ايبان ان اسرائيل ما زالت عند موقفها الوارد في مشروع السلام الذي تقدمت به الى الجمعية العامة لهيئة الامم في تشرين الاول ١٩٦٨ . ومع ان الدول العربية كانت تأمل في ان تؤدي محادثات الدول الاربع الكبرى الى بعض النتائج الايجابية بالنسبة لتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتعزيز مهمة يارينج الا ان واقع الحال خيب هذه الامال ، اذ ان المعارضة الاسرائيلية والعرقلة الامريكية قتلت المحادثات بعد ان ابقتها عقيمة كل فترة انعقادها .

مشروع الملك حسين

في احدى زياراته العديدة الى واشنطن طرح الملك حسين المشروع التالي (١٠ نيسان ١٩٦٩) لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي بعد ان أوضح ان مقترحاته تحظى بموافقة الرئيس عبد الناصر :

(١) انهاء كل حالات العداء بين الطرفين .

(٢) الاعتراف بالاستقلال السياسي لكل الدول في المنطقة واحترام سلامتها وسيادتها الاقليمية .

(٣) الاعتراف بحق جميع هذه الدول في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بهـا وبدون التعرض لاية تهديدات او أعمال حربية .

(٤) ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس للجميع .

(٥) اجراءات تضمن عدم جواز خرق الحدود الاقليمية لكل الدول في المنطقة علـى ان تشمل اقامة مناطق منزوعة السلاح .

(٦) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(٧) في مقابل كل ذلك على اسرائيل ان تلبي مطلبا عربيا واحدا هو انسحاب قواتهـا المسلحة من جميع المناطق المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ وتنفيذ جميع البنود الاخرى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

بطبيعة الحال رفضت اسرائيل المشروع على لسان ابا ايبان الذي تحدى الملك حسين في ١٣ نيسان ان يجلس الى مائدة المفاوضات لتسوية المشكلة اذا كان العرب يرغبون حقا في احلال السلام . ولم يسفر مشروع الملك عن أية نتائج تذكر باستثناء المعارضة القوية التي تعرض لها من قبل الثورة الفلسطينية .

روجرز ومشاريعه

في منتصف عام ١٩٦٩ كانت حرب الاستنزاف على جبهة القناة تجري على اشدها كما كانت حركة المقاومة الفلسطينية تتصاعد بسرعة ان كان من حيث فاعليتها ضد العدو الاسرائيلي أو من حيث امتدادها الجماهيري الذي يهدد سلطة النظام الملكي في الاردن بصورة لم يسبق لها مثيل . ونتيجة لهذا التهديد الجدي للمصالـح الامبريالية تحركت الدبلوماسية الامريكية ، وهي متلبسة بلباس « الاعتدال » و « الاتزان » ، لتضع حدا لتصاعد الوضع الكفاحي العربي في المنطقة . وجاءت اول خطوة في هذا التحرك عـلى شكل مقترحات عرضتها الحكومة الامريكية على الاتحاد السوفياتي في ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٩ . وفي خطاب القاه وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في ٩ كانون الاول ١٩٦٩ لخص فحوى المقترحات الامريكية بقوله أنها تدعو الى انسحـاب اسرائيل من أراض عربية محتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ في مقابل ضمانات عربية للوصول الى التزام مبرم بالسلام ، خاصة وان الولايات المتحدة مرتبطة بعلاقات صداقة مع اسرائيـل والدول العربية معا . وشدد روجرز على الطابع « المتوازن والمنصف » لمقترحات بلاده بقوله ان الدعوة الى الانسحاب الاسرائيلي بدون تحقيق اتفاق حول السلام هي تحيز للجـانب العربي كما ان دعوة العرب الى القبول بالسلام بدون انسحـاب اسرائيلي هي تحيز لاسرائيل . لذلك تستند سياستنا الى تشجيع العرب على القبول بسلام دائم قائم على اتفاق ملزم ، وحث اسرائيل على الانسحاب من أراض محتلة عندما تصبح سلامتهـا الاقليمية مضمونة . واشار روجرز بالروحية نفسها الى موضوع الحدود بكلام اصبح معروفا حول ادخال تعديلات طفيفة عليها لا تعكس ثقل الانتصار الاسرائيلي علـى أن يتم الاتفاق على ذلك من خلال المفاوضات . يضاف الى ذلك الاتفاق على ضمانات أمنية تشمل شرم الشيخ واقامة مناطق منزوعـة السلاح في سيناء ووضع ترتيبات نهـائية بالنسبة لقطاع غزة ، كي تتمكن القوات الاسرائيلية من الانسحاب من الاراضي المصرية . أما بالنسبة للقدس فقـد اعتبرهـا روجرز مسألة ذات طابع خـاص لان العودة الى تقسيمها لا تجوز من ناحية كما انه لا يجوز لاسرائيل ضمهـا من ناحية ثانية . وشدد روجرز على ضرورة تأمين العبور الحر الى الاماكن المقدسة والاخذ بعين الاعتبار المصالح المدنية لجميع السكان ومصالح جالياتها الاسلامية والمسيحية واليهودية من قبل ادارتها كمدينة موحدة ، وهذا يعني أن يكون هناك دور لكل من اسرائيـل والاردن في الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة . وطرح روجرز ايضا فكرة التوصل الى التسوية

عبر مفاوضات تجري على طريقة المفاوضات العربية الاسرائيلية التي تمت في رودوس عام ١٩٤٩ ، يقوم فيها يارينج بدور الوسيط بين الطرفين . كما ذكر أن هدف محادثات الدول الاربع الكبرى هو مساعدة يارينج على جمع الفرقاء المعنيين للتفاوض وفقا للصيغة الواردة في المقترحات الامريكية . أما بالنسبة للاجئين فقد دعا الى اعطائهم حق الاختيار بين العودة على أساس كوتا سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج اسرائيل مع التعويض .

أعلنت الحكومة الاسرائيلية في ٢٢ كانون الاول ١٩٦٩ رفضها لمقترحات روجرز ، واعتبرتها غولدا مائير محاولة لاسترضاء العرب على حساب المبادىء (appeasement). وفي خطاب القته مائير أمام الكنيست في ٢٩ كانون الاول ١٩٦٩ قالت ان المقترحات الامريكية الاخيرة تشكل خطرا كبيرا جدا على وجود اسرائيل لان ما جاء فيها بخصوص الحدود وعودة اللاجئين يهدد أمن البلاد، كما انها تتناقض مع مبدأ المفاوضات بين الاطراف المعنية بالنزاع مباشرة والتوصل الى اتفاق فيما بينها . وظهرت الخطوة الثانية من المخطط الامريكي لاخماد القتال المشتعل على جبهة السويس وجبهة الثورة الفلسطينية في دفاع روجرز عن مقترحاته ورده على انتقادات مائير وفي تقربه من الانظمة العربية . رفض روجرز في مؤتمر صحفي عقده في ٢٣ كانون الاول ١٩٦٩ اتهامات غولدا مائير وانتقد وصفها للمقترحات الامريكية بأنها استرضاء للعرب على حساب المبادىء بقوله ان العرب ليسوا اعداء لامريكا كما يوحي وصف مائير للموضوع ، بل الواقع هو ان علاقات صداقة قد ربطت امريكا والدول العربية لفترة طويلة . كذلك رفض روجرز تلميحات اسرائيل بأن حكومة بلاده تحاول ان تفرض تسوية على المنطقة من الخارج وشدد على ان المقترحات الامريكية منصفة او شاملة ومنسجمة مع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وهدفها ، بكل بساطة ، هو تقديم اطار مناسب من أجل الوصول الى اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين . ولم تصدر أية بيانات رسمية عربية حول المقترحات الامريكية .

وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٧٠ كشف النقاب عن ان الاتحاد السوفياتي رفض المقترحات الأمريكية لانها متحيزة لاسرائيل . وقدم السوفيات اعتراضات دقيقة على المقترحات الامريكية يمكن اعتبارها مشروعا مضادا ترضى عنه الانظمة العربية المعنية . وفيما يلي الاعتراضات السوفياتية كما نشرتها صحيفة «النيويورك تايمز» في التاريخ المذكوراعلاه.

(١) ان تكون مدة الجدول الزمني المقترح لانسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلتها في ١٩٦٧ ، ٦٠ يوما بدلا من ٩٠ يوما كما اقترحت الولايات المتحدة .

(٢) ان تنتهي حالة الحرب كأمر واقع (de facto) مع شروع القوات الاسرائيلية بالانسحاب وان تنتهي بصورة قانونية (de jure) عند انتهاء الانسحاب الاسرائيلي . هذا بدلا عن الاقتراح الامريكي الداعي لاعتبار حالة الحرب منتهية عند ايداع وثائق الاتفاق النهائي بين الطرفين العربي والاسرائيلي لدى هيئة الامم .

(٣) ان يؤكد اي اتفاق بين الطرفين حول رسم الحدود سيادة مصر على شرم الشيخ ، بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لان يتفق الطرفان على موضوع السلام ثم يرسمان حدودهما المشتركة فيما بينهما .

(٤) قطاع غزة أرض عربية ينبغي اعادتها الى وضعها السابق قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، هذا بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لاجراء محادثات بين مصر واسرائيل والاردن تحت اشراف يارينج لتقرير مستقبل القطاع .

(٥) ان تقام مناطق منزوعة من السلاح على طرفي الحدود بين اسرائيل والدول

العربية ، بدلا من الاقتراح الامريكي القائل بنزع السلاح عن كل المناطق التي تنسحب منها اسرائيل .

(٦) ان تتقيد اسرائيل بكل قرارات هيئة الامم بالنسبة لقضية اللاجئين الفلسطينيين ، بدلا من الدعوة الامريكية لاعطائهم حق الاختيار بين العودة على اساس كوتا سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج اسرائيل مع التعويض .

(٧) ان يكون من حق مصر اغلاق قناة السويس في وجه اية دولة في حالة حرب معها بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لضمان حق المرور المطلق في القناة لجميع السفن بما فيها السفن الاسرائيلية .

(٨) ان يتم تحديد طبيعة الملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة وفقا للمبادىء العامة للقانون الدولي التي تنطوي على ضمانات كافية لتامين العبور الحر لجميع السفن . هذا بدلا عن الاقتراح الامريكي الداعي الى اعلان المضائق والخليج ممرات مائية دولية مما يضمن حق المرور البريء فيها لجميع السفن في جميع الاوقات .

بالرغم عن الخلافات الاساسية بين تفسير الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لنوعية السلام المطلوب في منطقتنا ، استمرت مجهودات الدبلوماسية الامريكية لتهدئة الجبهات العربية من ناحية واحتواء الثورة الفلسطينية بسرعة من ناحية ثانية . اذ مع مجيء ربيع عام ١٩٧٠ كانت الثورة الفلسطينية قد وصلت الى الذروة ان كان من حيث التأييد الشعبي الساحق لها أو من حيث قوتها العسكرية وفاعليتها ضد العدو الاسرائيلي مما وضع ليس الاردن فقط بل المنطقة المحيطة كلها على حافة تبدل ثوري جذري في موازين القوى بقيادة حركة شعبية مسلحة . اي خرجت المقاومة الفلسطينية عن الحدود المرسومة لها والموضوعة على فاعليتها والمتوقعة بالنسبة لحجمها الجماهيري فكان لا بد للطبقات الحاكمة المحلية وللمصالح الامبريالية من معالجة هذا الوضع المتفجر بسرعة . اما على جبهة حرب الاستنزاف فقد اخذت اسرائيل تضرب اعماق مصر المكشوفة كليا بدون ان يتمكن الجانب العربي من الرد على المستوى نفسه . اي كانت الحشود العسكرية العربية تشن حرب الاستنزاف على جبهة القناة بينما كانت الجبهة الداخلية مكشوفة ومتصدعة مما أعطى اسرائيل فرصة استغلال نقطة الضعف هذه والنفاذ منها لتوجيه ضربات موجعة الى مصر حدّت من فاعلية حرب الاستنزاف وأهميتها . ونتيجة لهذه العوامل توجه الرئيس عبد الناصر في ١ أيار ١٩٧٠ بندائه الشهير للرئيس نيكسون مناشدا اياه ان يصدر أوامر الانسحاب الى اسرائيل وان يكف عن مساعدتها ليتمكن العرب من تصفية آثار العدوان .

برزت الخطوة الثالثة في المخطط الامريكي لاخماد نيران القتال المشتعلة مع اسرائيل في تلك الفترة تحت عنوان مشروع روجرز الذي جاء كرد على نداء الرئيس عبد الناصر . أعلن وزير الخارجية الامريكي في ٢٥ حزيران ١٩٧٠ أن بلاده اطلقت مبادرة سياسية جديدة في الشرق الاوسط هدفها تشجيع الدول العربية واسرائيل للتوقف عن اطلاق النار والبدء في المحادثات تحت اشراف الدكتور يارينج وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وجدير بالاشارة هنا ان زعماء ١٤ دولة عربية كانوا مجتمعين في ليبيا بين ٢٠ — ٢٢ حزيران ١٩٧٠ للاحتفال بالجلاء الامريكي عن قاعدة ويلاس وقاموا بمناقشة مشروع روجرز قبل تسريب محتوياته الى الرأي العام العربي والعالمي . أما المشروع نفسه فقد جاء على شكل رسالة موجهة من روجرز الى محمود رياض ، وزير خارجية مصر ، نصت على ما يلي :

« في رأينا ان أكثر الوسائل فعالية من اجل الوصول الى تسوية هي تمكين الفرقاء ان يبدأوا العمل تحت اشراف الدكتور يارينج بهدف ايجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى

اساس هذه الافكار فان الحكومة الامريكية تضع امامكم الاقتراحات التالية لتاخذها الجمهورية العربية المتحدة بعين الاعتبار :

« (١) ان توافق كل من الاردن والجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على اعادة وقف اطلاق النار لمدة محددة على أقل تعديل .

« (٢) ان توافق كل من الاردن واسرائيل وكذلك الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على البيان الذي سيصدر بشكل تقرير يقدمه السفير يارينج الى السكرتير العام يوثانت والذي ينص على ما يلي :

« ان الاردن واسرائيل وكذلك الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل قد افادتا بأنهما توافقان :

« (أ) بأنهما بعد ان قبلتا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واشارتا لاستعدادهما لتنفيذ ذلك القرار بكل اجزائه توافقان على تعيين ممثلين الى مباحثات تعقد تحت اشرافي حسب الاصول وفي الزمان والمكان الذي احـــدده اخذا بعين الاعتبار الطريقة والشكل اللتين يفضلهما كل من الفرقاء على أساس تجربته السابقة .

« (ب) ان غاية هذه المباحثات المشار اليها هي التوصل الى اتفاق على اقامة سلام عادل ودائم بين الفرقاء قائما على اساس :

ـ اعتراف متبادل بين الاردن واسرائيل (وبين الجمهورية وبين اسرائيل) بسيادة كل منهما وسلامة كيانهـــا الاقليمي واستقلالها السياسي .

ـ انسحاب اسرائيل من أراض محتلة في عام ١٩٦٧ عملا بما جاء في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

« (جـ) في سبيل تسهيل مهمتي في التوصل الى اتفاق حسبما جاء في القرار رقم ٢٤٢ فان الفرقـــاء يراعـــون بدقة قرار وقف اطلاق النار الصادر عن مجلس الامن وذلك ابتداء من اول تموز حتى اول تشرين الاول على اقل تعديل » .

في ٥ آب ١٩٧٠ أعرب الاتحاد السوفياتي عن دعمه لمبادرة السلام الجديدة ، كما وافق عليها ممثلو الدول الاربع الكبرى في مجلس الامن . وفي ٧ آب تم الاعلان في واشنطن عن موافقة مصر والاردن واسرائيل على وقف اطلاق النار لمدة ٩٠ يوما عمـــلا بمقتضيات مشروع روجرز . ومعروف ان نتائج قبول مصر بمشروع روجرز كانت وخيمة جدا على المواجهة العربية مع اسرائيل وعلى الوضع العربي عامة . انشق الصف العربي على أثر اعلان العراق وسوريا وحركـــة المقاومة رفضها القاطـــع لمشروع روجرز ولما يعنيه بالنسبة لتصفية القضية الفلسطينية . وشنت المقاومة الفلسطينية حملة عنيدة وقوية ضد المشروع الامريكي ورفضت التقيد باتفاق وقف اطلاق النار لانها شعرت بوضوح بالاخطار الجسيمة التي تحملهـــا خطة روجرز بالنسبة لمستقبـــل الثورة الفلسطينية ومستقبل الحركة الوطنية العربية عموما . وقد اثبتت الوقائع اللاحقة كم كانت مخاوف المقاومة من مشروع روجرز في محلها .

اما اسرائيل فلم تقبل بمشروع روجرز الا بعد الحصول على ضمانات وتأكيدات امريكية تؤمن لها مصالحها الحيوية والتوسعية تأمينا كاملا . في الواقع كانت الموافقة الاسرائيلية جزءا من تحقيق اهـــداف المخطط الامريكي « لتهدئة » المنطقة وما ان هـــدأت حـــرب الاستنزاف وضربت الثورة الفلسطينية في الاردن تخلت امريكا بسرعة عن مشروع روجرز والقته في سلة المهملات . حصلت اسرائيل على ضمانات باستمرار المساعدة العسكرية الامريكية من أجل الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة واوضحت بأنها لا تنوي في اي حال من الاحوال الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة . وحددت برنامجهـــا للسلام على النحو التالي :

(١) انهاء كل حـــالات العداء بين مصر والاردن من جهة واسرائيل من جهة أخرى ، واحترام الاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية لكل دولة من هذه الدول والاعتراف بحقها في الحياة بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها بـــدون الخوف من أية تهديدات واعمال عنف .

(٢) كل فريق مسؤول عن منع أي أعمال عدوانية تصدر من القوات العسكرية النظامية أو شبه النظامية ، بما فيها القوات غير النظامية ، داخل اراضيه ضد القوات المسلحة أو المدنيين في بلد الفريق الاخر .

(٣) تنسحب القوات الاسرائيلية المسلحة من أراض احتلتها في نزاع ١٩٦٧ الى حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها في اتفاقات السلام .

بعد بدء وقف اطلاق النار (٧ آب ١٩٧٠) بدأت محادثات السلام بين يارينج وممثلي كل من مصر واسرائيل والاردن في هيئة الامم في ٢٤ آب الا ان اسرائيل قدمت منذ البداية عددا من الشكـــاوى الى لجنة مراقبة الهدنة التابعة لهيئة الامم موضوعها خرق مصر لاتفاقية وقف اطلاق النار باقامة بطاريات صواريخ سام ٢ على الضفة الغربية للقناة بعد بدء العمل بوقف اطلاق النار . وفي ٣ ايلول ١٩٧٠ أيدت وزارة الخارجية الامريكية دعوى اسرائيل . على أثر ذلك تعطلت المحادثات الجارية تحت اشراف يارينج عندمـــا اعلنت اسرائيـــل في ٦ ايلول تعليق مشاركتها في محـــادثات السلام الى أن تنفذ مصر اتفاقية وقف اطلاق النار . وجاء تعليق المحادثات وكأنه اشارة للبدء بالمعركة ضد الثورة الفلسطينية بعد ان تم ايقاف حرب الاستنزاف على جبهة القناة واخراج الجبهة الاردنية من أي نوع من المشاركة في المواجهة ضد اسرائيل . وفي الواقع لم تمض عشرة ايـــام على تعليق المحادثات في هيئة الامم الا وكانت قوات الملك حسين تخوض معركة شرسة لتصفية حركة المقاومة في الاردن والقضاء على مكاسبها ومرتكزاتها المادية والشعبية . ونتائج شهر ايلول معروفة للجميع وليس هنا مجال مناقشتها . وعندما شارف هـــذا الشهر على الانتهاء توفي الرئيس عبد الناصر تاركـــا وراءه فراغا قياديا هائـــلا ليس بالامكان ملؤه بسهولة .

وساطة جولدمان

اثناء الاتصالات الامريكية المذكورة وتفاعلاتها جرت محاولة لترتيب اجتماع بين الرئيس عبد الناصر وناحوم جولدمان ، رئيس المجلس اليهودي العالمي والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، على يد وسطاء اهمهم الرئيس تيتو وملك المغرب . في ٦ نيسان ١٩٧٠ أعلن جولدمان في بيان صحفي ان ممثلي حكومة عربية (المغرب) اتصلوا به في باريس واخبروه ان الرئيس عبد الناصر على استعداد لدعوته للاجتماع به في القاهرة (باعتباره رئيسا للمجلس اليهودي العالمي) شرط ان تكون الدعوة علنية وان تتم بمعرفة رئيسة الحكومة الاسرائيلية . وتبعا لذلك قابل جولدمان مائير ودايان لمناقشة موضوع الزيارة . الا ان الحكومة الاسرائيلية اصدرت بيانـــا في ٥ نيسان ١٩٧٠ قالت فيه انها رفضت تلبية طلب جولدمـــان بالسماح له بالسفر الى مصر لمنـــاقشة موضوع النزاع العربي الاسرائيلي مع الرئيس عبد الناصر . وعلى أثر صدور البيان اعلن جولدمان عن أسفه الشديد لقرار الحكومـــة الاسرائيلية . وشرح موقفه بالقول انه يتوجب عليـــه الحصول على اذن حكومة اسرائيل لزيارة القاهرة لان القانون الاسرائيلي يمنع المواطنين من السفر الى بلـــدان هي في حالة حرب مع اسرائيـــل (يحمل جولدمـــان الجنسية السويسرية بالاضافة للاسرائيلية) . وفي بيان القاه ايبان في الكنيست في ٧ نيسان قال ان الحكومة رفضت طلب جولدمان لانها لـــم تر فيه المبعوث المناسب لهـــذه المهمة . واضاف قائلا ان اسرائيل مستعدة لمقابلة ممثلين عن العرب في أي وقت وفي أي مكان يتم الاتفاق عليه وعلى أي مستوى من مستويات التمثيل المطلوبة ، الا ان اسرائيل تحتفظ بحقها في اختيار الناطقين باسمها والمعبرين عن وجهة نظرها . ومعروف ان جولدمـــان قام بزيارة ملك المغرب في وقت لاحق ، عـــلى الرغم من تفشيل الحكومة الاسرائيليـــة لمحاولته .

مشروع الرئيس السادات

انتهت مدة وقف اطلاق النار الاول في ٥ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ومددت لثلاثة اشهر اخرى (أي حتى بداية شباط ١٩٧١) على أثر قرار اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم في ٤ تشرين الثاني دعت فيه الى تمديد وقف اطلاق النار والى اعادة احياء محادثات السلام تحت اشراف يارينج . وكانت مصر تعمل من اجل هذا القرار بمساعدة الدول الافرو ـ آسيوية بينما كانت تعارضه اسرائيل . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٧٠ طرح الرئيس السادات المشروع التالي لتسوية النزاع في مقابلة مع الصحافي جيمس رستون من « النيويورك تايمز » :

(١) على اسرائيل ان تنسحب من كل شبر من الاراضي العربية المحتلة .

(٢) عندما يتم الانسحاب ستعترف مصر باسرائيل كدولة مستقلة ذات سيادة ضمن حدودها التي كانت قائمة عام ١٩٦٧ ، وسترحب بضمان هذه الحدود وحدود غيرها من الدول في الشرق الاوسط من قبل الدول الاربع الكبرى .

(٣) ستكون مصر مستعدة للتفاوض حول حق اسرائيل بالملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة .

(٤) ستمنح مصر حق المرور لاسرائيل في قناة السويس حالما يتم التوصل الى تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٥) لن تقيم مصر علاقات دبلوماسية طبيعية مع اسرائيل .

الموقف الامريكي :

وفي الوقت الذي طرح فيه السادات مشروعه كانت اسرائيل توافق على العودة الى محادثات السلام تحت اشراف يارينج أثر المحادثات التي اجراها دايان وايبان ومائير في خريف ذلك العام مع نيكسون ووليم روجرز وميلفين ليرد وزير الدفاع الامريكي . وعلى اثر هذه المحادثات قررت الولايات المتحدة منح اسرائيل قروضا قيمتها ٥٠٠ مليون دولار بشروط ممتازة من اجل شراء معدات حربية وتخفيف الضغط على اقتصادها بسبب احتياجاتها العسكرية . كذلك اكدت الحكومة الامريكية لاسرائيل :

(١) بأنها ستقف في وجه أي محاولة من قبل مجلس الامن لتقديم حلول للمشاكل التي ينطوي عليها الصراع في الشرق الاوسط مثل المشاكل الاقليمية وقضايا الحدود ومشكلة اللاجئين لان تسوية هذه القضايا يجب ان تخضع للمفاوضات والاتفاق بين الاطراف المعنية .

(٢) انها لن تدع اسرائيل تدخل في اية مفاوضات من موقع ضعف .

(٣) انها تعتقد ان من حق اسرائيل الحصول على حدود يمكن الدفاع عنها وان المطلب العربي الداعي الى انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ مرفوض . هذا مع التأكيد على بقاء القدس موحدة .

(٤) انها لا تقبل المشاريع العربية لحل مشكلة اللاجئين .

بعبارة اخرى ، بعد الضربة التي وجهتها ادوات القمع الهاشمية للمقاومة في الاردن وبعد تحقيق الهدوء الكلي على الجبهات العربية تراجعت الولايات المتحدة كليا عن الموقف الاكثر « اعتدالا » و « اتزانا » الذي عبر عنه مشروع روجرز . بعد ان قام مشروع روجرز بمهمته وأسدى خدماته لقوى الثورة المضادة تم الاستغناء عنه بسرعة باعتباره اداة حققت اغراضها ولم تعد السياسة الامريكية في المنطقة بحاجة اليها .

مشروع اسرائيلي آخر

على اثر تراجع امريكا كليا عن مشروع روجرز عادت اسرائيل الى محادثات السلام تحت اشراف يارينج . وفي ٥ كانون الثاني ١٩٧١ اجتمع الوسيط الدولي في هيئة الامم بممثلي كل من الاردن ومصر واسرائيل . وفي ٨ كانون الثاني قام بزيارة اسرائيل بدعوة من الحكومة حيث تلقى مشروعا للسلام مؤلفا من ١٤ نقطة :

(١) اتخاذ قرار معلن وصريح بانتهاء النزاع كليا .

(٢) الاعتراف المتبادل والواضح من قبل الطرفين بالاستقلال السياسي للطرف الاخر وسلامته الاقليمية وسيادته .

(٣) اقامة حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها .

(٤) اجراءات اضافية من أجل ضمان الامن .

(٥) سحب القوات العسكرية من الاراضي المحتلة وفقا للحدود التي تعينها معاهدة السلام .

(٦) انهاء كل حالات العداء والحرب .

(٧) التزام كل الاطراف بضمان عدم قيام اية اعمال عنف او أعمال حربية على أراضيها أو انطلاقا منها ، من قبل أية فئة او تنظيم او شخص ، ضد شعب الطرف الآخر ومواطنيه وممتلكاته .

(٨) انهاء حالة الحرب الاقتصادية بكافة مظاهرها بما في ذلك المقاطعة .

(٩) تفصيل للالتزامات التي تتحملها الاطراف من اجل تسوية مشكلة اللاجئين . على اثر ذلك لن يكون لاي طرف من الاطراف مطالب لدى الطرف الاخر لا تنسجم مع سيادته .

(١٠) اتفاقات بالنسبة للاماكن ذات الاهمية الدينية أو التاريخية .

(١١) اتفاقات حول الميناء الحر وتسهيلات المرور .

(١٢) عدم المشاركة في أية احلاف عدوانية ومنع كل طرف من الاطراف من وضع قوات تابعة له في أي بلد ثالث في حالة عداء مع الاطراف الاخرى .

(١٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية الطبيعية للطرف الاخر .

(١٤) اقامة السلام على اساس معاهدة ملزمة لجميع الاطراف .

المشروع المصري المضاد

تسلم يارينج مشروعا مصريا مضادا في ١٨ كانون الثاني ١٩٧١ مؤلفا من ٦ نقاط :

(١) انسحاب القوات الاسرائيلية الى المواقع التي كانت فيها قبل حزيران ١٩٦٧ .

(٢) نبذ اسرائيل للتوسع الاقليمي .

(٣) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٤) انهاء حالة العداء وجعل حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في متناول الجميع .

(٥) الاعتراف بالاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وسيادتها وسلامتها الاقليمية .

(٦) ضمان الاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وسلامها عن طريق قوات طوارىء دولية تشارك فيها قوات من الدول الاربع الكبرى ، واقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود .

المشروع الاردني

وفي ٢٥ كانون الثاني اعلن الأردن مشروعه للسلام الذي جاء قريبا من المشروع المصري ويتألف من ٧ نقاط :

(١) انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة بدون استثناء وقبول اسرائيل بمبدأ عدم جواز الحصول على مكاسب اقليمية عن طريق الحرب .

(٢) حق كل دولة من دول المنطقة بالحياة في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها وبدون ان تكون معرضة للتهديد بالعنف أو لاعمال عنف .

(٣) يضمن الاردن حرية الوصول الى جميع الاماكن التاريخية والدينية في مدينة القدس العربية كما يضمن حرية العبادة .

(٤) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٥) انهاء حالة العداء وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية .

(٦) على الدول الاربع الكبرى ان تشارك من خلال مجلس الامن في الاشراف على اتفاقية السلام .

(٧) امكانية اقامة مناطق منزوعة من السلاح على أساس متبادل .

مشروع التسوية الجزئية

عندما قارب موعد انتهاء اتفاقية وقف اطلاق النار في ٥ شباط ١٩٧١ أعلن الرئيس السادات في ٤ شباط ، أمام مجلس الامة ، ان مصر مستعدة لتمديد وقف اطلاق النار ٣٠ يوما ، أي الى ٧ آذار . واقترح انه خلال هذه الفترة ينبغي على اسرائيل ان تبدأ في سحب قواتها الى مسافة ما من الضفة الشرقية للقناة كخطوة أولى نحو وضع الجدول الزمني المطلوب من أجل انسحابها الكامل وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . واذا نفذت اسرائيل هذا الاجراء ستكون مصر على استعداد لتنظيف القناة فورا وجعلها صالحة للملاحة من جديد .

وفي ٩ شباط ١٩٧١ ردت مائير على اقتراح السادات في كلمة القتها في الكنيست بقولها ان موضوع تنظيف قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية قابل للتفاوض قبل التوصل الى تسوية شاملة للنزاع ، الا انه لا يمكن اجراء مثل هذه المفاوضات على أساس الشروط التي حددها السادات .

وفي ٩ شباط اعلن الناطق الرسمي في القاهرة ، منير حافظ ، في تعليق على ما قالته مائير ان قرار مجلس الامن يشكل صفقة متكاملة بمعنى انه يرتبط فتح قناة السويس امام الملاحة الاسرائيلية بتسوية مشكلة اللاجئين . وعاد الى موضوع التسوية الجزئية بقوله ان مصر ستعتبر الانسحاب الاسرائيلي الجزئي من الضفة الشرقية للقناة خطوة أولى في الجدول الزمني لتنفيذ كافة بنود قرار مجلس الامن .

بعد مرور سبعة اشهر على بدء العمل باتفاقية وقف اطلاق النار انتهت هذه الاتفاقية رسميا في ٧ اذار ١٩٧١ عندما اعلن الرئيس السادات بأن مصر لن توافق على اية تمديدات اخرى للاتفاقية . الا انه اوضح ايضا ان هذا لا يعني ان الجهود الدبلوماسية ستتوقف لتتكلم المدافع وحدها . وكشف النقاب عن انه قام بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي في أوائل شهر اذار ١٩٧١ لاجراء مشاورات مع القادة السوفيات وقال انه عاد راضيا كل الرضى ومطمئنا بالنسبة لدعم الاتحاد السوفياتي للنضال العربي .

مشروع يارينج

بعد الاتصالات الكثيرة والجولات العديدة التي قام بها يارينج توصل الى طرح مجموعة من المقترحات هدفها البحث عن اسلوب يمكن ان يؤدي الى انجاح المفاوضات العربية الاسرائيلية غير المباشرة الجارية تحت اشرافه في هيئة الامم .

في ٨ شباط ١٩٧١ تقدم يارينج بمقترحاته عبر مذكرات متشابهة وجهها الى مصر واسرائيل من اجل الحصول على التزامات وايضاحات تسهل عليه مهمته (نشرتها صحيفة « التايمز » اللندنية في ١١ اذار ١٩٧١) . وقد طلب يارينج من مصر الالتزام والتعهد بالدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل تبين بكل وضوح الاعتراف المصري بالامور التالية :

(١) انهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين .

(٢) الاعتراف باستقلال كل فريق واحترامه .

(٣) الاعتراف بحق كل فريق في الحياة بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها واحترام هذا الحق .

(٤) قبول كل فريق مسؤولية القيام بكل ما في وسعه لضمان عدم انطلاق اية أعمال عدوانية من أراضيه ضد دولة الفريق الاخر وشعبها وممتلكاتها .

(٥) التعهد من قبل الفريقين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للفريق الاخر .

وقد وافقت مصر ، في مذكرة جوابية الى يارينج ، بدون تحفظ او شروط على كافة المطالب التي تقدم بها يارينج والتزمت بها رسميا . وبالاضافة الى ذلك تعهدت المذكرة المصرية بتنفيذ الامور التالية :

(١) ضمان حرية الملاحة في قناة السويس وفقا لميثاق القسطنطينية الصادر في عام ١٨٨٨ .

(٢) ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولي .

(٣) القبول بوضع قوة سلام دولية في شرم الشيخ .

كما نصت المذكرة الجوابية المصرية على انه بغية ضمان التسوية السلمية والسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان مصر تقبل بما يلي :

(١) اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفي الحدود .

(٢) انشاء قوة سلام تابعة للامم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن .

وطالبت المذكرة اسرائيل بالمقابل الالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وقطاع غزة وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة .

وطلب يارينج من اسرائيل الالتزام بسحب قواتها من أراض محتلة تابعة لمصر وذلك الى خط الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني على ان يرافق الانسحاب الاجراءات التالية :

(١) اقامة مناطق مجردة من السلاح .

(٢) ترتيبات أمن عملية في منطقة شرم الشيخ تضمن حرية الملاحة في مضائق تيران .

(٣) حرية الملاحة (الاسرائيلية) في قناة السويس .

وقد ردت اسرائيل على مذكرة يارينج بالترحيب باستعداد مصر للدخول في اتفاق سلام

مع اسرائيل ، وبالاعلان مجددا عن استعدادها لاجـراء مفاوضات جدية حول كـافة المواضيع المتعلقة بالتسوية السلمية بين الطـرفين . وذكـرت ان اتفاقية السلام بين البلدين يجب ان تتضمن ما يلي بالنسبة للجانب الاسرائيلي :

(١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين اسرائيـل ومصر منتهيا تماما وانهاء كـل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الاعمال العدوانية بين اسرائيل ومصر .

(٢) احترام سيادة مصر وحصانة اراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك .

(٣) احترام حق مصر في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها والاعتراف بذلك .

(٤) انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من على خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل ومصر الى الحدود الآمنة والمعترف بها التي ستقام في اتفاق السلام . ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(٥) فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ودعاوى الطرفين بالنسبة لهـذا الامر فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : (أ) دفع تعويضات مقـابل الاراضي والممتلكـات المهجورة . (ب) المشاركة في وضع خطـة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . عندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون اي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجاه الطرف الاخر تتعارض مع سيادته .

(٦) حمل مسؤولية ضمان عدم قيام او انطلاق اية أعمال حربية أو أعمال عنف من قبل أي تنظيم أو جماعة أو فرد في أرض اسرائيل ضد شعب مصر أو قواتها المسلحـة أو ممتلكاتها .

(٧) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لمصر .

(٨) عدم اشتراك اسرائيل في أية احلاف معادية لمصر وحظر وجود أية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع مصر .

وحددت اسرائيل التعهدات المطلوبة من مصر من أجل الوصول الى التسوية على النحو التالي :

(١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين مصر واسرائيـل منتهيا تماما وانهاء كـل ادعاءات الحرب وحالاتها وكل الاعمال العدوانية بين مصر واسرائيل .

(٢) احترام سيادة اسرائيل وحصانة اراضيهـا واستقلالهـا السياسي والاعتراف بكل ذلك .

(٣) احترام حق اسرائيل في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها تعينها اتفاقية السلام .

(٤) حمل مسؤولية عدم قيام أو انطلاق أية اعمال حربية او أعمال عنف من قبل أي تنظيم أو جماعة أو فـرد في أراضي مصر ضد شعب اسرائيـل أو قواتها المسلحة أو ممتلكاتها .

(٥) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل .

(٦) تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية في قناة السويس .

(٧) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها بما في ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل في علاقات اسرائيل الدولية الطبيعية .

(٨) عدم اشتراك مصر في أية احلاف معادية لاسرائيل وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع اسرائيل . وعلى كل من مصر واسرائيل الدخول في اتفاقية

سلام يتم التعبير عنها بمعاهدة ملزمة وفقا للقوانين والسوابق الدولية العادية وتحوي المعاهدة التعهدات المذكورة اعلاه .

لكن على الرغم من الترحيب الذي لقيه الرد المصري « الايجابي » على مذكرة يارينج في أوساط الرأي العام الدولي ، ماتت مهمته على أثر تقديمه المقترحات المذكورة واستلامه الردين المصري والاسرائيلي عليها . ماتت مهمة الوسيط الدولي مع ان مصر تقدمت بتنازلات مهمة في اجابتها على يارينج وفي قبولها بالتجزئة التي ادخلتها مقترحاته على مصير الاراضي العربية المحتلة كما هو واضح من التركيز على الانسحاب الاسرائيلي الى خط الحدود الدولي بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني مما يبقي قطاع غزة خارج اطار التسوية المصرية الاسرائيلية المقترحة من طرفه . ولا شك ان السبب الرئيسي في فشل مهمة يارينج هو الاستراتيجية الامريكية ـ الاسرائيلية الرامية على المدى الابعد لتحقيق استسلام عربي كامل للوضع الامبريالي الذي استجد في المنطقة على اعقاب حرب ١٩٦٧ .

مشروع التسوية الجزئية مجددا

في مقابلة مع مجلة « نيوزويك » الاسبوعية الامريكية (جرت في ٤ شباط ونشرت في عدد ١٥ شباط ١٩٧١) عاد الرئيس السادات الى طرح فكرة التسوية الجزئية كخطوة اولى نحو السلام العربي الاسرائيلي . اقترح السادات أن تنسحب اسرائيل في سيناء الى خط يقع عند العريش ، وبالمقابل تضمن مصر اعادة فتح قناة السويس للتجارة الدولية خلال ستة أشهر ، وتمدد وقف اطلاق النار مهلة تعطي يارينج ما يكفي من الوقت لاتمام مهمته، كما ستضمن حرية الملاحة في مضائق تيران عن طريق وضع قوة طوارىء دولية في شرم الشيخ . كذلك أكد السادات مجددا انه اذا انسحبت اسرائيل من كافة المناطق العربية المحتلة فان مصر ستعقد معها معاهدة سلام تتضمن اعترافا بالسلامة الاقليمية لكل دولة في المنطقة بما فيها اسرائيل .

مشروع جولدا مائير المضاد

ردت مائير على السادات في بيان القته أمام الكنيست في ٩ شباط ١٩٧١ رفضت فيه مقترحات الرئيس السادات وعادت للتأكيد على استعداد اسرائيل للبحث في أية اجراءات خارج اطار محادثات السلام ، من شأنها اعادة فتح قناة السويس لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل . وتبعت ذلك بطرح مشروع اسرائيلي مضاد عبر مقابلة نشرتها صحيفة « التايمز » اللندنية في ١٢ اذار ١٩٧١ حددت فيها مطالب اسرائيل على النحو التالي :

(١) جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح لا يسمح لمصر بادخال الدبابات أو المدفعية أو الصواريخ اليها . ويتم ضمان هذا الترتيب عن طريق قوة مشتركة يمكن ان تضم في صفوفها قوات اسرائيلية ومصرية .

(٢) ستستمر اسرائيل في الاحتفاظ بشرم الشيخ لان مضائق تيران حيوية بالنسبة لمرفأ ايلات ، مرفأ اسرائيل الوحيد على البحر الاحمر ومخرجها الى آسيا وشرقي افريقيا .

(٣) لا اعادة لقطاع غزة لاشراف مصر . ستعتني اسرائيل باللاجئين وبامكان غزة ان تصبح مرفأ اردنيا .

(٤) تبقى القدس موحدة وجزءا من اسرائيل .

(٥) لن تتراجع اسرائيل من مرتفعات الجولان .

(٦) يجب اجراء مفاوضات حول خط الحدود في الضفة الغربية ، على ان لا تعبر أية قوات عربية الى الضفة الغربية لنهر الاردن . وينبغي الا تشكل الحدود النهائية بين

اسرائيل والضفة الغربية مصدرا للتفرقة بل يجب ان تكـون عاملا فعالا في الربط بين العرب والاسرائيليين . كما انه يجب ضمـان حق الطرفين في الوصول الى الامـاكن المقدسة الواقعة في أراضي الطرف الاخر . وسيكون بامكان الأردن الوصول الى مينائي حيفا وغزة ولكن بدون خلق ممرات عبر الاراضي الاسرائيلية .

(٧) تعارض اسرائيل فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية لانها لن تكون كبيرة بما فيه الكفاية لتتمتـع بأسباب الحياة وقد تشكـل خطرا عسكريا حقيقيا على اسرائيل .

رد مصر :

في ١ نيسان ١٩٧١ ردت مصر باعلان استعدادها للعودة الى اتفاقية وقف اطلاق النار بصورة رسمية ولمدة محدودة اذا وافقت اسرائيل على اقتراح الرئيس السادات الداعي لانسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من على ضفة قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية . كما أشار البيان المصري الى اقامة منطقة محايدة في سيناء بين الجيشين بعد عبور القوات المصرية الى المواقع التي اخلاها الاسرائيليون . ورفض رفضا قاطعا فكرة جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح .

رد الفعل الاسرائيلي :

في ٤ نيسان ١٩٧١ رفضت مائير من جديد مقترحات الرئيس السادات معتبرة اياها غير صالحة كأساس للاتفاق . ثم عادت لتحديد موقف اسرائيـل من التسوية على النحو التالي :

(١) نهر الاردن هو الحد الآمن لاسرائيل ولا يجوز لاية قوات عسكرية عبوره . أمـا الحدود النهائية بين اسرائيل والاردن فهي خاضعة للمفاوضات .

(٢) يجب بقاء مرتفعات الجولان وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية .

(٣) تبقى شرم الشيخ تحت السيطرة الاسرائيلية لضمان حرية الملاحـة الى ايلات . وسيتم الربط البري بين شرم الشيخ واسرائيل وفقا لحاجاتها الأمنية .

(٤) تبقى القدس مدينة موحدة ، واسرائيـل على استعداد للدخول في اتفاقات مـع السلطات الاسلامية والمسيحية من أجل ترتيبات مناسبة لضمان المركز الديني والعالمي للاماكن المقدسة في القدس .

(٥) فكرة الضمانات الدولية وقوات الطوارىء على الحدود مرفوضة . كذلك الامـر بالنسبة لفكرة مشاركة قوات سوفياتية في قوة الطوارىء المقترحة لان الاتحاد السوفياتي حليف فعال لمصر في حالة الحرب القائمة .

(٦) لا بد من اجراء مفاوضات مباشرة لتسوية الخلافات العربية الاسرائيلية الهامة .

مشروع « حكماء افريقيا »

مع استفحال المأزق الـذي توصلت اليه مساعي التسوية السياسية ، خـاصة بعد استغناء الولايات المتحدة عن مشروع روجرز ومهمة يارينج ، حاولت منظمة الوحـدة الافريقية اخذ زمام المبادرة لتقريب وجهات النظر بين مصر واسرائيل . وبدأت جهـود المنظمة الافريقية في اجتماع القمة الذي انعقد في ٢٢ حزيران ١٩٧١ حيث تم اتخاذ قرار يعتبر من اقوى القرارات التي تبنتها المنظمة في دعم مصر وفي ادانة اسرائيل منذ ١٩٦٧ . طالب القرار :

(١) بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية المسلحة من جميع المناطق العربية المحتلة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ وذلك تنفيذا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

(٢) عبر عن الدعم الكامل لمهمة يارينج عامة ولمقترحات السلام التي تقدم بها في شباط ١٩٧١ خاصة والتي وافقت عليها مصر ورفضتها اسرائيل .

(٣) أكد من جديد تضامن المنظمة مع مصر وترحيبها بموقف مصر الايجابي المتضمن في جوابها على مقترحات يارينج للسلام معتبرا اياها خطوة عملية من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

(٤) ندد بتحدي اسرائيل لمبادرة يارينج وطالبها بان تقدم جوابا ايجابيا على مقترحاته شبيها بجواب مصر .

وكان الشعور السائد في مؤتمر القمة الافريقي ان اسرائيل تتصلب باستمرار في موقفها ومن الضروري شن حملة ضغط متزايدة عليها . لذلك اختار اجتماع القمة لجنة مؤلفة من عشرة زعماء افارقة من اجل حث اسرائيل على تقديم بعض التنازلات . واختارت لجنة العشرة اربعة رؤساء من بينها ليقوموا بزيارة مصر واسرائيل حيث سيقومون بتوجيه أسئلة دقيقة وبتقديم مقترحات محددة للسادات وجولدا مائير حول مستقبل محادثات السلام . وتألفت اللجنة الرباعية من رؤساء السنغال وزائير (كونغو كينشاسا) والكاميرون ونيجيريا برئاسة سنغور (السنغال) .

رفعت اللجنة تقريرا بنتائج مساعيها الى يوثانت والدول الخمس الكبرى والدول الافريقية المعنية . وتألفت محتويات التقرير من ٦ نقاط محددة مع تبيان موقف كل من مصر واسرائيل بالنسبة لكل نقطة على حدة . وجدير بالذكر هنا ان المحور الذي دار حوله التقرير (ودارت حوله مهمة حكماء افريقيا) ليس الا مجموعة المسائل المتنازع عليها بين مصر واسرائيل بالنسبة للحل السلمي عامة وقضية التسوية الجزئية على وجه التخصيص ، وكلها مسائل اصبحت معروفة بوضوح من خلال الوساطة الامريكية ومضاعفاتها . وفيما يلي المسائل التي تطرق اليها التقرير :

(١) استئناف مهمة يارينج على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وبما ان هذه النقطة هي من المطالب المصرية المتكررة فقد وافقت مصر عليها بدون تحفظ . اما اسرائيل فقد وافقت شريطة عدم فرض أية شروط مسبقة على استئناف المهمة . وهذا يعني ، بعبارة أخرى ، عدم مطالبتها بتبديل ردها السلبي على مذكرة يارينج التي طلب فيها من اسرائيل الالتزام بمبدأ الانسحاب الى ما وراء حدود ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(٢) التوصل الى اتفاق مؤقت لاعادة فتح القناة على أساس انسحاب اسرائيلي جزئي مع حلول قوات دولية على ضفة القناة الشرقية محل القوات المنسحبة . ووافقت مصر على هذا الترتيب شرط ان تلتزم اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة . بعبارة أخرى ، شرط ان تكون التسوية الجزئية خطوة أولى نحو التسوية الشاملة للنزاع وهذا مطلب أساسي من المطالب المصرية . الا ان قبول مصر بهذا الترتيب يعني، من ناحية أخرى ، تراجعها عن مطلب عبور القوات المصرية والاستعاضة عن ذلك بقوات دولية . ووافقت اسرائيل ايضا على هذا الترتيب شرط ان يتم التفاوض بين الطرفين حول شروط الانسحاب الاسرائيلي الجزئي . أي ان اسرائيل تحاول ، كلما سنحت لها الفرصة ، الضغط بكافة الطرق لجر الطرف العربي الى مائدة المفاوضات .

(٣) قضية الحدود الآمنة والمعترف بها . موقف مصر هو أن تنص التسوية النهائية على الحدود الآمنة والمعترف بها بما يتفق مع قرار منظمة الوحدة الافريقية الذي يطالب اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . اما موقف اسرائيل فقد تلخص بالتعبير عن استعدادها للتفاوض على شروط قيام هذه الحدود .

(٤) الضمانات التي تقدمها هيئة الامم لتدعيم أية تسوية بين طرفي النزاع بما في ذلك وجود قوات دولية في المناطق الستراتيجية . ووافقت مصر على تمركز القوات الدولية على

جانبي الحدود من هذه المناطق . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول هذه النقطة وذكرت ان لديها شروطا وتحفظات بشأنها .

(٥) ورود نص في التسوية النهائية حول اجراءات الانسحاب الكامل . بطبيعة الحال وافقت مصر وشددت على ان يكون الانسحاب كاملا الى ما قبل خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ بحيث تعود كل الاراضي العربية المحتلة . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض بشأن الحدود التي سيتم الانسحاب اليها .

(٦) مسألة حرية الملاحة في مضائق تيران ووجود قوات دولية في شرم الشيخ . وافقت مصر بدون تحفظ . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول شروط تحقيق مثل هذا الترتيب .

ويتبين من هذا التقرير ان الطرف العربي ما زال يبذل أقصى جهوده (وبالرغم من قرع طبول الحرب) للحصول على تسوية سلمية تحفظ ماء الوجه أي لا تبقى أيا من الاراضي العربية بيد اسرائيل حتى لو تطلب ذلك تسليم اجزاء استراتيجية من هذه الاراضي الى القوات الدولية مما يعني عمليا نزع السيادة العربية عنها . أما الجانب الاسرائيلي فقد أبدى بعض « الليونة » التكتيكية المعروفة في مواقفه بمعنى انه اخضع هذه النقاط الحساسة الى « التفاوض » بدلا من ان يحدد منها مواقف متصلبة مسبقة .

أما فشل مهمة حكماء افريقيا فيعود الى التصلب الاسرائيلي ، كما بين ذلك مندوب السنغال في خطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم (كانون الاول ١٩٧٢) ، حيث وجه نقدا شديدا لاسرائيل بسبب موقفها من مهمة البعثة الافريقية للسلام وانعدام رغبتها الجدية في تحقيق تسوية سياسية للنزاع .

بعد ان نجح مشروع روجرز في تهدئة الجبهات العربية وضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن وصل الموقف الامريكي الى نتائجه المنطقية التي عبرت عن نفسها صراحة باعلان وزارة الخارجية الامريكية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧١ عن تعليق الحكومة الامريكية جهودها للوصول الى تسوية جزئية في الشرق الاوسط تسمح باعادة فتح قناة السويس. وقد جاء هذا الاعلان بعد خطاب القاه الرئيس السادات على جبهة القناة اتهم فيه الحكومة الامريكية بالمناورة واسرائيل بالعجرفة . كما أعلن ان جميع اتصالات مصر مع امريكا من أجل تحقيق التسوية السلمية قد توقفت . لكن على الرغم من تصريح السادات واعلان الولايات المتحدة عن تعليق مبادراتها السلمية في الشرق الاوسط لم تنقطع الاتصالات كليا بين البلدين . وفي هذه الاتصالات المستمرة ظلت امريكا متمسكة بمشروع التسوية الجزئية عن طريق المفاوضات . ولتحقيق ذلك اقترحت صيغة « محادثات الجوار » حيث ينزل المبعوث الاسرائيلي والمبعوث المصري في فندق واحد في نيويورك ويقوم جوزيف سيسكو (أو غيره) بدور الوسيط بينهما . وقد وافقت اسرائيل على هذه الصيغة بعد ان ضمنت موافقة امريكا على القيام بدور شكلي في « محادثات الجوار » والا تتبنى وجهة نظر معينة وتحاول فرضها على الطرفين المتفاوضين . وعلى الرغم من ان مصدرا حكوميا مصريا رفيعا اعلن في ٣ شباط ١٩٧٢ ان مصر لا تستثني كليا امكانية المشاركة في « محادثات الجوار » شرط ان تجري على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لم تسفر هذه الصيغة الامريكية في التفاوض عن اية نتائج ملموسة حتى الان .

مشروع المملكة العربية المتحدة

ان آخر مشروع للتسوية السياسية مع اسرائيل سنتعرض له في هذا التقرير هو المشروع الذي تقدم به الملك حسين في ١٥ اذار ١٩٧٢ في محاولة لشق الصف الفلسطيني واظهار

نفسه بمظهر الممثل الشرعي الاوحد للشعب الفلسطيني بدلا من حركة المقاومة . نص مشروع الملك على ما يلي :

« (١) تصبح المملكة الاردنية الهاشمية مملكة عربية متحدة وتسمى بهذا الاسم .

« (٢) تتكون المملكة العربية المتحدة من قطرين : (أ) قطر فلسطين ويتكون من الضفة الغربية واي أراض فلسطينية اخرى يتم تحريرها ويرغب اهلها في الانضمام اليها . (ب) قطر الاردن ويتكون من الضفة الشرقية .

« (٣) تكون عمان العاصمة المركزية للمملكة وفي الوقت نفسه تكون عاصمة لقطر الاردن .

« (٤) تكون القدس عاصمة لقطر فلسطين .

« (٥) رئيس الدولة هو الملك ويتولى السلطة التنفيذية المركزية ومعه مجلس وزراء مركزي . أما السلطة التشريعية المركزية فتناط بالملك وبمجلس يعرف باسم مجلس الامة . ويجري انتخاب اعضاء هذا المجلس بطريقة الاقتراع السري المباشر وبعدد متساو من الاعضاء لكل من القطرين .

« (٦) تكون السلطة القضائية المركزية منوطة بمحكمة عليا مركزية .

« (٧) للمملكة قوات مسلحة واحدة قائدها الاعلى الملك .

« (٨) تنحصر مسؤوليات السلطة التنفيذية المركزية في الشؤون ذات العلاقة بالمملكة كشخصية دولية واحدة وبما يضمن سلامة المملكة واستقرارها وازدهارها .

« (٩) يتولى السلطة التنفيذية في كل قطر حاكم عام من ابنائه ومجلس وزراء قطري من ابنائه ايضا .

« (١٠) يتولى السلطة التشريعية في كل قطر مجلس يعرف باسم مجلس الشعب يتم انتخابه بطريقة الاقتراع السري المباشر . وهذا المجلس هو الذي ينتخب الحاكم العام للقطر .

« (١١) السلطة القضائية في القطر هي لمحاكم القطر ولا سلطان لاحد عليها .

« (١٢) تتولى السلطة التنفيذية في كل قطر كل شؤون القطر باستثناء ما يحدده الدستور للسلطة التنفيذية المركزية .

« ومن الطبيعي ان تصير في تنفيذ هذه الصيغة ومرتكزاتها الاصول الدستورية المتبعة حيث تحال على مجلس الامة ليتولى اتخاذ الاجراءات لوضع الدستور الجديد في البلاد» .

وقبل ان يعلن الملك حسين مشروعه اجتمع بعدد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة، من بينها عبد المجيد شومان وابراهيم بكر وبهجت ابو غربية وعبد الحميد السائح وياسر عمرو ويحي حمودة ، واخبرها بما يلي :

(١) أنه لا يطرح مشروعه للمناقشة بل للتنفيذ المباشر .

(٢) ان الملك فيصل مؤيد للمشروع بموافقة الحكومة الامريكية .

(٣) ان معظم الحكومات العربية على علم بالمشروع وهي موافقة عليه . أما الاتحاد السوفياتي ، صديق العرب ، فليس لديه اي اعتراض عليه .

(٤) بما ان قادة المقاومة يعملون (على حد زعم الملك حسين) من اجل تأسيس دولة فلسطينية في الضفة الغربية لا بد لاجهاض مشروعهم بتقديم مشروع بديل .

(٥) سيتم رفع العلم الاردني فوق الاماكن الاسلامية المقدسة في القدس وعلم الفاتيكان فوق الاماكن المقدسة المسيحية .

(٦) سيكون للقدس مكانة شبه دولية وسيكون فيها وجود دولي رمزي .
(٧) ستقوم حكومة جديدة بتأسيس المؤسسات الفدرالية الجديدة .

وذكرت مصادر امريكية رسمية ان الملك حسين سيناقش تفاصيل مشروعه الجديد مع الرئيس نيكسون اثناء زيارته لواشنطن في اواخر شهر اذار ١٩٧٢ . ومع ان المسؤولين الامريكيين اعترفوا بان امكانات تنفيذ المشروع في المستقبل القريب ضعيفة الا انهم ابدوا رضاهم بمبادرة الملك . وقد وصف احدهم المشروع بقوله انه « خطوة في الاتجاه الصحيح » ، مع انه اعترف بأن اسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية الا بعد ابرام اتفاقية سلام . ولم تصدر اية تعليقات رسمية عن البيت الابيض أو وزارة الخارجية كي لا يتولد انطباع بأن المشروع أمريكي ويخلق احراجات للملك هو بغنى عنها .

أما اسرائيل فقد رفضت مشروع الملك حسين واستهزأت به واعتبرته غير صالح كأساس لاتفاقية سلام معها . واصرت جولدا مائير أمام الكنيست في ١٦ اذار ١٩٧٢ على ضرورة المفاوضات للتوصل الى اتفاقية مع الدول العربية ، وسخرت من الملك حسين ووصفته بالمدعي الذي « توج نفسه ملكا على القدس وتصور نفسه حاكما لمناطق أكبر بكثير مما كان يحكم قبل هزيمة ١٩٦٧ ، معتبرا مناطق كاملة على انها من ممتلكاته في حين أنها لا تقع حتى تحت سيطرته . وفي نشوة حماسته كمحرر للمناطق وكصانع للممالك شط الى درجة اعتبار القدس — عاصمة اسرائيل الابدية — عاصمة للفلسطينيين » .

كان العراق اول دولة عربية ادانت مشروع الملك حسين (١٥ آذار ١٩٧٢) معتبرة اياه فكرة انهزامية تقدم بها نظام عميل . وتبعت مصر بقولها ان المشروع يشكل مؤامرة لشق الصف العربي ، كما أعتبرته « الاهرام » تواطؤا جديدا مع اسرائيل سيؤدي في النهاية الى تصفية القضية الفلسطينية . وفي ١٦ اذار ١٩٧٢ اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا رفضت فيه المشروع وأكدت ان الشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مستقبله ومستقبل قضيته . وفي ١٨ اذار اعلنت دول الاتحاد الثلاثي رفضها القاطع للمشروع قائلة ان الولايات المتحدة هي وراءه .

من النتائج الهامة التي لا بد ان نخرج بها من هذه المراجعة لمشاريع التسويات السياسية الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية صواب الموقف المبدئي والاساسي للجماهير الفلسطينية (كما عبرت عنه حركاتها السياسية عامة وحركة المقاومة على وجه التخصيص) في رفض كل انواع التسويات والمساومات والتنازلات التي تمس جوهر قضيتها الوطنية والتي لا يمكن ان تتحقق الا على حساب هذه القضية . ان صواب هذا الموقف واضح من خلال استخدام التحالف الامريكي — الاسرائيلي لمشاريع التسوية لاجل ابقاء الوضع الامبريالي القائم في المنطقة على حاله قدر الامكان . كما أنه واضح ايضا من التصعيد المستمر وغير المحدود للمطالب الاسرائيلية — الامبريالية كلما قدمت الدول العربية تنازلا مهما بقبولها مشروعا من مشاريع السلام المطروحة . لقد ادركت الثورة الفلسطينية منذ البداية ان اختيار طريق التسويات والمساومات في عصرنا لا يمكن ان يؤدي الا الى نتيجة منطقية واحدة هي الاستسلام الكامل أمام اسرائيل والولايات المتحدة وان الامبريالية لن تتوقف عن التلاعب « بمشاريع التسويات السلمية » حتى تحقق هذا الهدف الحيوي لمصالحها في الوطن العربي .

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (٢)

الدكتور عاطف سليمان

هذا هو القسم الثاني من دراسة الدكتور عاطف سليمان التي كنا قد نشرنا القسم الاول منها في العدد رقم ٢٠ من شؤون فلسطينية تاريخ نيسان ١٩٧٣ . وقد تركز القسم الاول في دراسة اهمية النفط العربي الاستراتيجية والاقتصادية بشكل خاص للولايات المتحدة واوروبه . اما هذا القسم فيعالج بالتفصيل مسالة تاميم النفط العربي .

الحل الجذري الحاسم : التاميم

لقد تبين لنا ان جميع الاجراءات الجزئية والمؤقتة التي تم اللجوء اليها حتى الان لاتخاذ النفط العربي سلاحا في معاركنا ، وعلى راسها اجراء منع النفط عن الدول المعادية الذي طبق عام ١٩٦٧ ، لم تؤد النتائج المطلوبة منها وكانت محدودة الفعاليـــة وليست على مستوى أهمية سلاح النفط . ومثل هذا القول يصدق على الاجراءات الجزئية الاخرى التي تقترح من وقت لآخر أو يتجه اليها التفكير ، والتي استعرضنا فيما تقدم نماذج منها. كما رأينا أن اجراء حجب النفط العربي حتى لو اتخذت كافة التدابير ونفذت كافة الشروط لجعل تطبيقه شاملا للعالم الغربي ومستمرا أطول مدة ممكنة ، فان من المشكوك فيه ان يضمن لنا تحقيق النتائج الايجابية المطلوبة لصالح قضايانا عن طريق ما يفرضه من ضغط على العالم الغربي ، كما ان من محاذير هذا الاجراء كما رأينا انه أيضا اجراء مؤقت محدود من حيث زمان تطبيقه ولا يمس المصالح الاجنبية في نفطنا بشكل جذري بل تبقى هذه المصالح قائمة وموجودة وتتمتع بلدانها بالميزة الاستراتيجية الهامة التي تترتب على وجودها كما أن هذه الشركات تبقى تجني الارباح من عمليات تصدير النفط للبلدان غير المقاطعة ، اذا لم يكن المنع شاملا ، أو تعود لجني الارباح ومواصلة نشاطها الكامل بعد أن يوقف اجراء المنع .

والاجراءات المتقدمة كلها تجمعها خاصية مشتركة وهي انها ترمي الى اتخـــاذ النفط سلاحا عن طريق ممارسة الضغط على العالم الغربي وتهديده بالحاق الاذى في مصالحه لحمله على تغيير مواقفه المعادية لنا والمساندة لاسرائيل . فهي تصدر مـــن افتراض امكانية حمل الغرب على تغيير مواقفه المؤيدة لاسرائيل . ولقد فشلت كلها في احداث الضغط المطلوب على الدول المعادية وفي حملها على تغيير سياستها واتباع سياسة ودية والتخلي عن تأييدها الشامل لاسرائيل . بل ان تأييدها هذا قد تزايد في السنوات الاخيرة كما يشهد بذلك التأييد الامريكي غير المشروط لاسرائيل والعداء المطلق للقضية العربية . وفي اعتقادنـــا ان فشل هذه الاجراءات في احـــداث آثارهـــا مرده سببان رئيسيان :

السبب الاول : ان جميع تلك الاجراءات الجزئية والمؤقتة لا تلحـــق الضرر الجذري بالمصالح الاساسية التي تربط البلدان الغربية المعادية (الولايات المتحدة وبريطانيـــا خاصة) بنفطنا . فلقد سبق ان بينا أن هذه المصالح الاساسية من نوعين مترابطين : أولهما ، الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكيـــة والبريطانية مـــن

استغلال نفطنا والتي تساهم مساهمة كبيرة في ميزان مدفوعات بلديهما . وثانيهما ، الميزة الاستراتيجية التي تتمثل في بقاء سيطرة شركاتها على هذه المصادر الهامة للطاقة التي تعتبر مصادر لا بديل لها بالنسبة لهذين البلدين وللعالم الغربي بصورة عامة . ولقد رأينا الاعتماد شبه الكلي للغرب على نفطنا سواء في الحاضر أو في المستقبل كما رأينا الاحتياجات المتزايدة في الولايات المتحدة لنفطنا . فهذه البلدان تحرص اذن كما هو واضح ، على أن تبقى هذه المصادر تحت يد شركاتها لتضمن على الدوام الحصول على موارد نفطية مأمونة في الوقت المناسب وبأسعار مقبولة لها . هذه المصالح الاساسية لم تمس بأي شكل من جراء تطبيق الاجراءات الجزئية والمؤقتة، ولذا فان أثر هذه الاجراءات على الغرب كان وسيبقى دون المستوى المطلوب . وعلى ذلك ، فان أي اجراء يتقرر اللجوء اليه في المستقبل ينبغي ، اذا أردناه فعالا ، ان يلحق الضرر الجذري بهذه المصالح الاساسية ويلغيها من أساسها ، بحرمان تلك الشركات النفطية الغربية من امتيازاتها النفطية وما تمثله من قيمة اقتصادية ومالية واستراتيجية . لقد هددنا على الدوام بالحاق الضرر بالمصالح النفطية الغربية في بلادنا ، ولكن تهديدنا لم يثمر لان احدا لم يعد يصدقنا ، وعلينا الآن ان ننفذ بالفعل هذا التهديد وأن نلحق بتلك المصالح ضربة جذرية قاسية .

أما **السبب الثاني** لفشل جميع تلك الاجراءات الجزئية والمؤقتة في تحقيق آثارها فهي انها تصدر جميعها من افتراض امكانية حمل العالم الغربي على تغيير موقفه المؤيد لاسرائيل تغييرا جذريا . ولكن التجارب الطويلة للامة العربية في هذا الحقل ، والتحليل العملي الموضوعي للاسباب التي حملت الغرب على تبني انشاء اسرائيل ومواصلة الحفاظ على كيانها ، تفرض علينا الاقتناع باستحالة حمل الدول الغربية المعادية على تغيير مواقفها المساندة لاسرائيل تغييرا أساسيا ، عن طريق الضغط عليها ، وذلك نظرا للترابط التام والاندماج الكامل للمصالح الامبريالية والصهيونية . ولذا فلا بد لنا أن نستخلص من ذلك النتائج التي تفرضها الاعتبارات المنطقية والواقعية ، وان نغير من مواقفنا تبعا لذلك وان نكيف استخدام سلاح النفط وفقا لهذه الحقائق . واذا كانت أساليب الضغط لم تجد ولن تجدي ، فعلينا أن نلحق ضربة جذرية ساحقة بالمصالح الاساسية للغرب في نفطنا بأن نحرمه من هذه المصالح بعد أن تمادى في استهتاره بنا وفي عدائه المطلق لقضايانا . ونحن عندما ندعو الى حرمان الغرب من مصالحه النفطية ، وتجريده منها ، كوسيلة فعالة لاستخدام ثروتنا النفطية كسلاح ضد الامبريالية والصهيونية ، بدلا من الاكتفاء بالاجراءات الجزئية والمؤقتة التي تستهدف الضغط ، فان ذلك يمثل تغيرا جذريا في طبيعة سلاح النفط وطريقة استخدامه والآثار المتوخاة منه . وهو تغير يفرضه علينا التقييم الواقعي لتجاربنا مع الغرب والتحليل العلمي الموضوعي لسياسة الغرب نحو اسرائيل والاسباب العميقة التي تملي هذه السياسة والاستحالة شبه المطلقة لحمله على تغيير مواقفه الاساسية من اسرائيل تغييرا جذريا لصالحنا .

لقد سبق أن بينا كيف ان الشركات النفطية الاجنبية المنتمية الى البلدان المعادية هي التي ما تزال تسيطر على استغلال النفط العربي (وان الشركات الامريكية والبريطانية لوحدها تسيطر على حوالي ٨٠٪ من احتياطي النفط العربي وانتاجه) ، وهي التي تقوم بعمليات انتاج النفط وتصديره للبلدان المستهلكة واقامة العلاقات مع هذه البلدان ونحن غرباء عن هذه العلاقات . هذه السيطرة الاجنبية منعتنا من أن نستخدم نفطنا في اقامة العلاقات المباشرة مع العالم الخارجي ، مع مختلف البلدان المستهلكة ، وهي العلاقات التي قد تخلق الصداقات والتفاهم والاحترام المتبادل على أساس المصالح المشتركة ، وهي احدى الوسائل التي يمكن فيها استخدام النفط لتحسين مركزنا على المسرح الدولي ودعم وزننا في العلاقات الدولية . ولقد رأينا عند الحديث عن اجراء منع

النفط عن الدول المعادية ان هذا الاجراء عندما طبق عام ١٩٦٧ حصل في تطبيقه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الاجنبية هي التي تتولى عمليات الانتاج والتصدير ولا بد أن تتلاعب لصالح بلدانها . وكل ذلك يؤكد ان سلاح النفط لا يمكن أن يكون سلاحا فعالا في أيدينا طالما اننا لا نملك السيطرة على عمليات الانتاج والتصدير بل تسيطر عليها شركات نفطية معادية ، وان من العبث الكلام عن استخدام سلاح النفط قبل أن نحقق السيطرة على استثمار نفطنا بحيث يمكننا استخدامه بما يحقق مصالح أمتنا .

وهكذا يتضح لنا أن الحاق الضرر الحقيقي بالمصالح النفطية لامريكا والغرب في بلادنا يقتضي حرمانها أساسا من هذه المصالح وتجريدها من امتيازاتها ، كما ان الطريقة الفعالة التي تمكننا من استخدام سلاح النفط ، بمختلف صور وأشكال الاستخدام التي تبدو لنا مناسبة ومجدية، تقتضي نزع سيطرة الشركات النفطية الاجنبية وتأمين السيطرة والرقابة الحقيقية لنا على استثمار نفطنا .

قد يقال في الرد على هذا الراي : ان حرمان الشركات النفطية الامريكية والغربية من امتيازاتها سيحرمنا من وسيلة الضغط المستمدة من النفط طالما ان المصالح النفطية الغربية يكون قد قضي عليها فلا تعود البلدان التي تنتمي اليها تلك الشركات تخشى على هذه المصالح ولا تعود لها أية مصلحة أو مبرر في تخفيف عدائها نحونا وأخذ مصالحنا بعين الاعتبار ولو ضمن أضيق الحدود وتنطلق ضدنا في عداء من غير حدود .

وجوابنا على ذلك انه فيما يتعلق بعداء الغرب لنا ولقضايانا فان هذا العداء قائم ومنصب علينا بشكل متواصل منذ نشوء القضية الفلسطينية، وأية دفعة جديدة من العداء لن تغير من الوضع شيئا . أما القول بأننا ، بتجريد الشركات الغربية النفطية من مصالحها ، نكون قد حرمنا انفسنا من سلاح النفط وما يعنيه من أداة ضغط على الغرب ، فليس ذلك بصحيح . اننا بتحقيق سيطرتنا على نفطنا نكون قد بدأنا السير على الطريق الصحيح لاستخدام سلاح النفط وهيأنا الظروف المواتية لهذا الاستخدام . فعندما تتحقق لنا السيطرة على استثمار نفطنا والتصرف فيه نستطيع ان نمارس الاستخدام الواسع المتعدد الجوانب لسلاح النفط بكل حرية ودون أية قيود . فنستطيع عن طريق صادراته التي لا غنى للعالم عنها ان نقيم العلاقات المباشرة مع مختلف دول العالم المستوردة والمستهلكة لنفطنا على أساس المصالح المشتركة المتبادلة وما يتبع هذه العلاقات من نشوء الصداقة وحسن التفاهم . كما نستطيع اذا أردنا ان نحجب نفطنا عمن نشاء ، اذا قررنا أن ذلك يخدم مصالحنا أو أن نرفع أسعار هذا النفط أو نقلل من انتاجه أو نتخذ ، بكل حرية وطبقا لما تمليه علينا مصالحنا ومقتضيات سيادتنا ، اي اجراء آخر يبدو لنا مناسبا . وبذلك نكون عن طريق تحقيق سيطرتنا على نفطنا قد هيأنا لانفسنا الاداة لممارسة أقصى درجات الضغط الفعال .

ثم ان الغرب في حاجة ماسة لنفطنا من أجل تلبية احتياجات استهلاكه ، كما سبق أن بينا ، ولن يكون له غنى عن هذا النفط . ولذا فان من المؤكد اننا لو جردنا الشركات النفطية من امتيازاتها فان الغرب سيعود الينا ، بعد فترة من رد الفعل الفوري العنيف ، ليقيم علاقات جديدة معنا على أساس المصالح المشتركة لتأمين وصول امدادات النفط التي هو بأمس الحاجة اليها بموجب ترتيبات مقبولة . بل اننا لا نستبعد قيام الغرب ، بعد تجريد شركاته النفطية من امتيازاتها ، بالمراجعة التدريجية لمواقفه من اسرائيل على أساس تناقص أهميتها بانقضاء أحد الادوار الاساسية المرسومة لها وهو دورها في حماية الشركات النفطية الغربية طالما ان هذه المصالح قد انتهت ، وان يكيف مواقفه على ضوء هذا الواقع الجديد فيتجه الى اقامة الترتيبات الجديدة اللازمة مع العالم العربي لتأمين وصول امدادات نفطنا اليه .

الاسلوب الفعال اذن في نظرنا لامكان استخدام سلاح النفط هو توجيه ضربة جذرية للمصالح النفطية الغربية وحرمان الشركات النفطية الامريكية والبريطانية على الخصوص من امتيازاتها النفطية وما تمثله لها من أرباح طائلة وميزات استراتيجية هامة . فكيف يتحقق حرمان هذه الشركات من امتيازاتها وكيف تتحقق لنا السيطرة والرقابة الحقيقية على استثمار نفطنا ؟

ان الطريقة المثلى لتحقيق كل ذلك تتمثل في تأميم النفط العـــربي ، أو تأميم الشركات الاجنبية التي تستغل نفطنا ، تأميما كاملا شاملا بحيث تصبح هذه الثروات كلها تحت أيد عربية وتحت سيطرتها ورقابتها فتوجهها حسب مقتضيات المصلحة العربية . على انه في حالة ما اذا رؤي عدم اللجوء في الوقت الحاضر الى التأميم الكامل فان السيطـــرة والرقابة الحقيقية على ثرواتنا النفطية يمكن أن تتحقق لنا اذا ما فرضنا بقرار تشريعي تأميما جزئيا على الشركات النفطية الاجنبية وذلك بنسبة ٥١ ٪ على الاقل من رأسمال هذه الشركات ، كما فعلت الجزائر منذ القرارات التاريخية التي أصدرتها في ٢٤ فبراير ١٩٧١ . فاذا ما أممنا ٥١ ٪ على الاقل من أسهم الشركات الاجنبية أصبحت لنا أغلبية رأس المال وانعكست هذه الاغلبية على أجهزة ادارة وتسيير الشركـــة المؤممة جزئيـــا بحيث يكون لحكومة البلد المنتج أغلبية الاعضاء في مجلس الادارة مما سيتيـــح لتلك الحكومة اتخاذ كافة القرارات الهامة في حياة الشركة وتوجيه نشاطاتها ، على أن يكمل هذا التأميم الجزئي باشتراط أن يكون دور المنفذ للعمليات في يد الجانب الوطني ، كما فعلت الجزائر ، حتى نضمن أن يكون التنفيذ الفعلي للعمليات النفطية وتحديد برنامج الاستثمار وتوجيه النشاط النفطي تحت اشرافنا الحقيقي .

هذا التأميم اذا تم لن تقتصر آثاره على الحاق ضربـــة جذرية لاسس الاستعمار النفطي الغربي وحرمانه من هذا المصدر الغزير للارباح الطائلة وحرمان بلدان العالم الغربي من الميزة الاستراتيجية التي تمثلها سيطرة شركاتها على نفطنا ، ولكن من آثاره الهامة التي سيحققها لنا أن يكون أداة لا بديل لها لتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة للبلدان المنتجة وللعالم العربي بأسره وضمان النجاح في معركة التنمية الاقتصادية التي نخوضها ضد الفقر والتخلف . فالارباح الضخمة التي كانت تجنيها الشركات الاجنبية ستصبح من حق البلدان العربية المنتجة وهي مبالغ كبيرة يمكن أن ترصد للمعركـــة المصيرية بجوانبهـــا العسكرية والسياسية ولمعركة التنمية الاقتصادية في العالم العـــربي وهما معركتان مترابطتان كما هو واضح . فمعركة التنمية هي التي من شأنها ان تخلق مجتمعا قويا متقدما قادرا على خوض معركة المصير المفروضة على الامة العربية . وبذا يصبح النفط العربي فعلا في خدمة قضايانا المصيرية ومعاركنا الحاسمة .

وهكذا يتضح ان اجراء التأميم ، على عكس الاجراءات الجزئية والمؤقتة التي أشرنا اليها من قبل ، هو الذي يمكن النفط من أن يلعب دورا جذريا متكاملا في خدمة القضايا العربية من جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، على اعتبار ان مختلف هذه الجوانب هي جوانب مترابطة متكاملة وان الدور الذي يلعبه النفط في خدمة أحد هذه الجوانب اذا تم على الوجه السليم فانه لا بد وأن ينعكس على الجوانب الاخرى ويعمل لصالحها . ونحن نعتقد أن النظرة الجزئية التي سادت حتى الان على صعيد العمـــل العربي بالنسبة لبحث استخدام النفط في خدمة القضية الفلسطينية وتمثلت في اجراءات جزئية مؤقتة دون التعمق في دور النفط في الخدمة الشاملة لاغراض هذه الامة وقضاياها القومية ــ هذه النظرة الجزئية أثبتت قصورها وضعف فاعليتها وعدم جدواها . والاتجاه نحو التأميم هو الذي يمثل في نظرنا التفهم السليم لمختلف الجوانب المتعددة المتكاملة لدور النفط العربي ويبرز ضرورة سيطرتنا الحقيقية على نفطنا كنقطة البداية الصحيحة لاي عمل عربي مثمر في هذا المجال .

على ان هنالك تساؤلا قد يثيره البعض هنا حول دور النفط في التنمية الاقتصادية العربية وهو : هل من المحتم اللجوء الى تأميم ثرواتنا النفطية لتحقيق هذه التنمية الاقتصادية أم انه يكفي ، كما يرى بعض المسؤولين في بعض البلدان العربية المنتجة ، ان نسير في طريق الحصول على تحسينات تدريجية متصاعدة في الشروط المالية للامتيازات بما يضمن لنا زيادة تصاعدية في الدخل وفي طريق المشاركة التدريجية (في رأسمال الشركات) التي تسعى لتحقيقها بعض البلدان العربية المنتجة في الخليج والتي تم بالفعل اتفاق عام بشأنها في شهر اكتوبر ١٩٧٢ ؟

لقد ثبت بالدليل القاطع من استقراء التجارب الطويلة للدول النامية ومحاولاتها للخروج من اطار التخلف والانطلاق نحو آفاق التطور والازدهار ان التنمية الاقتصادية الحقيقية لا يمكن أن تتم دون سيطرة حقيقية على الثروات الطبيعية الوطنية ووسائل الانتاج الرئيسية . ان مثل هذه التنمية لا يمكن أن تتحقق في ظل امتيازات اجنبية لا سيما اذا كانت تنصب على ثروة وطنية رئيسية لانها تكون قيودا شديدة على حرية الحركة الاقتصادية وامكانيات الانطلاق الاقتصادي للبلد الذي تعمل فيه. ذلك ان هذه الامتيازات الاجنبية — وعلى رأسها الامتيازات البترولية الاحتكارية — ليست الا أدوات للاستعمار الجديد . فكيف تساهم في التنمية الاقتصادية للبلاد النامية أو تقبل بتطورها الاقتصادي والصناعي مع ان ذلك يتنافى ويتناقض مع طبيعتها واهدافها المستمدة من طبيعة الاستعمار وأهدافه في المحافظة على التخلف وابقاء الدول المتخلفة والنامية مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة التي تصدرها البلدان الصناعية المتطورة ؟

وفي اعتقادنا ان عملية ترقيع الامتيازات بتعديل هذا البند المالي أو ذاك لن تجدي ولن تكون الحل الصحيح . ذلك ان نقطة البداية في هذه الامتيازات والظروف التي منحت فيها والفكرة الاساسية التي بنيت عليها تجعلها غير صالحة لان تكون نقطة انطلاق حقيقية لسيادة الدول على نفطها وتسخيره في خدمة تنميتها الاقتصادية طالما ان الرقابة الحقيقية والتوجيه في تلك الامتيازات هما في يد المصالح النفطية الاجنبية . ان المنطلق الحقيقي للتنمية لن يتحقق الا بنقل الرقابة الحقيقية والتوجيه الى البلد المنتج ليقوم بتسخير النفط للتنمية والتطور والتصنيع ضمن اطار خطة اقتصادية وطنية شاملة .

ولا شك ان تلك التعديلات او التحسينات على البنود المالية للامتيازات ستؤدي الى زيادة ايرادات الدولة من النفط . ولكن زيادة واردات صناعة النفط اذا بقيت هذه الصناعة تحت سيطرة شركات أجنبية سيكون من شأنها خلق خطر كبير على الدولة المنتجة التي يكون النفط مصدرا رئيسيا للدخل فيها . هذا الخطر هو خطر الاعتماد المخيف على مصدر واحد للدخل — يتمثل في تصدير النفط الخام — يسيطر عليه عنصر أجنبي غريب بحيث يبقى الاقتصاد الوطني ومشاريع التنمية والتطوير الوطنية تحت رحمة الغريب ويكون الاستقلال الاقتصادي وهما ، كما ان اي تطور سليم للاقتصاد لن يتحقق اذ سيبقى هذا الاقتصاد هشا غير قائم على اسس متينة ويتأثر من أية هزة أو ضغوط خارجية .

لقد أثبتت تجارب كثير من البلدان المنتجة للنفط ان زيادة الواردات من الامتيازات النفطية ، حتى لو رافقها قيام الدولة بتطبيق برامج للتنمية تعتمد في تمويلها على ما تقدمه هذه الامتيازات من دخل لم تحقق التنمية الاقتصادية المرجوة لأنه لم يكن ممكنا في ظل الامتيازات الاجنبية دمج صناعة النفط في الاقتصاد الوطني وهو الشرط الذي لا غنى عنه لتحقيق التنمية الاقتصادية الحقيقية انطلاقا من موارد النفط .

ان التنمية الاقتصادية الجذرية لن تتوفر للبلدان النامية المنتجة للنفط الا بسيطرة الدولة حقيقة على ثرواتها النفطية واستثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية وبدمج القطاع

النفطي في اقتصاديات البلد المنتج وازالة الموانع التي تحول بينه وبين التأثير في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية . وبذا يمكن للصناعة النفطية أن تصبح بمثـابة المحرك للاقتصاد الوطني عن طريق خلق الصناعات المتفرعة عن انتاج النفط والغاز وكذلك الصناعات وشركات الخدمات التي تقدم لصناعة النفط ما تحتاج اليه من أدوات ومعدات وخدمات . وبذا تنشأ نهضة صناعية عامة مرتبطة بصناعة النفط تؤدي بدورها وبتفاعلها مع القطاعات الاخرى الى خلق عدد من الصناعات والنشاطات الأخرى وبث الحياة والحركة في جسم الاقتصاد الوطني . وستؤدي مثل هذه النهضة الاقتصادية الشاملة المتوازنة الى زيادة كبيرة في الدخل القومي وتقلل من الاعتماد الخطير على مصدر واحد للدخل هو تصدير النفط الخام .

وان عملية المشاركة التي تسعى اليها في هذه الايام بعض البلدان العربية المنتجة في الخليج والتي أبرم بشأنها اتفاق عام في شهر اكتوبر الماضي تقرر بموجبه ان تحصل هذه البلدان على حصة من رأسمال الشركات النفطية العاملة تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ ثم ترتفع بالتدريج لتصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٢ — هذه المشاركة لم تعد كافية الآن لانه ليس من شأنها أن تحقق لنا في الوقت الحاضر السيادة والسيطرة الحقيقية والرقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وامكانية استخدامها أداة مجدية للتنميةالاقتصادية . ذلك ان هذه المشاركة اذا تحققت الآن بهذه النسبة الضئيلة (٢٥ ٪) فان الشركات الاجنبية ستبقى هي سيدة الموقف وهي المسيطرة الحقيقية على استثمار ثرواتنا واتخاذ القرارات الرئيسية بشأنها ويبقى الشريك العربي ، بحكم ضآلة نسبة مشاركته ، بمثابة الشريك المتفرج وبذا يبقى الوضع السيىء الحالي الذي نشكو منه ونريد تغييره . وحتى عندما ترتفع نسبة المشاركة بعد سنوات طويلة الى ٥١ ٪ فان دور المنفـذ للعمليات البترولية سيبقى ، بموجب الشروط المتفق عليها ، في يد الشركات الاجنبية فتبقى هي المسيطرة الحقيقية على النشاط النفطي . ان فكرة المشاركة هذه ، بنسبها المذكورة ، كان من الممكن اعتبارها مطلبا معقولا في بداية الخمسينات بحيث كان من الممكن لها ان تكون نقطة انطلاق نحو ازدياد نسبة المشاركة بالتدريج فتكون الآن قـد وصلت الى مشاركة في أغلبية رأسمال الشركات بل الى السيطرة الحقيقية عليها . أما السعي وراء ذلك الآن والانتظار حتى عام ١٩٨٢ للحصول على نسبة ٥١ ٪ بشروط لا تؤمن لنـا السيطرة الحقيقية — فقد جاء متأخرا كثيرا عن أوانه. انه يمثل على الاكثر خطوة معقولة على طريق تطوير بطيء للامتيازات النفطية الاجنبية بينما الشيء الذي تحتاج اليه الامة العربية الآن هو التطور الجذري السريع ، هو الثورة على الاوضاع الحالية غير المقبولة. وان أقل نسبة للمشاركة يمكن أن تكون مقبولة كنقطة بداية هي نسبة ٥١ ٪ ، بالشروط التي سبق أن بيناها وأهمها تخصيص دور منفذ العمليات للجانب الوطني ، بحيث يكون للجانب العربي الدور الفعلي في الانتاج والتوجيه الحقيقي للاستثمار الى أن تتحقق لنـا السيطرة الكاملة . اننا في سباق مع الزمن ضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي وثرواتنا النفطية هي ثروات تنفد ولا تعود وكل سنة تمر وثرواتنا تحت السيطرة الاجنبية ولـم تتحقق لنا السيطرة الحقيقية على استثمارها وتكريسها بأقصى درجة من الفعالية لخدمة التنمية الاقتصادية — كل سنة تمر ونحن في هذه الظروف انما هي سنة ضائعة من حياة هذه الامة ومن مسيرتها نحو التنمية والازدهار واللحاق بركب التقدم وهي اهمال جسيم في حق شعوبنا .

وهكذا يتضح ان اعتبارات التنمية الاقتصادية الشاملة والسريعة للعالم العربي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي الحقيقي وضرورات المعركة الاقتصادية التي نخوضها ضد التخلف تحتم علينا اللجوء الى تأميم ثرواتنا النفطية .

الاعتبارات الاساسية المتقدمة تكفي لوحدها الى دفع الامة العربية الى التأميم ، حتى

لو لم نكن أمام معركة مصيرية ، سياسية وعسكرية ، ضد الصهيونية والامبريالية ، لانه يمثل ردنا على تحدي الفقر والتخلف الاقتصادي وانتفاضتنا لازالة الاستغلال الاجنبي البشع وتأمين الاستقلال الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية لشعوبنا والانطلاق على الطريق الصحيح نحو تحقيق الوحدة الاقتصادية والسياسية لامتنا . ولكننا في هذه الايام نواجه معركة مصيرية ضد الامبريالية والصهيونية ولذا فانه بالاضافة الى الاعتبارات المتقدمة ، جدت اعتبارات اخرى ملحة نابعة من قلب المعركة ومقتضياتها ومن ضرورة تسخير كافة الطاقات العربية واستخدام جميع الاسلحة والموارد المتوفرة لدينا لكسب المعركة مهما كان الثمن وتسديد ضربة قوية حاسمة لصالح الاعداء في بلادنا ، وعلى رأسها المصالح النفطية التي تمثل قيمة اقتصادية ومالية واستراتيجية هامة للغرب .

واذا كان تأميمنا لثرواتنا النفطية هو اجراء محتم ، ان آجلا أو عاجلا ، فلماذا لا نقوم به الآن وفي أسرع وقت ممكن ليكون الرد الحاسم السريع على الامبريالية والصهيونية ؟ أليس من العجيب ومن الضعف الشائن الذي ليس له حدود أن نرى الولايات المتحدة تتكالب على عدائنا السافر بقسوة متزايدة وشراسة غريبة ثم نترك مصالحها البترولية ترتع في بلادنا آمنة مطمئنة وتجني الارباح الطائلة وتحقق لبلدانها المزايا الاستراتيجية الهامة التي تمثلها لها سيطرتها على هذه الثروات الضخمة؟ ومما يزيد في مرارة السخرية أن أشد البلدان عداوة لنا هي أكبرها مصالح في نفطنا . ومما لا شك فيه ان أحد الاسباب الرئيسية التي جعلت أمريكا لا تحرص حتى على قدر ضئيل من الاعتدال في سياستها ضدنا انها لم تشعر حتى الآن ان مصالحها الرئيسية في المنطقة مهددة بشكل جدي . ولذا فان أبسط اعتبارات الكرامة تفرض علينا ان ننتقل الان من مجرد التهديد الذي لم يعد يصدقه احد الى تنفيذ هذا التهديد وتجريد الشركات النفطية من امتيازاتها لا سيما وان وجود هذه الشركات في بلادنا لم يعد له مبرر ولم يعد ضروريا لاستثمار ثرواتنا ، كما سنبين فيما بعد .

ثم اننا أمام معركة تفرض الظروف بأن تكون معركة شاملة ضد الصهيونية والامبريالية ولا بد لها بحكم طبيعتها أن تكون طويلة . فكيف نستطيع أن نشن هذه المعركة الشاملة الطويلة وبين ظهرانينا هذه الجيوب المعادية التي تسيطر على اقتصادنا ودخلنا الرئيسي وخططنا الانمائية والتي هي مستعدة لان تطعننا من الخلف عند أول فرصة حفاظا على مصالح بلدانها الاستعمارية وان تشيع الاضطراب في اقتصادنا وخططنا الانمائية. ويكفي أن نورد نموذجا لما يمكن أن تقدم عليه هذه الشركات في هذا الصدد ما قامت به شركة نفط العراق (آي. بي. سي) في مواجهة الحكومة العراقية قبل صدور قرار تأميمها في أول يونيو (حزيران) ١٩٧٢ . أذ من المعروف ان هذه الشركة عمدت فجأة في ربيع عام ١٩٧٢ ، ومن أجل الضغط على الحكومة العراقية — عمدت الى تخفيض انتاجها بنسب كبيرة وصلت الى حوالي نصف انتاجها السابق مما ترتب عليه نقص دخل الحكومة العراقية بهذه النسبة ومما كان سيؤدي الى بث الاضطراب في جسم الاقتصاد الوطني العراقي وفي تنفيذ المشاريع الانمائية العراقية . ان من الواضح اذن اننا لا يمكن ان نخوض معركة شاملة طويلة الا بعد أن نكون قد أمنا السيطرة والرقابة الحقيقية على هذه الثروة الوطنية الرئيسية ووضعناها تحت أيد وطنية تعمل للصالح العربي فحسب .

ونود أن نبين هنا بأن من السذاجة القول ، كما يدعي البعض، بأن هذه الشركات النفطية ليست سوى شركات تجارية وانه لا دخل أو ارتباط لها بالسياسة الامريكية الرسمية . فالحقيقة أن هذه الشركات ليست سوى أدوات للاستعمار الجديد وهي تنسق مواقفها مع السياسة الامريكية المستوحاة من المصالح العليا للولايات المتحدة وتخدم اغراض هذه السياسة . ولقد سبق أن أشرنا الى تصريحات بعض المسؤولين الامريكيين التي تكشف صراحة عن ذلك (مثل تصريح Rubottom الذي كان مساعدا لوزير الخارجية الامريكي

لشؤون العلاقات بين الدول الامريكية ، والذي ذكر فيه بأن اية سياسة من طرف بلد منتج مخالفة لمصالح شركة بترولية امريكية هي أوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة أو مخالفة للمصلحة الوطنية) . ولقد كانت هذه الشركات في الماضي تحاول ، ذرا للرماد في العيون، أن تصدر بعض التصريحات التي تنتقد فيها السياسة الامريكية المعادية للعرب وتدعو الى مواقف أكثر اعتدالا من القضايا العربية . ولكنها بعد عدوان ١٩٦٧ لم تعد حتى تتمسك بهذا القناع ولم نسمع عن أية شركة انها اتخذت موقفا واحدا مواليا للعرب ومنتقدا للسياسة الامريكية . وهذا شيء مفهوم ، فبالاضافة الى كون هذه الشركات جزءا لا يتجزأ من النظام الراسمالي الامبريالي فانها شعرت برضى كبير بعد عدوان ١٩٦٧ واحتلال الاراضي العربية من قبل اسرائيل لان معنى ذلك بالنسبة لها ان يركز العالم العربي قواه على دحر العدوان واستعادة اراضيه وبذلك ينصرف عن كفاحه لاسترجاع ثرواته النفطية وتأمين حقوقه المشروعة عليها وتستمر الشركات في جني أرباحها آمنة مطمئنة . بل ان من الحقائق المعروفة ان الشركات النفطية حققت في الفترة التالية للعدوان معدلات أرباح تزيد عن معدلاتها قبل العدوان نتيجة استغلالها للاضطراب الذي حدث في عمليات نقل النفط والارتفاع الكبير في اجور الشحن بالناقلات التي تسيطر شركات النفط نفسها على الجزء الاكبر منها سواء عن طريق ملكيتها الخالصة لها أو عن طريق استئجارها لآجال طويلة (عشر سنين ، عشرين سنة . . الخ) . وقد ذكرت مجلة بتروليوم انتليجنس ويكلي الناطقة بلسان شركات النفط أن ارباح هذه الشركات قد ازدادت ١٠ ٪ في عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٧ . وخلال الشهور الستة الاولى من عام ١٩٦٩ كانت ارباح الشركات النفطية تزيد ١٥ ٪ عما حققته خلال الفترة نفسها من عام ١٩٦٨ . وينسب المراقبون ذلك الى آثار العدوان الاسرائيلي ضد البلاد العربية لا سيما اقفال قناة السويس وارتفاع أجور الشحن .

ثم ان من المعروف ان الشركات البترولية مرتبطة بكثير من الروابط المالية مع الراسمال الصهيوني العالمي . فمن الحقائق المعروفة مثلا ان عائلة روتشيلد الصهيونية تملك جزءا كبيرا من أسهم شركة شل وقد تبرعت هذه العائلة ببضعة ملايين من الدولارات للمجهود الحربي الاسرائيلي . كما تملك هذه العائلة أسهما في شركة البترول الفرنسية وكذلك في شركة جلف (Gulf) اويل(١) . كما ان من المعروف ان عائلة روكفلر هي من أغنى العائلات الامريكية التي تسيطر على شركات نفطية كبرى تعمل في مختلف البلاد العربية، وهي شركة ستاندارد نيوجرسي ، وستاندارد كاليفورنيا ، وموبيل أويل ، ويشغل دافيد روكفلر شخصيا منصب رئيس بنك « تشيز مانهاتن » التابع لآل روكفلر والذي له مصالح كبرى في البلدان العربية . هذا البنك يتولى توزيع سندات القرض الاسرائيلية في الولايات المتحدة وقد اشترت الشركات البترولية التابعة لآل روكفلر وشركات كثيرة غيرها الكثير من هذه السندات . ولذا فان من المؤكد ان جزءا من الارباح المتحققة من استغلال النفط العربي يوجه على هذا النحو الى اسرائيل من أجل دعم سياستها العدوانية .

وبالاضافة الى العوامل والاعتبارات والمبررات المتقدمة التي تحفز على التأميم فان هنالك عوامل واعتبارات يصح أن نطلق عليها اعتبارات نفسية أو بسيكولوجية : ان تأميم النفط العربي لو تحقق فانه لا يمثل مجرد زيادة مئات الملايين من الدولارات سنويا في دخلنا ، مع انها ليست بالشيء القليل ، ولكنه سيمثل نوعا من الثورة على انفسنا ، على أسلوبنا الاتكالي في التفكير والتصرف والاعتماد على الغير في استثمار ثرواتنا وعلى قبولنا لهذا الامر الواقع السيء وهذا الاستعمار الاقتصادي الذي تمثله الامتيازات النفطية . انه سيمثل تغييرا جذريا في العقلية العربية وبداية خوض كفاح ايجابي نشيط لتحقيق مستقبل أفضل . ان العالم العربي يعيش في هذه الايام تحت وقع الهزائم المتواصلة التي ثبطت العزائم وأضعفت المعنويات وهو بحاجة الى شحنة قوية من التفاؤل تأتيه هذه المرة من

انتصار يرفع من معنوياته ويعيد له قدرا كبيرا من الثقة بالنفس ويقضي على مركبات النقص وروح الانهزامية والتشاؤم ويمثل انطلاقته نحو الكفاح والنضال ويدفعه في طريق يؤدي بتدافعاته وحلقاته المتصلة الى النصر الكامل في كافة قضايانا . أوليست استعادة السيطرة العربية على هذه الثروات الوطنية الهامة من أيدي شركات معادية تمثل انتصارا باهرا ونجاحا عظيما ؟ ان استخدام سلاح النفط بهذه الكيفية ، وما لا بد ان يستتبعه التأميم من رد فعل فوري عنيف لدى الشركات المؤممة ودولها ، سيفرض على شعوبنا الكفاح والتضحية والبذل . ان جماهيرنا بحاجة الى أن تتحرك وتتحمل مسؤولياتها وانها بتحملها أعباء التقشف التي قد تفرضها معركة التأميم ستبدأ بالشعور بانها تشارك بشيء من عبء المعركة المصيرية ولا بد ان تستيقظ طاقاتها الكامنة وروح الاقدام والنصر لديها مدفوعة بالشحنة الروحية التي لا بد ان يولدها الانتصار في معركــة التأميم . ان التأميم سيكون بمثابة امتحان لنا ، لدولنا وشعوبنا ، من حيث الحــزم والجدية وروح التضحية الحقيقية والوحدة من وراء هدف واحد ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية ، وسيكون له عندما يتحقق نجاحه تأثير السحر على شعوبنا فتنطلق في معركة شاملة لا بد ان يتحقق لها فيها النصر الكامل . ثم ان الاجراءات الحازمة ، من نوع اجراء التأميم وما يمثله من استردادنا لحقوقنا المشروعة وتوجيه ضربة شديدة لاعدائنا ، لا بد ان تعيد لنا الاحترام في نظر العالم وتفرض عليه ان يتجاوب بالقدر المعقول مع مصالحنا وقضايانا وتزيد من وزننا الدولي ولا بد ان ينعكس كل ذلك على نفسية الفرد العربي فتدفعه الى مزيد من الكفاح الفعال مدفوعا بالحماس الثوري المدعوم بالوعي السليم .

امكانية تحقيق التأميم والنجاح فيه :

يتبين من الصفحات المتقدمة ان هنالــك مبررات قوية واعتبــارات وجيهة تدفع الامة العربية للمبادرة الى تأميم ثروتها النفطية . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : هل التأميم ممكن ؟ هل تستطيع البلاد العربية المنتجة بوضعها الحالي ان تؤمم نفطهــا وتنجح في عملية التأميم ، ام يصبح التأميم سلاحــا ضدنا ، كمــا تدعي بعض المصادر الغربية ، فنخسر دخلنا الحالي من النفط ونضطر الى ان « نشرب نفطنا » ؟!

الدوائر الاستعمارية الغربية ، وعلى رأسها الشركــات النفطية الاحتكارية وعملاؤها ، تردد باستمرار بان البلــدان العربية لا تتوفر لديهــا الطاقــات والامكانيــات الفنية والاقتصادية لاستثمار نفطها بنفسها ولتحقيق عملية التأميم بنجاح ، وبان الشركــات النفطية الاجنبية ، العاملة الان في البلاد العربية المنتجة ، لا غنى عنها لاستمرار استثمار النفط العربي بشكل منتظم ومربح . وهذا الادعاء مفهوم ودوافعه معروفة اذ الغــرض الاساسي منه هو ابقاء سيطرة هذه الاحتكارات على النفط العربي وتشكيكنا في قدرتنا على الفكاك من سيطرتها والتحرر من قبضتها .

ولكن هنالك أصواتا تتشكك ، عن حسن نية وعن جهل بحقائق الامور ، في امكانية قيام الامة العربية بتأميم نفطها في الوقت الحاضر . وهي ترى أن التأميم وان كانت له مبرراته وموجباته ، الا ان الوقت لم يحن له بعد وان الظروف ليست مهيأة للاقدام عليه وباننــا يجب ان نستمر في الوقت الحاضر في الاحتفاظ بالشركات النفطية العاملة لدينا مع محاولة ادخال بعض التحسينات على الاتفاقيات التي تربطنا بهذه الشركات بما اننــا لا نستطيع الاستغناء عن الدور الذي تقوم به .

فهل تأميم النفط العربي ممكن لنا من النواحي الاقتصادية والفنية والسياسية وغيرها ، وهل الظروف مواتية لنا للاقدام على هذه الخطوة ؟

لعل من المناسب كتمهيد للاجابة على هذه التساؤلات ان نحدد العمليات التي تقوم بهــا

الشركات النفطية في بلادنا من ضمن المراحل المتشابكة للصناعة النفطية وان نحلل الدور الذي تمارسه الشركات وهي تقوم بتنفيذ هذه العمليات .

وفيما يتعلق اولا بالعمليات التي تباشرها الشركات النفطية في بلادنا ، فان من المعروف ان صناعة النفط تتكون من عدة مراحل متتالية هي : عملية التنقيب عن النفط ، وتطوير الحقول المكتشفة وانتاج النفط الخام وتصديره ، وتكرير النفط ونقله وتسويقه وتوزيعه في أسواق الاستهلاك . والعمليات التي تتم داخل نطاق الوطن العربي وتمارسها الشركات صاحبة الامتيازات هي عمليات التنقيب عن النفط ثم انتاجه وتصدير الجزء الاكبر منه من موانئنا النفطية على شكل نفط خام . وفي بلادنا عدد محدود من معامل التكرير التي تملكها الشركات والتي تكرر جزءا بسيطا من انتاجنا النفطي ، كما ان هنالك خطين رئيسيين من الانابيب ينقلان النفط من شمال العراق ومن حقول السعودية على شواطىء الخليج العربي الى موانىء شرقي البحر الابيض المتوسط في سوريا ولبنان . ومن المعروف انه تم تأميم خط شركة نفط العراق في اجزائه المارة بالعراق وسوريا من طرف كل من الحكومة العراقية والسورية في أول شهر يونيو ١٩٧٢ . اما العمليات الاخرى وهي عمليات نقل النفط في الناقلات وعمليات تكرير الجزء الاكبر من انتاجنا وعمليات تسويقه وتوزيعه في اسواق الاستهلاك الرئيسية فانها تتم خارج حدود الوطن العربي ولا تباشرها ، بصورة عامة ، نفس الشركات الحاصلة على امتيازات من الدول العربية المنتجة وانما شركات اخرى متميزة عنها من الناحية القانونية (وهي قد تكون الشركات الام للشركات العاملة في بلادنا او شركات منتسبة اليها او متفرعة عنها او شركات مستقلة تماما) ، ولذا فان الدول العربية المنتجة لم تستطع ان تفرض عليها ولايتها القانونية او قوانينها الضرائبية او تشارك في ارباحها . فهي شركات اذن ليس لدولنا اي ارتباط قانوني بها . ومن الواضح تماما أن العمليات والمنشآت التي سنؤممها ونسيطر عليها ونملكها ونديرها هي العمليات التي تتم داخل نطاق حدودنا والمنشآت الموجودة فوق أراضينا لان هذه العمليات والمنشآت هي التي نستطيع بحكم سيادتنا الاقليمية ان نباشر عليها حق التأميم اي نقل ملكيتها والسيطرة عليها الى الدولة . هذه العمليات هي : عمليات انتاج النفط الخام وايصاله الى موانئنا البترولية لتصديره ثم عمليات التكرير في بعض معامل التكرير القليلة الموجودة فوق أراضينا ، وعمليات نقل النفط في خط أنابيب شركة نفط العراق (وقد تم تأميمها كما ذكرنا بالنسبة للجزء الاكبر منه الذي يخترق الاراضي العراقية والسورية) وخط أنابيب التابلاين . ولكن هذا لا يعني بالطبع ان عمليات تسويق نفطنا في الخارج ونقله في الناقلات لايصاله الى اسواقه الرئيسية في الخارج مسألة لا تعنينا بل على العكس من ذلك تماما فانها احدى المسائل الرئيسية التي لا بد ان نواجهها وان نوليها القسط الاكبر من عنايتنا كما سنبين .

ولدى تحليل الدور الذي تقوم به الشركات النفطية وهي تمارس العمليات المذكورة يتبين لنا انه ذو ثلاثة جوانب : **جانب فني** ، يتمثل في كون الشركات النفطية تستخدم خبرتها وتجربتها الفنية وخبرائها واجهزتها ومعداتها الفنية للقيام بعمليات التنقيب والتطوير والانتاج على افضل وجه وطبقا لاحدث الاساليب الفنية ، **وجانب مالي** ، يتمثل في استثمار رؤوس الاموال اللازمة للقيام بالعمليات المذكورة ، **وجانب اقتصادي** ، يتمثل في تأمين تسويق النفط المنتج في اسواق استهلاكه الرئيسية في الخارج والتوازن بين العرض والطلب في الاسواق الدولية .

فهل الشركات النفطية لا غنى عنها حقا للقيام بمختلف هذه الجوانب ؟ وهل تعجز البلدان المنتجة عن القيام بذلك ؟

فمن الناحية الفنية : عمليات انتاج النفط في بلادنا عمليات سهلة نسبيا في الوقت الحاضر بعد ان تم اكتشاف كميات كبيرة من احتياطي النفط في معظم بلداننا المنتجة ،

لا سيما وان النفط في الغالبية الساحقة من حقولنـــا يرتفع ذاتيا من بـــاطن الارض الى السطح وانه تتوفر حاليا كافة مرافق ومنشآت الانتاج الضرورية لتأمين معدل الانتـــاج الحالي بل وزيادته بنسب معقولة . ولذا فانه يمكن للمهندسين والفنيين العرب القيـــام بها بالتعاون مع بعض الفنيين الاجانب الذين يفضلون البقاء معنا او الذين يمكن استئجار خدماتهم . ومن المعروف في ميدان صناعة النفط العالمية ان المعرفة البترولية لم تعـــد مقصورة على الشركات البترولية الكبرى وان هنالك شركـــات من مختلف الجنسيات ، متخصصة في مختلف جوانب العمليات البترولية وتلجـــأ اليها نفس الشركـــات النفطية الكبرى لاستئجار خدماتها فتستأجر الفرق الفنية للمسح الجيوفيزيائي والحفر وعمليات التنقيب وغيرها من العمليات ، ويمكننـــا نحن كذلك استئجار مثل هـــذه الشركـــات المتخصصة بعقود خدمة عادية لا سيما في البداية وفي المرحلة التالية مباشرة للتأميم . على ان من الافضل بعد ذلك ان ننشيء في بلادنا شركات الخدمات النفطية المتخصصة بالتعاون مع بعض الهيئات الفنية الاجنبية ، كلما اقتضى الامر ذلك . كما فعلت الجزائر مثلا التي انشأت أكثر من عشر شركات للخدمات البترولية المتخصصة تشمل كافة جوانب النشاط البترولي وذلك بالمشاركة مع بعض الشركات الاجنبية ولكن على أساس ان يكون للجزائر دائما ٥١٪ من اسهم هذه الشركات . وبعـــض البلدان العربية المنتجة يتوفر لديها اعداد كبيرة من المهندسين والفنيين ذوي الخبرة الكبيرة في كـــافة جوانب النشاط البترولي وهم قادرون على تسيير الصناعة النفطية عنـــد تأميمها ربما بالاستعانة بعدد قليل من الفنيين الاجانب الذين يمكن استئجارهـــم بسهولة والذين ينتمون الى بلـــدان صديقة او محايدة ، كما يمكن بنفس الطريقة تأمين المعدات وقطع الغيار اللازمة اذ لم تعد المعرفة البترولية والتكنولوجيا والاجهزة البترولية مقصورة على امريكا او بعـــض البلدان الغربية المعادية لنا .

ولا شك ان البعض الاخر من البلدان العربية المنتجة لا تستطيع في وضعها الحالي القيام بهذا الدور وحدها وبكفاءاتها الوطنية فقط الا أن تعاون الدول العربية مع بعضها ومـــع اصدقائها في العالم يمكنها بسهولة من تحقيق ذلك . وينبغي من اجل ذلك القيام بعمل جرد الكفاءات البترولية في البلـــدان العربية وتوزيعها بين البلـــدان التي تقوم بالتأميم حسب احتياجاتها وتبادل هذه الكفـــاءات بين مختلف البلدان . ومن الممكن منـــذ الان تخطيط عملية تدريب واعداد الكفاءات البترولية العربية على مستوى البلدان العـــربية كلها وذلك على أساس الاحتياجات ولتأمين الاعداد الناقصة في مختلف مجالات النشاط البترولي من اجل الاستغناء ضمن أقصى الحدود الممكنة عن استئجار الخبرات الاجنبية .

ومثل هذا القول ينطبق على عمليات التكرير والنقل بخطوط الانابيب حيث تتوفر لدينـــا الكفاءات اللازمة من المهندسين والفنيين ومن الممكن اكمالها بعـــدد قليل من الخبرات الاجنبية المتخصصة . وهنالك عدد من معامل التكرير في بعض البلـــدان المنتجة يتولى تسييرها بالفعل في الوقت الحاضر فنيون عرب ، وكذلك بعض خطوط الانابيب كما هي الحال في الجزائر مثلا . وعلى كل حال فان الخبرات الفنية متوفرة للاستئجار في السوق العالمية .

ومن الناحية المالية ، فيما يتعلـــق بالاستثمارات ورؤوس الامـــوال اللازمة للعمليات النفطية : فانه اذا كان صحيحا ان الصناعة النفطية تحتاج الى رؤوس امـــوال كبيرة واستثمارات ضخمة لا سيما في المراحل الاولى وهي عمليات التنقيب عن البترول ، بما تحمله من مخاطر ، وعمليات تطوير الحقول المكتشفة واعدادها للانتاج مع كافة المرافق والمنشآت اللازمة للانتـــاج والتصدير ، فاننا يجب ان لا ننسى بهـــذا الصدد ان نسبة الارباح على الاموال المستثمرة في صناعة النفط العالمية ، ولا سيما في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، حيث غزارة الانتاج وانخفاض التكاليف ، تعد من أعلى نسب الارباح

في اية صناعة اخرى ان لم تكن اعلاها جميعا . ونظرا لذلك فان من المعروف ان شركات النفط العاملة في بلادنا قد غطت بعد سنوات قليلة من بدء انتاجها جميع رؤوس الاموال الموظفة فيها ، ومن المؤكد ان بعض الشركات النفطية الكبرى في بلادنا قد غطت حتى الان رؤوس اموالها المستثمرة عدة مرات . وذلك يعني ان صناعة النفط هي من الصناعات التي تغذي نفسها بنفسها دون حاجة لرؤوس اموال خارجية جديدة . ومعدلات الارباح المرتفعة بشكل خارق للعادة التي حققتها الشركات النفطية العاملة في بلادنا اصبحت امرا معروفا وان كانت الاراء تختلف فقط في مدى هذا الارتفاع غير العادي . وحتى لو اخذنا هنا بالمعدلات التي اوردتها بعض المصادر الامريكية المقربة من الشركات او التي لا يمكن ان تتهم بمحاباة العرب او البلاد المنتجة لتبين لنا انها تفوق بكثير نسب الارباح المعتادة في اية صناعة اخرى . ويكفي كنموذج لذلك ان نذكر بأن احد المكاتب الاستشارية الامريكية (وهي مؤسسة آرثردي ليتل) قد بينت في تقرير لها اصبح مشهورا وكانت قد قدمته الى منظمة البلدان المصدرة للبترول (منظمة اوبيك) بأن معدل النسبة المئوية للارباح التي حققتها الشركات في مرحلة الانتاج على رأس المال الموظف بين عامي ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ كان ٦٢٪ في العراق ، ١١٤٪ في قطر ، ٦١٪ في المملكة العربية السعودية (بينما كانت هذه النسبة في فنزويلا مثلا ٢٠ ٪ وفي صناعة النفط في اوروبا الغربية ٧،٢٪) . كما ان مجلة اويل آند غاز جورنال ، الامريكية المقربة من الشركات البترولية والمدافعة عن مصالحها ، قد اوردت في عددها المؤرخ في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ جدولا يبين الارباح الصافية الناتجة عن الاموال الموظفة في صناعة النفط في البلاد المختلفة عام ١٩٦٨ فذكرت بان معدل الارباح الصافية كان ٦٤،٥٪ في الشرق الاوسط بينما كان هذا المعدل في امريكا اللاتينية ١٥،٢٪ وفي الشرق الاقصى ٦،٥٪ وفي كندا ٣،٩٪ .

ومن ناحية اخرى ، فان من المعروف ان عملية البحث والتنقيب عن البترول هي العملية التي تكتنفها المخاطر وتحتاج الى رؤوس اموال كبيرة ، ولكننا نعرف انه تم في بلادنا اكتشاف كميات ضخمة من الاحتياطي البترولي مما نستطيع معه ان نتوقف بضع سنوات عن القيام بالصرف على عمليات تنقيب جديدة حتى تتوفر لدينا رؤوس اموال فائضة لاجراء عمليات تنقيب جديدة . ولذا فان الاستثمارات ورؤوس الاموال التي ستلزمنا بعد التأميم مباشرة ستكون من اجل تسيير وادارة المرافق والمنشآت البترولية المؤممة ، وهي مرافق الانتاج وشبكات التجميع وخطوط الانابيب بين الحقل وميناء التصدير ومرافق الشحن والتحميل ، وهذه كلها مرافق ومنشآت موجودة اقامتها الشركات ونفقات تشغيلها محدودة ولن يلزمنا في الفترة التالية للتأميم انشاء اي من مثل هذه المرافق اذ هي تكفي لزيادة الانتاج زيادة معقولة لعدة سنوات بدون الحاجة الى توظيف اموال جديدة . ومما لا شك فيه أنه سيلزمنا فيما بعد القيام بعمليات استكشاف جديدة لتعويض الاحتياطي المستنفد واقامة مرافق انتاج جديدة لتلبية التوسع في الانتاج ولكن ذلك لن يكون محتما في الحال او في المدى القصير وانما سيكون في المدى الطويل وبعد اجتياز المرحلة الحرجة على الاقل ، ويمكن تأمين الاموال اللازمة لذلك حينذاك من الارباح المتأتية من بيع النفط .

ويجب ان لا ننسى بالاضافة الى ما تقدم ، ان لدى معظم البلدان العربية المنتجة ارصدة مالية كبيرة مودعة في مصارف اجنبية ، ولذا فان من الممكن والواجب كذلك ان نوجه هذه الارصدة لتلبية حاجات الاستثمار في الصناعة النفطية المؤممة فنحقق ، بالاضافة الى تلبية اعتبارات الواجب الوطني ، معدلات من الارباح تتمشى مع المعدلات التي تحققها الشركات الاجنبية والتي اوردنا فيما سبق نماذج منها ، تفوق بكثير نسبة الفوائد المتواضعة التي نحصل عليها في الوقت الحاضر .

لكل ذلك فان تأمين رؤوس الاموال والاستثمارات اللازمة لصناعة النفط العربية لـو أممناها وتخلصنا من شركات النفط الاجنبية ليست مشكلة او عائقا على الاطلاق ويمكن بكل سهولة الاستمرار في تأمين هذه الاستثمارات وما تحتاج اليه الصناعة المؤممة من توظيفات جديدة .

اما من الناحية الاقتصادية ، وفيما يتعلق بصورة خـاصة بتسويق نفطنـا في الاسواق الرئيسية الاستهلاكية ، فمما لا شك فيه ان هذه المشكلة تبدو لاول وهلة اكثر تعقيدا من غيرها من المشاكل التي يمكن ان تواجهنا عند تأميم النفط العربي . وذلك بالنظر الى ان شركات الكارتيـل العالمي للبترول تسيطر على اغلـب اسواق النفط في العالم غـير الاشتراكي ولذا فلربما حاولت هذه الشركات عند تأميمها مقاطعة النفط العربي وغلق الاسواق التي تسيطر عليها في وجهنا .

فهل هنالك بالفعل مشكلة حقيقية لا يمكن التغلب عليها ستواجهنا بهذا الصدد في حـالة تأميم نفطنا ؟

لنحاول ان ندرس هذه المشكلة بهدوء وموضوعية ، ولو بايجاز ، في ضوء تحليل رصين لمعطيات السوق العالمية للبترول ومدى اهمية البترول العربي في هذه السوق العالمية . ان صادرات النفط العربي من جميع اقطاره المنتجة قد تجـاوزت ، حسب معدل عـام ١٩٧١ ، (١٥) مليون برميل يوميا وقد وصل معدلها في الاشهر الستة الاولى من عـام ١٩٧٢ : (١٦) مليون برميل يوميا ، وهي تتزايد باستمرار ومن المقدر ان تتضاعف في بداية الثمانينات فتصل الى (٣٠) مليون برميل يوميا . وان من المؤكد ، ومن الحقائق التي لا يمكن ان يتطرق اليها اي شك ان البلدان العربية المنتجة للنفط لو قامت كلهـا بتأميم النفط لاضطرت البلدان المستهلكة الى شراء نفطنا المؤمم ، بعد نفاد كميات المخزون لديها منه والذي لا يزيد عن مقدار احتياجاتها لثلاثة الى ستة اشهر على الاكثر ، نظرا لان اغلب هذه البلدان لا سيما اكبر البلدان المستهلكة لنفطنـا (بلدان اوروبا الغربيـة واليابان) ، لا تملك اي احتياطي من النفط او ان ما تملكـه لا يكفي لسد احتياجاتهـا المحلية ، وليست هنالك أية مصادر اخرى لتصدير النفط في العالم تكفي للحلول محـل صادرات النفط العربي بكمياتها الهائلة التي ذكرناها ، فالولايات المتحدة الامريكية ، اكبر بلد منتج للنفط في العالم قد اصبحت بلدا مستوردا وهي لن تستطيع بكل تأكيـد تزويد البلدان المستهلكة الكبرى لبترولنا ـــ وهي حليفاتهـا الغربية ـــ باحتياجاتها الضخمة والحلول محل صادرات نفطنا . وتصريحات بعض المسؤولين الامريكيين في المدة الاخيرة بينت صراحة بانه لو حدث توقف في تدفق نفط الشرق الاوسط لاوروبا الغربية فـان الولايات المتحدة لن تستطيع ان تمدها بالنفط اللازم (وكنموذج على ذلك تصريحات جون ايروين ، نائب وزير الخارجية الامريكي ، في شهر مايو ١٩٧٢ ، امام المجلس الوزاري السنوي لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD والتي سبق ان اشرنا اليهـا ، حيث كرر الحقيقة المعروفة من ان الولايات المتحدة قـد اصبحت منذ الخمسينات بلدا مستوردا للنفط . واضاف بان وارداتها من النفط ستصل حوالي عام ١٩٨٠ الى حوالي ١٢ مليون برميل يوميا اي ما يعادل نصف احتياجاتها تقريبا ، والقسم الاكبر مـن هذه الواردات كما صرح ايروين لا يمكن ان يأتي الا من الشرق الاوسط ، ولذا فان اقتصادها سيتعرض للخطر لو توقفت هـذه الواردات ، حسب كـلام ايروين . فكيف بها تصدر كميات كبيرة للخارج ؟) . ان اكثر ما يمكن توقعه هو ان تبـادر الولايات المتحدة لنجدة اوروبا الغربية في حالة طوارىء ولفترة محدودة وقصيرة لتلافي آثـار الانقطاع العام والمفاجىء ، ولكن امريكا لا تستطيع ان تصدر كميات كبيرة ولفترة طويلة . وقد رأينا كيف انها هي نفسها قد اصبحت بلدا مستوردا وبكميات كبيرة متزايدة . ويجب ان لا ننسى هنا بان النفط الامريكي مرتفع السعر جدا بالنسبة للنفط العربي ، والبلدان المستهلكة

لن تقبل في المدى المتوسط والطويل الاستمرار في استيراده ، حتى لو كان ذلك ممكنا ، بدل النفط العربي الرخيص نسبيا حتى بعد زيادة اسعاره وستضغط على الشركات للعودة لتزويدها بالنفط العربي او تجري اتصالات مباشرة مع بلداننا المنتجة لتأمين احتياجاتها النفطية .

وفنزويلا اكبر بلد مصدر للنفط خارج الشرق الاوسط (فقد بلغ معدل انتاجها عام ١٩٧١ حوالي ٣،٥ مليون برميل يوميا يذهب معظمه لامريكا الشمالية) لن تستطيع بأي حال ان تزيد من انتاجها ليحل محل صادرات النفط العربي . وقد لوحظ ان فنزويلا أيام عدوان يونيو ١٩٦٧ لم تزد انتاجها باكثر من ١٠٪ عن معدله السابق ومثل هذه الزيادة لا تكفي لتعويض جزء بسيط جداً من النفط العربي لا سيما في المدى الطويل . وفنزويلا حتى لو ارادت زيادة انتاجها فلن تستطيع باكثر من نسبة محدودة حتى لا تضر بحقولها عن طريق ارهاقها وتسبيب الضعف في المكامن مما يحملها خسارة كبيرة في المدى الطويل . وفنزويلا مطلعة على هذه المسائل ولديها من مدة طويلة نظام للمحافظة على الحقول وصيانتها وهي لن تفرط في احتياطيها المحدود من النفط مقابل مكاسب آنية .

وكذلك **ايران** ، أكبر بلد غير عربي مصدر للنفط في الشرق الاوسط (وقد بلغ معدل صادراتها عام ١٩٧١ حوالي ٤،٥ مليون برميل يوميا) لن تستطيع ، حتى لو أرادت ، أن تزيد انتاجها بما يعادل الانتاج العربي أو جزءا كبيرا منه فهذا شيء مستحيل فنيا واقتصاديا ، والنسبة المحدودة التي يمكنها أن تزيد بها انتاجها (والتي لا يمكن مثلا ان تتجاوز عشرين بالمائة على الاكثر سنويا) لن تستطيع ان تغطي الا جزءا بسيطا من احتياجات البلدان المستهلكة التي كانت تستورد النفط العربي .

وينطبق هذا القول بالطبع على البلدان المنتجة الاخرى الاقل أهمية من البلدان المذكورة أعلاه وكذلك بالنسبة للمصادر الجديدة للانتاج مثل بحر الشمال والاسكا التي احيطت بكثير من الدعاية المبالغة للضغط نفسيا على منتجي النفط العربي : فاحتياطي بحر الشمال من النفط مثلا ، حسب ما ذكره السيد دافيد بران ، رئيس شركة شل(٢) لا يزيد عن ٣ بلايين برميل مقابل ٣٤٠ بليون برميل في الشرق الاوسط ، وهذا لن يمكن حقول بحر الشمال من أن تنتج بعد سنوات ، حين يتم تطوير الحقول ، ما يزيد مثلا عن مليوني برميل يوميا اي ما يكفي لان يسد جزءا بسيطا من احتياجات أوروبا في ذلك الوقت مع العلم بأن تكلفة البحث عن النفط في بحر الشمال تزيد بنسبة ٣ الى ٦ مرات عن كلفة التنقيب في منطقة الشرق الاوسط (من تصريح باران ، السابق) . أما حقول الاسكا فليس لديها في الوقت الحاضر انتاج يذكر ولكن هذا الانتاج ، حتى عندما يتم تطوير الحقول لن يزيد في عام ١٩٨٠ عن ٣ ملايين برميل يوميا (من تصريح جون ايروين ، الذي سبقت الاشارة اليه) ، وذلك عندما تكون احتياجات البلدان المستهلكة الكبرى في أوروبا الغربية واليابان قد تضاعفت عن رقمها الحالي وتكون واردات أمريكا قد بلغت حوالي نصف احتياجاتها حينذاك (أي ما لا يقل عن ١٢ مليون برميل يوميا) .

ويتبين من ذلك ان البلدان المنتجة الاخرى (غير العربية) كلها مجتمعة لا تسد عن انتاج النفط العربي الذي بلغ معدله في النصف الاول من عام ١٩٧٢ حوالي ١٦ مليون برميل يوميا ويتزايد كل سنة ومن المقدر ان يبلغ ٣٠ مليون برميل يوميا في الثمانينات .

كل ما تقدم يثبت بكل تأكيد ان البلدان المستهلكة الكبرى لنفطنا لا يمكن ان تستغني عنه في حال تأميمه وهي مضطرة لان تعود لاستيراده لانه ليس لها بديل عن ذلك . بل ان من المؤكد ان الشركات النفطية المؤممة نفسها ستحاول بعد حين أن تعرض خدماتها على حكومات البلدان المنتجة بعد التأميم لانها مضطرة لشراء النفط لعملياتها في البلدان الاخرى وكذلك لتشغيل ناقلاتها ومعامل تكريرها . ومن الملاحظ بهذا الصدد أن احتياجات هذه

الشركات لنفطنا ليست متماثلة بالنسبة لجميع الشركات وذلك تبعا لما تملكه كل منها من مصادر بديلة في مناطق انتاج أخرى . ووضع الشركات بالنسبة للسيطرة على مصادر بديلة ليس متماثلا بل انه متباين بشكل كبير ، ولذا فان من المؤكد ان هذه الشركات لن تستطيع مواصلة اتحادها في مقاطعة النفط العربي مدة طويـــلة . ومن هنا يمكننـــا استغلال الحاجة الماسة لبعض الشركات لنفطنا أكثر من غيرها لتفريق صفوفها والعمل على أن ترضخ لشروطنا وعودة الشركات الاكبر حاجة لنفطنا الى شراء هذا النفط ويكون ذلك بمثابة بداية النهاية لجبهة الشركات ، كما حدث مثلا في المكسيك بعد تأميم نفطها عام ١٩٣٨ اذ استطاعت حكومة المكسيك أن تغري بعض الشركات المؤممة بتعويض مجز فوافقت على ابرام اتفاق منفصل مع المكسيك ، رغم معارضة الشركات الاخرى ، وكانت تلك هي بداية تفكك جبهة الشركات ضد المكسيك فجاءت الواحدة بعد الاخرى الى الحكومة المكسيكية لابرام اتفاق تسوي به خلافها على اثر تأميم مصالحها هناك .

وعلينا أن نستبعد من أذهاننا نهائيا امكانية استغناء الشركات عن النفط العربي المؤمم بشكل نهائي واستبداله بغيره كما فعلت مثلا شركة البترول البريطانية بالنسبة للنفط الايراني عندما تم تأميمه عام ١٩٥١ على يد الدكتور مصدق فتلك كانت حالة خاصة لها ظروفها الخـــاصة : فالبترول الايراني كانت تملكه شركـــة واحدة هي شركـــة البترول البريطانية وهذه الشركة كانت تسيطر على احتياطي ضخم في العراق والكويت ونظرا للكمية المحدودة للانتاج الايراني (الذي كان حينذاك حوالي ٠٫٥ مليون برميل يوميا) ولان الشركة البريطانية كانت لها الحرية التامة في التصرف في امتيازاتها في العـــراق والكويت بزيادة انتاجها كما تشاء وعدم وجود حكومات حرة في البلدين حينذاك تتدخل وتفرض آراءها ـــ استطاعت الشركة البريطانية بعد فترة وجيزة ان تتخلص من المشكلة بأن زادت انتاجها في العراق والكويت بما عوضها عن النفط الايراني المؤمم . الظروف الآن قد تغيرت كلية ، وأهمية النفط العربي لا تجعل من الممكن استبداله بأي مصادر أخرى حتى لو وافقت البلدان المنتجة الاخرى على ذلك ، كما سبق ان بينا .

ان من المعروف ان استهلاك النفط في العالم يتزايد باضطراد وان المشكلة التي ستواجه العالم في مستقبل قريب ليست مشكلة تصريف النفط وانما هي مشكلة العثور على نفط كاف لسد احتياجات الاستهلاك في العالم . وكنموذج لتصريحات الرسميين الغربيين التي تؤكد ذلك نشير الى تصريح جون ايروين ، الذي سبقت الاشارة اليه ، والذي يذكر فيه بأن البلدان الغربية تواجه مخاطر مؤداها ان تجد نفسها ، قبل عام ١٩٨٠ ، أمام عجز كبير في النفط قد يكون له آثار قاسية في المجال الاقتصادي ، وان الولايات المتحدة تدرس هذه المسألة بقلق متزايد نظرا لقوله بأن « استهلاك العالم غير الشيوعي مـــن النفط سيتضاعف خلال السنوات العشر القادمة وان الجزء الاكبر من هذا الاستهلاك لن يأتي الا من مصدر واحد هو: الشرق الاوسط» . ومن ذلك ما ذكرته نشرة الصناعة البترولية Bulletin de Industrie Petrolière ، عدد أول مارس ١٩٧٢ من أن « البلدان المنتجة للنفط أمام طلب قوي على النفط ولو انه يتضاعف الآن كل عشر سنوات بدلا من كـــل ست سنوات ، فهو يمثل كمية ضخمة نحن في أمس الحاجة اليها » . وما ذكره نائب رئيس شركة موبيل ، ج. د. مودي ، من انه لمواجهة الطلب المتزايد فانه ينبغي اضافة ٢٥٠ الى ٤٥٠ مليار برميل الى الاحتياطي الثابت في الوقت الحاضر وذلك ما بين الآن وعام ١٩٩٠(٣). وكذلك الدراسات الكثيرة للخبراء البتروليين الغربيين الذين اكدوا **أن تجارة النفط العالمية قد تحولت من سوق الشاري الى سوق البائع** بمعنى انه نتيجـــة لازدياد الطلب على النفط فان البائع وهو البلدان المنتجة هـــو الذي يتحكم في السوق (أنظر بهذا المعنى مجلة بتروليوم برس سرفيس ، عدد كانون الثاني ١٩٧١ ، وكذلك تحليل لفرانك جاردنر ، محرر الشؤون الدولية في مجلة أويل آند غاز جورنال ، مشار

اليه في « عالم النفط » ، عدد ٢٨ يوليو ١٩٧١) . وكذلك ما ذكره البروفيسور ادلمان ، استاذ الاقتصاد في معهد التكنولوجيا في ماستشوستس ، وهو بصدد عرض آرائه عن وضع النفط في العالم اذ قال : « اذا كان علي ان اذكر اهم تغيير حصل في الستينات اقول انه انتقال السلطة من الشركات الى الحكومات (حكومات البلدان المنتجة) . والسؤال الذي أطرحه والذي ليست لدي الاجابة عنه ، هو فيما اذا كانت الحكومات تــدرك ان السلطة هي في يدهــا فعلا ، وفيما اذا كــانت مهيأة لممارسة هــذه السلطة لمــا فيه مصلحتها »(٤).

ان من المؤكد على ضوء ما تقدم انه في حال تأميم النفط العربي فان البلدان المستهلكة ستأتي الينا للحصول على احتياجاتها من النفط . ان قوة الكارتيل ، كما ذكر أحد المحللين الغربيين ، هي أيضا مصدر ضعفه . فقوته تؤكد عزم الدول المستهلكة (التي لا تنتمي الى منطقة النفوذ الانجلو سكسونية) على التخلص من سيطرة الكارتيل التي تفرض قيودا على استقلالها وتعرضها لالحاق الضرر بمصالحها الاقتصادية والسياسية في العالم العربي . وهذه مثلا هي حالة : فرنسا ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، اليابان ، وكنموذج على التباين في المصالح بين بلدان أوروبا الغربية من ناحية وبين الشركات الامريكية الكبرى وحكومتها من ناحية أخرى نشير الى الافتتاحية التي أوردتهــا النشرة الصادرة عن شركة ايراب الحكومية الفرنسية(٥). تعليقا على ما نشر حول النية في ابرام اتفاق تفضيلي بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بشأن صادرات النفط السعودي الى امريكا . فبعد أن تلفت شركة ايراب النظر الى الخطر الذي يمثله بالنسبة للمستهلك الاوروبي والياباني قدوم منافس خطير على اسواق النفط العربي وهو المستهلك الامريكي تضيف « اذا تم ابرام هذا الاتفاق التفضيلي بين الولايات المتحــدة والسعودية على مستوى الحكومتين فانه يكون حدثا حاسما بالنسبة للتموينات العالمية من الطاقة وهذا الاتفاق يمكن تحليله بأنه يعني استحواذ الولايات المتحدة على اكبر جزء من الاحتياطي النفطي الثابت وجوده في فترة تندر فيها مصادر النفط ذات السعر الرخيص . ومثل هذا الترتيب سيكون حافزا للارتفاع الكبير في أسعار النفط الخام (الوارد للمستهلك الاوروبي) اذا كانت الاموال التي تدفعها القارة الأوروبية واليابان الى الشركات المنتجة ستعود عن طريق الدولة المنتجة للاستثمار في البلد الام لهذه الشركات وتعمل على تقوية قدراتهــا ونفوذها » . وهذه الافتتاحية تمثل دليلا آخر على أن المشكلة التي تقلق بال البلدان المستهلكة للنفط في المستقبل هي مشكلة تأمين واردات النفط اللازمة لها بأسعار مقبولة.

وبالاضافة الى هذا التباين في المصالح بين بلدان أوروبا الغربية واليابان وبين الشركات الانجلو أمريكية وحكوماتها ، فان هنالك مصالح متبادلة بين تلــك البلدان وبين العالم العربي توجب ابرام ترتيبات مباشرة بين الفريقين : فأوروبا الغربية واليابان هي من الموردين الرئيسيين لنا للبضائع والمنتجات المصنعة وهي المستورد الرئيسي لنفطنا كما ان لنا المصلحة في استمرار تصدير نفطنا اليها . ومن المنطقي تماما على ضوء ذلك أن تنشأ علاقات مباشرة ، دون وساطة الشركات ، بين العالم العربي وبلدان أوروبا الغربية واليابان : فهي تستورد نفطنا الذي لا غنى لها عنه وتصدر لنا منتجاتها المصنعة التي لا بد لها أن تصدرها ، ونحن نبيع لها نفطنا بالاسعار والشروط التي تناسبنا كدول ذات سيادة ونشتري منها البضائع المصنعة . هذه المصالح المتبادلة المترابطة تصلح منطقيا كأفضل أساس لقيام علاقات اقتصادية سليمة ، علاقات الند بالند . هذا الوضع غير قائم الآن نظرا لان الشركات الاجنبية (الامريكية والبريطانيــة أساسا) تبيع نفطنا لمستهلكيه ونحن غرباء عن العملية ، لسنا طرفا مباشرا فيها . فاذا كانت هذه البلدان كما بينا في حاجة لنفطنا وليس لها غنى عنه فما الذي يمنعها ، بل ان من المحتم عليها ، ان تقيم معنا اتصالات وعلاقات مباشرة لشراء ما يلزمها من نفطنا . وقيــام مثل هذه

العلاقات يضعف من مقاطعة الشركات لنفطنا بعد التأميم ويعمل على تفكيك جبهتها المعارضة لنا .

يتضح من كل ما تقدم ان اقدام جميع البلدان العربية المنتجة على تأميم نفطها في وقت واحد يجعل من المستحيل مقاطعة النفط العربي أو الاستغناء عنه أو استبداله بمصادر أخرى . وهذا الموقف الموحد هو الوضع المثالي كما هو واضح . على اننا لا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق الاجماع ، فهو انتظار قد يطول . وفي اعتقادنا ان قيام بعض البلدان المنتجة التي لديها الاستعداد لذلك وتتوفر لديها أفضل الشروط للتأميم — بتطبيق خطوة التأميم والنجاح المبدئي فيها سيؤدي الى ضغط شعبي كبير على مستوى الرأي العام العربي كله لاجبار الحكومات المتقاعسة على السير في طريق التأميم .

فاذا افترضنا ان بعض البلدان العربية المنتجة لن يقدم على التأميم في الظروف الحالية نظرا لاوضاعها الخاصة مثل بعض مشيخات الخليج ، فان اقدام البلدان المنتجة الاخرى التي تتوفر لديها الشروط السياسية والفنية اللازمة ، على تنفيذ التأميم يكفي لانجاحه شريطة أن تقوم البلدان التي لم تؤمم بتحديد الانتاج فيها بحيث يكون من المستحيل أقدام الشركات المؤممة والدول التي تنتمي اليها على مقاطعة النفط المؤمم عن طريق تعويض انتاج الشركات المؤممة من البلدان العربية الاخرى التي لم تؤمم . وكلما ازداد عدد البلدان العربية المنتجة التي تقدم على خطوة التأميم معــا كلما أزدادت فرص النجاح وضعفت مقاومة الدول المعادية للاجراء ومحاولة فرض المقاطعة على النفط المؤمم .

ولكن حتى في حالة التأميم من قبل دولة منتجة واحدة أو عدد قليل من الدول المنتجة فان قضية التسويق ليست بتلك الصعوبة التي تدعيها شركــات الامتياز ، لا سيما اذا مــا تضامنت البلدان العربية الاخرى فحددت انتاجها . فبالرغم من سيطرة الكارتيل العالمي للبترول على أغلب أسواق العالم غير الاشتراكي فان هذه السيطرة لا تتعدى في الوقت الحاضر حوالي ٧٠ ٪ من هذه الاسواق وما تبقى (أي حوالي ٣٠ ٪ منها) تتولى تزويده مؤسسات وشركات مستقلة عن الشركات الاحتكارية الكبرى ، بل اننا اذا استثنينا السوق الامريكية فان الكارتيل لا يسيطر في الوقت الحاضر الا على ٥٤ ٪ من أسواق النفط (حسبما ورد في جريدة لوموند ، عدد ١٩٧٢/٧/١٤ ، حيث تذكر بأن الكارتيل رغم انه ضعف فانه ما يزال يسيطر في « العالم الحر » باستثناء امريكا على ٧٦ ٪ مــن الانتاج ، ٥٩ ٪ من التكرير و٥٤ ٪ من أسواق النفط) . ففي حدود هذه النسب غير الخاضعة لسيطرة الكارتيل يمكن تصريف كميات من النفط تفوق كثيرا امكانيات البلد أو البلدان القليلة التي تؤمم . كما ان هنالك أسواق البلدان الاشتراكية التي تزداد حاجاتها للنفط .

وتقدم لنا تجربة الجزائر ، بعد تأميم شركات الانتاج الفرنسية فيها في شهر فبراير ١٩٧١، دليلا قاطعا على صدق ما تقدم : فلقد قامت الشركات الفرنسية بحملة واسعة لمقاطعة النفط الجزائري في الاسواق العالمية وتخويف المشترين المحتملين لهذا النفط على أساس انه نفط « أحمر » وانه ما زال ملكا لتلك الشركات . ورغم ذلك فقد استطاعت شركة النفط الجزائرية الوطنية سوناطراك ، بفضل الاسواق التي كانت قد أمنتها لنفسها وبفضل الخبرة التي كانت قد اكتسبتها في ميدان التسويق الخارجي — استطاعت أن تواصل تصدير النفط الجزائري وبيعه في الأسواق الخارجية . وقد استطاعت سوناطراك، رغم محاولات فرض المقاطعة على النفط الجزائري ، أن تسوق في عام ١٩٧١ حوالي ٢٤ مليون طن ، وهي تمثل مجموع كمية الانتاج العائدة لها على اثر قرارات التأميم ، مع انها لم تكن قد سوقت في عام ١٩٧٠ الا حوالي ١٠ ملايين طــن ، أي ان سوناطراك استطاعت عام ١٩٧١ أن تضاعف مبيعاتها في الاسواق الخــارجية مرتين ونصف المرة بالنسبة للعام السابق رغم كل اجراءات التهديد ، مما يثبت ان مثل هذه الاجراءات لم تعد

فعالة أو مقبولة في المجتمع الدولي . كما يبين بمنتهى الوضوح ان السبعينات ليست مثل الخمسينات وان الدنيا قد تغيرت منذ تأميم مصدق وان معطيات قضية التأميم والافكار المتعلقة بها والرأي العام العالمي والظروف البترولية الدولية قد تغيرت جذريا وأصبحت كلها مؤاتية للتأميم . ويكفي أن نقارن بين فعالية اجراءات مقاطعة النفط الايراني ، عام ١٩٥١ من طرف الشركة البريطانية والشركات المتضامنة معها ، وبين الفشل الذريع الذي منيت به محاولات مقاطعة النفط الجزائري في الاسواق العالمية من طرف الشركة الفرنسية لنتبين مدى الشوط الذي قطعته أفكار التأميم واستعادة السيطرة على الثروات الطبيعية الوطنية في الضمير العالمي بحيث أصبحت حقائق لا يمكن التشكيك أو المنازعة الجدية فيها .

ولا بأس من أن نضيف هنا بأن التأميم الذي يقدم عليه بلد واحد أو عدد قليل من الدول العربية المنتجة لن يؤدي الى كارثة ، كما تدعي بعض المصادر الغربية ، مهما تكن شراسة الاجراءات المضادة التي تقدم عليها الشركات المؤممة والبلدان التي تنتمي اليها اذ لو ان البلدان التي تقوم بالتاميم باعت نصف انتاجها السابق على التأميم فانها تحقق تقريبا نفس دخلها السابق على التاميم لان بيع النفط المؤمم يعني تقريبا مضاعفة الدخل من البرميل المؤمم الذي كانت الشركات تحصل على نصف دخله تقريبا او أقل من ذلك بقليل . بل ان التصدير لو توقف كلية خلال فترة قصيرة تالية للتأميم فيجب ان لا ننسى ان لدى كثير من بلداننا المنتجة أرصدة مالية كبيرة ويكفي ان تقدم هذه الدول للبلدان الاخرى قروضا أو مساعدات لسد احتياجاتها الفوريه (مثلما فعلت بعض البلدان المنتجة مع العراق بعد التأميم ومثل السلفة التي وضعتها ليبيا تحت تصرف الجزائر بعد تأميم الشركات الفرنسية) حتى تخف حدة الازمة الى أن يعود النفط للتصدير .

ومن المؤكد ان اية مقاطعة للنفط المؤمم لا يمكن أن تمتد لاكثر من أشهر قليلة ثم يعود المستهلكون لاستيراده . وفي خلال ذلك لا يكون نفطنا قد ضاع وانما يبقى مؤقتا في مكامنه الى أن يحين وقت استخراجه وتصديره . ولا بأس من أن تتحمل شعوب البلدان التي تقوم بالتأميم بعض التضحيات وتتحمل بعض اجراءات التقشف خلال بعض الفترات القصيرة .

وقد يبدو من المناسب ، لاعتبارات سياسية واضحة ومن أجل حصر ردود الفعل المتوقعة وضمان صادرات النفط المؤمم دون أي توقف ، أن لا يشمل التأميم ، في مرحلة أولى ، جميع المصالح النفطية الاجنبية في البلد أو البلدان العربية المنتجة بل ينصب على مصالح البلدان المعادية وحدها ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا (وهذه المصالح تغطي على كل حال الجزء الاكبر من انتاجنا) ، ولا يشمل التأميم مصالح الدول المحايدة مثل المصالح الفرنسية أو اليابانية وبذلك يضمن البلد المنتج استمرار تصدير نفطه عن طريق هذه المصالح غير المؤممة الى بلدانها وأسواقها . ونحن من رأينا ، لاعتبارات التنمية الاقتصادية العاجلة التي تفرض نفسها على العالم العربي ، أن يكون التأميم شاملا لجميع المصالح الاجنبية ولكن المسؤولين السياسيين قد يرون، من باب المرونة السياسية وكحل مرحلي ، استثناء بعض المصالح الاجنبية المحايدة . كما أن مـن الممكن ، لاعتبارات مماثلة ، أن يقتصر التأميم على ٥١ ٪ من المصالح النفطية الاجنبية ، في مرحلة أولى ، بالشروط التي بيناها سابقا والتي تضمن سيطرتنا الحقيقية وتوجيهنا للنشاط النفطي . أو أن ينصب التأميم على الامتيازات النفطية الكلاسيكية ، بالمعنى الدقيق لهذا التعبير ، ولا يشمل مثلا اتفاقيات المشاركة (التي يكون البلد المنتج فيها ٥٠ ٪ مـن رأسمال المشروع) أو عقود المقاولة لا سيما وان هذه الاتفاقيات والعقود الاخيرة قـد أبرمت الغالبية الكبرى منها مع شركات حكومية (مثل شركة ايني الايطاليـة وشركة ايراب

الفرنسية) او مع بعض الشركات المستقلة اي غير المنتسبة الى الشركات النفطية الكبرى الاعضاء في الكارتيل العالمي للنفط .

ومن المسائل المرتبطة بعملية تسويق النفط المؤمم ، **مسألة تأمين نقله بالناقلات الى الاسواق العالمية** . ذلك ان النفط العربي لا بد أن ينقل بالناقلات لايصاله الى مراكز الاستهلاك وأهمها أوروبا الغربية واليابان . ومن المعروف أن أسطول الناقلات العالمي يخضع في الجزء الاكبر منه لسيطرة الشركات البترولية العالمية اما عن طريق ملكيتها للناقلات أو عن طريق استئجارها لهذه الناقلات بعقود ايجار طويلة المدة (١٥ سنة ، ٢٠ سنة ... الخ) . فماذا يحدث لو أن هذه الناقلات قاطعت نقل نفطنا المؤمم الى أسواق استهلاكه ؟؟

ان البلدان العربية المنتجة ليست لديها للاسف أساطيل ناقلات كافية تستطيع تأمين نقل نفطنا للاسواق العالمية وما تملكه أو تستأجره حاليا لآجال طويلة لا يكفي الا لنقل جزء بسيط جدا من صادراتنا النفطية . ولذا فان احد الحلول المعقولة هو ان يقوم مشتري النفط المؤمم باحضار ناقلاته والقيام بعملية النقل على حسابه . ولكن من المتوقع أن تقوم الشركات النفطية المؤممة وحليفاتها، من أجل عرقلة نجاح عملية التأميم الى منع الناقلات الخاضعة لسيطرتها من أن تنقل النفط المؤمم حتى لحساب المشترين الآخرين . الا أن هذه المشكلة ليست مما يستعصي على الحل : ان من المعروف عن سوق الناقلات الدولية أنه يوجد بها عدد كبير من صغار الملاك المستقلين الذين لا يتبعون للشركات النفطية الكبرى ولا يخضعون لسيطرتها والذين تعتبر ناقلاتهم قابلة للاستئجار الفوري . وتقدر المراجع المختصة بهذا الصدد ان عدد هذه الناقلات المتوفرة دائما للاستئجار الفوري يقدر ما بين ٢٠ ٪ في حالة ركود سوق الناقلات الدولية الى ٨ ٪ في حالة ازدهار هذه السوق أي ما معدله ١٥ ٪ من مجموع أسطول الناقلات الدولي(٦).

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان مجموع حمولة أسطول الناقلات العالمي يبلغ في الوقت الحاضر (تقديرات منتصف عام ١٩٧٢) حوالي ٢٠٠ مليون طن ، فمعنى ذلك ان هنالك ناقلات حمولتها ما بين ٣٠ مليون طن الى ٤٠ مليون طن متوفرة للاستئجار الفوري على الدوام . ومعنى ذلك ان نقل النفط العربي المؤمم لا يمكن ان يتوقف حتى في ذروة مقاطعة الشركات النفطية لنا في الفترة التالية للتأميم لا سيما اذا أضفنا لذلك عدد الناقلات التي تملكها البلدان الاشتراكية والعدد القليل من الناقلات التي تملكها في الوقت الحاضر أو ستملكها في وقت قريب بعض البلدان العربية ، وأن مقاطعة نقل نفطنا لا يمكن أن تكون تامة . وهذا ما اثبتته تجربة كوبا حينما أممت ، في يوليو ١٩٦٠ ، معامل التكرير التي كانت تملكها هناك شركات اسو وشل وتكساكو . فان هذه الشركات المؤممة عمدت الى مقاطعة نقل النفط السوفياتي الى كوبا فلم تكن بالطبع تسمح لناقلاتها بنقل هذا النفط بل انها ضغطت على بعض المالكين المستقلين للناقلات لمنعهم من نقل النفط السوفياتي عن طريق تهديدهم بوضع أسمائهم في القائمة السوداء . ولكن رغم ذلك فان عددا كافيا من هذه الناقلات ، ربما في مقابل أجور تزيد قليلا عن معدل الاجور السارية في السوق ، وافق على نقل النفط السوفياتي لكوبا ولم تحدث المقاطعة المطلوبة . (ومما يذكر بهذا الصدد ان نياركوس ، احد كبار الملاك اليونانيين للناقلات وافق على ابرام عقد لنقل النفط السوفياتي على ناقلاته لكوبا بينما احجم الثري اليوناني الاخر المشهور اوناسيس عن ابرام مثل هذه العقود) . وذلك يبين ان المقاطعة لا يمكن ان تكون حاسمة حتى في الفترة التالية مباشرة للتأميم والتي لا بد ان تقوم فيها الشركات الكبرى برد فعل عنيف احد مظاهره مقاطعة عمليات نقل نفطنا . ومن المؤكد ان هذه الشركات ستعود بعد اشهر قليلة عن قرار مقاطعة النقل لانها لا تستطيع ابقاء ناقلاتها مجمدة مدة طويلة دون

عمل فذلك يسبب لها خسائر فادحة . ولا بد ان تعود بالتدريج للسماح لناقلاتها بنقل بترولنا سواء لحسابها عندما تعود لشرائه أو لحساب المشترين الاخرين .

التاميم ممكن اذن ، من النواحي الفنية والمالية والاقتصادية ، وليست هنالك في هذه المجالات عقبات لا يمكن التغلب عليها . والتاميم ممكن بالطبع من **الناحية القانونية** ، بمعنى ان التأميم قد اصبح دون اي جدال عملاً مشروعا لاي بلد يريد ان يستعيد السيطرة على ثرواته الطبيعية . ونحن اذن لن نتوقف عند مناقشة هذه المسألة التي أصبح مسلما بها في القانون والعرف الدوليين ، لا سيما بعد قرارات الامم المتحدة حول السيادة الدائمة للدول على ثرواتها الطبيعية (واهمها القرار الصادر عن الجمعية العامة في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢ وقرارها الصادر في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٦) . ولكننا سنتوقف قليلا عند مسألة التعويض اذ ما زال دفع تعويض مناسب احد الشروط التي يشترطها غالبية الفقه الدولي لنفاذ اجراءات التأميم في مواجهة الجميع . ولكن مسألة دفع تعويض مناسب يجب ان لا تخيفنا لا سيما وان مقياس تحديد هذا التعويض واسس احتسابه قد دخل عليها تطور كبير لصالح البلدان التي تؤمم ثرواتها الطبيعية ، فلم يعد هذا التعويض كاملا وفوريا او سريعا ، كما كانت تصر على ذلك البلدان الغربية الرأسمالية ، وانما تبلور عرف دولي جديد في اعقاب الحرب العالمية الثانية يجعل هذا التعويض مجرد تعويض جزئي يدفع مقسطا على بضع سنوات وهذا ما استقر عليه العمل عند تسوية المنازعات التي نشأت عن جميع عمليات التأميم ـ سواء منها تأميم الثروات الطبيعية ومن بينها النفط او غيرها من التأميمات ـ التي اقدمت عليها مختلف البلدان بعد الحرب العالمية الثانية(٧). ومن الممكن في حالة تأميم الثروات النفطية ان يتم دفع التعويض على شكل دفعات من النفط للشركات التي تم تأميمها .

ما بعد التأميم

تأميم النفط العربي ليس مجرد ضربة قاسية نلحقها بالمصالح الاستعمارية المسيطرة على نفطنا وليس مجرد عقوبة انتقامية نفرضها على البلدان الغربية المعادية لنا بحرمانها من امتيازات شركاتها مع ما تمثله من أهمية اقتصادية ومالية واستراتيجية . فليس ذلك سوى احد جوانب هذه القضية ، وهو بكل تأكيد ليس أهم هذه الجوانب عندما تؤخذ بعين الاعتبار مصالح العالم العربي ومستقبله . ان التاميم حينما يتم ستكون له آثار ضخمة على المستقبل السياسي والاقتصادي لهذه الامة وعلى مختلف قضايانا المصيرية. فالتأميم ليس هدفا في حد ذاته ، ليس خاتمة المطاف ، انه في الحقيقة ليس سوى البداية، ليس سوى الوسيلة او الاداة لتحقيق مستقبل افضل : انه يضع هذه الثروات النفطية الهامة تحت تصرفنا لنستخدمها بكل حرية ودون اي عائق طبقا لما تفرضه المصالح العليا لهذه الامة ، وتعتمد آثار هذه الخطوة وابعادها ومداها على ما نستطيع انجازه وتحقيقه من استخدام هذه الثروة بعد ان تصبح ملكا خالصا لنا واقعا تحت سيطرتنا التامة واشرافنا الكامل . فكيف نستخدم هذه الثروة ونستفيد منها على افضل وجه من جميع الجوانب وفي كافة المجالات : في التنمية الاقتصادية لكل بلد وللعالم العربي باسره وكعامل نحو الوحدة الاقتصادية ثم السياسية للعالم العربي ، ومن اجل التطوير الاجتماعي لشعوبنا وخلق المجتمع القوي العادل المزدهر ، وفي السياسة الخارجية كعامل فعال منشط لكسب الاصدقاء والضغط على الاعداء ، ثم كسلاح في خدمة قضايانا ومعاركنا الموضوع بجميع جوانبه طويل ومتشعب وليس هنا موضع معالجته .

ولا شك ان من أهم الآثار التي ستترتب على التأميم وابعدها اثرا ما يتعلق باستخدامه اداة للتنمية الاقتصادية الشاملة في البلدان المنتجة وعلى مستوى العالم العربي بأسره وما يعنيه ذلك من خلق المجتمع القوي المتطور القادر على مواجهة تحديات العصر والمعارك المصيرية المفروضة علينا ، واعتباره عاملا فعالا في السير نحو تحقيق الوحدة

الاقتصادية والسياسية في العالم العربي نظرا لان التخلص من الامتيازات النفطية ، التي ليست سوى ادوات للاستعمار الجديد ولفرض التبعية الاقتصادية يعني كسر القيود التي تكون عائقا حقيقيا امام الممارسة الحرة للارادة الوطنية السياسية والاقتصادية(٨) . وهذا موضوع هام يستحق كل دراسة عميقة وتخطيط شامل ويجب ان لا يبخل عليه خبراؤنا بما يستحقه من بحث واع عميق بحيث تكون لدينا ، في انتظار حلول لحظة التأميم ، دراسات كاملة وأفكار متبلورة ومشاريع ومخططات جاهزة ومدروسة لفترة ما بعد التأميم(٩) .

وسنكتفي بان نوجز هنا ما سبق ان اشرنا اليه خلال البحث حول كيفية استخدام النفط في المدى القصير ، بعد ان يتم تأميمه كسلاح في معاركنا المصيرية .

وأول ما يخطر على البال بالبداهة استخدام فائض الدخل الذي كان يذهب للشركات الاجنبية من اجل الصرف على المعركة بتقديم العون الحقيقي الفعال للثورة الفلسطينية والصرف على اكتساب وسائل التسليح الحديث وكافة وسائل كسب المعركة . وزيادة الموارد العربية نتيجة التأميم يمكن البلدان المنتجة بان تسهم بقدر اكبر في متطلبات المعركة دون تعطيل مشاريع التنمية الحيوية او حتى فرض سياسات تقشف صارمة على شعوب هذه البلدان . وينبغي لهذا الغرض انشاء صندوق مشترك للمعركة تساهم فيه البلدان المنتجة بمبالغ كبيرة هامة تفوق كثيرا المساهمات الرمزية التي تقدمها الان بالشكل الذي يتناسب مع اهمية مصادرها النفطية ويعكس مشاركتها الحقيقية في اعباء المعركة. ومن الممكن بالطبع السير مع انصار اجراء حجب النفط عن الدول المعادية والمجندين له الذين يعتبرون ان هذا الاجراء هو اكثر اجراءات الضغط على الاعداء فعالية واكبرها اثرا . فتأميم النفط لا يحول دون الاقدام على حجب النفط بل على العكس من ذلك فان اجراء الحجب يصبح اكثر فعالية لان بامكاننا حينذاك ان نمارس الاشراف الكامل على تنفيذ هذا الاجراء ومنع التلاعب فيه . فمسألة حجب النفط لا تتعارض مع الاقدام على التأميم وهي تبقى مسألة منفصلة بمعنى ان لها مزاياها ومساوئها الخاصة . ولقد سبق ان بينا رأينا الشخصي في هذا الاجراء والشروط التي نعتقد انه لا بد من توافرها ، لو تقرر اتخاذ هذا الاجراء ، من اجل ضمان فعاليته . ولن نعود هنا لمناقشة هذه المسألة.

ومن الممكن كذلك اللجوء الى بعض الاجراءات الجزئية ، التي اشرنا اليها سابقا ، وذلك كوسائل تكميلية للضغط : فمن الممكن مثلا بحث اللجوء الى تخفيض الانتاج العربي لفرض المضايقات على الدول المستهلكة المعادية وفرض المجاعات النفطية الجزئية عليها، كما يمكننا السعي لرفع اسعار نفطنا ، عن طريق جبهة عربية موحدة وبالتنسيق مع بلدان منظمة الاوبيك وباستغلال اهمية نفطنا ، وذلك لالحاق الضرر المادي بالبلدان المعادية المستهلكة له وتحقيق المزيد من الموارد لنا للصرف على معركتنا العسكرية وعلى معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومن الممكن ايضا النظر في اقتراح فرض ضريبة على تصدير نفطنا ، يمكن ان تسمى ضريبة تحرير مثلا ، الى اخر ذلك من الاجراءات التي نرى من المناسب اللجوء اليها والتي تمكننا سيطرتنا على النفط من تنفيذها بحرية وفعالية .

خاتمة

يتبين من خلال هذا البحث ان تأميم النفط العربي هو الطريق الصحيح لاستخدام سلاح النفط استخداما شاملا متكاملا ووضعه في خدمة قضايانا ومعاركنا المترابطة والمتداخلة. وعلى ضوء جميع ما تقدم فان باعتقادنا ان تأميم النفط العربي عملية ممكنة تماما ، سواء من الناحية الفنية او المالية او الاقتصادية او القانونية ، وتتوفر كافة العناصر اللازمة لنجاحها . ولكن ذلك لا يعني ان العملية لا بد ان تتم بسهولة ودون تضحيات او عقبات او دون اعداد وحذر : ان تأميم ثرواتنا النفطية الهامة هو خطوة ضخمة جبارة ستكون

لها آثارها الجذرية الكبيرة ليس فقط بالنسبة للبلــدان العربية المنتجة والعالم العربي باسره ولكن كذلك بالنسبة للشركات العالمية صاحبة النفوذ الضخم التي ستفقد بذلــك كثيرا من نفوذها وسيطرتها مما يستتبع تغيير معطيــات السوق العالمية للنفط وتعديل هيكل صناعة النفط العالمية من أساسه ، كما ستكون لها آثار كبيرة بالنسبة للبلدان التي تنتمي اليها هذه الشركات الكبرى المؤممة والتي هي على رأس العالم الغربي الامبريالي اذ ستفقد المزايا المالية ـــ بالنسبة لميزان مدفوعاتها والمزايا الاستراتيجية الكبيرة التي اشرنا اليها خلال هذا البحث . وعلى ذلك فان عملية بمثــل هذه الضخامة من المتوقع منطقيا ان يقابلها رد فعل عنيف من قبل الشركات النفطية الكبرى المؤممة والشركــات المتضامنة معها والبلدان الرأسمالية الكبيرة التي تنتمي اليها هذه الشركات . وسيكون رد الفعل هذا أعنف ما يكون في الفترة التالية مباشرة للتأميم : اذ من المتوقــع ان تحجم الشركات عن شراء نفطنـــا المؤمم وان تقوم بحملـــة كبيرة لفرض مقاطعة تامة عليه في الاسواق العالمية للاستهلاك . وقد ينتج عن ذلك توقف مؤقت للصادرات بنسبة كبيرة وانخفاض في دخل البلدان التي تقوم بالتأميم . ولذا فان من الضروري ان تتخذ مقدمـــا التدابير والاحتياطات والترتيبات اللازمة لتلافي تأثير هذا الانقطاع والانخفاض في الدخل، وأفضل طريقة لذلك تكون بالقيام ، مقدما ومن الافضل قبل وضع خطوة التأميم موضع التنفيذ ، بانشاء صندوق مشترك من البلاد التي تقدم على التأميم والمتضامنة معها تغذيه البلدان صاحبة الارصدة الكبيرة ويقدم القروض لمختلف البلــدان التي باشرت التأميم حسب احتياجاتها (ولدينـــا سابقتان سارتان ومشجعتان بهــذا الصدد : فقد وضعت الحكومة الليبية سلفة مقدارها مائة مليون دولار تحت تصرف الحكومة الجزائرية عندما قامت هذه الاخيرة بتأميم الشركــات الفرنسية في ربيع عام ١٩٧١ . وعندمـــا اقدمت العراق على تأميم شركة الاي. بي. سي. وأممت سوريا جزء خط انابيب الشركـــة المار في أراضيها ـــ قررت كـــل من الكويت والسعودية وليبيا تقديم قروض عـــاجلة للعراق وسوريا لتعويضهما عن الانخفاض في دخلهما اثر تأميم الشركة المذكورة وخط أنابيبهـــا المار عبر العراق وسوريا ولسد احتياجاتهما الفورية) . كما ينبغي ان تقام اتصالات مسبقة مع البلدان الصديقة في العالم الاشتراكي والعالم الثالث وكذلك البلدان المحايدة غير الخاضعة لسيطرة الشركات لابـــرام ترتيبات لتصدير النفط المؤمم مباشرة اليها ، والعمل على تأمين تضامن بلدان منظمة الاوبيك ضمن الحدود المعقولة . وينبغي كذلك ان تقوم البلدان العربية التي تنفذ التأميم بحملة دبلوماسية كبيرة تبرز فيها حقها المشروع العادل في استعادة سيطرتها على ثرواتها النفطية طبقا لمبادىء القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة حول السيطرة الدائمة للدول على ثرواتها الطبيعية ، كما تعلن استعدادها التام لدفع التعويض المناسب وفقا لتقاليد القانون الدولي وما يجري او جرى عليه العمل مؤخرا في المجتمع الدولي في الحالات المماثلة التي قامت بها بعض البلدان بتأميم ثرواتها الطبيعيـــة واستعادة السيطرة عليهـــا . وينبغي التركيز على ان خطوة التأميم ليست موجهة للبلدان المستهلكة بل اننا على استعداد لمواصلة تزويد هذه البلدان باحتياجاتها من النفط بموجب ترتيبات بيع مباشرة مع التعهد بمواصلة تزويدهـــا بالنفط بالاسعار السارية اذا ما أصرت الشركات المؤممة على عدم شراء النفط وتصديره بمقتضى عقود بيع تبرمها معها البلدان التي قامت بالتأميم . ونحن بكل ذلك نقطع الطريق على الشركات الاحتكارية المؤممة والاوساط الاستعمارية التي تنتمي اليها ونحبط جهودها ومساعيهـــا لتشويــــه خطوة التأميم العربية وفرض مقاطعـــة نفطنا في الاسواق في الفترات التالية مباشرة للتأميم . ويجب ان لا تقتصر اجــراءاتنا في هذا المجال عـــلى الجانب السلبي الدفاعي فقط وانما ينبغي النظر في اتخاذ الاجراءات المضادة ضد البلدان الاجنبية المالكة للشركات او المتضامنة معها لا سيما في مقاطعة نفطنا ، ومن الافضل ان تدرس هـــذه الاجراءات مقدما وبصورة عملية دقيقة لتكون جاهزة للتطبيق في اللحظة المناسبة ، على

ان تشمل هذه الاجراءات مقاطعة بضائع تلك البلدان المعادية وسحب ودائعنا الكبيرة من مصارفها وغير ذلك من الاجراءات المضادة الاقتصادية والسياسية .

ومما لا شك فيه ان مما يسهل تنفيذ خطوة التأميم ويضمن كل اسباب النجاح لها ان يتم اعدادها في كل بلد بتخطيط مسبق ومحكم وان يهيأ الاقتصاد الوطني في كل بلد من البلدان التي ستقدم على التأميم للصدمات وردود الفعل التي ستواجه بها خطوة التأميم . وتقدم لنا الجزائر نموذجا رائعا للاعداد المحكم الذي سبق قيامها ، في فبراير ١٩٧١ ، بتأميم الشركات الفرنسية التي كانت تسيطر على ثلثي الانتاج النفطي في البلاد وضمن خطوة التأميم الناجح التام السريع باقل قدر من التضحيات والصعوبات . فلقد كانت الجزائر قد انشأت بخطوات تدريجية متصاعدة قطاعا نفطيا وطنيا متكاملا وهاما استطاع ان يتحمل الاعباء الاستثنائية التي القيت على عاتقه اثر التأميمات وان ينهض على افضل وجه بالمسئوليات الكبيرة التي عهدت اليها . اذ كانت الجزائر قبل ان تقدم على تلك التأميمات الهامة لشركات الانتاج الفرنسية (التي كانت تسيطر لوحدها على ثلثي انتاج البلاد من النفط) قد اكملت تأميم قطاع التوزيع المحلي للمنتجات النفطية وفرضت سيطرتها على ٨٠٪ من عمليات التكرير كما كانت قد فرضت سيطرتها بتأميمات جزئية متتالية خلال بضع سنوات ، على جميع الشركات الاجنبية غير الفرنسية العاملة في الانتاج . وكانت شركة النفط الوطنية الجزائرية سوناطراك تقوم بنفسها بحوالي ٦٠٪ من عمليات التنقيب وثلث الانتاج النفطي (وكانت قد خصصت استثمارات هامة لاقتناء المعدات الفنية المتنوعة والغالية الثمن التي يحتاجها القيام بهذه العمليات على احسن مستوى) وأكثر من نصف عمليات النقل بخطوط الانابيب وبجميع العمليات البتروكيماوية والمجموع شبه الكلي لعمليات تسويق الغاز الطبيعي في الخارج . كما كانت الجزائر قد تبنت حملة مركزة لاعداد مختلف الاطارات الجزائرية اللازمة لتسيير صناعتها بكل كفاءة وفعالية واعطائهم التكوين الفني اللازم والخبرة العملية والعلمية المطلوبة . وكانت الجزائر كذلك قد انشأت العديد من شركات الخدمات المتخصصة التي شملت مختلف جوانب الصناعة النفطية وبذلك اصبحت كل الخدمات النفطية مؤمنة في الجزائر ولم تعد بحاجة للجوء الى شركات اجنبية ودفع أموال باهظة بالعملات الصعبة لتوفير مثل هذه الاعمال ، بحيث تستطيع الجزائر بذلك ان تؤمن تسيير الصناعة النفطية الوطنية في مختلف مراحلها وجوانبها الفنية فيما لو توقفت الشركات الفرنسية والخبراء الفرنسيون عن ممارسة اعمالهم . كما ان الجزائر كانت قد حققت نجاحا واضحا في ميدان التسويق الخارجي وأمنت لنفسها موطىء قدم في الاسواق الدولية سواء فيما يتعلق بتسويق النفط او الغاز بحيث تستطيع ان تضمن تسويق كميات كبيرة من نفطها فيما لو تعرضت لمقاطعة الجانب الفرنسي وقد عملت كذلك على التقليل من الاعتماد الخطير على مصدر واحد للدخل هو تصدير النفط الخام وذلك بزيادة صادرات الغاز وبانشاء عدد من الصناعات المرتبطة بالنفط التي أدت الى زيادة كبيرة في الدخل القومي وخلق اقتصاد متين متوازن .

وبالاضافة الى الاعداد المحكم والتخطيط على مستوى كل بلد منتج على حدة فان من الواجب ان تقوم البلدان العربية المنتجة التي ستقدم على التأميم بعمل نوع من التخطيط المشترك والتنسيق اللازم لمواقفها وخطواتها : ومن الممكن ان يتم ذلك عن طريق قيام هذه الدول بتشكيل لجنة دائمة على مستوى عال لدراسة التخطيط المتقن للعملية ومراحل تنفيذها وتخيل كافة الصعوبات التي يمكن ان تطرأ واعداد الحلول لها واتخاذ كافة الاحتياطات والاجراءات الكفيلة بتحقيق النجاح في اسرع وقت ممكن وباقل قدر ممكن من التضحيات . ويمكن لمثل هذه اللجنة ان تستعين بالخبراء والمتخصصين من كافة البلدان العربية الاخرى او البلدان الصديقة . وتستطيع هذه اللجنة ان تتبنى نوعا من التخطيط الدبلوماسي ، حسب الخطوط العريضة التي سبق ان اشرنا اليها ، وامكانية ابرام عقود

بيع مع مختلف البلدان ، وشراء ناقلات او استئجارها لآماد طويلة للتغلب جزئيا على المقاطعة الآنية التي لا بد في الغالب ان تلجأ اليها الشركات وانصارها ، دراسة انشاء صندوق مشترك وتزويده بالارصدة اللازمة ليكون عونا للبلدان المؤممة كل حسب احتياجاته ، والنظر في اتخاذ جميع الاجراءات المضادة ضد البلدان التي تنتمي اليها الشركات والبلدان المتضامنة معها ، جرد الكفاءات الفنية العربية في ميدان النفط وتوجيه التدريب نحو الكفاءات الناقصة وتوزيع هذه الكفاءات على مختلف البلدان حسب حاجة كل منها ، دراسة نوع من نظام تقنين الانتاج لمنع عملية اغراق الاسواق واخلال التوازن بين العرض والطلب ، واقامة نوع من التنسيق لعمليات التسويق وعدم المنافسة في الاسواق حسب وضعها الحالي والمحافظة على المستوى اللازم من الاسعار ... الى غير ذلك من الاجراءات والاحتياطات التي تضمن للخطوة كل اسباب النجاح .

على ان الاعداد لخطوة التأميم مهما يكن محكما فان ذلك لا يعني ان البلدان المؤممة لن تكون امامها أية صعوبات أو عقبات أو أنها لن تكون مضطرة لتقديم بعض التضحيات ، ولا سيما في المرحلة التالية مباشرة للتأميم اذ لا بد للبلد المؤمم ان يتبع سياسة تقشف اقتصادي لمواجهة الانخفاض في الدخل الذي لا بد ان يعقب التأميم مباشرة وخلال فترة قد تطول او تقصر حسب الظروف . ولكن أي جهد يقوم به البلد المؤمم والامة العربية بأسرها في سبيل هذه القضية الهامة ، قضية استعادة السيطرة على ثرواتنا النفطية الوطنية ، لن يكون جهدا ضائعا وأية تضحية تبذل في هذا السبيل ستهون في مقابل تحقيق النجاح لهذه الخطوة التي ستكون لها آثار لا حدود لها على نهضة هذه الامة وتحقيق الاستقلال الاقتصادي لها والتحرر من التبعية الاجنبية وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحاق ضربة قاسية بمصالح البلدان المعادية والسير الحثيث على طريق النصر . ونحن متأكدون بانه لن تمر سوى اشهر قليلة حتى تأتي الينا البلدان المستهلكة بل والشركات النفطية لشراء نفطنا الذي لا غنى لها عنه في الحاضر والمستقبل .

وفيما يتعلق **بتوقيت خطوة التأميم** ، فان من رأينا ان الاعتبارات الهامة التي بيناها خلال هذا البحث ، سواء منها اعتبارات المعركة المصيرية التي تواجهنا ضد الصهيونية والامبريالية او المعارك الاقتصادية ضد التخلف ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية — كلها تدعونا الى التأميم في اقرب الآجال .

اننا بالطبع لا ننسى الواقع العربي الحالي وتلكؤ معظم البلدان المنتجة واحجامها امام خطوة التأميم ، ولكننا اذا استطعنا اقناع الرأي العام العربي والجماهير العربية العريضة بضرورة التأميم والحجج والاعتبارات والمبررات الوجيهة التي تمليه ونشأ تيار شعبي قوي ومطلب جماعي يطالب بالتأميم ، فان الحكومات المعنية لا تستطيع ان تقاوم هذه الرغبة الجماعية العارمة ولا بد ان تستجيب لها .

من أجل تهيئة الرأي العام العربي لمثل هذه الخطوة يجب منذ الان ، اعداده ليكون اداة ضغط على حكومات البلدان المعنية المتلكئة ليدفعها نحو التأميم تجاوبا مع الرغبات العميقة للجماهير العربية وتحضيره لما يمكن ان يواجهه من مصاعب ومن كفاح شاق وبعض التضحيات . اننا نقترح ان يعقد مؤتمر عربي عام من كافة المنظمات الشعبية والمهنية والاحزاب التقدمية والخبراء المعنيين بشؤون النفط على مستوى العالم العربي يكون موضوعه الوحيد « تأميم النفط العربي » « ومن الممكن مثلا ان تتولى الدعوة لمثل هذا المؤتمر الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية » . ويقوم عن طريق لجان من المتخصصين في كافة جوانب القضية ، فنية واقتصادية وقانونية وسياسية ، باجراء دراسة شاملة لكافة الجوانب ونشر دراساتها على مستوى واسع . ويمكن ان تنبثق عنه لجنة دائمة تتولى القيام بحملة دعائية واسعة ومستمرة للرأي العام العربي ، بمختلف الوسائل الاعلامية ، لحشده وتوعيته وتعبئته وابقائه مشحوذا

عن استنارة ومعرفة تامــة بالحقائق ، واثارة الحماس الثوري الــذي يشد الجماهير ويحملها على الكفاح والتضحية . ويجب ان تعرض القضية ضمن الاطــار السياسي العام على أساس انها قضية قومية : ان ايراد الحجج الفنية والارقام لا يكفي في هــذا المجال وكأنهــا عملية حسابية او مشروع تجــاري تدرس جدواه ومدى ربحيته . هذه الجوانب الفنية والاحصائية ضرورية لكنها غير كافية .

ان الطريق واضح لاستخدام سلاح النفط الاستخدام الفعال والامكانيات مفتوحة أمــام البلدان المنتجة للسير على هذا الطريق اذا صدق العزم على الكفاح وخلصت النيات . ان على البلدان العربية المنتجة للنفط ان تثبت بانها على مستوى الاحداث الجسيمة التي تواجه الامة العربية وانها لن تتردد في استخدام هذا السلاح ، اسوة بكافة الاسلحــة والطاقات المتوفرة لديها ، مهما تكن جسامة التضحية وضخامة الاعباء . فان لم تفعل وتلكأت او احجمت فعلى الجماهير الشعبية يدفعهــا الحماس الثوري المدعوم بالوعي السليم ان تضغط على الحكومات لحملها على انتهاج الطريق الصحيح ونحن لا نشك في ان شعبنا العربي بأسره سيقف بكل صمود من وراء خطوة التأميم عندما تتحقق لمؤازرتها وتحمل اية تضحيات قد تبدو مطلوبة . وشعوب الامة العربية على كل حال في حــاجة ماسة الى ان تتخلى عن سلبيتها وتتحمل مسؤولياتها ، انها في حاجة الى شحنة قوية من الثقة بالنفس تهزها طاقاتها المبدعة وتجعلها تسير في طريق الكفاح الشاق لتحقيق كافة أهداف هــذه الامة . وستكــون عملية التأميم فرصة نادرة لشعوبنا لمواجهــة القوى الاستعمارية مواجهة مباشرة صريحة ونحن لا نشك في ان الانتصار في هذه المواجهة ، وهو أمر حتمي ، ستكون له آثــار بعيدة المــدى على معنويات هــذا الشعب وتدفعه دفعا ــ عبر جميع السبل ــ نحو النصر في كافة قضايانا المصيرية .

---

١ ــ انظر بهذا الصدد : F. Morton, *The Rothschilds*, p. 227
J. Bouvier, *Les Rotschilds*, Edition Fayard, Paris 1967, p. 324.

٢ *Petroleum Intelligence Weekly*,— 28-2-1972.

٣ ــ مشار اليه في **عالم النفط**، عدد ١٩٧٠/٨/١ .

٤ ــ مشار اليه في **المرجــع السابق** ، عــدد ١٩٧١/١/١٦ .

٥ ــ مشار اليه في جــريدة **لوموند** ، بتاريــخ ٢٠ ــ ١٩٧٢/١٠/٣٠ .

٦ Zenos Zanetos, *The Theory of Oil— Tankship Rates*, 1966, p. 154.

٧ ــ انظر البحث المقدم منا الى مؤتمر البترول العــربي الثامن ، بالجــزائر ١٩٧٢ ، بعنوان **أضواء عــلى بعــض الجــوانب القانــونية والاقتصادية لتاميمات البترول والغاز فيالجزائر،** حيث افردنــا فصلا لمعالجــة مشروعية التاميم وجوانبه القانونية بما فيها مسالة التعويض .

٨ ــ الاستاذ عبــد اللطيــف الشواف في بحثه القيم : « تاميم نفط العراق ــ المعاني والمهام » في مجلة **نفط العرب** ، عدد نوفمبر ١٩٧٢ .

٩ ــ تراجــع بهذا الصدد : المقالات الرائــدة للاستاذ عبد الله الطريقي حــول تاميم النفط العربي ووضعه في خدمة تطوير العالم العربي ، والمنشورة في مختلــف اعــداد مجلتي **البترول والغاز العربي ونفــط العــرب** . وابحــاث الدكتــور نقولا سركيس حــول دمــج النفــط في الاقتصاد الوطني واتخاذ النفط العربي اداة للتعاون الاقتصادي العربي ، في مجلة **البترول والغاز العربي** ومجلته بالفرنسية Le Pétrole et le Gaz Arabes وكذلك بحث الاستاذ عبد اللطيف الشواف الذي سبقت الاشارة اليه اعلاه .

المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون

الدكتور اسعد رزوق

هذا هو الجزء الثاني من البحث الذي نشرته شؤون فلسطينية في العدد رقم ٢٠ (تاريخ نيسان ١٩٧٣) . ويتركز هذا البحث على المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، المؤتمر الصهيوني الاول الذي تم عقده بعد قيام اسرائيل . وننشره بمناسبة مرور ٢٥ سنة على اغتصاب فلسطين .

٥ ــ المؤتمر بين التاجيل والتوقيت :

كان على الحركة الصهيونية ، عملا بنص المادة ١٦ من دستور المنظمة ، ان تبادر الى عقد مؤتمرها الصهيوني العالمي بعد انقضاء عامين على المؤتمر السابق ــ اي ان موعد المؤتمر الثالث والعشرين يحين في اواخــر ١٩٤٨ . وفي الدورة التي عقدهـــا المجلس الصهيوني العام قبيل اعلان الدولة (نيسان ، ١٩٤٨) جرى اتخاذ قرار بتفويض اللجنة التنفيذية مع البرزيديوم صلاحية تحديد المكان والزمان لانعقاد المؤتمر المذكور . لكــن المجلس عاد واستند الى المادة الدستورية اياها في اصدار قراره الثاني (ايلول ١٩٤٨) بتأجيل موعد المؤتمــر الى « صيف ١٩٤٩ في فلسطين » ، ليطلب الى اللجنة التنفيذية تعيين الموعد . وتقول التقارير الرسمية ان الظروف السائدة في البلاد والجهود المطلوبة من الصهيونيين في الخارج حالت دون عقد المؤتمر بعد انتهاء الحرب (١٩٤٨) مباشرة . ثــم يصدر التأجيــل التالي عن محكمة المؤتمر عــلى صورة « قــانون للطوارىء » في ١٠/٤/٤٩ ، فيخول المجلس الصهيوني العام صلاحية تأجيل المؤتمر العتيد سنة اخرى ــ اي الى ١٩٥٠ . ومما جاء عن سبب التأجيل في حيثيات القرار الصادر عن محكمة المؤتمر : « نظرا لتصفية جاليات يهودية بكاملها ومعسكرات للمرحلين اليهود في اوروبا ، ونظرا للهجرة الجماعية الى اسرائيل ، والظروف التي لم يسبق لهــا مثيل في اوروبا الشرقية والشرق الاوسط ... » .

غير ان المؤتمر لم ينعقد في صيف ١٩٥٠ . فالتقرير المرفوع من دائرة التنظيم في الوكالة اليهودية ــ المنظمة الصهيونية يذكر جملة من الاسباب التي دعت في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ الى تأجيل المؤتمر الصهيوني حتى صيف ١٩٥١ . انه يتحدث عن « الظروف غير العادية في هذه البلاد وداخل الحركــة العالمية » ، لكي يكتفي بذكــر اسباب من هذا القبيل : « الحاجة الى القيام بنشاط مضاعف لصالح اسرائيل في كافة انحاء العالم ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، والحاجة الى متابعة النظر في المشاكل الاساسية من داخل الحركة ، والاستعدادات لجدول اعمال المؤتمر وقراراته ، والرغبة في اكمال مبنى المؤتمر في القدس ، الخ ... » .

وفي مكان اخر من التقرير تطالعنا اسباب اخرى وراء التأجيل : « ان الوضع الاقتصادي والمالي لدولة اسرائيل تدهور الى درجـــة في صيف ١٩٥٠ اصبح معهـــا من الضروري البحث عن طرق ووسائل جديدة للتغلب على الصعوبات ، مما استدعى بدوره اتخـــاذ ترتيبات جديدة ... وجرت مشاورات مع ممثلي اليهود من اميركــا وانجلترا وجنوب

افريقيا في القدس عند بداية شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ ، فتقرر تنظيم حملة مالية كبرى لصالح اسرائيل في الشتات ، ولا سيما في الولايات المتحدة بشكل رئيسي » .
ثم يمضي التبرير الى القول : « لقد نشأ الادراك بان نجاح هذه النشاطات يعتمد الى حد كبير على تعبئة جميع قطاعات الحركة الصهيونية في سبيل هذا المشروع الضخم . وبناء عليه ، تقدم الصهيونيون الاميركيون من اللجنة التنفيذية بطلب يدعوها لاتخاذ الخطوات اللازمة لتأجيل المؤتمر مرة اخرى » .

ربما كانت هذه الاسباب مجتمعة هي التي حالت بالفعل دون انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي في موعده المقرر بموجب دستور المنظمة . والنظر اليها من زاوية التقارير الرسمية ، المكتوبة بلغة التعميم والمتسترة وراء كثير من الشكليات ، لا يتيح للمرء تكوين فكرة صحيحة عن الظروف والملابسات الحقيقية التي أحاطت بتأجيل موعد المؤتمر ، كذلك العوامل التي أملت توقيته وتعيين مكان انعقاده وزمانه .

على الصعيد السياسي ، كانت الدولة اليهودية طيلة العام الاول منذ قيامها شديدة الانهماك بحمل الدول الاخرى في العالم على الاعتراف بها ، ولا سيما الدول الغربية (باستثناء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) . ثم كانت اجتماعات رودس للتوقيع على اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية ، وتلتها المحاولات الاسرائيلية الرامية الى الدخول في عضوية الامم المتحدة (١٩٤٩/٥/١١) . وفي الرابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ اعلنت اسرائيل ان برلمانها (الكنيست) سوف يتخذ من القدس مقرا له : « العاصمة الوحيدة للدولة » .

وعلى الصعيد الصهيوني شهدت الحركة خلال السنوات الفاصلة بين اعلان قيام الدولة وعقد المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٤٨ — ١٩٥١) سلسلة من الازمات الداخلية التي فرضت على المسؤولين موقف التريث والارجاء . فالتصريحات التي أدلى بها بن غوريون في صيف ١٩٤٩ أمام أحد الوفود الصهيونية الاميركية اثارت جدلا عنيفا بين الاوساط الصهيونية في الولايات المتحدة وتسببت في احراج الكثيرين وحملهم على ابداء شتى التحفظات والاراء ، واثارة العديد من التساؤلات .

قال بن غوريون (رئيس الحكومة) مخاطبا الوفد الصهيوني الاميركي : « رغم ان حلمنا قد تحقق في انشاء دولة يهودية ، نحن ما زلنا في البداية . فلا يوجد اليوم سوى ٩٠٠ الف يهودي في اسرائيل ، بينما القسم الاعظم من الشعب اليهودي ما زال خارج اسرائيل . ان مهمتنا التالية لن تكون اسهل من خلق الدولة اليهودية . وهي تتألف من استقدام جميع اليهود الى اسرائيل . لقد رأيتم مقدار الصعوبة في جلب ٢٠٠ الف مهاجر واستيعابهم . لكننا مصممون على استقدام ملايين اضافية ، وأنا متأكد من نجاحنا في استقدامهم . نحن نتوجه بالمناشدة الرئيسية الى الشباب في الولايات المتحدة وفي البلدان الاخرى لكي يقوموا بمساعدتنا على تحقيق هذه الرسالة الكبرى . ونناشد الآباء مساعدتنا على استقدام أبنائهم الى هنا . وحتى لو تمنعوا عن تقديم المساعدة ، فاننا سوف نجلب الشباب الى اسرائيل . لكني آمل الا تدعو الضرورة الى مثل هذا الامر » .

ويبدو أن أقوال بن غوريون وتحدياته عززت المخاوف لدى بعض الاوساط النافذة داخل الصهيونية الاميركية التي اعتبرت بان صهيونيتها تتوقف عند تقديم الدعم المادي والمعنوي للدولة اليهودية ، ولم يخطر ببالها ان قادة اسرائيل يريدون قياس الصهيونية بخطوة الهجرة الفعلية الى الدولة اليهودية . فالموقف الذي أعلنه رئيس الحكومة آنذاك ، ولم يترك مناسبة دون اعلانه من جديد ، أثار حفيظة الصهيونيين من دعاة المشاركة بين المنظمة الصهيونية والدولة اليهودية . ومنذ ذلك الحين اقترن اسم بن غوريون داخل الحركة الصهيونية بالدعوة القائلة بان كل فرد صهيوني يحتم عليه الواجب ان يستوطن في اسرائيل .

لكن رئيس الحكومة الاسرائيلية تنبه لمضاعفات موقفه على الصعيد اليهودي الاميركي ، فلجأ الى الاستدراك وتخفيف اللهجة ، وذلك عند زيارة جاكوب بلاوشتاين ، رئيس اللجنة اليهودية الاميركية ، الى اسرائيل ، حتى انه توصل الى اتفاق مع بلاوشتاين في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٥٠ حول العلاقة بين سكان اسرائيل ويهود العالم . هذا الاتفاق المعروف بـ « اتفاق بن غوريون بلاوشتاين » ينطوي على امرين : اولا ، هناك تكرار من جانب بن غوريون على حاجة اسرائيل الى المهاجرين ولا سيما من الولايات المتحدة ، اذ يستطيع هؤلاء الاسهام في بناء الدولة بما يملكونه من روح المبادرة الاقتصادية والمعرفة التقنية . وثانيا ، يستدرك بن غوريون موقفه السابق من خلال اعلانه بان « القرار المتعلق برغبة الاميركيين في المجيء او عدمه — سواء كان مجيئهم بصورة دائمة أم مؤقتة — يعود اتخاذه الى الاستنساب والاختيار الحر من جانب كل يهودي اميركي في ذاته » .

وليست قصة الخلاف الذي انتهى الى اتفاق هي الظاهرة الوحيدة للازمة التي نشبت داخل الحركة الصهيونية وعصفت بالاوساط الصهيونية في اميركا . بل سبقتها ازمة داخلية تعرضت لها الحركة الصهيونية الاميركية في مطلع ١٩٤٩ وأدت الى اقصاء الحاخام ابا هيلل سيلفر عن رئاسة اللجنة التنفيذية (الفرع الاميركي) وعضويتها، والى ابعاد عمانوئيل نويمان (رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية) (١٩٤٧ — ١٩٤٩) عن رئاسة الجباية اليهودية الموحدة في اميركا . وفي ذلك تقول مذكرات غولدمان — الذي احتل منصب سيلفر بعد الاطاحة به — : « كنا نخاف من مجيء سيلفر الى رئاسة « الجباية اليهودية الموحدة » ، لئلا تتأثر حملات جمع الاموال من جراء ذلك ، وبما ان كبار الاداريين في الصناديق الخيرية لم يوافقوا على أساليبه . وفضلا عن ذلك ، لم نكن على استعداد لتسليمه أداة ضغط ممكنة على اللجنة التنفيذية باعطائه السيطرة على صناديق الاموال التي يعتمد عليها وجود اللجنة بالذات . لقد اتخذ النزاع أبعادا دراماتيكية . ورغم الشعبية الكبرى التي تمتع بها سيلفر لدى السكان اليهود في اميركا ، فقد نلت انا تأييد الهداسا (منظمة النساء الصهيونيات) وتأييد زملائي اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ، ومن جملتهم بن غوريون . لذا نجحت ، عن طريق اللجوء الى مناورة تكتيكية معقدة ، في الاطاحة بسيلفر من مركزه القوي في الجباية اليهودية الموحدة، ونتيجة لذلك استقال من رئاسة الفرع الاميركي التابع للجنة التنفيذية الصهيونية » .

ان هذه الامثلة الواردة أعلاه تلقي بعض الضوء على التأجيلات التي خضع لها موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني ، مثلما انها تنطوي على تلميحات الى مختلف التيارات والاتجاهات البارزة داخل الحركة الصهيونية في ذلك الحين . ومما ينبغي تذكره في هذا المجال هو ان « قانون العودة » الاسرائيلي ، مثلا ، كان قد صدر عن الكنيست قبل اتفاق بن غوريون — بلاوشتاين ، أي في السابع من تموز (يوليو) ، ١٩٥٠ . كما ان رئيس الحكومة بالذات أدلى ببيان امام الكنيست في ١٥ أيار (مايو) ١٩٥٠ ، حول انشاء لجنة التنسيق المشتركة بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية — لتوثيق التعاون بين الحركة الصهيونية والدولة اليهودية في مجالات الهجرة والاستيعاب والاستيطان الاستعماري .

ولم تمض بضعة اسابيع على اتفاقه مع الصهيونيين الاميركيين حتى كان بن غوريون قد عاد الى قواعده الثابتة ومواقفه الاصلية . ففي الثامن من شهر تشرين الاول (اكتوبر)، ١٩٥٠ — مثلا — نقلت صحيفة « النيويورك تايمز » تصريحا لرئيس الحكومة الاسرائيلية ناشد فيه الشباب اليهودي الاميركي أن « يكرس عمله الريادي لاستصلاح الاراضي الخراب » في اسرائيل .

٦ — **التحضير للمؤتمر :**

في مطلع العام ١٩٥١ ، وبعد تعيين زمان المؤتمر ومكانه ، قررت اللجنة التنفيذية في القدس انشاء لجنة خاصة لكي تقوم على اعداد مسودة القرارات التي سوف تصدر عن المؤتمر الصهيوني العتيد ، وعلى توضيح المشاكل والمسائل التي سيناقشها المؤتمر الثالث والعشرون . وتقول التقارير الرسمية ان اللجنة المذكورة « استهدفت الوصول الى قرارات بالتعاون مع ممثلي مختلف المؤسسات والتنظيمات الصهيونية ، بحيث تستأثر هذه القرارات بأوسع مقدار من التأييد بين الاتجاهات المختلفة داخل الحركة ، فتخفف بذلك من أعباء العمل على المؤتمر ». بدأت هذه اللجنة اعمالها في دائرة محصورة من الاعضاء الاسرائيليين ، ثم انضم اليها رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية (ناحوم غولدمان) وعضو اللجنة التنفيذية في اميركا (السيدة روز هالبرين) ، وانتهى بها الامر الى تمثيل الاحزاب الصهيونية بثلاثة عشر مندوبا ، كما تمثلت الصناديق القومية وبرزيديوم المجلس الصهيوني العام ، بالاضافة الى ممثلين عن المنظمة العالمية للنساء الصهيونيات (WIZO) .

وجرى تقسيم أعمال اللجنة على النحو الاتي : ١ — البرنامج الصهيوني الجديد ، ٢ — مهمات المنظمة الصهيونية ، ٣ — المنظمة الصهيونية ودولة اسرائيل ، ٤ — تركيب المنظمة الصهيونية ، ٥ — مؤسسات المنظمة الصهيونية ، ٦ — تركيب الوكالة اليهودية، ٧ — الصناديق المالية وحملة الجباية .

لكن التقارير المرفوعة من اللجنة التنفيذية الى المؤتمر الصهيوني لا تسرد التفاصيل عن كيفية تصريف اللجنة الخاصة لاعمالها، بل تكتفي بالقول على سبيل التعميم : « ان اللجنة باشرت اعمالها عند نهاية شباط (فبراير) ١٩٥١ ، وكان هناك اجماع تام تقريبا حول معظم القضايا والمسائل » .

وفي « موسوعة الصهيونية واسرائيل » نقرأ عن المؤتمر الثالث والعشرين ما يلي : « ان هذا المؤتمر ، وهو أول مؤتمر يعقد في دولة اسرائيل ، جرى افتتاحه بمهابة وجلال في « جبل هرتزل » . فقد واجهته تغييرات بالغة الخطورة في المفاهيم الصهيونية والبنيان التنظيمي الصهيوني نتيجة لقيام اسرائيل . وتركزت مداولاته الى حد كبير على مسألة العلاقة بين المنظمة الصهيونية ، من جهة ، والدولة وحكومتها من جهة ثانية » . حتى ان الدكتور ناحوم غولدمان طالب في خطابه (كرئيس للفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية) باعتبار المؤتمر الثالث والعشرين مؤتمرا حقيقيا يؤدي الى اطلاق الحقبة الثانية في تاريخ الصهيونية . وسوف نتناول ذلك في حينه .

أما على صعيد الاستعدادات الجارية لعقد المؤتمر وتحضير مناخه الصهيوني العام ، فلا بأس هناك من الاطلاع على عينات من الاستباق الصهيوني — الاسرائيلي لنتائج المؤتمر وموافاته بقرارات جاهزة الى حد بعيد . ثمة كراس قام باعداده وتوزيعه « الكيرين هايسود » (الصندوق التأسيسي لفلسطين) بمناسبة اقتراب موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ويقول الذين وضعوا هذا الكراس انه يتضمن «ملاحظات ومعلومات تقدم الحقائق الاساسية خالية من الشوائب وبعيدة عن التحيز — وهذه من الامور التي يصعب الحصول عليها ... فنرجو ان تثير هذه الملاحظات تقييما للقضايا المطروحة على النقاش في المؤتمر » .

يتطرق الكراس المذكور الى اربع موضوعات هي كما يلي : دور المؤتمر في الحياة الصهيونية ، انتخابات المؤتمر ، مهمات المؤتمر الصهيوني ، ثم المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون . وهناك اشارات واضحة الى التفاوت القائم ، مثلا ، في القوة الانتخابية بين فلسطين والخارج — اذ يحق لاتحاد الشاقل الاقليمي بفلسطين ايفاد مندوب واحد

عن كل ٧٥٠ شاقل ، بينما يختلف الامر بالنسبة للتنظيمات الاخرى في الخارج . والشاقل ، كما هو معروف ، يقوم مقام رسم العضوية في المنظمة الصهيونية العالمية ، ويخول دافعه ــ بعد اكمال السنة الثامنة عشرة من عمره ــ حق التصويت في انتخابات المؤتمر ، أو حق الترشيح للمندوبية متى أتم الرابعة والعشرين من العمر .

فيما يتعلق بمهمات المؤتمر الصهيوني ، يرى الكراس الحامل عنوان « دور المؤتمر الصهيوني ووظيفته » انها كما يلي : أولا ــ صياغة السياسة للحركة الصهيونية على نطاقها العالمي ، ثانيا ــ تخصيص الاموال لكي تستخدم في تعمير أرض اسرائيل ، ثالثا ــ اتخاذ القرارات التي تلزم الحركة الصهيونية ككل ، رابعا ــ انتخاب الهيئات المسؤولة عن الحركة (المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية الصهيونية) .

والملاحظ من هذا التعيين للمهمات انه يشدد على الدور السياسي والمالي والعقائدي للمؤتمر الصهيوني بطريقة غير مألوفة سابقا . بينما نجد دستور المنظمة يكتفي بتعداد الواجبات التالية : أ ــ استلام التقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية حول نشاطها وأعمال جميع المؤسسات الصهيونية ، والنظر فيه . ب ــ تحديد برنامج العمل والقيام بوضع الميزانية للمرحلة الادارية التالية على اساس الوثائق المصدقة . ج ــ قبول اقتراحات لجنة العمل (اللجنة التنفيذية) والمجلس الصهيوني العام . د ــ تسلم استجوابات المندوبين وتدارسها . هـ ــ اجراء الانتخابات .

بيد ان الناحية التي تسترعي انتباهنا في كراس « الكيرين هايسود » تتعلق بالموجز الذي يقدمه للقضايا التي تجابه المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ومما لا ريب فيه ان واضعي الكراس استندوا الى « مواد جاهزة » في اقتباسهم للقضايا الرئيسية ، حيث اشاروا الى « ان جدول اعمال المؤتمر قامت بوضعه لجنة مكلفة بصياغة وجهات النظر والمقترحات التي جرى الاتفاق حولها بقدر الامكان بين الاحزاب السياسية الصهيونية ». لذا يجدر بنا الاطلاع على خلاصة القضايا التي تواجه المؤتمر ، لكي نعود الى تذكرها لدى تناولنا لقرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين حول موضوعاتها بالذات . وسوف يتضح لنا مغزاها متى عرفنا مضمون القرارات التي توصل المؤتمر الى اتخاذها بشأن القضايا الاساسية للصهيونية .

اما الخلاصة التي يقدمها الكراس فهي للقضايا الخمس التالية :

١ ــ **برنامج القدس** : « هناك شعور يغمر الحركة الصهيونية بان الهدف الرئيسي لبرنامج بازل قد تحقق الان . والصيغة النهائية لبرنامج القدس الذي سيحل محله لم تكتمل بعد ، لكن هناك اتفاقا عاما حول مرتكزاتها الاساسية » . ثم يعلن الكراس بأن البرنامج العتيد سوف يتألف نصه من فقرتين . الفقرة الاولى منه هي بمثابة اعلان لاهداف الصهيونية في نقاط ثلاث : وحدة الشعب اليهودي واستمراريته ، تجميع المنفيين ، وتحصين (Fortification) دولة اسرائيل . والفقرة الثانية سوف تسرد مهمات الحركة الصهيونية في ١٤ نقطة (لم يأت الكراس على ذكرها) .

٢ ــ **وظائف المنظمة الصهيونية** : يتوقع الكراس ان تجري اعادة تعريف للمهمات ودوائر النشاط في المنظمة العالمية ، بحيث يؤدي ذلك الى ضمان فعالية عملها في اسرائيل ولصالحها ، والى تحقيق التعاون والتنسيق التام مع الدولة .

٣ ــ **علاقة الحركة الصهيونية بالدولة** : هنا يستشهد الكراس بالقول التالي لرئيس دائرة التنظيم والاعلام وقسم المبعوثين ، الياهو دوبكين : « ان الحل الطبيعي والبسيط يجب ارتكازه على اساس الافتراض القائل باستطاعة الحركة الصهيونية والدولة ، لا بل واجبهما ، العمل سوية بمثابة الاداتين التابعتين للشعب اليهودي في تحقيق الفكرة الصهيونية » .

٤ ــ **المؤسسات الصهيونية وتركيب الوكالة اليهودية** : ثمة مقترحات ترمي الى زيادة الفعالية لدى مختلف المؤسسات الصهيونية في ضوء الظروف المتغيرة . هذا بالاضافة الى مسألة قيام اسرائيل بمنح الوكالة اليهودية وضعا قانونيا .

٥ ــ **مستقبل الصناديق المالية** : ماذا سيحصل بكل من الكيرين هايسود (الصندوق التأسيسي لفلسطين) والصندوق القومي اليهودي (أو الكيرين كاييمت) ؟ يقول الكراس : يجب على المؤتمر الصهيوني ان يتوصل الى قرار واضح بشأن مستقبل هذه الصناديق . وهناك تغييرات اساسية طرأت على نطاق العمل الصهيوني وطبيعته . كما يوجد الآن موقفان اثنان من حل هذه المشكلة : **الفصل** بين النشاطات ، بحيث يستمر كل صندوق قائما بصورة منفصلة وله دوائر عمل محددة تماما ، او تحقيق **الدمج** بين الصناديق القومية .

ان الخلاصة الواردة اعلاه كانت معدة لاغراض الدعاية الصهيونية بين صفوف المندوبين العاديين الى المؤتمر ــ على ما يبدو . والقصد منها تهيئة المناخ الصهيوني الملائم لتسهيل اعمال المؤتمر الثالث والعشرين ، وتأمين التأييد الكافي لقراراته الجاهزة ، بالاضافة الى تحصيل المزيد من أموال الجباية والتبرعات . وسوف يتضح ذلك كله من خلال معالجتنا لامرين : تركيب المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، والقضايا الاساسية الصهيونية التي ناقشها المؤتمر لكي ينتهي الى اصدار قراراته الايديولوجية ومن جملتها « برنامج القدس » (١٩٥١) . على ان يشمل تناولنا لتركيب المؤتمر عرضا سريعا للمواقف التي تجلت في خطب كل من : بيرل لوكر (رئيس اللجنة التنفيذية ــ فرع القدس) ، ودافيد بن غوريون (رئيس حكومة اسرائيل) ، والدكتور ناحوم غولدمان (رئيس اللجنة التنفيذية ــ فرع نيويورك) . ثم ننتقل الى الناحية الايديولوجية الصهيونية من خلال تقارير وتوصيات اللجنة التي جرى تكليفها بدراسة « القضايا الاساسية » لكي ترفع الى المؤتمر الصهيوني مقرراتها ، وتوصياتها بهذا الشأن .

٧ ــ **توزيع الشاقل وتركيب المؤتمر** :

انعقد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون في القدس من ١٤ الى ٣٠ آب (أغسطس) ، ١٩٥١ . وبلغ مجموع المندوبين الصهيونيين ٤٤٦ مندوبا (مقابل ٣٨٥ مندوبا في المؤتمر السابق عام ١٩٤٦) . أما توزيع المندوبين على الاحزاب والكتل فقد تم على أساس دفع الشواقل او رسوم العضوية عن السنوات الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ . والمعروف ان تسديد الشاقل يخول صاحبه ، على صعيد الفدراليات والجمعيات الصهيونية ، حق التصويت في الانتخابات الجارية للمؤتمر الصهيوني وحق الحصول على بطاقة عضوية في المنظمة العالمية . هذا بالاضافة الى استخدام « محصلة الشواقل » كأساس لتعيين العدد النسبي من المندوبين الى المؤتمرات الصهيونية . فقد درجت الادارة الصهيونية حتى المؤتمر الثاني والعشرين (١٩٤٦) على استيفاء الشاقل فقط عن السنة التي يعقد خلالها المؤتمر الصهيوني . والرجوع الى جداول بيع الشاقل في التقارير الرسمية منذ ١٩٢١ يظهر التفاوت البارز بين مبيعات الشاقل في سنوات انعقاد المؤتمر وبين مبيعاته في السنوات العادية . لكن الامر الذي يجب التنبه له يتعلق بعدم الخلط بين مجموع الشواقل المبيعة وبين ارقام العضوية في الهيئات والاتحادات والجمعيات الصهيونية . ولا بد من توضيح قضية الشاقل وتوزيعه .

خلال الفترة الممتدة من ١٩٢١ الى ١٩٢٥ ــ كما تقول الموسوعة الصهيونية والتقارير الرسمية ــ كانت اللجنة التنفيذية الصهيونية فيلندن هي التي تقوم بطبع بطاقات الشاقل وتوزيعها على المنظمات الصهيونية الاقليمية (الفدراليات والاتحادات) ، لكي تعمد هذه بدورها الى توزيع الشواقل على اعضائها . ثم بوشر العمل بنظام « الشاقل

الموحد » (من ١٩٢٥ الى ١٩٦٤) ، حيث ترسل البطاقات الى البلدان المختلفة لكي تقوم « مجالس الشاقل الوطنية » — وهـذه تضم ممثلين عن جميـع الفئات والاحزاب — بتوزيعها على الاعضاء . وأخذت بعض المنظمات الصهيونية الكبرى تعمل بنظام «التوزيع الآلي » ، اذ صار العضو يتلقى بطاقة الشاقل بحكم عضويته في التنظيم الصهيوني .

وابتداء من سنة ١٩٣٣ لم يعـد بيع الشاقل وقفا على الصهيونيين « المنتظمين » في الفدراليات الاقليمية والاتحادات المستقلة . بل صار يشمل جميـع الافراد المكتتبين في البرنامج الصهيوني المطبوع على بطاقة الشاقل والموقعين على « بند الانضباط » . وعليه فقد نشأ التباين في الارقام ، لجهة العضوية النظامية او مبيعات الشاقل . كما يستفاد من التقارير الرسمية ان نظام الشاقل المعمول به أتاح أمام التنظيمات الصهيونية مجالا واسعا لاساءة استعماله وادعاء عضوية وهمية . بينما ادعت بعض الاوساط ، مثلا ، ان النظام المعروف بنظام « الشاقل الموحد » لم يفسح المجال أمام التعبير الصحيح عن نسبة القوى والاتجاهـات داخـل الحركة الصهيونية . وفي ذلـك تقول « موسوعة الصهيونية واسرائيل » : « مع ذلك ، حدثت بعض الاساءات : فحملة بيع الشاقـل ، التي كانت تنطوي في السابق على استقطاب الافـراد ، تحولت الى عملية من التبادل اللاشخصي . والاحزاب الصهيونية قامت على شراء الشواقل بالجملة لكي ترفع عدد المقاعد المخصصة لها . ثم عمدت الى توزيع هذه الشواقل مجانا ، او الى املاء بطاقات الشاقل بمساعدة دليل للاسماء فلم تقم بتوزيع الشواقل على الاطلاق » .

وتتابع « الموسوعة » سردها لقصة الشاقل الصهيوني وارقامه الخيالية بالنسبة لعضوية المنظمة الفعلية ، فتقول : « وعلاوة على ذلك ، فان « شاقل العضوية » غالبا ما جرى الاستحصال عليه بصورة آلية ومن جانب افراد لم يكن لديهـم اي تصور عن أهـداف الصهيونية » .

أما بالنسبة للمؤتمر الثالث والعشرين فقد جرى بيع الشاقل في كل سنة من السنوات التي انقضت منذ عام ١٩٤٦ . ثم اجتمعت الاجهزة المسؤولة لتقرير «محصلة الشاقل» ، اي العدد المحدد من الشواقل لايفاد مندوب واحد الى المؤتمر . وفي ٣١ اب (اغسطس)، ١٩٥٠ تقرر اعتبار المحصلة للمندوب الواحد من مجموعه ١٠ الاف شاقل ، وللثاني ١٣ ألف شاقل . كما لجأت الهيئات التنظيمية الى انشاء ٣٦ « دائرة انتخابية مستقلـة » : منها ١٣ دائرة في اوروبا ، و ٣ في اسيا و ٦ دوائر في افريقيا ، و ١٢ في اميركا ، ودائرتان في استراليا . والبلدان التي تعذر على احداها الحصول على الحد الادنى من الشواقل اللازمة للتمثيل المستقل ، جرى ادماجها في « وحدات انتخابية » لكي يتسنى لها ايفاد مندوب مشترك .

هذا هو « النظام الانتخابي » الذي جرى اتباعه في تعيين المندوبين للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ومن الصعب هنا الحديث عن « انتخابات » بالمعنى الديمقراطي ، لان نظام الشاقل يتيح الفرصة امام تضخيم القوة العددية للاتجاهات والاحزاب المختلفة، ويسمح لها بادعاء عضوية وهمية على النحو المتقـدم ذكره . اما توزيع المقاعد علـى المندوبين فجاء كما يلي : الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٦١ ، الصهيونيون العموميون ١١٨ ، المزراحي وجناحه العمالي ٦٩ ، المابام ٦٠ ، التحريفيون ٣٣ ، غير حزبيين ٥ ، وبذلك يكون المجموع ٤٤٦ مندوبا .

٨ — المشاركة : صيغتها وشروطها :

ان الخطب الرئيسية التي ألقيت في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يمكنها تزويدنا بفكرة واضحة عن المواقف السائدة من أوضاع الحركـة الصهيونية بالنسبة لدولـة اسرائيل ، والعكس بالعكس . فالسيد بيرل لوكر ، رئيس اللجنة التنفيذية في القدس ،

كان موضوع خطابه « من بازل الى القدس » . ورئيس حكومة اسرائيل — دافيد بن غوريون — ارتأى التحدث عن « رسالة الدولة الى الحركة الصهيونية » . بينما تكلم ناحوم غولدمان — رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية ، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي بالوكالة منذ ١٩٤٩ — عن « الشعب اليهودي ودولة اسرائيل » . وتحدث الياهو دوبكين في الموضوع التالي : « وضع الحركة الصهيونية وتنظيمها ، مشاكل الشباب والريادة » ، تاركا للسيدة روز هالبرين ان تتحدث بدورها من الزاوية الصهيونية الاميركية عن « مشاكل الريادة والشباب » . لكي تأتي الخطبة الاخيرة من حاييم غرينبرغ (عضو اللجنة التنفيذية ورئيس دائرة التربية والثقافة في الشتات) حول موضوع « التربية والثقافة اليهودية في الشتات » .

ثمة قاسم مشترك لجميع هذه الخطب ، فهي تتحدث عن الحركة والعقيدة الصهيونية في ظل الدولة ، وتحاول تصوير العلاقة القائمة أو المرجوة بين المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل . لذا يجدر بنا التوقف قليلا عند الاراء والافكار التي وردت في الخطب الثلاثة الاولى منها — اي ما ورد على لسان كل من بيرل لوكر وبن غوريون وناحوم غولدمان . ومن خلال تلك الاراء والافكار تتجلى أمامنا معظم التيارات السائدة داخل الحركة الصهيونية ، مثلما تطالعنا حقيقة العلاقة العضوية بين المنظمة والدولة ، ونتعرف الى طبيعة المهمات التي « القتها » الدولة اليهودية على عاتق أداتها التنفيذية في المجالين ، الداخلي والخارجي ، تحت ستار «المشاركة» بينها وبين هذه الاداة : المنظمة الصهيونية العالمية — وبحجة قيام المنظمة المذكورة بدور همزة الوصل بين اسرائيل ويهود العالم . ان تنوع الآراء واختلاف المواقف ، وتباين وجهات النظر الصهيونية ، ليس معناه تعريض الجوهر الصهيوني وهدفه النهائي للتجزئة أو التصدع . والتحديات الصادرة عن بن غوريون ، مثلا ، لا ترمي بصورة جدية الى تصفية الحركة الصهيونية ونقل « ممتلكاتها » وأعمالها الى دائرة سيطرة الدولة ، لان التنسيق التام بين الطرفين هو حقيقة قائمة . بل ان رئيس حكومة اسرائيل يريد مطالبة الصهيونية العالمية بالمزيد من الدعم على كافة المستويات : البشرية والمادية والمعنوية والسياسية . وليس اصراره على مساواة الصهيونية بالهجرة الى اسرائيل سوى محاولة للاحراج ، لكي يحصل على الممكن عن طريق المطالبة بالمحال أو ما يبدو محالا حتى الان .

١ — **لوكر : المشاركة التامة** : يؤكد رئيس اللجنة التنفيذية ان المسألة ذات الاهمية القصوى في كل من الدولة والحركة الصهيونية هي « تجميع المنفيين » واستيعابهم ودمجهم الكامل في البلاد . فالدولة اليهودية قامت « لاجل الشعب اليهودي كله » ، ولا تستطيع بمفردها انجاز هذه المهمة الضخمة . وعليه ، يصبح من الضروري قيام شراكة بين عاملين اثنين : « دولة اسرائيل السيدة » و « الحركة الحرة للشعب اليهودي في الشتات » . هذه الشراكة التامة تتطلب الى الحركة الصهيونية ان تتعاون مع الدولة بدون قيد او شرط ، لقاء اعتراف الدولة بها ومنح المنظمة العالمية وضعا قانونيا يؤهلها لتأدية مهماتها الخاصة في حقول الهجرة والاستيعاب والاستيطان . والوضع القانوني الخاص ليس غاية في حد ذاتها ، بل هو مجرد وسيلة لتسهيل مهمة المنظمة الصهيونية في تعبئة يهود العالم وتأمين الفعالية القصوى لنشاطاتها . لقد انتهى عهد الصهيونية « الاعلانية » — يقول بيرل لوكر — وتوجب على الصهيونية اليوم ان تحقق تعاليمها الراهنة عبر كل فرد صهيوني . ومن زاوية تعبئة الموارد المالية ، « يجب علينا تحرير اليهود من الموقف غير المستحب والقائم على التبرع والاحسان وعمل الخير وتقديم العون للمحرومين ، لكي نغرس مكانه الوجدان الاعتزازي بكون (يهود العالم) ، على صعيد الامتياز والواجب ، شريكا كاملا لدولة اسرائيل في تنفيذ العودة الى صهيون واعادة دمج الشعب في أرضه » .

فالمشاركة ، اذن ، تعني دعوة يهود العالم الى تعبئة مواردهم المالية وتسخيرها لخدمة اسرائيل . انها مشاركة لا يحدها قيد ولا تخضع لشروط . والاقتلاع عن الصهيونية « الاعلانية » يحمل النظرة التالية الى يهود العالم : « ان يهود العالم أجمع ، كما لا يقل عنهم مواطنو اسرائيل ، عليهم اعتبار انفسهم مسؤولين عن تحقيق « جمع الشمل » اليهودي في دولة اسرائيل . ولا مجال للتشكيك في ان ولاء كل فرد يهودي يذهب الى البلد الذي يعيش فيه وينتفع من مواطنيته . وفي الوقت ذاته ، من وجهة نظر « تجميع المنفيين » ..... كل يهودي ، حيثما وجد ، يجب ان يعتبر نفسه وكأنه من مواطني اسرائيل » .

فالصهيونية التي ينشدها بيرل لوكر تتوسل المفاهيم الهرتزلية عن « الشعب اليهودي الواحد »، لكي تطالب يهود العالم باعتبار انفسهم مواطنين اسرائيليين دون أن يساورهم ادنى شك بصدق ولائهم المزدوج : لكل من بلدانهم الاصلية والمستوطن الصهيوني ـــ الاسرائيلي بفلسطين . هذا ما يشدد عليه بن غوريون ايضا .

ب ـــ **بن غوريون : رسالة الدولة** : يقول رئيس حكومة اسرائيل ان ما أنجزته الدولة حتى الان ما كانت تستطيع انجازه بمواردها الذاتية ولولا مساعدة « الشعب بكامله » . والحركة الصهيونية هي صاحبة الدور الاول في تعبئة الموارد اليهودية ، ونتيجة لجهودها المنظمة . اما الصعوبات التي واجهت اسرائيل في السنوات الثلاث الماضية (١٩٤٨ ـــ ١٩٥١) فانها مجرد جزء يسير مما ينتظرها في السنوات الاربع القادمة .

ثم يتحدث بن غوريون عن « الشراكة بين دولة اسرائيل والشعب اليهودي » ، فيرى بأن الدولة تضطلع بثلاث مهمات رئيسية وحيوية ، كما يضطلع بها الشعب اليهودي : (١) أمن الدولة ، (٢) تجميع اليهود وادماجهم ، (٣) تطوير البلاد وبناؤها السريع . وهذه المهمات يتعذر تنفيذها دون الشراكة المخلصة ، مثلما ان رسالة الحركة الصهيونية تقوم على تشجيع تلك الشراكة وايجادها . ان اسرائيل بنظر رئيس حكومتها هي دولة تشبه سائر الدول الاخرى ، ومع ذلك تختلف عنها . فالدولة اليهودية ، « اسرائيل ليست دولة لمواطنيها وحدهم ، بل هي مفتوحة امام الشعب اليهودي بأسره ، وأمام كل يهودي حيثما كان موجودا ـــ ومتى اختار هذا اليهودي ان يعيش في وطنه مفضلا الاستقلال الاسرائيلي على الحياة في الشتات . والعلامة الفارقة التي تميز دولة اسرائيل وتحدد رسالتها اليهودية ـــ الصهيونية والمحورية هي « قانون العودة » : حجر الاساس في حق الشعب اليهودي في اسرائيل » .

أما « اليهود في الشتات » ، فانهم ، بخلاف دولة اسرائيل ، لا يؤلفون كيانا دوليا يتمتع بالسلطة والسيادة ، ويمتلك الحقوق التشريعية او التمثيل المعترف به عالميا . هكذا يتابع بن غوريون تعليله لرسالة الدولة ، لكي يصل الى القول ان المنظمة الصهيونية هي التي « أوجدت للشعب اليهودي ذلك التمثيل الرسمي » . لكنه يستدرك فجأة بان المنظمة لم تتمتع باعتراف دولي ولا هي حازت الاساس القانوني (الحقوقي) بل انبثقت قوة الحركة الصهيونية وسلطانها عن الارادة الحرة لاعضاء المنظمة في تحمل عبء المسؤولية والتقيد بأحكام الحركة وتعاليمها . اي ان رئيس حكومة اسرائيل يريد جعل سلطان الحركة الصهيونية وقفا على رغبة اعضائها واستعدادهم لتحمل العبء واتباع التعاليم. والسؤال الذي ينبغي طرحه الان هو : الى ماذا يرمي بن غوريون من وراء هذه المقدمات ؟

يمكن القول انه يسعى للتشديد على ضرورة الفصل بين دولة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . فهو يؤكد ، مثلا ، ان الدولة لا تستطيع القيام بعمل المنظمة الصهيونية ، والعكس بالعكس . والواحدة منهما تختلف عن الاخرى في ناحيتين ، بنظر

رئيس حكومة اسرائيل . الناحية الاولى هي ان المنظمة لا تحدها القيود الاقليمية او الحكومية ، بل تمتد حدودها على امتداد « الشعب اليهودي حيثما يوجد » . والثانية هي ان السلطة التي تمارسها المنظمة على أعضائها تتسم بطابع اختياري طوعي ، وليست سلطة الزامية او اكراهية .

ان بن غوريون يحذر أعضاء المؤتمر الصهيوني من الخلط بين المجالات والدوائر العائدة لنشاط كل من الدولة والمنظمة . ورغم امعانه في التشديد على « هذا الفارق الاساسي والجوهري ، الذي يتعذر الغاؤه او طمسه » ، فهو يعود في النهاية الى الاقرار بوجود « شراكة تاريخية » بين الدولة اليهودية والمنظمة الصهيونية . هذه الشراكة تقوم بفضل وحدة الرؤيا والهدف .

ج ـــ **غولدمان : الصهيونية الناقصة** : يرى ناحوم غولدمان (رئيس اللجنة التنفيذية ـــ فرع نيويورك) بان الصهيونية قد نذرت نفسها لتحقيق اربعة اهداف : اقامة دولة يهودية ، واستخدام هذه الدولة كأداة لتجميع يهود العالم كلهم ـــ وان لم يكن اليهود كلهم ، بضعة ملايين منهم ـــ في دولة اسرائيل ، وجعلها دولة يهودية بالمعنى العميق ، بالاضافة الى « ضمان وحدة الشعب اليهودي بأسره والحفاظ على هذه الوحدة » . ثم يتساءل غولدمان : لو صح قولي بان واحدا من هذه الاهداف الاربعة للصهيونية لم يتم تنفيذه بكليته حتى الان ، لثار السؤال عمن يقوم بتنفيذها . والجواب هو بالطبع ان دولة اسرائيل بمفردها لا تقدر على ذلك . فالمسألة ، كما يريدنا غولدمان ان نعتقد ، لا تتوقف على الموارد المالية ليهود العالم فحسب ـــ على ما لهذه الموارد من أهمية بالغة في الانجاز الاقتصادي للمهمة . بل هناك قضية مبدأ يتعلق بالواجب الاخلاقي والمعنوي ويحتم على « الشعب اليهودي » ان يبقى طرفا وشريكا في بناء اسرائيل ـــ حتى ولو تسنى لدولة اسرائيل ان تستغني عن المساعدات المالية من يهود العالم !

ان غولدمان ، وهو من دعاة عدم الفصل في الصلاحيات بين المنظمة والدولة ، لا يريد للحركة الصهيونية ان تنظر الى شراكتها وتعاونها مع اسرائيل بعين الاحسان والعمل الخيري . بل يأسف لشيوع هذه النظرة في اميركا . والشراكة المعنية بين اسرائيل ويهود العالم هي « مسؤولية مشتركة » ، وتحقيق مصير مشترك . لذا يتوجب على الحركة الصهيونية ان تقوم « بتنسيق جهود الشعب اليهودي في شراكته مع اسرائيل » . هذا التنسيق معناه تعبئة يهود العالم « لاجل تحقيق الرؤيا الصهيونية بكليتها » .

لكن الحركة تحتاج الى مساعدة الدولة في تأدية مهمتها ، مثلما ينبغي على الحركة ان تتعهد بتقديم المساعدة غير المشروطة الى الدولة . وبناء عليه ، فان الدولة مطالبة بمنح الحركة الصهيونية ، وضعا قانونيا وسلطة معنوية بحكم الضرورة . هذا لا يعني بان « الصهيونيين خارج اسرائيل لا يجوز لهم الاعراب عن رأيهم او توجيه انتقاداتهم لتطور اسرائيل ، والانحياز الى جانب او اخر ، ومساعدة الجماعات التي تشاطرهم تفكيرهم داخل اسرائيل » . ان غولدمان يرسم صورة مختلفة للمشاركة . فهو يقول ، مثلا ، ربما قامت في يوم من الايام ـــ على الصعيد النظري المجرد ـــ حكومة في اسرائيل لا ترغب اكثرية اليهود او الحركة الصهيونية في التعاون معها . ثم يجيب : عند ذاك سوف تعمد الحركة الصهيونية الى تعليق نشاطاتها ، لان النزاع حتى مع حكومة من هذا النوع لا يمكن التفكير به . ويذهب غولدمان الى حد تخطئة الذين يقولون « اذا وجب على الصهيونيين في الشتات عدم التدخل في سياسة اسرائيل الداخلية ، فيجب على اسرائيل اذن الا تتدخل في سياسات الحركة الصهيونية » . لكن الاسرائيليين من اعضاء الحركة الصهيونية يتساوون في عضويتهم مع الصهيونيين من خارج اسرائيل ، ولهم الحق اياه في التدخل بسياسة الحركة !

ثم يخلص غولدمان الى هذا التعميم : لا توجد موازاة بين اسرائيل والحركة الصهيونية من هذه الناحية . فالصهيونية تشمل الصهيونيين في الخارج وفي اسرائيل . اما دولة اسرائيل فلا تضم سوى مواطنيها . بيد ان هذا الشمول الصهيوني لا يعني مطلقاً الخروج عن ارادة اسرائيل او الابتعاد عن التعاون بلا قيد او شرط مع الدولة والحكومة . وهنا يؤكد غولدمان من جديد على ما يلي : « قبل ان تأمل الحركة الصهيونية في الحصول من دولة اسرائيل على اعتراف خاص باعتبارها ممثلة للشعب اليهودي في معاملاته مع اسرائيل ، يجب على هذا المؤتمر ان يعلن ، بكل مهابة وجلال ودون تحفظات ، تمسكه بالمبدأ الاساسي القائل بان سياسات الحركة الصهيونية ونشاطاتها ، مهما كان تركيب زعامة هذه الحركة ، سوف ترتكز على اساس التعاون غير المشروط مع دولة اسرائيل وحكومتها » .

بيد ان تحقيق ذلك يتطلب في نظر غولدمان اعادة تنظيم للحركة الصهيونية . والفكرة التي ينادي بها غولدمان ترمي الى اخراج الحياة الصهيونية في الشتات عن احتكار الاحزاب وانتزاع المبادرة من ايديها ، لكي يصار الى انشاء تركيب تنظيمي جديد « يوحد بين جميع الصهيونيين في كل بلد لاجل تحقيق المهمة المشتركة في قيادة الشعب اليهودي وتعبئته لصالح اسرائيل » . فالمشاركة التي يتطلع اليها رئيس اللجنة التنفيذية تقضي بتوسيع الاطار التنظيمي للحركة الصهيونية وابعاد المنظمة العالمية عن سيطرة الاحزاب وطغيانها ، لكي يتسنى بالتالي تجنيد المزيد من يهود العالم في خدمة اسرائيل والصهيونية .

العقيدة الصهيونية في ظل الدولة

٩ ــ تحديد القضايا الاساسية :

أشرنا فيما سبق الى كون المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين أول مؤتمر تعقده الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام الدولة اليهودية وفي داخل اسرائيل بالذات . والمحنا الى التوقعات والامال المعقودة في حينه على هذا المؤتمر ، مثلما جئنا على ذكر وظيفة المؤتمر الصهيوني ودوره في رسم السياسة العامة للحركة على مستوى العالم كله . فما هي النتائج التي أسفر عنها المؤتمر والقرارات التي اتخذها في صيف ١٩٥١ ؟ وكيف خرجت الحركة الصهيونية العالمية على الصعيد العقائدي من أول مؤتمر لها في ظل الدولة اليهودية ؟

ان القضايا الاساسية التي كانت مطروحة على المؤتمر جرى الاعداد لها بواسطة اللجنة الخاصة لوضع مسودة القرارات العتيدة . ويستفاد من نصوص القرارات الصادرة عن المؤتمر ان هناك عدة لجان توزعت فيما بينها مهمات القيام بدراسة مشاريع القرارات ومناقشتها لكي ترفع توصياتها الى هيئة المؤتمر الصهيوني بكامل عضويته . فاللجنة الخاصة بـ « المشاكل الاساسية » ،مثلا ، نظرت في مسألتين على جانب كبير من الاهمية : المسألة الاولى هي « الواقع القانوني للمنظمة الصهيونية العالمية » ، والثانية تتعلق بـ « برنامج القدس » . وفي التقرير الذي رفعته اللجنة الى المؤتمر وضمنته توصياتها نتبين ان مسألة الوضع القانوني حظيت على درجة ملحوظة من الاتفاق في الرأي ، كما أظهرت وجود الاحترام التام لسيادة دولة اسرائيل . بينما اختلف الوضع تماما بالنسبة لبرنامج القدس ، وبرزت « فروقات في الرأي عميقة الجذور وعلى نحو لا يستهان به » .

لنبدأ بالتركيز ، اذن ، على « برنامج القدس » والملابسات التي أحاطت بصياغته ورافقت عملية اقراره النهائي في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ولقد اثبتنا النص الكامل

لبرنامج القدس في ملحق خاص لكي يسهل الرجوع اليه واجراء المفارقات اللازمة . على أن نكتفي هنا بايراد القسم المتنازع عليه من البرنامج المذكور .

برنامج القدس (١٩٥١) : يقول التقرير المرفوع الى المؤتمر من « لجنة القضايا الاساسية » ان اللجنة توصلت الى اقرار صيغة للبرنامج تحظى بقبوله أكثرية اعضائها، وذلك من خلال ادراكها « للحاجة الى الحفاظ على وحدة الحركة وقوتها ، وبروح من التسوية » . فالاكثرية الساحقة بين أعضاء اللجنة أقرت ما يلي : اولا ـ اعلان عن وظيفة الصهيونية ، ثانيا ـ برنامج لنشاطات المنظمة الصهيونية العالمية ، ثالثا ـ نداء الى اليهود في كافة انحاء العالم يناشدهم ان ينذروا أنفسهم لهذه المهمات .

اما اقتراح الاكثرية بشأن الاعلان عن مهمة الصهيونية فهو الذي تحول الى قرار المؤتمر على النحو التالي : « ان مهمة الصهيونية هي : ـ توطيد دعائم دولة اسرائيل ـ تجميع المنفيين في أرض اسرائيل ـ وتنمية وحدة الشعب اليهودي » .

ويؤخذ من تقرير اللجنة ـ كما يستفاد من مناقشات المؤتمر لتوصياتها ـ ان الصيغة المدرجة أعلاه لبرنامج القدس هي وليدة التسوية . يقول رئيس اللجنة ، عزرا شابيرو ، امام المؤتمر الصهيوني : « لقد تصارعنا مع مسألة الهدف النهائي للصهيونية وما تعنيه كل من لفظتي « الصهيونية » و« الصهيوني » » . ثم يتابع قوله : « اتضح لدينا انه اذا كان المؤتمر والحركة الصهيونية يرغبان في الحفاظ على وحدتهما ، فلا يوجد هناك من بديل حاليا غير صياغة **مهمة** الصهيونية ، وليس **هدفها** » . وسوف تتضح لنا طبيعة الخلافات الصهيونية حول « المهمة » و « الهدف » من خلال الاطلاع على نصوص مشاريع القرارات الاخرى والاراء التي عبر عنها كل طرف من الاطراف المتنازعة حول تعيين مهمة الحركة الصهيونية العالمية وتحديد هدفها .

بيد أن استقطاب المواقف بصورة جدية حصل ، على ما يبدو من تقرير اللجنة ، أثناء مناقشة التصور الصهيوني ـ الاسرائيلي لعقيدة أساسية في البرنامج هي عقيدة « تجميع المنفيين » . والصيغة التي اثارت خلافات في الراي جاءت كما يلي أصلا : « خلاص اسرائيل وافتداؤها عن طريق تجميع المنفيين » . فالتقرير الذي رفعته اللجنة يشير الى حدوث انقسام في الاراء وتباين شديد في المواقف بين « المندوبين الاميركيين والانجلو ـ سكسون وغيرهم » من جهة ، وبين « مندوبي اسرائيل والبلدان الاخرى » من جهة ثانية . ولكي نقف على طبيعة هذا الخلاف وأسبابه يجدر بنا الانتقال الى مناقشة التوصيات في المؤتمر الصهيوني ، حيث اتيح لاصحاب « الاقتراحات الاقلية » أن يعرضوا وجهات نظرهم ويتقدموا للمؤتمر اقتراحاتهم او مشاريع قراراتهم . فالملاحظ ان قضية استبدال « الاهداف » بـ « المهمات » استأثرت بقسط كبير من الجدل والنقاش ، ولم يتم التوصل الى اتخاذ القرار الا بعد اتفاق الجميع على « اننا لا نقوم الان بتحديد الاهداف النهائية للصهيونية » (رئيس لجنة القضايا الاساسية ـ شابيرو) .

سوف نتناول مواقف الاحزاب والكتل الصهيونية أثناء مناقشة برنامج القدس بشيء من التفصيل الدقيق ، نظرا للاعتبارات التي أملت على الحركة الصهيونية آنذاك فكرة الاكتفاء بصيغة مخففة لبرنامجها المرحلي .

(أ) ـ **مئير غروسمان** : يتساءل غروسمان ـ عضو اللجنة التنفيذية وأحد زعماء التحريفيين ـ عن الاسباب التي دفعت باللجنة التنفيذية الصهيونية الى تغيير موقفها بصورة مفاجئة ، « بعد أن أبلغت الشعب اليهودي في سلسلة من البيانات انها تنوي استبدال برنامج بازل ببرنامج القدس » . ويعلن أسفه لتراجع اللجنة عن موقفها الاصلي ، اذ « بدلا من صياغة الاهداف النهائية للحركة الصهيونية ، نجدها الان تقترح علينا شيئا يختلف تمام الاختلاف » . لماذا « المهمات » وليس « الاهداف » ؟ ربما كانت

الحركة الصهيونية أعذارها ابان عهد الانتداب لكي تلجأ الى التحفظ وتفضل تأجيل الصياغة النهائية لاهدافها لكن الاوضاع تغيرت كلياً بعد قيام الدولة ، وأصبحت الحركة الصهيونية بحاجة الى بيان واضح يعلن « اهدافها » وليس الى تحديد غامض ومبهم « للمهمات » .

ثم ينتقل غروسمان الى القول بأن « استجابة الشعب اليهودي سوف تكون متكافئة مع عظمة أهدافنا » . والفكرة الصهيونية لم تتحقق بعد : « عندما نعلن بأن البرنامج الصهيوني لم يتحقق بعد ، وان البرنامج الصهيوني هو لحل المسألة اليهودية ، فذلك يعني انه يجب نقل أكثرية الشعب اليهودي الى أرض اسرائيل ... وبناء عليه يجب الحفاظ على الوحدة الجوهرية للشعب اليهودي . هذا معناه اننا ننوي تحقيق هذه الغاية عن طريق تركيز أكثرية الشعب اليهودي داخل الحدود التاريخية لدولة اسرائيل، واننا بذلك نرغب في تقوية دولة اسرائيل السيدة » .

وينتهي الزعيم التحريفي الى مخاطبة أعضاء المؤتمر الصهيوني بقوله : «ممن تخافون ؟» و« هل ينطوي اعلان يناشد العودة الى صهيون على اخلال بالولاء للمواطنية الاميركية او البريطانية ؟ » ان الصهيونية بنظر غروسمان هي حركة ثورية للتحرر القومي اليهودي .

(ب) ـــ **يتسحاق غرونباوم** : ان هذا الزعيم الصهيوني الراديكالي سابقا ، والصهيوني العمومي لاحقا ، ينتمي ايضا الى عضوية اللجنة التنفيذية للوكالة والمنظمة ، فضلا عن اشتراكه في حكومة اسرائيل . والبرنامج الذي يقترحه غرونباوم لمؤتمر القدس يتضمن « هدف » الصهيونية : « ان هدف الصهيونية هو افتداء الشعب اليهودي وخلاصه عن طريق تجميع المنفيين من أبنائه في أرض اسرائيل . وتقوية دولة اسرائيل وتنمية وحدة هذا الشعب في كل مكان » .

يقول غرونباوم ان تحقيق المثال الاعلى ينطوي دوما على الخطر بالنسبة لشعب او حركة تسعى نحو تحقيقه . وهناك خطر اعظم يكمن في التحقق الجزئي للمثال الاعلى . فالصهيونية لم تبلغ بعد « هدفنا النهائي » ، لان الدولة لم تتوطد دعائمها حتى الان ، ولان بلوغ الهدف النهائي لم يتم بعد بالمعنى السياسي او بمعناه الاقليمي .

اما السبب الكامن وراء تفضيل التصورات المسيائية عن « الخلاص » و« الافتداء » فانه يرجع الى « رغبتنا في تجنب التعريفات الاقليمية والسياسية » . التصور المسيائي ينطوي على مزيد من التعميم ، وقد اخذت دولة اسرائيل غداة انشائها تتحدث بعبارات مسيائية عن « تجميع المنفيين » بدلا من الهجرة الجماعية ، فالمعروف أن عبارة « تجميع المنفيين » هي احدى العبارات المسيائية للدلالة على حلول الخلاص واقتراب مجيئه . لكن غرونباوم يؤكد للمؤتمر الصهيوني ان بعض الناس يغشى عليهم من الخوف لدى ترجمة هذه العبارة الى اللغة الانجليزية . فالصهيوني المقيم في اميركا سوف يتساءل : « انني أعيش في بلد حر واتمتع بكافة الحريات المدنية . هل أنا لاجيء ؟ هل أنا هارب ؟ حتى يصار الى اعتباري من المنفيين ؟ » .

وخلاصة القول ، انه « عندما يدور النقاش عن الصهيونية ووظائفها يجب التصريح بوضوح ان الغاية القصوى هي الخلاص القومي ، وان تجميع المنفيين هو وسيلة نحو تلك الغاية » .

(ج) ـــ **الدكتور س. يونيتشمان** : عضو المجلس الصهيوني العام وممثل عن الصهيونية التحريفية ، يطالب المنظمة الصهيونية العالمية بأن تعلن أهدافها الصريحة بوضوح تام ، وعلى النحو الاتي : « ان هدف الصهيونية هو تحويل اسرائيل بكاملها وضمن حدودها

التاريخية الى دولة يهودية تتمتع بنظام حكم ديمقراطي وحر . والغرض الرئيسي من وجودها هو تأمين العودة الى صهيون لجميع الساعين نحو صهيون » .

والملاحظ ان صاحب هذا الاقتراح يخاطب اعضاء المؤتمر الصهيوني من الاميركيين بعبارات تنم عن الاستخفاف بموقفهم ومقارنته بموقف « الحاخامين المحتجين » من دعوة هرتزل في مطلع عهدها . فهو يقول ، مثلا ، وبكثير من المرارة : « في مطلع عهد الصهيونية رفضنا الخضوع لـ « الحاخامين المحتجين » ، واليوم خضعنا لـ « الصهيونيين المحتجين » » .

(د) — **براعي : ممثل المابام — اسرائيل** : يتقدم باقتراح مضمنا اياه مسحة من « العمالية » ، في قوله : « تهدف الصهيونية الى حل المشكلة اليهودية بواسطة تجميع المنفيين في ارض اسرائيل وتحويلهم الى شعب عامل ، وعن طريق تقوية دولة اسرائيل » .

وينتقل مندوب المابام الى اتهام اقتراح الاكثرية بانه يعني القبول بما يدعوه « أبدية المنفى » . هذا القبول الصهيوني بالوجود المستمر للشتات اليهودي سوف يؤدي ، بنظره ، وفي نهاية المطاف ، الى « تصديع وحدة الشعب اليهودي » . يجب على الحركة الصهيونية أن تأخذ بعين الاعتبار يهود الشرق والبلدان العربية « هؤلاء اليهود يحتاجون الى دعامة واساس ... ويجب تقوية الاساس الصهيوني وتوسيعه » .

ثم يلتفت الى المندوبين الاميركيين ، دون ان ينسى التلميح الى دورهم المالي ، فيخاطبهم قائلا : « أنتم الصهيونيون الاميركيون ، كيف تريدون تنفيذ هذه المهمة ؟ بواسطة «افتداء الاسرى» ؟ (Ransoming the captives) ان عملية تجميع المنفيين لن تسير الى الامام بدونكم » . وينتهي الى التأكيد التالي ، على محمل التحدي والوعيد : « لن نجاري اقتراح الاكثرية في اعطائكم شرعة للتحرر من المشاركة الشخصية في تجميع المنفيين » . فالصهيونية الاميركية تقف هنا أمام التحدي الذي يطالبها بتقديم المال والالتزام بمبدأ الهجرة الشخصية الى اسرائيل .

(هـ) — **الدكتور كوبل شفارتز** : يقول هذا العضو الاسرائيلي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون أن اللجنة « قررت الاكتفاء بتحديد أكثر تواضعا » . ويبرر موقف الماباي من خلال تأكيده : « نحن اقترحنا في اللجنة برنامجا يحدد هدف الصهيونية بوضوح ، وبذلنا الجهد لاحراز قبوله . وبعد شتى التحفظات والتأخيرات، رأينا انه لا مجال هناك لحصول تعريفنا على الاكثرية المطلوبة وفقا لدستور المنظمة » . أي أن اوساط اللجنة المكلفة بدراسة «القضايا الاساسية» ورفع التوصيات بشأنها قررت الاستغناء مؤقتا عن تحديد شامل مانع لاهداف الصهيونية ومطامعها ، وذلك حفاظا منها على وحدة الحركة — أو لضمان شيء من الاجماع . فالاكتفاء بتحديد مؤقت لمهمة الصهيونية في السنوات القادمة جعل هذه المهمة تقوم على « تجميع المنفيين » و« تقوية دولة اسرائيل » . والاعلان المنشود عن أهداف الصهيونية القصوى « سوف يأتي في حينه » . هذا ما يقوله مندوب الماباي على سبيل التطمين ولتهدئة « الناقمين » . فهو يبرر التحول في الموقف الاصلي على النحو الاتي : « قررنا الاكتفاء بتحديد أكثر تواضعا يمكنه انتزاع التأييد من أكثرية حاسمة في المؤتمر . وارتأينا ترك التحديد للاهداف النهائية الى ذلك الوقت الذي تصبح عنده الحركة الصهيونية على درجة من القوة ويتعمق وجدانها الروحي والايديولوجي بحيث تغدو اكثر استعدادا لتقبل تعريفنا بملء ارادتها وبدون احقاد وضغائن ... هذه هي الاسباب التي حملتنا على رص الصفوف في هذا المؤتمر وعدم الاصرار على اقتراحنا الاصلي ... »

(و) — **موقف المزراحي** : تقدم مندوب المزراحي وجناحه العمالي في اسرائيل — افراهام

ملاميد ــ بالاقتراح التالي للبرنامج الصهيوني : « تسعى الصهيونية نحو خلاص الشعب اليهودي ، وتقوية دولة اسرائيل، ، وتجميع المنفيــين ، وضمان وحــدة الشعــب اليهــودي » .

وجرى افهام المؤتمر الصهيوني ان هذا الاقتراح « يشكل في راينا اقصى تنازل يمكننا القيام به » . لان برنامج التسوية في نظر المزراحي ــ وهو البرنامج الذي « يستطيع الحصول على تأييد معظم المندوبين في المؤتمر » ــ يجب عليه أن يتضمن بعض العناصر الاساسية التي « لا يجوز اخضاعها للتسويات » .

لكن المزراحي وافق بدوره على قرار التسوية ، وصرح مندوبه أمام المؤتمر بتبرير من هذا القبيل : « بيد اننا سررنا اذ رأينا بأن هذه المعارضة كانت موجهة فقط ضد تلــك التعابير والمفاهيم التي بدت فيرأي قطاع واحد ــ وهو قطاع هام في المنظمة الصهيونية ــ سابقة لاوان اعلانها على الملأ ، خوفا من الاحتمال الجدي بانها قد تعرقل جهود المنظمة الصهيونية في اميركا وغيرها من البلدان » .

فالقبول لم يصدر عن قناعة بالتسوية ، اذن ، بقدر صدوره عــن الرغبة في مماشاة الجناح الصهيوني الاميركي داخل الحركة ومسايرة موقفه المتحفظ . وهنا يمضي مندوب المزراحي الى القول بان حزبه وجد نفسه امام احتمالين : اما القبول ببرنامج نهائي رغم «عدم اشتماله على المبادىء الجوهرية وتطلعات الاجيال نحو خلاص الشعب والارض»، أو الاكتفاء بتعيين المهمات التي « تواجه المنظمة الصهيونية في المستقبل القريب والى ان يتمكن المؤتمر القادم من تقرير البرنامج النهائي » للحــركة الصهيونية . ازاء هذين الامرين ، ارتأى المزراحي اختيار الاحتمال الثاني معتبرا اياه « يرسم المهمات الفورية للصهيونية دون التعبير عن هدفها الاساسي » .

(ز) ــ **الرد على النقاش** : بعد الاستماع الى مختلف وجهات النظر التي أعربت عــن معارضتها للقرار المخفف على سبيل التسوية وطمعا بالحصول على شبه اجماع ، جاء دور رئيس « لجنة القضايا الاساسية » لكي يرد في معرض الدفاع عن الموقف الصهيوني الاميركي . قال عزرا شابيرو : « شعرت اللجنــة بأنه من الحكمة تأخــير الاعلان عن الاهداف النهائية للصهيونية في مثل هذه الظروف » . واعترف بان اللجنة ابتعدت عــن « الشعور السائد قبل عام أو عامين ونصف » ــ أي الشعور بأن الحركة الصهيونية على استعداد لتبني مثل هذا الاعلان النهائي للاهداف .

فما هي الاسباب التي ادت الى التراجع والاكتفاء بصيغة التسوية ؟ ان شابيرو يشدد على ما يسميه بــ « الاهتمام المشروع » ، ويؤكد لزملائه خطورة الامر بالنسبة لحملات الجباية وجمع الاموال والتبرعات : « دعوني اقولها بصراحة ان الكثيرين منا أبــدوا اهتماما عميقا طيلة سنوات عديدة بالمهمات الكبرى لجمع الامــوال وبيــع سنــدات اسرائيل » . وهناك خوف لئلا تتأثر حملات التعبئة المالية في اميركا من جراء الاصرار على برنامج نهائي ينطوي على الاحراج للصهيونيين خارج اسرائيل . لذا يلجأ شابيرو الى مصارحة المطالبين بكشف النوايا والاهداف دونما تردد . فيقول لهم : « انتــم تقولون انكم تريدون منا اكثر من اموالنا . أنتم تريدون طاقتنا البشرية (وهنا أيضا نحن نتكلم بواقعية) . لقد اتضح مما حدث في السنوات الثلاث الماضية انكم لن تحصلوا على مئات الالاف من اليهود الاميركيين ... »

ثم يناشدهم التذرع بالصبر والتفهم الصحيح للمشكلة ، على أن يتــرك الامر للتربيــة الصهيونية في المستقبل . ويؤكد لهم ان التوصل الى صيغة التسوية هــو عمل يتصف

بحسن التدبير وحكمة التفهم ، لا سيما وان « الجميع اتفقوا على اننا لسنا الان في معرض تحديد الاهداف النهائية الصهيونية » .

وقبل انتقال المؤتمر الصهيوني الى التصويت على مشروع قرار التسوية رأى شابيرو أن يناشد المندوبين « باسم عظمة هذه الساعة وروحها » لحملهم على تبني الاقتراح بأغلبية ساحقة .

(ح) — **غولدمان والانتظار** : عقب تبني المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين لمشروع القرار عن « مهمة الحركة الصهيونية » وقف الدكتور ناحوم غولدمان متسائلا في خطابه: هل تخلى المؤتمر عن اصدار بيان بالهدف النهائي للصهيونية ؟ فعمد الى التنويه باحترام يكنه اليهود للصيغ ، ثم استدرك بقوله : « ليس هناك ما يدعونا الى الخجل ، اذ انقضت ثلاثة اعوام على قيام الدولة ونحن لم نتوصل بعد الى صياغة أهدافنا النهائية » . وعلى سبيل المفاجأة ، يؤكد غولدمان في معرض التطمين : « هذه الصيغة التي جرى قبولها الان ليست برنامج القدس » . فالتأجيل الموقوت لا يضير الحركة الصهيونية ، لانه «ليس دليل الافلاس السياسي بقدر ما يدل على النضج السياسي والتفهم » . والحركة مدعوة ، في رأي غولدمان ، الى متابعة النقاش بغية التوصل الى برنامجها العتيد . فلا داع هناك الى العجلة : « حتى ولو تعذر الوصول الى اتفاق في المؤتمر القادم . نحن نستطيع المضي في الانتظار » للحصول على تحديد صهيوني للأهداف النهائية .

ولم يشأ رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية ترك المناسبة تمر دون موعظة عن الصهيونية في اميركا . فراح يتساءل : « هل هو بالشيء السهل ايصال المثل الاعلى الصهيوني الى قلوب الملايين الخمسة ونصف المليون من اليهود الاميركيين في الولايات المتحدة ؟ » ثم أكد للمؤتمر بأن الصهيونية الاميركية لم تبدأ في التطور بعد ، من الناحية الايديولوجية . وانتقل الى تعداد المراحل التالية في تطورها الصهيوني العام : — طيلة ثلاثين عاما كانت الحركة الصهيونية تخاطب اليهود الاميركيين بنغمة واحدة لا غير : أعطونا المال ، وهاتوا التبرعات والمسائل الايديولوجية لا تعنيكم ! — وبعد ذلك ، جاءت مرحلة « الكفاح السياسي » . فقالت الحركة للصهيونيين الاميركيين : « ساعدوا في العمل السياسي » . وغولدمان يعترف لهم بالدور الحاسم في حقل النشاط السياسي . — أما الان ، فالمشكلة التي تواجه الحركة الصهيونية هي الآتية ، في منظور غولدمان : « كيف نربي يهود اميركا والصهيونيين في اميركا على الصهيونية الكاملة ؟ » .

ان الصهيونيين الاميركيين يقولون على لسان غولدمان : « أعطونا الوقت الكافي لكي يتسنى لنا خلاله ان نتطور ! » ويجب على الحركة الصهيونية ان تشهد لهم في قبولهم بمهمة الصهيونية : « تجميع المنفيين » ، علما بأن هذا القبول « لم يكن سهلا عليهم » . واخيرا ، فان تربية الصهيونيين الاميركيين على متطلبات الحركة الصهيونية في المرحلة الراهنة — أي في القاموس الصهيوني : «على خلاص الشعب وحل المشكلة اليهودية» — تحتاج الى الوقت والتذرع بالصبر ، لكن غولدمان ، والجناح الاسرائيلي في الحركة الصهيونية العالمية من ورائه ، يعرف تمام المعرفة بان الصهيونيين الاميركيين « يقومون بالنشاط العملي » خلال فترة الانتظار الطويل والتربية الشاقة .

يبقى السؤال عن برنامج الحركة الصهيونية في تحديد اهدافها النهائية ، ومن الواضح تماما أن برنامج القدس (١٩٥١) ليس الا اتفاقية تسوية حول الحد الادنى من المهمات للمرحلة الفاصلة بين المؤتمر الذي أقره والمؤتمر الذي يليه . كما يتضح لنا مما تقدم أعلاه بأن الصهيونية في ظل الدولة تضمر الكثير وتكتفي بقول الضروري . على سبيل مجاراة الظروف وعدم استباق مجرى الامور . فهي تقر برنامجا لحركتها العالمية وسط تأكيداتها بان هذا البرنامج ليس حقا هو ما تريده بالفعل . لكن التروي وضرورة استرضاء الجناح

الاميركي جعلاها تخضع لاعتبارات الظروف وتنشد التسوية المنفذة من خطر الانقسام على نفسها والتصدع الهيكلي . والقارىء الذي رافق سير المناقشات واتجاه الاراء المختلفة من خلال اقرار البرنامج الصهيوني المعروف بـ « برنامج القدس ، ١٩٥١ » لا يجد مفرا من التساؤل عن النوايا الحقيقية التي تضمرها الصهيونية وتأبى عليها الظروف اعلانها صراحة والمجاهرة بها على الملأ ، ان برنامج الصهيونية يبدو وكأنه صيغة مخففة للتغطية ، طالما ان معظم الاوساط النافذة في الحركة كانت تنادي باعتماد الصيغة القصوى للاهدافالنهائية . فهل جاء التبطين في الصياغة فقط على سبيل تطمين الخواطر الصهيونية في اميركا ، أم ان التأجيل يتحين الفرصة المواتية .

١٠ ـ بين الدولة والمنظمة (أو الوكالة) :

ان المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل لم يكتف باخراج صياغة مناسبة للعقيدة الصهيونية وبرنامج عمل المنظمة العالمية في ظل وجود الدولة وحضورها . هذا مع العلم بأن الصياغة المذكورة تمت ونالت الموافقة بما يشبه الاجماع ، نظرا لطابعها الانتقالي والمؤقت . فالمؤتمر الثالث والعشرون (١٩٥١) اتخذ قرارات تتعلق بالوضع القانوني للمنظمة الصهيونية ، وناشد دولة اسرائيل ان تبادر الى استصدار التشريعات اللازمة لهذا الغرض . واتخاذ تلك القرارات جاء على سبيل الشكليات ، لان حكومة اسرائيل والحركة الصهيونية « اتفقتا » منذ شهر نيسان (ابريل) ، ١٩٥٠ على تشكيل لجنة للتنسيق بينهما . فقد أدلى بن غوريون يوم الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٥٠ أمام الكنيست ببيان جاء فيه ما يلي : « ان دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام ، والتي جرت بمدينة القدس في شهر نيسان ، كانت مخصصة للنظر في مشاكل الحركة الصهيونية في ضوء وجود دولة اسرائيل . ولقد رأت الدورة ضرورة قيام التعاون الوثيق والتنسيق التام في حقول الهجرة ــ ومنها هجرة الشبيبة والاحداث ــ والاستيعاب والاستيطان ، بين كل من اللجنة التنفيذية الصهيونية وحكومة اسرائيل » .

وتابع بن غوريون بيانه قائلا : « نظرت حكومة اسرائيل في المطلب الذي تقدم به المجلس الصهيوني العام ، ثم قامت اللجنة المشتركة ــ وهي مؤلفة من الحكومة واللجنة التنفيذية الصهيونية ــ بصياغة اقتراح للتعاون والتنسيق بين الطرفين ، فنال هذا الاقتراح موافقة الحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية » .

أما البنود التي نص عليها الاتفاق المذكور ، فجاءت على لسان بن غوريون كالآتي :
١ ــ يتألف مجلس للانماء والتنسيق من حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية .
٢ ــ يضم المجلس أربعة وزراء حكوميين وأربعة ممثلين عن اللجنة التنفيذية ، ويضاف اليه ممثل عن الصندوق القومي اليهودي . ٣ ــ تتمثل الحكومة في المجلس بكل من رئيسها ووزراء : المالية والعمل والهجرة . وتتمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية بكل من رئيسها في القدس وأمين الصندوق ورئيس دائرة الهجرة وممثل عن دائرة الاستيعاب .
٤ ــ يقوم المجلس على تنسيق الخطط وتنفيذها في المجالات التالية : الهجرة والاستيعاب واسكان المهاجرين والانماء الزراعي . ويجري تنسيق الميزانيات لتلبية هذه الحاجات ، كما يعود الى المجلس اتخاذ القرار بشأن توزيع الوظائف بين الحكومة واللجنة التنفيذية . ٥ ــ ان هذا الترتيب يبقى نافذ المفعول حتى المؤتمر الصهيوني القادم . عند ذاك يتقدم الطرفان باقتراح التعديلات اللازمة حول تركيب المجلس وبرنامج أعماله .

ومن الملاحظ ان بيان رئيس الحكومة ارتأى التشديد على بعض النقاط التي تكشف عن النوايا والتوقعات . فهو قد شدد ، مثلا ، على الطابع المؤقت للاتفاق ، وأعطى التوضيح التالي : ان ممثلي الحكومة سوف يلتزمون في المستقبل أيضا بمسؤولية جماعية تجاه الحكومة ، ويمارسون عملهم في اللجنة وفقا لقرارات الحكومة ، مع اعطاء الاعتبار

الواجب لسيادة الكنيست. بينما يتصرف ممثلو اللجنة التنفيذية تبعا لقراراتها ويخضعون لسلطة المؤتمر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام.

ودفعا لكل التباس حول تضارب السلطات والقرارات والصلاحيات، عمد رئيس الحكومة الى تطمين المتسائلين بقوله ان الاجتماعات التمهيدية التي جرت بين الطرفين اظهرت بأنه لا توجد اية عقبات أمام التعاون الوثيق والمخلص. ذلك ان « الاهداف والغايات التي تسعى نحوها كل من حكومة اسرائيل والحركة الصهيونية ليست متعارضة، بل هي، على العكس تماما، متطابقة الى حد كبير ».

ثم جاء المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون لكي يتخذ قراراته حول « الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية »، وهي القرارات التي تضمنها فيما بعد قانون « الوضع التشريعي » الذي جرى اقراره في الكنيست بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢. ولقد ارتأينا اثبات النص الكامل لهذا القانون في ملحق الفصل، والى جانب نص القرارات الصادرة عن المؤتمر تسهيلا للمقارنة ومتابعة لصيغة التشكيلات التي أحاطت بعملية الاتفاق على توزيع المهمات والصلاحيات بين الدولة الاسرائيلية وأداتها التنفيذية المتمثلة في المنظمة الصهيونية العالمية.

ان القانون التشريعي لوضع المنظمة الصهيونية في اسرائيل يحتل منزلة بارزة بين القوانين الاساسية للدولة. فقد اعتبره بن غوريون بمثابة تكميل لقانون العودة من حيث اسهامه في تحديد الصفة الصهيونية لدولة اسرائيل. واذا كان قانون العودة قد « أرسى الحق لكل شخص يهودي في التوطن داخل اسرائيل »، فان هذا القانون الدستوري الجديد يضع اسس « الرباط القائم بين دولة اسرائيل من جهة، والشعب اليهودي بأسره، من جهة ثانية ».

فالقرار الصادر عن المؤتمر الصهيوني يسبغ على المنظمة الصهيونية صفة تمثيل «الشعب اليهودي»، ويعتبرها الهيئة الصالحة قانونيا لمتابعة النشاط الاستعماري بالاصالة عن يهود الشتات. والقانون التشريعي الذي أقره الكنيست يرى في المنظمة العالمية ـــ « والتي هي أيضا الوكالة اليهودية لفلسطين » ـــ طليعة لما يدعوه بـ « حركة الشعب اليهودي » و« مساعيه الرامية لتحقيق رؤيا الاجيال في العودة الى الوطن ». ثم يعمد القانون في مادته الخامسة الى اعلان « الواجب الاساسي »، أو المحوري، الذي تضطلع به كل من دولة اسرائيل والحركة الصهيونية، على أنه واجب « تجميع المنفيين » من يهود العالم عن طريق تهجيرهم الى اسرائيل.

وربما كان من المفيد لنا الرجوع في هذا الصدد الى الكلام الذي قاله بن غوريون في معرض تقديمه لمشروع القانون المذكور أمام الكنيست في أيار (مايو) ١٩٥٢. فقد راح رئيس الحكومة يؤكد بأن « مشروع هذا القانون يختلف بشكل عام عن القوانين الاخرى، ليس من حيث الشكل فقط، بل ولجهة المضمون أيضا. والقانون يقصد به عادة تغيير شيء ما أو تحسينه، بينما يرمي هذا التشريع الى الحفاظ على حقيقة اساسية، والى تثبيتها وتزويدها بالصفة القانونية ومنحها اعتراف الدولة. هذه الحقيقة هي: تجربة الشعب اليهودي واستمراريته التاريخية، بالاضافة الى وحدته وأمانيه ».

فالقصد من وراء استصدار « قانون الوضع التشريعي » ليس الا تثبيت الوضع القائم والمصادقة القانونية عليه. والمنظمة الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية) تبدو من خلال بنود هذا القانون ونصوصه على حقيقتها: كأداة لتنفيذ المآرب الاسرائيلية بين يهود العالم وتحت شعار السعي الحثيث لتجميعهم في دولة اسرائيل، والعمل على تحقيق الوحدة فيما بينهم.

ففي الجلسة الرابعة التي عقدها المجلس الصهيوني العام منذ انتهاء المؤتمر الثالث

والعشرين ، ومن ٢٤ الى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٣ ، القى موشيه شاريت كلمة الحكومة بصفة كونه رئيسا للوزارة في الوكالة (وذلك عقب استقالة بن غوريون من الحكم) . ومما قاله شاريت : « المنظمة الصهيونية العالمية هي الذراع التنظيمية لهذه الشراكة التاريخية والمنتجة بين مركز الامة في دولتها المستقلة وأطرافها الممتدة الى بلدان الشتات » .

بينما وقف رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية (بيرل لوكر) للتنويه بوجود « التعاون الوثيق » بين المنظمة والحكومة ، دون انتظار التوقيع على « الميثاق » أو الاتفاقية الخاصة بين « الطرفين » لتنظيم مسألة التطبيق العملي للقانون . ويبدو من كلامه ان الاوساط الصهيونية كانت تنتظر بفارغ الصبر بادرة الحكومة للتوقيع على نص « الميثاق » . فهو يرد على الاصوات التي طالبت بالتعجيل ، مؤكدا بأن « هذه ليست القضية الرئيسية . وهناك مجالات وفيرة العدد ، حيث يقوم تعاون وثيق بيننا وبين الحكومة » . ثم يعطي بعض الامثلة للدلالة على طبيعة ذلك التعاون : « في حقل الاستيطان الزراعي — خلال السنوات الفائتة كانت المساعدة الحكومية تسد جزءا من ميزانية الاستيطان الزراعي ، بينما يأتي القسم الاكبر منها عن طريق الكيرين هايسود » . ويستطرد قائلا : « نحن نشارك في شركة « مكوروث » للمياه بنسبة قدرها ٦٥ ٪ ، مقابل حصة الحكومة التي تبلغ ٣٠ ٪ » . كما توجد « هناك قرى جديدة قيد التخطيط **بالتعاون مع الحكومة والجيش** » .

ولكي نتعرف عن كثب الى طبيعة « التعاون » القائم بين المنظمة الصهيونية والدولة خلال تلك المرحلة الفاصلة بين تصديق الكنيست على « قانون الوضع التشريعي » (١٩٥٢) وتوقيع الحكومة على « الميثاق » مع المنظمة العالمية (١٩٥٤) ، يجدر بنا التوقف عند بعض القضايا التي أثيرت ابان انعقاد دورات المجلس الصهيوني العام .

التمييز ضد الشرقيين : حاول رئيس اللجنة التنفيذية (بيرل لوكر) تبرئة الفئات الحاكمة من تهمة التمييز ضد الجماعات اليهودية الشرقية في اسرائيل . فأنكر وجود اية نزعة من هذا القبيل لدى حكومة اسرائيل او غيرها من الهيئات العامة والجماعات المسؤولة . ثم انحى باللائمة على « الظروف الموضوعية التي أوجدت حالة من التمييز ضدهم » . وانتقل الى تفسير الظرف الراهن على سبيل تبريره . فقال : هناك كثيرون بين القادمين الجدد من أوساط يهودية شرقية تنقصهم المعرفة والمقدرة التي يتجهز بها اليهود المتحدرون من أوروبا . ولهذا السبب ليس بمقدورهم احتلال منصب متكافىء في ميدان الخدمة العامة ، سواء كان ذلك في الجهاز الحكومي أم داخل ادارة الحركة الصهيونية وغيرهما من الهيئات . بل ينبغي لهم أن يتعلموا ويتطوروا حتى يصلوا الى مكانهم الصحيح . وانتهى لوكر الى التأكيد بأن اعطاء المنح الدراسية الى ابناء اليهود الشرقيين هو الخطوة الاولى في طريق رفعهم الى المستوى الثقافي المطلوب .

مقومات وجود الحركة : بين الموضوعات التي استأثرت بنصيب وافر من التنظير والتحليل ، طيلة السنوات الفاصلة بين ١٩٥١ و١٩٥٦ ، موضوعة المقومات التي تبرر وجود الحركة الصهيونية واستمرارها بعد ان أصبحت دولة اسرائيل حقيقة قائمة . فرئيس اللجنة التنفيذية يعرب عن قناعته امام أعضاء المجلس الصهيوني العام في الاسبوع الاخير من سنة ١٩٥٣ بأن الحركة لم تفقد مقوماتها ومبرراتها ، بل أمامها دور خاص ينتظر الانجاز . ونعرف من كلامه بأن تسمية الصهيوني ليست وقفا على اليهودي الذي يستوطن في اسرائيل او يزمع الاستيطان هناك في المستقبل القريب . فالشتات سوف يظل قائما طيلة سنوات عديدة ، والجماهير اليهودية لن تبادر الى استيطان اسرائيل ما لم تتعرض لوطأة الضغوط الخارجية .

أما الرئيس الثاني للجنة التنفيذية (الفرع الاميركي) — ناحوم غولدمان — فقد نظر الى الموضوع من زاوية أخرى ، واعتبر بأن وجود الحركة الصهيونية ضروري ولها ما يبررها فقط عندما تقوم بدور تنسيق النشاطات بين « الشعب اليهودي واسرائيل » . أي ان المبرر لوجود الحركة هو قيامها بدور الوسيط : « واذا درجت حكومة اسرائيل ، ودرج ممثلوها ، على التفاوض مباشرة مع مختلف الهيئات اليهودية ، فلا مبرر هناك » للحركة الصهيونية .

وعلى الصعيد التنظيمي ، أشار غولدمان الى قضيتين هما : (أ) شكل المنظمة الصهيونية وتركيبها و (ب) موقف الحركة من غير الصهيونيين ومن الاشخاص الذين لا ينتمون الى أحزاب صهيونية . كما خاطب المجلس العام بقوله : « ثمة اقتراح يدعو الحركة الصهيونية الى مبارحة اسرائيل واتخاذ مركز لها في بلد آخر ، بالاضافة الى وجوب تحولها نحو حركة قائمة في المنفى كليا . وحتى لو توصل المؤتمر الصهيوني الى اتخاذ قرار سخيف مثل هذا ، استطيع التأكيد لكم بأن الوكالة اليهودية سوف تغدو بلا موازنة في غضون يومين . ومن ذا الذي سيعمل على تأمين ميزانية للوكالة متى كانت الحركة الصهيونية ممنوعة سياسيا من القبول بالمبادىء الاساسية للدولة ، ولا تمارس أعمالها في اسرائيل ؟ فاليهود يتبرعون بالاموال لاننا نملك قسطا في العمل السائر قدما داخل اسرائيل . ولقد سعينا للتعبير عن هذا الامر في القانون الذي يحدد وضع المنظمة الصهيونية ومكانتها القانونية في اسرائيل » .

التطابق السياسي : ان غولدمان يريد للمنظمة الصهيونية في ظل الدولة أن تقوم بدور صلة الوصل بين اسرائيل ويهود العالم . لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع اعتناق النظرة القائلة بوجوب امتناع الحركة الصهيونية عن اتخاذ موقف سياسي الى جانب دولة اسرائيل . فأصحاب هذا الرأي يقولون : « قد تكون الدولة مستعدة لابرام الصلح على أساس الاراضي التي تسيطر عليها الآن ، والقبول بتقسيم فلسطين . أما الحركة الصهيونية ، فانها ليست الدولة ، ولا هي ملزمة بالموافقة على ذلك » . وغولدمان — على ما يبدو من أقواله — يتمنى على الحركة الصهيونية الا تخرج عن طاعة الدولة سياسيا ، فتتجاوز دورها المرسوم . فالصهيونية سوف تجد نفسها في وضع محزن ، « لو حدث ان زعماءها المقيمين في انحاء مختلفة من العالم خطر لهم القول : اذا كانت الدولة على استعداد للاعتراف بحدودها الحاضرة ، فنحن بصفة كوننا على رأس حركة الشعب اليهودي في سبيل التحرر القومي ، نريد توسيع تلك الحدود » . والتنسيق في السياسة معناه انصياع الحركة لاوامر الدولة وتقيدها بالخط السياسي الذي تتبعه اسرائيل بصورة رسمية أو معلنة . لكن غولدمان اياه أجرى بعض التعديلات على رأيه هذا ، لا سيما خلال وجوده على رأس المنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥٦ — ١٩٦٨) وفي أعقاب عزوفه عن الترشيح لمنصب الرئاسة واطلاق التصريحات المتسببة في احراج الأوساط الاسرائيلية الحاكمة واثارة غضبها . ومن المؤكد ان المنظمة الصهيونية لا تملي المواقف السياسية على دولة اسرائيل أبدا ، بل تتبنى المواقف الاسرائيلية وتعمل على الترويج لها والادعاء بنسبتها الى « كافة يهود العالم » . هذه الحقيقة تجلت في «الميثاق» على خير وجه .

توقيع الميثاق : أشرنا فيما تقدم الى التململ الذي اعترى الاوساط الصهيونية من جراء التأخير الاسرائيلي في التوقيع على الميثاق بين اللجنة التنفيذية والحكومة . ولدى انعقاد الجلسة الخامسة من الدورة الرابعة للمجلس الصهيوني العام (عند نهاية ١٩٥٣) ، وقف ناحوم غولدمان ليعلن انها المرة الاولى منذ قيام اسرائيل ينعقد فيها المجلس دون الحضور المألوف لرئيس حكومتها المستقيل آنذاك : دافيد بن غوريون . ثم حاول الرد على الاعضاء الذين انتقدوا المماطلة في ابرام الميثاق ، فقال : « دعوني اشرح لكم كيف لم

ننته من المفاوضات حول الميثاق قبل أن يقرر بن غوريون الاستقالة . الميثاق مسألة بالغة الاهمية ، ويلزم لنا الوصول الى اتفاق تام حول مضمونه . لكنه تعذر علينا الوصول الى اتفاق مع بن غوريون » . واستطرد رئيس اللجنة التنفيذيـــة قائلا : « لقد استمرت المفاوضات بضعة اشهر ، وعندما اخذت في الالحاح على وجوب الانتهاء من التفاوض بطريقة ما أو أخرى ، أصبح من الواضح ان بن غوريون ينوي الاستقالة . مما حمله على القول لي : أنت تعرف بأن لي آرائي الخاصة حول المسألة . وربما كنت أنا الشخص الاوحد الذي يعتنق مثل تلك الآراء . فلماذا نتخاصم حول هذه القضية ؟ ومن الافضل تركها الى حين تسلم الحكومة الجديدة ولايتها » .

طبعا ، لا ريب في أن آراء بن غوريون لعبت دورها في عملية التسويف والمماطلة . فهو يصر على الاقرار الصريح بالسلطة العليا للدولة ازاء المنظمة ، ولا يتوانى عن احراج الصهيونيين الذين يمارسون صهيونيتهم من خارج اسرائيل ودون الاقدام على خطوة الهجرة الى الدولة اليهودية . وناحوم غولدمان ، بعد الانحاء اللبق باللائمة علـــى بن غوريون ، راح يعلل المجلس الصهيوني العام بالوعود التالية : « ومن الافضل ، على وجه التأكيد ، المجيء الى دورة المجلس الصهيوني العام بصحبة ميثاق وافق عليـــه الطرفان ، بدلا من التقدم بتقرير خلاصته اننا لم نتمكن من الوصول الى اتفاق » .

وفي دور انعقاده الخامس بعد انتهاء المؤتمر الثالث والعشريـــن (بين ٢١ و٢٩ تموز ــ يوليو ــ ١٩٥٤ ، في القدس) اتخذ المجلس الصهيوني العام هذا القرار : « ان المجلس الصهيوني العام يعلن قبوله بارتياح عميق للتوقيع رسميـــا على الميثاق المعقود بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية . وينوه المجلس العام بأن الميثاق يقدم في مبادئه تعبيرا تاما عن آراء المنظمة الصهيونية العالمية كما عبرت عنها قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ومقررات المجلس الصهيوني العام » .

لقد استغرق توقيع الميثاق ما لا يقل عـــن ثلاث سنوات من تاريخ انعقاد المؤتمـــر الصهيوني الثالث والعشرين واتخاذه للقرارات المتعلقة بوضع المنظمة الصهيونية في ظل دولة اسرائيل . واستكمالا لابعاد الصورة التي نتوخى رسمها للحركة الصهيونية ، رأينا ادراج الميثاق بنصه الكامل في ملاحق هذا الفصل .

لا بد لنا ، قبل الانتقال الى القسم التالي من دراسة الحركة الصهيونية ، من التوقف قليلا عند الدور الذي لعبته المنظمة العالمية على صعيد الشؤون السياسيـــة ، والمشاكل السياسية التي كانت تحف بدولة اسرائيل . فالنشاط السياسي الذي درجت احدى دوائر الوكالة اليهودية (الدائرة السياسية) على ممارسته قبل قيام اسرائيل انتقل في الظاهر على ما يبدو الى وزارة الشؤون الخارجية . ذلك ان المنظمة الصهيونية العالمية لجأت الى استبدال الاسم فقط . فجعلت « العلاقات العامة » وتنميتها بديلا لما كان يدعى في السابق بـ « النشاط السياسي » . والاطلاع على سير المناقشات خلال اجتماعات المجلس الصهيوني العام في تلك الفترة يزود الباحث بفكرة واضحة عن الصيغة الجديدة لممارسة « العلاقات العامة » .

ففي مطلع الخمسينات (أوائل شهر نيسان ، ١٩٥١) نظر مجلس الامن الدولي بقضية اقدام اسرائيل على تجفيف بحيرة الحولة ، وأصدر قراره الداعـــي الى ايقاف أعمال التجفيف . كما باشرت اسرائيل في تنفيذ مشروعها الرامي الى الاستيلاء على مياه نهر الاردن وجرها لري منطقة النقب . وفي منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٥٣ ، ليلة ١٤ ــ ١٥ منه ، شنت اسرائيل اعتداءها الوحشي على « قبية » وارتكبت مذبحة أخرى ضد سكانها الآمنين من العرب . فكتبت مجلة « تايم » الاميركية تقول ان نظارة الخارجية الاميركية اعلنت عن تجميد المساعدة الاقتصادية الى اسرائيل ــ وهي التي بلغت قيمتها

٦٥ مليون دولار في العام الفائت ــ حتى يتوقف الاسرائيليون عن متابعة الاشغال التي باشروها لتحويل قسم من مياه الاردن واستخدامهـا لاغراض الري وتوليد الطاقـة الكهربائية .

ازاء هذه الخلفية الزاخرة بالاحداث والاعتداءات ، وحيال الاستهتار الاسرائيلي المكشوف بقرارات مجلس الامن ، ينبغي النظر الى مواقف الحركة الصهيونية ابان تلك الفترة . والمناقشات التي دارت في اجتماعات المجلس الصهيوني العام تكشف بعض النواحي البارزة من نشاط الحركة الصهيونية في الميدان السياسي .

فقد أعلن عضو المجلس وممثل الصهيونيين العموميين في اسرائيل ــ سام سيغال ــ في معرض الاعراب عن اقتناعه بوجوب فتح ابواب الحركة الصهيونية امام اليهود غـير المنتمين الى أحزاب صهيونية ، ما يلي : « ان الاحداث الاخيرة في اسرائيل والمتعلقة بحادثة قبية ومشروع تطوير الاردن أظهرت لنـا مقدار حاجتنا الكبرى الـى العطف اليهودي ، ولا سيما غير اليهودي منه ، في كفاحنا السياسي على المسرح الدولي » . ودعا الحركة الصهيونية خارج اسرائيل الى القيام بتنمية « العلاقات العامة » على غرار ما كان يدعى في السابق بـ « النشاط السياسي » .

بينما اقترح رئيس لجنة النشاطات في اسرائيل اعتبار المشكلة الرئيسية التي تواجه الحركة الصهيونية في اللحظة الراهنة بأنها تنطوي على « كيفية تجديد حركة الهجرة » . ومما قاله في هذا الصدد : « لا يسعنا الا تقديم جواب واحد على الخطر العظيم الذي يواجهنا . وهذا الجواب يكمن في تقوية الدولة وتدعيمها اقتصاديا وسياسيا ، وزيادة سكانها » .

وعندما طرحت « لجنة المشاكل السياسية لدولـة اسرائيل » علـى أعضاء المجلس الصهيوني العام مشروع قرار بشأن الموقف الصهيوني من الدول الغربية التي جـرى اتهامها بمحاولة شراء تأييد البلدان العربية والتآمر على حق اسرائيل في التطور الحر ، شهد اجتماع المجلس نقاشا عنيفا حول مضمون القرار وكيفية صياغته بلهجة قوية . فاقترح جاكوب هزان ــ عضو المابام في اسرائيل ــ ادخال التعديل التالي على مشروع القرار ليكون بمثابة التوطئة له : « أن الحركة الصهيونية ، بصفة كونها الممثلة لجميع اليهود في كافة أنحاء العالم من الذين ينشدون التحرر القومي عن طريق التركز الاقليمي ، ينبغي لها تبني سياسة من شأنها أن تبعدها عن دائرة النزاع القائم بين الكتل العالمية المتنافسة . وهي اذ تنطق بلسان شعب مجزأ ومشتت بين مختلف البلدان والانظمة ، لا يسعها ككل أن تحقق رسالتها الا متى تحاشت الانجرار الى ميدان الحرب الباردة . هذا هو الاتجاه الاوحد الذي يمكنها تبنيه ، لكي تستطيع الحفاظ على صلاتها مع كافة قطاعات الامة المبعثرة ، ومضاعفة احتمالات تجميع المنفيين » .

أما ممثل حيروت ــ هاتزوهار ، القادم من الولايات المتحدة لحضور اجتماعات المجلس ، فقد اقترح التعديل التالي على مشروع القرار « ان المجلس الصهيوني العام ، تمشيا مع أهداف الصهيونية ــ وهي : حل المسألة اليهودية ، وبقاء الشعب اليهودي واحياؤه ، وبلوغ حقوق الشعب اليهودي وضمان مصالحه في أرض اسرائيل ــ يقرر بأن تنشىء اللجنة التنفيذية دائرة سياسية للقيام بنشاط واسع النطاق في حقل الاعلام السياسي داخل العالمين اليهودي وغير اليهودي ، وفي الاوساط السياسية النافذة التي تؤلف مصدر الثقة » .

لكن مشروع قرار اللجنة فاز بأكثرية الاصوات . ورغم سقوط التعديل الذي اقترحه أعضاء المابام ، مثلا ، فقد صوتوا الى جانب مشروع القرار الاصلي . ولجأ جاكوب هزان الى تبرير هذا التراجع بقوله : « نظرا للخطر البالـغ الذي يواجهنا ، وبحكم

الضرورة والالتزام في التعبير عن التضامن الحازم برص الصفوف الصهيونية دفاعا عن قضيتنا ، عمدنا الى التصويت لصالح القرار » .

وفي دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام من ٢١ الى ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٥٤ ، تبدل اسم « لجنة الشؤون السياسية » فصارت تعرف باسم « لجنة العلاقات العامة » ، وتضم ٨ أعضاء بالاضافة الى أعضاء البريزيديوم . بينما رحبت لجنة الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية (لجنة الميثاق) بالامتيازات التي منحتها حكومة اسرائيل للوكالة اليهودية والمؤسسات التابعة لها . فالرسائل المتبادلة بين رئاسة الوزراء ورئيس اللجنة التنفيذية تشير صراحة الى الامور التالية : أولا — منح الوكالة اليهودية (المنظمة الصهيونية) ومؤسساتها الوضع القانوني الذي تتمتع به المؤسسات الحكومية . ثانيا — اعطاء الرئيس والاعضاء في كل من اللجنة التنفيذية الصهيونية والمجلس الصهيوني العام صفة رسمية في الاحتفالات والمناسبات الرسمية ، بحيث يكون التسلسل في الاسبقية كما يلي : يأتي كل من رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ورئيس المجلس الصهيوني العام بعد اعضاء الحكومة مباشرة . ويتساوى اعضاء اللجنة التنفيذية مع نواب الكنيست ، بينما يلي هؤلاء أعضاء المجلس الصهيوني العام بشكل مباشر . ثالثا — تعتزم الحكومة البت بمسألة اعفاء المنظمة الصهيونية من الضرائب قبل اختتام السنة المالية .

وعلى الرغم من هذه « الامتيازات » والنصوص « القانونية » الموضوعة بقصد الفصل الشكلي بين الحكومة الاسرائيلية والمنظمة الصهيونية العالمية ، فان الثانية تخضع فعليا لسلطة الاولى وتعمل في خدمتها . أما الاساس العقائدي الصهيوني الذي يتجلى في كافة ما طالعنا من قرارات وقوانين أو مواثيق لتحديد العلاقة العملية بين الدولة والمنظمة ، فيمكن ايراده على النحو الاتي : أ — كل اليهود في العالم يؤلفون أمة واحدة ، ب — دولة اسرائيل هي الممثل الشرعي لذلك الجزء من الامة القاطن في « صهيون » (اسرائيل) ، ج — والمنظمة الصهيونية هي الممثل المفوض للامة القاطنة في أمكنة أخرى من العالم قاطبة ، د — ان « الدولة » و « المنظمة » هما ممثلان « متساويان في المنزلة » للامة الواحدة ، وبناء عليه تستطيعان ابرام المواثيق والدخول في معاهدات ، والتعاون فيما بينهما لاجل غاية مشتركة .

ملحق : القرارات التي تبناها المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون حول القضايا الاساسية للصهيونية

القضايا الاساسية

مهمة الصهيونية : ان مهمة الصهيونية هي كما يلي : تقوية دولة اسرائيل ، وتجميع المنفيين في أرض اسرائيل ، وتنمية وحدة الشعب اليهودي .

برنامج عمل المنظمة الصهيونية العالمية : ان برنامج عمل المنظمة الصهيونية العالمية هو كالاتي : (أ) تشجيع الهجرة ، واستيعاب المهاجرين وادماجهم ، وتدعيم هجرة الاحداث والشبيبة ، وتحريك الاستيطان الزراعي والتنمية الاقتصادية ، والاستحصال على الاراضي باعتبارها ملكا للشعب ، (ب) العمل المكثف في سبيل الريادة الطلائعية وتدريب الرواد الطلائعيين («Chalutziut», «Hachsharah») ، (ج)تنسيق الجهود الرامية الى تسخير الاموال واستخدامها في سبيل تنفيذ مهمات الصهيونية ، (د) تشجيع عمليات توظيف رؤوس الاموال الخاصة ، (هـ) تنمية الوجدان اليهودي عن طريق نشر الفكرة الصهيونية وتقوية الحركة الصهيونية . وبث قيم اليهودية والتربية العبرية ، ونشر اللغة العبرية ، (و) تعبئة الرأي العام العالمي لصالح اسرائيل والصهيونية ، (ز) المشاركة في الجهود الرامية الى تنظيم الحياة اليهودية وتكثيفها ، على اسس ديمقراطية . وصيانة الحقوق اليهودية والدفاع عنها .

ملحق : مختارات من القرارات السياسية التي تبناها المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون (١٩٥١) في القدس

« قامت دولة اسرائيل نتيجة التوق القديم لدى الشعب اليهودي الى الانبعاث الروحي في وطنه ... »

« ان الدولة (اسرائيل) هي التعبير الاسمى عن ارادة الامة اليهودية في الخلاص ، وتجسيد للشراكة الخلاقة بين جميع قطاعات الامة ... »

« ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، وهو اول مؤتمر يعقد في القدس ، يبعث بتحياته الابتهاجية الى حكومة اسرائيل والكنيست : الى الممثلين الشرعيين للامة القاطنة في صهيون » .

« مع قيام الدولة ، أخذت مؤسساتها الرسمية على عاتقها المهمة والمسؤولية في تسيير دفة سياستها وتحديد علاقاتها مع أمم العالم » .

« ان هذه السياسة ، التي ترتكز على رغبة الدولة في السلام مع أمم العالم ومع البلدان العربية المجاورة ، بغية تعزيز سيادتها وامنها وضمان الامكانية التامة لتطورها الدينامي — تحظى بالتأييد الكامل من جانب الحركة الصهيونية والشعب اليهودي كله ، وسوف تستمر في الحظوة بهذا التأييد » .

« ان الحركة الصهيونية سوف تقف بعزم وثبات الى جانب دولة اسرائيل وحكومتها في جهودهما الرامية الى زيادة التفهم والعطف على دولة اسرائيل ومهماتها التاريخية » .

نداء الهجرة : « ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يناشد تلك الجماعات اليهودية التي لا تزال الهجرة من وسطها الى اسرائيل على نطاق صغير ، ولا سيما الجماعات الموجودة في نصف الكرة الغربي ، الانضمام الى حركة الهجرة صوب اسرائيل . هذا النداء موجه بنوع خاص الى الشبيبة في تلك الجماعات .

فالمنظمة الصهيونية والهيئات القائمة في البلدان المعنية مطالبة بالحاح للتشجيع والمساعدة في تنظيم النشاطات لاجل زيادة الهجرة الى اسرائيل من أوساط تلك الجماعات . على ان تعطى الافضلية لهجرة الرواد الطلائعيين من الشباب ، والاشخاص من أصحاب المهن والمهارات ، والذين يملكون الوسائل المالية » .

ملحق : قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) بشأن « غزو الجماعات اليهودية » في العالم وتجنيد ابنائها في خدمة اسرائيل تحت ستار «الريادة» والتثقيف العبري والنشاطات التربوية .

الريادة الطلائعية

تثقيف الشبيبة بروح التحقيق الصهيوني : يعلن المؤتمر بأن تثقيف جماهير الشبيبة اليهودية في الشتات وتوجيهها صوب التحقيق الصهيوني للذات ، واستحسان القيم الثقافية العبرية ، واستيطان الاراضي الخراب ، وحياة العمل ، والاستيطان الزراعي وانجاز المهمات الحيوية لخير الشعب اليهودي ولصالح الدولة — تؤلف كلها في هذه اللحظة بالذات : المهمة الرئيسية والهدف المحوري للحركة الصهيونية العالمية . ويوعز المؤتمر الى اللجنة التنفيذية الصهيونية والى المنظمات الصهيونية في كافة انحاء الشتات بأن تجعل من تثقيف الشبيبة اليهودية على مهمات الريادة الطلائعية ومن تأدية واجباتها نحو الشعب والدولة محط اهتمامها والمجال الرئيسي لنشاطاتها .

تدريب الرواد الطلائعيين في الشتات : يؤكد المؤتمر بأن التدريب على الريادة الطلائعية لا يزال ، حتى بعد انشاء دولة اسرائيل ، بمثابة الوسيلة الاكثر فعالية لاعداد الشبيبة اليهودية في الشتات على القيام بأعمال ريادية وطلائعية في اسرائيل .

ومن بالغ الاهمية أن يصار الى غرس القيم المتأصلة في العمل الريادي — الاستيطاني في نفوس الشبيبة وهي لا تزال في الشتات .

ان اللجنة التنفيذية والمنظمة الصهيونية ، كل منهما مدعوة الى انشاء شبكة واسعة من مزارع التدريب الزراعي في جميع بلدان الشتات..

التربية والثقافة في المنفى

النشاط الثقافي والتربوي : أهدافه وطرائقه : ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين — وهو أول مؤتمر يعقد في دولة اسرائيل — يعتبرها من الضرورات التاريخية أن يتم تطوير الصلات الثقافية والتربوية بين دولة

اسرائيل والشتات ، لكي يصار الى تعميق الوجدان اليهودي والى التعجيل بعملية تجميع المنفيين .
هذا الهدف يتم بلوغه عن طريق تقوية المؤسسات اليهودية ، التربوية والثقافية منها ، القائمة حاليا في الشتات ، وبواسطة انشاء مشروعات جديدة واسعة تتناسب مع متطلبات هذه المرحلة التاريخية العظمى .
ان مثل هذا النشاط التربوي والثقافي سوف يستند الى التراث الروحي للشعب اليهودي ، ويرتكز على قيم الريادة الطلائعية والتحقق الذاتي في اسرائيل .

التربية العبرية : يرى المؤتمر انه من واجب كل الصهيونيين تزويد ابنائهم بتربية عبرية .

قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١)

حول الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية

(أ) — يعلن المؤتمر ان النشاط العملي الذي تقوم به المنظمة الصهيونية العالمية وهيئاتها المختلفة في سبيل تحقيق مهماتها التاريخية في أرض اسرائيل يتطلب أقصى درجة من التعاون والتنسيق بينها وبين دولة اسرائيل وحكومتها ، تمشيا مع قوانين البلاد .
(ب) — يرى المؤتمر من الجوهري ان تقوم دولة اسرائيل ، عن طريق الاجراء التشريعي الملائم ، بمنح المنظمة الصهيونية العالمية وضعا قانونيا بصفة كونها تمثل الشعب اليهودي في كافة الشؤون المتعلقة بالمشاركة المنظمة من جانب يهود الشتات في تطوير البلاد وبنائها ، والاستيعاب العاجل للمهاجرين .
(ج) — فيما يتصل بجميع النشاطات التي تجري ممارستها لخدمة مصالح دولة اسرائيل داخل الجماعات اليهودية في الشتات ، انه لمن الجوهري ان تعمل حكومة اسرائيل ودولتها بالتشاور والتنسيق مع المنظمة الصهيونية العالمية .
(د) — انه لمن الضروري ، في كافة المسائل المتعلقة بالتشريع المنتظر من جانب دولة اسرائيل ، وبالنسبة لنشاطات واعمال المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، وممتلكاتهما وموجوداتهما — اجراء تشاور مسبق بين الحكومة ، من جهة ، واللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، من جهة ثانية .
(هـ) ١ — على أساس الوضع القانوني الذي سوف يصار الى منحه للمنظمة الصهيونية العالمية ، فان اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية سوف تكون مخولة الصلاحيات للعمل ضمن المجالات التي تحددها من وقت الى اخر اتفاقية خاصة يجري التوصل اليها مع حكومة اسرائيل . ٢ — يتم تعيين المجالات المدرجة ادناه لممارسة النشاط الصهيوني ، من بين مجالات اخرى ، خلال المرحلة القادمة : أ — تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل ، ب — المشاركة في استيعاب المهاجرين ، ج — هجرة الاحداث والشبيبة ، د — تطوير الاستيطان الزراعي ، هـ — استملاك الاراضي وتحسينها على يد الصندوق القومي اليهودي ، و — المشاركة في مشاريع الانماء . ٣ — ان الهيئة التنسيقية المؤلفة من حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية سوف تأخذ على عاتقها مهمة القيام بتنسيق مجالات النشاط المذكورة اعلاه .

« القانون التشريعي » (Status Law)

كما اقره الكنيست الاسرائيلي في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢

١ — دولة اسرائيل تعتبر نفسها صنيعة الشعب اليهودي بأسره ، وتمشيا مع قوانينها فهي تفتح أبوابها أمام كل شخص يهودي يرغب في الهجرة اليها .
٢ — أن المنظمة الصهيونية العالمية ، منذ تأسيسها قبل نصف قرن ، تصدرت حركة الشعب اليهودي وتزعمت مساعيه الرامية لتحقيق رؤيا الاجيال بالعودة الى وطنه ، مثلما أخذت على عاتقها بمساعدة اوساط وهيئات يهودية اخرى ، عبء المسؤولية الرئيسية في اقامة دولة اسرائيل .
٣ — ان المنظمة الصهيونية العالمية ، والتي هي ايضا الوكالة اليهودية لفلسطين ، تنذر نفسها ، كما فعلت في الماضي ، لتشجيع الهجرة الى اسرائيل ، وادارة مشاريع الاستيعاب والاستيطان في الدولة .
٤ — تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات والتي سوف تتابع

اعمالها في دولة اسرائيل لاستيطان البلاد وتنميتها ، ولاستيعاب المهاجرين من الشتات ، ولتنسيق الانشطة في اسرائيل والتابعة للمؤسسات والجمعيات اليهودية العاملة في تلك المجالات .

٥ — ان مهمة تجميع المنفيين ، وهي الواجب المحوري لكل من دولة اسرائيل والحركة الصهيونية في ايامنا هذه ، تتطلب الى الشعب اليهودي في الشتات ان يستمر في بذل الجهود . ولذا فان دولة اسرائيل تتطلع صوب مشاركة جميع اليهود والهيئات اليهودية في بناء صرح الدولة ومساعدة الهجرة الجماعية اليها ، مثلما تعترف بالحاجة الى توحيد جميع الفئات والجاليات اليهودية لهذه الغاية .

٦ — تتطلع دولة اسرائيل الى المساعي التي تبذلها المنظمة الصهيونية العالمية في سبيل تحقيق هذا التوحيد . وعندما تقرر المنظمة الصهيونية توسيع اطارها لاجل هذا الغرض ، وبعد موافقة الحكومة وتصديق الكنيست ، فان الهيئة الموسعة سوف تتمتع بالوضع الشرعي اياه والذي جرى منحه للمنظمة الصهيونية العالمية في دولة اسرائيل .

٧ — ان شروط الوضع الشرعي وشكل التعاون بين كل من المنظمة الصهيونية العالمية — كما تمثلها اللجنة التنفيذية الصهيونية والتي تدعى ايضا بـ — اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين — والحكومة سوف يتم وضعها في ميثاق يجري ابرامه بين الحكومة واللجنة التنفيذية الصهيونية .

٨ — سوف يرتكز الميثاق على بيان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين في القدس ، والبيان الذي ينص على ان البرنامج العملي ، كما تتولاه المنظمة الصهيونية العالمية والوكالات التابعة لها في سبيل تحقيق مهماتها التاريخية في ارض اسرائيل ، يتطلب من جانب المنظمة اقصى درجة من التعاون والتنسيق مع دولة اسرائيل وحكومتها ، تمشيا مع قوانين الدولة .

٩ — تنشأ لجنة لتنسيق النشاطات بين الحكومة واللجنة التنفيذية في تلك المجالات التي تعمل بها اللجنة التنفيذية وفقا للميثاق ، على ان يجري تحديد مهمات اللجنة في نص الميثاق .

١٠ — سوف ينشر الميثاق ، وكل تعديل او تغيير يطرأ عليه بموافقة الطرفين ، في الجريدة الرسمية (الرشوموت) ويصبح ساري المفعول من تاريخ نشره ، ما لم يرد نص لتقديم هذا التاريخ او تأخيره عن موعد النشر .

١١ — اللجنة التنفيذية هي شخصية قانونية ويحق لها ابرام العقود والاستحصال على الاملاك ، والاحتفاظ أو التصرف بها ، كما يحق لها ان تدخل طرفا في جميع المعاملات القانونية وغيرها .

١٢ — تعفى اللجنة التنفيذية ، بصناديقها المالية ومؤسساتها الاخرى ، من الضرائب وغيرها من الرسوم الحكومية الالزامية ، وفقا لقيود وشروط ينص عليها الميثاق . ويصبح هذا الاعفاء نافذ المفعول في آن واحد مع الميثاق .

قرار للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين
حول « تركيب الوكالة اليهودية »

« ان المؤتمر يفوض الى المجلس الصهيوني العام صلاحية القيام بدرس مسألة الوجود المستمر للوكالة اليهودية . وتكييف تركيبها بحيث يتلاءم مع الظروف الحاضرة ، ويخوله سلطة التقرير بشأن التغييرات الضرورية على أساس مقترحات اللجنة التنفيذية الصهيونية » .

قرارات حول الصناديق القومية ، ونداءات
جمع الاموال ، والقروض والميزانية

« ان الجهود الهائلة والتي طلب الى الشعب اليهودي والحركة الصهيونية ان يبذلاها لاجل توطيد دعائم دولة اسرائيل بواسطة تجميع المنفيين واستيعابهم ، تجعل من الضروري للمنظمة الصهيونية العالمية ان تحشد الشعب اليهودي في كل مكان للقيام بحملة تعبئة مالية تتناسب مع المهمات العظمى لهذه الحقبة التاريخية . والمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون يعتبر الصندوق القومي اليهودي (الكيرين كاييمت) والصندوق التأسيسي لفلسطين (الكيرين هايسود) بمثابة الادوات لتحقيق هذه المهمات .

الكيرين هايسود :

١ — يعلن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون مرة اخرى بان الكيرين هايسود هو الصندوق المالي الاوحد

لدى المنظمة الصهيونية العالمية لغرض القيام بحملات جمع التبرعات والاموال في الشتات ولاجل اسرائيل . سوف يعطى الكيرين هايسود أولوية بالنسبة لكل حملات الجباية وجمع الاموال لصالح اسرائيل . وسـوف يستمر تنظيم حملات جمع الاموال تحت الاسماء التي تعرف بها هذه الحملات في البلدان المختلفة . أما الكيرين هايسود ، باعتباره الاداة المالية للجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) ، فانه سيوجه من القدس جميع النشاطات المتصلة بمثل تلك الحملات .

٢ ــ ان كل الاموال التي يجمعها الكيرين هايسود بواسطة حملات جمع الاموال سوف تلبي متطلبات ميزانية المنظمة الصهيونية العالمية كما يضعها المؤتمر الصهيوني او المجلس الصهيوني العام . ويجري تخصيص نسبة معينة من مدخول حملات الكيرين هايسود الى الصندوق القومي اليهودي ، على ان يعود للمؤتمر او للمجلس الصهيوني العام أمر تعيين نسبة هذه المخصصات .

٣ ــ يعهد المؤتمر ، لاجل تقوية الكيرين هايسود على تنفيذ مهمته ، الى المجلس الصهيوني العام بان ينتخب في دورته القادمة مجلس مدراء جديدا للكيرين هايسود وعلى اساس المقترحـات المقدمة من اللجنة التنفيذيـة الصهيونية (الوكالـة اليهودية) . ونظرا للظروف الاستثنائية السائـدة حاليا ، فان المؤتمر يخول اللجنة التنفيذية صلاحية الانتخاب الفوري لمجلس المدراء الجديد في الكيرين هايسود ، على ان تستمر ولاية هـذا المجلس حتى الدورة القادمة لانعقاد المجلس الصهيوني العام . سوف يكون اثنان من اعضاء مجلس مـدراء الكيرين هايسود عضوين في مجلس مدراء الصندوق القومي اليهودي ، وتجري تسميتهـم بصورة شخصية . ويقوم على رئاسة مجلس المدراء عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) .

الصندوق القومي اليهودي :

١ ــ يحتفظ الصندوق القومي اليهودي باستقلاله في تأدية وظائفه داخل اسرائيل وفي ممارسة نشاطاته المالية داخل اسرائيل وفي البلدان الاخرى . ويشرف عـلى ادارة الصندوق القومي مجلس مـدراء ينتخبه المجلس الصهيوني العام ، كما هي الحال في السابق .

٢ ــ ان وظائف الصندوق القومي اليهودي في اسرائيل تتألف مما يلي : ــ اقتناء الاراضي بجميع الاشكال ، ــ تطوير الاراضي بكل طريقة ، ــ التحريج ، ــ وغير ذلك من الاعمال الانمائية التي يقررها المجلس الصهيوني العام .

٣ ــ يحتفظ الصندوق القومي اليهودي بحقه في الاستمرار على كافة أساليبه التقليدية لجمع الاموال . وتقوم لجنة خاصة ، يتألف اعضاؤها بالتساوي من ممثلين عن الصندوقين القوميين ، بتحديد طبيعة هذه الاساليب التقليدية في جمع الاموال وتعيين موعدها وشكلها . فيما لو تعذر الوصول الى اتفاق ، يعود اتخاذ القـرار النهائي الى المجلس الصهيوني العام . وسوف تقوم المنظمة الصهيونية العالمية بتمكين الصندوق القـومي اليهودي من تحقيق التوسع الاقصى في حملاته التقليدية لجمع الاموال ، وبالغاء نظام الكوتا المحددة الذي يعمل به في بلدان معينة . ان كل المداخيل الواردة من هذه الحملات التقليدية للجمع سوف توضع بتصرف الصندوق القومي اليهودي ، كما بتصرفه يوضع جزء من مدخول حملات الكيرين هايسود ، تبعا للتخصيص المذكور أعلاه (انظر الفقرة الثانية تحت « الكيرين هايسود ») .

الميثاق (١٩٥٤)

بين حكومة اسرائيل (ويشار اليها ادناه بـ « الحكومة ») واللجنة التنفيذية الصهيونية التي تدعى ايضا باللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (ويشار اليها في النص بـ « اللجنة التنفيذية »)

تم وضعه في هذا اليوم ، تمشيا مع قانون الوضع التشريعي للمنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية ، ١٩٥٢ .

وظائف اللجنة التنفيذية :

١ ــ فيما يلي وظائف اللجنة التنفيذية الصهيونية كما يتضمنها هذا الميثاق : ــ تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل ، ــ التعاون في استيعاب المهاجرين داخل اسرائيل ، ــ هجرة الشبيبة

والاحداث ، ــ الاستيطان الزراعي في اسرائيل ، ــ اقتناء الاراضي واستصلاحها في اسرائيل بواسطة مؤسسات المنظمة الصهيونية : الكيرين كاييمت لاسرائيل (الصندوق القومي اليهودي) والكيرين هايسود (الصندوق التأسيسي لفلسطين) ، ــ المشاركة في انشاء وتوسيع المشاريع الانمائية داخل اسرائيل ، ــ تشجيع التوظيفات لرؤوس الاموال الخاصة في اسرائيل ، ــ مساعدة المشاريع الثقافية ومؤسسات التعليم العالي في اسرائيل ، ــ تعبئة الموارد لتمويل هذه النشاطات ، ــ تنسيق النشاطات في اسرائيل للمؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة ضمن حدود هذه الوظائف وعن طريق الصناديق المالية العامة .

النشاطات في ظل القانون :

٢ ــ كل نشاط يجري تنفيذه في اسرائيل بواسطة اللجنة التنفيذية او بالاصالة عنها على سبيل تأدية الوظائف المدرجة أعلاه ، او جزء منها ، سوف ينفذ وفقا لقوانين اسرائيل وتمشيا مع الانظمة والتعليمات الادارية التي يسري مفعولها من وقت الى اخر ، والتي تتحكم بنشاطات السلطات الحكومية ذات الوظائف المغطية للنشاط المعني او المتأثرة به .

الهجرة :

٣ ــ تتصرف اللجنة التنفيذية في تنظيم الهجرة ومعالجة امور المهاجرين على اساس خطة متفق عليها مع الحكومة أو مصرح بها من مجلس التنسيق (انظر الفقرة ٨) . وسوف يحتاج المهاجرون الى تأشيرات دخول بموجب قانون العودة (١٩٥٠) .

التنسيق بين المؤسسات :

٤ ــ تقوم اللجنة التنفيذية ، بالاتفاق مع الحكومة ، على تنسيق النشاطات في اسرائيل للمنظمات والمؤسسات اليهودية التي تعمل ضمن حدود وظائف اللجنة التنفيذية .

نقل الوظائف :

٥ ــ تستطيع اللجنة التنفيذية ان تقوم بنفسها على تأدية وظائفها او عبر مؤسساتها القائمة او عن طريق تلك المؤسسات التي قد تنشئها في المستقبل . كما يجوز لها الحصول في ممارسة نشاطاتها على التعاون من جانب مؤسسات اخرى في اسرائيل ، شرط الا تعمد الى تفويض أي من وظائفها أو حقوقها بموجب الميثاق دون أخذ موافقة الحكومة ، وشرط الا تقوم بتخويل أية هيئة أو مؤسسة صلاحية تنفيذ وظائفها ، كليا أو جزئيا ، الا بعد ابلاغ الحكومة مسبقا .

تعبئة الموارد :

٦ ــ تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة عن تعبئة الموارد المالية والمادية المطلوبة لتنفيذ وظائفها ، وذلك بواسطة الصندوق التأسيسي والصندوق القومي اليهودي وغيرهما من الصناديق .

التشريع :

٧ ــ تتشاور الحكومة مع اللجنة التنفيذية بشأن التشريع الذي يطال وظائف اللجنة التنفيذية بنوع خاص ، وذلك قبل احالة هذا التشريع الى الكنيست .

مجلس التنسيق :

٨ ــ ينشأ مجلس للتنسيق (ويشار اليه ادناه بـ « المجلس ») وغرضه تنسيق النشاطات بين الحكومة واللجنة التنفيذية في جميع المجالات التي ينطبق عليها هذا الميثاق . ويتألف المجلس من عدد متساو من الاعضاء، لا يقل عن الاربعة ، نصفهم من أعضاء الحكومة التي تقوم بتعيينهم ، والنصف الثاني من أعضاء اللجنة التنفيذية التي تقوم بتعيينهم . يحق لكل من الحكومة واللجنة التنفيذية بين وقت واخر استبدال اعضاء المجلس بغيرهم من اعضاء الحكومة واللجنة .

نشاطات المجلس :

٩ ــ يجتمع المجلس مرة في الشهر على الاقل . ويجوز له تعيين لجان فرعية مؤلفة من أعضاء المجلس ، كما

من غير الاعضاء . ويرفع المجلس ، من حين الى اخر ، الى الحكومة واللجنة التنفيذية تقارير عن مداولاته وتوصياته . ان المجلس ، باستثناء ما ورد ذكره اعلاه ، يقوم بنفسه على تحديد الترتيبات لجلساته ومداولاته.

الاذونات والتسهيلات :

١٠ — يجب على الحكومة ان توعز الى اجهزتها المسؤولة لكي تبادر هذه الاجهزة الى تزويد اللجنة التنفيذية ومؤسساتها بجميع الاذونات والتسهيلات التي يتطلبها القانون للنشاطات الجارية بموجب هذا الميثاق ولاجل تنفيذ وظائف اللجنة التنفيذية .

الاعفاء من الضرائب :

١١ — الهبات والمواريث التي تتلقاها اللجنة التنفيذية او اية واحدة من مؤسساتها سوف تكون معفاة من ضريبة الوراثة . وجميع المسائل الاخرى المتعلقة باعفاء اللجنة التنفيذية ، وصناديقها المالية ومؤسساتها الاخرى ، من دفع الضرائب والرسوم الجمركية وغير ذلك من الرسوم الحكومية الالزامية سوف تكون موضوعا لاتفاقية خاصة بين اللجنة التنفيذية والحكومة . تجري صياغة هذه الاتفاقية في ملحق مربوط بهذا الميثاق في مهلة ثمانية اشهر . لكي تؤلف جزءا لا ينفصل عن الميثاق ، ويسري مفعولها ابتداء من تاريخ توقيع هذا الميثاق .

التبديلات :

١٢ — جميع الاقتراحات لاحداث تبديلات او تعديلات على هذا الميثاق ، او لاضافة شيء عليه ، يجب ان تجري بصورة خطية ، وكذلك اي تبديل او تعديل لهذا الميثاق ، او اية اضافة عليه ، لا تتم الا بصورة مكتوبة.

التبليغ :

١٣ — ان كل « علم وخبر » موجه الى الحكومة يجب ارساله الى رئيس الوزراء ، وكل علم وخبر موجه الى اللجنة التنفيذية يجب ارساله الى رئيس اللجنة المذكورة في القدس .

تاريخ سريان المفعول :

١٤ — يصبح هذا الميثاق نافذ المفعول من تاريخ التوقيع عليه .

رسالة خاصة من الارض المحتلة : مأساة قرى اللطرون الثلاث في ذكراها السادسة

« الجبرتي الصغير »

تلقت « شؤون فلسطينية » الرسالة التالية من صديق في الارض المحتلة ، شاء ان يوقع باسمه المستعار وهي تنشرها في هذا العدد بمناسبة الذكرى السادسة لعدوان ١٩٦٧ .

ان ما كتبته في هذه الرسالة عن مأساة هذه القرى الثلاث ، يالو وبيت نوبا وعمواس ، مقتبس من المنكوبين انفسهم ومن مخاتيرهم : محمود عبد الرحمن جبريل ، مختار يالو ، وجاسر عبد الرحيم محمد ، مختار بيت نوبا ، وحيدر مصطفى احمد ، مختار عمواس . وكنت قد زرت هذه القرى مرارا قبل هدمها ورحت استنطق الطلل البالي بعد الهدم . وكان يرافقني في كل مرة المخاتير وعدد من أصحاب المنازل المهدومة . وكثيرا ما زارني هؤلاء لينقلوا الي اخبارهم ، وما أصاب اهلهم وذويهم .

أما قرية يالو فقد بدأوا بنسف منازلها في الحادي عشر من شهر حزيران ١٩٦٧ حيث نسفوا حوالي النصف منها بالمتفجرات . وأتوا على ما تبقى منها في الثامن عشر من الشهر نفسه ، حيث هدموها بالجرافات . فأصبحت قاعا صفصفا . واما بيت نوبا فقد بدأوا بنسفها بالمتفجرات في ١٤ حزيران ١٩٦٧ وهدموا ما تبقى منها بالجرافات في ٢٨ من الشهر نفسه . واما عمواس فقد بدأوا بنسفها بالمتفجرات في ٢٧ حزيران ١٩٦٧ . واتوا على ما تبقى منها بالجرافات في الثالث عشر من شهر تموز ١٩٦٧ .

وهكذا قضى الاسرائيليون على هذه القرى التاريخية الثلاث بالفناء ظلما وعدوانا . فتشرد اهلها تحت كل كوكب . كثيرون منهم نزحوا الى ما وراء نهر الاردن ، فراحوا يعيشون في عمان وما حولها من مخيمات . وقلة رأت من مصلحتها ان تبقى في المنطقة المحتلة من فلسطين . فاختار فريق منهم (من ابناء يالو) السكنى في رام الله واخر (من أبناء بيت نوبا) في بيت لقيا ، وثالث (من أبناء عمواس) في البيره . ولم يسمح لاي واحد من سكان هذه القرى الثلاث بالعودة الى الديار التي كان يعيش فيها هو واجداده من قبله ، رغم أنهم طلبوا من السلطات الاسرائيلية الحاكمة ان تسمح لهم بالعودة على أن يعيشوا في الخيام او في المغاور والكهوف .

ولم تسمح لهم السلطات الحاكمة ان يأتوا على ذكر قراهم على السنتهم ، او في مخابراتهم . ولكي ينسى المخاتير أنهم يمثلون هذه القرى ، استعادت السلطة منهم اختامهم ، وبدلتها باختام حفرتها هي لهم وكتبت على ختم محمود عبد الرحمن جبريل انه مختار برام الله ، وجاسر عبد الرحيم محمد انه مختار ببيت لقيا ، وحيدر مصطفى احمد انه مختار بالبيره .

ولئن نسيت ، فلا ولن انس ، ان الجنود الاسرائيليين قتلوا وهم يهدمون هذه القرى اثنين وخمسين شخصا بين رجل وامراة : بعضهم لاقوا حتفهم تحت الردم لانهم لم يستطيعوا مغادرة منازلهم بسبب شيخوختهم وعجزهم عن المشيء ،

والبعض الاخر ارضاء لنزوة المتمدئين من الضباط المتمصرين .

وهكذا هدم ١٠٤٦٤ منزلا من منازل هذه القرى التي اصبحت اثرا بعد عين . وتشتت سكانها وعددهم ٩٠١٥٠ شخصا بين رجل وامرأة .

هذه المأساة التي تنبعث اخبارها منذ حدوثها سجلت تفاصيلها في مخطوط اسميته : « مأساة قرى اللطرون » . وقد ترجمته الى اللغة الانكليزية وفي نيتي ان اخرجه للناس ، عندما ينجلي كربنا ، وينسحب الجيش الاسرائيلي من بلادنا التي يحتلها. ورغم انقضاء ست سنوات على هذه المأساة التي لم يفارقني طيفها ، فانني لم استطع حتى الان الاهتداء الى حقيقة الاسباب التي دفعت الاسرائيليين لاقتراف هذه الجريمة النكراء ، الى أن وقعت يدي على كتاب وضعه احد الكتاب الشرفاء من اليهود واسمه عاموس كينان وقد اسمى كتابه « اسرائيل : انتصار ضائع » باللغة العبرية . وقد ترجمته الى اللغة الانكليزية يهودية من بني جنسه تدعى مريم شيموني وتولت نشره دار للنشر في تل ابيب سنة ١٩٧٠ وقد جاء في مئة وست وسبعين صفحة من الحجم المتوسط .

وبدا لي من الاسلوب الذي اتبعه المؤلف في وصف الاحداث التي حدثت في فلسطين انه لا يقر الكثير من المبادىء السياسية التي اتبعها رجال الحكم من بني قومه ، سواء اثناء القتال او بعد وقفه . ومما قاله عن اللاجئين الفلسطينيين قوله : « ان الوقت قد حان لان نعترف بالحقائق . ومن هذه الحقائق التي يجب ان نعترف بها ان اللاجئين الفلسطينيين ، هم في صميم الازمة القائمة بيننا نحن اليهود وبين الشعوب العربية ». وفي فترات اخرى من كتابه قال عاموس ما مؤداه انه ما لم نعترف نحن اليهود بحق عرب فلسطين في الحياة ، فان الخلاف سيظل قائما بيننا وبينهم ، وبيننا وبين العرب أجمعين ، وهذا ما ليس في صالحنا قط .

كان المؤلف احد افراد كتيبة الاحتياط في الجيش الاسرائيلي ، تلك الكتيبة التي عهد اليها بمهمة تدمير قرى اللطرون وازالتها من الوجود . وهي مؤلفة — على حد قوله — من أفراد ينتمون الى جميع الطبقات : عتالين وعمال للبناء ومديري شركات واساتذة مدارس ومحاضرين في الجامعة . ولم يكن هو — اي عاموس — راضيا عن المهمة التي انتدبت اليها كتيبته ، فانتقدها نقدا لاذعا ومريرا . حتى انه وجه الى القائمين على الامر ومنفذي تلك المهمة رسالة جعلتهم يغضبون عليه . وقد ارسل نسخا من نقده وتقريره الى كل واحد من أعضاء الكنيست والى عدد من الصحف العبرية. ونشر في تلك الصحف عددا من المقالات . فرأيت من مصلحة التاريخ أن اترجم ما قاله المؤلف عن هذه المأساة ، مأساة قرى اللطرون ، في الصفحات ١٧ — ٢٣ من كتابه . متذكرا القول المأثور : من فمك ادينك يا اسرائيل . قال عاموس :

« أمرت الوحدة العسكرية التي انتمي اليها ، بعد وقف القتال في حرب حزيران ١٩٦٧ ، ان تساعد الكتيبة التي عهد اليها بتدمير القرى العربية الثلاث الواقعة في منطقة اللطرون . واليك فيما يلي التقرير الذي أعددته عن هذه العملية في بيت نوبا ، والذي بعثت به الى القيادة . وقد ذكرت فيه كيف هدمت هذه القرى واصبحت قاعا صفصفا . وكيف طرد أصحابها منها فاصبحوا لاجئين .

« قال لنا قائد سريتي انه تقرر نسف القرى الثلاث الواقعة في هذا القطاع ، وهي : يالو وبيت نوبا وعمواس . وان قرار النسف هذا صدر لاسباب عسكرية واستراتيجية ، وأسباب تتعلق بالامن . اولا من أجل تسوية قطاع اللطرون وتعديل استقامته ! . وثانيا لمعاقبة القتلة والمجرمين من سكان هذه القرى ! . وثالثا للحيلولة دون انشاء مراكز للمتسللين في مستقبل الايام ! .

« بالامكان دحض هذه الاسباب القريبة من البله والجنون ، والمقصود منها العقاب الجماعي بانها منبعثة عن الاعتقاد بأن المتسلل اذا فقد دارا يلجأ اليها ، فانه لن يجد دارا اخرى يلجأ اليها وينصب فيها كمينا لنا! . وانه لمنطق سخيف هذا الاعتقاد!. كيف لا وهو — اي هذا الاعتقاد السخيف القائل بحرمان المتسلل من دار يلجأ اليها — سيضاعف حتما من عدد الاعداء الذين سيناصبوننا العداء !.

« امرنا ان مهمتنا تنحصر في فحص الدور والمنازل في هذه القرى وتفتيشها تفتيشا دقيقا . حتى اذا ما وجدنا فيها رجالا مسلحين فعلينا ان نعتقلهم اسرى . والاشخاص غير المسلحين ، علينا ان نمهلهم حتى يجمعوا امتعتهم فنأمرهم بمغادرة قريتهم الى قرية (بيت سيرا) القريبة منهم . وقيل لنا أيضا ان علينا ان نحتل المواضع المحيطة بهذه القرى ، لنحول دون عودة سكانها الذين قد

يحاولون العودة الى منازلهم ، عندما يسمعون اذاعة اسرائيل وهي تؤكد (أ) لهم أن في مقدورهم(؟) العودة الى منازلهم . فالامر الذي اعطيناه ينص على أنه من واجبنا ان نطلق الرصاص عليهم على ان يمر من فوق رؤوسهم ، وان نقول لهم : ان الدخول الى القرية ممنوع ! .

« البيوت في بيت نوبا جميلة ، وهي مبنية من الحجر(١) وبعضها من الجمال والترف والرخاء بحيث تضاهي منازل السكنى في المدن الكبرى . وانك لواجد في كل دار كرما مليئا باشجار العنب والمشمش والزيتون ، وهناك ايضا اشجار السرو والوان اخرى من أشجار الزينة التي تزيد هذه القرى رونقا وجمالا . ويبدو ان أصحاب هذه الاشجار كانوا يعنون باشجارهم كما كانوا يعنون بدورهم ومنازلهم عناية لا حد لها . ومن هذه الدور والكروم والاشجار مساحات غير قليلة من الارض يزرع فيها الوان من الخضار وهي — اي الارض — محروثة ومعشبة .

« وقد وجدنا ونحن نفتش البيوت ، ضابطا فدائيا مصريا جريحا ، كما وجدنا عددا من الرجال والنساء العجز . وعندما توسطت الشمس كبد السماء بدأت الجرافات عملية الهدم فراحت الدور تتهاوى وراحت الاشجار أيضا تقتلع من جذورها لا فرق بين شجرة زيتونة مثمرة او شجرة سرو غير مثمرة . فلا تمضي عشر دقائق حتى تكون الدار وما فيها من أثاث ومتاع قد أصبحت ركاما . وهكذا بين غمضة عين وانتباهتها أصبحت القرية كلها طللا باليا . وقد ازداد عدد اللاجئين والمشردين ، لا يدرون ماذا يفعلون ؟ ومن أي اتجاه يسيرون ؟ رجال في سن الشيخوخة ، عاجزون عن المشي ، ونساء عجز يتمتمن في انفسهن ، واطفال في أحضان امهاتهم وصبية صغار يبكون طالبين الماء فامرناهم جميعا ان يتجهوا صوب (بيت سيرا) . فقالوا لنا أنهم حيثما توجهوا ، قوبلوا بالرفض . وهم تعبون ، عطاش ، جائعون . والبعض منهم ماتوا في الطريق . وكل ما كانوا يطلبونه منا . ان نسمح لهم بالعودة الى قراهم . والا فالافضل ان نقتلهم!. هذا ما قاله لنا كثيرون » .

بعد هذا قال عاموس في تقريره : « اننا لم نسمح لهم بالعودة الى قراهم ، وانقاذ ما يمكن انقاذه من امتعتهم . اذ ان الاوامر التي اعطيناها نصت على انه يجب علينا ان نمنعهم من رؤية بيوتهم وهي تهدم . وفيما كان الاطفال يبكون كان عدد منا نحن الجنود ايضا يبكي . وذهب فريق منا لنبحث عن الماء ونسقي العطاش الا اننا لم نجد ماء . وقد مرت من أمامنا في تلك اللحظة سيارة عسكرية فيها ضابط برتبة عقيد ، وضابطان برتبة رئيس ، وامرأة برتبة ملازم . فرجوناهم ان يزودونا بما لديهم من ماء . فتكرموا علينا بصفيحة من الماء . وكان علينا ان ندور بهذه الصفيحة على عدد كبير من البنات والاطفال والشيوخ العطاش . وكانوا يبكون . وقد شاهدت بأم عيني عددا من الجنود ايضا وهم يبكون . وسألنا الضباط الذين كانوا في السيارة : لم كل هذه القسوة ؟ ولماذا نترك اللاجئين الذين دمرت منازلهم يغدون ويأبون ، فلا نتركهم يستقرون على حال فقالوا لنا : خير لهم أن يكونوا كما هم وان يتعذبوا ، فلماذا انتم مهتمون بهم كل هذا الاهتمام ، وتعطفون عليهم كل هذا العطف ؟ أليسوا كلهم عربا ؟ . ولكم سررنا عندما علمنا انه ما كاد ينتهي على هذا الحديث نصف ساعة حتى القى البوليس الحربي القبض على هؤلاء الضباط اذ فتش سيارتهم فوجدوها طافحة بأمتعة نهبوها من هؤلاء اللاجئين الذين هدمت منازلهم ! .

« وما هي الا دقائق حتى امتلأ السهل بالمئات من المشردين الذين نزحوا يتساءلون : لماذا منعوا من العودة الى منازلهم بعد أن قيل لهم انهم احرار يستطيعون العودة اليها . ولم نستطع نحن ايضا ان نفهم السر في ذلك . وقد اشمأزت نفوسنا لما نرى ، وما نسمع من ابتهالات وتوسلات صادرة من اعماق النفوس لهؤلاء المساكين . وراح فريق منا يتساءل : ما هي الحكمة من هدم هذه البيوت ؟ ولماذا لا نحتفظ بها لنسكنها نحن الاسرائيليين ؟ وذهب قائد سريتنا الى مقر القيادة ليسأل القادة عما اذا كان هناك أمر خطي حول ما يجب ان نفعله بسكان هذه القرى الذين هدمت منازلهم ؟ والى اين نرسلهم ؟ وكيف نرتب مسالة نقلهم وايجاد وسائل النقل التي لا بد منها من أجل نقل النساء والاولاد والمواد الغذائية اللازمة لاعاشتهم ؟ ولكن

١ — يثبت هذا القول كذب الزعم الذي حاول الاسرائيليون اذاعته بين الناس ان هذه القرى التي هدموها انما هي قرى قديمة بالية وان بيوتها من طين وانها مائلة الى الخراب . وقد حصلت على صور لدور يالو وهي مبنية من الحجر ومن الاسمنت المسلح .

قائد السرية عاد بعد قليل ليقول لنا انه ليست هناك اوامر خطية وان كل ما علينا ان نفعله هو ان نبعدهم عن المكان الذي كانت تقوم عليه قراهم. وهكذا راح المساكين يسيرون تائهين في الفلاة وفي السهل والوعر كالخراف دون رعاة . وقد اضناهم التعب والعطش ، دون أن يجدوا من يركض للاخذ بيدهم ، وعندما اقبل المساء علمنا ان كذبة طليت علينا . اذ قيل لنا ان الجرافات بدأت عملها بنسف الدور والمنازل في بيت سيرا ايضا . ولهذا فلن يسمح للاجئين الذين هدمت منازلهم في يالو وبيت نوبا وعمواس بدخولها (اي الدخول الى بيت سيرا) . كما قيل لنا أن هدم الدور ونسف المنازل عملية قائمة على قدم وساق ليس في قطاع اللطرون وحده بل وفي القطاعات الاخرى من المناطق المحتلة ويفهم من هذا ان كلمتنا ليست كلمة شرف ، وان سياستنا ليست بسياسة يدعمها المنطق . وبدأ الجنود يتذمرون .

« وراح سكان القرى يضرسون اسنانهم كلما رأوا بيتا انهار او شجرة زوت وانقضت على الارض . وفي الليل رحنا نحرس الجرافات خشية ان يسطو عليها الناقمون . مع العلم ان جميع افراد الكتيبة راحت صدورهم تغلي من شدة الغضب . فان معظمهم ما كانوا يريدون ان يتولوا مهمة كهـذه المهمة .

« وفي صباح اليوم التالي صدر الامر بنقلنا الـى مكان اخر ، دون أن يفهم اي واحد منا لماذا أقدم اليهود على مثل هذا العمل . حتى الاشخـاص الذين وجدوا مبررا لهذا العمل ، فقد قالوا انه كان من الواجب ان يدبر المسؤولون ملجأ للاشخاص الذين دمرت منازلهم وطردوا من ديارهم ، كما كان من الواجب البحث عن مصيرهم بعد الطرد ، الى أين يجب ان يساقوا ، وكيف يجب ان يعيشوا ؟ وكان يجب ان ينقلوا الى اماكن معينة هم وعيالهم وفرشهم وامتعتهم . وما كان أحد منا ليفهم لماذا لم يسمح لهؤلاء الناس بأخذ مدافئهم معهم واغطيتهم التي تقيهم شر البرد وبعض الاطعمة التي تقيهم شر الجوع . حتى الزغاليل والدجاج التي كانوا يقتنونها فقد نفقت تحت الردم . وانقلبت الكروم التي كانت مزروعة في لحظة امام اعيننا الى خراب. وكنا نرى الاولاد يجرون أنفسهم جرا في الطرقات باكين بحرقة والم . فلم يداخلنا أي ريب في أن هؤلاء الصبية سيصبحون بعد تسع عشرة سنـة (فدائيين) وهكذا نكون نحن اليهود قد فقدنا في ذلك النهار (الذي هدمنا فيه بيوت العرب) النصر الذي أحرزناه في حرب الايام الستة .

« في تلك الليلة حصلت على اذن من قائد سريتي ، وجئت الى تل ابيب ، حيث كتبت هذا التقرير على نسخ عديدة ، ارسلت نسخة منه لكل واحد مـن اعضاء الكنيست والى كل شخص من الشخصيات البارزة في حكومة اسرائيل والى كل ضابط مـن الضباط الاركان في قيادة الجيش . فعلت ذلك في وقت كان الجيش قد بدأ في هدم الدور والمنازل العربية في مدينة قلقيليه . فما كاد تقريري يصل الى القيادة ، حتى صدر الامر بوقف الهدم هناك (أي في قلقيليه) وبعد مدة قصيرة بدأ العمل في اعادة بناء ما تهدم منها » .

وقال عاموس في كتابه ايضا ما يلي : « بعد أن ارسلت تقريري ببضعة أيام ، استدعاني قـائد المنطقة اليه وسألني ما الذي دعاني لكتابة تقريري. فحدثته بما رأيت وحاول هو اقناعي ان الامر صدر خطأ (بطريقة غير صحيحة) وليست هناك نيـة للاستمرار في الهدم . ليس هذا فحسب . فقـد زودني بناء على طلبي باذن يخولني التجول فـي المناطق المحتلة بحرية ، لاتأكد بأنه لم يجر اي هدم في تلك المناطق . وباستطاعتي القول الان ان هذه القرى لم يعد بناؤها ، وان سكانهـا مـا برحوا لاجئين !. »

هذا ما كتبه عاموس في كتابه عن مأساة قـرى اللطرون . وقد كان لقوله وقعـه فـي الاوساط الاسرائيلية . ويقول عاموس في موضع اخر من كتابه انه وتسعة عشر من زملائه الجنود الذيـن كانوا منخرطين في صفوف الكتيبة التي تولت هدم القرى الواقعة في قطاع اللطرون ، نشروا فـي صحيفة (هآرتس) مقالا نصحوا فيه حكـام اسرائيل أن يعقدوا صلحا مع الفلسطينيين . قائلين ان هذا الوقت مناسب للتفاهم معهم . وان الطريق الامثل لهذا التفاهم هو تأسيس اتحاد فدرالـي بين الحكومتين الاسرائيلية والفلسطينية. فكان رجع الصدى لهذا المقال ان سرحته الحكومة هو وزملاءه من الجيش . فعادوا الى منازلهم (بخفي حنين)!..

ان عدد سكان هذه القرى الثلاث ، يالو وبيت نوبا وعمواس ، قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان على ما جاء في السجلات الرسمية لحكومة فلسطـين ٩١٥٠ نسمة . وعلى ما قاله لي مخاتير هـذه القرى ١٠،٠٠٠ نسمة . يؤكد لي مخاتير هـذه

القرى ان زهاء اربعة اخماس سكان هذه القرى نزحوا الى شرق الاردن . ولم يبق منهم بعد ان هدمت قراهم سوى الخمس . وهذا الخمس (أي زهاء الفي شخص) بقي في فلسطين : قسم منهم نزلوا قرية بيت لقيا واخرون في رام‌الله والبيره ، وفي القدس نفسها وفي عنانا وقلنديا ، وفي بيتونيا وبيت عور التحتا . وبعضهم ذهب الى بيت جالا .

ذكرت ما أصاب هؤلاء اللاجئين بعد هدم قراهم ورحيلهم عن منازلهم وكيف أن الاسرائيليين منعوا وكالة غوث اللاجئين والمؤسسات الدولية الاخرى من تقديم العون لهم في المخطوط الذي اسميته : (مأساة قرى اللطرون) . وراح الاسرائيليون بعدئذ يلجأون الى مختلف وسائل الضغط لاجبارهم على نسيان قراهم والتخلي عن حقهم فيها . الا ان هؤلاء السكان ومخاتيرهم رفضوا الاذعان وظلوا صامدين . واصروا على مطالبة سلطات الاحتلال الاسرائيلية كي تسمح لهم بالعودة الى منازلهم التي عاشوا فيها وعاش فيها من قبلهم آباؤهم واجدادهم .

حدثني مختار قرية عمواس في ١٩٧١/٨/٢٥ انهم (اي الحكام الاسرائيليين) طلبوا منه ان يقابلهم. فقابلهم في يوم من الايام في النصف الاول من شهر آب (اغسطس) ١٩٧١ . فعرضوا عليه ان تعوض حكومة اسرائيل على اهالي هذه القرى تعويضا ينسيهم قراهم . شريطة ان لا يفكروا بالعودة اليها . فتعطيهم منازل اخرى (بدلا عن منازلهم) مجهزة بالفراش والماء والكهرباء وجميع وسائل الراحة . فاجابهم قائلا : انه على غير استعداد للبحث في هذا العرض قبل ان يعود النازحون الى شرق الاردن من أبناء هذه القرى ، الى منازلهم في الضفة الغربية . عندئذ تتم المشورة مع أصحاب الحق كلهم ، ويقررون ما فيه مصلحة قريتهم وبلادهم .

وحدثني كثيرون ان الاسرائيليين انشأوا فوق الارض التي استولوا عليها من قرية (بيت نوبا) مستوطنة يهودية اسموها (نوبا) . وقد بنوا عليها مساكن لمهاجريهم . وجروا اليها الماء من جهات مختلفة . من بيارة القرية القديمة (بيت نوبا) . واضافوا اليها الماء من بئر حفروها على بعد كيلومتر من البيارة الى الشمال . كما جروا اليها الماء من بئر كانوا قد حفروها عند باب الواد بعد انتهاء حرب التقسيم سنة ١٩٤٨ . وبهذا تمكنوا من استغلال اراضي بيت نوبا ، حيث زرعوا فيهما مختلف أنواع الفواكه والخضار ولا سيما القمح والذرة الحمراء والبطاطا والبصل والشمام وعين الشمس وما الى ذلك من مزروعات تحتاج الى ري. واما اراضي يالو وعمواس فقد اعدوها لانتاج المزروعات التي لا تحتاج الى ري . ومن ارض يالو انشأوا مزارع واسعة للمواشي والابقار وغرس الاشجار .

ويبدو ان الحكام الاسرائيليين تركوا لسكان هذه المستوطنة اليهود الحرية التامة في معاملتهم مع العرب من سكان القرى المجاورة . حيث نراهم يستولون على ابقارهم ومواشيهم الداشرة ويغرمونهم غرامات كيفية باهظة ، دون الرجوع الى اية محكمة او أية دائرة من دوائر الامن .

مراجعـــات

Israel, the Arabs and the Middle East,
Edited by: Irving Howe and Carl Greshman,
(Quadrangle Books, New York, 1972).

هذا الكتاب الذي نود مراجعته هنـا لا يعـالج موضوعا متماسكـا بعينه ، وانما هو مجموعـة مقالات متنوعة كتبها بعـض الكتـاب المناصرين للصهيونية ، كل على حدة ، تتناول هذه المقالات العديد من المسائل السياسية والاجتماعية التـي تتعلق بالدولة العسكرية الاسرائيلية ، بالمجتمـع الاسرائيلي والمجتمع العربي عموما وبما يسمـى ازمة الشرق الاوسط بابعادها المحلية والعالميـة وامكانيات حلها . ويمكن ادراج كل هذه المواضيع تحت ثلاثة ابواب. (١) اسرائيل كتجربة اجتماعية. (٢) الصراع في الشرق الاوسط . (٣) الملابسات العالمية .

قد يبدو للقارىء لاول وهلة ان الكتـاب ، كمـا يدل عنوانه ، يحاول بموضوعية ان يلقي الاضواء على حركة الصراع في المنطقة وعلى تطورها ومجرى حلها . لكن امله يخيب من المقدمة بالذات . يقول ارفينغ هو وكارل غريشمان في مقدمتهما : « ان بقاء اسرائيل هو اسبقية كبرى بالنسبة لاي امرىء يحرص على الديموقراطية ... لاننا نعتقـد ان بقاء اسرائيل الديموقراطية انمـا هـو ضرورة سياسية اخلاقية ملحة . » (ص ١) يتضح لنا هنا ، بصورة مباشرة ، مدى تشبع الاراء المعروفـة في هذا الكتاب بالايديولوجيا الصهيونية ، رغم ان مؤلفي الكتاب يطرحون افكارا تدعو ، في الظاهر، الى السلام والمحبة والعدول عن استخدام العنف مع اسرائيل ، وسيرى القارىء فيما يلي ان هذه الدعوة المحـايدة الى « السلم والسلام » ليست فعليـا الا وجها اخـر لتأييد ودعم اسرائيـل في عملياتها العدوانية لبقائها الضروري » . وينطبق نفس الشيء على تسمية اسرائيل بـ « المجتمـع الديموقراطي»، لان الدولة الاسرائيلية واستعمارها الخارجي والداخلي امران متلازمان ، ولا يزول الثاني الا بزوال الاول . وقد يلقى هذا الاتجـاه « الاخلاقي » الذي يناشد الضمير صدى في الغرب حيث الدعاية الصهيونية ما زالت سائدة ونافـذة الى حد بعيد . ولذا من الضروري استجـلاء الحقيقة الموضوعية ونشرها مساهمة في انتهـاج خط اعلامي جديد . ومن هنا يترتب علينا ان نتناول كل مقالة على حدة ونناقش الافكار الرئيسية التـي تتضمنها ، والتي تشكل محور البحث في الكتاب ككل .

يستعرض والتر لاكوير في مقالته « الصهيونية ، النقد الماركسي واليسـار » آراء ونظريات العديد من المفكرين الماركسيين ويعرض تاريخ نقد الصهيونية من ماركس حتى دويتشر ، ولكنه يخلص الـى نتيجة واحدة مفادها : « ان مسألة ما اذا كانت الصهيونية فكرة جيدة ام سيئة لم تعد ، مع نشوء الامة اليهودية ودولة اسرائيل ، مسألة ذات اهمية سياسية مباشرة . فالامة والدولة قد اصبحتـا حقيقة واحدة ، بغض النظر عن سرور البعض وانزعاج غيرهم . » (ص ١٧) . يود لاكويـر بطريقة اخرى ان يقول ان الصهيونية حقيقة أبدية لا جدوى من النضال ضدها ! ، ان هـذا الرأي مناقض تماما للواقع ، لواقـع ان الجماهـير الفلسطينية والعربية قد حملت السلاح بعد حزيران لكي تدافع عن نفسها وتناضل ضد الصهيونيـة وطبيعتها الاستعمارية العدوانية . ان لاكويـر يتجاهل هذا التحول الهام الذي طرا على المنطقـة والذي يحمل في طياته عوامل انفجار اخرى تهـدد الدولة الاسرائيلية نفسها . وهذه الهالة التـي وضعها لاكوير على الصهيونية ، نجدها ايضا في مقاله « مشاكل الاشتراكية الاسرائيلية » للكـاتب بن هالبرن ، حيث يقدم لنا المجتمع الاسرائيلـي كمجتمع اشتراكي وهو بهذا الصدد يعتمد علـى

تجربة الكيبوتز والهستدروت وعلى الطابع الجماعي الذي يحمله كل منهما . اذ انه يقول : « ان السبب الضمني للشكوك التي تتعالى بصدد الاشتراكية الاسرائيلية هو انها اذا كانت اشتراكية ، فانها اشتراكية متحققة ، واكثر انها اشتراكية متحققة ضمن ظروف الحرية والارتباط المباشر بقضايا المجتمع الصناعي الحر. والنجاحات الصهيونية الاشتراكية ، اي الكيبوتز والهستدروت ... » (ص ٦٧) . ان هذه النظرة تتنافى والواقع لان الاشتراكية هي ، بالدرجة الاولى ، الغاء الطبقات والاستغلال والحروب . وهذا ما لا يخلو منه المجتمع الاسرائيلي . كما ان تملك الدولة الجماعي لوسائل الانتاج لا يعني الاشتراكية بحال من الاحوال ، بل هو تعبير عن سلطة ذات طابع توتاليتاري (كلي الاستبداد) . وقد اتبع حاييم باركي في مقالته « الكيبوتز : تجربة اشتراكية مصغرة » نفس الشيء تقريبا ، فهو يقول : « ان المساهمة العينية للكيبوتز في التجربة الانسانية لهي بدون شك محاولة لتطبيق المبادىء الاشتراكية على الممارسة اليومية في اطار جمعيات مبنية على اساس العضوية الطوعية » (ص ٧٣) . ان الطابع الجماعي للمؤسسات الاسرائيلية لا يدل بحال على الاشتراكية ، وانما هو فعليا محاولة من الدولة الاسرائيلية لتنظيم الحياة الاجتماعية حسب ما تتطلبه مصالحها العدوانية الخارجية التي تدفعها دوما الى تثبيت هذه الصفة الاجتماعية على مختلف المؤسسات .

وفي مقاله « صور من اسرائيل : نظرة شخصية » يقول الكاتب رونالد ساندرز : « ان تأسيس دولة اسرائيل في ١٩٤٨ قد عبر بالتالي عن تحقق فكرتين جوهريتين : التحرير اليهودي والاشتراكية الديموقراطية ... » بل انه يذهب أبعد من ذلك ويقول : « وحتى لو انفتحت آفاق حياة يهودية جديدة في اوروبا وامريكا ، فان التجربة المريرة قد برهنت ان الضمانة المستقبلية الوحيدة للشعب اليهودي ككل ، ثقافيا وماديا ، تكمن في الوجود المستمر لمجتمع مستقل ذاتيا ، حيث يمكن لبعض اليهود على الاقل (...) ان يعيشوا ويضربوا بجذورهم في ارض خاصة بهم » (ص ١٠٢) ان الكاتب يعبر هنا عن الطابع الاستعماري للصهيونية ورغبتها في البقاء حتى ولو على حساب شعوب اخرى ! فهل بالامكان امام هذا الامر ان نسمي المجتمع الاسرائيلي مجتمعا حرا ؟؟ وعلى سبيل المثال : فقد طردت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا شابين يهوديين من اسرائيل لانهما عارضا الحرب ضد العرب . وبالتالي فالجهاز العسكري الاسرائيلي يقمع باستمرار السكان العرب ويستولي على اراضيهم ويرحلهم من اماكن عيشهم . فهل هذه الظواهر هي حقا ظواهر «ديموقراطية» ؟؟!!!

ويحاول الكاتب جوزف نير في مقالته « اسطورة « الخطيئة الاصلية » للصهيونية » ان يشيع التخاذل في الصفوف ويحبط الجهود . فهو ينهي مقالته قائلا : « في الوقت المناسب ، سيتبين ان اسرائيل وبالاصح الصهيونية ، ليست شريرة ، وسيدرك الجميع ان الامل بتحطيم اسرائيل محكوم عليه بالذبول . » (ص ١٥٦) . واضح هنا ان الكاتب يريد ان يريحنا من «عناء البحث والنضال»، بل انه يتابع قائلا ان الظروف الوليدة تشهد بشكل واسع امكانية تعاون بين اسرائيل والعرب . لكن هذا التعاون وهذا الحل الاستسلامي الانهزامي ان تم ، فهو سيكون من شأن الحكومات المتخاذلة لا من شأن الشعوب التي لا ترضى بديلا من حريتها وحقها في الوجود الحر . وتؤكد ماري سيركين في مقالتها « اللاجئون الفلسطينيون » نفس الفكرة قائلة : « ان مثل هذه الدولة الفلسطينية (المقصود الدولة المقترحة لحل مشكلة اللاجئين) ستوفر قومية فلسطينية جديدة وفي ظروف السلم سينتج منها اقتصاديا تعاون مع اسرائيل » (ص ١٨٥) . ان هذا الامر يحفل بالملابسات لان المشكلة تظل بقاء الصهيونية ، هذا البقاء الذي لن يمنعها من العدوان والاعتداء على السكان العرب. ومثل هذه الحلول الوسطية قد اثبتت تاريخيا عدم جدواها .

ويقول جوليوس ستون في مقالته « تقرير المصير والفلسطينيون العرب » : « يبقى واقع ان الاردن هو البلد الذي يحوز ، تاريخيا وديموغرافيا ، على مفتاح حل المسألة الفلسطينية » . (ص ٢٢٣) ان هذا الطرح وهذا المنظور لحل ازمة الفلسطينيين هو من ناحية جزئية صحيح كون الفلسطينيين قد اتحدوا تاريخيا مع الشعب الاردني ويشكلون اليوم ٦٠ ٪ من السكان . لكن الامر يبقى ناقصا اذا ما تجاهلنا ظروف المنطقة العربية التي تتطلب اليوم حلا شاملا . فمشكلة اسرائيل تمس مباشرة الفلسطينيين ولكنها ايضا

تمس الشعب العربي في كل مكان . كما ان الكاتب يتغاضى عن احداث أيلول وما برهنته من حقائق باتت معروفة للجميع .

وفي مقالة « الحريات المدنية في اسرائيل » ، يلقي الكاتب الان ديرشويتز الاضواء على الصراعات الاجتماعية داخل المجتمع الاسرائيلي وعلى ترعزع الديموقراطية الاسرائيلية . وينتهي الى هذه النتيجة : « لقد حاولت ان اعرض صورة واضحة عن كيف أن مجتمعا ديموقراطيا مهددا بالخطر من الخارج والداخل يفهم مهمة موازنة مصالح الحرية والامن » (٢٩٨) . ثم يتابع قائلا : « ... ان اسرائيل ، عندما تسجن ١٥٠٠٠٠ من مواطنيها العرب الذين يعدون ٣٠٠٠٠٠ انما تخاطر اليوم مخاطرة جسيمة . » (٢٩٩) وهذا ما يشكل عاملا مساعدا على دفع هذه الصراعات الداخلية الى نقطة تقف فيها الدولة الاسرائيلية «مرتبكة». ليس هذا فحسب ، بل ان اسرائيل ترتبك اكثر من نمو اتجاهات المعارضة داخلها ووجود المنظمات اليسارية التي نقضت ثوريا الايديولوجيا الصهيونية وطرحت حلا للصراع من وجهة نظر مصالح العرب واليهود .

وفي الكتاب مقالة تتناول تاريخ الاستعمار في الوطن العربي منذ العهد التركي والاسباب التي عاقت دون لحاقه بانجازات المجتمع العربي من حيث الصناعة الكبرى ، هي مقالة شلومو افنيري « التحديث والمجتمع العربي » . يقدم افنيري سببين رئيسين لتخلف المجتمع العربي وبقاء الاشكال العتيقة التاريخية ، هما غياب القاعدة الشعبية الاجتماعية الفعلية والتوقع الذاتي . يقول : « ظلت القومية العربية سياسة صرف ، تعتمد على التقليد والجيش » (ص ٣١٠) وبعد عدة اسطر يقول : « لم تفشل في استئصال اسرائيل وحسب، بل ايضا في انجاز الوحدة السياسية . فالافكار الاجتماعية ظلت ايديولوجيا صرف ، لا دافعا الى الممارسة الاجتماعية . فالطبيعة العسكرية — البيروقراطية للنظام المملوكي القديم قد ظلت على حالها ... » (ص ٣١٠ ، ٣١١) . لا يفسح المجال هنا لبحث العوامل التاريخية العديدة والمعقدة لضعف التصنيع في العالم العربي ، ولكن يكفينا القول هنا ان الكاتب افنيري يجد فيما يقوله مبررا لوجود دولة اسرائيل او بصورة أدق ما يسميه المجتمع الاسرائيلي الصناعي المتقدم . انه يسير حسب قاعدة « البقاء للاكثر تصنيعا » أما الاقل تصنيعا فعليه الخضوع . وحسب المرء ان يذكر مثال فيتنام حتى تتطاير كل هذه الايديولوجيا الصهيونية الاستعمارية التي ترى نفسها معكوسة في مرآة التاريخ الابدي والبقاء الابدي . فالتخلف ليس عائقا امام نضال شعب من الشعوب . بل ان افنيري يطرح حلا عجيبا للمشاكل التي يعانيها المجتمع العربي اليوم ، كما انه يقدم هذا الحل على انه الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط : يقول : « وما لم تنشأ صهيونية عربية ... فان فرص السلام في الشرق الاوسط هي ضئيلة حقا » (ص ٣١١) نجد هنا بوضوح كيف تصبغ الايديولوجيا الصهيونية كل شيء بصبغتها و« تخضع » كل الشعوب لنمطها ، انها تعتبر نفسها نقطة ثابتة لا مرد لها ، منها تنطلق الاشياء واليها تعود . ان فرص السلام في الشرق الاوسط ليست بيد طرف واحد معين ، بل تحددها عدة اطراف هي مشتركة اساسا في حركة الصراع الجارية امام اعيننا .

يقدم مايكل هارينغتون في مقالته « الامبريالية في الشرق الاوسط » كليشهات جاهزة تناقض الواقع تماما . فهو يقدم لنا الامبريالية بوصفها معارضة لنفسها ومصالحها . يقول : « الاستنتاج الذي سينبثق من هذا التحليل هو ان الولايات المتحدة، بقدر ما دعمت حق اليهود في تقرير مصيرهم ، هذا الحق الذي يتجلى في دولة اسرائيل ، فانها قد اتبعت سياسة مضادة للامبريالية » . ان رأي الكاتب هنا غير صحيح اطلاقا فالامبريالية لا يمكن ان تعمل ضد مصالحها ، كما أن الدولة الاسرائيلية لا تجسد حق اليهود في تقرير مصيرهم ، بل «حق» الامبريالية في تحويل شعب معين الى جلاد للشعوب الاخرى . وبعد ذلك يعرض هارينغتون اراء لينين وروزا لوكسمبورغ في الامبريالية « كأعلى مراحل الراسمالية » وكمشية انهيار الامبريالية نفسها . ويخلص هارينغتون من هذا كله الى نتيجة مفادها انه يدعم حق الدولة الاسرائيلية في الوجود والمساعدات الاميركية لها ويقول ان موقفه ازاء الطرفين موقف نقدي .

محمد الكبة

Edgar O'Ballance, **The Third Arab-Israeli War,**
(Faber and Faber, London 1972).
Suleiman A. Schleifer, **The Fall of Jerusalem,**
(Monthly Review Press, New York 1972).

بعد مرور خمس سنوات على نشوب حرب حزيران، ما زالت الكتب تؤلف عنها . وقد سبق للميجر ادغر اوبالانس ان الف كتابا عن الحرب العربية الاسرائيلية الاولى (صدر في ١٩٥٦) ثم اردفه بكتاب عن حرب السويس (صدر في ١٩٥٩) وها هو الان قد الف كتابه الثالث عن الصراع العربي الاسرائيلي . ويحترف اوبالانس تأليف الكتب عن الحروب المعاصرة ، اذ كتب ايضا عن الحروب الاهلية في اليمن ، وكذلك من ثورة الجزائر . ولكنه في كتابه الخامس عن العرب (موضوع هذه المراجعة) لا يبدو وكأنه افاد كثيرا من مرور خمس سنوات على انتهاء حرب حزيران . فكتابه زاخر بالاخطاء الصغيرة والكبيرة ، بينها ما هو ناشيء عن عدم عناية في استقاء المراجع الموثوق بها ، وبينها ما هو ناجم عن سوء النية . فاذا ما طوينا صفحة على الاشمئزاز الذي يشوب لهجته كل ما تطرق الى المقاومة الفلسطينية ، تبقى هناك اخطاء اساسية في كتابه مبعثها الدراسة الخاطئة لما حدث في ذلك الشهر المشهود ، وهي اخطاء كان يمكن تفاديها لو ان المؤلف احسن انتقاء مراجعه . فقد استند هذا الضابط البريطاني المتقاعد الى كتب ايغال الون والكولونيل عيالون (الناطق الرسمي في وزارة الدفاع الاسرائيلي) وشمعون بيريز ويائيل ديان ودافيد كمشه ونداف سفران وشبطاي تيفيت. كما تتضمن قائمة مراجعه كتبا الفها اشخاص يميلون الى اسرائيل بشكل واضح ، مثل ونستن وراندولف تشرشل ، ونستن برديت وولتر لاكير (والاخير هو صهيوني) . وقد تجول اوبالانس في المناطق المحتلة التي دارت فيها المعارك، يصحبه ضباط اسرائيليون شرحوا له التحركات الحربية على الطبيعة . ولا يوجد ما يشير الى ان المؤلف حاول الاتصال بالجانب العربي ليقارن بين الروايتين ، كما ان الكتاب « العربي » الوحيد الذي استشاره هو « حربي مع اسرائيل » المشتمل على تفسيرات وتبريرات الملك حسين لهزيمة جيشه ، وهو كتاب ليس موضع ثقة على الاطلاق .

وكمدخل الى الحدث الرئيسي في الكتاب ، اي الحرب ، يقدم المؤلف خلفية للنزاع تتطابق استنتاجاته منها مع الرواية الاسرائيلية المعدة للاستهلاك الخارجي . فالاسرائيليون « فوجئوا وصدموا بسبب سحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ » . واعتقاد العرب ان الاسرائيليين حشدوا قواتهم على الحدود السورية « كان بدون اساس يستند الى الصحة » (ولا يذكر المؤلف هنا ان كل من اشكول ورابين هدد بالزحف على دمشق في تصريحات نشرت واذيعت في العالم كله) والحرب في نظره وقعت نتيجة للتصاعد في التهديدات المتبادلة وسوء التقديرات من الجانب العربي . اما ان تكون المؤسسة العسكرية الاسرائيلية قد خططت للحرب منذ سنوات طويلة ، فامر لا يخطر ببال الميجر اوبالانس .

وهناك ايضا اخطاء ثانوية في الخلفية التي يرسمها المؤلف للنزاع لا تدل على انه درس الاحداث والتطورات السياسية في المنطقة بعناية كافية . انه مثلا يتحدث عن « انعزالية العراق عن بقية الاقطار العربية بسبب معارضة هذه الاقطار لرغبته في ضم الكويت » بينما العام الذي هو بصدده هو ١٩٦٦ ، اي بعد ثلاث سنوات على سقوط عبد الكريم قاسم الذي كان يطالب بالكويت . كما انه في موضع اخر يذكر ان فتح كانت في بداية نشوئها تستلم المساعدات المالية من مصر . وكذلك يجعل من الدكتور نور الدين الاتاسي جنرالا . اما الجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهين ، فانه يروي قصته دون خطأ ، ولكنه في النهاية يذكر انه شنق في بغداد (!) وكذلك يستغرب القارىء قول المؤلف ان الاسطول المصري يفوق في الحجم اي اسطول لدولة واقعة على البحر المتوسط ، فاين ذهبت اذن اساطيل فرنسا وايطاليا وتركيا ؟ ثم ان المؤلف لا يكلف نفسه عناء مراجعة الاسماء الصحيحة للمواقع التي جرى فيها القتال ، بل انه بكل بساطة يطلق عليها الاسماء العبرية التي حصل عليها من الضباط الاسرائيليين الذين رافقوه في جولاته بالاراضي المحتلة ، وهي بالطبع اسماء لا توجد الا على الخرائط الاسرائيلية . ولكنه احيانا يورد الاسم العربي للموقع ، كما فعل عندما فسر شرهاغاي في ملاحظة هامشية بان الاسم العربي لها كان (كذا)

باب الواد . الا انه عموما يعتمد على التسميات الاسرائيلية ، وحتى الكلمات العربية التي ترد في كتابه هي منقولة عبر التلفظ الاسرائيلي لها ، ولذا فان « نصر » تصبح « نزار » .

ولا يبدو ان المؤلف اطلع على تاريخ فلسطين اطلاعا كافيا . فهو مثلا يذكر ان القدس حرمت على اليهود منذ عام ١٣٥ بعد الميلاد ، مع انه كانت هناك جالية يهودية دائما في القدس اثناء الحكم الاسلامي . فاذا تركنا التاريخ القديم الى التاريخ القريب جدا، وجدنا ان المؤلف يستعيض عن جهله بالتاريخ بالتحامل على العرب، مع انه لا الجهل ولا التحامل يصنعان المؤرخ الجيد . فعبد الناصر يبرز مرة اخرى في دور البعبع الذي تنطلق جميع الشرور من تحت عباءته ، ومع ان العالم كله سمع بمحاولات عبد الحكيم عامر الثلاث للانتحار ، فان اوبالانس ليس مقتنعا بالتفسير الرسمي للمحاولة الرابعة التي نجحت .

وفي سياق الحديث عن موقف الاقطار العربية من مصر خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ ، يصفه بانه « سنيكالي » ، مع انه لا يطلق هذا الوصف على تواطؤ بلاده مع فرنسا واسرائيل . اي مرة اخرى نجد مؤرخا غربيا يستخدم معيارا اخلاقيا مزدوجا للحكم على الاحداث . الا ان جميع هذه الاخطاء فرعية ، فنقطة الضعف الرئيسية في كتاب اوبالانس تقع في الفصل المتعلق بالحرب على الجبهة الاردنية. اذ هنا يكرر المؤلف جميع الاخطاء التي وقع فيها التشرشلين وبيتر يونغ ، مع الفارق ان الثلاثة الاخيرين نشروا كتابيهما بعد اسابيع معدودة على نهاية الحرب ، بينما اتيحت لاوبالانس خمس سنوات لان يبحث وينقب ويصحح ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك ، كما يبدو . ان خطأه الاساسي يكمن في اعتماده على رواية الملك حسين في « حربي مع اسرائيل » وتبوله لها على علاتها . فقد نسج من الحرب الخاطفة التي دارت في الضفة الغربية ملحمة كبرى ادت الى ان يفقد الجيش الاردني ٦٠٩٤ رجلا بين قتيل ومفقود (وهو الرقم الذي اورده الملك حسين في الكتاب) بل انه زايد حتى على الملك الاردني عندما كتب ان كل جندي تقريبا من خمسين الف الجندي الاردني في الضفة الغربية اما قتل او جرح او اسر ، بينما في الواقع كان الرقم الحقيقي للقتلى الاردنيين (الذي لم تجرؤ السلطات الاردنية على البوح به لضآلته يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قتيل ، اكثرهم من جنود الاحتياط . ولكن لما كانت مصلحة الاسرائيليين تقتضي التهويل من عنف المقاومة التي تعرضت لها قواتهم ، فالمعلومات التي نقلوها الى المؤلف جعلته يقتنع بان الضفة الغربية التي سقطت في ثلاثة ايام كانت مسرحا لمعارك عنيفة جدا ، قاتل فيها الجيش الاردني بضراوة وفقد الالاف من جنوده بين قتلى وجرحى واسرى . وكتبرير لهزيمة هذا الجيش ، يقتفي اوبالانس اثر المؤرخين السابقين ، مثل بيتر يونغ ، في القاء مسؤولية هذه الهزيمة على عاتق الفريق عبد المنعم رياض . ولكن لما كان الملك حسين نفسه قد اثنى على الفريق رياض في كتابه ، فان اوبالانس يتخطى هذه العقبة ليستشهد « بساسة وقادة اردنيين كبار وصفوا القائد المصري بالعناد وعدم الانصات الى رأي الاردنيين وعدم الاعتماد على اي شخص خارج نطاق هيئة اركانه المؤلفة من الضباط المصريين » الا ان هؤلاء « الساسة والقادة الاردنيين » هم في الواقع وصفي التل وحده ، لكن المؤلف اراد اخفاء صبغة الموثوقية على ما يريد قوله عندما جعل من تهجم شخص متحيز حاقد راي جماعة من « الساسة والقادة الاردنيين » ، علما بان هذا الاسلوب في كتابة التاريخ لا يضع صاحبه في ضوء مشرف .

ويتستر المؤلف ايضا على جرائم الاسرائيليين . فانه عندما يكتب عن الكوماندو المصريين الذين تسللوا الى داخل اسرائيل بعد اندلاع الحرب لتخريب المطارات ، يذكر انهم قتلوا في الاشتباكات التي دارت بينهم وبين الاسرائيليين. اما في الواقع، فالاسرائيليون اسروهم واعدموهم رميا بالرصاص ، بشهادة مراسلي الصنداي تايمز في تقريرهما الصحفي المنشور بعد الحرب مباشرة . ويلاحظ القارىء ايضا تشديد المؤلف على « تعاون »السكان الفلسطينيين مع قوات الاحتلال حال دخولها الضفة الغربية ، و « تسليمهم » الجنود المصريين او الاردنيين الذين لجأوا الى بيوتهم ، مع ان هذه هي الرواية الاسرائيلية التي تبغي اقناع العالم بخنوع الفلسطينيين واستسلامهم السريع ، وكان المفروض الا يصدقها مؤرخ عسكري الف حوالي دستة من الكتب .

ان كتاب اوبالانس لا يشكل اضافة جدية الى رف الكتب المؤلفة عن حرب حزيران ، بل هو اجترار للكتب التي صدرت قبله وتكرار للاخطاء المقصودة وغير المقصودة التي وردت في تلك الكتب . ولذا فان كتاب سليمان عبدالله شليفر بمثابة نسمة هواء منعشة تهب وسط اجواء مثقلة بالتحيز والاحقاد

المزمنة . وشيلفر هو يهودي اميركي اسلم واقام في القدس ، وكان فيها عندما اقتحمتها القوات الاسرائيلية . وقد ظهر كتابه ملخصا في ترجمة عربية تعسة عن دار النهار عام ١٩٧١ . اما الان وقد ظهر النص الكامل للكتاب بالانكليزية الاصلية ، فيمكن القول ان هذا هو افضل كتاب صدر عن حرب حزيران حتى الان . كان شليفر شاهد عيان ، تتبع احداث المعركة من اجل المدينة المقدسة ساعة بساعة . الا ان كتابه هو في الواقع عن المأساة الفلسطينية كلها ، وما سقوط القدس الا الحدث الذروة لعملية حربية بدأت منذ نصف قرن بوعد بلفور ، وبدأ التخطيط لها عام ١٨٩٧ بالمؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في بازل برئاسة ثيودور هيرتزل .

لقد امسك شليفر في يده بجميع الخيوط المترابطة فيما بينها ، وعرف كيف يصل عبرها الى اصل الاحداث ويفهم دوافعها الحقيقية . فالحرب الثالثة بين العرب واليهود لم تندلع نتيجة لسوء تقديرات صادرة عن الجانبين ، كما يريدنا اوبالانس ان نعتقد ، بل خططت لها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية منذ سنوات ، وكانت اهدافها الرئيسية هي : الاستيلاء على البقية الباقية من فلسطين ، وانتشال اسرائيل من ازمتها الاقتصادية الخانقة التي دفعت بعدد كبير من الاسرائيليين الى الهجرة (اذ لا شيء افضل من النصر العسكري في رفع الروح المعنوية المنخفضة) وضرب فتح قبل ان يستفحل خطرها . وللتدليل على اهتمام اسرائيل بظاهرة المقاومة الفلسطينية قبل حرب حزيران ، خصص المؤلف فصلا للحديث عن محاكمة المناضل محمود بكر حجازي ، اول فدائي من فتح اسره العدو . وبعد المدخل التاريخي للصراع ، يشرع شيلفر في وضع احجار الفسيفساء في اماكنها الصحيحة لابراز الصورة الشاملة للمجابهة العربية الصهيونية عبر معركة القدس .

عشية الحرب تعيش المدينة في جو ساحر ، اذ بينما ينهمك الاسرائيليون في تخزين الاغذية ، لا تخطر ببال احد في المدينة العربية ضرورة انشاء ملاجيء للحماية من الغارات الجوية ، او تدريب الناس على اساليب المقاومة الشعبية . الجميع ينصتون عبر المذياع الى الخطب الحماسية ، دون ان يتمكنوا من الربط بين الحرب المقبلة وواقعهم هم ، وكأن الصراع سينشب في قارة اخرى . وبينما يتزلج الملك حسين على الماء في ميناء العقبة ، ويحضر انتخابا لملكة جمال ، ينصح بعضهم المؤلف الذي كان آنذاك يعمل رئيسا لتحرير صحيفة انكليزية تصدر بالقدس ، بعدم كتابة مقال افتتاحي يطالب فيه بانشاء المقاومة الشعبية (كما كان يزمع ان يفعل) باعتبار ان هذا المقال سيفترض اجتياح العدو للضفة الغربية ، والذي يفترض ذلك هو خائن وانهزامي .

وبعد زيارة الملك حسين المفاجئة للقاهرة وتوقيعه على حلف دفاع مشترك مع مصر ، ينسى الناس الضربات التي كالها نظامه للحركات التحررية في الاردن ، ويهرعون لرفع سيارته والهتاف له . وفي هذه الاثناء يتوجه احد المواطنين الى مركز الهلال الاحمر ليتبرع ببعض دمه ، استجابة لنداء من الاذاعة ، ولكنه يجد المركز خاليا . وفي هذه الاثناء ايضا يذهب محافظ القدس الى عمان لمقابلة الشريف ناصر طالبا ١٠،٠٠٠ بندقية يسلح بها المتطوعين ، فيرده ناصر قائلا : ارجوك ان لا تتكلم في مثل هذه الامور . نحن لدينا خمسة الوية لحماية القدس ، ورتبنا كل شيء .

ثم يرتفع الستار عن الحرب : فوضى شاملة في الجانب الاردني وعدم استعداد مذهل . الضباط يبدأون في الاختفاء من مراكزهم ، بدلا من الالوية الخمسة التي كانت القيادة قد وعدت بها قائد منطقة القدس الزعيم عطا علي ، لا يوجد الا لواء واحد فقط من المشاة للدفاع عن المدينة المقدسة ، اغلب جنوده من الاحتياطيين الذين جيء بهم من الخليل . وهم غرباء عن القدس ، يجهلون منافذها وضواحيها . وبالاضافة الى ذلك : لا توجد مدافع مضادة للطائرات في المدينة او حواليها ، ولا دبابات ولا مدفعية ثقيلة ولا اسلحة مضادة للدبابات اثقل من عيار ١٠٦ ملم . ولتفادي النقص الفاضح في الجهاز الدفاعي عن المدينة ، تقرر القيادة تسليح عدد من القرويين ودفعهم لاحتلال مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل المكبر . ويعلق شليفر على ذلك بقوله : « لم يكن القرويون مدربين عسكريا (...) ولو وقع الهجوم حسب الخطة لوقعت مذبحة » . كما انه يستشهد بدراسة كتبها ضابط بريطاني عن استعمال المدفعية في حرب حزيران لمجلة المدفعية الملكية جاء فيها : « انه مما يدعو الى الاستغراب عدم افادة المدفعية الاردنية في الجبهة الوسطى من فرص ثمينة سنحت لها . فمنذ بدء القتال كانت قواعد الطيران الاسرائيلي ضمن مدى المدافع الاردنية ذات العيار ١٠٥ ملم ، وكان

باستطاعة الاردنيين انزال الدمار بالطائرات الاسرائيلية عند عودتها لتتزود بالوقود . لكنهم اضاعوا هذه الفرصة ، ولو استغلوها لغيروا مجرى الحرب » .

ويستمر هروب الضباط والجنود من مواقعهم . بل احيانا تنسحب الوية بكاملها من مواقعها ، كما حدث عندما انسحب لواء المشاة بقيادة العقيد كمال الطاهر دون مقاومة ، تاركا موقعه في نتوء اللطرون الذي كان ابان حرب ١٩٤٨ مسرحا لاعنف المعارك. هذه المرة استولى الاسرائيليون على هذا الموقع الاستراتيجي دون خسائر تذكر . ومع ذلك يستلم الفريق رياض تقارير عن الاصابات الاردنية مبالغ فيها كثيرا ، بينما يفيد مستشفى القديس يوسف في القدس بانه لا يوجد بين الجرحى اي ضابط . وفي الواقع يبدأ انهيار المقاومة المنظمة منذ اول يوم للحرب ، فالغذاء والماء لا يصلان الى الجنود في ساحة القتال ، وفي المستشفيات ينشأ نقص فظيع في الادوية والضمادات وحتى الخبز . وفي اثناء ذلك كله تمتلىء الغرف بالجرحى الذين يلعنون المسؤولين في البلاد لقطعهم الجرايات والذخيرة والامدادات عن الجنود اثناء القتال .

واخيرا ينسحب الزعيم عطا علي مع ما تبقى من جنوده ، فتسقط المدينة التاريخية ويبدأ السلب والنهب . وطبعا شليفر هو الكاتب الوحيد الذي يصف بصراحة سلوك الاسرائيليين في ساعة نصرهم ويفضح حقيقة « التآخي بين العرب والاسرائيليين» الذي نوهت به الصحف الغربية.كما يسجل هدم الغزاة لقرية قلقيلية وقطع اشجار الفواكه فيها ، ثم بعد ذلك زرعهم لشجيرات اليوكالبتس السريع النمو مكانها حتى يمكن القول للسياح فيما بعد : انظروا كيف جعلنا الصحراء تخضر .

ولا ينهي شليفر كتابه بانتهاء الحرب ، فالحرب العربية الاسرائيلية لم تشهد خاتمتها في اليوم السادس . والدوريات الاسرائيلية تستمر في قتل العرب الذين يعبرون نهر الاردن في الليل بغية العودة الى ديارهم في الضفة الغربية التي كانوا قد فروا منها بعد الحرب مباشرة ، وبين هؤلاء العرب النساء والاطفال . وعندما يكشف جندي احتياط اسرائيلي النقاب عن ذلك في مقال بمجلة يسارية ، يزج في السجن . ويتابع المؤلف سير الاحداث حتى معركة الكرامة التي يعتبرها نقطة التحول في العمل الفدائي ، ثم يصل في الخاتمة الى استنتاجاته النهائية : الانظمة العربية لا تريد أو لا تستطيع تجنيد شعوبها وتحميلها التضحيات التي يستلزمها نزاع طويل الامد مع اسرائيل يعرض حكمها وامتيازاتها للخطر ، ولذا هي تريد التفاهم مع اسرائيل ، اما الاخيرة ، فالسلم بالنسبة لها يعني المشاركة الاقليمية ، اي حدودا مفتوحة للتبادل الثقافي والتجاري والسياحي والتوظيفات المالية . وهذا النوع من الاتفاق يمكن التوصل اليه حول مائدة المفاوضات . ولما كان الاسرائيليون ما يفتأون يرددون ان على العرب الجلوس معهم ، الى طاولة المفاوضات لاكتشاف كرمهم ، فيمكن لاسرائيل اذا ما ضمنت لنفسها مشاركة اقليمية ممهورة بمعاهدة سلم ان تظهر كرمها بتعويض اللاجئين واعادة جزء صغير منهم الى دياره الاصلية . كما يمكنها ان تمنح الاردن منافذ على المتوسط وتساعده اقتصاديا . ويكتب شليفر : « اذا وجد في التاريخ مثال للعلاقات المتوقعة بين اسرائيل والعرب فهو مثال العلاقات بين الاميركتين: مجتمع مستمر اوربي في الشمال حرم سكان البلاد الاصليين حقوقهم الطبيعية وانتقل بعد ذلك الى جنوب متخلف مكون من مجتمعات هندية الاصل ، فاقام عليها انظمة عسكرية غير ثابتة . فقد قال ابا ايبن من الاذاعة الاسرائيلية : « ما نطمح اليه في علاقاتنا مع العرب هو ليس من نوع العلاقات القائمة بين لبنان وسوريا وانما من نوع العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الاميركية واميركا اللاتينية ، اي التبادل الاقتصادي رغم الفوارق التاريخية واللغوية والثقافية » . اسرائيل تعوزها الموارد الطبيعية والاسواق الواسعة . وعند وقوع الحرب تنشط القاعدة الاقتصادية فتنتج وتزداد التبرعات لاسرائيل في الخارج . ولكن السلام الذي لا يسمح لاسرائيل بالوصول الى الاسواق والموارد الطبيعية العربية معناه موت نظرية « القلعة المهددة » التي من خلالها يحفظ الاسرائيليونوحدتهم الداخلية ويبتزون موارد عيشهم من الاموال اليهودية في العالم . ولذا لا يمكن لاسرائيل ان توافق على سلام لا يمكن تحويله الى صلح دائم ومشاركة اقتصادية وثيقة .

باختصار يمكن القول ان شليفر جمع في كتابه ميزتين كبيرتين : فهو اولا سجل سقوط القدس كشاهد عيان ، ولم يظهر حتى الان ما يناقض روايته للاحداث ، وهو ثانيا استقرأ نوايا الاسرائيليين

واشار الى اهدافهم على المدى البعيد ، ومرة اخرى ، لا يمكن لمراقب موضوعي مطلع ان يجادله في استنتاجاته هذه .

وربما الفرق الرئيسي بين كتابه وكتاب اوبالانس ان الثاني صور العرب يحاربون بعنف في سبيل قضية مشكوك بها ، بينما صور شليفر العرب وهم ينهارون بسرعة تدعو للخجل والرثاء اثناء دفاعهم عن قضية لا يمكن ان يتطرق الشك الى قدسيتها .

ف. المنصور

Michael Bar-Zohar, **J'ai risqué ma vie: Isser Harel le No. 1 des services secrets israéliens.**
(Editions Fayard, Paris 1971).

ترجع قصة المخابرات الاسرائيلية الى عهد العصابات الاستعمارية المسلحة . لقد سبقت المخابرات الدولة الى الوجود . فهي ، بعد « انشاء اسرائيل » ليست سوى مخابرات الهاغانا، الـ « شاي » ، وقد أعيد تنظيمها بأمر من بن غوريون فأصبحت تنقسم الى :

— شين — بيت : القسم المتخصص بالمخابرات الداخلية .

— أمان : المخابرات العسكرية .

— مدينات : القسم السياسي .

— موساد : المؤسسة المركزية للمخابرات والبصمات الخاصة .

اثناء الحرب كان الـ «شاي» على علم بكل ما يحدث او يقرر في جميع الاوساط ، من اعلى الادارات البريطانية ، المدنية والعسكرية ، الى ابسط مكالمة تلفونية مهما بلغت من السرية . واذا صدقنا مؤلف هذا الكتاب ، فان اليهود كانوا ، منذ ذلك الحين ، الحكام الحقيقيين لفلسطين . فقد كانوا يشكلون نسبة دولة سرية تحت حجاب الوصاية البريطانية . كان الـ « شاي » يستخدم كلية اليهود الموجودين في فلسطين تقريبا ، من اعلى الضباط في الجيش البريطاني والموظفين في الادارة البريطانية الى ابسط عامل في البريد او خادم في فندق ، بالاضافة الى قسم كبير من الضباط الانجليز انفسهم، وبعض العرب . والى جانب الجاسوسية كان لـ « شاي » دور في هجرة اليهود السرية الى فلسطين . « كان في امكان الشاي تحدي اغلبية ضربات البوليس البريطاني ضد الهاغانا» . كما نرى ، كان للمخابرات اليهودية دور هام في نشاة الدولة الاسرائيلية ، لكنه ليس الدور الرئيسي الذي يحاول ان ينسبه اليها الكاتب . ليست المخابرات الا جهازا بيد قوة سياسية — عسكرية معينة تمثل تيارا ايديولوجيا ظهر في شروط تاريخية معينة جعلته يلقى رواجا مذهلا . لكن الايديولوجيا الصهيونية تريد ان تقدم نفسها (وبالتالي كل اعمالها) ككيان خالد فوق التاريخ وخارج عنه . ترفض كل المقاييس ما عدا مقياس النجاح المؤقت الذي تفتتن به وتحاول ان تشغل به الناس . وبعد « اعلان الاستقلال » كان للمخابرات دور خاص للمحافظة على أمن الدولة المهددة بالاندثار . وهذا ليس غريبا في دولة مبنية على العنف . كانت اسرائيل حريصة على معرفة كل اسرار الجيوش العربية، عددها وعدتها ومخططاتها والايديولوجيات السائدة فيها الخ . وكانت المخابرات تهتم حتى بتفكير المواطن المصري البسيط وتستغل نقاط الضعف فيه للتأثير على الراي العام المصري بواسطة الحرب النفسية . ومن اصل ١٣ عملية جاسوسية يرويها الكاتب منفصلة هناك ٦ عمليات تتعلق بالعالم العربي واهمها :

ـ قضية عمان : يرجع تاريخها الى ١٩٤٧ . يروي الكاتب اخبار المفاوضات السرية التي قامت بها مائير مع الملك عبد الله وخوف اسرائيل من الجيش الاردني وعدم تاكدها من موقفه ازاءها . ويبين ان الملك لم تكن له اية رغبة في محاربة اسرائيل وانما اضطر الى ذلك خوفا على فقدان العرش . ويحاول الكاتب ان يقنعنا ان اسرائيل كسبت المعركة بفضل المعلومات التي حصلت عليها بواسطة فلسطيني عربي بعثه الـ « شاي » خصيصا الى عمان ليعرف مدى استعدادجيش عبدالله وهل انه سيشارك في الحرب ام لا .

ـ قضية بغداد : ٤١ ـ ١٩٥١ ، وهي قصة ترويج الايديولوجيا الصهيونية في الاوساط اليهودية ببغداد بارسال يهود من فلسطين بجوازات سفر انجليزية وايرانية . لقد تمكنت هذه الشبكة من تهريب الكثير من السلاح « بحيل مختلفة » لا يخبرنا عنها الكاتب . وذلك لتمكين يهود بغداد « للدفاع عن انفسهم » . وكانت نفس الشبكة مكلفة بتهيئة هجرة اليهود العراقيين ، بعد اقناعهم بالفكرة الصهيونية ، الى اسرائيل عبر قبرص ، ثم مباشرة الى اسرائيل بواسطة طائرات خاصة ربما كانت انجليزية . وواضح ان السلطات العراقية كانت على علم بذلك .

قضية القاهرة : وهي اخبار من عمليات التجسس الاسرائيلي في مصر قبل سنة ١٩٥٦ وبعدها حتى سنة ١٩٦٢ . طبعا لا يتحدث المؤلف الا عن الشبكات التي اكتشفت . لكن هناك بعض التفاصيل لم تنشرها الصحف العربية .

كانت المخابرات الاسرائيلية تستعمل بعض النازيين بايهامهم انهم يتجسسون لحساب حزب نازي جديد في اوروبا . كما كان لها ـ في البداية ـ في اوساط الخبراء الانجليز والالمان العاملين في مصر جواسيس عديدون . وكان لذلك اهمية فائقة اذ ان معظمهم كان يشغل مناصب عالية في الجيش والمخابرات والادارة المدنية . وكانت تستعمل اليهود المصريين في مهمات تخريبية خاصة مثل نسف المنشآت البريطانية في مصر لخلق وضع من عدم الثقة بالسلطات المصرية تستفيد منه اسرائيل على الصعيد الديبلوماسي .

وعلى الطريقة الصهيونية المعهودة يروي المؤلف قصة العدوان الثلاثي على مصر ، مضيفا اليها دور المخابرات « الاساسي » . فالمسؤول الاول عن هذه الحرب ، في نظره ، او بالاحرى حسب خطته لصنع الاوهام ، هي المخابرات الامريكية (CIA) التي ، نظرا « لعلاقاتها الممتازة مع عبد الناصر » كما يزعم المؤلف ، كانت تدافع عنه في الاوساط الحكومية الامريكية وتعطيها صورة خاطئة عن نواياه « الخبيثة » . وهي المسؤولة ايضا عن «التوسع» السوفييتي في الشرق الاوسط . فاعظم خطيئة ارتكبتها هذه المخابرات هي عدم اكتشافها في الوقت المناسب لاتفاقية صفقة الاسلحة السوفييتية سنة ١٩٥٥ . وبذلك اختل توازن القوى في الشرق الاوسط واصبح خطر الفناء يحدق باسرائيل ، لا سيما وان ايزنهاور رفض تزويدها باسلحة تمكنها من « تعديل التوازن » ومن ردع عبد الناصر . فكانت « حرب الوقاية » .

وتتعلق المسائل الاخرى التي يتحدث عنها المؤلف بالامن الداخلي وبمقاومة الجاسوسية الاجنبية خاصة الجاسوسية الروسية والعربية . ولا يفوت المؤلف ان يؤكد على تخلف الجاسوسية العربية وعدم خبرتها .

بعد ان يبهرنا بار زوهار بنفراته عن تلاحم « الامة الاسرائيلية » وايمانها بقضيتها ، تأتي الفقرات التي تكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذا المجتمع « الاشتراكي السوائي » . فرجال المخابرات الاسرائيلية مندسون في كل الاحزاب والتنظيمات رغم اتجاهاتها الصهيونية . ويصف لنا المؤلف مراقبة المخابرات لكل الاوساط بشكل يتعذر معه قبول اي فكرة عن ديموقراطية دولة اسرائيل . وهو بذلك يقع في الفخ الذي نصبه بنفسه . فاندفاعه في تمجيد المخابرات الاسرائيلية في كل ما تفعله يؤدي به الى عكس النتائج المنشودة .

وأهم مسالة تتعلق بالامن الداخلي هي مسالة « مقاومة الارهاب » اليهودي والتطرف الديني بعد تاسيس الدولة ، مثل عصابات الشتيرن والايرغون و « اتحاد المتعصبين » الذين كانوا يعتبرون دولة اسرائيل بداية المطاف لا نهايته ، اي كنقطة انطلاق لاعادة تاسيس « مملكة اسرائيل من النيل الى الفرات » .

واضح ان المؤلف لا يحدثنا عن هذه المسائل الا للتاكيد على اعتدال سياسة الدولة الحالية واسسها العلمانية واظهار اسرائيل بمظهر دولة عصرية لا مجال فيها للتطرف او التعصب . اما

التعصب العرقي الذي تقوم عليه الدولة برمتهـا فلا حديث عنه .

ان ما يستحق الانتباه في هذا الكتاب هو الطريقة التي كتب بها ، هذا الجانب ، في نظرنا ، اهـم بكثير من المعلومات التي وردت فيه . فرواية تاريخ المخابرات الاسرائيلية تصبح نوعا من الادب هو من « الملحمة » اقرب . ايسير هارئل ، مدير المخابرات الاسرائيلية حتى سنة ١٩٦٣ ، كما يقدمه ميشيل بار زوهار مؤلف : « بن غوريون ، النبي المسلح » (وهو اسرائيلي صهيوني) ليس موظفا ساميا . انه « بطل اسطوري » . والمخابرات الاسرائيلية تقدم كمؤسسة بديعة ، جديرة بكـل اعجاب . بالاضافة الى حداثة عهدها وفعاليتها ، فهي مبنية على **«قواعد اخلاقية»** تحسدها عليها كل زميلاتها. من ذلك انه يحظر على الجاسوسات الاسرائيليات استعمال ميزاتهن الجنسية لنيل اهدافهن . لكن ايسير هارئل لا يمتنع عن استعمال العاهرات في مختلف المهام . والحرص على امن الدولة لا يمنع المخـابرات الاسرائيليـة من التضحيـة ببعـض الجواسيس بتكليفهـم بعمليات انتحارية ولا مـن اغتيال بعض العلماء الالمان العاملين في مصر ولا من استعمال جواسيس نازيين ثم تصفيتهم في الوقت المناسب . فضلا عن اخلاق الصهيونية ذاتها التي ليست المخابرات الا جهازا للدفاع عنها وعن امـن دولتها .

بيد انه لا ينبغي مناقشة ميشيل بار زوهار على الارضية التي اختارها . فهو يسعى ، طيلة ٣١٨ صفحة ، باسلوب قصصي مشوق ، الى ان يوقع قراءه في فخ الايجابية البحت : انتشار المخابرات الاسرائيلية الواسع و « فعاليتها المذهلة » . كفاءة ايسير هارئل النادرة التي مكنتـه من تسلق سلم المراتب من اسفله الى اعلاه ، من مهاجر روسي بسيط يعمل في الكيبوتز الى مدير لكل المخابـرات يتمتع بصداقـة بن غوريون وتقديره الخـاص . والمؤلف يشدد على هذا الجانب حرصا منه علـى اعطاء مثال عن عبقرية « الشعب اليهودي المؤمن بقضيته » . وهو بتمجيده المخابرات الاسرائيليـة لا يرمي الا الى تمجيد « دولة اسرائيل الفتيـة » صاحبة المعجزات . ومثل كل صهيوني لا يخطر على بال المؤلف ان يتساءل عن خلفيات كل ما يقصه من بطولات ولا عن الاسباب الحقيقية ، غير عبقريـة هارئل ، « للنجاح الباهر » الذي حققته المخابرات الاسرائيلية . كالخبرة التي اكتسبها اليهـود في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية . واستعمال اليهود الاجانب من انجليز وفرنسيين والمان واميركان وغيرهم ، حيث ان الحدود العربية مفتوحة امامهم بصفتهم اجانب . وتعاطف اغلبية اليهود العرب مع دولة اسرائيل والعمل لحساب مخابراتها .

واضح ان هذا الكتاب ليس الا جزءا من الحـرب النفسية الواسعة التي تشنها اجهـزة الاعـلام الصهيوني . فالتركيز على دور الجاسوسية يقصد به اولا بعث الخوف في قلوب العرب من السوبرمان الصهيوني الذي له دراية بشكل ما يظهرون ومـا يضمرون وله القدرة على ضرب المتمردين منهم حيث وجدوا لانه موجود في كل مكان ، ويحاول الكتاب ان يظهر المجتمـع الاسرائيلي مجتمعا منسجمـا ومتلاحما بفضل جيشه ومخابراته .

محمد شعيرات

Wolfgang Lotz, The Champagne Spy,
(Valentine, Mitchell, London, 1972).

لا يوجد في اعلانات الصحف حقل لوظائف الجواسيس الشاغرة ، وعندما ينكشف امر الجاسوس تنتهي بانكشافه حياته المهنية ولا يدري ما يفعله بليله ونهاره . المهمة الوحيدة التي تبقى مفتوحة امامه هي ان يبيع نفسه للدعاية كما باعها من قبل للجاسوسية . ويقوم بهذه الخدمة سادة الجواسيس المتقاعدون عن طريق كتابة مذكراتهم التي يقدمونها الى العالم مصحوبة بايمان مغلظة بانها الحقيقة ، كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . ولكن من يستطيع تصديقهم بعد حياة كل ما فيها كذب ؟

وها نحن امام حلقة جديدة من هذه السلسلة . بطل هذه الحلقة هو ولفغانغ لوتز ، الجاسوس الاسرائيلي الذي تقمص شخصية ثري الماني وهز مصر بافتضاحه مثلما هزها بتنكره . وقد كتب عنه الكثير في الشرق والغرب حتى تطوع هو اخيرا — كما يقول — ليقص على العالم قصته بحقائقها كما يقول ايضا . ومن يقرأ كتابه هذا « جاسوس الشمبانيا » يلتقي بشخصية عاشت في عالم كل ما فيه افتراء وكذب ومخادعة . وهناك في اسرائيل من يعتقد انه كان يخادع الاستخبارات الاسرائيلية ايضا بعيشه عيشة باذخة في القاهرة لا تتناسب نفقاتها مع ضحالة المعلومات التي جاء بها ، ونحن نعرف كيف يتحول الكذب الى داء متأصل بعد اشهر قليلة من ممارسته . ويظل القارىء يسائل نفسه كما تساءل قضاة مصر من قبل : اين كذب لوتز واين صدق . مجهود عسير لغير الملم باستراتيجية الاعلام الاسرائيلي ، ومضن للملم بها . ونلمس في الكتاب امثلة مختلفة للسهولة التي يفتح فيها المؤلف مغالطاته . ومن ذلك اشارته الى تدفق المساعدات السوفييتية الى العالم العربي قبل ١٩٥٥ .

لقد تظافرت عناصر كثيرة في شخصية لوتز حملت الاستخبارات على اختياره جاسوسا لها في مصر . لقد ولد لوتز في المانيا من اب مسيحي وام يهودية، وبهذه الصفة بقي بدون ختان ، مما ساعده على اقناع المحققين المصريين بانه ليس يهوديا ولا اسرائيليا . وورث من ابيه ايضا التبانة الآرية وسيماء الوجه الالماني . ولم يذهب الى فلسطين حتى ١٩٣٣ بعد ان اكتسب اللغة واصول السلوك من المانيا . وكانت امه ممثلة ومنها اكتسب قابليته على التمثيل وارتجال المواقف . وعندما اندلعت الثورة الفلسطينية في الثلاثينات انضم الى كتائب الهاغانا حيث تلقى اول دروسه العسكرية وتلقى ما هو ابعد خطرا من ذلك ، تلقى كرها متاصلا للعرب . وقام بأول افتراء خطير يلقي ضوءا على سلوكه المستقبل بتزويره الوثائق اللازمة لدخول الجيش البريطاني اثناء الحرب الثانية . وعهد اليه الانكليز بمهمات استخبارات في مصر . ثم خاض حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ .

وبالاضافة الى اتقانه اللغات العبرية والعربية والالمانية والانكليزية ، اصبح لوتز يجمع مع المؤهلات ما يجعله موضع اي جاسوس في العالم . ولكن مؤهلاته لم تقف هنا . لقد كسب من امه الممثلة ايضا روحا فريدة للنكتة وحصل من الاستخبارات الاسرائيلية على حساب مفتوح لا حدود لمخصصاته . قال له رئيسه عندما عاين فاتوراته : الجاسوس الناجح يساوي لواء من العساكر ولكنه ايضا يكلف ما يكلفه اللواء.وبالنكتة والكرم يستطيع اي انسان ان يكسب ود اي انسان في القاهرة . لقد اصبحت ابواب التغلغل مفتوحة على مصراعيها امامه .

ومع ذلك فالقارىء العربي يضيق ذرعا بعمى القلب الذي ابداه المسؤولون في القاهرة آنئذ . فبعد اسابيع قليلة اصبح هذا الاجنبي « واحدا من اهل البيت » في بيوت القادة والخبراء العسكريين . لقد سمحوا له كمرب للخيول ان يضع خيله في اصطبلات الجيش في معسكر العباسية واعطوه بطاقة مرور تسمح له بدخول المعسكر انى شاء . ولتدريب حصانه ارشدوه الى ساحة سباق جنب معسكر الدروع قرب مصر الجديدة . ومن برج هذه الساحة راح يصوب منظاره لا الى حصانه الراكض وانما الى الدبابات الرابضة . واخيرا دلوه الى حقل لتربية خيله قرب معمل للصواريخ على طريق الاسكندرية .

ويتحدث لوتز عن طريقته في جمع المعلومات فيقول انه لم يحاول شراءها او طلبها من احد . لقد آثر ان يستغل هيام العرب بالكلام والمحادثة ، وجنوح معارفه من ضباط وخبراء الى التباهي

بانفسهم ومراكزهم ومسؤولياتهم . كل ما تحتاجه هنا هو ان تدعوهم الى العشاء وتغرقهم بكرمك ولا سيما كرمك بالشمبانيا والويسكي . وما عليك الا ان تستمع اليهم يتحدثون عن كل ما يهم الاستخبارات الاسرائيلية ان تسمعه . طريقة بسيطة كان من الممكن لها ان تبقي لوتز في القاهرة حتى الان لولا جهاز اللاسلكي اللعين الذي كشفت صوته السلطات (لوتز يقول ان السوفييت هم الذين كشفوه) ، فكانت النهاية ، السجن المؤبد . ولكن حظ لوتز كما يقول المؤلف ينتصر دائما . وانتصر حظه هذه المرة باندلاع حرب يونيو وحصول اسرائيل على الاف الاسرى الذين استبدلتهم بجاسوسها المدلل .

وكانت المرة السالفة التي انتصر فيها حظ لوتز في نجاته من الاعدام . فالامر لا نفهمه ولم يفهمه هو ، آثرت النيابة العامة غض النظر عن احتمال كونه اسرائيليا وقررت محاكمته على اعتباره المانيا ، مما خفف من جرمه . ويعطينا المؤلف تفسيرات مختلفة لهذا الموقف من النيابة . والقارىء الذي يريد تصديق وكلاء الاستخبارات حر في تصديقه . بيد ان ما يعنينا من هذه النقطة هو تواطىء المعسكر الغربي مع اسرائيل في اتفه المسائل واخطرها . لقد أدى اعتقال لوتز الى حملة عنيفة من القاهرة على المانيا الغربية وتقبلت الحكومة الالمانية هذه الحملة صابرة دون ان تلجأ الى المخلص البسيط بمكاشفة القاهرة بان لوتز اسرائيلي وليس المانيا . ويقول المؤلف بان مجلة دى شترن الالمانية اعدت تقريرا كاملا معززا بالصور والوثائق عن حياة لوتز وجنسيته الحقيقية . ولكن ضابطا من الاستخبارات الاسرائيلية ذهب الى المجلة وتسبب في حفظ التقرير . كما عملت الحكومة الالمانية على التستر على لوتز ، بناء على طلب من الاستخبارات الاسرائيلية ايضا ، وامرت سفارتها في القاهرة بتبني قضيته وتمثيلها في المحكمة . وظل لوتز يتلقى شتى الامتيازات في السجن نتيجة تدخلات القنصلية الالمانية .

ان ما استوقفني طويلا في الكتاب هو نزعة التحامل العنصري التي ابداها المؤلف . لقد قضى نحو اربعة اعوام في مصر اغرقه المصريون خلالها بودهم وعطفهم واكرامهم ومساعدتهم ، وفي اكثر الاحيان على حساب مصر وقوانينها . ولا يكاد يروى قصة الا وواجهتنا فيها دماثة مصر وطيبتها ، طيبتها التي بدونها لم يكن بمستطاع لوتز ان يقوم بنشاطه . ولكنه لم يذكر طوال مذكراته احدا من معارفه واصدقائه المصريين بكلمة طيبة واحدة . الكلمة الدارجة على لسانه في وصف اي مصري هي انه « ابن حرام » . من لم ينفذ ارادته ووضع مصاعب في طريقه هو ابن حرام ، ومن نفذ ارادته وحقق له مآربه هو اهبل وغبي . ولا يستطيع القارىء ان يتفادى القشعريرة عندما يفكر بان هذه الذهنية هي الذهنية التي تصبغ سواد المجتمع الاسرائيلي واسسه الاخلاقية .

ونحن نتفق مع الكاتب عندما يقول بأن الجاسوسية مهنة قاسية تستغل الصديق والقريب . لا احد يلومه على قيامه بواجبه واستغلاله ضحاياه . ولكن الانسان يتوقع منه كلمة رقيقة او شعورا بالاسف عن العشرات من اصدقائه الذين خدموه طوال اقامته في القاهرة قبل ان يلقوا نفس المصير في السجن بسببه ودون علم منهم او ادراك . حتى خادمه الذي اثبت اخلاصه له واوقع نفسه في براثن الويل بمنعه البوليس من تفتيش الفلا لم يتلق منه غير السب والمذمة . ولكن المؤلف اعرب عن عطفه عليه فقط عندما اراد ان يستغل المناسبة ليذكر القارىء بان البوليس المصري يكيل الويل للسجناء كما فعل مع خادمه .

ولعل ما قاله الناقد الانكليزي ستانلي مايس في هذا الصدد جدير بالاستشهاد : « يدعي لوتز انه لا يكره العرب ولكن من الواضح انه يحتقرهم . كل ذلك بينما نجد كافة المصريين تقريبا ممن وصفهم في كتابه انبل نفسا منه هو » .

ولفغانغ لوتز انسان لم يعد يستطيع ان يجد عذرا لانسان خارج اسرائيل . ولكننا قد نستطيع ان نجد له عذرا داخل اسرائيل . انها مهنة الجاسوسية التي لا يمسكها انسان الا «وفي يده من نتنها عود». انها المهنة التي تعلم صاحبها ان يتشكك في نوايا اي انسان ويتجاهل اسمى القيم الانسانية حتى يفقد في الاخير انسانيته هو .

خالد القشطيني

عبد الرحمن غنيم ، **نظرات جديدة على الصهيونية**
(منشورات : التوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني ، دمشق ، حزيران ١٩٧٢)

ان هذا الكتاب يسترعي انتباهنا ليس بسبب عنوانه الذي يتكلم عن « نظرات جديدة » فحسب ، بل أيضا لانه صادر عن « ادارة التوجيه المعنوي » لهيئة فلسطينية ذات اثر في اوساط الرأي العام العربي . والكتاب يتألف من ثماني مقالات سبق وصدر معظمها في صحف ومجلات وطنية مختلفة . ومما يلاحظ هو أن هذه المقالات تناولت مواضيع مختلفة دون ان يكون هناك اي ترابط فيما بينها ودون ان يسعى المؤلف لاظهار اوجه ترابطها في مقدمة الكتاب . فالمقدمة جاءت باسلوب متعال تنتقد « المفاهيم السائدة » حول الصهيونية ، الا أنها لم تكن اكثر من مدخل الى « النظرة الجديدة » التي اوردها المؤلف بمعظمها في الصفحات القليلة المقتضبة التي تشكلت منها المقالة الاولى . ولا شك ان هذه المقالة قد اشارت الى احدى العناصر الهامة التي اعتنقتها الصهيونية والتي لم تلق الاهتمام الكافي في الكتابات العربية السابقة . وهذا العنصر هو الدور الذي تلعبه الصهيونية (واسرائيل) بالنسبة ليهود العالم خارج فلسطين من حيث تعبئتهم لصالح الرأسماليين اليهود لصرفهم عن الاشتراكية ودفعهم في تيارها في خدمة الامبريالية . الا ان المؤلف لم يورد « نظرته الجديدة » حول هذا العنصر بشكل تحليلي وثائقي واضح ، بل اوردها ضمن سلسلة من العبارات الغامضة التي ارسلها ذاتيا وخرج منها باستنتاج يشوبه طابع التآمرية ، نسب فيه نشوء الصهيونية ونشوء اسرائيل والسيطرة الحالية عليهما الى جهاز يهودي واحد اورد لنا اسمه ، الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، ولكنه لم يخبرنا عنه وعن تاريخه سوى القليل . هذا مع العلم انه قال فيما قال في المقدمة ان اسرائيل هي « الفرع » والصهيونية هي « الاصل » ، واضاف : « سنبقى عاجزين عن فهم الدور الذي يقوم به الاصل (...) ما لم نعرف القوة الموجهة له ، وهي في تقديرنا الاتحاد الاسرائيلي العالمي ... » .

ان النظرة الجديدة التي اوردها المؤلف جاءت ، بشيء من الغموض والترديد والتاكيد الممزوج بطابع التكهن ، على النحو التالي : ان الاتحاد الاسرائيلي العالمي اشبه ما يكون بحكومة يهودية عالمية تضم كبار رجال المال في مختلف الدول ، على راسهم عائلة روتشيلد . كان الاتحاد يسيطر على يهود العالم من خلال الحاخامات والاثرياء اليهود الذين كانوا يتبعونه لاسباب نفعية ، الى ان ادى ظهور الحركات الاشتراكية وانتشار افكارها الى زعزعة نفوذ هؤلاء فكان لا بد من انتهاج مسلك يؤمن اعادة اليهود الخارجين على الطاعة الى الحظيرة ، فكانت الصهيونية هذا المسلك . والدور المطلوب من الصهيونية ، بالنسبة للاتحاد ، هو ربط جميع العالم بالصهيونية ومن ثم بالاتحاد نفسه ، واقامة اسرائيل كملجأ يضم جزءا من يهود العالم ويشكل مركزا للاستثمار الرأسمالي وجسرا للاحتكارات الى آسية وافريقية يأتي بالمنفعة المادية للاحتكارات الامبريالية وعلى راسها الاحتكارات اليهودية ، ويؤمن في نفس الوقت هدف التفاف يهود العالم بدافع الحرص على بقاء اسرائيل . والاتحاد الاسرائيلي العالمي يشارك الامبريالية في هدفي البحث عن مصادر الاستثمار في العالم والسيطرة عليها من جهة ومحاربة الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في العالم من جهة ثانية . والمنظمات الصهيونية هي « قوى تخريب عالمية » (أ) ، واسرائيل ليست سوى ذريعة بحيث ليس بقاؤها هو المطلوب بل بقاؤها في حالة حرب . اما المؤتمر الصهيوني العالمي ، فليس سوى شكل يحدد اطاراته اولئك « الذين ينطقون باسم الاتحاد الاسرائيلي العالمي » . والحكومة الاسرائيلية ترضخ لسلطة الاتحاد الاسرائيلي العالمي الذي له «القول الفصل» في مسائل الحرب والسلام والعدوان والتوسع . واخيرا ، فللاتحاد ادوار علنية (الاشراف على الجاليات اليهودية في العالم) وادوار سرية (توجيه الحركة الصهيونية وتوجيه الماسونية والجمعيات الشبيهة بها) !

هذه هي النظرة الجديدة التي قدمها المؤلف على أساس «تقديره» للقوى التي تقف وراء اسرائيل والصهيونية . وبما أن المؤلف لم يورد التفاصيل المحددة حول تاريخ الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، وبما انه لم يشر الى اي من المصادر التي استخرج منها الوثائق التي بنى عليها نظرته ، وبما انه اعتذر ، ضمنيا ، على تقديم اي عرض لهذه الوثائق او المصادر بسبب ما قاله عن السرية التي يحيط بها الاتحاد الاسرائيلي العالمي نشاطاته ، فان

على القارىء اما أن يقبل بنظرته او يرفضها على اسس حدسية عفوية صرفة . ولا شك ان ذلك لن يكون سهلا بالنسبة للقارىء غير المطلع . فالمؤلف يربط الصهيونية بمعاداة الاشتراكية وبخدمة الراسمالية . ولكن ثمة في الاسواق كتب عديدة تربط الصهيونية بالشيوعية وتتكلم عن «الدور التخريبي» الذي تلعبه الصهيونية بمؤازرة الشيوعية ، وتمتنع أيضا من ايراد المصادر والوقائع المعنية وتعتذر عن ذلك باقوال ترسلها عن « سرية العلاقات بين الصهيونية والشيوعية » .

أما المقالات الاخرى في الكتاب فليس فيها نظرات جديدة . فهي تتكلم عن وجهات النظر لدى قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية وتوجهات الراي العام الاسرائيلي . ووجهات النظر والتوجهات هذه ليس من شأنها ان تحظى باهتمام القارىء خاصة وان النظرة الجديدة في المقالة الاولى تنفي اي دور لهذه الوجهات والتوجهات حين تؤكد على ان **القول الفصل** يعود الىالاتحاد الاسرائيلي العالمي. ولا شك ان القارىء المطلع نسبيا سيوافق المؤلف غنيم في نظرته القائلة بأن البرجوازية اليهودية هي التي بعثت الصهيونية لضبط يهود العالم وحصرهم ضمن مصالحها التي انعكست وتنعكس في معاداتها للاشتراكية ومسارها في سياق الامتداد الامبريالي . الا انه لا يسعه ان يوافق المؤلف « تقديره » على ان هذه البورجوازية تتجسد في منظمة واحدة هي الاتحاد الاسرائيلي العالمي .

لقد تكلم المؤلف في المقدمة عن « الاضطراب والتناقض » الذي يسود المفاهيم السائدة حول الصهيونية . لكن دراسته انما أسهمت في هذا الاضطراب والتناقض . وان كان هدفه من نظرته الجديدة هو توجيه الانتباه الى احدى المنظمات البورجوازية اليهودية (الاتحاد الاسرائيلي العالمي) التي كان لها دور حاسم في بعث الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي ، لكان عليه ان يقوم بذلك بطريقة اكثر جدية . ولا شك ان دور هذه المنظمة كان حاسما في فترة ما قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ ، حتى وخلال فترة ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى قبل تبني بريطانية (والدول الغربية الكبرى الاخرى باستثناء الاتحاد السوفياتي) للصهيونية . والدلالات الوثائقية حول دور هذه المنظمة متوفرة الى حد بعيد وهي تحتاج لن يدرسها . وهذا ما كان ينبغي على المؤلف غنيم أن يقوم به قبل ارسال استنتاجاته التي يبدو انه كان يعي سطحيتها حين قال في المقدمة انها « لا تعدو ان تكون ... ارضية لبحث اكثر عمقا ينبغي ان يتجه اليه الباحثون العرب » . ولو قام المؤلف غنيم بالعمل الذي يود أن يلقيه على عاتق غيره ، ودرس تاريخ الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، لوجد ان هذا الجهاز ليس سوى واحد من الاجهزة « اليهودية » (بما فيها المنظمات الصهيونية ودولة اسرائيل) التي تسيطر عليها البورجوازية اليهودية وتعمل من خلالها لفرض ايديولوجيتها السائدة على يهود العالم . وهذه السيطرة لا تأتي من خلال تحركات خلفية فحسب ، بل تأتي بمقدار اعتماد الصهيونية واسرائيل على الموارد المالية التي تأتيها من البورجوازية اليهودية ومن حليفاتها الطبقيات من بورجوازيات الدول الامبريالية . ولا شك ان البورجوازية اليهودية ، مثلها مثل حليفاتها ، لا تعمل دائما بشكل مباشر ولا تترك سجلا وثائقيا كاملا لنشاطاتها. لكن جوهر الدراسة والبحث يقع في تقصي الحقائق المباشرة وغير المباشرة وعرضها وتحليلها واستيفاء النتائج منها وليس التهرب منها بالاشارة الى « السرية » واعادتها الى جهاز خفي ضبابي بعيد يعجز الباحث عن التوصل الى الحقائق حوله .

ختاما ، علينا ان نقول ان قيمة كتاب المؤلف غنيم تكمن في كونه **محاولة** لتوجيه الانتباه الى الدور الذي تلعبه الصهيونية (واسرائيل التي هي جزء — وجزء هام منها) في خدمة الرأسمالية الاحتكارية (الامبريالية) بالنسبة لليهود في الغرب . فهو يؤكد على ان اهداف الصهيونية لا تقف عند خلق دولة اسرائيل ولا عند بقائها ولا حتى عند توسعها ، كما انها لا تقف عند الدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة الامبريالية في الشرق الاوسط وفي بعض بلدان آسيه وافريقيه ، بل تتعدى ذلك الى الدور الذي لعبته وتلعبه الصهيونية (وهي الاصل) في بلدان منشأها حيث تعمل على ابعاد جموع اليهود عن الاشتراكية وابقائهم في الحظيرة التي يسيطر عليها الراسماليون اليهود . وربما هذا هو الموضوع الذي يدعو المؤلف في المقدمة الباحثين والمفكرين التقدميين، وفي مقدمتهم الباحثون والمفكرون العرب، الى التوجه اليه .

أ. ن. سعد

Victory Play, Based on the Six Day War,
Produced and Printed by M. Peretz.

في غمرة النشوة التي امتلأت بها نفوس الصهيونيين اثر حرب حزيران ، تدفقت على الاسواق سيول من الكتب التي الفت عن حرب الايام الستة ، والاسطوانات التي سجلت عليها اناشيد النصر والفتح . كما عرضت دور السينما الافلام التمجيدية ، وافرقت الدكاكين بالداليات التذكارية ليبتاعها السياح . ولم ينس الصهيونيون دعائيين كانوا ام تجارا ، جيلهم الناشيء ، فصنعوا له لعبة يتسلى بها ويتعلم منها ، دعوها « لعبة النصر — مقتبسة عن حرب الايام الستة » ونشروا على غطاء اللعبة التي تحتويها صورة للدبابات الاسرائيلية الزاحفة على رمال سيناء ، وبجانبها صورة اخرى تجمع بين وزير الدفاع موشي ديان وقائد الجيش اسحاق رابين ، وكلاهما بملابس الميدان . واللعبة هي باللغتين ، العبرية والانكليزية ، اي انها ليست للاستهلاك المحلي فقط ، بل ايضا للتصدير الى الاسواق الخارجية . وفي كلمة تمهيدية ، يقدم بيرتيز ، صانع اللعبة ، انتاجه على الوجه التالي : « لقد تغيرت خارطة اسرائيل نتيجة لحرب الايام الستة ، ولذا توجد بطيه خارطة لاسرائيل الكبرى ذات الحدود الممتدة من القنيطرة في الشمال الى قناة السويس في الجنوب . وقد سجلت على الخارطة مواقع الحملة الجوية والبرية التي شنتها قوات الدفاع الاسرائيلية . وسيمر اللاعب عبر نفس المسالك ، فيستزيد من معلوماته عن المعارك ، ويتعرف على هذه الاماكن الشهيرة . وستتاح الفرصة لكل لاعب ان يحارب بقطعه في الجو على الارض ، وان يستولي على مواقع العدو بنفس الطريقة التي قام بها الجيش الاسرائيلي » .

ويجري اللعب على الخارطة نفسها ، التي طبعت عليها اسماء المواقع (تامد ، بير جنجافه ، كتيله، ممر متلا ، جنين ، الخليل ، قلقيليه الخ ..) باللغتين ، العبرية والانكليزية . وتمثل قطع بلاستيكية صغيرة الصواريخ والدبابات وسيارات الجيب . ويمكن ان يشترك بين شخصين وثلاثة اشخاص في اللعبة . وهناك بوصلة على الخارطة يتم تحريكها باليد ، لتحدد لكل لاعب الاتجاه الذي يجب ان يتبعه . كما يوجد نرد يبين له عدد الخطوات التي يمكن ان يخطو . وكما في لعبة « مونوبولي » ، هناك ايضا ٥٥ بطاقة تحمل أوامر المعركة التي على كل لاعب ان يطبقها اذا التقط واحدة منها . ولما كانت اللعبة ذات هدف «تربوي» محض ، يتوخى تدريس الصبي العلوم التكتيكية ، فالبطاقات ترمي الى توسيع معلوماته العسكرية ، والى تعريفه بالحرب عن طريق اوامر نختار منها ما يلي : اخبار طيبة تصل عن سير العمليات في الجبهات الاخرى ، فترفع المعنويات . تقدم خطوة. نيرانك كشفت موقعك للعدو ، تأخر خطوتين في اتجاه قاعدة انطلاقك . احد جنودك في وحدة المهندسين قد جرح ، ابعثه الى المستشفى وتأخر خطوة . العواصف الرملية تؤخر تقدمك . تأخر خطوة . لديك غطاء جوي. تقدم خطوتين . صادفت مقاومة قوية ، ولكنك تغلبت عليها . تقدم خطوة اضافية . كان عليك ان تنقذ وحدة من المدفعية وتسحب جرحاك . انتظر في موقعك . أصيبت احدى دباباتك ، فتنقذ رجالها وتتقدم خطوتين . انتظر في موقعك لتزود بالمؤن والذخيرة . ولا يهمل صانع اللعبة الامور العاطفية ، اذ تتضمن بعض البطاقات ما يلي : انت تنصت في فترة الاستراحة الى نشيد من الاذاعة مهدى لك ، فتشعر بالحنين الى اهلك. او : تقف عند حاجز في الطريق ، فتصلك برقية تعلم منها انك اصبحت ابا لثلاثة توائم . حظا طيبا ، وخذ خطوة اضافية . وحتى لا يظن اللاعب ان الحرب هي لعبة بدون مخاطر ، نجد بطاقة تحمل العبارة التالية : لم تكن حذرا ودست على لغم . تأخر خطوة . أو : لقد جرحت ويجب حملك الى نقطة الاسعاف . انتظر في موقعك . ولكن يبدو ان الجرح هو اسوأ ما يمكن للاعب ان يتوقعه ، اذ لا يوجد اي ذكر للموت . ثم ان نتيجة اللعبة حتمية ، فهي ليست بين جانبين متصارمين ، وانما جميع اللاعبين هم حلفاء ، فقط الغالب هو الذي يصل الى الهدف المشترك اولا .

لقد انتجت هذه اللعبة العسكرية في عهد اصبح فيه الاباء في اقطار كثيرة بالعالم ينفرون من شراء العاب الحرب لاطفالهم ، كنتيجة للمآسي التي شهدوها باعينهم في الحروب الاخيرة ، كحرب كوريا وحروب الهند الصينية ، حتى بات عدد كبير من دكاكين الدمى يرفض وضع الالعاب المتعلقة بالحرب بين جملة معروضاته . الا ان هذا الاتجاه المعادي

للحرب لم يثبط من عزيمة تجار اسرائيل ودعائييها ، اذ انهم لم يكتفوا بصنع هذه اللعبة الدموية، وانما جعلوهـا بالانكليزية حتى لا تغرب دروسهـا عن الاطفال اليهود في ارجاء العالم ، علما بان مركز الابحاث حصل عليها في دكان لالعـاب الاطفال في كندا .

ف . م .

اميل الغوري ، **فلسطين عبر ستين عاما** (دار النهار للنشر ، بيروت : ١٩٧٢)

في فصل من الجزء الاول من مؤلف اميل الغوري يتحدث عن مذكراته « بالاقتضاب المستطاع » (!) عن المدة التي قضاها « كطالب علم » في الولايات المتحدة . ويعد القراء في مقدمة هذا الفصل انـه سيتجنب ما امكـن الحديث عن ابنائه واخبـاره الخاصة « التي ليس من حقي ان اثقل بها عليهم ». الا ان الغوري وهذا واضح من خلال قـراءة الفصول الاخرى ، لم يف بهذا الوعد . فهو لم يفرد قدرا كبيرا من صفحات الجزء الاول من مؤلفه للحديث عن مرحلتي طفولته وشبابه ، وعن دوره كرئيس تحرير اكثر مـن صحيفة فلسطينية ، وعن اخلاصه الشديد لعائلة الحسيني بشكل عام والحاج امين الحسيني بشكل خاص .. انه لم يتحدث عن كل ذلك وحسب .. بل افرد قدرا اكبر للحديث عن الحاج امين الحسيني حتى بـدا الغوري وكأنه لا يتحدث عن « فلسطين عبر ستين عاما » بـل عن (الحاج امين ــ الغوري عبر ستين عاما) .

وفي محاولة من الغوري لرسم ملامـح الصـورة الاسطورية للحاج امين يشير الى مقاومة الانكليز للجهود التي قام بها لتحويل قضيـة فلسطين الى قضية اسلامية عالمية في زمن كان الاقطاع هـــو المهيمن على العالم الاسلامي والعربي .. « فلجأ الانكليـز بصورة خاصة الـى سلاح الدعايـة يشحذونه في وجه المفتي .. فاخذوا يروجون فـي اوساط العالم الاسلامي دعايات مغرضة ضد المفتي .. ويسندون الى سماحته افتراءات كاذبة واتهامات باطلة لغرض تشويه سمعته بـين المسلمين ، وحملهم على الابتعاد عنه والارتيـاب بصدقـه واخلاصه » . ويشير الغوري مؤكدا استمـرار زعامة الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية الـى نشاط المعارضة من العائلات الدينية (النشاشيبي الشقيري طوقان الخ ..) الذي بداوه ضد المفتي والذي فشل في تحقيق اغراضه . ويهلل الغوري فرحا بنجاح الحاج امين ومؤيديه على الجبهـة المعارضة وتشكيل مؤتمر العالم الاسلامي والذي « لا يزال قائما حتى اليوم يوالي عقد دوراته في الاوقات المحددة لها ». وللانصاف ان المؤتمر المذكور لا يأتي على ذكر فلسطين الا عند انعقاد دوراته وفي الاوقات المحددة لها .

ويدعي الغوري في مكان اخر من كتابه انه « لم يكن في فلسطين ، كما كان في غيرها من بعـض الاقطار العربية ، اقطاع وعائلات اقطاعية .. وكان الاقطاع الوحيد المعروف في فلسطين هو الذي نجم عن امتلاك بعض الاسر السورية واللبنـانية لمساحات واسعة من الاراضي في شمال فلسطين » .. وذلك على عكس ما كان يدعي ــ على حد تعبير الغوري ــ « فريق من الشبان الذين كانوا قد اعتنقوا مبادىء دخيلة هدامة » . الا أن جهود الحاج امين الحسيني الذي كان على رأس الحركة الوطنية استطاعت اجهاض دعوات الشباب التي كانت تخرج عن ارادته وتهدد سلطته التي كـان يمارسها بشكل مطلق . وكان الحاج امين يتهم كل من يخرج عن طاعته بالعمالة والتآمر لمصلحـة اليهود .. ولذلك كان يرجع معظم اصحـاب هذه الدعوات ــ كما يقول الغوري ــ « الى صفـوف الحركة الوطنية » التي كان يقودها الحاج امين « تائبين » .

يلاحظ في كتاب الغوري « فلسطين عبر ستـين عاما » تجاهله عن تعمد واصرار للحركة النقابية الفلسطينية . وقد افرد لها في كتابه (وعدد صفحاته ٢٥٣) سبعة اسطر فقط . ويلاحظ كذلك اهماله

لثورة فلسطين الثانية في يافا والتي حدثت « يوم الاحد الواقع في أول ايار ١٩٢١ » — وهو يوم عيد العمال — حيث امتدت هذه الثورة الى المناطق المجاورة ليافا ثم الى منطقة اللد والرملة والمجدل. وبالرغم من اعتراف الغوري ان هذه الثورة «كانت اعظم من ثورة القدس واوسع نطاقا ، وقد سقط فيها المئات من الشهداء والجرحى العرب وقتل وجرح اكثر من (٥٥٠) يهوديا وجنديا بريطانيا » الا انه لا يستطيع « وصف هذه الثورة » كما وصف ثورة القدس ، « لانني كنت بعيدا عنها اتلقى اخبارها سماعا على حد تعبيره . لقد نسي الغوري ثورة يافا لانها من صنع قطاعات شعبية لم تكن خاضعة لرجالات الاقطاع الفلسطينيين .

قد يتفاخر الغوري — وهذه مسألة خاصة به وحده — بقيادة الحاج امين الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ وبفشل المحاولات الاخرى التي نافسته على زعامة الحركة الوطنية والتي كانت « تتحطم على صخرة صموده » وثقة الشعب به كما يدعي الغوري ، الا انه لا يستطيع خداع حركة التمرد الفلسطينية والعربية والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة بمثل هذه الادعاءات . ان تفرد طبقة ملاك الارض من الاقطاعيين وغيرهم من الزعامات العائلية الدينية والطبقة الكومبرادورية المهلهلة .. ان تفرد هؤلاء بزعامة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة من تاريخ فلسطين كان سببه عدم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية نسبيا تقود النضال وتحول قسما من الفلاحين الفلسطينيين الى عمال في المدن.

ويذكر الغوري في نهاية الجزء الاول من مؤلفه ان عز الدين القسام الذي قاد حركة تمرد مسلحة عام ١٩٣٥ واستشهد في احدى المعارك مع رفاق اخرين له كان يعمل وفقا لاوامر صادرة عن الحاج امين الحسيني . هذا مع العلم ان الغوري يعترف بخروج حركة القسام من « تنظيم الحاج امين الحسيني السري » دون ذكر أسباب هذا الخروج . ان الثورة التي قادها عز الدين القسام في اواخر عام ١٩٣٥ على أساس مبادرة شعبية ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني على حد سواء لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة حقيقية بقيامها . بالرغم من انها هيمنت عليها فيما بعد وقادتها الى حتفها بعد تشكيل الهيئة العربية العليا (الغوري عضو فيها وممثل حكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة بعد عام ١٩٤٨) التي كانت — ولا تزال — تسيطر عليها الزعامات الدينية التقليدية والعائلات البرجوازية والاقطاعية الفلسطينية .. هذه القيادات لم تنظر بارتياح لثورة عز الدين القسام ولم تعتبر ان استمرارها هو مهمتها الاساسية . وكانت نضالات هذه القيادات تبلغ ذروتها ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني المتزايد بأن تسير تظاهرات الاحتجاج وترفع لوائح وعرائض تجمع تواقيع الوجهاء عليها للاحتجاج ضد الامتيازات التي كان يمنحها الانكليز للمهاجرين الجدد من اليهود .

على الغوري ان يدرك — قبل غيره — انه منذ اللحظة الاولى لاندلاع ثورة القسام التي تألفت من عناصر كادحة وفقيرة رفضت القيادات الاقطاعية الدينية واحزاب العائلات الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة . وطالبت هذه القيادات الاقطاعية باعتماد الوسائل السلمية لانتزاع الحقوق الوطنية كالتظاهرات والمباحثات لان « الامور مرهونة باوقاتها .. وليس من مصلحة الشعب والبلاد ان يقوم اصطدام جدي مع الانكليز قبل ان تتم التهيئة الكاملة له » — كما جاء على لسان الغوري نقلا عن الحاج امين الحسيني — .

وعلى بقايا الاقطاع الرجعي الفلسطيني ان تدرك ان قيادات هذا الاقطاع هي التي اجهضت الثورة التي قادها القسام في الداخل بعد أن عجزت عن اجهاضها من الخارج ، وذلك بعد أن ثبتت الثورة المسلحة اقدامها وحصلت بالقوة على تأييد الاحزاب الاقطاعية لها . فبعد ثلاث سنوات من الثورة المتصلة تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والرؤساء العرب بانهاء الثورة ، اثر زيارة قام بها (نوري السعيد) للقدس في آب عام ١٩٣٦ واجتمع خلالها بزعامات المدينة والاقطاعية لدراسة الوضع الناشىء عن قيام الثورة المسلحة في فلسطين . وتولى الحاج أمين الحسيني أمر توجيه قرار ونداء الملوك والرؤساء العرب الى الثوار وتنفيذه .. مع وعد بالدخول في مفاوضات مع بريطانيا (علها) تتفهم حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ونيل استقلاله .

مصطفى كركوتي

تقـــارير

التعاون التقني الامريكي ـــ الاسرائيلي لانتاج « السوبر ميراج »

هشام عبدالله

في الزيارة الاخيرة التي قامت بهـا غولدا مائير للولايات المتحدة تم الاتفاق عـلى تزويد اسرائيل بـ ٤٨ طائرة من طراز فانتوم وسكاي هوك ، ودعا الاتفاق كذلك الى ان تساهم الولايات المتحدة في انتاج طائرة « سوبر ميراج » اسرائيلية . ويفرض علينا واقع الحال وضع تحفظات على كلمة اسرائيلية حيث يبدو ان المعدات الاسرائيلية الصنع والتصميم في هذه الطائرة ستكون محدودة للغاية ، فتصاميم هذه الطائرة سرقت بواسطـة مهندس سويسري وسلمت الى اسرائيل ، ومحـركها هو « جنرال الكتريك ج ـــ ٧٩ » والذي تقوم اسرائيل بصنعه بموجب ترخيص خاص من الولايات المتحدة ، وهكذا فالمحرك والتصاميم متيسرة لاسرائيل فما هو هدف « التعاون الفني » اذن ؟

ان ما ينقص اسرائيل فعلا هو الشق الثالث من الطائرة اي التجهيز ، والمقصود هنـا التسليح ومعدات اخرى والاجهزة الالكترونية ، اما التسليح والمعدات فيمكن تدبـر أمرهما بسهولة ، وتبقى الصعوبة في مجال الاجهزة الالكترونية، والتي تزداد قيمتها كلما ازداد التطور في حقل الطيران ، ويكفي للتدليل على اهمية هذه الاجهزة ان نقول بان قيمتها في المقاتلات المتطورة تساوي أكثر من ٥٠ ٪ من القيمة الاجمالية للطائرة ، والمعتقد ان التعاون الفني الامريكي ـــ الاسرائيلي سيتركز في هذا المجال بالذات ، بالاضافـة الى التوفيق بين المحـرك والاجهزة وتطبيقها على التصاميم . فان صح هذا فسوف تكون الطائرة فرنسية التصميم امريكيـة المحرك والاجهزة ، ولن يكون على اسرائيل سوى وضع لمسات بسيطة بالاضافة الى بطاقة « صنع في اسرائيل » .

ومما لا شك فيه ان المساهمة الامريكية ستحل الكثير من المشاكل التقنية الخاصة بانتاج الطائرة ، الا ان هذا لا يعني بأن مشروع طائرة « السوبر ميراج » سينجح حتما ، فالامثلة الامريكية حافلة بمشاريع طيران فاشلة ، او انها لم تحقق ما كان مأمولا منها ، كما انه لا يعني بالضرورة ان المشروع سيفشل ، هذا على الرغم من الصعوبات والمخاطر التي ينطوي عليها مشروع ضخم كهذا ، فيما يتعلق بمستوى الطائرة ومستقبلها او كلفتها .

فمستوى « السوبر ميراج » لن يرتفع كثيرا ، او هو لن يرتفع ابدا عن مستوى طائرة الميغ ٢١ السوفياتية الصنع، والتي جربت وطورت على ضوء خبرة استمرت سنوات عديدة ، وبعد آلاف ساعات الطيران . والحقيقـة ان الدعاية التـي تحيط « بالسوبر ميراج » مبالغ فيها جدا ، والقول بان سرعتها ستصل الى ٢٫٥ ماك ، هو محض خيال ، سواء بسبب قوة الدفع المنخفضة نسبيا ، والتي لا تتجاوز (٥٣٨٥ كغم) ، **ولان التصاميم الفرنسية لم توضع لطائرة بهذه السرعـة** ، بالاضـافة الى الصعوبات التقنية التي تواجهها الولايات المتحدة نفسها لانتاج طائرة ذات مواصفات وقدرات معقولة سرعتها ٢٫٥ ماك مثل طائرة F. 15 او طائـرة نورثروب ب ـــ ٥٣٠ كوبرا . ولن يكون بامكان « السوبر ميراج » الوصول الى السرعة المذكورة الا باستخدام محركين لكل منهما قوة دفع مساوية لقوة دفع المحرك « ج ـــ ٧٩ » على الاقل . وهذا يعني وضع تصاميم جديدة كليا « للسوبر ميراج ».

ومن جهة اخرى فسوف يستغرق تطوير الطائرة مدة قد تمتد لبضع سنوات ، ولن تشكل الطائرات المنتجة قوة فعلية ـــ من ناحية العدد ـــ قبل مضي ٥ سنوات وربما اكثر ، على اساس ان اسرائيل ستصنع من طائرة الى طائرتين في الشهر ، وهذا يعني حدا اقصى قدره ٤٨ طائرة في سنتين .

وخلال هذه المدة ستصبح طائرات الميراج والميغ ٢١ والفانتوم من طائرات الصف الثاني لتحتل مكانها المقاتلات الاكثر تطورا من طراز نورثروب كوبـرا و ف ١٥ الامريكية او التي بدأت بالفعل تحتل هذه الامكنة مثل المقاتلة ف ١١١ ي والتي تبلغ سرعتها ٢،٥ ماك ، وهي مقاتلة بهندسة متغيرة (اجنحة متحركة) — كان من المفروض ان تكون الطائرة الاولى في عدد من الدول الاوروبية واستراليا ، الا ان تلك الدول تراجعت وفضلت عليها الفانتوم ، بعد ان اوقف طيرانها في كانون الاول ١٩٦٩ ، على اثر سقوط ١٥ طائرة منها لاسباب تقنية، من ضمنها طائرة انخلع احد جناحيها المتحركين اثناء الطيران (شباط ١٩٧١، المجلة العسكرية)*.هذا بالاضافة الى طائرات المعسكر الاشتراكي مثل الميغ ٢٣ والتي ليست بحاجة الى تعريف ، والطاردة المعترضة سوخوي ١١ والتي تزيد سرعتها من ٢،٥ ماك ولم تستخدم هاتان الطائرتان الا على نطاق محدود حتى الان . وعلى هذا الاساس نستخرج « السوبر ميراج » — عندما ستخرج — كمقاتلة في الصف الثاني ولكن بكلفة عالية جدا .

وقد تتجه الصناعة الاسرائيلية نحو انتاج طائرة من نفس طراز الميراج ٥ ، سرعتها ٢ ماك وحمولتها من المواد الحربية في حدود اربعة الاطنان ومجهزة بمعدات واجهزة متطورة . وقد تنجح اسرائيل في انتاج طائرة من هذا الطراز ، الا ان سعر طائرة من هذا النوع يبقى عاليا جدا اذا مـا انتج في اسرائيل . ومثال ذلك طائرة الجاكوار الفرنسية — البريطانية والتي تقل سرعتها عن ٢ ماك وتزيد حمولتها قليلا عن ٤ اطنان ، والتي باتت كلفتها تقارب كلفة طائرة الفانتوم الامريكية .

ولن يكون حظ « السوبر ميراج » افضل من حظ الجاكوار من ناحية السعر ، بل ربما أسوأ بكثير ، وسبب ذلك ضيـق السوق الاسرائيلية وانعـدام امكانية بيع طائرات مقاتلة للخارج ، وذلك لاسباب سياسية وتقنية . ومن المؤكد ان اسرائيل لن تبيع طائراتها للدول الكبرى ، او المتطورة ، او المرتبطة بأحلاف ، وهي لن تبيع هذه الطائرة ايضا للدول النامية ، والتي تبحث عن السلاح مـع الدعم السياسي والاقتصـادي ايضا . ودعم اسرائيل السياسي لن يفضل ابدا على الدعم الامريكي او السوفياتي . ومثال على ذلك طائرة « عرفه » المروحية الاسرائيلية والتي فشلت في الحصول على طلب شراء واحد من الخارج (قالت دافار ٣/٨/ ١٩٧٣ ان الصناعة الجوية الاسرائيلية قـد باعت ثماني طائرات عرفه هي الصفقة الاولى التي تعقدها مع جهات اجنبية لم تحددها) .

ان استثمار مبالغ ضخمة لانتاج مقاتلة متطورة ، لا نبالغ ان قلنا انها قد تصل الى ٣٠٠ او حتى ٥٠٠ مليون دولار (هذا اذا كانت اسرائيل تنوي فعلا انتاج طائرة تزيد سرعتها من ٢ ماك) لتبني بعد ذلك ١٠٠ — ٢٠٠ طائرة ، وبحسبة بسيطة نرى ان مبلغا يتراوح بين ١،٥ — ٥ ملايين دولار من كلفة بناء وتطوير السوبر ميراج ستضاف الى قيمة الطائرة الواحدة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان التطور في ميدان الطيران لن يتوقف عند حد طائرة « السوبر ميراج » او المقاتلات التي تصل سرعتها الى ٢،٥ ماك ، بل هو يسير بسرعة تجد الدول الكبرى صعوبة بالغة ، وتصرف مبالغ ضخمة لمتابعته ، وهذا سيفرض على اسرائيل في المستقبل الاكتفاء بانتاج مقاتلات غربيـة التصميم بموجب اجازات خاصة، بدل اقتحام ميدان محفوف بالمخاطر المادية والمعنوية ربما لمجرد التأكيد على قدرات الشعب اليهودي ، او عقدة « الانجازات العظيمة » للصهيونية .

Military Review*

هل ستبني اسرائيل مصنعا للاسلحة في بلجيكا ؟

نعيم خضر

لماذا قتل رجال ايلول الاسود السيد غي عيد القائم بالاعمال البلجيكي في الخرطوم ؟ لماذا عاملوا ممثل بلجيكا الدولة الصغيرة المحايدة او التي تدعي الحياد فيما يتعلق بنزاع الشرق الاوسط كما عاملوا ممثلي الامبريالية الاميركية التي تقدم لاسرائيل الدعم كل الدعم لتفرض هيمنتها العسكرية — والاقتصادية فيما بعد — على منطقة الشرق الاوسط العربية ولتضرب حركات التحرر العربية وتشل حركتها ؟ لماذا اطلق سراح ممثل اليابان وسفير اسبانيا والقائم بالاعمال الاردني واحتجز القائم بالاعمال البلجيكي ليقتل فيما بعد ؟ لماذا اعتبر السيد غي عيد عدوا للقضية الفلسطينية ومن ثم للثورة الفلسطينية ؟ كانت كل هذه التساؤلات تدور في خلد المواطن البلجيكي العادي بعد عملية الخرطوم. وكان الرأي العام البلجيكي يبحث عن الجواب . والرد على هذه الاسئلة في الواقع في منتهى السهولة وفي منتهى الخطورة في آن واحد .

الرد في منتهى السهولة لان كل من تتبع الاحداث الاخيرة على الساحة البلجيكية يفهم تمام الفهم ان السيد غي عيد ذهب ضحية « مشروع اقامة مصنع اسرائيلي لصناعة الاسلحة في بلجيكا » . وفي منتهى الخطورة لانه يحمل الحكومة البلجيكية جزءا كبيرا من المسؤولية في هذا الحادث المؤسف لانها تلكات في رفض هذا المشروع نهائيا بعد ان كانت قد وافقت عليه مبدئيا بالرغم من المعارضة التي ابداها الراي العام البلجيكي وخصوصا المنظمات التقدمية . فقد تساءل السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي في المقال الذي يكتبه صباح كل يوم اثنين في صحيفة لا ليبر بلجيك (التي تعبر عن وجهة نظر الاوساط المسيحية)(١): « لماذا فضل (بكسر الضاد) الدبلوماسي البلجيكي الشاب على ممثلي دول اخرى ليكون هو ايضا ضحية القتلة ؟ » ويرد السيد ستروي على السؤال فيقول : « هناك تفسير واحد ممكن : الاشاعات التي دارت مؤخرا حول اقامة مصنع بلجيكي اسرائيلي لبناء الطائرات ... لا شك انه لم يتخذ حتى الان اي قرار نهائي حول هذا المصنع وان اكثرية الرأي العام البلجيكي قد عبرت من عدائها له بشكل يتزايد كل يوم ... ولكن يؤسفنا الاعتقاد انه كان بامكان السلطات البلجيكية المعنية ان تتجنب مثل هذه الفاجعة باتخاذ موقف صريح برفض بشكل لا التباس فيه مشروعا يتنافى ورسالة بلجيكا الدولية والتي هي — كما ذكرت في مقال الاسبوع الماضي —(٢) رسالة مصالحة وليست رسالة تاجر مدافع » ... وقالت ايضا صحيفة لا ليبر بلجيك معقبة على احداث الخرطوم ونقلا عن مجلة روز اليوسف المصرية ان رجال ايلول الاسود « عابوا على السيد غي عيد بناء مصانع للطيران بلجيكية اسرائيليةمشتركة»(٣). وقالت صحيفة لوبوبل (الناطقة باسم الحزب الاشتراكي البلجيكي) : « فيما يتعلق ببلجيكا لا شك ان هناك مشكلة بييرسية » (وهي البلدة التي اختيرت لاقامة المصنع)(٤).

الا ان الحكومة البلجيكية رفضت الاعتراف بمسؤوليتها مباشرة كانت ام غير مباشرة . فامتنع السيد ادمون لوبيرتون رئيس الوزراء عن الرد على سؤال صحفي حول احتمال وجود علاقة بين مشروع بناء المصنع الاسرائيلي ومقتل السيد غي عيد . ثم هبت بعض الصحف التي تعودت الصيد في الماء العكر لنجدة الحكومة فادعت ان الفدائيين قتلوا السيد عيد « لانهم كانوا يعتقدونه من اصل يهودي » . فقالت احداها : « لقد صرح الفدائيون للسيد عيد : انت يهودي ولذا ستكون اول من سيقتل »(٥). وتهافت الصحفيون على مثل هذه الانباء واخذوا ينسجون الروايات مستندين الى بعض ما روجت له وكالات الانباء الغربية . فادعى بعضهم ان الفدائيين وصفوا السيد عيد بانه « يهودي قذر » وقال غيرهم ان ما ادى الى ارتكاب الفلسطينيين مثل هذا الخطأ هو كون السيد عيد يحمل اسما يهوديا (!)

ووجد وزير الخارجية البلجيكي في هذه الاشاعات مخرجا سهلا من الازمة التي اوقعته فيها عملية الخرطوم . فحاول بدوره اشاعة الفكرة بان السيد عيد قتل لاسباب عنصرية . فقد طرح السؤال التالي على الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية في المؤتمر الصحفي الذي يعقده اسبوعيا : « أصحيح ان قاتلي الدبلوماسي البلجيكي قد شتموا ضحيتهم لانه يهودي ؟ » فاجاب : « نعم . لدينا معلومات تفيد بأن دافعا عنصريا قد لعب دورا

في هذه المأساة »(٦). حتى ان صحيفة بلجيكية ادعت ان الفدائيين كانوا ينوون القاء القبض على ممثل المانيا الغربية ولكنهم احتجزوا السيد غي عيد بدلا عنه ثم قتلوه لاعتقادهم انه من اصل يهودي »(٧) وذهبت مجلة بلجيكية معروفة بعدائها للثورة الفلسطينية الى القول بأن الفلسطينيين صرخوا في وجه الدبلوماسي البلجيكي : « انك يهودي قذر ! لقد فقدت ايلول الاسود احد رجالها في بروكسل . ستدفع انت ثمن ذلك »(٨) وكل هذا بالطبع مختلق . اولا لان ايلول الاسود لم تفقد ايا من رجالها في بروكسل . وثانيا لان المجلة تنقل ما تدعي ان الفدائيين قالوه للدبلوماسي البلجيكي قبل اطلاق الرصاص عليه في كهف السفارة . ولم يكن في ذلك المكان في تلك اللحظة الا الدبلوماسيين الذين قتلوا ورجال ايلول الاسود ... فمن اين استقت المجلة هذا النبأ ؟ واضطر اخيرا السيد جورج عيد شقيق القائم بالاعمال البلجيكي الى عقد مؤتمر صحفي يؤكد فيه : « لسنا يهودا . ونحن من اصل سوري لبناني نحمل الجنسية البلجيكية . وقد وقفنا دائما الى جانب القضية العربية ... »(٩).

الواقع ان التفسير الجدي والمنطقي الوحيد لمقتل السيد غي عيد هو الذي قدمه السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ والذي لمحت اليه او ذكرته بصراحة الصحف البلجيكية الكبرى(١٠). اي رغبة اسرائيل في اقامة مصنع للاسلحة في بلجيكا . والواقع ان هذا المشروع قد اثار ضجة كبيرة في الاوساط النقابية والصحفية والتقدمية وحتى في الاوساط الصناعية . وقصة هذا المصنع طويلة تستحق الدراسة لانها معركة بين الاعلام العربي والفلسطيني من جهة والنفوذ الصهيوني من جهة اخرى . وهي ايضا مثال فريد من نوعه للصراع الذي يمكن ان يقوم بين الرأي العام في اي بلد اوروبي وبين النفوذ الصهيوني المتغلغل في الاوساط التي تسيطر على رأس المال . كما ان قصة هذا المصنع تجربة حية لاعلام فلسطيني منفتح وغير اعتباطي وذكي بامكانه استغلال كل العناصر المعادية لمشروع معين حتى ولو لم تكن هذه العناصر حليفة حقيقية للثورة الفلسطينية . وفي هذا الموضوع بالذات لقد استغل الاعلام الفلسطيني عداء بعض المنظمات والفئات لانتاج الاسلحة في بلجيكا . كما تمكن من استغلال نوع من التنافس الشديد بين رجال الاعمال والصناعة . واخيرا تعاون في محاولة افشال هذا المشروع مع المنظمات التقدمية التي تدعم القضية الفلسطينية باخلاص .

وقبل سرد قصة المصنع الاسرائيلي لا بد من تقديم بعض الايضاحات حول الوضع في بلجيكا وذلك يسهل فهم بعض خفايا الامور . هناك نزاع قديم قائم بين المنطقة الفلمنكية الناطقة باللغة النيذرلندية (الهولندية) وعدد سكانها حاليا ٥ ملايين وبين المنطقة الوالونية الناطقة بالفرنسية وعدد سكانها ٣ ملايين . وتحاول كل من المنطقتين السيطرة سياسيا واقتصاديا على منطقة العاصمة بروكسل وعدد سكانها مليون نسمة . وكانت المنطقة الوالونية غنية ومزدهرة في الماضي بسبب وجود عدد كبير من مناجم الفحم فيها . وقد استغلت المنطقة الفلمنكية سنوات عديدة اقتصاديا وسياسيا . الا ان مناجم الفحم اقفلت تدريجيا . وتطورت الامور لصالح المنطقة الفلمنكية التي تمكنت من اقامة صناعات جديدة حديثة . وتستغل تفوقها السكاني لاستعادة كل ما يعود اليها من حقوق سياسية وبرلمانية . اما المنطقة الوالونية فتعاني من ازمة اقتصادية دقيقة .

استقالت الحكومة البلجيكية التي كان يرأسها السيد غاستون ايسكينز في شهر تشرين الاول الماضي . والسيد ايسكينز من الحزب المسيحي الذي كان قد شكل تلك الوزارة بالتعاون مع الحزب الاشتراكي البلجيكي . وكان يشغل منصب وزير الاقتصاد في تلك الوزارة السيد هنري سيمونيه (اشتراكي) المعروف بدعمه لاسرائيل وحرصه الشديد على حماية المصالح الاسرائيلية في بلجيكا. وكان يشغل السيد كلوز (وهو ايضا اشتراكي من منطقة لييج) منصب سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي في المنطقة الوالونية . والحزب الاشتراكي البلجيكي من اكثر الاحزاب البلجيكية دعما لاسرائيل مع الحزب الليبرالي الذي يمثل اقصى اليمين .

شكل السيد ادمون لوبيرتون الوزارة الجديدة بعد مباحثات طويلة شاقة وشائكة استمرت اكثر من شهرين . واشترك في هذه الوزارة الجديدة ممثلون عن الاحزاب البلجيكية الكبيرة الثلاثة : الحزب المسيحي والحزب الاشتراكي والحزب الليبرالي . وكان السيد لوبيرتون اول شخصية اشتراكية والونية ترأس الوزارة في بلجيكا . ولم يعد السيد سيمونيه يشغل منصب وزير الاقتصاد لانه عين ممثلا لبلجيكا في اللجنة الاوروبية . وحل محله في الوزارة الجديدة السيد ويلي كلاز وهو ايضا اشتراكي

ولكن من المنطقة الفلمنكية . كما عين السيد جان دوفريبي في منصب سكرتير الدولة للاقتصادالاقليمي في المنطقة الوالونية . وهو ليبرالي من منطقة لييج.

عندما يصبح السر في متناول الصحافة

جرت المباحثات حول هذا المشروع في جو من التكتم الشديد . ولم تذكر الصحافة البلجيكية عنه شيئا. الا بعض التلميحات في صحيفة لا ديرنيير اور او في النشرة الاخبارية المحلية التي تبثها الاذاعة البلجيكية . ولكن كان لا بد من اطلاع الرأي العام على هذا المشروع خصوصا وقد اقترب موعد الاتفاق النهائي وان الشركة الاسرائيلية كانت تنوي البدء في بناء المصنع في مطلع شهر كانون الثاني من العام الحالي ١٩٧٣ .

فذكرت صحيفة لا ليبر بلجيك المسيحية في نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٧٢ ان الشركة الاسرائيلية « اسرائيل ايركرافت اندستريز » تنوي اقامة مصنع كبير لصناعة الطائرات في بلجيكا . وانه من المتوقع ان يعمل في هذا المصنع من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ عامل(١١) واضافت الصحيفة ان وفدا رسميا اسرائيليا من رجال الاعمال والصناعة يقوم حاليا بزيارة لبلجيكا وانه سيتوجه الى بلدتي كوسليه (بالقرب من شارلروا) وبييرسيه (بالقرب من لييج) وكلاهما في المنطقة الوالونية وذلك لاختيار الموقع الافضل لاقامة هذا المصنع . ويبدو ان وفدا اسرائيليا مماثلا كان قد قدم الى بلجيكا قبل ذلك بعدة شهور واجرى مباحثات حول هذا الموضوع مع السيد ادوارد كلوز سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي الوالوني في ذلك الحين .

وفي عددها الصادر في ١٩٧٢/١٢/١٩ القت صحيفة لا موز الصادرة في منطقة لييج المزيد من الضوء حول هذه المباحثات والزيارات(١٢) فقالت ان الشركة الاسرائيلية المذكورة كانت تخطط منذ زمن طويل لاقامة مصنع من هذا النوع في اوروبا . وقد وقع اختيارها على بلجيكا في مطلع عام ١٩٧٢ اولا بسبب موقع هذا البلد الجغرافي في قلب السوق الاوروبية المشتركة وثانيا بسبب السياسة الاقتصادية الخارجية المنفتحة التي ينتهجها المسؤولون البلجيكيون . وقد فات الصحيفة ان تذكر ان السيد هنري سيمونيه قد تسلم منصب وزير الاقتصاد في الوزارة البلجيكية في مطلع ١٩٧٢ . وتضيف الصحيفة ان وفدا من الاخصائيين البلجيكيين يضم ممثلين عن وزارتي الاقتصاد والدفاع الوطني كان قد زار مؤسسة اسرائيل ايركرافت اندستريز في اللد في شهر تموز الماضي وان هذا الوفد عاد من زيارته معجبا بما شاهده وبعد ان كون لنفسه فكرة واضحة عن الامكانات التي تستطيع هذه المؤسسة تقديمها . كما ان وفدا بلجيكيا مماثلا زار المؤسسة الاسرائيلية المذكورة مرة اخرى في نهاية شهر تشرين الاول ١٩٧٢ وان الامور اخذت بعد ذلك تسير بسرعة اذ قدم المسؤولون الاسرائيليون الى الحكومة البلجيكية ملفا وافيا مفصلا وطلبا رسميا اوضحوا فيه عرضهم وبينوا الشروط التي لا بد ان توافق عليها بلجيكا من اجل الشروع في تحقيق هذا المشروع . وتؤكد الصحيفة ان الاسرائيليين طلبوا من الحكومة البلجيكية تحديد موقفها بشكل نهائي قبل نهاية عام ١٩٧٢ .

ولا بد من الملاحظة ان الامور بدأت تسير بسرعة في الوقت الذي كانت فيه وزارة السيد ايسكينز معرضة للاستقالة . واستقالت فعلا بعد ذلك بايام. واما تحديد نهاية عام ١٩٧٢ فلانه بدا واضحا ان السيد هنري سيمونيه لن يشغل منصب وزير الاقتصاد في الوزارة الجديدة . ولذا كان لا بد لانجاح المشروع من الموافقة عليه قبل مغادرة الوزير الصديق لاسرائيل ليتسلم منصبه الجديد في اللجنة الاوروبية .

وفي حديثها عن شركة اسرائيل ايركرافت اندستريز قالت الصحيفة البلجيكية نفسها(١٣) ان « القوة الضاربة الاسرائيلية مشهورة في العالم كله » وان اسرائيل ايركرافت اندستريز « مثال حي للديناميكية الاسرائيلية » . تأسست هذه الشركة عام ١٩٥٤ وكان يعمل فيها حينذاك حوالي ٧٠ شخصا . وكان نشاطها في ذلك الحين يقتصر على اصلاح الطائرات وصيانتها . وفي عام ١٩٥٨ اصبح عدد العاملين فيها ٤٠٠٠ واخذت تصنع بموجب ترخيص خاص طائرة « فوغا ماجيستر » الفرنسية كما بدأت تعمل في المجال الالكتروني والرادار والاتصالات . وتصنع هذه الشركة ايضا صواريخ « غبرييل » . يعمل حاليا فيها حوالي ١٤٦٥٢ شخصا ويبلغ حجم رقم اعمالها ١٥ مليار فرنك بلجيكي . وتضيف الصحيفة ان اسرائيل ايركرافت تمكنت من انتاج نوع محسن من الطائرة الفرنسية « ميراج م ٥ » التي تدعى « برق » وطائرة « عرفا » في نوعيها الحربي والمدني .

المصنع المنوي اقامته في بلجيكا

بدا واضحا في الاسابيع الاخيرة ان الشركة الاسرائيلية قد اختارت بيرسيه بالقرب من لييج موقعا لبناء المصنع الجديد . وذلك لاسباب عديدة اهمها : ١) وجود مطار كبير في هذه البلدة وبالقرب من موقع المصنع . ٢) وجود عدد كبير من العاطلين عن العمل في هذه المنطقة والركود الاقتصادي الذي تعاني منه بسبب اغلاق مناجم الفحم التي كانت في الماضي تشكل عصب الازدهار الاقتصادي فيها . وكان ذلك يحمل الشركة الاسرائيلية على الاعتقاد بانها لن تجد اية معارضة من الاهالي والعمال والنقابات . ٣) موقع بلدة بيرسيه بالقرب من قاعدة ومطار تابعين لحلف شمالي الاطلسي مما سيجعل المصنع يستفيد من بعض التسهيلات ومن الحراسة المشددة القائمة حولهما والاعفاء من المراقبة الجمركية في حال رغبة المسؤولين عنه شحن الاسلحة والمعدات من والى بيرسيه . اذ يبدو ان طائرات الشارتر التي تهبط هناك لا تتعرض لاية مراقبة او تفتيش من قبل مسؤولي الجمارك البلجيكيين . وتفيد مصادر صحفية مطلعة ان تهريب الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل وخصوصا قطع الغيار لطائرات الميراج التي يشملها الحظر الفرنسي يتم عن طريق هذا المطار . ٤) وجود قسم للبحوث الالكترونية في جامعة لييج فيه الات حديثة جدا ولكنها عاطلة عن العمل جزئيا لافتقار بلجيكا الى كفاءات تستغلها وشركات متخصصة في هذا المجال بامكانها ان تكلف الجامعة ببحوث . وتأمل الجامعة المذكورة والشركة الاسرائيلية ان يتم بينهما تعاون وثيق في هذا المجال مما يعود على المصنع بفائدة كبيرة ويكسب الجامعة شهرة وخبرة بالاضافة الى الربح . ويسهل ذلك وجود بعض المدرسين الموالين لاسرائيل في جامعة لييج نذكر منهم النائب جان جول اليهودي الاصل وهو صهيوني عنيد ومن اكبر رجال الدعاية لاسرائيل في بلجيكا . ٥) تعتمد الشركة الاسرائيلية من اجل تحقيق اهدافها على دعم شخصيات من الحزب الاشتراكي ومن بينهم السيد اندريه كولز رئيس الجناح الوالوني في هذا الحزب وهو من منطقة لييج والسيد كلوز سكرتير الدولة السابق للاقتصاد الاقليمي الوالوني وهو ايضا من لييج يشغل منصب وزير الداخلية في الوزارة الجديدة .

تبلغ القيمة الاجمالية للاستثمارات المتوقعة لبناء هذا المصنع ١٥٠٠ مليون دولار تدفع الحكومة البلجيكية منها ٦٠٠ مليون . كما تطالب الشركة الاسرائيلية الحكومة البلجيكية بمنحها بعض الاعفاءات الجمركية الموقتة وشراء منتجات من المصنع الجديد بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار في السنوات الثلاث الاولى من انشائه(١٤). وتتعهد الشركة الاسرائيلية من جهتها بخلق ٤٧٠ فرصة عمل جديدة في السنة الاولى لانشاء المصنع و ١٢٠٠ فرصة عمل في نهاية العام الثاني على أن يصل هذا العدد الى ١٥٢٠ بعد أربعة أعوام . كما تتعهد بنقل فرعين تابعين لها من باريس ولندن الى بيرسيه يعمل فيهما ١٥٠ شخصا ويبلغ رقم عملهما معا حوالي ٢٠ مليون دولار . وتعتقد الشركة الاسرائيلية انها ستتمكن خلال عشر سنوات من اقامة مركز لصناعة الطائرات في بيرسيه يعمل فيه حوالي ١٥ الف شخص . وستتعاون مع شركة ايركرافت كوربوريشن الاميركية والشركة الوطنية للاستثمار البلجيكية . ويقتصر المصنع الجديد في بادىء الامر على انتاج طائرات « كومودور جيت ايلين ٢٣ » . وطائرات « عرفا » والاجهزة الالكترونية المخصصة لصواريخ « غبرييل » وغيرها من الادوات الالكترونية العالية التخصص(١٤) وقد ركزت الصحف البلجيكية في حديثها عن هذا المصنع على نوعين من الانتاج اولا طائرة عرفا وثانيا صواريخ غبرييل . والمعروف ان طائرة عرفا اسرائيلية الصنع وبامكانها القيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات والتصوير الجوي والمراقبة . كما يمكن استعمالها كمركز قيادة طائر اذ تستطيع الهبوط في ساحة المعارك . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا بأسلحتهم الكاملة او ما حمولته طنين من الذخيرة او نقل الجرحى حيث يستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الهبوط والاقلاع على ومن مدارج قصيرة وشبه معبدة تتراوح اطوالها بين ١٢٠ ـــ ١٥٠ مترا . وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتتمكن من نقل ٣٢ راكبا. وتؤكد السلطات الاسرائيلية انها تلقت حتى نهاية عام ١٩٧١ ما مجموعه ٨٢ طلب شراء هذه الطائرة معظمها من دول افريقية الا انه يبدو انها تجد صعوبة في تسويقها بسبب بعض الحوادث التي حصلت لها اثناء عمليات التجربة وكان اخرها في معرض باريس الجوي(١٥). وتستعمل طائرة عرفا خصوصا في العمليات ضد حرب العصابات

وباستطاعتها القيام بمهام طائرة الهيليكوبتر . ثمن الطائرة الواحدة منها ٤٥٠ الف دولار . وقد عرضت لاول مرة في ٢١ اذار ١٩٧٢ في معرض هانوفر . ويبدو ان المسؤولين العسكريين في حلف شمالي الاطلسي يرغبون في شرائها(١٦).

أما « غبرييل » فهو صاروخ بحر بحر اسرائيلي الصنع يبلغ مداه ٢٢ كم . ويبدو ان اسرائيل عملت على تطويره ليستطيع اصابة اهداف وراء الافق . ويسمى هذا الصاروخ الجديد غبرييل ٢ ويبلغ مداه ٤١ كم . يسلح هذا الصاروخ زوارق « ريشيف » (الشرارة) الاسرائيلية والتي صنعت على نمط زوارق ساعر الحربية المشهورة(١٧)ويحمل هذا الصاروخ البعيد المدى راسا حربيا يزن حوالي ٣٠٠ رطل(١٨) وتحاول الدعاية الاسرائيلية اظهاره على انه الوحيد العامل من نوعه(١٩). وقد بدات المصانع الحربية الاسرائيلية في تصدير كمية من هذه الصواريخ وتؤكد السلطات الاسرائيلية ان دولا عديدة طلبت تزويدها بها وان مجموع قيمة الطلبات وصل الى مبلغ ٣٨ مليون دولار(٢٠). واكثر الدول اهتماما به سنغافورة وايران .

الحملة المضادة لهذا المشروع

ما أن بدات الصحف البلجيكية تكشف النقاب عن طبيعة هذا المشروع الحقيقية حتى اخذ اصدقاء الثورة الفلسطينية والعاملون في حقل الاعلام الفلسطيني يجمعون المعلومات ويجرون الاتصالات من اجل افشال المشروع . وفي الاسبوع نفسه الذي كان من المقرر ان تدرس فيه اللجنة الوزارية للتنسيق الاجتماعي والاقتصادي مشروع المصنع الاسرائيلي وصل الى بروكسل في زيارة رسمية السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية . وبعكس ما كان يتوقع الجميع أجلت اللجنة المختصة البت في هذا الموضوع الى وقت لاحق . وصرح احد الوزراء الاعضاء في هذه اللجنة لمراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية (وتعتقد الاوساط الصحفية ان هذا الوزير هو السيد بيير هارمل الذي كان لا يزال وزيرا للخارجية في ذلك الحين) « ان لهذا المشروع جوانب دولية لا بد من دراستها قبل أن نتخذ موقفا نهائيا »(٢١). وافادت الصحف ان الدول العربية تضغط على الحكومة البلجيكية للحيلولة دون انشاء هذا المصنع وان السيد عمر السقاف قد كشف النقاب عن وجود مثل هذه الضغوط . وبالفعل أعرب الوزير السعودي في حديث صحفي « عن أمله بالا تاتي رؤوس اموال مخربة من شأنها ان تلحق ضررا بالقضية العربية وتسيء الى العلاقات البلجيكية السعودية الحسنة » . واضاف « اذا ما علمنا انه ستقام في بلجيكا صناعة اسرائيلية فليس هناك ما يمنعنا من التوجه الى مصدر اخر لشراء اسلحتنا »(٢٢). وما يزيد من شدة هذا التهديد المبطن ان الوزير السعودي تحدث في المقابلة الصحفية نفسها عن النمو الكبير المتوقع للتعاون بين المملكة وبلجيكا في عدة ميادين بالاضافة الى شراء كميات كبيرة من الاسلحة . وعقبت الصحف البلجيكية على هذا التصريح بقولها انه يعكس وجهة النظر العربية(٢٣). واحدثت تصريحات السيد عمر السقاف ضجة كبيرة اذ تحدثت عنها معظم الصحف البلجيكية ونشرتها بعضها كاملة وكانت في الواقع الرصاصة الاولى في حرب اعلامية شنت على هذا المشروع .

وضع السيد عمر السقاف الموضوع بين يدي الراي العام البلجيكي . وفهمت الاوساط الاسرائيلية والاوساط البلجيكية الموالية لهذا المشروع انه اصبح معرضا للفشل نهائيا . فاللجنة الوزارية اجلت البت فيه بعد أن كانت الاوساط الصحفية تتوقع الموافقة عليه وتطالب باتخاذ قرار سريع(٢٤). حتى أن موشي ديان صرح في رد على سؤال وجه اليه في الكنيست انه ستتم دراسة هذا الموضوع في وقت قريب في اللجنة المالية التابعة للكنيست(٢٥)... وما ضاعف قلق انصار المشروع كون مجلة كومبا الناطقة باسم النقابات الاشتراكية في منطقة لييج قد اعلنت عن عدائها الصريح لهذا المصنع لاعتقادها انه سيفجر العلاقات القائمة بين الدول العربية وبلجيكا وانه سيقدم الدعم للطرف الصهيوني في نزاع الشرق الاوسط وسيشكل خطرا حقيقيا على امن وسلامة من سيعملون فيه(٢٦). وقد اتخذ هذا الموقف الحازم على اثر اتصالات اجريت مع السيد جاك يرنا احد الزعماء النقابيين في منطقة لييج ومن اكبر رواد الحركة التقدمية في المنطقة الوالونية بأكملها . وهو صديق مخلص للقضية الفلسطينية . وموقفه في غاية الاهمية اولا لانه يمثل وجهة نظر النقابات الاشتراكية — مع العلم بأن الحزب الاشتراكي هو الذي يدعم المشروع — وثانيا لانه يمثل وجهة نظر العمال وهم اول المعنيين بمثل هذا المصنع .

وامام هذا الخطر بدات حملة مزايدات هدفها

الضغط على معارضي المشروع وخصوصا النقابات في منطقة لييج . فتحدث مراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية عن « اهتمام شخصيات هولنديـــة بالمشروع »(٢٧) وتحدثت صحيفة لا ديرنيير اور عن اهتمام كوسليه به (وهي في منطقة شارلروا) ثم عن رغبـة فيفلكيم وبعدها اوستاند (وكلاهما في المنطقة الفلمنكية) في الحصول على المصنع(٢٨). والغاية من هذه الحملة المصطنعة خلق جو مـن التنافس بين جوسليه وبيبرسيه (وكلاهما فـي المنطقة الوالونية) وبين هاتين البلدتين وفيفلكيم واوستاند من جهة اخرى (وكلاهما في المنطقـة الفلمنكية) . الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل لعدة أسباب اهمها ان الشركة الاسرائيلية مصممة على اقامة هذا المصنع في بيبرسيه للاسباب التـي ذكرناها اعلاه . وان اكبـر منـاصري المشروع شخصيات اشتراكية والونية من منطقة لييج وان دعمهم سيفتر او سيصبح غير فعال اذا ما انتقل المشروع الى منطقة ثانية . اضف الى ذلك ان هذه الشائعات حركت منظمات فلمنكية عارضته بشدة . ولذا فشلت محاولة المزايدات ولم يعد احد يتكلم عن موقع اخر غير بلدة بيبرسيه .

ردود الفعل المعادية لهذا المشروع

كانت مجلة كومبا اول من أبدت المزيد من التحفظات حول هذا المشروع فقالت « الا يجدر بالتقدميـين الوالونيين بدلا من التنافس للحصـول على هذا المصنع كل في منطقته من أن يتفهموا اولا طبيعته الحقيقية » ؟(٢٩). وتبعت ذلك سلسلة من المواقف والبيانات اتخذتها او تبنتها حركات تقدميـة او منظمات نقابية تشجب فيها هذا المشروع وتطـالب الحكومة البلجيكية برفضه نهائيا . واسباب هـذه المعاداة تختلف باختلاف المنظمات ويجوز تلخيصها فيما يلي مع الملاحظة ان بعض المنظمـات قدمت سببا او سببين او كل هذه الاسباب مجتمعة : ١) المصنع مصنع اسلحة ونحن نعارض انتـاج الاسلحة الذي يجعل من بلجيكا « تاجرة مدافع ». ٢) يعتبر المصنع دعما مباشرا او غير مبـاشر للدولة الصهيونية (او الحكومة الاسرائيلية) التي تتصرف في الاراضي المحتلة تصرف الفاتح وترفض الانصياع لقرارات مجلس الامن والامم المتحدة . ٣) لا يجوز لنا دعم اسرائيل التي تضطهد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في الوقت الـذي تضطر فيه الامم المتحدة وحتى الحكومة البلجيكيـة ادانتها لرفضها تطبيق قرارات الامم المتحدة . ٤) سيضر هذا المصنع بعلاقاتنا التجارية الحسنـة بالدول العربية ٥) سيعرض هذا المصنع حيـاة العاملين فيه للخطر اذ ليس هناك من يستطيع منع الفلسطينيين من مهاجمته بما أنه يصنع الاسلحـة لصالح اسرائيل . ٦) سيضر هذا المصنع بـدور الوساطة الذي ترغب الدبلوماسية البلجيكية ان تلعبه في نزاع الشرق الاوسط كما سيجبر بلجيكا على التخلي عن موقفها الحيادي في هـذا النزاع . ٧) سيؤدي هذا المصنع الى نقل الحرب العربية ـ الاسرائيلية الى الساحة البلجيكية وذلك يشكـل خطرا على سلامة المواطنين وعلى سلامة الجالية العربية المقيمة في بلجيكا اذ ستعمل سلطات الامن على مطاردتها كما طاردت السلطات الالمانية العرب بعد عملية ميونيخ .

وفيما يلي بعض المنظمات التي اتخذت موقفا صريحا معاديا لهذا المشروع : الحركة الوطنية المسيحية من أجل السلام ، الاتحاد البلجيكي للدفاع عـن السلام ، منظمة باكس كريستي في منطقة تورني، التجمع من أجل السلام في منطقة لييج ، التجمع من أجل التنمية ، لجنة العدل والتنمية ، النقابات المسيحية في منطقة لييج ، منظمـة الشبـاب الاشتراكيين (ولا شك ان موقفهم سيؤثر علـى الحزب الاشتراكي) ، لجنة فلسطين الوطنية ، لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، مركز الدراسات الماركسية حول الثورة الفلسطينية ، لجنة فلسطين في لوفان (وقد أصدرت هذه اللجنة بيانا وقعت عليه حوالي ثلاثين منظمـة طلابية وعمالية وتقدمية بلجيكية وعربية) ، منظمة الصداقة البلجيكية العربية (والتي اسست في شهر شباط ووزعت حوالي ٥ الاف ملصق تشجب اقامة المصنع الصتت في كـل انحاء بلجيكا) ، لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ (لا شك ان الفضل في اتخاذ هذا الموقف المهم يعود الى نفوذ السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ الذي عارض المشروع بصراحة في مقالين في صحيفة لا ليبر بلجيك كما ذكرنا اعلاه) . وهناك احزاب لم تتخذ موقفا صريحا ولكنها عبرت عن عدائها في صحفها او نشراتها مثل الحزب الشيوعي والحزب المسيحي والمنظمة التروتسكيـة والمسيحيـين الديموقراطيين الخ .

والجدير بالذكر ان هناك صحفا او مجلات انتقدت

المشروع بشدة بايحاء من بعض رجال الاعمال والمصانع البلجيكية . ذلك لان بعض رجال الاعمال يخشون ان يسيء المصنع الى علاقاتهم الحسنة مع الدول العربية . وهناك مصانع بلجيكية ترى في هذا المصنع منافسا خطيراً ومنها المصنع الوطني للاسلحة في هيرستال (والذي يبيع كميات كبيرة من الاسلحة للدول العربية) . ولم تبح طبعا هذه الصحف او المجلات بدوافعها الحقيقية ولكنها بررت موقفها بالاسباب المذكورة اعلاه والتي قدمتها باقي المنظمات واضافت اليها أسبابا اخرى مثل التكاليف المالية الباهظة التي ستتحملها الميزانية البلجيكية من جراء اقامة هذا المصنع .

محاولات التغطية والتمويه

لا شك ان كل هذه المواقف التي نشرتها الصحف واشارت اليها الاذاعة البلجيكية قد اثرت على الراي العام الذي أخذ يبدي عداءه لهذا المشروع. ولا حاجة للذكر ان السفراء العرب تدخلوا من جهتهم لدى السلطات البلجيكية لاقناعها بالعدول عنه . ولا شك أن الدبلوماسي العربي الذي يهتم بشؤون الاعلام والمقاطعة قد لعب دورا أساسيا في محاولة افشال المشروع وانه كان محور حركة المعاداة له . وبسبب كل ذلك المزيد من الحرج للسلطات البلجيكية المختصة ، فأجلت البت في الموضوع مرة اخرى. واخذ انصار المشروع يبحثون عن مخرج ويبحثون عن السبل لتبريره وتمريره . فبدأت حملة التمويه والتغطية . وفي ١٩ شباط عقد السيد جان دوفريني سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي الوالوني مؤتمرا صحفيا حول هذا الموضوع . ويمكن تلخيص تصريحاته كما يلي : ١) ان هذا المشروع عملية اقتصادية وتجارية بشكل رئيسي . سينتج المصنع بالطبع معدات حربية ولكنها لن تعمل على تقوية احد المعسكرين في الشرق الاوسط . خصوصا وان المصنع سيعمل بشكل خاص على انتاج معدات للاستعمال المدني مثل طائرات النقل كما سيعمل في ميادين اصلاح وصيانة الطائرات المدنية ... ٢) لن يكون المصنع اسرائيلي الجنسية . اذ ستشرف عليه شركة بلجيكية سيتم خلقها لهذا الهدف . وقد حصلت الحكومة البلجيكية على ضمانات بانه سيتم احترام كل القوانين البلجيكية المتعلقة بانتاج وتصدير الاسلحة . كما سيكون لها حق مراقبة مطلق . ٣) لن يسيء هذا المصنع الى علاقاتنا التجارية مع الدول العربية لان حجم التبادل التجاري بين اسرائيل وبلجيكا يفوق حجم التبادل التجاري بين بلجيكا وكل الدول العربية مجتمعة . ٤) سيخلق هذا المصنع حوالي ١٧٠٠ فرصة عمل جديدة خلال السنوات الاربع الاولى ومن الممكن ان يعمل فيه في وقت لاحق وفي مرحلة ثانية من التوسع من ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ عامل. ٥) ستمول المشروع الشركة البلجيكية «سيديسا» وشركة « اسرائيل ايركرافت اندستريز » وشركة بيش ايركرافت الاميركية . وستشكل معا شركة جديدة بلجيكية الجنسية تسمى « بلجيان ايرسبيس » .

وتنفس انصار المشروع الصعداء . وظنوا ان محاولة التغطية هذه ستخفف الضغط . ونشرت الصحف البلجيكية في اليوم التالي تصريحات السيد دوفريني . الا ان ردود الفعل كانت عنيفة من قبل عدة صحف ومجلات خصوصا وان الطائرات الاسرائيلية اسقطت في ذلك الحين الطائرة المدنية الليبية وان الجيش الاسرائيلي هاجم مخيمي البداوي ونهر البارد كما قصفتها من البحر بواسطة زوارق شيربورغ التي تسلحها صواريخ غبرييل . واخذت هذه الصحف والمجلات تكذب اقوال السيد دوفريني وترد عليه . ونذكر من بينها صحيفة لا ليبر بلجيك (١٩٧٣/٢/٢٢) وصحيفة لوسوار (١٩٧٣/٢/٢٣) ومجلة « العالم والسلام » (عدد شباط — اذار) ، مجلة « لاغوش » التروتسكية ومجلة « مي » (عدد اذار — نيسان) ومجلة رينوفاسيون (١ — ٧ اذار) ومجلة درابوروج (١٩٧٣/٢/٢٣) ومجلة بور (في عددها الاول ١٣ اذار) الخ .

كما أصدر مكتب المقاطعة العربية في دمشق بيانا ضمنه الارقام الحقيقية للتبادل التجاري بين بلجيكا وكل من اسرائيل والدول العربية حسب الارقام الرسمية التي نشرها مركز التجارة الخارجية البلجيكي . ويمكن تلخيص كل ردود الفعل هذه في النقاط التالية :

١) ستساهم بلجيكا في هذا المشروع بمبلغ ٧٥٠ مليون فرنك . كما تتعهد بشراء منتجات من هذا المصنع بما قيمته ٥٠٠ مليون فرنك . وهذا عبء مالي باهظ اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما سيعود به هذا المصنع على بلجيكا من فوائد .

٢) ان اللجوء الى خلق شركة بلجيكية تتبنى هذا المصنع انما هي تغطية هدفها اسكات الرأي العام

ولا يغير طبيعة المصنع . خصوصا وان الشركة الاميركية حليفة لاسرائيل ايركرافت وان أصحاب شركة سيديسا اسرائيليون او أصدقاء لاسرائيل.

٣) سينتج هذا المصنع الكثير من المعدات العسكرية وبعض المعدات المدنية . فطائرة عرنا عسكرية وكذلك صواريخ غبرييل . والبحوث الالكترونية تستخدم اولا لاهداف عسكرية . فلا يبقى من الطابع المدني الا صيانة الطائرات واصلاحها . وهذا لا يستوجب بناء مصنع جديد .

٤) لن يخلق هذا المصنع اكثر من ١٠٠٠ فرصة عمل جديدة ويتضح ذلك من المبالغ المكرسة له ومن طبيعة عمله .

٥) بلغت قيمة مجموع التبادل التجاري بين بلجيكا والعالم العربي عام ١٩٧١ حوالي ٣١ مليار فرنك (و٣٨ مليارا لعام ١٩٧٢) مقابل ٥٤٤ مليار فقط للتبادل التجاري بين بلجيكا واسرائيل (حوالي ٦ مليارات لعام ١٩٧٢) . كما ان التبادل التجاري بين السوق الاوروبية المشتركة ودول حوض البحر الابيض المتوسط ومعظمها عربية يكاد يساوي حجم تبادلها التجاري مع الولايات المتحدة الاميركية .

ثم جاءت عملية الخرطوم . وقتل القائم بالاعمال البلجيكي . واشتد العداء للمصنع . الا ان شركة سيديسا اصدرت بيانا قالت فيه ان الشركة الاسرائيلية اعلمتها برقيا بانها تنوي الاكتفاء في بادىء الامر بانتاج معدات مدنية ولن تنتج أيسة معدات عسكرية . وفي ١٩٧٣/٣/٧ قالت الصحف انه من المحتمل ان توافق الحكومة على المشروع على ضوء هذا النبأ . الا ان السيد لوبيرتون رئيس الوزراء كذب ذلك بشدة ووصف هذه الاشاعات بانها خاطئة ومؤسفة . واعلن ان موقف الحكومة لن يتغير وان دراسة هذا المشروع اجلت الى أجل غير مسمى ... غير أن هذا التصريح لم يرض اعداء المشروع . ولذا فهم مصرون على متابعة حملتهم حتى تضطر الحكومة الى رفضه نهائيا . ولذا فهم يتابعون العمل الاعلامي لكي يبقى الرأي العام البلجيكي صاحيا ويمارس ضغوطا قوية على الجهات المختصة . والجدير بالذكر انه يتم كل يوم اكتشاف ناحية مخفية من هذا المشروع . واذا لم ترفضه الحكومة بسرعة فسينتهي الامر بفضح عدد من الشخصيات الحكومية وكشف المصالح الحقيقية وراء هذا المصنع وجوانب كانت حتى الان مخفية من التعاون الاقتصادي بين بلجيكا واسرائيل .

---

١ ــ صحيفة لا ليبر بلجيك ١٩٧٣/٣/٥ .
٢ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٢/٢٦ .
٣ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٣/٥ .
٤ ــ صحيفة لوبوبل ٣ ــ ١٩٧٣/٣/٤ .
٥ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٣/٥ .
٦ ــ المصدر نفسه .
٧ ــ صحيفة لا ديرنيير اور ١٩٧٣/٣/٨ .
٨ ــ مجلة بوركوا با ١٩٧٣/٣/٨ .
٩ ــ صحيفة لا ليبر بلجيك ١٠ ــ ١٩٧٣/٣/١١ .
١٠ ــ لو سوار في ١٩٧٣/٣/٣ ، لا ليبر بلجيك في ١٩٧٣/٣/٥ لوبوبل في ٣ ــ ١٩٧٣/٣/٤ .
١١ ــ لا ليبر بلجيك في ١٩٧٣/٢/٢٢ .
١٢ ــ صحيفة لاموز في ١٩٧٢/١٢/١٩ .
١٣ ــ المصدر السابق .
١٤ ــ لوسوار ١٩٧٢/١٢/٦ .
١٥ ــ هشام عبدالله : سلاح الطيران الاسرائيلي شؤون فلسطينية عدد ١٥ ص ٨٧. الدكتور يوسف شبل : صناعة الاسلحة في اسرائيل ، شؤون فلسطينية عدد ١٢ ص ٢٣١ .
١٦ ــ Larry Lockwood: Israel's expanding arms Industry, Journal of Palestine Studies, vol. I, no 4, Summer 1972, p. 89.
١٧ ــ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة الثالثة العدد ٤ تاريخ ١٩٧٣/٢/١٦ ص ١١٥ وصحيفة لوموند الفرنسية في ١٩٧٣/٢/٦.
١٨ ــ الدكتور يوسف شبل المصدر السابق .
١٩ ــ لارى لوكوود المصدر السابق ص ٨٠ .
٢٠ ــ الدكتور يوسف شبل المصدر السابق .
٢١ ــ لا ليبر بلجيك ١٩٧٢/١٢/٢٢ .
٢٢ ــ لوسوار ١٩٧٢/١٢/٢٣ ، لاموز ١٩٧٢/١٢/٢٦ .
٢٣ ــ صحيفة لا لانتين ١٩٧٢/١٢/٢٦ .
٢٤ ــ لا موز ١٩٧٣/١٢/١٩ .
٢٥ ــ لوبوبل ١٩٧٢/١٢/٢٧ .
٢٦ ــ مجلة كومبا ١٩٧٢/١٢/٢١ .
٢٧ ــ لا ليبر بلجيك ١٩٧٢/١٢/٢٢ .
٢٨ ــ لا ديرنيير اور ٧٣/١/٥ و ١٩٧٣/٢/١ .
٢٩ ــ كومبا ١٩٧٢/١٢/٢١ .

لماذا كل هذا الضجيج حـــول « أزمـــة الطاقة » ؟

كين مايركورد

مثل عاصفة صيفية هوجاء هبت علينا فجأة « أزمة الطاقة » ، مهددة باقتلاع وجود هـــذه الامة [الاميركية] من أساسه . الصحافة تصور مصير الغرب مربوطا بخيط نفطي يمسك بطرفه عـــرب مزاجيون ، والاميركيون السذج يضرعون امام صور اميركا التي بدون نفط حيث الاطفال يمشون الـــى المدرسة سيرا على الاقدام والامهات يخيطن علـــى ضوء الشموع والاباء يهيئون الاخشاب للنار . وبينما نصغي نحن بصمت رهيب يتنبأ زعماؤنا بان ازمة الطاقة « ستحل مكان الحرب الباردة اذ ستكون اكثر المشاكل الحاحا تواجه اميركا في السنوات القادمة » (الجنرال جورج لينكولن ، مدير مكتب تجهيزات الطوارىء) .

ولكن ربما كان من الحكمة ان نتأمل قليلا قبل ان نبدأ باقامة المتاريس .

يشير المفكر الاسرائيلي — الاميركي ناداف سافران الى انه « قد مرت عدة تخويفات نفطية في تاريخ اميركا الحديث ، ولكن ذلك كان يتفق دوما مـــع مطالب محددة من شركات النفط الكبرى الى حكومة الولايات المتحدة . ولكن حين كانت هذه المطالب تستجاب او حتى تبدو أنها في طريق التحقيق ، كانت « أزمة النفط » تختفي بشكل مفاجىء وغامض مثلما بدأت » . فلقد جاء التخوف النفطي الكبير عامي ١٩١٩ — ١٩٢٠ مثلا عندما كانت شركـــات النفط الاميركية الرئيسية تسعى للحصول علـــى دعم الحكومة للحصول على نصيب في شركة نفط العراق . وفي نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت حالة خوف اخرى عندما كانت شركتا ستاندرد اويل اوف نيوجيرسي وسوكوني تطلبان دعم الحكـــومة في اخلالهما باتفاقية طويلة الاجل مع المصـــالح البريطانية والفرنسية وذلك لكي تدخلا في شراكة مع شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا وشركة تكساكو في شركة النفط العربية — الاميركية (ارامكو) . وامتدت تلك الحالة الى ان حصلت شركة ارامكو من الحكومة على حصة من تساطل الفولاذ القليلة، وذلك لكي تتمكن من تمديد خط التابلاين .

يجب ان يكون واضحا تماما انه في صناعة متقدمة، ضخمة وحيوية مثل صناعة النفط حيث يعمل الاف الاخصائيين ، حكوميين ومستقلين ، في دراســـة الاتجاهات واعداد الخطة القصيرة والبعيدة ، فان الازمات لا يمكن ان تأتي على حين غرة . فهـــذه الازمات لا بد وان تكون متوقعة سلفا ، مع أن الجماعة صاحبة المصلحة الخاصة والتي تقف وراء الازمة الحالية لا زالت غير معروفة . من الممكن ان يكون أصحاب « نورث سلوب » راغبين في التغلب على الاحتجاجات من اجل سلامة البيئة ، والتي تعرقل بناء خط انابيب النفط عبر الاسكا . كمـــا يمكن أن تكون هذه الجماعة هي في الواقع منتجـــو النفط المحليون وذلك بسبب خوفهم من أن يؤدي استيراد النفط الرخيص الى اغراق سوقهم اذا هم لم يبادروا ويجعلوا الاميركيين يشعرون بضرورة الحاجة الى تطوير مصادر الطاقة الداخلية . ولكن على الارجح ان يكون هؤلاء النافذون قد ركبـــوا الموجة فقط ، وان تكون شركات النفط الاميركية العاملة في الشرق الاوسط ، مرة اخرى ، هي التي تقف وراء الازمة .

لم يكن حدثا معينا او طلبا محددا هو الذي جعل الكبار يقذفون بالامة الى حـــالة الذعر هذه المرة ، وانما يعود ذلك الى التحول الذي حصل في ميزان القوى بين شركات النفط والدول المنتجة في السنوات الثلاث الماضية . لقد بدأت المسألة بالانقلاب الليبي الذي جاء بالقذافي ورفاقه الى السلطة . ففي ذلك الوقت كانت شركات النفط ترد على الدول المنتجة بانه من غير الممكن زيادة اسعار النفط بسبب وجود فائض نفطي في السوق ، بينما كانت الصحـــافة تؤكد للقراء ان استغلال زيت الشيل والقـــوة النووية بالاضافة الى الاكتشافات في كل مـــن الاسكا وبحر الشمال ، سيضع في وقت قريب حدا لاعتماد العالم على نفط الشرق الاوسط . وفـــي وضع مثير طرح النظام الليبي الجديد على شركات النفط طلبه بزيادة السعر باي شكل . وفوجىء الجميع حين راوا الليبيين يحصلون علىالزيادة التي كانت تحاول تحقيقها منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك) منذ تسع سنوات بدون جدوى . وقدمت الدول الاخرى المنتجة ، وهي مندهشة بالنجاح الليبي ، طلبا للحصول على زيادات ممـــاثلة ، وحصلت عليها في النهاية . وحتى هذا العـــام

كانت الزيادات التي طرأت على الاسعار قد زادت ٧٢ ٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٠ .

في العام الماضي حصلت الدول المنتجة على مطلب جديد ومهم من الشركات — حصلت فورا على حصة قدرها ٢٥ ٪ من عمليات الشركات . ومن المقرر ان ترتفع هذه الحصة لتصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣ ، الا ان كثيرا من المراقبين في الشرق الاوسط يشكون في قدرة الشركات على تجنب التاميم من قبل الدول المنتجة الثورية حتى ذلك الحين . فالجزائر قد قامت فعلا بالاستيلاء على ٥١ ٪ من ممتلكات الشركة الفرنسية للبترول، كما وضعت ليبيا يدها على الموجودات البترولية البريطانية ، وامم العراق شركة نفط العراق . لم تتاثر الشركات الاميركية بالتأميم باستثناء الـ ٢٤ ٪ التي كانت تملكها في شركة اي. بي. سي. الا ان ذلك هو بمثابة الانذار للشركات .

ان النقاش الدائر الان في الدوائر البترولية الحكومية والخاصة ، هو كيف ستتصرف الولايات المتحدة بالتعاون مع شركات النفط تجاه التحدي المتزايد للممتلكات والسيطرة الاميركية في بترول الشرق الاوسط . وكما يحدث في قضايا مشابهة فيبدو ان ادارة السياسة الخارجية منقسمة الى فريقين . هناك من جهة « المعتدلون » الذين يلتفون حول وزارة الخارجية وبينهم كثير من الهيئات البترولية متوسطة الحجم ، يدعون الى سياسة تقوم على الاتفاق . وهم انطلاقا من قبول ما لا بد منه يحاولون التخفيف من أثر التحول التدريجي لملكية نفط الشرق الاوسط ، من أيد اجنبية الى ايد وطنية ، عن طريق المساومة الدبلوماسية . والفريق الاخر ، اصحاب الخط المتصلب ، يضم الصهيونيين ونسور البنتاجون ، وربما الهيئات البترولية العليا ، ويفكر باحباط اية تسوية . فالعالم الذي يسيطر فيه العرب على ثلثي احتياطي النفط في العالم ، هو عالم غير مقبول ويجب ان يقاوم ، ولو بالقوة .

هناك تجربة حديثة تبين ان الاعتدال ليس ذا شان لدى واشنطن ، ولذا يحسن ان نرى كيف تنظر مدرسة الخط المتصلب الى الوضع في الشرق الاوسط. ان الطريقة التي تحمي المصالح البترولية الاميركية بالنسبة لهؤلاء السياسيين **الحقيقيين** ، هي في الابقاء على الانظمة المحافظة المؤيدة لاميركا، والتي تحكم معظم الدول الغنية بالنفط . وهم يعتقدون ان الخطر الكبير الذي يهدد الملوك والامراء والشيوخ ياتي عن طريق القوى الوطنية التقدمية في العالم العربي والملتفة حول مصر . وكما لاحظ احد الكتاب في مقالة في صحيفة فورتشن في ١٩٦٧ ، « يعتقد كثيرون من العرب باننا نريدهم ان يكونوا ضعفاء عسكريا ومنقسمين على انفسهم ، وهو صحيح الى حد بعيد ما دام ناصر يظل المرشح الوحيد لقيادة عالم عربي متحد » لانه « ... لديه طموحات واضحة حول دوره ودور مصر في العالم العربي ، تشكل تهديدا حقيقيا لحكام بلاد النفط، حيث تقوم اضخم مصالحنا المادية » . ومن اجل توجيه ضربات ساحقة اقتصاديا وعسكريا وسياسيا الى القومية العربية ، يسعى اصحاب الخط المتصلب الى الحفاظ على اسرائيل قوية قادرة على تصفية وتجزئة القوة التقدمية .

فهم يدركون ان تحقيق انتصار مصري على اسرائيل سيكون انتصارا لجميع القوى التقدمية في العالم العربي وقد يشجع العناصر المماثلة في الدول المحافظة للاطاحة بالعائلات الحاكمة خلال بضعة شهور .

هناك ادلة على ان الحكام المحافظين انفسهم لديهم التحليل ذاته فيما يتعلق بوضعهم . وهذا ما يفسر مثلا لماذا يتوجه نظام صواريخ هوك — ارض — جو — الذي اقيم مؤخرا في السعودية ، نحو مصر وليس باتجاه اسرائيل . من جهة اخرى ، ترى الاطراف الاصلاحية في الدول المحافظة ان الطريقة الاخرى لحماية اوضاعها تكون بالاتفاق مع القومية العربية من خلال الوقوف مع الدول التقدمية في الضغط على الولايات المتحدة للتخلي عن اسرائيل ، وذلك بالاسراع في تأميم الشركات الاجنبية وباحداث بعض الاصلاحات الاجتماعية داخل بلدانها . والاحداث الاخيرة تشير الى ان ذلك هو الذي يجري الان : تبرع السعودية بمبلغ ٢٢ مليون دولار الى سوريا ، قرار الملك فيصل بعدم استثمار فائض الراسمال السعودي في الولايات المتحدة ، ودعوة بنك الانماء العربي بمبادرة من الكويت لاستثمار الثروة العربية داخل العالم العربي .

ان رد فعل المتصلبين تجاه هذه التطورات سيكون مزيدا من الاعتماد القوي على ايران واسرائيل ، حليفتيهم اللتين يعتمد عليهما في تأمين الممرات الى شبه الجزيرة العربية ، وهناك ايضا ما يدل على ان هذا هو الذي يجري الان . ففي العام الماضي

أتيح لايران ان تحتل عدة جزر استراتيجية في الخليج العربي ، كما اورد تقرير في الفترة الاخيرة ان اسرائيل قد احتلت احدى الجزر في مدخل البحر الاحمر . وشهد الشهران الاخيران قمة التعاون الاميركي مع هاتين الدولتين من خلال صفقة الاسلحة التي تم الاتفاق عليها بين الولايات المتحدة وايران وبلغت قيمتها بليوني دولار ، وكذلك بتعهد نيكسون بمد اسرائيل بمزيد من طائرات الفانتوم ومساعدتها في انتاج مقاتلة متطورة . وينعكس هذا الاتجاه ، وبدهاء اكبر ، بميل الذين يكتبون حول أمور النفط للتحذير من مخاطر الاعتماد على « البترول العربي » لا على «بترول الشرق الاوسط» (بما في ذلك ايران) .

هناك اعتقاد خاطىء لدى المراقبين المهتمين بالشرق الاوسط بأن شركات النفط الاميركية ، بدافع من مصالحها الذاتية ، تتبنى موقفا مؤيدا للعرب في النزاع العربي — الاسرائيلي . ويرتكز هذا الاعتقاد على الافتراض القائل بأنه من أجل الاحتفاظ « بصداقة » الحكام التي تعمل هذه الشركات في اراضيهم ، ينبغي عليها أن تمارس ضغطا على الحكومة الاميركية لتلجم اسرائيل . والدليل على ذلك هو تقديم شركات النفط دعما ضئيلا ، يكفي فقط للمحافظة على المظاهر ، للحركة المعادية لاسرائيل في الولايات المتحدة . ان الاعتقاد بأن هذه الشركات العملاقة بثرواتها التي تفوق ثروات دول بحالها ، لا تستطيع مجابهة النفوذ الصهيوني اذا هي فعلا ارادت ذلك ، معناه الاعتقاد بنفوذ يهودي شامل في السياسات الاميركية يعود الى « بروتوكولات حكماء صهيون » . واذا كان ازدياد اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الاوسط وازدياد الضغط على شركات النفط الاميركية العاملة في الشرق الاوسط ، سيرافقه ازدياد وليس انخفاض الدعم الاميركي العسكري والاقتصادي لاسرائيل ، فان الافتراض بأن شركات النفط هي مؤيدة للعرب يصبح افتراضا مثيرا للسخرية . ويجب ان يكون واضحا لدى المعارضين للصهيونية ان رجال النفط امثال جون ماكلين ، رئيس شركة كونوكو ، حين يتحدثون عن ضرورة اعطاء الشرق الاوسط « الاولوية الكبرى » في السياسة الخارجية الاميركية ، فانهم يحثون الحكومة على « ارسال القوات » على فرض ضرائب على النداء اليهودي المتحد .

اسرائيل والبحر الاحمر

معين احمد محمود

كشفت مجلة « التايم » الامريكية(١) تفاصيل الاحتلال الاسرائيلي الجديد لعدد من الجزر العربية ، بواجهة الساحل اليمني ويبدو منطقيا ان هدف اسرائيل من وراء هذا الاحتلال هو مد وجودها البحري الى البحر الاحمر تنفيذا لاستراتيجية بحرية تم تخطيطها لما بعد جولة ١٩٦٧ . وتهدف هذه الاستراتيجية البحرية الجديدة — اول ما تهدف — الى منع البحرية العربية من احتمال اغلاق الملاحة عبر البحر الاحمر في وجه السفن الاسرائيلية ، او السفن الاخرى المتجهة الى اسرائيل ، وهو احتمال دعمته اخيرا حادثة التعرض لسفينة النقل « كورال سي » في منطقة باب المندب(٢). وحتى نتمكن من الوقوف على مختلف الجوانب المحيطة بالاستراتيجية البحرية الاسرائيلية بعد جولة ١٩٦٧ ، يتعين علينا ان نلقي نظرة عابرة على جغرافية البحر الاحمر ، حتى يمكننا ان نتبين اتجاهات الدول المطلة عليه ، ونحيط بالادوار التي يمكن ان تلعبها كل منها في استراتيجية البحر الاحمر .

يبلغ طول البحر الاحمر من رأس محمد شمالا الى باب المندب جنوبا حوالي ١٢٠٠ ميل ، ويتراوح عرضه بين ٢٥٠ ميلا في اوسع اجزائه ، ١٣٠ ميلا في اضيقها ، ويصل متوسط عمقه الى ١٦٠٠ قدم . وتناهز اطول سواحله ٣٠٠٠ ميل تقع تسع دول تطل عليه من الشمال والشرق والغرب والجنوب . وتزيد المساحة الاجمالية لحوض البحر الاحمر على ١٦٠ الف ميل مربع ، وتبلغ جزره حوالي ١٠٠ جزيرة بين الصغيرة والمتوسطة الحجم . ويحد البحر الاحمر شمالا خليج السويس . ويقع خليج السويس باكمله ، وكذا الشاطىء الغربي لخليج العقبة ، داخل حدود مصر ؛ بينما يقع الشاطىء الشرقي للخليج تحت سيادة المملكة العربية السعودية . وفي اقصى شمال الخليج توجد ميناء العقبة التي تعتبر المنفذ الوحيد للمملكة الاردنية الهاشمية على البحر الاحمر ، والى الغرب منها تقع ميناء ايلات منفذ اسرائيل على نفس البحر . ويسيطر على مدخل خليج العقبة مجموعة جزر اهمها تيران وصنافير وشوشوة ، حيث كانت لمصر في الجزيرتين الاولين قوات للمراقبة قبل جولة ١٩٦٧، علاوة على قوة بحرية صغيرة في ميناء شرم الشيخ الواقعة الى الشمال الشرقي من راس محمد ، وسرية مدفعية ساحلية في راس النصراني على مسافة ٢٧ كيلو مترا الى الشمال من شرم الشيخ، وذلك بغرض مراقبة حركة الملاحة البحرية من والى الخليج ، عبر ممر الانترابراير وجوافتون اللذين يصلان البحر الاحمر وخليج العقبة ، فيما بين شاطىء سيناء الجنوبي وجزيرة تيران ، واللذين قامت اسرائيل بتزويدهما بوسائل الملاحة الليلية بمجرد استيلائها عليهما في حزيران ١٩٦٧ .

وتكفي النظرة العابرة الى الخريطة السياسية لشواطىء البحر الاحمر لملاحظة ان اغلب هذه الشواطىء تقع على اراض عربية . فالشاطىء الشرقي لهذا البحر تمتد عليه المملكة العربية السعودية ، وتقع في منتصفه ميناء جدة ، بينما تمتد سواحل اليمن على بقيته حتى الذي يتجاوز عرضه العشرين ميلا ، والذي تحده غربا جمهورية الصومال ، والصومال الفرنسي ، وتقع جزيرة بريم في ثلثه الشرقي ، وبهذا يصبح المدخل الجنوبي للبحر الاحمر واقعا تحت السيطرة الكاملة لكل من الجمهورية العربية اليمنية ، وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وجمهورية الصومال ، والصومال الفرنسي الذي توجد به قاعدة جيبوتي الفرنسية .

أما الساحل الغربي للبحر الاحمر فتمتد عليه شواطىء مصر حتى جنوب رأس بناس، ثم شواطىء السودان التي تتوسطها اكبر موانيه « بور سودان » ، ثم شواطىء اقليم ارتريا الخاضعة لحكم اثيوبيا ، واهم موانيه « مصوع » التي تقع في الربع الجنوبي من البحر ، وتنتشر امامها مجموعة الجزر المتاخمة للساحل ، اهمها جزيرة دهلك . وتوجد للولايات المتحدة الاميركية قاعدة حربية على الاراضي الارتيرية هي قاعدة «كاجينو». ثم ينتهي الساحل الغربي للبحر الاحمر جنوبا بشواطىء اثيوبيا قبل مدخل باب المندب بقليل ، لتبدأ شواطىء الصومال الفرنسي وجمهورية الصومال .

ويتضح مما سبق — وبعد الرجوع الى الخريطة

الجغرافية لحوض البحر الاحمر ان كافة الدول الواقعة على ساحله الشرقي دول عربية ... هي الاردن والسعودية واليمن واليمن الجنوبية ، وان اكثر من ثلثي الجانب الغربي تقع عليه مصر والسودان ، بينما تتقاسم اثيوبيا والصومال الفرنسي بقية الثلث الجنوبي من هذا الساحل . لذلك فمن المنطقي والحالة هذه ان يشتد اهتمام اسرائيل باثيوبيا ، ويصبح من المفيد لها ان تعرض على اثيوبيا استعدادها لتوفير الضمانات اللازمة لتأمين منع تسلل الاسلحة الى ثوار ارتريا ، مقابل السماح لها بوجود اسرائيلي في احدى موانيها ، او على جزيرة او بعض جزر المجموعة المنتشرة امام مصوع ، وهو الوجود الذي بدأ فعلا بشبكة رادار وبعض القطع البحرية الخفيفة السريعة ، ومن ثم سيتم تدعيمه ببناء المطارات وتحويلها الى قواعد لطائرات الاستطلاع والقصف(٣).

تعتقد اسرائيل ان خليج العقبة هو البديل الافضل لقناة السويس ، ولقد فطن مؤسسو الدولة الصهيونية منذ ان خططوا لقيامها الى ما لموقع فلسطين من اهمية عظمى بصفة كونها ملتقى قارات ثلاث ، ومعبرا رئيسيا بريا وبحريا وجويا الى كل انحاء المعمورة ومن هنا استهدف تخطيط ميناء ايلات الى تنفيذ مشروعات منافسة للاغراض والخدمات الحيوية التي تقدمها قناة السويس ، فتم تنفيذ مشروع خط انابيب ايلات ــ عسقلان(٤)، ومهد الطريق البري الذي يربط بين ايلات وشمال اسرائيل ، ومختلف موانيها على البحر المتوسط . ويبلغ طول خط الانابيب ١٦٠ ميلا وطاقته القصوى ٦٠ مليون طن(٥)، يتم بلوغها على خمس مراحل كان المقرر الانتهاء من المرحلة الاولى منها عام ١٩٧٠ بطاقة قدرها ٢٠ مليون طن ، الا انه لم يتحقق منها وقتئذ سوى ١٤ مليون طن فقط ، وقد انتهت المرحلة الثانية عام ١٩٧١ واصبحت طاقة الخط ٢٢ مليون طن(٦)، والثالثة في العام ١٩٧٢ حيث بلغت طاقة الخط ٢٥ مليون طن ، ثم الرابعة التي تنتهي عام ١٩٧٣ بالوصول الى طاقة قدرها ٤٠ مليون طن ، ثم المرحلة الخامسة والاخيرة والمقدر لانتهائها عام ١٩٧٥ حيث تكون طاقة خط الانابيب قد وصلت الى ٦٠ مليون طن سنويا . وتبلغ الاستثمارات الكلية لهذا المشروع حوالي ٦٥ مليون جنيه استرليني . وقد قامت اسرائيل بشراء ناقلتين للبترول حمولة كل منهما ٢٣٠ الف طن ، تسلمت احداهما في ايار ١٩٧١ واستلمت الثانية في تشرين الاول من العام نفسه(٧).

وليس أدل على اهتمام اسرائيل بمنافذها البحرية من اتجاهها المتزايد الى تدعيم اسطولها التجاري. اذ استلمت شركة « تسيم » خلال العامين المنصرمين ١٣ سفينة(٨)، منها ٤ سفن حديثة الطراز يناهز ثمنها ٨٦ مليون ليرة اسرائيلية اي حوالي ٣٧٫٥ مليون دولار ، وبذلك وصل اجمالي حمولة اسطول هذه الشركة الى ما ينوف على مليوني طن . هذا وقد خصصت الشركة من الاستثمارات للاعوام العشرة القادمة ما يبلغ مقداره ٣٠٠ مليون دولار وذلك لشراء ٢٣ قطعة بحرية جديدة ، منها ٣ ناقلات بترول ضخمة تبلغ حمولة احداها ٣٠٠ الف طن ، وحمولة كل من الاخريين ٢٥٠ الف طن ، علاوة على ٨ سفن كبيرة تقدر تكاليفها بحوالي ٩٥ مليون دولار ، وسفينتين بمبلغ ١٠ ملايين دولار ، و ١٢ سفينة من حاملات العبوات لنقل البضائع يقدر ثمنها بحوالي ١٢٠ مليون دولار ، وهذا النوع من السفن ــ حاملة العبوات ــ هو احدث انواع بواخر الشحن واكثرها وفرا في الوقت اللازم للشحن والتفريغ .

بذلك ، ومع نهاية عشر السنوات القادمة ، تأمل اسرائيل ان تصل طاقة اسطولها التجاري الى ٤ ملايين طن موزعة على ١٧٠ سفينة . هذا وقد يبدو للوهلة الاولى ان مصالح اسرائيل التجارية المارة بالبحر الاحمر ضئيلة او قليلة الاهمية اذا ما قورنت بتجارتها الكلية ، الا ان الدراسة المتعمقة للتحولات الصناعية والانتاجية في اسرائيل ، وتطلعاتها التجارية تكشف بوضوح انها تخطط جاهدة لكي يكون البحر الاحمر شريانها البحري الحيوي لتصدير سلعها المصنعة ونصف المصنعة ، ولاستيراد المواد الخام التي تحتاج اليها . وليس ثمة شك في ان شرق وجنوب افريقيا يأتيان في المقام الاول بالنسبة لتجارتها المستقبلة عبر هذا المضيق. وتكفي للدلالة على ذلك مجرد الاشارة الى ان الدولة الاولى والدولة الثالثة المتصدرتين لتجارة اسرائيل مع افريقيا هما اتحاد جنوب افريقيا واثيوبيا على الترتيب .

ورغما عن الاهمية القصوى التي تضفيها اسرائيل على علاقاتها الاقتصادية الحالية والمستقبلية مع هاتين الدولتين ، الا ان هذه المصالح ــ وهي تشكل في حد ذاتها هدفا حيويا ــ تعتبر في الوقت نفسه وسيلة نحو هدف اشمل ، وهو دعم علاقات

اسرائيل السياسية مع دول افريقيا ، وجنوب اسيا منذ نشأتها — وما زالت تزعم — انها واحدة من دول العالم الثالث وحاولت — وما زالت تحاول — التركيز بضغط دولي صهيوني على دول معينة ذات تأثير داخل هذه المجموعة من الدول . ولا شك ان هذه المحاولات المضنية التي تبذلها اسرائيل لكسب تأييد تانزانيا والهند والصين الى صفها هي محاولات تهدف اساسا الى اعتراف هذه الدول وغيرها باسرائيل كدولة نامية تواجه آلام وآمال هذه الدول نفسها، فتحظى بتأييدها وتعاطفها معا ، وتتخطى بذلك الحصار السياسي العربي ، وتكثف الضغط الدولي ضد استمرار « الرفض العربي لوجودها » .

واي نجاح تحرزه اسرائيل في هذا السبيل هو في حقيقة امره تدعيم لاستراتيجيتها العسكرية والاقتصادية لانه يجعل من كل ميناء جديدة تصل اليها البحرية او الصادرات الاسرائيلية قاعدة جديدة ومنطلق وثوب نحو مراكز ارتكاز ابعد سواء لصالحها او للمصالح الغربية المرتبطة بها .

وتأتي المصالح البترولية الضخمة في منطقة الشرق الاوسط ، اذ يبلغ مجمل استثمارات الولايات المتحدة وحدها في مجال التنقيب عن البترول واستخراجه في الشرق الاوسط حوالي خمسة بلايين دولار ، كما يقدر العائد السنوي بحوالي بليوني دولار(٩). ومن جهة اخرى تحصل اوروبا الغربية على ٩٠ في المائة من حاجتها من النفط من ناتج هذه المنطقة التي يزيد الاحتياطي المحقق فيها على ثلثي احتياطي البترول في العالم كله .

ولا شك ان اهتمام دول الغرب الرأسمالية بهذه المنطقة ، وحرصها الدائم على سلامة مصالحها فيها ، قد تضاعف في السنين الاخيرة بتزايد الوجود السوفيتي في المحيط الهندي ، وما ترتب عليه من ازعاج وقلق شديد للدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية . ويضاف الى ما سبق تصور رجال السياسة والاقتصاد الغربيين والاسرائيليين على حد سواء لاستراتيجية الصين الشعبية ، وحتمية امتدادها غربا ، سعيا وراء اكتساب اسواق جديدة، ومراكز لتأمين مواصلاتها، ونشر ايديولوجيتها . ومن الامور المؤكدة انه لا الغرب ولا اسرائيل بالتبعية — ينظر بعين الارتياح الى علاقات جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بالصين الشعبية . ومن الادلة الواضحة على ان الدول الغربية — واسرائيل — تخشى ان يصير للصين قدم ثابتة في هذه المنطقة الحساسة من العالم ما يبذله الغرب من ضغوط على تانزانيا .

ومن جهة اخرى ، يهتم الغرب بالدرجة الاولى بسلامة طرق المواصلات البحرية التي تعتمد عليها اكثر من ثلاثة ارباع تجارة اليابان مع العالم الخارجي ، اذ وصلت قيمة صادرات اليابان الى الدول المارة ... أو المنتهية بهذا الطريق البحري اكثر من ٩٠٠٠ مليون دولار سنويا . ولا جدال في ان التقدم الصناعي والتكنولوجي لليابان هو احد الاصول التي يستند اليها رجال السياسة في الغرب في رسم الاستراتيجية السياسية تجاه كل من الصين والاتحاد السوفيتي .

وتحت ظل هذه الظروف تجد الولايات المتحدة الامريكية صعوبة واضحة في محاولاتها لتأمين البحر الاحمر ، اذ لم تعد قادرة على أن تكسب لاسطولها او طائراتها قواعد على الجزء الاكبر من سواحل البحر الاحمر ، التي تقع اغلبها داخل حدود عربية او صومالية ، لن تسمح لامنها ان تهدده قواعد عسكرية امريكية .

وعلى ذلك فلا يبقى أمام الولايات المتحدة سوى شواطىء اثيوبيا ، التي تستطيع اسرائيل تحت ستار الدعوى بالتعاون الاثيوبي الاسرائيلي ان تستخدمه لتأمين مدخل البحر الاحمر الجنوبي ، فتعفى حكومة اثيوبيا من غضبة الدول الافريقية ، التي اكدت في مواثيقها وسياساتها رفض سياسة الاحلاف والقواعد .

ولقد توفر لمصر بفضل قيام اتحاد الجمهوريات العربية اخيرا دعم استراتيجي بالغ الاهمية . وتتضح هذه الخطورة من عرضنا للمصالح الاسرائيلية والغربية في البحر الاحمر ، وتدرك اسرائيل من واقع سجل تجاربها مع البحرية المصرية انها امام سلاح يستطيع ان يعمل بكفاءة وتأثير ضد خطوطها الملاحية في عمق البحر الاحمر ، فيشكل في الوقت الحاسم خطرا محققا على خطوط مواصلاتها ، وخاصة اذا ما عملت القطع البحرية المصرية من قواعد تخرج عن مدى الطيران الاسرائيلي البعيد وبذلك تكتسب مرونة استراتيجية مفيدة، ويحقق للقطع العربية في الوقت نفسه الامن والرقابة من خطر الضربات الجوية المفاجئة فتتفرغ لاداء مهامها التعرضية ... بفاعلية وكفاءة عالية . وازاء هذه الاخطار الواضحة خططت اسرائيل

لتعمل في اكثر من جبهة بغرض حرمان البحرية المصرية من هذه المزايا . وهي لا تترك فرصة — كما اكدت تحركات بارليف خلال زيارته الاخيرة لاثيوبيا — الا وانتهزتها لتستطلع امكانية استخدام اية موانىء او جزر في عمق البحر الاحمر، لتوفر لها نقاط ارتكاز وقواعد امامية تسمح بوجود قوة بحرية او جوية في جنوب البحر .

مما سبق يمكن ان نجمل ابعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر بعد جولة ١٩٦٧ فيما يلي :

١ — حماية تجارة اسرائيل والغرب مع دول شرق وجنوب افريقيا وكذا جنوب آسيا والشرق الاقصى .

٢ — تأمين ملاحة ناقلات البترول وانعاش الموانىء ونقاط الاستقبال ، ومرور النفط وتكريره واعادة تصديره .

٣ — توفير الوجود للولايات المتحدة الامريكية في البحر الاحمر لمواجهة الوجود السوفيتي المتزايد فيه وفي المحيط الهندي ، وكذا احتمالات المدالصيني في العالم وخاصة مع دخول الصين الشعبية في مجال التأثير — المعترف به من واشنطن — في السياسة العالمية .

٤ — كسر طوق الحصار السياسي العربي المفروض على اسرائيل وانفتاحها على دول افريقيا وجنوب آسيا والشرق الاقصى .

ان احباط مساعي اسرائيل في كل هذه المجالات يقع بالدرجة الاولى على العرب جميعا ، شأنه في ذلك شأن مجابهتنا لبقية اطماع اسرائيل واستراتيجيتها العدوانية . وكما تقوم مصر بحمل العبء الاكبر من المسؤولية العسكرية في هذا الميدان ، بمضاعفة الوجود العسكري العربي في البحر الاحمر والتصدي لمحاولة اسرائيل احتلال بعض الجزر العربية — بمواجهة الساحل اليمني . فهي تتحمل ايضا العبء الاوفر من المسؤولية السياسية بسبب تشعب علاقاتها الخارجية ،وثقلها الدولي ، وكذا رصيدها السياسي بين اعضاء المجموعة الافريقية ... وكلها مسؤوليات جسيمة تحتم على مصر ان تبذل دبلوماسيتها اقصى الجهد لمنع اسرائيل من تحقيق استراتيجيتها في البحر الاحمر .

---

١ — مجلة « التايم » الامريكية ١٩٧٣/٣/١٩ .

٢ — « الكورال سي » سفينة ناقلة حمولتها حوالي ٨٥ الف طن من الزيت ، ويعمل فيها حوالي ٤٠ بحارا ، وتشتغل على خط أيلات — خارج (الخليج العربي) . وجه لها فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خمسة صواريخ الى الشمال من جزيرة البريم بتاريخ ١١/٦/ ١٩٧١ .

٣ — اكد ذلك وفد الهيئة التنفيذية للاتحاد العام لطلبة ارتريا الذي زار بيروت مؤخرا في مؤتمر صحفي عقده الوفد يوم الاثنين ١٩٧٣/٣/٢٦ في مقر اتحاد طلبة جامعة بيروت العربية .

٤ — ابتدأ العمل لبناء هذا الانبوب الكبير في تموز ١٩٦٨ ، وقد القيت مهام تنفيذ المشروع على الشركتين الاسرائيليتين ، « سولل بونه » و « ماركوردت » ، الاولى تحفر الترعة ، والثانية تمد الانابيب ، ١٦٠ ميلا عبر ايلات ، على راس خليج العقبة ، شمالا من البحر الاحمر ، الى عسقلان على المتوسط ، ويبلغ قطر هذه الانابيب ٤٢ بوصة (١٠٥ سم) وينقل هذا الجسر الاسرائيلي البري بين بحر وبحر ، النفط من اقاصي الجنوب الى البحر الابيض المتوسط ، وبعد اغلاق القناة ، صار اقصر طريق بين اوروبا والشرق الاقصى .

٥ — ها آرتس الاسرائيلية ١٩٧١/١/٣١ .

٦ — ها آرتس الاسرائيلية ١٩٧١/١/٣١ .

٧ — ذكرت ذلك صحيفة « معاريف » الاسرائيلية في شهر شباط ١٩٧١ ، نقلا من مدير شركة « ترانس آسياتيك اويل » .

٨ — انظر صحيفة « دامار » في ٧ كانون الثاني ١٩٧١ .

٩ — مصدر هذا الرقم لا يمكن اتهامه ضد الولايات المتحدة لان هذا المصدر هو كتاب الاحصائيات الامريكي لسنة ١٩٧٠ = Statistical Abstract of U.S.A. 1970

انبوب نفط ايلات ــ عسقلان وتطــور استخدامـــه

الدكتور سعيد حمود

بعـد اغلاق قنـاة السويس ، فكرت الحكومـة الاسرائيلية في انشاء انبوب لنقل النفط يمتد مـن ايلات على البحر الاحمر الى عسقلان على البحر الابيض المتوسط ، يقطع اسرائيل ويكون طوله ١٦٠ ميلا (٢٥٤ كلم) وقطره ٤٢ انشا ، ويكون مصمما لحمل خمسة انواع مختلفة من الزيت الخام تضخ كل منها تلو الاخرى ، وتبلغ تكاليف انشائه ١١٣ مليون دولار .

لم يكن الهدف من انشاء وتنفيذ هذا المشروع بالاصل هدفا تجاريا ، بل كان هدفا سياسيا بحتا ، الا وهو التقليل من اهمية قناة السويس ومن الضغوط على اسرائيل لفتحها . حتى ان كبار المموليـن ، وخاصة المالي الكبير روتشايلد ، قد عزفوا عن تمويل هذا المشروع لانهم لم يروا فيه اية امكانية للربح . لكن الحكومة الاسرائيلية استطاعت اقناع بعض الممولين بتمويل جزء صغير من المشروع وقامت هي بتمويل الجزء الاكبر منه .

لقد صمم المشروع بحيث ينقل الانبوب في الاساس ١٩ ــ ٢٠ مليون طن في السنة (أي ٣٨٠،٠٠٠ ــ ٤٠٠،٠٠٠ برميل يوميا) ، مع العلم بانه يتوجب نقل ٢٥ مليون طن بالسنة لكي تستعيد اسرائيـل نفقات المشروع السنوية ولا تقع تحت خسارة . لكن يمكن زيادة طاقة الانبوب الى الحد الاقصى وهو ٦٠ مليون طن سنويا (أي ١٤٢ مليون برميل يوميا) بمساعدة محطات ضخ اضافية .

لقد تم انشاء انبوب ايلات ــ عسقلان وتدفق النفط فيه بسعة ٤٠٠،٠٠٠ برميل يوميا في شهر شباط ١٩٧٠ . ويدعي الاسرائيليون ان لديهم عقودا تغطي سعة البرميـل الاساسية ، اي ٢٠ مليون طـن بالسنة(١). هذا ، وقد احاطت الحكومة الاسرائيلية تفاصيل المشروع وخـط سيره وعلوه في صحراء النقب ومصادر تموينه وهوية الناقلات التي تنقـل النفط اليه ثم هوية ووجهة الناقـلات التي تنقل النفط مـن مصب الانبوب الى اوروبا ، بالسرية التامة ، واعتبرت المعلومات المتعلقة بهذه الامور من ضمن معلومات « الامن القومي » . وقد جاء في مجلة "Petroleum Intelligence Weekly" ما يلي :(٢) « بموجـب القانون يمنع نشر ايـة معلومات عن الناقلات التي تدخل الى الموانـىء الاسرائيلية وتخرج منها ، الا في حال الحصول على تصريح من وزارة المالية ، بما ان انبوب نقل النفط الخام قد بدأ بالعمل » .

وسوف تقوم اسرائيـل بتوسيع اسطول ناقلاتهـا ليصبح ١٩ ناقلة ، من بينها ثلاث ناقلات عملاقـة سيجري بناؤها في احواض « روتردام » . وتأمل اسرائيل ان تتمكـن بواسطة هذا الاسطول مـن الناقلات ان تنقل النفط من مصادره شرقي السويس الى ايلات ثم من المصفاة التي تبنيها في عسقلان الى وجهته في اوروبا . وهكذا تتولى اسرائيل عمليـة شحن متكاملة .

والسؤال الكبير الذي يهمنا في هذه المذكرة ليس تفاصيل المشروع ومصادر تمويله بل مصادر تموينه بالنفط . وقد طرح هذا السؤال بشكلين : الشكل الاول طرحته مجلة "Petroleum Times" في عددها الصادر بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ وهو : من سيستعمل انبوب ايلات ــ عسقلان ؟ أما الشكل الثاني فقد طرحته مجلة "Petroleum Service Press" في عددها الصادر في نيسان ١٩٧٠ ، وهو « ان امكانية تغطية ٢٠ مليون طن سنويا تبدو بعيدة في الوضع الحاضر فكيف بتغطية ٦٠ مليون سنويا ؟ » .

مصادر النفط الخام :

لم يفصح الرسميون الاسرائيليون عن مصادر النفط الحالية او المتوقعة والتي ستنقل نفطها عبر انبوب ايلات ــ عسقلان . لكن من المعروف ان ايران هي المصدر الرئيسي لذلك النفط . اما المصدر الاخر والثانوي بالنسبة لايران فهو البترول الذي تضخه اسرائيل من سيناء المحتلة . واذا انتقلنا الى تقدير الكميات التي قد تشحن من ايران بالاضافة الى الكمية المسروقة من سيناء نجد ما يلي :

هناك ثلاثة مصادر للنفط الايراني وهي الشركـات العالمية الكبرى صاحبة الامتيازات النفطية ، وشركة الزيت الايرانية الوطنية ، وشركات النفط الصغيرة

١ ــ Middle East Economic Survey, Vol. XIII, No. 18, 27 February, 1970.

٢ ــ Petroleum Intelligence Weekly, March 23, 1970.

المستقلة التي تتمثل في وكالة « ايركون » Ircon والتي لا مصالح لها في العالم العربي .

كان المعتقد في الاساس انه ليس من المحتمل ان تستعمل شركات النفط العالمية الكبرى انبوب النفط لسببين التاليين : ١ — لن تستفيد هذه الشركات، من الناحية الاقتصادية ، باستخدامها الانبوب الاسرائيلي لان لدى معظم هذه الشركات مصادر وافرة للنفط في المتوسط ، ولانها تنقل نفطها من الشرق الاوسط بواسطة الناقلات العملاقة سعة ٢٠٠،٠٠٠ طن او اكثر ، مما يعطيها افضل تكاليف نقل ممكنة من الخليج الى اوروبا . ٢ — لن تعرض هذه الشركات مصالحها النفطية الضخمة في الدول العربية للخطر الجسيم ، لان ليس هناك سبب وجيه يدعوها لهذه المخاطرة .

اما شركة النفط الوطنية الايرانية فمن المرجح ان تستعمل انبوب ايلات — عسقلان خاصة وان الحكومة الايرانية تبذل مجهودا كبيرا لاختراق اسواق اوروبا ، بعد ان اخترقت السوق الامريكية. ان لشركة النفط هذه الحق في الحصول على ٢٠ مليون طن من النفط خلال خمس سنوات من الكونسورتيوم العامل في ايران . كما ان لهذه الشركة بالاشتراك مع شركات اخرى منتوجا سنويا قدره ١٧ مليون طن ارتفع الى ٢٠ مليون طن في نهاية ١٩٧٠ . ان نصف هذه الكمية تعود الى شركة الزيت الوطنية الايرانية . لكن من الصعب القول كم سيباع من اصل هذه الكمية للمستوردين الاوروبيين ، فان اسبانيا تأخذ قسما من هذه الكمية ، كما ان قسما اخرا مباع سلفا لبعض البلدان الاسيوية والافريقية .

ان لشركة الزيت الوطنية الايرانية الحق في ضخ ٢٢٥،٠٠٠ برميل يوميا قبل عام ١٩٧٠ وما يزيد على ٣٠٠،٠٠٠ برميل يوميا منذ العام ١٩٧١ . على انه لن ترسل هذه الكمية كلها الى اوروبا عبر اسرائيل ، لان جزءا كبيرا منها ، ١٥٠،٠٠٠ برميل يوميا تقريبا ، ترسل الى اسواق شرق السويس (الهند ، جنوب افريقيا وغيرها) . كما ان دول اوروبا الشرقية ، عدا رومانيا ، ترفض نقل النفط الايراني اليها عبر اسرائيل . هذا ، وتنقل اسرائيل كل نفط رومانيا المشترى من ايران والبالغ ٣١،٠٠٠ برميل يوميا عام ١٩٦٩ والذي ارتفع الى ١٠٠،٠٠٠ برميل يوميا عام ١٩٧١ .

تبقى هناك شركات النفط الصغيرة المستقلة التي تعمل في ايران . من المرجح ان هذه الشركات سوف تشحن كل نفطها عبر انبوب ايلات — عسقلان لانها لا تملك مصادر نفط مختلفة وليس لديها حجم من الصادرات يمكنها من استغلال فوائد الناقلات العملاقة . كما ان ليس لبعض هذه الشركات سوى مصالح قليلة وصغيرة في العالم العربي . غير ان كميات النفط التي تنتجها هذه الشركات هي كميات صغيرة .

نفط سيناء :

لقد ضخت اسرائيل عام ١٩٦٩ ، ٢٥٥ مليون طن من حقول النفط المصرية في سيناء ، وقد زادت كمية هذا الضخ الى ٥ ملايين طن في نهاية العام ١٩٧٠ وبداية العام ١٩٧١ . غير ان قسما من هذا النفط يمر عبر انبوب ايلات — حيفا . وتستهلك اسرائيل حاليا ٤٥٥ مليون طن سنويا من النفط المصري وتصدر الباقي .

رفع درجة استخدام الانبوب :

يدل التحليل السابق على انه لا يمكن للمصادر المعروفة التي تشحن نفطها الى اسرائيل عبر اوروبا ان تسد سعة اسرائيل السنوية الاساسية، اي ٢٠ مليون طن ، الا بصعوبة . اما سد سعة الـ ٤٠ مليون طن سنويا فتبدو خارج مقدرة هذه المصادر الانتاجية تماما .

هذا هو وضع اسرائيل الطبيعي في الظروف العادية المتعلقة بنقل البترول الخام عبر اسرائيل . غير ان اشياء غير طبيعية اخذت تحدث في الجانب الاسرائيلي . فخلال أشهر معدودة بعد بدء العمل في مشروع ايلات — عسقلان ، وخلافا لتوقعات الدوائر والجهات البترولية المطلعة ولتوقعات كل المراقبين ، قامت اسرائيل باضافة محطة ضخ الى المشروع وبزيادة درجة استخدام الانبوب المذكور من ٢٠ مليون طن سنويا الى اربعين مليون طن سنويا خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٠ ، وبالتحديد بين شباط واخر ايار ١٩٧٠ . ثم قررت خلال الاسبوع الاول من حزيران ١٩٧٠ زيادة استخدام الانبوب الى درجته القصوى ، اي ٦٠ مليون طن سنويا . كل هذا يثير الشكوك والريبة ، فما الذي حدث ودفع اسرائيل خلال اشهر متحويل مشروع سياسي المنطلق الى مشروع اقتصادي هائل ؟

في ١ حزيران جاء في مجلة "Petroleum Intelligence Weekly" (عدد حزيران ١٩٧٠)

ما يلي : « لقد ضاعفت اسرائيل درجة استخدام انبوبها من النفط الخام بتركيب محطة ضخ جديدة في النقب . وقد اصبحت سعة الانبوب الذي يمتد من ايلات في خليج العقبة الى عسقلان على المتوسط ٨٠٠،٠٠٠ برميل يوميا . ومن المحتمل تاجيل اضافة مضخة اخرى تزيد سعة الانبوب الى اقصاهــا ، اي ١،٢ مليون برميل يوميا بضعة سنين ، حسب قول المصادر في تل ابيب ، وذلك بانتظار ناقــلات النفط التي اوصي عليها من اليابان » .

ولم يمض اسبوع على ذلك التصريح حتى جاء في المجلــة نفسها عدد ٨ حزيران ١٩٧٠ مــا يلي : « اسرائيل : لقد بدأ العمل على زيادة سعة انبوب نفط ايلات ــ عسقلان الى حدها الاقصى الى ١،٢ مليون برميل يوميا بحيث تبلغ سعة الانبوب اقصاها في نهايــة ١٩٧٠ او بداية ١٩٧١ ، وذلك طبقــا لتصريح الشركة التي بنت الانبوب والذي نشره معهــد البترول الاسرائيلي . وقــد جرى مؤخرا مضاعفة السعة الى ٨٠٠،٠٠٠ برميل يوميا عــن طريق انشاء مضخة جديدة في النقب . ويقول المعهد ان مضخــة اضافية سوف تركب وان قسما مــن المعدات التي اوصي عليها من سويسرا ، في طريقه الان الى اسرائيل . وفي هذه الاثناء يجري العمل على انشاء المضخة الجديدة » .

نفط من سيستخدم الانبوب بطاقته القصوى ؟

لو عدنا الان لمراجعة جميع مصادر النفط التي يمكن ان ينقل نفطها عبر انبوب ايلات ــ عسقلان لوجدنا ان كميات البترول التي يمكن ان ترسلها الى اسواق اوروبا عبر اسرائيل لا تزيد في اقصاها على ٢٥ مليون طن سنويا . وحتى لو ارسلت شركة الزيت الوطنية الايرانية كل انتاجها لعام ١٩٧١ والبالــغ ٣٠٠،٠٠٠ برميل ، وارسلت الشركات الصغــيرة المستقلة ما تنتجه (وهو لا يوازي انتاج الشركة الايرانية) بالاضافة الى البترول المسروق مــن سيناء ، لا تصل هــذه الكميات معا الى نصف السعة القصــوى لانبوب ايلات ــ عسقلان والبالغة ١،٢٠٠،٠٠٠ برميل يوميا . هذه الحقائق تفرض استنتاجا واحدا ، الا وهو ان مصدرا كبيرا جــدا للنفط قد قرر ان ينقــل بتروله الى اوروبا عبــر اسرائيل ، او على الاقل ان الذين يشترون بترول بلد غني بالبترول قد عقدوا صفقة مع اسرائيل لنقل بترولهم عبر خط ايلات ــ عسقلان .

وهنالك الكثير من الدلائل التي تشير الى ان هذه الصفقة قد جرت خلال شهري نيسان وايار ، ومن المرجح ان تكون قد ابرمت بعد ١ حزيران ١٩٧٠ . وهكــذا فان احــد افتراضين (او مزيجا مــن الافتراضين) يفرض نفسه :

(١) ان بلدا غير ايران ، أصبح المصدر المباشر او غير المباشر للبترول الذي سينقل عبر اسرائيــل والذي مكنها من تغيير مخططاتها وتوقعاتها حــول الانبوب من سنين الى اشهر قليلة ، ومن مشروع سياسي الهدف الى مشروع اقتصادي حي ، وذلك خلال اسابيع قليلة سبقت ١٩٧٠/٦/٨ .

(٢) ان ايران بالذات وبالتخصيص الشركــات الكبرى العاملة فيها والتي لها مصالح ضخمة في البلدان العربية ، قررت الدخول في علاقة سريــة مموهة ايضا مع اسرائيل تمكنها من استخــدام الانبوب الاسرائيلي دون خشية ردود الفعل العربية بسبب احتمائها بالسرية التي توفرها العلاقة المثلثة الجوانب .

مهما يكن مــن أمر ، وسواء اجــاء التفســير في الافتراض الاول او الثاني ، او الافتراضين معا ، فان مقادير ضخمة من النفط ستنساب قريبــا في الانبوب الاسرائيلي وهي مقادير لم تكن متوفرة قبلا ، اذ لم يكن منتجوها يجرأون على ذلك .

نفط مــن سيسمح باستخــدام الانبوب بطاقتــه القصوى ؟

متى تمت الاجابة ، لا بد من التحرك الصارم ضد مخــالفي احكــام المقاطعة العربيــة والا خسرت التهديــدات العربية البقية الباقيــة من قابليتهــا للتصديق خسارة نهائية .

لماذا قامت السلطات الاسرائيلية باصدار تصريحات حول توسيعات هائلة في مشروع انبوب نفط ايلات ــ عسقلان سنة ١٩٧٠ و ١٩٧١ ؟

السبب الاول هو تعطل خط التابلاين في ايار سنة ١٩٧٠ وتوقــع ان يستمر هــذا التعطل طويلا . والسبب الثاني هو ارتفاع ثمن استئجار ناقــلات البترول سنة ١٩٧٠ والواضح من الجدول التالي حول ثمن الاستئجار للرحلة الواحدة لسنة ١٩٧٠ : كانون الثاني ١١٥ ، شباط ١٢٠ ، اذار ١٣٠ ، نيسان ١٣٢ ، ايار ١٢٩ ، حزيران ١٧٦ ، تموز ٢١٣ ، اب ٢١٤ ، ايلول ٢٥٢ ، تشرين الاول ٢٨٩ ، تشرين الثاني ٢٨٥ .

هذا الارتفاع حسبما أملت اسرائيل سيغري شركات

البترول على استخدام انبوب نفط ايلات — عسقلان .

ولكن عند الاطلاع على التقارير الحديثة الصادرة في المجلات Petroleum Intelligence Weekly و Petroleum Service Press والتي يمكن تلخيصها في الجدول التالي :

درجة استخدام الانبوب السنوية :

١٩٧٠ ١١ مليون طن . ١٩٧١ ١٩ مليون طن .
١٩٧٢ النصف الاول ١٢ مليون طن .

نلاحظ ان توقعات اسرائيل برفع درجة استخدام الانبوب السنوية الى ٤٠ مليون طن قد فشلت ، لماذا ؟ السبب الاول . العودة الى استخدام خط التابلاين بعد اصلاحه وذلك في اذار سنة ١٩٧١ . والسبب الثاني هو الانخفاض المفاجيء الذي طرأ على ثمن استئجار ناقلات البترول والواضح من الجدول التالي :

ثمن الاستئجار للرحلة الواحدة

	سنة ١٩٧١	سنة ١٩٧٢
كانون الثاني	٢٠٢	٨٤
شباط	١٦٣	٦٨
اذار	١٤٧	٥٦

والسبب الثالث وهو ان معظم ناقلات البترول ترفض التعامل مع اسرائيل خوفا من مقاطعة الدول العربية لها . لذلك ، فعلى اسرائيل ان تستخدم ناقلات اسرائيلية . وبالفعل فان لدى اسرائيل حوالي ٢٨ ناقلة بترول وشراء هذه الناقلات قلل من ارباح اسرائيل المتوقعة .

والسبب الرابع والاهم . وهو ان اسرائيل لم تستطع ان تقنع شركات النفط الكبيرة ، باستخدام انبوب نفط ايلات — عسقلان وذلك لان هذه الشركات تريد المحافظة على مصالحها في الاراضي العربية . هذا وتعتبر سيناء من احد مصادرالبترول الهامة اذ انه تم استخدام ٦ ملايين طن من بترول سيناء سنة ١٩٧١ .

والسبب الخامس وهو صعوبة ايجاد الاسواق في الخارج لشراء البترول الاسرائيلي ومن المعروف ان رومانيا هي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي تستورد البترول الاسرائيلي . وذلك لان معظم الاسواق في الخارج تسيطر عليها شركات البترول الكبيرة .

وبالرغم من جميع الحقائق السابقة فان اسرائيل ما زالت تتكلم عن التوسعات في هذا المشروع .

ففي حزيران ١٩٧٢ صدر تقرير عن توقيع عقد لبناء تجهيزات لنقل البترول الى الناقلات الكبيرة مما يؤدي الى زيادة مقدرة الانبوب الى ٦٠٠،٠٠٠ برميل يوميا .

ولكن هنالك تصريحا اخر صدر في اب ١٩٧٢ وهو بلسان مدير ادارة خط نفط ايلات — عسقلان ويقول فيه ان الشركة لم تحصل على ارباح كبيرة لسنة ١٩٧٢ بسبب المنافسة الناتجة عن انخفاض اسعار استئجار ناقلات البترول .

شــــهريات

(١) القضية الفلســطينية دوليا

المضاعفات الدولية للعملية الاسرائيلية في بيروت :

وجهت اجهزة المقاومة بعد الانزال الاسرائيلي اتهاما مباشرا للولايات المتحدة مشيرة الى الدور الذي لعبته سفارتها ومخابراتها في الاعداد والتنفيذ لهذه العملية . وقد ذهبت بعض المصادر الى حد اعطاء تفصيلات عن لجوء بعض المشتركين في الاعتداء الى السفارة الامريكية ، ثم نقلهم علـى متن الطائرة الحربية الامريكية التـي تقوم عادة باستبـدال الحراسة الخاصة بالسفارة .

وقد أثارت هــذه التصريحات والحملة العربيــة الواسعة الداعية لضرب مصالح الولايات المتحدة ، حفيظة الاوساط الرسمية الامريكيــة التي ردت بانفعال معتبرة ان « هذا الاتهام الاثيم » على حد تعبيرها يهدد مصالحها وحيــاة ديبلوماسييهــا في المنطقة . واستدعى وليام روجرز يوم ٤/١٢ سفراء ورؤساء بعثات ١٢ دولة عربية (بالاضافة الــى موريتانيا) في واشنطن لتبليغ احتجاج حكومته على هذه الحملة . ولم تلبث الادارة الامريكية ان طلبت من الدول العربية ايقاف الاذاعات الفلسطينية فيها عن البث،كما طلبت من مصر بالذات وقف مساعدتها لحركة فتح التي يعتبرها الامريكيون وراء عمليات أيلول الاسود . وقد رفضت الدول العربية المعنية هذين الطلبين .

وبالرغم من النفي المتكرر ، جاءت تصريحات ودلائل عدة تشير الى التنسيــق بين الولايات المتحــدة واسرائيل في محــاربة ما يسمونــه بالارهــاب الفلسطيني . فنشرت جــريدة الديلي اكسبــرس اللندنية مقالا نقلت بعضه اذاعة اسرائيل بالعبرية [نشرة الرصد ٤/١١] جاء فيه « ان الرئيس نيكسون أمر بعد عمليــة الخرطوم بالعمل ضــد الارهاب ، وهنا بدأ تعاون بين وكالة الاستخبارات الامريكية والموساد الاسرائيلية » . كما اشارت جريدة برافدا السوفياتية في اليوم التالي الى ان وكالات استخبارات بعض الدول ساعدت الجيش الاسرائيلي على تنفيذ حملته على لبنان .

وقد رافق **التورط** الامريكــي في العملية **تورطــا** اوروبيا . فقد كان بعض العملاء الاسرائيليين الذين وصلوا بيروت في الايام الاولى من نيسان ثم اختفوا بعدها يحملون جوازات سفر بريطانية والمانيــة وبلجيكية تبين انها مزورة . وقــد احتجت الدول المعنية لدى اسرائيل على « هذا الخرق للاعراف الدولية » . واعتمدت بريطانيا اعطاء احتجاجها دعاية واسعة [لوموند ٤/١٩] .

وحفاظا على التقاليد ، اجتمع مجلس الامن لهيئة الامم المتحدة لبحث الشكوى اللبنانية ــ العربية ضد اسرائيل . وكانت النوايا تتجه (لدى الدول العربية والاشتراكيــة) لاستصدار قــرار عنيف اللهجة يهدد باتخاذ اجراءات رادعة . وقد ذهب جاكوب ماليك ، المندوب السوفياتي ، الى القول انه مستعد لتأيد مشروع قرار يقضي بتطبيق عقوبات اقتصادية على اسرائيل وحتى بطردها من الامــم المتحدة [لوموند ٤/١٥] . الا انه ظهر منذ الساعات الاولــى لانعقاد المجلس ان المنــدوب الامريكي لن يتوانى عن استعمال الفيتو ضد اي قرار لا يدين ــ على حد تعبيره ــ بنفس الشدة اعمال العنف الفلسطينية . وتقدمت في ٤/١٩ كل من فرنسا وبريطانيا بمشروع قرار مخفف يستنكــر الاعتداء ويدعو اسرائيل الى الامتناع عن مثل هذه الاعمال وينذرها باجراءات اشد اذا هي استمرت في ذلــك . ووصف المندوب البريطاني في كلمتــه العملية الاسرائيلية بانها « عمل عنف لا يمكــن تبريره بموجب الميثاق مهما تكن الظروف » ... مضيفا انه « يجب ان نظهر لمئات الالاف من اللاجئين في الاردن وسوريا ولبنان وغزة وفي كل مكان ان العالم لم ينسهم . ويجب ان نأخذ علما بأمانيهم

المشروعة ونعمل من اجل تحقيق تلك الاماني التي لا يجب تجاهلها في اية تسوية نهائية » .

وعلى اثر هذا الموقف اعربت اسرائيل عن طريق سفيرها في لندن عن « قلقها الشديد » [النهار ٤/١٩] ، مما حدا بالسفير البريطاني في اسرائيل الى الاعلان في احد الاجتماعات عن وجود خلافات محدودة في وجهات النظر السياسية لا تمنع بريطانيا من « الموافقة على مطالب اسرائيل الاساسية » . ووضح السفير وجهة نظره قائــلا « ان الولايات المتحدة هي الجانب الذي يملك افضل الامكانات لمساعدة الدول ذات العلاقــة المباشرة بالنــزاع للتوصل الى مفاوضات. وبريطانيا تعتقد بانه يتوجب على اوروبا في هذه المرحلة الا تمسك بزمام المبادرة لتسوية النزاع . وهذا راينا في المناقشات التي جرت في الامم المتحدة في اعقاب عمليــة الجيش الاسرائيلي في بيروت على الرغم مــن ان بعض المراسلين قد زيفوا اقوال مندوبنا » [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٦] .

وتكلم المندوب الفرنسي مدينا الهجوم بصفته «تعرضا غير مقبول لسيادة الدولة اللبنانية التي تقوم بجهد مشكور للحفاظ على بعض الاستقرار والتوازن في منطقة يجري فيها منــذ وقت طويل صراع بالــغ الخطورة » . وبعد ادانة عنيفة لعمليات الخرطوم وقبرص التي اعتبرها مسيئة للقضية الفلسطينية ، اضاف « لكن من الضروري التمييز بين الارهــاب الفلسطيني الذي تقوم به عناصر لا يمكن السيطرة عليها وان تكن نابعة من حركات سياسية علنية ، والارهاب الاسرائيلي المضاد الذي تنظمه وتشرف عليه دولة تعترف بها الاسرة الدولية وعضو في الامم المتحدة ... » [النهار ٤/١٩] .

وجدد المندوب الصينــي ادانته بعنف لاسرائيــل وتضامن بلده مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ، وتكلم ممثلو كينيا والهند وبيرو وبناما ويوغوسلافيــا وغينيا — علــى درجات متفاوتة — باتجاه ادانة العملية الاسرائيلية .

الا ان الخوف من الفيتو الامريكي والطويح بامكانية عدم استعماله اذا اجريت بعض التعديلات ، دفعت الدولتين الاوروبيتين الى ادخال وقبول عدة تعديلات اسقطت « التحذير باتخاذ الاجراءات » وخففت الى حد بعيد من لهجة مشروع القرار مما جعله متشابها وربما اقل حدة مــن بعض القرارات السابقة . وتضمن المشروع عبــارة تشير الى العمليــات الفلسطينية بشكل غير مباشر تحت شكل التنديد « بكل اعمال العنف التي تهدد حياة الابرياء » مما سمح للمندوب الامريكي بالامتناع عــن التصويت (٤/٢١) كما امتنع مندوبو الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وغينيا الذين رأوا ان القرار لا يفرق بشكل كاف بين المعتدي والمعتدى عليه ، بينما صوت الاحد عشر مندوبا الاخرون الى جانب القرار (بمن فيهم المندوب السوداني ، الذي « يمثل الكتلة العربية » في المجلس) .

وقد لقي هذا القرار مصير ما سبقه من قرارات من احتقار من الطرف الاسرائيلي ، فلم يتأخر تكواع عن التعبير عن اهمال اسرائيل للقرار واعتزامها المضي في سياستها « الهجومية للدفاع الذاتي » على حد تعبيره .

وقد تمكنت جمهورية مصر العربية التي شارك وزير خارجيتها في اجتماع المجلس من انتهاز الفرصــة لاستصدار قرار اجماعي لعقد جلسة خاصة للمجلس (في مطلع حزيران) للاستماع الى تقرير مفصل من الامين العام للامم المتحدة عن تطورات ما يسمى بقضية الشرق الاوسط منذ حرب ١٩٦٧ ومناقشة عامة للوضع في المنطقة . وعلى اثر هذا القرار ، غادر يارينغ موسكو الى نيويورك في اواخر نيسان للمشاركة في اعــداد التقرير . ويبــدو ان مصر والاتحاد السوفياتي تنويان الاتجاه نحو تنشيط مهمة يارينغ ودور الامم المتحدة بعد اليأس من الحوار مع امريكــا التي تبدو مرتاحة جــدا الى الوضع الحالي الذي تسيطر فيه اسرائيل عسكريا علــى المنطقة وتنتعش القــوى المضادة للثورة وتتجــه بشراسة نحو ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في العالم العربي بشكل عام .

السياسة الامريكية « وقضية » النفط :

تحت عنوان « نبأ من الاسوشيتدبرس — امريكــا تضغط على لبنان ليلجم الفدائيين » نشرت جريدة النهار [٤/١٥] :

« علم اليوم (اي ٤/١٤) ان الولايات المتحــدة تضغط على لبنان لكي يلجم الفدائيين الفلسطينيين داخل اراضيه . وفهم ان الحكومة الامريكية لا تقبل الرد القائل ان لبنان لا يستطيع فرض قيود اشد على الفدائيين . ومــن جهة اخــرى تشن وزارة الخارجية حملة علنية ترمي الى اقناع الفلسطينيين بان الولايات المتحدة عالمة « بمصالحهم الشرعية ».

ومن الواضح ان هدف واشنطن هو تهدئة الجماهير العربية التي ابلغها صوت فلسطين ان الولايات المتحدة ساعدت اسرائيل في الاعتداء على لبنان ». ومن جهة اخرى ، كتب المعلق الامريكي جوزف السوب سلسلة مقالات عن مشكلة الطاقة ، تكلم في احداها عن لقاء جرى بينه وبين يتسحاق رابين قبل مغادرة الاخير لمنصبه في واشنطن [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٩] . وقال رابين في هذا اللقاء : « ان الولايات المتحدة معرضة لان تكف عن كونها دولة كبرى وذلك بسبب مشكلة الطاقة». واضاف « انكم لا تفكرون ما فيه الكفاية بمشكلة النفط . انني افكر بهذه المشكلة منذ عدة اشهر ... انها اخطر مما تعتقدون عشر مرات .. **ان وريد عنقكم ووريد عنق اوروبا الغربية واليابان يمر اليوم بالخليج الفارسي** ... بيد انكم لا تملكون اية وسائل للدفاع عن هذا الوريد ، ولذا حكم على الولايات المتحدة بان تكف عن كونها دولة كبرى، الا اذا وجدت الوسائل والطرق لحل المشكلة التي تغاضى الجميع عنها . تمعنوا في الوقائع التي يخبئها المستقبل لانكم ستضطرون لمواجهتها ، وادرسوا هذه الوقائع وآثارها على الدولار الامريكي » وختم السوب حديثه عن اللقاء بالقول « ان هذه كلمات قاسية قالها صديق حميم وحكيم ... كان احد الادمغة الاستراتيجية ذات الفكر الثاقب التي شاهدتها هذه المدينة ، واشنطن » . ومن هذين المقطعين تظهر معالم السياسة الامريكية الحالية :

— دعم مطلق لاسرائيل كقوة ضاربة في المنطقة .

— محاربة المقاومة الفلسطينية كمظهر من مظاهر التحدي العربي للوضع الامريكي — الاسرائيلي .

— الاتجاه نحو حماية مصادر النفط بالسبل الملائمة، وقبل كل شيء بدعم الانظمة المرتبطة بالغرب واستعمالها واستعمال اسرائيل اذا اقتضى الامر للقضاء على اية بذور تمرد شعبي يهدد استمرار تدفق الذهب الاسود نحو الدول الراسمالية . وتبدو تصريحات رابين تحريضا واضحا للولايات المتحدة للتحرك السريع في المنطقة باتجاه تعميق المكاسب الامبريالية التي تحققت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبشكل خاص بعد مجزرة ايلول ١٩٧٠ .

فعلى صعيد الدعم الاسرائيلي ، قال يهودا هيلمان المدير العام لمؤتمر الرؤساء في منظمة زعماء يهود الولايات المتحدة بعد مقابلة نيكسون [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٠] انه لم « يسمع قط اي رئيس دولة يعمل بعطف كهذا لمصلحة قضية يهودية ...» وتعليقا على تقرير روجرز السنوي امام الكونغرس الذي اشار فيه الى ان « الشرق الاوسط هو المنطقة الوحيدة الباقية من مناطق النزاع المزمن في العالم حيث لا تجري مفاوضات » ، قالت اذاعة اسرائيل في ٤/٢٠ ان موقف روجرز متماثل مع موقف اسرائيل القائل بوجوب البدء باجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل وان التسوية الجزئية في قناة السويس بدون اية شروط مسبقة ستكون خطوة اولى للتسوية السلمية . وفي حديث دار حول زيارة غولدا مئير لواشنطن ، قال سيمحا دينيتس السفير الذي حل محل رابين « ان اية جهة امريكية مسؤولة لم تطلب من اسرائيل ان تبدل موقفها او تعيد تخطيط سياستها او تعدلها » [رصد اذاعة اسرائيل ٣/٢٤] . وأكد رابين نفسه هذا الدعم المطلق [اذاعة اسرائيل ٤/١٩] قائلا : « بناء على ما اعرفه اليوم ، لن ينقص اسرائيل اسلحة في المستقبل . والدليل على ذلك هو ردود الرئيس نيكسون على طلبات رئيسة الحكومة خلال زيارتها الاخيرة . فقد جرى الحديث عن العام ١٩٧٦ وليس فقط عن ١٩٧٤ ... واعتقد بان اكثر من ٢٠ بالمئة من ميزانية المساعدات الخارجية الامركية تقدم لاسرائيل » .

ولم تشذ عن النغمة الا اصوات قليلة بين الرسميين الامريكيين ، منها صوت الشيخ وليام فولبرايت الذي طالب في تصريح له بتاريخ ٤/١٥ « بان تتخذ امريكا موقفا حازما جدا من الوضع في الشرق الاوسط » متهما غالبية مجلس الشيوخ المؤيدة لاسرائيل بالحؤول دون ذلك ، وكذلك صوت الشيخ الجديد اللبناني الاصل جيمس ابو رزق الذي طالب باتخاذ موقف اقل تحيزا لاحلال السلام في الشرق الاوسط (النهار ٤/١٨) . وتبقى هذه المواقف طبعا ضمن الاطار العام للايديولوجية المسيطرة .

● على صعيد الموقف من المسالة الفلسطينية ، تركزت السياسة الامريكية على قاعدتين :

ا — محاربة العمل الفدائي والقضاء على اي مظهر مقاوم للشعب الفلسطيني .

ب — التلويح بتفهم امريكا لتطلعات الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، بقصد ايجاد اطراف قابلة للدخول في المساومة ، وخلق جو

نفسي عند قطاعات من الشعب الفلسطيني باتجاه توقع الانقاذ من واشنطن .

وعبر المسؤولون الامريكيون من هذه السياسة المزدوجة مرارا خلال الاسابيع الماضية . ففي التقرير السنوي عن حالة العالم ، دعا نيكسون الى « العمل خطوة خطوة للوصول الى السلام مع دراسة كل جوانب الصراع بما فيها الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » مضيفا بان «مشكلة الارهاب ... هي مشكلة دولية تتصدى لها الولايات المتحدة بجهد كبير [النهار ٥/٤].فالارهاب (الذي اصبح في العرف الامريكي رديفا للمقاومة) يجب التصدي له ، اما الشعب الفلسطيني (الخانع الوديع) فله حقوق مشروعة . ولم يحدد اي من المسؤولين الامريكيين — ابتداء من كبيرهم — ماذا تعني هذه العبارة واين تقع حدود الشرعية في قاموس منتهكي كل القوانين الدولية وحتى الداخلية في الهند الصينية ووatرغيت (للمثل لا للحصر) .
اما على صعيد السياسة النفطية فقد لخص تقرير وزارة الخارجية الامريكية الذي نشر في ٤/١٩ بعض معالم « ازمة الطاقة » . وجاء في التقرير (النهار ٤/٢٠) :

« في اوائل ١٩٧٢ ، اخذت الحقول الامريكية تنتج النفط بأقصى حد من فعاليتها معلنة بذلك انتهاء حقبة كانت فيها الولايات المتحدة تملك امكان تعويض النقص في موارد العالم من النفط — اكثر العناصر حيوية في صناعة الطاقة العالمية — ... واصبحت اربعة معالم رئيسية ستؤثر بشكل كبير على علاقاتنا الخارجية في العقدين المقبلين ، موضوع قلق في كل الدول الرئيسية المستهلكة للطاقة :

١ — زيادة مثيرة في استهلاك النفط العالمي .

٢ — تركيز متزايد لكميات كبيرة من النفط في عدد صغير من الدول .

٣ — تغير العلاقات بين الدول المنتجة والدول المستهلكة وشركات النفط .

٤ — بروز الولايات المتحدة كدولة مستوردة لكميات متزايدة من النفط » .

ويستنتج التقرير : « نحن الان اكبر دولة مستوردة للنفط في العالم ... اننا نعتقد ان على الولايات المتحدة ان تظهر قدرة على المبادرة في السعي لتجنب وضع قد يفجر تزاحما على مخزون الطاقة بين الدول المستوردة » . وقد لخصت النيويورك تايمز بشكل اكثر وضوحا القلق الامريكي حين اشارت (٤/١٦) الى « ان الصراع حول النفط ربما يشكل بالنسبة الى مجتمعات اوروبا الغربية وامريكا في السبعينات خطرا مماثلا لخطر القوة العسكرية السوفياتية في الاربعينات والخمسينات » .

ومهما تشكلت عند بعض الاوساط العربية من اوهام حول امكانية استخدام النفط كسلاح تهديد ضد الغرب في ظل الاوضاع العربية القائمة ، فان التصريحات الامريكية بالذات تشير الى ثقة كبيرة في امكانيات السيطرة على منابع البترول واستبعاد اي تأثير عربي جدي على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في الظروف الحالية . ومثال على ذلك استخفاف المسؤولين الامريكيين الذي عبرت عنه واشنطن بوست (٤/١٩) بالتهديد السعودي بالحد من زيادة الانتاج ما لم تبدل الولايات المتحدة سياستها المؤيدة لاسرائيل . وكذلك قول روجرز [النهار ٤/٣٠] : «ان اعتماد الولايات المتحدة المتزايد على النفط المستورد لا يعني تغييرا في سياستها تجاه الشرق الاوسط » .

ولا بد من الاشارة هنا الى تطورات المحادثات بين الدول المصدرة للنفط وشركات التسويق . فقد انعقد اجتماع بين الطرفين في فيينا ابتداء من ٤/٢٣ طالبت فيه اللجنة الوزارية الممثلة لمنظمة الدول المصدرة (اوبيك) والمكونة من وزراء نفط ليبيا والعراق والكويت بزيادة قدرها ١١،١ بالمئة من شركات النفط كتعويض للخسارة التي لحقت بها من جراء تخفيض قيمة الدولار . وجدير بالذكر ان اوبيك تضم ١١ دولة بينها ٧ دول عربية ، وهي ابو ظبي والجزائر والكويت والعراق وليبيا وقطر والسعودية بالاضافة الى اندونيسيا وايران ونيجيريا وفنزويلا. وهذه الدول تزود الغرب بنحو ٨٠ بالمئة من حاجته. ولم يعط اجتماع فيينا اية نتيجة . واعطت دول اوبيك مهلة للشركات ، عادت بعدها فاجتمعت في طرابلس في ٥/٧ لتواجه رفضا جديدا ، دعت بعده الى مؤتمر طارىء للدول الاحدى عشرة يعقد في فيينا ايضا في ٥/٢١ .

● وعلى صعيد السياسة الامريكية ، لفت الانتباه المؤتمر الذي عقده سفراء الولايات المتحدة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا وجنوب شرق آسيا . وقد عقد المؤتمر في طهران يومي ٢٣ و ٤/٢٤ برئاسة كينيث راش وكيل وزارة الخارجية

الامريكية وبحضور جوزف سيسكو ، وجيمس كيوغ المدير الجديد لوكالة الاستخبارات المركزية (علما بان المدير السابق للوكالة هو السفير الحالي في طهران) . وقد علم ان مواضيع البحث دارت حول : الحرب العربية الاسرائيلية المحتملة ، ونشاط الفدائيين ضد الديبلوماسيين الامريكيين ، والنفط العربي والتنافس بين الغرب والشرق في المنطقة واعادة النظر في مشروع روجرز (النهار ٤/٢٥) . وصرح راش اثر المؤتمر (٤/٢٥) بأن الولايات المتحدة « لن تسمح للارهاب ضد الديبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط بالتدخل في عملهم الديبلوماسي الطبيعي » . وانها ليست « دولة تخضع للتهديد وستفعل كل شيء لحماية رعاياها قدر المستطاع » . وانها لن « توافق على اية تغييرات في منطقة الخليج عن طريق القوة او الاعمال الهدامة » .

وهذه الكلمات كافية للايحاء بالاستراتيجية الحالية لامريكا في الشرق العربي .

مواقف اوروبية : التحرك الايطالي وقصة الميراج الليبية :

● يبدو ان ايطاليا ستلعب في الاشهر المقبلة دورا مميزا بين الدول الاوروبية باتجاه « قضية الشرق الاوسط » . وقد ظهرت بوادر التحرك الايطالي في زيارة وزير خارجيتها جوزيبي ميديتشي لعدد من الدول العربية واسرائيل في الاسابيع الماضية .

وفي ٤/١٩ ، اعلن رئيس الوزراء الايطالي انه قدم خلال لقائه مع نيكسون للاخير مشروعا جديدا لتسوية النزاع ، واستقبله كل من نيكسون وروجرز على حد تعبير وكالات الانباء « باهتمام كبير » .

وفي ٤/٢٣ نشرت جريدة « ال مساجيرو » الايطالية تفصيلات عن هذا المشروع الذي قالت انه بحث بين ميديتشي والمسؤولين العرب والاسرائيليين. وجاء في المقال ان المشروع يقضي بشق قناة جديدة موازية لقناة السويس تشترك في تمويلها ٤٢ دولة برأسمال قدره ٢٨٠٠ مليون دولار . وقد سارعت الاوساط المصرية الى نفي هذه الانباء معتبرة اياها « تلفيقا اسرائيليا سخيفا » نظرا لان مشروعا كهذا سيعني ضمنا رضوخ مصر لاحتلال اسرائيل الدائم لسيناء واغلاقها للقناة الاصلية .

الا ان مصادر مقربة من وزارة الخارجية الايطالية اشارت الى وجود شيء من الصحة في هذا الخبر (النهار ٤/٢٥) ، لكن تفصيلات الصحيفة الايطالية اعتبرت مبالغ فيها . وفي طوكيو ، صرح رئيس الوزراء الايطالي اندريوتي ان « الصحافة اخذت بعض النواحي الفنية على اساس انها المشروع » مضيفا انه من المنطقي اكثر الحديث عن اعادة فتح القناة القائمة بدلا من طرح فكرة شق قناة جديدة [النهار ٤/٢٦] . ونقلت اذاعة اسرائيل (٤/٢٥) نبأ مشابها عن مصدر ايطالي مسؤول ، اشار الى ان السكرتير العام لوزارة الخارجية الايطالية اكتفى خلال زيارته لواشنطن بتقديم فكرة انشاء مجمع شركات دولية لاعادة بناء الاقتصاد المصري المتهدم عند التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط .

● في مطلع شهر نيسان ، اثارت اجهزة الاعلام الاسرائيلية ضجة حول معلومات توفرت لديها من نقل عدد من طائرات الميراج الفرنسية التي بيعت الى ليبيا الى الاراضي المصرية . واشار المراقبون ان تل ابيب استقت معلوماتها من هيئات استخبارات ترفض اسرائيل الكشف عنها [النهار ٤/٢١] . ونكرت جريدة « فرانس سوار » الفرنسية فيما بعد ان قمرا اصطناعيا امريكيا قام بتصوير الطائرات في القواعد المصرية .

واثارت القوى السياسية والصحف اليمينية في فرنسا هذه القضية مجددا ، مما استدعى نفيا قاطعا من وزير الخارجية الفرنسية الجديد بناء على التأكيدات التي حصل عليها من كل من مصر وليبيا . واشارت الاوساط الحكومية الفرنسية الى ان اسرائيل اثارت هذا الموضوع بسبب موقف فرنسا في مجلس الامن [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٠] . ولكن المصادر الامريكية اكدت بدورها انتقال الميراج الى مصر ولكنها نفت ان تكون قد سلمت اسرائيل صورا التقطت من الجو تثبت ذلك. وفي اواخر نيسان ، عادت هذه المصادر لتقول ان الطائرات غادرت مصر عائدة الى قواعدها الليبية .

وعلق السفير الاسرائيلي في باريس اشر بن ناتان على العلاقات الفرنسية — الاسرائيلية قائلا « ان الحكومة الفرنسية الجديدة لا ترغب الان في تأزيم العلاقات مع اسرائيل الا انه من السابق لاوانه الاعتقاد بان معاملتها لاسرائيل ستتغير » . واضاف « ان فرنسا نشرت بيانا معتدلا بعد حملة بيروت لانها لا ترغب في الدخول في جدل معنا ...

وبومبيدو ... راغب في الحفاظ على العلاقات الودية مع الدول العربية وعدم الظهور بانه يعتمد سياسة معادية لاسرائيل ، [رصد اذاعة اسرائيل ٤/١٦] .

وعن موضوع الطائرات بالتحديد ، قال حاييم هيرتسوغ في الاذاعة الاسرائيلية « انه منذ اليوم الذي جرى فيه الحديث عن بيع طائرات فرنسية الى ليبيا ، كان هنالك افتراض عام بان هذه الطائرات اعدت في الواقع لمصر» واعتبر هيرتسوغ ان طائرات الميراج ليس باستطاعتها حل المشكلة التي يواجهها المصريون تجاه سلاح الجو الاسرائيلي .

وهذه الحملة الاعلامية الاسرائيلية كالحملات المشابهة التي تنظم على نطاق واسع تغطي اذا اهدافا سياسية آنية لا بد من دراستها وكشفها لمواجهتها .

بيان اللجنة الاسقفية الفرنسية حول اليهود :

في ١٧ نيسان اصدرت اللجنة الاسقفية الفرنسية التي تضم اساقفة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا بيانا بمناسبة عيد الفصح اليهودي جاء فيه « ان الضمير العالمي لا يمكن ان يحرم الشعب اليهودي من حق الوجود السياسي الخاص ووسائله كما يجب الا تحرم من هذا الحق الشعوب المتضررة من عودة اليهود الى فلسطين » . وتوسع البيان في الجانب الديني من قضية العلاقة بين اليهود والمسيحيين مطالبا بشكل اساسي بعدم تحميل

اليهود مسؤولية قتل السيد المسيح . ولم تكن هذه الوثيقة لتثير الضجة التي احدثتها، لو لم تحتو على الاعتراف الضمني الاول لهيئة كاثوليكية كبيرة بوجود اسرائيل . ذلك ان الفاتيكان — رغم اللقاءات المستمرة مع المسؤولين الاسرائيليين — امتنع حتى الان عن اتخاذ اية خطوة باتجاه الاعتراف بدولة يهودية .

ولهذا جاءت ردود فعل الاطراف المعنية اكبر من الحدث نفسه : فالاوساط الصهيونية رحبت بحرارة ، والاوساط العربية المسيحية احتجت بعنف ، اما الفاتيكان فقد عبر عن تحفظه بشيء من الحرج .

فالحاخام الاكبر في فرنسا سارع الى الترحيب بالوثيقة معتبرا اياها خطوة هامة نحو التفاهم اليهودي — المسيحي . واذاعة اسرائيل نقلت التعليقات الايجابية للاوساط الرسمية . وجريدة لانفورماسيون الاسرائيلية التي تصدر بالفرنسية اعتبرت الوثيقة « لا تقل اهمية على الصعيد الروحي بالنسبة الى اسرائيل والصهيونية من وعد بلفور » .

اما الامانة العامة للندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين فقد اصدرت بيانا تنفي نية شرعية الدولة اليهودية سياسيا ولاهوتيا وتقول « ان ارض فلسطين هي للفلسطينيين سواء اكانوا من اليهود ام من المسيحيين ام من المسلمين ، ومن حقهم هم وليس اساقفة فرنسا ان يقرروا مستقبل وطنهم ». واستنكر رؤساء الكنائس الشرقية الكاثوليكية الوثيقة وعبروا عن قلقهم لكونها تحيزا سافرا لجانب اسرائيل . كما اعلن اساقفة الكنيسة الكاثوليكية في شمال افريقيا (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) رفضهم للوثيقة واعتبارهم « الاعتراف بحق الفلسطينيين في الوجود الخطوة الاولى نحو تحقيق السلام » . واصدر ٤٢ يسوعيا من جنسيات مختلفة يقيمون في لبنان بيانا يفند النقاط الدينية في الوثيقة ويستنكر « رفضها الاعتراف للشعب الفلسطيني بهويته » .

اما الفاتيكان ، فلم تبدر عنه الا تعليقات غير مباشرة . فاشارت الصحف الى ان الاوساط القريبة من البابا ابدت ملاحظات حول عدم تركيز الوثيقة بشكل كاف على حقوق الشعب الفلسطيني، وضرورة التمييز بين العلاقات الاخوية بين الكاثوليك واليهود من جهة والموقف من سياسة اسرائيل من جهة اخرى ، وكذلك حول قلق الفاتيكان من هجرة الكاثوليك من اسرائيل .

وبمناسبة زيارة الانبا شنوده الثالث للفاتيكان صدر عن القطبين المسيحيين بيان مشترك ركزت الصحف العربية على بعض جوانبه . وجاء في البيان « ان قلوبنا مع الآلاف من المعذبين والمشردين من ابناء الشعب الفلسطيني ... واننا نستنكر اي عبث بالمبادىء الدينية من اجل تحقيق اهداف سياسية في هذه المنطقة ... ونتمنى ونسعى من اجل التوصل الى حل عادل لازمة الشرق الاوسط حتى يسود سلام حقيقي قائم على العدل » .

وبدت هذه الفقرات كرد غير مباشر على وثيقة الاساقفة الفرنسيين .

العلاقات السوفياتية العربية ومشكلة اليهود السوفيات :

ابرزت الانباء الدعم السوفياتي المتزايد لسوريا والعراق . فقد ذكرت اوساط وزارة الدفاع الامريكية نبأ مفاده ان السوفيات ، زودوا سوريا منذ مطلع السنة باربعين طائرة مقاتلة من نوع ميغ ٢١ وكانستي الغام . ووصفت هذه الصفقة بانها اكبر عدد من الطائرات سلمت في اية مرحلة مماثلة . واضافت هذه الاوساط ان السوفيات والتشيكوسلوفاكيين يعملون على تعزيز اسلحة العراق : فقد ارسل اولئك زوارق حاملة صواريخ وطوافات (هليكوبتر) لنقل الجنود ، كما استقبلوا عددا من رجال الطيران العراقي للتدرب عليها . اما هؤلاء فوقعوا صفقة مع العراق بلغت ٨٠ مليون دولار — حسب هذه المصادر — تشمل ٥٠ طائرة تدريب كما زودوا فيما مضى الجيش العراقي بمدافع مضادة للطائرات ، وطوافات وناقلات جنود مصفحة بما قيمته ٦٥ مليون دولار .

وفي نفس تلك الفترة (اواسط نيسان) ، ذكرت انباء من المغرب ان سفينتين حربيتين سوفياتيتين قامتا بنقل وحدات من الجيش المغربي الى الجبهة السورية ، ذكرت جريدة لوموند انها « اكثر من رمزية » . ونشرت جريدة النهار بعد ايام ان الفريق حافظ الاسد قام في الايام الاولى من ايار بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي لدراسة امكانيات تعزيز سلاح الجو السوري بطائرات مقاتلة حديثة . وعاد الرئيس الاسد الى دمشق في ٥/٤ برفقة الماريشال كوتاخوف قائد سلاح الجو السوفياتي . واشارت الصحيفة نفسها الى ان الفريق الاسد قد تعرض خلال زيارته السرية لموضوع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي نظرا لمشاريع الاسكان التي يساهم فيها المهاجرون في الجولان المحتل . وتخوف الرئيس السوري يعود على ما يبدو الى عنصر جديد في السياسة السوفياتية في هذا المضمار . ففي ٤/١٩ ، اكد الناطق الرسمي بلسان البيت الابيض الامريكي ان موسكو جمدت رسميا العمل بضريبة التعليم التي كانت مفروضة على المهاجرين الى اسرائيل . وقد جاء قرار التجميد عقب الضغط الذي قام به الكونغرس الامريكي على نيكسون ليربط بين ابرام الاتفاق التجاري الذي يسهل بعض المعاملات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبين السياسة السوفياتية تجاه هجرة اليهود . ونقلت بعثة دراسية تابعة للكونغرس هذه الشروط اثناء زيارتها للاتحاد السوفياتي في اواخر العام الماضي . واذاع راديو اسرائيل (٤/١٩) ، عقب هذا القرار ان نحو ١٠٠ الف يهودي سوفياتي طلبوا تأشيرة خروج ، مشددا في الوقت نفسه على « اعمال الانتقام » التي يدعي انها تمارس ضدهم . وذكر مراسل اذاعة اسرائيل في واشنطن « ان يهود الولايات المتحدة سيواصلون استخدام الضغط على الاتحاد السوفياتي بواسطة الادارة والكونغرس ، وبواسطة اعداد مظاهرات صاخبة » خلال الزيارة التي سيقوم بها ليونيد برجنيف للولايات المتحدة في الصيف القادم ، نظرا لحساسية الاتحاد السوفياتي لمثل هذه الضغوط من قبل الرأي العام العالمي حسب تقدير المعلق .

داود تلحمي

(٢) المناطق المحتلة

قضية بيع الاراضي : في العدد السابق من شهريات شؤون فلسطينية تطرقنا الى اقتراح ديان بشأن السماح لليهود بشراء اراض في المناطق المحتلة والى موقف الكتل الاساسية الاسرائيلية تجاه هذه القضية ، والى اتخاذ الحكومة قرارا ابقت بموجبه الوضع على ما كان عليه سابقا ، وفسرت ذلك بانها تحول دون قيام الافراد اليهود بشراء أراض عربية في الضفة الغربية ، الا انها اوحت بأن باب شراء الاراضي العربية لا يزال مفتوحا امام المؤسسات الاسرائيلية وعلى رأسها الوكالة اليهودية ولم يعرف مصير الاراضي التي قد تم شراؤها بواسطة الافراد اليهود .

ومن المعروف ان سلطات الاحتلال قد سنت قانونا بخصوص امتلاك الاراضي في المناطق المحتلة في ١٨ يونيو ١٩٦٧ ينص على ان « لا يقوم شخص بصفقة اراض سواء بنفسه او بواسطة آخرين ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة الا باذن من قبل السلطة المخولة » وحدد القانون عقوبة المخالف بالسجن مدة خمسة اعوام او بدفع غرامة مقدارها ١٥٠٠ ليرة . ومن الجدير بالذكر ان صفقات كبيرة قد عقدت ولم يعاقب اي شخص حتى الان ، وقد اعترفت بعض الصحف الاسرائيلية ان الحكم العسكري كان يتغاضى عن هذا القانون وكأنه غير موجود ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٧٣/٤/٦) : « يبدو ان الحكم العسكري في الضفة الغربية تغاضى عن كافة اعمال تجارة الاراضي غير المشروعة التي جرت بكثافة كبيرة وخاصة في مناطق القدس بيت لحم ورام الله ، فمن المعروف ان اي شخص من بين المئات او الالاف الذين اشتروا اراض من عرب في الضفة الغربية لم يمثل امام المحكمة » .

سارت عملية شراء الاراضي في طريقين رئيسيين : (١) بواسطة السماسرة من العرب واليهود لبيعها الى افراد او مؤسسات اسرائيلية صغيرة (٢) دون اللجوء الى السماسرة وذلك بعقد صفقة مباشرة مع الكيرن كاييمت . وقد جاء القرار الذي اتخذته الحكومة مؤخرا ضد الطريقة الاولى بينما سمحت للكيرن كاييمت التابع للوكالة اليهودية بمواصلة نشاطه . وقد فسرت خطوتها تلك بأنها جاءت لقطع دابر السمسرة والاتجار !! ومن المعروف ان الكيرن كاييمت قد امتلك وفق ما ذكرته المصادر الاسرائيلية ٤٨ الف دونم في الضفة الغربية ٣٠ الف دونم في الاغوار و١٨ الف دونم في منطقة القدس . وقد استطاعت سلطات الاحتلال سواء بوضع اليد على الاراضي العربية او عن طريق شراء البعض منها بناء عشرة الاف وحدة سكنية حتى الان في مدينة القدس العربية لاستيعاب المهاجرين الجدد فيها .

هنالك دوافع عدة لبيع الاراضي ، من اهمها الاغراءات المادية والخوف من مصادرة الارض من قبل سلطات الاحتلال كما حدث في الاغوار وفي مناطق عديدة أشيدت عليها مستوطنات اسرائيلية ، فقد ذكر عربي — على سبيل المثال — من بيت لحم باع قطعة ارضه ، وتسترت الصحيفة الاسرائيلية على اسمه بناء على طلبه ، ان اوضاعه التجارية قد ازدادت سوءا ولم يجد طريقا لتحسين تجارته الا ببيع ارضه « اذا لم احصل على تمويل ذاتي فان تجارتي ستصفى » ! واضاف انه قرر الاقدام على عمله هذا بعد ان توجه السماسرة من العرب واليهود اليه عدة مرات « قبل بضعة شهور اغلق الحاكم العسكري آلاف الدونمات بالقرب من بيت ساحور — الاهداف معروفة فقط لديه ، وقررت بيع ارضي فورا ، قبل ان يتم اغلاقها ، وبذلك ربحت مبالغ طيبة وخلصت نفسي في نهاية المطاف من مصادرة الاراضي » .

وهنالك عرب يقيمون في امريكا اللاتينية ويمتلكون اراض في مناطق القدس ، يقومون ببيعها بسبب الاغراءات المادية . ويتنافس السماسرة اليهود على شراء الاراضي من هؤلاء . ولا يتورعون عن الذهاب الى امريكا اللاتينية لعقد الصفقة هناك ، فقد حدث ان تقدم سمسار يهودي لشراء ارض تخص شخصا يقيم في امريكا اللاتينية من موكله الذي يسكن في بيت لحم ، الا ان هذا رفض لانه أراد بيعها لسماسرة آخرين ، فما كان من السمسار اليهودي الا ان توجه الى امريكا اللاتينية واشترى الارض من صاحبها ، وقد بلغت ارباح السمسار اليهودي في هذه الصفقة مليون ليرة !

الى جانب ذلك ذكرت المصادر الاسرائيلية ان كنائس معينة قد قامت ببيع اراضي تمتلكها الى المؤسسات

الاسرائيلية ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٤/١٠/ ٧٣) : « اشترت الكيرن كاييمت لاسرائيل من الكنيسة الروسية البيضاء قطعة ارض واسعة في القدس الشرقية تمتد حتى ضاحية شموئيل هنبي ، ضمن صفقة شاملة بخصوص شراء اراض في غوش عتسيون ، وتلقت الكنيسة مقابل هذه الصفقة بضعة ملايين من الدولارات » .

كما واوردت في نفس العدد ان رئيس بلدية القدس تيدي كوليك قال في مؤتمر صحفي « ان البلدية قد اشترت بالقرب من السور ٢٥ دونما من الارض بثمن عال ، وكذلك ٥١ دونما في نكفوريا بالقرب من الملك داوود ، من الكنيسة اليونانية مقابل اربعة ملايين دولار » .

يدرك عرب المناطق المحتلة الخطورة الكامنة في عملية بيع الاراضي مهما كانت التبريرات التي يوردها ضعاف النفوس ، فعملية البيع كما يقول رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج هي « مؤامرة مقصودة لنهب الاراضي العربية ، تؤدي في نهاية الامر الى دفع العديد للهجرة الى الخارج » . ولئلا تمر المؤامرة وتزداد اعداد المشردين ، فان الواجب يتطلب اتخاذ عمل حاسم وسريع ضد اولئك الذين يتاجرون بتربة الوطن الفلسطيني .

حزب العمل وسبعة شهور من النقاش : انهى حزب العمل في ٧٣/٤/١٢ نقاشا طويلا استمر طيلة سبعة شهور ، جرى في ثماني جلسات عقدتها سكرتارية الحزب في فترات متقطعة ، حول مصير المناطق المحتلة ، دون ان يسفر هذا النقاش الطويل عن اية قرارات ، نظرا لاختلاف وجهات نظر التيارات المختلفة في حزب العمل الحاكم ، واكتفت سكرتارية الحزب بابقاء الوضع على ما هو عليه .

اتضح من خلال النقاشات ان هنالك تيارين اساسيين : الاول يركز على ضرورة ابقاء السيطرة الاسرائيلية على معظم المناطق العربية ، ولا يعير اهتماما للرأي العام العالمي او للموضوعات الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي ، مثل وجود قطاع كبير من العرب داخل المجتمع الاسرائيلي او تشغيل العمال العرب في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، ويترأس هذا التيار كل من موشيه ديان وزير الدفاع ورئيسة الحكومة غولدا مئير ووزير الدولة يسرائيل جليلي ونائب رئيسة الحكومة يجال الون ، والتيار الثاني يركز على خطورة قطاع كبير من السكان العرب تحت السيطرة الاسرائيلية ووجود عدد كبير من العمال العرب في اسرائيل ويعير اهتماما للراي العام العالمي ، الا انه في الوقت نفسه يدعو الى استمرار السيطرة الاسرائيلية في مناطق معينة من الاراضي المحتلة . بيد انه ينبغي ان لا يغيب عن البال ان هذا التقسيم يدخل ضمن اطار التبسيط للامور وليس تقسيما دقيقا ، فاذا تحرينا الدقة المتناهية في التقسيم فسنجد مجموعة من المواقف المختلفة يكاد فيها كل عضو من سكرتارية حزب العمل يشكل موقفا مختلفا ، كما وان هذا الموقف المختلف قابل للتغيير بين آن وآخر . وذلك لعدم وجود اتفاق واضح وملزم للاعضاء حول مستقبل المناطق المحتلة ، ومع ذلك فسنعرض مواقف الشخصيات المركزية في حزب العمل كما جاءت في الجلسة الختامية التي انتهت بدون صدور بيان او اتخاذ مقررات .

لقد كشفت غولدا مئير في الكلمة التي القتها عن ظاهرتين ، الاولى ايجابية من وجهة نظرها ، وتتمثل في ان عامل الوقت يساعد اسرائيل على عدم التنازل عن مناطق كبيرة ويجعلها تتمسك بمناطق تحت سيطرتها . فقد ذكرت « لو ان الدول العربية أجابت اجابة مختلفة ، عند انتهاء حرب الايام الستة (لا سلام لا اعتراف لا مفاوضات) فانني اتخوف باننا كنا بدون التجربة التي نمتلكها الان خلال الاعوام الستة التي اعقبت الحرب ، على استعداد للتنازل عن مناطق كبيرة ، اما الان بدون شك فانني ، وايضا اخرين، على استعداد للتنازل عن قدر اقل ، لتعلمنا من تجربة الاعوام الستة . ان الشخص الذي كان على استعداد للتنازل فانه ينبغي عليه الان ان يعيد النظر على ضوء تجربة الاعوام الستة في رأيه » .

اما الظاهرة الثانية فهي سلبية من وجهة نظر مئير ، وهي مغايرة للظاهرة الاولى ومعاكسة لها ، وتتمثل في شبح جريمة الاحتلال الذي اخذ يلاحق قطاعات من الشبيبة اليهودية وبعض المفكرين اليهود وفي حالة المعاناة من عقدة الذنب التي أخذت تتفاعل بين الاوساط الانفة الذكر . تقول غولدا « ان الامر البالغ الخطورة في نظري هو التساؤلات التي اخذت تبرز بين صفوف الشبيبة ورجال الفكر حول ما اذا كنا ارتكبنا خطيئة واقترفنا اثما عندما عدنا الى الوطن (المناطق المحتلة ع. م) هنالك من يقولون لقد سيطرنا على شعب وفككناه وافقدناه استقلاله وطردناه من وطنه وحللنا محله ، ان هذا الامر لخطير للغاية » . ومن الجديد بالذكر هنا أن

بعض اوساط الشبيبة والمثقفين في اسرائيل قد بدأوا يتململون ضد سياسة الاحتلال ويقفون في وجه الاجراءات التي تتخذها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني « اننا لسنا على استعداد لنرتكب بحق شعب اخر ما ارتكب بحق ابائنا واجدادنا». كما واخذت نظرة هؤلاء تجاه الصهيونية تتأرجح بين الرفض والتشكيك ، كما وبدأ قسم منهم يدرك ان الحل الذي اتخذته الصهيونية لحل « المشكلة اليهودية » ، قد خلق مشكلة « يهودية » اخرى تتمثل في حالة التشرد للشعب الفلسطيني الناجمة عن الحل الصهيوني للمسالة اليهودية ، الامر الذي دفع مئير للقول « ان هذا الامر لخطير للغاية » واخذت تدافع عن وجهة نظرها القائلة بانه لا يوجد شعب فلسطيني ، ولكن هذه المرة بشكل مخفف حيث قالت « انني لا اعتقد باننا نحن الاسرائيليين نمتلك حق التقرير اذا ما كان هنالك كيان فلسطيني ام لا . انهم هم فقط باستطاعتهم تقرير ذلك » ، ومع ذلك اضافت انه لا يوجد مكان لاكثر من دولتين بين البحر والصحراء .

اما وزير الدفاع موشيه ديان فقد دعا الى الاسراع في الاجراءات الرامية الى تكريس الاحتلال وتهويد معظم المناطق المحتلة منطلقا من ان احتمالات السلام بعيدة المنال ، وانه يجب على اسرائيل بذل كل ما في وسعها لاستغلال ذلك بغرض وقائع جديدة هناك « حسب اعتقادي ينبغي علينا في الفترة القريبة توسيع الاستيطان والمشاريع اليهودية الزراعية والاقتصادية في الضفة الغربية في مناطق النبي صموئيل واللطرون وكفار سابا ، وغوش عتسيون ، وكريات اربع ومنطقة القدس ، خارج الخط الاخضر » . ان ديان يريد خلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ولكنه يحرص في الوقت نفسه على ان لا يضم سكان هذه المناطق ، محافظة منه على « نقاء » المجتمع اليهودي ويدعو الى خلق حالة تعايش بين السكان العرب والاسرائيليين ، فقد اوضح ديان انه لو ان القضية تمر في حالة اختيار : ضم مليون عربي وتحويلهم الى مواطنين اسرائيليين او التنازل عن المناطق المحتلة ، لكان فضل التنازل عن المناطق ، الا انه يعتقد ان حالة الاختيار غير قائمة وليست واردة اليوم . وقد اعترف ديان بان سكان المناطق المحتلة لا يريدون ان يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، ولذا فانه يدعو الى خلق حالة تعايش مع السكان العرب ، واستغلال ابتعاد احتمالات السلام لفرض الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة .

واذا كانت مئير قد اعربت عن قلقها البالغ حيال موقف اوساط من الشبيبة الاسرائيلية وبعض رجال الفكر هناك ، فقد حرص ديان على مهاجمة فريق من الشبيبة الاسرائيلية من اعضاء شبيبة الكيبوتسات وشبيبة تنظيم اليسار الاسرائيلي الجديد « سيح » بسبب التظاهرة التي قاموا بها ضد سياسة خلق وقائع جديدة بالقرب من قرية عقربة العربية في الضفة الغربية ، والتي رفعوا فيها شعارات مثل « فلسطين للفلسطينيين » نعم لعقربة . لا لمستوطنة جيتيت » وتساءل ديان : اين الخط الذي يبدأ منه الاستغلال القومي ؟ هل مستوطنات هرتيل ونهلال على ما يرام ، اما مستوطنة جيتيت فهي فلسطين ؟ ومن الجدير بالذكر ان دعاة التوسع درجوا على طرح اسئلة من هذا النوع ضد معارضيهم من الفئات الاسرائيلية الصهيونية ذات التطلع اليساري ، فالفئات الاخيرة تعارض الضم وتعتبره استغلالا قوميا ، الا ان الفئة الاولى لا ترى ان هنالك فارقا من حيث المفهوم الصهيوني بين ما احتل من فلسطين في عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

اما الوزير يسرائيل جليلي فقد فسر المفهوم الصهيوني تجاه المناطق المحتلة « ان الصهيونية تعني الاستيطان اليهودي في جميع ارض اسرائيل . لقد وافقنا على اقامة دولة في حدود مقلصة ، بيد اننا لم نتنازل مطلقا عن الاستيطان في كافة انحاء أرض اسرائيل . ان قبول التقسيم لا يعني الرضوخ للتقسيم ، والغبن الكامن فيه » . واعرب جليلي عن اعتقاده بأن « نهر الاردن سيكون بمثابة حدودنا مع مملكة الاردن ، حدود سياسية وامنية وستزدهر مستوطنات عبرية في غور الاردن ولن يسمح لقوات اجنبية باجتياز النهر » . اما فيما يتعلق بخطورة السكان العرب التي يلوح بها التيار الثاني فقد ذكر جليلي « يجب ان لا نحول الموضوع الديموغرافي الى ذريعة للانسحاب الى حدود قديمة » كما واكد انه من الناحية السياسية والامنية لم يتضح بعد اي خطر اكبر : قطاع كبير من السكان العرب الخاضع للحكم العربي ، او نفس القطاع من السكان الذين يعيشون حياة مشتركة داخل حدود اسرائيل » . وفيما يتعلق بموقف الجمهور الاسرائيلي قال جليلي ان الشعب لن يعطي ثقته لحكومة لا تلتزم بنضال من اجل احداث تغييرات جذرية على الحدود .

ولم ينس جليلي مهاجمة ظواهر الشك والتمرد على الفكر الصهيوني بين اوساط الشبيبة فقال « يجب ان لا نفسح مكانا للرفض وللشكوك الاخلاقية او الفكرية لاعمالنا » (معاريف ٧٣/٤/١٣) .

الجمهور الاسرائيلي والمناطق : في الوقت الذي كانت فيه اجنحة حزب العمل تتداول الحديث حول مصير المناطق المحتلة ظهرت نتيجة استفتاء في اسرائيل اجراه معهد البحث الاجتماعي في الجامعة العبرية حول موقف الجمهور الاسرائيلي من مصير المناطق المحتلة ، وقد دل هذا الاستفتاء على امرين اساسيين (١) ارتفاع نسبة المعارضين للتنازل عن المناطق المحتلة (٢) ارتفاع نسبة الداعين الى خلق الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة .وبالنسبة لمصير المناطق المحتلة ، ارتفعت نسبة الداعين الى عدم احداث اية تنازلات اقليمية في الضفة الغربية من ٤٧٪ الى ٥٨٪ ، وفيما يتعلق بشرم الشيخ ارتفعت النسبة من ٩٠٪ الى ٩٦٪ . اما هضبة الجولان فقد بلغت نسبة الداعين الى عدم التنازل ٩٣٪ وسيناء ٣٧٪ . وفيما يتعلق بوتيرة الاستيطان في المناطق فقد ارتفعت نسبة المؤيدين للاستيطان اليهودي في مشارف رفح وشمال سيناء من ٧٥ ٪ الى ٨٣٪ وبالنسبة لغور الاردن من ٩٠٪ الى ٩١٪ ، اما فيما يتعلق بهضبة الجولان فقد حدث هبوط بسيط من ٩٦٪ الى ٩٥٪ . وكالعادة اظهرت نتيجة الاستفتاء انه « مع ارتفاع نسبة المثقفين بين صفوف الذين شملهم الاستفتاء ترتفع ايضا نسبة الاستعداد للتنازلات الاقليمية في الضفة الغربية» ولكن هذه المرة يبدو ان العامل الثقافي ليس مؤثرا بالنسبة لبقية المناطق (هآرتس ٧٣/٤/١٢)

ردود الفعل على استشهاد القادة الثلاثة: اجتاحت المناطق المحتلة موجة استياء واستنكار للعملية التي قامت بها قوات اسرائيلية في قلب مدينة بيروت وادت الى استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف ، فقد قامت بلدية نابلس والمنظمات النسائية والعمالية في المدينة بالتوقيع على عريضة احتجاج ضد العملية ، ارسلت الى السكرتير العام للامم المتحدة فالدهايم والبابا بولس السادس والسلك الدبلوماسي في القدس العربية ، ووصفت العريضة الغارة الاسرائيلية بانها « مؤامرة مقصودة لتصفية الشعب الفلسطيني وتشكل مسا خطيرا بالقيم الانسانية والعدالة » وطالب الموقعون على العريضة « وضع حد للاعتداءات الاسرائيلية » كما وساد الضفة الغربية جو حداد فقد اغلقت المدارس وتعطلت الحياة العامة وتليت الصلوات على ارواحهم ، وخرجت مسيرات شعبية وطالبية ضد العملية ، كما وعبر الاهالي عن حزنهم باعلانات التعازي من خلال الصحف العربية الصادرة في المناطق المحتلة . ولم يكن بوسع الصحافة العربية الصادرة في القدس العربية الا ان تعبر عن شجبها للعملية الاسرائيلية حيال الحدث الجلل ، فقد ادانت هذه الصحف العملية ، واتهمت صحيفة « القدس » بأن «اسرائيل تواطأت مع الولايات المتحدة في عمليتها الغادرة » اما صحيفة « الشعب » فقد وصفت العملية بانها « دير ياسين بيروت » وانها « بمثابة عدوان غادر » اما صحيفة الفجر الاسبوعية فقد شجبت العملية بقوة واتهمت المخابرات الاردنية بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية اثناء الاعداد للعملية معتمدة على رسالة ، تقول الصحيفة ان احد الضباط الاردنيين بعث بها الى الصحيفة عن طريق الجسور المفتوحة ، جاء فيها ان اجتماعا قد جرى قبل شهر من العملية في ايلات بين عدد من رجال المخابرات الاسرائيلية والاردنية ، كما وصفت عناوين الصحيفة حالة المأساة بقولها : بير زيت تعيش مأساتها الكبرى . دموع على كمال يتخللها النشيد الخالد بلادي بلادي ... والحزن مثير ... شن الحاكم العسكري هجوما على الكلية » .

وقد دفعت صحيفة الفجر الثمن مقابل تجرؤها على ادانة العملية حين اقدمت سلطات الاحتلال على غلق الصحيفة وسجن محرريها جميل حمد ويوسف ناصر.

وقد وصف اوري افنيري رئيس كتلة هعولام هزيه حالة الوحدة الوطنية الناجمة عن استشهاد القادة الثلاثة بقوله ان ذلك « ادى الى تظاهرة مؤثرة للوحدة الوطنية بين الفلسطينيين في المناطق المحتلة وبين اخوتهم في الخارج . لقد انضمت الصحافة العربية في القدس والمناطق لهذه التظاهرة ومعها ايضا جميع السياسيين ، ومن بينهم ايضا اولئك الذين انتخبوا قبل مدة تحت رعاية موشيه ديان والملك حسين في الانتخابات البلدية » .

اما وزير المالية بنحاس سبير فقد هالته ردود الفعل الشعبية ، ووصفها بقوله : « لقد كانت ردود الفعل غاضبة مفعمة بالكراهية لاسرائيل ولجيشها » (معاريف ٧٣/٤/١٣) .

عبد الحفيظ محارب

(٣) اسرائيليات

يسمون الجريمة لؤلؤة !

في الساعات الاولى من يوم ١٩٧٣/٤/١٠ فقدت الثورة الفلسطينية ، بهجوم اسرائيلي همجي على بيروت ، ثلاثة من قادتها ، هم الشهداء : محمد يوسف النجار ، كمال ناصر وكمال عدوان ، كما استشهد ايضا عدد من المناضلين الفلسطينيين واللبنانيين بالاضافة الى زوجة الشهيد محمد يوسف النجار .

ولقد شكلت هذه العملية الاسرائيلية ، التي خلقت لدى العدو جوا من هستيريا النصر ، الشبيه الى حد بعيد بجو هستيريا النصر الذي عم اسرائيل اثر حرب حزيران ٦٧ ، وبما حظيت به من افتتاحيات ومقالات وتعليقات وتصريحات في صحف اسرائيل واذاعتها ، الحدث الاساسي لشهر نيسان (ابريل) الماضي .

وفيما يلي محاولة لعرض الردود التي وردت في المصادر الاسرائيلية ، على الاسئلة التي أثارتها العملية ، ولعل اهمها : ماذا ارادت اسرائيل ان تحقق من ورائها على الاصعدة : الفلسطيني ، العربي والاسرائيلي ؟ وكيف نظر اليها ووصفها المسؤولون الاسرائيليون ؟ وماذا عن دور اميركا ؟ وعن اثر العملية على العلاقات الفلسطينية اللبنانية ؟ وغيرها .

يقول الصحافي الاسرائيلي أوري دان في « معاريف » (٧٣/٤/١٦) من « قادة الارهاب » بعد العملية ، « ان ما لم تسببه لهم عمليات قصف طائرات الفانتوم والسكايهوك على مدى سنين طويلة ، وهجمات الدبابات والسيارات المجنزرة ، سببه لهم هجوم واحد في غرف نومهم في قلب بيروت » . ويتابع أوري دان : « بعد كل عملية اسرائيلية ضد المخربين انصتوا في اسرائيل انصاتا تاما للردود وللنتائج المترتبة على العملية : بعد الوحدات المصفحة التي أرسلتها اسرائيل الى « الكرامة » ، بعد عمليات قصف معسكرات فتح في سوريا . بعد الهجمات البحرية والمصفحة داخل لبنان . في كل هذه العمليات قتل مئات كثيرة من المخربين ، وجرح عدد لا يقل عن هذا ، وهدمت بيوت ومواقع ... لكن بتلخيص أولي ، لا مجال لمقارنة هذه النتائج بالهزة داخل المعسكر الفلسطيني بعد عملية بيروت ، وبشكل خاص بعد القضاء على القادة . وعلى ما يبدو ، فان سبب ذلك هو انه في هذه العملية ، ادخلت اسرائيل للمرة الاولى في الحرب ضد المخربين بصورة مكشوفة وعلنية البعد الذي كان مفتقدا فيها (اي في الحرب) — وربما كان ذلك هو البعد الاساسي والاهم — وهو الابادة المعلن عنها عن طريق اختيار المسؤولين عن الارهاب » .

وجريدة « دامار » — شبه الرسمية — تعتقد ان المقصود بالعملية هو ضرب « مركز الاعصاب في منظمات التخريب » (٧٣/٤/١١) ، والعملية ايضا « ليست مجرد رد فقط وانما قصد بها ان تحذر وان تردع » (عل همشمار — الناطقة باسم حزب مبام — ٧٣/٤/١١) وهي « موجهة قبل كل شيء الى منظمات المخربين ، وهم ملزمون بأن يسجلوا أمامهم انه بالنسبة لهم ، لم تعد هناك مدن مفتوحة أمامهم » (هآرتس ٧٣/٤/١١) ، اما الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن فقد بدا له « ان النجاح على صعيد الاختيار وعلى صعيد تحقيق الاصابات ... ربما يكون مؤشرا وعلامة على الطريق نحو تقليص قدرة عناصر الارهاب على الاستمرار في عملهم » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) . وردا على سؤال عن « الامكانات البديلة التي بقيت لدى « المخربين » بعد عملية بيروت ، وعن رد فعلهم الذي يتوقعه » قال العميد (احتياط) حاييم هرتسوغ : « ان اتجاههم هو اتجاه عربي عام ، وهو التوجه بصورة دائمة الى المعارضة الصغيرة ، ولذلك فمن الواضح ان المشكلات ستبقى على حالها ، يسوف يحاولون دعم نشاطهم . ومن المؤكد انهم سيبحثون عن مجال آخر للعمل ، مجال اسهل ، وهذا المجال هو المجال العربي الداخلي » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١٧) . وأكثر من ذلك ان هرتسوغ قال بأن استمرار السياسة الاسرائيلية على ما هي عليه سيقود الفلسطينيين الى « جو الانسحاق » الذي « من شأنه ان يؤدي الى اليأس » (المصدر السابق) ... ومن شأن اليأس « ان يحمل منظمات المخربين ، وكذلك الدول العربية ، على الاستعداد

لتقديم تنازلات » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١٢). وكذلك فان معنويات الفلسطينيين كانت بين ما استهدفته العملية الاسرائيلية حيث « انه بالاضافة الى الضربة المباشرة للاطار القيادي ، فان لغزوة الجيش الاسرائيلي تأثيرا ليس قليلا على صعيد معنويات المخربين ، الآخذ أصلا في الهبوط » (هآرتس ٧٣/٤/١٣) . خاصة وان المنظمات الفدائية « التي تلقت ضربات منوعة بما في ذلك ما حدث في الاردن سنتي ١٩٧٠ و١٩٧١ ، غير مؤهلة لتحمل ضربة من النوع الجديد مثل الضربة التي وجهها لها جيش الدفاع الاسرائيلي » (المصدر السابق) .

ولقد سبق ورافق ولحق العملية الاسرائيلية تحريض واضح للدول العربية ، وللبنان بشكل خاص ، على حركة المقاومة الفلسطينية ، حيث راحت الصحف الاسرائيلية « تبكي » السيادة الاقليمية لهذه الدول تارة ، و« تحذرها » بعنجهية ممجوجة تارة اخرى. وقالت جريدة هآرتس (٧٣/٤/١٣) « واذا كان فرنجية لم يعر حتى الان اهتماما لانعدام السيادة اللبنانية في الجنوب وفي مناطق اخرى ، فان عليه ان يهتم هذه المرة للسيادة داخل عاصمته بيروت . ان هذا هو ما يطلبه منه الان بحدة اكبر الزعماء الوطنيين وقادة الجيش . وليس بمقدور فرنجية أن يستمر في تجاهل هذا الموضوع بعد عملية جيش الدفاع الاسرائيلي وما ترتب عليها في بيروت ، وهي التي تشير بالصورة الملموسة جدا الى سيادة دولة مثل لبنان . وفرنجية مطالب الان ، اكثر من الماضي، ان يستخلص النتائج المترتبة على عملية جيش الدفاع الاسرائيلي ، واذا استمر في التردد وفي الحفاظ على التعايش مع المخربين ، فانه اذاك قد يوقع بلاده في مشكلات اكثر خطرا مما هي عليه حاليا » .

وحرضت الصحيفة الرئيس اللبناني بوضوح ضد اتفاقية القاهرة لان « لبنان يدفع ثمنا باهظا للتعايش مع المخربين منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، حين وقعت اتفاقية القاهرة بين قادة المخربين وقائد الجيش اللبناني في ذلك الحين العماد اميل بستاني ، والتي سلمت بموجبها مناطق لبنانية لسلطة المخربين المنفردة ، وبعد ذلك ، وبدون اتفاقية مكتوبة تحولت مخيمات اللاجئين الخمسة عشر في لبنان الى منطقة خارجة عن اطار السلطة».

وقال دافيد العازار رئيس اركان جيش الاحتلال « ان حكومة لبنان ملزمة باستخلاص النتائج من هذه العملية ، لانه ليس بالامكان احترام سيادة لبنان عندما يعطون هناك حرية العمل للمخربين » (معاريف ٧٣/٤/١١) .

وبصورة اكثر وضوحا ، حرض مراسل اذاعة العدو واستعدى السلطة اللبنانية على المقاومة ، بقوله انه « اذا لم يكن هناك مناص ، فان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بأن الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها . واذا ما استمرت حكومة لبنان في منح المخربين حرية العمل فوق اراضيها واستمر الجيش الاسرائيلي في أعماله في بيروت ، فان ذلك من شأنه ان يضع حكومة لبنان امام ضغط عام يؤدي في النهاية الى تصفية او تخفيف الاعمال التخريبية من لبنان » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) .

وفي عدد كبير من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، ورد اكثر من تحريض للبنان وللدول العربية على حركة المقاومة الفلسطينية . فقد قالت « هآرتس » (٧٣/٤/١١) « ان العملية موجهة قبل كل شيء الى منظمات المخربين ... لكنها ايضا موجهة الى عنوان آخر : الدول العربية ، فهي ملزمة بالتفكير بالمخاطر الكامنة في استمرار النزاع المسلح مع اسرائيل » . وقالت جريدة « هموديع » (٤/١١/ ٧٣) — الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين — انه « يتوجب على الدول العربية ، وعلى لبنان خاصة استيعاب الدرس ، وطرد المخربين من داخلها اذا كانت حريصة على السيادة » . كذلك « تأملت » جريدة تريبونا (٧٣/٤/١١) « ان تفكر حكومة لبنان بالخيار القائم امامها حاليا » . واضافت : « ان سوريا وليبيا ستحسنان صنعا اذا ما تعلمتا درسا من الغارة » . ورددت جريدة « أويكلت » (٧٣/٤/١١) المعنى ذاته مستبدلة مصر بليبيا .

اما على الصعيد الاسرائيلي فان هذه العملية قد جاءت لترفع المعنويات من جديد ، مستفيدة من التوقيت الذي جاء بعد عملية الخرطوم وقبل موعد الاحتفال بذكرى مرور ربع قرن على قيام دولتهم ، ولارباك الفدائيين ومنعهم من القيام بعمليات تؤثر على الصورة التي تعمل اسرائيل للظهور بها هي وجيشها وخاصة في تلك المناسبة التي سبقتها بأشهر

عديدة بدء الاعداد للاستعراض العسكري الضخم في شوارع القدس .

وتبارز المسؤولون الاسرائيليون في كيل المديح « لابطال » هذه العملية الاجرامية ، وللعملية ذاتها ، فوصفها الجنرال موشي دايان بانها « اللؤلؤة مع ال التعريف في تاريخ الكوماندو الاسرائيلي » (معاريف ٧٣/٤/١١) . و« امتدحها ابا ايبان دون ان يضيف اي مانع سياسي » (هآرتس ٧٣/٤/١٣). وشبهها اوري افنيري بعملية هرقل الذي قتل الافعى « هيدرا » ذات مئة الرأس التي قطعها واحدا بعد واحد « لكن هرقل كان كلما قطع رأسا يحرق الرقبة النابت عليها منعا لانباتها رأسا جديدا » .. وكان افنيري بتحريضه المكشوف هذا اكثر تطرفا وعنصرية من جميع زعماء اقصى احزاب دولة العدو يمينية . (هعولام هزي ٧٣/٤/١٦) . وبدا لغولدا مئير انه « يجب ان نفتخر بأبنائنا ، وليس فقط بفعاليتهم ومقدرتهم واخلاصهم ، بل ينبغي ان نفتخر بطهارة الجندي الاسرائيلي وبطهارة سلاحه » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) ، وقالت عقب انتهاء الجلسة الاستثنائية التي عقدتها حكومتها لسماع تقرير عن العملية « ان التاريخ سيكتب بأحرف من نور عن التنفيذ والتخطيط والتفاني الذي ابداه جنود الجيش الإسرائيلي في هذه العملية » (المصدر السابق) .

وقال رئيس دولة العدو الذي انتخب في يوم تنفيذ العملية الاجرامية ذاتها وغير اسمه الاجنبي افرايم كاتشالسكي الى اسم عبري هو افرايم كتسير (كلمة « كتسير » تعني « حصاد ») : « ان هذا اليوم يوم جيد لان جيش الدفاع الاسرائيلي اثبت فيه مرة اخرى قوته واخلاصه لشعب اسرائيل ، حيث ان الواجب الاول الملقى على جميعنا هو ان نحافظ على حياتنا وان نمنع المخربين والمتوحشين بأنواعهم من تدمير حياة الانسان ، والحاق الضرر بأمتنا وباليهود حيثما هم » (معاريف ٧٣/٤/١١). وكرر المعاني ذاتها عدد كبير آخر من المسؤولين الاسرائيليين مثل اسحق رابين ودانيد العازار وحاييم هرتسوغ ومتتياهو بيلد وغيرهم .

اما الصحافي الاسرائيلي المعروف دان مرغليت فقد تعرض بمقال كتبه في هآرتس (٧٣/٤/١٣) الى نظرة امريكا الحالية الى لبنان والى العملية ، وتطرق الى « انخفاض التأثير السوفياتي في بيروت » وكان عنوان مقاله « لبنان تفقد حصانتها في الولايات المتحدة » . وقال مرغليت « ان واشنطن قد اتخذت لنفسها منذ نهاية ١٩٧٢ موقفا واضحا : البخل في توجيه الادانات لاسرائيل ، حتى عندما يعمل جيش الدفاع الاسرائيلي في شوارع بيروت ، وربما ان « يعبر عن الاسف » رسميا ... لكنه واضح منذ الان ان موقف واشنطن لن يكون مرفقا بأصوات رعد سياسية » .

وتابع مرغليت : « وصحيح انه بالامكان تفسير تماسك النفس الاميركي والامتناع عن ادانة اسرائيل بـ « سياسة عليا » . ويمكن القول انه بانعدام وجود احتمالات عملية للوصول الى تسوية مريحة للولايات المتحدة وللاتحاد السوفياتي فمن الافضل استمرار الوضع الحاضر . لقد نقلت موسكو مركز اهتمامها الى العراق وتجيل نظرها نحو الخليج الفارسي ، اما واشنطن فمقتنعة مثل اسرائيل ، ان تسوية مع مصر يجب ان تسبق اية تسوية مع الاردن ، سوريا او لبنان . وبطبيعة الحال فانه لا فائدة من ادانة اسرائيل التي تعمل ضد المخربين ، الذين تشكل منظماتهم هذه مركز وبؤرة المقاومة العربية لكل تسوية سياسية مع اسرائيل » .

وقال مرغليت ايضا انه « في السنوات الاولى التي تلت حرب الايام الستة ، كان للاميركيين تحفظات على عمليات اسرائيل ضد المخربين . قبل كل شيء كانت هناك الرغبة بمنع هز التوازن الدقيق القائم في حكومة لبنان ، وبالاضافة الى ذلك قويت لدى قسم من الاميركيين القناعة بوجود كيان فلسطيني ، التي يعبر عنها الى حد ما بمنظمات المخربين . وظل انطباع الى وقت ما ، ان الاميركيين يودون الافلات من توجيه ادانات حادة ضد المخربين » .

لكن، على حد تعبير مرغليت ، حصلت بعض التغييرات في تبلور النظرة الاميركية للمخربين . التغير الاول هو ان الحياة في الضفة الغربية ، وسياسة « الجسور المفتوحة » عرضت امام الاميركيين تحديدا آخر لماهية الفلسطينيين . واعتاد ايبان ان « يبيع » في العالم التوضيح القائل بان الفلسطينيين لا يمثلهم المخربون المقيمون في المهجر في بيروت وباريس ، بل يمثلهم سكان نابلس وطوباس ، الذين يجدون ، دون التنازل عن تطلعاتهم الوطنية ، امكانية للعيش في اطار سياسة الجسور المفتوحة .

« والتغير الاول جاء عندما اضطرت واشنطن الى الاختيار بين المخربين وبين حسين في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وفعلا ان الاميركيين حاولوا ان يدفعوا اسرائيل الى مواجهة مباشرة مع المخربين ، والبقاء عمليا « خارج الصورة » ، لكن في نهاية الامر ، لم يكن هناك شك بانهم دعموا حسين » .

وبعد ان يستعرض دان مرغليت تصرف نكسون ازاء خطف الرهينتين الاميركيتين في الخرطوم ، وتأكيده على صدور امر واضح من الطابق الثاني في البيت الابيض يقضي بالامتناع عن اجراء أي مفاوضات مع المخربين الذين كانوا يهددون بقتل الرهائن ، يستدل ان ذلك هو تصرف نظام « يريد ان لا يحشر في المستقبل في وضع يكون فيه « مدينا » بشيء ما للمخربين » ، وكذلك « يبدو لي ان ما يستنتج من موقف الرئيس الاميركي ان الولايات المتحدة لن تتحفظ في المستقبل القريب من عمليات اسرائيلية توجه ضد منظمات المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات منطوية على تحقير شديد نتيجة لالحاق جيش الدفاع الاسرائيلي للضرر بسيادة دول عربية صديقة.لكن الامتناع عن ادانة اسرائيل، او على الاصح الامتناع عن ادانة حقيقية تخرج عن اطار الضريبة اللفظية ، مرتبطة بشرطين : ان توجه العملية بصورة واضحة ضد المخربين فقط ، وليس ضد الحكومات التي تستضيفهم ، وان يكون اضرارها بالمواطنين صغير الى أبعد حد ممكن » .

وبعد خمسة ايام من العملية الاجرامية في بيروت ، أي يوم ١٩٧٣/٤/١٥ ، نقلت جريدة معاريف عن « مصادر اميركية حكومية » قولها « ان الولايات المتحدة تدير معركة ديبلوماسية منذ بدء موجة هجمات المخربين في الفترة الاخيرة وغارة جيش الدفاع الاسرائيلي على بيروت ، وشعارها — أي شعار المعركة الديبلوماسية — الموجه نحو بيروت هو « جربوا بقوة أشد » ان تكبحوا الفدائيين » ، وكذلك « ... ان حكومة الولايات المتحدة لا تقبل الادعاء بان لبنان غير قادر على مطالبة المخربين بكبح أكبر ، مع انهم في واشنطن لا يعتقدون بان حكومة لبنان او جيشها اقوياء بما فيه الكفاية لمنع عمليات المخربين تماما . وفي موازاة الضغوط على حكومة لبنان تدير وزارة الخارجية الاميركية شبكة اعلام مستهدفة اقناع الشعب الفلسطيني ان الولايات المتحدة تعترف بـ « مصالحه المشروعة ».

وحول توقعات الاسرائيليين للآثار التي قد تنجم عن العملية في بيروت على العلاقات الفلسطينية اللبنانية ، كان ابرز المعلقين رابينوفتش خبير الشؤون اللبنانية في معهد شيلواح في تل ابيب ، وردا على سؤال حول احتمال ان تدفع العملية الاسرائيلية « حكومة فرنجية » الى اعادة النظر مرة اخرى ، أي توجيه ضغط آخر على المقاومة الفلسطينية ، قال رابينوفتش : « لست متأكدا للسبب التالي : ان اعادة النظر في اتفاقية القاهرة جاءت في أعقاب قيامنا بضرب المخربين في منطقة الحدود ، أما عمليتنا هذه المرة ضد لبنان ، فقد وجهت ضد وسط لبنان ، ضد اعطاء لبنان حرية النشاط السياسي والعسكري في وسط لبنان للمنظمات التخريبية . وان تغييرا في السياسة اللبنانية من شأنه ان يؤدي بلبنان الى صدام شديد مع المنظمات التخريبية ، ذلك ان الغاء النشاط السياسي للمخربين في بيروت يعتبر ضربة عنيفة جدا ، واعتقد بانهم لن يرضخوا لخطوة من هذا النوع » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٤/١٢).

وعلى سؤال آخر نصه : « لقد كان وراء ضربتنا الاخيرة في لبنان هدفان : الاول ضرب المخربين ، والثاني الضغط على لبنان للحد من نشاطهم ، وحسب وجهة نظرك فان الهدف الثاني لا يمكن التوصل اليه » قال رابينوفتش : « انني لم أقل اننا لا نستطيع التوصل اليه ، فربما يقوم اللبنانيون بوضع قيود على نشاط المخربين بشكل او بآخر ، ولكن من الصعب تصور قيامهم بخطوات حاسمة ، ورأيي هو انه اذا كان هذا هو هدفنا فان النجاح حسب اعتقادي جزئي » . (المصدر السابق) .

وعن الازمة التي ولدت باستقالة حكومة الرئيس سلام اثر العملية الاسرائيلية ، قال البروفيسور موشي ماعوز : « في الواقع ان ازمة من هذا النوع تنتهي دائما بامكانيتين : الاولى ان تتعلم حكومة لبنان في ضوء ما حدث ، العبرة التي ارادت اسرائيل ان تلقنها اياها ، وتنزل ضربة قاتلة وقاضية بالمخربين ، لكن هذا الاحتمال ضعيف جدا بكل أسف . ومن جهة اخرى فان الامكانية الثانية هي ان يوجه المخربون الغاضبون نقمتهم الشديدة ضد حكومة لبنان ، وبمساعدة القوى الراديكالية اليسارية ، سينجحون في التوصل الى زيادة العداء اللبناني ضد اسرائيل، وآمل ان يكون هذا الاحتمال ضئيلا ايضا . ويبدو حسب التقاليد اللبنانية ، ان

الازمة ستنتهي مرة اخرى بالمصالحة » (رصـد اذاعة اسرائيل ١٢/٤/١٩٧٣) .

وقد اعرب هرتسوغ عن اعتقاده بان عدم الاستقرار في لبنان « لا علاقة له بالعلاقات الداخلية اللبنانية، وليس نتيجة فقط لصراع بين الحكم اللبناني وبين المخربين الفلسطينيين » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/٤/١٩٧٣) ، وأيده في هذا الرأي العميد (احتياط) متتياهو بيلد مؤكدا انه « لا يجوز ان يسود لدينا انطباع بان هناك ازمة في لبنان ، لان ما يحدث هناك يقوم على اعتبارات لبنانية » .

لكنأكثر ما ازعج الاسرائيليين اثر عمليتهم الاجرامية في بيروت ، كان ردود فعلها التي لم يتوقعوها في الضفة الغربية ، حيث فوجئوا باعلانات حداد على الشهداء الثلاثة في الصحف الصادرة هناك (وهي جريدتي الشعب والقدس ، ومجلة الفجر) ، بل ان مجلة الفجر صدرت وصفحتها الاولى محاطة بالاطار الاسود علامة على الحداد ، وتغطي نصفها صورة للشهيد كمال ناصر ، ومقال اورد كلاما عن لسان ضابط اردني ذكر بأن العملية كانت نتيجة تخطيط بين ضباط مخابرات اسرائيليين وضباط مخابرات اردنيين (بينهم محمد رسول الكيلاني) اجتمعوا قبل العملية بفترة في مدينة ايلات على البحر الاحمر ، وشكلت هذه الرواية حجة استندت اليها السلطة الاسرائيلية لاعتقال السيد يوسـف ناصر صاحب مجلة الفجر والسيد جميل خضر رئيس تحريرها بتهمة « التحريض على العصيان ، التمرد ، وحبك المؤامرات لالغاء استخدام قانون الرقابة » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/٤/١٩٧٣).

ولقد كان لهذه « المظاهرة » الحزينة في الضفة الغربية اكثر من معنى ، واثبتت ان كل ادعاءات اسرائيل عن عدم تمثيل حركة المقاومة الفلسطينية وقادتها لابناء الشعب الفلسطيني ، سواء في الخارج ام في داخل الارض المحتلة هي مجرد ادعاءات لا اكثر .

اخيرا فانها قد تكون مجرد صدفة ان سمحا دينتس قدم قبل ساعات قليلة فقط من عملية اسرائيل الاجرامية في بيروت ، اوراق اعتماده سـفيرا جديدا لاسرائيل لدى واشنطن ، وتذكر في اول مقابلة له مع يهود اميركا مصير الصليبيين في فلسطين ، عندما قال « ان الصليبيين قد خسروا دولتهم في فلسطين لانهم نسوا ان المسيحية في اوروبا تقف من ورائهم » ، وكان بذلك يدعو ويؤكد على ضرورة تعاون اسرائيل مع يهود اميركا . واذا كانوا هم يذكرون مصير الصليبيين ، فاننـا بدون شك احوج منهم الى تذكر تلك الحقبة من تاريخ فلسطيننا .

عماد شقور

(٤) القضية الفلسطينية عسكريا

● انتقال طائرات الميراج الليبية الى مصر

في ١٠ كانون الثاني عام ١٩٧٠ اعلنت الحكومـة الفرنسية مبدئيا ان ليبيا اشترت ٥٠ طائرة ميراج ستسلم على دفعات حتى عام ١٩٧٥ ، وفي ٢١ كانون الثاني من العام نفسه تحدث ميشيل دوبريه وزير الدولة المكلف بمنصب وزير الدفاع الوطني الفرنسي عن صفقة تضم ١٠٠ طائرة ثم عن ١١٤ طائرة*. واعتبرت اسرائيل ان هذه الصفقة موجهة ضدها ، وان فيها نقضا لمبدأ حظر شحن الاسلحة الى الدول المشتركة مبـاشرة في نزاع الشرق الاوسط ، وشنت مع انصارها حملة ديبلوماسية رافقتها ضغوط دعائية انتهت بأن اعلن جاك شابان دالماس رئيس الوزارة الفرنسية آنذاك في مقابلة تلفزيونية جرت بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٠ : « اذا ما بدا ان هذه الميراج بدلت الجهة المرسلة اليها، فاننا سنعرف ذلك بسرعة، وعندها ستخضع الطائرات الباقية للحظر» الاكسبرس ٣٠/٤ــ٦/٥/١٩٧٣ ولقد بدأ تسليم الطائرات بالفعل الى ليبيا منذ عام ١٩٧١ ، كما أخذت طواقم الطيارين والتقنيين تتدرب في مطارات فرنسا . وبالرغم من تأكيد رئيس الوزارة الفرنسية ، فقد بقيت اسرائيل قلقة وتنظر الى الصفقة بكثير من الحذر . ولقد ثارت شكوكها بشكل حاد في شباط ١٩٧١ عندما اعلن العقيد معمر

* تذكر نشرة مؤسسـة الدراسات الاستراتيجية البريطانية The Military Balance 1970-1971 ان الطائرات التي اشترتها ليبيا هي ٥٠ ميراج٥ (قاذفة مقاتلة) و٦٠ ميراج ٣ (مطاردة معترضة) والمعتقد انها ميراج E ٣ موسوعـة Jane's ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

القذافي « اننا احرار بأن نستخدم كما نشاء الاسلحة التي نشتريها بأموالنا » وزاد من قلقها ان رد الفعل الفرنسي جاء هادئا متزنا عندما صدر بيان فرنسي يقول « ليس لدى الحكومة الفرنسية ما تضيفه الى التصريحات التي اعلنتها من قبل » (الاكسبرس ٤/٣٠ — ٧٣/٥/٦) . وبالرغم من تأكيدات ليو هامون في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ودو ليبكوفسكي في ٩ حزيران ١٩٧٢ ، ورسالة وزير الخارجية موريس شومان الى ابا ايبان في ٣ تشرين الاول ١٩٧٢ وتطميناتهم بعدم امكانية نقل طائرات الميراج الى طرف ثالث مشتبك مباشرة في نزاع الشرق الاوسط فقد بقيت اسرائيل تعتبر الصفقة الفرنسية — الليبية سببا من اسباب الخلاف مع باريس .

وكان من الممكن ان يبقى الخلاف ساكنا فترة طويلة من الزمن . ولكن فجاة ، وبعد ان وقفت فرنسا وبريطانيا موقفا متشددا ضد اسرائيل في مجلس الامن ، وشاركتا في التصويت على ادانة اسرائيل لعدوانها على بيروت في ليلة ٩ — ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، بدات اسرائيل حملة مكشوفة ضد باريس مستغلة بعض ما نشر في الصحافة الامريكية . فلقد تحدثت الديلي اكسبرس وواشنطن بوست في مطلع نيسان عن سرب طائرات ميراج انتقل من ليبيا الى مصر . وعللت الديلي اكسبرس ذلك على لسان مراسلها في واشنطن مارك روس بأنه محاولة لاخفاء الطائرات الليبية تحت مظلة صواريخ سام السوفييتية في مصر بعد اكتشاف خطة تعدها اسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة لتدمير السلاح الجوي الليبي على الارض بضربة مفاجئة تقوم بها طائرات اسرائيلية تمون من الجو . ولكن وزارة الدفاع الفرنسية نفت نبأ انتقال الطائرات نفيا قاطعا ، واعتبرت ان واشنطن بوست استقت معلوماتها من مصادر اسرائيلية وصفتها بأنها مصادر « غير موضوعية » . ولقد قال ناطق بلسان وزارة الدفاع الفرنسية « ان النبأ لا اساس له من الصحة » . وقال احد كبار الموظفين الفرنسيين للمراسلين « ان النبأ هو بمثابة خرافة » (ر.ا.ا. ملحق عدد ٢١٥) .

وفي يوم ٤/١٦ نقلت وكالة (ا. ب) ان وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان ذكر في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت « ان النزاع الرئيسي بين اسرائيل وفرنسا يتركز حول تزويد ليبيا بطائرات حربية فرنسية » ... « وان اسرائيل تعتقد ان طائرات الميراج ستصل في النهاية الى مصر » (الحياة ٧٣/٤/١٧) . ثم انتقلت اسرائيل من التلميح الى التصريح في يوم ٤/١٩ عندما اكد اللواء دافيد العازار رئيس الاركان الاسرائيلي امام المراسلين المحليين والاجانب إنه قد وصل الى مصر سرب طائرات ميراج ليبية وسرب طائرات هنتر عراقية ويشمل السربان ٣٥ طائرة مقاتلة . وان في هذا مخالفة للاتفاقية الفرنسية — الليبية . ثم اشار الى « ان نقل طائرات الميراج اليوم من ليبيا الى مصر يؤكد قلقنا من ان هذه الطائرات أتت لدعم قوة السلاح الجوي المصري قبيل حرب محتملة ، وهذه الخطوة من شأنها ان تعلمنا مرة اخرى ان الحظر الفرنسي كان ولا يزال منحازا في الشرق الاوسط . فطائرات الميراج تدعم بصورة ممتازة قوة السلاح الجوي المصري ويتوجب علينا اخذ ذلك بالحسبان » (ر. ا. ا. ملحق عدد ٢١٥) .

وتجاهلت باريس من جديد هذا التصريح . ولم يعلق وزير الدفاع الفرنسي بشيء سواء بشكل مباشر او غير مباشر . ويذكر نكديمون روجيل مراسل الاذاعة الاسرائيلية في باريس انه حصل من وزارة الخارجية الفرنسية على التعليق التالي : « لا تنتظر رد فعل ، لقد نشرنا تكذيبا قبل ثمانية ايام ، وليس بامكاننا الا ان نوجهك الى ما نشرناه » (ر. ا. ا. ملحق عدد ٢١٦) .

وفي ٢٢ نيسان دعا وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان سفير فرنسا فرانسيس هوري ليعبر له عن قلق اسرائيل بعد المعلومات التي تلقاها حول نقل الميراج الليبية الى مصر . (لموند ٧٣/٤/٢٤) . ولقد لفت ابا ايبان نظر السفير الفرنسي الى تعهدات الحكومة الفرنسية التي أكدت ان مثل هذا النقل سيؤدي في حالة وقوعه الى ايقاف تسليم الطائرات وقطع التبديل الى ليبيا . وأشاع الاسرائيليون ان وزير الخارجية سلم السفير الفرنسي وثائق تؤكد شكوكه . ولكن وزارة الخارجية الفرنسية نفت في ٤/٢٢ ان يكون أبا ايبان قد سلم فرانسيس هوري اية وثائق . عندها نقلت الاوساط المقربة من وزير الخارجية الاسرائيلي الى الصحف في ٤/٢٣ ان ابا ايبان قدم للسفير الفرنسي « معلومات صحيحة ، ودقيقة ، ومفصلة ، ومؤكدة تماما » (لموند ٧٣/٤/٢٥) .

وأشارت مختلف وكالات الانباء الى ان « الوثائق »

التي قدمتها اسرائيل الى فرنسا تشمل : عـــدد الطائرات المنتقلة من ليبيـــا الى مصر ، وتاريخ الانتقال ، واسماء المطارات التي استخدمتها عند الاقلاع من ليبيا (عقبه بـــن نافع في طرابلس ، والنصر في طبرق) والامكنة التي توجد فيها في مصر (بني سويف والفيوم) . ولقد تحدث ابا ايبان الى الصحفيين في يوم ٤/٢٧ وطالب فرنسا « بأن تتحقق من الامر » بنفسها في « الاماكن المحددة » ثم اضاف « ان لدى فرنسا امكانية اخرى للتحقق هي : تفتيش المطارات الليبية ، ومعرفة كم طائرة من الطائرات الستين التي استلمتها ليبيا من فرنسا لا تزال في هذه المطارات » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . وكان سفير اسرائيل في باريس آشر بن ناثان قد صرح عند وصوله الى مطار اورلي ان السلطات الاسرائيلية تملك « التاكيد المطلق » بأن ١٨ طائرة من طائرات الميراج الـ ٦٠ المسلمة الى ليبيـــا « موجودة في مطار عسكري مصري » . وان لدى اسرائيل الدليل «على ان المعدات الارضية والمعدات التقنية اللازمة لقيادة وتوجيه الميراج خلال الطيران غدت موجودة على الارض المصرية » (لموند ٢٧/ ٧٣/٤) .

ولقد حشرت الصحافـــة اسم الولايات المتحـــدة الامريكية في القضية عندما اشارت الى ان من بين الوثائق التي قدمها ابا ايبان صورة التقطتها طائرات التجسس الامريكية C-130 هيركوليس التي تحلق باستمرار فوق البحر الابيض المتوسط . او التقطها قمر من اقمار التجسس الامريكية . ولكن ناطقا بلسان وزارة الخارجية الامريكية نفى « بأن تكون الولايات المتحدة قد سلمت اسرائيل صورا التقطت من الجو تثبت ان طائرات الميراج الليبية قد نقلت الى مصر » (ر. ا. ا.´عدد ٢١٩) .

ومن الواضح ان اسرائيل لم تشأ تصعيد الموقف مع فرنسا الى الذروة ، اذ كانت تأمل ان يؤدي احتجاجها الى دفع الفرنسيين — دون احراجهم ووضعهم في زاوية — نحو اتخاذ تدابير تكفل منع نقل الميراج الى مصر او سحبها في حالة انتقالها . ويبدو عـــدم التطرف هذا في حـــديث ابا ايبان التلفزيوني في ٤/٢٦ والذي قال فيه : « اننا لم نقدم لفرنسا المعطيات التي نملكها [حول قضية الميراج] في حركة غضب او لنحرج موقف فرنسا ، بل حتى تكون الحكومة الفرنسية عـــلى علم بما نعرف . اننا نعتقد ان من الضروري ان يطلع الرأي العام الاسرائيلي كل الاطلاع على جميع المعضلات المعلقة بأمنه » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . ولقد كان في اسرائيل اتجاه ينادي بضرورة التعامل بحـــزم وشدة مع فرنسا بالنسبة لقضية الطائرات، واتجاه اخر يؤيد الاعتدال. ويبدو ان الاتجاه المعتدل تغلب على الاتجاه الاخر . وقد يكون هذا الاعتدال ناجما عن عدم الرغبة في قطع « شعرة معاوية » مع فرنسا ودفعها بعنف الـــى موقف يشبه الموقف السوفييتي ، وقد يكون ناجما عن ضغوط فرنسية على اسرائيل اجبرتها على الاعتدال . « وتذكر صحيفة هارتس (٧٣/٤/٢٧) بأن باريس اعلمت اسرائيل بانه اذا « نبشت » اسرائيل قضية الميراج اكثر من ذلك فان فرنسا سترد على ذلك بنشر معلومات لم تنشر بعد عن تساهلات تمت مـــع اسرائيل من قبل » (لموند ٧٣/٤/٢٨) .

وفي يوم ٤/٢٧ اعلنت وزارة الخارجية الاسرائيلية انها تنتظر ردا رسميا من فرنسا عن المعلومات التي قدمها ابا ايبان الى السفير الفرنسي . ولقد جاء الرد في اليوم نفسه اذ اعلن الناطق الرسمي باسم الحكومة الفرنسية السيد كوميتي بانه « لم تحصل الحكومة حتى اليوم على تأكيد للانباء المتناقلة حول هذا الموضوع . كما انها لم تحصل على ما يبرر المخاوف التي يتم التعبير عنها » ... « اننا لا نستطيع ربط شخص بكل طائرة ميراج ، واذا ما ذهبت ١٨ طائرة الى مصر فاننا سنحصل على الدليل . لقد طلبت فرنسا من ليبيا ومصر تأكيدا للتاكيدات الاسرائيلية ، ولكنها تلقت تكذيبا لهذه التاكيـــدات » (لموند ١٩٧٣/٤/٢٨) . وردت اسرائيل في اليوم نفسه على لسان الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الذي قال : « ان تصريحات الناطق الرسمي باسم الحكومة الفرنسية السيـــد كوميتي في مؤتمره الصحفي لا تعتبر بالنسبة لنـــا الاجابة التي ننتظرها » ... « ولا تزال الكرة بين ايدي الفرنسيين » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . وبقيت تل أبيب تنتظر الرد عن طريق السفير الفرنسي في اسرائيل او عن طريق السفير الاسرائيلي في باريس. ولكن الحكومة الفرنسية وقفت عند تصريحاتهـــا السابقة . وعندما نشرت الفيغارو في عدد ٤/٢٨ تفصيلات عديدة حول نقل الميراج اعلنت الاوساط الفرنسية المسؤولة انه « ليس لديها ما تضيفه لما قيل من قبل حول هذا الموضوع » (لموند ٢٩ — ٧٣/٤/٣٠) . وتجمد الموقف عند هذه النقطة . ولا تزال اسرائيل تنتظر ضمانات جديدة ، وهـــي تعتمد في انتظارها على نتائج الاتصالات الامريكية

ــ الفرنسية التي اشارت اليها وكالات الانباء خلال النصف الثاني من شهر شباط الماضي ، كما تعتمد على الضغوط الداخلية المنتظرة في فرنسا . فلقد طلب النائب غبرييل بيرونيه تشكيل لجنة تحقيق برلمانية للتأكد من الاتهامات الاسرائيلية التي « تهدد سياسة الحياد الفرنسية بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط » كما طالب غاستون ديفير واعضاء المجموعة الاشتراكية بتشكيل مثل هذه اللجنة (اكسبرس ٣٠/٤ ــ ٦/٥/٧٣) .

ولكن لماذا اثارت اسرائيل هذه المسالة بحدة ؟ ولم اثارت مسالة الميراج الليبية بالذات دون التشديد على مسالة طائرات الهنتر العراقية رغم ان المسالتين في الظاهر من طبيعة واحدة .

ان طائرة الميراج ٥ التي يعتقد انها وصلت الى ليبيا مقاتلة قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ٢٢٣٠ كيلو متر/ساعة (٢٫٢ ماك) وتبلغ حمولتها القصوى الخارجية ٩٢٦٠ رطلا من خزانات الوقود والقنابل والصواريخ . وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم ، ويمكن تسليحها بصواريخ جو ــ جو . والمهم في هذه المقاتلة القاذفة مداها القتالي الكبير مع خزانات وقود اضافية (١٣٠٠ كم على ارتفاع عال ، و ٦٥٠ كم على ارتفاع منخفض) وهذا يعني ان بوسعها الانطلاق من المطارات المصرية لضرب اي هدف داخل اسرائيل . ويمكننا تقدير مزايا الميراج بمقارنتها مع الطائرات السوفييتية المشابهة لها مثل السوخوي س يو ٧ والميغ ١٧ ، فالسوخوي س يو ٧ مقاتلة قاذفة تبلغ حمولتها القصوى ٤٢٠٠ رطل ، وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم ، ويمكن تسليحها بصواريخ جو ــ جو بيد ان سرعتها القصوى اضعف من سرعة الميراج ٥ (١٧٥٠ كيلو متر/ساعة) كما ان مدى عملها القتالي الاقصى مع خزانات وقود اضافية اصغر من مدى عمل الميراج (٣٢٠ ــ ٤٨٠ كيلو مترا) . اما الميغ ١٧ فهي مقاتلة قاذفة ايضا وحمولتها القصوى من القنابل والصواريخ ١٠٠٠ رطل ، ولكن مدى عملها القتالي الاقصى مع خزانات وقود اضافية اقل من مدى عمل الميراج ٥ (٧٥٠ كيلو مترا) وهذا يعني ان الطائرتين السوفييتيتين المقاتلتين القاذفتين سوخوي س يو ٧ و ميغ ١٧ لا تماثلان الميراج ٥ في السرعة ومدى العمل الاقصى . وهما عاملان مهمان عند التخطيط لضرب الاهداف في عمق اراضي العدو . ولقد استغلت اسرائيل هاتين الميزتين في حرب ١٩٦٧ عندما استخدمت طائرات الميراج ٣ سي كما استخدمت الطائرات الفرنسية المتعددة التي كانت تملكها لضرب الاهداف العربية البعيدة عن المطارات الاسرائيلية . ولم يكن العرب بحاجة لمثل هاتين الميزتين آنذاك نظرا لصغر العمق الاستراتيجي عند العدو ، وامكانية التحليق من مطار بلد عربي والهبوط في مطار بلد عربي اخر (مصر ــ سورية ــ الاردن) . اما اليوم وقد تبدلت المواقف وانعكست الادوار باتساع العمق الاستراتيجي المعادي بعد احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان البلدان العربية وخاصة مصر بحاجة لمقاتلات قاذفة بعيدة المدى مثل الفانتوم ف ــ ٤ أ ، والميراج ٥ ، والسكاي هوك . وبما ان الحصول على الطائرات الامريكية متعذر فان السلاح الوحيد الممكن هو الميراج . وهذا ما يعطي الطائرات الليبية اهمية خاصة .

اما طائرات الهنتر فهي مقاتلات قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ١١٥٠ كيلو متر/ساعة وتستطيع حمل قنبلتين زنة الواحدة ١٠٠٠ رطل ، مع ٤٨ صاروخا عيار ٧٦ ملم ويصل مدى عملها القتالي الى ٣٩٥ كيلو مترا . وهذا يعني ان سرعتها ومدى عملها تجعلانها من طائرات الصف الثاني التي لا تستطيع اليوم ضرب اهداف حيوية في عمق اراضي العدو وخاصة اذا ما انطلقت من مصر ، ويقتصر عملها على دعم القوات البرية فقط عند القيام بعبور قناة السويس . وهذا ما يفسر عدم اهتمام اسرائيل بها او اثارة ضجة حولها مشابهة للضجة التي اثارتها حول موضوع الميراج .

وبالرغم من ميزات الميراج ٥ وقدرتها على ضرب الاهداف بالعمق ، وامكانية استخدامها من قبل العرب بضربة تشابه الضربة الاسرائيلية في ٥ حزيران ١٩٦٧ فان من المؤكد ان الاسباب العسكرية ليست اهم الاسباب التي دفعت اسرائيل الى اثارة المسالة . فمن المعروف ان انتقال ١٨ طائرة من ليبيا الى مصر او انتقال جميع الطائرات الليبية الى مصر [استلمت ليبيا حتى الان ٦٠ طائرة من أصل ١١٤ يمكن ان تضع منها في القتال ٣٥ ــ ٤٠ فقط] لا يبدل موازين القوى في المنطقة باعتراف المعلقين العسكريين الامريكيين والاسرائيليين . والميراج ٥ اضعف في كثير من النواحي (الحمولة ــ المدى ــ السرعة ــ الاجهزة) من الفانتوم ــ ٤ أ ، كما أن مصر التي تملك ٥٨٦ طائرة مقاتلة تحس بنقص في الطيارين اكثر من النقص بالطائرات . ونقص الطيارين والتقنيين في ليبيا اكبر بكثير . ولقد

اكد مراسل يديعوت احرونوت في باريس في ٤/٢٩ ان وصول طائرات الميراج القادرة على ضرب الاهداف في عمق اسرائيل مهم ولكن الجهاز الدفاعي الاسرائيلي قادر على اسقاط طائرتين من كل ٣ طائرات ميراج تتوغل لتنفيذ مثل هذه المهمات .

وما دام تأثير انتقال الميراج الليبية على موازين القوى — في حالة انتقالها — محدودا الى هذا الحد فان من الارجح ان يكون وراء اثارة المسألة اسبابا سياسية اهمها تشويش العلاقات الحسنة بين ليبيا ومصر من جهة وفرنسا من جهة اخرى ، بالاضافة الى تسديد « الضغط » على فرنسا بعد موقفها السياسي — الدبلوماسي المؤيد للعرب ، وافهامها بان من الممكن اثارة ضجة داخلية وعالمية تحرمها من بيع الاسلحة للبلدان العربية الغنية البعيدة عن منطقة النزاع العربي — الاسرائيلي ، علما بأن هذه البلدان قادرة على انعاش صناعة الطائرات المدنية والعسكرية في فرنسا اذا ما تمت الصفقات بهدوء نسبي . بيد ان خضوع فرنسا وتراجعها امام هذه الضغوط امر غير مؤكد . فبالرغم من الصعوبات والمقاومات الداخلية والخارجية التي يمكن ان تلاقيها اية حكومة تود ادخال تعديل جوهري على سياستها ، وتخفيف قيود الحظر المفروضة منذ حرب ١٩٦٧ فان حجم المصالح الفرنسية في البلدان العربية ، واحتمالات زيادة هذه المصالح مع تزايد اهمية البترول ، واحتمالات تقلص النفوذ الامريكي في البلدان المنتجة للبترول من جراء موقف واشنطن الحالي المتحيز مع اسرائيل وموقفها المقبل المتحيز مع ايران ، ورغبة صانعي الطائرات الفرنسية بأخذ مكان صانعي الطائرات الامريكية في البلدان العربية التي لا تستورد السلاح من الاتحاد السوفييتي ، عبارة عن عوامل هامة قادرة على استقطاب قوى قد تتغلب على الصعوبات والمقاومات المنتظرة . ان السياسة الفرنسية ازاء العرب والمتميزة عن سياسة الدول الرأسمالية الاخرى ، ان هي الا مظهر من مظاهر التناقض الجزئي داخل المعسكر الرأسمالي . ولقد وصف الرئيس هواري بومدين العلاقات العربية الفرنسية في مقابلة اجراها مع التلفزيون الايطالي بقوله : « اذا تميز الموقف الرسمي الفرنسي ، الى حد ما ، بجهد لتفهم القضية العربية فهناك داخل المجتمع الفرنسي قوى تعمل لمصلحة اسرائيل » وأشار الى ان موقف فرنسا من العرب لا يختلف كثيرا عن موقف الدول الاوروبية الاخرى « ولا نعتقد ان هذا الموقف يعبر عن سياسة حسنة ، لانه يتعارض مع منطق احتمالات المستقبل ويتعارض ايضا مع التطور التاريخي » (النهار ١٥/٤/٧٣) . ضمن هذا الاطار ينبغي ان نفهم الموقف الفرنسي ، وضمن حدود هذه المعطيات الاقتصادية — السياسية ينبغي ان ننظم علاقاتنا الاقتصادية — السياسية مع فرنسا لاستغلال هذا التناقض الجزئي الى ابعد حد ممكن .

ولننظر الان الى مسألة انتقال الطائرات الليبية الى مصر من الناحية التقنية — العملياتية . ان طائرة الميراج معقدة يتطلب استخدامها قدرات بشرية رفيعة المستوى ، فبالاضافة الى الطيار فان الطائرة بحاجة الى ١٠ — ١٢ شخصا من التقنيين المؤهلين من مختلف الاختصاصات : محرك، تسليح ، الكترونات ، لاسلكي ، هيدروليك ، اجهزة حيطة ... الخ . ولا يمكن اعتبار انتقال الميراج الليبية الى مصر حقيقيا ويستحق الاهتمام الا اذا تأكد بشكل لا يدع مجالا للشك بان الطائرات لم تنتقل لوحدها بل انتقلت معها مجموعات التقنيين بالاضافة الى المعدات والتجهيزات اللازمة لاستخدامها الحربي ، مثل المجموعات الكهربائية للانطلاق ، ومعدات الاوكسجين السائل والهواء المضغوط ، وتجهيزات الهبوط ، والعدة ، ووسائط اختبار اللاسلكي ، ومعدات الاصلاح ، والمعدات اللازمة لحمل الذخائر والاسلحة ، وهي معدات ضرورية لجعل الطائرة سلاحا حربيا قادرا على الاشتراك في المعركة . ولا يمكن في اي حال من الاحوال اعتبار انتقال الميراج من ليبيا الى مصر انتقالا عملياتيا ذا طابع عسكري الا اذا انتقلت المعدات والتجهيزات اللازمة ، خاصة وان المعدات والتجهيزات المشابهة المستخدمة في سلاح الطيران المصري هي سوفييتية الصنع ولا تصلح لاعداد الطائرات الفرنسية . وكل انتقال يتم دون تحقيق هذه الشروط يدخل في نطاق « الزيارات الودية » او « المظاهرات العسكرية » المألوفة بين الدول . ولقد ركزت الدعاية الاسرائيلية على هذه النقطة الهامة فأشارت الى ان المعدات والاجهزة التقنية الارضية انتقلت الى مصر بطائرات النقل في النصف الثاني من شهر اذار الماضي ، ثم تبعها سرب الطائرات في الاسبوع الاول من شباط . وردا على حديث المعلقين عن احتمال ان يكون الانتقال عبارة عن « زيارة ودية » اعلنت اسرائيل رفضها لفكرة وجود الميراج في مصر حتى لو لم يكن لهذا الوجود

قيمة عملياتية ، اي حتى لو كانت الطائرات موجودة دون المعدات اللازمة لجعلها ادوات قتالية . ولقد رد ابا ايبان على سؤال صحفي بهذا الصدد بقوله: بان مثل هذه الاعتبارات لا اهمية لها . والمهم ان هناك انتقالا : « ان الجدل يدور حول مسالة وقوع انتقال ، وهذا يشكل — حسب التأكيدات التي قدمتها فرنسا لنا عدة مرات خرقا للاتفاقات يترتب عليه ايقاف تزويد ليبيا بالميراج وقطع الغيار » (لموند ٢٨/٤/٧٣) . وهذا يعني ان اسرائيل ترفض وجود الميراج الليبية على حدودها حتى ولو كانت الشروط التقنية المحيطة بهذا الوجود تجعله وجودا مشلولا بدون اية قيمة قتالية. والنقطة الاخيرة في هذه المسالة نقطة قانونية . ان الاتفاقية الليبية — الفرنسية غير منشورة — حسب علمنا — ولكن هناك مبدأ متعارفا عليه يقول ان من يبيع الاسلحة يمنع الشاري بصورة عامة من ان ينقل ملكية هذه الاسلحة (عن طريق البيع او الهبة) الى طرف ثالث بدون اذنه . وتطبق فرنسا هذا المبدأ في كل صفقاتها . اي ان بوسع فرنسا ان تمنع ليبيا من ارسال طائراتها لا الى مصر او سوريا او الاردن (وهي دول مشتركة مباشرة في النزاع العربي — الاسرائيلي وينطبق عليها مبدأ الحظر) بل الى العراق واليمن ... الخ ايضا . ولكن كيف يمكن تفسير مثل هذا المبدأ ومبدأ الحظر ايضا عندما سيأتي ايلول ١٩٧٣ وتدخل مصر وليبيا في وحدة اندماجية وتصبح القوات المسلحة الليبية والمصرية واحدة ؟ لقد تعهدت ليبيا باستخدام الميراج للدفاع عن اراضيها ، ولكن اراضيها ستمتد بعد الوحدة مع مصر من تونس الى النقب ،وسيكون جزء من اراضيها (سيناء) محتلا من قبل العدو من جراء عدوان ادانه العالم — بما في ذلك فرنسا — وطالب القائمين به بالانسحاب من الاراضي المحتلة . ومن المعروف ان الهجوم المضاد لتحرير اراضي الوطن المحتلة جزء من الدفاع عن الوطن ، وهذا يعني ان اشتراك الميراج الليبية بعد ١ ايلول ١٩٧٣ في اية عملية هجومية لتحرير سيناء سيكون عملا دفاعيا ضد عدو مغتصب يرفض التخلي عما استولى عليه بالقوة ، اي ان هذا الاشتراك رغم **هجوميته** سيكون منسجما مع طبيعة التعهد **الدفاعي** الليبي .

لقد هدأت مسألة انتقال سرب الطائرات الليبية الى مصر الان . وسواء كان هذا الهدوء ناجما عن تأكد فرنسا من عدم صحة الادعاءات الاسرائيلية ، او من حصولها على ضمانات باعادة الطائرات الى ليبيا ، او من ضغطها المعاكس على اسرائيل وتهديدها بكشف مخالفات سابقة لمبدأ الحظر او نقل السلاح الى طرف ثالث ، او من تأكدها بأن الطائرات انتقلت بدون معداتها وتجهيزاتها الارضية، او من جراء اي سبب اخر ، فان المسألة ستتفجر من جديد في ايلول ١٩٧٣ عند اعلان الوحدة المصرية — الليبية ، وانضمام طائرات الميراج الليبية الى القوة المصرية الضاربة التي تضم ١٨ قاذفة متوسطة ت بو — ١٦ ، و ١٠ قاذفات خفيفة ال — ٢٨، و ١٢٠ مقاتلة قاذفة سوخوي س يو — ٧ ، و ٢٠٠ مقاتلة قاذفة ميغ ١٧ ، وعندها سيكون امام فرنسا طريقان : فاما ان تخطو خطوة جديدة على سبيل التناقض الجزئي مع السياسة الامريكية ، فتحتل مكانة اقتصادية ممتازة في العالم العربي ، وتكسب سوق السلاح في البلدان العربية البترولية او تتراجع خطوة واسعة تؤكد مرة اخرى **التناقضات الثلاثة** القائمة بين رغبة العرب في شراء السلاح من الغرب وطبيعة الصراع مع الامبريالية واسرائيل . تلك التناقضات التي طرحناها في مقال التسليح السوفييتي والصراع العربي الاسرائيلي (مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢٠ ، ص ٣٥) واكدنا من خلالها حتمية تسليح العرب من الدول الاشتراكية لتغدو معادلة التسليح متوازية مع طبيعة الصراع وحقيقة القوى المشتركة فيه .

هـ. أ.

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٤/٤/ — ١٣/٥/١٩٧٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٤/١٤	٢٣٠٠٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم من مبنى مكتب العمل	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٨	٤/١٥
٢	٤/١٩	٢٠٠٠٠	القدس	هجوم	قنابل خارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في بنك باركليس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٩	٤/٢٠
٣	٤/١٩	١٨٠٠٠	طولكرم	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٠	٤/٢٠
٤	٤/٢١	١٠٣٠	صفد	اشتباك	اسلحةرشاشة وقنابليدوية	عدة اصابات	غير محدد	—	٢	٢	تصريح عسكري رقم٧٢١	٤/٢١
٥	٤/٢٢	٢٢٠٠٠	البويسية/الجولان	كمين	قذائف صاروخية واسلحةمختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٢	٤/٢٣
٦	٤/٢٦	١٣٠٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مقهى للضباط بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٣	٤/٢٦
٧	٤/٢٦	١٣٠٠٠	الخشنية/الجولان	اشتباك	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	—	—	٥	تصريح عسكري رقم٧٢٤	٤/٢٧
٨	٤/٢٧	١٠٠٣٠	جات هاشمرون/العفولة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محطة ايجد للباصات بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٥	٤/٢٧
٩	٤/٢٥	٢١/١٥	القنيطرة/الجولان*	قصف	مدفعية الهاون	غيرمحدد	غير محدد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٦	٤/٢٧
١٠	٤/٢٨	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير المستودعات الرئيسية للادوات الزراعية واشعال النار فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٧	٤/٢٨
١١	٤/٢٨	٢٢٠٣٠	الرشيدية/لبنان	محاولة هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة احد الزوارق البحرية اصابة مباشرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٢٨	٤/٢٩
١٢	٥/ ٧	—	القدس	قصف	قذائف صاروخية	غير محدد	اسقاط طائرة هوليكوبتر	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٩	٥/ ٩
١٣	٥/ ٢	٢٤٠٠٠	بين نابلس وجنين	كمين	أسلحة رشاشة وقنابليدوية	غيرمحدد	اصابة باص عسكري واعطابه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٠	٥/ ٩
١٤	٤/٢٨	٢١٠٣٠	بين نابلس — الباذان	كمين	اسلحة رشاشة	افراد دورية	—	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣١	٥/ ٩
١٥	٥/ ٦	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع للمواد الكيماوية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٢	٥/١
١٦	٥/١١	—	بين نابلس — جنين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مجمع الاتصالات الهاتفية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٣	٥/١٣

* اعترف العدو بهاتين العمليتين ، راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٢١٥ و ٢١٩ .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

ملحق شهريات

الغارة الاسرائيلية على بيروت وردود الفعـــل في الضفة الغربية وقطاع غزه

تنبع اهمية متابعة ردود الفعل العربية في المناطق المحتلة اثر العملية الاسرائيلية التي استهدفت ثلاثة من قادة المقاومـــة الفلسطينية في بيروت وهـــم الشهداء : ابو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر ، من خلال تأكيد ردود الفعل هذه على جملة مـــن الحقائق الهامة التي تشكل مساهمة ايجـــابية في عملية اعادة بناء وترتيب معطيات الصورة النضالية لجماهير شعبنا الرازحة تحت الاحتلال منذ ســـت سنوات .

ان ردود الفعل العربية في المناطق المحتلة ، والتي يمكن اعتبار ما ورد عنها في الصحف العربيـــة في الضفة الغربية على مختلف صوره ، مقالا كان او نعيا ، صورة كان او خبرا ، وعلى اختلاف مصادره سواء من قبل الافراد او المؤسسات والهيئـــات المختلفة ، تأخذ اهميتها الحقيقية في ضوء ردة الفعل الاخرى من جانب سلطات الاحتلال الاسرائيلية التي جاءت في اعقاب ردود الفعل العربية هذه . فلقـــد كانت مظاهر « الدهشة ! » والغضب بادية بوضـوح في احاديث وتصريحات الزعماء الاسرائيليين التي ادلوا بها تعليقا على مظاهر الحداد والاستنكـــار الشعبي في المناطـــق المحتلـــة لعمليـــة الغـــدر الاسرائيلية . وليس ادل على مشاعر الدهشـــة والغضب الاسرائيلية هذه ممـــا صرح به دافيـــد اليعازر رئيس اركان جيش العدو الاسرائيلي حـــين قال : « ان نشر صور كمال ناصر وهو الـــذي يدعو الى تدمير اسس دولة اسرائيل في صحـــف الضفة الغربية والقطاع الشرقي من القدس ، وما رافقها من بيانات التعزية ، ان هذا امر له مغزاه بالنسبة الينـــا ، انـــه يعني ان الموقف العـــربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من اجل تصفيـــة اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب » (النهار ١٩٧٣/٤/٢٠) .

لقد تمثلت ردود الفعل العربية في المناطق المحتلـــة عبر اتجاهين متوازيين متماسين : الاول جاء من خلال الاضرابات والمظاهرات الجماهيرية التي عمت مختلف المناطق ، والثاني تمثل فيما عبرت عنـــه الصحف العربية في الضفة الغربية من خلال نشرها المقالات وبيانات النعي والتعزية وصور الشهداء .

الاضرابات والمظاهرات : جاء في تقرير خاص تلقته « شؤون فلسطينية » من الضفة الغربية حول هذا الحادث ، انه عندما تلقت جماهير شعبنا نبأ الغارة الاسرائيلية على بيروت واستشهاد ثلاثة من قادة الثورة حتى اقفلت معظم المدن محلاتها التجاريـــة وخلت شوارعها من المواطنين الذين لازموا بيوتهم يتابعون مـــن خلال اجهزة الراديو انبـــاء العملية الاسرائيلية . وكانـــت اوضح مظاهر الاضراب والوجوم ما شهدته مدينة نابلس صباح يوم ١١/٤/ ١٩٧٣ اي ثاني يوم العملية الاسرائيلية . ولـــم يتوقف عند حد اقفال المحلات التجارية في مـــدن الضفة الغربية حيث عمد طلاب المدارس في كـــافة مدن الضفة الى الامتناع عن دخول مدارسهم يـــوم ١٩٧٣/٤/١٢ . فقد تجمهر الطلاب في ساحـــات المدارس رافضين دخول صفوفهم بينما امتنع قسم منهم عن الحضور للمدارس في ذلك اليوم . ولـــدى تجمع الطلاب في ساحات المدارس جرت مظاهرات وهتافات ضد اسرائيل وضد العدوان كما هتفـــوا بحياة فلسطين والثورة الفلسطينية مما دفع بسلطات الاحتلال الاسرائيلية الى مهاجمة المدارس الثانوية في كل من نابلـــس ورام الله وبيت لحم وجنـــين وطولكرم بالقنابل المسيلة للدموع واعتقلت عددا من الطلبة .

اما في مدينة بير زيت وهي المدينة التي عاش فيها الشهيد كمال ناصر فقد تدفقت على المدينة في اليوم الذي جرى فيه تشييع الشهداء في بيروت ، مئات السيارات من مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة لتسير في جنازة رمزية للشهداء . وعند ملاحظة سلطات الاحتلال للتجمع الكبير داخل المـــدينة ، عمدت الى اقفال الطرق المؤدية اليها بحواجـــز شائكة تحرسها قوى مدرعة ومحمولة من الجيش الاسرائيلي حيث اوقفت السيارات ومنعت ركابها من دخول المدينة . وعند الظهر كان عدد السيارات التي وصلت الى بير زيت تزيد عن ثلاثمئة سيارة . وكان الذين اوقفوا عند حواجز التفتيش قد بلغوا اعدادا كبيرة اخذت تهتف ضد الاحتلال بينما تابـــع قسم منهم سيره الى المدينة مشيا على الاقدام الامر الذي دعا سلطات الاحتلال الى زيادة عدد قـــوات الجيش في هذه النقاط مما حال معه دون وصول

قسم كبير منهم الى المدينة للمشاركة في الجنازة الرمزية .

وفي الوقت الذي انطلق فيه ما يزيد على ربع مليون مواطن في بيروت وراء جنازة الشهداء قام حوالي ثلاثة الاف مواطن فلسطيني بمسيرة داخل مدينة بير زيت . وقد بدأت المسيرة التي كان يتقدمها العلم الفلسطيني بهتافات وطنية ، وعند تقدم قوة من جيش الاحتلال لانزال العلم الفلسطيني تعاركت معها الجماهير بالايدي ومنعتها من تحقيق ذلك وظل علم فلسطين مرفوعا والجماهير مستمرة في مظاهرتها تهتف بالاناشيد والشعارات الوطنية ، وضد الاحتلال والقتلة ، وتحيي الشهداء باسمائهم. وفي نهاية المسيرة عقد تجمع تأبين ندد فيه الخطباء بالعدوان والاحتلال والقيت فيه القصائد .

اما في مدن وقرى الضفة والقطاع الاخرى فقد كانت مظاهر الوجوم بادية على وجوه الناس الذين اخذوا يبادلون التعازي بعضهم بعضا . وقد تحولت بعض الافراح الى مظاهرات حيث حورت اهازيج الافراح للتعبير من خلالها عن الالام التي حلت بجماهيرنا اثر استشهاد ثلاثة من قادتها . وقد امتنع كثير من العمال الذين يعملون داخل القطاع المحتل من فلسطين منذ عام ١٩٤٨ عن الذهاب الى اعمالهم ، بينما تعارك قسم من الذين ذهبوا الى اعمالهم مع العمال والاداريين الاسرائيليين داخل المصانع لدى مناقشتهم للاحداث التي وقعت في بيروت فجر يوم ١٩٧٣/٤/١٠ .

صحف الضفة الغربية : ان الصدمة التي تلقتها جماهيرنا داخل الوطن المحتل وخارجه باستشهاد ثلاثة من قادتها ، اثارت مناقشات واسعة لدى الاوساط الفلسطينية والعربية . وكان طبيعيا ان تساهم جماهيرنا في الارض المحتلة في هذا النقاش عبر صحافتها الخاضعة هي الاخرى لظروف الاحتلال وقيوده وممنوعاته . فتناولت هذه الصحف عبر مقالاتها وافتتاحياتها موضوع الغارة الاسرائيلية بهدف استخلاص النتائج والعبر المختلفة . ولم تتوقف مناقشات هذه الصحف عند حد اهداف الغارة ومسبباتها ونتائجها المباشرة وغير المباشرة، بل تعدت ذلك الى مناقشة كافة المواضيع والمسائل التي تفرعت عن هذه الغارة كالشكوى اللبنانية الى مجلس الامن وضرب المصالح الاميركية بعد نسف خزانات مصفاة الزهراني قرب صيدا والعلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية وغير ذلك من المواضيع .

وقبل الانتقال الى متابعة مناقشات صحف الضفة الغربية لهذه المواضيع فانه لا بد من الاشارة الى ان هذه العملية طرحت على صعيد المناطق المحتلة عدة حقائق ضمن ما طرحته على الواقع الفلسطيني برمته يمكن التقاطها من خلال مناقشات صحف الضفة الغربية في ضوء ردود الفعل الاسرائيلية . ومن اهم هذه الحقائق :

١ ـ ان ما قيل ويقال عن الحياة المشتركة بين العرب واليهود في فلسطين المحتلة وما قيل عن التقارب التدريجي بين عرب المناطق المحتلة وبين محتليهم خلال ست سنوات مضت ، قد تبدد امام الواقع الذي فتح الاسرائيليون اعينهم عليه اثر عملية الغدر في بيروت . فالاضرابات التي شهدتها معظم مدن الضفة الغربية ، والمظاهرة التي قامت في بير زيت واشترك فيها المواطنون من معظم مناطق الضفة والقطاع ، والمسيرات والهتافات الطلابية داخل ساحات المدارس ، اثبتت جميعها ان العرب لا يمكن ان ينظروا الى اسرائيل سوى نظرتهم الى سلطة احتلال . ان الشيء المقدس الذي ما زالت تنطوي عليه جوانح شعبنا في الارض المحتلة هو تمسكهم بالحرية وعدم استعدادهم للتنازل عنها في وجه الالم والاضطهاد والتقتيل . وقد عبرت احدى افتتاحيات صحيفة القدس عن ذلك بقولها « ... ان ما يسمى بالحياة المشتركة بين اليهود والعرب لا يمكنها تقليص عداء العرب لاسرائيل ... ان ما يقال عن التقارب التدريجي بين الطرفين خلال الست سنين الماضية يتبدد الان امام الواقع القاسي ... » (القدس ١٩٧٣/٤/١٧) .

٢ ـ بعد ان قامت اسرائيل باحتلال كافة الاراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ ، جرت عملية توحيد للشعب الفلسطيني لاول مرة منذ ثماني عشرة سنة في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، حيث جرت عملية اتصال واسعة ومباشرة بين جماهيرنا في هذه المناطق رغم كافة الحواجز والعراقيل التي وضعت على الطريق . وعمدت اسرائيل بعد ذلك الى العمل على خلق فكرة فلسطينيي الداخل وفلسطينيي الخارج بهدف شق الشعب الفلسطيني تمهيدا لتمرير مؤامراتها التصفوية . وقد اثبت شعبنا الفلسطيني في اكثر من مناسبة طوال السنوات الست الماضية زيف

هذا الادعاء وهشاشة هذه الفكرة . وقد جاءت العملية الاسرائيلية في بيروت لتبرز من جديد وبقوة راسخة ان محاولات اسرائيل في هذا الصدد لا يمكن لها ان تثبت على محك التجربة . فقد جاء في تعليق لجريدة القدس على العملية الاسرائيلية تأكيدا واضحا على اهمية الارادة الفلسطينية الواحدة في وجه المؤامرات الاسرائيلية المستمرة بقولها : « المأساة كل المأساة ليست في ان تسيل الدماء وتتناثر الاشلاء هدرا فحسب ، بل في ان لا يكون لدينا دم جديد نابض **وارادة واحدة فعالة** » (القدس ١٩٧٣/٤/١٦) . وجاء في تعليق اخر لنفس الجريدة « هؤلاء الذين يتساقطون ثمرات من اغصان الشجرة المقدسة التي تمتد جذورها في اعماق الارض **هنا** ، فان بكاهم الناس فمن خلال العواطف التي تفرضها وشائج النسب الواحد . سيكون وهما زائدا في ذهن الذين يظنون انهم قطعوا اوصال الناس ، يوم القوا بها جزءا هنا وجزءا هناك واجزاء في مكان ثالث ورابع وخامس ، ان هؤلاء لا يتعاطفون بالدم ، بالقربى ، بالتزاوج ، بالصداقات ، بالمواطنة ، بالانتماء للارض التي درجوا فوقها » (القدس ١٩٧٣/٤/١٧) .

٣ ـ لقد حاولت اسرائيل طوال سنوات الاحتلال الماضية ان تظهر حكمها التعسفي لجماهيرنا في الارض المحتلة بمظهر الحكم الديمقراطي الذي يتيح للمواطنين حرية التعبير وابداء الرأي . فجاءت عملية بيروت وما رافقها من ردود فعل اسرائيلية على مظاهر الحداد والاستنكار العربي في الاراضي المحتلة لتظهر زيف هذا الادعاء . فكان اقدامها على اعتقال اثنين من الصحفيين العاملين في جريدة الفجر وهما الصحفي يوسف نصر المحرر المسؤول وصاحب جريدة الفجر ، وجميل حمد احد محرري الصحيفة اثر نشرها انباء على ضلوع المخابرات الاردنية في التخطيط للعملية ، لتشكل ردا عمليا ملموسا على زيف ادعاءات الديمقراطية الاسرائيلية في المناطق المحتلة . وقد فضحت جريدة القدس في احد افتتاحياتها هذه الدعاوى الزائفة بقولها « ... لقد كان بارزا منذ الاحتلال الاسرائيلي للمناطق العربية ، التركيز على « الديمقراطية » التي اتاحت للمواطنين وحملة الاقلام والصحفيين بوجه خاص فرصة التعبير عن افكارهم بحرية ، حتى غدا هذا اللون من « المنة » هو المائدة اليومية لكل الذين يحاولون النيل من اوضاع معينة بصورة تعتمد على التمييز والمقارنة والاستهواء مباشرا كان او غير مباشر . ونستطيع القول بان التجربة التي تصلح ان تكون محكا حقيقيا لهذه الممارسة الديمقراطية اثبتت ملامح الضيق والتبرم والضجر بل والقلق الواضح ... لقد كان على الذين يتوقعون ان تتجاوب الافكار العربية والاسرائيلية ان يقدروا دائما ان الظروف التي يحياها الطرفان غير متكافئة ، وان احدهما يعيش في حالة من المعاناة لا يملك التنفيس عنها غير الكلمة التي تحمل طوايا النفوس في اطار من الصراحة والصدق » (القدس ١٩٧٣/٤/١٨) . وجاء في افتتاحية لجريدة الشعب تحت عنوان : قدسية الكلمة والراي ترفض المصادرة والاحتواء . ان من يقبل ان يصدر صحيفة في ظل الاحتلال « هو واحد من اثنين : اما ان يقف مع شعبه المحتل في كل شيء مدافعا ، ورافضا ، وموجها ، ويجب ان يقبل بالاذى كجزء من درب طويل وشائك ... او ان يصبح رقما اخر في سلسلة ارقام صحف البلاط المطبلة والمهللة والماسحة للجوخ ، لا يعنيها شيء مما يدور حولها ... ان موجة الضيق والتبرم والاحراج فيما يبدو قد دفعت كل هستيريا العقلانية المغطاة ، الى ان تطفو رغم انفها ... ان ما جاء أمس الاول وقبل ذلك الامس بامسيات وما نشر في (البوست) التي تصدر بالانجليزية وفي (هآرتس ويديعوت) التي تصدر بالعبرية ، وفي (انفرماسيون) وتصدر بالفرنسية ... حذت حذو هذه الصحف في التحامل على اقلام عربية معنية وضد صحف محددة بالذات . ان هذا التحريض ـ ايها السادة الصحفيون الليبراليون ـ بقدر ما هو فضيحة لدعاوى الليبرالية والديمقراطية التي طالما تبجحتم بان الناس يتفيأون ظلالها في تجسيم وتضخيم ... فهو وبقدر اخر موضوعي وملموس تحريض سافر واستعداء مباشر لا ضد نخبة من الاقلام خبرت من الحكام والاحكام الكثير من التجارب والمعاناة فحسب ، وانما هي في الواقع ضد السلطة نفسها ، حيث وضعوها ومن حيث لا يدركون بين مفهومين متناقضين : تحديد هنا وفوضى هناك ... وتحريم لهذا وتحليل لذلك ... » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٨) . اما اذا انتقلنا الى متابعة مناقشات صحف الضفة الغربية لموضوع الغارة الاسرائيلية وكافة المسائل التي اتصلت بها فانه يمكننا التحدث عنها ضمن العناوين التالية :

هدف الغارة الاسرائيلية : لم يكن خافيا على احد ان الغارة الاسرائيلية استهدفت ثلاثة من ابرز قادة

المقاومة الفلسطينية كجزء من الحملة التي تستهدف رأس المقاومة وجسدها المادي فوق الارض المحتلة. غير ان اهداف هذه الغارة تخطت هذا الناطق لتصيب « بحجر » واحد اكثر من هدف محدد لها : ومن هذه الاهداف اظهار التفوق الاسرائيلي على العرب وابراز المقدرة الاسرائيلية على العمل في كل الظروف وفي أي مكان وزمان . وقد جاء في تعليق لجريدة القدس « ان تدخل قوات اسرائيلية قلب بيروت ، تقتل وتدمر وتزرع الالغام ، فذلك خصوصا في بيروت ، ليس بالمعجزة ولا بالقوة الخارقة . اذ ان اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ تعتمد غالبا والشواهد كثيرة على ضرب اضعف نقطة ضربة مذهلة لتظهر من ورائها امام المواطن العربي بمظهر السوبرمان ، ولتظهر القيادة العسكرية في اسرائيل بمظهر العقل الجبار الذي لا يقف امام تحديه حد ... » (القدس ١٦/٤/١٩٧٣) . ومن الاهداف الاخرى التي سعت الى تحقيقها الغارة الاسرائيلية ، وهذا ما وعته جماهيرنا داخل الوطن المحتل وخارجه جيدا ، هو تيئيس هذه الجماهير من موضوع المجابهة مع اسرائيل والانتصار عليها . لقد قالت صحيفة الشعب في احدى افتتاحياتها وهي تتساءل « ماذا تعني الغارة الاسرائيلية » انه اضافة الى استهدافها عددا من قادة المقاومة وزرع بذور الشك بين اللبنانيين والفلسطينيين فانه « يراد بها حملة التيئيس النفسي فلسطينيا وعربيا » (الشعب ١٦/٤/١٩٧٣) .

محاولة الايقاع بين اللبنانيين والفلسطينيين : لقد درجت اسرائيل منذ عملية ميونيخ في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ على تحميل السلطات اللبنانية ليس فقط مسؤولية العمليات الفدائية التي تتم عبر الحدود الفلسطينية — اللبنانية ، وانما تحميل هذه السلطات مسؤولية كافة العمليات التي تتم في الخارج اي في اوروبا واسيا وافريقيا . وكان الهدف الاسرائيلي من تحميل لبنان مسؤوليات عمليات الحدود دفع السلطات اللبنانية لايقاف هذه العمليات . وعندما نجحت اسرائيل في ذلك صعدت من مطاليبها تجاه لبنان بتحميله مسؤولية العمليات الخارجية للايقاع بين السلطة اللبنانية من جهة وبين منظمات المقاومة على غرار ما حدث في الاردن في عامي ١٩٧٠/١٩٧١ . وكانت عملية ضرب خزانات النفط في الزهراني قرب صيدا ابرز دليل على محاولة الايقاع بين السلطة اللبنانية من جهة والمقاومة الفلسطينية من جهة ثانية . فقالت صحيفة الشعب تحت عنوان « نقطة التحول ومؤشرات المستقبل: واضح في الماضي ان اسرائيل كانت تطالب بالحد من العمل الفلسطيني من الاراضي العربية ، اي بابقاء الحدود هادئة باردة . لكن تلك المرحلة تطورت الان الى الطلب من هذه الدول ، ولبنان اضعفها ، ان تبعد التواجد الفلسطيني عن ارضها بشكل كلي لا جزئي » (الشعب ١٦/٤/١٩٧٣) . وقالت صحيفة القدس تحت عنوان « معاني ودلالات : التفسير الاني العاجل يقول ان لبنان مستهدف في ذاته من خلال الصراع الاسرائيلي الفلسطيني الذي يبلغ اشده في هذه المرحلة ، فاسرائيل لا تكف عن تحميله مسؤولية أحتضان العمل الفلسطيني او ايوائه وبالتالي تأخذ بيدها مهمة ضربه او الضرب فوق ارضه ... » (القدس ١٥/٤/١٩٧٣) .

الشكوى اللبنانية الى مجلس الامن : لجأت السلطات اللبنانية الى رفع شكاوى رسمية الى مجلس الامن وطلبت انعقاده للنظر في موضوع الاعتداء الاسرائيلي على قلب مدينة بيروت وصيدا. وقد تناولت صحف الضفة الغربية هذا الموضوع بنقاش مستفيض لتبين ان الطريق الى درء الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على اراضي وشعوب الامة العربية لن يمر عبر اروقة مجلس الامن الدولي. فقالت صحيفة القدس تحت عنوان « عملية بيروت : لقد اصبح العدو قبل الصديق يتوقع منا في مثل هذه النكبات ، وكأنها تمثيلية تتكرر بعد كل مأساة : يبدأ الزعماء العرب باستنكار الحادث ثم يتبع ذلك الخطابات الحماسية وعقد الاجتماعات ثم ترسل الشكاوى الى الامم المتحدة ومجلس الامن ، ويرتاح الحكام العرب حين يخرج الشعب العربي « طيب القلب » في كل مكان في تظاهرات يشترك فيها حتى الحكام المنافقين او من ينوب عنهم . وهكذا تتنفس الشعوب ثم تنسى ... وتنتهي المسرحية ويسدل الستار ويغدو بعدها المسؤولون وكأن شيئا لم يكن » (القدس ١٦/٤/١٩٧٣) . وقالت جريدة الشعب في افتتاحية لها « ان تلجأ اية دولة عربية في ظروف الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية ومنطق اللاسلم واللاحرب ، لرفع اية شكوى ضد اسرائيل بالنفس ، والى مجلس الامن العتيد بالذات ، وفي ظل التحييز والامتياز الصارخين باستعمال (الفيتو) عند القرار او محاولة ممارسة تنفيذه ، فامر لن يؤدي في النتيجة الا الى مسرحية الادانة ان تحققت،

او الاستنكار واضافة القرار الى مئات من امثاله وتفهم (اللجوء) هذا لو كان مجلس الامن حرا من قيد الفيتو الامريكي او كانت لدى هذا المجلس الاداة التنفيذية الكاملة والمخولة لحفظ هيبة القرارات ، وكرامة المجلس الذي يعتبر اعلى مرجع دولي مسئول مباشرة عن النزاعات الدولية، كما هو الحال في القضية او الازمة شبه المستمرة فيما سموه بازمة الشرق الاوسط ، خداعا ، وتحايلا ، وتهربا ، بدلا من الاسم الصحيح : قضية الشعب والارض العربية في فلسطين . لكن مجلس الامن في تواجده اولا في نيويورك العاصمة غير الرسمية لاسرائيل والفيتو الامريكاني الذي يعلن عن التهديد باستعماله قبل البدء في مناقشة الشكوى العربية — اية شكوى — ضد اسرائيل ... ان مجلسا هذه صفاته وتلك امكاناته ، لم يعد مؤهلا في عقل اي عربي عاقل لان يكون مرجعا للبحث او النقاش او الحكم . وعليه فاللجوء العربي الرسمي لهذا المجلس رغم معرفتهم به وتجاربهم معه ، امر لا يعدو ان يكون واحدا من ثلاث : امتصاص الانفعال العربي العارم والمراهنة في مناقشات بيزنطية وقرارات ورقية ... او « رفع العتب » الشعبي العربي بان الدولة العربية المعنية فعلت ما عليها لدى الاسم الضخم الكبير المسمى ظلما وتجاوزا بمجلس الامن الدولي . او وهذه ثالثة الاثافي ، يخرج المجلس بتأثير من اميركا (ولفلفة) من بعض الدول الحريصة على ما يسمى باغلاق ابواب السلام في المنطقة ، وبصيغة من الصيغ البريطانية المشهورة في الفتاوى الكاوتشوكية الدولية : ادانة (العنف) بشكل عام والاهابة بالتمسك بضبط الاعصاب ، والمساواة في النهاية بين القاتل والمقتول ، وسد المنافذ امام اي قال او قيل » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٥) .

نسف خزانات النفط في الزهراني والحديث عن ضرب المصالح الامبريالية : رغم تبني صحف الضفة الغربية ، من خلال عناوينها الرئيسية ، لوجهة نظر المقاومة الرسمية والمعلنة من ان عملية نسف خزانات النفط في الزهراني هو من تدبير عملاء المخابرات الاسرائيلية ، فقد اشارت هذه الصحف من خلال افتتاحياتها وتعليقاتها الى عملية النسف هذه كمؤشر ومقدمة لاحتمال ضرب كافة المصالح الامبريالية فوق الارض العربية . فقد قالت صحيفة القدس في احد افتتاحياتها انه اذا ما تعذر نسب عملية نسف خزانات النفط الى قوات اسرائيلية « وترجحت النسبة الى اخرين ، امكن قبول التفسير الذي يقول بتقصير لبنان عن حماية نفسه وحماية المقيمين فيه ، وربما كان اختيار البترول اشارة لاحتمال بدء الضرب على العصب الاميركي في المنطقة ، ومن قبيل اصابة العصفورين بحجر واحد ... » (القدس ١٩٧٣/٤/١٥) . وقالت صحيفة الشعب في احدى افتتاحياتها « انه وبشكل اجمالي تظل المرحلة القائمة الان نقطة تحول خطيرة ، ينقاد اليها تخطيطا او انفعالا اطراف كثيرة في المنطقة وخارجها ، ولا ندري ما اذا كانت نقطة التحول هذه ستظل ضمن دائرة (مرحلية معينة ومحدودة) ، ام انها ستندلع تصاعديا في جميع ارض الازمة . وما لهيب خزانات الزهراني الا بدء الفتيل المدمر الذي اشار اليه مسؤول اميركي كبير قبل ايام في ان اميركا بين اختيارين : اما تحديد الطاقة ، او ارسال القوات لحماية مصادر الطاقة » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٦) .

تبقى هناك نقطة هامة لا بد من الاشارة اليها وهي العبارات التي تضمنتها بيانات النعي والتعزية التي نشرت في صحف الضفة الغربية . ان هذه العبارات تفيض بمشاعر الوطنية الصادقة وبالحزن الشديد لاستشهاد ثلاثة من قادة المقاومة . فلقد اجمعت معظم بيانات التعزية على ان الشهداء الثلاثة هم شهداء للامة العربية ولشعب فلسطين . وعلى انهم ذهبوا ضحية الواجب المقدس في سبيل الوطن وفلسطين . واغتنمت بعض بيانات التعزية هذه المناسبة لتدعو من خلال اسطرها القليلة الى وحدة اليد والارادة والى الحذر من الخونة والعملاء والى تحية المناضلين جميعا والى من ساروا على نفس الدرب درب الشهادة من اجل فلسطين . وحفلت صحف الضفة الغربية ببيانات التعزية من كافة القطاعات الفلسطينية ، اذ لم تكن وقفا على التجار ورؤساء البلديات وحدهم بل تعدت ذلك الى المهنيين والطلاب والنوادي الرياضية والثقافية والجمعيات الخيرية والطبية والكشفية كما ذيلت كثير من هذه البيانات باسم عائلات فلسطينية واسر واسماء متفرقة وكانها كانت مظاهرة لاظهار التقدير والاعجاب للشهداء المناضلين الذين سقطوا على درب تحرير فلسطين . (بيانات التعزية في جميع صحف الضفة الغربية من يوم ١٩٧٣/٤/١١ — ١٩٧٣/٤/٢٠) .

عيسى الشعيبي

أحداث ايار في لبنان

١ — صورة اولية

استفاقت بيروت صبيحة الاربعاء ، الثاني من ايار، على قوات الجيش اللبناني تحاصر مخيمات الفلسطينيين في العاصمة وضواحيها ، وتتمركز بحواجز كثيفة في الطرقات والشوارع القريبة من اماكن تجمعات الفلسطينيين ومكاتب المقاومة الفلسطينية . ولم يمض على هذا الحصار سوى ساعات قلائل حتى شهدت العاصمة اللبنانية تفجر القتال بين قوات الجيش ورجال المقاومة ، الذي امتد في اوقات اخرى متفاوتة الى غير بيروت من المناطق اللبنانية . وهذا التقرير يرصد احداث ذلك اليوم والايام التي لحقته ، بالاضافة الى المواقف المختلفة التي رافقت الاحداث وانبثقت عنها ، **رصدا تسجيليا** كما ورد ذلك في مختلف المصادر . وقد شهدت هذه الازمة مراحل وفقا لاشتداد الصدام المسلح او هدوئه النسبي وبذلك سيتابع التقرير هذه المراحل كلا على انفراد .

المرحلة الاولى : تفجر الاحداث ٥/٢ — فجر ٥/٤ . كتبت « النهار » في اليوم التالي لبدء الاشتباكات ان الاوساط السياسية والقريبة من الدولة قد افردت لهذه الاشتباكات « خانة كبرى في حساب التحليل بعد الانعكاسات الخطيرة التي اثارها الاعتداء الاسرائيلي ليل ١٠ نيسان الفائت . ومنذ يوم السبت وهذه الاوساط تتحدث عن « الاصطدام الذي لا مفر منه»، وتخوض في الذيول التي سيجرها على الوضع الداخلي والعلاقات اللبنانية — العربية ... ولدى هذه الاوساط معلومات تشير الى أن المسؤولين اللبنانيين والفلسطينيين بدأوا يستعدون لـ «الاصطدام الذي لا مفر منه» ، منذ ان تم الانتقال من مرحلة رسم علامات الاستفهام فوق الملابسات التي احاطت باعتداء ١٠ نيسان الى مرحلة توجيه الاتهامات المباشرة . وعندما هتف المتظاهرون ضد الدولة بعد الاعتداء وفي اثناء تشييع ثلاثة من اركان المقاومة ، ردد مسؤول كبير امام زائريه عبارات مليئة بالاستياء من هذه التصرفات». لم تكن محاصرة المخيمات ، اذن ، صبيحة الثاني من أيار غير امتداد عملي لما كان يدور في وقت سابق عن هذا « الاصطدام الذي لا مفر منه » ، وكان حادث احتجاز العسكريين الذي فجر الازمة « في رأي الاوساط السياسية والقريبة من الدولة عبارة عن اشارة اعطيت للبدء **بمعركة مقررة** » كما ذكرت الصحيفة نفسها . وقد جاء **تفجير الازمة** عندما وجه الجيش انذارا بوجوب الافراج عن العسكريين المخطوفين واتخذ تدابير مشددة حول مخيمي شاتيلا وبئر حسن اللذين احاطت بهما آليات الجيش . وفي الحادية عشرة قبيل الظهر انتهت مدة الانذار وبدأت آلياته تقترب من المفارق المؤدية الى المخيمين وفي هذه الاثناء بدأت اشتباكات صغيرة بين الجيش والفدائيين كان اولها عند مدخل شارع صبرا (كما ذكرت النهار) غير ان بيان وزارة الدفاع الذي صدر مساء ٥/٢ قال أن « الفدائيين اطلقوا نيرانهم الساعة ١١،٢٠ » على حاجز للجيش قرب دائرة الكوكا كولا « فرد افراد الحاجز على النار بالمثل » وكان هذا البيان مناقضا لبيان اذيع ظهر اليوم نفسه (الساعة ١٤،٣٠) الذي قال ان « عناصر مسلحة قصفت عددا من المواقع العسكرية منها ثكنة هنري شهاب وثكنة الامير بشير وثكنة اميل الحلو كما قصفت مركز سرية الاطفاء في الملعب البلدي فاضطر الجيش الى الرد دفاعا » ولم يذكر هذا البيان حادث مستديرة الكولا . ويبدو من خلال ما ذكرته « النهار » ومن بلاغي وزارة الدفاع المذكورين بالاضافة الى ما اوردته

الصحف الاخرى (« الحياة » ذكرت ان الاشتباكات بدأت قرب مخيم شاتيلا كذلك اوردت « المحرر » ان البداية كانت انطلاق الرصاص غزيرا حول مخيم شاتيلا) يبدو من خلال ذلك كله ان الجيش فتح النار مرة واحدة في اكثر من موقع في بيروت : منطقة شاتيلا ، مستديرة الكولا ، مدخل شارع صبرا ، وامتدت بعدئذ الاشتباكات الى مواقع اخرى . وهذا يؤكد صحة ما جاء في بيان الناطق باسم القيادة العامة لقوات المقاومة الذي جاء فيه ما يلي: « في السادسة صباح اليوم (٥/٢) حاصرت قوات الجيش اللبناني مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت وضواحيها . وقد عزز الجيش اللبناني قواته بالدبابات والمدفعية الثقيلة . ومن الساعة العاشرة صباحا بدأ الجيش اللبناني اطلاق النار على مخيمات الفلسطينيين من مناطق تمركزه في المدينة الرياضية وجوار الكوكا كولا وجامعة بيروت العربية ومنطقة الاوزاعي . وفي الساعة ١١،٢٠ صعدت قوات الجيش الموقف في شكل خطير فبدأ قصف المخيمات بالمدفعية وعززت قوات الجيش بآليات جديدة ... » .

وكان **تطور الاحداث** سريعا، وكان اعنف المصادمات ما وقع عند مستديرة شاتيلا وامتد الاشتباك حتى محلة بئر حسن والمدينة الرياضية من الغرب واستعملت مختلف الاسلحة الحربية كما تمركزت القوات اللبنانية قرب شركة الكوكا كولا حيث بدأ اشتباك بينها وبين عناصر فدائية تمركزت قرب جامعة بيروت العربية وسجن الرمل واستعملت في هذا الاشتباك الاسلحة الثقيلة كذلك شملت الاشتباكات المناطق المحيطة بمخيمي شاتيلا وصبرا ومخيم برج البراجنة في ضواحي بيروت والمناطق المحيطة بالمطار مما ادى الى انقطاع حركة المرور بين العاصمة وجنوب لبنان (المحرر ٥/٣) . وقالت « النهار » (٥/٣) عن الاشتباكات التي حدثت قرب المدينة الرياضية ان الفدائيين اصابوا بصواريخهم ثلاث سيارات جيب عسكرية وبرج دبابة كما أن الاشتباكات امتدت الى الشوارع قرب ثكنتي الامير بشير واميل الحلو حيث مقر الفرقة ١٦ . وكان الجيش يطلق النار على الابنية التي لجأ اليها الفدائيون ويمنع أي شخص من الاقتراب من ثكنة الامير بشير . اما ثكنة اميل الحلو فقد وقع في داخلها صاروخ وقام الجيش بتمشيط كورنيش المزرعة بواسطة دوريات تواكبها المصفحات واطلقت احدى هذه الدوريات النار على منظمة التحرير الفلسطينية . وحوالي الظهر امتدت الاشتباكات الى برج البراجنة ومخيم جسر الباشا وتل الزعتر (« الحياة » ٥/٣) وقد القيت عدة قنابل في منطقة المصيطبة ، والقيت قنبلة في ساحة المعرض وقنبلة اخرى في شارع المعرض كما شمل القصف الدكوانة ومار الياس (« النداء » ٥/٣) كما حصلت اشتباكات في ضبية واحتل الجيش التلال المشرفة على المخيم كما اطلقت ثلاثة صواريخ باتجاه الاشرفية (« العمل » ٥/٣) . وقد اطلق الفدائيون صواريخ في اتجاه اليرزة فسقط احدها قرب حائط منزل السفير الاميركي وقد سمع دويه في القصر الجمهوري (« النهار » ٥/٣) . وذكرت « النهار » (٥/٣) ان اصوات الانفجارات كانت تسمع قوية بالقرب من البناية التي يقيم فيها الاخ ابو عمار فاتصل النقيب ابو طعان بقائد موقع بيروت واخبره ان دبابة مرابطة قرب المدينة الرياضية تطلق النار على موقع ابو عمار . وذكر بيان للناطق باسم القيادة العامة لقوات المقاومة اذاعه صوت فلسطين ان قوات الجيش بدات في نحو الساعة الثانية عشرة الهجوم على مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا وبرج البراجنة واستمرت كثافة النيران الى السادسة مساء وشملت كل بيروت . وخارج بيروت ذكرت « المحرر » ان التوتر خيم في الجنوب والشمال وبعلبك والبقاع الغربي. ففي صيدا احتل الفدائيون قلعة صيدا البرية . وجرى استنفار للعناصر المسلحة في مخيمي عين الحلوة والرشيدية قرب صور ، كما جرى استنفار في مخيمي البارد والبداوي في الشمال وكذلك استنفرت عناصر الفدائيين في منطقة البقاع الغربي. ويبدو ان هذا الاستنفار كان نتيجة لتحركات الجيش اللبناني في تلك المناطق ، فقد ذكرت « النهار » (٥/٣) ان ابو عمار تحدث مساء الاربعاء مع الرئيس الحافظ تلفونيا فسأله لماذا توجه الجيش الى قرية معربون وهي بعيدة ٥٠ كيلومترا عن ثكنة الجيش في البقاع ولم يكن فيها في يوم من الايام اي جندي . وقد ذكرت « الحياة » (٥/٣) ان الفدائيين تمكنوا من احتلال مخفر قرية معربون على الحدود السورية ــ اللبنانية . وقد اسفرت هذه الاشتباكات التي دارت في اليوم الاول عن ١٢ قتيلا و٤٠ جريحا بينهم ٣ ضباط احدهم في حالة الخطر كما ذكر بلاغ لوزارة الدفاع اذيع ليلا ، بينما ذكر ناطق فلسطيني ان ١٩ قتيلا و٨٩ جريحا من الفدائيين والمدنيين سقطوا في الاشتباكات (النداء

٥/٣) ، وذكرت « المحرر » (٥/٣) ان خسائر المقاومة هي ٢٤ قتيلا و٩٩ جريحا وان عدد القتلى المدنيين بلغ ١٠ — ١٣ قتيلا ، وأوردت « النهار » (٥/٣) ان عدد القتلى الفدائيين في مخيم تل الزعتر وحده بلغ ٧ فدائيين .

رافق العمليات العسكرية هذه والتي ادت الى فرض نظام منع التجول اعتبارا من الساعة ٧،٣٠ من مساء ٥/٢ ، نشاط سياسي واسع كانت ابرز معالمه كما يلي : قام السيد كمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي والامين العام للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، بدور كبير في الاتصالات التي جرت لايقاف اطلاق النار ، وقد بادر جنبلاط الى الاتصال بالاخ ابو عمار واطلع منه على حقيقة الموقف من خلال وجهة النظر الفلسطينية كما اجرى اتصالا هاتفيا بالرئيس فرنجية اذ اشار الى ضرورة اعتماد الحكمة في معالجة الموقف لمنع الوصول الى نقطة الانفجار الكامل وتمنى لو كان على رأس وزارة الداخلية وزير يستطيع كسب ثقة الفلسطينيين ويعمل على اعادة الثقة التي فقدت بينهم وبين السلطات اللبنانية (« المحرر » ٥/٣) كما اجرى جنبلاط اتصالات مع رشيد كرامي ، رئيس الوزراء الاسبق ، وتشاور معه في الموقف المشترك الواجب اتخاذه وهو التصدي لاية محاولة يشتم منها وجود مؤامرة ضد العمل الفدائي (المحرر)، كذلك اتصل بقائد الجيش وطلب منه العمل على وقف القصف (النهار ٥/٣) . اما رشيد كرامي فقد اجرى اتصالات مع الدكتور امين الحافظ ، رئيس الحكومة ، ونصحه بأن يبادر الى تقديم استقالته اذا تعذر عليه او على الدولة تطويق مضاعفات وذيول الاشتباكات ووضع حد سريع لها ، كما شارك الاستاذ جنبلاط السيد كرامي في توجيه النصيحة الى رئيس الحكومة بأن يقدم استقالته اذا ما شعر بوجود مؤامرة تستهدف تصفية المقاومة او اذا تعذر عليه تدارك محاولات ضربها (المحرر) . ومن جهة اخرى تم لقاء بين السيد صائب سلام والعميد ريمون اده والنائبين نزيه البزري ومحمد يوسف بيضون جرى فيه حوار صريح حول الازمة الناشبة وتمت اتصالات هاتفية بين سلام واده وبين القصر الجمهوري وابو عمار (الحياة ٥/٣) . وذكرت « العمل » (٥/٣) ان ابو عمار اتصل حوالي الظهر برئيس الكتائب الشيخ بيار الجميل وطلب منه التدخل لوقف تدهور الوضع لان كل شيء يدل على ان العملية خطيرة وقد قصد الجميل القصر الجمهوري واجتمع الى الرئيس فرنجية وكبار المسؤولين وعاد ليتصل بالسيد عرفات . هذه الاتصالات على صعيد رسمي كان يرافقها سلسلة مساعي قامت بها الاحزاب الوطنية والتقدمية لتطويق الازمة وتسويتها وقد عقدت هذه الاحزاب في منزل كمال جنبلاط اجتماعات متواصلة لبحث الاوضاع التي نشأت (النداء ٥/٣). في اثناء هذه الاتصالات عقد في القصر الجمهوري اجتماع لمجلس الدفاع الاعلى برئاسة رئيس الجمهورية وبحضور الدكتور امين الحافظ ، رئيس الحكومة ، كامل الاسعد ، رئيس مجلس النواب ، ووزراء الدفاع والداخلية والتربية وقائد الجيش ومعاونه والمدير العام لقوى الامن الداخلي وقائد الدرك والمدير العام للامن العام وقائد شرطة بيروت (النداء) . وقد صرح وزير الداخلية اثناء هذا الاجتماع بأنه كوزير للداخلية دعا الجيش لاستلام زمام الامن وان هذه الدعوة من صلاحية وزير الداخلية (الحياة) . وكانت اقتراحات قائد الجيش (كما ورد في اتصال هاتفي بين جنبلاط والحافظ) في سبيل تهدئة الاحوال ان يتراجع الجيش مسافة ٢٠٠ متر عن مواقعه الحالية على ان تتراجع عناصر المقاومة ٢٠٠ متر . كما اشترطت قيادة الجيش لوقف اطلاق النار اطلاق الرقيب والعريف المحتجزين وعودة جميع المسلحين الى المخيمات كما ذكرت « النهار » التي اضافت ان عرفات اتصل تلفونيا بالقصر فتحدث معه الرئيس الاسعد وطلب منه العمل على تسليم المخطوفين قبل البحث في أي شيء . وفي الرابعة والنصف مساء وصل الى منزل كمال جنبلاط حيث كان مجتمعا بعدد من ممثلي الاحزاب والقوى الوطنية توفيق الصندي ، من اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان ، وتوفيق سلطان ، من قادة الحزب التقدمي الاشتراكي ، ومعهم الجنود الثلاثة وهم الرقيب سعدالدين والعريف يوسف نادر والرقيب البعيني . وفي المنزل عقد اجتماع بين جنبلاط والعقيد فؤاد لحود ، رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب ، وغسان تويني وتوفيق سلطان وكريم بقرادوني ، من حزب الكتائب ، جرى خلاله اتصال مع قيادة موقع بيروت وتم الاتفاق على ان يذهب لحود والصندي وسلطان وبقرادوني مع العسكريين الثلاثة ويسلموهم الى قائد الموقع العقيد الركن عزيز الاحدب . وكان قد سبق وصول تويني ولحود اتصال مع قائد الجيش رتبت خلاله عملية

التسليم ومباشرة الحوار . ثم اتصل جنبلاط بأبو عمار وأخبره بما تم من اتفاق على تسليم الجنود الثلاثة وفي الخامسة توجه وفد قوامه العقيد لحود والصفدي وسلطان وبترادوني وهنري حاماتي ونديم عبد الصمد وبرفقتهم الجنود الثلاثة الى قيادة موقع بيروت وتم التسليم (النهار) . وقد جرى في اثناء التسليم حوار بين المجتمعين وتم الاتفاق على تسيير دوريات مشتركة من الجيش والكفاح المسلح مهمتها وقف اطلاق النار والاشتباكات (المحرر) . وبدأت منذ الساعة التاسعة مساء الدوريات المشتركة ، وفي صبرا كان مكبر الصوت التابع للكفاح المسلح الفلسطيني يدعو كافة العناصر للالتزام بالاتفاق مع القوات المسلحة واعلام العناصر كافة بأن دوريات مشتركة من القوات المسلحة والفدائيين تسير في المنطقة لتهدئة الاحوال (النداء) . وقد اختتمت هذه الاتصالات بالاجتماع الذي عقد ما بين الساعة ١١،٢٥ و١،٤٥ في مستشفى المقاصد في بيروت بين امين الحافظ يرافقه وزراء الدفاع والداخلية والتربية ونائب رئيس الاركان العقيد موسى كنعان وبين الاخ ابو عمار يرافقه عدد من قادة المقاومة . وفي نهاية الاجتماع ادلى وزير التربية ، ادمون رزق ، بالنيابة عن رئيس الحكومة ، ببيان قال فيه ان الرئيس الحافظ اكد « حرص لبنان حكومة وشعبا على توطيد الثقة المتبادلة بين الاخوان اللبنانيين والفلسطينيين وازالة جميع مسببات التوتر ومنع حصول أية مضاعفات لا يفيد منها بالنتيجة سوى العدو المشترك . وتقرر اتخاذ تدابير فورية لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي والحؤول دون اي استغلال وذلك بعودة جميع العناصر المعنية الى الاماكن التي كانت فيها قبل بدء هذه الحوادث » . وقالت « النهار » ان الجانبين اللبناني والفلسطيني اتفقا على ان يرفع نظام منع التجول تدريجيا وان تنسحب قوات الجيش والمقاومة من اماكن معينة ، وان لجنة شكلت من ثلاثة اعضاء من كل جانب للاشراف على تنفيذ الاتفاق .

بيد ان هذا الاتفاق على وقف اطلاق النار لم تكتب له الحياة طويلا فقد قام الجيش اللبناني في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي (كما ذكر الناطق العسكري الفلسطيني) بتصعيد عملياته العسكرية بقصف مخيم ضبية الواقع شمالي بيروت . كذلك اطلق الجيش نيرانا كثيفة على مناطق الفاكهاني وبئر حسن والبريد . وفي الساعة ٩،١٥ وسع الجيش نطاق قصفه على مخيم ضبية مستخدما المدفعية الثقيلة ومدفعية الدبابات والرشاشات الثقيلة . وذكرت « النهار » (٥/٤) ان القصف طوال الليل والنهار كان على أشده في مخيم ضبية . وكان الجيش يرد بقصف مدفعي ورشقات رشاشة على مصادر اطلاق النار من المخيم والاحراج الصخرية المحيطة به . وقالت « النداء » (٥/٤) ان القناصة الذين احتلوا الاسطحة عمدوا الى اصطياد أهالي المخيم الذين كانوا يبحثون عن مخابىء وان دمارا ليس صغيرا قد لحق بالمخيم وساكنيه . وذكرت « المحرر » (٥/٤) انه بعد قصف مدفعي استمر ليلتين متتاليتين على ضبية تمكن الجيش من احتلال المخيم وتدمير قسم منه . كما ذكرت « الحياة » ان المخيم استسلم اثر معركة عنيفة بدأت في الواحدة ظهرا واستمرت حتى السابعة . وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) (٥/٤) ان مجموع الخسائر التي وقعت نتيجة القصف بلغ ٢٣ قتيلا و٦٧ جريحا من المدنيين والميليشيا . وعلى صعيد آخر ذكرت « النهار » ان مخيم بئر حسن كان من الاماكن التي لحق بها ضرر كبير من جراء القصف . فقد دمر نحو ٥٠ بيتا تدميرا كاملا ونزح سكان هذه البيوت الى اماكن اخرى وقتل او جرح عدد كبير منهم ، وبين النازحين الجدد عائلات لبنانية نزحت اصلا الى مخيم بئر حسن من قرى الحدود الجنوبية . وقالت « النداء » ان مخيم تل الزعتر تعرض لقصف عنيف من مدفعية الدبابات التي كانت مرابطة على التلال فوق المخيم . وذكرت « الحياة » ان المعارك بدأت في تل الزعتر في الساعة الخامسة والنصف صباحا وتطور الاشتباك الذي استعملت فيه المدفعية والرشاشات والصواريخ واستمر نحو ساعة ثم توقف ليعود ثانية بصورة أعنف حوالي الحادية عشرة والنصف وقد استمر هذه المرة نحو ساعة ونصف الساعة . وقالت « المحرر » ان دائرة الاشتباكات اتسعت فشملت مناطق قريبة من المخيم في سن الفيل وجسر الباشا والدكوانة والمكلس ، كما ذكرت ان الاشتباكات امتدت الى كافة انحاء العاصمة . ووصفت « الحياة » الاشتباكات التي دارت في مخيم جسر الباشا بأنها من اعنف المعارك وقد حدثت عندما اقدمت قوات المقاومة على احتلال البرج العالي في محلة جسر الباشا وهو مركز استراتيجي يطل على جميع المناطق المحيطة بالمخيم . وقد حاول الجيش

استرداد الموقع ولكنه لم يفلح وتوقف القتال حوالي الساعة الحادية عشرة ولكنه عاد فتجدد حوالي الساعة الواحدة واستمر نحو أربعين دقيقة . وذكر بلاغ أصدرته القيادة العامة لقوات الثورة في المساء انه في الساعة الخامسة مساء ومع موعد رفع منع التجول بدأ الجيش بقصف مدفعي مركز على منطقة صبرا وشاتيلا وحاولت بعض دباباته وآلياته التقدم في ثلاثة اتجاهات وهي دوار الكولا والجامعة العربية ، ناحية بئر حسن ، ناحية المدينة الرياضية . وقد صاحب هذا الهجوم غطاء قصف مدفعي كثيف دون اي تمييز علــى منطقتي صبرا وشاتيلا . وذكر البلاغ ان الثوار تمكنوا من ايقاف الهجوم . وذكرت « النداء » انه استخدم في هذا القتال الاسلحة الثقيلة بما فيها المدفعية . واوردت «المحرر» انه في الاشتباك الذي وقع قرب مستديرة الكولا تمكن الفدائيون من اصابة مجنزرتين كما اصيبت مجنزرة قرب نادي الرماية من ناحية المدينة الرياضية . وقالت « النداء » انه في الثامنة والنصف صباحا اطلق الرصاص بغزارة على كورنيش المزرعة وقد اطلق من ثكنة الحلو (مقر الفرقة ١٦) وقد اتسعت دائرة اطلاق النار بظهور عناصر مسلحة مدنية في حارة حريك وفرن الشباك والنهر وسواها من المناطق . وقالت « المحرر » انه جرى تبادل اطلاق النار في الروشة . وصعدت السلطة من عملياتها العسكرية عندما اغارت طائرات من سلاح الجو اللبناني من نوع ميراج حوالي الساعة الخامسة والربع مساء على مخيم برج البراجنة وقصفته بالصواريخ . وقالت «المحرر» ان الطائرات جوبهت بمقاومة ارضية قوية واطلاق نيران كثيفة عليها لابعادها عن اجواء المخيم والحيلولة دون اصابتها لاي هدف . واضافت ان كل تشكيلة كانت مؤلفة من طائرتين كانت تقلع من مطار بيروت الدولي القريب جدا من منطقة برج البراجنة حيث ترتفع عاليا ثم تنقض على انخفاض متوسط فوق المخيم وتطلق صواريخها وقد قامت الطائرات بست طلعات ثم غادرت المنطقة لتحاول بعدها طائرتا هليكوبتر قصف بعض الاهداف بالمدافع الرشاشة الا ان نيران المقاومة ابعدتهما بسرعة فعادتا الى المطار . وقالت « النداء » ان الغارات الجوية هذه ادت الى اصابة عدة منازل يسكنها مواطنون لبنانيون .

وكان التطور الخطير الثاني في احداث اليوم ، بالاضافة الى القصف بالطائرات ، اغتيال بعض قادة المقاومة العسكريين في الجنوب . فقد جاء في بلاغ اصدرته القيادة العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية انه « في الساعة الثانية عشرة ظهر ٣/٥ وبينما كانت سيارة لاندروفر تابعة لقيادة قواتنا في العرقوب تمر بالقرب من حاجز للجيش قرب مدينة حاصبيا ، فتح عليها رجال الحاجز النيران بغزارة ورموها بقذائف الانيرجا مما ادى الى قلب السيارة واشتعال النيران فيها . كما ادى هذا الحادث المفتعل الى استشهاد البطل النقيب رياض عواد قائد قطاع العرقوب ، والبطل الملازم اول قاسم طارق قائد قوة الصاعقة واستشهاد كل من البطلين حسام خالد وذيب احمد سعيد عمر واعتبار المناضل صادق عيطان محمد كنعان مفقودا حتى اصدار هذا البلاغ » .

هذا وذكرت « النهار » ان مصدرا رسميا أعلن ان قوات تقدر بلواء (٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ رجل) دخلت الاراضي اللبنانية من سوريا عبر محور ينطا — دير العشائر — حلوى ، وهذه القوات المجهزة بآليات ومصفحات وبمدافع ١٠٦ غير مرتدة ومدافع هاون ١٢٠ وميدان ١٢٢ اشتبكت مع الجيش اللبناني في عيتا الفخار كما سددت نيرانها الى ثكنة قلعة راشيا من جهات عدة . وقال المصدر ان عناصر مسلحة دخلت بلدة حاصبيا وحاولت مهاجمة الثكنة التي فيها . وفي راشيا الفخار هاجم المسلحون مراكز الجيش وتردد ان مخافر ينطا وكفرقوق وعيتا الفخار اصبحت في ايدي المسلحين . وقد ذكرت « المحرر » ان قوات الجيش قامت في الساعة ٧،٤٥ مساء بقصف مدفعي مركز على قواعد الفدائيين في راشيا الفخار والخريبة ومنطقة شويا وظلت اصوات المدفعية تسمع حتى الساعة ١٠،٣٠ مساء . نتيجة للاشتباكات التي أعقبت الاتفاق على وقف اطلاق النار الذي تم في الليلة الفائتة فقد انتهت مهمة اللجنة المشتركة بعد اقل من ١٥ ساعة من الاتفاق الذي تم بين الدكتور الحافظ وابو عمار فقد تمت بعد ظهر هذا اليوم اعادة الضباط ممثلي المقاومة في اللجنة المركزية الى مواقعهم وقالت « المحرر » ان سحب هؤلاء تم بعد ان تعرض مخيم برج البراجنة للقصف .

اما بالنسبة للخسائر فقد ذكر بلاغ للناطق العسكري الفلسطيني ان عدد الشهداء من المدنيين والفدائيين ارتفع الى ٢٢ شهيدا و٩٣ جريحا ، كما ذكرت قيادة الجيش اللبناني ان خسائره كانت من صباح ٥/٢ حتى الساعة ١٣ من يوم ٥/٣ كما يلي : ١٤

قتيلا بينهم ضابط ، مفقود واحد ، عاملة مدنيــة في المستشفى العسكري و٥١ جريحا بينهم اربعة ضباط ، ومن الامن الداخلي ٣ قتلى و٦ جرحى كما جرح اثنان من الشرطة القضائية احدهما بحالة خطرة . وذكرت « المحرر » ان عدد القتلى مــن المدنيين بلغ ١٥ والجرحى ١٠٠ . وذكرت « فلسطين الثورة » ان قصف مخيم برج البراجنة بالصواريخ ادى الى استشهاد نحو ١٨ مواطنا بينهــم ١٢ مواطنا من اهالي بعلبك الذين يقطنون في شارع السكة في منطقة برج البراجنة كما جرح عدد كبير منهم معظمهم من الاطفال .

بجانب الاشتباكات العسكرية كانت ابرز **التطورات السياسية** ما شرحه الرئيس فرنجية في جلســة مجلس الوزراء عــن « موقف لبنــان والسياسة اللبنانية » ، والملابسات التي احاطت باتجــاه الدكتور الحافظ نحو الاستقالة من رئاسة الحكومة. فاثر جلسة مجلس الوزراء التي عقدت برئاسة الرئيس فرنجية اذيعت معلومات رسمية ذكرت ان الرئيس فرنجية شرح تفاصيل الموقف « ثم شرح الرئيس موقف لبنان والسياســة اللبنانية فقال يهمني ان اوضح السياسة اللبنانية وانا اتكلم كرئيس دولة وكلبناني واخاطب مسؤولين لبنانيين مشهود لهم بوطنيتهم . عندنا في لبنان ما يزيد على ثلاثمائة الف فلسطيني . ولا اعتقد ان دولة من الدول العربية الشقيقة اعطت اخواننا الفلسطينيين اكثر مما اعطينا . ولا بد لنا من التساؤل: اخواننا الفلسطينيون المقيمون بيننا ماذا يطلبون من لبنان ؟ هل الاقامة والضيافة الكريمة ؟ اذا كان ذلك فأهلا وسهلا بهم ، وانا اذ اقول ذلك اؤكد باننا نرى في الامر واجبا لا منة . هل يطلبون التنسيق في خدمة القضية المشتركة ؟ فنحن نرحب ايضا بهذه الفكرة. اما ان يكون في لبنان جيش احتلال فهذا ما لا يرضى به لبناني » . ومن الجدير بالملاحظة ان اطرافا في السلطة بدات في هذه المرحلة بتسريب انباء عن نية السلطة في لبنــان اعادة النظر في اتفاقيــة القاهرة فقد ذكرت « الحياة » (٥/٣) انها « علمت من مصادر مطلعة في القصر ان رئيس الجمهورية بات في وارد البحث في صيغــة اتفاق جديد مــع المقاومة الفلسطينية تجعل الفدائيين في لبنان في وضع متساو لوضعهم في الدول العربية الاخرى وتعيد الى الدولة اللبنانية سلطتها على الاراضي اللبنانية كلهــا بما في ذلك مخيمــات اللاجئــين الفلسطينيين . وقالت المصادر المذكورة ان رئيس الجمهورية بات ينظر الى اتفاق القاهرة الشهير على انه اصبح غير ذي جدوى ولم يعد قائما بصورة عملية وان اتفاقات التفهم والتفاهم ، قد خرقها الفدائيون ايضا مما يستدعي عقد اتفاق جديد ينظم العلاقات بين الجانبين اللبناني والفلسطيني على اسس جديدة واكثر واقعية » كما قالت الصحيفة نفسها في (٥/٤) انه « علم ان وجهة نظر لبنان في مباحثات الحافظ — عرفات يمكن تلخيصها على الوجه التالي : تكون السلطة العسكرية مسؤولة عن مخيمات الفلسطينيين ، فيكون للجيش اشراف فعلي داخل المخيمات ويحصر وجود السلاح في ايدي الفدائيين ، الا داخل المخيمات ، حتى اذا جرى نقل الاسلحة خارج المخيم يتم ذلك بمعرفة الجيش. وفي حال وقوع عدوان اسرائيلي على مخيم مــا تشترك عناصر الجيش بصده » .

وعلى صعيد استقالة الدكتور الحافظ كتبت «المحرر» ان جميع القوى الوطنية والتقدمية تحركت لاتخاذ موقف حازم وحاسم لاجل حماية المقاومة الفلسطينية ووجدت هذه القوى انه من غير الجائز ان يستمر الدكتور الحافظ في الحكم بينما لا يشارك في القرارات والمواقف الرسمية التي تتخذ ازاء الوضع الراهن. ولذلك طلبت مــن الدكتور الحافظ ان يتحمــل مسؤولياته كاملة كرئيس للحكومة او ان يستقيل فورا حتى لا يكون كشاهد زور على ما يجري . وكان الرئيس كرامي من ابرز الذين يحملون وجهة النظر هذه اذ قال في تصريح « للمحرر » انه نصح الدكتور الحافظ وعليه ان يتصرف بسرعة . وذكرت الصحيفة ان الحافظ اجتمع في الساعة الثامنة ليلا بممثلي القوى الوطنية والتقدمية في منزل كمــال جنبلاط وابلغ الحاضرين انه يعتبر نفسه بتصرف الحركة الوطنية في لبنان ووضع استقالته تحت تصرفهم ولكنه اشار الى ضرورة القيام بمحاولة اخيرة لانقاذ ما يمكن انقاذه وغادر الاجتماع الى منزل الرئيس رشيد كرامي ابلغ بعدها كمال جنبلاط انه قرر تقديم استقالته وانه سيتوجه فورا الى القصر لذلك . وذكرت « النهار » ان الحافظ كان قد فاتح الرئيس فرنجية قبل ذلك في الموضوع وابلغه انه اصبح في وضع لم يعد يمكنه من الاستمرار في تحمل تبعات الحكم ، لكن الرئيس فرنجيه دعاه الى التروي ولفته الى النتائج الخطيرة التي يمكــن ان تترتب على الاستقالة . وقــد ذكرت « النداء » (٥/٤) انه فهم ان مــن اسباب الاستقالة ان قرارات واوامر رئيس الحكومة لا تنفذ وهناك من

يتجاهلها خاصة لعدم تطبيق الجانب اللبناني الاتفاق الذي تم الوصول اليه بين الحافظ وعرفات (في اجتماع المقاصد) . كما ذكرت « الحياة » (٥/٤) ان الحافظ قال في اثناء اجتماعه بجنبلاط انه يعمل على حل المشاكل التي تعرض عليه وان المشكلة هي في أن كثيرا من هذه المشاكل لا يعرض عليه . ويؤكد هذا الامر التصريح الذي ادلى به رشيد كرامي (٥/٣) والذي جاء فيه « من يحكم ومجلس الوزراء لم يدع بعد للانعقاد ؟ ومن اعطى الاوامر ؟ وهل هذه الاوامر من رئيس الحكومة ام من غير رئيس الحكومة . ان غير المسؤول لا يمكن ان يكون مسؤولا . وعلى كل حال فان رأينا واضح وهو ان على الحكومة ان تتحمل مسؤولياتها او تذهب » (المحرر ٥/٤) غير ان الرئيس الحافظ لم يتقدم باستقالته في تلك الليلة وانما ادلى في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بتصريح قال فيه « بعد الجهود المضنية التي بذلتها طوال هذا اليوم وحتى ساعة متأخرة من الليل اعتزمت تقديم استقالتي الى الرئيس فرنجية ، ولما قصدته لتقديمها وجدته دخل مخدعه للنوم فأرجأت استقالتي الى غد . وفي هذه الاثناء طرأت تطورات ايجابية اتمنى ان تؤدي الى تغيير موقفي في الصباح ونحن في انتظار هذا الصباح لكي اقدم على احدى الخطوتين » . وكانت هذه التطورات التي اشار اليها الحافظ هي ما اسفرت عنه الاتصالات بين السلطة اللبنانية وقيادة حركة المقاومة التي قال عنها جنبلاط « ان اتصالات اليوم كانت لمتابعة المساعي لتنفيذ البروتوكولات التي كنت اعمل على اساسها عندما كنت وزيرا للداخلية ... والمهم ان تطوف اللجنة المشتركة من قوى الامن والفدائيين لمنع كل التباس على الحواجز وتعود المياه الى مجاريها بكل حكمة وروية » . وصبيحة الجمعة (٥/٤) اذيع ما يلي : على اثر الاتصالات المستمرة التي بداها رئيس الحكومة الدكتور امين الحافظ مع زعماء المقاومة الفلسطينية عقد اجتماع بين ممثل عن الجيش وممثل عن المقاومة صدرت على اثره المقررات المشتركة الاتية : اولا — وقف اطلاق النار وقفا تاما في جميع المناطق ، ثانيا — عودة قوى الجيش والمقاومة الى مراكزها السابقة قبل التوتر ، ثالثا — ازالة كل الاسباب التي أدت وقد تؤدي في المستقبل الى اي اشكال بين الاخوة . وقالت « النهار » (٥/٥) انه تولى تمثيل الجيش معاون رئيس الاركان العقيد موسى كنعان بينما مثل المقاومة ابو الزعيم وهما وقعا الاتفاق الساعة الثالثة والنصف فجرا . واعلن انه تم تشكيل مكتب ارتباط مشترك بين الجيش والفدائيين ولجان مشتركة من ضباط من الطرفين غايتها الاشراف على وقف اطلاق النار وعلى تنفيذ الاتفاق واعادة المياه الى مجاريها .

كانت هذه أبرز أحداث اليومين التي انتهت بالاتفاق على وقف اطلاق النار . غير ان علينا ان نبرز هنا **دور القوى والاحزاب ومواقفها** في هذه الفترة ثم ننتقل الى رصد الاصداء العربية .

استقطب **السيد كمال جنبلاط** نشاطات الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان وكان منزله طوال الازمة كلها ملتقى لممثلي هذه القوى والاحزاب ، التي نشطت في الاتصالات والضغط لوقف القتال . وكان تأكيد جنبلاط منذ بداية الازمة على ضرورة التمسك بالاتفاقات المعقودة بين المقاومة والسلطات اللبنانية . ففي تصريح له ادلى به بعد نشوب القتال قال « كان في الامكان تفادي هذه المعركة لو ان السلطة الادارية لجأت الى تنفيذ الاتفاقات والبروتوكولات التي وقعت سابقا بين وزارة الداخلية والجيش من جهة والمقاومة الفلسطينية من جهة اخرى . وهذه الاتفاقات تنظم طريقة حل كل المشاكل التي قد تنجم والتي لا ينجو منها احد ولا يستطيع تجنبها احد . ويحدث مثلها بين اللبنانيين والسلطة كما يحدث مثلها بين اي شعب واي قوى نظامية ... وهناك لجان مشتركة وهيئات نصت عليها هذه الاتفاقات يجب ان تقوم بواجبها كي تجنبنا في ما بعد ما حدث اليوم من مجزرة حقيقية ومن مأساة . ونحن نعلم حساسية الشعور التي بلغت شأوها عند كل فلسطيني في هذا البلد نظرا الى اوضاع حكومات العالم العربي وواقع اللاسلم واللاحرب والى الهجمات التي يشنها عليهم الاسرائيليون جوا وبحرا وانزالا بريا كما حصل اخيرا في بيروت حيث لم تحشد الدولة حشودها لقطع الطريق عن ٣٠ نفرا دخلوا شوارع بيروت ففعلوا ما فعلوا طوال ساعتين ونصف ساعة وانسحبوا ولم يقف في وجههم جندي واحد . فيجب ان ندرك جميعا الشعور الذي يتملك اخواننا الفلسطينيين وجميع الوطنيين المخلصين في لبنان وتخوفهم من هذه الحرب الابادية التي تشنها سلطات تل ابيب عليهم تحت نظر السلطة اللبنانية والحكم اللبناني الذي لا يحرك ساكنا على الاطلاق

لاجل الدفاع عن أجواء لبنان وشواطئه وارضه واهله وسكانه » . اما راي جنبلاط في القتال الذي نشب فقد أوضحه في الاجتماع الذي تم في منزله في اليوم التالي للازمة حيث عرض « الوضع التصفوي الذي بداته السلطة ضد المقاومة » وقال « ان القوى الوطنية لن تقف متفرجة ونحن لا نتعرف الى وجود طابور خامس او سادس او غيره ، كل ما يهمنا هو ان يقف القصف وترجع قوات الامن الى حيث كانت قبل الاشتباكات » (النهار ٥/٤). وكان رد جنبلاط على وصف الرئيس فرنجية الفلسطينيين بانهم جيش احتلال ردا سريعا ، فعندما سئل عن رايه بذلك قال « نحن نتاسف من اي رجل عربي مسؤول ان يتحدث عن جيش احتلال لمن احتلت أراضيهم وسلبت ممتلكاتهم جميعها واوشكوا ان يطردوا من الحياة » وتحدث الى عشرات الحضور في منزله بقوله «ان تصرف السلطة ليس هو التصرف الحكيم وليس هو التصرف العاقل لان اخواننا الفلسطينيين هم عندنا شئنا ام ابينا ، وليس هناك من يستطيع ان يقضي على هذا الشعب ان كان هناك تفكير بالقضاء عليه ... ان ابو عمار يمثل بالواقع دولة فلسطينية وشعب فلسطين ويجب ان لا نخجل من معاملته على هذا الاساس ، فالشعب الفلسطيني قدم عبر نضالاته اكثر من ١٥ الف شهيد وهو مستعد لتقديم المزيد ويجب ان لا ناخذ المسألة بكل بساطة » (المحرر ٥/٤) .

اما السيد رشيد كرامي فكان رده الاول على فرض الصدام تصريحه الذي قال فيه « هذا العمل لا نرضى به فموقفنا واضح من المقاومة باعتبارها الطليعة العربية المقاتلة وفي الماضي كنا معها ولا نزال ، وقد اتصلت بالرئيس الدكتور امين الحافظ وابلغته وجوب الوقوف في وجه كل ما من شأنه الخروج على سياستنا ومبادئنا وان لا يقبل بأي مخطط يرمي الى المس بالمقاومة وان يتحمل مسؤولياته فورا ويتصرف في ضوء ذلك بما يمليه عليه الواجب ونحن في انتظار موقفه لان موقفنا هو عدم القبول بكل ما يجري واننا نعارض سلفا كل هذه الاجراءات وهذه التدابير التي لا تعبر عن مصلحة هذا البلد » . وعندما استمر اطلاق النار في اليوم التالي تساءل كرامي « لمصلحة من كل ما يجري ؟ انا استغرب اساسا كيف اعطيت الاوامر للجيش كي يطوق المخيمات لاننا كما اعتقد ما وصلنا الى الطريق المسدود . وكل ما جرى كان في الامكان معالجته وهناك أساليب وطرق عدة للمعالجة . فالاجتماع الذي عقد في الليل بين السلطة والمقاومة كان يجب عقده في الصباح قبل أن يتفاقم الوضع . وفي الواقع فاننا نرى ان السلطة بينما تجتمع مع المقاومة لتهدئة الوضع نراها تصدر اوامر للجيش بالقصف ... لا شك في ان هناك جهات تعمل لخراب هذا البلد وعلى السلطة ان تعرف من هي تلك الجهات ... لقد تم الاتفاق على ان ينسحب الفريقان ولكن شيئا من هذا لم يحدث. لقد وضعوا البارود امام النار . فهل من المعقول ان لا يشتعل ؟ لقد طلبوا من الفدائيين ان ينسحبوا مئتي متر وهذا يعني ان يخرجوا من بيوتهم واذا خرجوا فهذا يعني ايضا انهم كشفوا انفسهم ... انا شخصيا احمل الحكم السياسي المسؤولية . فعليه ان يعطي الاوامر بسحب الجيش من الساحة بعد التفاهم مع المقاومة والعودة بالبلاد الى الحياة الطبيعية » .

اما الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية فقد وقفت من الازمة موقفا موحدا منذ بدايتها ، فاثر الاجتماع الذي عقده ممثلوها في منزل جنبلاط في ٥/٣ اصدرت بيانا قالت فيه « مرة اخرى تراق الدماء اللبنانية والفلسطينية، ويسقط الشهداء والضحايا بالعشرات في شوارع بيروت ، مرة اخرى يحدث ذلك نتيجة تجاوز كافة الاتفاقيات والمواثيق التي وضعت اساسا لتنظيم العلاقة بين السلطة والمقاومة ... فبدلا من ان تعود السلطة الى تطبيق الاتفاقيات والمواثيق المذكورة ، لجأت صباح هذا اليوم الاربعاء ٢ أيار الى استخدام قواتها بشكل كثيف ضد المقاومة الفلسطينية ... وقد استخدمت السلطة في تنفيذ عملياتها مختلف الاسلحة ... وقد فشلت كل محاولات قيادة المقاومة ومعها الاحزاب والشخصيات الوطنية لتفادي المجزرة ووقف اطلاق النار نتيجة اصرار بعض اوساط السلطة على تصعيد الصدام وتوسيعه ، مما يوحي بوجود نوايا تستهدف ضرب المقاومة الفلسطينية وتصفية مواقعها ، والتنكيل بالشعب الفلسطيني وافتعال اقتتال داخلي يدفع كل اللبنانيين ثمنه من حياتهم ومستقبلهم . ان الاحزاب الوطنية والقوى التقدمية ... تدعو الجماهير الشعبية وجميع الحريصين على كرامة البلاد وصمودها الوطني ، الى التحرك الحازم من اجل احباط كل مخطط تصفوي وردع الجهات المتعنتة التي تقف وراءه... وتدعو الجماهير الشعبية في بيروت ومختلف المدن

والمناطق اللبنانية الى تنفيذ اضراب شامل نهار الخميس ٣ ايار استنكارا للمجزرة وانذارا للسلطة المسؤولة عنها من النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على الامعان في سياسة استخدام القوة ضد المقاومة وجماهير الفلسطينيين » .

وأصدرت **منظمة الحزب الشيوعي في بيروت** بيانا قالت فيه « ان السلطة اللبنانية تؤكد مجددا ... اشتراكها الفعلي في التآمر على المقاومة الفلسطينية وجماهيرنا الشعبية فتجند كل قوى القمع لارتكاب المجازر الدموية ضد الفدائيين وسكان المخيمات الفلسطينية والجماهير اللبنانية الآمنة ، ضاربة عرض الحائط بكل الاتفاقات والمواثيق التي كانت قد التزمت بها مع المقاومة الفلسطينية وخاصة ما نصت عليه اتفاقية القاهرة ... ان ما يجري على ارضنا اللبنانية ليس معزولا عما يخطط له الاستعمار والصهيونية والرجعية في العالم العربي اليوم ، والذي يستهدف اول ما يستهدف ضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية كمقدمة طبيعية لفرض الحلول الاستسلامية على امتنا العربية ... ان منظمة الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت ، اذ تشجب موقف السلطة هذا ، تحذر من مغبة الاستمرار في تنفيذ مخططها الاجرامي ، وتدعو جميع الوطنيين والتقدميين في بيروت عامة ، وفي المنطقة الغربية خاصة ، التي عرفت بتقاليدها الوطنية ، لتأكيد التحامها الفعلي مجددا مع المقاومة الفلسطينية ، والنضال بكافة الاشكال والوسائل دفاعا عن وجودها وحريتها ، ووقف المجازر الدموية فورا والالتزام الفعلي بما نصت عليه اتفاقية القاهرة » .

واصدرت **جمعية متخرجي المقاصد** ، بيانا بتوقيع رئيسها المحامي عزت حرب قالت فيه « لقد جاءت احداث الاربعاء الدامي في ٢ ايار لتتجاوز كل اصحاب النوايا الحسنة وترسم صورة سوداء لطريقة الدولة في معالجة قضايا البلاد على كل صعيد ولتؤكد ضلوعها في عملية ضرب المقاومة الفلسطينية والتضييق عليها لعدة اهداف اهمها في نظرنا تغطية التآمر الاميركي ودور السفارة الاميركية في بيروت وتعاونها مع الغزو الصهيوني لبيروت وصيدا ليل العاشر من نيسان ، هذا الدور الذي نعجب لدور الدولة في محاولة طمسه وتحويل اعين الجماهير عن حقيقته . ان الاحداث الدامية التي جرت يوم الاربعاء لا يمكن ان تكون عفوية بل انها استفزازية بكل معنى الكلمة وترتب على القوى الوطنية استخلاص المعاني الحقيقية لما تبيته الدولة من ضرب المقاومة الفلسطينية والسير على طريق خنق الحريات ، حريات جميع اللبنانيين واشاعة الرعب في صفوف الجماهير وتفتيت وحدتها الوطنية ... وعلى جميع المواطنين ان يجدوا الاسلوب الرادع لتمادي الدولة في تنفيذ خطتها الشريرة في قهر الجماهير وضرب الحركة الوطنية ومحاصرة المقاومة الفلسطينية والضلوع في مؤامرة تصفيتها» .

كذلك اصدر **المؤتمر الوطني لدعم الجنوب** في ٥/٣ بيانا جاء فيه « في الوقت الذي يقوم فيه العدو الاسرائيلي باعتداءاته المتكررة على لبنان والدول العربية الاخرى ... رأينا البارحة ان الدماء العربية اللبنانية والفلسطينية تراق على ارض عربية فيسقط الشهداء بالعشرات في شوارع بيروت نتيجة لتجاوز بعض اجهزة السلطة كافة الاتفاقات والمواثيق التي وضعت اساسا لتنظيم العلاقة بين السلطة والمقاومة ... ان المؤتمر الوطني لدعم الجنوب ... يقف مع الاحزاب الوطنية والتقدمية وكافة الفئات الشعبية الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية داعما حقها في الدفاع عن نفسها ، وحرية وجودها وحركتها من اجل تحرير فلسطين ، كما انه يدين ويستنكر كل المؤامرات التي تحاك ضدها » .

واصدر **حزب النجادة** بيانا اثر اجتماع المكتب السياسي للحزب (٥/٢) حذر فيه من الانزلاق في حبائل المؤامرة الخطرة . ودعا رئيس الوزارة الى « رفض اي اجراء يتعارض مع الخط الوطني وسلامة العمل الفدائي » ونبه الى « ان ما يحسب البعض انه قادر على تمريره لن يمر الان ولا في المستقبل بحكم تضافر الجهود والتعاطف مع المقاومة » . وحذر البيان « من ان يكون ما حدث مقدمة لما حدث في الاردن ضد المقاومة الفلسطينية» .

وعقدت **حركة التوعية الوطنية** اجتماعا (٥/٢) في منزل رئيسها الدكتور عبد الله اليافي اصدرت اثره بيانا قالت فيه « ان هؤلاء المقاومين من ابناء الشعب الفلسطيني البطل يحظون باحترام ومحبة جميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم واحزابهم ... ولذلك فاننا نحذر السلطات الحاكمة من التعرض بأي سوء لسلامة العمل الفدائي ونذكرها بالمواثيق والعهود التي تجسدت كلها في اتفاق القاهرة ... واننا ازاء هذه الفاجعة الاليمة ... نطالب

بمحاكمة جميع المسؤولين عن هذه الاعمال الطائشة والاقتصاص منهم ايا كانت مراكزهم او اشخاصهم انقاذا للوحدة الوطنية ومحافظة على كرامة لبنان».

وادلى النائب **الدكتور عبد المجيد الرافعي (٥/٣)** بتصريح قال فيه « ان تتالي الاخبار عن القصف المركز بالمدفعية والطيران من قبل الجيش اللبناني لاماكن تمركز الفدائيين وللمخيمات والاحياء الشعبية الآهلة بالسكان وبالرغم من اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه امس يدل على ان السلطة ماضية في تنفيذ مخطط رهيب في محاولة منها للقضاء على المقاومة الفلسطينية خدمة للمخطط الامبريالي الصهيوني . وطرابلس التي تعيش الان حالة غليان نتيجة تحدي السلطة السافر للشعور الوطنيوتنكرها للالتزام القومي بالقضية الفلسطينية والتي واجهت في الماضي كل المؤامرات التي استهدفت الوجود الفدائي لا سيما في نيسان وتشرين عام ١٩٦٩ واتفاق القاهرة ، والتي ترفض بحزم كل مخططات التصفية ، تعلن انها لن تقف مكتوفة الايدي وهي ترى المتآمرين ينفذون مجزرتهم الرهيبة في الجماهير الفلسطينية والجماهير الوطنية اللبنانية » .

وادلى **النائب نجاح واكيم** ، من التنظيم الناصري ، ببيان (٥/٣) قال فيه « ان ما حصل في الامس لن يحول دون ان تستمر حركة المقاومة الفلسطينية في اداء رسالتها الفدائية ضد الصهاينة والمستعمرين وشعبنا يطالب السلطة التي تستهتر بالحريات وبكرامة المواطن اللبناني أن تحترم المواثيق والاتفاقات التي توقعها مع الجهات العربية . فاحترام اتفاق القاهرة الذي ينظم العلاقة بين السلطة والفدائيين هو القاعدة للهدوء والاستقرار في البلد » .

وفي صيدا (٥/٣) عقد اجتماع في منزل **النائب السابق معروف سعد** حضره ممثلون عن قيادة الجيش وقيادة المقاومة وعدد من ممثلي الاحزاب والقوى التقدمية في المدينة ، ادلى اثره سعد بتصريح قال فيه « ان كافة الفئات الوطنية والديموقراطية في البلاد تقف بحزم الى جانب المقاومة لانها تعتبر فصيلا اساسيا من فصائل حركة التحرير العربية ، وان اية محاولة لتصفيتها لن تقابل الا بمزيد من الصمود على الصعيدين الشعبي والوطني » .

كما اذاع **النائب** رشيد **الصلح والمحامي زكريا عيتاني** باسم حركة التوعية البيروتية بيانا (٥/٢) دعا جميع المواطنين الى اضراب عام يوم الخميس ٥/٣ « استنكارا للمجزرة الدامية بحق اخواننا في المقاومة الفلسطينية » .

بجانب هذه المواقف الملتزمة بالدفاع عن المقاومة الفلسطينية كانت هناك هيئات اخرى لم تعلن موقفها الصريح الواضح تجاه الازمة . فقد اصدر **حزب الهيئة الوطنية** بيانا ٥/٣ دعا فيه الى « مؤتمر وطني لبناني فلسطيني عام يتفق فيه على انهاء كل الاشكالات . ذلك بان لبنان لا يمكن ان يحيد في الدفاع عن القضية الفلسطينية وحقوق اصحابها » . كما اذاع **الحزب الديمقراطي** بيانا قال فيه « مهما كانت الاسباب يبقى ان ما يجري امر مرفوض ، مرفوض لبنانيا ، مرفوض فلسطينيا ... فليس بالتقاتل تصان هيبة السلطة اللبنانية او تحمى المقاومة » . كما اصدر **الحزب الديمقراطي الاشتراكي** — كامل الاسعد — بيانا ٥/٣ اهاب فيه « بالمواطنين اللبنانيين وبالاخوة الفلسطينيين ان يتحملوا مسؤولياتهم في هذا الظرف بعيدا عن الانفعال والمصالح والاهواء » . وكان تأثير هذه القوى التي لم تشأ ان تسجل على نفسها موقفا مبكرا منذ بداية الازمة واضحا في البيان الذي اذاعته « **لجنة الاحزاب اللبنانية** » في جلسة عقدتها مساء ٥/٣ في ندوة الدراسات الانمائية في بيروت . فقد تمثلت في هذه الجلسة احزاب من مختلف الاتجاهات السياسية والعقائدية : حزب الاتحاد الدستوري ، الحزب التقدمي الاشتراكي ، الحزب الشيوعي اللبناني ، الحزب الديمقراطي ، الحزب القومي الاجتماعي ، حزب الكتائب اللبنانية ، حزب الكتلة الوطنية ، حزب الوطنيين الاحرار ، وحدة القوى الناصرية ، ندوة الدراسات الانمائية. من هنا كان البيان الذي صدر عن هذه الجلسة لم يكن ليعبر الا عن « موقف الحد الادنى » فقد جاء في هذا البيان ان اللجنة « تعلن اسفها البالغ للاصطدامات الفاجعة التي وقعت بين قوات الجيش اللبناني وقوات المقاومة الفلسطينية وتدعو الى وقفها على الفور ، وتهيب بالجميع الالتزام بالوعي والحكمة وروح المسؤولية ... وتناشد الجميع العمل لتوفير الجو الذي يتوقف فيه العنف بكل صوره » .

وقد اتخذت بعض القوى مواقف حاسمة ضد المقاومة منذ بداية الازمة **فالشيخ بيار الجميل** ،

رئيس حزب الكتائب ، صور الوضع كما يلي (تصريح ٢/٥ نشرته العمل ٣/٥) : « ان القضية تستغل ولم تعد في ايدي اصحابها . وليس في الافق نهاية واضحة . اليوم اكثر من اي يوم يجب ان يتوحد العمل الفدائي وينضبط فكل المصائب تأتي من فئة غير مسؤولة وغير منضبطة » . كما كتبت « العمل » صحيفة الكتائب مقالا افتتاحيا في اليوم الثاني من بداية الازمة قالت فيه « انها حالة لا تطاق ، شبعنا عواطف وكلاما معسولا . اين هي هذه الاخوة التي بها يتشدقون ؟ بأي حق يتصرف الفلسطينيون بأرواحنا وامننا ودماء جنودنا وارضنا وكرامتنا . او تكون البلاد بلادنا او لا تكون . صرنا نفضل اية كارثة على هذه المأساة الدائمة . المأساة التي تستمر منذ اربع سنوات ... ماذا نقول للناس بعد الان ... وكيف نبرر لهم خطف الجنود وقتل الابرياء واقامة الحواجز والاعتداء على الكرامات وترويع النساء والاطفال وتهديم استقرار البلاد ؟... من المسؤول عن مأساة امس ؟ المقاومة الفلسطينية وحدها المسؤولة . فالدولة تصرفت كما تتصرف كل دولة لا تميز بين السيادة وبين وجودها بالذات . وليس للمقاومة ان تجعل من نفسها دولة داخل دولة . هذه حالة مرفوضة ، الا اذا كان لبنان قد اصبح في حالة احتلال بالمعنى الصحيح » .

اما **الاصداء العربية** فكانت كما يلي :

مصر — اوردت وكالة انباء الشرق الاوسط ٢/٥ تصريحا للدكتور اشرف غربال المستشار الصحافي للرئيس انور السادات ذكر فيه ان الرئيس السادات عبر عن قلقه البالغ للاشتباكات التي جرت اليوم بين الجيش اللبناني والمنظمات الفدائية . وقال ان الرئيس السادات ارسل برقية الى الرئيس فرنجية. وذكر الدكتور غربال ان السادات تابع الموقف عن كثب وانه يشعر بان مثل هذه الاشتباكات لا تخدم سوى العدو المتربص بحقوق العرب واراضيهم . واعاد الدكتور غربال الى الاذهان ما سبق ان نادى به الرئيس السادات من ضرورة قيام كل من لبنان ومنظمات المقاومة باحترام الاتفاقيات المعقودة بين الجانبين حقنا للدماء ودعما للصف العربي. واوردت الوكالة نفسها ٣١/٥ ان الرئيس السادات اجرى في ساعة متأخرة من الليل اتصالا تلفونيا مع الرئيس فرنجية والسيد محمود الايوبي ، رئيس وزراء سوريا . وقالت الوكالة ان موضوع الاتصال كان خاصا بالاحداث الخطيرة والمؤسفة التي تقع بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية وما يخشى ان تؤدي اليه من نتائج خطيرة لا يستفيد منها الا اعداء الامة العربية . وقالت « المحرر » ٤/٥ ان سفير مصر في لبنان السيد لطفي متولي قد اجرى اتصالا تلفونيا بعد ظهر ٣/٥ مع وزير الخارجية المصري بصدد الوضع في لبنان . كما اجرى السفير متولي عدة اتصالات مع وزير الخارجية اللبناني للغاية نفسها . وقالت الصحيفة ان هذه الاتصالات بين بيروت والقاهرة تأتي في نطاق المحاولات التي تقوم بها القاهرة من اجل وقف النزيف الدموي . وذكرت « الحياة » ٣١/٥ ان الرئيس فرنجية تلقى رسالة شفهية بواسطة السفير المصري في بيروت من الرئيس السادات يعرب فيها عن ثقته بحكمة الرئيس فرنجية بمعالجة الموقف الراهن بروح اخوية .

سوريا : اوردت « رويتر » من دمشق ٣/٥ ان الدوائر السورية المختصة اعربت عن قلقها البالغ لتدهور الوضع في لبنان في اعقاب وقوع معارك عنيفة بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين. ونقلت الوكالة عن مصادر رسمية ان كبار المسؤولين السوريين المدنيين والعسكريين عكفوا اليوم ٣/٥ على متابعة ومراقبة تطورات الموقف باهتمام بالغ . ومن جهة اخرى ذكرت « المحرر » ٤/٥ ان اللواء مصطفى طلاس ، وزير الدفاع السوري ، اتصل بالسيد فؤاد غصن ، وزير الدفاع اللبناني ، متمنيا العمل لانهاء الحوادث المؤسفة ومعلنا استعداد دمشق لبذل اي مجهود حميد في هذا السبيل . كما اتصل اللواء يوسف شكور ، رئيس الاركان السوري ، بالعماد اسكندر غانم ، قائد الجيش اللبناني ، وابلغه الاستعداد السوري لعمل كل ما من شأنه تقريب وجهات النظر واحلال الوفاق .

الجزائر : وكالة الانباء الفرنسية نقلت ٣/٥ تصريحا لمتحدث باسم وزارة الخارجية الجزائرية تعليقا على الاحداث في لبنان قال فيه : « اذا كانت المسؤولية تقع على عاتق الفلسطينيين فينبغي ان نقول ذلك لانهم بهذا يسيئون الى القضية العربية، اما اذا كانت تقع — كما نعتقد — على عاتق اللبنانيين فان على حكومة هذا البلد الشقيق ان تتحمل مسؤولياتها كاملة » واضاف المتحدث قائلا : « صحيح ان سلطات لبنان هي صاحبة السلطة في اتخاذ الاجراءات الملائمة لضمان الحفاظ على النظام . غير انها لا ينبغي بأي حال ان تنحرف الى دوامة العنف بين الاخوة التي تسيء الى الدول العربية جميعا او تشكل عونا اضافيا للعدو

الصهيوني . وتماما كما ان بيروت ليست هي عمان فأننا نطمح الا تكون الان هناك عشية ايلول اسود اخر . فلا شعب لبنان ولا الشعوب العربية الاخرى ولا الراي العام العالمي يمكن ان يسمح بذلك او يفهمه » .

العراق : استقبل وزير الخارجية اللبنانية ٥/٣ السيد خالد مكي الهاشمي ، سفير العراق في لبنان . وادلى السفير العراقي بعد المقابلة بتصريح قال فيه « لقد نقلنا رغبة العراق وقراره القيام بدور الوساطة بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية لحل الأشكال بروح من الاخوة العربية وتهدئة الخواطر بما يضمن حماية الدم العربي سواء اكان من القوات اللبنانية او من القوات الفدائية وغدا سيصل مبعوث عراقي ممثلا الرئيس احمد حسن البكر » .

الكويت : صرح السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة الكويتي لشؤون مجلس الوزراء ٥/٢ بأن مجلس الوزراء تابع بقلق شديد ما تناقلته وكالات الانباء عن الاصطدامات في لبنان . واضاف ان الحكومة على اتصال مستمر مع السفارة الكويتية في بيروت . وذكرت « المحرر » ٥/٤ نقلا عن مصادر رسمية ان سفير الكويت في لبنان قام باتصالات عاجلة مع اركان المقاومة وعلى راسهم السيد ياسر عرفات مهدت لوقف الاشتباكات . كما ان **سفراء مصر والجزائر وليبيا** اشتركوا في هذه المساعي وتقدموا ببعض اقتراحات اخذ المسؤولون ببعضها.

السودان : نشرت « العمل » ٥/٣ برقية تلقاها الرئيس فرنجية من اللواء جعفر النميري قال فيها « نتابع بقلق الانباء الواردة عن تبادل اطلاق النار بين بعض فصائل من الجيش اللبناني وبعض فصائل المقاومة . ثقتنا في حكمتكم عظيمة واملنا في تصفية الموقف بين الاشقاء بعد اطلاعنا على حديث وزير الخارجية اللبنانية مع السفراء العرب . ان تفويت الفرصة على العدو وهو يحتفل بذكرى اغتصابه لفلسطين يبدو واجبا قوميا وموقفا من مواقف النضال ضد الصهيونية . تقديركم للموقف يعكس ابعاده الحقيقية وانعكاساته ويزيدنا اطمئنانا للنتيجة التي نحن بانتظارها» . كما نشرت «النهار» ٥/٤ برقية تلقاها الاخ ابو عمار من اللواء النميري قال فيها « ونحن نتابع الان بقلق بالغ تطورات الاحداث الدامية بين الاشقاء نتذكر والالم يعصر قلوبنا ان العدو من الجانب الاخر يحتفل بذكرى اغتصابه لارض فلسطين السليبة . نناشدكم بذل مساعيكم القصوى للوصول الى صيغة تضع حدا لكل ما من شأنه ان يثير علينا شماتة الاعداء او اشفاق الاصدقاء . يقيننا ان الحكمة وضبط النفس سينتصران في الخروج بنا من هذه الازمة » .

المرحلة الثانية ٤ – مساء ٧ ايار : تميزت هذه الفترة بهدوء نسبي في العاصمة وضواحيها ، وبانتقال الصدام الى مواقع جديدة في الجنوب ، وبنشاط المساعي العربية لانهاء الازمة وكذلك بانكشاف اهداف السلطة الحقيقية في فرض الصدام على المقاومة .

في ٥/٤ مع الهدوء المتوتر الذي ساد بيروت انفجر الموقف في الجنوب فقد صرح الناطق العسكري الفلسطيني بأنه « في حوالي الساعة السادسة من مساء اليوم قام الجيش اللبناني بقصف مواقعنا في مناطق عيحا وعيتا الفخار بصواريخ الطائرات . وفي نفس الوقت كانت قد قامت مدفعية الجيش الثقيلة ودباباته بقصف شديد على منطقة راشيا الفخار وابو قمحة في العرقوب ولا يزال القصف مستمرا حتى ساعة اعداد هذا التصريح (الساعة السابعة مساء) » . وقد ذكرت « المحرر » ٥/٥ ان هذه الاشتباكات ابتدأت في منطقة حاصبيا وامتدت الى منطقة مرجعيون . واوردت « النهار » ٥/٥ وصفا لهذه الاشتباكات فقالت انه كانت قد وردت انباء في الليلة السابقة تفيد ان قوات جيش التحرير دخلت باعداد كبيرة تدعمها الآليات الثقيلة عن طريق دير العشائر ومفرق ينطا وكفرقوق وتوزعت على التلال والمرتفعات المشرفة على منطقة المصنع الحدودية والطريق الرئيسية الى راشيا وحاصبيا وقد عزز الجيش اللبناني قواته بحيث يكشف الطريق المؤدي الى قلعة راشيا الوادي حيث تقوم ثكنة كبيرة للجيش وفي الحادية عشرة قبل الظهر احتدمت المعركة بين الطرفين . وفي هذه الاثناء كان الفدائيون يتبادلون والجيش اطلاق النار في بيادر العدس وعيتا الفخار واستمر القصف متقطعا حتى المساء . وكان بلاغ صدر عن السلطة العسكرية قد ذكر انه « في منطقة البقاع اجتازت قوات من سوريا الحدود اللبنانية باعداد كبيرة تقدر بـ ٣٠٠ آلية مزودة باسلحة ثقيلة مختلفة ومصفحات ومدافع ١٠٦ و ١٢٠ و ١٢٢ واسلحة مضادة للطائرات وحاولت طلائعها احتلال مخفر بيادر العدس فصدت وعادت الى شرق عيتا الفخار. كما قامت قوات اخرى باحتلال مخفر ينطا واسر

رجال الدرك . وهاجمت بعض هذه القوات ثكنة قلعة راشيا من اتجاهات عدة بلا نجاح . وصباح ٥/٤ حاولت من جديد القصف المدفعي المركز فحلقت طائرة لاستكشاف مواقع النار في بقعة عمل راشيا فانطلقت عليها النيران من اسلحة مضادة للجويات مما اضطرها الى القصف » وكان هذا البلاغ قد صدر قبل تجدد الاشتباكات مساء . وعن دخول قوات من سوريا نقلت « رويتر » من دمشق (٥/٤) تصريحا للسيد سامي عطاري ، من قيادة منظمة الصاعقة ، نفى فيه ان تكون قد دخلت الى لبنان اية عناصر من قوات الصاعقة ، كما نقلت تصريحا لناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية في دمشق قال فيه انه لم تجتز الحدود السورية الى لبنان أية قوة من جيش التحرير الفلسطيني . وقد ذكرت « العمل » ان لجنة مشتركة من الجيش والفدائيين توجهت الى منطقة الاشتباكات لتطويق المسألة وكانت هذه اللجنة قد ذهبت الى مناطق اخرى جرت فيها اشتباكات مماثلة . وقد أعلن السيد فؤاد غصن ، وزير الدفاع اللبناني ، في الساعة العاشرة ليلا ان حوادث حاصبيا انتهت منذ اكثر من ساعة وتوجهت الى المنطقة لجنة مشتركة لتصفية الاجواء .

على صعيد **المساعي العربية** : ذكرت « المحرر » ان الفريق حافظ الاسد ، الرئيس السوري ، اجرى اتصالا هاتفيا مع الرئيس فرنجية وقد أعرب الفريق الاسد عن امله في ان يعالج الرئيس فرنجية الازمة بحكمة مع محافظته على سيادة لبنان ومصالح المقاومة . وذكرت « النهار » ان الاسد قال للرئيس فرنجية « ان الذين دخلوا لبنان من سوريا سينسحبون في الليل » . واستقبل الرئيس فرنجية السيد محمد يزيد ، السفير الجزائري في بيروت ، الذي ادلى بعد المقابلة بتصريح قال فيه انه سلم الرئيس فرنجية رسالة خطية من الرئيس هواري بومدين واضاف « ان الجزائر تعرض مساعيها لتقوية العلاقات الاخوية بين البلدين ، وهي تؤكد رأيها بضرورة سلامة لبنان واوضاعه والمحافظة على سلامة المقاومة ». وقد توجه السفير الجزائري بعد ذلك للاجتماع مع الاخ ابو عمار . كما استقبل الرئيس فرنجية السيد أحمد بن سوده ، سفير المغرب ، الذي ادلى بعد المقابلة بتصريح قال فيه : « اثر وقوع الاحداث المؤلمة ، اتصل الملك الحسن الثاني يوم أمس بالرئيس سليمان فرنجية وبالسيد ياسر عرفات وأعرب لهما عن عميق اسفه وألمه للحوادث التي وقعت كما اعرب عن تمنياته الملحة بوقف اطلاق النار فورا بين الاخوة بما يخدم مصلحة السيادة اللبنانية والثورة الفلسطينية . واستمرارا لمساعي الملك الحسن التوفيقية تمت بزيارة الرئيس فرنجية كما سبق لي ان اتصلت بالرئيس امين الحافظ وبالسيد ياسر عرفات » واعلن السفير المغربي انه ينتظر وصول الداي ولد سيدي بابا ، مدير عام الديوان الملكي المغربي ، مبعوثا من الملك الحسن الى بيروت . وقد وصل المبعوث المغربي ليلا وصرح بان الملك الحسن « يعتقد ان من مصلحة العالم العربي والقضية الفلسطينية ان يبقى لبنان كما كان دائما البلد العربي الذي يمكنه ان يقوم بدوره في كرم الضيافة ومساندة المضطهدين ، وانه على يقين بأن مساندة الاخوة الفلسطينيين ودعم جهادهم لا يتعارضان مع مستلزمات سيادة أي بلد عربي » . كما استقبل الرئيس فرنجية السيد عبد الخالق السامرائي مبعوث الرئيس العراقي احمد حسن البكر . وقد صرح السامرائي بعد مغادرته القصر بان اللقاء مع المسؤولين اللبنانيين كان فرصة نافعة لتبادل وجهات النظر حول الازمة بين القوات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية . وسئل اذا كان يحمل اقتراحات معينة فقال : لا أحمل شيئا مسبقا بل جئت للاطلاع على وجهة نظر الطرفين للسعي ما أمكن لتقريب وجهات النظر . وذكرت « المحرر » ان السيد السامرائي اجتمع ليلا مع بعض قادة المقاومة واستعرض معهم مسلسل الاحداث الدامية الذي تعرضت له حركة المقاومة واكد لهم مساندة العراق شعبا وحكومة لحركة المقاومة ودعا الى مزيد من التلاحم بين فصائل الثورة الفلسطينية . وقد وصل بيروت ليلا السيد محمود رياض ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، وصرح لدى وصوله « بأن وراء هذه الاحداث أيدي اجنبية لان هذه الايدي لها مصلحة في قيام نزاع بين القوى الفلسطينية والسلطات في لبنان » . وذكرت « النهار » ان المملكة العربية السعودية بذلت مسعى لمعالجة الازمة والتوفيق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وقد تولى الوساطة السفير السعودي في بيروت الذي اجتمع لهذه الغاية مع بعض قادة المقاومة . كما ذكرت « الحياة » ان سفير الكويت في لبنان قام في هذا الصدد باتصالات مع السلطات اللبنانية وقادة المقاومة كذلك وصل بيروت وفد من مجلس

الامة الاتحادي واجتمع بالرئيس فرنجية والسيد كامل الاسعد ، رئيس مجلس النواب اللبناني . وقد صرح السيد تحسين الصفدي (ليبي) عضو الوفد اثر مقابلته للرئيس فرنجية بقوله « ان الذي سمعناه من رئيس الجمهورية اكثر مما نتصوره ونحلم به ، فهو متشدد بروح القضية العربية ومؤمن بالقضية الفلسطينية . ونحن نحترم سيادة لبنان وهدف المقاومة الحقيقي » . وقد لاحظت «النهار» (٥/٥) بالنسبة للمساعي العربية ان كلمة « تأييد سيادة لبنان » بدأت تظهر للمرة الاولى في البيانات والتصريحات والرسائل الى جانب التعبير أو الشعار الذي كان يستعمل سابقا وهو «مساندة المقاومة الفلسطينية » و« الحفاظ على الثورة الفلسطينية » .

لكن على الرغم بن جميع الوساطات العربية التي استهدفت تخفيف حدة التوتر فقد استمرت الاشتباكات في اليوم التالي فقد ذكرت « فلسطين الثورة » انه « بالرغم من كل الجهود المضنية والمبذولة لوقف اطلاق النار وبعد الاتفاق مرتين على ذلك فان الجيش بدأ منذ ساعات الصباح الباكر يوم ٥/٥ يصعد من عملياته العسكرية في القطاع الشرقي . فقد هاجمت قوات الجيش المعززة بالدبابات والمدفعية الثقيلة في الساعة السابعة والنصف من صباح ٥/٥ قواعد ثوارنا في مرتفعات عيحا والظهر الاحمر المتواجدة فيها قواتنا منذ أربع سنوات وبموجب اتفاقية القاهرة . وبعد العديد من الاتصالات مع السلطة والجيش دون جدوى ، اضطرت قواتنا للتصدي للقوات المهاجمة دفاعا عن النفس ، ودامت المعركة حوالي ساعتين اضطرت على أثرها قوات الجيش الى الانسحاب الى مواقعها السابقة . وبعد فشل الهجوم وعجز القوات عن احتلال الموقعين المذكورين فتحت نيران المدفعية الثقيلة من كفارشكي والقلعة وبر الياس على كافة مواقعنا ، وبعد اتصالات عديدة برئيس الوزراء وقيادة الجيش تم التوصل الى وقف اطلاق النار في الساعة الثانية و٢٥ دقيقة ، وقد استمرت الاشتباكات المتقطعة حتى المساء حين ساد الهدوء النسبي المنطقة». وقد زعم بيان السلطة العسكرية انه « جرت صباحا في منطقة راشيا تحرشات ببعض مراكز الجيش في قرية عيحا ما لبث ان تبعها قصف لهذه المراكز بقنابل الهاون ١٢٠ وعند الساعة ١٣،٣٠ ودون أي سبب ، تعرضت مراكز الجيش في كل من المصنع والسلطان يعقوب ومفرق مجدل عنجر وكفرمشكي لقصف الهاون ١٢٠ وقد ردت مدفعيتنا على مصادر النيران بالمثل . وحوالي الساعة ١٤ اجريت عدة اتصالات وعلى مستويات مختلفة وتم خلالها الاتفاق على وقف اطلاق النار. وقد تم ذلك فعلا عند الساعة ١٤،٤٥ وباشرت اللجان المشتركة عملها لتفادي تجدد مثل هذه الاشتباكات » . واوردت « المحرر » (٥/٦) وصفا لهذه العمليات فقالت أنها بدأت في الساعة الثامنة صباحا في منطقة راشيا الوادي . واشتد القصف المدفعي بين القلعة التي تتمركز فيها قوات من الجيش وثكنة الجيش ، ومرتفعات راشيا الوادي ، وضهر الاحمر وكفرقوق وبكيفا التي تتواجد فيها قوات من الفدائيين . وشمل القصف ايضا حاجزا للجيش عند مفرق ضهر الاحمر . وكانت قوات الجيش تطلق نارا كثيفة على مواقع الفدائيين الذين كانوا يردون على القصف المدفعي للجيش بقصف مدفعي وصاروخي مركز . أما في المصنع فقد جرى قصف مدفعي بين الطرفين عند الظهر وكان الفدائيون المتمركزون فوق مرتفعات بلدة الصويرة يردون على قصف الجيش لهم بواسطة المدافع من مجدل عنجر ، كما جرى تبادل اطلاق النار بصورة متقطعة بين قوات الجيش المتمركزة في خراج بلدتي غزة وعيتا الفخار ، وبين الفدائيين الذين كانوا متمركزين في مرتفعات عيتا الفخار وينطا ودير العشائر .

وقد خفت حدة التوترات في اليوم التالي (٥/٦) في العرقوب ، بينما ذكرت السلطة العسكرية ان « مسلحين » يقدر عددهم بنحو ١٥٠ « مسلحا » هاجموا مخفر الحدود الشمالية في الساعة الاولى صباحا واطلقوا عليه النيران والصواريخ واسروا احد عشر عنصرا من الجمرك والامن العام والدرك وقد اعيد المخطوفون بعد ظهر اليوم نفسه وسلموا الى قيادة منطقة الشمال . وقد ذكرت « النهار » ان هؤلاء « المسلحين » قدموا من سوريا ، وقد سبق الحادث رسالة وجهها النقيب الفدائي صلاح ابو زرد بواسطة كاهن شدرا الى قائد منطقة الشمال العسكري « يهدد فيها اذا استمر القصف في العرقوب بفتح النار في لبنان الشمالي كله » . كما ذكرت « النهار » انه في الساعة السادسة والدقيقة العاشرة من مساء هذا اليوم فيما كانت دورية من الجيش اللبناني تعبر الطريق العام غرب قرية حاريص في قضاء صور متجهة الى ياطر،

التقت بـ « مسلحين » يزيد عددهم على سبعة ، فانذرتهم بالوقوف فتمركزوا الى جانب الطريق وفتحوا النار عليها من أسلحة رشاشة اتوماتيكية فردت عليهم الدورية بالمثل فانسحبوا الى داخل الاحراج جنوب البلدة وقد استمر الاشتباك ربع ساعة . وجرت اتصالات لتطويق الحادث . كما ذكرت ان « مسلحين » اطلقوا في الحادية عشرة ليلا نيران رشاشات غزيرة على مراكز للجيش عند مستديرة الحايك في سن الفيل واستمر ذلك حتى منتصف الليل ثم خفت وطأة النار ، وجرت في هذه الاثناء اتصالات بين المسؤولين اللبنانيين وقيادة المقاومة . وذكر مصدر فلسطيني ان نيرانا اطلقت على مخيم تل الزعتر من مبنى مجاور وان فدائيا اصيب بجروح . وقد ارسل ضابط ارتباط الى مكان الحادث . وذكرت « فلسطين الثورة » انه كان هناك قناصون من الجيش في المدينة الرياضية وفي مناطق اخرى قرب السفارة الكويتية يقومون باعمال القنص كلما هدأت الاوضاع لتعود وتشتعل من جديد .

غير أن تلك الحوادث كانت محصورة وكانت جميع الدلائل توحي بأن انفراج الازمة بات وشيكا خاصة وان يوم ٥/٧ حتى الساعة العاشرة مساء قد امتاز بهدوء فاق ما سبقه من أيام منذ أن ابتدأت الازمة .

هذا ، وقد كانت **المساعي العربية** التي بذلت خلال هذه الايام الثلاثة (٥ ، ٦ ، ٧ أيار) كما يلي : بدأت المشاورات في الصباح الباكر يوم ٥/٥ عندما استقبل الرئيس فرنجية بحضور الدكتور الحافظ ووزير الخارجية خليل ابو حمد ، الامين العام للجامعة العربية السيد محمود رياض . وقد صرح رياض بعد المقابلة « بأن الجميع حريصون على سيادة لبنان ولا شك في أن لبنان حريص على المقاومة الفلسطينية والقضية الفلسطينية » وعندما سئل ان كان الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين السلطات اللبنانية والمقاومة اقتصر على وقف اطلاق النار اجاب « الاتفاق كما فهمت ادى الى وقف الاشتباكات ولكن المطلوب هو التوصل الى صيغة تحول دون حدوث ذلك في المستقبل » . وقد استقبل الرئيس فرنجية بعد ذلك المبعوث الشخصي لملك المغرب الذي توجه بعد المقابلة الى مقر الاخ ابو عمار واجتمع به وبعدد من قادة المقاومة . وعند الظهر استقبل الرئيس فرنجية مبعوث الرئيس المصري الدكتور حسن صبري الخولي والسيد عبد الحليم خدام ، وزير خارجية سوريا ، اللذين وصلا معا من دمشق . واثر المقابلة انتقل الخولي وخدام الى مقر الاخ ابو عمار وعرضا معه الوضع في حضور عدد من قادة المقاومة ، ثم انضم الى المجتمعين السيد صائب سلام والامين العام للجامعة العربية . وفي الساعة التاسعة مساء عاد الخولي يرافقه السفير المصري وخدام الى القصر واجتمعوا بالرئيس فرنجية بحضور الوزير ابو حمد ثم انضم اليهم الدكتور الحافظ . وكان الدكتور الحافظ قد اجتمع قبل ذلك بالسيد محمد يزيد ، سفير الجزائر في لبنان ، كما اجتمع بممثلي مجلس الامة الاتحادي . وعلى صعيد اخر تم اجتماع في فندق الكارلتون بعد ظهر هذا اليوم بين الدكتور الخولي والسيد السامرائي ، الممثل الشخصي للرئيس البكر ، وبين عبدالله اليافي ورشيد كرامي وكمال جنبلاط وقد حضر الاجتماع أيضا النائب عثمان الدنا وتوفيق سلطان وعزت حرب . وقد ادلى السامرائي عقب الاجتماع بتصريح قال فيه « نحن حلفاء استراتيجيون للمقاومة ومواقفنا معروفة ولسنا مستعدين للتفريط بها وبالقضية الفلسطينية ». وذكرت «المحرر» (٥/٦) ان الدكتور الخولي ابلغ المجتمعين ان مصر وسوريا تقفان موقفا واحدا من ضرب المقاومة . وقد اعقب هذا الاجتماع اجتماع اخر في منزل رشيد كرامي حضره المجتمعون أنفسهم باستثناء السامرائي كما انضم الى الاجتماع الدكتور الحافظ . وذكرت « المحرر » ان الخولي اعلن في الاجتماع انه وزميله وزير الخارجية السورية لا يعتبران أنفسهما في بيروت الان وسطاء محايدين بل هم فرقاء مع المقاومة الفلسطينية .

وقد حفل اليوم التالي بنشاط سياسي متواصل ، فقد عقد صباحا اجتماع موسع في السفارة المصرية حضره السادة الدكتور الخولي والوزير خدام وكمال جنبلاط والسفير المصري لطفي متولي ، وعن المقاومة ابو عمار وزهير محسن وابو أياد وابو ماهر . وانتقل الجميع بعد ذلك الى منزل الدكتور الحافظ حيث كان سبقهم اليه وزير الخارجية خليل ابو حمد والسيد محمود رياض . وذكرت « المحرر » ان الجو خلال الاجتماع كان غير طبيعي الى حد ما اذ لاحظ الجميع بشيء من الاستغراب عدم حضور قائد الجيش العماد اسكندر غانم ولم يخف وزير الخارجية السورية استياءه

كما ان الدكتور الخولي التزم الصمت طول الوقت تعبيرا عن انزعاجه . وعقد اجتماع اخر في المساء في القصر الجمهوري بحضور الرئيس فرنجية والدكتور الحافظ والوزيرين ابوحمد وخدام والدكتور الخولي والسفير المصري . وعند الساعة الثامنة مساء غادر الاجتماع السيدان الخولي وخدام والسفير المصري وتوجهوا الى منزل السيد زهير محسن حيث كان ينتظرهم ابو عمار وقادة المقاومة هناك . وقد أعلن ناطق فلسطيني أن هذا الاجتماع ضم السادة زهير محسن وعبد الحليم خدام وكمال جنبلاط وعبدالله اليافي ورشيد الصلح . وقد نكر فيما بعد ان السيد رشيد كرامي زار في منتصف الليل الاخ زهير محسن في بيته .

وقد استمرت هذه الاتصالات في اليوم التالي (٥/٧) وكان ابرزها اللقاء الذي تم ظهرا في السفارة المصرية وضم السيد صائب سلام والدكتور الخولي والوزير خدام والسفير المصري والاخوة ابو عمار وابو ماهر وزهير محسن وابو أياد . وكان هذا لقاء تمهيدا لاجتماع عقد في سرايا الحكومة استمر من الساعة الثانية بعد الظهر الى الرابعة والنصف . وقد حضره عن الجانب اللبناني الرئيس امين الحافظ والعماد غانم ، قائد الجيش ، ومعاون رئيس الاركان . ومن الجانب الفلسطيني السادة ياسر عرفات وزهير محسن وابو أياد وابو ماهر وابو الزعيم ، كما حضره الدكتور الخولي والوزير خدام . وفي هذا الاجتماع تم التوصل الى اتفاق اوردته نشرة « الثورة مستمرة » الصادرة عن الجبهة الشعبية (٥/٨) كما يلي : ١ — تشكيل لجنة مشتركة على مستوى وزاري تعقد اجتماعات دورية مع الوزراء المعنيين . ٢ — المخالفات التي تقوم بها المقاومة تحل عن طريق الكفاح المسلح الفلسطيني . ٣ — المخالفات مع الجيش تحل مع ضابط الارتباط . ٤ — عودة الفدائيين والجيش الى مراكزهم قبل بدء الاشتباكات . ٥ — تشكيل لجنة مؤقتة من جول بستاني وموسى كنعان عن الجيش وزهير محسن وابو الزعيم عن المقاومة لانهاء كافة المشاكل المعلقة (الحواجز ، مخيم ضبية ، القطاع العسكري) . ٦ — القضايا التي يختلف على نصوصها وتفسيرها تحال الى رئيس الوزراء ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . وقد أوردت « النهار » تصريحا للوزير خدام ادلى به اثر مغادرته بيروت الى دمشق بعد التوصل الى الاتفاق قال فيه « ان الاتفاق تم بين الجانبين على نقطتين اساسيتين هما : ١ — تشكيل لجنة من الجانبين مهمتها القيام بالعمل على ازالة آثار التأزم على ان تنهي مهمتها خلال ٣ ايام . ٢ — تشكيل لجنة على مستوى عال من الجانبين كانت الاشراف على تنفيذ بنود اتفاق القاهرة والبروتوكولات الملحقة به وتنمية علاقات الاخوة والثقة وتطويرها » . ومرة اخرى لم يمض ساعات على هذا الاتفاق حتى كانت بيروت تنفجر من جديد في صدامات أشد واعنف مما سبقتها .

ما الذي كان يدور في اثناء تلك المساعي وما هي الاهداف التي كانت السلطة تسعى الى تحقيقها ؟ من خلال التقارير الصحافية والاخبار التي كانت السلطة تحرص على تسريبها ومن تصريحات المقربين من السلطة نستطيع ان نستخلص ان اتفاق القاهرة (للعام ١٩٦٩) والذي ينظم العلاقة بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية كان مستهدفا بالالغاء من جانب السلطة . وقبل الحديث عن هذا الموضوع نجد من المناسب ابراز ردود الفعل المختلفة على ما ادلى به الرئيس فرنجية في جلسة مجلس الوزراء (٥/٣) عندما وصف الفلسطينيين في لبنان بأنهم «جيش احتلال» وذلك لارتباط هذا القول بموضوع هذه الفقرة . كان من أبرز ردود الفعل ما جاء في بيان أصدره المحامي عزت حرب ، رئيس جمعية متخرجي المقاصد ، (٥/٤) وقد جاء فيه « استمعنا بكثير من العجب والاستغراب الى مقاطع من الكلمة التي أدلى بها فخامة رئيس الجمهورية في مجلس الوزراء عن (الاقامة والضيافة الكريمة بالنسبة لاخواننا الفلسطينيين) وعن (التنسيق في خدمة القضية المشتركة وترحيبه بهذه الفكرة) ثم قوله (أما ان يكون في لبنان جيش احتلال فهذا ما لا يرضى به لبناني) . ان مثل هذا الكلام لا يمكن ان يمر بسهولة ودون رد حاسم ... اننا نسجل على رئيس الجمهورية ما قصده بتعبير (جيش الاحتلال) ونقول بصراحة انه يوجد جيش احتلال واحد في لبنان هو الجيش الاسرائيلي الذي يحتل مناطق وقرى كاملة في الجنوب كما يوجد جيش اخر ومن نوع اخر هو جيش العملاء والجواسيس التابعين للاستخبارات الاميركية والغربية والاسرائيلية والاردنية والذين كان وما يزال لهم دور في كل اعتداء على لبنان ، واجهزة الامن اللبنانية غافلة عنهم بصورة غير مقبولة اطلاقا » . وقد جاء في بيان اصدرته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية (٥/٥) حول هذا الموضوع ما يلي « ... نعجب من وصف الوجود الفلسطيني على ارض لبنان بأنه جيش احتلال ، ففي الوقت الذي نحرص فيه كل الحرص على سيادة لبنان فاننا نصر على أن يبقى الوجود الفلسطيني في لبنان بكل طاقاته متوجها لمهمته الاساسية والاعداد الكامل والعمل الدائب لتحرير الارض واستعادة الوطن السليب . اين يمارس الشعب الفلسطيني ذلك الاحتلال الموهوم ؟ هل تقيده باحكام اتفاقية القاهرة وتمسكه بحقه في الدفاع عن وجوده وكرامته داخل مخيماته يجعله جيش احتلال ؟ هل ذلك هو المساس بالسيادة اللبنانية ؟ وماذا يعني السماح للسفارة الاميركية ان تستقدم جنودا اميركيين تحت حجة حراستها وهي في ارض لبنانية ؟ كيف يكون التواجد الفلسطيني المسلح في المخيمات الفلسطينية دفاعا عن هذه المخيمات مساسا بالسيادة ولا يكون التواجد الاميركي المسلح بكل ما يحمله من تحرك متآمر على الجماهير اللبنانية وعلى الامة العربية ماسا بهذه السيادة ؟ » اما كمال جنبلاط الذي كان ادلى برأيه فيما ذكره الرئيس فرنجيه من « جيش الاحتلال » في اليوم نفسه الذي ظهر فيه هذا التصريح ، فقد عاد في (٥/٥) يؤكد وجهة نظره في هذا الموضوع . فقد ادلى بتصريح قال فيه « استغرب الرأي العام الوطني اللبناني العربي ما نسب الى بعض الشخصيات السياسية الكبيرة في الدولة من تصريحات كأنه يقصد منها التحريض العلني على الفلسطينيين وعلى الثورة الفلسطينية ... نرجو ان تكون هذه التصريحات المنسوبة الى شخص كبير في الدولة غير صحيحة وان يعمد الى تكذيبها ... يؤسفنا ويحز في نفوسنا ما ورد من تسمية وجود جزء من شعب فلسطين على ارض لبنان بجيش الاحتلال . ان في هذا التعبير مهانة للعرب جميعا في كل اقطارهم واحراجا للبنانيين امام العرب وتجريحا لا فائدة منه ولا يجوز ان يصدر في حق اخوة لنا وقع الاحتلال الصهيوني في فلسطين على ارضهم وطردوا من ديارهم وشردوا في الافاق العربية » . كذلك أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان بيانا (٥/٤) جاء فيه في هذا الصدد « لقد بدأنا نسمع حديثا غريبا عن « جيش احتلال » لا يقبل المسؤولون بوجوده . اننا نرفض رفضا قاطعا هذا المنطق الذي يعتبر الاخوة الفلسطينيين وطليعتهم حركة المقاومة « جيش احتلال » ، فالجماهير اللبنانية والفلسطينية تدرك جيدا انها تقف في خندق واحد وتقاتل ضد عدو واحد ، عدوها وعدو الشعوب العربية كلها . وكان الاجدر بالذين وقفوا يعلنون رفضهم لوجود « جيش احتلال » في لبنان ان يعلنوا هذا الرفض في وجه جيش الاحتلال الحقيقي الذي يستولي منذ سنوات على اراض لبنانية في الجنوب باتت تخضع لسيطرته كليا ، والذي غزا بيروت قبل اقل من شهر دون ان يلقى مقاومة او حتى محاولة ردع » .

في هذا الجو سعت السلطة جادة الى تحقيق أهدافها من طريق السياسة بعد أن مهدت لذلك عن طريق فرض الصدام على حركة المقاومة . ونستطيع ان نتلمس محاور السلطة في هذا المسعى كما يلي : منذ توقف الاشتباكات الاولى بدأت السلطة تشيع انها في صدد البحث عن عقد اتفاق جديد مع المقاومة يلغي اتفاق القاهرة . وقد ذكرت « المحرر » (٥/٥) ان اشاعات واسعة انتشرت يوم امس (٥/٤) حول الوصول الى اتفاق جديد بين المقاومة الفلسطينية والسلطات اللبنانية يحدد اسس العمل الجديدة بين الطرفين على اساس الغاء اتفاق القاهرة وفهم ان السلطة هي مصدر هذه الشائعات ، وذلك لانها تخدم الاتجاه الذي تسير فيه . وقد وجد العميد ريمون اده فرصته في ذلك ليجدد مطالبته بالغاء اتفاق القاهرة . ففي تصريح ادلى به يوم ٥/٥ (نشرته « النهار » ٥/٦) قال « اكرر الان انه حان الوقت لالغاء اتفاق القاهرة وابداله باتفاق سري يعقد بين السلطات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ولا يعلن عنه اي شيء بل يبقى سريا بكل معنى الكلمة ، شرط ألا يمس سيادة لبنان » . وقد اخذت « النهار » زمام الدعوة الاعلامية لهذا الاتجاه ففي عددها الصادر يوم (٥/٧) كان العنوان الرئيسي فيها « بدأ الحوار الايجابي حول اتفاق القاهرة » . وكتبت عن هذا الاتفاق مقالا رئيسيا قالت فيه « من حيث هو نص اعتبر الوسطاء العرب الذين درسوا اتفاق القاهرة ان الظروف قد تخطته لانه كان جزءا من خطة عربية شاملة في حرب الاستنزاف ... اما اليوم فلم يعد على الحدود شيء ، والخلاف ليس حول العمليات الفلسطينية على الحدود انما حول الامتيازات الممنوحة للفلسطينيين داخل المدن وفي المخيمات » . واشارت « النهار » الى رغبة الرئيس فرنجيه في تعديل اتفاق القاهرة وبأنها «لا يجوز ان تؤخذ على محمل التحدي

بل انها وليدة حرصه على استئصال اسباب كل ازمة مماثلة في المستقبل » .

هذا المحور ، المتجه نحو الغاء اتفاق القاهرة ، كان يصب فيه روافد فرعية تسعى الى تعزيزه وتصعيده : منها الحديث عن **السيادة اللبنانية** ، فقد أوردت « النهار » (٥/٥) ان الرئيس فرنجية في احاديثه مع الوسطاء العرب شدد على « انه اقسم اليمين الدستورية على المحافظة على سيادة لبنان وهو ملتزم بقسمه التزاما تاما وكليا ولا يقبل ان تكون هناك دولة ضمن الدولة وان يكون هناك مسلحون في المدن او ضواحيها يسرحون ويمرحون ويروعون الناس ويخطفون ويحجزون الحريات ويتصرفون كأنهم سلطة فوق السلطة الرسمية » . وفي تصريح ادلى به بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، (نشرته « العمل » ٦/٥) اكد هذا المعنى « أنا أتساءل اي بلد في العالم يقبل ان يتواجد على ارضه جيش احتلال رغم ارادته ، واي بلد يقبل ان يتنازل عن سيادته وعن مسؤولياته لاشخاص وفئات مبهمة » . اما ريمون اده (في تصريح نشرته « النهار » ٧/٥) فقد قال « ان نصوص اتفاق القاهرة ضد سيادة لبنان » . وقد اظهرت « النهار » (٧/٥) ان ثمة تناقضا بين سيادة لبنان وحرية العمل الفدائي « حتى ان الوسطاء العرب ليسوا متفقين في الرأي حول هذه الصيغة فالبعض يرى ان تعطى المقاومة مزيدا من الحرية ولا تفرض عليها القيود باسم المطالبة باحترام السيادة ، بينما البعض الاخر يرى ان لا تخرج المقاومة بنشاطها على سيادة لبنان وان تعمل من ضمن هذه السيادة. ولا يقتصر تباين الاراء على الوسطاء العرب بل ان هذا التباين موجود بين اعضاء الحكومة انفسهم . فالرئيس امين الحافظ ومعه الوزير علي الخليل تساندهما الاحزاب اليسارية التي تضغط وتصعد موقعها الان من اجل الوصول الى الصيغة التي تؤمن مصلحة المقاومة وتضمن لها حرية التحرك والنشاط ، بينما يريد وزراء آخرون ان يتم وضع الصيغة الجديدة في نطاق احترام سيادة لبنان واعتبار ان لا سلطة غير سلطة الدولة اللبنانية » . ومن الروافد الاخرى التي صبت في مجرى الاتجاه نحو الغاء اتفاق القاهرة ، مقارنة معاملة الفلسطينيين في لبنان بمعاملتهم في الدول العربية الاخرى و« الامتيازات » التي يتمتع بها الفلسطينيون في لبنان . فالرئيس فرنجية (كما ذكرت « النهار » ٥/٥) ذكر امام الوسطاء العرب « اننا سنعامل اخواننا الفلسطينيين كما تعاملهم الدول العربية ، ولتقل لنا الدول العربية كيف تعاملهم ونحن مستعدون لتطبيق ذلك بكل دقة . ان الانظمة المرعية والقوانين التي تنفذ وتطبق على المواطن اللبناني ستنفذ كذلك وتطبق على الاخوان الفلسطينيين ... ولا يجوز أن يكون المواطن اللبناني خاضعا للقوانين بينما الفلسطيني فوق القانون او ان يكون مواطنا ممتازا واللبناني مواطنا من الدرجة الثانية » . و« الامتيازات » التي اشار اليها الرئيس فرنجية لا تتعلق بحق المواطنة في الدولة وانما بوجود السلاح بأيدي الفلسطينيين، فهو يتساءل «ما الفائدة من وجود مسلحين في العاصمة والمدن ؟ » . وينتقل الرئيس فرنجية الى محور آخر يدعم وجهة نظره بالغاء اتفاق القاهرة هو رأيه في المخيمات الفلسطينية فهو يقول « ان الدولة لم يعد لها اي سلطة او رقابة على المخيمات » . ويزعم ان المخيمات « اصبحت مأوى للمجرمين ومخالفي القانون والفارين من وجه العدالة من غير الفلسطينيين » .

على الجانب الاخر كانت وجهة النظر الفلسطينية واضحة وحاسمة في جميع هذه القضايا التي طرحت . فعن اتفاق القاهرة كتب المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينية « وفا » (٦/٥) : «بعض الصحف ووكالات الانباء تتساءل عن اتفاق القاهرة، بعضها يتذاكى اكثر ، يحاول ان يقول سمعنا عن اتفاقية جديدة ، فلان اتفق مع فلان على اتفاق جديد . نقول كل هذا الكلام لا اساس له من الصحة . اتفاقية القاهرة هي ملك للفلسطينيين واللبنانيين ، واتفاقية القاهرة هي الاساس والحكم . ولا نقاش في اتفاقية القاهرة مهما كانت الظروف ، لا كلا ولا جزءا ولا من قريب أو بعيد . ثم هل نتكلم بصراحة اكثر . اننا نطالب بتنفيذ اتفاقية القاهرة . وقد لا يكون الوقت مناسبا للدخول في التفاصيل » . وقد اوضح بيان للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (٥/٥) كثيرا من الامور التي كانت تقال فقد جاء فيه « لم تكن حركة المقاومة الفلسطينية تتوقع ان تصل الامور في لبنان الى ما وصلت اليه في الايام الثلاثة الماضية حيث تعرض المواطنون الفلسطينيون واللبنانيون في المخيمات والاماكن التي تحيط بها الى القصف بمختلف انواع الاسلحة الخفيفة والثقيلة . كما لم نكن نتوقع ان تقصف الطائرات الاماكن السكنية الامنة وان تشن على اللبنانيين والفلسطينيين وعلى

حركة المقاومة بشكل خــاص حملة ظالمة تتهمهــم بالتعرض للجيش مرة ، ومرة اخرى بخرق الاتفاقيات المعقودة ، ومرة ثالثة بعدم احترام سيادة لبنان . وان حوالي نصف مليون فلسطيني يقيمون في هذا البلد منذ ربــع قرن ويقدرون أوضاعه وظروفــه ويشكلون عاملا اساسيا من عوامل بنائه الاقتصادي وازدهاره ويحترمون سيادته الوطنية يعتبرون ان امن واستقرار لبنان يساعدانهم علــى التوجــه لمهتهم الاساسية وهي العمل من أجل تحــرير وطنهم المحتل ... لكننا لاحظنا وبكل اسف منذ فترة من الزمن ان هنالك محاولات مستمرة للحد من قدرة حركة المقاومة على التحــرك وشل فاعليتها وتعطيل الاتفاقيات المنظمة للعلاقة بين السلطــة اللبنانية والمقاومة » وعدد البيان بعض هذه الامور وانتقد وصف الفلسطينيــين بأنهم جيش احتــلال واضاف « واكبر دليل على حرصنا على السيادة اللبنانية والتزامنا بالاتفاقات المعقودة اننا لم نقم باخراج معتقلينا الذين يعدون بالمئات مــن سجن الرمل الواقع في نفس المنطقة وكان باستطاعتنا لو أردنا ذلك . ولو كانت لدينا اي نوايا للمساس ببنود الاتفاقات لنقلنا ساحة الصدام الــى كافة الاماكن ... وعلى العموم فان انضباطية حــركة المقاومة وحسن تقديرهــا لوضع لبنان وسيادته واستقلاله جعلهــا تتصرف بكــل حكمة واتزان ومسؤولية خلال الايام الثلاثة الماضية رغم كــل المآسي التي تعرضت لها » . وخلص البيان الى تبيان المطاليب التالية : « ١ — التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقات المعقودة بينهما . ٢ — اعادة تشكيل اللجان المشتركة التي تضمن سير العمل وتحرص على تطبيق الاتفاقات . ٣ — اطلاق سراح المقاتلين المعتقلين في السجون لمواصلة تأديتهم لواجبهــم الوطني واعادة السلاح المصادر . ٤ — معالجة كافة القضايا بروح الاخوة وسعة الصدر وبالوسائل الودية المشروعة » .

اما موقف القوى التقدمية والهيئات الوطنية في هذه الفترة التي سادت فيها المفاوضات فقد تبلورت اكثر . فعلى صعيد **الاحزاب التقدمية** ، قام الاستاذ كمال جنبلاط بعد ظهر (٥/٤) بزيارة الاخ ابو عمار في مقره على رأس وفد يمثل الاحزاب والقــوى التقدمية ضم السادة فريد جبران ، محسن ابراهيم ، جورج حاوي ، عباس خلف ، نديم عبد الصمد ، توفيق سلطان ، بشارة مرهج وداوود حامد . وابلغ الوفد ابو عمار ان الاحزاب والقوى التقدمية قد اجتمعت وأصدرت بيانا عــن موقفها وانها تؤيد المقاومة تأييدا تاما وتدعمها بكل ما يطلب منها. ومما جاء في هذا البيان ما يلي : « كان الصمود الرائع الذي اظهرته جماهير الشعب الفلسطيني واللبناني على السواء ضد المجزرة البربرية ، الصخرة التي تحطم عليها مخطط تصفية المقاومة الفلسطينيــة والحركة الوطنية . كما لعبت دورها في ردع الحكم اللبناني عن المضي في سياسته المتعنتة ، مواقف المساندة العربية التي اثبتت ان المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ليستا وحدهما في الميدان » « لقد كان واضحا منذ البداية ان لا سبيل لوقف اراقة الدماء الا بانسحاب قوات السلطة الى ثكناتها ، ولكن بعض اطراف السلطة ظلت لاكثر من ٤٨ ساعة تتعنت وتكابر وتصعد الموقف ... حتى اسقط في يدها اخيرا ، وجاء فشلها السياسي وخاصة فشل محاولات اثارة الفتنة الطائفيــة ، بالاضافة الى فشلها العسكري ليفرض عليها التراجع عن سياسة القتل والمجازر والموافقة على ايقاف اطلاق النار وعودة قواتها الى حيث كانت قبل الهجوم الاخير ». وحدد البيان ستة مطالب دعا الجماهير الشعبية الى تحقيقها « ١ — التطبيق الكامل لاتفاق وقف اطلاق النار الاخير ولما نص عليه من عودة جميع القوات الى مواقعها السابقة . ٢ — الافراج السريع عن المعتقلين وعن السلاح المحتجز . ٣ — تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين السلطة والمقاومة وكافة الملاحق الناتجة عنها والمرتبطة بها . ٤ — محاسبة ومحاكمة المسؤولين عــن تنفيذ المجزرة . ٥ — التعويض عن ذوي الشهداء وعن الاضرار المادية . ٦ — تحديد الطرف اللبناني المسؤول عن العلاقة مع المقاومة الفلسطينية في اطار المسؤولية الكاملة لرئيس الحكومة والوزراء المختصين » . كما عقدت هذه الاحزاب اجتماعا آخر يوم (٥/٥) اكدت فيه المطالب الستة التي ذكرتها في بيانها السابق واتخذت سلسلة مقررات من بينها : « ١ — عقد مؤتمر صحافي الساعة الثانية عشرة ظهر الاثنين ٧ أيار يعرض فيه الاستاذ كمــال جنبلاط مواقف الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية مــن المجازر التي ارتكبتها السلطة وما تزال ، والمطالب التي سوف تناضل بكل مــا في حوزتها من وسائــل وامكانيات من اجل تحقيقها . ٢ — دعم المؤتمر الوطني الشعبي الذي سوف ينعقد في جمعيــة متخرجي المقاصد في بيروت نهار الثلاثاء ٨ أيــار والمشاركة فيه بكل الامكانيات . ٣ — تنظيم مهرجان

شعبي واسع في الملعب البلدي في بيروت الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الاربعاء ٩ ايار . ٤ — اطلاق سلسلة من التحركات الشعبية في مختلف المناطق اللبنانية تعبيرا من ارادة الشعب اللبناني في حماية المقاومة الفلسطينية وتكريس حقوقها وحرياتها الوطنية وتعبيرا عن الصمود الوطني الشعبي في وجه العدو الاسرائيلي وسلطة التخاذل والقمع . ٥ — تنظيم سلسلة وفود وطنية لبنانية تزور عددا من البلدان العربية لوضع القوى والهيئات الشعبية فيها امام حقائق الوضع السياسي اللبناني الخطير الناتج عن مضي السلطة في مخططها التصفوي » .

واصدرت **جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية** (٥/٤) بيانا ردت فيه على الرئيس فرنجية بالنسبة لوصفه الفلسطينيين بأنهم جيش احتلال . وقد اوردنا سابقا فقرة بيان الجمعية المتعلقة بهذا الموضوع ، وبالاضافة اليها فقد ذكر البيان ما يلي : « اننا نسجل على رئيس الجمهورية استئثاره بالسلطة... اننا نسجل على رئيس الجمهورية انه لاول مرة تضرب الاحياء الغربية الآهلة بالسكان المسلمين في مدينة بيروت بالمدافع وقنابل الدبابات . اننا نسجل على رئيس الجمهورية انه أمر الجيش لاول مرة بضرب المخيمات بالمدافع واحتلال بعضها وسمح للطيران اللبناني بالظهور في اجواء لبنان لضرب سكان المخيمات . اننا نسجل على رئيس الجمهورية ان الجيش واصل الصدام بصورة غير طبيعية وتصرف بعنف غير مفهوم اطلاقا رغم التوصل ليل الاربعاء الى صيغة تنهي التصادم . انه لا بد من وقفة حكيمة امام معضلة الحكم في لبنان وامام الواجب المقدس ودورنا التاريخي مع المقاومة الفلسطينية من اجل القضية المشتركة » .

وفي ٥/٤ دعا **المجلس الاسلامي** في لبنان الى اجتماع عقد في مستشفى الدكتور محمد خالد حضره السادة رشيد كرامي وصائب سلام وعثمان الدنا وجميل كبي وزكي مزبودي ومحمد يوسف بيضون ورئيس حزب النجادة ورئيس حزب الهيئة الوطنية ورئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية ورئيس جمعية متخرجي جامعة بيروت العربية ورئيس جمعية متخرجي المقاصد ، واصدر المجلس بيانا أعلن فيه « ١ — استنكار ما حدث وتحميل الحكومة المسؤولية . ٢ — الاستمرار في مراقبة الاحداث والمساهمة في اعادة الامور الى نطاقها الطبيعي ضمن اطار الديموقراطية الصحيحة بما يحفظ للمقاومة الفلسطينية فعاليتها ويضمن استقرار الوضع في البلاد » . وقد عقد المجلس اجتماعا آخر في (٥/٦) اعلن في نهايته انه « يحذر من الانزلاق في ضرب المقاومة الفلسطينية معتبرا المجزرة التي وقعت خسارة وطنية لبنانية وعربية وهي من اهداف العدو » .

وقد عقد ممثلو الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية والهيئات النقابية والطالبية في صيدا مؤتمرا شعبيا (٥/٤) تأييدا للمقاومة . وتقرر في هذا المؤتمر « دعم الثورة الفلسطينية لحمايتها من محاولات التصفية الجارية في بعض المناطق اللبنانية حتى ولو اضطررنا الى حمل السلاح بجانب الثورة » . ثم انطلقت تظاهرة طافت شوارع صيدا القديمة هاتفة بشعارات التأييد للمقاومة واستنكار محاولات التصفية التي تقوم بها السلطة .

كما أصدرت **الاحزاب والقوى التقدمية في الشمال** بيانا (٥/٤) شجبت فيه المجازر التي نفذتها السلطة ضد المقاومة ، وطالب البيان بتنفيذ المطالب الستة التي جاءت في بيان القوى التقدمية في بيروت واختتم بالقول « الاحزاب والقوى التقدمية على تمام الاهبة ، متضامنة متلاحمة مع المقاومة ، لمنع المتآمرين من اللعب بالنار مجددا واستئناف مجازر الابادة ضد المقاومة والجماهير الفلسطينية » .

وعقدت **الاتحادات الطلابية** في لبنان اجتماعا (٥/٦) في مقر اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية وقررت « الاعراب عن التضامن المطلق مع حركة المقاومة الفلسطينية ، وقد قام وفد من الاتحادات بزيارة مقر قيادة المقاومة لهذا الغرض . والدعوة لمؤتمر صحافي صباح اليوم التالي تعرض فيها الاتحادات والروابط موقفها من الاحداث وبرنامجها لهذا الاسبوع مشاركة منها في كل الخطوات الوطنية » . وقد حضر الاجتماع ممثلون من اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية ، مجلس الطلبة في الجامعة الاميركية ، اللجنة التحضيرية لاتحاد الثانويين ، الاتحاد العام لطلبة الاردن — فرع لبنان ، الاتحاد العام لطلبة فلسطين — فرع لبنان .

في هذه الفترة بدأ الحديث عن ما سمي بـ « فريق ثالث » او « طابور خامس » يقوم بتأزيم الوضع بين الجانبين . وقد ذكرت « المحرر » (٥/٥) انها علمت من مصادر موثوقة ان هذا الحديث لم يكن كلاما مجردا بل حقيقة تأكدت في اكثر من موقع ومكان

وفي مناطق مختلفة من بيروت واضافت ان هذا « الفريق الثالث » هو عبارة عن مزيج من رجال المخابرات الاميركية والاردنية والاسرائيلية المتواجدين في بيروت منذ مدة طويلة ، وقد تبين ان هؤلاء لعبوا خلال الاشتباكات دورا خطيرا عن طريق استخدام بعض البنايات المتواجدين فيها والشقق التي يستأجرونها في بيروت لاطلاق بعض العيارات النارية باتجاه الفدائيين وقوات الجيش خاصة خلال اتفاقات وقف اطلاق النار ، كما قام بعضهم باطلاق الرصاص من سيارات كانوا يستقلونها . وقالت ان قوات المقاومة اعتقلت خلال الايام الثلاثة الماضية عدة اشخاص تبين بعد التحقيق معهم انهم ينتمون للمخابرات الاردنية وانهم قاموا باطلاق النار خلال الاشتباكات الاخيرة . كما اعلنت مصادر التنظيم الناصري (النهار ٥/٥) ان التنظيم قبض على عنصرين ينتسبان الى المخابرات الاردنية في احدى بنايات منطقة الحرج وانه اتضح بنتيجة التحقيق اشتراكهما في محاولة الاغتيال التي تعرض لها السيد كمال شاتيلا ، امين التنظيم الناصري ، والنائب نجاح واكيم في اليوم الاول من الاشتباكات، وذكرت « المحرر » (٥/٧) ان دورية من رجال المقاومة الفلسطينية تعرضت في الليلة السابقة الى نيران مسلحين كانوا في احدى الابنية في محلة الدكوانة وقد اصابت نيرانهم احد العناصر الفدائية بجراح . وقد بادر المسؤولون في المقاومة الاتصال فورا بقيادة الجيش فأجابتهم القيادة ان نيران هؤلاء المسلحين تطلق على الفدائيين وعلى عناصر الجيش في وقت واحد . هذا وقد علقت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) (٥/٤) على وجود هذا « الفريق الثالث » فقالت « انه من السذاجة ان نقتصر على القول بأن هناك طرفا ثالثا كان يسعى الى تصعيد الامور وتأزيمها . صحيح ان هذا الطرف موجود ، وصحيح انه عمل على استغلال كل ما جرى . ولكن السؤال قبل ذلك يتعلق بالقرار الذي اتخذ لقصف الشعب الفلسطيني وبعد ذلك بما رافق تنفيذه من هجوم وقصف رهيب وصل الى حد القصف بصواريخ الطائرات » .

المرحلة الثالثة — تجدد الاشتباكات : مساء ٥/٧ وبعد ساعات قليلة على اعلان اتفاق وقف اطلاق النار وتشكيل اللجان المشتركة اشتعلت بيروت مرة اخرى حيث شمل القصف المدفعي الذي ابتدأ في نحو الساعة العاشرة ليلا مخيمات تل الزعتر وشاتيلا وبرج البراجنة وبير حسن ومنطقتي الفاكهاني وابو شاكر . وقد اعلن مجلس الوزراء في الساعة الحادية عشرة ليلا حالة الطوارىء وجددت السلطة العسكرية العمل بنظام منع التجول . وكان من الواضح ان ساحة الاشتباكات والقصف قد امتدت لتشمل معظم بيروت فقد ذكرت « النهار » انه القيت قنبلة يدوية امام فندق فينيسيا فأحدثت اضرارا مادية واطلقت طلقات نارية من اسلحة مختلفة ومدافع وصواريخ في الاحياء الغربية واصيبت منازل الضباط في بئر حسن بقذائف صاروخية كما ذكرت انه حدث قصف شديد ومركز بالهاون والصواريخ على المراكز العسكرية في بئر حسن وعلى مطار بيروت الدولي ونادي مدرسة القتال كذلك اشتبك رجال الدرك في المطار مع القناصة . وكان واضحا ان السلطة ، او جانبا من السلطة ، قد ابتدأت القصف لانه استهدف في البداية مخيمات الفلسطينيين ففي الساعة العاشرة مساء اي في الموعد نفسه الذي ذكرت السلطة العسكرية في بلاغ لاحق ان النار فتحت على مراكز الجيش تعرض مخيم برج البراجنة لقصف كثيف من النار استهدف وسط المخيم نفسه ، ولم تمض ساعة على بدء القصف حتى كانت حالة الطوارىء قد اعلنت في البلاد . وقد ذكرت « النهار » (٥/٨) انه لدى بدء الاشتباكات « روى اكثر من وزير ان الصواريخ كانت تنطلق في كل الاتجاهات وخاصة جهات المطار ، وثمة من اكد ان اطلاقها جاء بينما كان في الاجواء قنابل مضيئة ، وثمة من قال انه شاهد تحركات بحرية . وقد تلقى احد الوزراء مخابرات هاتفية من اشخاص شاهدوا قطعا بحرية تعطي اشارات » . وقد اذاع راديو دمشق في اليوم التالي (٥/٨) تصريحا لمصدر رسمي ذكر فيه انه لم تكن قد مضت غير ساعات على التوصل الى اتفاق بين الجانبين حتى شاهد السفير التركي في بيروت اشارات من البحر قابلتها اشارات من البر تلاها اطلاق النار بمختلف صنوف الاسلحة . وقد ابلغ السفير التركي هذه المعلومات الى وزير الخارجية اللبناني . هذا وذكرت السلطة العسكرية ان خسائر الجيش في تلك الليلة بلغت ثلاثة جرحى وتعطيل ملالة ومصفحة .

وطوال الليل لم يتوقف اطلاق النار الذي اشتد في ساعات الصباح الباكر ليوم ٥/٨ . وكان واضحا ان المقاومة تخوض معركة الدفاع عن وجودها الذي بات يتهدده الخطر . فقد كثفت المقاومة رمايتها لاسكات اطلاق النار عليها وقد ذكرت « النهار »

(٥/٩) انه منذ الرابعة والنصف من صباح ٥/٨ تزايد اطلاق الرصاص والصواريخ من مخيمات شاتيلا وصبرا وبئر حسن وبرج البراجنة وتل الزعتر وجسر الباشا في اتجاه قوات الجيش المتمركزة على المستديرات الرئيسية والاماكن العامة . وقد استعملت في المعركة المدفعية والهاون والرشاشات الخفيفة والثقيلة . وقد تدخل الطيران اللبناني في هذه المعارك . كذلك دارت معركة عنيفة منذ الساعة السادسة مساء قرب المدينة الرياضية استمرت ثلاث ساعات بلا انقطاع ، كذلك تجدد تبادل اطلاق النار بشدة في الساعة السادسة في مخيم تل الزعتر وقد استمر القصف المدفعي وتبادل اطلاق النار حتى الثامنة مساء . وقد ذكرت نشرة « الثورة مستمرة » انه وقعت تفجيرات في كافة انحاء بيروت كان معظمها في بعض مؤسسات السلطة . اما في منطقة برج البراجنة فقد ركزت قوات الجيش قصفها على المخيم منذ الساعة السادسة مساء وقد تخلل ذلك طلعات للطيران اللبناني ضرب خلالها المخيم . كذلك قامت الطائرات بقصف مخيمشاتيلا منذ الساعة السادسة والنصف. وقد اعترفت السلطة العسكرية بهذا القصف الجوي في بلاغ اصدرته في الساعة الثامنة مساء .

وفي الساعة السابعة والنصف مساء اذاع راديو بيروت ما يلي « استقبل رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ، في حضور وزير الخارجية والمغتربين السيد خليل ابو حمد ، سفراء الدول العربية الشقيقة المعتمدين في لبنان واستعرض معهم الوضع الراهن . وبعد التداول طلب الرئيس من قيادة الجيش ان توقف فورا القصف الجوي على ان يتوقف كل تبادل في اطلاق النار في تمام الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم الثلاثاء الثامن من شهر ايار ، وذلك للافساح في المجال للجان المشتركة لتباشر اعمالها بين الثامنة والتاسعة والنصف لتأمين وقف تبادل اطلاق النار بصورة نهائية . وقد قام السفراء العرب بتبليغ هذا القرار الى رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية » . واذيع في التاسعة والدقيقة ٤٠ ما يلي « بناء على ما تقدم تم الاتفاق بين ممثلي قيادة الجيش وممثلي منظمة التحرير الفلسطينية على استمرار وقف اطلاق النار في جميع المناطق اللبنانية » . وصدر عن السلطة العسكرية انه « تنفيذا لقرار وقف تبادل اطلاق النار الذي تم الاتفاق عليه ابتداء من الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم ، اجتمعت اللجنة العسكرية المشتركة اللبنانية — الفلسطينية في الساعة التاسعة والدقيقة ٢٠ من مساء هذا اليوم في بيروت لمباشرة مهمتها في تقرير ايقاف تبادل اطلاق النار » . وقد انتهى اجتماع اللجنة المشتركة في الساعة الاولى والنصف من صباح اليوم التالي (٥/٩) وقد انعقد الاجتماع في السفارة المصرية. وقد ذكرت « النهار » عن الاجتماع الذي عقده السفراء العرب في القصر الجمهوري مع الرئيس فرنجية ان « ما جعل الجانب اللبناني يستعجل الاجتماع ويعطيه هذا المقدار من الاهمية ، الانباء التي وردت من كل الجهات عن تحركات عسكرية سورية وما بثته اذاعة دمشق ، وما كان يرد من اخبار بعض العواصم العربية ومواقفها المتحفظة تجاه السلطة في لبنان » .

وعلى الرغم من التوصل الى وقف اطلاق النار في الثامنة مساء فقد حدثت اشتباكات في مناطق مختلفة في لبنان . فقد صرح الناطق الفلسطيني عن عدد من العمليات قامت بها السلطة بعد اعلان وقف اطلاق النار كما يلي : « اولا في الساعة ٨،٤٠ من مساء ٥/٨ قصفت قوات السلطة منطقة القاسمية والرشيدية والبرج الشمالي بالمدفعية الثقيلة بشكل كثيف وقد تركزالقصف المدفعي على مخيم الرشيدية. ثانيا — في الساعة ٩،١٠ مساء قامت قوات السلطة بقصف منطقة البص بالمدفعية الثقيلة . ثالثا — في الساعة ١٠ مساء وجهت قوات السلطة نيران رشاشاتها الثقيلة باتجاه مخيم تل الزعتر . رابعا — في الساعة ١٠،٢٠ مساء بدأت قوات السلطة بقصف قواعدنا في راشيا الوادي وعيتا الفخار مستخدمة مختلف انواع الاسلحة الثقيلة ثم حاول رتل من الدبابات التقدم باتجاه مواقعنا الا ان قواتنا تمكنت من صد الهجوم . خامسا — في الساعة الثالثة من فجر اليوم (٥/٩) قامت السلطة بهجماتها ضد قواعدنا في الجنوب فاستخدمت مدفعية الهاوتزر في قصف معظم انحاء الجنوب . سادسا — في الساعة الرابعة من صباح اليوم (٥/٩) قام الجيش بقصف قواعدنا في عيتا وكفرتوق بالمدفعية الثقيلة وشمل القصف مشارف بكا . سابعا — في الساعة السابعة صباحا (٥/٩) فتح الجيش نيران رشاشاته ومدفعيته باتجاه مخيم تل الزعتر واستمرت الرماية المتقطعة على تل الزعتر حتى بعد ظهر اليوم ورغم وجود اللجنة المشتركة في المنطقة. ثامنا — اشترك سلاح الجو اللبناني في مهاجمة قواعدنا في جنوب لبنان فشن في الصباح عدة غارات

على هذه القواعد . تاسعا — انتشر عدد من القناصة في مناطق متعددة من بيروت وراحوا يطلقون النار على المخيمات ومناطق تواجدنا وادى ذلك الى وقوع عدد من الاصابات » . هذا وذكرت الصحافة اللبنانية ان خسائر يوم (٥/٨) كانت ٨ قتلى من العسكريين و٥ من المدنيين وجرح ٢٦ من الفريقين .

كانت ابرز الاحداث السياسية التي حدثت يوم ٥/٨ ان سوريا اعلنت اغلاق حدودها مع لبنان ، وان الدكتور امين الحافظ قدم استقالة حكومته الى الرئيس فرنجية ، كذلك ذكرت وكالة « انباء الشرق الاوسط » ان الرئيس انور السادات أصدر تعليمات الى الدكتور حسن صبري الخولي بمغادرة بيروت الى دمشق فورا . كذلك ذكرت الوكالة ان وزير الحربية المصري الفريق اول احمد اسماعيل سافر الى دمشق صباحا وعاد الى القاهرة بعد الظهر وان زيارته الخاطفة هذه « تتعلق بالاحداث الجارية حاليا في المنطقة » . وعلى صعيد الحركة الوطنية اللبنانية ذكرت نشرة « الثورة الفلسطينية » التي تصدر عن الاعلام الفلسطيني الموحد (٥/٩) ان المؤتمر الوطني الذي عقد بعد ظهر ٥/٨ في نادي خريجي المقاصد في بيروت اتخذ قرارا تاريخيا بنزول الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والهيئات الى الشارع وحمل السلاح لاحباط المؤامرة التصفوية جنبا الى جنب مع قوات المقاومة الفلسطينية . وقد صدر عن المؤتمر بيان جاء فيه « ان المجتمعين يؤكدون ان المعركة ليست معركة المقاومة الفلسطينية وحدها وانما هي بالدرجة الاولى معركة الشعب اللبناني بأسره ضد الطغيان والمخططات الاجنبية الرامية الى تصفية الحركة الوطنية بالاضافة الى حركة المقاومة وهم يدعون الجماهير الوطنية اللبنانية لتحمل مسؤوليتها في هذا الظرف الخطير والتصدي بكل الوسائل جنبا الى جنب مع المقاومة الفلسطينية لاحباط مخطط السلطة والعودة الى احترام اتفاق ٥/٧ بسحب الجيش الى ثكناته فورا وانهاء حالة الطوارىء ومعاقبة المسؤولين عن المجزرة الرهيبة وتحقيق سائر مطالب الحركة الشعبية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية . ان المجتمعين يحذرون رجال السياسة اللبنانيين من قبول تولي الحكم في هذا الظرف وبعد استقالة الحكومة الا على اساس تحقيق هذه المطالب » .

في يوم ٥/٩ وقعت عدة اشتباكات متفرقة في بيروت وعدد من المناطق اللبنانية . فبالاضافة الى بيان الناطق العسكري الفلسطيني الذي ورد سابقا عن احداث يومي ٨ و٥/٩ ، ذكرت « المحرر » انه وقعت في ٥/٩ اشتباكات عنيفة في منطقة بئر حسن وبرج البراجنة استمرت اكثر من ساعتين . وفي البقاع شملت الاشتباكات حام ، معربون ، وادي سباط (قضاء بعلبك) وخلال ذلك اطلقت عدة صواريخ على مطار رياق العسكري . كما حدثت اشتباكات في منطقة المصنع ومنطقة راشيا وشملت مرتفعات بلدة الصويرة (البقاع الغربي) والمنارة ومرتفعات عيتا الفخار ومدوخا وعين عرب وخربة روحا والضهر الاحمر وينطا ودير العشائر وراشيا وكانت طائرتا ميراج قد قصفتا المرتفعات التي كان الفدائيون يحتلونها وذلك ما بين الساعة الثانية وحتى الخامسة من بعد الظهر . وفي الجنوب سمعت أصوات طلقات مدافع رشاشة في منطقة العرقوب في الساعة الثانية والنصف صباحا . وفي الساعة السابعة والنصف صباحا حلقت طائرتا هليكوبتر لبنانيتان فوق مخيم النبطية ، فاطلق عليهما الفدائيون النار لمدة نصف ساعة . وكان من اخطر التطورات التي حدثت في هذا اليوم والليلة التي سبقته نقل جو المعارك الى بعض المؤسسات الاقتصادية والى مناطق جديدة في بيروت لم تتعرض سابقا لهذا الجو . فقد ذكرت « النهار » انه وضعت متفجرات في منطقة الشياح على مداخل فروع ثلاثة مصارف هي بنك طراد (كريدي ليونيه) وبنك كونتيننتال الانماء والبنك اللبناني للتجارة . كما وضعت متفجرة على مداخل وزارة الاشغال العامة واخرى على مدخل وزارة الشؤون الاجتماعية واحدثت هذه المتفجرات اضرارا مادية في الاماكن التي استهدفتها . كما وضعت متفجرة قرب سينما الدورادو في شارع الحمراء فانفجرت وسببت اضرارا مادية ، وفي ميناء الحصن الفيت متفجرة من سيارة فاحدثت دويا كبيرا وادت الى تحطيم الزجاج في عدد من المتاجر والمكاتب . كما القيت رزمة ديناميت امام مبنى غرفة التجارة والصناعة في حي الصنائع فهز الانفجار المنطقة . وكان واضحا ان القصد من هذه العمليات ان ثمة امكانية وقدرة على نقل المعركة الى أمكنة حرصت السلطة على ابعادها عنها . وقد ذكر بلاغ للسلطة العسكرية انه « منذ الساعة ٢٠،٢٠ من مساء ٥/٨ وحتى صباح ٥/٩ بالرغم من اتفاق وقف النار ما تزال مراكزنا في مناطق البقاع والجنوب وجبل

لبنان وبيروت تتعرض لقصف مركز من قبل المسلحين. في مدينة بيروت وضواحيها نسف المسلحون البنوك الآتية : بنك الانماء ، طراد ، اللبناني للتجارة في محلة الشياح بواسطة متفجرات ... كما القيت متفجرات بين السان جورج وفندق فينيسيا . هذا بالاضافة الى مراكزنا في الرادار ومطار بيروت الدولي ومدرسة القتال ومنازل الضباط ، فسقط ١٨ جريحا بينهم ضابط كما سقط في جبل لبنان شهيد واحد . اما في منطقة الجنوب وعلى اثر قصف ثكنة صور بالصواريخ والهواوين الثقيلة وتعرض قافلة متنقلة على الطريق العام لكمين مسلح سقط ثمانية شهداء وثمانية عشر جريحا بينهم ضابطان قائدان . اما في منطقة البقاع فما تزال مراكزنا في بقعة عمل راشيا تتعرض لقصف مدفعي مركز . سقط اربعة شهداء و١٦ جريحا بينهم ضابط اصابته خطرة ، الى جانب فقد ستة عسكريين بينهم ضابط ايضا . بلغت خسائرنا حتى الصباح : شهيد ١٣ ، جريح ٦٥ ، مفقود ٦ » ، وقد ذكرت « العمل » (٥/١٠) ان مجموع خسائر الجيش منذ بدء الاشتباكات بلغ ٣٧ قتيلا على الاقل . ومن جهة اخرى ذكرت نشرة « الثورة مستمرة » (٥/٩) ان انباء وردت من الجنوب تفيد ان قوات المقاومة تحاصر فصيلتين للجيش محاصرة تامة . وقد لاحظت « المحرر » (٥/١٠) بالنسبة لاحداث يوم ٥/٩ « ان ضرب بعض المنشآت اللبنانية وظهور تحركات مختلفة لدى قوى لبنانية متعددة زاد في قناعة المسؤولين بان الاستمرار في السياسة التي اتبعت خلال الايام الماضية سيدفع لبنان الى كارثة مؤكدة » .

لذلك فان الاجتماع الثاني للجنة المشتركة الذي عقد في الساعة الخامسة من يوم ٥/٩ أسفر عن اتفاق تفصيلي يكرس وقف القتال . وقد ورد نص هذا الاتفاق في تعميم وزعته القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية كما يلي : « ١ — يتوقف القصف والرماية كليا من الجانبين في القطاع الشرقي في تمام الساعة السادسة والنصف . ٢ — يتوقف الاعلام اللبناني الرسمي عن التحريض والاثارة ويلتزم خط التهدئة .. وكذلك بالنسبة للاعلام الفلسطيني . ٣ — تنشأ ثلاثة مراكز ارتباط مشتركة في نقاط ثابتة منظورة من الجانبين عند المواقع التالية : آ — المركز الاول قرب دوار الكوكاكولا . ب — المركز الثاني قرب سفارة الكويت . ج — المركز الثالث قرب دوار المطار (عند بيت سفير الجزائر) ويزود كل مركز بخيمة عليها يافطة وبقوة متحركة وترتبط مراكز الارتباط بالمناظير المقربة ومكبرات الصوت ويباشر ضباط الارتباط بأخذ مواقعهم منذ صباح الغد الخميس ٥/١٠ . د — يلتزم الجانبان بالمحافظة على وقف اطلاق النار في جميع المناطق وباعطاء تعليمات مشددة لاحترام هذا القرار . هـ — يلتزم الجيش باخلاء مسبح المدينة الرياضية من جنوده ويقوم بسحبهم الى نادي الفروسية ويلتزم الجانب الفلسطيني بالامتناع عن دفع عناصر فدائية للحلول محلهم في المسبح . و — عند وقوع أي مخالفة او اي حادث عابر يلتزم الجانبان بعدم الانفعال والرد حتى تتم معالجة الامر بهدوء وبدون حدوث مضاعفات. ز — ان القيادة العامة لقوات الثورة اذ تطلب من جميع عناصرها الالتزام بنقاط هذا الاتفاق بغية تهيئة الاجواء الملائمة لتحقيق الانفراج والتغلب على الازمة ، تأمل ان يكون الجميع على مستوى المسؤولية وحسن التقدير » .

وبهذا الاتفاق انتهت مرحلة في الازمة لتبدأ مرحلة جديدة من المفاوضات .

المرحلة الرابعة : وقف اطلاق النار :

كان اتفاق ٥/٩ بداية مرحلة جديدة في الازمة كان عنوانها البارز استمرار الاتصالات والمفاوضات التي ادت الى تشكيل اللجنة المشتركة التي اسفرت اجتماعاتها الثلاثة التي عقدتها بين ١٥—١٧ ايار عن الوصول الى ما اصطلح على تسميته « اتفاقا » بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية . وسنرصد في هذه الفقرة الاجواء التي احاطت بهذه الجهود .

بعد اتفاق ٥/٩ مباشرة بدأت السلطة تسرب للصحافة « وجهة نظرها » وما وصفته بأنه مطاليبها من أجل تخفيف الازمة . فقد ذكرت « النهار » (٥/١١) ان السلطة تطالب بما يلي : « اولا تشكيل لجنة مشتركة للقيام بجردة للاسلحة خصوصا الثقيلة في المخيمات بحيث تخرج منها لان مكانها على الحدود وليس في العاصمة وضواحيها . ثانيا : اخراج العناصر غير المنضبطة والغريبة او المشبوهة من المخيمات والتي تعمل على افساد العلاقات بين السلطة والمقاومة وتفتعل الحوادث . ثالثا : اخضاع الفلسطينيين للقوانين اللبنانية ومعاملتهم كاللبنانيين فيما يتعلق بالشؤون المدنية » . وكانت قضية الاسلحة في المخيمات هي اكثر القضايا

لفتا للنظر في ما تطرحه السلطة واوساطها واجهزة اعلامها . ففي تصريح ادلى به كميل شمعون (١١/٥) اثر مقابلته لرئيس الجمهورية قال ان الرئيس فرنجيه « لا يرى ان مقتضيات المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي تحتم وجود كمية من الاسلحة الكبيرة والصغيرة الثقيلة والخفيفة، والعدد الوافر من المسلحين ضمن العاصمة وحولها وكذلك ضمن المدن الكبيرة اللبنانية وحول هذه المدن». ولم يكن تجريد الفلسطينيين من الاسلحة هو مطلب السلطة الوحيد فقد ذكرت « العمل » (١٢/٥) ان « منطلقات الموقف اللبناني يمكن حصرها في النقاط التالية : ١ ـ الغاء مخيمات ضبية وتل الزعتر وبرج البراجنة ، باعتبار انها تقع في مناطق ماهولة وحساسة والاستعاضة عنها بتجمعات اخرى يتفق عليها . ٢ ـ الاحتفاظ بمحور مخيم شاتيلا ـ صبرا على ان تحدد نوعية الاسلحة الموجودة فيه باعتبار ان الصواريخ والمدافع المخزونة في قلب العاصمة ليست معدة لعمليات من الحدود . ٣ ـ تحديد عدد الفدائيين الموجودين في لبنان من جملة السلاح ، بما كان عليه هذا العدد قبل توقيع اتفاقية القاهرة . ٤ ـ انهاء التدريب ومستودعات الاسلحة من المخيمات القريبة من المناطق الاهلة والاستعاضة عنها بمناطق بعيدة اخرى » . كما بدات السلطة تسرب انباء عن استيائها من تزايد عدد الفلسطينيين في لبنان فقد نقلت « العمل » (١٣/٥)على لسان وفد اقتصادي زار الرئيس فرنجية ان فرنجية « كان واضحا في عرض ملابسات الانفجار الاخير والظروف التي احاطت به . ومما قاله ان عدد الفلسطينيين في لبنان كان قبل ١٩٦٨ حوالي ١٤٧ الف فلسطيني وهو اليوم يتجاوز الثلاثمئة الف بعد التطورات العربية الاخيرة » . وقد كان موقف قيادة الثورة واضحا وحاسما من هذه القضايا التي تعمدت السلطة تسريبها فقد صرح ناطق باسم الجانب الفلسطيني في اللجنة المشتركة اللبنانية ـ الفلسطينية بما يلي : « ذكرت احدى الصحف اللبنانية انه علم ان الجانب اللبناني طرح امس (١٢/٥) في اجتماع اللجنة المشتركة نقل مخيم تل الزعتر والضبية وبرج البراجنة . ان اللجنة الفلسطينية تنفي نفيا قاطعا ان يكون الجانب اللبناني قد طرح مثل هذا الموضوع وان كل ما طرح في كافة الاجتماعات لم يتجاوز وقف اطلاق النار وترتيبات ضمان استمراره » كما صرح مصدر فلسطيني بما يلي : « علمت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ان هناك معلومات خاطئة وصلت الى بعض الصحف ووكالات الانباء تزعم ان اتفاقا قد جرى لسحب قوات الجيش من مواقعها مقابل سحب بعض انواع الاسلحة من المخيمات . ان اللجنة التنفيذية وهي تتابع بحرص سير العمل من اجل تنفيذ الاتفاقات بشأن وقف اطلاق النار واعادة الوئام الى حالته الطبيعية تنفي هذه الاخبار المفضوحة نفيا قاطعا » (« فلسطين الثورة » ١٣/٥) . وقد ذكرت نشرة « المقاومة » (١٤/٥) ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كانت قد اتخذت في ١٠/٥ قرارات بهذا الشأن منها « التمسك بسلطة المقاومة والجماهير الفلسطينية الكاملة على المخيمات ورفض كل افكار الغاء هذه المخيمات او بعضها ورفض فكرة سحب السلاح الثقيل من المخيمات باعتبار انه لا يوجد سلاح ثقيل فيها بالاساس ، فالسلاح الثقيل هو الطيارات والدبابات ومدافع الميدان وكلها أسلحة غير موجودة في المخيمات، اما الاسلحة الاخرى فأسلحة متوسطة وخفيفة تشكل حماية ضرورية للمخيمات من الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ومن كل مغامرة طائشة لتصفية الثورة ، كمغامرة ايار الاخيرة » . وقد كانت « مطاليب » السلطة هذه التي لمحت اليها عن طريق غير مباشر مجالا « لاسئلة » مباشرة حملها الرئيس الحافظ الى قيادة المقاومة لدى اجتماعه بالاخ ابو عمار وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية يوم ١٤/٥ ، فقد اشارت مصادر المقاومة (« المقاومة » ١٦/٥ و« فلسطين الثورة » ١٧/٥) الى بعض هذه الاسئلة التي نقلها الحافظ بتكليف من رئيس الجمهورية . ودارت هذه الاسئلة حول الامور التالية : العمليات العسكرية عبر الحدود اللبنانية ، عمليات المقاومة في الخارج ، حمل السلاح خارج المخيمات والتواجد الفدائي داخل المدن ، الاسلحة الثقيلة في المخيمات ، الاسباب التي تحول دون عودة السلطة الى المخيمات ، علاقة المقاومة بالسياسة الداخلية للبنان والصلة التي تقيمها مع الاحزاب والقوى التقدمية ، الوجود السياسي والاعلامي للمقاومة في لبنان ، قضية اصدار بلاغات عسكرية بعمليات خارجية من بيروت، الضمانات التي تراها المقاومة ضرورية لبداية حوار مثمر منتج . وقد ذكرت « فلسطين الثورة » (١٧/٥) « ان هذا الحوار يؤكد مسألتين هامتين : اولا ان كل ما تريده المقاومة ليس سوى تطبيق الاتفاقات

المعقودة مع السلطة . وليس فيها ما هو غير واضح وغامض . ثانيا : ان المقاومة متمسكة بكافة المكتسبات التي حصل عليها الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه » . وقد تصدت الحركة الوطنية اللبنانية لموضوع نزع السلاح من ايدي الفلسطينيين . فقد اذاع المحامي عزت حرب ، رئيس جمعية متخرجي المقاصد ، بيانا (نشرته « فلسطين الثورة » ٥/١٤) جاء فيه استعراض لما نسب الى الرئيس فرنجية في هذا الصدد ثم توصل الى ما يلي « ان هذا الكلام يقصد منه في نظرنا : اولا — البدء في عملية نزع سلاح المقاومة الفلسطينية وتجريد المخيمات منها تمهيدا لتصفيتها لان هذه الخطوة تماما قد لجأ اليها الحكم الاردني قبل مجازر ايلول . ثانيا — اخضاع مخيمات الفلسطينيين للضغط وضبط الحركة من خارجها يتنافى مع أمن الثورة ويعطل المقاومة ويعيدها الى الوضع السابق المعروف للاجئين قبل ١٩٦٧ . ثالثا — ان مثل هذا الكلام المنسوب الى فخامة الرئيس يعني ان السلطة تريد فتح ملف القضية الفلسطينية واعادة النظر في الوجود الفلسطيني وهو امر لا تملكه من الا من خلال جامعة الدول العربية ومؤتمر الذروة الذي حدد الوجود العربي والدولي لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها كلها ... »

بجانب هذه « المطاليب » التي حاولت السلطة ان تجعلها مرتكزات لسياستها قامت السلطة بأجهزتها الاعلامية ومن خلال الصحف اللصيقة بها بحملة تعبئة تسند مرتكزاتها تلك . وقد لخصت « فلسطين الثورة » (٥/١٣) المحاور التي اعتمدتها هذه الحملة بما يلي : ١ — التركيز على ما يسمى بامتيازات الفدائيين وتجاوزاتهم للقوانين . ٢ — تصوير التلاحم بين الثورة والحركة الوطنية والتقدمية في لبنان على انها تدخل في الشؤون الداخلية . ٣ — استخدام لفظ « الغرباء » في سياق التعليقات للتلميح الى ان الوجود الفلسطيني في هذا البلد العربي وجود دخيل . ٤ — استعارة لفظ فدائي شريف وغير شريف ، ومعتدل ومتطرف من حملة التعبئة الملكية الاردنية التي سبقت ايلول ١٩٧٠ . ٥ — نشر الاخبار المختلقة من خلاف بين المنظمات . بالاضافة الى ذلك كان واضحا ان هناك تركيزا على ان الوجود الفلسطيني المقاوم في لبنان يشكل انتقاصا من السيادة اللبنانية ، كما جرى تمجيد كبير لدور الجيش اللبناني خلال الازمة وتأكيد على ان ما قام به كان واجبا « يؤديه في سبيل الوطن » . وقد تمكنت السلطة من ممارسة حملتها التعبوية الاعلامية على هذه المحاور في ظل حالة الطوارىء التي اعلنتها والتي فرضت بموجبها رقابة مشددة على الصحف ووسائل الاعلام .

ضمن هذه الاجواء وفي ظل الفراغ الدستوري الذي سببته استقالة الحافظ من رئاسة الحكومة بدأت اجتماعات اللجنة المشتركة العليا عصر يوم ٥/١٥ . وفي هذا اليوم ذكرت نشرة « المقاومة » انه « في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه الحملة السياسية من السلطة وبعض كبار الساسة الانعزاليين في لبنان على حركة المقاومة مطالبة اياها بالتخلي عن مصادر قوتها الرئيسية ، كان القصر يتحرك سياسيا باتجاه آخر موفدا السيد صائب سلام الى قيادة المقاومة ومكلفا اياه بتبليغها بأنه ، اي رئيس الجمهورية ، مستعد للالتزام باتفاق القاهرة نصا وروحا شرط تشكيل لجنة موسعة (خمسة من كل طرف) تبحث في تطبيق هذا الاتفاق بشكل عملي . واعلن رئيس الجمهورية من طرفه تشكيل اللجنة برئاسة العقيد احمد الحاج وعضوية ديب كمال وسليم مغبغب [مقدمان] واثنين من القضاة » . وقد أعلنت المقاومة (كما جاء في النشرة) ان نجاح المفاوضات بين السلطة والمقاومة لتطبيق بنود اتفاق القاهرة وملحقاته مرهون بالدرجة الاولى في توفير الاجواء السياسية والعسكرية الايجابية في لبنان والتي يمكن تلخيصها : ١ — تشكيل حكومة وطنية قوية تكون مسؤولة سياسيا ودستوريا عن نتائج هذه المفاوضات . ٢ — الغاء حالة الطوارىء . ٣ — الغاء كافة مظاهر التوتر من حصار مسلح حول المخيمات الى عودة الجيش الى مواقعه السابقة قبل ٢ ايار وازالة كافة الحواجز العسكرية . غير ان المقاومة سمت ممثليها الى هذه اللجنة (ابو الزعيم وابو عدنان وصلاح صلاح) التي ابتدأت اعمالها عصر يوم ٥/١٥ . وقد بدأ الاعلام اللصيق بالسلطة يستبق الاحداث ويسرع في اظهار مطاليب السلطة من المقاومة في هذه الاجتماعات فقد أشارت « النهار » (٥/١٦) الى انه سيكون ثمة اتفاق جديد وصفته بأنه « اتفاق قاهرة مجدد » وان البحث دار في الاجتماع الاول حول النقاط التي حملها الرئيس الحافظ الى قيادة المقاومة يوم ٥/١٤ وان الجانب اللبناني نال اجوبة ايجابية على معظم النقاط المطروحة وان البحث يدور حول تصنيف الاسلحة الثقيلة . غير ان

نشرة « المقاومة » اوضحت انه لم يبحث في الاجتماع الذي استغرق اربع ساعات كاملة اي موضوع بشكل محدد وانما جرى خلاله تعارف بين اعضاء اللجنتين واستنكار للاقتتال بين الاشقاء . وقد عقدت اللجنة اجتماعين آخرين في يومي ١٦ و١٧/٥ صدر اثرهما بيان جاء فيه « استكملت اللجنة المشتركة العليا محادثاتها هذا اليوم (١٧/٥) بعد اجتماعها الثالث والذي استمر ست ساعات . وكانت وجهات النظر متفقة بين الجانبين حول مختلف القضايا » وقد اضافت الاذاعة اللبنانية بعد نشرها هذا البيان العبارة التالية « وقد علم مندوبنا ان لجنة التنسيق العليا ستتولى الاشراف على خطوات التنفيذ » .. ما الذي جرى خلال هذين الاجتماعين الاخيرين وما هو اطار « الاتفاق » الذي تم التوصل اليه بين المقاومة والسلطة ؟ ذكرت نشرة «المقاومة» (١٧/٥) انه تم في الاجتماع الثاني (١٦/٥) عرض « نظري » لتصور السلطة لدور العمل الفدائي يحصر العمل الفدائي في اضيق الحدود وفي ابعد الاماكن عن ارض الفداء ، كما تناول العرض اعادة طرح مسألة الوجود الفلسطيني برمته في لبنان كما حاول الوفد اللبناني طرح بعض المشكلات التفصيلية التي طرأت خلال وجود العمل الفدائي في لبنان . وقد رد اعضاء الوفد الفلسطيني مطولا على وجهة نظر السلطة واستغربوا طرح هذه الاراء واعتبروها دليلا على الرغبة في تأزيم الجو وعدم الوصول الى اي نتائج ايجابية وطلب الوفد الفلسطيني من اعضاء وفد السلطة ترجمة عملية لآرائهم « النظرية » فتراجع حينها ممثلو السلطة واكدوا ان كل ما يريدونه هو الالتزام بتطبيق اتفاق القاهرة وكافة الملحقات المتفرعة عنه. وقد انتهى الاجتماع على ان يعقد اجتماع آخر في اليوم التالي . وعن هذا الاجتماع الثالث والاخير (١٧/٥) ذكرت نشرة « المقاومة » (١٩/٥) انه جرى فيه حوار صريح لخصت فيه السلطة عبر ممثليها مجموعة ملاحظاتها حول العلاقة مع حركة المقاومة والتي لا تخرج عن الملاحظات والاسئلة التي حملها الدكتور امين الحافظ الى قيادة المقاومة وتلقى اجوبة محددة عليها . وقد رد ممثلو المقاومة على هذه الملاحظات والاسئلة من خلال توجيهات اللجنة التنفيذية الحريصة على الالتزام الكامل باتفاقية القاهرة وكافة ملحقاتها . وقد تقدم ممثلو المقاومة بمجموعة من المطالب والضمانات التي يرونها ضرورية لتجاوز الازمة واسبابها وآثارها ويمكن تلخيصها بالآتي : ● احترام وتطبيق اتفاقية القاهرة مع كل ملحقاتها ، ● انهاء كل المظاهر العسكرية وعودة الجيش الى ثكناته: ● الغاء حالة الطوارىء بعد تشكيل الحكومة الوطنية القادرة على ارساء أسس التفاهم والثقة مع المقاومة . ● ايقاف الحملة الاعلامية المعادية للثورة . ● عدم المس بالسلاح الموجود في المخيمات . ● اقرار حق المقاومة بالتدريبات العسكرية . ● اقرار حق العمل للفلسطينيين في لبنان . ● الافراج عن كافة المعتقلين من مناضلي الثورة وانصارها اللبنانيين . وقالت النشرة انه لم يتوصل الطرفان الى اتفاق جديد بشأن كل هذه النقاط الا ان الجانب اللبناني ابدى تفهما لهذه المطالب وتم الاتفاق على احياء اللجنة المشتركة العليا للبت في كافة الخلافات والمشاكل المعلقة وعلى ضرورة تعزيز مكاتب الارتباط بين السلطة والمقاومة من اجل حل اي مشكلة طارئة بسرعة .

لقد رافق مجرى المفاوضات التي اسفرت عن هذا « الاتفاق » عدة أمور نجملها كما يلي :

اولا — شددت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية من موقفها الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية ، فقد أصدرت هذه القوى بيانا (١٥/٥) قالت فيه « سوف تمضي الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في النضال وسط الجماهير ، بكل ما تملك من امكانيات ووسائل ، من اجل وضع حد لسياسة القمع المسلطة على البلاد وفي سبيل تنفيذ المطالب التي تشكل وحدها سبيل الخروج من الوضع الراهن ، وفي طليعتها :

اولا — الغاء حالة الطوارىء فورا . ثانيا — ازالة كل مظاهر التوتر بسحب القوات المسلحة الى ثكناتها ومواقعها السابقة. ثالثا — التقيد بالاتفاقيات والمواثيق المعقودة مع المقاومة الفلسطينية وتنفيذها مع جميع ملاحقها . رابعا — معاقبة المسؤولين عن ارتكاب المجزرة والتعويض على ذوي الشهداء والاضرار المادية . خامسا — تشكيل حكومة يرضى عنها الرأي العام الوطني وتتحمل مسؤوليتها في المحافظة على أسس العلاقة الطبيعية مع المقاومة الفلسطينية على قاعدة الثقة والحوار الايجابي ». وكانت الهيئات الوطنية قد اجرت مداولات في ١١/٥ تقدم بعدها السيد رشيد كرامي بمطالب الى رئيس الجمهورية (نشرتها « فلسطين الثورة » ١٤/٥) جاء فيها ما يلي : ١ — الغاء حالة الطوارىء .

٢ — تشكيل حكومة وطنية تأخذ على عاتقها اعادة الاجواء الى ما قبل الازمة . ٣ — احترام الاتفاقات مع المقاومة وتطبيقها . ٤ — احياء اللجان المشتركة على مستوى عال . ٥ — عودة الجيش الى ثكناته . ٦ — اصدار بيان من السلطة يتعهد بتثبيت الاخوة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني ، احترام حقوق الفلسطينيين . ٧ — اعادة التوازن الوطني داخل قيادة الجيش . ٨ — محاكمة المسؤولين عن المجزرة .

ثانيا — مع دخول وقف اطلاق النار مرحلة التنفيذ الفعلي بعد (٥/٩) بدأت تظهر على السطح بشكل ملح مسألة الفراغ الدستوري الناتجة عن استقالة رئيس الحكومة من جهة ، وقضية الغاء حالة الطوارىء من جهة اخرى . وحول المسألة الاولى كان من الواضح ان رئيس الجمهورية يرجىء البت بقضية استقالة الحكومة وتكليف رئيس وزراء جديد (او رفض الاستقالة واستمرار الحافظ في الحكم او اعادة تكليفه مرة اخرى) الى ما بعد الانتهاء من الوصول الى اتفاق مع المقاومة . وقد كتبت « النهار » (٥/١١) حول هذا الموضوع ما يلي « ان السلطة لا ترى داعيا للعجلة في تشكيل حكومة جديدة قبل ان يتم الاتفاق على صيغة التعايش الجديدة مع المقاومة ، وهي تفضل ما دام الوصول الى مثل هذا الاتفاق لم يتم ان تظل السلطة العسكرية هي التي تتحمل مسؤولية حفظ الامن في البلاد ومراقبة تطورات الموقف » . غير ان راي المعارضة والقوى الوطنية كان يصر على تشكيل حكومة تتحمل مسؤولياتها الدستورية . وقد عقد في (٥/١٢) اجتماع في منزل رشيد كرامي حضره بالاضافة الى كرامي السادة كمال جنبلاط ، فريد جبران ، زاهر الخطيب ، ناظم القادري ، حسن الرفاعي ، بهيج تقي الدين ، عبدالله اليافي ، رشيد الصلح ، عثمان الدنا ، نجاح واكيم ، تقي الدين الصلح ، محمد زكريا العيتاني ، وفيق الطيبي ، كمال شاتيلا ، خضر الحركة . وقد ادلى وفيق الطيبي باسم المجتمعين ببيان جاء فيه ان المجتمعين درسوا استمرار الفراغ الدستوري الناجم عن عدم وجود حكومة ، مما يعني ان ليس ثمة سلطة في البلاد يمكنها ان تتولى حتى تسيير الاعمال العادية « وهذا الوضع من شانه ان يبقي البلاد في حالة فراغ حكومي كامل تنتج عنه حالة لادستورية تمس نظامنا الديموقراطي » . وقد طالب المجتمعون « بالاسراع في تاليف حكومة تتحمل مسؤولياتها الدستورية كاملة وتكون على مستوى الاحداث وتوحي الثقة للراي العام » .

اما بالنسبة لالغاء حالة الطوارىء فقد كان من الواضح أيضا ان السلطة تصر على ابقاء هذه الحالة وعدم الغائها بانتظار التوصل الى اتفاق مع المقاومة . ومن ناحية دستورية فان المادة الثانية من قانون الطوارىء توجب دعوة مجلس النواب الى الاجتماع للنظر في هذا التدبير في مهلة ثمانية ايام . وكانت هذه المهلة تنتهي في ٥/١٤ . وقد بدأ اظهار اشكال قانوني ناشىء من الحكومة التي أعلنت حالة الطوارىء استقالت بعد ذلك فتمسكت المعارضة بأن حالة الطوارىء تسقط بانتهاء المهلة المحددة في القانون ما دامت الحكومة المستقيلة لا تتمكن من المثول امام مجلس النواب لتمديد حالة الطوارىء . بينما سعت السلطة بالمقابل من خلال الفتاوى التشريعية التي جندت وسائل الاعلام جميعها لبثها وترسيخها ، الى اظهار ان حالة الطوارىء مستمرة حتى في حال استقالة الحكومة اولا ثم ثانيا حتى ولو لم يجتمع مجلس النواب لبحثها . وهكذا تمكنت السلطة من خلال هذه الفتاوى من ابقاء حالة الطوارىء الى ما بعد « اتفاقها » مع المقاومة .

ثالثا — رافق المفاوضات نشوب معارك في المنطقة الشمالية من البلاد ، وحسب بلاغات السلطة تعرض مركز العريضة على الحدود السورية — اللبنانية الى قصف بالمدافع يوم ٥/١٠ كما تعرض لقصف آخر يوم ٥/١١ كما تعرض مركز البقيعة في الشمال ايضا الى قصف مشابه في ٥/١٢ وزعمت السلطة في بلاغاتها ان هذا القصف قام به « مسلحون » اخترقوا الحدود الشمالية .

رابعا — بدأت قبيل التوصل الى « اتفاق » ٥/١٧ حملة اعتقالات استمرت الى وقت لاحق شملت عددا من الفلسطينيين واللبنانيين . فقد ذكرت « فلسطين الثورة » (٥/١٤) ان الجيش استمر في اقامة الحواجز في اكثر من منطقة وجرى اعتقال عدد من الاشخاص كما دوهمت عدة منازل تعود لانصار الثورة من المواطنين اللبنانيين في بعض مناطق جبل لبنان كما جرت مداهمات لبعض بيوت منطقة الشياح . كما ذكرت في عدد (٥/١٩) ان قوات الجيش اعتقلت صباح اليوم السابق ثمانية من المواطنين الفلسطينيين من سكان مخيم تل الزعتر

السعر ٢½ ل.ل. في لبنان وسوريا
٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

